كتاب مواهب اللدنيه مصحح بقلم علي القاري

صحيح ٣٢٢

Bölümü
Kısmı | Haci Beşir Ağa
Yeni Kayıt No
Eski Kayıt No ٢٧٥

فائدة يكتب للحمى ثلاث فصوص
من الثوم يكتب في الاول دبنا اكشف
وفي الثاني عنا العذاب وفي
الثالث انا مؤمنون ويحرز
بالفص الاول لليوم الاول
وفي الثاني بالثاني

اذا اعطشتك اكف الكرام
كفتك القناعة شبعا وريا
وكن رجلا رجله في الثرى
وهمة هامه في الثريا

صح
٦٠٠

ان شيت تدعا فقيه قوم فطول الكم ثم عمم
واخضر مع الناس جدال لا بالبحث في الاعلام
الا صياح ونفخ تحم وقول لا لا ولا مسلم
وان اتا الوقف يأكلوه وقد نسوا العلم والمعلم
ثيابهم بالبياض تزهوا وقلبهم بالحرام مظلم
وان تراني اوري فقيها فصح وقل بالا

تاريخ حجة الامير ... علي
باستلام ... المدرسين
في ثالث جمادى الاولى
١٠٤٥

فايدة يكتب للبق في يوم عرفة وهذا ما يكتب
موسى ... محمد ... ارحل يا بق يكتب في ثلاث
ورقات وصفة وضع الورقات تعلق واحدة في ميمنة
المحل والثانية قبالها والثالثة صدر المحل والله اعلم
عن محمد بن حامد المدني الطواب

ا

ترجمة مؤلف الكتاب

احمد بن محمد بن ابي بكر بن عبد الملك بن احمد بن محمد بن محمد بن حسين بن علي القسطلاني المصري الشافعي ذكره السخاوي
في ضوئه وان مولده ثاني عشر ذي القعدة سنة احدى وخمسين وثمانمائة بمصر ونشأ بها وحفظ القرآن وتلا للسبع
وحفظ الشاطبيتين والجزرية والوردية وغير ذلك وذكر له عدة مشايخ منهم الشيخ خالد الازهري النحوي والفخر المقسي
والشهاب العبادي والبرهان العجلوني والجلال البكري وغيرهم وانه قرأ صحيح البخاري في خمسة مجالس على الشاوي وانه تلمذ له الفخر
وقرأ عليه بعضه وكانه اعني السخاوي وانه حج غير مرة وجاور سنة اربع وثمانين وسنة اربع وتسعين وانه اخذ بمكة عن جماعة
منهم النجم بن فهد وانه ولي مشيخة مقام سيدي الشيخ احمد بن ابي العباس الحرار بالقرافة الصغرى وانه عمل تاليفا في مناقب
الشيخ المذكور سماه نزهة الابرار في مناقب الشيخ ابي العباس الحرار وانه كان يعظ بجامع العمري وغيره ويجتمع عنده الجم
الغفير وانه لم يكن له نظير في الوعظ وانه كتب بخطه شيئا كثيرا لنفسه ولغيره واقرأ الطلبة وانه تعاطى الشهادة ثم انجمع
واقبل على التاليف وذكر من تصانيفه العقود السنية في شرح المقدمة الجزرية وفي علم التوحيد والكنز في وقف
حمزة وهشام على الهمز وشرحا على الشاطبية زاد فيه زيادات ابن الجزري مع فوائد غريبة لا توجد في شرح غيره وشرحا
على البردة سماه الانوار المضية في شرح الكواكب الدرية وكتاب نفائس الانفاس في الصحبة واللباس والروض الزاهر
في مناقب الشيخ عبد القادر وتحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري ورسائل في العمل بالربع انتهى ما ذكره السخاوي ملخصا

قلت وارتفع شانه بعد ذلك واعطي السعد في قلمه وكلمه وصنف التصانيف المقبولة التي سارت بها الركبان
في حياته ومن اجلها شرحه على صحيح البخاري مزجا في عشرة اسفار كبار لعله احسن شروحه واجمعها والخصها ومنها
المواهب اللدنية بالمنح المحمدية وهو كتاب جليل المقدار عظيم الوقع كثير النفع ليس له نظير في بابه ويحكى ان الحافظ
الجلال السيوطي كان يغض منه ويزعم انه ياخذ من كتبه ويستمد منها ولا ينسب النقل اليها وانه ادعى عليه بذلك بين يدي
شيخ الاسلام زكريا فالزمه ببيان مدعاه فعدد عليه مواضع وقال انه نقل فيها عن البيهقي وقال ان للبيهقي عدة
مؤلفات فليذكر لنا انه ذكره في اي مؤلفاته لنعلم انه نقل عن البيهقي ولكنه راى في مؤلفاتي ذلك النقل عن البيهقي
برمته وكان الواجب عليه ان يقول نقل السيوطي عن البيهقي وحكى الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله ان الشيخ رحمه الله تعالى
قصد ازالة ما في خاطر الجلال السيوطي فمشى من القاهرة الى الروضة وكان الجلال السيوطي معتزلا عن الناس
فوصل صاحب الترجمة الى باب السيوطي ودق الباب فقال له من انت فقال انا القسطلاني جئت اليك حافيا مكشوف
الراس ليطيب خاطرك علي فقال له قد طاب خاطري عليك ولم يفتح له الباب ولم يقابله وبالجملة فانه كان اماما
متقنا جليل القدر حسن التقرير والتحرير لطيف الاشارة بليغ العبارة حسن الجمع والتاليف لطيف الترتيب
والترصيف كان زينة اهل عصره ونقاوة ذوي دهره ولا يقدح فيه كلام معاصريه عليه فلا زالت الاكابر
على هذا في كل عصر وكانت وفاته بالقاهرة في ليلة الجمعة سابع المحرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وصلي
عليه بعد صلاة الجمعة بجامع الازهر ودفن بالمدرسة العينية جوار منزله رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته
كذا وجدته بخط مفتي المسلمين بمكة المشرفة الشيخ قطب الدين الحنفي متع الله المسلمين بطول حياته آمين

المقصد الاول في تشريف الله تعالى له عليه الصلاة والسلام بسبق نبوته في سابق ازليته ونشر منشور
رسالته في مجلس مؤانسته وكتبه توقيع عنايته في حظائر قدس كرامته وطهارة نسبه وبراهين
اعلام آيات حمله وولادته ورضاعه وحضانته ودقائق حقائق بعثته وهجرته ولطائف
معارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته مرتبا على السنين من حين نشأته الى وقت وفاته

المقصد الثاني في ذكر اسمائه الشريفة المنبئة عن كمال الخلائق المنيفة واولاده الكرام
الطاهرين وازواجه الطاهرات امهات المؤمنين واعمامه وعماته واخوته من الرضاعة
وجداته وخدمه ومواليه وحرسه وكتابه وكتبه الى اهل الاسلام في الشرائع والاحكام
ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام وآلات حروبه ودوابه والوافدين اليه صلى الله عليه وسلم

المقصد الثالث فيما فضله الله تعالى به من كمال خلقته وجمال صورته وكرمه به
من الاخلاق الزكية وشرفه به من الاوصاف المرضية وما تدعو ضرورة حياته اليه صلى الله عليه وسلم
وفيه ثلاثة فصول

المقصد الرابع في معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته وما خص

المقصد الخامس في تخصيصه عليه الصلوة والسلام بخصايص المعراج والاسرا وتعميمه

بعموم لطايف التكريم في حضرة التقريب بالكلام والمشاهدة والآيات الكبرى

المقصد السادس فيما ورد في آي التنزيل من تعظيم قدره ورفعة ذكره وشهادته تعالى له

بصدق نبوته وثبوت بعثته وقسمه تعالى على تحقيق رسالته وعلو منصبه الجليل ومكانته

ووجوب طاعته واتباع سنته واخذه تعالى له الميثاق على ساير النبيين فضلا منه ومنة

إن ادركوه ليومنن به ولينصرنه والتنويه به في الكتب السالفة كالتوريه والانجيل بانه

صاحب الرسالة والتبجيل وفيه عشرة انواع المقصد السابع في وجوب محبته واتباع سنته

والاهتدا بهديه وطريقته وفرض محبة آله واصحابه وقرابته وعترته وحكم الصلوة والتسليم عليه

زاده الله فضلا وشرفا لديه وفيه ثلاثة فصول المقصد الثامن في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الامراض

والعاهات وتعبيره الرويا وانبايه بالانباء المغيبات وفيه ثلاثة فصول المقصد التاسع في لطيفة

من حقايق عباداته ويشتمل على سبعة انواع الطهارة الصلوة الزكوة الصوم الاعتكاف الحج

المقصد العاشر في اتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته اليه لمراتب التكريم والدرجات العليات

وتشريفه بخصايص وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وتفضيله في الآخرة

بفضايل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم والدرجات العليات وتشريفه بخصايص

الزلفى في مشهد مشاهد الانبيا والمرسلين وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود

وانفراده بالسودد في مجمع جامع الاولين والآخرين وترقيه في جنة عدن ارقا

مدارج السعادة وتعاليه في يوم المزيد اعلا معالي الحسنى وزيادة وفيه ثلثة فصول

المرء يرضيك الرحمن في سورة الضحى
فحاشاك أن ترضى وفينا معذب

الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاجي بشير آغاء دار السعادة
الشريفة لسنة اثنان
وخمسين ومائة
واقف

من كتب العبد الراجي شفاعة
سيد الكونين حاجي بشير ناظر
الحرمين الشريفين
سنة ١١٤٠

هذه النسخة المباركة من وقف حضرت مولانا صاحب الخيرات الحسان صاحب ذيل الجود والاحسان
منور مصابيح المقاصد بانوار العناية مفتح معاقد المراشد بمفتاح الكفاية جامع محاسن العلم والعمل
حائز مجامع البر الاكمل الا وهو آغا دار السعادة الحاج بشير وقفه للخير المزيد
والبر الكثير من هو على كل شيء قدير حرره الفقير اليه عز
محمد امين المعروف بدفاتر الحرمين المحترمين
عفي عنه

١٧٥

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا

الحمد لله الذي اطلع في سماء الازل شموس انوار معارف النبوة المحمدية، واشرق من افق اسرار الرسالة هلال تجلي العناية الاحدية، احمده على ان وضع اساس نبوته على سوابق ازليته، ورفع دعائم رسالته على لواحق ابديته، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الفرد المتفرد في عز ذاتيته بالعظمة والجلال، الواحد المتوحد في صمدانيته باستحقاق الكمال، واشهد ان سيدنا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله اشرف نوع الانسان، وانسان عيون الاعيان، المستخلص من خالص خلاصة ولد عدنان، الممنوح ببدايع الايات، المخصوص بعموم الرسالة وغرائب المعجزات، السر الجامع الفارق، والمختص بمواهب القرب من النوع الانساني، مورد الحقايق الازلية ومصدرها، وجامع جوامع مفرداتها ومنبرها، وخطيبها اذا حضر في حظاير قدسها ومحضرها، بيت الله المعمور الذي اتخذه لنفسه، وجعله ناظرا لحقايق انسه، مركز مدار نقطة الاكوان، ومنبع ينابيع الحكم والعرفان، المفيض من بحر مدده الوفا على القابلين للمعارف والاصطفا، حيث خاطبت ذاته الاقدس بالمنح الانسية فقالت:

فانت رسول الله اعظم كائن ... وانت لكل الخلق بالحق مرسل
عليك مدار الخلق اذ انت قطبه ... وانت منار الحق تعلو وتعدل
فؤادك بيت الله دار علومه ... وباب عليه منه بالحق يدخل
ينابيع علم الله منه تفجرت ... ففي كل حي منه للعلم منهل
مختص بفيض الفضل كل مفضل ... فكل له فضل به يتفضل
ظهرت بتاج الانبياء فتاجهم ... لديك بانواع الكمال مكلل
فيا مركز الاسرار نقطة خطه ... ويا ذروة الاطلاق اذ يتسلسل
تحملت عبء القلب عنك وانني ... وحقك ما اسلو وما اتحول
عليك صلاة الله منه تواصلت ... صلاة اتصال عنك لا تتنقل

شخصت ابصار بصاير سكان سدرة المنتهى لجلال جلاله، وخشعت رؤوس الانبياء الى مشاهدة كماله، وتلفتت لعظمته انفس الملا الاعلى لنفايس نفحاته، وتطاولت اعناق العقول الغيبية لمحاسن لحظاته، فعرج به الى المستوى الاقدس، واطلعه على السر الانفس، في احاطته الجامعة، وحضرات حظيرة قدسه الواسعة، فوقفت اشخاص الانبياء في حرم الحرم على اقدام الخدمة، وقامت اشباح الملائكة في معارج الجلال على رجل الاجلال، وهامت ارواح العشاق في مقامات الاشواق:

كل اليك بكله مشتاق ... وعليه من قبلاته احداق
يهواك ما ناح الحمام بايكه ... او لاح برق في الدجى خفاق
شوق اليه لا يزال يزيد ... فجميعه لجميعه عشاق

اشتاق القمر لمشاهدته فانشق، وشق من اثر الشفقة المشتاقين، وحن لما رقي الجذع متصدعا فانصدعت قلوب الانبياء المنافقين، وبرقت من مشكاة بعثته بوارق طلايع الحقايق، وانقادت لدعوته العامة خاصة خلايق الخلايق، ولم يزل يجاهد في الله بصادق عزماته، وينظم شتات الاسلام بجلال فراق جماته، حتى كملت كلمة الله وتمت حجته البالغة، وتمت على ساير امته نعمته السابغة، وخيرا فاختار الرفيق الاعلى، وآثر الآخرة على الاولى، فنقله الله قائما على قدم السلامة الى دار السلام، وفردوس الكرامة، وبواه اسنى مراتب التكريم في دار المقامة، ومنحه اعلى مراتب الشرف في اليوم المشهود، فهو الشاهد المشهود، والمحمود بالمحامد التي يلهمها للحامد المحمود، ذو المنزلة العلية

والدرجة

والدرجة السنية في حظاير القدس الاقدسية، والمشاهد الانفسية، واصلي الله عليه فضائل الصلوات وشرائف التسليم وزواكي البركات، وعلى آله الاطهار واصحابه الابرار، صلاة وسلاما لا ينقطع عنها امد المدد، ولا يحصرها العدد ابد الآباد. وبعد فهذه لطيفة من لطايف نفحات العواطف الرحمانية، ومنحة من منح مواهب العطايا الربانية، تنبئ عن اثبات شرف نبينا محمد عليه افضل الصلوات وازكى التسليم واسنى التحيات، وسبق نبوته في الازمان الازلية، وثبوت رسالته في الغيابات الاحدية، والتبشير بارساله في الاعصر الخالية، والتذكير بمكانته في الامم الماضية، واشراق بوارق لوامع انوار آيات ولادته التي سار عنه خبرها في ساير بريته، ودار بذكرها في اقطار ملكه وملكوته، وعواطف لطايف رضاعه وحضانته، وينابيع اسرار سر مسراه وبعثته وهجرته، وعوارف عبوديته الشارق عرف شذاها في آفاق قلوب اهل ولايته، ونفايس انفاس اخلاقه الزكية ورقايق سيرته العلية، الوحي نقلته لروضة قدسه الاحدية، وتشريفه بشرايف الآيات، وتكريمه بكرايم المعجزات، وترفيعه في آي التنزيل برفعة ذكره وعلو خطره، وتعظيم محاسن شمايله وخلايقه، وتخصيصه بعموم رسالته ووجوب محبته، واتباع طرايقه وسنته الجامعة لجوامع السودد في مشهد مشاهد المعاد، وتفضيله بالشفاعة العظمى العامة لعموم الاولين والآخرين الى غير ذلك من عجايب آياته ومعجزاته، وغرايب شمايله ومنحه، اوردتها حججا قاهرة على الملحدين، وذكرى نافعة للموحدين، وتبصرة لتابعي المهتدين، ولم اكن والله اهلا لذلك، ولم ار نفسي فيها هنالك لصعوبة هذا المسلك، ومشقة السير في طريق لم يكن مثلي يسلكه، وانما هو كتوشيح على كتاب الشفا بعض [illegible] والاصطفا في مكتب التاديب والتعليم في مشهد مشاهد المواهب والتكريم، متجليا في مجالي تجليات الانوار الاحمدية [illegible] محاسن خلقه وعظيم اخلاقه الزكية، سائرا بسيرته في منهاج ملته [illegible] مستمدا من فتح البارئ فيض فضله السارى [illegible] فانفتحت بالفتح المحمدي عين بصيرة الاستبصار [illegible] من كل صورة معناها، واقتبست من [illegible] مشكاة المعارف من كل بارقة [illegible] واجتنيت من افنانها لطايف [illegible] هذه المنح [illegible] في غبوق وصبوح [illegible] حتى نهلت [illegible] العلوم اوراقها [illegible] الحدايق ثمارها [illegible] تدعو لكمال محاسن الحبيب [illegible] كرايم الاشباح [illegible] خلاصة اولي الوفا [illegible]

حضر الحبيب وغاب عنه رقيبه ... حسبي نعيم ذاك عند حبيبه
داوى فؤادي بالوصل من ادوائه ... طوبى لعلي والحبيب طبيبه
صدق المحب حبيبه في حبه ... فبذاك صدق الحب من محبوبه
لباه لب فؤاده فاجابه ... لما دعاه الى الغرام وجيبه
والجامع الاسماء [illegible] ... والجمع خطاب القلوب خطيبه

فلما سمعت هذه المواهب آذان قلوب اولي الالباب، تلقتها عيون اعيانهم لتلخيص خلاصة جوهر هذا الخطاب، في حجر يسفر عن وجه المنح النبوية منيح النقاب، تثبت عنان القلم الى تحصيل ما ربعهم وتسطير مطالبهم جاعلا عون الصواب ما كان متوجها على [illegible] غيابات الغيب في هذا الكتاب، مستعينا في ذلك بالقوي الوهاب، حتى اتاح الله لي ذلك، وتمم ما هنالك، فاوضحت ما خفي من الدليل، ومهدت ما توعر من السبيل، وسميته المواهب اللدنية بالمنح المحمدية

ورتبته على عشرة مقاصد تسهيلا للسالك والقاصد المقصد الأول في تشريف الله تعالى له عليه السلام بسبق نبوته في سابق أزليته ونشر منشور رسالته في مجلس مؤانسته وكتبه توقيع عنايته في حظائر قدس كرامته وطهارة نسبه وبراهين أعلام آيات حمله وولادته ورضاعه وحضانته ودقائق حقائق بعثته وهجرته ولطائف معارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته مرتبا على السنين من حين نشأته الى وقت وفاته ونقلته لرياض روضته المقصد الثاني في ذكر أسمائه الشريفة المنبئة عن كمال أخلاقه المنيفة وأولاده الكرام الطاهرين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وأعمامه وعماته وإخوته من الرضاعة وجداته وخدمه ومواليه وحرسه وكتابه وكتبه الى أهل الإسلام في الشرائع والأحكام ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الأنام وآلات حروبه ودوابه والوافدين اليه صلى الله عليه وسلم وفيه عشرة فصول المقصد الثالث فيما فضله الله تعالى به من كمال خلقته وجمال صورته وكرمه سبحانه به من الأخلاق الزكية وشرفه به من الأوصاف المرضية وما تدعو ضرورة حياته اليه صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة فصول المقصد الرابع في معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته وما اختص به من خصائص آياته وبدائع كراماته وفيه فصلان المقصد الخامس في تخصيصه عليه السلام بخصائص المعراج والإسراء وتعميمه بعموم لطائف التكريم في حضرة التقريب بالمكالمة والمشاهدة والآيات الكبرى المقصد السادس فيما ورد في آي التنزيل من تعظيم قدره ورفعة ذكره وشهادته تعالى له بصدق نبوته وثبوت بعثته وقسمه تعالى على تحقيق رسالته وعلو منصبه الجليل ومكانته ووجوب طاعته واتباع سنته وأخذه تعالى له الميثاق على سائر النبيين فضلا ومنة ليؤمنن به إن أدركوه ولينصرنه والتنويه به في الكتب السالفة كالتوراة والإنجيل بأنه صاحب الرسالة والتبجيل وفيه عشرة أنواع المقصد السابع في وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه وطريقته وفرض محبة آله وأصحابه وقرابته وعترته وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه وفيه ثلاثة فصول المقصد الثامن في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الأمراض والعاهات وتعبيره الرؤيا وإنبائه بالأنباء المغيبات وفيه ثلاثة فصول المقصد التاسع في لطيفة من حقائق عباداته ويشتمل على سبعة أنواع المقصد العاشر في إتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته اليه وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وتفضيله في الآخرة بفضائل الأوليات الجامعة لمزايا التكريم والدرجات العليات وتشريفه بخصائص الزلفى في مشهد الأنبياء والمرسلين وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود وانفراده بالسؤدد في مجمع جامع الأولين والآخرين وترقيه في جنة عدن أرقى معارج السعادة وتعاليه في يوم المزيد أعلى معالي الحسنى وزيادة وفيه ثلاثة فصول والله تعالى أحمده وعز جاهه أسأل بوجاهة وجهه الوجيه عند نبيه النبيه أن يمدني وهذا الكتاب العزيز بمدد القبول ويتلقى من كتبه أو قرأه أو سمعه والمسلمين من العواطف النبوية بلطائف القبول ونهاية المأمول وعلى الله قصد السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل

المقصد الأول في تشريف الله تعالى له عليه السلام بسبق نبوته في سابق أزليته ونشر منشور رسالته في مجلس مؤانسته وكتبه توقيع عنايته في حظائر قدس كرامته وطهارة نسبه وبراهين أعلام آيات حمله وولادته ورضاعه وحضانته ودقائق حقائق بعثته وهجرته ولطائف معارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته مرتبا على السنين من حين نشأته الى وقت وفاته ونقلته لرياض روضته

اعلم يا ذا العقل السليم والمتصف بأوصاف الكمال والتتميم وفقني الله وإياك بالهداية الى الصراط المستقيم أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه وتقدير رزقه أبرز الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية في الحضرة الأحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على صورة حكمه كما سبق في سابق إرادته وعلمه ثم أعلمه تعالى بنبوته وبشره برسالته هذا وآدم لم يكن إلا كما قال بين الروح والجسد ثم انبجست منه صلى الله عليه وسلم عيون الأرواح فظهر بالملأ الأعلى وهو بالمنظر الأجلى فكان لهم المورد الأحلى فهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالي على جميع الأجناس والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس ولما انتهى الزمان بالاسم الباطن في حقه صلى الله عليه وسلم الى وجود جسمه وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان الى

الاسم

الاسم الظاهر فظهر محمد صلى الله عليه وسلم بكليته جسما وروحا فهو صلى الله عليه وسلم وإن تأخرت طينته فقد عرفت قيمته فهو خزانة السر وموضع نفوذ الأمر فلا ينفذ أمر إلا منه ولا ينقل خير إلا عنه

ألا بأبي من كان ملكا وسيدا ... وآدم بين الماء والطين واقف
فذاك الرسول الأبطحي محمد ... له في العلا مجد تليد وطارف
أتى بزمان السعد في آخر المدا ... وكانت له في كل عصر مواقف
أتى لانكسار الدهر يجبر صدعه ... فأثنت عليه ألسن وعوارف
إذا رام أمرا لا يكون خلافه ... وليس لذاك الأمر في الكون صارف

خرج مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تعالى كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أم الكتاب أن محمدا خاتم النبيين وعن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته رواه أحمد والبيهقي والحاكم وقال صحيح الإسناد وقوله لمنجدل أي طريحا ملقى على الأرض قبل نفخ الروح فيه وعن ميسرة الضبي قال قلت يا رسول الله متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد هذا اللفظ رواية الإمام أحمد ورواه البخاري في تاريخه وأبو نعيم في الحلية وصححه الحاكم وأما ما اشتهر على الألسنة بلفظ كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فقال شيخنا الحافظ أبو الخير السخاوي في كتابه المقاصد الحسنة لم نقف عليه بهذا اللفظ وقال الحافظ ابن رجب في اللطائف وبعضهم يرويه متى كتبت نبيا من الكتابة قلت كذا رويناه في جزء من حديث أبي عمرو إسماعيل بن نجيد ولفظه قلت يا رسول الله متى كتبت نبيا قال كتبت نبيا وآدم بين الروح والجسد فتحمل هذه الرواية مع رواية العرباض بن سارية على وجوب نبوته وثبوتها وظهورها في الخارج فإن الكتابة تستعمل فيما هو واجب قال تعالى كتب عليكم الصيام وكتب الله لأغلبن وعن أبي هريرة أنهم قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد رواه الترمذي وقال حديث حسن ورويناه في جزء من أمالي أبي سهل القطان عن سهل بن صالح الهمداني قال سألت أبا جعفر محمد بن علي كيف صار محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث قال إن الله تعالى لما أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم كان محمد صلى الله عليه وسلم أول من قال بلى ولذلك صار يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث فإن قلت إن النبوة وصف لا بد أن يكون الموصوف به موجودا وإنما يكون بعد بلوغ أربعين سنة أيضا فكيف يوصف به قبل وجوده وإرساله أجاب الغزالي في كتاب النفخ والتسوية عن هذا وعن قوله عليه السلام أنا أول الأنبياء خلقا وآخرهم بعثا بأن المراد بالخلق هنا التقدير دون الإيجاد فإنه قبل أن ولدته أمه لم يكن موجودا مخلوقا ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير لاحقة في الوجود فهو معنى قولهم أول الفكر آخر العمل وآخر الفكر أول العمل وبيانه أن المهندس المقدر للدار أول ما يمثل في نفسه صورة الدار فيحصل في تقديره دارا كاملة فالدار الكاملة هي أول الأشياء في حقه تقديرا وآخرها وجودا لأن ما قبلها من ضرب اللبن وبناء الحيطان وتركيب الجذوع وسيلة الى غاية وهي الدار ولأجلها تقدم الآلات والأعمال ثم قال وأما قوله عليه السلام كنت نبيا فهو إشارة الى ما ذكرنا وأنه كان نبيا في التقدير قبل تمام خلقة آدم عليه السلام لأنه لم ينشأ خلق آدم إلا لينتزع من ذريته محمد ويستصفى تدريجا الى أن يبلغ كمال الصفاء ولا يفهم هذه الحقيقة إلا بأن تعلم أن للدار وجودين وجودا في ذهن المهندس ودماغه وأنه ينظر الى صورة الدار وخارج الذهن في الأعيان والوجود الذهني سبب الوجود الخارج العيني فهو سابق لا محالة وكذلك فاعلم أن الله تعالى يقدر ثم يوجد على وفق التقدير ثانيا انتهى وتعقبه الشيخ تقي الدين السبكي بأنه قد جاء أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد فقد تكون الإشارة بقوله كنت نبيا اليه وحقيقته الشريفة

او على حقيقته

بل اعظم من الحقايق والحقايق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن امده الله بنور الهي ثم ان تلك الحقايق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء فحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون من قبل خلق آدم اتاه الله ذلك الوصف بان يكون خلقها متهيئة لذلك وافاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبيا وكتب اسمه على العرش واخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تاخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الالهية وانما يتاخر البعث والتبليغ وكل ماله من جهة الله ومن جهة تاهل ذاته الشريفة وحقيقته معجل لا تاخر فيه وكذلك استنباؤه وايتاؤه الكتاب والحكم والنبوة وانما المتاخر تكونه وتنقله الى ان ظهر صلى الله عليه وسلم وقد علم من هذا ان من فسره بعلم الله بانه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان علم الله تعالى محيط بجميع الاشياء ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي ان يفهم منه انه امر ثابت له في ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية بانه نبي وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبيا يعلم الله تعالى نبوتهم في ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم لاجلها اخبر بهذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا قدره عند الله تعالى **وعن** الشعبي قال رجل يا رسول الله متى استنبئت قال وآدم بين الروح والجسد حين اخذ مني الميثاق رواه ابن سعد من مرسله ومن جابر الجعفي فيما ذكره ابن رجب فهذا يدل على انه من حين صور آدم طينا استخرج منه صلى الله عليه وسلم ونبئ واخذ منه الميثاق ثم اعيد الى ظهر آدم حتى يخرج وقت خروجه الذي قدر الله خروجه فيه فهو اول خلقا لانه خلق قبل آدم قبله لان آدم كان حينئذ مواتا لا روح فيه ومحمد صلى الله عليه وسلم كان حينئذ استخرج ونبئ واخذ منه ميثاقه فهو اول النبيين خلقا واخرهم بعثا **فان قلت** ان استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه كما دل عليه اكثر الاحاديث والذي تقرر هنا انه استخرج ونبئ قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام **اجاب** بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم استخرج من ظهر آدم قبل نفخ الروح خصوصية له صلى الله عليه وسلم اذ هو المقصود من النوع الانساني وهو عينه وخلاصته وواسطة عقده والاحاديث السابقة صريحة في ذلك والله اعلم **وروي** عن علي ابن ابي طالب انه قال لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وياخذ العهد بذلك على قومه وهو مروي عن ابن عباس ايضا ذكرهما العماد ابن كثير في تفسيره **وقيل** ان الله تعالى لما خلق نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم امره ان ينظر الى انوار الانبياء عليهم السلام فغشيهم من نوره ما انطقهم الله به وقالوا يا ربنا من غشينا نوره فقال الله تعالى هذا نور محمد بن عبد الله ان امنتم به جعلتكم انبياء قالوا امنا به وبنبوته فقال الله تعالى اشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الى قوله وانا معكم من الشاهدين قال الشيخ تقي الدين السبكي في هذه الاية الشريفة من التنويه بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى وفيه مع ذلك انه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيامة وتكون الانبياء واممهم كلهم من امته ويكون قوله وبعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم ايضا ويتبين بذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد ثم قال فاذا عرفت [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء ولهذا ظهر ذلك في الاخرة جميع الانبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسراء صلى بهم [illegible] ابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم وجب عليهم وعلى اممهم الايمان به [illegible] الميثاق [illegible] سياق ان شاء الله تعالى مزيد لذلك في المقصد السادس **وذكر** العارف الرباني ابو عبد الله [illegible] في كتابه [illegible] ابن سبع في شفاء الصدور عن كعب الاحبار قال لما اراد الله تعالى ان يخلق محمدا [illegible] بالطينة التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها قال فهبط جبريل في ملايكة الفردوس وملايكة الرفيع الاعلى فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم

في

في معين انهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملايكة حول العرش والكرسي وفي السموات والارض والجبال والبحار فعرفت الملايكة وجميع الخلق سيدنا محمدا وفضله قبل ان يعرفوا آدم عليه السلام **وقيل** لما خاطب الله تعالى السماء والارض بقوله ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين اجابه موضع الكعبة الشريفة ومن الصماء ما يحاذيها وقد قال ابن عباس اصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة فقال بعض العلماء هذا يشعر بان ما اجاب من الارض الا درة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دحيت الارض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاصل في التكوين والكاينات تبع له **وقيل** لذلك سمي أميا لان مكة ام القرى وذرته ام الخليقة **فان قلت** تربة الشخص مدفنه فكان مقتضى هذا ان يكون مدفنه صلى الله عليه وسلم بمكة حيث كانت تربته منها **فقد اجاب** عنه صاحب عوارف المعارف افاض الله علينا من عوارفه ونفعنا بعواطفه بانه قيل ان الماء لما تموج رمى الزبد الى النواحي فوقعت جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم الى ما يحاذي تربته بالمدينة فكان صلى الله عليه وسلم مكيا مدنيا حنينه الى مكة وتربته بالمدينة انتهى **و** في المولد الشريف لابن طغربك ويروى انه لما خلق الله تعالى آدم الهمه ان قال يا رب لم كنيتني ابا محمد قال الله تعالى يا آدم ارفع راسك فرفع راسه فراى نور محمد في سرادق العرش فقال يا رب ما هذا النور قال هذا نور نبي من ذريتك اسمه في السماء احمد وفي الارض محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا ارضا ويشهد لهذا ما رواه الحاكم في صحيحه ان آدم عليه السلام راى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا في العرش وان الله تعالى قال لآدم لولا محمد ما خلقتك ولله در من قال

وكان لدى الفردوس في زمن الرضا … واثواب شمل الانس محكمة الفتل
يشاهد في عدن ضياء مشعشعا … يزيد على الانوار في الضوء والفضل
فقال الهي ما الضياء الذي ارى … جنود السما تعشوا اليه على سبل
فقال نبي خير من وطئ الثرى … وافضل من بعد الحيرات والعدل
تخيرته من قبل خلقك سيدا … وسودته قبل النبيين في الرسل

وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الانصاري قال قلت يا رسول الله بابي انت وامي اخبرني عن اول شيء خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال يا جابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا انسي فلما اراد الله تعالى ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملايكة ثم قسم الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول السموات ومن الثاني الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول نور ابصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله الحديث **وقد اختلف** هل القلم اول المخلوقات بعد النور المحمدي ام لا فقال الحافظ ابو يعلى الهمداني الاصح ان العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر الله مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء فهذا صريح في ان التقدير وقع بعد خلق العرش والتقدير وقع عند اول خلق القلم لحديث عبادة بن الصامت مرفوعا اول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شيء رواه احمد والترمذي وصححه **وروى** احمد والترمذي [illegible] ابي رزين العقيلي مرفوعا ان الماء خلق قبل العرش **وروى** السدي باسانيد متعددة ان الله لم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء فيجمع بينه وبين ما قبله بان اولية القلم بالنسبة الى ما عدا النور النبوي المحمدي والماء والعرش انتهى **وفي الخبر** لما خلق الله تعالى آدم جعل ذلك النور في ظهره فكان يلمع في جبينه فيغلب على سائر نوره ثم رفعه الله تعالى على سرير مملكته وحمله على اكتاف ملايكته وامرهم فطافوا به في السموات

[illegible] ملكوته قال جعفر بن محمد مكث الروح في رأس آدم مائة عام وفي صدره مائة عام وفي ساقيه وقدميه مائة عام وعلّمه الله تعالى أسماء جميع المخلوقات ثم أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا إبليس فطرده الله تعالى وأبعده وخذله وكان ذلك السجود لآدم سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة كسجود إخوة يوسف له فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وآدم كالقبلة ويروى عن جعفر الصادق أنه قال كان أول من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون وعن أبي الحسن النقاش أول من سجد إسرافيل قال ولذا جوزي بتولية اللوح المحفوظ وعن ابن عباس كان يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر ثم خلق الله تعالى له حواء زوجته من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو نائم وسميت حواء لأنها خلقت من حي فلما استيقظ ورآها سكن إليها ومد يده لها فقالت الملائكة مه يا آدم قال ولم وقد خلقها الله لي فقالوا حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا أن تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وذكر ابن الجوزي في كتابه سلوة الأحزان أنه لما رام القرب منها طلبت منه المهر فقال يا رب وماذا أعطيها قال يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة ففعل ثم إن الله تعالى أباح لهما نعيم الجنة ونهاهما عن شجرة الحنطة وقيل شجرة العنب وقيل شجرة التين فحسدهما إبليس [illegible] حسده وتكبر فأتى إلى باب الجنة فاحتال حتى دخل الجنة وأتى إلى آدم وحواء فوقف وناح نياحة أحزنتهما [illegible] فقالا له ما يبكيك قال [illegible] تفقدان النعيم [illegible] على شجرة الخلد فكلا منها وحلف لهما إنه لناصح [illegible] ولم يحلف كاذبا [illegible] من غش [illegible] ثم [illegible] آدم حتى أكل [illegible] أن أحدا لا يحلف باسمك كاذبا فقال الله تعالى يا آدم [illegible] من الجنة [illegible] الشجرة قال بلى يا رب وعزتك ولكن ظننت أن أحدا لا يحلف بك كاذبا قال الله وعزتي وجلالي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا كدا فأهبط من الجنة وعن ابن عباس قال الله تعالى يا آدم ما حملك على ما صنعت قال زينته لي حواء قال فإني أعقبتها أن لا تحمل إلا كرها ولا تضع إلا كرها وأدميتها في الشهر مرتين وقال وهب ابن منبه لما أهبط آدم إلى الأرض مكث يبكي ثلاثمائة سنة لا يرقأ له دمع وقال المسعودي لو أن دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حين أخرجه الله من الجنة وقال مجاهد مكث آدم مائة عام لا يرفع رأسه إلى السماء وأنبت الله من دموعه العود الرطب والزنجبيل والصندل وأنواع الطيب وبكت حواء حتى أنبت الله من دموعها القرنفل ولذا قيل يا بني آدم انظروا كيف بكى أبوكم على غفلة واحدة ثلاثمائة سنة فكيف بكم يا أرباب الكبائر العظيمة فاعتبروا يا أولي الأبصار كان إذا رأى الملائكة تصعد وتهبط ازداد شوقا إلى الأوطان وتذكر العهد والجيران يا أصحاب الذنوب احذروا زلة يقول فيها الحبيب هذا فراق بيني وبينك فيا ذا العقل السليم انظر كيف جلس أبوك آدم على سرير الملك [illegible] المخالفة نهي عنها فأخرج من الجنة فاحذروا يا بنيه عواقب المعاصي فإنها من نزلت به [illegible] وحطته عن مرتبته فإن قلت هذه الخطيئة التي أهبط بها آدم من الجنة إن كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الأنبياء وإن كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى من نزع اللباس والإخراج من الجنة وغير ذلك فأجاب الزمخشري بأنها كانت صغيرة مغمورة بأعمال قلبه من الإخلاص والأفكار الصالحة التي هي أجل الطاعات وأعظم الأعمال وإنما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشأنها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم يا هذا انظر كم لله من لطف وحكمة في إهباط آدم من الجنة إلى الأرض لولا نزوله لما ظهر جهاد المجاهدين واجتهاد العابدين المجتهدين ولا صعدت زفرات أنفاس التائبين ولا نزلت قطرات دموع المذنبين يا آدم إن كنت أهبطت من دار القرب فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان إن كنت أخرجت من الجنة [illegible] فأنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي إن كان فاتك في السماء زجل المسبحين فقد تعوضت في الأرض أنين المذنبين [illegible] أحب إلينا من تسبيحهم زجل المسبحين ربما يشوبه الافتخار وأنين المذنبين يزينه الانكسار ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم سبحان من إذا لطف بعبده في المحن قلبها منحا وإذا خذل عبدا لم ينفعه كثرة اجتهاده وكان عليه

وبالا

وبالا لقي آدم جنته وألقي عليه ما تقبل به توبته وطرد إبليس اللعين بعد طول خدمته فصار عمله كهباء منثورا قال اخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين إذا وضع عدله على عبد لم تبق له حسنة وإذا بسط فضله على عبد لم تبق له سيئة انظر لما ظهرت فضائل آدم عليه السلام على الخلائق بالعلم وكان العلم لا يكمل إلا بالعمل بمقتضاه والجنة ليست دار عمل ومجاهدة إنما هي دار نعيم ومشاهدة قيل له يا آدم اهبط إلى الأرض لتجاهد وتحارب جنود الهوى بالجد والاجتهاد وكأنك بالعيش الماضي وقد عاد على أكمل من ذلك المعتاد لما أظهر إبليس عليه اللعنة الحسد وسعى بالأذى حتى كان سببا في إخراج السيد آدم من الجنة وما فهم اللعين أن آدم إذا خرج من الجنة كملت فضائله ثم عاد إلى الجنة على أكمل من الحال الأول قالوا وفيه إشارة كأنه تعالى يقول لو عصوت في الجنة لما تبين كرمي يا ابن أغفر لنبي واحدة بل أخرجه إلى الدنيا وآتي بالورى من العصاة حتى أغفر لهم ليتبين جودي وكرمي وأيضا علم الله تعالى أن في صلبه الأولاد والجنة ليست دار توالد وأيضا ليخرج من هذا في الدنيا من لا نصيب له في الجنة يا هذا الجنة إنما [illegible] اقطاعنا وقد وصل منشور الإقطاع مع جبريل عليه السلام إلى نبينا صلى الله عليه وسلم وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار إنا نخرج الإقطاع عمن خرج عن الطاعة نسأل الله التوفيق [illegible] في الجنة التي سكنها آدم فقيل هي جنة الخلد وقيل غيرها جعلها الله دار ابتلاء لا أنها جنة الخلد [illegible] وأنها دار جزاء وثواب لا دار تكليف وأمر ونهي ودار سلامة لا دار ابتلاء وامتحان ودار إقامة لا دار انتقال واحتج القائلون بأنها جنة الخلد بأن الدخول العارض قد يقع قبل يوم القيامة وقد دخلها نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء وبأن ما ذكروه أن الجنة لا يوجد فيها ما وجده آدم من الحزن والنصب إنما هو إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدل عليه سياق الآيات كلها فإن نفي ذلك مقرون به بدخول المؤمنين إياها [illegible] وروي أنه لما خرج آدم من الجنة رأى مكتوبا على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة اسم محمد صلى الله عليه وسلم مقرونا باسم الله تعالى فقال يا رب هذا محمد من هو فقال الله تعالى هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك فقال يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودي يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السماوات والأرض لشفعناك رواه [illegible] وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال لأنك يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك رواه البيهقي في دلائله من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال تفرد به عبد الرحمن ورواه الحاكم وصححه وذكر الطبراني وزاد فيه وهو آخر الأنبياء من ذريتك وفي حديث سلمان عند ابن عساكر قال هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن ربك يقول لك إن كنت اتخذت إبراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا أكرم علي منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا ولله در العارف سيدي علي الوفا حيث قال في قصيدته التي أولها

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد ... هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد
روح الوجود [illegible] ... لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم ... هم أعين هو نورها لما ورد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره ... في وجه آدم كان أول من سجد
أو لو رأى النمرود نور جماله ... عبد الجليل مع الخليل ولا عند
لكن جمال الله جل فلا يرى ... إلا بتخصيص من الله الصمد

(margin notes: من هو وجدهم أعين نورها لما ورد بيان — إلا بتخصيص من الله الصمد بيان)

دونا حوى

بل خلق الله تعالى حوى لتسكن الى ادم ويسكن اليها فلما تغشاها حملت بشيث فاضمنت بركاته عليها فولدت له في تلك الاعوام الجيشا اربعين ولدا في عشرين بطنا ووضعته شيثا وحده كرامة لما اطلع الله بالنبوة سعدا ولما توفي ادم عليه السلام كان شيث عليه السلام وصيا على ولده ثم اوصى شيث ولده بوصية ادم ان لا يضع هذا النور الا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان ادى الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله وطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في الاحاديث المرضية قال ابن عباس فيما رواه البيهقي في سننه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح الجاهلية شي ما ولدني الا نكاح الاسلام والسفاح بكسر السين المهملة الزنا والمراد به ههنا ان المراة تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها بعد ذلك وروى ابن سعد وابن عساكر عن هشام بن محمد بن السايب الكلبي عن ابيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيا مما كان من امر الجاهلية وعن علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن ادم الى ان ولدني ابي وامي لم يصبني من سفاح اهل الجاهلية شي رواه الطبراني في الاوسط وابو نعيم وابن عساكر وروى ابو نعيم عن ابن عباس مرفوعا لم يلتق ابواي قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما وعنه في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجك نبيا رواه البزار وعنه ايضا في الاية قال ما زال النبي صلى الله عليه وسلم يتقلب في اصلاب الانبياء حتى ولدته امه رواه ابو نعيم وعن جعفر بن محمد عن ابيه في قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم قال لم يصبه شي من ولادة الجاهلية قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح غير سفاح وعن انس قال قرا النبي صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم بفتح الفاء وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلها نكاح رواه ابن مردويه وفي الدلايل لابي نعيم عن عايشة رضي الله عنها عن النبي عن جبريل قال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وكذا اخرجه الطبراني في الاوسط قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر لوايح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن وفي البخاري عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت فيه منه وفي مسلم عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم رواه الترمذي وعن العباس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم وخير الفريقين ثم خير القبايل فجعلني في خير القبيلة ثم خير البيوت فجعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا رواه الترمذي هكذا مفردا بدون ان حديث حسن اي خيرهم روحا وذاتا وخيرهم بيتا اي اصلا وفي حديث رواه الطبراني عن ابن عمر قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختارني من العرب فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم تنبيه اعلم انه عليه السلام لم يشركه في ولادته من ابويه اخ ولا اخت لانتهاء صفوتهما اليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله تعالى للنبوة غاية ولتمام الشرف نهاية وانت اذا اختبرت حال نسبه الشريف وعلمت طهارة مولده تيقنت انه سلالة اباء كرام فهو صلى الله عليه وسلم النبي العربي الابطحي الحرمي الهاشمي القرشي نخبة بني هاشم المختار المنتخب من خير بطون العرب واعرقها في النسب وازهرها في الحسب وانضرها عودا واطولها عمودا واطيبها ارومة واعزها جرثومة وافصحها لسانا واوضحها بيانا وارجحها ميزانا واصحها ايمانا واعزها نفرا واكرمها معشرا من قبل ابيه وامه ومن اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده فهو محمد بن عبد الله الذبيح ابن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد في قول ابن اسحاق وهو الصحيح وقيل سمي به لانه ولد وفي راسه شيبة وقيل اسمه عامر وهو قول ابن قتيبة وتابعه عليه المجد الشيرازي وكنيته ابو الحارث بابن له اكبر ولده قيل وانما قيل له عبد المطلب لان اباه هاشما

فهو محمد بن عبد الله الذبيح
بيان

قال

قال لاخيه المطلب وهو بمكة حين حضرته الوفاة ادرك عبدك بيثرب فمن ثم سمي عبد المطلب وقيل ان عمه المطلب جاء به الى مكة ردفه وهو بهيئة بذة فقيل له من هذا فيقول هو عبدي حياء ان يقول ابن اخي فلما ادخله واحسن من حاله اظهر انه ابن اخيه فلذلك قيل له عبد المطلب وهو اول من خضب بالسواد من العرب وعاش مائة واربعين سنة ابن هاشم واسمه عمرو وانما قيل له هاشم لانه كان يهشم الثريد لقومه في الجدب ابن عبد مناف واسمه المغيرة ابن قصي بتصغير قصي اي بعيد لانه بعد عن عشيرته في بلاد قضاعة مع امه فاطمة واسمه مجمع قال الشاعر

ابوكم قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبايل من فهر

وقيل زيد وقال الشافعي كما حكاه عنه الحاكم ابو احمد يزيد ابن كلاب وهو اما منقول من المصدر الذي في معنى المكالبة نحو كالبت العدو مكالبة واما من الكلاب جمع كلب لانهم يريدون الكثرة كما تسموا بسباع وسيل اعرابي لم تسموا ابناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذيب وعبيدكم باحسن الاسماء نحو مرزوق ورباح فقال انما نسمي ابناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريدون ان الابناء عدة للاعداء وسهام في نحورهم فاختاروا لهم هذه الاسماء واسم كلاب حكيم وقيل عروة ابن مرة ابن كعب وهو اول من جمع يوم العروبة وكانت تجتمع اليه قريش في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم انه من ولده ويامرهم باتباعه والايمان به وينشد في ذلك ابياتا منها قوله

يا ليتني شاهد فحواء دعوته ... اذا قريش تبغي الحق خذلانا

ابن لؤي بتصغير اللاي ابن غالب ابن فهر واسمه قريش واليه تنتسب قريش فما كان فوقه فكناني لا قرشي ابن مالك ابن النضر واسمه قيس ابن كنانة ابن خزيمة بتصغير خزمة ابن مدركة ابن الياس بكسر الهمزة في قول ابن الانباري وبفتحها في قول قاسم بن ثابت ضد الرجا واللام فيه للتعريف والهمزة فيه للوصل قال السهيلي وهو الاصح وهو اول من اهدى البدن الى البيت الحرام ويذكر انه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم بالحج ابن مضر وهو اول من سن الحداء للابل وكان من احسن الناس صوتا ابن نزار بكسر النون من النزر وهو القليل قيل لانه لما ولد ونظر ابوه الى نور محمد صلى الله عليه وسلم بين عينيه فرح فرحا شديدا واطعم وقال ان هذا كله نزر اي قليل لحق هذا المولود فسمي نزارا لذلك ابن معد ابن عدنان قال ابن دحية اجمع العلماء والاجماع حجة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يتجاوزه انتهى ولله در القايل

ونسبة عز هاشم من اصولها ... ومحتدها المرضي اكرم محتد

سمت بك عليا اعظم بقدرها ... ولم تسم الا بالنبي محمد

ويرحم الله القايل

وكم اب قد علا بابن ذرى شرف ... كما علت برسول الله عدنان

وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون رواه في مسند الفردوس لكن قال السهيلي الاصح في هذا الحديث انه من قول ابن مسعود وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرا قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب ونفى الله علمها عن العباد وروى عن عمر انه قال انما ننتسب الى عدنان وما فوق ذلك لا ندري ما هو وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وقال عروة ابن الزبير ما وجدنا احدا يعرف ما بعد معد بن عدنان وسيل مالك عن الرجل يرفع نسبه الى ادم فكره ذلك وقال من اخبره بذلك وكذا روي عنه في رفع نسب الانبياء عليهم السلام فالذي ينبغي لنا الاعراض عما فوق عدنان لما فيه من التخليط والتغيير للالفاظ وعوائص تلك الاسماء مع قلة الفايدة وقد ذكر الحافظ ابو سعيد النيسابوري عن ابي بكر بن ابي مريم عن سعيد بن عمرو الانصاري عن ابيه عن كعب الاحبار ان نور النبي صلى الله عليه وسلم لما صار الى عبد المطلب وادرك نام يوما في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسي حلة البهاء والجمال فبقي متحيرا لا يدري من فعل به ذلك فاخذه ابوه بيده ثم انطلق به الى كهنة قريش فاخبرهم بذلك فقالوا له اعلم

ان الله السموات فقد اذن لهذا الغلام ان يتزوج فتزوجه قيلة فولدت له الحارث ثم ماتت فتزوج بعدها هند بنت عمرو
وكان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك الاذفر ونور رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيء في غرته وكانت قريش اذا اصابها
قحط تاخذ بيد عبد المطلب فتخرج به الى جبل ثبير فيتقربون به الى الله ويسالونه ان يسقيهم الغيث فكان الله يغيثهم
ويسقيهم ببركة نور محمد صلى الله عليه وسلم غيثا عظيما ولما قدم ابرهة ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي لهدم بيت الله الحرام
وبلغ عبد المطلب ذلك قال يا معشر قريش لا يصل الى هدم البيت لان لهذا البيت ربا يحميه ويحفظه ثم جاء ابرهة فاستاق
ابل قريش وغنمها وكان لعبد المطلب فيها اربعمائة ناقة فركب عبد المطلب في قريش حتى طلع جبل ثبير فاستدارت دائرة غرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على البيت الحرام مثل السراج فلما نظر عبد المطلب الى ذلك قال
يا معشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الامر فوالله ما استدار هذا النور مني الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا متفرقين ثم ان ابرهة
ارسل رجلا من قومه ليهزم الجيش فلما دخل مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان
يخور كالثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا وروي انه لما حضر عبد المطلب
عند ابرهة امر سائس فيله الابيض العظيم الذي كان لا يسجد للملك ابرهة كما تسجد سائر الفيلة ان يحضره بين يديه فلما نظر
الفيل الى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وانطق الله تعالى الفيل فقال السلام على النور الذي في ظهرك يا عبد
المطلب ولما دخل ابرهة ومعهم الفيل لهدم الكعبة الشريفة برك الفيل فضربوه في راسه ضربا شديدا ليقوم فابى فوجهوه
راجعا الى اليمن فقام ثم ارسل الله عليهم طيرا ابابيل من البحر مع كل طائر منها ثلاثة احجار حجر في منقاره وحجران في رجليه
كامثال العدس لا تصيب احدا منهم الا هلكه فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق واصيب ابرهة في جسده بداء فتساقطت
انامله انملة انملة وسال منه القيح والدم وما مات حتى انصدع قلبه والى هذه القصة اشار سبحانه وتعالى بقوله
لنبيه عليه السلام الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل السورة الى اخرها فان قلت لم قال تعالى له عليه السلام الم تر مع ان
هذه القصة كانت قبل المبعث بزمان طويل فالجواب ان المراد من الرؤية هنا العلم والتذكر وهو اشارة الى ان الخبر
به متواتر فكان العلم الحاصل به ضروريا مساويا في القوة للرؤية وقد كانت هذه القصة المعلومة تسديدا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
وتاسيسا لنبوته وارهاصا لها واعزازا لقومه بما ظهر عليهم من الاعتناء حتى دانت لهم العرب واعتقدت شرفهم وفضلهم
على سائر الناس بحماية الله لهم ودفعه عنهم مكر ابرهة الذي لم يكن لسائر العرب بقتاله قدرة وكان ذلك كله ارهاصا للنبوة
عليه السلام قال الرازي ومذهبنا انه يجوز تقديم المعجزات على زمان البعثة تاسيسا قال ولذلك كانت الغمامة
تظلله عليه السلام يعني قبل بعثته وخالفه العلامة السيد في شرح المواقف تبعا لغيره فاشترطوا للمعجزات ان لا تتقدم على الدعوى
بل يكون مقارنا لها كما سياتي ان شاء الله في المقصد الرابع فان قلت ان الحجاج خرب الكعبة ولم يحدث شيء من ذلك فالجواب
ان ذلك وقع ارهاصا لامر نبينا صلى الله عليه وسلم والارهاص انما يحتاج اليه قبل قدومه فلما ظهر عليه السلام وتاكدت نبوته
بالدلائل القطعية فلا حاجة الى شيء من ذلك والله اعلم ولما فرج الله تعالى عن عبد المطلب ورجع ابرهة خائبا فبينما
هو يوما نائم في الحجر اذ راى مناما عظيما فانتبه فزعا مرعوبا واتى كهنة قريش وقص عليهم رؤياه فقالت له الكهنة ان
صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به اهل السموات والارض وليكونن في الناس علما مبينا فتزوج فاطمة وحملت في ذلك
الوقت بعبد الله الذبيح وقصته في ذبحه مشهورة اخرجها عند الرواة مبسوطة وكان سببها حفر ابيه عبد المطلب زمزم
[illegible] الجرهمي عمرو بن الحارث لما احدثت قومه بحرم الله الحوادث وقيض الله لهم من اخرجهم من مكة فعمد عمرو الى النفائس فجعلها في
زمزم وبالغ في طمها وفر الى اليمن بقومه فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة الى ان رفعتها الحجب برؤيا منام رآها عبد المطلب
دلته على حفرها بامارات عليها فمنعته قريش من ذلك ثم آذاه من السفهاء من آذاه واشتد بذلك بلواه ومعه ولده الحارث ولم
يكن له ولد سواه فنذر لئن جاءه عشرة بنين وصاروا له اعوانا ليذبحن احدهم لله قربانا ثم احتفر عبد المطلب زمزم فكانت
له

له فخرا وعزا فلما تكامل بنوه عشرة وقربتهم نام ليلة عند الكعبة المطهرة فراى في المنام قائلا يقول يا عبد المطلب اوف
هذا البيت بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وامر بذبح كبش واطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فراى ان قرب ما هو اكبر
من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فراى ان قرب ما هو اكبر من ذلك فانتبه وقرب جملا واطعمه للمساكين ثم
نام فنودي ان قرب ما هو اكبر من ذلك فقال وما اكبر من هذا قال قرب احد اولادك الذي نذرته فاغتم غما شديدا وجمع اولاده
واخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء فقالوا انا نطيعك فمن تذبح منا فقال ليأخذ كل واحد منكم قدحا والقدح سهم بغير نصل
ثم ليكتب فيه اسمه ثم ائتوني به ففعلوا واخذ قداحهم ودخل على هبل وكان في جوف الكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون
بالقداح عنده ويستقسمون بها اليه يرتضون بما يقسم لهم ثم يضرب بالقدح الذي لها قال فدفع عبد المطلب الى ذلك القيم القداح
وقام يدعو الله تعالى فخرج على عبد الله وكان احب ولده اليه فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله واخذ الشفرة
ثم اقبل الى اساف ونائلة صنمين عند الكعبة ينحر ويذبح عندهما النسائك فقام اليه سادة قريش فقالوا ما تريد ان
تصنع فقال اوفي بنذري فقالوا لا ندعك ان تذبحه حتى تعذر فيه الى ربك ولئن فعلت هذا لا يزال الرجل ياتي بابنه
فيذبحه ويكون سنة وقالوا انطلق الى فلانة الكاهنة قيل اسمها قطبة كما ذكره الحافظ عبد الغني في كتاب
المبهمات وذكر ابن اسحاق ان اسمها سجاح فلعلها ان تامرك بامر فيه فرج لك فانطلقوا حتى اتوها بخيبر فقص عليها عبد المطلب
القصة فقالت كم الدية فيكم قالوا عشرة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا
عليه وعليها بالقداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الابل ثم اضربوا ايضا عليها هكذا حتى يرضى ربكم فاذا خرجت على الابل فانحروها
فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم فرجع القوم الى مكة وقربوا عبد الله وقربوا عشرا من الابل وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا
القداح على عبد الله ولم يزل يزيد عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فنحرت وتركت لا يصد عنها انسان
ولا طائر ولا سبع ولهذا روي كما عند الزمخشري في الكشاف انه صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين وعند الحاكم في المستدرك
عن معاوية بن ابي سفيان كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابي فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة
والماء يابسا هلك المال وضاع العيال فعد علي مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين قال فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم ينكر عليه الحديث وتاتي تتمته قريبا ان شاء الله تعالى ويعني بالذبيحين عبد الله واسمعيل ابن ابراهيم وان
كان قد ذهب بعض العلماء الى ان الذبيح اسحاق فان صح هذا فالعرب تجعل العم ابا قال الله تعالى اخبارا عن بني يعقوب
عليهم السلام ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك
ابراهيم واسمعيل واسحاق واسمعيل عمه واسحاق فجعل اسمعيل ابا وهو عم وفي حديث معاوية الموعود بتتمته قريبا قال معاوية
ان عبد المطلب لما امر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الله امرها ان ينحر بعض ولده فاخرجهم فاسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله
فاراد ذبحه فمنعه اخواله من بني مخزوم وقالوا ارض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة فهو الذبيح واسمعيل الذبيح الثاني
قال ابن القيم ومما يدل على ان الذبيح اسمعيل انه لا ريب ان الذبح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل
السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيرا لشان اسمعيل وامه واقامة لذكر الله تعالى ومعلوم ان اسمعيل وامه هما
اللذان كانا بمكة دون اسحاق وامه قال ولو كان الذبح بالشام كما يزعم اهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين
والنحر بالشام لا بمكة وايضا فان الله سمى الذبيح حليما لانه لا احلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة لربه ولما ذكر اسحاق سماه عليما
وايضا فان الله اجرى العادة البشرية ان بكر الاولاد احب الى الوالدين ممن بعده وابراهيم لما سال ربه الولد ووهبه له
تعلقت شعبة من قلبه بمحبته والله تعالى قد اتخذه خليلا والخلة منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة وان لا يشارك
فيها فلما اخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل فامر بذبح المحبوب فلما قدم على ذبحه
وكانت محبة الله اعظم من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة فلم يبق في الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة انما

في العزم وتوطين النفس وقد حصل المقصود فنسخ الامر وفدي الذبيح وصدق الخليل الرؤيا انتهى وقد انشد بعضهم

ان الذبيح هديت اسمعيل ... نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الاله نبينا ... وابانه التفسير والتأويل

وروي ما ذكره المعافى ابن زكريا ان عمر بن عبد العزيز سأل رجلا اسلم من علماء اليهود اي ابني ابراهيم امر بذبحه فقال والله يا امير المومنين ان اليهود ليعلمون انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ان يكون اباكم للفضل الذي ذكره الله عنه فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحاق لان اسحاق ابوهم انتهى فانظر ايها الخليل ما في هذه القصة من السر الجليل وهو ان الله تعالى يري عباده الجبر بعد الكسر واللطف بعد الشدة فانه كان عاقبة امرها صبرها جبرا وانسها على البعد والوحدة والغربة والتسليم لذبح الولد الى ما آلت اليه من جعل آثارها ومواطئ اقدامها مناسك لعباده المؤمنين ومتعبدات لهم الى يوم الدين وهذه سنة الله تعالى فيمن يريد رفعته من خلقه بعد استضعافه وذلته وانكساره وصبره وتلقيه القضا بالرضى قال الله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقد استشكل بعض الناس ان عبد المطلب انما نذر نحر بنيه اذا بلغوا عشرة وقد كان تزوج هالة ام ابنه حمزة بعد وفائه بنذره فحمزة والعباس انما ولدا بعد الوفا بنذره وانما كان اولاده عشرة قال السهيلي ولا اشكال في هذا فان جماعة من العلماء قالوا كان اعمامه عليه السلام اثنا عشر فان صح هذا فلا اشكال في الخبر وان صح قول من قال كانوا عشرة لا يزيدون فالولد يقع على البنين وبنيهم حقيقة لا مجازا فكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين وفى بنذره ووقع ايضا في بعض السير ان عبد الله كان اصغر بني ابيه عبد المطلب وهو غير معروف ولعل الرواية اصغر بني امه والا فحمزة كان اصغر من عبد الله والعباس اصغر من حمزة وروي عن العباس انه قال اذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن ثلاثة اعوام او نحوها فجيء به حتى نظرت اليه وجعل النسوة يقلن لي قبل اخاك فقبلته فكيف يصح ان يكون عبد الله هو الاصغر ولكن رواه البكائي ولروايته وجه وهو ان يكون اصغر ولد ابيه حين اراد نحره ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس ولما انصرف عبد الله مع ابيه من نحر الابل مر على امرأة من بني اسد بن عبد العزى وهي عند الكعبة واسمها قتيلة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية بعدها تحتية وقيل رقيقة بنت نوفل فقالت له حين نظرت الى وجهه وكان احسن رجل رئي في قريش لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع علي الآن لما رأت في وجهه من نور النبوة ورجت ان تحمل بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فقال لها انا مع ابي ولا استطيع خلافه ولا فراقه وقيل اجابها بقوله

اما الحرام فالممات دونه ... والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالامر الذي تبغينه ... يحمي الكريم عرضه ودينه

وروي وعند ابي نعيم والخرائطي وابن عساكر من طريق عطاء عن ابن عباس لما خرج عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من تبالة متهودة وقد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت له [illegible] ثم خرج به عبد المطلب حتى اتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته آمنة وهي يومئذ افضل امرأة في قريش نسبا وموضعا فزعموا انه دخل عليها حين املكها مكانه فوقع عليها يوم الاثنين ايام منى في شعب ابي طالب عند الجمرة فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها فاتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها ما لك لا تعرضين علي اليوم ما عرضت بالامس قالت فارقك النور الذي كان معك بالامس فليس لي بك اليوم حاجة انما اردت ان يكون النور في فابى الله الا ان يجعله حيث شاء ولما حملت آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر لحمله عجائب ووجد لايجاده غرائب فذكروا انه لما استقرت نطفته الزكية ودرته

لا يجاده

الجوهرية

ولما اراد الله خلق محمد في بطن امه آمنة ليلة رجب وكانت ليلة الجمعة

الجوهرية في صدفة آمنة القرشية نودي في الملكوت ومعالم الجبروت ان عطروا جوامع القدس الاسنى وبخروا جهات الشرف الاعلى وافرشوا سجادات العبادات في صفف الصفا لصوفية الملائكة المقربين اهل الصدق والوفا فقد انتقل النور المكنون الى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفخر المصون قد خصها الله تعالى بالقريب المجيب بهذا السيد المصطفى الحبيب لانها افضل قومها حسبا وانجب وازكاهم اصلا وفرعا واطيب وقال سهل بن عبد الله التستري فيما رواه الخطيب البغدادي الحافظ لما اراد الله تعالى خلق محمد صلى الله عليه وسلم في بطن امه آمنة ليلة رجب وكانت ليلة جمعة امر الله تعالى في تلك الليلة رضوان خازن الجنان ان يفتح الفردوس ونادى مناد في السموات والارض الا ان النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبي الهادي في هذه الليلة يستقر في بطن امه الذي فيه يتم خلقه ويخرج الى الناس بشيرا ونذيرا وفي رواية كعب الاحبار عند [illegible] انه نودي تلك الليلة في السماء وصفاحها والارض وبقاعها ان النور المكنون الذي منه رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقر الليلة في بطن آمنة فيا طوبى لها ثم يا طوبى واصبحت يومئذ اصنام الدنيا منكوسة وكانت قريش في جدب شديد وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار واتاهم الرفد من كل جانب فسميت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتح والابتهاج رواه [illegible] وطوبى الطيب والحسنى والخير والخيرة قاله في القاموس وقال غيره فرح وقرة عين وقال الضحاك غبطة وقال عكرمة نعم وفي الحديث طوبى للشام فان الملائكة باسطة اجنحتها عليها فالمراد بها هنا فعلى من الطيب وعنى ما ذكر لا الجنة ولا الشجرة وفي حديث ابن اسحق ان آمنة كانت تحدث انها اتيت حين حملت به صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة وقالت ما شعرت باني حملت به ولا وجدت له ثقلا ولا وحما كما تجد النساء الا اني انكرت رفع حيضتي واتاني آت وانا بين النائمة واليقظانة فقال هل شعرت بانك حملت بسيد الانام ثم امهلني حتى اذا دنت ولادتي اتاني فقال قولي

اعيذه بالواحد ... من شر كل حاسد

ثم سميه محمدا وفي رواية غير ابن اسحق وعلقي عليه هذه التميمة قالت فانتبهت وعند راسي صحيفة من ذهب مكتوب فيها هذه النسخة

اعيذه بالواحد ... من شر كل حاسد
وكل خلق رائد ... من قائم وقاعد
عن السبيل حائد ... على الفساد جاهد
من نافث او عاقد ... وكل خلق مارد
ياخذ بالمراصد ... في طرق الموارد

قال الحافظ عبد الرحيم العراقي هكذا ذكر هذه الابيات بعض اهل السير وجعلها من حديث ابن عباس ولا اصل لها انتهى وعن شداد بن اوس ان رجلا من بني عامر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حقيقة امرك فقال انا شأني اني دعوة ابراهيم وبشرى اخي عيسى واني كنت بكر امي وانها حملت بي كاثقل ما تحمل النساء وجعلت تشكي الى صواحبها ثقل ما تجد ثم ان امي رأت في منامها ان الذي في بطنها نور الحديث ففيه ان امه عليه السلام وجدت الثقل في حمله وفي سائر الاحاديث انها لم تجد ثقلا وجمع ابو نعيم الحافظ بينهما بان الثقل كان في ابتداء علوقها به والخفة عند استمرار الحمل بها فيكون على الحالين خارجا عن المعتاد المعروف انتهى وخرج ابو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج اهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا ومرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب وكذلك اهل البحار يبشر بعضهم بعضا وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الارض ونداء في السماء ان ابشروا فقد آن ان يظهر ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ميمونا مباركا وعن [illegible] لم يبق في تلك الليلة دار الا اشرقت ولا مكان الا دخله النور

ولا دائرة لما نطقت وعن ابي زكريا يحيى بن عائذ بقي صلى الله عليه وسلم في بطن امه تسعة اشهر كملا لا تشكو وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء وكانت تقول والله ما رايت من حمل هو اخف منه ولا اعظم بركة منه ولما تم لها من حملها شهران توفي عبد الله وقيل توفي وهو في المهد قاله الدولابي وعن ابن ابي خيثمة وهو ابن شهرين وقيل وهو ابن سبعة وقيل وهو ابن ثمانية وعشرين شهرا والراجح المشهور الاول وكان عبد الله قد رجع ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم فنزل بالمدينة عند اخواله بني عدي بن النجار فاقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم اصحابه مكة سالهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا فبعث اليه الحرث فوجده قد توفي ودفن في دار النابغة وقيل دفن بالابواء وقالت آمنة زوجته ترثيه

عفا جانب البطحاء من آل هاشم ... وجاور لحدا خارجا في الغماغم
دعته المنايا دعوة فاجابها ... وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره ... تعاوره اصحابه في التزاحم
فان تك غالته المنايا وريبها ... فقد كان معطاء كثير التراحم

ويذكر عن ابن عباس انه لما توفي عبد الله قالت الملائكة الهنا وسيدنا بقي نبيك يتيما فقال الله تعالى انا له حافظ ونصير وقيل لجعفر الصادق لم يتم النبي صلى الله عليه وسلم من ابويه فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق نقله عنه ابو حيان في البحر وروى ابو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت ابي وكان من اوعية العلم قال لما حضرت ولادة آمنة قال الله تعالى لملائكته افتحوا ابواب السماء كلها وابواب الجنان والبست الشمس يومئذ نورا عظيما وكان قد اذن الله تعالى تلك السنة لنساء الدنيا ان يحملن ذكورا كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر ابو سعيد عبد الملك النيسابوري في كتابه الكبير كما نقله عنه صاحب كتاب السعادة والبشرى عن كعب في حديثه الطويل ورواه ابو نعيم من حديث ابن عباس قال كانت آمنة تحدث وتقول اتاني آت حين مر بي من حملي ستة اشهر في المنام وقال لي يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمي شانك قالت ثم اخذني ما ياخذ النساء ولم يعلم بي احد لا ذكر ولا انثى واني لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه فسمعت وجبة عظيمة وامرا عظيما هالني ثم رايت كان جناح طائر ابيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرعب وكل وجع اجده ثم التفت فاذا انا بشربة بيضاء فتناولتها فاصابني نور عال ثم رايت نسوة كالنخل طوالا كانهن من بنات عبد مناف يحدقن بي فبينا انا اتعجب وانا اقول واغوثاه من اين علمن بي قال في غير هذه الرواية فقلن لي نحن آسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين واشتد الامر وانا اسمع الوجبة في كل ساعة اعظم واهول مما تقدم فبينا انا كذلك اذا بديباج ابيض قد مد بين السماء والارض واذا قائل يقول خذاه عن اعين الناس قالت ورايت رجالا قد وقفوا في الهواء بايديهم اباريق من فضة ثم نظرت فاذا انا بقطعة من الطير قد اقبلت حتى غطت حجرتي مناقيرها من الزمرد واجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرايت مشارق الارض ومغاربها ورايت ثلاثة اعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذني المخاض فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رايت سحابة بيضاء قد اقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عني فسمعت مناديا ينادي طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلموا انه سمي فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك الا محي في زمنه ثم تجلت عنه في اسرع وقت وروى الخطيب البغدادي بسنده كما ذكره صاحب السعادة والبشرى ايضا ان آمنة قالت لما وضعته عليه السلام رايت سحابة عظيمة لها نور اسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عني فسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمد صلى الله عليه وسلم جميع الارض واعرضوه على كل روحاني من الجن والانس والملائكة والطيور والوحوش واعطوه خلق آدم ومعرفة شيث وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسمعيل ورضى

الحديث وهو طويل فيه

وهو مما تكلم فيه

اسحق

اسحاق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وشدة موسى وصبر ايوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى واغمسوه في اخلاق النبيين قالت ثم انجلى عني فاذا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية طيا شديدا ينبع من تلك الحريرة ماء واذا قائل يقول بخ بخ قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها لم يبق خلق من اهلها الا دخل طائعا في قبضته قالت ثم نظرت اليه واذا به كالقمر ليلة البدر وريحه يسطع كالمسك الاذفر واذا بثلاثة نفر في يد احدهم ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمرد اخضر وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فاخرج منها خاتما تحار ابصار الناظرين دونه فغسله من ذلك الابريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ثم احتمله فادخله بين اجنحته ساعة ثم رده الي وروى الحافظ ابو بكر بن عائذ في كتابه المولد كما نقله عنه الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح بردة المديح عن ابن عباس لما ولد صلى الله عليه وسلم قال في اذنه رضوان خازن الجنان ابشر يا محمد فما بقي لنبي علم الا وقد اعطيته فانت اكثرهم علما واشجعهم قلبا وروى محمد بن سعد من حديث جماعة منهم عطاء وابن عباس ان آمنة بنت وهب قالت لما فصل مني تعني النبي صلى الله عليه وسلم خرج معه نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع الى الارض معتمدا على يديه ثم اخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع راسه الى السماء وروى الطبراني انه لما وقع الى الارض وقع مقبوضة اصابع يده مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وروي عن عثمان بن ابي العاص عن امه ام عثمان الثقفية واسمها فاطمة بنت عبد الله قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت البيت حين وقع قد امتلا نورا ورايت النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع علي رواه البيهقي واخرج احمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرباض بن سارية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وساخبركم عن ذلك دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي التي رات وكذلك امهات النبيين يرين وان ام رسول الله صلى الله عليه وسلم رات حين وضعته نورا اضاءت له قصور الشام قال الحافظ ابن حجر صححه ابن حبان والحاكم واخرج ابو نعيم عن عطاء بن يسار عن ام سلمة عن آمنة قالت لقد رايت ليلة وضعه نورا اضاءت له قصور الشام حتى رايتها واخرج ايضا عن بريدة عن صعصعة في بني سعد ان آمنة قالت رايت كانه خرج من فرجي شهاب اضاءت له الارض حتى رايت قصور الشام وعن هشام بن يحيى عن اسحق بن عبد الله ان ام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجي نور اضاءت له قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر رواه ابن سعد والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب في شعره حيث قال

وانت لما ولدت اشرقت الارض ... وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور ... وسبل الرشاد نخترق

قال في اللطائف وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به اهل الارض وزال به ظلمة الشرك كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه الاية واما اضاءة قصور بصرى بالنور الذي خرج معه فهو اشارة الى ما خص الشام من نور نبوته فانها دار ملكه كما ذكر كعب ان في الكتب السالفة محمد رسول الله مولده بمكة ومهاجره بيثرب وملكه بالشام فمن مكة بدت نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام والى الشام ينتهي ملكه ولهذا اسري به صلى الله عليه وسلم الى الشام الى بيت المقدس كما هاجر قبله ابراهيم عليه السلام الى الشام وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وهي ارض المحشر والمنشر واخرج احمد وابو داود وابن حبان والحاكم وصححها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالشام فانها خيرة الله من ارضه يجتبي اليها خيرته من عباده انتهى ملخصا واخرج ابو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف عن امه الشفاء قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي فاستهل

فسمعت قائلا يقول رحلا به قالت الشفاء واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور الروم قالت ثم البسته
واضجعته فلم انشب ان غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عني فسمعت قائلا يقول اين ذهبت به قال الى المشرق قالت
فلم يزل الحديث مني على بال حتى بعثه الله فكنت في اول الناس اسلاما ومن عجائب ولادته عليه السلام ما اخرجه البيهقي
وابو نعيم عن حسان بن ثابت قال اني لغلام ابن سبع سنين او ثمان اعقل ما رايت وسمعت اذا يهودي يصرخ ذات
غداة يا معشر يهود فاجتمعوا اليه وانا اسمع قالوا ويلك ما لك قال طلع نجم احمد الذي ولد به في هذه الليلة
وعن عائشة قالت كان يهودي قد سكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال انظروا فانه ولد في هذه الليلة نبي هذه الامة بين كتفيه
علامة فانصرفوا فسالوا فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فذهب اليهودي معهم الى امه فاخرجته
لهم فلما راى اليهودي العلامة خر مغشيا عليه وقال ذهبت النبوة من بني اسرائيل يا معشر قريش اما والله ليسطون بكم
سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب رواه يعقوب بن سفيان باسناد حسن كما قاله في فتح الباري ومن عجائب
ولادته ايضا ما روي من ارتجاس ايوان كسرى وسقوط اربعة عشر شرفة من شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار
فارس وكان لها الف عام لم تخمد كما رواه البيهقي وابو نعيم والخرائطي في الهواتف وابن عساكر وفي سقوط الاربعة عشر شرفة
اشارة الى انه يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرفات وقد ملك منهم في اربع سنين عشرة ذكره ابن ظفر وزاد ابن سبع الناس
وملك الباقون الى خلافة عثمان رضي الله عنه ومن ذلك ايضا ما وقع من زيادة حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين
ومنعهم من استراق السمع ولقد احسن الشقراطسي حيث قال

ضاءت لمولده الآفاق واتصلت * بشرى الهواتف في الاشراق والطفل
وصرح كسرى تداعى من قواعده * وانقض منكسر الارجاء ذا ميل
ونار فارس لم توقد وما خمدت * مذ الف عام ونهر القوم لم يسل
خرت لمبعثه الاوثان وانبعثت * ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل

وولد صلى الله عليه وسلم مختونا مسرورا اي مقطوع السرة كما روي من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
عند ابن عساكر وروى الطبراني في الاوسط وابو نعيم والخطيب وابن عساكر من طرق عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا ولم ير احد سواتي وصححه الضياء في المختارة وعن ابن عمر قال ولد النبي صلى الله عليه وسلم
مسرورا مختونا رواه ابن عساكر وقال الحاكم في المستدرك تواترت الاخبار انه عليه السلام ولد مختونا انتهى وتعقبه
الحافظ الذهبي فقال ما اعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا واجيب باحتمال ان يكون اراد بتواتر الاخبار اشتهارها
وكثرتها في السير لا من طريق السند المصطلح عليه عند ائمة الحديث لكن قد حكى الحافظ زين الدين العراقي ان الكمال ابن العديم
ضعف احاديث كونه ولد مختونا وقال انه لا يثبت في هذا شيء من ذلك واقره عليه وبه صرح ابن القيم ثم قال ليس
هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم فان كثيرا من الناس ولد مختونا وحكى الحافظ ابن حجر ان العرب تزعم ان الغلام اذا
ولد في القمر فسخت قلفته فيصير كالمختون وفي الوشاح لابن دريد قال ابن الكلبي بلغنا ان آدم خلق مختونا
واثني عشر نبيا من بعده خلقوا مختونين آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم شيث وادريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى
وسليمان وشعيب ويحيى وهود صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين انتهى وفي هذه العبارة تجوز لان الختان هو
القطع وهو غير ظاهر لان الله تعالى يوجده كذلك على هذه الهيئة من غير قطع فيحمل الكلام على اعتبار انه على صفة المقطوع
وقد حصل من الاختلاف في ختانه عليه السلام ثلاثة اقوال احدها انه ولد مختونا كما تقدم الثاني انه ختنه جده عبد المطلب
يوم سابعه وصنع له مادبة وسماه محمدا رواه الوليد بن مسلم بسنده الى ابن عباس وحكاه ابن عبد البر في التمهيد الثالث انه

ختن

ختن عند حليمة كما ذكره ابن القيم والدمياطي ومغلطاي وقيل ان جبريل عليه السلام ختنه حين طهر قلبه وكذا اخرجه
الطبراني في الاوسط وابو نعيم في حديث ابي بكرة قال الذهبي وهذا منكر واعلم ان الختان هو قطع القلفة التي تغطي
الحشفة من الرجل وقطع بعض الجلدة التي في اعلى الفرج من المراة ويسمى ختان الرجل اعذارا بالعين المهملة والذال المعجمة وختان
المراة خفضا بالخاء المعجمة والفاء والضاد المعجمة ايضا واختلف العلماء هل هو واجب فذهب اكثرهم الى انه سنة
وليس بواجب وهو قول مالك وابي حنيفة وبعض اصحاب الشافعي وذهب الشافعي الى وجوبه وهو مقتضى قول سحنون
من المالكية وذهب بعض اصحاب الشافعي الى انه واجب في حق الرجال سنة في حق النساء واحتج من قال انه سنة بحديث ابي المليح
بن اسامة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الختان سنة للرجال مكرمة للنساء رواه احمد في مسنده والبيهقي واجاب
من اوجبه بانه ليس المراد بالسنة هنا خلاف الواجب بل المراد به الطريقة واحتج من قال بوجوبه بقوله تعالى ان
اتبع ملة ابراهيم حنيفا وثبت في الصحيحين من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم
النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم وبما روى ابو داود من قوله عليه الصلاة والسلام للرجل الذي اسلم الق
عنك شعر الكفر واختتن واحتج القفال لوجوبه بان بقاء القلفة يحبس النجاسة ويمنع صحة الصلاة فيجب ازالتها وقال
الفخر الرازي الحكمة في الختان ان الحشفة قوية الحس فما دامت مستورة بالقلفة تقوى اللذة عند المباشرة فاذا قطعت القلفة
تصلبت الحشفة فضعفت اللذة وهو اللائق بشريعتنا تقليلا للذة لا قطعا لها كما يفعله المانوية فذلك افراط وابقاء القلفة تفريط
والعدل الختان انتهى واذا قلنا بوجوب الختان فمحل الوجوب بعد البلوغ على الصحيح من مذهبنا لما روى البخاري في صحيحه
عن ابن عباس انه سئل مثل من انت حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا يومئذ مختون وكانوا لا يختنون الرجل
حتى يدرك وقال بعض اصحابنا على الولي ان يختن الصبي قبل البلوغ والله اعلم انتهى وكان مولده عام الفيل فولادته صلى الله
عليه وسلم عام الفيل وقال ابن عباس ولد عام الفيل ونقل بعض العلماء الاتفاق عليه وقال كل قول يخالفه وهم
والمشهور انه ولد بعد الفيل بخمسين يوما واليه ذهب السهيلي في جماعة وقيل بعده بخمس وخمسين يوما حكاه الدمياطي
في آخرين وقيل بشهر وقيل باربعين يوما وقيل بعد الفيل بعشر سنين وقيل قبل الفيل بخمس عشرة سنة وقيل غير ذلك
والمشهور انه بعد الفيل لان قصة الفيل كانت توطئة لنبوته وتقدمة لظهوره وبعثته وقد كان اصحاب الفيل كما قال
ابن القيم كانوا نصارى اهل كتاب فكان دينهم خيرا من دين اهل مكة اذ ذاك لانهم كانوا عباد اوثان فنصرهم الله تعالى
على اهل الكتاب نصرا لا صنع للبشر فيه ارهاصا وتقدمة للنبي الذي خرج من مكة وتعظيما للبلد الحرام واختلف ايضا
في الشهر الذي ولد فيه والمشهور انه ولد في شهر ربيع الاول وهو قول جمهور العلماء ونقل ابن الجوزي الاتفاق
عليه وفيه نظر فقد قيل في صفر وقيل في ربيع الآخر وقيل في رجب وقيل في شهر رمضان وروي عن ابن عمر
باسناد لا يصح وهو موافق لمن قال ان امه حملت به في ايام التشريق ومن غريب ما قيل انه ولد في عاشوراء وكذا اختلف ايضا
في اي يوم من الشهر فقيل انه غير معين انما ولد يوم الاثنين من ربيع الاول من غير تعيين والجمهور على انه يوم معين منه
فقيل لليلتين خلتا منه وقيل لثمان خلت منه قال الشيخ قطب الدين القسطلاني وهو اختيار اكثر اهل الحديث ونقل
عن ابن عباس وجبير بن مطعم وهو اختيار اكثر من له معرفة بهذا الشان واختاره الحميدي وشيخه ابن حزم وحكى القضاعي في عيون
المعارف اجماع اهل الزيج عليه ورواه الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم وكان عارفا بالنسب وايام العرب اخذ ذلك عن ابيه
جبير وقيل لعشر وقيل لاثنتي عشرة وعليه عمل اهل مكة في زيارتهم موضع مولده في هذا الوقت وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان
بقين منه وقيل ان هذين القولين غير صحيحين عمن حكيا عنه بالكلية والمشهور انه ولد يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول وهو
قول ابن اسحاق وغيره واختلف ايضا في الوقت الذي ولد فيه والمشهور انه يوم الاثنين فعن قتادة الانصاري انه صلى الله
عليه وسلم سئل عن صيام يوم الاثنين فقال ذاك يوم ولدت فيه وانزلت علي فيه النبوة رواه مسلم وهذا يدل على انه ولد نهارا

وفي المسند عن ابن عباس قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين انتهى وكذا فتح مكة ونزول سورة المائدة يوم الاثنين وقد روي انه ولد عند طلوع الفجر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان بمر الظهران راهب يدعى عيصى من اهل الشام وكان يقول يوشك ان يولد فيكم يا اهل مكة مولود تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه فكان لا يولد بمكة مولود الا سأل عنه فلما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى اتى عيصا فناداه فاشرف عليه فقال له عيصى كن اباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت احدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين قال ولد لي الليلة مع الصبح مولود قال فما سميته قال محمدا قال والله لقد كنت اشتهي ان يكون هذا المولود فيكم اهل البيت بثلاث خصال نعرفه فقد اتى عليهن منها انه طلع نجمه البارحة وانه ولد اليوم وان اسمه محمد رواه ابو جعفر ابن ابي شيبة وخرجه ابو نعيم في الدلائل بسند فيه ضعف وقيل كان مولده عليه السلام عند طلوع الغفر وهو ثلاثة انجم صغار ينزلها القمر وهو مولد النبيين ووافق ذلك من الشهور الشمسية نيسان وهو برج الحمل وكان لعشرين مضت منه وقيل ولد ليلا فعن عائشة قالت كان بمكة يهودي يتجر فيها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلمه قال ولد الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كانهن عرف فرس فخرجوا باليهودي حتى ادخلوه على امه فقالوا اخرجي لنا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع اليهودي مغشيا عليه فلما افاق قالوا ما لك ويلك قال ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل رواه الحاكم قال الشيخ بدر الدين الزركشي والصحيح ان ولادته عليه السلام كانت نهارا قال واما ما روي من تدلي النجوم فضعفه ابن دحية لاقتضائه ان الولادة ليلا قال وهذا لا يصلح ان يكون تعليلا فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان تسقط النجوم نهارا انتهى فان قلت فايما افضل ليلة القدر او ليلة مولده صلى الله عليه وسلم اجيب بان ليلة مولده عليه السلام افضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة احدها ان ليلة المولد ليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم وليلة القدر معطاة له وما شرف بظهور ذات المشرف من اجله اشرف مما شرف بسبب ما اعطيه ولا نزاع في ذلك فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار افضل الثاني ان ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها وليلة المولد شرفت بظهوره صلى الله عليه وسلم فيها ومن شرفت به ليلة المولد افضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الاصح المرتضى فتكون ليلة المولد افضل الثالث ليلة القدر وقع التفضل فيها على امة محمد صلى الله عليه وسلم وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات فهو الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين فعمت به النعمة على جميع الخلائق فكانت ليلة المولد افضل فيا شهرا ما اشرفه واعظم حرمة لياليه كانها لآلئ في العقود ويا وجها ما اشرقه من مولود فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعا وحسنه بديعا

يقول لسان الحال منه … وقول الحق يجذب للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضعي … ربيع في ربيع في ربيع

واختلف ايضا في مدة الحمل به فقيل تسعة اشهر وقيل عشرة وقيل ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة وولد عليه السلام في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف اخي الحجاج ويقال بالشعب ويقال بالردم ويقال بعسفان وارضعته صلى الله عليه وسلم ثويبة عتيقة ابي لهب اعتقها حين بشرته بولادته عليه السلام وقد رؤي ابو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك فقال في النار الا انه خفف عني كل ليلة اثنين وامص من بين اصبعي ماء واشار لرأس اصبعه وان ذلك باعتاقي لثويبة عند ما بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له قال ابن الجزري فاذا كان هذا ابو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم به فما حال المسلم الموحد من امته عليه السلام يسر بمولده ويبذل ما تصل اليه قدرته في محبته صلى الله عليه وسلم

لعمري

لعمري انما يكون جزاؤه من الله الكريم ان يدخله بفضله العميم جنات النعيم ولا زال اهل الاسلام يحتفلون بشهر مولده عليه السلام ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بانواع الصدقات ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم ومما جرب من خواصه انه امان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام فرحم الله امرأ اتخذ ليالي شهر مولده المبارك اعيادا ليكون اشد علة على من في قلبه مرض واعيا داء وقد ذكر انه لما ولد صلى الله عليه وسلم قيل من يكفل هذه الدرة اليتيمة التي لا يوجد لمثلها قيمة قالت الطيور نحن نكفله ونغتنم خدمته العظيمة فقالت الوحوش نحن اولى بذلك ننال شرفه وتعظيمه فنادى لسان القدرة ان يا جميع المخلوقات ان الله تعالى قد كتب في سابق حكمته القديمة ان نبيه الكريم يكون رضيعا لحليمة الحليمة قالت حليمة فيما رواه ابن اسحق وابن راهويه وابو يعلى والطبراني والبيهقي وابو نعيم قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء في سنة شهباء فقدمت على اتان لي ومعي صبي لنا وشارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا ذلك اجمع مع صبينا ذاك لا يجد في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قيل يتيم فوالله ما بقي من صواحبي امرأة الا اخذت رضيعا غيري فلما لم اجد غيره قلت لزوجي والله اني لاكره ان ارجع من بين صواحبي ليس معي رضيع لانطلقن الى ذلك اليتيم فلآخذنه فذهبت فاذا به مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء راقد على قفاه يغط فاشفقت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ينظر الي فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وانا انظر فقبلته بين عينيه واعطيته ثديي الايمن فاقبل عليه بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فابى وكانت تلك حاله بعد قال اهل العلم اعلمه الله تعالى ان له شريكا فالهمه العدل قالت فروي وروي اخوه ثم اخذته فما هو الا ان جئت به رحلي فقام صاحبي يعني زوجها الى شارفنا تلك فاذا انها لحافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فقال صاحبي يا حليمة والله اني لاراك قد اخذت نسمة مباركة الم ترى ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين اخذناه فلم يزل الله يزيدنا خيرا وفي رواية ذكرها ابن طغربك في النطق المفهوم فلما نظر صاحبي الى هذا قال لي يا حليمة اكثري كرامته فني الليلة على هذا الغلام اصبحت الغبار فوالله ما على قدامها لا يوفها عيش النهار ولا نوم الليل قالت حليمة فودع الناس بعضهم بعضا وودعت انا ام النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركبت اتاني واخذت محمدا صلى الله عليه وسلم بين يدي قالت فنظرت الى الاتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معي وصار الناس يتعجبون مني ويقول لي النساء وهن ورائي يا بنت ابي ذؤيب اهذه اتانك التي كنت عليها وانت جائية معنا تخفضك طورا وترفعك اخرى فاقول والله انها هي فيتعجبن منها ويقلن ان لها لشأنا عظيما قالت فكنت اسمع اتاني تنطق وتقول والله ان لي لشأنا ثم شأنا بعثني الله بعد موتي ورد لي سمني بعد هزالي ويحكن يا نساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين من على ظهري على ظهري خير النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين قالت حليمة فيما ذكره ابن اسحاق وغيره ثم قدمنا منازل بني سعد ولا اعلم ارضا من ارض الله اجدب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم اسرحوا حيث يسرح راعي غنم بنت ابي ذؤيب فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح اغنامي شباعا لبنا فلقد درها من بركته كثرت بها مواشي حليمة ونمت وارتفع قدرها به وسمت ولم تزل حليمة تتعرف الخير والسعادة وتفوز منه بالحسنى وزيادة

لقد بلغت بالهاشمي حليمة … مقاما علا في ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها واخصب ربعها … وقد عم هذا السعد كل بني سعد

قال ابن الطراح فيما رأيت في كتاب الترقيص لابي عبد الله محمد بن المعلى الازدي ان من شعر حليمة مما كانت ترقص به النبي صلى الله عليه وسلم يا رب اذ اعطيته فابقه واعله الى العلى وارقه وادحض اباطيل العدى بحقه واخرج البيهقي والصابوني في المئتين والخطيب

وابن عساكر بإسناد فيه مجاهيل وابن طغربل التيافي في النطق المفهوم عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله دعاني إلى الدخول في دينك
أمارة لنبوتك رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير إليه بإصبعك فحيث أشرت إليه مال قال إني كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني
عن البكاء وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش قال البيهقي تفرد به أحمد بن إبراهيم الحلبي وهو مجهول وقال الصابوني هذا حديث
غريب الإسناد والمتن وفي المعجزات حسن وفي فتح الباري عن سيرة الواقدي أنه صلى الله عليه وسلم تكلم في أوائل ما ولد وذكر
ابن سبع في الخصائص أن مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة وأخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة تحدث
أنها أول ما فطمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فقال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا فلما ترعرع
كان يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم الحديث وقد روى ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت
حليمة لا تدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه فخرج مع أخته الشيماء في الظهيرة إلى البهم فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده مع
أخته فقالت في هذا الحر فقالت أخته يا أمه ما وجد أخي حرا رأيت غمامة تظل عليه إذا وقف وقفت وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع الحديث وكان
صلى الله عليه وسلم يشب شبابا لا يشبه الغلمان قالت حليمة فلما فصلته قدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه
عندنا لما نرى من بركته فكلمنا أمه وقلنا لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فإنا نخشى عليه وباء مكة فلم نزل بها حتى ردته معنا
فرجعنا به فوالله إنه لبعد مقدمنا بأشهر أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة لفي بهم لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتد
فقال ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده
قائما منتقعا لونه فاعتنقه أبوه وقال أي بني ما شأنك قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقا بطني ثم
استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب
فانطلقي نرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف قالت حليمة فاحتملناه حتى قدمنا به إلى أمه فقالت ما ردكما به
فقد كنتما حريصين عليه فقلنا نخشى الإتلاف والأحداث فقالت ما ذاك بكما فاصدقاني شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره
قالت أخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإنه لكائن لابني هذا شأن فدعاه عنكما وفي حديث
شداد بن أوس عن رجل من بني عامر عند أبي يعلى وأبي نعيم وابن عساكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت مسترضعا
في بني ليث بن بكر فبينا أنا ذات يوم في بطن واد مع أتراب لي من الصبيان إذا أنا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملئ
ثلجا فأخذوني من بين أصحابي وانطلق الصبيان هرابا مسرعين إلى الحي فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض إضجاعا لطيفا ثم شق
ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي وأنا أنظر إليه لم أجد لذلك مسا ثم أخرج أحشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم أعادها
مكانها ثم قام الثاني فقال لصاحبه تنح ثم أدخل يده في جوفي فأخرج قلبي وأنا أنظر إليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء
فرمى بها ثم قال بيده يمنة ويسرة كأنه يتناول شيئا فإذا بخاتم من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ نورا وذلك نور
النبوة والحكمة ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فأمر يده بين مفرق صدري
إلى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى ثم أخذ بيدي فأنهضني من مكاني إنهاضا لطيفا ثم قال للأول زنه بعشرة
من أمته فوزنوني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فرجحتهم ثم قال زنه بألف فرجحتهم فقال دعوه فلو وزنتموه بأمته
كلها لرجحهم ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت
عيناك الحديث وفي رواية ابن عباس عند البيهقي قالت حليمة إذا أنا بابني ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح باكيا ينادي يا أبه
يا أماه الحقا محمدا فما تلحقاه إلا ميتا [illegible] أتاه رجل فاختطفه من أوساطنا وعلا به ذروة الجبل حتى شق صدره
إلى عانته وقيل إنه عليه السلام قال أتاني رهط ثلاثة بيد أحدهم إبريق من فضة [illegible] خضر الحديث وفي
قلت هل غسل قلبه الشريف في الطست خاص به أو فعل بغيره من الأنبياء عليهم السلام [illegible] في خبر التابوت والسكينة
أنه كان فيه الطست الذي غسلت فيه قلوب الأنبياء ذكره الطبري وعزاه العماد بن كثير [illegible] عن أبي صالح عن ابن عباس

فإن قلت ما الحكمة في ختم قلبه المقدس أجيب بأنه إشارة إلى ختم الرسالة به وهذا مسلم إن كان الخاتم خاصا به أما إذا ورد
أنه ليس خاصا به بل يحتمل بأن يكون الحكمة أنه علامة يمتاز بها عن غيره ممن ليس بنبي والمراد بالوزن في قوله زنه بعشرة إلى آخره الوزن
الاعتباري فيكون المراد بالرجحان في الفضل وهو كذلك وفائدة فعل الملكين ذلك ليعلم الرسول ذلك حتى يخبر به عن نفسه
ويعتقد إذ هو من الأمور الاعتقادية وقد وقع شق صدره الشريف مرة أخرى عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء ومرة أخرى
عند الإسراء وسيأتي كل في موضعه إن شاء الله تعالى وروى الشق أيضا وهو ابن عشر أو نحوها مع قصة له مع عبد المطلب أبو نعيم
في الدلائل وروي خامسة ولا يثبت والحكمة في شق صدره الشريف في حال صباه واستخراج العلقة منه تطهيره عن حالات الصبا حتى
يتصف في سن الصبا بأوصاف الرجولية ولذلك نشأ على أكمل الأحوال من العصمة وقد روي أنه ختم بخاتم النبوة بين كتفيه وكان
ينم مسكا وأنه مثل زر الحجلة ذكره البخاري وفي مسلم جمعا عليه خيلان كأنها الثآليل السود عند نغض كتفه [illegible]
اليسرى وفي كتاب أبي نعيم كالبيضة وفي مسلم أيضا كبيضة الحمامة وفي صحيح الحاكم شعر مجتمع وفي البيهقي مثل السلعة وفي الشمائل
بضعة ناشزة وفي حديث عمرو بن أخطب كشيء يختم به وفي تاريخ ابن عساكر مثل البندقة وفي الترمذي ودلائل البيهقي كالتفاحة
وفي الروض كأثر المحجم القابضة على اللحم وفي تاريخ ابن أبي خيثمة شامة خضراء محتفرة في اللحم وفيه أيضا شامة سوداء تضرب
إلى الصفرة حولها شعرات متراكبات كأنها عرف الفرس وفي تاريخ القضاعي ثلاث شعرات مجتمعات وفي كتاب الترمذي
الحكيم كبيضة حمام مكتوب في باطنها الله وحده لا شريك له وفي ظاهرها توجه حيث كنت فإنك منصور وفي كتاب المولد
لابن عائذ كان نورا يتلألأ وفي سيرة ابن أبي عاصم عذرة كعذرة الحمام قال أبو أيوب يعني قرطمة الحمامة وفي تاريخ نيسابور
مثل البندقة من لحم مكتوب فيه باللحم محمد رسول الله وعن عائشة كتينة صغيرة تضرب إلى الدهمة وكانت مما يلي الفقار قالت
فلمسته حين توفي فوجدته قد رفع حكى هذا كله الحافظ مغلطاي وقوله زر الحجلة بالزاي والراء والحجلة بالحاء المهملة
والجيم قال النووي هو واحد الحجال وهي بيت كالقبة لها أزرار كبار وعرى هذا هو الصواب وقال بعضهم المراد بالحجلة
الطائر المعروف وزرها بيضها وأشار إليه الترمذي وأنكره عليه العلماء وقوله جمعا بضم الجيم وإسكان الميم أي
كجمع الكف وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها وقوله خيلان بكسر الخاء المعجمة وإسكان التحتية جمع خال وهو الشامة
على الجسد وقوله نغض بالنون والغين والضاد المعجمتين قال النووي النغض والنغض والناغض أعلى الكتف وقيل
هو العظم الرقيق الذي على طرفه وقيل ما يظهر منه عند التحرك فسمي ناغضا للتحرك وقوله بضعة ناشزة بالمعجمة والزاي
أي قطعة لحم مرتفعة على جسده وبيضة الحمامة معروفة انتهى والثآليل بالمثلثة جمع ثؤلول وهو حب يعلو ظاهر الجسد
واحدته كالعدسة فما دونها وفي القاموس وقرطمة الحمام [illegible] على أصل منقاره وقال بعض العلماء
اختلفت أقوال الرواة في خاتم النبوة وليس ذلك باختلاف بل كل شبهه بما سنح له وكلها ألفاظ مؤداها واحد وهو قطعة
لحم ومن قال شعر فلأن الشعر حوله متراكب عليه كما في الرواية الأخرى وقال القرطبي الأحاديث الثابتة على أن خاتم
النبوة كان شيئا بارزا أحمر عند كتفه الأيسر إذا قلل قدر بيضة الحمامة وإذا كثر جمع اليد وقال القاضي عياض وهذه الروايات
متقاربة متفقة على أنه شاخص في جسده قدر بيضة الحمامة وزر الحجلة وأما رواية جمع الكف فظاهرها المخالفة فتتأول
على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة جمع الكف لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمامة قال وهذا الخاتم هو أثر
شق الملكين بين كتفيه قال النووي هذا الذي قاله ضعيف بل باطل لأن شق الملكين كان في صدره وبطنه انتهى
وقال السهيلي والصحيح أنه بعد خاتم النبوة كان عند نغض كتفه الأيسر واختلف هل ولد وهو به أو وضع بعد
ولادته على قولين وقد وقع التصريح بوقت وضع الخاتم وكيف وضع ومن وضعه في حديث أبي ذر عند البزار وغيره
قال قلت يا رسول الله كيف علمت أنك نبي وبما علمت حتى استيقنت قال أتاني آتيان وفي رواية ملكان وأنا ببطحاء مكة فوقع أحدهما
بالأرض وكان الآخر بين السماء والأرض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال هو هو قال فزنه برجل الحديث وفيه ثم قال

احدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني فاخرج قلبي فاخذ منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال احدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء ثم قال احدهما لصاحبه خيط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن ووليا عني وكاني ارى الامر معاينة وعند ابي نعيم في الدلائل انه صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت امه ان الملك غمسه في الماء الذي انبعه ثلاث غمسات ثم اخرج صرة من حرير ابيض فاذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة المكنونة تضيء كالزهرة وقيل ولد به والله اعلم واخرج الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه قال لم يبعث الله نبيا الا وقد كانت عليه شامة النبوة في يده اليمنى الا ان يكون نبينا صلى الله عليه وسلم فان شامة النبوة كانت بين كتفيه وعلى هذا فيكون وضع الخاتم بين كتفيه بازاء قلبه مما اختص به عن سائر الانبياء والله اعلم ولما بلغ صلى الله عليه وسلم اربع سنين وقيل خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل تسع وقيل اثنتي عشرة سنة وشهرا وعشرة ايام ماتت امه بالابواء وقيل بشعب ابي ذب بالحجون وفي القاموس ودار رابعة بمكة فيه مدفن آمنة ام النبي صلى الله عليه وسلم واخرج ابن سعد عن ابن عباس وعن الزهري وعن عاصم بن عمر بن قتادة دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به امه الى اخواله بني عدي ابن النجار بالمدينة تزورهم ومعه ام ايمن فنزلت به دار النابغة فاقامت به عندهم شهرا فكان صلى الله عليه وسلم يذكر امورا كانت في مقامه ذلك ونظر الى الدار فقال هنا نزلت بي امي واحسنت العوم في بئر بني عدي ابن النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الي قالت ام ايمن فسمعت احدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ثم رجعت به امه الى مكة فلما كانت بالابواء توفيت وروى ابو نعيم من طريق الزهري عن اسماء بنت رهم عن امها قالت شهدت آمنة ام النبي صلى الله عليه وسلم في علتها التي ماتت بها ومحمد عليه السلام غلام يفع له خمس سنين عند راسها فنظرت الى وجهه ثم قالت

بارك الله فيك من غلام * يا ابن الذي من حومة الحمام * نجا بعون الملك المنعام * فودي غداة الضرب بالسهام *
بمائة من ابل سوام * ان صح ما ابصرت في المنام * فانت مبعوث الى الانام * من عند ذي الجلال والاكرام *
تبعث في الحل وفي الحرام * تبعث في التحقيق والاسلام * دين ابيك البر ابراهام * فالله انهاك عن الاصنام *
ان لا تواليها مع الاقوام *

ثم قالت كل حي ميت وكل جديد بال وكل كبير يفنى وانا ميتة وذكري باق وقد تركت خيرا وولدت طهرا ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك

نبكي الفتاة البرة الامينه * ذات الجمال العفة الرزينه * زوجة عبد الله والقرينه *
ام نبي الله ذي السكينه * وصاحب المنبر بالمدينه * صارت لدى حفرتها رهينه *

وقد روي ان آمنة آمنت به صلى الله عليه وسلم بعد موتها فروى الطبري بسنده عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فاقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا قال سالت ربي عز وجل فاحيا لي امي فآمنت بي ثم ردها ورواه ابو حفص ابن شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ له بلفظ قالت عائشة حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر بي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه ثم انه نزل فقال يا حميراء استمسكي فاستندت الى جنب البعير فمكث مليا ثم عاد الي وهو فرح متبسم فقال ذهبت لقبر امي فسالت الله ان يحييها فاحياها فآمنت بي وكذا روي من حديث عائشة ايضا احياء ابويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به اورده السهيلي وكذا الخطيب في السابق واللاحق وقال السهيلي ان في اسناده مجاهيل وقال ابن كثير انه حديث منكر جدا وسنده مجهول وقال ابن دحية هذا الحديث الموضوع يرده القرآن والاجماع انتهى وقد جزم بعض العلماء بان ابويه صلى الله عليه وسلم ناجيان وليسا في النار متمسكا بهذا الحديث وغيره وتعقبه عالم آخر بانه لم ير احدا صرح بان الايمان بعد انقطاع العمل بالموت ينفع صاحبه فان ادعى احد الخصوصية فعليه الدليل انتهى وقد سبقه لذلك ابو الخطاب ابن دحية وعبارته من مات كافرا لم ينفعه الايمان بعد الرجعة بل لو آمن عند المعاينة لم ينفعه ذلك فكيف بعد الاعادة انتهى وتعقبه القرطبي في التذكرة بان فضائله صلى الله عليه وسلم وخصائصه

لم تزل

لم تزل تتوالى وتتابع الى حين مماته فيكون هذا مما فضله الله به واكرمه قال وليس احياؤهما وايمانهما ممتنعا عقلا ولا شرعا فقد ورد في الكتاب العزيز احياء قتيل بني اسرائيل واخباره بقاتله وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم احيا الله على يده جماعة من الموتى واذا ثبت هذا فما يمتنع ايمانهما بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته ثم قال وقوله من مات كافرا الى آخر كلامه مردود بما روي في الخبر ان الله تعالى رد الشمس على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد مغيبها ذكره الطحاوي وقال انه حديث ثابت فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وانه لا يتجدد به الوقت لما ردها عليه فكذلك يكون احياء ابوي النبي صلى الله عليه وسلم نافعا لايمانهما وتصديقهما بالنبي صلى الله عليه وسلم انتهى وقد طعن بعضهم في حديث رد الشمس كما سياتي ان شاء الله في مقصد المعراج وقد تمسك القائل بنجاتهما ايضا بانهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة ولا تعذيب قبلها لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال وقد اطبقت الائمة الاشاعرة من اهل الكلام والاصول والشافعية من الفقهاء على ان من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا قال وقال الامام فخر الدين الرازي في كتابه اسرار التنزيل ما نصه قيل ان آزر لم يكن والد ابراهيم بل كان عمه واحتجوا عليه بوجوه منها ان اباء الانبياء ما كانوا كفارا ويدل عليه وجوه منها قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قيل معناه انه كان ينتقل نوره من ساجد الى ساجد قال فعلى هذا على ان جميع اباء محمد كانوا مسلمين ثم قال ومما يدل على ان اباء محمد صلى الله عليه وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه السلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس فوجب ان لا يكون احد من اجداده مشركا انتهى وتعقب بانه لا دلالة في قوله وتقلبك في الساجدين على ما ادعاه فقد ذكر البيضاوي في تفسيره وغيره ان معنى الاية وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله تعالى وقد ورد النص بان ابا ابراهيم عليه الصلاة والسلام مات على الكفر كما صرح به البيضاوي وغيره وقال تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه واما قوله انه كان عمه فمعدول عن الظاهر من غير دليل انتهى ونقل الامام ابو حيان في البحر عند تفسير قوله تعالى وتقلبك في الساجدين ان الرافضة هم القائلون ان اباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين مستدلين بقوله تعالى وتقلبك في الساجدين وبقوله عليه السلام لم ازل انتقل من اصلاب الطاهرين الحديث انتهى وروى ابن جرير عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اتى رسم قبر فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله انا رأينا ما صنعت قال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي فما رئي باكيا اكثر من يومئذ وروى ابن ابي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما الى المقابر فاتبعناه فجاء حتى جلس الى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدعاه ثم دعانا فقال ما ابكاكم قلنا بكينا لبكائك فقال ان القبر الذي جلست عنده قبر آمنة واني استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي واني استاذنته في الدعاء لها فلم ياذن لي وانزل علي ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى فاخذني ما ياخذ الولد للوالد ورواه الطبراني من حديث ابن عباس وفي مسلم استاذنت ربي ان استغفر لامي فلم ياذن لي واستاذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة قال القاضي عياض بكاؤه عليه السلام على ما فاتها من ادراك ايامه والايمان به وفي مسلم ايضا ان رجلا قال يا رسول الله اين ابي قال في النار فلما قفى دعاه فقال ان ابي واباك في النار وقال النووي فيه ان من مات على الكفر فهو في النار ولا تنفعه قرابة المقربين وفيه ان من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان فهو في النار وليس في هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة فان هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره من الانبياء وقال الامام فخر الدين من مات مشركا فهو في النار وان مات قبل البعثة لان المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين ابراهيم واستبدلوا بها الشرك وارتكبوه وليس معهم حجة من الله به ولم يزل معلوما من دين الرسل كلهم من اولهم الى آخرهم

فيع الشرك والوعيد عليه في النار واخبار بعقوبات الله لاهله متداولة بين الامم قرنا بعد قرن فلله الحجة البالغة على المشركين في كل وقت وحين ولو لم يكن الا ما فطر الله عباده عليه من توحيد ربوبيته وانه يستحيل في كل فطرة وعقل ان يكون معه اله اخر وان كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها فلم تزل دعوة الرسل الى التوحيد في الارض معلومة لاهلها فالمشرك يستحق العذاب في النار لمخالفته دعوة الرسل وهو مخلد فيها دائما كخلود اهل الجنة في الجنة انتهى وقد تعقب العلامة ابو عبد الله الابي من المالكية في شرحه على صحيح مسلم قول النووي المتقدم ان من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان في النار ... ما معناه تأمل ما في كلامه من التنافي فان من بلغتهم الدعوة ليسوا باهل فترة فان اهل الفترة هم الامم الكائنة بين ازمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم الاول ولا ادركوا الثاني كالاعراب الذين لم يرسل اليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبي صلى الله عليه وسلم والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين كالفترة بين نوح وهود لكن الفقهاء اذا تكلموا في الفترة فانما يعنون التي بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام وذكر البخاري عن سلمان انها كانت ستمائة سنة ولما دلت القواطع على انه لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا انهم غير معذبين فان قلت قد صحت احاديث بتعذيب اهل الفترة كحديث رايت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار وطلب صاحب المحجن في النار وهو الذي يسرق الحاج بمحجنه فاذا بصر به قال انما تعلق بمحجني اجيب باجوبة احدها انها اخبار آحاد فلا تعارض القطع الثاني قصر التعذيب على هؤلاء والله اعلم بالسبب الثالث قصر التعذيب المذكور في هذه الاحاديث على من بدل وغير من اهل الفترة بما لا يعذر به من الضلال كعبادة الاوثان وتغيير الشرائع فان اهل الفترة ثلاثة اقسام الاول من ادرك التوحيد ببصيرته ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم كتبع وقومه من حمير واهل نجران وورقة بن نوفل وعمه عثمان بن الحويرث القسم الثاني من اهل الفترة وهم من بدل وغير فاشرك ولم يوحد وشرع لنفسه فحلل وحرم وهم الاكثر كعمرو بن لحي اول من سن للعرب عبادة الاصنام وشرع الاحكام فبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي وتبعته العرب في ذلك وغيره مما يطول ذكره القسم الثالث من اهل الفترة وهم من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله وفي الجاهلية من كان على ذلك واذا انقسم اهل الفترة الى الثلاثة الاقسام فيحمل من صح تعذيبه على اهل القسم الثاني لكفرهم بما تعدوا به من الخبائث والله تعالى سمى جميع هذا القسم كفارا ومشركين فانا نجد القرآن كلما حكى حال احد سجل عليهم بالكفر والشرك كقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ثم قال تعالى ولكن الذين كفروا الاية والقسم الثالث هم اهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين واما اهل القسم الاول كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو فقد قال عليه السلام في كل منهما انه يبعث امة وحده واما عثمان بن الحويرث وتبع وقومه واهل نجران فحكمهم حكم اهل الدين الذي دخلوا فيه ما لم يلحق احد منهم الاسلام الناسخ لكل دين انتهى ملخصا وسيأتي ما قيل في ورقة في حديث المبعث ان شاء الله تعالى يتلو هذا ما ينشر من البحث في حق المسلم وقد كان الاولى تركه ذلك وانما جرنا اليه ما وقع من المباحثة فيه بين علماء العصر ولقد احسن الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي حيث قال

حبا الله النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفا
فاحيا امه وكذا اباه ... لايمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير ... وان كان الحديث به ضعيفا

واكثر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فان ذلك قد يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم لان العرف جار بانه اذا ذكر ابو الشخص بما ينقصه او وصف بوصف به وذلك الوصف فيه نقص تأذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة وقد قال عليه السلام لا تؤذوا الاحياء بسبب الاموات رواه الطبراني في الصغير وكما ... عليه السلام كفر بقبيل فاعلم انه لم يثبت عندنا وسياق مباحث تلك ان شاء الله تعالى في الخصائص من مقصد المعجزات ولقد اطنب بعض العلماء في الاستدلال لايمانهما فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل ولما كانت ام ايمن بركة دايته وحاضنته بعد موت امه وكان عليه السلام يقول لها انت امي بعد امي ومات جده عبد المطلب كافله وله ثمان سنين وقيل ثمان سنين وشهر وعشرة ايام وقيل

تسع

تسع وقيل عشر وقيل ست وقيل ثلاث وفيه نظر وله عشر ومائة سنة وقيل مائة واربعون سنة وكفله ابو طالب واسمه عبد مناف وكان عبد المطلب قد اوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله وقد اخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش يا ابا طالب اقحط الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله اغيلمة فاخذه ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام باصبعه وما في السماء قزعة فاقبل السحاب من هنا ومن هنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادي واخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للارامل

والثمال بكسر المثلثة الملجأ والغياث وقيل المطعم في الشدة وعصمة للارامل اي يمنعهم من الضياع والحاجة والارامل المساكين من رجال ونساء ويقال لكل واحد من الفريقين على انفراده ارامل وهو بالنساء اخص واكثر استعمالا والواحد ارمل وارملة وهذا البيت من ابيات في قصيدة لابي طالب ذكرها ابن اسحاق بطولها وهي اكثر من ثمانين بيتا قالها لما تمالأت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ونفروا عنه من يريد الاسلام واولها

ولما رأيت القوم لا ود عندهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد جاهرونا بالعداوة والاذى ... وقد طاوعوا امر العدو المزايل

ومنها

اعبد مناف انتم خير قومكم ... فلا تشركوا في امركم كل واغل
فقد خفت ان لم يصلح الله امركم ... تكونوا كما كانت احاديث وائل

ومنها

اعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء او ملح بباطل
وثور ومن ارسى ثبيرا مكانه ... وراق ليرقى في حراء ونازل
وبالبيت حق البيت في بطن مكة ... وبالله ان الله ليس بغافل

ومنها

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ... ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن ابنائنا والحلائل

ومعنى نناضل نجادل ونخاصم وندافع ونبزى بضم النون وسكون الموحدة آخره زاي نقهر ونغلب عليه قال ابن التين ان في شعر ابي طالب هذا دلالة على انه كان يعرف نبوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث لما اخبره به بحيرا وغيره من شأنه وتعقبه الحافظ ابو الفضل ابن حجر بان ابن اسحاق ذكر ان انشاء ابي طالب لهذا الشعر كان بعد البعث ومعرفة ابي طالب بنبوته عليه السلام جاءت في كثير من الاخبار وتمسك بها الشيعة في انه كان مسلما قال ورأيت لعلي بن حمزة البصري جزءا جمع فيه شعر ابي طالب وزعم انه كان مسلما وانه مات على الاسلام وان الحشوية تزعم انه مات كافرا واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه انتهى ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة خرج مع عمه ابي طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فرآه بحيرا الراهب واسمه جرجيس فعرفه بصفته فقال وهو آخذ بيده هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقيل له وما علمك بذلك فقال انكم حين اشرفتم به من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجد الا لنبي واني اعرفه بخاتم النبوة في اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة وانا نجده في كتبنا وسأل ابا طالب ان يرده خوفا عليه من اليهود الحديث رواه ابن ابي شيبة وفيه انه صلى الله عليه وسلم اقبل وعليه غمامة تظله وبحيرا بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورا قال الذهبي في تجريد الصحابة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعث وآمن به وذكره ابن منده وابو نعيم في الصحابة وهذا يبنى على تعريفهم الصحابي بمن رآه صلى الله عليه وسلم هل المراد حال النبوة او اعم حتى يدخل من رآه قبل النبوة ومات قبلها على دين الحنيفية وهو محل نظر وسيأتي البحث فيه ان شاء الله تعالى في المقصد السابع واخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه ان في هذا السفر اقبل سبعة من الروم يقصدونه فتلقاهم عليه السلام فاستقبلهم فقال ما جاء بكم قالوا ان هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليه باناس فقال افرأيتم امرا اراد الله ان يقضيه هل يستطيع احد من الناس رده فقالوا لا قال فبايعوه فاقاموا معه ورده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا قال البيهقي هذه القصة مشهورة

عند اهل المغازي انتهى وضعّف الذهبي الحديث لقوله في آخره وبعث معه ابو بكر بلالا فان ابا بكر اذ ذاك لم يكن متاهلا
ولا اشترى بلالا وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة الحديث رجاله ثقات وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة فيحمل على انها
مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر وهما من احد رواته وفي حديث عند البيهقي وابي نعيم ان بحيرا رأى وهو في صومعته
في الركب حين اقبلوا وغمامة بيضاء تظلله من بين القوم ثم اقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة حين اظلت
الشجرة وتهصرت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها الحديث وفيه ان بحيرا قام فاحتضنه وانه
جعل يسأله عن اشياء من حاله من نومه وهيئته واموره ويخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من
صفته ورأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده وتقدم ان اخته الشيما بنت حليمة رأته في الظهيرة
وغمامة تظله اذا وقف واذا سار سارت رواه ابو نعيم وابن عساكر ولله در القائل

ان قال يوما ظلّلته غمامة ... هي في الحقيقة تحت ظل القائل

وتقل الشيخ بدر الدين الزركشي عن بعض
اهل المعرفة انه صلى الله عليه وسلم كان معتدل الحرارة والبرودة فلا يحس بالحر ولا بالبرد وانه كان في ظل غمامة من اعتدال الله
كذا نقل رحمه الله واخرج ابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم
وهو ابن ثمان عشرة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام في تجارة حتى نزل منزلا فيه سدرة فقعد
في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء فقال له من الرجل الذي في ظل الشجرة قال محمد بن عبد الله
ابن عبد المطلب قال هذا والله نبي ما استظل تحتها بعد عيسى عليه السلام الا محمد ووقع في قلب ابي بكر التصديق فلما بعث النبي
صلى الله عليه وسلم اتبعه قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر في الاصابة ان صحت هذه القصة فهي سفرة اخرى بعد سفرة
ابي طالب انتهى ثم خرج صلى الله عليه وسلم ايضا ومعه ميسرة غلام خديجة في تجارة خديجة بنت خويلد بن اسد في تجارة لها حتى بلغ
سوق بصرى وقيل سوق حباشة بتهامة وله اذ ذاك خمس وعشرون سنة لاربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة فنزل
تحت ظل شجرة فقال نسطور الراهب ما نزل تحت ظل هذه الشجرة الا نبي وفي رواية بعد عيسى وكان ميسرة يرى في الهاجرة
ملكين يظللانه من الشمس ولما رجعوا الى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية لها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
على بعيره وملكان يظللان عليه رواه ابو نعيم وتزوج صلى الله عليه وسلم خديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين
يوما وقيل كان سنها احدى وعشرين سنة وقيل ثلاثين وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة وكانت تحت ابي
هالة بن زرارة التميمي فولدت له هندا وهالة وهما ذكران ثم تزوجها عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له
هندا وكان لها حين تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم من العمر اربعون سنة وبعض اخرى وكانت عرضت نفسها عليه
فذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه فتزوجها عليه السلام واصدقها عشرين
بكرة وحضر ابو بكر ورؤساء مضر فخطب ابو طالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ
معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس
ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به فان كان في المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل ومحمد
من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا وهو والله بعد هذا
له نبأ عظيم وخطر جليل فتزوجها والضئضئ الاصل وحضنة بيته اي الكافلين له والقائمين بخدمته وسواس حرمه
اي متولوا امره قال ابن اسحاق وزوجه اياها خويلد وقد ذكر الدولابي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم اصدق خديجة
اثنتي عشرة اوقية ذهبا ونشا قالوا وكانت الاوقية اربعون درهما والنش نصف اوقية ولما بلغ صلى الله عليه وسلم
خمسا وثلاثين سنة خافت قريش ان تنهدم الكعبة من السيول فامروا باقوم بموحدة والف فقاف مضمومة فواو ساكنة
فميم النجار القبطي مولى سعد بن العاص بان يبني الكعبة المعظمة وحضرها صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم الحجارة وكانوا يضعون

ازرهم

ظهره ثم اعتل بعمه ليأتيهم وحمل الحجارة فجعل ذلك صلى الله عليه وسلم فلبط به اي سقط من قيام كما في القاموس فنودي عورتك
فكان ذلك اول ما نودي فقال له ابو طالب والعباس يا ابن اخي اجعل ازارك على راسك فقال ما اصابني الا من التعري ولما بلغ
صلى الله عليه وسلم اربعين سنة وقيل واربعين يوما وقيل وعشرة ايام وقيل وشهرين يوم الاثنين لسبع عشرة خلت
من شهر رمضان وقيل لسبع وقيل لاربع وعشرين ليلة وقال ابن عبد البر يوم الاثنين لثمان من ربيع الاول سنة احدى
واربعين من الفيل وقيل في اول ربيع بعثه الله رحمة للعالمين ورسولا الى كافة الثقلين اجمعين ومما يدل لبعثته
يوم الاثنين ما رواه مسلم عن ابي قتادة رضي الله عنه سئل صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه انزل علي
وقال ابن القيم في الهدي النبوي واحتج القائلون بانه كان في رمضان بقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن
قالوا اول ما اكرمه الله بنبوته انزل عليه القرآن وقال الآخرون انما انزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر الى بيت
العزة ثم نزل نجوما بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة وقيل كان ابتداء المبعث في رجب وروى البخاري في التعبير
من حديث عائشة اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا
الا جاءت مثل فلق الصبح وكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة
فتزوده لمثلها حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني حتى
بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ
فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى
بلغ ما لم يعلم فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة
ما لي واخبرها الخبر ثم قال قد خشيت على نفسي فقالت له كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث
وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن
قصي وهو ابن عم خديجة اخي ابيها وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب بالعربية من الانجيل
ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة اي ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال ورقة ماذا ترى فاخبره
النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذي انزل على موسى يا ليتني فيها جذعا اكون حيا حين يخرجك قومك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم فقال ورقة نعم لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودي وان يدركني يومك
انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا
كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا
فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة جبل تبدى له جبريل
فقال له مثل ذلك وقد تكلم العلماء في معنى قوله عليه السلام لخديجة قد خشيت على نفسي فذهب الاسماعيلي الى ان هذه الخشية
كانت منه قبل ان يحصل له العلم الضروري بان الذي جاءه ملك من عند الله وكان اشق شيء عليه ان يقال عليه مجنون
وقيل ان خشيته كانت من قومه ان يقتلوه ولا غرو فانه بشر يخشى من القتل والاذية كما يخشى البشر وقوله ما انا
بقارئ اي اني لا احسن القراءة قاله الكثير وقال القاضي عياض وغيره انما ابتدئ عليه السلام بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه
صريح النبوة بغتة فلا تحملها قوى البشرية فبدئ باوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة انتهى فان قلت فلم كرر قوله
ما انا بقارئ ثلاثا فاجاب ابو شامة كما في فتح الباري بان يحمل قوله اولا ما انا بقارئ على الامتناع وثانيا على الاخبار
بالنفي المحض وثالثا على الاستفهام والحكمة في الغط ثلاثا اشغاله عن الالتفات بشيء آخر واظهار الشدة والجد في الامر تنبيها
على ثقل القول الذي سيلقى اليه وقيل ليبعد ظن التخيل والوسوسة لانهما ليسا من صفات الجسم فلما وقع ذلك بجسمه علم انه
من امر الله فان قلت من اين عرف صلى الله عليه وسلم ان جبريل ملك من عند الله وليس من الجن فالجواب من وجهين احدهما ان

الله تعالى اظهر على يدي جبريل عليه السلام معجزات عرفه بها كما اظهر الله تعالى على يد محمد صلى الله عليه وسلم معجزات عرفته بها و ثانيهما ان الله تعالى يخلق لمحمد علما ضروريا بان جبريل من عند الله ملك لا جني ولا شيطان كما ان الله تعالى خلق لجبريل علما ضروريا بان المتكلم معه هو الله تعالى وان الرسول له ربه تعالى لا غيره وقول ورقة يا ليتني فيها جذعا الضمير للنبوة اي ليتني كنت شابا عند ظهورها حتى ابالغ في نصرتها وحمايتها واصل الجذع من اسنان الدواب وهو ما كان منها شابا فتيا واخرج البيهقي من طريق العلاء بن الحارث الثقفي عن بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد الله كرامته وابتداه بالنبوة كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه وسمع منه فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يرى الا الشجر وما حوله من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة السلام عليك يا رسول الله الحديث وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحرا شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيئا ونظرت عن شمالي فلم ار شيئا ونظرت خلفي فلم ار شيئا فرفعت راسي فرايت شيئا فلم اثبت له فاتيت خديجة فقلت دثروني دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر الاية وذلك قبل ان تفرض الصلاة رواه البخاري ومسلم والترمذي ولم يكن جوار عليه السلام لطلب النبوة لانها اعز من ان تنال بالطلب والاكتساب وانما هي موهبة من الله وخصوصية يخص بها من يشاء من عباده والله اعلم حيث يجعل رسالته ولم تكن الرجفة المذكورة خوفا من جبريل عليه السلام فانه صلى الله عليه وسلم اجل من ذلك واثبت جنانا وانما رجف غبطة بحاله وا قباله على الله عز وجل وخشي ان يشتغل بغير الله عن الله وقيل خاف من ثقل اعباء النبوة وفي رواية البيهقي في الدلائل ان خديجة قالت لابي بكر يا عتيق اذهب به الى ورقة فاخذه ابو بكر فقص عليه ما راى فقال عليه الصلاة والسلام اذا خلوت وحدي سمعت نداء يقول يا محمد يا محمد فانطلق هاربا فقال لا تفعل اذا قال فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فاخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى اخرها ثم قال قل لا اله الا الله الحديث واحتج به من قال باولية نزول الفاتحة والصحيح ان اول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من القران اقرا كما صح ذلك عن عايشة وروي عن ابي موسى الاشعري وعبيد بن عمير قال النووي وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف واما ما روي عن جابر وغيره ان اول ما نزل يا ايها المدثر فقال النووي ضعيف بل باطل وانما نزلت بعد فترة الوحي واما حديث البيهقي انه الفاتحة كقول بعض المفسرين فقال البيهقي هذا منقطع فان كان محفوظا فيحتمل ان يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرا باسم ربك ويا ايها المدثر وقال النووي بعد ذكر هذا القول بطلانه اظهر من ان يذكر انتهى وقد روي ان جبريل عليه السلام اول ما نزل بالقران على النبي صلى الله عليه وسلم امره بالاستعاذة كما رواه الامام ابو جعفر بن جرير عن ابن عباس قال اول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ قال استعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال اقرا باسم ربك الذي خلق قال عبد الله وهي اول سورة انزلها على محمد صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عماد الدين بن كثير بعد ان ذكره وهذا الاثر غريب وانما ذكرناه ليعرف فان في اسناده ضعفا وانقطاعا والله اعلم وروى ابو نعيم ان جبريل وميكائيل شقا صدره وغسلاه ثم قالا اقرا باسم ربك الايات الحديث وفيه فقال ورقة ابشر فانا اشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل وكذا روي شق صدره الشريف هنا ايضا الطيالسي والحارث في مسنديهما والحكمة فيه ليتلقى النبي صلى الله عليه وسلم ما يوحى اليه بقلب قوي في اكمل الاحوال من التطهير قال ابن القيم وغيره وكمل الله تعالى له عليه السلام من الوحي مراتب عديدة احدها الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح الثاني ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير ان يراه كما قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي انه لن تموت

نفس

نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب الحديث رواه ابن ابي الدنيا في القناعة وصححه الحاكم و روعي بضم الراء نفسي وروح القدس جبريل عليه السلام الثالثة كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له وفي ذلك كان ياتيه في صورة دحية الكلبي وكان دحية جميلا وسيما اذا قدم لتجارة خرجت العواتق لتراه فان قلت اذا لقي جبريل النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية فاين يكون روحه فان كان في الجسد الذي له ستمائة جناح فالذي اتى لا روح جبريل ولا جسده وان كان في هذا الذي هو في صورة دحية فهل يموت الجسد العظيم ام يبقى خاليا من الروح المنتقلة عنه الى الجسد المشبه بجسد دحية فاجيب كما ذكره العيني بانه لا يبعد ان لا يكون انتقالها موجب موته فيبقى الجسد حيا لا ينقص من معارفه شيء ويكون انتقال روحه الى الجسد الثاني كانتقال ارواح الشهداء الى اجواف طير خضر وموت الاجساد بمفارقة الارواح ليس بواجب عقلا بل بعادة اجراها الله تعالى في بني ادم فلا يلزم في غيرهم انتهى الرابعة كان ياتيه في مثل صلصلة الجرس وكان اشده عليه حتى ان جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد حتى ان راحلته لتبرك به في الارض ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها قلت وروى الطبراني عن زيد بن ثابت قال كنت اكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا نزل عليه اخذته برحاء شديدة وعرق عرقا شديدا مثل الجمان ثم سري عنه وكنت اكتب وهو يملي علي فما افرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القران حتى اقول لا امشي على رجلي ابدا ولما نزلت المائدة عليه سورة المائدة كادت تنكسر عضد ناقته من ثقل السورة ورواه احمد والبيهقي في الشعب الخامسة ان يرى الملك في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح فيوحي اليه ما شاء الله ان يوحيه وهذا وقع له مرتين كما في سورة النجم السادسة ما اوحاه الله اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها السابعة كلام الله له منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم موسى قال وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحا بغير حجاب انتهى قال شيخ الاسلام الولي ابن العراقي وكان ابن القيم اخذ ذلك من روض السهيلي لكنه لم يذكر نزول اسرافيل اليه بكلمات من الوحي قبل جبريل فقد ثبت في الطرق الصحاح عن عامر الشعبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقران واما قوله اعني ابن القيم السادسة ما اوحاه الله اليه فوق السموات يعني ليلة المعراج السابعة كلام الله بلا واسطة فان اراد ما اوحاه اليه جبريل فهو داخل فيما تقدم لانه اما ان يكون جبريل في تلك الحالة على صورته الاصلية او على صورة الادمي وكلاهما قد تقدم ذكره وان اراد ما اوحى الله بلا واسطة وهو الظاهر فهي السابعة المرتبة التي بعدها واما قوله وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحا من غير حجاب فهذا على مذهب من يقول انه عليه السلام راى ربه تعالى وهي مسئلة خلاف يأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى ويحتمل ان ابن القيم رحمه الله اراد بالمرتبة السادسة وحي جبريل وغاير بينه وبين ما قبله باعتبار محل الايحاء اي كونه فوق السموات بخلاف ما تقدم فانه كان في الارض ولا يقال يلزم عليه ان تتعدد اقسام الوحي باعتبار البقعة التي جاء فيها جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو غير ممكن لانا نقول الوحي الحاصل في السماء باعتبار ما في الارض يكاد يشاهد من الغيب نوع غير الارض على اختلاف بقاعها انتهى قلت ويزاد ايضا كلامه تعالى له في المنام كما في حديث الترمذي اتاني ربي في احسن صورة فقال يا محمد اتدري فيم يختصم الملا الاعلى الحديث ثم مرتبة اخرى وهي العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الاحكام لانهم اتفقوا على انه عليه السلام اذا اجتهد اصاب قطعا وكان معصوما من الخطا وهذا خرق للعادة في حقه دون الامة وهو يفارق النفث في الروع من حيث حصوله بالاجتهاد والنفث بدونه ومرتبة اخرى وهي مجيء جبريل في صورة رجل غير دحية لان دحية كان معروفا عندهم ذكره ابن المنير وان كانت داخلة في المرتبة الثالثة التي ذكرها ابن القيم و ذكر الحليمي ان الوحي كان ياتيه على ستة واربعين نوعا فذكرها وغالبها كما في فتح الباري من صفات حامل الوحي ومجموعها

قال ثم

غير صح

يوحى فيما ذكروا والله اعلم وذكر ابن الميرزا الحالة كانت تختلف في الوحي باختلاف مقتضاه فان نزل بوعد وبشارة نزل
الملك بصورة الادمي وخاطبه مشافهة وان نزل بوعيد ونذارة كان حينئذ كصلصلة الجرس وقد ذكر ابن عادل في تفسيره
ان جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم اربعة وعشرين الف مرة ونزل على ادم اثنتي عشرة مرة وعلى ادريس اربع مرات
وعلى نوح خمسين مرة وعلى ابرهيم اثنتين واربعين مرة وعلى موسى اربع مائة وعلى عيسى عشر مرات كذا قاله رحمه الله وقد
روي ان جبريل بدا له صلى الله عليه وسلم في احسن صورة واطيب رائحة فقال يا محمد ان الله يقريك السلام ويقول لك انت
رسولي الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضا منها جبريل ثم امره ان يتوضا
وقام جبريل يصلي وامره ان يصلي معه فعلمه الوضوء والصلاة ثم عرج الى السماء ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر
ولا شجر الا وهو يقول له السلام عليك يا رسول الله حتى اتى خديجة فاخبرها فغشي عليها من الفرح ثم امرها فتوضات وصلى بها كما
صلى به جبريل فكان ذلك اول فرضها ركعتين ثم ان الله اقرها في السفر كذلك واتمها في الحضر وقال مقاتل كانت الصلاة اول فرضها
ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي لقوله تعالى وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار وقال في فتح الباري كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء
يصلي قطعا وكذلك اصحابه ولكن اختلف هل افترض قبل الخمس شيء من الصلوات ام لا فقيل ان الفرض كان صلاة قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها والحجة فيه قوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها انتهى وقال النووي اول ما وجب الانذار
والدعاء الى التوحيد ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكره في اول سورة المزمل ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء
بمكة واما ما ذكره في هذه الرواية من ان جبريل علمه الوضوء وامره به فيدل على ان فرضية الوضوء كانت قبل الاسراء ثم فتر الوحي
فترة حتى شق عليه واحزنه وفترة الوحي عبارة عن تاخره مدة من الزمان وكان ذلك ليذهب عنه ما كان يجده عليه السلام من الروع
وليحصل له التشوق الى العود وكانت مدة فترة الوحي ثلاث سنين كما جزم به ابن اسحق وفي تاريخ الامام احمد ويعقوب بن سفيان
عن الشعبي انزلت عليه النبوة على لسانه فلبث ثلاث سنين ثم قرن بنبوته جبريل فنزل عليه القران على لسانه عشرين سنة
وكذا رواه ابن سعد والبيهقي فقد تبين ان نبوته عليه السلام كانت متقدمة على رسالته كما قاله ابن عمر وغيره كما حكاه ابو امامة
ابن النقاش فكانت في نزول سورة اقرا نبوته وفي نزول سورة المدثر رسالته بالنذارة والبشارة والتشريع وهذا قطعا
متاخر عن الاول لانه لما كانت سورة اقرا متضمنة لذكر اطوار الادمي من الخلق والتعليم والافهام ناسب ان تكون اول سورة
انزلت وهذا هو الترتيب الطبيعي وهو ان يذكر سبحانه وتعالى ما اسداه الى نبيه عليه السلام من العلم والفهم والحكمة والنبوة
ويمن عليه بذلك في معرض تعريفه عباده بما اسداه اليهم من نعمة البيان الظاهر والنطق والخط ثم يامره سبحانه وتعالى بان يقوم
فينذر عباده وكان اول من امن بالله وصدق صديقة النساء ايدها ثم استولت بما فيه من الصفات والاخلاق والشيم
على كل من كان كذلك ما يحتذي الذا وكان اول ذكر امن بعدها صديق الامة واسبقها الى الاسلام ابو بكر فازره
في الله وعن ابن عباس انه اول الناس اسلاما واستشهد بقول حسان ابن ثابت اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة فاذكر
اخاك ابا بكر بما فعلا خير البرية اتقاها واعدلها بعد النبي واوفاها بما حملا والثاني التالي المحمود مشهده واول
الناس قدما صدق الرسلا رواه ابو عمر ومن وافق حسان وابن عباس على ان الصديق اول الناس اسلاما اسماء
بنت ابي بكر والنخعي وابن الماجشون ومحمد بن المنكدر الاخنسي وقيل ان علي ابن ابي طالب اسلم بعد خديجة وكان في حجر النبي صلى
الله عليه وسلم فعلى هذا يكون اول من اسلم من الرجال ابو بكر ويكون علي اول الصبيان اسلاما لانه كان صبيا لم يدرك ولذا قال
سبقتكم الى الاسلام طرا صغيرا ما بلغت اوان حلمي وكان سن علي اذ ذاك عشر سنين فيما حكاه الطبري
وقال ابو عمر وصحح ذهبي ان عليا اول من اسلم من الرجال سلمان وابو ذر والمقداد وخباب وجابر وابي سعيد الخدري
وزيد ابن الارقم وهو قول ابن شهاب وقتادة وغيرهم قالوا اتفقوا على ان خديجة اول من اسلم مطلقا وقيل اول رجل
اسلم ورقة ابن نوفل ومن يمنع لذلك يقول انه ادرك نبوته عليه السلام لم يدرك رسالته لكن جاء في السيرة وهو رواية ابي نعيم المتقدمة

انه

الناموس صاحب السر المطلع على باطن امرك ... وهو جبريل عليه السلام ق

انه قال ابشر فانا اشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل وانك ستؤمر بالجهاد وان ادرك
ذلك لاجاهدن معك فهذا تصريح منه بتصديقه برسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال البلقيني بل يكون بذلك اول من اسلم من
الرجال وبه قال العراقي في نكته على ابن الصلاح وذكره ابن منده في الصحابة وحكى العراقي كون علي اول من اسلم عن اكثر
الصحابة وحكى ابن عبد البر الاتفاق عليه وادعى الثعلبي اتفاق العلماء على ان اول من اسلم خديجة وان اختلافهم انما
هو في اول من اسلم بعدها قال ابن الصلاح والاورع ان يقال اول من اسلم من الرجال الاحرار ابو بكر ومن الصبيان او الاحداث
علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال انتهى والله اعلم وقال الطبري الاولى التوفيق بين الروايات
كلها وتصديقها فيقال اول من اسلم مطلقا خديجة واول ذكر اسلم علي ابن ابي طالب وهو صبي لم يبلغ وكان مستخفيا باسلامه واول
رجل عربي بالغ اسلم واظهر اسلامه ابو بكر بن ابي قحافة واول من اسلم من الموالي زيد قال وهذا متفق عليه لا خلاف فيه وعليه
يحمل قول من قال اول من اسلم من الرجال ابو بكر اي الرجال البالغين الاحرار ويؤيد هذا ما روي عن الحسن ان علي ابن ابي طالب
قال ان ابا بكر سبقني الى اربع لم اوتهن سبقني الى افشاء الاسلام وقدم الهجرة ومصاحبته في الغار واقام الصلاة وانا
يومئذ بالشعب يظهر اسلامه واخفيه الحديث خرجه صاحب فضائل ابي بكر وخيثمة بمعناه واما ما روي من صحبة الصديق
للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانية عشر سنة وهم يريدون الشام في تجارة وحديث بحيرا وانه وقع في قلب ابي بكر اليقين
وقول ميمون بن مهران والله لقد امن ابو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا فالمراد بهذا الايمان اليقين بصدقه وهو
ما وقر في قلبه والا فالنبي صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة وسافر الى الشام قبل المبعث ثم اسلم بعد زيد بن حارثة عثمان
ابن عفان والزبير ابن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة ابن عبيد الله دعاهم ابو بكر الصديق فجاء بهم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فاسلموا وصلوا ثم اسلم ابو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح وابو سلمة
عبد الله بن عبد الاسد بعد تسعة انفس والارقم بن ابي الارقم المخزومي وعثمان بن مظعون الجمحي واخواه قدامة وعبد
الله وعبيدة ابن الحارث ابن عبد المطلب بن عبد مناف وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وامراته فاطمة بنت الخطاب و
قال ابن سعد اول امراة اسلمت بعد خديجة ام الفضل زوج العباس واسماء بنت ابي بكر وعائشة اختها كذا قاله
ابن اسحاق وغيره وهو وهم لم تكن عائشة ولدت بعد فكيف تسلم وكان مولدها سنة اربع من النبوة قاله
مغلطاي وغيره ودخل الناس في الاسلام ارسالا من الرجال والنساء ثم ان الله تعالى امر رسوله صلى الله
عليه وسلم بان يصدع بما جاءه به اي يواجه به المشركين وقال مجاهد هو الجهر بالقران وقال ابو عبيدة ابن عبد الله
ابن مسعود ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت فاصدع بما تؤمر فجهر هو واصحابه وقال البيضاوي
فاصدع بما تؤمر من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية
او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع انتهى قالوا وكان ذلك بعد ثلاث سنين من النبوة وهي المدة
التي اخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم امره الى ان امره الله تعالى باظهاره فبادى قومه بالاسلام وصدع به كما امره الله تعالى
ولم يتباعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر الهتهم وعابها وكان ذلك في سنة اربع كما قاله العتقي فاجمعوا على
خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم بالاسلام وحدب عليه عمه ابو طالب ومنعه وقام دونه فاشتد الامر
وتضارب القوم واظهر بعضهم لبعض العداوة وتوامرت قريش على من اسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم
ومنع الله رسوله منهم بعمه ابي طالب وبني هاشم غير ابي لهب وبني المطلب وقال مقاتل كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم عند ابي طالب يدعو الى الاسلام فاجتمعت قريش الى ابي طالب يريدون بالنبي سوءا فقال ابو طالب
حين تروح الابل فان حنت ناقة الى غير فصيلها دفعته اليكم وقال: والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى اوسد في التراب دفينا ° فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ° وابشر وقر بذاك منك عيونا °

ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة أنه ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وكان صلى الله عليه وسلم يطوف على الناس في منازلهم يقول يا أيها الناس إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأبو لهب وراءه يقول يا أيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر وتبعه قومه على ذلك وآذته قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن أبي معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقه خنقا شديدا فقام أبو بكر دونه فجذبوا رأسه ولحيته حتى سقط أكثر شعره فقام أبو بكر دونه وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقال ابن عمر كما في البخاري بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية ثم قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد ذكر العلماء أن أبا بكر رضي الله عنه أفضل من مؤمن آل فرعون لأن ذلك اقتصر حيث انتصر على اللسان وأما أبو بكر فأتبع اللسان يدا ونصر بالقول والفعل محمدا صلى الله عليه وسلم وفي رواية البخاري أيضا كان عليه السلام يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم ألا تنظرون إلى هذا المرائي أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث أشقاهم فلما سجد وضعه بين كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك فانطلق منطلق إلى فاطمة وهي جويرية فأقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته عنه وأقبلت عليهم تسبهم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد قال عبد الله فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتبع أصحاب القليب لعنة وقد استشكل بعضهم عد عمارة بن الوليد في المذكورين لأنه لم يقتل ببدر بل ذكر أصحاب المغازي أنه مات بأرض الحبشة وله قصة مع النجاشي إذ تعرض لامرأته فأمر النجاشي ساحرا فنفخ في إحليل عمارة من سحره عقوبة له فتوحش وصار مع البهائم إلى أن مات في خلافة عمر وأجيب بأن كلام ابن مسعود أنه رآهم صرعى في القليب محمول على الأكثر ويدل عليه أن عقبة بن أبي معيط لم يطرح في القليب وإنما قتل صبرا بعد أن رحلوا عن بدر مرحلة وأمية بن خلف لم يطرح في القليب كما سيأتي إن شاء الله تعالى وقوله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتبع أهل القليب لعنة يحتمل أن يكون من تمام الدعاء الماضي فيكون فيه علم عظيم من أعلام النبوة ويحتمل أن يكون قاله صلى الله عليه وسلم بعد أن ألقوا في القليب واستدل بهذا الحديث على أن من عرض له في صلاته ما يمنع انعقادها ابتداء لا تبطل صلاته فلو كانت نجاسة فأزالها في الحال ولا أثر لها صحت اتفاقا واستدل به أيضا على طهارة فرث ما يؤكل لحمه وعلى أن إزالة النجاسة ليست بفرض وهو ضعيف وأجاب النووي بأنه عليه السلام لم يعلم ما وضع على ظهره فاستمر في سجوده استصحابا للأصل الطهارة وتعقب بأنه مشكل على قولنا بوجوب الإعادة في مثل هذه الصورة وأجيب عنه بأن الإعادة إنما تجب في الفريضة فإن ثبت أنها فريضة فالوقت متسع فلعله أعاد وتعقب بأنه لو أعاد لنقل ولم ينقل وبأن الله لا يقره على صلاة فاسدة ثم أسلم حمزة بن عبد المطلب وكان أعز فتى في قريش وأشده شكيمة وكان إسلامه فيما قاله العتقي بسبب [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفت عنه قريش قليلا وقال حمزة حين أسلم

حمدت الله حين هدى فؤادي ... إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز ... خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رسائله علينا ... تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها ... بآيات مبينة الحروف
وأحمد مصطفى فينا مطاع ... فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم ... ولما نقض فيهم بالسيوف

وعند مغلطاي وسألوه يعني النبي صلى الله عليه وسلم إن كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك فقال لهم عليه السلام ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ثم إن النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ذهبا إلى الأحبار يهود فسألاهم عنه عليه السلام فقالوا لهما سلاه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فهو متقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول وعن رجل طواف وعن الروح ما هو فقال عليه السلام أخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحي أياما ثم نزل قوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله وأنزل الله تعالى ذكر الفتية الذين ذهبوا وهم أصحاب الكهف وذكر الرجل الطواف وهو ذو القرنين وقال فيما سألوه عن الروح ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي الآية وما ذكر في البخاري من حديث عبد الله بن مسعود قال بينا أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقالوا ما رابكم إليه وقال بعضهم لا يستقبلكم بشيء تكرهونه فقالوا سلوه فسألوه عن الروح فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئا فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي قال الحافظ ابن كثير وهذا يقتضي فيما يظهر بادي الرأي أن هذه آية مدنية وأنها إنما نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن السورة كلها مكية وقد يجاب عن هذا بأنه قد يكون نزلت عليه مرة ثانية بالمدينة كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك ومما يدل على نزولها بمكة ما روى الإمام أحمد من حديث ابن عباس قال قالت قريش ليهود أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح فسألوه فنزلت الحديث انتهى وهذا الحديث رواه الترمذي أيضا بإسناد رجاله رجال مسلم فيحمل على تعدد النزول كما أشار إليه ابن كثير ويحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك وقد اختلف في المراد بالروح المسؤول عنه في هذا الخبر فقيل روح الإنسان وقيل جبريل وقيل عيسى وقيل ملك يقوم وحده صفا يوم القيامة وقيل غير ذلك قال القرطبي الراجح أنهم سألوه عن روح الإنسان لأن اليهود لا تعترف بأن عيسى روح الله ولا تجهل أن جبريل ملك وأن الملائكة أرواح وقال الإمام فخر الدين المختار أنهم سألوه عن الروح الذي هو سبب الحياة وأن الجواب وقع على أحسن الوجوه وبيانه أن السؤال عن الروح يحتمل عن ماهيته وهل هي متحيزة أم لا وهل هي حالة في متحيز أم لا وهل هي قديمة أو حادثة وهل تبقى بعد انفصالها من الجسد أو تفنى وما حقيقة تعذيبها وتنعيمها وغير ذلك من متعلقاتها قال وليس في السؤال ما يخصص أحد هذه المعاني إلا أن الأظهر أنهم سألوه عن الماهية وهل الروح قديمة أو حادثة والجواب يدل على أنها شيء موجود مغاير للطبائع والأخلاط وتركيبها فهي جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بمحدث وهو قوله تعالى كن فكأنه قال هي موجودة محدثة بأمر الله وتكوينه ولها تأثير في إفادة الحياة للجسد ولا يلزم من عدم العلم بكيفيتها المخصوصة نفيها قال ويحتمل أن يكون المراد بالأمر في قوله من أمر ربي الفعل كقوله تعالى وما أمر فرعون برشيد أي فعله فيكون الجواب أنها حادثة ثم قال

وقد سكت السلف عن البحث في هذه الاشياء والتعمق فيها انتهى وقال في فتح الباري وقد تنطع قوم فتباينت
اقوالهم فقيل هي النفس الداخل الخارج وقيل جسم لطيف يحل في جميع البدن وقيل هي الدم وقيل ان الاقوال
فيها بلغت المائة ونقل ابن منده عن بعض المتكلمين ان للنبي خمسة ارواح وللمؤمن ثلاثة وقال ابو بكر ابن العربي
اختلفوا في الروح والنفس فقيل متغايران وهو الحق وقيل هما شي واحد قال وقد يعبر بالروح عن النفس وبالعكس
وقال ابن بطال معرفة حقيقة الروح مما استاثر الله بعلمه بدليل هذا الخبر قال والحكمة في ابهامه اختبار الخلق
ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم الى رد العلم اليه وقال القرطبي الحكمة في اظهار عجز المرء لانه اذا لم يعلم
حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن ادراك حقيقة الحق من باب اولى وقال بعضهم ليس في الاية دلالة على ان
الله تعالى لم يطلع نبيه عليه السلام على حقيقة الروح بل يحتمل ان يكون اطلعه ولم يامره ان يطلعهم وقد قالوا
في علم الساعة نحو هذا والله اعلم انتهى ملخصا ولما كثر المسلمون وظهر الايمان اقبل كفار قريش على من آمن يعذبونهم
ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم حتى انه مر عدو الله ابو جهل بسمية ام عمار بن ياسر وهي تعذب فطعنها بحربة في فرجها
فقتلها وكان الصديق رضي الله عنه اذا مر باحد من العبيد يعذب اشتراه منهم واعتقه منهم واعتق منهم بلال وعامر
ابن فهيرة وعن ابي ذر قال اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمار وامه سمية
وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه الله
بقومه واما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم في الشمس وان بلالا هانت عليه
نفسه في الله عز وجل وهان على قومه فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول
احد احد رواه احمد في مسنده وعن مجاهد نحوه وزاد في قصة بلال وجعلوا في عنقه حبلا ودفعوه الى الصبيان
يلعبون به حتى اثر الحبل في عنقه فانظر كيف هون بلال ما فعل به لاكراهه على الكفر وهو يقول احد احد مزج
مرارة العذاب بحلاوة الايمان وهذا كما وقع له ايضا عند موته كانت امراته تقول واحرباه وهو يقول
واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وصحبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء ولله در ابي محمد الشقراطيسي حيث قال

ولا في بلال بلاء من امية قد ... احله الصبر فيه اكرم النزل ... اذ اجهدوه بضنك الاسر وهو على
شدائد الازل ثبت الازر لم يزل ... الفوه تحت هجير الرمضاء مطرحا ... والقوا عليه صخور الجندل الثقل
ووحد الله اخلاصا وقد ظهرت ... بظهره كندوب الطل في الطلل ... ان قد ظهر ولي الله من دبر
قد قد قلب عدو الله من قبل

يعني ان ظهر ولي الله بلال قد ظهر فيه التعذيب فقد جوزي عدو الله
امية وقد قلبه ببدر لانه قتل يومئذ وكان عبد الرحمن بن عوف قد اسره يومئذ واراد استبقاءه لاخوة
كانت بينهما في الجاهلية فراه بلال معه فصاح باعلى صوته يا انصار الله راس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجا
فقتلوه باسيافهم حتى قتلوه واخرج البيهقي عن عروة ان ابا بكر اعتق ممن كان يعذب في الله سبعة منهم الزنيرة
فذهب بصرها وكانت ممن تعذب في الله فتابى الا الاسلام فقال المشركون ما اصاب بصرها الا اللات والعزى فقالت
كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها والزنيرة بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة كما في القاموس ثم اذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة الى الحبشة وذلك في رجب سنة خمس من النبوة فهاجر اليها ناس ذوو عدد
منهم من هاجر باهله ومنهم من هاجر بنفسه وكانوا احد عشر رجلا وقيل اثني عشر رجلا واربع نسوة وقيل وخمس نسوة وقيل وامرأتان
واميرهم عثمان بن مظعون وانكر ذلك الزهري وقال لم يكن لهم امير وخرجوا مشاة الى البحر فاستاجروا سفينة بنصف
دينار وكان اول من خرج عثمان بن عفان مع امراته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرج يعقوب
ابن سفيان بسند موصول الى انس قال ابطا على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما فقدمت امراة من قريش ...

فقالت قد رايتهما وقد حمل عثمان امراته على حمار ... ان عثمان لاول ...

الحبشة

الى الحبشة واقاموا بها وارسلت قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم الى النجاشي واسمه اصحمة وكان معهما
عمارة بن الوليد ليردهم الى قومهم فابى ذلك وردهما خائبين بهديتهما واسلم عمر بن الخطاب بعد حمزة بثلاثة ايام فيما قاله
ابو نعيم بدعوته صلى الله عليه وسلم اللهم اعز الاسلام بابي جهل او بعمر بن الخطاب وكان المسلمون اذ ذاك بضعة واربعين
رجلا واحدى عشرة امراة وكان سبب اسلامه فيما ذكره اسامة بن زيد عن ابيه عن جده عن عمر انه قال بلغني اسلام
اختي فدخلت عليها فقلت يا عدوة نفسها قد بلغني عنك انك صبوت ثم ضربتها فسال الدم فلما رات الدم بكت وقالت
يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد اسلمت قال فدخلت وانا مغضب فاذا كتاب في ناحية البيت فاذا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي قال ثم رجعت اليها فاذا فيها سبح لله
ما في السموات والارض حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله فقلت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوا مني فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت في اسفل الصفا
فدققت واخذني رجلان بعضدي حتى دنوت من النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارسلوه فارسلوني فجلست بين يديه فاخذ
بمجامع ثيابي فجذبني اليه ثم قال اسلم يا ابن الخطاب اللهم اهد قلبه فقلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فكبر
المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة وكان الرجل اذا اسلم استخفى ثم خرجت فلم ار رجلا يضرب ويضرب الا اصابني
قال فرفع صوته باعلاه الا ان ابن الخطاب قد صبا فان الناس يضربونه واضربهم فقال خالي ما هذا فقالوا ابن
الخطاب فقام على الحجر فاشار بكمه فقال الا اني قد اجرت ابن اختي قال فانكشف الناس عني قال فما زلت اضرب
واضرب حتى اعز الله الاسلام قال ابن عباس لما اسلم عمر قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد استبشر اهل
السماء باسلام عمر رواه ابن ماجه ولما رات قريش عزة النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه واسلام عمر وعزة اصحابه
بالحبشة وفشو الاسلام في القبائل اجمعوا على ان يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب فجمع بني هاشم
وبني المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن اراد قتله فاجابوه لذلك حتى كافرهم فعلوا
ذلك حمية على عادة الجاهلية فلما رات قريش ذلك اجمعوا وائتمروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني
المطلب لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا ابدا حتى يسلموا
رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة وقيل بغيض بن عامر فشلت يده
وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى ابي طالب
فدخلوا معه في شعبه الا ابا لهب فكان مع قريش فاقاموا على ذلك سنتين او ثلاثا وقال ابن سعد سنتين حتى جهدوا
وكان لا يصل اليهم شيء الا سرا وقدم نفر من مهاجرة الحبشة حين قرا عليه السلام والنجم اذا هوى حتى بلغ
افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في امنيته اي في تلاوته تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى فلما ختم السورة سجد صلى الله عليه وسلم وسجد معه المشركون لتوهمهم انه ذكر الهتهم بخير وفشا ذلك في الناس واظهره
الشيطان حتى بلغ ارض الحبشة ومن بها من المسلمين عثمان بن مظعون واصحابه وتحدثوا ان اهل مكة قد اسلموا كلهم
وصلوا معه صلى الله عليه وسلم وقد امن المسلمون بمكة فاقبلوا سراعا من الحبشة والغرانيق في الاصل الذكور من طير الماء واحدها
غرنوق وغرنيق سمي به لبياضه وقيل هو الكركي والغرنوق ايضا الشاب الابيض الناعم وكانوا يزعمون ان الاصنام تقربهم من الله
وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تعلو في السماء وترتفع ولما تبين للمشركين عدم ذلك رجعوا الى اشد ما كانوا عليه وقد
تكلم القاضي عياض رضي الله عنه في الشفا على هذه القصة وتوهين اصلها بما يشفي ويكفي لكن تعقب في بعضه كما سياتي
ان شاء الله وقال الامام فخر الدين الرازي ما حاصله ان هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها قال الله
تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقال تعالى سنقرئك فلا تنسى وقال البيهقي هذه القصة غير

لعله بضعة وثلاثين

ثابتة من جهة النقل ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعون فيهم وأيضا فقد روى البخاري في صحيحه أنه عليه السلام قرأ سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيه حديث الغرانيق بل روي هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق ولا شك أن من جوّز على الرسول تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم أنه بالقرآن أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان ولو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ويبطل قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته فإنه لا فرق في العقل بين النقصان في الوحي وبين الزيادة فيه فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة وقد قيل إن هذه القصة من وضع الزنادقة لا أصل لها انتهى وليس كذلك بل لها أصل فقد خرجها ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق وكذا ابن مردويه والبزار وابن إسحاق في السيرة وموسى بن عقبة في المغازي وأبو معشر في السير كما نبه عليه الحافظ عماد الدين ابن كثير وغيره لكن قال إن طرقها كلها مرسلة وإنه لم يرها مسندة من وجه صحيح وهذا متعقب بما سيأتي وكذا نبه على ثبوت أصلها شيخ الإسلام والحافظ أبو الفضل العسقلاني فقال أخرج ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طريق عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة والنجم فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى فقال المشركون ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت هذه الآية وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية وأخرجه البزار وابن مردويه من طريق أمية بن خالد عن شعبة فقال في إسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب ثم ساق الحديث وقال البزار لا يروى متصلا إلا بهذا الإسناد تفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور قال وإنما يروى هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس انتهى والكلبي متروك لا يعتمد عليه وكذا أخرجه النحاس بسند آخر فيه الواقدي وذكره ابن إسحاق في السيرة مطولا وأسندها عن محمد بن كعب وكذلك موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب الزهري وكذا أبو معشر في السيرة له عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس وأورده من طريقه الطبري وأورده ابن أبي حاتم من طريق أسباط عن السدي ورواه ابن مردويه من طريق عباد ابن صهيب عن يحيى بن كثير عن الكلبي عن أبي صالح وعن أبي بكر الهذلي وأيوب عن عكرمة وسليمان التيمي عمن حدثه ثلاثتهم عن ابن عباس وأورده الطبري أيضا من طريق العوفي عن ابن عباس ومعناهم كلهم في ذلك واحد وكلها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف وإما منقطع لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلا مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح أحدهما ما أخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فذكر نحوه والثاني ما أخرجه أيضا من طريق المعتمر ابن سليمان وحماد بن سلمة فرقهما عن داود بن أبي هند عن أبي العالية قال الحافظ ابن حجر وقد تجرأ ابن العربي كعادته فقال ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة لا أصل لها وهو إطلاق مردود عليه وكذا قول القاضي عياض هذا الحديث لم يخرجه أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده وكذا قوله ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية قال وقد بين البزار أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره إلا طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذي وقع في وصله وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه ثم رده من طريق النظر بأن ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم قال ولم ينقل ذلك انتهى وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلا وقد ذكرنا أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم أن يزيد في القرآن عمدا ما ليس فيه وكذا سهوا إذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته وقد سلك العلماء في ذلك مسالك فقيل جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة وهو لا يشعر فلما علم بذلك

احكم الله

أحكم الله آياته وهذا أخرجه الطبري عن قتادة ورده القاضي عياض بأنه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم وقيل إن الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بغير اختياره ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان وما كان لي عليكم من سلطان الآية قال فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة على طاعة وقيل إن المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوهم بذلك فعلق ذلك بحفظه صلى الله عليه وسلم فجرى على لسانه لما ذكرهم سهوا وقد رد ذلك القاضي عياض فأجاد وقيل لعله قال ذلك توبيخا للكفار قال القاضي عياض وهذا جائز إذا كانت هناك قرينة تدل على المراد ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزا وإلى هذا نحا الباقلاني وقيل إنه لما وصل إلى قوله ومناة الثالثة الأخرى خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به فبادروا إلى ذلك الكلام فخلطوه في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم على عادتهم في قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك أو المراد بالشيطان شيطان الإنس وقيل المراد بالغرانيق العلا الملائكة وكان الكفار يقولون الملائكة بنات الله ويعبدونها فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله ألكم الذكر وله الأنثى فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع وقالوا قد عظم آلهتنا ورضوا بذلك فنسخ الله تلك الكلمتين وأحكم آياته وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها قال وهذا أحسن الوجوه ويؤيده ما ورد عن ابن عباس من تفسير تمنى بتلا وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل وقال معنى قوله في أمنيته أي في تلاوته فأخبر تعالى في هذه الآية أن سنة الله في رسله إذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا نص في أن الشيطان زاد في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا أن النبي عليه الصلاة والسلام قاله وقد سبق إلى ذلك الطبري مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر فصوب على هذا المعنى انتهى ثم هاجر المسلمون الثانية إلى أرض الحبشة وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلا إن كان عمار ابن ياسر فيهم وثماني عشرة امرأة وكان منهم عبيد الله بن جحش مع امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان فتنصر هناك ثم توفي على دين النصرانية وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان سنة سبع من الهجرة إلى المدينة وهي بالحبشة كما سيأتي إن شاء الله تعالى في المقصد الثاني عند ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه مهاجرا إلى الحبشة حتى بلغ برك الغماد ورجع في جوار سيد القارة مالك بن الدغنة يعبد ربه في داره وابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم ويعجبون منه وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فقالوا لابن الدغنة إنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فأته فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وإن أبى إلا أن يعلن فسله أن يرد إليك ذمتك فإنا قد كرهنا أن نخفرك فقال أبو بكر لابن الدغنة فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله الحديث رواه البخاري ثم قام رجال في نقض الصحيفة فاطلع الله نبيه عليه الصلاة والسلام على أن الأرضة أكلت جميع ما فيها من القطيعة والظلم فلم تدع إلا اسم الله تعالى فقط فقيل أرضته لتمزق ووجدت كما قال عليه الصلاة والسلام وذكر في السنة العاشرة ولما أتت له صلى الله عليه وسلم تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما مات عمه أبو طالب وله سبع وثمانون سنة وقيل مات في النصف من شوال من السنة العاشرة وقال ابن الجزار قبل الهجرة عليه الصلاة والسلام بثلاث سنين وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول له عند موته يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا ابن أخي والله لولا مخافة قريش أني إنما قلتها جزعا من الموت لقلتها لا أقولها إلا لأسرك بها فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه فأصغى إليه بأذنيه فقال يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها فقال صلى الله عليه وسلم لم أسمعه كذا في رواية ابن إسحاق أنه أسلم عند الموت وأجيب بأن شهادة العباس لأبي طالب لو أداها بعدما أسلم كانت مقبولة ولم ترد بقوله عليه السلام لم أسمع لأن الشاهد العدل إذا قال سمعت وقال من هو أعدل منه

رواه البيهقي في الدلائل من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس عن بعض أهله عن ابن عباس فذكره وقال البيهقي منقطع

اسمع اخيه يقول من ابيات الساج ولكن العباس شهد بذلك قبل ان يسلم مع ان الصحيح من الحديث قد اثبت كان ابي طالب الوفاة
على الكفر والشرك كما روينا في صحيح البخاري من حديث سعيد بن المسيب حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم على ملة عبد المطلب وابى ان
يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله ما كان للنبي والذين
امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين وانزل الله في ابي طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وفي الصحيح عن العباس انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابا طالب كان
يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وفي الصحيح
ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه
وفي رواية يونس بن اسحق زيادة فقال يغلي منها دماغه حتى يسيل الى قدميه قال السهيلي من باب النظر في حكمة الله
تعالى ومشاكلة الجزاء للعمل ان ابا طالب كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته متحزبا له الا انه كان مثبتا لقدمه على ملة
عبد المطلب حتى قال عند الموت انا على ملة عبد المطلب فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته اياها على ملة ابائه
ثبتنا الله على الصراط المستقيم وفي شرح التنقيح للقرافي الكفار اربعة اقسام فذكر منها من امن بظاهره وباطنه وكفر بعدم الاذعان
للفروع كما حكي عن ابي طالب انه كان يقول اني لاعلم ان ما يقول ابن اخي لحق ولولا اني اخاف ان تعيرني نساء قريش لاتبعته وفي
شعره يقول لقد علموا ان ابننا لا مكذب يقينا ولا يعزى لقول الاباطل قال فهذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان
غير انه لم يذعن انتهى وحكي عن هشام ابن السائب الكلبي او ابيه انه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش
فاوصاهم فقال يا معشر قريش انتم صفوة الله من خلقه الى ان قال واني اوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في قريش والصديق
في العرب وهو الجامع لكل ما اوصيكم به وقد جاء بامر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنآن وايم الله كاني
انظر الى صعاليك العرب واهل الوبر والاطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا امره
فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا واذا
اعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه احظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واصفت له فؤادها واعطته
قيادها يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد سبيله الا رشد ولا ياخذ احد بهديه الا سعد
ولو كان لنفسي مدة ولاجلي تاخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي ثم هلك ثم بعد ذلك بثلاثة ايام و
قيل بخمسة في رمضان بعد البعث بعشر سنين على الصحيح ماتت خديجة رضي الله عنها وكان عليه السلام يسمي ذلك العام
عام الحزن فيما ذكر صاعد وكانت مدة اقامتها معه عليه السلام خمسا وعشرين سنة على الصحيح ثم بعد ايام من موت خديجة
تزوج عليه السلام بسودة بنت زمعة بمكة ثم خرج عليه السلام الى الطايف بعد موت خديجة بثلاثة اشهر في ليال بقين من
شوال سنة عشر من النبوة لما نال منه قريش بعد موت ابي طالب وكان معه زيد بن حارثة فاقام به شهرا يدعو اشراف
ثقيف الى الله تعالى فلم يجيبوه واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى
اختضب نعلاه بالدماء زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة قعد الى الارض فياخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى
رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في راسه شجاجا وفي البخاري ومسلم من حديث عايشة
انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد من يوم احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة
اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا
بقرن الثعالب فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك
وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره بما شئت فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع
قول قومك وانا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتامرني بامرك ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم

بل

بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا وعبد ياليل بتحتانية وبعدها الف ثم لام مكسورة
ثم تحتانية ساكنة ثم لام ابن عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام آخره لام وكان ابن عبد ياليل من اكابر الطايف من ثقيف و
قرن الثعالب هو ميقات اهل نجد ويقال له قرن المنازل وافاد ابن سعد ان مدة اقامته عليه الصلاة والسلام بالطايف
كانت عشرة ايام ولما انصرف عليه السلام عن اهل الطايف مر في طريقه بعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما في حائط لهما فلما
رآه ما لقي تحركت له رحمهما فبعثا له مع عداس النصراني غلامهما قطف عنب فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده في القطف
قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال له صلى الله عليه وسلم
من اي البلاد انت وما دينك قال نصراني من نينوى فقال عليه السلام من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال وما يدريك
قال ذاك اخي وهو نبي مثلي فاكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها واسلم ولما نزل نخلة وهو موضع على ليلة من مكة
صرف اليه سبعة من جن نصيبين مدينة بالشام وكان عليه السلام قد قام في جوف الليل يصلي فسمعوا له وهو يقرأ
سورة الجن وفي الصحيح ان الذي آذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة الجن شجرة وانهم سالوه الزاد فقال كل عظم ذكر
اسم الله عليه يقع في يد احدكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم وفي هذا رد على من زعم ان الجن لا تاكل ولا تشرب
و ذكر صاحب الروض من اسماء السبعة الذين اتوه عليه السلام عن ابن دريد منشي وناشي وشاصر وماصر والاحقب لم يزد على تسمية
هؤلاء وقال الحافظ ابن كثير ان ابن اسحق جعل خروجه عليه السلام الى اهل الطايف ودعاءه اياهم وانما انصرف عنهم بات بنخلة
فقرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعه الجن من اهل نصيبين قال وهذا صحيح لكن قوله ان الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه
نظر فان الجن كان استماعهم في ابتداء الايحاء ويدل له حديث ابن عباس عند احمد قال كانت الجن يستمعون الوحي فيسمعون
الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما سمعوه حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان احدهم لا ياتي مقعده الا رمي بشهاب يحرق ما اصاب منه فشكوا ذلك الى ابليس فقال
ما هذا الامر الا قد حدث فبث جنوده فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فاخبروه فقال هذا الحدث
الذي حدث في الارض ورواه النسائي وصححه الترمذي قال وخروجه عليه السلام الى الطايف كان بعد موت عمه
وروى ابن ابي شيبة عن عبد الله بن مسعود قال هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه
قالوا انصتوا فانزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الاية فهذا مع رواية ابن عباس
يقتضي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وانما استمعوا قراءته ثم رجعوا الى قومهم ثم
بعد ذلك وفدوا اليه ارسالا قوما بعد قوم وفوجا بعد فوج انتهى وفي طريقه عليه السلام هذه دعا بالدعاء المشهور
اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت ارحم الراحمين انت رب المستضعفين
الى من تكلني الى عدو بعيد يتجهمني ام الى صديق قريب ملكته امري ان لم تكن غضبانا علي فلا ابالي غير ان عافيتك
اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة ان ينزل بي غضبك او يحل بي
سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك اورده ابن اسحاق ورواه الطبراني في كتاب الدعاء عن عبد الله بن
جعفر قال لما توفي ابو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم ماشيا الى الطايف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فاتى ظل
شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم اليك اشكو فذكره وقوله يتجهمني بتقديم الجيم على الهاء اي يلقاني بالغلظة والوجه الكريه
ثم دخل عليه السلام مكة في جوار المطعم بن عدي ولما كان في شهر ربيع الاول اسري بروحه وجسده يقظة من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى ثم عرج به من المسجد الاقصى الى فوق سبع سموات ورأى ربه بعيني رأسه واوحى اليه ما اوحى
وفرض عليه الصلوات الخمس ثم انصرف في ليلته الى مكة فاخبر بذلك فصدقه الصديق وكل من آمن بالله وكذبه الكفار
واستوصفوه مسجد بيت المقدس فمثله الله له فجعل ينظر اليه ويصفه قال الزهري وكان ذلك بعد المبعث بخمس سنين

حكاه عن القاضي عياض ورجحه القرطبي والنووي واحتج بانه لا خلاف ان خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة ولا
خلاف انها توفيت قبل الهجرة اما بثلاث واما بخمس ولا خلاف ان فرض الصلاة كان ليلة الاسراء وتعقب بان موت خديجة
بعد البعث بعشر سنين على الصحيح في رمضان وذلك قبل ان تفرض الصلاة وقيل قبل الهجرة بسنة قاله ابن حزم وادعى
فيه الاجماع وقيل قبل الهجرة بسنة وخمسة اشهر قاله السدي واخرجه من طريقه الطبري والبيهقي فعلى هذا كان في شوال
وقيل كان في رجب حكاه ابن عبد البر وقبله ابن قتيبة وبه جزم النووي في الروضة وقيل كان قبل الهجرة بسنة وثلاثة
اشهر فعلى هذا يكون في ذي الحجة وبه جزم ابن فارس وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين ذكره ابن الاثير وقال الحربي انه كان
في ثالث عشري ربيع الاخر وكذا قال النووي في فتاويه لكن قال في شرح مسلم في ربيع الاول واما اليوم الذي يسفر
عن ليلتها فقيل الجمعة وقيل السبت وعن ابن دحية يكون ان شاء الله يوم الاثنين ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة
فان هذه اطوار الانتقالات وجودا ونبوة ومعراجا وهجرة ووفاة وسياتي ان شاء الله تعالى قصة الاسرا والمعراج
وما فيها من المباحث والله الموفق والمعين ولما اراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز موعده له خرج
صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه الانصار الاوس والخزرج فعرض صلى الله عليه وسلم نفسه على قبايل العرب كما
كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيرا فقال لهم من انتم قالوا نفر
من الخزرج قال افلا تجلسون اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القران وكان
من صنع الله لهم ان اليهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا اهل كتاب وكان الاوس والخزرج اكثر منهم وكانوا اذا كان
بينهم شي قالوا ان نبيا سيبعث الان قد اظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه فلما كلمهم النبي صلى الله عليه وسلم عرفوا النعت
فقال بعضهم لبعض لا يسبقنا اليهود اليه فاجابوه الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام
فاسلم منهم ستة نفر وكلهم من الخزرج وهم ابو امامة اسعد بن زرارة وعوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفرا ورافع بن مالك
ابن العجلان وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله بن رئاب وليس بجابر بن عبد الله بن عمرو بن
حرام وعد اهل العلم بالسير منهم عبادة بن الصامت واسقط جابر بن رئاب فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهري
حتى ابلغ رسالة ربي فقالوا يا رسول الله انما كانت بعاث عام الاول يوم من ايامنا اقتتلنا به فان تقدم ونحن كذا لا
يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى عشايرنا لعل الله يصلح ذات بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله ان يجمعهم
عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا احد اعز منك وموعدك الموسم العام القابل وانصرفوا الى المدينة ولم
يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلا وفي
الاكليل احد عشر وهي العقبة الثانية منهم خمسة من الستة المذكورين وهم ابو امامة وعوف بن عفرا ورافع ابن مالك وقطبة
ابن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي ولم يكن فيهم جابر بن عبد الله بن رئاب لم يحضرها والسبعة تتمة الاثني عشر
هم معاذ بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفرا اخو عوف المذكور وذكوان بن عبد قيس الزرقي وقيل انه رحل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فسكنها معه فهو مهاجري انصاري قتل يوم احد وعبادة ابن الصامت ابن قيس وابو عبد
الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوي والعباس بن عبادة بن نضلة وهولاء من الخزرج ومن الاوس رجلان ابو الهيثم ابن التيهان من
بني عبد الاشهل وعويم بن ساعدة فاسلموا وبايعوا على بيعة النساء اي وفق بيعتهن التي نزلت بعد ذلك عند
فتح مكة وهي ان لا نشرك بالله شيا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل اولادنا ولا ناتي ببهتان نفتريه بين ايدينا وارجلنا
ولا نعصيه في معروف والسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره واثرة علينا وان لا ننازع الامر اهله وان نقول
الحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم قال عليه الصلاة والسلام فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشي من ذلك شيا كان امره
الى الله ان شا عذبه وان شا عفا عنه ولم يفرض يوميذ القتال ثم انصرفوا الى المدينة فاظهر الله الاسلام وكان اسعد

بن

ابن زرارة يجمع بالمدينة بمن اسلم وكتبت الاوس والخزرج الى النبي صلى الله عليه وسلم ابعث الينا من يقرينا القران فبعث اليهم مصعب
ابن عمير وروى الدارقطني عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير ان يجمع بهم الحديث وكانوا اربعين رجلا
فاسلم على يديه خلق كثير من الانصار واسلم في جماعتهم سعد بن معاذ واسيد بن حضير واسلم باسلامهم جميع بني عبد
الاشهل في يوم واحد الرجال والنسا ولم يبق منهم احد الا اسلم خلا الاصيرم وهو عمرو بن ثابت ابن وقش فانه تاخر اسلامه
الى يوم احد فاسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة واخبر صلى الله عليه وسلم انه من اهل الجنة ولم يكن في بني عبد الاشهل منافق ولا
منافقة بل كانوا كلهم حنفا مخلصين رضي الله عنهم ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في العقبة الثالثة في العام المقبل
في ذي الحجة اوسط ايام التشريق منهم سبعون رجلا وقال سعد يزيدون رجلا او رجلين وامراتان وقال ابن اسحاق ثلثة وسبعون
وامراتان وقال الحاكم خمسة وسبعون نفسا وكان اول من ضرب على يده عليه السلام البرا بن معرور ويقال ابو الهيثم
ويقال اسعد بن زرارة على انهم يمنعونه مما يمنعون منه نساهم وابناهم وعلى حرب الاحمر والاسود وكانت اول اية نزلت في الاذن
بالقتال اذن للذين يقاتلون الاية وفي الاكليل ان الله اشترى من المومنين الاية ونقب عليهم اثني عشر نقيبا وفي حديث جابر
عند احمد باسناد حسن وصححه الحاكم وابن حبان مكث عليه الصلاة والسلام عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في المواسم بمنى وغيرها
يقول من يوويني من ينصرني حتى ابلغ رسالة ربي وله الجنة حتى بعثنا الله من يثرب فذكر الحديث وفيه وعلى ان تنصروني اذا قدمت
عليكم يثرب فتمنعوني مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناكم ولكم الجنة الحديث وحضر العباس العقبة تلك الليلة متوثقا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤكدا على اهل يثرب وكان يوميذ على دين قومه قال ابن اسحاق ولما تمت بيعة هولاء
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانت سرا عن كفار قريش امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه بالهجرة
الى المدينة فخرجوا ارسالا واقام بمكة ينتظر ان يوذن له في الخروج فكان اول من هاجر من مكة الى المدينة ابو سلمة ابن عبد
الاسد قبل بيعة العقبة بسنة قدم من الحبشة لمكة فاذاه اهلها وبلغه اسلام من اسلم من الانصار فخرج اليهم ثم عامر بن ربيعة
وامراته ليلى ثم عبد الله بن جحش ثم المسلمون ارسالا ثم عمر بن الخطاب واخوه زيد وعياش بن ربيعة في عشرين راكبا فقدموا
المدينة فنزلوا في العوالي ثم خرج عثمان ابن عفان حتى لم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا علي بن ابي طالب وابو بكر كذا قال
ابن اسحاق قال مغلطاي وفيه نظر لما ياتي بعد وكان الصديق كثيرا ما يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الهجرة فيقول لا تعجل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فيطمع ابو بكر ان يكون هو ثم اجتمع قريش ومعهم ابليس في صورة شيخ نجدي
في دار الندوة دار قصي بن كلاب وكانت قريش لا تقضي امرا الا فيها يتشاورون فيما يصنعون في امره عليه الصلاة والسلام
فاجمع رايهم على قتله وتفرقوا على ذلك فان قيل لم تمثل الشيطان في صورة نجدي فالجواب لانهم قالوا كما ذكره بعض
اهل السير لا يدخلن معكم في المشاورة احد من اهل تهامة لان هواهم مع محمد فلذلك تمثل في صورة نجدي انتهى ثم اتى جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه
حتى ينام فيثبوا عليه فامر عليه السلام عليا فنام مكانه وغطي ببرد اخضر فكان اول من شرى نفسه وفي ذلك يقول

وقيت بنفسي خير من وطي الثرى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول اله خاف ان يمكروا به ... فنجاه ذو الطول الاله من المكر

ثم خرج صلى الله عليه وسلم وقد اخذ الله على ابصارهم فلم يره احد منهم ونثر
على روسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله تعالى فاغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف عليه السلام حيث
اراد فاتاهم ات ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ما ترك منكم
رجلا الا وضع على راسه ترابا وانطلق لحاجته افما ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على راسه فاذا عليه تراب وفي
رواية ابي حاتم مما صححه الحاكم من حديث ابن عباس فما اصاب رجلا منهم حصاة الا قتل يوم بدر كافرا وفي هذا نزل قوله تعالى
واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية ثم اذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة قال

ابن عباس بقوله تعالى رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اخرجه الترمذي وصححه الحاكم **فان قلت** ما الحكمة في هجرته عليه السلام الى المدينة واقامته بها الى ان انتقل الى ربه عز وجل **اجيب** بان حكمة الله تعالى قد مضت انه عليه السلام صار تتشرف به الاشيا كلها لا يتشرف بها فلو بقي عليه السلام في مكة الى انتقاله الى ربه لكان يتوهم انه تشرف بمكة اذ انها شرفت قد سبق بالخليل واسمعيل فاراد الله ان يظهر شرفه عليه السلام فامر بالهجرة الى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت به حتى وقع الاجماع على ان افضل البقاع الموضع الذي ضم اعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه عليه وذكر الحاكم ان خروجه عليه السلام كان بعد بيعة العقبة بثلاثة اشهر او قريبا منها وجزم ابن اسحق انه خرج اول يوم من ربيع الاول فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوما وكذا جزم الاموي في المغازي عن ابن اسحق فقال كان مخرجه من مكة بعد العقبة بشهرين وليال قال فخرج لهلال ربيع الاول وقدم المدينة لاثنتي عشرة خلت من ربيع قال في فتح الباري وعلى هذا خرج يوم الخميس وقال الحاكم تواترت الاخبار ان خروجه يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين الا ان محمد بن موسى الخوارزمي قال انه خرج من مكة يوم الخميس ويجمع بينهما بان خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لانه اقام فيه ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وخرج اثناء ليلة الاثنين وكانت مدة مقامه بمكة من حين النبوة الى ذلك الوقت بضع عشرة سنة ويدل عليه قول صرمة ٠

ثوى في قريش بضع عشرة حجة ٠ يذكر لو يلقى صديقا مواتيا ٠

وقيل غير ذلك وامره جبريل ان يستصحب ابا بكر واخبر عليه السلام عليا بخروجه وامره ان يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس قال ابن شهاب قال عروة قالت عايشة فبينما نحن جلوس يوما في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة قال قايل لابي بكر هذا رسول الله متقنعا في ساعة لم يكن ياتينا فيها قال ابو بكر فدا له ابي وامي والله ما جاء به في هذه الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابي انت وامي يا رسول الله قال السهيلي وذكر ان عايشة قد كانت اكبر ابو ها منه عليه الصلاة والسلام قبل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انه قد اذن لي في الخروج فقال ابو بكر الصحبة بابي انت وامي يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم فقال ابو بكر فخذ بابي انت وامي يا رسول الله احدى راحلتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن **فان قلت** لم لم يقبلها الا بالثمن وقد انفق عليه ابو بكر من ماله ما هو اكثر من هذا فقبل **اجيب** بانه انما فعل ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام في استكمال فضل الهجرة الى الله تعالى وان تكون على اتم الاحوال انتهى قالت عايشة فجهزناهما احث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت اسما بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب فبذلك سميت بذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار بثور جبل باسفل مكة وكان من قوله عليه الصلاة والسلام حين خرج من مكة لما وقف على الحزورة ونظر الى البيت فقال والله انك لاحب ارض الله الي وانك لاحب ارض الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك ما خرجت وهذا من اصح ما يحتج به في تفضيل مكة على المدينة ولم يعلم بخروجه عليه السلام الا علي وال ابي بكر وروي انهما خرجا من خوخة لابي بكر في ظهر بيته ليلا الى الغار وعما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافلة اثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور اثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده ولله در الشيخ شرف الدين الابوصيري حيث قال ٠

ويح قوم جفوا نبيا بارض ٠ الفته ضبابها والظباء ٠

وسلوه وحن جذع اليه ٠ وقلوه وودّه الغرباء ٠

اخرجوه منها وآواه غار ٠ وحمته حمامة ورقاء ٠

وكفته بنسجها عنكبوت ٠ ما كفته الحمامة الحصداء ٠

ونعال شجرة حصداء اي كثيرة الورق فكانه استعار للحمامة لكثرة ريشها و ذكر قاسم بن ثابت في الدلائل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وابو بكر معه انبت الله على بابه الراءة وهي شجرة معروفة وهي ام غيلان تحجب عن الغار اعين الكفار وعن ابي حنيفة تكون مثل قامة الانسان لها خيطان وزهر ابيض تحشى به المخاد فيكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن وفي مسند البزار ان الله عز وجل امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل تلك الحمامتين ثم اقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له ما لك قال رايت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد وقال آخر ادخلوا الغار فقال امية بن خلف وما اربكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وقد روى ان الحمامتين باضتا في اسفل النقب ونسج العنكبوت فقالوا لو دخلا لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت وهذا ابلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فتامل كيف اظلت الشجرة المطلوب واضلت الطالب وجاءت العنكبوت فسدت باب الطلب وجالت وجه المكان فحاكت ثوب نسجها فحاكت سترا حتى عمي على القايف الطلب ولقد حصل للعنكبوت الشرف بذلك وما احسن قول ابن النقيب ٠

ودود القز ان نسجت حريرا ٠ يجمل لبسه في كل شيء ٠

فان العنكبوت اجل منها ٠ بما نسجت على راس النبي ٠

وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم ابصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وهذا يشير اليه قول صاحب البردة ٠

اقسمت بالقمر المنشق ان له ٠ من قلبه نسبة مبرورة القسم ٠

وما حوى الغار من خير ومن كرم ٠ وكل طرف من الكفار عنه عمي ٠

فالصدق في الغار والصديق لم يرما ٠ وهم يقولون ما بالغار من ارم ٠

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على ٠ خير البرية لم تنسج ولم تحم ٠

وقاية الله اغنت عن مضاعفة ٠ من الدروع وعن عال من الاطم ٠

اي عموا عما في الغار ومع خلق الله تعالى ذلك فيهم لانهم ظنوا ان الحمام لا يحوم حوله عليه السلام وان العنكبوت لا تنسج عليه لما جرت به العادة من ان هذين الحيوانين متوحشان لا يالفان معمورا فيما احسه الانسان من ان ما حوله مامن وما علموا ان الله تعالى يسخر ما شاء من خلقه لمن شاء من عباده وان وقاية الله عبده بما شاء تغني عبده عن التحصن بمضاعفة من الدروع وعن التحصن بالعالي من الاطم وهي الحصون فلله در الابوصيري من شاعر بليغ وما احسن قوله في قصيدته اللامية حيث قال ٠

واعيذنا حين نحو الغار وصحبه ٠ كمثل قلبي معمور وماهول ٠

كانما المصطفى فيه وصاحبه الـ ٠ صديق ليثان قد آواهما غيل ٠

وجلل الغار نسج العنكبوت على ٠ وهن فيا حبذا نسج وتجليل ٠

عناية ضل كيد المشركين بها ٠ وما مكايدهم الا الاضاليل ٠

اذ ينظرون وهم لا يبصرونهما ٠ كان ابصارهم من زيغها حول ٠

وفي الصحيح عن انس قال ابو بكر يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال له صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وروي عن ابي بكر قال نظرت الى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وقد تقطرتا دما فاستبكيت وعلمت انه عليه السلام لم يكن تعود الحفا والجفوة رواه ن وروي ايضا ان ابا بكر دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه وانه راى جحرا فيه فالقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت الحيات والافاعي يضربنه ويلسعنه فجعلت دموعه تنحدر وفي رواية فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع راسه في حجر ابي بكر ونام فلدغ ابو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا ابا بكر قال لدغت فداك ابي وامي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده رواه رزين وروي ايضا ان ابا بكر

بارك الغار فقد اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت فانا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة
فعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعني بالمعونة والنصر فانزل الله سكينته وهي امنة تسكن
عندها القلوب على ابي بكر لانه كان منزعجا وايده يعني النبي صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعني الملائكة ليحرسوه في الغار
او ليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رؤيته انظر الى الرسول لحزن الصديق قد اشتد لكن لا على نفسه قوى قلبه بشان
لا تحزن ان الله معنا كانت تحفة ثاني اثنين مدخرة له دون الجميع فهو الثاني في الاسلام والثاني في بذل النفس والعمر وسبب
الموت لما وقى الرسول عليه السلام بماله ونفسه ، جوزي بمواراته معه في رمسه ، وقام مؤذن التشريف ينادي على
منابر الامصار بثاني اثنين اذ هما في الغار ولقد احسن حسان حيث قال ، وثاني اثنين في الغار المنيف وقد
طاف العدو به اذ صاعد الجبلا ، وكان حب رسول الله قد علموا ، من الخلائق لم يعدل به بدلا ،
واخرج ابو نعيم في الحلية عن عطاء بن ميسرة قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود حين كان طالوت يطلبه
ومرة على النبي صلى الله عليه وسلم في الغار وكان مكثه صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاث ليال وقيل بضعة عشر يوما
والاول هو المشهور وكان يبيت عندهما عبد الله ابن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف اي ثابت المعرفة بما يحتاج اليه فيدلج
من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر من ذلك اليوم
حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر ابن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء
فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر عبد الله بن الاريقط دليلا وهو على دين كفار قريش ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار
ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما براحلتيهما صبح ثلاث فانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فاخذ بهم على طريق
السواحل فمروا بقديد على ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي
وتطعم وكان القوم مرملين مسنتين فطلبوا لبنا ولحما يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت هي اجهد من ذلك فقال
اتاذنين لي ان احلبها قالت نعم بابي انت وامي ان رايت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت
ودرت ودعا باناء يربض الرهط اي يشبع الجماعة حتى يربضوا فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا وشرب اخرهم ثم حلبت
فيه مرة اخرى عللا بعد نهل ثم غادره عندها وذهبوا فقل ما لبثت حتى جاء زوجها ابو معبد قال السهيلي لا يعرف
اسمه وقال العسكري اسمه اكثم ابن ابي الجون ويقال ابن الجون يسوق اعنزا عجافا تساوكن هزلا مخهن قليل فلما راى
ابو معبد اللبن عجب وقال ما هذا يا ام معبد انى لك هذا والشاء عازب حيال ولا حلوب في البيت قالت
لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا فقال صفيه يا ام معبد فقالت رايت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه
حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة وسيم قسيم في عينيه دعج وفي اشفاره وطف وفي صوته صحل احور اكحل ازج
اقرن شديد سواد الشعر في عنقه سطع وفي لحيته كثاثة اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البهاء وكان
منطقه خرزات نظم يتحدرن حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر اجهر الناس واجمله من بعيد واحلاه واحسنه من قريب
ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو انضر الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا له رفقاء
يحفون به اذا قال استمعوا لقوله وان امر تبادروا الى امره محفود محشود لا عابس ولا مفند فقال هذا والله
صاحب قريش لو رايته لاتبعته قالت اسماء بنت ابي بكر ولما خفي علينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش
فيهم ابو جهل بن هشام فخرجت اليهم فقالوا اين ابوك فقلت والله لا ادري اين ابي قالت فرفع ابو جهل يده وكان
فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة خرج منها قرطي قالت ثم انصرفوا ولما لم ندر اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم

اي

اي رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه وهو ينشد هذه الابيات ،

جزى الله رب الناس خير جزائه ، رفيقين حلا خيمتي ام معبد ،
هما نزلا بالبر ثم ترحلا ، فافلح من امسى رفيق محمد ،
فيا لقصي ما زوى الله عنكم ، به من فعال لا تجارى وسودد ،
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ، ومقعدها للمؤمنين بمرصد ،
سلوا اختكم عن شاتها وانائها ، فانكم ان تسالوا الشاة تشهد ،

فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه صلى الله عليه وسلم رواه الحاكم والطبراني وقوله مرملين اي نفد زادهم ومسنتين
اي مجدبين ويروى مشتين اي داخلين في الشتاء وكسر الخيمة بكسر الكاف وسكون السين جانبها وتفاجت بتشديد الجيم فتحت
ما بين رجليها ويربض الرهط بضم المثناة التحتية وكسر الموحدة اي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الارض من ربض
في المكان يربض اذا لصق به واقام والثج السيلان وفي رواية فحلب ثجا حتى علاه الثمال بضم المثلثة الرغوة واحدته ثمالة و
البهاء اي بهاء اللبن وهو وبيص رغوته وتساوكن هزلا اي تمايلن ويروى تشاركن من المشاركة اي تساوين في الهزال
وعازب ابعاده والشاء عازب اي بعيدة المرعى والابلج بالجيم المشرق الوجه المضيئه والصعلة بفتح الصاد صغر الراس
والحيال بكسر الحاء المهملة جمع حائل وهي التي ليس بها حمل والوضاءة الحسن والثجلة بفتح الثاء المثلثة وسكون الجيم عظم
البطن ويروى بالنون والحاء اي نحول ودقة والصعلة بفتح الصاد صغر الراس وهي ايضا الدقة والنحول في البدن
والوسيم الحسن وكذلك القسيم وفي عينيه دعج اي سواد والوطف قال في القاموس محركة كثرة شعر الحاجبين والعينين و
في صوته صحل بالتحريك هو كالبحة بضم الموحدة وان لا يكون حاد الصوت واحور قال في القاموس الحور بالتحريك ان يشتد
بياض بياض العين وسواد سوادها والكحل محركة سواد في اجفان العين خلقة والرجل اكحل وكحيل والازج الدقيق
طرف الحاجبين وفي القاموس والزجج محركة دقة الحاجبين في طول والاقرن المقرون الحاجبين وفي عنقه سطع بفتحتين
اي ارتفاع وطول وفي لحيته كثاثة بمثلثتين الكثاثة في اللحية ان تكون غير دقيقة ولا طويلة وفيها كثافة يقال رجل
كث اللحية بالفتح وقوم كث بالضم واذا تكلم سما وعلاه البهاء اي ارتفع وعلا على جلسائه وفصل بالصاد المهملة
اي لا نزر قليل المنطق ولا هذر بفتحها اي بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل ولا تشنؤه من طول كذا جاء في رواية
اي لا يبغض لفرط طوله ويروى لا يتشنى من طوله ابدل من الهمزة ياء يقال تشنيته اشنؤه شنأ وشنانا قاله ابن
الاثير ولا تقتحمه عين من قصر اي لا تتجاوزه الى غيره احتقارا له وكل شي ازدريته فقد اقتحمته ومحفود اي مخدوم
والمحشود الذي عنده حشد وهم الجماعة ولا عابس من عبوس الوجه والمفند الذي يكثر اللوم وهو التفنيد
والطرة لمة الفرع وغادرها اي خلف الشاة عندها مرتهنة بان تدر واخرج ابن سعد
وابو نعيم من طريق الواقدي حدثني حزام ابن هشام عن ابيه عن ام معبد قالت بقيت الشاة التي لمس عليه السلام
ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة زمان عمر بن الخطاب وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا وما في الارض قليل
ولا كثير ثم تعرض لهما بقديد سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي فبكى ابو بكر وقال يا رسول الله اتينا قال
كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات فساخت قوائم فرسه وطلب الامان فقال اعلم ان قد دعوتما علي
فادعوا لي ولكما ان ارد الناس عنكما ولا اضركما قال فوقف لي فركبت فرسي حتى جئتهما قال ووقع في نفسي
حين لقيت ما لقيت ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد بهما الناس وعرضت عليهما
الزاد والمتاع فلم يرزآني ومر صلى الله عليه وسلم في وجهه ذلك بعبد يرعى غنما فكان من شانه ما رويناه
من طريق البيهقي بسنده عن قيس بن النعمان قال فلما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر مستخفين مرا بعبد يرعى

عندنا فاستسقياه اللبن فقال ما عندي شاة تحلب غير ان ههنا عناقا حملت عام اول وما بقي لها لبن فقال ادع بها
فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى انزلت وجاء ابو بكر بمجن فحلب فسقى ابا بكر ثم حلب فسقى الراعي
ثم حلب فشرب فقال الراعي بالله من انت فوالله ما رايت مثلك قال او تراك تكتم علي حتى اخبرك قال نعم قال
فاني محمد رسول الله فقال انت الذي تزعم قريش انه صابئ قال انهم ليقولون ذلك قال فاشهد انك نبي وان ما
جئت به حق وانه لا يفعل ما فعلت الا نبي وانا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك اني قد ظهرت
فاتنا قال الحافظ مغلطاي بعد ذكره لقصة ام معبد وفي الاكليل قصة اخرى شبيهة بقصة ام معبد
قال الحاكم فلا ادري اهي هي ام غيرها ولما سمع المسلمون بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة
وكانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما اطالوا انتظارهم
فلما اووا الى بيوتهم اوفى رجل من يهود على اطم من اطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي نفسه فنادى باعلى صوته يا بني قيلة هذا جدكم اي حظكم ومطلوبكم قد اقبل فخرجوا اليه بنو قيلة وهم الاوس والخزرج سراعا بسلاحهم فتلقوه فنزل بقباء على بني عمرو بن
عوف الحديث رواه البخاري وفيه ان ابا بكر قام للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار
ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه
فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وظاهر هذا انه عليه السلام كانت الشمس تصيبه وما تقدم من تظليل
الغمام والملك له قبل البعثة كما هو صريح في موضعه قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب وكان قدومه عليه السلام لهلال
ربيع الاول اي اول يوم منه وفي رواية جرير بن حازم عن ابن اسحاق قدمها لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول ونحوه
عند ابي معشر لكن قال ليلة الاثنين وعن ابن سعد قدمها لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وفي شرف المصطفى من طريق
ابي بكر بن حزم قدم لثلاث عشرة من ربيع الاول وهذا يجمع بينه وبين الذي قبله بالحمل على الاختلاف في رؤية الهلال
وقيل كان حين اشتد الضحى يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة منه وبه جزم النووي في كتاب السير من الروضة وقال
ابن الكلبي خرج من الغار يوم الاثنين اول يوم من ربيع الاول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة منه وقيل لليلتين
منه وعند البيهقي اثنين وعشرين ليلة وقال ابن حزم خرج من مكة وقد بقي من صفر ثلاث ليال واقام علي بمكة
بعد مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام ثم ادركه بقباء يوم الاثنين سابع وقيل ثامن عشر ربيع وكانت مدة مقامه
مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة او ليلتين وامر صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة وقيل ان عمر اول من ارخ
وجعله من المحرم واقام عليه السلام بقباء في بني عمرو بن عوف اثنتين وعشرين ليلة وفي صحيح مسلم اقام فيهم اربع عشرة
ليلة ويقال انه اقام يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجد قباء الذي اسس على التقوى على الصحيح
وهو اول مسجد بني في الاسلام واول مسجد صلى فيه عليه الصلاة والسلام باصحابه جماعة ظاهرا واول
مسجد بني لجماعة المسلمين عامة وان كان قد تقدم بناء غيره من المساجد لكن لخصوص الذي بناه ثم خرج عليه السلام
من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار فادركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وهم مائة
في بطن وادي رانوناء براء مهملة ونونين ممدود كعاشوراء وتاسوعاء واسم المسجد الغبيب بضم الغين المعجمة تصغير غب
كما ضبطه صاحب المغانم المطابة والوادي ذي صلب ولذا سمي مسجد الجمعة وهو مسجد صغير مبني بحجارة قدر نصف القامة
وهو على يمين السالك الى مسجد قباء ومر في طريقه صلى الله عليه وسلم على راحلته بعد الجمعة متوجها الى المدينة وروى انس بن
مالك انه صلى الله عليه وسلم اقبل الى المدينة وهو مردف ابا بكر وابو بكر شيخ يعرف والنبي صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف قال
فيلقى الرجل ابا بكر فيقول يا ابا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك قال فيقول هذا الرجل يهديني السبيل قال فيحسب

الحاسب

الحاسب انه انما يعني الطريق وانما يعني سبيل الخير الحديث رواه البخاري وقد روى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم قال لابي
بكر الهِ عني الناس فكان اذا سئل من انت قال باغي حاجة فاذا قيل من هذا معك قال هذا يهديني السبيل وفي حديث الطبراني من رواية
اسماء فكان ابو بكر رجلا معروفا في الناس فاذا لقيه لاق يقول لابي بكر من هذا معك فيقول هذا يهديني يريد الهداية في الدين
ويحسبه الاخر دليلا وانما كان ابو بكر معروفا لاهل المدينة لانه مر عليهم في سفره للتجارة وكان صلى الله عليه وسلم اشيب
وكان عليه السلام اسن من ابي بكر الصديق وفي حديث انس لم يكن في الذين هاجروا اشمط غير ابي بكر وكان عليه السلام كلما مر على
دار من دور الانصار يدعونه الى المقام عندهم يا رسول الله هلم الى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها يعني ناقته فانها مامورة
وقد ارخى زمامها وما يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا حتى اذا اتت دار مالك بن النجار بركت على باب المسجد وهو يومئذ مربد لسهل
وسهيل ابني رافع بن عمرو وهما يتيمان في حجر معاذ بن عفراء وقال اسعد بن زرارة [illegible] ثم ثارت وهو صلى الله عليه
وسلم عليها حتى بركت على باب ابي ايوب الانصاري ثم ثارت منه وبركت في مبركها الاول والقت جرانها بالارض يعني
باطن عنقها او مقدمه من المذبح وارزمت يعني صوتت من غير ان تفتح فاها ونزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل
ان شاء الله واحتمل ابو ايوب رحله وادخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بني النجار اوسط دور الانصار وافضلها
وهم اخوال عبد المطلب جده عليه السلام وفي حديث ابي ايوب الانصاري عند يوسف بن يعقوب في كتاب الذكر والدعاء له
قال نزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكنت في العلو فلما خلوت الى ام ايوب قلت لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم احق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحي فما بت تلك الليلة انا ولا ام ايوب فلما اصبحت قلت
يا رسول الله ما بت الليلة انا ولا ام ايوب قال لم يا ابا ايوب قلت كنت احق بالعلو منا ينزل عليك الملائكة وينزل
عليك الوحي لا والذي بعثك بالحق لا اعلو سقيفة انت تحتها ابدا الحديث ورواه الحاكم ايضا وقد ذكر ان هذا
البيت الذي لابي ايوب بناه له تبع الاول لما مر بالمدينة وترك فيها اربعمائة عالم وكتب كتابا للنبي صلى الله عليه وسلم
ودفعه الى كبيرهم وسأله ان يدفعه للنبي صلى الله عليه وسلم فتداول الدار الملاك الى ان صارت لابي ايوب وهو من ولد
ذلك العالم قال واهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة والسلام من ولد اولئك العلماء فعلى هذا انما نزل في منزل
نفسه لا منزل غيره كذا حكاه في تحقيق النصرة وفرح اهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم واشرقت المدينة بحلوله
فيها وسرى السرور الى القلوب فقال انس بن مالك لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
اضاء منها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير عند قدومه يقلن طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع قلت انشاد هذا الشعر عند قدومه عليه السلام المدينة رواه البيهقي
في الدلائل وابو الحسن ابن المقرئ في كتاب الشمائل له عن ابن عائشة وذكره الطبري في الرياض عن ابن الفضل
الجمحي قال سمعت ابن عائشة يقول اراه عن ابيه فذكره وقال خرجه الحلواني على شرط الشيخين انتهى وسميت
ثنية الوداع لانه عليه السلام ودعه بها بعض المقيمين بالمدينة في بعض اسفاره وقيل لانه عليه السلام شيع اليها
بعض سراياه فودعه عندها وقيل لان المسافر من المدينة كان يشيع اليها ويودع عندها قديما وصحح
القاضي عياض هذا الاخير واستدل عليه بقول نساء الانصار حين مقدمه عليه السلام طلع البدر علينا من ثنيات
الوداع فدل على انه اسم قديم وقال ابن بطال انما سميت ثنية الوداع لانهم كانوا يشيعون الحاج والغزاة
اليها ويودعونهم عندها واليها كانوا يخرجون عند التلقي انتهى قال شيخ الاسلام الولي ابن العراقي وهذا
كله مردود ففي صحيح البخاري وسنن ابي داود والترمذي عن السائب بن يزيد قال لما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم من تبوك خرج الناس يتلقونه من ثنية الوداع قال وهذا صريح في انها من جهة الشام ولهذا لما نقل
والدي رحمه الله في شرح الترمذي كلام ابن بطال قال انه وهم قال وكلام ابن عائشة معضل لا تقوم به حجة انتهى

وسبقه الى ذلك ابن القيم في الهدي النبوي فقال هذا وهم من بعض الرواة لان ثنية الوداع انما هي من ناحية الشام
لا يراها القادم من مكة ولا يمر بها الا اذا توجه الى الشام وانما وقع ذلك عند قدومه من تبوك انتهى قال ابن العراقي ايضا
ويحتمل ان تكون الثنية التي من كل جهة يصل اليها المشيعون يسمونها ثنية الوداع انتهى وفي شرف المصطفى واخرجه البيهقي
عن انس لما بركت الناقة على باب ابي ايوب خرج جوار من بني النجار يضربن بالدفوف يقلن نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد
من جار فقال صلى الله عليه وسلم اتحببنني قلن نعم يا رسول الله وفي رواية الطبراني في الصغير فقال عليه السلام الله يعلم
ان قلبي يحبكم وقال الطريق وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون جاء محمد جاء رسول الله ووعك ابو بكر وبلال
فكان ابو بكر اذا اخذته الحمى يقول ۞ كل امرئ مصبح في اهله ۞ والموت ادنى من شراك نعله ۞
وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول ۞ الا ليت شعري هل ابيتن ليلة ۞ بواد وحولي اذخر وجليل ۞
وهل اردن يوما مياه مجنة ۞ وهل يبدون لي شامة وطفيل ۞ اللهم العن شيبة بن ربيعة وامية بن خلف
كما اخرجونا من ارضنا الى ارض الوباء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد اللهم بارك
لنا في صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة قالت يعني عائشة وقدمنا المدينة وهي اوبأ ارض الله فكان بطحان
يجري نجلا تعني ماء آجنا وقال عمر بن الخطاب اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك رواه البخاري و
قوله رفع عقيرته اي صوته لان العقير هو الساق كان الذي قطعت به رجله رفعها وصاح ثم قيل لكل من صاح ذلك قاله
الجوهري وشامة وطفيل عينان بقرب مكة والمراد بالوادي وادي مكة والجليل نبت ضعيف واقام صلى الله عليه
وسلم عند ابي ايوب سبعة اشهر وقيل الى صفر من السنة الثانية وقال الدولابي شهرا وكان يصلي حيث ادركته الصلاة
ولما اراد عليه السلام بناء المسجد الشريف قال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم قالوا لا نطلب ثمنه الا
الى الله فابى فابتاعها بعشرة دنانير اداها من مال ابي بكر رضي الله عنه وكان قد خرج من مكة بماله كله قال انس
وكان في موضع المسجد نخل وحرث ومقابر مشركين فامر بالقبور فنبشت وبالحرث فسويت وبالنخل فقطعت
[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر باتخاذ اللبن فاتخذ وبنى المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده خشب النخل وعمل فيه المسلمون
وكان عمار ينقل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام للناس اجر ولك اجران وآخر زادك
من الدنيا شربة لبن وتقتلك الفئة الباغية وروينا انه صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم اللبن في ثيابه ويقول وهو
ينقل ۞ هذا الحمال لا حمال خيبر ۞ هذا ابر ربنا واطهر ۞ اللهم ان الاجر اجر الاخرة ۞
فارحم الانصار والمهاجرة ۞ قال ابن شهاب ولم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا
انتهى وقد قيل ان الممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انشاء الشعر لا انشاده ولا دليل على منع انشاده متمثلا وقوله
هذا الحمال بكسر الحاء المهملة وتخفيف الميم اي المحمول من اللبن ابر عند الله من حمال خيبر اي التي يحمل منها من التمر والزبيب
ونحو ذلك وفي رواية المستملي بالجيم انتهى وفي كتاب تحقيق النصرة قيل ووضع عليه السلام رداءه فوضع الناس ارديتهم وهم
يقولون ۞ لئن قعدنا والنبي يعمل ۞ لذاك منا العمل المضلل ۞ واخرون يقولون ۞ لا يستوي من يعمر المساجدا ۞
يدأب فيها قائما وقاعدا ۞ ومن يرى عن التراب حائدا ۞ وجعلت قبلة المسجد للقدس وجعل له ثلاثة ابواب
باب في مؤخره وباب يقال له باب الرحمة والباب الذي يدخل منه وجعل طوله مما يلي القبلة الى مؤخره مائة ذراع
وفي الجانبين مثل ذلك او دونه وجعل اساسه قريبا من ثلاثة اذرع وبنى بيوتا الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل
والجريد فلما فرغ من البناء بنى لعائشة في البيت الذي يليه شارعا الى المسجد وجعل سودة بنت زمعة في البيت الاخر الذي
يليه الى الباب الذي يلي آل عثمان ثم تحول عليه السلام من دار ابي ايوب الى مساكنه التي بناها وكان قد ارسل زيد بن حارثة
وابا رافع مولاه الى مكة فقدما بفاطمة وام كلثوم وسودة بنت زمعة واسامة بن زيد وام ايمن وخرج عبد الله بن
ابي

ابي بكر معهم بعيال ابيه وكان في المسجد موضع مظلل تاوي اليه المساكين يسمى الصفة وكان اهله يسمون اهل الصفة
وكان عليه السلام يدعوهم بالليل فيفرقهم على اصحابه وتتعشى طائفة منهم معه عليه السلام وفي البخاري من حديث
ابي هريرة لقد رايت سبعين من اصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا في اعناقهم
فمنها ما يبلغ نصف الساق ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته وهذا يشعر بانهم كانوا
اكثر من سبعين وهؤلاء الذين رآهم ابو هريرة غير السبعين الذين بعثهم في غزوة بئر معونة وكانوا من اهل الصفة
ايضا لكنهم استشهدوا قبل اسلام ابي هريرة غير السبعين الذين بعثهم [illegible] وقد اعتنى بجمع اصحاب الصفة ابن الاعرابي
والسلمي والحاكم وابو نعيم وعند كل منهم ما ليس عند الاخر وفيما ذكروه اعتراض ومناقشة قاله في فتح الباري وكان
صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة الى جذع في المسجد قائما فقال ان القيام قد شق علي فصنع له المنبر وكان عمله
وحنين الجذع في السنة الثامنة بالميم من الهجرة وسياتي قصة حنين الجذع ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات و
لما كان بعد قدومه بخمسة اشهر آخى عليه السلام بين المهاجرين والانصار وكانوا تسعين رجلا من كل طائفة خمسة واربعون
على الحق والمواساة والتوارث وكانوا كذلك الى ان نزل بعد بدر واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض الاية وبنى بعائشة على
راس تسعة اشهر وقيل ثمانية وقيل ثمانية عشر شهرا في شوال وكان الناس كما في السير وغيرها انما يجتمعون الى الصلاة
لتحين مواقيتها من غير دعوة واخرج ابن سعد في الطبقات من مراسيل سعيد بن المسيب ان بلالا كان ينادي للصلاة بقول
الصلاة جامعة الحديث وشاور صلى الله عليه وسلم اصحابه فيما يجمعهم به للصلاة وكان ذلك فيما قيل في السنة الثانية فقال
بعضهم ناقوس كناقوس النصارى وقال اخرون بوق كبوق اليهود وقال بعضهم بل نوقد نارا ونرفعها فاذا راها
الناس اقبلوا الى الصلاة فرأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه في منامه رجلا فعلمه الاذان والاقامة فلما اصبح اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما راى وفي رواية معاذ بن جبل عند الامام احمد قال يا رسول الله اني رايت فيما يرى النائم
ولو قلت اني لم اكن نائما لصدقت رايت شخصا عليه ثوبان اخضران فاستقبل القبلة فقال الله اكبر الله اكبر مثنى
مثنى حتى فرغ من الاذان الحديث فقال عليه السلام انها لرؤيا حق ان شاء الله قم مع بلال فالق عليه ما رايت فليؤذن
به فانه اندى صوتا منك قال فقمت مع بلال فجعلت القيه عليه ويؤذن قال فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في بيته
فخرج يجر رداءه يقول والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رايت مثل ما ارى وقد وقع في الاوسط للطبراني ان ابا بكر ايضا
راى الاذان وفي الوسيط للغزالي انه رآه بضعة عشر رجلا وعبارة الجيلي في شرح التنبيه اربعة عشر وانكره ابن الصلاح
ثم النووي وفي سيرة مغلطاي انه رآه سبعة من الانصار قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر رحمه الله ولا يثبت شيء من ذلك
الا لعبد الله بن زيد وقصة عمر جاءت في بعض الطرق انتهى قال السهيلي فان قلت ما الحكمة التي خصت الاذان بان يراه
رجل من المسلمين في نومه ولم يكن عن وحي من الله لنبيه كسائر العبادات والاحكام الشرعية وفي قوله عليه السلام انها لرؤيا
حق ثم بنى حكم الاذان عليها وهل كان ذلك عن وحي من الله له ام لا واجاب بانه صلى الله عليه وسلم قد اريه ليلة الاسراء
فروى البزار عن علي لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق
فركبها حتى اتى بها الحجاب الذي يلي الرحمن فبينما هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال يا جبريل من هذا قال والذي
بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر
فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وذكر بقية الاذان قال السهيلي وهذا اقوى من الوحي
فلما تاخر فرض الاذان الى المدينة واراد اعلام الناس بوقت الصلاة تلبث الوحي حتى راى عبد الله الرؤيا فوافقت
ما راى صلى الله عليه وسلم فلذلك قال انها لرؤيا حق ان شاء الله وعلم حينئذ ان مراد الله بما راه في السماء ان يكون سنة
في الارض وقوي ذلك عنده موافقة رؤيا عمر للانصاري انتهى وتعقب بان حديث البزار في اسناده زياد بن

ابن المنذر ابو الحارث و هو متروك وقال في فتح الباري وقد استشكل اثبات حكم الاذان برؤيا عبد الله بن زيد لان رؤيا غير الانبياء لا ينبني عليها حكم شرعي واجيب باحتمال مقارنة الوحي لذلك ويؤيده ما رواه عبد الرزاق وابو داود في المراسيل من طريق عبيد بن عمير الليثي احد كبار التابعين ان عمر لما راى الاذان جاء ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الوحي قد ورد بذلك فما راعه الا اذان بلال فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بذلك الوحي وهذا اصح مما حكى الداودي ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالاذان قبل ان يخبره عبد الله بن زيد وعمر بثمانية ايام وقد عرفت رؤيا عبد الله بن زيد برواية ابن اسحاق وغيره وذكر انه قال طاف بي وانا نائم رجل يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله اتبيع الناقوس قال وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلاة قال افلا ادلك على ما هو خير لك من ذلك فقلت بلى قال تقول الله اكبر الله اكبر وذكر بقية كلمات الاذان قال ثم استاخر عني غير بعيد ثم قال اذا اقمت الى الصلاة فقل الله اكبر الله اكبر الى اخر كلمات الاقامة ورواه ابو داود باسناد صحيح ولم تعرف كيفية رؤيا عمر حين راى النداء وقد قال رايت مثل الذي راى وفي مسند الحارث اول من اذن بالصلاة جبريل اذن في سماء الدنيا فسمعه عمر وبلال فسبق عمر بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بها فقال عليه السلام لبلال سبقك بها عمر وظاهره ان عمر سمع ذلك في اليقظة وقد وردت احاديث تدل على ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة منها للطبراني من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم اوحى الله اليه الاذان فنزل به فعلمه بلالا وفي اسناده طلحة بن زيد وهو متروك ومنها للدارقطني في الافراد من حديث انس ان جبريل امر النبي صلى الله عليه وسلم بالاذان حين فرضت الصلاة واسناده ضعيف ومنها حديث للبزار عن علي المتقدم قال في فتح الباري والحق انه لا يصح شيء من هذه الاحاديث وقد جزم ابن المنذر بانه عليه الصلاة والسلام كان يصلي بغير اذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى ان هاجر الى المدينة الى ان وقع التشاور في ذلك والله اعلم فان قلت هل اذن عليه الصلاة والسلام بنفسه قط اجاب السهيلي بانه روى الترمذي من طريق يدور على عمر بن الرماح قاضي بلخ يرفعه الى ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم اذن في سفر وصلى وهم على رواحلهم الحديث قال فنزع بعض الناس بهذا الحديث الى انه عليه السلام اذن بنفسه انتهى وليس هذا من حديث ابي هريرة انما هو من حديث يعلى بن مرة وكذا جزم النووي بانه عليه السلام اذن مرة في السفر وعزاه للترمذي وقواه لكن وجد الحديث في سنن الدارقطني وقال فيه امر بالاذان ولم يقل اذن قال السهيلي والمفصل يقضي على المجمل المحتمل وفي مسند احمد من الوجه الذي اخرج منه الترمذي هذا الحديث فامر بلالا فاذن قال في فتح الباري فعرف ان في رواية الترمذي اختصارا وان قوله اذن امر كما يقال اعطى الخليفة فلانا الفا وانما باشر العطاء غيره ونسب الى الخليفة لكونه امرا به انتهى ولما كان بعد شهر من مقدمه عليه السلام لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاخر قال الدولابي يوم الثلاثاء وقال السهيلي بعد الهجرة بعام او نحوه زيد في صلاة الحضر ركعتان وتركت صلاة الفجر لطول القراءة فيها وصلاة المغرب لانها وتر النهار واقرت صلاة السفر وفي البخاري عن عائشة فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ثم هاجر عليه السلام الى المدينة ففرضت اربعا وتركت صلاة السفر على الفريضة الاولى وقيل انما فرضت اربعا ثم خفف عن المسافر ويدل له حديث ان الله وضع عن المسافر شطر الصلاة وقيل انما فرضت في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وهو قول ابن عباس قال رضي الله عنه فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين رواه مسلم وغيره وسياتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في اول الصلاة من مقصد عباداته عليه السلام قال ابن اسحاق وغيره ونصبت احبار يهود العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا وسحره لبيد بن الاعصم وهو من يهود بني زريق فكان يخيل اليه انه يفعل الفعل وهو لا يفعله وجعل سحره في مشط ومشاطة ودفنه في بئر ذي اروان واكثر اهل الحديث يقول ذروان تحت راعوفة البئر كما ثبت في الصحيح وليس هذا بقادح في النبوة فان الانبياء يبتلون في ابدانهم بالجراحات

والسم

والسموم والقتل وغير ذلك مما جرت العادة عليهم ونشأ في اليهود جماعة من الاوس والخزرج منافقون على دين ابائهم من الشرك والتكذيب بالبعث الا انهم قهروا بظهور الاسلام واتخذوا جنة من القتل ونافقوا في السر منهم عبد الله بن ابي بن سلول وكان راس المنافقين وهو الذي قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل كما سياتي ان شاء الله تعالى في غزوة بني المصطلق واذن الله لرسوله عليه السلام بالقتال قال الزهري اول اية نزلت في الاذن بالقتال ~~قال الزهري اول اية نزلت في الاذن بالقتال~~ اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير اخرجه النسائي باسناد صحيح وانما شرع الله تعالى الجهاد في الوقت اللائق به لانهم لما كانوا بمكة كان المشركون اكثر عددا فلو امر المسلمين وهم قليلون بقتال الباقين لشق عليهم فلما بغى المشركون واخرجوه عليه السلام من بين اظهرهم وهموا بقتله واستقر عليه السلام بالمدينة واجتمع عليه اصحابه وقاموا بنصره وصارت المدينة لهم دار اسلام ومعقلا يلجأون اليه شرع الله تعالى جهاد الاعداء فبعث عليه الصلاة والسلام البعوث والسرايا وغزا وقاتل هو واصحابه حتى دخل الناس في دين الله افواجا افواجا وكان عدد مغازيه عليه السلام التي خرج فيها بنفسه سبعا وعشرين قاتل في تسع منها بنفسه بدر واحد والمريسيع والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطايف وهذا على قول من قال ان مكة فتحت عنوة وكانت سراياه التي بعث فيها ولم يخرج فيها بنفسه سبعا واربعين سرية وقيل انه قاتل في بني النضير وافاد في فتح الباري ان السرية بفتح المهملة وكسر الراء وتشديد التحتانية هي التي تخرج بالليل والسارية التي تخرج بالنهار قال وقيل سميت بذلك يعني السرية لانها تخفي ذهابها وهذا يقتضي انها اخذت من السر ولا يصح لاختلاف المادة وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود اليه وهي من مائة الى خمسمائة فما زاد على خمسمائة يقال له منسر بالنون ثم المهملة فان زاد على الثمانمائة سمي جيشا فان زاد على اربعة الاف سمي جحفلا والخميس الجيش العظيم وما افترق من السرية يسمى بعثا والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر انتهى ملخصا وكان اول بعوثه صلى الله عليه وسلم على راس سبعة اشهر في شهر رمضان وقيل في ربيع الاول سنة اثنتين بعث عمه حمزة وامره على ثلاثين رجلا من المهاجرين وقيل من الانصار وفيه نظر لانه لم يبعث احدا من الانصار حتى غزا بهم بدرا لانهم شرطوا له ان يمنعوه في دارهم فخرجوا يعترضون عيرا لقريش فيها ابو جهل اللعين فلقيه في ثلثمائة راكب فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص فلما تصافوا حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان عليه السلام قد عقد له لواء ابيض واللواء هو العلم الذي يحمل في الحرب يعرف به موضع صاحب الجيش وقد يحمله امير الجيش وقد يدفعه لمقدم العسكر وقد صرح جماعة من اهل اللغة بترادف اللواء والراية لكن روى احمد والترمذي عن ابن عباس كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء ولواؤه ابيض ومثله عند الطبراني عن بريدة وعند ابن عدي عن ابي هريرة وزاد مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله وهو ظاهر في التغاير فلعل التفرقة بينهما عرفية ثم ذكر ابن اسحاق وكذا ابو الاسود عن عروة انه اول ما حدثت الرايات يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل ذلك الا الالوية انتهى ثم سرية عبيدة بن الحارث الى بطن رابغ في شوال على راس ثمانية اشهر في ستين رجلا وعقد له لواء ابيض حمله مسطح بن اثاثة يلقى ابا سفيان ابن حرب وكان على المشركين وقيل مكرز بن حفص وقيل عكرمة بن ابي جهل في مائتين ولم يكن بينهم قتال الا ان سعد بن ابي وقاص رمى بسهم فكان اول سهم رمي في الاسلام قال ابن اسحاق فكانت راية عبيدة فيما بلغنا اول راية عقدت في الاسلام وبعض الناس يقول راية حمزة قال وانما اشكل امرهما لانه عليه السلام بعثهما معا فاشتبه ذلك على الناس انتهى وهذا يشكل بقولهم ان بعث حمزة كان على راس سبعة اشهر لكن يحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم عقد رايتيهما معا ثم تاخر خروج عبيدة الى راس الثمانية لامر اقتضاه والله اعلم ثم سرية سعد بن ابي وقاص الى الخرار بخاء معجمة وراءين مهملتين وهو واد بالحجاز يصب في الجحفة وكان ذلك في ذي القعدة على راس تسعة اشهر وعقد له لواء ابيض

حلفا المقداد بن عمرو وعتبة بن رجلا يعترض عيرا لقريش فرجعوا على اقدامهم فصبحوها صبح خامسة فوجدوا العير قد
مرت بالامس **ثم غزوة ودان** وهي اول مغازيه كما ذكره ابن اسحاق وفي البخاري عنه اولها الابواء اخرج صلى الله عليه وسلم
في صفر على راس اثني عشر شهرا من مقدمه المدينة يريد قريشا في ستين رجلا وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب فكانت
الموادعة اي المصالحة على ان بني ضمرة لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عدوا واستعمل على المدينة
سعد بن عبادة وليس في سيرة ابن اسحاق وبين ما نقله عنه البخاري اختلاف فان الابواء وودان مكانان
متقاربان بينهما ستة اميال او ثمانية **ثم غزوة بواط** بفتح الموحدة وقد تضم وتخفيف الواو واخره مهملة وهي
الثانية غزاها صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الاول على راس ثلاثة عشر من الهجرة حتى بلغها من ناحية رضوى
بفتح الراء وسكون المعجمة مقصور في مائتين من اصحابه يعترض عير قريش فيهم امية بن خلف الجمحي واستعمل
على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون فرجع ولم يلق كيدا اي حربا قال ابن الاثير والكيد الاحتيال والاجتهاد
وبه سميت الحرب كيدا **ثم غزوة العشيرة** بالشين المعجمة والتصغير اخره هاء لم يختلف اهل المغازي في ذلك وفي
البخاري العشيرا او العسيرة بالتصغير والاولى بالمعجمة بلا هاء والثانية بالمهملة وبالهاء واما غزوة العسرة
بالمهملة بغير تصغير فهي غزوة تبوك وستاتي ان شاء الله تعالى ونسبت هذه الى المكان الذي وصلوا اليه
وهو موضع لبني مدلج بينبع وخرج اليها صلى الله عليه وسلم في جمادى الاولى وقيل الاخرى على راس ستة عشر
من الهجرة في خمسين ومائة رجل وقيل مائتين ومعهم ثلاثون بعيرا يعتقبونها وحمل اللواء وكان ابيض حمزة
يريد عير قريش التي صدرت من مكة الى الشام بالتجارة ليخرج اليها ليغنمها فوجدها قد مضت ووادع بني
مدلج من كنانة وكانت نسخة الموادعة فيما ذكر غير ابن اسحاق بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد
رسول الله لبني ضمرة فانهم آمنون على اموالهم وانفسهم وان لهم النصر على من رامهم ان لا يحاربوا في دين الله
ما بل بحر صوفة وان النبي اذا دعاهم لنصره اجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله قال ابن هشام
واستعمل على المدينة ابا سلمة ابن عبد الاسد **غزوة بدر الاولى** قال ابن اسحاق ولما رجع عليه السلام
اي من غزوة العشيرة لم يقم الا ليالي وقال ابن حزم بعد العشيرة بعشرة ايام حتى اغار كرز بن جابر الفهري
على سرح المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ سفوان بفتح المهملة والفاء موضع من ناحية بدر ففاته
كرز بن جابر وتسمى بدر الاولى قال ابن هشام واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وحمل اللواء علي بن
ابي طالب رضي الله عنه **ثم سرية امير المؤمنين عبد الله بن جحش** في رجب على راس سبعة عشر شهرا وكانت معه
ثمانية وقيل اثنا عشر من المهاجرين الى نخلة على ليلة من مكة في رجب يترصدون قريشا فمرت به عيرهم تحمل زبيبا
وادما من الطائف فيها عمرو بن الحضرمي فتشاور المسلمون وقالوا نحن في اخر يوم من رجب فان قاتلناهم
هتكنا حرمة الشهر وان تركناهم الليلة دخلوا حرم مكة فاجمعوا على قتالهم فقتلوا عمرا واسروا
عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وهرب من هرب واستاقوا العير فكانت اول غنيمة في الاسلام فقسمها
ابن جحش وعزل الخمس وذلك قبل ان يفرض وقيل بل قدموا بالغنيمة كلها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما امرتكم بالقتال
في الشهر الحرام فاخر الاسيرين والغنيمة حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائمها وتكلمت قريش ان محمدا سفك الدماء
واخذ المال في الشهر الحرام فانزل الله تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه الاية وفي ذلك يقول عبد الله بن جحش

تعدون قتلا في الحرام عظيمة ... واعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد ... وكفر به والله راء وشاهد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا ... بنخلة لما اوقد الحرب واقد

وبعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء الاسيرين وهما عثمان بن عبد الله والحكم ابن كيسان ففداهما

دنوا

فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما الحكم في قول الاكثرين ... فاسلم وحسن اسلامه
واقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا
ثم حولت القبلة الى الكعبة وكان صلى الله عليه وسلم يصلي الى بيت المقدس بالمدينة ستة عشر وقيل سبعة عشر وقيل
ثمانية عشر شهرا وقال الحربي قدم عليه السلام المدينة في ربيع الاول فصلى الى بيت المقدس تمام السنة وصلى من سنة
اثنين ستة اشهر ثم حولت القبلة وقيل كان تحويلها في جمادى وقيل كان يوم الثلاثاء في نصف شعبان وقيل يوم الاثنين
نصف رجب وظاهر حديث البراء في البخاري انها كانت صلاة العصر ووقع عند النسائي من رواية ابي سعيد بن المعلى
انها الظهر واما اهل قبا فلم يبلغهم الخبر الى صلاة الفجر من اليوم الثاني كما في الصحيحين عن ابن عمر انه قال بينا الناس بقبا
في صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم
الى الشام فاستداروا الى الكعبة وفي هذا دليل على ان الناسخ لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وان تقدم نزوله لانهم لم يؤمروا
باعادة العصر والمغرب والعشاء والله اعلم وروى الطبري عن ابن عباس لما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود اكثر
اهلها يستقبلون بيت المقدس امره الله تعالى ان يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهرا وكان صلى
الله عليه وسلم يحب ان يستقبل قبلة ابراهيم فكان يدعو وينظر الى السماء فنزلت الاية قال في فتح الباري وظاهر حديث
ابن عباس هذا ان استقبال بيت المقدس انما وقع بعد الهجرة الى المدينة لكن اخرج احمد من وجه آخر عن ابن عباس كان النبي صلى
الله عليه وسلم يصلي بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه قال والجمع بينهما ممكن بان يكون امر لما هاجر ان يستمر على الصلاة
لبيت المقدس واخرج الطبري ايضا من طريق ابن جريج قال صلى الله عليه وسلم اول ما صلى الى الكعبة ثم صرف الى بيت المقدس
وهو بمكة فصلى ثلاث حجج ثم هاجر وصلى اليه بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا ثم وجهه الله الى الكعبة وقوله في حديث
ابن عباس الاول امره الله يرده قول من قال انه صلى الى بيت المقدس باجتهاد وعن ابي العالية انه صلى الى بيت المقدس يتالف اهل
الكتاب وهذا لا ينفي ان يكون بتوقيف واختلف في المسجد الذي كان يصلي فيه فعند ابن سعد في الطبقات انه صلى ركعتين من
الظهر في مسجده بالمسلمين ثم امر ان يتوجه الى المسجد الحرام فاستدار اليه ودار معه المسلمون ويقال انه عليه السلام زار
ام بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة فصنعت له طعاما وكانت الظهر فصلى عليه السلام باصحابه ركعتين ثم امر فاستداروا
الى الكعبة واستقبل الميزاب فسمي مسجد القبلتين قال ابن سعد قال الواقدي هذا عندنا اثبت ولما حول الله تعالى القبلة
حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار واليهود ارتياب وزيغ عن الهدى وشك وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
اي ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة كذا فانزل الله جوابهم في قوله قل لله المشرق والمغرب اي الحكم والتصرف والامر
كله لله فحيث ما وجهنا توجهنا فالطاعة في امتثال امره ولو وجهنا كل يوم مرات الى جهات متعددة فنحن عبيده وفي
تصرفه وخدامه حيث ما وجهنا توجهنا ولله تعالى بنبينا عليه السلام وبامته عناية عظيمة اذ هداهم الى قبلة خليله
قال عليه السلام فيما رواه احمد من حديث عائشة ان اليهود لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا
عنها وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام آمين وقال بعض المؤمنين فكيف بصلاتنا
التي صلينا نحو بيت المقدس وكيف من مات من اخواننا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله وما كان الله ليضيع
ايمانكم وقيل ان اليهود اشتاق الى بلد ابيه وهو يريد ان يرضي قومه ولو ثبت على قبلتنا لرجونا ان يكون هو النبي الذي
ننتظر ان ياتي فانزل الله تعالى وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يعني ان اليهود الذين انكروا استقبالكم
الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون ان الله سيوجهك اليها بما في كتبهم عن انبيائهم **ثم افترض صيام شهر رمضان**
بعد ما حولت القبلة الى الكعبة بشهر في شعبان على راس ثمانية عشر شهرا من مقدمه عليه السلام **وزكاة الفطر** قبل
العيد بيومين ان تخرج عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثى صاع من تمر او صاع من شعير او صاع من زبيب

او صلح من نزول ذلك قبل ان تفرض زكاة الاموال وقيل ان الزكاة فرضت فيها وقيل قبل الهجرة والله اعلم ثم غزوة
بدر الكبرى وتسمى العظمى والثانية وبدر القتال وهي قرية مشهورة نسبت الى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها
وقيل بدر بن الحرث حافر بيرها وقيل بدر اسم البير التي بها سميت لاستدارتها او لصفاء مائها ورؤية البدر فيها وقال
ابن كثير وهو يوم الفرقان الذي اعز الله فيه الاسلام واهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله هذا مع قلة عدد المسلمين
وكثرة العدو مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيول المسومة والخيلاء الزائد اعز الله رسوله
واظهر وحيه وتنزيله وبيض وجه النبي عليه السلام وقبيله واخزى الشيطان وجيله ولهذا قال تعالى ممتنا على
عباده المومنين وحزبه المتقين ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة اي قليل عددكم لتعلموا ان النصر انما هو من عند
الله لا بكثرة العدد والعدد انتهى فقد كانت هذه الغزوة اعظم غزوات الاسلام اذ منها كان ظهوره وبعد وقوعها
اشرق على الافاق نوره من حين وقوعها اذل الله الكفار واعز من حضرها من المسلمين فهو عنده من الابرار وكان خروجهم
يوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان على راس تسعة عشر شهرا ويقال لثمان خلون منه قاله ابن هشام واستخلف
ابا لبابة الانصاري وخرج معه الانصار ولم تكن قبل ذلك خرجت معه وكان عدة من خرج معه ثلثمائة
وخمسة وثمانية لم يحضروها انما ضرب لهم بسهمهم واجرهم فكانوا كمن حضرها وكان معهم ثلاثة افراس بعزجة فرس المقداد
واليعسوب فرس الزبير وفرس لمرثد الغنوي لم يكن لهم يوميذ خيل غير هذه وكان معهم سبعون بعيرا وكان المشركون
الفا ويقال تسع مائة وخمسين مقاتلا معهم مايتا فرس وسبع مائة بعير وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من — الاثنين وغيرهم
رمضان وقيل يوم غير ذلك وكانت من غير قصد من المسلمين اليها ولا ميعاد كما قال تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في
الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا وانما قصد صلى الله عليه وسلم والمسلمون التعرض لعير قريش وذلك ان ابا سفيان
كان بالشام في ثلاثين راكبا منهم عمرو بن العاصي فاقبلوا في قافلة عظيمة فيها اموال قريش حتى اذا كانوا قريبا من بدر فبلغ
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فندب اصحابه اليهم واخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير قريش فيها اموالكم
فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فلما سمع ابو سفيان بسيره عليه السلام استاجر ضمضم بن عمرو الغفاري ان
ياتي قريشا بمكة فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا قد عرض لعيرهم فنهضوا في قريب من الف مقنع ولم يتخلف
احد من اشراف قريش الا ابا لهب وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في
اصحابه حتى بلغ الروحا فاتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عن عيرهم فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس في طلب
العير وحرب النفير وقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريش وكانت العير احب اليهم فقام
ابو بكر فقال فاحسن ثم قام عمر فقال فاحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما امرك الله
نحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك
فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه
حتى تبلغه فقال له صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ثم قال عليه الصلاة والسلام اشيروا علي ايها الناس وانما يريد الانصار
لانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا
نمنعك مما نمنع منه انفسنا وابناءنا ونساءنا فكان صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا
ممن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك عليه السلام قال
له سعد بن معاذ والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال فقد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما
جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي
بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى عدونا

انا

انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر عليه السلام بقول
سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الان
انظر الى مصارع القوم قال ثابت عن انس قال عليه السلام هذا مصرع فلان ويضع يده على الارض ههنا وههنا قال
فما ماط احدهم اي ما تنحى عن موضع يده عليه السلام رواه مسلم قال ابن سيد الناس في عيون الاثر روينا من طريق مسلم
ان الذي قال ذلك سعد بن عبادة سيد الخزرج وانما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ كذلك رواه ابن اسحاق وغيره واختلف
في شهود سعد بن عبادة بدرا ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن اسحق في البدريين وذكره الواقدي والمدايني وابن الكلبي منهم
انتهى ثم ارتحل عليه الصلاة والسلام قريبا من بدر ونزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادي ونزل المسلمون
على كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر فاحرزوه وحفروا القلب لانفسهم
واصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم الظماء وهم لا يصلون الى الماء ووسوس الشيطان لبعضهم وقال
تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانكم اولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم عطاش وتصلون محدثين مجنبين
وما ينتظر اعداؤكم الا ان يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاءوا فارسل الله عليهم مطرا سال منه
الوادي فشرب المسلمون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وملاوا الاسقية واطفا الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها
الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت انفسهم فذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به اي
من الاحداث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان اي وسوسته وليربط على قلوبكم بالصبر ويثبت به الاقدام حتى لا
تسوخ في الرمل بتلبيد الارض وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه ثم خرج عتبة بن ربيعة بين اخيه شيبة
ابن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعا الى المبارزة فخرج اليه فتية من الانصار وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وامهما عفرا
وعبد الله بن رواحة فقالوا من انتم قالوا رهط من الانصار قالوا ما لنا بكم من حاجة ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا
الاكفاء من قومنا فقال صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث قم يا حمزة قم يا علي فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من انتم فتسموا
لهم فقالوا نعم اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان اسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز علي الوليد
ابن عتبة فقتل علي الوليد هكذا ذكره ابن اسحق وعند موسى بن عقبة كما نقله في فتح الباري برز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة
وعلي للوليد ثم اتفقا فقتل علي الوليد وقتل حمزة الذي بارزه واختلف عبيدة ومن بارزه بضربتين فوقعت
الضربة في ركبة عبيدة ومات منها ومال حمزة وعلي على الذي بارز عبيدة فاعاناه على قتله وعند الحاكم من طريق عبد خير عن علي
مثل قول موسى بن عقبة وعند ابي الاسود عن عروة مثله واورد ابن سعد من طريق عبيدة السلماني ان شيبة لحمزة وعبيدة
لعتبة وعليا للوليد ثم قال الثبت ان عتبة لحمزة وشيبة لعبيدة واخرج ابو داود عن علي قال تقدم عتبة وتبعه
ابنه واخوه فنادى من يبارز فانتدب له شبان من الانصار فقال من انتم فاخبروه فقال لا حاجة لنا فيكم انما اردنا
بني عمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حمزة قم يا علي قم يا عبيدة فاقبل حمزة الى عتبة واقبلت الى شيبة واختلف
بين عبيدة والوليد ضربتان فاثخن كل واحد منهما صاحبه ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة قال الحافظ ابن حجر
وهذا اصح الروايات لكن الذي في السير من ان الذي بارزه علي هو الوليد هو المشهور وهو اللائق بالمقام لان عبيدة وشيبة
كانا شيخين كعتبة وحمزة بخلاف علي والوليد فكانا شابين وقد روى الطبراني باسناد حسن عن علي قال اعنت انا وحمزة
عبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة فلم يعب النبي صلى الله عليه وسلم علينا ذلك وهذا موافق لرواية ابي داود والله اعلم
انتهى قال ابن اسحاق وتزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ومعه ابو بكر
ليس معه فيه غيره وهو عليه الصلاة والسلام يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة من
اهل الايمان اليوم فلا تعبد في الارض ابدا وابو بكر يقول يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعدك وعند

سعيد ابن منصور من طريق عبيد الله بن عتبة قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين
وتكاثرهم والى المسلمين فاستقلهم فركع ركعتين وقام ابو بكر عن يمينه فقال عليه السلام وهو في صلاته اللهم لا تخذلني
اللهم انشدك ما وعدتني وروى النسائي والحاكم عن علي قال قاتلت يوم بدر شيئا من قتال ثم جئت فاذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده يا حي يا قيوم فرجعت فقاتلت ثم جئت فوجدته كذلك وفي الصحيح ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق اخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم استيقظ متبسما
فقال ابشر يا ابا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع ثم خرج من باب العريش وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون الدبر فان قلت
كيف جعل ابو بكر يامره عليه السلام بالكف عن الاجتهاد في الدعاء ويقوي رجاءه ويثبته ومقام الرسول صلى الله عليه وسلم
هو المقام الاحمد ويقينه فوق يقين كل احد اجاب السهيلي بان الصديق في تلك الساعة كان في مقام الرجا والنبي صلى
الله عليه وسلم كان في مقام الخوف لان لله تعالى ان يفعل ما يشا فخاف ان لا يعبد الله في الارض فخوفه ذلك عبادة انتهى
وقال الخطابي لا يتوهم احد ان ابا بكر كان اوثق بربه من النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة بل الحامل للنبي صلى الله عليه وسلم
على ذلك شفقته على اصحابه وتقوية قلوبهم فبالغ في التوجه والدعاء والابتهال لتسكن نفوسهم عند ذلك لانهم كانوا يعلمون
ان وسيلته مستجابة فلما قال له ابو بكر ما قال كف عن ذلك وعلم انه استجيب له لما وجد ابو بكر في نفسه من القوة والطمانينة
حتى قال سيهزم الجمع وكان النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة في مقام الخوف وهو اكمل حالات الصلاة وجاز عنده ان لا يقع
النصر يومئذ لان وعده بالنصر لم يكن معينا لتلك الواقعة وانما كان مجملا هذا هو الذي يظهر وانما قال عليه السلام اللهم
ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام فلا تعبد بعد اليوم لانه علم انه خاتم النبيين فلو هلك هو ايضا ومن معه حينئذ
لا يبعث احد ممن يدعو الى الايمان واما مباشرة اجتهاده عليه السلام ونصبه في الدعاء فانه راى الملائكة تنصب في القتال
وجبريل على ثناياه الغبار وانصار الله يخوضون غمرات الموت والجهاد على نوعين جهاد بالسيف وجهاد بالدعاء ومن سنة
الامام ان يكون وراء الجند لا يقاتل معه فكان الكل في جد واجتهاد ولم يكن ليريح نفسه من احد الجدين والجهادين
وانصار الله وملائكته يجتهدون ولا ليؤثر الدعة وحزب الله مع اعدائه يجتلدون انتهى وفي صحيح مسلم عن ابن
قال عمر بن الخطاب لما كان يوم بدر نظر صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلثمائة وبضع عشر رجلا فدخل
العريش فاستقبل القبلة ومد يديه وجعل يهتف بربه اللهم انجز لي ما وعدتني فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط
رداؤه عن منكبيه فاخذ ابو بكر رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز
لك ما وعدك فانزل الله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم مرسل اليكم [illegible] مددا الكثير بالفين من الملائكة
مردفين متتابعين بعضهم في اثر بعض على قراءة فتح الدال معناه اردفهم بالمسلمين وجاءهم بهم مددا وفي آية اخرى
بثلاثة الاف من الملائكة منزلين فيحتمل [illegible] ان الالف اردفهم بثلاثة الاف فكان الاكثر مددا للاقل وكان
الالف مردفين لمن وراءهم والالف هم الذين قاتلوا مع المؤمنين وهم الذين قال لهم فثبتوا الذين امنوا وكانوا في صور
الرجال ويقولون للمؤمنين اثبتوا فان عدوكم قليل وان الله معكم وقال الربيع ابن انس امد الله المسلمين
بالف ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة الاف وقال سعيد بن ابي عروبة عن قتادة امد الله المؤمنين يوم
بدر بخمسة الاف وعن عامر الشعبي ان المسلمين بلغهم يوم بدر ان كرز بن جابر يمد المشركين فشق ذلك عليهم
فانزل الله الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين الى قوله مسومين فبلغ كرزا الهزيمة فلم يمد
المسلمين بالخمسة وعن ابن عباس جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة سراقة بن مالك بن جعشم
فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اصطف الناس ورأى الملائكة كانت يده في يد رجل من
المشركين فانتزع يده ثم ولى ناكصا على عقبيه فقال له الرجل يا سراقة اتزعم انك لنا جار فقال اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله

والله

والله شديد العقاب وروي ان جبريل نزل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة في صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب
بيض وعلى رؤسهم عمائم بيض قد ارخوا اطرافها بين اكتافهم وقال ابن عباس كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين
عمائم خضر وعن علي كانت سيما الملائكة يوم بدر الصوف الابيض وكان سيماهم ايضا في نواصي خيلهم ورواه ابن مردويه عن ابن عباس
في قوله تعالى مسومين قال معلمين وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ويوم حنين عمائم حمر وروى ابن ابي حاتم
عن الربيع ان الملائكة نزلت وعليهم صفر [illegible] ولم تقاتل الملائكة سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا
ومددا وبذلك صرح العماد ابن كثير في تفسيره فقال المعروف من قتال الملائكة انما كان يوم بدر ثم روى عن ابن عباس قال
لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وقال ابن مرزوق وقد لم تكن تقاتل في غيرها بل يحضرون خاصة على المجاهدين من الاقوال
عند بعضهم وفي غاية البيان في تفسير القران عند تفسير قوله تعالى ويوم حنين وهل قاتلت الملائكة يومئذ ام لا فيه
قولان احدهما وهو قول الجمهور انها لم تقاتل انتهى وهذا يرده حديث مسلم في صحيحه عن سعد بن ابي وقاص انه راى عن يمين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض ما رايتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل
عليهما السلام يقاتلون كاشد القتال قال النووي فيه بيان اكرامه صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة تقاتل معه وبيان
ان قتالهم لم يختص بيوم بدر قال وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه فهذا صريح في الرد عليه قال وفيه ان روية
الملائكة لا تختص بالانبياء بل يراهم الصحابة والاولياء انتهى قال ابن الانباري وكانت الملائكة لا تعلم كيف تقتل الادميين
فعلمهم الله تعالى بقوله فاضربوا فوق الاعناق اي الرؤوس واضربوا منهم كل بنان قال عطية كل مفصل قال السهيلي جاء في
التفسير انه ما وقعت ضربة يوم بدر الا في راس او مفصل وكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم باثار سود في الاعناق والبنان
وعن ابن عباس قال حدثني رجل من بني غفار قال اقبلت انا وابن عم لي حتى صعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر
الوقعة على من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب فبينا نحن في الجبل اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول
اقدم حيزوم فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه واما انا فكدت اهلك ثم تماسكت رواه البيهقي وابو نعيم والدبرة
تكون بالموحدة الهزيمة في القتال وحيزوم اسم فرس جبريل صلعم قاله في القاموس وروى ابو امامة عن سهل بن حنيف عن ابيه قال
لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف رواه الحاكم وصححه
والبيهقي وابو نعيم قال الشيخ تقي الدين السبكي سئل عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع ان جبريل قادر على ان
يدفع الكفار بريشة من جناحه فقال ذلك لارادة ان يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وتكون الملائكة مددا على
عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الاسباب التي اجراها الله تعالى في عباده والله فاعل الجميع انتهى ولما التقى الجمعان تناول
رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء فرمى به في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه ومنخريه
منها شيء فانهزموا وقتل الله من قتل من صناديد قريش واسر من اسر من اشرافهم ونقل عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم
في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر اخذ النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة
في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا وقد روي عن غير واحد ان
هذه الاية نزلت في رميته عليه السلام يوم بدر وان كان قد فعل ذلك يوم حنين ايضا كما سياتي ان شاء الله تعالى وقد اعتقد
جماعة ان المراد بالاية سلب فعل الرسول عنه واضافته الى الرب تعالى وجعلوا ذلك اصلا في الجبر وابطال نسبة الافعال
الى العباد وتحقيق نسبتها الى الرب وحده وهذا غلط منهم في فهم القران فلو صح ذلك لوجب طرده فيقال ما صليت اذ
صليت ولا صمت اذ صمت ولا فعلت كل ذلك اذ فعلت ولكن الله فعل ذلك فان طردوا ذلك لزمهم في افعال العباد طاعاتهم
ومعاصيهم اذ لا فرق وان خصوه بالرسول وحده وافعاله جميعها او رميته واحدة ناقضوا فهولاء لم يوفقوا لفهم ما اريد
بالاية وهولاء انكروا الرمية من الله لا يبلغ هذا المبلغ فكان منه صلى الله عليه وسلم مبدأ الرمي وهو الحذف ومن الرب تعالى

بغايته وهو الايصال فاضاف اليه رمي الحدف الذي هو مبداه ونفى عنه رمي الايصال الذي هو نهايته ونظير هذا في الآية نفسها قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ثم قال وما رميت ولكن الله رمى فاخبر انه تعالى وحده هو الذي تفرد بايصال الحصا الى اعينهم ولم يكن برسوله ولكن وجه الاشارة بالآية انه سبحانه اقام اسبابا تظهر للناس فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصر مضافا اليه وبه وهو خير الناصرين قال ابن اسحاق وقاتل عكاشة بن محصن الاسدي يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه جذلا من حطب فقال له قاتل به فهزه فعاد في يده سيفا طويل القامة شديد المتن ابيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده وجاءه عليه السلام يومئذ فيما ذكر القاضي عياض عن ابن وهب معاذ بن عمرو يحمل يده ضربه عكرمة عليها فتعلقت بجلده فبصق عليه السلام عليها فلصقت قال ابن اسحق ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان وعن عروة ابن الزبير عن عائشة امر صلى الله عليه وسلم بالقتلى ان يطرحوا في القليب فطرحوا فيه الا ما كان من امية بن خلف فانه انتفخ في درعه فملاها فالقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة ولما القوا في القليب علم يذهبوا لانه عليه السلام كره ان يشق على اصحابه لكثرة جيف الكفار ان يامرهم بدفنهم وكان جرهم الى القليب بعد علمهم وفي الطبراني عن انس بن مالك قال انشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن اهل بدر يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله قال عمر فوالذي بعثه بالحق ما اخطأ الحدود التي حدها صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا وفي رواية فنادى يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة ابن ربيعة ويا امية ابن خلف ويا ابا جهل ابن هشام وفي بعضه نظر لان امية بن خلف لم يكن في القليب لانه كان كما تقدم ضخما وانتفخ فالقوا عليه من الحجارة والتراب ما غيبه لكن يجمع بينهما بانه كان قريبا من القليب فنودي فيمن نودي لكونه كان من جملة رؤسائهم قال ابن اسحاق حدثني بعض اهل العلم انه عليه السلام قال يا اهل القليب بئس العشيرة كنتم كذبتموني وصدقني الناس فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا وتاولت عائشة ذلك فقالت انما اراد النبي صلى الله عليه وسلم انهم الآن ليعلمون ان الذي اقول لهم الحق ثم قرات انك لا تسمع الموتى الآية فقولها يدل على انها كانت تنكر ذلك مطلقا لقولها انهم الآن ليعلمون ثم قال قتادة احياهم الله تعالى توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وفيه رد على من انكر انهم يسمعون كما روي عن عائشة رضي الله عنها ومن الغريب ان في المغازي لابن اسحاق رواية يونس ابن بكير باسناد جيد عن عائشة حديثا وفيه ما انتم باسمع لما اقول منهم واخرجه الامام احمد باسناد حسن فان كان محفوظا فكانها رجعت عن الانكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة لكونها لم تشهد القصة وقال الاسمعيلي كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه لكن لا سبيل الى رد رواية الثقة الا بنص مثله يدل على نسخه او تخصيصه او استحالة التكييف والجمع بين الذي انكرته واثبته غيرها على ان قوله تعالى انك لا تسمع الموتى لا ينافي قوله عليه السلام انهم الآن يسمعون لان الاسماع هو ابلاغ الصوت من المسمع في اذن السامع فالله تعالى هو الذي اسمعهم بان ابلغهم صوت النبي صلى الله عليه وسلم واما جوابها بانه انما قال انهم ليعلمون فان كانت سمعت ذلك فلا ينافي رواية يسمعون بل يؤيدها وقال السهيلي ما محصله ان في نفس الخبر ما يدل على خرق العادة بذلك لنبيه عليه السلام لقول الصحابة له اتخاطب اقواما قد جيفوا فاجابهم بما اجابهم قال واذا جاز ان يكونوا في تلك الحالة عالمين جاز ان يكونوا سامعين وذلك اما باذان رؤسهم اذا قلنا ان الروح تعاد الى الجسد او الى بعضه عند المسألة وهو قول اكثر اهل السنة واما باذان القلب او الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال الى الروح من غير رجوع الى الجسد او الى بعضه قال وقد روي عن عائشة انها احتجت بقوله تعالى وما انت بمسمع من في القبور وانت لا تسمع الموتى وهذه

الآية

الآية كقوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي الى ان الله هو الذي يهدي ويوفق ويوصل الموعظة الى آذان القلوب لا انت وجعل الكفار امواتا وصما على جهة التشبيه بالاموات وبالصم فالله هو الذي يسمعهم على الحقيقة اذا شاء لا نبيه ولا احد فاذا لا تعلق بالآية من وجهين احدهما انها انما نزلت في دعاء الكفار الى الايمان الثاني انه انما نفى عن نبيه ان يكون هو المسمع لهم وصدق الله فانه لا يسمعهم اذا شاء الا هو يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير انتهى ولقد احسن العلامة ابن جابر حيث قال
ببدر يوم بدر وهو كالبدر حوله كواكب في افق المواكب تنجلي وجبريل في جند الملائك دونه فلم تغن اعداد العدو المخذل رمى بالحصى في اوجه القوم رمية فشردهم مثل النعام المجفل وجادلهم بالمشرفي فسلموا لحادله بالنفس كل مجدل عبيدة سل عنهم وحمزة واستمع حديثهم في ذلك اليوم من علي هم عتبوا بالسيف عتبة اذ غدا فذاق الوليد الموت له وفي وشيبة لما شاب خوفا تبادره ليه العوالي بالخضاب المحجل وجا ابو جهل فحقق جهله غداة تردى بالردى عن تذلل فاضحى قليبا في القليب وقومه يؤمونه فيها الى شر منهل وجاء ثم خير الانام موبخا ففتح من اسماعهم كل مقفل واخبر ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يهتدون لمقول سلاعنهم يوم السلا اذ تضاحكوا فعاد بكا عاجلا لم يؤجل الم يعلموا علم اليقين بصدقه ولكنهم لا يرجعون لمعقل فيا خير خلق الله جاهك ملجاي وحبك ذخري في الحساب ومعقلي عليك صلاة يشمل الآل عرفها واصحابك الاخيار اهل التفضل

وحكى العلامة ابو هريرة ان ابن عمر رضي الله عنهما قال مررت ببدر فاذا رجل يعذب ويئن فلما اجتزت به ناداني يا عبد الله قال ابن عمر فلا ادري اعرف اسمي ام كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقني فاردت ان افعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر قالت ومن آيات بدر الباقية ما كنت اسمعه من غير واحد من الحجاج انهم اذا اجتازوا بذلك الموضع يسمعون كهيئة طبل ملوك الوقت ويرون ان ذلك لنصر اهل الايمان قال وربما انكرت ذلك وربما تاولته بان الموضع لعله صلب فتجيب فيه حوافر الرواحل وكان يقال لي انه دهس رمل وما ليس هناك الابل واخفافها لا تصوت في الارض الصلبة فكيف بالرمل قال ثم لما من الله علي بالوصول الى ذلك الموضع المشرف نزلت عن الراحلة امشي وبيدي عود طويل من شجر السعدان المسمى بام غيلان وقد نسيت ذلك الخبر الذي كنت اسمع فما راعني وانا اسير في الهاجرة الا وواحد من عبيد الاعراب الجمالين يقول اتسمعون الطبل فاخذني لما سمعت كلامه قشعريرة وتذكرت ما كنت اخبرت به وكان في الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل وانا دهش مما اصابني من الفرح او الهيبة او ما الله اعلم به فشككت وقلت لعل الريح سكنت فهذا العود الذي في يدي يحدث مثل هذا الصوت وانا حريص على طلب حصول التحقيق لهذه الآية العظيمة فالقيت العود من يدي وجلست الى الارض وثبت قائما وفعلت جميع ذلك فسمعت صوت الطبل سماعا محققا وصوتا لا اشك انه صوت طبل وذلك من ناحية اليمين ونحن سائرون الى مكة المشرفة ثم نزلنا بدرا وظللت اسمع ذلك الصوت يومي اجمع المرة بعد المرة قال ولقد اخبرت ان ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس انتهى وروى الطبراني من حديث ابي اليسر انه اسر العباس وقيل للعباس وكان جسيما كيف اسرك ابو اليسر وهو دميم ولو شئت لجعلته في كفك فقال ما هو الا ان لقيته فظهر في عيني كالخندمة وهي بالمعجمة جبل من جبال مكة قاله في القاموس وكان ولي عمر بن الخطاب وثاق الاسرى فشد وثاق العباس فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يئن فلم ياخذه النوم فبلغ الانصار فاطلقوا العباس وكان الانصار فهموا رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفك وثاقه وسألوه ان يتركوا له الفداء طلبا لتمام رضاه فلم يجبهم وفي حديث انس عند الامام احمد استشار عليه الصلاة والسلام الناس في الاسارى يوم بدر فقال ان الله قد امكنكم منهم فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اضرب اعناقهم فاعرض عنه عليه السلام ثم عاد صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان الله قد امكنكم منهم فقال عمر يا رسول الله اضرب اعناقهم فاعرض عنه عليه السلام ففعل ذلك ثلاثا فقام ابو بكر

ابو بكر الصديق فقال يا رسول الله ان تعفو عنهم وان تقبل منهم الفدا فذهب من وجه رسول الله ما كان فيه من الغم فعفا
عنهم وقبل منهم الفدا قال وانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا
طيبا الاية وياتي الكلام عليها في النوع العاشر في ازالة الشبهات عن ايات المشكلات من المقصد السادس ان شا الله تعالى
واخرج ابن اسحاق من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال يا عباس افد نفسك وابني اخيك عقيل بن ابي طالب
ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة ابن عمرو قال اني كنت مسلما ولكن القوم استكرهوني قال الله اعلم بما تقول ان يك ما
تقول حقا فان الله يجزيك ولكن ظاهر امرك انك كنت علينا و ذكر موسى بن عقبة ان فداهم كان اربعين اوقية ذهبا و عند ابي نعيم في الدلايل باسناد حسن من حديث ابن عباس انه جعل على العباس مائة اوقية وعلى عقيل ثمانين
فقال له العباس للقرابة صنعت هذا فانزل الله تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى الاية فقال العباس
وددت لو كنت اخذ مني اضعافها لقوله يوتكم خيرا مما اخذ منكم وكان من استشهد يوم بدر من المسلمين اربعة عشر رجلا
ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار ستة من الخزرج واثنان من الاوس تنبيه كما يقع في بعض الاشا انا استشهد
هولا الصحابة فانما هذا الوجه كقوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
فقد تحقق الموعود وغلبنا كما وعدوا فكان وعد الله مفعولا ونصر المومنين ناجزا والحمد لله وقتل من المشركين سبعون واسر
سبعون وكان ممن فقتلهم العباس ابن عبد المطلب وعقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وكل اسلم وكان
العباس فيما قاله اهل العلم بالتاريخ قد اسلم قديما وكان يكتم الاسلام وخرج مع المشركين يوم بدر فقال النبي صلى الله
عليه وسلم من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها ففادى نفسه ورجع الى مكة و قيل انه اسلم يوم بدر فاستقبل النبي
صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالابوا وكان معه حين فتح مكة وبه ختمت الهجرة و قيل اسلم قبل فتح خيبر و قيل كان يكتم
اسلامه واظهره يوم الفتح بمكة وكان اسلامه قبل بدر وكان يكتب باخبار المشركين الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان يحب
القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه عليه السلام ان مقامك بمكة خير لك و قيل انه سبب اسلامه انه خرج
لبدر بعشرين اوقية من ذهب ليطعم بها المشركين فاخذت منه في الحرب فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ان يحسبها له من
من فدائه فابى وقال اما شي خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك فقال العباس تركتني اتكفف قريشا فقال
عليه السلام اين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة فقال العباس وما يدريك فقال اخبرني ربي
فقال اشهد انك صادق فان هذا لم يطلع عليه الا الله وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله و لما فرغ صلى
الله عليه وسلم من بدر في اخر رمضان واول يوم من شوال بعث زيد بن حارثة بشيرا فوصل المدينة ضحى وقد نفضوا ايديهم
من تراب رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وهذا هو الصحيح في وفاة رقية و قد روي انه عليه السلام شهد دفن رقية
وقعد على قبرها ودمعت عيناه وقال ايكم لم يقارف الليلة فقال ابو طلحة انا فامره ان ينزل في قبرها وانكر
البخاري هذه الرواية وخرج الحديث في الصحيح فقال فيه عن انس شهدنا دفن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر
الحديث ولم يسم رقية ولا غيرها وذكر الطبراني انها ام كلثوم فحصل من حديث الطبراني التبيين ومن قال انها رقية فقد
وهم وكان عثمان رضي الله عنه قد تخلف لاجل رقية زوجته فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه واجره وامر
صلى الله عليه وسلم عند انصرافه عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب بقتل عقبة بن ابي معيط فقتله صبرا ثم
اقبل عليه السلام قافلا الى المدينة ومعه الاسارى من المشركين واحتمل النفل الذي اصيب منهم وجعل عليه عبد الله
ابن كعب من بني مازن فلما خرج من مضيق الصفرا قسم النفل بين المسلمين على السوا وامر عليا بالصفرا بقتل النضر بن الحرث
ثم مضى صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم فلما قدموا فرقهم بين اصحابه وقال استوصوا بهم خيرا و قد استقر
الحكم في الاسارى عند الجمهور من العلما ان الامام مخير فيهم ان شا قتل كما فعل صلى الله عليه وسلم ببني قريظة وان

شا استرق من اسر هذا مذهب الشافعي وطايفة من العلما وفي المسلة خلاف اخر مقرر في كتب الفقه والله اعلم ولما
قدم ابو سفيان بن الحرث من بدر لمكة سأله ابو لهب عن خبر قريش فقال ما هو الا ان لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا يقتلونا
كيف شاوا وياسرونا كيف شاوا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السما والارض والله ما يقوم
لها شي قال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان غلاما للعباس ابن عبد المطلب قال وكان الاسلام قد دخلنا
فقلت هو والله تلك الملايكة فرفع ابو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة فقامت ام الفضل الى عمود فضربته به في راس ابي لهب وقالت
استضعفته ان غاب عنه سيده قال فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها
وقيل انها تعدي اشد العدوى فتباعد عنه بنوه حتى قتله الله وبقي بعد موته ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه
فلما خافوا السبة في تركه حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وقال ابن عقبة اقام
النبي صلى الله عليه وسلم ببدر ثلاثا ثم سرية عمير بن عدي الخطمي وكانت لخمس ليال بقين من رمضان على راس تسعة عشر شهرا من
الهجرة الى عصما بنت مروان زوج يزيد بن زيد الخطمي وكانت تعيب الاسلام وتوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءها
ليلا وكان اعمى فدخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام منهم من ترضعه فجسها بيده ونحى الصبي عنها ووضع سيفه على
صدرها حتى انفذه من ظهرها ثم صلى الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة واخبره بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان اي لا يعارض
فيها معارض ولا يسال عنها فانها هدر قالوا وهذا من الكلام المفرد الوجيز البليغ الذي لم يسبق اليه عليه السلام وسياتي لذلك
نظاير ان شا الله تعالى و في اوله شوال صلى صلاة الفطر و في اول شوال ايضا وقيل بعد بدر بسبعة ايام وقيل
في نصف المحرم سنة ثلاث خرج عليه السلام يريد بني سليم فبلغ ماء يقال له الكدر ويعرف بقرقرة الكدر وهي ارض ملساء
والكدر طير في الوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع فاقام عليه السلام ثلاثا وقيل عشرا فلم يلق احدا وكانت غيبته عليه
السلام خمس عشرة ليلة واستخلف على المدينة سباع ابن عرفطة وقيل ابن ام مكتوم وحمل اللواء علي ابن ابي طالب وذكرها ابن
سعد بعد غزوة السويق ثم سرية سالم بن عمير الى ابي عفك اليهودي وكان شيخا كبيرا قد بلغ عشرين ومائة سنة وكان يحرض
على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول فيه الشعر فاقبل اليه سالم ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش في الفراش وصاح
عدو الله ابو عفك فثار اليه ناس ممن هم على قوله فادخلوه منزله فقتل وكانت هذه السرية في شوال على راس عشرين شهرا من
الهجرة ثم غزوة بني قينقاع بتثليث النون والضم اشهر بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر وكانت يوم السبت نصف
شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة وقد كانوا بعد الهجرة صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة اقسام قسم وادعهم
عليه السلام على ان لا يحاربوه ولا يمالوا عليه عدوه وهم طوايف اليهود الثلاثة قريظة والنضير وبني قينقاع و قسم حاربوه
ونصبوا له العداوة كقريش و قسم تاركوه وانتظروا ما يؤول اليه امره كطوايف من العرب فمنهم من كان يحب ظهوره في
الباطن كخزاعة وبالعكس كبني بكر و منهم من كان معه ظاهرا ومع عدوه باطنا وهم المنافقون وكان اول من نقض العهد من
اليهود بني قينقاع فحاربهم عليه الصلاة والسلام في شوال بعد وقعة بدر قاله الواقدي بشهر واغرب الحاكم فزعم ان
اجلاء بني قينقاع واجلاء النضير كان في زمن واحد ولم يوافق على ذلك لان اجلاء بني النضير كان بعد بدر بستة اشهر على قول
عروة او بعد ذلك بمدة طويلة على قول ابن اسحاق وكان من امر بني قينقاع ان امراة من العرب جلست الى صايغ بيهودي فراودوها
على كشف وجهها فابت فعمد الصايغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا منها فصاحت فوثب
رجل من المسلمين على الصايغ فقتله فشدت اليهود على المسلم فقتلوه و وقع الشر بين المسلمين وبين بني قينقاع فسار اليهم
النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان استخلف ابا لبابة ابن عبد المنذر فحاصرهم اشد الحصار خمس عشرة ليلة الى هلال ذي القعدة
وكان اللواء بيد حمزة ابن عبد المطلب وكان ابيض فقذف الله في قلوبهم الرعب ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان
له اموالهم وان لهم النسا والذرية فامر عليه السلام المنذر بن قدامة بتكتيفهم وكلم عبد الله ابن ابي ابن سلول رسول

الله صلى الله عليه وسلم فيهم وألح عليه من اجلهم فأمر عليه السلام ان يخلوهم وتركهم من القتل وامر بان يجلوا من المدينة فلحقوا
باذرعات فلما كانوا اقل بقاءهم فيها واخذ من حصنهم سلاحا وآلة كثيرة وكانت بنو قينقاع حلفا لعبد الله ابن ابي
وعبادة ابن الصامت فتبرا عبادة من حلفهم فقال يا رسول الله اتبرأ الى الله والى رسوله من حلفهم واتولى الله ورسوله
والمؤمنين وابرأ من حلف الكفار وولايتهم ففيه وفي عبد الله نزلت يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء بعضهم اولياء بعض الى قوله فان حزب الله هم الغالبون ثم غزوة السويق في ذي الحجة يوم الاحد لخمس خلون
منه على راس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة وقال ابن اسحاق في صفر وسميت غزوة السويق لانه كان اكثر زاد المشركين
وغنمه المسلمون واستخلف ابا لبابة وكان سبب هذه الغزوة ان ابا سفيان حين رجع بالعير من بدر الى مكة نذر ان لا يمس
النساء والدهن حتى يغزو محمدا عليه السلام فخرج في مايتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى اتوا العريض ناحية من المدينة
على ثلاثة اميال فحرقوا نخلا وقتلوا رجلا من الانصار وراى ابو سفيان ان قد انحلت يمينه فانصرف بقومه راجعين
وخرج عليه السلام في طلبهم في مايتين من المهاجرين والانصار وجعل ابو سفيان واصحابه يلقون جرب السويق وهي عامة
ازوادهم يتخففون للهرب فياخذها المسلمون ولم يلحقهم عليه الصلاة والسلام فرجع الى المدينة وكانت غيبته
خمسة ايام وفي ذي الحجة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد وامر بالاضحية وفيه مات عثمان بن مظعون وفي شوال ولد عبد الله
ابن الزبير وفي هذه السنة تزوج علي بفاطمة رضي الله عنهما كما قاله الحافظ مغلطاي وغيره وقال الطبري في كتابه ذخائر
العقبى في مناقب ذوي القربى تزوجها في صفر في السنة الثانية وبنى بها في ذي الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا من
التاريخ وقال ابو عمر بعد وقعة احد وقال غيره بعد بنائه صلى الله عليه وسلم بعائشة باربعة اشهر ونصف وبنى بها بعد
تزويجها بسبعة اشهر ونصف وكان سنها يومئذ خمس عشرة سنة وخمسة اشهر او ستة ونصف وسنه يومئذ احدى
وعشرون سنة وخمسة اشهر ولم يتزوج عليها حتى ماتت وعن انس قال جاء ابو بكر ثم عمر يخطبان فاطمة الى النبي صلى الله عليه
وسلم فسكت ولم يرجع اليهما شيئا فانطلقا الى علي رضي الله عنه يامرانه بطلب ذلك قال وعندك شيء قلت فرسي وبدني قال
اما فرسك فلا بد لك منها واما بدنك فبعها فبعتها باربعمائة وثمانين فجئته بها فوضعها في حجره فقبض منها قبضة
فقال اي بلال ابتع لنا بها طيبا وامرهم ان يجهزوها فجعل لها سرير مشرط ووسادة من ادم حشوها ليف وقال لعلي اذا
اتتك فلا تحدث شيئا حتى اتيك فجاءت مع ام ايمن فقعدت في جانب البيت وانا في جانب وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ههنا اخي قالت ام ايمن اخوك وقد زوجته ابنتك قال نعم ودخل صلى الله عليه وسلم فقال لفاطمة ايتيني بماء فقامت الى
قعب في البيت فاتت فيه بماء فاخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمي فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى راسها وقال اللهم اني
اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال لها ادبري فادبرت فصب بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك بعلي ثم قال
له ادخل باهلك بسم الله والبركة اخرجه ابو حاتم واخرجه الناقب بنحوه وفي حديث انس عند ابي الخير القزويني الحاكمي
خطبها علي بعد ان خطبها ابو بكر ثم عمر فقال عليه السلام قد امرني ربي بذلك قال انس ثم دعاني عليه السلام بعد ايام فقال
لي يا انس ادع لي ابا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن وعدة من الانصار فلما اجتمعوا واخذوا مجالسهم وكان علي غائبا فقال
صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ امره في سمائه
وارضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه واعزهم بدينه واكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك اسمه
وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وامرا مفترضا اوشج به الارحام والزم الانام فقال عز من قائل وهو الذي خلق
من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فامر الله تعالى يجري الى قضائه وقضاؤه يجري الى قدره ولكل قضاء
قدر ولكل قدر اجل ولكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ثم ان الله عز وجل امرني ان ازوج
فاطمة من علي ابن ابي طالب فاشهدوا اني قد زوجته على اربعمائة مثقال فضة ان رضي بذلك علي ثم دعا صلى الله عليه وسلم

بطبق

بطبق من بسر ثم قال انتهبوا فانتهبنا ودخل علي فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه ثم قال ان الله عز وجل امرني
ان ازوجك فاطمة على اربعمائة مثقال فضة ارضيت بذلك فقال قد رضيت بذلك يا رسول الله فقال عليه السلام
جمع الله شملكما واعز جدكما وبارك عليكما واخرج منكما كثيرا طيبا قال انس فوالله لقد اخرج الله منهما الكثير الطيب و
والعقد لعلي وهو غائب محمول على انه كان له وكيل حاضر او على انه لم يرد به العقد بل اظهار ذلك ثم عقد معه لما حضر او على
تخصيصه بذلك جمعا بينه وبين ما ورد مما يدل على شرط القبول على الفور واخرج الدولابي عن اسماء قالت لقد اولم
علي على فاطمة فما كان وليمة في ذلك الزمان افضل من وليمته رهن درعه عند يهودي في شطر شعير وكانت وليمته آصعا
من شعير وتمر وحيس والحيس التمر والاقط واخرج احمد في المناقب عن علي كان جهاز فاطمة خميلة وقربة ووسادة من
ادم حشوها ليف ثم سرية محمد بن مسلمة واربعة معه الى كعب بن الاشرف اليهودي لاربع عشرة ليلة مضت من ربيع
الاول على راس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة روى ابو داود والترمذي من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن
وهب بن كعب عن ابيه ان كعب ابن الاشرف كان شاعرا يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش وكان
النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة واهلها اخلاط فاراد استصلاحهم وكان اليهود والمشركون يؤذون المسلمين اشد
الاذى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر فلما ابى كعب ابن الاشرف ان ينزع عن اذاه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
سعد بن معاذ ان يبعث رهطا ليقتلوه وفي رواية قال عليه السلام من لنا بابن الاشرف وفي اخرى من لكعب بن الاشرف
اي من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا وقد خرج الى قريش فجمعهم على قتالنا وقد اخبرني الله بذلك ثم
قرأ على المسلمين الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى
من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله وفي الاكليل فقد آذانا بشعره وقوى المشركين وفي رواية ابن اسحاق فقال
محمد بن مسلمة اخو بني عبد الاشهل انا لك به يا رسول الله انا اقتله قال فافعل ان قدرت على ذلك قال يا رسول الله
انه لا بد لنا ان نقول قال قولوا ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة ونائلة بن وقش وبعض الا
نصارية سلكان بن سلامة وكان اخا كعب من الرضاعة وعباد بن بشر والحرث ابن اوس بن معاذ وابو عبس ابن جبر ومن
الخمسة من الاوس وفي رواية ابن سعد فقتلوه وبلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام عليه السلام تلك الليلة يصلي فلما
سمع تكبيرهم كبر وعرف ان قد قتلوه ثم انتهوا اليه فقال افلحت الوجوه قالوا ووجهك يا رسول الله ورموا براسه
بين يديه فحمد الله على قتله وفي شرح كتاب شرف المصطفى ان الذين قتلوا كعبا حملوا راسه في مخلاة الى المدينة فقيل
انه اول راس حمل في الاسلام واصاب ذباب السيف الحرث بن اوس فجرح ونزف الدم فتفل عليه السلام على جرحه
فلم يؤذه بعد غزوة غطفان وهي غزوة ذي امر بفتح الهمزة والميم وسماها الحاكم غزوة انمار وهي بناحية نجد وكانت
لثنتي عشرة مضت من ربيع الاول على راس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة وسببها ان جمعا من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا
يريدون الاغارة جمعهم دعثور بن الحرث المحاربي وسماه الخطيب غورث وغيره غورك وكان شجاعا فندب صلى الله عليه
وسلم المسلمين وخرج في اربعمائة وخمسين فارسا واستخلف على المدينة عثمان بن عفان فلما سمعوا بمهبطه صلى الله عليه
وسلم عليهم هربوا في رؤوس الجبال فاصابوا رجلا منهم من بني ثعلبة فادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه الى الاسلام
فاسلم وضمه الى بلال واصاب النبي صلى الله عليه وسلم مطر فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها وهم ينظرون
فقالوا لدعثور قد انفرد محمد فعليك به فاقبل ومعه سيف حتى قام على راسه عليه السلام فقال من يمنعك مني
اليوم فقال صلى الله عليه وسلم الله فدفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم فقال
من يمنعك مني قال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ثم اتى قومه فدعاهم الى الاسلام وانزل الله
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية ويقال كان ذلك في ذات الرقاع ثم

رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته احدى عشرة ليلة غزوة بحران ر ر ر وتسمى غزوة بني سليم
من ناحية الفرع بفتح الفاء والراء كما قيده السهيلي وسببها انه بلغه عليه السلام ان بها جمعا كثيرا من بني سليم فخرج في
ثلثمائة رجل من اصحابه فوجدهم قد تفرقوا في مياههم فرجع ولم يلق كيدا وكان قد استعمل على المدينة ابن ام مكتوم كما
قاله ابن هشام وكانت غيبته عشر ليال سرية زيد بن حارثة ر ر الى القردة بالقاف المفتوحة وبالسكون
الراء وقيل بالفاء وكسر الراء كما ضبطه ابن الفرات اسم ماء من مياه نجد وسببها كما قاله ابن اسحاق ان قريشا خافوا من
طريقهم التي يسلكون الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم ابو سفيان بن
حرب ومعهم فضة كثيرة وعند ابن سعد بعثه صلى الله عليه وسلم لهلال جمادى الاخرة على راس ثمانية وعشرين شهرا من
الهجرة في مائة راكب يعترض عيرا لقريش فيها صفوان بن امية وحويطب بن عبد العزى ومعهم مال كثير وآنية فضة
فاصابوها وقدموا بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين الف درهم وعند
مغلطاي خمسة وعشرين الف درهم وذكرها ابن اسحاق قبل قتل ابن الاشرف غزوة احد وهو جبل مشهور
بالمدينة على اقل من فرسخ منها وسمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال اخر هناك ويقال له ذو عينين قال مثنى عين
في القاموس بكسر العين وفتحها تثنية عين جبيل باحد انتهى وهو الذي قال فيه عليه السلام احد جبل يحبنا ونحبه قيل
وفيه قبر هرون اخي موسى عليهما السلام وكانت عنده الوقعة المشهورة في شوال سنة ثلاث باتفاق
يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت منه وقيل لسبع ليال خلون منه وقيل في نصفه وعن مالك بعد
بدر بسنة وعنه ايضا كانت على احدى وثلثين شهرا من الهجرة وكان سببها كما ذكره ابن اسحاق عن شيوخه
وموسى بن عقبة عن ابن شهاب وابو الاسود عن عروة وابن سعد قالوا ومن قال منهم ما حاصله ان
قريشا لما رجعوا من بدر الى مكة وقد اصيب اصحاب القليب ورجع ابو سفيان بعيره قال عبد الله ابن ابي ربيعة
وعكرمة بن ابي جهل في جماعة ممن اصيب اباؤهم واخوانهم وابناؤهم يوم بدر يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم
فاعينونا بهذا المال على حربه يعنون عير ابي سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة لعلنا ان ندرك منه ثارا فاجابوا
لذلك فباعوها وكانت الف بعير والمال خمسين الف دينار وفيهم كما قال ابن اسحاق وغيره انزل الله تعالى ان الذين كفروا ينفقون
اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون واجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكتب العباس بن عبد المطلب كتابا يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم وسار بهم ابو سفيان حتى نزلوا ببطن الوادي
من قبل احد مقابل المدينة وكان رجال من المسلمين اسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر ورأى صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة
رؤيا فلما اصبح قال اني والله قد رايت خيرا رايت بقرا تذبح ورايت في ذباب سيفي ثلما ورايت اني ادخلت يدي في
درع حصينة فاما البقر فناس من اصحابي يقتلون واما الثلم الذي رايت في سيفي فهو رجل من اهل بيتي يقتل وقال
ابن عقبة ويقول رجال كان الذي بسيفه ما اصاب وجهه فان العدو اصابوا وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم يومئذ
وكسروا رباعيته وجرحوا شفته وفي رواية قال عليه السلام واولت الدرع الحصينة المدينة فامكثوا فان دخل القوم الازقة
قاتلناهم ورموا من فوق البيوت فقالوا والله كنا نتمنى هذا اليوم اخرج بنا الى اعدائنا لا يرون انا جبنا
عنهم فصلى عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة ثم وعظهم وامرهم بالجد والاجتهاد واخبرهم ان لهم النصر ما صبروا وامرهم
بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بذلك ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا وحضر اهل العوالي ثم دخل عليه السلام بيته ومعه
صاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فعمماه والبساه وصف الناس ينتظرون خروجه عليه السلام فقال لهم سعد بن معاذ
واسيد بن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه فخرج صلى الله عليه وسلم وقد لبس لامته وهي
بالهمز وقد يترك تخفيفا الدرع وتقلد سيفه فندموا جميعا على ما صنعوا فقالوا ما كان لنا ان نخالفك فاصنع ما شئت فقال

ما

ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه وفي حديث ابن عباس عند احمد والنسائي والطبراني
وصححه الحاكم نحو حديث ابن اسحاق وفيه اشارة النبي صلى الله عليه وسلم اليهم ان لا يبرحوا من المدينة وايثارهم الخروج لطلب
الشهادة ولبسه اللامة وندامتهم على ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل وفيه
اني رايت اني في درع حصينة الحديث وعقد عليه السلام ثلاثة الوية لواء بيد اسيد بن الحضير ولواء المهاجرين بيد علي بن ابي
طالب وقيل بيد مصعب بن عمير ولواء الخزرج بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة وفي المسلمين مائة دارع وخرج السعدان
امامه يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة دارعين واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة
وادلج عليه السلام في السحر وكان قد رد جماعة من المسلمين لصغرهم منهم اسامة وابن عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري
والنعمان بن بشير قاله مغلطاي وفيه نظر وكان المسلمون الف رجل ويقال تسعمائة والمشركون ثلاثة الاف رجل فيهم
سبعمائة دارع ومائتا فرس وثلاثة الاف بعير وخمس عشرة امراة ونزل عليه السلام باحد ورجع عنه عبد الله بن ابي
في ثلثمائة ممن تبعه من قومه من اهل النفاق ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالانصراف لكفرهم لمكان يقال له الشوط
ويقال باحد ثم صف المسلمون باصل احد وصف المشركون بالسبخة قال ابن عقبة وكان على مجنبة ميمنة خيل المشركين خالد
ابن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة ابن ابي جهل وجعل صلى الله عليه وسلم على الرماة وهم خمسون رجلا عبد الله بن جبير وقال
ان رايتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى ارسل اليكم وان رايتمونا هزمنا القوم واوطاناهم فلا تبرحوا حتى
ارسل اليكم كذا في البخاري من حديث البراء وفي حديث ابن عباس عند احمد والطبراني والحاكم انه صلى الله عليه وسلم اقامهم
في موضع ثم قال احموا ظهورنا فان رايتمونا نقتل فلا تنصرونا وان رايتمونا قد غنمنا فلا تشركونا قال ابن اسحاق وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فامسكه عنهم حتى قام اليه ابو دجانة سماك فقال
وما حقه يا رسول الله قال ان تضرب به في وجه العدو حتى ينحني قال انا آخذه بحقه يا رسول الله فاعطاه اياه
وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب فلما راه عليه السلام يتبختر قال انها لمشية يبغضها الله الا في مثل هذا الموطن
قال الزبير بن العوام فيما قاله ابن هشام فقلت والله لانظرن ما يصنع ابو دجانة فاتبعته فاخذ عصابة له حمراء
فعصب بها راسه فقالت الانصار اخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول

انا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
الا اقوم الدهر في الكيول اضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى احدا من المشركين الا قتله وقوله في الكيول بفتح الكاف وتشديد المثناة التحتية مؤخر الصفوف وهو فيعول من
كال الزند يكيل كيلا اذا كبا ولم يخرج نارا فشبه مؤخر الصفوف به لان من كان فيه لا يقاتل قال ابو عبيد ولم يسمع الا في
هذا الحديث وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل ارطاة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف والتقى حنظلة الغسيل
وابو سفيان فضربه شداد بن الاسود فقتله فقال صلى الله عليه وسلم ان حنظلة لتغسله الملائكة فسالوا امراته جميلة اخت عبد
الله بن ابي فقالت خرج وهو جنب فقال عليه السلام لذلك غسلته الملائكة وبذلك تمسك من قال من العلماء ان الشهيد يغسل
اذا كان جنبا وقتل علي طلحة صاحب لواء المشركين ثم حمل لواءهم عثمان ابن ابي طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه
ثم انزل الله نصره على المسلمين فحسوا الكفار بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة فولوا الكفار لا يلوون على شيء
ونساؤهم يدعون بالويل وتبعهم المسلمون حتى اجهضوهم ووقعوا ينتهبون العسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم وفي البخاري قال البراء فقال اصحاب عبد الله
ابن جبير اي قوم الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا والله لناتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين وفي حديث عائشة عند
البخاري ايضا لما كان يوم احد هزم المشركون هزيمة بينة فصاح ابليس اي عباد الله اخراكم فرجعت اولاهم فاجتلدت هي واخراهم
~~ايضا لما كان يوم احد هزم المشركون هزيمة بينة~~ فاجتلدت مع اخراهم وعند احمد والحاكم من حديث ابن عباس انهم لما رجعوا

اختلطوا بالمشركين والتبس العسكران فلم يتميزوا فوقع القتل في المسلمين بعضهم من بعض وفي رواية غيرهما ونظر خالد ابن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على من بقي من النفر الرماة فقتلوهم وأميرهم عبد الله بن جبير وفي البخاري أنهم لما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فشد عليه فكان كأمس الذاهب وكان وحشي كامناً تحت صخرة فلما دنا منه رماه بحربته حتى خرجت من بين وركيه فكان آخر العهد به انتهى وكان مصعب بن عمير قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وكان الذي قتله ابن قميئة وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح إن محمداً قد قتل ويقال كان ذلك أزب العقبة ويقال بل إبليس لعنه الله تصور في صورة جعال فقال قائل أي عباد الله أخراكم أي احترزوا من جهة أخراكم فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون وانهزم طائفة منهم إلى جهة المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل وقال موسى بن عقبة ولما فقد عليه الصلاة والسلام قال رجل منهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فارجعوا إلى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم فإنهم داخلوا البيوت وقال رجال منهم إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل أفلا تقاتلون على دينكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله عز وجل شهداء منهم أنس بن مالك بن النضر شهد له بها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ قال في عيون الأثر كذا وقع في هذا الخبر أنس بن مالك وإنما هو أنس بن النضر عم أنس بن مالك بن النضر انتهى وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انكشفوا عنه وثبت معه من أصحابه أربعة عشر رجلاً سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر الصديق وسبعة من الأنصار وفي البخاري لم يبق معه عليه السلام إلا اثنا عشر رجلاً فأصابوا منا سبعين وكان عليه السلام وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً فقال أبو سفيان أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات ثم قال أفي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع إلى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله إن الذين عددت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم بيوم بدر والحرب سجال وتوجه صلى الله عليه وسلم يلتمس أصحابه فاستقبله المشركون فرموا وجهه فأدموه وكسروا رباعيته والذي جرح وجهه عبد الله بن قميئة وعتبة بن أبي وقاص أخو سعد هو الذي كسر رباعيته ومن ثم لم يولد من نسله ولد فيبلغ الحنث إلا وهو أبخر أو أهتم أي مكسور الثنايا من أصلها يعرف ذلك في عقبه وقال ابن هشام في حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته وأن ابن قميئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته ووقع صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها المسلمين وفي رواية فهشموا البيضة على رأسه أي كسروا الخوذة ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه في حفرة من الحفر التي حفرها أبو عامر فأخذ علي بيده واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ونشبت حلقتان من المغفر في وجهه فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما في وجهه وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته ثم ازدرده فقال عليه السلام من مس دمي دمه لم تصبه النار وسيأتي إن شاء الله تعالى حكم دمه عليه السلام وفي الطبراني من حديث أبي أمامة قال رمى عبد الله بن قميئة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فشجه في وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وأنا ابن قميئة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه أقماك الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة وروى ابن إسحاق عن حميد الطويل عن أنس قال كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ورواه أحمد والترمذي والنسائي من طرق عن حميد به وعند ابن عائذ من طريق الأوزاعي بلغنا أنه لما جرح صلى الله عليه وسلم يوم أحد أخذ شيئاً فجعل

ينشف

ينشف دمه وقال لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال ضرب وجه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها قال في فتح الباري وهذا مرسل قوي ويحتمل أن يكون أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة انتهى وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فيما قاله ابن هشام خرجت أول النهار حتى انتهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراحة إلي أصابني ابن قميئة أقماه الله لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا قالت فاعترضت له فضربني هذه الضربة ولكن ضربته ضربات على ذلك ولكن عدو الله عليه درعان قالت أم سعد بن الربيع فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قاله ابن إسحاق أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر عليه النبل وهو لا يتحرك ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد فلقد رأيته يناولني النبل ويقول ارم فداك أبي وأمي حتى إنه ليناولني السهم ما له نصل فيقول ارم به وأصيب يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فأتي به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وسطها وردها إلى موضعها وقال اللهم اكسه جمالاً فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظراً ورواه الدارقطني بنحوه ويأتي لفظه إن شاء الله تعالى في مقصد المعجزات ورمي أبو رهم الغفاري كلثوم بن الحصين بسهم فوقع في نحره فبصق عليه صلى الله عليه وسلم فبرأ وانقطع سيف عبد الله بن جحش فأعطاه صلى الله عليه وسلم عرجوناً فعاد في يده سيفاً فقاتل به وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركي من أمراء المعتصم بالله في بغداد بمائتي دينار وهذا نحو حديث عكاشة السابق في غزوة بدر إلا أن سيف عكاشة كان يسمى العون واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون أنهم أصابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشراف أصحابه وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما عرفوه نهضوا ونهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر وعمر وعلي ورهط من المسلمين فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول يا محمد لا نجوت إن نجا فقالوا يا رسول الله يعطف عليه رجل منا فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فلما دنا تناول عليه السلام الحربة من الحارث بن الصمة فلما أخذها عليه السلام منه انتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله عليه السلام فطعنه طعنة وقع بها عن فرسه ولم يخرج له دم فكسر ضلعاً من أضلاعه فلما رجع إلى قريش قال قتلني والله محمد أليس قد كان قال لي بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق علي لقتلني فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة رواه البيهقي وأبو نعيم ولم يذكر كسر ضلعاً من أضلاعه قال الواقدي وكان ابن عمر يقول مات أبي بن خلف ببطن رابغ فإني لأسير ببطن رابغ بعد هوي من الليل إذا نار تأجج لي فهبتها وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها يهيجه العطش وإذا رجل يقول لا تسقه فإن هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبي بن خلف ورواه البيهقي ولما انتهى صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب ملأ علي بن أبي طالب درقته من المهراس وهو صخرة منقورة تسع كثيراً من الماء وقيل هو اسم ماء بأحد فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه وصلى عليه السلام يومئذ الظهر قاعداً من الجراح التي أصابته وصلى المسلمون خلفه قعوداً قال ابن إسحاق ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والأنف وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ولما أراد أبو سفيان الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته أنعمت فعال إن الحرب سجال يوم بيوم بدر اعل هبل وكان أبو سفيان حين أراد الخروج إلى أحد كتب على سهم نعم وعلى الآخر لا وأجالهما عند هبل فخرج سهم

ثم جعل على الجبل فخرج الى أحد فلما قال اعل هبل اي زد علوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر اجبه فقال الله اعلى
واجل فقال ابو سفيان انعمت فعال اي اترك ذكرها فقد صدقت في فتواها وانعمت اي اجابت بنعم فقال عمر لا سواء قتلانا في
الجنة وقتلاكم في النار فقال ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال عليه الصلاة والسلام قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ولما انصرف
ابو سفيان واصحابه نادى ان موعدكم بدر العام القابل فقال عليه السلام لرجل من اصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد
وذكر الطبراني انه لما انصرف المشركون خرج النساء الى الصحابة يعينونهم فكانت فاطمة فيمن خرج فلما لقيت النبي صلى الله عليه وسلم
اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم فلما رات ذلك اخذت شيئا من حصير احرقته بالنار وكمدته به حتى
لصق بالجرح فاستمسك الدم ثم ارسل عليه السلام محمد بن مسلمة كما ذكره الواقدي فنادى في القتلى يا سعد ابن الربيع
مرة بعد اخرى فلم يجبه حتى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلني انظر ما صنعت فاجابه بصوت ضعيف فوجده جريحا في
القتلى وبه رمق فقال ابلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني السلام وقل له يقول لك جزاك الله عنا خير ما جزى به
نبيا عن امته وابلغ قومك عني السلام وقل لهم لا عذر لكم عند الله ان يخلص الى نبيكم وفيكم عين تطرف ثم مات
وقتل ابو جابر فما عرف الا ببنانه اي اصابعه وقيل باطرافها واحدتها بنانة وخرج صلى الله عليه وسلم يلتمس
حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع انفه واذناه فنظر عليه السلام الى
شيء لم ينظر الى شيء اوجع لقلبه منه فقال رحمة الله عليك لقد كنت فعولا للخير وصولا للرحم اما
والله لامثلن بسبعين منهم مكانك قال فنزلت عليه خواتيم سورة النحل فصبر وكفر عن يمينه وامسك عن
ما اراد وممن مثل به كما مثل بحمزة عبد الله ابن جحش ابن اخت حمزة وكان يعرف بالمجدع في الله وكان حين قتل ابن
بضع واربعين سنة ودفن مع حمزة في قبر واحد ولما اشرف عليه السلام على القتلى قال انا شهيد على
هؤلاء وما من جريح يجرح في الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح
المسك وفي رواية عبد الله بن ثعلبة قال عليه السلام لقتلى احد زملوهم بجراحهم وروى ابو بكر ابن مردويه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا جابر الا اخبرك ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم
اباك كفاحا فقال سلني اعطك قال اسألك ان ارد الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه
سبق مني انهم لا يرجعون الى الدنيا قال اي رب فابلغ من ورائي فانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله امواتا الاية وعن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم
في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا
طيب ماكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد
ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل الله عز وجل هذه الاية ولا تحسبن الذين قتلوا
الاية رواه احمد قلت بعض من تكلم على هذا الحديث قوله ثم تاوي الى قناديل يصدقه قوله والشهداء
عند ربهم لهم اجرهم ونورهم وانما تاوي الى تلك القناديل ليلا وتسرح نهارا وبعد دخول الجنة في الاخرة
لا تاوي الى تلك القناديل وانما ذلك في البرزخ وقال مجاهد الشهداء ياكلون من ثمر الجنة وليسوا فيها وقد
رد هذا القول ويشهد له ما وقع في مسند ابن ابي شيبة وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الشهداء بنهر او على نهر يقال له بارق عند باب الجنة في قبة خضراء يأتيهم رزقهم منها بكرة وعشيا
قال الحافظ عماد الدين ابن كثير كان الشهداء اقسام منهم من تسرح ارواحهم في الجنة ومنهم من يكون على هذا
النهر بباب الجنة وقد يحتمل ان يكون منتهى سيرهم الى هذا النهر فيجتمعون هنالك ويغدى عليهم برزقهم
هناك ويراح قال وقد روينا في مسند الامام احمد حديثا فيه بشرى لكل مؤمن بان روحه تكون في الجنة

ايضا

ايضا وتسرح فيها وتاكل من ثمارها وترى ما فيها من النضرة والسرور وتشاهد ما اعد الله لها من الكرامة قال
وهو باسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الائمة الاربعة اصحاب المذاهب المتبعة فان الامام احمد
رواه عن الشافعي عن مالك ابن انس عن الزهري عن عبد الرحمن ابن كعب ابن مالك عن ابيه يرفعه نسمة المؤمن طائر
تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه وقوله تعلق اي تاكل وفي هذا الحديث ان روح
المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة واما ارواح الشهداء ففي حواصل طيور خضر فهي كالكواكب بالنسبة
الى ارواح عموم المؤمنين فانها تطير بانفسها فنسال الله الكريم المنان ان يميتنا على الايمان وقد استشهد
يوم احد من المسلمين سبعون نفسا قاله مغلطاي وغيره وقيل خمسة وستون اربعة من المهاجرين وروى ابن
منده من حديث ابي ابن كعب قال استشهد من الانصار يوم احد اربعة وستون ومن المهاجرين ستة وصححه
ابن حبان من هذا الوجه وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون رجلا وقتل عليه السلام بيده ابي ابن خلف وحضرت
الملائكة يومئذ ففي حديث سعد ابن ابي وقاص عند مسلم في صحيحه انه راى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض ما رايتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل يقاتلون كاشد القتال
وفيه كما قدمناه في غزوة بدر ان قتال الملائكة معه صلى الله عليه وسلم لا يختص بيوم بدر خلافا لمن زعمه كما نص
عليه النووي في شرح مسلم كما قدمته والله اعلم ولما بكى المسلمون على قتلاهم سر بذلك المنافقون وظهر غش
اليهود تنبيه ذكر القاضي عياض في الشفا عن القاضي ابي عبد الله بن المرابط من المالكية انه قال من قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة
من امره ويقين من عصمته انتهى وهذا موافق لمذهبنا لكن قال العلامة البساطي من المالكية هذا القائل ان
كان يخالف في اصل المسألة اعني حكم الساب فله وجه وان وافق على ان الساب لا تقبل توبته فمشكل
انتهى وقد كان في قصة احد وما اصيب به المسلمون من الفوائد والحكم الربانية اشياء عظيمة منها
تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهي لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي امرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يبرحوا منه ومنها عادة الرسل ان تبتلى وتكون لهم العاقبة والحكمة
في ذلك انهم لو انتصروا دائما لدخل في المسلمين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره ولو انكسروا دائما لم يحصل
المقصود من البعثة فاقتضت الحكمة الجمع بين الامرين ليتميز الصادق من الكاذب وذلك ان نفاق المنافقين
كان مخفيا عن المسلمين فلما جرت هذه القصة واظهر اهل النفاق ما اظهروه من الفعل والقول عاد التلويح تصريحا وعرف المسلمون
ان لهم عدوا في دورهم واستعدوا لهم وتحرزوا منهم ومنها ان في تاخير النصر في بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لشماختها
فلما ابتلي المسلمون صبروا وجزع المنافقون ومنها ان الله تعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته فلا تبلغها اعمالهم
فقيض لهم اسباب الابتلاء والمحن ليصلوا اليها ومنها ان الشهادة من اعلى مراتب الاولياء فساقهم اليها ومنها انه اراد اهلاك
اعدائه فقيض لهم الاسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في اذى اوليائه فمحص ذنوب المؤمنين ومحق بذلك
الكافرين غزوة حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة عن يسار الطريق اذا اردت ذا الحليفة وكانت صبيحة
يوم احد لست عشرة مضت او لثمان خلت من شوال على راس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة لطلب عدوهم بالامس ونادى مؤذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يخرج معنا احد الا من حضر يومنا بالامس اي من شهد احدا وانما خرج عليه السلام مرهبا
للعدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وان الذي اصابهم لم يوهنهم عن عدوهم واقام عليه السلام بها الاثنين
والثلاثاء والاربعاء ثم رجع الى المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمسا وظفر عليه السلام في مخرجه ذلك بمعاوية ابن المغيرة
ابن ابي العاص فامر بضرب عنقه صبرا قال الحافظ مغلطاي وحرمت الخمر في شوال وقيل سنة اربع انتهى قال

ابو هريرة فيما رواه احمد حرمت الخمر ثلاث مرات قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فانزل الله يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الى اخر الآية فقال
الناس ما حرم علينا انما قال فيهما اثم كبير وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوم من الايام صلى رجل من المهاجرين
ام اصحابه في المغرب خلط في قراءته فانزل الله اية اغلظ منها يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى
تعلموا ما تقولون وكان الناس يشربون ثم نزلت اية اغلظ من ذلك يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون
قالوا انتهينا ربنا والميسر القمار وقيل غير ذلك وولد الحسن بن علي في هذه السنة ثم سرية ابي سلمة عبد الله بن عبد الاسد تلوا
هلال المحرم على راس خمس وثلاثين من الهجرة الى قطن جبل بناحية فيد ومعه مائة وخمسون رجلا من الانصار والمهاجرين
لطلب طليحة وسلمة ابني خويلد فلم يجدهما ووجد ابلا وشاء فاغار عليها ولم يلق كيدا ثم سرية عبد الله بن انيس
وحده يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على راس خمس وثلاثين شهرا من الهجرة الى سفيان بن خالد الهذلي بعرنة وادي
عرفة لانه بلغه صلى الله عليه وسلم انه جمع الجموع لحربه فلما وصل اليه قال له من الرجل قال من بني خزاعة سمعت بجمعك
لمحمد فجئتك لاكون معك قال اجل فمشى معه ساعة ثم اغتره وقتله واخذ راسه وكان يسير ليلا ويتوارى بالنهار حتى
قدم المدينة فقال له عليه الصلاة والسلام افلح الوجه قال افلح وجهك يا رسول الله فوضع راسه بين يديه وكانت غيبته
ثماني عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم ثم سرية عاصم بن ثابت في صفر على راس ستة وثلاثين شهرا
من الهجرة الى الرجيع بفتح الراء وكسر الجيم اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان بناحية الحجاز كانت الوقعة بالقرب منه
سميت به وحديث عضل والقارة بفتح المهملة بعدها لام من بني الهون بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر ينسبون بطن م
الى عضل بن الديش واما القارة فبالقاف وتخفيف الراء بطن من الهون ايضا ينسبون الى الديش المذكور قال ابن دريد
القارة اكمة سوداء فيها حجارة كانهم نزلوا عندها فنسبوا بها وقصة عضل والقارة كانت في بعث الرجيع لا في سرية
بئر معونة وقد فصل بينهما ابن اسحاق فذكر بعث الرجيع في اواخر سنة ثلاث وبئر معونة في اوائل سنة اربع وذكر الواقدي
ان خبر بئر معونة وخبر اصحاب الرجيع جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة وسياق ترجمة البخاري يوهم ان بعث
الرجيع وبئر معونة شيء واحد وليس كذلك لان بعث الرجيع كان سرية عاصم وخبيب واصحابهما وهي مع عضل والقارة
وبئر معونة كانت سرية القراء وهي مع رعل وذكوان وكان البخاري ادمجها معها لقربها منها ويدل على قربها منها ما في
حديث انس من تشريك النبي صلى الله عليه وسلم بين بني لحيان وبني عصية وغيرهم في الدعاء ولم يرد البخاري رحمه الله انها
قصة واحدة ولم يقع ذكر عضل والقارة عنده صريحا وانما وقع ذلك عند ابن اسحاق فانه بعد ان استوفى قصة
احد قال ذكر يوم الرجيع حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد احد رهط من عضل
والقارة فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من اصحابك يفقهوننا فبعث معهم ستة من اصحابه وامر
عليه السلام على القوم مرثد بن ابي مرثد الغنوي كذا في السيرة له وفي الصحيح وامر عليهم عاصم بن ثابت كما سيأتي
وهو اصح فخرجوا مع القوم حتى اتوا على الرجيع ماء لهذيل غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلا فلم يرع القوم وهم في
رحالهم الا الرجال بايديهم السيوف وقد غشوهم فاخذوا اسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم انا والله لا نريد قتلكم
ولكنا نريد ان نصيب بكم شيئا من اهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه ان لا نقتلكم فاما مرثد وخالد وعاصم فقالوا
والله لا نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا فقاتلوا حتى قتلوا وفي البخاري وامر عليهم عاصم بن ثابت حتى اذا كانوا بالهدأة بين
عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائتي رجل عند بعضهم فتبعوهم
بقريب من مائة رام والجمع بينهما واضح بان يكون المائة الاخرى غير رماة وفي رواية ابي معشر بمائة رام فنزلوا بالرجيع
سحرا فاكلوا تمر عجوة فسقط نواة بالارض وكانوا يسيرون بالليل ويكمنون النهار فجاءت امراة من هذيل ترعى غنما فرات

النوآتي فانكرت صغرهن وقالت هذا تمر يثرب فصاحت في قومها اتيتم فجاؤوا في طلبهم فوجدوهم قد كمنوا في الجبل فاتبعوا
آثارهم حتى لحقوهم وفي رواية ابن سعد فلما احس بهم عاصم واصحابه لجأوا الى فدفد بفاءين مفتوحتين ومهملتين الاولى
ساكنة وهي الرابية المشرفة فاحاط بهم القوم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم رجلا فقال
عاصم بن ثابت ايها القوم اما انا فلا انزل في ذمة كافر ثم قال اللهم اخبر عنا رسولك فاستجاب الله لعاصم فاخبر
رسوله خبرهم يوم اصيبوا فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما ونزل اليهم على العهد والميثاق خبيب بن عدي وزيد بن
الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة والنون المفتوحة المشددة وعبد الله بن طارق فانطلقوا بخبيب وزيد
ابن الدثنة حتى باعوهما بمكة فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيبا فلبث خبيب عندهم اسيرا حتى اجمعوا قتله فاستعار من
بعض بنات الحارث موسى ليستحد بها يعني يحلق عانته فغفلت عن ابن لها صغير فاقبل اليه الصبي فاجلسه عنده
ففزعت المراة ان يقتله ففزع عنه فقال خبيب ما كنت لاغدر قالت فوالله ما رايت اسيرا خيرا من خبيب والله
لقد وجدته ياكل قطفا من عنب مثل راس الرجل وانه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة وما كان الا رزق رزقه الله
وهذه كرامة جعلها الله تعالى لخبيب آية على الكفار وبرهانا لنبيه لتصحيح رسالته والكرامة للاولياء ثابتة كرامة الاولياء
مطلقا عند اهل السنة لكن استثنى بعض المحققين منهم كالعلامة الرباني ابي القاسم القشيري ما وقع به التحدي لبعض
الانبياء فقال ولا يصلون الى مثل ايجاد ولد من غير اب ونحو ذلك وهذا اعدل المذاهب في ذلك وان اجابة الدعوة
في الحال وتكثير الطعام والمكاشفة بما يغيب عن العين والاخبار بما سياتي ونحو ذلك قد كثر جدا حتى صار وقوع ذلك ممن
ينسب الى الصلاح كالعادة فانحصر الخارق الآن في نحو ما قاله القشيري وتعين تقييد قول من اطلق ان كل معجزة وجدت لنبي
يجوز ان يقع كرامة لولي ووراء ذلك ان الذي استقر عند العامة ان خرق العادة يدل على ان من وقع له ذلك يكون
من اولياء الله وهو غلط فان الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب فيحتاج من يستدل بذلك
على ولاية اولياء الله الى فارق واولى ما ذكروه ان يختبر حال من وقع له ذلك فان كان متمسكا بالاوامر الشرعية والنواهي
كان علامة على ولايته ومن لا فلا والله اعلم انتهى ملخصا من الفتح ولما خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه قال دعوني اصلي
ركعتين وعند موسى بن عقبة انه صلاهما في موضع مسجد التنعيم وقال اللهم احصهم عددا ولا تبق منهم احدا واقتلهم بددا
يعني متفرقين فلم يحل الحول ومنهم احد حي وفي رواية بريدة بن سفيان فقال خبيب اللهم اني لا اجد من يبلغ رسولك مني
السلام فبلغه وفي رواية الاسود عن عروة فجاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك ثم انشا خبيب يقول
فلست ابالي حين اقتل مسلما * على اي شق كان لله مصرعي * وذلك في ذات الاله وان يشأ
يبارك على اوصال شلو ممزع * والاوصال جمع وصل وهو العضو والشلو بكسر المعجمة الجسد ويطلق على
العضو لكن المراد به هنا الجسد والممزع بالزاي ثم المهملة المقطع ومعنى الكلام اعضاء جسد مقطع وعند ابي الاسود
عن عروة زيادة في هذا الشعر وهو لقد اجمع الاحزاب حولي والبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع * الى الله
اشكو غربتي بعد كربتي * وما ارصد الاحزاب لي عند مصرعي * وساق ابن اسحاق هذه الابيات ثلاثة
عشر بيتا قال ابن هشام ومن الناس من ينكرها لخبيب وكان خبيب اول من سن الركعتين عند القتل لكل
مسلم قتل صبرا كذا قاله ابن اسحاق وقوله هذا يدل على انها سنة جارية وانما صار فعل خبيب سنة
لكل مسلم قتل صبرا كما قاله والسنة انما هي اقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعاله وتقريره لانه فعلها
في حياته صلى الله عليه وسلم فاستحسن ذلك من فعله واستحسنها المسلمون والصلاة خير ما ختم به عمل العبد
وقد صلى هاتين الركعتين زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في حياته عليه السلام
كما روينا من طريق السهيلي بسنده الى الليث بن سعد قال بلغني ان زيد بن حارثة اكترى بغلا من رجل بالطائف

اشترط على الكريّ ان ينزله حيث شاء فكان يقول به الى خربة فقال له انزل فنزل فاذا في الخربة قتلى كثيرة قال فلما اراد
ان يقتله قال له دعني اصلي ركعتين قال صلّ فقد صلى قبلك هؤلاء فلم ينفعهم صلاتهم شيئا قال فلما صليت اتاني
ليقتلني فقلت يا ارحم الراحمين قال فسمع صوتا لا تقتله فهاب ذلك فخرج يطلب فلم ير شيئا فرجع اليّ فناديت
يا ارحم الراحمين ففعل ذلك ثلاثا فاذا انا بفارس على فرس في يده حربة حديد في راسها شعلة نار فطعنه بها فانفذه
من ظهره فوقع ميتا ثم قال لما دعوت المرة الاولى يا ارحم الراحمين كنت في السماء السابعة فلما دعوت المرة الثانية
يا ارحم الراحمين كنت في سماء الدنيا فلما دعوت الثالثة اتيتك انتهى ووقع في رواية ابي الاسود عن عروة
فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب يعني خبيبا نادوه وناشدوه اتحب ان محمدا مكانك قال لا والله ما
احب ان يفديني بشوكة في قدمه ويقال ان الذي قال ذلك زيد بن الدثنة وان ابا سفيان قال له يا زيد
انشدك بالله اتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك فقال والله ما احب ان محمدا
الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه واني لجالس في اهلي قال يقول ابو سفيان ما رايت من الناس
احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس بكسر النون وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده
يعرفونه وكان عاصم قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر ولعل العظيم المذكور عقبة بن ابي معيط فان عاصما
قتله صبرا بامر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان انصرفوا من بدر ووقع عند ابن اسحاق وكذا في رواية بريدة بن سفيان
ان عاصما لما قتل اراد هذيل اخذ راسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد وهي ام مسافع وجلاس ابني طلحة
العبدري وكان عاصم قتلهما يوم احد وكانت قد نذرت حين اصاب ابنيها يوم احد لئن قدرت على راس
عاصم لتشربن الخمر في قحفه قال الطبري وجعلت لمن جاء براسه مائة ناقة فمنعته منهم الدبر بفتح المهملة
وسكون الموحدة الزنابير فلم يقدروا منه على شيء وكان عاصم بن ثابت قد اعطى الله عهدا ان لا يمسه
مشرك ولا يمس مشركا فكان عمر لما بلغه خبره يقول يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في
حياته وانما استجاب الله تعالى له في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لما اراد من اكرامه بالشهادة
ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه سرية المنذر بن عمرو بفتح العين المهملة الى بئر معونة
بفتح الميم وضم المهملة وسكون الواو بعدها نون موضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان في صفر على راس ستة وثلاثين
شهرا من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد وبعث معه المطلب السلمي ليدلهم على الطريق وكان معه رعل بكسر
الراء وسكون المهملة بطن من بني سليم ينسبون الى رعل بن عوف بن مالك وذكوان بطن من بني سليم ايضا ينسبون
الى ذكوان بن ثعلبة فنسبت الغزوة اليهما وهذه الغزوة تعرف بسرية القراء وكان من امرها كما قال ابن
اسحاق انه قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر المعروف بملاعب الاسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الاسلام
فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام وقال يا محمد لو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد فدعوتهم الى امرك رجوت ان
يستجيبوا لكم فقال عليه السلام اني اخشى اهل نجد عليهم قال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فبعث عليه الصلاة والسلام
المنذر بن عمرو ومعه القراء وهم سبعون وقيل اربعون وقيل ثلاثون وقد بين قتادة في روايته انهم كانوا
يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل وفي رواية ثابت يشترون به الطعام لاهل الصفة ويتدارسون القران
بالليل فساروا حتى نزلوا بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتابه صلى الله عليه وسلم الى عدو الله عامر بن الطفيل
العامري وما تكافروا وليس هو عامر بن الطفيل الاسلمي الصحابي فلما اتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل
فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر ابا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم
قبائل من سليم عصية ورعلا وذكوان فجاءوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما راوهم

اخذوا

في فضيلة يا ارحم الراحمين

اخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا الى آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق
شهيدا واسر عمرو بن امية الضمري فلما اخبرهم انه من مضر اخذه عامر بن الطفيل واعتقه عن رقبة زعم انها
كانت على امه فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم قال هذا عمل ابي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا
براء فمات اسفا على ما صنع عامر بن الطفيل وقتل عامر بن فهيرة يومئذ فلم يوجد جسده دفنته الملائكة قال ابن
سعد عن انس بن مالك ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على احد ما وجد على اصحاب بئر معونة وفي صحيح
مسلم عن انس ايضا دعا صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا اصحابه ببئر معونة ثلاثين صباحا يدعو على رعل وذكوان ولحيان وعصية
عصت الله ورسوله قال انس انزل الله في الذين قتلوا يوم بئر معونة قرانا ثم نسخ بعد اي نسخت تلاوته بلغوا
قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه كذا وقع في هذه الرواية وهو يوهم ان بني لحيان من اصاب القراء يوم
بئر معونة وليس كذلك وانما اصاب هؤلاء رعل وذكوان وعصية ومن صحبهم من سليم واما بنو لحيان فهم الذين
اصابوا بعث الرجيع وانما اتى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم كلهم في وقت واحد فدعا على الذين اصابوا
اصحابه في الموضعين دعاء واحدا والله اعلم ثم غزوة بني النضير بفتح النون وكسر الضاد المعجمة قبيلة
كبيرة من اليهود في ربيع الاول سنة اربع وذكرها ابن اسحاق هنا قال السهيلي وكان ينبغي ان يذكرها بعد
بدر لما روى عقيل بن خالد وغيره عن الزهري قال كانت غزوة بني النضير على راس ستة اشهر من وقعة بدر
قبل احد ورجح الداودي ما قاله ابن اسحق من ان غزوة بني النضير بعد بئر معونة مستدلا بقوله تعالى وانزل
الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر وهو استدلال واه فان الاية نزلت
في شان بني قريظة فانهم هم الذين ظاهروا الاحزاب واما بنو النضير فلم يكن لهم في الاحزاب ذكر بل
كان من اعظم الاسباب في جمع الاحزاب وما وقع من اجلائهم فانه كان من رؤوسهم حيي بن اخطب وهو الذي حسن
لبني قريظة الغدر وموافقة الاحزاب حتى كان من هلاكهم ما كان فكيف يصير السابق لاحقا انتهى وقد تقدم
قريبا ان عامر بن الطفيل اعتق عمرو بن امية لما قتل اهل بئر معونة عن رقبة على امه فخرج عمرو الى المدينة
فصادف رجلين من بني عامر معهما عقد وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر به عمرو فقال لهما عمرو
ممن انتما فذكرا انهما من بني عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما عمرو وظن انه ظفر ببعض ثار اصحابه فاخبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بذلك فقال لقد قتلت قتيلين قال ابن اسحاق وغيره ثم خرج عليه السلام الى بني النضير يستعين
بهم في دية ذينك القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن امية للجوار الذي كان صلى الله عليه وسلم عقده لهما وكان
بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف فلما اتاهم عليه السلام يستعينهم في ديتهما قالوا يا ابا القاسم نعينك
على ما احببت مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوا محمدا على مثل هذا الحال وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنب جدار من بيوتهم قالوا فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي هذه الصخرة
عليه فيقتله ويريحنا فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال انا لذلك فصعد ليلقي عليه الصخرة ورسول
الله صلى الله عليه وسلم في نفر من اصحابه منهم ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم قال ابن سعد فقال سلام بن مشكم
لليهود لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم وانه لنقض العهد الذي بيننا وبينه قال ابن اسحاق واتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الخبر من السماء بما اراد القوم فقام عليه السلام مظهرا انه يقضي حاجة وترك اصحابه في مجلسهم ورجع
مسرعا الى المدينة واستبطا النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقاموا في طلبه حتى انتهوا اليه فاخبرهم الخبر بما ارادت
يهود من الغدر به قال ابن عقبة ونزل في ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم الآية قال ابن اسحاق فامر عليه السلام بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم قال ابن هشام واستعمل

على المدينة ابن ام مكتوم ثم سار بالناس حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال قال ابن اسحاق فتحصنوا منه في الحصون فقطع
النخل وحرقها فنادوه يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها قال
السهيلي قال اهل التاويل وقع في نفوس بعض المسلمين من هذا الكلام شيء حتى انزل الله ما قطعتم من لينة الاية
الى قوله وليخزي الفاسقين واللينة الوان النخل ما عدا العجوة والبرني ففي هذه الاية انه صلى الله عليه وسلم
لم يحرق من نخلهم الا ما ليس بقوت للناس وكانوا يقتاتون العجوة وفي الحديث العجوة من الجنة وثمرها يغذو احسن
غذاء والبرني ايضا كذلك فمفهوم قوله تعالى ما قطعتم من لينة ولم يقل من نخلة على العموم تنبيه على كراهة قطع
ما يقتات ويغذو من شجر العدو اذا رجي ان يصير الى المسلمين قال ابن اسحاق وقد كان رهط من بني عوف من
الخزرج منهم عبد الله بن ابي ابن سلول بعثوا الى بني النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم
وان اخرجتم خرجنا معكم فتربصوا فقعدوا عن نصرهم وقذف في قلوبهم الرعب فلم ينصروهم فسالوا رسول الله ان يجليهم عن
ارضهم ويكف عن دمائهم وعند ابن سعد انهم حين هموا بغدره صلى الله عليه وسلم واعلمه الله بذلك بعث اليهم محمد بن مسلمة
ان اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد اجلتكم عشرا فمن رؤي منكم بعد ذلك ضربت
عنقه فمكثوا على ذلك اياما يتجهزون وتكاروا من ناس من اشجع ابلا فارسل اليهم عبد الله بن ابي لا تخرجوا من دياركم
واقيموا في حصونكم فان معي الفين من قومي من العرب يدخلون حصنكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع
حيي فيما قال له ابن ابي فارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك فاظهر صلى الله عليه وسلم
التكبير وكبر المسلمون بتكبيره وسار اليهم عليه السلام في اصحابه فصلى العصر بفناء بني النضير وعلي يحمل رايته فلما راوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة واعتزلهم ابن ابي ولم يعنهم وكذا حلفاؤهم من غطفان
فيئسوا من نصرهم فحاصرهم صلى الله عليه وسلم وقطع نخلهم وقال لهم عليه السلام اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت
الابل الا الحلقة وهي بالمهملة واللام كما في القاموس الدرع فنزلت يهود على ذلك وكان حاصرهم خمسة عشر يوما فكانوا يخربون
بيوتهم بايديهم ثم اجلاهم عن المدينة وولي اخراجهم محمد بن مسلمة وحملوا النساء والصبيان وتحملوا على ستمائة بعير فلحقوا
بخيبر وحزن المنافقون عليهم حزنا شديدا وقبض صلى الله عليه وسلم الاموال ووجد من الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة
وثلاثمائة واربعين سيفا وكانت بنو النضير صفيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حبسا لنوائبه ولم يخمسها لاحد لان المسلمين
لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب وانما قذف في قلوبهم الرعب وجلاهم عن منازلهم الى خيبر ولم يكن ذلك عن قتال من
المسلمين لهم فقسمها عليه السلام بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم عن الانصار اذ كانوا قد قاسموهم في الاموال
والديار غير انه اعطى ابا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما وفي الاكليل واعطى سعد بن معاذ سيف ابن ابي الحقيق وكان
سيفا له ذكر عندهم غزوة ذات الرقاع واختلف فيها متى كانت فعند ابن اسحاق بعد بني النضير سنة اربع في شهر ربيع
او بعض جمادى وعند ابن سعد وابن حبان في المحرم سنة خمس وجزم ابو معشر بانها بعد بني قريظة في ذي القعدة
سنة خمس فتكون ذات الرقاع في اخر السنة واول التي تليها قال في فتح الباري قد جنح البخاري الى انها كانت بعد خيبر
واستدل لذلك بامور ومع ذلك فذكرها قبل خيبر فلا ادري هل تعمد ذلك تسليما لاصحاب المغازي انها كانت قبلها او
ان ذلك من الرواة عنه او اشارة الى احتمال ان تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين مختلفتين كما اشار اليه البيهقي على ان
اصحاب المغازي مع جزمهم بانها كانت قبل خيبر مختلفون في زمانها انتهى والذي جزم به ابن عقبة تقدمها لكن تردد في
وقتها فقال لا ندري كانت قبل بدر او بعدها او قبل احد او بعدها قال الحافظ ابن حجر وهذا التردد لا حاصل له بل
الذي ينبغي الجزم به انها بعد غزوة قريظة لان صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت وقد ثبت وقوع صلاة الخوف
في غزوة ذات الرقاع فدل على تاخرها بعد الخندق ثم قال عند قول البخاري وهي بعد خيبر لان ابا موسى جاء بعد خيبر واذا

كان كذلك وثبت ان ابا موسى شهد غزوة ذات الرقاع لزم انها كانت بعد خيبر قال وعجبت من ابن سيد الناس كيف قال
البخاري حديث ابي موسى هذا حجة في ان غزوة ذات الرقاع متاخرة عن خيبر قال وليس في خبر ابي موسى ما يدل على شيء
من ذلك انتهى كلام ابن سيد الناس وهذا النفي مردود والدلالة من ذلك واضحة كما قررته قال واما الدمياطي
فادعى غلط الحديث الصحيح وان جميع اهل السير على خلافه وقد تقدم انهم مختلفون في زمانها فالاولى الاعتماد على
ما ثبت في الحديث الصحيح واما قول الغزالي انها اخر الغزوات فهو غلط واضح وقد بالغ ابن الصلاح في انكاره وقال
بعض من انتصر للغزالي لعله اراد اخر غزوة صليت فيها صلاة الخوف وهو انتصار مردود بما اخرجه ابو داود والنسائي
وصححه ابن حبان من حديث ابي بكرة انه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف وانما اسلم ابو بكرة بعد غزوة
الطائف بالاتفاق انتهى واما تسميتها بذات الرقاع فلانهم رقعوا فيها راياتهم قاله ابن هشام وقيل لشجرة في ذلك الموضع
يقال لها ذات الرقاع وقيل الارض التي نزلوا بها فيها بقع سود وبقع بيض كانها مرقعة برقاع مختلفة فسميت
ذات الرقاع لذلك وقيل ان خيلهم كان بها سواد وبياض قاله ابن حبان وقال الواقدي سميت بجبل هناك فيه
بقع قال الحافظ ابن حجر وهذا لعله مستند ابن حبان ويكون قد تصحف عليه بخيل قال واغرب الداودي فقال سميت
ذات الرقاع لوقوع صلاة الخوف فيها فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها انتهى قال السهيلي واصح من هذه الاقوال
كلها ما رواه البخاري عن ابي موسى الاشعري قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ونحن ستة نفر بيننا
بعير نعتقبه فنقبت اقدامنا ونقبت قدماي وسقطت اظفاري فكنا نلف على ارجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع
لما كنا نعصب من الخرق على ارجلنا وكان من خبر هذه الغزوة كما قال ابن اسحاق انه صلى الله عليه وسلم غزا نجدا يريد بني
محارب وبني ثعلبة بالمثلثة من غطفان بفتح الغين المعجمة والمهملة لانه عليه السلام بلغه انهم جمعوا الجموع فخرج في
اربعمائة من اصحابه وقيل سبعمائة واستعمل على المدينة عثمان بن عفان وقيل ابا ذر الغفاري حتى نزل نخلا
بالخاء المعجمة موضع من نجد من ارض غطفان قال ابن سعد فلم يجد في محالهم الا نسوة فاخذهن ثم قال ابن اسحاق
فلقي جمعا منهم فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد خاف بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس
صلاة الخوف ثم انصرف بالناس قال ابن سعد وكان ذلك اول ما صلاها وقد رويت صلاة الخوف من طرق كثيرة
وسياتي ان شاء الله تعالى الكلام على ما تيسر منها في مقصد عباداته صلى الله عليه وسلم وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم في
هذه الغزوة خمس عشرة ليلة وفي البخاري عن جابر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة
ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف النبي صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال
تخافني قال لا قال فمن يمنعك مني قال الله وعند ابي عوانة فسقط السيف من يده فاخذه عليه الصلاة
والسلام من يده فقال من يمنعك مني فقال كن خير اخذ قال تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله قال الاعرابي اعاهدك
ان لا اقاتلك ولا اكون مع قوم يقاتلونك قال فخلى سبيله فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس وفي رواية
عند البخاري ولم يعاقبه وانما لم يواخذه عليه السلام بما صنع وعفا عنه لشدة رغبته عليه السلام في استيلاف الكفار
ليدخلوا في الاسلام وفي رواية ابي اليمان عند البخاري في الجهاد قال من يمنعك مني ثلاث مرات وهذا استفهام انكاري اي
لا يمنعك مني احد وقد كان قائما على راسه والسيف في يده والنبي صلى الله عليه وسلم جالس لا سيف معه ويؤخذ
من مراجعة الاعرابي له في الكلام ان الله سبحانه منع نبيه والا فما الذي احوجه الى مراجعته مع احتياجه الى الحظوة عند
قومه بقتله وفي قوله صلى الله عليه وسلم في جوابه الله يمنعني منك اشارة الى ذلك ولذلك لما اعادها الاعرابي فلم يزده
على ذلك الجواب وفي ذلك غاية التهكم وعدم المبالاة به وذكر الواقدي في نحو هذه القصة انه اسلم ورجع الى قومه
فاهتدى به خلق كثير وقال فيها انه رمي بالزلخة بين كتفيه فندر السيف من يده وسقط الى الارض

وجمع باجذ في الصلب وقال البخاري قال مسدد عن ابي عوانة عن ابي بشر اسم الرجل غورث بن الحارث ابي على وزن جعفر
وحكى الخطابي فيه غويرث بالتصغير وقد تقدم في غزوة غطفان وهي غزوة ذي امر بناحية نجد مثل هذه القصة
لرجل اسمه دعثور وانه قام على راسه صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال عليه السلام الله ودفع جبريل في صدره
فوقع السيف من يده وانه اسلم قال بعضهم والاثر والظاهر ان الخبرين واحد وقال غيره من المحققين الصواب
انهما قصتان في غزوتين وفي هذه القصة فرط شجاعته وقوة يقينه وصبره على الاذى وحلمه على الجهال صلى الله
عليه وسلم وفي انصرافه صلى الله عليه وسلم من هذه الغزوة ابطا جمل جابر بن عبد الله فنخسه عليه السلام فانطلق متقدما
بين يدي الركاب ثم قال اتبيعنيه فابتاعه منه وقال لك ظهره الى المدينة فلما وصلها اعطاه الثمن وارجح ورد عليه الجمل
والحديث اصله في البخاري ولا حجة فيه لجواز بيع وشرط لما وقع فيه من الاضطراب وقيل غير ذلك مما يطول ذكره والله
اعلم غزوة بدر الاخيرة وهي الصغرى وتسمى بدر الموعد وكانت في شعبان بعد ذات الرقاع قال ابن اسحاق
لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع اقام بها جمادى الاولى الى اخر رجب ثم خرج
في شعبان الى بدر لميعاد ابي سفيان وقيل كانت في هلال ذي القعدة وميعاد ابي سفيان هو ما سبق ان ابا سفيان قال
يوم احد الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل فقال عليه السلام لرجل من اصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد
فخرج عليه السلام ومعه الف وخمس مائة من اصحابه وعشرة افراس واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة فاقاموا
على بدر ينتظرون ابا سفيان وخرج ابو سفيان حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران وقيل عسفان ثم بدا له الرجوع فقال يا معشر
قريش انه لا يصلحكم الا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب واني راجع فارجعوا
فانما خرجتم تشربون السويق فرجع الناس فسماهم اهل مكة جيش السويق فلم رجعوا واقام عليه السلام ببدر ثمانية ايام وباعوا
ما معهم من التجارة فربحوا الدرهم درهمين وانزل الله في المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول الاية فانقلبوا بنعمة من
الله وفضل لم يمسسهم سوء الاية والصحيح ان هذه الاية نزلت في شان حمراء الاسد كما نص عليه العماد بن كثير غزوة
دومة الجندل وهي بضم الدال من دومة وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة
او ست عشرة ليلة قال ابو عبيد البكري سميت بدومي بن اسمعيل كان نزلها وكانت في شهر ربيع الاول على راس تسعة
واربعين شهرا من الهجرة وكان سببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم فخرج عليه السلام
لخمس ليال بقين من شهر ربيع في الف من اصحابه فكان يسير الليل ويكمن النهار واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة
فلما دنا منهم لم يجد الا النعم والشاء فهجم على ماشيتهم ورعائهم فاصاب من اصاب وهرب من هرب في كل وجه وجاء الخبر
اهل دومة فتفرقوا ونزل عليه السلام بساحتهم فلم يلق بها احدا فاقام بها اياما وبث السرايا وفرقها فرجعوا ولم
يصب منهم احد ثم دخل المدينة في العشرين من ربيع الاخر غزوة المريسيع بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتانية بينهما
مهملة مكسورة واخره عين مهملة وهو ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع يومئذ وتسمى غزوة بني المصطلق بضم
الميم وسكون المهملة وفتح الطاء المثالثة المهملة وكسر اللام بعدها قاف وهو لقب واسمه جذيمة بن سعد بن
عمرو بطن من خزاعة كانت يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس وفي البخاري قال ابن اسحاق سنة ست وقال
موسى بن عقبة سنة اربع انتهى قال الحاكم كانه سبق قلم اراد ان يكتب سنة خمس فكتب سنة اربع والذي في مغازي موسى
ابن عقبة من عدة طرق اخرجها الحاكم وابو سعيد النيسابوري والبيهقي في الدلائل وغيرهم سنة خمس وسببها انه بلغه
عليه السلام ان رئيسهم الحارث بن ابي ضرار سار في قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم الى حرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاجابوه وتهيئوا للمسير معه فبعث عليه السلام بريدة بن الحصيب الاسلمي يعلم علم ذلك فاتاهم ولقي
الحارث بن ابي ضرار وكلمه ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عليه السلام فيه خلق كثير من المنافقين

لم يخ

لم يخرجوا في غزاة قط مثلها واستخلف على المدينة زيد بن حارثة وقادوا الخيل وكانت ثلاثين فرسا وخرجت عائشة
وام سلمة وبلغ الحارث ومن معه مسيره عليه السلام فسيء بذلك هو ومن معه وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنهم
من كان معهم من العرب وبلغ عليه السلام المريسيع فضرب عليه قبته وصف اصحابه ودفع راية المهاجرين الى ابي بكر وراية الانصار
الى سعد بن عبادة فتراموا بالنبل ساعة ثم امر عليه السلام اصحابه فحملوا حملة رجل واحد وقتلوا عشرة واسروا
سائرهم وسبوا النساء والرجال والذرية والنعم والشاء ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد كذا ذكره ابن اسحاق
والذي في صحيح البخاري من حديث ابن عمر يدل على انه اغار عليهم على حين غفلة منهم فاوقع بهم ولفظه اغار
على بني المصطلق وهم غارون وانعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وهم على الماء فيحتمل ان
يكونوا حين الايقاع بهم ثبتوا قليلا فلما كثر فيهم القتل انهزموا بان يكون لما دهمهم وهم على الماء ثبتوا وتصافوا
ووقع القتال بين الطائفتين ثم بعد ذلك وقعت الغلبة عليهم فصل وفي هذه الغزوة نزلت اية التيمم وفي
الصحيحين من حديث عائشة انها قالت خرجنا مع رسول الله في بعض اسفاره فذكر حديث التيمم قال في فتح الباري قوله
في بعض اسفاره قال ابن عبد البر في التمهيد يقال انه كان في غزوة بني المصطلق وجزم بذلك في الاستذكار وسبقه
الى ذلك ابن سعد وابن حبان وغزوة المصطلق هي غزاة المريسيع وفيها كانت قصة الافك لعائشة وكان ابتداء
ذلك بسبب وقوع عقدها ايضا فان كان ما جزموا به ثابتا حمل على انه سقط منها في تلك السفرة مرتين لاختلاف
القصتين كما هو بين في سياقهما قال واستبعد بعض شيوخنا ذلك لان المريسيع من ناحية مكة بين قديد والساحل
وهذه القصة كانت من ناحية خيبر لقولها في الحديث حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش وهما بين مكة وخيبر
كما جزم به النووي قال وما جزم به مخالف لما جزم به ابن التين فانه قال البيداء هي ذو الحليفة بالقرب من المدينة
ات الجيش وراء ذي الحليفة وقال ابو عبيد البكري في معجمه البيداء ادنى الى مكة من ذي الحليفة ثم
ساق حديث عائشة هذا ثم قال وذات الجيش من المدينة على بريد قال وبينها وبين العقيق سبعة اميال
والعقيق من طريق مكة لا من طريق خيبر فاستقام ما قاله ابن التين وقد قال قوم بتعدد ضياع العقد ومنهم محمد
ابن حبيب الاخباري فقال سقط عقد عائشة في غزوة ذات الرقاع وفي غزوة بني المصطلق واختلف اهل المغازي
في اي هاتين الغزوتين كانت اولا وقال الداودي كانت قصة التيمم في غزاة الفتح ثم تردد في ذلك وروى
ابن ابي شيبة من حديث ابي هريرة قال لما نزلت اية التيمم لم ادر كيف اصنع فهذا يدل على تاخرها عن غزوة بني
المصطلق لان اسلام ابي هريرة كان في السنة السابعة وهي بعدها بلا خلاف وكان البخاري يرى ان غزوة ذات
الرقاع كانت بعد قدوم ابي موسى وقدومه كان وقت اسلام ابي هريرة ومما يدل على تاخر القصة ايضا عن قصة
الافك ما رواه الطبراني من طريق محمد بن اسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عن عائشة قالت لما كان من امر عقدي
ما كان وقال اهل الافك ما قالوا خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة اخرى فسقط ايضا عقدي حتى حبس الناس
على التماسه فقال لي ابو بكر يا بنية في كل سفرة تكونين عناء وبلاء على الناس فانزل الله الرخصة في التيمم فقال
ابو بكر انك لمباركة وفي اسناده محمد بن حميد الرازي وفيه مقال وفي سياقه من الفوائد بيان عتاب ابي بكر الذي ابهم
في حديث الصحيح والتصريح بان ضياع العقد كان مرتين في غزوتين انتهى وفي هذه الغزوة قال ابن ابي لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسمعه زيد بن ارقم ذو الاذن الواعية فحدث رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذلك فارسل الى ابن ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا فانزل الله تعالى اذا جاءك المنافقون فقال لزيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله قد صدقك يا زيد رواه البخاري وكانت غيبته عليه السلام في هذه الغزوة ثمانية وعشرين
يوما غزوة الخندق وهي الاحزاب جمع حزب اي طائفة فاما تسميتها بالخندق فلاجل الخندق الذي حفر حول

حول المدينة بامره عليه السلام ولم يكن اتخاذ الخندق من شأن العرب ولكنه من مكايد الفرس وكان الذي اشار به سلمان
الفارسي فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فامر النبي صلى الله عليه وسلم بحفره وعمل فيه بنفسه
ترغيبا للمسلمين وانما سميت بالاحزاب لاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين وهم قريش وغطفان واليهود ومن
معهم وقد انزل الله تعالى في هذه القصة صدر سورة الاحزاب واختلف في تاريخها فقال موسى بن عقبة كانت في شوال
سنة اربع وقال ابن اسحاق في شوال سنة خمس وبذلك جزم غيره من اهل المغازي ومال البخاري الى قول موسى
ابن عقبة وقواه بقول ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضه يوم احد وهو ابن اربع عشرة فلم يجزه وعرضه يوم
الخندق وهو ابن خمس عشرة فاجازه فيكون بينهما سنة واحدة واحد كانت سنة ثلاث فيكون الخندق سنة اربع ولا حجة
فيه اذا ثبت انها كانت سنة خمس لاحتمال ان يكون ابن عمر في احد كان اول ما طعن في الرابعة عشر وكان في الاحزاب قد
استكمل الخمس عشرة وبهذا اجاب البيهقي وقال الشيخ ولي الدين ابن العراقي والمشهور انها في السنة الرابعة وكان من حديث
هذه الغزوة ان نفرا من يهود خرجوا حتى قدموا على قريش مكة وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فاجتمعوا
لذلك واتعدوا له ثم خرج اولئك اليهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى حربه عليه الصلاة والسلام
واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فخرجت قريش وقائدها ابو سفيان
ابن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة ابن حصن في فزارة والحرث بن عوف المري في مرة وكان عدتهم فيما ذكر
ابن اسحاق عشرة الاف والمسلمون ثلاثة الاف وقيل غير ذلك وذكر ابن سعد انه كان مع المسلمين ستة وثلاثون
فرسا ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحزاب وبما اجمعوا عليه من الامر ضرب على المسلمين الخندق فعمل
فيه عليه الصلاة والسلام ترغيبا للاجر وعمل معه المسلمون فدأب ودأبوا وابطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى المسلمين في عملهم ذلك ناس من المنافقين وجعلوا يورون بالضعيف من العمل وفي البخاري عن سهل بن سعد
قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الخندق وهم يحفرونه ونحن ننقل التراب على اكتادنا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم لا عيش الا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والانصار والاكتاد بالمثناة الفوقية جمع كتد بفتح اوله
وكسر المثناة وهو ما بين الكاهل الى الظهر وفي بعض نسخ البخاري اكبادنا بموحدة وهو موجه على ان يكون المراد به
ما يلي الكبد من الجنب وفي البخاري ايضا عن انس فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد
يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال ⁕ اللهم ان العيش عيش الآخره ⁕ فاغفر للانصار
والمهاجره ⁕ فقالوا مجيبين له ⁕ نحن الذين بايعوا محمدا ⁕ على الجهاد ما بقينا ابدا ⁕ قال ابن بطال
وقوله اللهم لا عيش الا عيش الآخرة هو من قول ابن رواحة تمثل به عليه الصلاة والسلام وعند الحرث بن ابي اسامة
من مرسل طاوس زيادة في آخر الرجز ⁕ والعن عضلا والقاره ⁕ هم كلفونا ننقل الحجاره ⁕ وفي البخاري
من حديث البراء قال لما كان يوم الاحزاب وخندق صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني
الغبار جلدة بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التراب ويقول

⁕ اللهم لولا انت ما اهتدينا ⁕ ولا تصدقنا ولا صلينا ⁕
⁕ فانزلن سكينة علينا ⁕ وثبت الاقدام ان لاقينا ⁕
⁕ ان الاولى قد بغوا علينا ⁕ وان ارادوا فتنة ابينا ⁕ قال يمد بها صوته وفي رواية ان

الاولى قد بغوا علينا ⁕ اذا ارادوا فتنة ابينا ⁕ وفي حديث سليمان التيمي عن ابي عثمان النهدي انه صلى الله عليه
وسلم حين ضرب في الخندق قال ⁕ بسم الله وبه بدينا ⁕ ولو عبدنا غيره شقينا ⁕ حبذا ربا وحبذا دينا ⁕
قال في النهاية يقال بديت بالشيء بكسر الدال اي بدأت به فلما خفف كسر الدال فانقلبت الهمزة ياء

وليس

وليس من بنائنا البناء انتهى وقد وقع في حفر الخندق آيات من اعلام نبوته عليه الصلاة والسلام منها ما في الصحيح عن
جابر قال انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة وهي بضم الكاف وتقديم الدال المهملة على التحتانية وهي القطعة
الصلبة فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة
ايام لا نذوق ذواقا فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا اهيل او اهيم كذا بالشك من الراوي وفي
رواية الاسمعيلي باللام من غير شك والمعنى انه صار رملا يسيل ولا يتماسك واهيم بمعنى اهيل وقد قيل في قوله
تعالى فشاربون شرب الهيم المراد الرمال التي لا ترويها الماء وقد وقع عند احمد والنسائي في هذه القصة زيادة باسناد
حسن من حديث البراء قال لما كان حين امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ
فيها المعاول فاشتكينا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء واخذ المعول فقال بسم الله ثم ضرب ضربة فكسر ثلثها
وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله اني لابصر قصورها الحمر الساعة ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فقال
الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس واني والله لابصر قصر المدائن الابيض الآن ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع
بقية الحجر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله اني لابصر ابواب صنعاء من مكاني الساعة ومن اعلام نبوته
صلى الله عليه وسلم ما ثبت في الصحيح في حديث جابر من تكثير الطعام القليل يوم حفر الخندق كما سيأتي ان شاء الله تعالى
مستوفى في مقصد المعجزات مع غيره وقد وقع عند موسى بن عقبة انهم اقاموا في عمل الخندق قريبا من عشرين ليلة وعند
الواقدي اربعا وعشرين وفي الروضة للنووي خمسة عشر يوما وفي الهدي النبوي لابن القيم اقاموا شهرا ولما
فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بمجمع السيول في عشرة آلاف من احابيشهم ومن
تبعهم من بني كنانة وتهامة ونزل عيينة ابن حصن في غطفان ومن تبعهم من اهل نجد الى جانب احد وخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع وكانوا ثلاثة الاف رجل فضرب هنالك عسكره والخندق
بينه وبين القوم وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة ولواء الانصار بيد سعد بن عبادة وكان صلى الله عليه وسلم
يبعث الحرس الى المدينة خوفا على الذراري من بني قريظة قال ابن اسحاق وخرج عدو الله حيي بن اخطب حتى اتى
كعب بن اسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده
فاغلق كعب دونه باب حصنه وابى ان يفتح له وقال ويحك يا حيي انك امرؤ مشؤوم واني قد عاهدت محمدا فلست
بناقض ما بيني وبينه فاني لم ار منه الا وفاء وصدقا فقال ويحك افتح ولم يزل به حتى فتح له فقال يا كعب جئتك
بعز الدهر جئتك بقريش حتى انزلتهم بمجمع الاسيال ومن دونه غطفان وقد عاهدوني على ان لا يبرحوا حتى نستأصل
محمدا ومن معه ولم يزل به حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله
ابن الزبير قال كنت يوم الاحزاب انا وعمر بن ابي سلمة مع النساء في اطم حسان فنظرت فاذا الزبير على فرسه يختلف
الى بني قريظة مرتين او ثلاثا فلما رجعت قلت يا ابت رايتك تختلف قال ورأيتني يا بني قلت نعم قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من يأتي بني قريظة فياتيني بخبرهم فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابويه فقال فداك ابي وامي اخرجه الشيخان وقال الترمذي حديث حسن وفي رواية لاصحاب المغازي فلما انتهى
الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعهما ابن رواحة وخوات بن جبير
ليعرفوا الخبر فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرءوا من عقده وعهده
ثم اقبل السعدان ومن معهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا عضل والقارة اي كغدرهما باصحاب الرجيع
فعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق
من بعض المنافقين وانزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا

الا باف و قاله رجال من حه يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا و قال اوس بن قيظي يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو فاذن لنا فنرجع الى ديارنا فانها خارج المدينة قال ابن عائذ واقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي على فرس له ليوثبه الخندق فوقع في الخندق فقتله الله وكبر ذلك على المشركين فارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعطيكم الدية على ان تدفعوه الينا فندفنه فرد اليهم صلى الله عليه وسلم انه خبيث خبيث الدية فلعنه الله ولعن دية فلا نمنعكم ان تدفنوه ولا ارب لنا في ديته قال ابن اسحاق واقام عليه الصلاة والسلام والمسلمون وعدوهم محاصرهم ولم يكن بينهم قتال الا مرامات بالنبل لكن كان عمرو بن عبد ود العامري اقتحم هو ونفر معه خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق حتى صاروا بالسبخة فبادره علي فقتله و برز نوفل بن عبد الله ابن المغيرة فقتله الزبير و قيل قتله علي ثم رجعت بقية الخيول منهزمة ورمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل وهو بفتح الهمزة والمهملة بينهما كاف ساكنة عرق في وسط الذراع قال الخليل هو عرق الحياة يقال ان في كل عضو منه شعبة فهو في اليد الاكحل وفي الظهر الابهر وفي الفخذ النسا اذا قطع لم يرقأ الدم وكان الذي رمى سعدا ابن العرقة احد بني عامر بن لؤي قال قال خذها مني وانا ابن العرقة فقال له سعد عرق الله وجهك في النار ثم قال سعد اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقني لها فانه لا قوم احب الي ان اجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه واقام عليه السلام واصحابه بضع عشرة ليلة حتى نعيم بن مسعود الاشجعي وهو مخف اسلامه فثبط قوما عن قوم واوقع بينهم شرا لقوله عليه السلام الحرب خدعة فاختلفت كلمتهم وروى الحاكم عن حذيفة قال لقد رايتنا ليلة الاحزاب وابو سفيان ومن معه من فوقنا وقريظة اسفل منا نخافهم على ذرارينا وما اتت علينا ليلة اشد ظلمة ولا ريحا منها فجعل المنافقون يقولون بيوتنا عورة فمر بي النبي صلى الله عليه وسلم وما انا جاث على ركبتي ولم يبق معه الا ثلاثمائة فقال اذهب فجئني بخبر القوم قال ودعا لي فاذهب الله عني القر والفزع فدخلت عسكرهم فاذا الريح فيه لا تجاوز شبرا فلما رجعت رايت فوارس في طريقي فقالوا اخبر صاحبك ان الله كفاه القوم وفي رواية ان حذيفة لما ارسله عليه السلام لياتيه بالخبر سمع ابا سفيان يقول يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام ولقد هلك الخف والكراع واخلفتنا بنو قريظة ولقينا من هذا الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله فما حل عقاله الا وهو قائم و وقع في البخاري انه عليه السلام قال يوم الاحزاب من ياتينا بخبر القوم فقال الزبير انا ثم قال من ياتينا بخبر القوم فقال الزبير انا قالها ثلاثا و قد اشكل ذكر الزبير في هذه فقال ابن الملقن وقع هنا ان الزبير هو الذي ذهب والمشهور انه حذيفة ابن اليمان قال الحافظ ابن حجر وهذا الحصر مردود فان القصة التي ذهب لكشفها غير القصة التي ذهب حذيفة لكشفها فقصة الزبير كانت لكشف خبر بني قريظة هل نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين ووافقوا قريشا على محاربة المسلمين وقصة حذيفة كانت لما اشتد الحصار على المسلمين بالخندق وعالت عليهم الطوائف ثم وقع بين الاحزاب الاختلاف وحذر كل طائفة من الاخرى وارسل الله عليهم الريح واشتد البرد تلك الليلة فانتدب عليه السلام من ياتيه بخبر قريش فانتدب له حذيفة بعد تكراره طلب ذلك وقصته في ذلك مشهورة لما دخل بين قريش في الليل وعرف قصتهم و في البخاري من حديث عبد الله ابن ابي اوفى قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم و روى احمد عن ابي سعيد قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال فضرب الله وجوه اعدائنا بالريح و في ينبوع الحياة لابن

طفر

ظفر قيل انه صلى الله عليه وسلم دعا فقال يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فانك ترى ما نزل بي وباصحابي فاتاه جبريل فبشره بان الله سبحانه يرسل عليهم ريحا وجنودا فاعلم اصحابه ورفع يديه قائلا شكرا شكرا وهبت ريح وحصر الصبا ليلا فقلعت الاوتاد والقت عليهم الابنية وكفأت القدور وسفت عليهم التراب ترميهم بالحصباء وسمعوا في ارجاء معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هرابا في ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم قال فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها و في البخاري عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الخندق ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس ومقتضى هذا انه استمر اشتغاله بقتال المشركين حتى غابت الشمس ويعارضه ما في صحيح مسلم عن ابن مسعود انه قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة العصر حتى احمرت الشمس واصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى ومقتضى هذا انه لم يخرج الوقت بالكلية قال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد الكتيبي انتهى الى ذلك الوقت اي الحمرة او الصفرة ولم تقع الصلاة الا بعد المغرب انتهى و في البخاري عن عمر بن الخطاب انه جاء يوم الخندق بعدما كادت الشمس تغرب فقال صلى الله عليه السلام وسلم والله ما صليتها فنزلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعدما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب و قد يكون ذلك للاشتغال باسباب الصلاة او غيرها و مقتضى هذه الرواية المشهورة انه لم يفت غير العصر و في الموطأ الظهر والعصر و في الترمذي عن ابن مسعود ان المشركين شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اربع صلوات يوم الخندق وقال ليس باسناده باس الا ان ابا عبيدة لم يسمع من عبد الله قال ابن العربي الى الترجيح وقال الصحيح ان التي اشتغل عنها صلى الله عليه وسلم واحدة وهي العصر و قال النووي طريق الجمع بين هذه الروايات ان وقعة الخندق بقيت اياما فكان هذا في بعض الايام وهذا في بعضها قال واما تاخيره عليه السلام صلاة العصر حتى غربت الشمس فكان قبل نزول صلاة الخوف قال العلماء يحتمل انه اخرها نسيانا لا عمدا و لا كان السبب في النسيان الاشتغال بامر العدو ويحتمل انه اخرها عمدا للاشتغال بالعدو وكان هذا عذرا في تاخير الصلاة قبل نزول صلاة الخوف واما اليوم فلا يجوز تاخير الصلاة عن وقتها بسبب العدو والقتال بل يصلى صلاة الخوف على حسب الحال و قد اختلف في المراد بالصلاة الوسطى وجمع الحافظ الدمياطي في ذلك مؤلفا مفردا اسماه كشف المغطى عن الصلاة الوسطى فبلغ تسعة عشر قولا وهي الصبح او الظهر او العصر او المغرب او جميع الصلوات وهو يتناول الفرائض والنوافل واختاره ابن عبد البر او الجمعة وصححه القاضي حسين في صلاة الخوف من تعليقه او الظهر في الايام والجمعة يوم الجمعة او العشاء لانها بين صلاتين لا تقصران او الصبح والعشاء او الصبح والعصر لقوة الادلة فظاهر القرآن الصبح ونص السنة العصر او صلاة الجماعة او الوتر او صلاة الخوف او صلاة عيد الاضحى او الفطر او صلاة الضحى او واحدة من الخمس غير معينة او الصبح او العصر على التردد وهو غير القول السابق او التوقف انتهى و انصرف صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق يوم الاربعاء لسبع ليال بقين من ذي القعدة وكان قد اقام بالخندق خمسة عشر يوما و قيل اربعة وعشرين يوما وقال عليه السلام لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا و في ذلك علم من اعلام النبوة فانه عليه السلام اعتمر في السنة و صدته قريش عن البيت ووقعت الهدنة بينهم الى ان نقضوها وكان ذلك سبب فتح مكة فوقع الامر كما قال عليه السلام و سياتي ذلك ان شاء الله تعالى و قد اخرج البزار من حديث جابر باسناد حسن شاهدا لهذا ولفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وقد جمعوا له جموعا كثيرة لا يغزونكم بعد هذا ابدا ولكن انتم تغزونهم و لما دخل صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاربعاء هو واصحابه ووضعوا السلاح جاءه جبريل عليه السلام معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج و في رواية البخاري من حديث عائشة انه لما رجع صلى الله عليه وسلم ووضع السلاح واغتسل اتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم ثار

الى بني قريظة وعند ابن اسحاق ان الله يامركم يا محمد بالمسير الى بني قريظة فاني عامد اليهم فمزلزل بهم فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم مؤذنا فاذن في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا ببني قريظة وعند ابن عائذ قم فشد عليك
سلاحك فوالله لادقنهم دق البيض على الصفا وبعث يومئذ مناديا ينادي يا خيل الله اركبي وعند الحاكم والبيهقي وبعث
عليا على المقدمة وخرج صلى الله عليه وسلم في اثرهم وعند ابن سعد ثم سار اليهم في المسلمين وهم ثلاثة الاف والخيل ستة
وثلاثون فرسا وذلك يوم الاربعا لسبع بقين من ذي القعدة واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم فيما قاله ابن هشام
ونزل عليه السلام على بئر من آبار بني قريظة وتلاحق به الناس فاتى رجال من بعد عشاء الاخرة ولم يصلوا العصر لقوله صلى
الله عليه وسلم لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد عشاء الاخرة فما عابهم الله تعالى بذلك في كتابه
ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البخاري عن ابن عمر فادرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي حتى ناتيها
وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدا منهم كذا وقع في جميع النسخ من البخاري انها
العصر واتفق عليه جميع اهل المغازي ووقع في بعض نسخ مسلم انها الظهر مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد
باسناد واحد ووافق مسلما ابو يعلى واخرون وجمع بين الروايتين باحتمال ان يكون بعضهم قبل الامر كان صلى الظهر وبعضهم
لم يصلها فقيل لمن لم يصلها لا يصلين احد الظهر ولمن صلاها لا يصلين احد العصر وجمع بعضهم باحتمال ان يكون طائفة
منهم راحت بعد طائفة الاولى الظهر والطائفة التي بعدها العصر والله اعلم قال ابن اسحاق وحاصرهم عليه السلام
خمسا وعشرين ليلة حتى اجهدهم الحصار وعند ابن سعد خمس عشرة وعند ابن عقبة بضع عشرة ليلة وقد قذف الله في
قلوبهم الرعب فعرض عليهم رئيسهم كعب بن اسد ان يؤمنوا فقال لهم يا معشر يهود انه قد نزل بكم من الامر ما ترون واني
اعرض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شئتم قالوا وما هي قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين انه
لنبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتامنون على دمائكم واموالكم وابنائكم ونسائكم فابوا فقال فاذا ابيتم علي
هذه فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله
بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا ما نخشى عليه فقالوا اي عيش لنا بعد ابنائنا ونسائنا فقال ان ابيتم علي
هذه فان الليلة ليلة السبت وعسى ان يكون محمد واصحابه قد امنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد واصحابه غرة
قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا الا من قد علمت فاصابه ما لم يخف عليك من المسخ وارسلوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا ابا لبابة وهو من بني عمرو بن عوف نستشيره في امرنا فارسله اليهم فلما
راوه قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم وقالوا يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم
محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني قد خنت
الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه ولم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد الى عمود من
عمده وقال لا ابرح من مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله ان لا يطا بني قريظة ابدا ولا ارى في بلد
خنت الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطاه قال اما لو جاءني لاستغفرت
له واما اذ فعل ما فعل فما انا بالذي اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه قال واقام ابو لبابة مرتبطا بالجذع
ست ليال تاتيه امراته في وقت كل صلاة فتحله للصلاة ثم تعود فتربطه بالجذع وقال ابو عمر روى ابن وهب عن
مالك عن عبد الله بن ابي بكر ان ابا لبابة ارتبط بسلسلة ثقيلة بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه فما كاد يسمع
وكاد يذهب بصره وكانت ابنته تحله اذا حضرت الصلاة او اراد ان يذهب لحاجة فاذا فرغ اعادته وعن
عبد الله بن قسيط ان توبة ابي لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة قالت ام سلمة
فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك فقالت قلت مم تضحك اضحك الله سنك قال تيب

على

على ابي لبابة قالت قلت افلا ابشره يا رسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك
قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك قالت فثار الناس اليه ليطلقوه
فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا الى
صلاة الصبح اطلقه ولما اشتد الحصار ببني قريظة اذعنوا ان ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان قد جعله في خيمة في المسجد الشريف لامراة من اسلم يقال لها رفيدة
وكانت تداوي الجرحى فلما حكمه اتاه قومه فحملوه على حمار وقد وطئوا له بوسادة من ادم وكان رجلا
جسيما ثم اقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمين قال عليه السلام قوموا الى سيدكم فاما المهاجرون من قريش فيقولون انما اراد رسول الله
صلى الله عليه وسلم الانصار واما الانصار فيقولون قد عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فقالوا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك امر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال
وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء فقال عليه الصلاة والسلام لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق
سبعة ارقعة والرقيع السماء سميت بذلك لانها رقعت بالنجوم ووقع في البخاري قال قضيت
فيهم بحكم الله وربما قال بحكم الملك بكسر اللام وفي رواية محمد بن صالح لقد حكمت اليوم فيهم بحكم الله الذي
حكم به من فوق سبع سموات وفي حديث جابر عند ابن عائذ فقال احكم فيهم يا سعد فقال الله ورسوله
احق بالحكم قال قد امرك الله ان تحكم فيهم وفي هذه القصة جواز الاجتهاد في زمنه صلى الله عليه وسلم وهي
مسالة اختلف فيها اهل اصول الفقه والمختار الجواز سواء كان بحضرته صلى الله عليه وسلم ام لا وانما استبعد
المانع وقوع الاعتماد على الظن مع امكان القطع ولا يضر ذلك لانه بالتقرير يصير قطعيا وقد ثبت وقوع
ذلك بحضرته عليه السلام كما في هذه القصة وغيرها وانصرف صلى الله عليه وسلم يوم الخميس لسبع ليال كما
قاله الدمياطي او لخمس كما قاله مغلطاي خلون من ذي الحجة وامر عليه السلام ببني قريظة فادخلوا
المدينة وحفر لهم اخدود في السوق وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه واخرجوا اليه فضربت
اعناقهم وكانوا ما بين ستمائة الى سبعمائة وقال السهيلي المكثر لهم يقول انهم ما بين الثمانمائة الى السبعمائة و
في حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان باسناد صحيح انهم كانوا اربعمائة مقاتل فيحتمل
في طريق الجمع ان يقال ان الباقين كانوا اتباعا واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه الكريمة من نسائهم ريحانة
فتزوجها وقيل كان يطؤها بملك اليمين وامر بالغنائم فجمعت واخرج الخمس من المتاع والسبي ثم امر بالباقي
فبيع فيمن يزيد وقسمه بين المسلمين فكانت على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهما للفرس سهمان ولصاحبه
سهم وصار الخمس الى محمية بن جزء الزبيدي فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعتق منه ويهب ويخدم منه
من اراد وكذلك صنع بما صار اليه من الرثة وهو السقط من المتاع وانفجر جرح سعد بن معاذ فمات شهيدا
وفي البخاري انه دعا اللهم انك تعلم انه ليس احد احب الي ان اجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك
اللهم اني اظن انك قد وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها فانفجرت من لبته فلم يرعهم وفي المسجد
خيمة من بني غفار الا الدم يسيل اليهم فقالوا يا اهل الخيمة ما هذا الذي ياتينا من قبلكم فاذا سعد يغذو جرحه
دما فمات منها وقد كان ظن سعد مصيبا ودعاؤه في هذه القصة مجابا وذلك انه لم يقع بين المسلمين وبين
قريش من بعد وقعة الخندق حرب يكون ابتداء القصد فيه من المشركين فانه عليه الصلاة والسلام تجهز الى
العمرة فصدوه عن دخول مكة وكاد الحرب ان يقع بينهم فلم يقع كما قال تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم

وابو بكر عنهم ينطق مكة من بعدان اظفركم عليهم ثم وقعت الهدنة واعتمر عليه الصلاة والسلام من قابل واستمر ذلك
الى ان نقضوا العهد فتوجه اليهم غازيا ففتحت مكة فعلى هذا فالمراد بقوله اظنك قد وضعت الحرب اي ان
يقصدونا محاربين وهو كقوله عليه السلام نغزوهم ولا يغزونا كما تقدم وقد بين سببه بقوله فانفجر جرح سعد من
فرس حميد بن هلال عند ابن سعد ولفظه انه مر به عنز وهو مضطجع فاصاب ظلفها موضع النحر فانفجرت
حتى مات وحضر جنازته سبعون الف ملك واهتز لموته عرش الرحمن رواه الشيخان قال النووي اختلف العلماء
تاويله فقالت طائفة هو على ظاهره واهتزاز العرش تحركه فرحا بقدوم روح سعد وجعل الله تعالى في العرش
تمييزا حصل به هذا ولا مانع منه كما قال تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله وهذا القول هو ظاهر الحديث
وهو المختار قال المازري قال بعضهم هو على حقيقته وان العرش تحرك لموته قال وهذا لا ينكر من
جهة العقل لان العرش جسم من الاجسام يقبل الحركة والسكون قال لكن لا تحصل فضيلة سعد بذلك
الا ان يقال ان الله تعالى جعل حركته علامة للملائكة على موته وقال آخرون المراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول ومنه
قول العرب فلان يهتز للمكارم لا يريدون اضطراب جسمه وحركته وانما يريدون ارتياحه اليها واقباله عليها وقال
الحربي هو عبارة عن تعظيم شانه ووفاته والعرب تنسب الشيء المعظم الى اعظم الاشياء فيقولون اظلمت لموت فلان
الارض وقامت له القيامة وقال جماعة المراد اهتزاز سرير الجنازة وهو النعش وهذا القول باطل يرده صريح الروايات
التي ذكرها مسلم اهتز لموته عرش الرحمن وانما قال هؤلاء هذا التاويل لكونهم لم يبلغهم هذه الروايات التي ذكرها
مسلم والله اعلم انتهى وقيل المراد باهتزاز العرش اهتزاز حملة العرش وصحح الترمذي من حديث انس قال لما حملت
جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون ما اخف جنازته فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الملائكة كانت تحمله وعن البراء
قال اهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل اصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال صلى الله عليه
وسلم تعجبون من لين هذه لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها والين هذا لفظ رواية ابي نعيم في مستخرجه على مسلم
والمناديل جمع منديل بكسر الميم في المفرد وهو معروف قال العلماء وهذا اشارة الى عظم منزلة سعد في الجنة وان
ادنى ثيابه فيها خير من هذه لان المنديل ادنى الثياب لانه معد للوسخ والامتهان فغيره افضل انتهى واخرج ابن سعد
وابو نعيم من طريق محمد بن المنكدر عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال قبض انسان يومئذ بيده من تراب قبره قبضة فذهب
بها ثم نظر اليها بعد ذلك فاذا هي مسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله حتى عرف ذلك في وجهه
فقال الحمد لله لو كان احد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه واخرج ابن سعد عن ابي سعيد الخدري
قال كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك قال الحافظ مغلطاي وغيره وفي هذه السنة فرض الحج
وقيل سنة ست وصححه غير واحد وهو قول الجمهور وقيل سنة سبع وقيل سنة ثمان ورجحه جماعة من العلماء
وسياتي البحث في ذلك ان شاء الله تعالى في ذكر وفد عبد القيس من المقصد الثاني وفي ذكر حجه عليه السلام من مقصد
عباداته ثم سرية محمد بن مسلمة الى القرطا بطن من بني ابي بكر بن كلاب وهم ينزلون بناحية ضرية بالبكرات وبين
ضرية والمدينة سبع ليال لعشر ليال خلون من المحرم سنة ست على راس تسعة وخمسين شهرا من الهجرة بعثه في ثلثين
راكبا فلما اغار عليهم هرب سائرهم وعند ابن الربيع فقتل نفرا منهم وهرب سائرهم واستاق نعما وشاء وقدم
المدينة لليلة بقيت من المحرم ومعه ثمامة بن اثال الحنفي اسيرا فربط بامره عليه الصلاة والسلام بسارية من سواري
المسجد ثم اطلق بامره عليه الصلاة والسلام فاغتسل واسلم وقال يا محمد والله ما كان على الارض وجه ابغض الي من
وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي والله ما كان من دين ابغض الي من دينك فاصبح دينك احب الاديان كلها
الي والله ما كان من بلد ابغض الي من بلدك فاصبح بلدك احب البلاد الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى

فبشره

فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل صبوت قال لا ولكني اسلمت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قصته
البخاري ثم سرية بني لحيان بكسر اللام وفتحها لغتان في ربيع الاول سنة ست من الهجرة وذكرها ابن اسحاق
في جمادى الاولى على راس ستة اشهر من قريظة قال ابن حزم الصحيح انها في الخامسة قالوا وجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على عاصم بن ثابت واصحابه وجدا شديدا فاظهر انه يريد الشام وعسكر في مائتي رجل ومعهم عشرون
فرسا واستخلف على المدينة عبد الله بن ام مكتوم ثم اسرع السير حتى انتهى الى بطن غران واد بين امج وعسفان
وبينها وبين عسفان خمسة اميال حيث كان مصاب اصحابه اهل الرجيع الذين قتلوا ببئر معونة فترحم عليهم ودعا
لهم فسمعت به بنو لحيان فهربوا في رؤوس الجبال فلم يقدر منهم على احد فاقام يوما او يومين يبعث السرايا في كل
ناحية ثم خرج حتى اتى عسفان فبعث ابا بكر في عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم فاتوا كراع الغميم ثم رجعوا ولم
يلقوا احدا وانصرف صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يلق كيدا وهو يقول آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون
وغاب عن المدينة اربع عشرة وقيل سبع عشرة ليلة غزوة الغابة وتعرف بذي قرد بفتح القاف والراء وبالدال
المهملة وهو ماء على بريد من المدينة في ربيع الاول سنة ست قبل الحديبية وعند البخاري انها كانت قبل خيبر
بثلاثة ايام وفي مسلم نحوه قال مغلطاي وفي ذلك نظر لاجماع اهل السير على خلافهما انتهى قال القرطبي
شارح مسلم لا يختلف اهل السير ان غزوة ذي قرد كانت قبل الحديبية وقال الحافظ ابن حجر ما في الصحيح من
التاريخ لغزوة ذي قرد اصح مما ذكره اهل السير انتهى وسببها انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون
لقحة وهي ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة ترعى بالغابة وكان ابو ذر فيها فاغار عليهم عيينة بن حصن الفزاري
ليلة الاربعاء في اربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن ابي ذر وقال ابن اسحاق وكان فيهم رجل من غفار وامراة
فقتلوا الرجل وسبوا المراة فركبت ناقة للنبي صلى الله عليه وسلم ليلا حين غفلتهم ونذرت لئن نجت لتنحرنها
فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم اخبرته بذلك فقال لا نذر في معصية ولا فيما لا يملك ونودي يا خيل
الله اركبي وكان اول ما نودي بها وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسمائة وقيل سبعمائة واستخلف
على المدينة ابن ام مكتوم وخلف سعد بن عبادة في ثلاثمائة يحرسون المدينة وكان قد عقد للمقداد بن عمرو لواء في
رمحه وقال له امض حتى تلحقك الخيول وانا على اثرك فادرك اخريات العدو فقتل ابو قتادة مسعدة فاعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه وقتل عكاشة بن محصن ابان بن عمرو وقتل من المسلمين محرز بن نضلة قتله
مسعدة وادرك سلمة بن الاكوع القوم وهو على رجليه فجعل يرميهم بالنبل ويقول خذها وانا ابن الاكوع واليوم
يوم الرضع يعني يوم هلاك اللئام من قولهم لئيم راضع اي رضع اللؤم في بطن امه وقيل معناه اليوم يعرف
من ارضعته الحرب من صغره وتدرب بها ويعرف غيره ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس والخيول عشاء
قال سلمة فقلت يا رسول الله ان القوم عطاش فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما في ايديهم من السرح واخذت
باعناق القوم فقال صلى الله عليه وسلم ملكت فاسجح وهي بهمزة قطع ثم سين مهملة ثم جيم مكسورة ثم حاء مهملة
اي فارفق واحسن والسجاحة السهولة اي لا تاخذ بالشدة بل ارفق فقد حصلت النكاية في العدو ولله
الحمد ثم قال انهم الآن ليقرون في غطفان وذهب الصريخ الى بني عمرو بن عوف فجاءت الامداد فلم تزل الخيل تاتي
والرجال على اقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد فاستنقذوا عشر لقاح وافلت
القوم بما بقي وهي عشر وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد صلاة الخوف واقام يوما وليلة ورجع
وقد غاب خمس ليال ونحر في كل مائة من اصحابه جزورا ينحرونها سرية عكاشة بن محصن الاسدي

الى الغمر مرزوق بالغين المعجمة والمكسورة وهو ماء لبني اسد على ليلتين من فيد في شهر ربيع الاول سنة
ست من الهجرة في اربعين رجلا فخرج سريعا فنذر به القوم بكسر الدال المعجمة كفرح فهربوا فنزلوا علياء بلادهم
فاستاقوا مائتي بعير وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا ثم سرية محمد بن مسلمة الى ذي القصة
موضع بينه وبين المدينة اربعة وعشرون ميلا في شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة ومعه عشرة الى بني ثعلبة
فورد عليهم ليلا فاحدق به القوم وهم مائة رجل فتراموا ساعة من الليل ثم حملت الاعراب عليهم بالرماح
فقتلوهم الا محمد بن مسلمة فوقع جريحا وجردوهم ثيابهم ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به
المدينة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا عبيدة بن الجراح في ربيع الاخر في اربعين رجلا الى مصارعهم
فاغاروا عليهم فاعجزوهم هربا في الجبال واصابوا رجلا واحدا فاسلم وتركه واخذ نعما من نعمهم فاستاقه ورثة
من متاعهم وقدم به المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم ما بقي عليهم قال في القاموس الرث السقط
من متاع البيت كالرثة بالكسر ثم سرية زيد بن حارثة الى بني سليم بالجموم ويقال الجموح ناحية ببطن نخل من المدينة
على اربعة اميال في شهر ربيع الاخر سنة ست فاصابوا امراة من مزينة يقال لها حليمة فدلتهم على محلة من محال
بني سليم فاصابوا نعما وشاء واسرى فكان فيهم زوج حليمة المزنية فلما قفل زيد بما اصاب وهب رسول الله
صلى الله عليه وسلم للمزنية نفسها وزوجها ثم سرية زيد بن حارثة ايضا الى العيص موضع على اربع ليال
من المدينة في جمادى الاولى سنة ست ومعه سبعون راكبا لما بلغه عليه الصلاة والسلام ان عير قريش قد اقبلت
من الشام فتعرض لها فاخذوها وما فيها واخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن امية واسر منهم ناسا منهم ابو
العاص بن الربيع وقدم بهم المدينة فاجارته زوجته زينب ابنة النبي صلى الله عليه وسلم ونادت في الناس حين صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم الفجر اني قد اجرت ابا العاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علمت بشيء من هذا وقد اجرنا من
اجرت ورد عليه ما اخذ وذكر ابن عقبة ان اسره كان على يد ابي بصير بعد الحديبية وكانت هاجرت قبله وتركته
على شركه وردها النبي صلى الله عليه وسلم بالنكاح الاول قيل بعد سنتين وقيل بعد ست سنين وقيل
قبل انقضاء العدة وفي حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ردها اليه بنكاح جديد سنة سبع ثم سرية زيد
ابن حارثة ايضا الى الطرف وهو ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة في جمادى الاخرة سنة ست فخرج الى بني ثعلبة
في خمسة عشر رجلا فاصابوا نعما وشاء وهربت الاعراب وصبح زيد بالنعم المدينة وهي عشرون بعيرا ولم يلق كيدا
وغاب اربع ليال ثم سرية زيد ايضا الى حسمى بكسر المهملة وهي وراء وادي القرى وكانت في جمادى الاخرة سنة ست
وسببها انه اقبل دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر وقد اجازه وكساه فلقيه الهنيد في ناس من جذام بحسمى
فقطعوا عليه الطريق فسمع بذلك نفر من بني الضبيب فنفروا اليهم فاستنقذوا لدحية متاعه وقدم دحية على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة وخمسمائة رجل ورد معه دحية فكان زيد
يسير الليل ويكمن النهار فاقبل بهم حتى هجموا مع الصبح على القوم فاغاروا عليهم فقتلوا فيهم فاوجعوا وقتلوا
الهنيد وابنه واغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسائهم فاخذوا من النعم الف شاة ومائة من النساء والصبيان
فرحل زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه فدفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه
الذي كان كتب له ولقومه ليالي قدم عليه فاسلم وبعث صلى الله عليه وسلم عليا الى زيد بن حارثة يامره ان
يخلي بينهم وبين حرمهم واموالهم فرد عليهم ثم سرية زيد ايضا الى وادي القرى ايضا في رجب سنة ست
فقتل من المسلمين قتلى وارتث زيد اي حمل من المعركة رثيثا اي جريحا وبه رمق وهو مبني للمجهول قال في
القاموس ثم سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل في شعبان سنة ست فانه دعا رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف فاقعده بين يديه وعممه بيده وقال اغز بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله
ولا تغدر ولا تقتل وليدا وبعثه الى كلب بدومة الجندل وقال ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم فسار
عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة ايام يدعوهم الى الاسلام فاسلم الاصبغ بن عمرو الكلبي وكان
نصرانيا وكان راسهم واسلم معه ناس كثير من قومه واقام من اقام على اعطاء الجزية وتزوج عبد الرحمن تماضر
بفتح المثناة الفوقية وكسر الضاد المعجمة بنت الاصبغ وقدم بها المدينة فولدت له ابا سلمة ثم سرية علي بن ابي
طالب في شعبان سنة ست من الهجرة ومعه مائة رجل الى بني سعد بن بكر لما بلغه صلى الله عليه وسلم ان لهم جمعا يريدون
ان يمدوا يهود خيبر فاغاروا عليهم بين فدك وخيبر فاخذوا خمسمائة بعير والفي شاة وهربت بنو سعد وقدم
علي ومن معه المدينة ولم يلقوا كيدا ثم سرية زيد بن حارثة الى ام قرفة فاطمة بنت ربيعة بن زيد الفزارية
بناحية وادي القرى على سبع ليال من المدينة في رمضان سنة ست من وكان سببها ان زيد بن حارثة خرج
في تجارة الى الشام ومعه بضائع لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان بوادي القرى لقيه ناس من فزارة
من بني بدر فضربوه وضربوا اصحابه واخذوا ما كان معهم وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فبعثه
عليه السلام اليهم فكمن واصحابه بالنهار وساروا بالليل ثم صبحهم زيد واصحابه فكبروا واحاطوا بالحاضر
واخذوا ام قرفة وكانت ملكة رئيسة واخذوا ابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر وعمد قيس بن المحسر الى
ام قرفة وهي عجوز كبيرة فقتلها قتلا عنيفا وربط بين رجليها حبلا ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا
فقطعاها وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك فقرع باب النبي صلى الله عليه وسلم فقام اليه عريانا يجر ثوبه
حتى اعتنقه وقبله وساله فاخبره بما اظفره الله به سرية عبد الله بن عتيك لقتل ابي رافع عبد الله ويقال
سلام بن ابي الحقيق اليهودي وهو الذي حزب الاحزاب يوم الخندق وكانت هذه السرية في شهر رمضان
سنة ست كذا ذكره ابن سعد هنا وذكر في ترجمة عبد الله بن عتيك انه بعثه في ذي الحجة الى ابي رافع سنة خمس
بعد وقعة بني قريظة وقيل في جمادى الاخرة سنة ثلاث وفي البخاري قال الزهري بعد قتل كعب بن الاشرف
وارسل معه اربعة عبد الله بن عتيك وعبد الله بن انيس وابا قتادة والاسود بن خزاعي ومسعود بن سنان
وامرهم بقتله فذهبوا الى خيبر فكمنوا فلما هدات الرجل جاءوا الى منزله فصعدوا درجة له وقدموا عبد
الله بن عتيك لانه كان يرطن باليهودية فاستفتح وقال جئت ابا رافع بهدية ففتحت له امراته فلما رات السلاح
ارادت ان تصيح فاشار اليها بالسيف فسكتت فدخلوا عليه فما عرفوه الا ببياضه فعلوه باسيافهم وفي البخاري
وكان ابو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكان في حصن له فلما دنوا منه وقد غربت الشمس
وراح الناس بسرحهم قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف للبواب لعلي ان ادخل فاقبل حتى
دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كانه يقضي حاجة وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله ان كنت
تريد ان تدخل فادخل فاني اريد ان اغلق الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس اغلق الباب ثم علق الاغاليق
قال فقمت الى الاقاليد فاخذتها ففتحت الباب وكان ابو رافع يسمر عنده وكان في علالي له فلما ذهب عنه
اهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا اغلقت علي من داخل فانتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم
وسط عياله لا ادري اين هو من البيت فقلت يا ابا رافع قال من هذا فاهويت نحو الصوت فاضربه ضربة بالسيف
وانا دهش فما اغنيت شيئا وصاح فخرجت من البيت فامكث غير بعيد ثم دخلت اليه فقلت ما هذا الصوت يا ابا
رافع فقال لامك الويل ان رجلا في البيت ضربني قبل بالسيف قال فاضربه ضربة اثخنته ولم اقتله ثم وضعت
ضبيب السيف في بطنه حتى اخذ في ظهره فعرفت اني قتلته وفي رواية ثم جئت كاني اغيثه فقلت ما لك يا ابا

وافع وعرفت الصوت فقال لامك الويل دخل علي رجل فضربني قال فعمدت له ايضا فاضربه اخرى
فلم تغن شيا فصاح وقام اهله قال ثم جئت وغيرت صوتي كهيئة المغيث واذا هو مستلق على ظهره
فاضع السيف في بطنه ثم انكفي عليه فسمعت صوت العظم فجعلت افتح الابواب حتى انتهيت
الى درجة له فوضعت رجلي وانا ارى اني قد انتهيت الى الارض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي
فعصبتها بعمامة فلما صاح الديك قام الناعي على السور فانطلقت الى اصحابي فقلت النجا فقد قتل
الله ابا رافع فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فمسحها فكانما لم اشتكها قط
هذا لفظ رواية البخاري وفي رواية محمد بن سعد ان الذي قتله عبد الله بن انيس والقوا ان الذي دخل
عليه وقتله عبد الله بن عتيك وحده كما في البخاري سرية عبد الله بن رواحة الى اسير بن رزام
اليهودي بخيبر في شوال سنة ست وكان سببها انه لما قتل ابو رافع سلام بن ابي الحقيق امرت يهود
عليها اسيرا فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحربه صلى الله عليه وسلم وبلغه ذلك فوجه عبد الله بن رواحة
في ثلاثة نفر في شهر رمضان سرا فسال عن خبره وغرته فاخبر بذلك فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره
فندب عليه السلام الناس فانتدب له ثلاثون رجلا فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا عليه وقالوا ان
رسول الله بعثنا اليك لتخرج اليه يستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع في ذلك فخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من
اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين حتى اذا كانوا بقرقرة ثبار ضربه عبد الله بن انيس وكان في السرية بالسيف فسقط
عن بعيره ومالوا على اصحابه فقتلوهم غير رجل ولم يصب من المسلمين احد ثم قدموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
قد نجاكم الله من القوم الظالمين سرية كرز بضم الكاف وسكون الراء بعدها زاي ابن جابر الفهري الى العرنيين
بضم العين وفتح الراء المهملتين حي من قضاعة وحي من بجيلة والمراد هنا الثاني كذا ذكره ابن عقبة في المغازي
وذكر ابن اسحاق ان قدومهم كان بعد غزوة ذي قرد وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وذكرها البخاري
بعد الحديبية وكانت في ذي القعدة منها وعند الواقدي في شوال منها وتبعه ابن سعد وابن حبان وفي
البخاري في كتاب المغازي عن انس ان ناسا من عكل بضم العين واسكان الكاف وعرينة قدموا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن اهل ريف واستوخموا
المدينة فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذود وراع وامرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من البانها وابوالها
فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود
فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في آثارهم فامر بهم فسمروا اعينهم وقطعوا ايديهم وتركوا في ناحية
الحرة حتى ماتوا على حالهم وفي لفظ وسمر اعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا وفي لفظ ولم يحسمهم اي لم
يكو مواضع القطع فينحسم الدم وقال انس انما سمل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعينهم لانهم سملوا اعين الرعاء
رواه مسلم فيكون ما فعل بهم قصاصا وفي رواية انهم كانوا ثمانية وعند البخاري ايضا في المحاربين انهم
كانوا في الصفة قبل ان يطلبوا الخروج الى الابل وفي رواية قال انس فلقد رايت احدهم يكدم الارض
بفيه حتى مات وعند الدمياطي كابن سعد ان اللقاح كانت خمسة عشر لقحة وفي صحيح مسلم ان السرية
كانت قريبا من عشرين فارسا من الانصار وروى ابن مردويه عن سلمة بن الاكوع قال كان للنبي صلى الله عليه
وسلم غلام يقال له يسار فنظر اليه يحسن الصلاة فاعتقه وبعثه في لقاح له بالحرة فكان بها قال
فاظهر قوم الاسلام من عرينة وجاؤوا وهم مرضى موعوكون قد عظمت بطونهم وعدوا على يسار فذبحوه
وجعلوا الشوك في عينيه ثم طردوا الابل فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم خيلا من المسلمين اميرهم

كرز

كرز بن جابر الفهري فلحقهم فجاء بهم اليه فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم قال ابن كثير غريب جدا وروى
ابن جرير عن محمد بن ابراهيم عن جرير بن عبد الله البجلي قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من عرينة
الحديث وفيه قال جرير فبعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من المسلمين حتى ادركناهم فقطع ايديهم وارجلهم
من خلاف وسمل اعينهم فجعلوا يقولون الماء ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول النار حتى هلكوا قال وكره الله
سمل الاعين فانزل الله هذه الآية انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الى آخر الآية وهو حديث غريب ضعيف
وفيه ان امير السرية جرير بن عبد الله البجلي قال مغلطاي وفيه نظر لان اسلام جرير كان بعد هذا بنحو اربع
سنين وفي مغازي ابن عقبة ان امير هذه السرية سعيد بن زيد كذا عنده بزيادة يا وعند غيره انه سعد بسكون
العين بن زيد الاشهلي وهذا انصاري فيحتمل انه كان رأس الانصار وكان كرز امير الجماعة واما قوله فكره الله سمل الاعين
فانزل الله هذه الآية فانه منكر وقد تقدم ان في صحيح مسلم انهم سملوا اعين الرعاء وكان ما فعل بهم قصاصا والله
اعلم تنبيه قال في فتح الباري وزعم ابن التين تبعا للداودي ان عرينة هم عكل وهو غلط بل هما قبيلتان متغايرتان
عكل من عدنان وعرينة من قحطان ثم سرية عمرو بن امية الضمري الى ابي سفيان بن حرب بمكة لانه ارسل
الى النبي صلى الله عليه وسلم من يقتله غدرا فاقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا
ليريد غدرا فجذبه اسيد بن الحضير بداخلة ازاره فاذا بالخنجر فسقط في يده فقال صلى الله عليه وسلم اصدقني ما
انت قال وانا آمن قال نعم فاخبره فخلى عنه صلى الله عليه وسلم وبعث عمرو بن امية ومعه سلمة بن اسلم
ويقال جبار بن صخر الى ابي سفيان وقال ان اصبتما منه غرة فاقتلاه فدخل عمرو وابن امية يطوف بالبيت ليلا
فرآه معاوية بن ابي سفيان فاخبر قريشا بمكانه فخافوه وطلبوه وكان فاتكا في الجاهلية فحشد له اهل مكة وتجمعوا
فهرب عمرو وسلمة فلقي عمرو عبيد الله بن مالك التيمي فقتله وقتل آخر ولقي رسولين لقريش بعثتهما يتجسسان الخبر
فقتل احدهما واسر الآخر فقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وهو عليه السلام
يضحك ثم الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهي بئر سمي المكان بها وقيل شجرة وقال المحب الطبري
قرية قريبة من مكة اكثرها في الحرم وهي على تسعة اميال من مكة خرج عليه السلام يوم الاثنين هلال
ذي القعدة سنة ست من الهجرة للعمرة واخرج معه زوجته ام سلمة في الف واربع مائة ويقال الف
وخمس مائة وقيل الف وثلاثمائة والجمع بين هذا الاختلاف انهم كانوا اكثر من الف واربع مائة فمن قال الف وخمس مائة
جبر الكسر ومن قال الف واربع مائة فيمكن حملها على ما اطلع هو عليه واطلع غيره على زيادة مائتين لم يطلع هو عليهم
والزيادة من الثقة مقبولة واما قول ابن اسحاق انهم كانوا سبع مائة فلم يوافقه احد عليه لانه قاله استنباطا من
قول جابر نحرنا البدنة عن عشرة وكانوا نحروا سبعين بدنة وهذا لا يدل على انهم كانوا نحروا غير البدن مع ان بعضهم
لم يكن احرم اصلا وجزم موسى بن عقبة بانهم كانوا الفا وستمائة وعند ابي شيبة من حديث سلمة بن الاكوع الفا
وسبعمائة وحكى ابن سعد الفا وخمس مائة وخمسة وعشرين واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم ولم يخرج معه
بسلاح الا سلاح المسافر السيوف في القرب وفي البخاري في المغازي عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي واشعر
واحرم منها وفي رواية احرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان بغدير
الاشطاط اتاه عينه فقال ان قريشا جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك
فقال اشيروا علي ايها الناس اترون ان اميل الى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون ان يصدونا عن البيت
فقال ابو بكر يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل احد ولا حرب احد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه

قال امضوا على اسم الله وزاد احمد كان ابو هريرة يقول ما رايت احدا قط كان اكثر مشاورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية للبخاري حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فالحت يعني تمادت على عدم القيام فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل اي حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها ومناسبة ذلك ان الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدهم قريش لوقع بينهم القتال المفضي الى سفك الدماء ونهب الاموال كما لو قدر دخول الفيل لكن سبق في علم الله انه سيدخل في الاسلام منهم خلق ويستخرج من اصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون انتهى ثم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يعني حفيرة فيها ماء قليل يتبرضه الناس تبرضا اي ياخذونه قليلا قليلا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت والعوذ بالذال المعجمة جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات اللاتي معها اطفالها يريد انهم خرجوا معهم بذوات الالبان من الابل ليتزودوا بالبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوك او كنى بذلك عن النساء معهن الاطفال والمراد انهم خرجوا بنسائهم واولادهم لارادة طول المقام ليكون ادعى الى عدم الفرار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال احد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فان اظهر فان شاؤوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا يعني استراحوا وان هم ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي اي صفحة العنق كنى بذلك عن القتل ولينفذن الله امره فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال انا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشيء قال ذوو الراي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود فقال اي قوم الستم بالوالد قالوا بلى قال اولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال الستم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا علي بالحاء المهملة اي امتنعوا من الاجابة جئتكم باهلي وولدي ومن اطاعني قالوا بلى قال فان هذا قد عرض عليكم خطة رشد اي خصلة خير وصلاح اقبلوها ودعوني آتيه قالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اي محمد ارايت ان استاصلت امر قومك هل سمعت باحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فاني والله لارى وجوها واني لارى اشوابا يعني اخلاطا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر الصديق رضي الله عنه امصص بظر اللات [illegible] وهذا مبالغة من ابي بكر في سب عروة فانه اقام معبود عروة وهو صنمه مقام امه وحمله على ذلك ما اغضبه به من نسبته الى الفرار والبظر بالموحدة المفتوحة والظاء المعجمة الساكنة قطعة تبقى بعد الختان في فرج المراة واللات اسم صنم والعرب تطلق هذا اللفظ في معرض الذم انتهى فقال عروة من هذا قالوا ابو بكر فقال اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما تكلم اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على راس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده

بنعل

بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء وقد كانت عادة العرب ان يتناول الرجل لحية من يكلمه لاسيما عند الملاطفة وفي الغالب انما يصنع ذلك النظير بالنظير لكن كان صلى الله عليه وسلم يغضي لعروة استمالة له وتاليفا والمغيرة يمنعه اجلالا للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيما انتهى قال فرفع عروة راسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال اي غدر الست اسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه في شيء ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له قال في فتح الباري فيه اشارة الى الرد على ما خشيه من فرارهم فكانهم قالوا بلسان الحال من يحبه هذه المحبة ويعظمه هذا التعظيم كيف يظن به انه يفر عنه ويسلمه لعدوه بل هم اشد اغتباطا به وبدينه ونصره من هذه القبائل التي تراعي بعضها بمجرد الرحم والله اعلم قال فرجع عروة الى اصحابه فقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ان يتنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آتيه فقالوا ائته فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما راى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رايت البدن قد قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت [illegible] رجل منهم يقال له مكرز بن حفص بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء بعدها زاي فقال دعوني آتيه فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فاخبرني ايوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من امركم وفي رواية ابن اسحاق فدعت قريش سهيل بن عمرو فقالت اذهب الى هذا الرجل فصالحه فقال صلى الله عليه وسلم قد اراد القوم الصلح حين بعثوا هذا فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم جرى بينهما القول حتى وقع بينهما الصلح على ان توضع الحرب بينهم عشر سنين وان يامن بعضهم بعضا وان يرجع عنهم عامهم هذا وقال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن الرحيم فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله ما نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله وفي حديث عبد الله بن مغفل عند الحاكم فكتب هذا ما صالح محمد رسول الله اهل مكة الحديث فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله اني لرسول الله وان كذبتموني وفي رواية له يعني البخاري ومسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي امحه فقال ما انا بالذي امحاه وهي لغة في امحوه قال العلماء وهذا الذي فعله علي من باب الادب المستحب لانه لم يفهم من النبي صلى الله عليه وسلم تحتيم محو علي نفسه ولهذا لم ينكر عليه ولو حتم محوه بنفسه لم يجز لعلي تركه انتهى قال صلى الله عليه وسلم ارني مكانها فاراه مكانها فمحاه وكتب ابن عبد الله وفي رواية البخاري في المغازي فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله وكذا اخرجه النسائي واحمد ولفظه فاخذ الكتاب وليس يحسن ان يكتب فكتب مكان رسول الله هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال في فتح

الباري وقد تمسك بظاهر هذه الرواية ابو الوليد الباجي فادعى ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب بيده بعد ان لم يكن يحسن ان يكتب فشنع عليه علماء الاندلس في زمانه ورموه بالزندقة وان الذي قاله يخالف القرآن حتى قال قائلهم شعرا

برئت ممن شرى دنيا باخرة * وقال ان رسول الله قد كتبا

فجمعهم الامير فاستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة وقال هذا لا ينافي القرآن بل يؤخذ من مفهوم القرآن لانه قيد النفي بما قبل ورود القرآن قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وبعد ان تحققت امّيته وتقررت بذلك معجزته وأمن الارتياب في ذلك لا مانع من ان يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم فتكون معجزة اخرى وذكر ابن دحية ان جماعة من العلماء وافقوا الباجي على ذلك منهم شيخه ابو ذر الهروي وابو الفتح النيسابوري وآخرون من علماء افريقية واحتج بعضهم لذلك بما اخرجه ابن ابي شيبة من طريق مجالد عن عون بن عبد الله قال ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ قال مجالد فذكرته للشعبي فقال صدق قد سمعت من يذكر ذلك وقال القاضي عياض وردت آثار تدل على معرفة حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر لك وقوله لمعاوية الق الدواة وحرف القلم وفرق السين ولا تعور الميم الى غير ذلك قال وهذا وان لم يثبت انه كتب فلا يبعد ان يرزق علم وضع الكتابة فانه اوتي علم كل شيء واجاب الجمهور بضعف هذه الاحاديث وعن قصة الحديبية بان القصة واحدة والكاتب فيها هو علي بن ابي طالب وقد صرح في حديث المسور بن مخرمة بان عليا هو الذي كتب فيحمل على ان النكتة في قوله فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب لبيان ان قوله ارني اياها انه ما احتاج الى ان يريه موضع الكلمة التي امتنع علي من محوها الا لكونه كان لا يحسن الكتابة وعلى ان قوله بعد ذلك فكتب فيه حذف تقديره فمحاها فاعادها لعلي فكتب وبهذا جزم ابن التين واطلق كتب بمعنى امر بالكتابة وهو كثير كقوله كتب الى كسرى وقيصر وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة ان يصير عالما بالكتابة ويخرج عن كونه اميا فان كثيرا ممن لا يحسن الكتابة يعرف تصور بعض الكلمات ويحسن وضعها بيده وخصوصا الاسماء ولا يخرج بذلك عن كونه اميا ككثير من الملوك ويحتمل ان يكون جرت يده بالكتابة حينئذ وهو لا يحسنها فخرج المكتوب على وفق المراد فيكون معجزة اخرى في ذلك الوقت خاصة ولا يخرج بذلك عن كونه اميا وبهذا اجاب ابو جعفر السمناني احد ائمة الاصول من الاشاعرة وتبعه ابن الجوزي وتعقب ذلك السهيلي وغيره بان هذا وان كان ممكنا ويكون آية اخرى لكنه يناقض كونه اميا لا يكتب وهي الآية التي قامت بها الحجة وافحم الجاحد وانحسمت الشبهة فلو جاز ان يصير يكتب بعد ذلك لعادت الشبهة وقال المعاند كان يحسن يكتب لكنه كان يكتم ذلك قال والمعجزات يستحيل ان يدفع بعضها بعضا والحق ان معنى قوله فكتب امر عليا ان يكتب انتهى قال وفي دعوى ان كتابة اسمه الشريف فقط على هذه الصورة تستلزم مناقضة المعجزة وتثبت كونه غير امي نظر كبير والله اعلم انتهى ملخصا قوله اكتب بسم الله الرحمن الرحيم وقوله اما الرحمن فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم الى اخره قال العلماء وافقهم عليه السلام في ترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وكتب باسمك اللهم وكذا وافقهم في محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح مع انه لا مفسدة في هذه الامور اما البسملة وباسمك اللهم فمعناهما واحد وكذا قوله محمد بن عبد الله هو ايضا رسوله وليس في ترك وصف الله تعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك ولا في ترك وصفه صلى الله عليه وسلم هنا بالرسالة ما ينفيها فلا مفسدة فيما طلبوه وانما كانت المفسدة تكون لو طلبوا ان يكتب ما لا يحل من تعظيم آلهتهم ونحو ذلك انتهى قال في رواية البخاري فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله فقال صلى الله عليه وسلم على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته

الينا

الينا قال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما والضغطة بالفتح قال في القاموس الضيق والاكراه والشدة انتهى فان قلت ما الحكمة في كونه عليه السلام وافق سهيلا على انه لا يأتيه منهم رجل وان كان على دين الاسلام الا يرده الى المشركين فالجواب ان المصلحة المترتبة على اتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التي كانت عاقبتها فتح مكة واسلام اهلها كلهم ودخول الناس في دين الله افواجا وذلك انهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا تتظاهر عندهم امور النبي صلى الله عليه وسلم كما هي ولا يخلون بمن يعلمهم بها مفصلة فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين وجاؤوا الى المدينة وذهب المسلمون الى مكة وخلوا باهلهم واصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونه وسمعوا منهم احوال النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته الظاهرة واعلام نبوته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته وعاينوا بانفسهم كثيرا من ذلك فمالت نفوسهم الى الايمان حتى بادر خلق منهم الى الاسلام قبل فتح مكة فاسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة وازداد الآخرون ميلا الى الاسلام فلما كان يوم الفتح اسلموا كلهم لما كان قد تمهد لهم من الميل وكانت العرب من غير قريش في البوادي ينتظرون باسلامهم اسلام قريش فلما اسلمت قريش اسلمت العرب في البوادي قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فالله ورسوله اعلم انتهى قال في رواية البخاري فبينما هم كذلك اذ دخل ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول ما اقاضيك عليه ان ترده الي فقال صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك على شيء ابدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فاجزه لي قال ما انا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل قال مكرز بل قد اجزناه لك قال ابو جندل اي معشر المسلمين ارد الى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذابا شديدا في الله زاد ابن اسحاق فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا جندل اصبر واحتسب فانا لا نغدر وان الله جاعل لك فرجا ومخرجا ووثب عمر يمشي الى جنبه ويقول اصبر فانما هم المشركون وانما دم احدهم دم كلب قال الخطابي تأول العلماء ما وقع في قصة ابي جندل على وجهين احدهما ان الله قد اباح التقية للمسلم اذا خاف الهلاك ورخص له ان يتكلم بالكفر مع اضمار الايمان ان لم تمكنه التورية فلم يكن رده اليهم اسلاما لابي جندل الى الهلاك مع وجود السبيل الى الخلاص من الموت بالتقية والوجه الثاني انه انما رده الى ابيه والغالب ان اباه لا يبلغ به الى الهلاك وان عذبه او سجنه فله مندوحة بالتقية ايضا واما ما يخاف عليه من الفتنة فان ذلك امتحان من الله يبتلي به صبر عباده المؤمنين واختلف العلماء هل يجوز الصلح مع المشركين على ان يرد اليهم من جاء مسلما من عندهم ام لا فقيل نعم على ما دلت عليه قصة ابي جندل وابي بصير وقيل لا وان الذي وقع في القصة منسوخ وان ناسخه حديث انا بريء من مسلم بين مشركين وهو قول الحنفية وعند الشافعية يفصل بين العاقل والمجنون والصبي فلا يردان وقال بعض الشافعية ضابط جواز الرد ان يكون المسلم بحيث لا تجب عليه الهجرة من دار الحرب والله اعلم قال في فتح الباري قال في رواية البخاري فقال عمر بن الخطاب فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري قلت اوليس كنت تحدثنا انا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى فاخبرتك انا نأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به قال فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال ايها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت

اوليس كان يحدثنا انا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى فأخبرتك انا نأتيه العام قلت لا قال انك آتيه
ومطوف به قال العلماء لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه المذكور شكا بل طلبا لكشف ما خفي وحثا
على اذلال الكفار وظهور الاسلام كما عرف من خلقه وقوته في نصرة الدين واذلال المبطلين واما جواب ابي بكر
الصديق رضي الله عنه بمثل جواب النبي صلى الله عليه وسلم فهو من الدلائل الظاهرة على عظم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه
ورسوخه وزيادته في كل ذلك على غيره وكان الصلح بينهم عشر سنين كما في السير واخرجه ابو داود من حديث ابن
عمر ولابي نعيم في مسند عبد الله بن دينار كانت اربع سنين وكذا اخرجه الحاكم في البيوع من المستدرك والاول
اشهر وكان الصلح على وضع الحرب بحيث يأمن الناس فيها ويكف بعضهم عن بعض وان لا يدخل البيت الا العام
القابل ثلاثة ايام ولا يدخلوها الا بجلبان السلاح وهو القراب بما فيه والجلبان بضم الجيم وسكون اللام شبه الجراب
من الادم يوضع فيه السيف مغمودا ورواه القتيبي بضم الجيم واللام وتشديد البا وقال هو اوعية السلاح بما
فيها وفي بعض الروايات لا يدخلها الا بجلبان السلاح السيف والقوس وانما اشترطوا ذلك ليكون علما وامارة
للسلم اذ كان دخولهم صلحا وقال مكي ابن ابي طالب القيرواني في تفسيره وبعث عليه السلام بالكتاب اليهم مع
عثمان بن عفان وامسكوا سهيل بن عمرو عنده فامسك المشركون عثمان فغضب المسلمون وقال مغلطاي فاحتبسه
قريش عندها فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان عثمان قد قتل فدعا الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت
وقيل على ان لا يفروا انتهى ووضع النبي صلى الله عليه وسلم شماله في يمينه وقال هذه عن عثمان وفي البخاري فقال
صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده الحديث ولما سمع المشركون بهذه البيعة
خافوا وبعثوا بعثمان وبجماعة من المسلمين وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين وحلق الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحروا
هداياهم بالحديبية قال مغلطاي وارسل الله ريحا حملت شعورهم فالقتها في الحرم واقام صلى الله عليه وسلم
بالحديبية بضعة عشر يوما وقيل عشرين يوما ثم قفل وفي نفوس بعضهم شيء فانزل الله تعالى سورة
الفتح يسليهم بها ويذكرهم نعمه فقال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال ابن عباس وانس والبراء بن
عازب الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح بعد ان كان المنافقون يظنون ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون
الى اهليهم ابدا اي حسبوا انهم لا يرجعون بل يقتلون كلهم واما قوله تعالى واثابهم فتحا قريبا فالمراد
فتح خيبر على الصحيح لانها وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين وقد روى احمد وابو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية
قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم وقد جمع الناس
قرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية فقال رجل يا رسول الله او فتح هو قال اي والذي نفسي بيده
انه لفتح وروى سعيد بن منصور باسناد صحيح عن الشعبي انا فتحنا لك فتحا مبينا الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر وتبايعوا بيعة الرضوان واطعموا نخيل خيبر وظهرت الروم على فارس وفرح المسلمون بنصر الله
واما قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح وقوله لا هجرة بعد الفتح ففتح مكة باتفاق قال الحافظ ابن حجر وبهذا يرتفع الاشكال
ويجتمع الاقوال والله اعلم ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفي هذه السنة كسفت الشمس وظاهر اوس ابن الصامت
من امرأته خولة وفي هذه السنة ايضا استسقى في رمضان ومطر الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح الناس مؤمنا
بالله وكافرا بالكوكب قاله مغلطاي وجزم الدمياطي في سيرته بان تحريم الخمر كان سنة الحديبية وذكر ابن اسحاق
انه كان في وقعة بني النضير وهي بعد احد وذلك سنة اربع على الراجح وفيه نظر لان انسا كان الساقي يوم حرمت
وانه لما سمع المنادي بتحريمها بادر فاراقها فلو كان ذلك سنة اربع لكان انس يصغر عن ذلك واخرج النسائي

والبيهقي

والبيهقي بسند صحيح عن ابن عباس انما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من الانصار شربوا فلما ثمل القوم عبث بعضهم ببعض فلما ان
صحوا جعل الرجل يرى في وجهه ورأسه الاثر فيقول صنع هذا اخي فلان وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغائن فيقول
والله لو كان بي رحيما ما صنع بي هذا حتى وقعت في قلوبهم الضغائن فانزل الله تعالى هذه الاية يا ايها الذين امنوا
انما الخمر والميسر الى منتهون فقال ناس من المتكلفين هي رجس وهي في بطن فلان وفلان وقد قتل يوم احد فانزل
الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى المحسنين واية تحريم الخمر نزلت في عام الفتح قبل
الفتح والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي به عصير العنب اذا اشتد وغلا لانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره
اي يحجزه وهو حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه
ثم اشتد حل شربه ما دون السكر انتهى واما الحشيشة وتسمى القنب الهندي والحيدرية والقلندرية فلم يتكلم فيها الائمة
الاربعة ولا غيرهم من علماء السلف لانها لم تكن في زمنهم وانما ظهرت في اواخر المائة السادسة واول السابعة واختلف
هل هي مسكرة فيجب فيها الحد او مفسدة للعقل فيجب التعزير والذي اجمع عليه الاطباء انها مسكرة وبه جزم الفقهاء
وصرح به الشيخ ابو اسحاق الشيرازي في كتابه [illegible] في الخلاف والنووي في شرح المهذب ولا يعرف فيه خلافا عندنا
ونقل عن ابن تيمية انه قال الصحيح انها مسكرة كالشراب فان آكليها ينتشون عنها ولذلك يتناولونها بخلاف البنج وغيره
فانه لا ينشي ولا يشتهى قال الزركشي ولم ار من خالف في هذا الا القرافي في قواعده فقال نص العلماء بالنبات في كتبهم انها
مسكرة والذي يظهر لي انها مفسدة في كلام الزركشي يطول ذكره وقد تظافرت الادلة على حرمتها ففي صحيح مسلم كل مسكر
حرام وقد قال تعالى ويحرم عليهم الخبائث واي خبيث اعظم مما يفسد العقول التي اتفقت الملل والشرائع على ايجاب
حفظها ولا ريب ان متناول الحشيشة يظهر به اثر التغير في انتظام الفعل والقول المستمد كل منهما من نور العقل وقد روى
ابو داود [illegible] عن ديلم الحميري قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انا بارض باردة نعالج فيها
عملا [illegible] وانا نتخذ شرابا من هذا القمح نتقوى به على اعمالنا وعلى برد بلادنا قال هل يسكر قلت نعم قال فاجتنبوه
قلت ان الناس غير تاركيه قال فان لم يتركوه فقاتلوهم وهذا منه صلى الله عليه وسلم تنبيه على العلة التي لاجلها
حرم المزر فوجب ان كل شيء عمل عمله يجب تحريمه ولا شك ان الحشيش يعمل ذلك وفوقه واحمد في مسنده وابو داود في
سننه عن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر قال العلماء المفتر كل ما يورث الفتور والخدر
في الاطراف وهذا الحديث ادل دليل على تحريم الحشيشة وغيرها من المخدرات فانها ان لم تكن مسكرة كانت مفترة مخدرة
ولذلك يكثر النوم من متعاطيها وتثقل رؤوسهم بواسطة تبخيرها في الدماغ وقد نقل الاجماع على تحريمها غير واحد منهم
[illegible] ابن تيمية وقال من استحلها فقد كفر وتعقبه الزركشي بان تحريمها [illegible] لكن لا بد ان يكون قبل الاجماع
[illegible] الوجهين وقد ذكر اصحابنا ان المسكر من غير عصير العنب كعصير العنب في وجوب الحد لكن لا يكفر مستحله
[illegible] واختلف هل يحرم تعاطي اليسير الذي لا يسكر فقال النووي في شرح المهذب لا يحرم اكل القليل
من الحشيش بخلاف الخمر حيث حرم قليلها الذي لا يسكر كثيره والفرق ان الحشيش طاهر والخمر نجس فلا يجوز
للنجاسة وتعقبه الزركشي بانه صح في الحديث ما اسكر كثيره فقليله حرام قال والمتجه انه لا يجوز
قليل ولا كثير واما قول النووي انها طاهرة وليست بنجسة فقطع به ابن دقيق العيد وحكى الاجماع عليه
[illegible] هو ابن الخشاب اقوى فعلى من الحشيش ان القليل منه يسكر جدا وكذلك الشيكران وجوز الطيب
على الاجماع انتهى وقد جمع بعضهم في الحشيشة مائة وعشرين مضرة دينية ودنيوية حتى قال بعضهم كل ما
في الخمر من المذمومات موجود في الحشيش وزيادة فان اكثر ضرر الخمر في الدين لا في البدن وضررها فيهما فمن ذلك
عدم المروءة وكشف العورة وترك الصلاة والوقوع في المحرمات وقطع النسل والبرص والجذام

والاسقام والرعشة والابنة ونتن الفم وسقوط شعر الاجفان وحفر الاسنان وتسويدها وضيق النفس وتصغير الاولاد وتشبيك الكبد وتجعل الاسد كالجعل وتورث الكسل والفشل تعيد العزيز ذليلا والصحيح عليلا والفصيح ابكما والصحيح ابلا تذهب بالسعادة وتنسي فصاحتها تبعد من السنة طريدا من الجنة موعود من الله باللعنة الا ان ينزع من الندم بحبنة وحين بالله ما يمد طنة ولقد احسن القايل (ش)

قل لمن ياكل الحشيشة جهلا ، يا خسيسا قد عشت شر معيشه ، دية العقل بدرة فلماذا ، يا سفيها قد بعتها بحشيشه

غزوة خيبر وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام قال ابن اسحاق خرج صلى الله عليه وسلم في بقية المحرم سنة سبع فاقام عليها يحاصرها بضع عشرة ليلة الى ان فتحها وقيل كانت في آخر سنة ست وهو منقول عن مالك وبه جزم ابن حزم قال الحافظ ابن حجر والراجح ما ذكره ابن اسحاق ويمكن الجمع بان من اطلق سنة ست بناه على ان ابتدا السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الاول واغرب ابن سعد وابن ابي شيبة فرويا من حديث ابي سعيد الخدري خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر لثمان عشرة من رمضان واسناده حسن لكنه خطا ولعلها كانت حنين فتصحفت وتوجيهه بان غزوة حنين كانت ناشية عن غزوة الفتح وغزوة الفتح خرج صلى الله عليه وسلم فيها في رمضان جزما قال وذكر الشيخ ابو حامد في التعليقة انها كانت سنة خمس وهو وهم ولعله انتقال من الخندق الى خيبر وكان معه عليه السلام الف واربع ماية راجل ومايتا فارس ومعه ام سلمة زوجته وفي البخاري من حديث سلمة بن الاكوع قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر يا عامر الا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدو بالقوم يقول (ش)

اللهم لولا انت ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ولا صلينا ، فاغفر فداك ما ابقينا ، وثبت الاقدام ان لاقينا ، والقين سكينة علينا ، انا اذا صيح بنا اتينا ، وبالصياح عولوا علينا ،

وفي رواية اياس بن سلمة عند مسلم ابا احمد في هذا الرجز من الزيادة ، ان الذين قد بغوا علينا ، اذا ارادوا فتنة ابينا ، ونحن عن فضلك ما استغنينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في رواية البخاري من هذا السايق قالوا عامر بن الاكوع قال يرحمه الله قال رجل من القوم وجبت يا نبي الله لولا امتعتنا به الحديث وفي رواية احمد فجعل عامر بن الاكوع يرتجز ويسوق الركاب وهذه كانت عادتهم اذا ارادوا تنشيط الابل في السير ينزل بعضهم فيسوقها ويحدو في تلك الحال وقوله اللهم لولا انت ما اهتدينا كذا الرواية قالوا وصوابه في الوزن لا هم او تالله كما في الحديث الاخر وقوله فدا لك قال المازري هذه اللفظة مشكلة فانه لا يقال للباري سبحانه فديتك لان ذلك انما يستعمل في مكروه يتوقع حلوله بالشخص فيختار شخص اخر ان يحل ذلك به ويفديه منه قال ولعل هذا وقع من غير قصد الى حقيقة معناه كما يقال قاتله الله ولا يريد بذلك حقيقة الدعاء عليه وكقوله عليه السلام تربت يداك وتربت يمينك وفيه كله ضرب من الاستعارة لان المفادي مبالغ في طلبه رضى من يفديه حين بذل نفسه عن نفسه للمكروه فكان مراد الشاعر اني ابذل نفسي في رضاك وعلى كل حال فان المعنى وان امكن صرفه الى جهة صحيحة فاطلاق اللفظ واستعارته والتجوز فيه يفتقر الى ورود الشرع بالاذن فيه قال وقد يكون المراد بقوله فدا لك رجلا يخاطبه وفصل بين الكلام بذلك ثم عاد الى تمام الاول فقال ما ابقينا قال وهذا تاويل يصح معه اللفظ والمعنى لولا ان فيه تعسفا اضطرنا اليه تصحيح الكلام انتهى وقيل انه يخاطب بهذا الشعر النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تواخذنا بتقصيرنا في حقك ونصرك وعلى هذا فقوله اللهم لم يقصد بها الدعاء وانما افتتح بها الكلام والمخاطب بقول الشاعر لولا انت النبي صلى الله عليه وسلم لكن يعكر عليه بعد ذلك فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا فانه دعاء لله تعالى ويحتمل ان يكون المعنى فاسأل ربك ان ينزل ويثبت والله اعلم وقوله اذا صيح بنا اتينا اي اذا صيح بنا للقتال

ونحو

ونحو من المكاره اتينا وفي رواية ابينا بالموحدة بدل المثناة اي ابينا الفرار وقوله وبالصياح عولوا علينا اي استغاثوا بنا واستغاثوا علينا وقيل هو من التعويل على الشيء وهو الاعتماد عليه وقيل من العويل وهو الصوت وقوله من هذا السايق قالوا عامر قال يرحمه الله قال رجل من القوم وجبت اي ثبتت له الشهادة وستقع قريبا وكانوا يعلمون ان من دعا له بهذا الدعا في هذا الموطن استشهد فقالوا هلا امتعتنا به اي وددنا انك اخرت الدعا له بهذا الى وقت اخر لنتمتع بمصاحبته ورؤيته مدة وفي البخاري من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم اتى خيبر ليلا وكان اذا اتى قوما بليل لم يغر بهم حتى يصبح فلما اصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما راوه قالوا محمد والله محمد والخميس فقال النبي صلى الله عليه وسلم خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وفي رواية فرفع يديه وقال الله اكبر خربت خيبر والخميس الجيش سمي به لانه مقسوم بخمسة اقسام المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب قال السهيلي يوخذ من هذا الحديث التفاول لانه عليه السلام لما راى الة الهدم اخذ منه ان مدينتهم ستخرب انتهى ويحتمل كما قاله في فتح الباري ان يكون قال خربت خيبر بطريق الوحي ويويده قوله بعد ذلك انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم صلى الصبح قريبا من خيبر بغلس ثم قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وقاتل المقاتلة وسبى الذرية وفرق عليه السلام الرايات ولم تكن الرايات الا بخيبر وانما كانت الالوية وقال الدمياطي وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم سوداء من برد لعائشة وفي البخاري وكان علي قد تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان رمدا فلحق فلما بتنا الليلة التي فتحت قال لاعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله يفتح الله عليه فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله كلهم يرجون ان يعطاها فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فبرا حتى كان لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال علي يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم الحديث وفيها فتصاف القوم كان سيف عامر قصيرا فتناول به ساق يهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه فاصاب عين ركبة عامر فمات منه فلما قفلوا قال سلمة قلت يا رسول الله فداك ابي وامي زعموا ان عامرا حبط عمله فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب من قاله ان له لاجرين وجمع بين اصبعيه انه لجاهد مجاهد وفي البخاري ايضا عن يزيد بن ابي عبيد قال رايت اثر ضربة في ساق سلمة فقلت ما هذه الضربة قال هذه ضربة اصابتني يوم خيبر فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيه ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة اخرجه البخاري وعنده ايضا عن ابي هريرة شهدنا خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ممن معه يدعي الاسلام هذا من اهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل اشد القتال حتى كثرت به الجراحة فكاد بعض الناس يرتاب فوجد الرجل الم الجراحة فاهوى بيده الى كنانته فاستخرج منها اسهما فنحر بها نفسه فاشتد رجال من المسلمين فقالوا يا رسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال قم يا فلان فاذن انه لا يدخل الجنة الا مومن وان الله يويد هذا الدين بالرجل الفاجر وفي رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل عمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة الحديث وقاتل النبي صلى الله عليه وسلم اهل خيبر وقاتلوا اشد القتال واستشهد من المسلمين خمسة عشر وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون وفتحها الله تعالى عليه حصنا حصنا وهي النطاة وحصن الصعب وحصن ناعم وحصن قلعة الزبير والشق وحصن ابي وحصن البراء والقموص والوطيح والسلالم وهو حصن بني ابي الحقيق واخذ كنز ال ابي الحقيق الذي كان في مسك الحمار وكانوا قد غيبوه في خربة فدل الله رسوله عليه فاستخرجوه وقلع علي باب خيبر ولم يحركه سبعون رجلا الا بعد جهد وفي رواية ابن اسحاق من طريقه البيهقي في الدلايل

الحاكم عن البيهقي من جهة ليث ابن ابي سليم عن ابي جعفر محمد بن علي بن حسين عن جابر ان عليا حمل الباب يوم خيبر وانه جرب بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلا وليث ضعيف وفي رواية للبيهقي ان عليا لما انتهى الى الحصن اجتبذ احد ابوابه فالقاه بالارض فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلا فكان جهدا ان اعادوا الباب مكانه قال شيخنا وكلها واهية ولذا انكره بعض العلماء انتهى وفي البخاري وتزوج عليه الصلاة والسلام بصفية بنت حيي اي ابن اخطب قد قتل زوجها كنانة بن الربيع ابن ابي الحقيق وكانت عروسا فذكر له جمالها فاصطفاها لنفسه فخرج بها حتى بلغ سد الصهباء حلت له ببعض الطرق من الحيض فبنى بها عليه السلام وصنع حيسا في نطع صغير ثم قال آذن من حولك فكانت تلك وليمته على صفية قال ثم خرجنا الى المدينة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يحوي لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب وفي رواية له فقال المسلمون احدى امهات المؤمنين او ما ملكت يمينه قالوا ان حجبها فهي احدى امهات المؤمنين وان لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه فلما ارتحل وطأ لها ومد الحجاب وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قتل المقاتلة وسبى الذرية وكان في السبي صفية فصارت الى دحية الكلبي ثم صارت الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عتقها صداقها وفي رواية فاعتقها وتزوجها وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم لدحية خذ جارية من السبي غيرها وفي رواية لمسلم انه صلى الله عليه وسلم اشترى صفية منه بسبعة ارؤس واطلاق الشراء عليه وليس في قوله سبعة ارؤس منافيا لقوله في رواية البخاري خذ جارية من السبي غيرها اذ ليس هنا دلالة على نفي الزيادة والله اعلم وانما اخذ صلى الله عليه وسلم صفية لانها بنت ملك من ملوكهم وليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان من الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها فلو خصه بها لامكن تغير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاصه عليه السلام بها فان في ذلك رضا الجميع وليس ذلك من الرجوع في الهبة في شيء انتهى ذكره مغلطاي وغيره وكانت صفية قبل رأت ان القمر سقط في حجرها فتؤول بذلك وكذا جرى في هذه الغزوة حرم صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الاهلية كما في البخاري ولفظه فلما امسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم يعني خيبر اوقدوا نيرانا كثيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذه النيران على اي شيء توقدون قالوا على لحم قالوا لحم حمر الانسية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اهريقوها واكسروها فقال رجل يا رسول الله او نهريقها ونغسلها قال او ذاك والمشهور في الانسية كسر الهمزة وحكي ضم الهمزة ضد الوحشية ويجوز فتحها والنون ايضا مصدر انسته به انسا وفي رواية نهى يوم خيبر عن اكل الثوم وعن لحوم حمر اهلية وفي رواية نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الاهلية ولابن ابي اوفى فتحدثنا انه انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال بعضهم نهى عنها البتة لانها كانت تاكل العذرة وقد رايناها من المال لانها نجسة او محرمة وقيل انما نهى عنها للحاجة اليها وقيل لاخذها قبل القسمة وهذه التاويلات لا اباحة لحومها والصواب ما قدمناه واما قوله صلى الله عليه وسلم اكسروها فقال رجل او نهريقها ونغسلها قال وهذا محمول على انه صلى الله عليه وسلم اجتهد في ذلك فرأى كسرها ثم تغير اجتهاده واوحي اليه بغسلها واما لحوم العلماء في اباحتها فمذهب الشافعي والجمهور من السلف والخلف انه مباح لا كراهة فيه وبه قال عبد الله بن الزبير وانس بن مالك واسماء بنت ابي بكر وفي صحيح مسلم عنها قالت نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكلناه ونحن بالمدينة وفي رواية الدارقطني فاكلناه نحن واهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قال في فتح الباري ويستفاد من قولها ونحن بالمدينة ان ذلك بعد فرض الجهاد فيرد على من استند الى منع اكلها لعلة انها من الات الجهاد وفي قولها بيت النبي صلى الله عليه وسلم الرد على من زعم انه ليس فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم اطلع على ذلك مع ان ذلك لو لم يرد لم يظن بال ابي بكر انهم يقدمون على فعل شيء في زمنه صلى الله عليه وسلم الا وعندهم العلم بجوازه لشدة اختلاطهم به عليه السلام وعدم

مفارقتهم له

له هذا مع توفر داعية الصحابة الى سؤاله عليه السلام عن الاحكام ومن ثم كان الراجح ان الصحابي اذا قال كنا نفعل كذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له حكم الرفع لان الظاهر اطلاعه صلى الله عليه وسلم على ذلك وتقريره واذا كان ذلك في مطلق الصحابة فكيف بال ابي بكر وقال الطحاوي ذهب ابو حنيفة الى كراهة اكل الخيل وخالفه صاحباه وغيرهما واحتجوا بالاخبار المتواترة في حلها انتهى وقد نقل بعضهم الحل عن الصحابة مطلقا من غير استثناء احد فاخرج ابن ابي شيبة بسند صحيح على شرط الشيخين عن عطاء قال لم يزل سلفك ياكلونه قال ابن جريج قلت له اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم واما ما نقل في ذلك عن ابن عباس من كراهتها فاخرجه ابن ابي شيبة وعبد الرزاق بسندين ضعيفين وقال ابو حنيفة في الجامع الصغير اكره لحم الخيل فحمله ابو بكر الرازي على التنزيه وقال لم يطلق ابو حنيفة فيه التحريم وليس هو عنده كالحمار الاهلي وصحح اصحاب المحيط والهداية والذخيرة عنه التحريم وهو قول اكثرهم وقال القرطبي في شرح مسلم مذهب مالك الكراهة وقال الفاكهاني المشهور عند المالكية الكراهة والصحيح عند المحققين منهم التحريم وقال ابن ابي جمرة الدليل على الجواز مطلقا واضح لكن سبب كراهة مالك لاكلها لكونها تستعمل غالبا في الجهاد فلو انتفت الكراهة لكثر استعماله ولو كثر لافضى الى فنائها فيؤول الى النقص من ارهاب العدو الذي وقع الامر به في قوله ومن رباط الخيل ترهبون فعلى هذا فالكراهة لسبب خارج وليس البحث فيه فان الحيوان المتفق على اباحته لو حدث امر يقتضي انه لو ذبح لافضى الى ارتكاب محذور لامتنع ولا يلزم من ذلك القول بتحريمه انتهى واما قول بعض المانعين لو كانت حلالا لجازت الاضحية بها فمنتقض بحيوان البر فانه ماكول ولم تشرع الاضحية به واما حديث خالد بن الوليد عند ابي داود والنسائي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لحوم الخيل والبغال والحمير فضعيف ولو سلم ثبوته لا ينهض معارضا لحديث جابر الدال على الجواز وقد وافقه حديث اسماء وقد ضعف حديث خالد بن الوليد احمد والبخاري والدارقطني والخطابي وابن عبد البر وعبد الحق وآخرون وزعم بعضهم ان حديث جابر دال على التحريم لقوله رخص لان الرخصة استباحة المحظور مع قيام المانع فدل على انه رخص لهم بسبب المخمصة التي اصابتهم بخيبر فلا يدل ذلك على الحل المطلق واجيب بان اكثر الروايات جاءت بلفظ الاذن كما في رواية مسلم وفي رواية له اكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحش ونهانا النبي صلى الله عليه وسلم وعند الدارقطني من حديث ابن عباس نهانا صلى الله عليه وسلم عن الحمر الاهلية وامر بلحوم الخيل فدل على ان المراد بقوله رخص اذن وفي بعضها ايضا بالاذن في ذلك ولو كانت رخصة لاجل المخمصة لكانت الحمر الاهلية اولى بذلك لكثرتها وعزة الخيل حينئذ فدل على ان الاذن في اكل الخيل انما كان للاباحة العامة لا لخصوص الضرورة وقد نقل عن مالك وغيره من القائلين بالتحريم انهم احتجوا للمنع بقوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقرروا ذلك باوجه احدها ان اللام للتعليل فدل على انها لم تخلق لغير ذلك لان العلة المنصوصة تفيد الحصر فاباحة اكلها يقتضي خلاف ظاهر الاية ثانيها عطف البغال والحمير دال على اشتراكها معها في حكم التحريم فيحتاج من افرد حكمها عن حكم ما عطف عليها الى دليل ثالثها ان الاية سيقت مساق الامتنان فلو كانت ينتفع بها في الاكل لكان الامتنان به اعظم والحكيم لا يمتن بادنى النعم ويترك اعلاها ولا سيما وقد وقع الامتنان بالاكل في المذكورات قبلها رابعها لو ابيح اكلها لفاتت المنفعة بها فيما وقع به الامتنان من الركوب والزينة واجيب بان اية النحل مكية اتفاقا والاذن في اكل الخيل كان بعد الهجرة من مكة باكثر من ست سنين فلو فهم النبي صلى الله عليه وسلم من الاية المنع لما اذن في الاكل وايضا فاية النحل ليست نصا في منع الاكل والحديث صريح في جوازه وايضا فلو سلمنا ان اللام للتعليل لم يسلم افادة الحصر في الركوب والزينة فانه ينتفع بالخيل في غيرهما وفي غير الاكل اتفاقا وانما ذكر الركوب والزينة لكونهما اغلب ما تطلب له الخيل ونظيره حديث البقرة المذكورة في الصحيحين حين خاطبت راكبها فقالت لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث فانه مع كونه اصرح في الحصر لم يقصد به الاخبار الا انها لا تؤكل وينتفع بها في غير الحرث اتفاقا وقال البيضاوي واستدل بها اي باية النحل على حرمة

لحومها ولا دليل فيها اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا انتهى واجاب اهل
العلم بانه استدلال بلازم منع حمل الاثقال على الخيل والبغال والحمير ولا قائل به واما عطف البغال والحمير فدلالة العطف
الباقي دلالة اقتران وهي ضعيفة واما انها سيقت مساق الامتنان فالامتنان انما قصد به غالب ما كان يقع به انتفاعهم
بالخيل فخوطبوا بما الفوا وعرفوا ولم يكونوا يعرفون اكل الخيل لعزتها في بلادهم بخلاف الانعام فان اكثر انتفاعهم بها
كان لحمل الاثقال وللاكل فاقتصر في كل من الصنفين على الامتنان باغلب ما ينتفع به فلو لزم من ذلك الحصر في هذا
الشق لاضر واما قولهم لو ابيح اكلها لفاتت المنفعة بها الى اخره فاجيب عنه بانه لو لزم من الاذن في اكلها ان تفنى
للزم مثله في البقر ونحوها مما ابيح اكله ووقع الامتنان به واما الاطلاق في ذلك لا بر اعتضا والله اعلم
وفي هذه الغزوة ايضا نهى صلى الله عليه وسلم عن اكل كل ذي ناب من السباع وعن بيع المغانم حتى تقسم وان لا توطا
حامل حتى تضع انتهى **وفي هذه الغزوة ايضا** سم النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم
كما في البخاري من حديث ابي هريرة ولفظه لما فتحت خيبر اهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوا لي من كان ههنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سائلكم
عن شيء فهل انتم صادقوني عنه فقالوا نعم يا ابا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابوكم قالوا ابونا
فلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل ابوكم فلان فقالوا صدقت وبررت قال هل انتم صادقوني عن شيء ان
سالتكم عنه فقالوا نعم يا ابا القاسم وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في ابينا فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اهل النار فقالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسئوا
فيها والله لا نخلفكم فيها ابدا ثم قال لهم هل انتم صادقوني عن شيء ان سالتكم عنه فقالوا نعم فقال هل جعلتم
في هذه الشاة سما فقالوا نعم فقال ما حملكم على ذلك فقالوا اردنا ان كنت كذابا ان نستريح منك وان
لم يضرك **وفي** حديث جابر عند ابي داود ان يهودية من اهل خيبر سمت شاة مصلية ثم اهدتها الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل منها واكل رهط من اصحابه معه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم وارسل الى اليهودية فقال اسممت هذه الشاة فقالت من اخبرك قال اخبرتني هذه
في يدي للذراع قالت نعم قلت ان كان نبيا فلن يضره وان كان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها ولم
يعاقبها وتوفي اصحابه الذين اكلوا من الشاة واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من اجل الذي اكل من الشاة **وفي
رواية** عنده جعلت زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم تسال اي الشاة احب الى محمد فيقولون الذراع فعمدت الى عنز لها فذبحتها
وصلتها ثم عمدت الى سم لا يطني يعني لا يلبث ان يقتل من ساعته وقد شاورت يهود في سموم فاجتمعوا لها
على هذا السم بعينه فسمت الشاة واكثرت في الذراعين والكتف فوضعتها بين يديه ومن حضر من اصحابه وفيهم بشر بن البراء وتناول رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منها وتناول بشر بن البراء عظما اخر فلما ازدرد صلى الله عليه وسلم لقمته ازدرد بشر بن
البراء ما في فيه واكل القوم فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان هذه الذراع تخبرني انها مسمومة وفيه ان بشر بن
البراء مات وفيه انه دفعها صلى الله عليه وسلم الى اولياء بشر بن البراء فقتلوها رواه الدمياطي **وقد اختلف** هل عاقبها
صلى الله عليه وسلم فعند البيهقي من حديث ابي هريرة فما عرض لها ومن طريق ابي نضرة عن جابر نحوه قال فلم يعاقبها وقال
الزهري اسلمت فتركها قال البيهقي يحتمل ان يكون تركها اولا ثم لما مات بشر قتلها قصاصا ويحتمل ان يكون تركها لكونها اسلمت وانما
اخر قتلها حتى مات بشر لان بموته يتحقق وجوب القصاص بشرطه **و**في مغازي سليمان التيمي انها قالت ان كنت كاذبا اريح الناس
منك وقد استبان لي الان انك صادق وانا اشهدك ومن حضر اني على دينك وان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال فانصرف
عنها حين اسلمت وفيه موافقة الزهري على اسلامها والله اعلم **وفي هذه الغزوة** ايضا نام صلى الله عليه وسلم عن صلاة الصبح

وكلا له بلال كما في حديث ابي هريرة عند مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من غزوة خيبر سار ليله حتى اذا ادركه الكرى
عرس وقال لبلال اكلا لنا الليل فصلى بلال ما قدر له ونام صلى الله عليه وسلم واصحابه فلما تقارب الفجر استند بلال الى راحلته مواجه
الفجر فغلبت بلالا عيناه وهو مستند الى راحلته فلم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا احد من اصحابه حتى ضربتهم
الشمس فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولهم استيقاظا فقال اي بلال فقال بلال اخذ بنفسي الذي اخذ بابي انت وامي يا رسول
الله بنفسك قال اقتادوا فاقتادوا رواحلهم شيئا ثم توضا صلى الله عليه وسلم وامر بلالا فاقام الصلاة فصلى بهم
الصبح فلما قضى الصلاة قال من نسي الصلاة فليصلها اذا ذكرها فان الله تعالى قال اقم الصلاة لذكري **وفيها** قدم جعفر
ومن معه من الحبشة **واختلف** في فتح خيبر هل كان عنوة او صلحا ففي حديث عبد العزيز بن صهيب عن انس التصريح بانه كان
عنوة وبه جزم ابن عبد البر ورد على من قال فتحت صلحا قال وانما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحا بالحصنين اللذين
اسلمهما اهلهما لتحقن دماؤهم وهو ضرب من الصلح لكن لم يقع ذلك الا بحصار وقتال انتهى **ثم فتح وادي القرى** في جمادى الاخرة
بعد ما اقاموا اربعة ايام يحاصرهم ويقاتل اكثر من ذلك واصاب مدعما مولاه سهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الشملة التي
غلها من خيبر لتشتعل عليه نارا وصالحه اهل تيماء على الجزية قاله الحافظ مغلطاي **ثم سرية عمر بن الخطاب** رضي الله عنه الى
تربة في شعبان سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا فخرج معه دليل من بني هلال فكان يسير الليل ويكمن النهار فاتى الخبر الى
هوازن فهربوا وجاء عمر بن الخطاب الى محالهم فلم يلق منهم احدا فانصرف راجعا الى المدينة **ثم سرية ابي بكر الصديق**
رضي الله عنه الى بني كلاب ناحية ضرية في شعبان سنة سبع ويقال الى فزارة فسبى منهم جماعة وقتل اخرين وفي صحيح مسلم
فزارة وهو الصواب **ثم سرية بشير بن سعد الانصاري** الى بني مرة بفدك في شعبان سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا
فقتلوا وقاتل بشير حتى ارتث وضرب كعبه وقيل قد مات وقدم ابن زيد الحارثي بخبرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قدم بعده بشير بن سعد **ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي** الى الميفعة بناحية نجد من المدينة على ثمانية برد في
شهر رمضان سنة سبع من الهجرة في مائتين وثلاثين رجلا فهجموا عليهم في وسط محالهم فقتلوا من اشرف لهم
واستاقوا نعما وشاء الى المدينة قالوا وفي هذه السرية قتل اسامة بن زيد نهيك بن مرداس بعد ان قال لا اله الا
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا شققت عن قلبه فتعلم اصادق هو ام كاذب فقال اسامة لا اقاتل احدا يشهد
ان لا اله الا الله وفي الاكليل وغيره ذكر اسامة في سرية كان هو اميرا عليها سنة ثمان **وفي البخاري** عن ابي ظبيان
قال سمعت اسامة بن زيد يقول بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت
انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف الانصاري عنه وطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قلت كان متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت
اني لم اكن اسلمت قبل ذلك اليوم **ثم سرية بشير بن سعد الانصاري** ايضا الى يمن وجبار بفتح الجيم وهي ارض لغطفان
ويقال لفزارة وعذرة في شوال سنة سبع من الهجرة وبعث معه ثلاثمائة رجل لجمع تجمعوا للاغارة على المدينة فساروا
الليل وكمنوا النهار فلما بلغهم مسير بشير هربوا واصاب لهم نعما كثيرة فغنمها واسر رجلين وقدم بهما الى المدينة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسلما **ثم عمرة القضية** وتسمى عمرة القضاء لانه قاضى فيها قريشا لا لانها قضاء عن
العمرة التي صد عنها لانها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة ولهذا عدوا عمر النبي صلى الله عليه وسلم اربعا
كما سياتي ان شاء الله تعالى وقال اخرون بل كانت قضاء عن العمرة الاولى وعدوا عمرة الحديبية في العمر لثبوت الاجر
فيها لا لانها كملت وهذا الخلاف مبني على الاختلاف في وجوب القضاء وعن احمد رواية انه لا يلزمه هدي ولا قضاء
واخرى انه يلزمه القضاء والهدي وحجة الجمهور قوله تعالى فان احصرتم فما استيسر من الهدي وحجة ابي حنيفة ان
العمرة تلزم بالشروع فاذا احصر جاز له تاخيرها فاذا زال الحصر اتى بها ولا يلزم من التحلل بين الاحرامين

سقوط القضاء وحجة من اوجبها ما وقع للصحابة فانهم نحروا الهدي حيث صدوا واعتمروا من قابل وساقوا
الهدي وحجة من لم يوجبها ان تحللهم بالحصر لم يتوقف على نحر الهدي بل امر من معه هدي ان ينحر ومن
ليس معه هدي ان يحلق انتهى قال الحاكم في الاكليل تواترت الاخبار انه صلى الله عليه وسلم لما اهل
ذو القعدة يعني سنة سبع امر اصحابه ان يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية
وان لا يتخلف احد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف منهم الا رجال ماتوا وخرج معه صلى الله عليه وسلم من
المسلمين الفان واستخلف على المدينة ابا رهم الغفاري وساق عليه السلام ستين بدنة وحمل السلاح
والبيض والدروع والرماح وقاد مائة فرس فلما انتهى الى ذي الحليفة قدم الخيل امامه عليها محمد بن
مسلمة وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد واحرم صلى الله عليه وسلم ولبى والمسلمون يلبون معه ومضى
محمد بن مسلمة في الخيل الى مر الظهران فوجد بها نفرا من قريش فسالوه فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله فاتوا قريشا فاخبروهم ففزعوا ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر
الظهران وقدم السلاح الى بطن ياجج ليسمع ويبصر ويقرب من موضع بمكة حيث ينظر الى انصاب الحرم وخلف عليه اوس
ابن خولي الانصاري في مائتي رجل وخرجت قريش من مكة الى رؤس الجبال وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدي امامه
فحبس بذي طوى وخرج صلى الله عليه وسلم على راحلته القصواء والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبون فدخل من الثنية التي تطلعه على الحجون وابن رواحة آخذ بزمام راحلته وفي رواية الترمذي
في الشمائل من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله ● اليوم نضربكم على تنزيله ● ضربا يزيل الهام عن مقيله ● ويذهل الخليل عن خليله ●

فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول شعرا فقال صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي
اسرع فيهم من نضح النبل ورواه عبد الرزاق من حديث انس ايضا من وجه بلفظ ● خلوا بني الكفار عن سبيله ●
قد انزل الرحمن في تنزيله ● بان خير القتل في سبيله ● نحن قتلناكم على تاويله ● كما قتلناكم على تنزيله ●
واخرجه الطبراني والبيهقي في الدلائل وفيه ● اليوم نضربكم على تنزيله ● ضربا يزيل الهام عن مقيله ● ويذهل الخليل عن خليله
يا رب اني مؤمن بقيله ● وعند ابن عقبة في المغازي بعد قوله ● قد انزل الرحمن في تنزيله ● في صحف تتلى على رسوله ●
لكنه لم يذكر [illegible] وزاد ابن اسحاق بعد قوله يا رب اني مؤمن بقيله ● اني رايت الحق في قبوله ● وقال ابن هشام
قوله نحن ضربناكم على تاويله الى اخر الشعر من قول عمار بن ياسر قاله يوم صفين قالوا ولم يزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبي حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعا بثوبه وطاف على راحلته والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم
وفي البخاري عن ابن عباس قال المشركون انه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان
يرملوا الاشواط الثلاثة وان يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعه ان يرملوا الاشواط كلها الا الابقاء عليهم وفي رواية
قال ارملوا ليرى المشركون قوتكم والمشركون من قبل قعيقعان ومعنى قوله الا الابقاء عليهم اي لم يمنعه
من امرهم بالرمل في جميع الطوفات الا الرفق بهم والاشفاق عليهم ثم طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفا
والمروة على راحلته فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدي عند المروة قال هذا المنحر وكل فجاج مكة
منحر فنحر عند المروة وحلق هناك وكذلك فعل المسلمون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا منهم ان يذهبوا الى اصحابهم ببطن ياجج
فيقيموا على السلاح ويأتي الآخرون فيقضوا نسكهم ففعلوا واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا وفي البخاري من
حديث البراء فلما دخلها يعني مكة ومضى الاجل اتوا عليا فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل فخرج النبي صلى الله
عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة تنادي يا عم يا عم فتناولها علي فاخذ بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة عمك فحملتها فاختصم فيها

على

علي وزيد وجعفر قال علي انا اخذتها وهي ابنة عمي وقال جعفر ابنة عمي وخالتها تحتي وقال زيد ابنة اخي فقضى بها النبي
صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام الحديث واما اقرار النبي صلى الله عليه وسلم عليا على اخذها مع اشتراطه
المشركين ان لا يخرج باحد من اهلها اراد الخروج فلانهم لم يطلبوها وقوله الخالة بمنزلة الام اي في هذا الحكم الخاص لانها
تقرب منها في الحنو والشفقة والاهتداء الى ما يصلح الولد ويؤخذ منه ان الخالة في الحضانة مقدمة على العمة لان
صفية بنت عبد المطلب كانت موجودة حينئذ واذا قدمت على العمة مع كونها اقرب العصبات من النساء فهي مقدمة على
غيرها ويؤخذ منه تقديم اقارب الام على اقارب الاب انتهى قال ابن عباس وتزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة
وهو محرم وبنى بها وهو حلال وقد استدرك ذلك على ابن عباس وعد من وهمه قال سعيد بن المسيب وهل ابن
عباس وان كانت خالته ما تزوجها صلى الله عليه وسلم الا بعد ما حل ذكره البخاري وقال يزيد بن الاصم عن ميمونة تزوجني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان بسرف رواه مسلم وسياتي في الخصائص من مقصد معجزاته ان شاء الله تعالى
ان له صلى الله عليه وسلم النكاح في حال الاحرام على اصح الوجهين عند الشافعية ثم سرية ابن ابي العوجاء السلمي الى بني سليم
في ذي الحجة سنة سبع في خمسين رجلا فاحدق بهم الكفار من كل ناحية وقاتل القوم قتالا شديدا حتى قتل عامتهم
واصيب ابن ابي العوجاء جريحا مع القتلى ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول صفر سنة ثمان ثم سرية
غالب بن عبد الله الليثي الى بني الملوح بالكديد بفتح الكاف في صفر سنة ثمان من مهاجره فغنم وفي هذا
الشهر قدم خالد بن الوليد وعثمان بن ابي طلحة وعمرو بن العاص المدينة فاسلموا وقال ابن ابي خيثمة كان ذلك سنة خمس
وقال الحاكم سنة سبع ثم سرية غالب ايضا الى مصاب اصحاب بشير بن سعد بفدك في صفر سنة ثمان ومعه مائتا رجل فاغاروا
عليهم مع الصبح وقتلوا منهم قتلى واصابوا نعما ثم سرية شجاع بن وهب الاسدي الى بني عامر بالسي ماء من ذات عرق الى
وجرة على ثلاث مراحل من مكة الى البصرة وخمس من المدينة في شهر ربيع الاول سنة ثمان ومعه اربعة وعشرون رجلا الى جمع
من هوازن وامره ان يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم فاصابوا نعما وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا
المدينة وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة واقتسموا الغنيمة وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا وعدلوا البعير بعشر من الغنم ثم
سرية كعب بن عمير الغفاري الى ذات اطلاح وراء ذات القرى في ربيع الاول سنة ثمان في خمسة عشر رجلا فساروا حتى
انتهوا الى ذات اطلاح فوجدوا جمعا كثيرا فقاتلهم الصحابة اشد القتال حتى قتلوا وافلت منهم رجل جريح في القتلى قال مغلطاي
قيل هو الامير فلما برد عليه الليل تحامل حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فشق ذلك عليه وهم بالبعث
اليهم فبلغه انهم ساروا الى موضع اخر فتركهم ثم سرية مؤتة بضم الميم وسكون الواو وبغير همز لاكثر الرواة وبه جزم
المبرد وجزم ثعلب والجوهري وابن فارس بالهمز وحكى غيرهم الوجهين وهي من عمل البلقاء بالشام دون دمشق في جمادى الاولى
سنة ثمان وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ارسل الحارث بن عمير الازدي بكتاب الى ملك بصرى فلما نزل مؤتة عرض
له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فامر صلى الله عليه وسلم زيد بن
حارثة على ثلاثة آلاف وقال ان قتل فجعفر بن ابي طالب فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون برجل
من بينهم يجعلوه عليهم وفي حديث عبد الله بن جعفر عند احمد والنسائي باسناد صحيح ان قتل زيد فاميركم جعفر الحديث
قالوا وعقد لهم صلى الله عليه وسلم لواء ابيض ودفعه الى زيد بن حارثة واوصاهم ان ياتوا مقتل الحارث بن عمير وان يدعوا من
هناك الى الاسلام فان اجابوا والا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم وخرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف
وودعهم فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين فقال ابن رواحة ●

لكنني اسأل الرحمن مغفرة ● وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا ●

فلما فصلوا من المدينة
سمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم وقام فيهم شرحبيل بن عمرو فجمع اكثر من مائة الف وقدم الطلائع امامه ونزل

بالمسلمين فعلم نبح العيم موضع من ارض الشام وبلغ الناس كثرة العدو وتجمعهم وان هرقل نزل بارض البلقا في مائة
الف من المشركين فاقاموا بمعان ليلتين ينظرون في امرهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فشجعهم عبد
الله بن رواحة على المضي فمضوا الى مؤتة ووافاهم المشركون فجاء منهم ما لا قبل لاحد به من العدد والسلاح والكراع
والديباج والحرير والذهب فالتقى المسلمون والمشركون فقاتل الامراء يومئذ على ارجلهم فاخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل
وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعنا بالرماح ثم اخذ اللواء جعفر ابن ابي طالب فنزل عن فرس له شقراء فقاتل
حتى قتل ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوجد في احد نصفيه بضعة وثمانون جرحا وفيما اقبل من بدنه اثنتين
وسبعين ضربة بسيف وطعنة برمح قال في رواية البخاري ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية وفي
رواية ابن عمر وقفت على جعفر يومئذ وهو قتيل قال فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره وذكر
ابن اسحاق باسناد حسن وهو عند ابي داود من طريقه عن رجل من مرة قال والله لكاني انظر الى جعفر ابن ابي طالب حين
اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم تقدم فقاتل حتى قتل قالوا ثم اخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل فاخذ اللواء
ابن اقرم العجلاني الى ان اصطلح الناس على خالد بن الوليد فاخذ اللواء وانكشف الناس فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون
فقتل من قتل من المسلمين وقال الحاكم قاتلهم خالد بن الوليد فقتل منهم مقتلة عظيمة واصاب غنيمة وقال ابن سعد
انما انهزم بالمسلمين وقال ابن اسحاق انحازت كل طايفة من غير هزيمة ورفعت الارض لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى نظر الى معترك القوم وعن عبد الله بن الزبير قال حدثني ابي الذي ارضعني وكان احد بني مرة قال شهدت مؤتة
مع جعفر ابن ابي طالب واصحابه فرايت جعفرا حين التحم القتال اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها وقاتل القوم حتى قتل
خرجا [...] بالعشية تلك الوقعة بيداه جميعا ثم قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ابدله
بيديه [...] في الجنة حيث شا اخرجه ابو عمر وفي البخاري عن عايشة رضي الله عنها لما جاء قتل ابن رواحة
وابن حارثة وجعفر بن ابي طالب جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف عنه الحزن الحديث واخرج الطبراني باسناد
حسن عن عبد الله ابن جعفر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيا لك ابوك يطير مع الملايكة في السماء وعن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت جعفر ابن ابي طالب يطير مع الملايكة اخرجه الترمذي والحاكم
وفي اسناده ضعف لكن له شاهد من حديث علي عند ابن سعد وعن ابي هريرة ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال رايت جعفر ابن ابي طالب يطير مع الملايكة اخرجه مرة جعفر الطيار في ملا من الملايكة وهو مخضب الجناحين بالدم
اخرجه الترمذي والحاكم باسناد على شرط مسلم واخرج ايضا هو والطبراني عن ابن عباس مرفوعا دخلت البارحة
الجنة فرايت فيها جعفر ابن ابي طالب يطير مع الملايكة وفي طريق اخرى عنه ان جعفرا يطير مع جبريل وميكاييل له جناحان
عوضه الله من يديه واسناد هذا جيد فقد عوضه الله تعالى عن قطع يديه في هذه الوقعة حيث اخذ اللوا
بيمينه فقطعت ثم اخذه بشماله فقطعت ثم احتضنه فقتل قال السهيلي له جناحان ليسا كما يسبق الى الوهم
كجناحي الطاير وريشه لان الصورة الادمية اشرف الصور واكملها فالمراد بالجناحين صفة ملكية وقوة روحانية
اعطيها جعفر وقد عبر القران عن العضد بالجناح توسعا في قوله واضمم يدك الى جناحك وقال العلما في اجنحة الملايكة
انها صفات ملكية لا تفهم الا بالمعاينة فقد ثبت ان لجبريل ستماية جناح ولا يعهد للطير ثلاثة اجنحة فضلا عن اكثر
من ذلك واذا لم يثبت خبر في بيان كيفيتها فنؤمن بها من غير بحث عن حقيقتها انتهى قال ابن حجر وهذا جزم
به في مقام المنع والذي حكاه عن العلما ليس صريحا في الدلالة لما ادعاه ولا مانع من الحمل على الظاهر الا من جهة ما
ذكره من المعهود وهو قياس من الغايب على الشاهد وهو ضعيف وكون الصورة البشرية اشرف الصور لا يمنع من حمل الخبر
على ظاهره لان الصورة باقية وقد روى البيهقي في الدلايل من مرسل عاصم ابن عمر بن قتادة ان جناحي جعفر من

ياقوت

من ياقوت وجاء في جناحي جبريل انهما من لؤلؤ اخرجه ابن منده في ترجمة ورقة وذكر موسى بن عقبة في المغازي ان
يعلى بن امية قدم بخبر اهل مؤتة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت فاخبرني وان شئت اخبرتك قال اخبرني
فاخبره خبرهم فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا لم تذكره وعند الطبراني من حديث ابي اليسر الانصاري
ان ابا عامر الاشعري هو الذي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمصابهم ثم سرية عمرو بن العاص الى ذات السلاسل
وسميت بذلك لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة ان يفروا وقيل لان بها ماء يقال له السلسل وهي وراء ذات
القرى من المدينة على عشرة ايام وكانت في جمادى الاخرة سنة ثمان وقيل كانت سنة سبع وبه جزم ابن ابي خالد في
صحيح التاريخ ونقل ابن عساكر الاتفاق على انها كانت بعد غزوة مؤتة الا ابن اسحاق فقال قبلها وسببها انه بلغه صلى
الله عليه وسلم ان جمعا من قضاعة قد تجمعوا للاغارة فعقد له لواء ابيض وجعل معه راية سودا وبعثه في ثلثماية
من سراة المهاجرين والانصار ومعهم ثلثون فرسا فسار الليل وكمن النهار فلما قرب منهم بلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث
رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث اليه ابا عبيدة ابن الجراح وعقد له لواء
وبعث معه مايتين من سراة المهاجرين والانصار فيهم ابو بكر وعمر رضي الله عنهم وامره ان يلحق بعمرو وان يكونا جميعا
ولا يختلفا فاراد ابو عبيدة ان يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت علي مددا وانا الامير فاطاع له بذلك ابو عبيدة
وكان عمرو يصلي بالناس وسار حتى وصل الى العدو بلي وعذرة فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا
ثم سرية ابي عبيدة ابن الجراح وسماها البخاري غزوة سيف البحر وتعرف بسرية الخبط وبعث معه صلى
الله عليه وسلم ثلثماية كما في الصحيحين وغيرهما وهو المشهور لكن في رواية النساي وبضع عشرة فان
صحت هذه الرواية فلعله اقتصر في الرواية المشهورة على الثلثماية اسقاطا للكسر والا فالاخذ بالزيادة
مع صحتها واجب وكان فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتلقى عيرا لقريش رواه مسلم وعنده ايضا الى ارض
جهينة ولا منافاة بينهما فالجمع ان بعثهم الى ارض جهينة والقصد تلقي عير قريش وهي الابل المحملة طعاما او غيره لكن في كتب
السير ان البعث الى حي من جهينة بالقبلية بفتح القاف والموحدة مما يلي ساحل البحر بينها وبين المدينة خمس
ليال ولعل البعث لقصدين رصد عير قريش ومحاربة حي جهينة قال ابن سعد وكانت في رجب سنة ثمان
وفيه نظر لان تلقي عير قريش ما يتصور ان يكون في هذه المدة لانهم حينئذ كانوا في الهدنة بل الصحيح ان تكون
هذه السرية في سنة ست او قبلها قبل هدنة الحديبية نعم يحتمل ان يكون تلقيهم العير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم
من جهينة ولهذا لم يقع في شيء من طرق الخبر انهم قاتلوا احدا بل فيه انهم اقاموا نصف شهر او اكثر في مكان
واحد فالله اعلم قاله الحافظ ابن حجر لكن قال شيخ الاسلام ابن العراقي في شرح التقريب قالوا وكانت هذه
السرية في شهر رجب سنة ثمان من الهجرة وذلك بعد نكث قريش العهد وقبل الفتح فانه كان في رمضان
من السنة المذكورة انتهى قالوا وزودهم صلى الله عليه وسلم جرابا من التمر فلما فني اكلوا الخبط وهو
بفتح المعجمة والموحدة بعدها مهملة ورق السلم وفي رواية ابي الزبير وكنا نضرب بعصينا الخبط ونبله بالماء فناكله وهذا
يدل على انه كان يابسا خلافا لمن زعم انه كان اخضر رطبا وقد كان معهم تمر غير الجراب النبوي ويدل عليه حديث البخاري
في الجهاد خرجنا ونحن ثلثماية نحمل زادنا على رقابنا ففني زادنا حتى كان الرجل منا ياكل كل يوم تمرة وابتاع قيس بن سعد جزورا
ونحرها لهم واخرج الله لهم من البحر دابة تسمى العنبر فاكلوا منها وتزودوا ورجعوا ولم يلقوا كيدا وفي رواية جابر عند
مسلم التي بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثماية راكب اميرنا ابو عبيدة ابن الجراح فاقمنا على الساحل حتى فني زادنا
حتى اكلنا الخبط ثم ان البحر القى لنا دابة يقال لها العنبر فاكلنا منها نصف شهر حتى صلحت اجسامنا فاخذ ابو عبيدة ضلعا من
اضلاعه فنصبه ونظر الى اطول بعير فجاز تحته الحديث زاد الشيخان في رواية فلما قدمنا المدينة اتينا رسول الله

صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا قال فأرسلنا إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم سرية أبي قتادة ابن ربعي الأنصاري إلى خضرة وهي أرض محارب بنجد في شعبان
سنة ثمان وبعث معه خمسة عشر رجلا إلى غطفان فقتل من أشرف منهم وسبا سبيا كثيرا واستاق النعم فكانت الإبل مائتي
بعير والغنم ألفي شاة وكانت غيبته خمس عشرة ليلة ثم سرية أبي قتادة أيضا إلى بطن إضم فيما بين ذي خشب وذي
المروة على ثلاثة برد من المدينة في أول شهر رمضان سنة ثمان وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما هم بغزو أهل مكة
بعث أبا قتادة في ثمانية نفر سرية إلى بطن إضم ليظن ظان أنه صلى الله عليه وسلم توجه إلى تلك الناحية ولأن تذهب
بذلك الأخبار فلقوا عامر بن الأضبط فسلم عليهم بتحية الإسلام فقتله محلم بن جثامة فأنزل الله تعالى ولا تقولوا
لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا إلى آخر الآية رواه أحمد وهو عند ابن جرير من حديث ابن عمر بنحوه وزاد فجاء محلم بن جثامة
في بردين فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا غفر الله لك
فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت له سابعة حتى مات فلفظته الأرض وعند [illegible] ثم عادوا به فلفظته الأرض فألقوه على
قومه عمدوا إلى صدين فسطحوه ثم رضخوا عليه الحجارة حتى واروه وفي رواية ابن جرير فذكروا ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن يريد الله أن يعظكم ومعه رجلان إلى الغابة لما
بلغه صلى الله عليه وسلم أن رفاعة بن قيس يجمع لحربه فقتلوا رفاعة وهزموا عسكره وغنموا غنيمة عظيمة حكاه مغلطاي
ثم فتح مكة زادها الله شرفا وهو كما قال في زاد المعاد هو الفتح الأعظم المبين الذي أعز الله به دينه ورسوله
وجنده وحرمه الأمين واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين وهو الفتح
الذي استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس به في دين الله أفواجا وأشرق به وجه الأرض
ضياء وابتهاجا خرج له صلى الله عليه وسلم بكتائب الإسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذي وقع
فإنه كان قد وقع الشرط أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل ومن أحب أن
يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعهده وكان بين بني بكر وخزاعة حروب وقتلى في الجاهلية فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الإسلام
فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلي من بني بكر في بني الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يقال له الوتير
فأصاب منهم رجلا يقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا إلى أن دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال وأمدت
قريش بني بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلا في خفية وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكبا من
على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذي أصابهم ويستنصرونه فقام وهو يجر رداءه وهو يقول
لا نصرت إن لم أنصركم بما أنصر منه نفسي وفي المعجم الصغير للطبراني من حديث ميمونة أنها سمعته صلى الله عليه وسلم يقول
في متوضئه لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يا رسول الله سمعتك تقول
في متوضئك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت ثلاثا كأنك تكلم إنسانا فهل كان معك أحد فقال صلى الله عليه
وسلم هذا راجز بني كعب يستصرخني ويزعم أن قريشا أعانت عليهم بني بكر ثم خرج عليه السلام فأمر
عائشة أن تجهزه ولا تعلم أحدا قالت فدخل عليها أبو بكر فقال يا بنية ما هذا الجهاز فقالت والله
ما أدري فقال والله ما هذا زمان غزو بني الأصفر فأين يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت والله لا علم
لي قالت فأقمنا ثلاثا ثم صلى الصبح بالناس فسمعت الراجز ينشد · يا رب إني ناشد محمدا · حلف أبينا وأبيه الأتلدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا · ونقضوا ميثاقك المؤكدا · وزعموا أن لست أدعو أحدا · فانصر هداك الله نصرا أيدا
وادعوا عباد الله يأتوا مددا · فيهم رسول الله قد تجردا · إن سيم خسفا وجهه تربدا · قال في القاموس

تربد

وتربد يعني تغير انتهى وزاد ابن إسحاق · هم بيتونا بالوتير هجدا · وقتلونا ركعا وسجدا · وزعموا أن لست
أدعو أحدا · وهم أذل وأقل عددا · فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم فكان
ذلك ما هاج فتح مكة وقد ذكر البزار من حديث أبي هريرة بعض الأبيات المذكورة وقدم أبو سفيان بن حرب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسأله أن يجدد العهد ويزيد في المدة فأبى عليه فانصرف إلى مكة فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غير إعلام أحد بذلك فكتب حاطب كتابا وأرسله إلى مكة يخبر بذلك فأطلع الله نبيه على ذلك فقال عليه
السلام لعلي ابن أبي طالب والزبير والمقداد انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه
منها قال فانطلقنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة قلنا أخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب
أو لنلقين الثياب قال فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة
إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول
الله لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قريش يقول كنت حليفا ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم
قرابات يحمون أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم
أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنه قد صدقكم فقال
عمر يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد
بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء
تلقون إليهم بالمودة إلى قوله فقد ضل سواء السبيل رواه البخاري قال في فتح الباري وإنما قال ذلك
عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم
له فيما اعتذر به لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض المنافقين فظن أن من خالف ما أمره به النبي صلى الله
عليه وسلم استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن في قتله وأطلق عليه منافقا لكونه أبطن خلاف
ما أظهر وعذر حاطب بما ذكره فإنه صنع ذلك متأولا أن لا ضرر فيه وعند الطبري من طريق الحارث عن علي
في هذه القصة فقال أليس قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما
شئتم فقد غفرت لكم فأشار إلى علة ترك قتله وعند الطبري أيضا عن عروة فإني غافر لكم و
هذا يدل على أن المراد بقوله غفرت أغفر على طريق التعبير عن الآتي بالواقع مبالغة في تحققه قال والذي
يظهر أن هذا الخطاب خطاب إكرام وتشريف تضمن أن هؤلاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة
وتأهلوا أن يغفر لهم ما يستأنف من الذنوب اللاحقة وقد أظهر الله تعالى صدق رسوله في كل ما أخبر عنه
بشيء من ذلك فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل [illegible] الدنيا ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر إلى التوبة
ولازم الطريقة المثلى يعلم ذلك من [illegible] من اطلع على سيرهم قاله القرطبي وذكر بعض أهل المغازي
وهو في تفسير يحيى بن سلام أن لفظ الكتاب الذي كتبه حاطب أما بعد يا معشر قريش فإن رسول الله صلى الله عليه
وسلم جاءكم بجيش كالليل يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده فانظروا لأنفسكم كذا حكاه السهيلي
و رواه الواقدي بسند له مرسل أن حاطبا كتب إلى سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أذن في الناس بالغزو ولا أراه يريد غيركم وقد أحببت أن تكون لي عندكم يد انتهى وبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من حوله من العرب فجلبهم أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم فمنهم
من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق فكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف وفي الإكليل وشرف المصطفى اثنا
عشر ألفا و يجمع بينهما بأن العشرة آلاف خرج بها من نفس المدينة ثم تلاحق به الألفان واستخلف على المدينة ابن أم

مكتوم وقيل ابا رهم الغفاري وخرج عليه السلام يوم الاربعاء لعشر خلون من رمضان بعد العصر قاله الواقدي
وعند احمد باسناد صحيح عن ابي سعيد قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح لليلتين خلتا من شهر
رمضان فما قاله الواقدي ليس بقوي لمخالفته ما هو اصح منه وفي تعيين هذا التاريخ اقوال اخر منها عند مسلم
لست عشرة ولاحمد لثماني عشرة وفي اخرى لثنتي عشرة والذي في المغازي دخل لتسع عشرة مضت وهو محمول على الاختلاف
في اول الشهر ووقع في اخرى تسع عشرة او سبع عشرة على الشك ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الكديد بفتح الكاف الماء الذي
بين قديد وعسفان افطر فلم يزل مفطرا حتى انسلخ الشهر رواه البخاري وفي اخرى له افطر وافطروا الحديث وكان العباس
قد خرج قبل ذلك باهله وعياله مسلما مهاجرا فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وكان قبل ذلك مقيما بمكة
على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض وكان ممن لقيه في الطريق ابو سفيان ابن الحارث ابن عمه عليه السلام
واخوه من الرضاع حليمة السعدية ومعه ولده جعفر ابن ابي سفيان وكان ابو سفيان يالف رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما بعث عاداه وهجاه وكان لقاؤهما له عليه السلام بالابواء واسلما قبل دخول مكة وقيل بل لقيه هو وعبد
الله ابن ابي امية ابن عاتكة بنت عبد المطلب بين السقيا والعرج فاعرض صلى الله عليه وسلم عنهما لما كان يلقى منهما
من شدة الاذى والهجو فقالت له ام سلمة لا يكن ابن عمك وابن عمتك اشقى الناس بك وقال علي لابي سفيان فيما حكاه
ابو عمر وصاحب ذخائر العقبى ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف تالله لقد
اثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لا يرضى ان يكون احد احسن منه قولا ففعل ذلك ابو سفيان فقال له صلى الله عليه
وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ويقال انه ما رفع راسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
منذ اسلم حياء منه قالوا ثم سار صلى الله عليه وسلم فلما كان بقديد عقد الالوية والرايات ودفعها الى القبائل
ثم نزل مر الظهران عشاء فامر اصحابه فاوقدوا عشرة الاف نار ولم يبلغ قريشا مسيره وهم مغتمون لما يخافون
من غزوه اياهم فبعثوا ابا سفيان ابن حرب وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه امانا فخرج ابو سفيان بن حرب وحكيم بن
حزام وبديل بن ورقاء حتى اتوا مر الظهران فلما راوا العسكر افزعهم وفي البخاري فاذا هم بنيران كانها نيران عرفة
فقال ابو سفيان ما هذه كانها نيران عرفة فقال بديل بن ورقاء نيران بني عمرو فقال ابو سفيان عمرو اقل من ذلك فراهم
ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركوهم فاخذوهم فاتوا بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم ابو سفيان
عند حطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله عليه وسلم تمر كتيبة كتيبة على ابي
سفيان فمرت كتيبة فقال يا عباس من هذه قال غفار قال ما لي ولغفار ثم مرت جهينة قال مثل ذلك حتى اقبلت كتيبة لم
ير مثلها قال من هذه قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فقال سعد بن عبادة يا ابا سفيان اليوم
يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال ابو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار بالمعجمة المكسورة اي الهلاك قال
الخطابي تمنى ابو سفيان ان تكون له يد فيحمي قومه ويدفع عنهم وقيل هذا يوم الغضب للحريم والاهل والانتصار
لمن قدر عليه وقيل هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي من ان ينالني مكروه وقال ابن اسحاق زعم بعض اهل العلم
ان سعدا قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله ما امن ان يكون
لسعد في قريش صولة فقال لعلي ادركه فخذ الراية منه فكن انت تدخل بها وقد روى الاموي في المغازي ان ابا سفيان
قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما حاذاه امرت بقتل قومك قال لا فذكر له ما قال سعد بن عبادة ثم ناشده الله
والرحم فقال يا ابا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم يعز الله قريشا وارسل الى سعد فاخذ الراية منه فدفعها الى ابنه
قيس وعند ابن عساكر من طريق ابي الزبير عن جابر قال لما قال سعد بن عبادة ذلك عارضت امراة من قريش رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت يا نبي الهدى اليك لجا حي قريش ولات حين لجاء حين ضاقت عليهم سعة الارض

وعاداهم اله السماء ان سعدا يريد قاصمة الظهر باهل الحجون والبطحاء فلما سمع هذا الشعر
دخلته رافة لهم ورحمة فامر بالراية فاخذت من سعد ودفعت الى ابنه قيس وعند ابي يعلى من حديث الزبير
ان النبي صلى الله عليه وسلم دفعها اليه فدخل مكة بلواءين واسناده ضعيف جدا لكن جزم موسى ابن عقبة في المغازي
عن الزهري انه دفعها الى الزبير بن العوام فهذه ثلاثة اقوال فيمن دفعت اليه الراية التي نزعت من سعد والذي
يظهر في الجمع ان عليا ارسل لينزعها ويدخل بها ثم خشي تغير خاطر سعد فامر بدفعها الى ابنه قيس ثم ان سعدا
خشي ان يقع من ابنه شيء يكرهه النبي صلى الله عليه وسلم فسال النبي صلى الله عليه وسلم ان ياخذها منه فحينئذ اخذها الزبير
قال في رواية البخاري ثم جاءت كتيبة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وراية النبي صلى الله عليه وسلم مع
الزبير فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي سفيان قال الم تعلم ما قال سعد بن عبادة قال ما قال قال كذا وكذا فقال كذب
سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة قال وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تركز رايته
بالحجون وقال عروة واخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال سمعت العباس يقول للزبير بن العوام يا ابا عبد الله هاهنا امرك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تركز الراية قال وامر خالد بن الوليد ان يدخل من اعلى مكة من كداء ودخل النبي صلى الله عليه
وسلم من كدا اي بالضم والقصر فقتل من خيل خالد يومئذ رجلان حبيش بن الاشعر وكرز بن جابر الفهري قال الحافظ ابن حجر
وهذا مخالف للاحاديث الصحيحة الاتية ان خالدا دخل من اسفل مكة والنبي صلى الله عليه وسلم من اعلاها حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم
اقبل يوم الفتح من اعلى مكة على راحلته مردفا اسامة ابن زيد وفيه من حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح
من كداء التي باعلى مكة وغيرهما قال وقد ساق ذلك موسى بن عقبة سياقا واضحا فقال وبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم وامره ان يدخل من كداء من اعلى مكة وامره ان يغرز رايته عند الحجون ولا
يبرح حتى ياتيه وبعث خالد ابن الوليد في قبائل قضاعة وسليم وغيرهم وامره ان يدخل من اسفل مكة وان يغرز رايته عند
ادنى البيوت وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يكفوا ايديهم
ولا يقاتلوا الا من قاتلهم واندفع خالد ابن الوليد حتى دخل من اسفل مكة وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحارث ابن عبد مناف
وناس من هذيل ومن الاحابيش الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدا فقاتلهم فانهزموا وقتل من بني بكر نحو عشرين
رجلا ومن هذيل ثلاثة او اربعة حتى انتهى بهم القتل الى الحزورة الى باب المسجد حتى دخلوا الدور وارتفعت طائفة منهم
على الجبال وصاح ابو سفيان من اغلق بابه وكف يده فهو امن قال ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البارقة فقال
ما هذا وقد نهيت عن القتال فقالوا نظن ان خالدا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد من ان يقاتلهم قال وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمان لخالد بن الوليد لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال فقال هم بدؤونا بالقتال وقد
كففت يدي ما استطعت فقال قضاء الله خير وعند ابن اسحاق فلما نزل صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت نفس
العباس لاهل مكة فخرج ليلا راكبا بغلة النبي صلى الله عليه وسلم لكي يجد احدا فيعلم اهل مكة بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم
ليستامنوه فسمع صوت ابي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فاردف ابا سفيان خلفه واتى به
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم وانصرف الاخران ليعلما اهل مكة ويمكن الجمع بان الحرس اخذوه فاستنقذه العباس
وروي ان عمر لما راى ابا سفيان ردف العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذا
ابو سفيان دعني اضرب عنقه فقال العباس يا رسول الله اني قد اجرته فقال صلى الله عليه وسلم اذهب يا عباس الى رحلك
فاذا اصبح فاتني به فذهب فلما اصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك قال ويحك
يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم اني رسول الله قال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك اما هذه ففي النفس منها شيء فقال

له العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان يضرب عنقك فاسلم وشهد شهادة الحق
فقال العباس يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم وامر صلى الله عليه وسلم فنادى مناديه
من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو آمن الا المستثنين وهم كما قاله
مغلطاي وغيره عبد الله بن سعد بن ابي سرح اسلم وابن خطل قتله ابو برزة وقينتاه وهما فرتنا بالفاء المفتوحة والراء
الساكنة والمثناة الفوقية والنون وقريبة بالقاف والموحدة مصغرا اسلمت احداهما وقتلت الاخرى وسارة مولاة لبني
المطلب اسلمت ويقال كانت مولاة عمرو بن صيفي بن هشام وارنب علم امراة وقريبة قتلت وعكرمة ابن ابي جهل اسلم
والحارث بن نقيذ قتله علي ومقيس بن صبابة على وزن ... مضمومة مع حذف الالف وخفيفة قتله نميلة الليثي وهبار
ابن الاسود اسلم وهو الذي عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت فنخس بها حتى سقطت على صخرة
واسقطت جنينها وكعب بن زهير اسلم وهند بنت عتبة اسلمت ووحشي بن حرب اسلم انتهى وابن خطل بفتح الخاء
المعجمة والطاء المهملة وابن نقيذ بضم النون وفتح القاف وسكون المثناة التحتية آخره ذال معجمة مصغرا ومقيس
بكسر الميم وسكون القاف وفتح المثناة التحتية آخره مهملة وقد جمع الواقدي عن شيوخه اسماء من لم يؤمن يوم
الفتح وامر بقتله عشرة انفس ستة رجال واربع نسوة وروى احمد ومسلم والنسائي عن ابي هريرة قال اقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث على احدى المجنبتين خالد بن الوليد وبعث الزبير على الاخرى وبعث ابا عبيدة
على الحسر بضم المهملة وتشديد السين المهملة اي الذين بغير سلاح فقال لي يا ابا هريرة اهتف لي بالانصار
فهتفت بهم فجاؤوا فاطافوا به فقال لهم اترون الى اوباش قريش واتباعهم ثم قال باحدى يديه على الاخرى
احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا قال ابو هريرة فانطلقنا فما نشاء ان نقتل احدا منهم الا قتلناه فجاء
ابو سفيان فقال يا رسول الله ابيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه فهو آمن
قال في فتح الباري وقد تمسك بهذه القصة من قال ان مكة فتحت عنوة وهو قول الاكثر وعن الشافعي
وهو رواية عن احمد انها فتحت صلحا لما وقع من هذا التامين ولاضافة الدور الى اهلها ولانها لم تقسم ولان الغانمين
لم يملكوا دورها ولجواز اخراج اهل الدور منها وحجة الاولين ما وقع التصريح به من الامر بالقتال ووقوعه
من خالد بن الوليد وبتصريحه عليه السلام بانها احلت له ساعة من نهار ونهيه عن التاسي به في ذلك واجابوا
عن ترك القسمة بانها لا تستلزم عدم العنوة فقد تفتح البلد عنوة ويمن على اهلها وتترك لهم دورهم قال
واما قول النووي واحتج الشافعي بالاحاديث المشهورة بان النبي صلى الله عليه وسلم صالحهم بمر الظهران قبل
دخول مكة ففيه نظر لان الذي يشار اليه ان كان مراده ما وقع من قوله صلى الله عليه وسلم من دخل دار ابي
سفيان فهو آمن كما تقدم وكذا من دخل المسجد كما عند ابن اسحاق فان ذلك لا يسمى صلحا الا اذا التزم من اشير اليه
بذلك الكف عن القتال والذي ورد في الاحاديث الصحيحة ظاهر في ان قريشا لم يلتزموا ذلك لانهم استعدوا للحرب
وان كان مراده بالصلح وقوع عقده فهذا لم ينقل ولا اظنه عنى الا الاحتمال الاول وفيه ما ذكرته انتهى ثم دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في كتيبته الخضراء وهو على ناقته القصواء بين ابي بكر واسيد بن حضير فراى
ابو سفيان ما لا قبل له به فقال للعباس يا ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال العباس ويحك
انه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم وروي انه صلى الله عليه وسلم وضع راسه تواضعا لله لما راى ما اكرمه الله
به من الفتح حتى ان راسه ليكاد يمس رحله شكرا وخضوعا لعظمته اذ احل له بلده ولم يحله لاحد قبله ولا لاحد بعده
وفي البخاري من حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى راسه المغفر وهو بكسر الميم وسكون
الغين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من الدروع على قدر الراس وفي المحكم هو ما يجعل من فضل درع الحديد على

الراس

الراس مثل القلنسوة فلما نزعه جاء رجل فقال ابن خطل متعلق باستار الكعبة فقال اقتلوه وفي حديث سعيد بن
يربوع عند الدارقطني والحاكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اربعة لا اؤمنهم في حل ولا في حرم الحويرث
ابن نقيذ وهلال بن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله ابن ابي سرح قال فاما هلال بن خطل فقتله الزبير الحديث
وفي حديث سعد بن ابي وقاص عند البزار والحاكم والبيهقي في الدلائل نحوه لكن قال اربعة نفر وامراتان
وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة فذكرهم لكن قال عبد الله بن خطل بدل هلال وقال عكرمة
بدل الحويرث ولم يسم المراتين وقال فاما عبد الله بن خطل فادرك وهو متعلق باستار الكعبة فاستبق اليه
سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عمارا وكان اشب الرجلين فقتله الحديث وروى ابن ابي شيبة من طريق
ابي عثمان النهدي ان ابا برزة الاسلمي قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة واسناده صحيح مع ارساله ورواه
احمد من وجه آخر وهو اصح ما ورد في تعيين قاتله وبه جزم البلاذري وغيره من اهل الاخبار وتحمل بقية
الروايات على انهم ابتدروا قتله وكان المباشر له منهم ابو برزة ويحتمل ان يكون غيره شاركه فيه فقد جزم ابن هشام
في السيرة بان سعيد بن حريث وابا برزة اشتركا في قتله وانما امر بقتل ابن خطل لانه كان مسلما فبعثه
صلى الله عليه وسلم مصدقا وبعث معه رجلا من الانصار وكان معه مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا فامر
المولى ان يذبح تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكانت
له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الجمع بين ما اختلف فيه من اسمه فانه كان يسمى عبد
العزى فلما اسلم سمي عبد الله واما من قال هلال فالتبس عليه باخ له اسمه هلال وفي رواية ابي داود من
حديث مصعب لما كان يوم الفتح امن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر فذكرهم ثم قال واما ابن ابي سرح
فاختبا عند عثمان ابن عفان رضي الله عنه فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به حتى اوقفه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله بايع عبد الله فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يابى فبايعه بعد ثلاث
ثم اقبل على اصحابه فقال اما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين كففت يدي عن بيعته فيقتله فقالوا يا رسول الله ما
ندري ما في نفسك الا اومات الينا قال انه لا ينبغي لنبي ان تكون له خائنة الاعين الحديث قال مالك كما في رواية
البخاري ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نرى والله اعلم يومئذ محرما انتهى وقول مالك هذا رواه عبد الرحمن بن مهدي
عن مالك جازما به اخرجه الدارقطني في الغرائب ويشهد له ما رواه مسلم من حديث جابر دخل صلى الله عليه وسلم
يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير احرام وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح عن طاوس قال لم يدخل النبي
صلى الله عليه وسلم مكة الا محرما الا فتح مكة وقد اختلف العلماء هل يجب على من دخل مكة الاحرام ام لا فالمشهور
من مذهب الشافعي عدم الوجوب مطلقا وفي قول يجب مطلقا وفيمن يتكرر دخوله خلاف مرتب واولى بعدم
الوجوب والمشهور عن الائمة الثلاثة الوجوب وفي رواية عن كل منهم لا يجب وجزم الحنابلة باستثناء ذوي
الحاجات المتكررة واستثنى الحنفية من كان داخل الميقات والله اعلم وقد زعم الحاكم في الاكليل ان بين
حديث انس في المغفر وبين حديث جابر في العمامة السوداء معارضة وتعقبوه باحتمال ان يكون اول دخوله كان
على راسه المغفر ثم ازاله ولبس العمامة بعد ذلك فحكى كل منهما ما راه ويؤيده ان في حديث عمرو بن حريث انه خطب
الناس وعليه عمامة سوداء اخرجه مسلم ايضا وكانت الخطبة عند باب الكعبة وذلك بعد تمام الدخول وهذا الجمع
للقاضي عياض وقال غيره يجمع بان العمامة السوداء كانت ملفوفة فوق المغفر او كانت تحت المغفر وقاية لراسه
من صدا الحديد فاراد انس بذكر المغفر كونه دخل متاهبا للحرب واراد جابر بذكر العمامة كونه دخل غير محرم وفي
البخاري عن اسامة بن زيد انه قال زمن الفتح يا رسول الله اين تنزل غدا قال النبي صلى الله عليه وسلم وهل ترك

لنا عقيل من منزل وفي رواية وهل ترك لنا عقيل من رباع او دور وكان عقيل ورث ابا طالب هو وطالب ولم يرث جعفر ولا علي شيئاً لانهما كانا مسلمين وكان عقيل وطالب كافرين فكان عمر بن الخطاب يقول لا يرث الكافر المؤمن لكافر وفي رواية اخرى له قال عليه السلام منزلنا ان شاء الله اذا فتح الله الخيف حيث تقاسموا على الكفر يعني بو المحصب وذلك ان قريشاً وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وفي رواية اخرى له انه يوم فتح مكة اغتسل في بيت ام هاني ثم صلى الضحى ثماني ركعات قالت لم اره صلى صلاة اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود واجارت ام هاني حموين لها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت يا ام هاني والرجلان الحارث بن هشام وزهير بن امية ابن المغيرة كما قاله ابن هشام وقد كان اخوها علي بن ابي طالب اراد ان يقتلهما فاغلقت عليهما باب بيتها وذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم ولما كان الغد من يوم الفتح قام عليه الصلاة والسلام خطيباً في الناس فحمد الله واثنى عليه ومجّده بما هو اهله ثم قال ايها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيمة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك بها دماً او يعضد بها شجراً فان احد ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله اذن لرسوله ولم يأذن لكم وانما احلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيراً اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء اي الذين اطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا والطلق الاسير اذا اطلق والمراد بالساعة التي فيها احلت له عليه السلام ما بين اول النهار ودخول وقت العصر كما قاله في فتح الباري ولقد اجاد العلامة ابو محمد الشقراطسي حيث يقول في قصيدته المشهورة

ويوم مكة اذ اشرفت في امم ۞ يضيق عنها فجاج الوعث والسهل

خوافق ضاق ذرع الخافقين بها ۞ في قاتم من عجاج الخيل والابل

وجحفل قذف الارجاء ذي لجب ۞ عرمرم كزهاء الليل منسجل

وانت صلى عليك الله تقدمهم ۞ في بهو اشراق نور منك مكتمل

ينير فوق اغر الوجه منتجب ۞ متوج بعزيز النصر مقتبل

يسمو امام جنود الله مرتديا ۞ ثوب الوقار لامر الله ممتثل

خشعت تحت بهاء العز حين سمت ۞ بها المهابة فعل الخاشع الوجل

وقد تباشر املاك السماء بما ۞ ملكت اذ نلت منه غاية الامل

والارض ترجف من زهو ومن فرق ۞ والجو يزهر اشراقاً من الجذل

والخيل تختال زهواً في اعنتها ۞ والعيس تنثال رهواً في ثنى الجدل

لولا الذي خطت الاقلام من قدر ۞ وسابق من قضاء غير ذي حول

اهل ثهلان بالتهليل من طرب ۞ وذاب يذبل تهليلاً من الذبل

الملك لله هذا عز من عقدت ۞ له النبوة فوق العرش في الازل

شعبت صدع قريش بعدما قذفت ۞ بهم شعوب شعاب السهل والقلل

قالوا محمد قد زارت كتائبه ۞ كالاسد تزأر في انيابها العصل

فويل مكة من آثار وطأته ۞ وويل ام قريش من جوى الهبل

فجدت عفواً بفضل العفو منك ولم ۞ تلمم ولا بأليم اللوم والعذل

اضربت بالصفح صفحاً عن عوائلهم ۞ طولاً اطال مقيل النوم في المقل

رحمت واشج ارحام اتيح لها ۞ تحت الوشيج نشيج الروع والوجل

عاذوا بظل كريم العفو ذي لطف ۞ مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل

ازكى الخليقة اخلاقاً واطهرها ۞ واكرم الناس صفحاً عن ذوي الزلل

وطفت بالبيت محبوراً وطائفه ۞ من كان عنه قبيل الفتح في شغل

والعرموم الفخم والجحفل الجيش العظيم وقذف الارجاء اي متباعدها واللجب الضجة من كثرة الاصوات والعرمرم الكثير العدد وقوله كزهاء الليل شبهه بالليل في شدة الافق واسوداده بالسلاح والمنسجل بالجيم المهملة الماضي في سير يتبع بعضه بعضاً وقوله في بهو اشراق النور الذي يغشاه عليه السلام يبهو اي احاط به والبهو البناء العالي كالايوان ونحوه والمتنجب المتخير من اهل نجيب كريم والمقتبل المستقبل الخير وترجف تهتز والزهو الخفة من الطرب يعني ان الارض اهتزت فرحاً بهذا الجيش وفرقاً من صولته اي كادت تهتز قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر اي كادت تبلغ والجدل جمع جديل وهو الزمام المضفور وثني الجدل ما انثني على اعناق الابل اي انعطف وثهلان اسم جبل معروف واهل رفع صوته ويذبل اسم جبل ايضاً والذبل الرماح الذوابل وهي التي لم تقطع من منابتها حتى ذبلت اي جفت ويبست وتهليلاً اي جبناً وفزعاً يعني ولا ما سبق من تقدير الله ان الجبال لا تنطق لرفع ثهلان صوته وهلل الله من الطرب ولذاب يذبل من الجزع والفرق وقوله شعبت اي جمعت واصلحت وقذفتهم اي فرقت مخافة شعوب وشعوب اسم للمنية لانها تفرق الجماعات من شعب اي فرقت وهو من الاضداد والشعاب الطرق في الجبال والسهل خلاف الجبل والقلل رؤس الجبال يعني انه صلى الله عليه وسلم عفا عنهم بعدما تصدعوا اي تفرقوا وهربوا من خوفه الى كل سهل وجبل وقوله كالاسد تزأر في انيابها العصل اي المعوجة والله اعلم انتهى ولما فتح الله مكة على رسوله صلى الله عليه وسلم قال الانصار فيما بينهم اترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح الله عليه ارضه وبلده يقيم بها وكان عليه السلام يدعو على الصفا رافعاً يديه فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شيء يا رسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال صلى الله عليه وسلم المحيا محياكم والممات مماتكم وهم فضالة بن عمير بن الملوح ان يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افضالة قال نعم يا رسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شيء كنت اذكر الله فضحك صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه وكان فضالة يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئاً احب الي منه وطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنماً فكلما مر بصنم اشار اليه بقضيبه وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً فيقع الصنم لوجهه رواه البيهقي وفي رواية عند ابي نعيم قد الزقها الشياطين بالرصاص والنحاس وفي تفسير العلامة ابن النقيب المقدسي ان الله تعالى لما اعلمه بانه قد انجز له وعده بالنصر على اعدائه وفتحه لمكة واعلا كلمة دينه امره اذا دخل مكة ان يقول جاء الحق وزهق الباطل فصار صلى الله عليه وسلم يطعن الاصنام التي حول الكعبة ويقول جاء الحق وزهق الباطل فيخر الصنم ساقطاً مع انها كلها كانت مثبتة بالحديد والرصاص وكانت ثلثمائة وستين صنماً بعدد ايام السنة قال وفي معنى الحق والباطل لعلماء التفسير اقوال قال قتادة جاء القرآن وذهب الشيطان وقال ابن جريج جاء الجهاد ودفع الشرك وقال مقاتل جاء عبادة الله وذهب عبادة الشيطان

وقال ابن عباس وجد صلى الله عليه وسلم يوم الفتح حول البيت ثلثمائة وستين صنما كانت لقبائل العرب
يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله تعالى فقال اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك
فاوحى الله اليه اني ساحدث لك نوبة جديدة يزفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير
الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية قال ولما نزلت الاية يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما ويطعن في عينه او بطنه بمخصرته ويقول جا الحق وزهق الباطل فينكب الصنم
لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله عليه السلام
حتى صعد ورمى به وكسره فجعل اهل مكة يتعجبون انتهى وعن ابن عباس قال لما قدم صلى الله عليه وسلم ابى ان يدخل البيت
وفيه الالهة فامر بها فاخرجت فاخرجوا صورة ابراهيم واسمعيل في ايديهما الازلام يعني القداح التي كانوا يستقسمون
بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله اما والله لقد علموا انهما لم يستقسما بها قط فدخل البيت
وكبر في نواحيه ولم يصل رواه الترمذي وعن ابن عمر قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح
على ناقته القصوا وهو مردف اسامة حتى اناخ بفنا الكعبة ثم دعا عثمان بن طلحة فقال ايتني بالمفتاح
فذهب الى امه فابت ان تعطيه فقال والله لتعطينه او ليخرجن هذا السيف من صلبي فاعطته اياه فجاء به
النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه اليه ففتح الباب رواه مسلم وروى الفاكهي من طريق ضعيفة عن ابن
عمر ايضا قال كان بنو طلحة يزعمون انه لا يستطيع احد فتح الكعبة غيرهم فاخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم المفتاح ففتحها بيده وعثمان المذكور هو عثمان بن طلحة ابن ابي طلحة ابن ابي العزى ويقال له الحجبي
بفتح المهملة والجيم ويعرفون الآن بالشيبيين نسبة الى شيبة بن عثمان ابن ابي طلحة وهو ابن عم عثمان وعثمان هذا
لا عقب له وله صحبة ورواية واسم ام عثمان سلافة بضم السين المهملة وتخفيف الفاء وفي الطبقات كان
سعد بن عثمان ابن طلحة قال كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوما
يريد ان يدخل الكعبة مع الناس فاغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما
بيدي اضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت فقال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة
فوقعت كلمته مني موقعا ظننت يومئذ ان الامر سيصير الى ما قال فلما كان يوم الفتح قال يا عثمان ايتني بالمفتاح
فاتيته به فاخذه مني ثم دفعه الي وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله استامنكم على
بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال الم يكن الذي قلت
لك قال فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي اضعه حيث شئت فقلت بلى اشهد
انك رسول الله وفي التفسير ان هذه الاية ان الله تعالى يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها نزلت في عثمان
ابن طلحة الحجبي امر عليه السلام ان ياتيه بمفتاح الكعبة فابى عليه واغلق باب البيت وصعد الى السطح وقال
لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل صلى الله عليه وسلم البيت فلما
خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله الاية وامر صلى الله عليه وسلم عليا ان
يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي فقال اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال علي لقد انزل الله
في شانك وقرا عليه الاية فقال عثمان اشهد ان محمدا رسول الله فجا جبريل عليه السلام فقال ما دام هذا
البيت او لبنة من لبناته قايمة فان المفتاح والسدانة في اولاد عثمان فكان المفتاح معه فلما مات دفعه الى ابنه
شيبة فالمفتاح والسدانة في اولاده الى يوم القيامة قال ابن ظفر في ينبوع الحياة قوله لو اعلم انه رسول الله لم
امنعه هذا وهم لانه كان ما اسلم قال هذا كان مرتدا وعن الكلبي لما طلب عليه السلام المفتاح من عثمان مد يده اليه فقال

العباس

العباس يا رسول الله اجعلها مع السقاية فقبض عثمان يده بالمفتاح فقال له صلى الله عليه وسلم ان يا عثمان تؤمن بالله
وباليوم الاخر فهاته فقال هاكه بامانة الله فاعطاه اياه ونزلت الاية قال ابن ظفر وهذا اولى بالقبول وفي رواية لمسلم دخل
صلى الله عليه وسلم هو واسامة ابن زيد وبلال وعثمان بن طلحة الحجبي فاغلقوا عليهم الباب قال ابن عمر فلما فتحوا كنت
اول من ولج فلقيت بلالا فسالته هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم بين العمودين اليمانيين وذهب
علي ان اساله كم صلى وفي رواية جعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه وثلاثة اعمده وراءه وكان البيت يومئذ
على ستة اعمدة وقد بين موسى بن عقبة في روايته عن نافع ان بين موقفه صلى الله عليه وسلم وبين الجدار
الذي استقبله قريبا من ثلاثة اذرع وجزم برفع هذه الزيادة مالك عن نافع فيما اخرجه الدارقطني في الغرايب
ولفظه وصلى صلى الله عليه وسلم وبينه وبين القبلة ثلاثة وبين القبلة اذرع وفي كتاب مكة للفاكهي والازرقي ان معاوية سال
ابن عمر اين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجعل بينك وبين الجدار ذراعين او ثلاثة فعلى هذا ينبغي لمن اراد
الاتباع في ذلك ان يجعل بينه وبين الجدار ثلاثة اذرع فانه تقع قدماه في مكان قدميه صلى الله عليه وسلم ان كان ثلاثا
سواء او تقع ركبتاه او يداه او وجهه ان كان اقل من ثلاثة اذرع والله اعلم وفي رواية عن ابن عباس قال اخبرني
اسامة انه عليه السلام لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل فيه حتى خرج فلما خرج ركع في قبل البيت
ركعتين وقال هذه القبلة رواه مسلم والجمع بينه وبين حديث ابن عمر ان اسامة اخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم
صلى في الكعبة وما وجد والطبراني بان اسامة حيث اثبتها اعتمد في ذلك على غيره وحيث نفاها اراد ما
في علمه لكونه لم يره حين صلى ويكون ابن عمر اعتمد بلالا بالسؤال ثم اراد زيادة الاستثبات في مكان
قال النووي قد اجمع اهل الحديث على الاخذ برواية بلال لانه
وقد اخبر اسامة في رواية انهم لما دخلوا الكعبة اغلقوا الباب واشتغلوا بالدعا فراى اسامة
النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ثم اشتغل اسامة في ناحية من نواحي البيت والنبي صلى الله عليه وسلم في ناحية اخرى وبلال
قريب من النبي صلى الله عليه وسلم فراى بلال لقربه منه ولم يره اسامة لبعده واشتغاله بالدعا وجاز
تعقيبه بالطول ذكره واقرب ما قيل في الجمع انه
صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة فاثبت الصلاة بلال لرؤيته لها ونفاها اسامة لعدم رؤيته ويؤيده ما رواه ابو
داود الطيالسي عن اسامة ابن زيد قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكعبة وراى صورا فدعا بدلو
من ماء فجعل صلى الله عليه وسلم يمحوها ويقول قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون ورجاله ثقات
وافاد الازرقي في تاريخ مكة ان خالد بن الوليد كان على الكعبة يذب عنه صلى الله عليه وسلم الناس وفي البخاري انه
صلى الله عليه وسلم اقام خمسة عشر ليلة وفي رواية تسع عشرة وفي رواية ابي داود سبع عشرة وعند الترمذي
ثمان عشرة وفي الاكليل اقام بها بضع عشرة يقصر الصلاة وقال الفاسي في تاريخ مكة كان فتح مكة لعشر بقين من شهر
رمضان ثم سرية خالد بن الوليد عقيب فتح مكة الى العزى بنخلة وكانت لقريش وجميع بني كنانة وكانت اعظم اصنامهم
لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان ومعه ثلاثون فارسا ليهدمها فلما انتهوا اليها هدمها ثم رجع الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاخبره فقال هل رايت شيئا قال لا قال فانك لم تهدمها فارجع فجرد سيفه فخرجت
اليه امراة عجوز عريانة سوداء ناشرة الراس فجعل السادن يصيح فيها فضربها خالد فجزلها باثنين ورجع الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال نعم تلك العزى وقد ايست ان تعبد ببلادكم ابدا ثم سرية عمرو بن العاصي الى سواع
صنم هذيل على ثلاثة اميال من مكة في شهر رمضان سنة ثمان حين فتح مكة قال عمرو فانتهيت اليه وعنده السادن
فقال ما تريد فقلت امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهدمها قال لا تقدر على ذلك قلت لم قال تمنع فقلت ويحك

وهل يسمع او يبصر قال فدنوت منه فكسرته ثم قلت للسادن كيف رايت قال اسلمت لله ثم سرية سعد بن زيد الاشهلي الى مناة صنم للاوس والخزرج بالمشلل في شهر رمضان حين فتح مكة فخرج في عشرين فارسا حتى انتهى اليها قال السادن ما تريد قال هدم مناة قال انت وذاك فاقبل سعد يمشي اليها فخرجت امراة عريانة سوداء ثائرة الراس تدعو بالويل وتضرب صدرها فضربها سعد بن زيد فقتلها واقبل الى الصنم ومعه اصحابه فهدموه وانصرفوا راجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك لست بقين من رمضان ثم سرية خالد بن الوليد الى بني جذيمة قبيلة من عبد القيس اسفل مكة على ليلة بناحية يلملم في شوال سنة ثمان وهو يوم الغميصاء بعثه عليه السلام لما رجع من هدم العزى وهو صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة وبعث معه ثلاثمائة وخمسين رجلا داعيا الى الاسلام لا مقاتلا فلما انتهى اليهم قال ما انتم قالوا مسلمين قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحتنا وفي البخاري لم يحسنوا ان يقولوا ذلك فقالوا صبانا صبانا فقال لهم استاسروا فاستاسروا القوم فامر بعضهم فكتف بعضا وفرقهم في اصحابه فلما كان السحر نادى منادي خالد من كان معه اسير فليقتله فقتلت بنو سليم من كان بايديهم واما المهاجرون والانصار فارسلوا اسارا هم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اني ابرا اليك من فعل خالد وبعث عليا فودى لهم قتلاهم قال الخطابي يحتمل ان يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الاسلام ولم ينقادوا الى الدين فقتلهم متاولا عليه صلى الله عليه وسلم العجلة وترك التثبت في امرهم قبل ان يعلم المراد من قولهم ثم غزا صلى الله عليه وسلم حنينا بالتصغير وهو واد بقرب ذي المجاز وقيل ماء بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف وتسمى غزوة هوازن وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من فتح مكة وتمهيدها واسلم عامة اهلها مشت اشراف هوازن وثقيف بعضها الى بعض وحشدوا وقصدوا محاربة المسلمين وكان رئيسهم مالك بن عوف النصري فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت لست ليال خلت من شوال في اثني عشر الفا من المسلمين عشرة الاف من اهل المدينة والفان من مسلمة اهل مكة وهم الطلقاء يعني الذين خلى عنهم يوم فتح مكة واطلقهم فلم يسترقهم واحدهم طليق فعيل بمعنى مفعول وهو الاسير اذا اطلق سبيله واستعمل صلى الله عليه وسلم على مكة عتاب بن اسيد وخرج معه صلى الله عليه وسلم ثمانون من المشركين منهم صفوان بن امية وكان صلى الله عليه وسلم استعار منه مائة درع باداتها فوصل الى حنين ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر ياتونه بخبر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا اليه وقد تفرقت اوصالهم من الرعب ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حدرد الاسلمي فدخل عسكرهم فطاف به وجاء بخبرهم وفي حديث سهل بن الحنظلية عند ابي داود باسناد حسن انهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطنبوا السير فجاء رجل فقال اني انطلقت بين ايديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا انا بهوازن عن بكرة ابيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله تعالى وقوله عن بكرة ابيهم كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وتوفر العدد وليس هناك بكرة في الحقيقة وهي التي يستقى عليها الماء فاستعيرت هنا وقوله بظعنهم اي نسائهم واحدتها ظعينة واصل الظعينة الراحلة التي يرحل ويظعن عليها اي يسار وقيل للمراة ظعينة لانها تظعن مع زوجها حيثما ظعن ولانها تحمل على الراحلة اذا ظعنت وقيل الظعينة المراة في الهودج ثم قيل للمراة بلا هودج وللهودج بلا مراة ظعينة انتهى وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي عن الربيع قال قال رجل يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركب صلى الله عليه وسلم بغلته البيضاء دلدل ولبس درعين والمغفر والبيضة فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من السواد والكثرة وذلك في غبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادي فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بني سليم مولية وتبعهم اهل مكة والناس فلم يثبت معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا العباس بن

مولية

عبد

عبد المطلب وعلي بن ابي طالب والفضل بن العباس وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابو بكر وعمر واسامة بن زيد في اناس من اهل بيته واصحابه قال العباس وانا اخذ بلجام بغلته اكفها مخافة ان تصل الى العدو لانه صلى الله عليه وسلم كان يتقدم في نحر العدو وابو سفيان بن الحارث اخذ بركابه وجعل عليه الصلاة والسلام يقول للعباس ناد يا معشر الانصار يا اصحاب السمرة يعني شجرة بيعة الرضوان التي بايعوه تحتها ان لا يفروا عنه فجعل ينادي تارة يا اصحاب السمرة يا اصحاب سورة البقرة وكان العباس رجلا صيتا فلما سمع المسلمون نداء العباس اقبلوا كانهم الابل اذا حنت على اولادها وفي مسلم قال العباس فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على اولادها يقولون يا لبيك يا لبيك فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان الرجل منهم اذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع انحدر عنه وارسله ورجع بنفسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم عليه السلام ان يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار فاشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى قتالهم فقال الان حمي الوطيس وهو التنور يخبز فيه يضرب مثلا لشدة الحرب التي يشبه حرها حره وهذه من فصيح الكلام الذي لم يسمع من احد قبل النبي صلى الله عليه وسلم وتناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه ورمى بها في وجوه المشركين فما خلق الله منهم انسانا الا ملا عينيه من تلك القبضة وفي رواية لمسلم قبضة من تراب من الارض فيحتمل انه رمى بذا مرة وبالاخرى اخرى ويحتمل ان يكون اخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصى وتراب ولاحمد وابي داود والدارمي من حديث ابي عبد الرحمن الفهري من قصة حنين قال فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عبد الله ورسوله ثم اقتحم عن فرسه فاخذ كفا من تراب قال فاخبرني الذي كان ادنى اليه مني انه ضرب به وجوههم وقال شاهت الوجوه فهزمهم الله قال يعلى بن عطاء فحدثني ابناؤهم عن ابائهم انهم قالوا لم يبق منا احد الا امتلات عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة من السماء كامرار الحديد على الطست الحديد بالجيم قال في النهاية وصف الطست وهي مؤنثة بالجديد وهو مذكر اما لان تانيثها غير حقيقي فاوله على الاناء والظرف او لان فعيلا يوصف به المؤنث بلا علامة تانيث كما يوصف به المذكر نحو امراة قتيل انتهى ولاحمد والحاكم من حديث ابن مسعود فحادت به بغلته فمال السرج فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولني كفا من تراب فضرب وجوههم وامتلات اعينهم ترابا وجاء المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم كانها الشهب فولى المشركون الادبار وروى ابو جعفر بن جرير بسنده عن عبد الرحمن بن ابي جعفر بن جرير بسنده عن عبد الرحمن عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم في اثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا اكتافنا وفي سيرة الدمياطي كانت سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمرا ارخوها بين اكتافهم وفي البخاري عن البراء وساله رجل من قيس افررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام ولقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان ابا سفيان بن الحارث اخذ بزمامها وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وهذا فيه اشارة الى ان صفة النبوة يستحيل معها الكذب فكانه قال انا النبي والنبي لا يكذب فلست بكاذب فيما اقول حتى انهزم بل انا متيقن ان الذي وعدني الله به من النصر حق فلا يجوز علي الفرار واما ما في رواية مسلم عن سلمة بن الاكوع من قوله فارجع منهزما الى

قوله مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزما فقال لقد رأى ابن الاكوع فزعا فقال العلماء قوله منهزما حال
من ابن الاكوع كما صرح اولا بانهزامه ولم يرد ان النبي صلى الله عليه وسلم انهزم وقد قالت الصحابة كلهم انه عليه
السلام ما انهزم ولم ينقل احد قط انه انهزم في موطن من المواطن وقد نقلوا اجماع المسلمين على انه لا يجوز ان
يعتقد انهزامه صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس وابو سفيان بن الحارث آخذين بلجامه يكفانها
عن اسراع التقدم الى العدو وقد تقدم في غزوة احد ما نسبه لابن المرابط من المالكية ما حكاه القاضي عياض
في الشفاء ان من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل وان في الحلا
البساطي تعقبه بان لفظة هذا القايل ان كان يخالفه في اصل المسالة يعني حكم الساب [illegible] وجه وان
على ان الساب لا تقبل توبته فمشكل انتهى قال بعضهم وقد كان ركوبه على [illegible] البغلة في هذا
المحل الذي هو موضع الحرب والطعن والضرب تحقيقا لنبوته لما كان الله تعالى خصه به من مزيد الشجاعة
وتمام القوة والا فالبغال عادة من مراكب الطمأنينة ولا يصلح لمواطن الحرب في العادة الا الخيل فبين عليه
الصلاة والسلام ان الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس وثقة وتوكلا على الله تعالى وقدم
الملايكة في الحرب معه عليه السلام على الخيل لا غير لانه بعد ذلك عرفا دون غيرها من المركوبات
لا يثبتهم في الحرب الا الخيل واكثر في ذلك انها المخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والابل انتهى و عند ابن
ابي شيبة من مرسل الحكم بن عتيبة لم يبق معه عليه السلام الا اربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم
من بني [illegible] وابو سفيان بن الحرث آخذ بالعنان وابن مسعود من الجانب الايسر [illegible]
[illegible] باسناد حسن من حديث [illegible] لقد رأيتنا يوم حنين وان الناس لمولين وما مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم مائة رجل [illegible] ثبت معه عليه السلام اثنا عشر رجلا
[illegible] المطلبات الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط وذلك [illegible]
[illegible] في الحرب [illegible] عنه فانقشعوا وعاشرنا الا
[illegible] الانهزام المنهي عنه هو ما وقع على غير نية العود واما
ذلك [illegible] قوله عليه السلام انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فقال
فقال الحليمي انه ليس بشعر لان الشاعر انما [illegible] من وجوه منها انه شعر القول وقصده واهتدى اليه واتى
به كلاما موزونا على طريقة العرب مقفى فان خلا من هذه الاوصاف او بعضها لم يكن شعرا ولا يكون قايله
شاعرا والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد بكلامه ذلك الشعر ولا اراده فلا يعد شعرا وان كان موزونا
واما قوله عليه السلام انا ابن عبد المطلب ولم يقل ابن عبد الله فاجيب بان شهرته بجده اكثر من شهرته
بابيه لان اباه توفي في حياة ابيه عبد المطلب قبل مولده عليه السلام وكان عبد المطلب مشهورا شهرة ظاهرة شايعة
وكان سيد قريش وكان كثير من الناس يدعون النبي صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب ينسبونه الى جده لشهرته
ومنه حديث ضمام بن ثعلبة في قوله ايكم ابن عبد المطلب وقيل غير هذا وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان
يقتل من قدر عليه وافضى المسلمون في القتل الى الذرية فنهاهم عليه السلام عن ذلك [illegible] وقال من
قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه واستلب ابو طلحة وحده ذلك اليوم عشرين رجلا وقال ابن القيم في
الهدي النبوي كان الله تعالى قد وعد رسوله انه اذا فتح مكة دخل الناس في دين الله افواجا ودانت له
العرب باسرها فلما تم الفتح المبين اقتضت حكمته ان امسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الاسلام وان
يجمعوا ويتالبوا لحربه عليه السلام ليظهر امر الله تعالى وتمام اعزازه لرسوله ونصره لدينه ولتكون غنايمهم

شكرانا

شكرانا لاهل الفتح وليظهر الله تعالى رسوله وعباده وقهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون
قبلها ولا يقاومهم بعد احد من العرب فاقتضت حكمته سبحانه ان اذاق المسلمين اولا مرارة الهزيمة والكسرة
مع كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم ليطامن رؤوسا رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله عليه السلام
واضعا راسه منحنيا على مركوبه متواضعا لربه وخضوعا لعظمته ان احل له بلده ولم يحله لاحد قبله ولا
لاحد بعده وليبين سبحانه لمن قال لن نغلب اليوم من قلة ان النصر انما هو من عنده تعالى وانه من ينصره
فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له وانه سبحانه هو الذي تولى نصر رسوله ودينه لا كثرتكم التي
اعجبتكم فانها لم تغن عنكم شيئا فوليتم مدبرين فلما انكسرت قلوبهم ارسلت خلع الجبر مع بريد انزل
الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وقد اقتضت حكمته تعالى ان خلع النصر
وجوايزه انما تفاض على اهل الانكسار ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض قال وبهاتين الغزاتين
اعني حنينا وبدرا قاتلت الملايكة بانفسها مع المسلمين ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه المشركين
بالحصبا فيهما انتهى و امر صلى الله عليه وسلم بطلب العدو فانتهى بعضهم الى الطايف وبعضهم نحو نخلة وقوم
منهم الى اوطاس و استشهد من المسلمين اربعة منهم ايمن بن ام ايمن و قتل من المشركين اكثر من سبعين قتيلا ثم
سريته الى عامر الاشعري وهو عم ابي موسى الاشعري وقال ابن اسحاق ابن عمه والاول اشهر بعثه صلى الله
عليه وسلم حين فرغ من حنين في طلب الفارين من هوازن يوم حنين الى اوطاس وهو واد في ديار هوازن وكان
معه سلمة بن الاكوع فانتهى اليهم فاذا هم ممتنعون فقتل منهم ابو عامر تسعة مبارزة ثم برز له العاشر فضرب
ابا عامر فقتله فخلفه ابو موسى الاشعري فقاتلهم حتى فتح الله عليه وكان في السبي الشيما اخته عليه السلام من
الرضاعة وقيل قاتل ابي عامر [illegible] فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لابي عامر واجعله من اعلى امتي في الجنة و في رواية
البخاري قال يعني ابا عامر لابي موسى يا ابن اخي اقرئ النبي صلى الله عليه وسلم السلام وقل له يستغفر لي
ثم مات ورجعت فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بخبرنا وخبر ابي عامر وقال قل له استغفر لي
فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه اللهم اغفر لعبيد ابي عامر ورايت بياض ابطيه ثم قال اللهم اجعله يوم
القيمة فوق كثير من خلقك فقلت ولي فقال اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وادخله يوم القيمة مدخلا
كريما قال ابو بردة احداهما لابي عامر والاخرى لابي موسى ثم سريته الطفيل بن عمرو الدوسي الى ذي الكفين
صنم من خشب كان لعمرو بن حممة في شوال لما اراد عليه الصلاة والسلام المسير الى الطايف ليهدمه
ويوافيه بالطايف فخرج سريعا فهدمه وجعل يحش النار في وجهه ويحرقه ويقول
يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا اقدم من ميلادكا
اني حششت النار في فوادكا
وانحدر معه من قومه اربعمائة سراعا فوافوا النبي صلى الله عليه وسلم بالطايف بعد مقدمه باربعة ايام
و عند مغلطاي وقدم معه اربعة مسلمين ثم غزوة الطايف وهي بلد كبير على ثلاث مراحل او اثنين
من مكة من جهة المشرق كثير الاعناب والفواكه و قيل ان اصلها ان جبريل عليه السلام اقتلع الجنة التي كانت
لاصحاب الصريم فسار بها الى مكة فطاف بها حول البيت ثم انزلها حيث الطايف فسمي الموضع بها وكانت اولا بنواحي
صنعا واسم الارض وج بتشديد الجيم وسار اليها النبي صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمان حين خرج من حنين
وحبس الغنايم بالجعرانة و قدم خالد بن الوليد على مقدمته وكانت ثقيف لما انهزموا من اوطاس دخلوا
حصنهم بالطايف واغلقوا عليهم بعد ان ادخلوا فيه ما يصلحهم لسنة وتهيؤوا للقتال وسار صلى الله عليه وسلم
فمر في طريقه بقبر ابي رغال وهو ابو ثقيف فيما يقال فاستخرج منه غصنا من ذهب ونزل قريبا من الحصن

وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا كأنه رجل جراد حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة وقتل منهم
اثنا عشر رجلا فيهم عبد الله بن أبي أمية ورمي عبد الله بن أبي بكر الصديق يومئذ بسهم فاندمل ثم انتقض بعد
ذلك فمات منه في خلافة أبيه وارتفع صلى الله عليه وسلم إلى موضع مسجد الطائف اليوم وكان معه من
نسائه أم سلمة وزينب فضرب لهما قبتين وكان يصلي بين القبتين حصار الطائف كله فحاصرهم
ثمانية عشر يوما ويقال خمسة عشر يوما ونصب عليهم المنجنيق وهو أول منجنيق رمي به في الإسلام وكان
قدم به الطفيل الدوسي معه لما رجع من سرية ذي الكفين فرمتهم ثقيف بالنبل فقتل منهم رجال فأمر
صلى الله عليه وسلم بقطع أعنابهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعا ذريعا ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم فقال
عليه السلام إني أدعها لله وللرحم ثم نادى مناديه عليه السلام أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر
فخرج منهم بضعة عشر رجلا فيهم أبو بكرة وعند مغلطاي ثلاثة وعشرون عبدا وفي
البخاري عن عثمان النهدي قال سمعت سعدا وأبا بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عاصم لقد شهد عندي
رجلان أما أحدهما فأول من رمى بسهم في سبيل الله وأما الآخر فنزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثالث ثلاثة وعشرين
من الطائف الحديث وأعتق صلى الله عليه وسلم من نزل منهم ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه فشق
ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة ولم يؤذن له صلى الله عليه وسلم في فتح الطائف وأمر عمر بن الخطاب
فأذن في الناس بالرحيل فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا الطائف فقال عليه السلام فاغدوا
على القتال فغدوا فأصابت المسلمين جراحات فقال صلى الله عليه وسلم إنا قافلون إن شاء الله تعالى فسروا بذلك
وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك قال النووي قصد صلى الله عليه وسلم الشفقة
عليهم والرفق بالرحيل عن الطائف لصعوبة أمره وشدة الكفار الذين فيه
ثم يفتحه بعد هذا بلا مشقة فلما حرص الصحابة على المقام والجهاد أقام وجد في القتال
فلما أصابتهم الجراح رجع إلى ما كان قصده أولا من الرفق بهم ففرحوا بذلك لما رأوا من المشقة الظاهرة ووافقوا
على الرحيل فضحك صلى الله عليه وسلم تعجبا من تغير رأيهم وفقئت عين أبي سفيان صخر بن حرب يومئذ فذكر
ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له وهي في يده أيما أحب إليك عين في الجنة أو أدعو الله أن
يردها عليك قال بل عين في الجنة ورمى بها وشهد اليرموك فقاتل وفقئت عينه الأخرى يومئذ
ذكره الحافظ زين الدين العراقي في شرح التقريب وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه قولوا لا إله إلا الله
وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده فلما ارتحلوا قال قولوا آيبون عابدون لربنا حامدون
فانظر كيف كان صلى الله عليه وسلم إذا خرج للجهاد يعتد لذلك بجمع الصحابة واتخاذ الخيل والسلاح وما
يحتاج إليه من آلات الجهاد يعتد لذلك بجمع الصحابة واتخاذ الخيل والسلاح وما يحتاج إليه من آلات الجهاد
والسفر فإذا رجع عليه الصلاة والسلام يتعرى من ذلك ويرد الأمر كله لمولاه عز وجل لا لغيره
بقوله آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده
وانظر إلى قوله عليه السلام وهزم الأحزاب وحده فنفى صلى الله عليه وسلم ما تقدم ذكره وهذا هو
معنى الحقيقة لأن الإنسان وفعله خلق لربه عز وجل فهو لله سبحانه وتعالى الذي خلق ودبر وأعان
وأجرى الأمور على يد من شاء ومن اختار من خلقه فكل منه وإليه ولو شاء الله أن يبيد أهل الكفر من
غير قتال لفعل قال تعالى ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض فيبتلي الصابرين
ويجزل الثواب للشاكرين قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم

فعلى

فعلى المكلف الامتثال وعلى البنية امتثال تعاطي الأسباب والرجوع إلى المولى والسكون إليه بساحة
الكرم كما كان صلى الله عليه وسلم يأتي بجميع الأسباب أولا تأدبا مع الربوبية وتشريعا للأمة ثم يظهر
الله تعالى على يديه ما يشاء من خرق العادة التي ادخرها له عليه السلام قاله ابن الحاج في المدخل
ولما قيل يا رسول الله ادع على ثقيف قال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم وكان عليه السلام قد أمر أن
يجمع السبي والغنائم مما أفاء الله على رسوله يوم حنين فجمع ذلك كله إلى الجعرانة فكان بها إلى أن انصرف
عليه السلام من الطائف وكان السبي ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرين ألف بعير والغنم أكثر من أربعين
ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة واستأنى بهم صلى الله عليه وسلم بهوازن أي انتظر وتربص أن يقدموا عليه
مسلمين بضع عشرة ثم بدأ بقسم الأموال وفي البخاري وطفق صلى الله عليه وسلم يعطي رجالا المائة من
الإبل فقال ناس من الأنصار يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا
تقطر من دمائهم قال أنس فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتهم فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم ثم قال لهم
أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا يا رسول
الله قد رضينا وعن جبير بن مطعم قال بينما أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من حنين علقت
برسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال
أعطوني ردائي فلو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا رواه
البخاري وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي عن ابن عباس أنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف نزل
الجعرانة فقسم بها الغنائم ثم اعتمر منها وذكر البيهقي أن ذلك كان لخمس بقين من شوال قال ابن سيد الناس وهذا ضعيف والمعروف
عند أهل السير أن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة فأقام بها
ثلاث عشرة ليلة فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة
ليلا فأحرم بعمرة ودخل مكة وفي تاريخ الأزرقي عن مجاهد أنه عليه السلام أحرم من وراء الوادي حيث
الحجارة المنصوبة وعند الواقدي من المسجد الأقصى الذي تحت الوادي بالعدوة القصوى من الجعرانة وكان
مصلاه عليه السلام إذا كان بالجعرانة به والجعرانة موضع بينه وبين مكة بريد كما قاله الفاكهي وقال الباجي
ثمانية عشر ميلا وسميت بامرأة تلقب بالجعرانة كما ذكره السهيلي قالوا وقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وقد
غاب عنها شهرين وستة عشر يوما وبعث عليه السلام قيس بن سعد بن عبادة إلى ناحية اليمن في أربع
مائة فارس وأمره أن يقاتل قبيلة صداء فمر وفد عليهم في الطريق فقدم زياد بن الحارث الصدائي فسأل
عن ذلك البعث فأخبر فقال يا رسول الله أنا وافد قومي فاردد الجيش وأنا لك بقومي فردهم النبي صلى الله
عليه وسلم من قناة وقدم الصدائيون بعد خمسة عشر يوما فأسلموا وتأتي قصة وفودهم في الفصل العاشر
من المقصد الثاني إن شاء الله تعالى وبعث عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم بالسقيا وهي أرض بني تميم في المحرم
سنة تسع في خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم في
صحراء قد حلوا وسرحوا مواشيهم فلما رأوا الجمع ولوا فأخذوا منهم أحد عشر رجلا ووجدوا في المحلة إحدى
عشرة امرأة وثلاثين صبيا فقدم منهم عشرة من رؤسائهم منهم عطارد والزبرقان وقيس بن عاصم والأقرع
بن حابس فجاؤوا إلى باب النبي صلى الله عليه وسلم فنادوا يا محمد اخرج إلينا فخرج صلى الله عليه وسلم وأقام بلال الصلاة
وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد
فقدموا عطارد بن حاجب فتكلم وخطب فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس فأجابهم

فاجابهم ونزل فيهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية ورد عليهم صلى الله عليه وسلم الاسرى والسبي وفي البخاري
عن عبد الله ابن الزبير انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امّر القعقاع بن معبد
ابن زرارة فقال عمر بل امّر الاقرع ابن حابس قال ابو بكر ما اردت الا خلافي قال عمر ما اردت خلافك فتماريا
حتى ارتفعت اصواتهما فنزل في ذلك يا ايها الذين امنوا لا تقدموا حتى انقضت الاية لا تقدموا القضايا اي امرا قبل ان
يحكم الله ورسوله فيه ولما نزل لا ترفعوا اصواتكم اقسم ابو بكر لا يتكلم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا كاخي السرار صاحبه فنزل فيه وفي امثاله ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية ثم بعث عليه
السلام الوليد بن عقبة ابن ابي معيط الى بني المصطلق من خزاعة يصدقهم وكان بينه وبينهم عداوة في
الجاهلية وكانوا قد اسلموا وبنوا المساجد فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا يتلقونه بالجزر
والغنم فرحا به تعظيما لله ولرسوله فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فرجع من الطريق قبل ان يصلوا اليه
واخبر النبي صلى الله عليه وسلم انهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة فهم صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليهم
من يغزوهم وبلغ ذلك القوم فقدم عليه الركب الذين لقوا الوليد فاخبروا النبي صلى الله عليه وسلم الخبر على وجهه
فنزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا الى اخر الاية فقرا عليهم صلى الله عليه وسلم القران
وبعث معهم عباد ابن بشر ياخذ صدقات اموالهم ويعلمهم شرائع الاسلام ويقريهم القران وفي شرف المصطفى
للنيسابوري ما ذكره مغلطاي انه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله بن عوسجة الى بني عمرو بن حارثة
وقيل حارثة ابن عمرو قال وهو لا يصح في مستهل صفر يدعوهم الى الاسلام فابوا ان يجيبوا واستخفوا
بالصحيفة فدعا عليهم صلى الله عليه وسلم بذهاب العقل فهم الى اليوم اهل رعدة وعجلة وكلام مختلط ثم
سرية قطبة بن عامر بن حديدة الى خثعم بناحية بيشة قريبا من تربة بفتح الراء من اعمال
وبعث معه عشرين رجلا وامره ان يشن الغارة عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر الجرحى في الفريقين
جميعا وقتل قطبة من قتل وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة وكانت سهمانهم اربعة ابعرة والبعير
يعدل بعشرة من الغنم بعد ان اخرج الخمس ثم سرية الضحاك ابن سفيان الكلابي الى بني كلاب في ربيع الاول
سنة تسع الى القرطاء فدعاهم الى الاسلام فابوا فقاتلوهم فهزموهم وغنموا ثم سرية علقمة ابن مجزز
المدلجي الى الحبشة في ربيع الاخر وقال الحاكم في صفر سنة تسع وذكر ابن سعد ان سبب ذلك انه بلغه صلى الله
عليه وسلم ان ناسا من الحبشة تراءاهم اهل جدة فبعث اليهم علقمة ابن مجزز في ثلثماية فانتهى الى جزيرة في البحر
فلما خاض البحر اليهم هربوا فلما رجع تعجل بعض القوم الى اهليهم فامّر عبد الله بن حذافة على من
تعجل وكانت فيه دعابة فنزلوا ببعض الطريق واوقدوا نارا يصطلون عليها فقال عزمت عليكم
الا تواثبتم في هذه النار فلما هم بعضهم بذلك قال اجلسوا انما كنت امزح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه
وسلم فقال من امركم بمعصية فلا تطيعوه ورواه الحاكم وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث
ابي سعيد الخدري وبوب عليه البخاري فقال سرية عبد الله ابن حذافة السهمي وعلقمة ابن مجزز المدلجي
ويقال انها سرية الانصاري ثم روى عن علي قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل رجلا
من الانصار وامرهم ان يطيعوه فغضب فقال اليس قد امركم النبي صلى الله عليه وسلم ان تطيعوني قالوا
بلى قال فاجمعوا حطبا فجمعوا فقال اوقدوا نارا فاوقدوها فقال ادخلوها فهموا وجعل بعضهم يمسك
بعضا ويقولون فررنا الى النبي صلى الله عليه وسلم من النار فما زالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه فبلغ
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو دخلوها ما خرجوا منها قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر في قوله

ويقال

ويقال انها سرية الانصاري اشار الى احتمال تعدد القصة وهو الظاهر لاختلاف سياقهما واسم اميرها
ويحتمل الجمع بينهما بضرب من التاويل يبعده وصف عبد الله ابن حذافة السهمي القرشي المهاجري بكونه انصاريا
ويحتمل ان يكون الحمل على المعنى الاعم اي انه نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجملة والى التعدد جنح ابن القيم
واما ابن الجوزي فقال قوله من الانصار وهم من بعض الرواة وانما هو سهمي قال في فتح الباري
ويؤيده حديث ابن عباس عند احمد في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم نزلت في عبد الله بن حذافة ابن قيس بن عدي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سرية انتهى وقال الداودي وهذا الذي فعله هذا الامير قيل اراد امتحانهم وقيل كان مازحا وقيل
ان هذا الرجل عبد الله ابن حذافة السهمي قال وهذا ضعيف لانه قال في الرواية التي بعدها انه
رجل من الانصار فدل على انه غيره انتهى ثم سرية علي ابن ابي طالب الى الفلس بضم الفاء وسكون اللام وهو
صنم طيء ليهدمه في ربيع الاخر سنة تسع وبعث معه ماية وخمسين رجلا من الانصار على ماية بعير وخمسين
فرسا وعند ابن سعد مائتي رجل فهدمه وغنم سبيا ونعما وشاء وكان في السبي سفانة بنت حاتم اخت
عدي بن حاتم فاطلقها النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك سبب اسلام عدي وعند ابن سعد ايضا ان الذي
كان سباها خالد ابن الوليد رضي الله عنه ثم سرية عكاشة بن محصن الى الجناب ارض عذرة وبلي وقيل ارض
فزارة وكلب ولعذرة فيها شركة قصة كعب بن زهير مع النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيما بين رجوعه
عليه السلام من الطايف وغزوة تبوك وكان من خبر كعب واخيه بجير ما ذكره ابن اسحاق وعبد الملك بن
هشام وابو بكر محمد بن القاسم بن بشار ابن الانباري دخل حديث بعضهم في بعض ان بجيرا قال لكعب اثبت حتى اتي
هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه واعرف ما عنده فاقام كعب ومضى بجير فاتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه فامن به وذلك ان زهيرا فيما زعموا كان يجالس اهل الكتاب فسمع منهم انه
قد ان مبعثه صلى الله عليه وسلم وراى زهير في منامه انه قد مد سبب من السماء وانه مد يده ليتناوله ففاته
فاوله بالنبي الذي يبعث في اخر الزمان وانه لا يدركه واخبر بنيه بذلك واوصاهم ان ادركوه ان يسلموا قال
ابن اسحاق فلما قدم صلى الله عليه وسلم من الطايف كتب بجير بن زهير الى اخيه كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه وان من بقي من شعراء قريش ابن الزبعرى وهبيرة ابن ابي وهب قد هربوا في
كل وجه فان كانت لك في نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل احدا جاءه تائبا
وان انت لم تفعل فانج الى نجائك وكان كعب قد قال • الا ابلغا عني بجيرا رسالة
فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا • فبين لنا ان كنت لست بفاعل • على اي شيء غير ذلك دلكا
على خلق لم تلف اما ولا ابا • عليه ولا تلفي عليه اخا لكا • فان انت لم تفعل فلست باسف
ولا قائل اما عثرت لعا لكا • سقاك بها المامون كاسا روية • فانهلك المامون منها وعلكا
قال ابن اسحق وبعث بها الى بجير فلما اتت بجيرا كره ان يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده اياها
فقال صلى الله عليه وسلم سقاك بها المامون صدق وانه لكذوب وانا المامون ولما سمع على خلق لم تلف
اما ولا ابا عليه قال اجل لم يلف عليه اباه ولا امه ثم قال عليه السلام من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله فكتب
اليه اخوه كعب بهذه الابيات • من مبلغ كعبا فهل لك في التي • تلوم عليها باطلا وهي احزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده • فتنجو اذا كان النجاء وتسلم • لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت
من الناس الا طاهر القلب مسلم • فدين زهير وهو لا شيء دينه • ودين ابي سلمى علي محرم

فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الارض واشفق على نفسه وارجف به من كان في حاضره من عدوه فقالوا
هو مقتول فلم يجد من شئ بدا قال القصيدة التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر خوفه وارجاف
الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة فغدا به
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله فقم اليه واستامنه فقام حتى جلس الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يعرفه فقال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستامن منك تائبا مسلما فهل انت قابل منه
ان انا جئتك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال انا يا رسول الله كعب بن زهير قال ابن اسحاق وحدثني
عاصم بن عمر بن قتادة انه وثب عليه رجل من الانصار فقال يا رسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه فقال
صلى الله عليه وسلم دعه عنك فقد جاء تائبا نازعا قال فغضب كعب على هذا الحي من الانصار لما صنع صاحبهم
صاحبهم وذكر انه لم يتكلم فيه • بانت سعاد فقلبي اليوم متبول • متيم اثرها لم يفد مكبول •
انبئت ان رسول الله اوعدني • والعفو عند رسول الله مامول • مهلا هداك الذي اعطاك نافلة •
القران فيه مواعيظ وتفصيل • لا تاخذني باقوال الوشاة ولم • اذنب ولو كثرت في الاقاويل •
ان الرسول لنور يستضاء به • مهند من سيوف الله مسلول • في عصبة من قريش قال قائلهم •
ببطن مكة لما اسلموا زولوا • يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم • ضرب اذا عرد السود التنابيل •
وفي رواية ابي بكر ابن الانباري انه لما وصل الى قوله ان الرسول لنور يستضاء به • مهند من سيوف الله مسلول
رمى عليه الصلاة والسلام اليه بردة كانت عليه وان معاوية بذل له فيها عشرة الاف فقال ما كنت لاوثر بثوب
رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين الفا فاخذها منهم قال
وهي البردة التي عند السلاطين الى اليوم وقال ابن اسحاق قال عاصم بن عمر بن قتادة فلما قال كعب اذا عرد
السود التنابيل وانما عنى معشر الانصار لما كان صاحبنا صنع به وخص المهاجرين بمدحته غضب عليه الانصار فقال
بعد ان اسلم يمدح الانصار قصيدته التي يقول فيها • من سره كرم الحياة فلا يزل • في مقنب من صالحي الانصار •
ورثوا المكارم كابرا عن كابر • ان الخيار هم بنو الاخيار • المكرهين السمهري باذرع • كسوالف الهندي غير قصار •
والناظرين باعين محمرة • كالجمر غير كليلة الابصار • والبايعين نفوسهم لنبيهم • للموت يوم تعانق وكرار •
يتطهرون يرونه نسكا لهم • بدماء من علقوا من الكفار • قوم اذا خوت النجوم فانهم • للطارقين النازلين مقاري •
وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء ابوه وابنه عقبة وابن ابنه العوام ابن عقبة غزوة تبوك
مكان معروف في منتصف طريق المدينة الى دمشق وهي غزوة العسرة وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين
فيها وكانت يوم الخميس في رجب سنة تسع من الهجرة بلا خلاف وذكر البخاري لها بعد حجة الوداع لعله خطا
من النساخ وكان حرا شديدا وجدبا كثيرا فلذلك لم يورعها كعادته في ساير الغزوات وفي تفسير عبد الرزاق
عن معمر عن ابن عقيل قال خرجوا في قلة من الظهر وفي حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه
من الماء فكان ذلك عسرة من الماء وفي الظهر وفي النفقة فسميت غزوة العسرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم
من الانباط الذين يقدمون بالزيت من الشام الى المدينة ان الروم تجمعت بالشام مع هرقل فندب صلى الله عليه
وسلم الناس الى الخروج واعلمهم بالمكان الذي يريد ليتاهبوا لذلك وروى الطبراني من حديث عمران بن
الحصين قال كانت نصارى العرب كتبت الى هرقل ان هذا الرجل الذي خرج يدعي النبوة هلك واصابتهم سنون
فهلكت اموالهم فبعث رجلا من عظمائهم وجهز معه اربعين الفا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن للناس
قوة وكان عثمان قد جهز عيرا الى الشام فقال يا رسول الله هذه مائتا بعير باقتابها واحلاسها ومائتا اوقية

قال فسمعته يقول لا يضر عثمان ما عمل بعدها وروي عن قتادة انه قال حمل عثمان في جيش العسرة على الف
بعير وسبعين فرسا وعن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان بن عفان بالف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة
فنثرها في حجره صلى الله عليه وسلم فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول ما ضر عثمان
ما عمل بعد اليوم اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعند الفضائلي والملاء في سيرته كما ذكره الطبري في الرياض
من حديث حذيفة بعث عثمان يعني في جيش العسرة بعشرة الاف دينار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبت
بين يديه فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيده ويقلبها ظهرا لبطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما
اعلنت وما هو كائن الى يوم القيمة ما يبالي ما عمل بعدها ولما تاهب صلى الله عليه وسلم للخروج قال قوم من المنافقين
لا تنفروا في الحر فنزل قوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون وارسل
عليه السلام الى مكة وقبايل العرب يستنفرهم وجاء البكاؤون يستحملونه فقال عليه الصلاة والسلام لا اجد ما احملكم
عليه وهم سالم بن عمير وعلبة بن زيد وابو ليلى عبد الرحمن بن كعب المازني والعرباض بن سارية وهرمي بن عبد
الله وعمرو بن عنمة وعبد الله بن مغفل وعبد الله بن عمرو المزني وعمرو بن الحمام ومعقل المزني وحضرمي بن
مازن والنعمان بن سويد ومعقل وسنان وعبد الرحمن وهند بنو مقرن وهم الذين قال الله فيهم تولوا واعينهم
تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون قاله مغلطاي وفي البخاري عن ابي موسى قال ارسلني اصحابي الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اساله الحملان لهم فقلت يا نبي الله ان اصحابي ارسلوني اليك لتحملهم فقال والله لا
احملكم على شئ ورجعت حزينا من منع النبي صلى الله عليه وسلم ومن مخافة ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم وجد في نفسه
علي فرجعت الى اصحابي فاخبرتهم الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فلم البث الا سويعة اذ سمعت بلالا ينادي
اين عبد الله بن قيس فاجبته فقال اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فلما اتيته قال خذ هذين القرينين
وهاتين القرينين لستة ابعرة ابتاعهم حينئذ من سعد فانطلق بهم الى اصحابك فقل ان الله او ان رسول الله
يحملكم على هؤلاء فاركبوهن الحديث وقام علبة ابن زيد فصلى من الليل وبكى وقال اللهم انك امرت بالجهاد
ورغبت فيه ثم لم تجعل عندي ما اتقوى به مع رسولك ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه واني اتصدق
على كل مسلم بكل مظلمة اصابني فيها من مال او جسد او عرض ثم اصبح مع الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اين المتصدق بهذه الليلة فلم يقم احد ثم قال اين المتصدق بهذه الليلة ثم قال اين المتصدق
فليقم فقام اليه فاخبره فقال صلى الله عليه وسلم ابشر فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة
رواه يونس كما ذكره السهيلي في الروض والبيهقي في الدلايل وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن
لهم في التخلف فاذن لهم وهم اثنان وثمانون رجلا وقعد اخرون من المنافقين بغير عذر واظهار
علة جراة على الله ورسوله وهو قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله واستخلف على المدينة
محمد بن مسلمة قال الدمياطي وهو عندنا اثبت ممن قال استخلف غيره انتهى وقال الحافظ زين الدين
العراقي في ترجمة علي بن ابي طالب من شرح التقريب لم يتخلف عن المشاهد الا تبوك فان النبي صلى الله
عليه وسلم خلفه على المدينة وعلى عياله وقال له يومئذ انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا
نبي بعدي وهو في الصحيح من حديث سعد بن ابي وقاص انتهى ورجح ابن عبد البر وقيل استخلف
سباع بن عرفطة وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب منهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع
وهلال بن امية وفيهم نزل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وابو ذر وابو خيثمة ثم لحقاه بعد ذلك ولما راى
عليه السلام ابا ذر الغفاري وكان عليه السلام نزل عليه في بعض الطريق فقال يمشي وحده ويموت وحده ويبعث

ويوق وجاه فكان كذلك وامر صلى الله عليه وسلم لكل بطن من الانصار والقبايل من العرب ان يتخذوا
لواو راية وكان معه عليه السلام ثلثون الفا وعند ابي زرعة سبعون الفا وفي رواية عنه ايضا اربعون
الفا وكانت الخيل عشرة آلاف فرس ولما مر عليه السلام بالحجر بكسر الحاء وسكون الجيم ديار ثمود قال لا تشربوا
من مائها شيئا ولا يخرج احد منكم الا ومعه صاحب له ففعل الناس الا ان رجلين من بني ساعدة خرج
احدهما لحاجته وخرج الاخر في طلب بعير له فاما الذي خرج لحاجته فخنق على مذهبه واما الذي خرج في طلب
بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبل طيء فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الم انهكم ثم دعا
للذي خنق على مذهبه فشفي واما الاخر فاهدته طيء لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وفي
صحيح مسلم من حديث ابي حميد انطلقنا حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تهب عليكم الليلة
ريح شديدة فلا يقم منكم احد فمن كان له بعير فليشد عقاله فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح
حتى القته بجبل طيء وروى الزهري لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر سجى ثوبه على وجهه واستحث راحلته
ثم قال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا انفسهم الا وانتم باكون خوفا ان يصيبكم ما اصابهم رواه الشيخان ولما كان عليه
السلام ببعض الطريق ضلت ناقته فقال زيد بن اللصيت وكان منافقا اليس محمد يزعم انه نبي ويخبركم عن خبر
السماء وهو لا يدري اين ناقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول وذكر مقالته واني والله لا اعلم
الا ما علمني الله وقد دلني الله عليها وهي في الوادي في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا
حتى تاتوني بها فانطلقوا فجاوا بها رواه البيهقي وابو نعيم وفي مسلم من حديث معاذ بن جبل انهم وردوا عين تبوك
وهي تبض بشيء من ماء وانهم غرفوا منها قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء ثم غسل صلى الله عليه وسلم به وجهه ويديه
ثم اعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس الحديث وياتي ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات ولما انتهى صلى الله عليه
وسلم الى تبوك اتاه صاحب ايلة فصالحه واعطاه الجزية واتاه اهل جربا بجيم واذرح بالذال المعجمة والراء والحا
المهملة بلدين بالشام بينهما ثلاثة ايام فاعطوه الجزية وكتب لهم صلى الله عليه وسلم كتابا ووجه هرقل بحمص فارسل
خالد بن الوليد الى اكيدر بن عبد الملك النصراني وكان ملكا عليها بدومة الجندل في اربعمائة وعشرين فارسا
في رجب سرية وقال له عليه السلام انك ستجده ليلا يصيد البقر فانتهى اليه خالد وقد خرج من حصنه في ليلة
مقمرة الى بقر يطاردها هو واخوه حسان فشدت عليه خيل خالد فاستاسر اكيدر وقتل اخاه حسانا
وهرب من كان معهما فدخل الحصن ثم اجار خالد اكيدر من القتل حتى ياتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ان يفتح له دومة الجندل ففعل وصالحه على الفي بعير وثمانمائة فرس واربعمائة درع واربعمائة
رمح وفي هذه الغزوة كتب صلى الله عليه وسلم كتابا في تبوك الى هرقل يدعوه الى الاسلام فقارب الاجابة ولم
يجب رواه ابن حبان في صحيحه من حديث انس وفي مسند احمد ان هرقل كتب من تبوك الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب عدو الله هو على نصرانيته وفي كتاب الاموال لابي عبيد بسند صحيح من مرسل بكر بن
عبد الله نحوه ولفظه فقال كذب عدو الله ليس بمسلم ثم انصرف صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد ان اقام بها
بضع عشرة ليلة وقال الدمياطي ومن قبله ابن سعد عشرين ليلة يصلي بها ركعتين ولم يلق كيدا وبني في
طريقه مساجد واقبل عليه السلام حتى نزل بذي اوان بفتح الهمزة بلفظ الاوان الحين وبينها وبين المدينة
ساعة جاءه خبر مسجد الضرار من السماء فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي العجلاني فقال انطلقا الى هذا
المسجد الظالم اهله فاهدماه وحرقاه فخرجا فحرقاه وهدماه وكان ذلك بعد ان انزل الله والذين
اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا الاية قال الواحدي قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير

الذين

الذين اتخذوا مسجد الضرار كانوا اثني عشر رجلا منافقا يضارون به مسجد قبا وذلك انهم قالوا في طايفة
من المنافقين نبني مسجدا فنقيل فيه فلا نحضر خلف محمد قال المفسرون ولما بنوا ذلك لاغراضهم الفاسدة عند
ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك قالوا يا رسول الله بنينا مسجدا لذي العلة والليلة
المطيرة ونحن نحب ان تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة فقال عليه السلام اني على جناح سفر واذا قدمنا ان شا
الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت هذه الاية ولما دنا صلى الله عليه
وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه وخرج النساء والصبيان والولايد يقلن • طلع البدر علينا •
من ثنيات الوداع • وجب الشكر علينا • ما دعا لله داعي • وقد وهم بعض الرواة كما قدمته وقال
انما كان هذا عند مقدمه المدينة وهو وهم ظاهر لان ثنيات الوداع انما هي من ناحية الشام لا يراها القادم
من مكة الى المدينة ولا يراها الا اذا توجه الى الشام كما قدمت ذلك وفي البخاري لما رجع صلى الله عليه وسلم من
غزوة تبوك فدنا من المدينة قال ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم
العذر وهذا يؤيد معنى ما روي نية المومن خير من عمله فان نيته هو كا ابلغ من اعماله فانها بلغت بهم
مبلغ اوليك الكاملين بابدانهم وهم على فرشهم في بيوتهم والمسابقة الى الله تعالى والى الدرجات العلى بالنيات
والهمم لا بالجود بالاعمال ولما اشرف صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة وهذا احد جبل يحبنا ونحبه
ولما دخل قال العباس يا رسول الله ايذن لي امتدحك قال قل لا يفضض الله فاك فقال •

من قبلها طبت في الظلال وفي • مستودع حيث يخصف الورق • ثم هبطت البلاد لا بشر •
انت ولا مضغة ولا علق • بل نطفة تركب السفين وقد • الجم نسرا واهله الغرق •
تنقل من صالب الى رحم • اذا مضى عالم بدا طبق • وردت نار الخليل مكتتما •
في صلبه انت كيف يحترق • حتى احتوى بيتك المهيمن من • خندف علياء تحتها النطق •
وانت لما ولدت اشرقت الار • ض وضاءت بنورك الافق • فنحن في ذلك الضياء وفي النور •
وسبل الرشاد نخترق • عاليا تدارك الرفيع وفي • معناك حسنا عليه النسق •
تبدا نغمك والقوام اذا • عفتا وطيبا قوامك الرشيق • ووجهك البدر ان يضي وبي •
سعود كالبدر حلك الخلق • اضا من الوجوه نور سنا • وفاح مسكا بمسك العبق •

وقوله من قبلها طبت الى اخره اي طبت في ظلال الجنة اي كنت طيبا في صلب ادم حيث كان في الجنة وقوله من قبلها اي من
قبل نزولك الى الارض فكنى عنها ولم يتقدم لها ذكر لبيان المعنى وقوله ثم هبطت البلاد لا بشر اي لما اهبط الله
ادم الى الدنيا كنت في صلبه غير بالغ هذه الاشياء وقوله وقد الجم نسرا واهله الغرق يريد الصنم الذي كان يعبده
قوم نوح وهو المذكور في قوله تعالى ولا يغوث ويعوق ونسرا وقوله حتى احتوى بيتك المهيمن الى اخره النطق جمع
نطاق وهي اعراض من جبال بعضها فوق بعض اي نواح واوساط منها شبهت بالنطق التي يشد بها اوساط الناس
ضربه مثلا في ارتفاع وتوسطه في عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة اوساط الجبال واراد ببيته شرفه والمهيمن نعته
اي احتوى شرفك الشاهد على فضلك اعلى مكان من نسب خندف تميمي وجاءه صلى الله عليه وسلم من كان تخلف
عنه فحلفوا له فعذرهم واستغفر لهم وارجا امر كعب وصاحبيه حتى نزلت توبتهم في قوله تعالى لقد تاب الله على
النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم
رءوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت ثم حلبتم وضاقت عليهم انفسهم وظنوا
ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم والثلاثة هم كعب بن مالك وهلال

ابن امية ومواقفه ابن ربيعة قالوا ولما قدم عليه السلام من تبوك وجد عويمر العجلاني امرأته حبلى فلاعن
بينهما ثم حجة ابي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس سنة تسع في ذي القعدة كما ذكره ابن سعد وغيره باسناد
صحيح عن مجاهد و وافقه عكرمة بن خالد فيما اخرجه الحاكم في الاكليل و قال قوم في ذي الحجة وبه قال الداودي والثعلبي
والماوردي ويؤيده ان ابن اسحق صرح بان النبي صلى الله عليه وسلم اقام بعدما رجع من تبوك رمضان وشوالا
وذا القعدة ثم بعث ابا بكر اميرا على الحج فهو ظاهر في ان بعث ابي بكر كان بعد انسلاخ ذي القعدة فيكون حجه
في ذي الحجة على هذا والله اعلم و كان مع ابي بكر ثلاثمائة رجل من المدينة وعشرون بدنة و في البخاري
ومسلم عن ابي هريرة ان ابا بكر بعثه في الحجة التي امره رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع في رهط
يؤذن في الناس يوم النحر ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم
بعلي ابن ابي طالب وامره ان يؤذن ببراءة فاذن معنا في اهل منى ببراءة ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان قال فنبذ ابو بكر الى الناس في ذلك العام فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك فانزل الله تعالى في العام الذي نبذ فيه ابو بكر الى المشركين يا ايها الذين
امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الاية و قد دلت هذه الاية الكريمة على
نجاسة المشرك كما في الصحيح المؤمن لا ينجس واما نجاسة بدنه فالجمهور على انه ليس بنجس البدن والذات وذهب
بعض الظاهرية الى نجاسة ابدانهم وهذا ضعيف لان اعيانهم لو كانت نجسة كالكلب والخنزير لما طهرهم الاسلام
ولما استوى في النهي عن دخول المشركين المسجد الحرام وغيره من المساجد فالمراد الاخباث لما فيهم من خبث الظاهر
بالكفر وخبث الباطن بالعداوة قاله مقاتل و روى النسائي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من عمرة
الجعرانة بعث ابا بكر على الحج فاقبلنا معه حتى اذا كنا بالعرج ثوب بالصبح فلما استوى للتكبير سمع الرغوة
هذه رغوة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الجدعاء لقد بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج فلعله
ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصلي معه فاذا علي عليها فقال له ابو بكر امير ام رسول قال لا بل
رسول ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة اقرأها على الناس في مواقف الحج فقدمنا مكة فلما
كان قبل التروية بيوم قام ابو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم حتى اذا فرغ قام علي فقرأ على الناس
براءة حتى ختمها ثم خرجنا معه حتى اذا كان يوم عرفة قام ابو بكر فخطب الناس فعلمهم مناسكهم حتى اذا فرغ قام
علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها ثم كان يوم النحر فافضنا فلما رجع ابو بكر خطب الناس فحدثهم عن افاضتهم
وعن نحرهم وعن مناسكهم فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها فلما كان يوم النفر الاول
قام ابو بكر فخطب الناس فحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون يعلمهم مناسكهم فلما فرغ قام علي فقرأ على
الناس براءة حتى ختمها و هذا السياق فيه غرابة من جهة ان امير الحج سنة عمرة الجعرانة انما هو عتاب بن اسيد
فاما ابو بكر رضي الله عنه فانما كان سنة تسع و استدل بهذه القصة على ان فرض الحج كان قبل حجة الوداع
والاحاديث في ذلك شهيرة كثيرة و ذهب جماعة الى ان حج ابي بكر هذا لم يسقط عنه الفرض بل كان تطوعا
قبل فرض الحج ولا يخفى ضعفه و في هذه السنة مات عبد الله بن ابي ابن سلول فجاء ابنه الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه فاعطاه ثم ساله ان يصلي عليه فقام ليصلي عليه فقام
عمر رضي الله فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي
عليه فقال صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل قال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة
وسازيد على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل

على

على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون رواه الشيخان
والنسائي و في هذه السنة ايضا آلى صلى الله عليه وسلم من نسائه شهرا وجحش شقه اي خدش وجلس في مشربة
له درجها من جذوع فاتاه اصحابه يعودونه فصلى بهم جالسا وهم قيام فلما سلم قال انما جعل الامام
ليؤتم به فاذا صلى قائما فصلوا قياما وان صلى قاعدا فصلوا قعودا ولا تركعوا حتى يركع ولا ترفعوا حتى
يرفع ونزل لتسع وعشرين فقالوا يا رسول الله انك اليت شهرا فقال ان الشهر يكون تسعا وعشرين ٥
ثم بعث ابا موسى ومعاذا الى اليمن قبل حجة الوداع كل واحد منهما على مخلاف قال واليمن مخلافان
ثم قال يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وقال لمعاذ انك ستاتي قوما اهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى ان
يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان هم اطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة
تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم اطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم اموالهم واتق دعوة المظلوم
فانه ليس بينها وبين الله حجاب رواه البخاري والمخلاف بكسر الميم وسكون المعجمة واخره فاء بلغة اهل
اليمن الكورة والاقليم والرستاق وكانت جهة معاذ العليا الى صوب عدن وكان من عمل الجند بفتح
الجيم والنون وله بها مسجد مشهور وكانت جهة ابي موسى السفلى ثم ارسل خالد بن الوليد
قبل حجة الوداع ايضا في ربيع الاول سنة عشر وفي الاكليل في ربيع الاخر وقيل في جمادى الاولى الى بني
عبد المدان قبيلة بنجران فاسلموا ثم ارسل علي بن ابي طالب الى اليمن في شهر رمضان سنة عشر من
الهجرة وعقد له لواء وعممه بيده واخرج ابو داود واحمد والنسائي والترمذي من حديث علي قال بعثني
النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يا رسول الله تبعثني الى قوم اسن مني وانا حديث السن لا ابصر
القضاء قال فوضع يده في صدري وقال اللهم ثبت لسانه واهد قلبه وقال يا علي اذا جلس اليك
الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الاخر الحديث فخرج في ثلثمائة فارس فغنم اصحابه فاتوا بنهب
وغنائم ونساء واطفال ونعم وشاء وغير ذلك ثم لقي جمعهم فدعاهم الى الاسلام فابوا ورموا بالنبل
ثم حمل عليهم علي باصحابه فقتل منهم عشرين رجلا فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم ثم دعاهم الى
الاسلام فاسرعوا واجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الاسلام ثم قفل فوافى النبي صلى الله
عليه وسلم بمكة قد قدمها للحج سنة عشر ثم حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ٥ وتسمى حجة
الاسلام وحجة البلاغ وكره ابن عباس ان يقال حجة الوداع وكان صلى الله عليه وسلم قد اقام بالمدينة
يضحي كل عام ويغزو المغازي فلما كان في ذي القعدة سنة عشر من الهجرة اجمع الخروج الى الحج قال
ابن سعد ولم يحج غيرها منذ تنبأ الى ان توفاه الله تعالى و في البخاري عن زيد بن ارقم ان النبي
صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة وانه حج بعد ما هاجر حجة واحدة لم يحج بعدها حجة
الوداع قال ابن اسحاق وبمكة اخرى وقيل حج بمكة حجتين هذا بعد النبوة وقبلها لا يعلمه الا الله
فخرج صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة وجزم ابن حزم بان
خروجه كان يوم الخميس وفيه نظر لان اول الشهر يوم الخميس ولا يمكن ان يكون خروجه يوم الخميس بل ظاهر
الخبر ان يكون يوم الجمعة لكن ثبت في الصحيحين عن انس صلينا مع النبي صلى الله عليه وسلم الظهر بالمدينة اربعا والعصر
بذي الحليفة ركعتين فدل على ان خروجهم لم يكن يوم الجمعة ويحمل قول من قال لخمس بقين اي ان كان الشهر
ثلاثين فاتفق ان جاء تسعا وعشرين فيكون يوم الخميس اول ذي الحجة بعد مضي اربع ليال لا خمس وبها تتفق الاخبار
هكذا جمع الحافظ عماد الدين ابن كثير الروايات وقوى هذا الجمع بقول جابر انه خرج لخمس بقين من ذي القعدة

او اربع وصرح الواقدي بان خروجه عليه السلام كان يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة وكان خروجه من المدينة بين الظهر والعصر وكان دخوله مكة صبح رابعة كما ثبت من حديث عائشة وذلك يوم الاحد وهذا يؤيد ان خروجه من المدينة كان يوم السبت كما تقدم فيكون مكث في الطريق ثمان ليال وهي المسافة الوسطى وخرج معه عليه السلام تسعون الفا ويقال مائة الف واربعة عشر الفا ويقال اكثر من ذلك كما حكاه البيهقي ويأتي الكلام على حجة الوداع وما فيها من المباحث في مقصد العبادات ان شاء الله تعالى ثم سرية اسامة ابن زيد بن حارثة الى اهل ابنى بالشراة ناحية بالبلقاء وكانت يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة وهي اخر سرية جهزها النبي صلى الله عليه وسلم واول شيء جهزه ابو بكر الصديق رضي الله عنه لغزو الروم مكان قتل ابيه زيد فلما كان يوم الاربعاء بدئ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع فلما اصبح يوم الخميس عقد لاسامة لواء بيده فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة الاسلمي وعسكر بالجرف فلم يبق احد من وجوه المهاجرين والانصار الا انتدب فيهم ابو بكر وعمر فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين فخرج صلى الله عليه وسلم وقد عصب راسه وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تاميري اسامة ولئن طعنتم في الذي اباه من قبله وايم الله ان كان للامارة لخليقا وان ابنه من بعده لخليق للامارة وان كانا لمن احب الناس الي فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل عن المنبر فدخل بيته وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع اسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى العسكر بالجرف فلما كان يوم الاحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فدخل اسامة من معسكره والنبي صلى الله عليه وسلم مغمور وهو اليوم الذي لدوه فيه فطاطا اسامة فقبله ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ثم يضعها على اسامة قال اسامة فعرفت انه يدعو لي ورجع اسامة الى معسكره يوم الاثنين واصبح صلى الله عليه وسلم مفيقا فودعه اسامة وخرج الى معسكره فامر الناس بالرحيل فبينا هو يريد الركوب اذا رسول ام ايمن قد جاء يقول ان رسول الله يموت فاقبل هو وعمر وابو عبيدة فتوفي عليه السلام حين زاغت الشمس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول واستشكله السهيلي ومن تبعه وذلك انهم اتفقوا على ان ذا الحجة كان اوله يوم الخميس فمهما فرضت الشهور الثلاثة تواما او نواقص او بعضها لم يصح قال الحافظ ابن حجر وهو ظاهر لمن تامله واجاب البارزي ثم ابن كثير باحتمال وقوع الاشهر الثلاثة كوامل وكان اهل مكة والمدينة اختلفوا في رؤية هلال ذي الحجة فراه اهل مكة ليلة الخميس ولم يره اهل المدينة الا ليلة الجمعة فحصلت الوقفة برؤية اهل مكة ثم رجعوا الى المدينة فارخوا برؤية اهلها فكان اول ذي الحجة الجمعة واخره السبت واول المحرم الاحد واخره الاثنين واول صفر الثلاثاء واخره الاربعاء واول ربيع الاول الخميس فيكون ثاني عشره الاثنين قال وهذا الجواب بعيد من حيث انه يلزم منه توالي اربعة اشهر كوامل وقد جزم سليمان التيمي احد الثقات بان ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم كان يوم السبت الثاني والعشرين من صفر ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول فعلى هذا يكون صفر ناقصا ولا يمكن ان يكون اول صفر السبت الا ان كان ذو الحجة والمحرم ناقصين فيلزم منه نقص ثلاثة اشهر متوالية قال والمعتمد ما قاله ابو مخنف انه توفي في ثاني ربيع الاول وكان سبب غلط غيره انهم قالوا مات في ثاني شهر ربيع الاول فتغيرت فصارت ثاني عشر واستمر الوهم بذلك يتبع بعضهم بعضا من غير تامل انتهى ثم ان وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين من ربيع الاول بلا خلاف بل كاد يكون اجماعا لكن في حديث ابن مسعود في حادي عشر رمضان رواه البزار والمعتمد ما تقدم والله اعلم انتهى وسياتي ان شاء الله تعالى حديث الوفاة الشريفة في المقصد الاخير ولما توفي عليه الصلاة والسلام دخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف

الى

في امارتي اسامة لقد طعنتم

بين الاشكال ثم

وفاته صلى الله عليه وسلم ثاني ربيع الاول

الى المدينة فدخل بريدة بلواء اسامة معقودا حتى اتى به باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عند بابه فلما بويع ابو بكر الصديق رضي الله عنه امر بريدة ان يذهب باللواء الى بيت اسامة ليمضي لوجهه فمضى به الى معسكرهم الاول وخرج اسامة هلال ربيع الاخر سنة احدى عشرة الى اهل ابنى فشن عليهم الغارة فقتل من اشرف له وسبى من قدر عليه وحرق منازلهم ونخلهم وقتل قاتل ابيه في الغارة ثم رجع الى المدينة ولم يصب احد من المسلمين وخرج ابو بكر في المهاجرين واهل المدينة يتلقونه سرورا والله اعلم

المقصد الثاني في ذكر اسمائه الشريفة المنبئة عن كمال صفاته المنيفة وذكر اولاده الكرام الطاهرين

وازواجه الطاهرات امهات المؤمنين واعمامه وعماته واخوته من الرضاعة وحاضنته وخدمه ومواليه وحرسه وكتابه وكتبه الى اهل الاسلام ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام والات حروبه ودوابه والوافدين اليه صلى الله عليه وسلم

وفيه عشرة فصول

الفصل الاول في ذكر اسمائه الشريفة المنبئة عن كمال صفاته المنيفة

اعلم ان الاسماء جمع اسم وهو كلمة وضعتها العرب بازاء مسمى متى اطلق فهم منها ذلك المسمى فعلى هذا لا بد من مراعاة اربعة اشياء الاسم والمسمى بفتح الميم والمسمي بكسرها والتسمية فالاسم هو اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها او تخصيصها عن غيرها كلفظ زيد والمسمى هو الذات المقصود تمييزها بالاسم كشخص زيد والمسمي هو الواضع لذلك اللفظ والتسمية هي اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات والوضع تخصيص لفظ بمعنى اذا اطلق او احس فهم ذلك المعنى واختلفوا هل الاسم عين المسمى او غيره وهي مسألة طويلة تكلم الناس فيها قديما وحديثا فذهب قوم الى ان الاسم عين المسمى واستدلوا عليه بقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى والتسبيح انما هو للرب جل وعلا فدل على ان اسمه هو هو واجيب بانه اشرب معنى سبح اذكر فكانه قال اذكر اسم ربك كقوله تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وقد اشرب معنى اذكر سبح عكس الاول قال تعالى واذكر ربك اي سبح ربك والاشراب جار في لغتهم يشربون معنى فعل فعلا لملاقاته واستشكل على معنى كونه هو المسمى اضافته اليه فانه يلزم منه اضافة الشيء الى نفسه واجيب بان الاسم هنا بمعنى التسمية والتسمية غير الاسم لان التسمية هي اللفظ بالاسم والاسم هو اللازم للمسمى فتغايرا واحتج من قال بان الاسم عين المسمى ايضا بقوله تعالى بغلام اسمه يحيى ثم قال يا يحيى خذ الكتاب بقوة فنادى الاسم فدل على انه المسمى وجوابه ان المعنى يا ايها الشخص الغلام الذي اسمه يحيى ولو كان الاسم عين المسمى لكان من قال النار احترق لسانه ومن قال العسل ذاق حلاوته وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وقد سمى الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم باسماء كثيرة في القران العظيم وغيره من الكتب السماوية وعلى السنة انبيائه عليهم السلام ثم ان اشهر اسمائه صلى الله عليه وسلم محمد وبه سماه جده عبد المطلب وذلك انه لما قيل له ما سميت ولدك ~~شهر اسمائه صلى الله عليه وسلم محمد وبه سماه~~ قال محمدا فقيل له كيف سميته باسم ليس لاحد من ابائك وقومك فقال لاني ارجو ان يحمده اهل الارض كلهم وذلك لرؤيا كان راها عبد المطلب كما ذكر حديثها علي القيرواني العابر في كتابه البستان قال كان عبد المطلب قد راى في المنام كان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واذا اهل المشرق والمغرب كانهم يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود من صلبه يتبعه اهل المشرق واهل المغرب ويحمده اهل السماء والارض فلذلك سماه محمدا مع ما حدثته به امه امنة حين قيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه محمدا وعن ابن عباس قال لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم عق عنه عبد المطلب وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث ما حملك على ان سميته

به

ولذكر

الى المعبر

يكون

محمدًا وامتنه باسم ابيه قال اردت ان يحمده الله في السماء ويحمده الناس في الارض وعن محمد بن جبير بن مطعم
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي
الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب رواه الشيخان وقد روي على قدمي بتخفيف اليا
على الافراد وبالتشديد على التثنية قال النووي في شرح مسلم معنى الروايتين يحشرون على اثري وزماني ورسالتي
وفي رواية نافع بن جبير عند البخاري في تاريخه الصغير والاوسط والحاكم في مستدركه وصححه وابو نعيم في
الدلايل وابن سعد انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال اتحصي اسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كان
جبير بن مطعم يعدها قال نعم هي ستة فذكر الخمسة التي ذكرها محمد بن جبير وزاد الخاتم وفي حديث
حذيفة احمد ومحمد والحاشر والمقفى ونبي الرحمة ولفظ رواية ابي نعيم هي ستة محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب
وماحي فاما حاشر فبعث مع الساعة نذيرًا لكم بين يدي عذاب شديد واما عاقب فانه اعقب الانبيا واما
ماحي فان الله عز وجل محى به سيئات من اتبعه وذكر بعضهم ان العدد ليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذكره
الراوي بالمعنى وفيه نظر لتصريحه في الحديث ان لي خمسة اسماء والذي يظهر انه اراد ان لي خمسة اسماء اختص بها لم
يتسم بها احد قبلي او مشهورة في الامم الماضية لا انه اراد الحصر فيها وبهذا يجاب عن الاشكال الوارد وهو ان
المقرر في علم المعاني ان تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر لكن ورود الروايات بما هو اكثر يدل على انه ليس حصرًا
مطلقًا فالطريق في ذلك ان يحمل على حصر مقيد كما ذكر والله اعلم وروى النقاش عنه عليه السلام لي في القران
سبعة اسما محمد واحمد ويس وطه والمزمل والمدثر وعبد الله وقد جاء من القابه صلى الله عليه وسلم وسماته
في القران عدة كثيرة وقد تعرض جماعة لتعدادها وبلغوا بها عددًا مخصوصًا فمنهم من بلغ تسعة وتسعين موافقة
لعدد اسما الله الحسنى الواردة في الحديث قال القاضي عياض وقد خصه الله تعالى بان سماه من اسمايه الحسنى
بنحو من ثلاثين اسمًا وقال ابن دحية في كتابه المستوفي اذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقران والحديث
وفي الثلثماية انتهى ورايت في كتاب احكام القران للقاضي ابي بكر بن العربي قال بعض الصوفية لله تعالى الف
اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم انتهى والمراد بها الاوصاف فكل الاسما التي وردت اوصاف مدح واذا كان كذلك فله صلى
الله عليه وسلم من كل وصف اسم ثم ان منها ما هو مختص به او الغالب عليه ومنها ما هو مشترك وكل ذلك بين
بالمشاهدة لا يخفى واذا جعلنا له من كل وصف من اوصافه اسمًا بلغت اوصافه ما ذكر بل اكثر والذي رايته في
كلامهم مرشيخنا في القول البديع والقاضي عياض في الشفا وابن العربي في القبس والاحكام له وابن سيد الناس
وغيرهم يزيد على الاربعماية وقد سردتها مرتبة على حروف المعجم وهي ا الابر بامته الابطحي اتقى الناس الاجود
اجود الناس الاحد الاحسن احسن الناس احمد احيد بضم اوله وكسر المهملة ثم تحتانية او هو بفتح الهمزة
وسكون الحاء الاخذ بالحجزات اخذ الصدقات الاخر الاخشى لله اذن خير ارجح الناس عقلًا ارحم الناس
بالعيال اشجع الناس الاصدق في الله اطيب الناس ريحًا الاعز الاعلى الاعلم بالله اكثر الناس سجا
الاكرم اكرم الناس اكرم ولد ادم الممن امام الخير امام الرسل امام المتقين امام النبيين الامام
الامي الامين امنة اصحابه الامين انعم الله اول شافع اول مشفع اول المسلمين اول مشفع اول المومنين
اول من تنشق عنه الارض ب البر البار البرقليط الباطن البرهان بشرى بشرى عيسى البشير البصير البليغ
بالغ البيان البينة ت التالي المذكر التقي التنزيل التهامي ث ثاني اثنين ج الجبار الجد الجواد
جامع ح حاتم حزب الله الحاشر الحافظ الحاكم بما اراه الله الحامد حامل لوا الحمد الحايد لامته عن
النار الحبيب حبيب الرحمن حبيب الله الحجازي الحجة الحجة البالغة حجة الله على الخلايق حرز الاميين الحرمي

حريص

حريص الحريص على الايمان الحسيب الحفيظ الحق الحكيم الحليم حاد حمطايا او قال حياطًا حمعسق حفي
الحميد الحنيف خ الخبير خاتم النبيين خاتم المرسلين الخاتم الخازن لمال الله الخاشع الخاضع الخالص
خطيب الانبيا خطيب الامم خطيب الوافدين على الله الخليل خليل الرحمن خليل الله الخليفة خير الانبيا
خير البرية خير خلق الله خير العالمين طرًا خير الناس خير هذه الامة خيرة الله د دار الحكمة الداعي الى
الله دعوة ابراهيم دعوة النبيين دليل الخيرات ذ الذاكر الذكر ذكر الله ذو الحوض المورود ذو الخلق
العظيم ذو الصراط المستقيم ذو القوة ذو مكانة ذو فضل ذو المعراج ذو المقام المحمود ذو الوسيلة ر
الراضي الراضي الراغب الرافع راكب البراق راكب البعير راكب الجمل راكب الناقة راكب النجيب الرحمة رحمة
للامة رحمة للعالمين رحمة مهداة الرحيم الرسول رسول الراحة رسول الرحمة رسول الله رسول الملاحم
الرشيد الرفيع الذكر رافع الرتب رفيع الدرجات الرقيب روح الحق روح القدس الروف ركن المتواضعين
الزاهد زعيم الانبيا الزكي الزمزمي زين من وافى القيامة س السابق السابق بالخيرات سابق
العرب الساجد سبيل الله السراج المنير السراط المستقيم السعيد سعد الله سعد الخلايق السميع السلام
السيد سيد ولد ادم سيد المرسلين سيد الناس سيد الكونين سيد الثقلين سيف الله المسلول
ش الشارع الشافع الشاكر الشاهد الشكور الشمس الشهيد ص الصابر الصاحب صاحب الايات
صاحب المعجزات صاحب البرهان صاحب البيان صاحب التاج صاحب الجهاد صاحب الحجة صاحب الحطيم صاحب
الحوض المورود صاحب الخاتم صاحب الخير صاحب الدرجة الرفيعة صاحب الردا صاحب المعراج صاحب الطاهرات
صاحب السجود للرب المحمود صاحب السرايا صاحب السلطان صاحب السيف صاحب الشرع صاحب الشفاعة الكبرى
صاحب العطايا صاحب العلامات الباهرات صاحب العلو والدرجات صاحب الفضيلة صاحب الفرج صاحب القضيب
صاحب القضيب الاصفر صاحب قول لا اله الا الله صاحب القدم صاحب الكوثر صاحب اللواء صاحب المحشر
صاحب المدينة صاحب المغفر صاحب المغنم صاحب المظهر المشهود صاحب المقام المحمود صاحب المنبر صاحب
النعلين صاحب الهراوة صاحب الوسيلة الصادع بامر الصادق الصبور الصدوق صراط الله
صراط الذين انعمت عليهم الصراط المستقيم الصفوح عن الزلات الصفوة الصفي الصالح ض الضارب
بالحسام المقلوم الضحاك الضحوك ط طاب طاب الطاهر الطيب طسم طس الطبيب طه الطيب ظ
الظاهر الظفور من الظفر وهو الفوز ع العابد العادل العظيم العافي العاقب العالم علم الايمان علم
اليقين العالم بالحق العامل عبد الله العبد عبد الكريم العدل العزيز العروة الوثقى العزيز العفو العفوف
العليم العلي عين العز عبد الجبار عبد الحميد عبد المجيد عبد الوهاب عبد القهار عبد الرحيم عبد
الخالق عبد القادر عبد المهيمن عبد القدوس عبد الغياث عبد الرزاق عبد السلام عبد المومن
عبد الغفار غ الغالب الغفور الغني الغني بالله الغيث الغوث الغياث ف الفاتح الفارقليط فضل
بالبا وتقدم الفارق فاروق الفتاح الفجر الفرط الفصيح فضل الله فواتح النور ق القاسم القاضي
القانت قايد الخير الغر المحجلين القايل القايم القتال القتول قثم القثوم قدم صدق القرشي
القريب القرن القيم ومعناه الجامع الكامل وضبطه بالمثلثة بدل اليا القوي ك كافة للناس الكفيل
الكامل في جميع اموره الكريم كهيعص ل اللسان م الماجد ماذ ماذ المزمل الماحي الماموم الماتح
المانح المعين المبارك المبتهل المبرأ المبشر مبشر اليايسين المبعوث بالحق المبعوث المبلغ المبيح
المنير المتين المتبتل المتبسم المتربص المترحم المتوسط المتضرع المتقي المتلو المتهجد المتوكل

المثبت مجاب نجيب المجتبى المجبر المحرض المحرم المحفوظ المحلل محمد المحمود المخبر المختار المخصوص بالشرف المخصوص بالعز المخصوص بالمجد المخلص المدثر المدني مدينة العلم المزكى المذكور المرتضى المرتل المرسل المرتجى المرحوم المرفع الدرجات المرقى وهو الرجل الكامل المروع المزكى المزمل المسبح المستغفر المستغني المستقيم المسري به المسعود المسلم المشاور المشفع المشفوع المشفع المشهود المشير المصباح المصارع المصافح مفتح الحسنات المصدوق المصطفى المصلح المصلى عليه المطاع المطهر المطلع المطيع المظفر المعزر المعصوم المعطي المعقب المعلم معلم امته المعلم المعلن المعلى المفضال المفضل المفتاح مفتاح الجنة المقتصد المقتفي بعني قفا النبيين المقدس المقري المقصد المقسط المقسم المقصود عليه المقفي وقيل بزيادة تاء بعد القاف كما تقدم مقيل العثرات مقيم السنة بعد الفترة المكرم المكتفي المكي المكين المكي الملاحم ملقي القرآن الممنوح المنادي المنتصر المنجي المنذر المنزل عليه المحيا المنصف المنصور المنيب المنير المهاجر المهتدي المهدي المهداة المهيمن المؤمن الموثق جوامع الكلم الموحى اليه الموصل الموقر المولى المومن المؤيد المبشر ن نون النابذ الناجز الناس لقوله تعالى يحسدون الناس المقتبس به عليه السلام الناسخ الناشر الناصح الناطق الناهي نبي الاحمر نبي الاسود نبي التوبة نبي الحرمين نبي الراحة نبي الرحمة النبي الصالح نبي الله نبي المرحمة نبي الملحمة نبي الملاحم النبي النجم النجم الثاقب نجي الله النذير النسيب نصيح ناصح النعمة نعمة الله النقيب النقي النور نون الامم اي الهادي لها الذي اوصلها نور الله الذي لا يطفا الهادي هدى هدية الله الهاشمي و الوجيه الواسط الواسع الواصل الواضع الواعد الواعظ الورع الوسيلة الوفي الوافي ولي الفضل الولي ي اليثربي يس وكنيته المشهورة ابو القاسم كما جاء في عدة احاديث صحيحة و يكنى بابي ابراهيم كما جاء في حديث انس في مجي جبريل اليه عليهما الصلاة وقوله السلام عليك يا ابا ابرهيم و بابي الارامل فيما ذكر ابن دحية و بابي المومنين فيما ذكره غيره واعلم انه لا سبيل لنا ان نستوعب شرح جميع هذه الاسما الشريفة اذ في ذلك تطويل يفضي بنا الى الملل وعرضنا الاختصار فلنذكر من ذلك ما يفتح الله به مما يدل على سواه وبالله نستعين فاول ذلك ما لله عليه السلام من معنى الحمد الذي هو اسمه المنبي عن ذاته الذي سار به اسما اوصار مرجعه راجعة اليه وهو في المعنى واحد وله في الاشتقاق صيغتان الاسم المبني صيغته على صيغة افعل المنبية عن الانتها والى الغاية ليس وراها منتهى وهو اسمه احمد والاسم المبني على صيغة التفعيل المنبئة عن التضعيف والتكثير الى عدد لا ينتهي له الاحصا وهو اسمه محمد قال السهيلي محمد منقول من الصفة فالمحمد في اللغة هو الذي يحمد حمدا بعد حمد ولا يكون مفعل مثل مضرب وممدح الا لمن تكرر منه الفعل مرة بعد اخرى واما احمد وهو اسمه عليه السلام الذي سمي به على لسان عيسى وموسى فانه منقول ايضا من الصفة التي معناها التفضيل فمعنى احمد احمد الحامدين لربه وكذلك هو في المعنى لانه يفتح عليه في المقام المحمود محامد لم تفتح على احد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد قال واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة كما ان المكرم من اكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه وتعالى سماه به قبل ان يسمى به علم من اعلام نبوته عليه السلام اذ كان اسمه صادقا عليه فهو صلى الله عليه وسلم محمود في الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الاخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد

كما

كما يقتضي اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد حمد ربه فنباه وشرفه فلذلك تقدم اسم احمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى فقال اسمه احمد وذكره موسى حين قال له ربه تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني من امة احمد فبأحمد ذكر قبل ان يذكر بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون احمد الحامدين لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فانظر كيف ترتب هذا الاسم قبل الاسم الاخر في الذكر والوجود وفي الدنيا والاخرة تلح لك الحكمة الالهية في تخصيصه بهذين الاسمين انتهى وقال القاضي عياض كان عليه السلام احمد قبل ان يكون محمدا كما وقع في الوجود لان تسميته احمد وقعت في الكتب السالفة وتسميته محمد وقعت في القران وذلك انه حمد ربه قبل ان يحمده الناس انتهى وهذا موافق لما قاله السهيلي وقد ذكره في فتح الباري واقره عليه وهو يقتضي سبقية اسمه احمد فلا ما ادعاه ابن القيم وذكر ابن القيم في اسمه احمد انه قيل فيه انه بمعنى مفعول ويكون التقدير احمد الناس اي احق الناس واولاهم ان يحمد فيكون بمعنى محمد في المعنى لكن الفرق بينهما ان محمدا هو الكثير الخصال التي يحمد عليها واحمد هو الذي يحمد افضل ما يحمد غيره فمحمد في الكثرة والكمية واحمد في الصفة والكيفية فيستحق من الحمد اكثر مما يستحق غيره اي افضل حمد حمده البشر فالاسمان واقعان على المفعول قال وهذا ابلغ في مدحه واكمل معنى من غيره فلو اريد معنى الفاعل لسمي الحماد اي كثير الحمد فانه صلى الله عليه وسلم كان اكثر الناس حمدا لربه فلو كان اسمه احمد اعتبارا بحمده لربه لكان الاولى به الحماد كما سميت به امته وايضا فان هذين الاسمين انما اشتقا من اخلاقه وخصايله المحمودة التي لاجلها استحق ان يسمى محمدا واحمد وقال القاضي عياض في باب تشريفه تعالى له عليه السلام بما سماه به من اسمايه الحسنى احمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد ثم ان في اسمه محمد اخصايص منها كونه على ما قيل لموافقة اسم الله تعالى اسم محمود فان عدد الجلالة اربعة احرف كمحمد ومنها انه قيل ان مما اكرم به الادمي كونه على شكل كتب هذا اللفظ فالميم الاول راسه والحا جناحاه والميم سرته والدال رجلاه قيل فلا يدخل النار من يستحق دخولها الا اذا انه منها الا ممسوخ الصورة اكراما لصورة اللفظ حكاها ابن مرزوق واول الحافظ العاد في كتابه كنيته ورويتا انه تعالى اشتقه من اسمه المحمود كما قال حسان بن ثابت

اغر عليه للنبوة خاتم ۞ من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه ۞ اذا قال في الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله ۞ فذو العرش محمود وهذا محمد

واخرج البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي ابن زيد قال كان ابو طالب يقول

وشق له من اسمه ليجله ۞ فذو العرش محمود وهذا محمد

وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل الخلق بالفي الفي عام كما ورد من حديث انس بن مالك من طريق ابي نعيم في مناجاة موسى وروى ابن عساكر عن كعب الاحبار قال ان الله تعالى انزل على ادم عصيا بعدد الانبيا والمرسلين ثم اقبل على ابنه شيث فقال اي بني انت خليفتي من بعدي فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى وكلما ذكرت الله فاذكر الى جنبه اسم محمد فاني رايت اسمه مكتوبا على ساق العرش وانا بين الروح والطين ثم اني طفت السموات فلم ار في السموات موضعا الا رايت اسم محمد مكتوبا عليه وان ربي اسكنني الجنة فلم ار في الجنة قصرا ولا غرفة الا اسم محمد مكتوبا عليه ولقد رايت اسم محمد مكتوبا على نحور الحور العين وعلى ورق قصب اجام الجنة وعلى ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى اطراف الحجب وبين اعين الملايكة فاكثر ذكره فان الملايكة تذكره في كل ساعاتها بيت مفرد

بدا مجده من قبل نشاة ادم ۞ فاسماؤه في العرش من قبل تكتب

وروينا في جزء الحسن بن عرفة من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال لما عرج بي الى السماء ما مررت بسماء الا وجدت اسمي فيها مكتوبا محمد

محمد رسول الله وابو بكر بن خلق ووجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح امين ذكره في الشفا وعلى حجر
بالخط العبراني باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربي مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران
ذكره ابن ظفر في النشر عن معمر عن الزهري وشوهد كما ذكر في الشفا في بعض بلاد خراسان مولود ولد على احد
جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله وببلاد الهند ورد احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله
محمد رسول الله وذكر العلامة ابن مرزوق عن عبد الله ابن صوحان عصفت بنا ريح ونحن في لجج بحر الهند
فارسينا في جزيرة فرأينا فيها وردا احمر ذكي الرائحة طيب النسيم وفيه مكتوب بالابيض لا اله الا الله محمد رسول
الله وورد ابيض مكتوب عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله
وفي تاريخ ابن العديم عن علي ابن ابي عبد الله الهاشمي الرقي انه وجد ببعض قرى الهند وردة كبيرة طيبة الرائحة
سوداء عليها مكتوب بخط ابيض لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق قال فشككت في ذلك
وقلت انه معمول فعمدت الى وردة لم تفتح فكان فيها مثل ذلك وفي البلد منه شيء كثير واهل تلك القرية يعبدون
الاحجار لا يعرفون الله تعالى وقال ابو عبد الله بن مالك دخلت بلاد الهند فسرت الى مدينة يقال لها فيلة
او ثيلة فرأيت شجرة كبيرة تحمل ثمرا كاللوز له قشر فاذا كسرت خرج منها ورقة خضراء مطوية مكتوبة
عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله واهل الهند يتبركون بها ويستسقون بها اذا منعوا الغيث حكاه القاضي
ابو البقاء الضيائي في منسكه وفي كتاب روض الرياحين لليافعي عن بعضهم انه وجد ببلاد الهند شجرا يحمل ثمرا كاللوز
له قشر اذا كسر خرج منه ورقة خضراء طرية مكتوب فيها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية
وهم يتبركون بها قال فحدثت بذلك ابا يعقوب الصياد فقال ما استعظم هذا كنت اصطاد على نهر الابلة بضم
الهمزة والموحدة فاصطدت سمكة على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله فلما رايتها قذفتها
في الماء احتراما لها وعن بعضهم ما ذكره ابن مرزوق في شرحه لبردة الابوصيري انه اتي بسمكة [illegible]
في اذنيها لا اله الا الله وفي الاخرى محمد رسول الله وعن جماعة انهم وجدوا بطيخة صفراء فيها خطوط من
بالابيض خلقة ومن جملة الخطوط كتب بالعربي في احد جنبيها الله وفي الاخر محمد بخط بين لا يشك فيه عالم بالخط
وانه وجد في سنة تسع وثمانمائة حبة عنب مكتوب فيها [illegible] بلون اسود محمد في كتاب المنطق
المفهوم لابن طغربك الشيباني عن بعضهم انه راى في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب فيه بالحمرة
والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة خلقية ابتدعها الله تعالى بقدرته في الورقة ثلاثة اسطر الاول لا اله
الا الله والثاني محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام قال ابن قتيبة ومن اعلام نبوته صلى الله
عليه وسلم انه لم يتسم قبله احد باسمه محمد صيانة من الله تعالى لهذا الاسم كما فعل بيحيى اذ لم يجعل له من قبل سميا
وذلك انه تعالى سماه في الكتب المتقدمة وبشر به الانبياء فلو جعل اسمه مشتركا فيه لوقعت الشبهة الا انه لما
قرب زمنه وبشر اهل الكتاب بقربه سمى قوم اولادهم بذلك رجاء ان يكون هو هو والله اعلم حيث يجعل
رسالته ما كل من زار الحمى سمع النداء من اهله اهلا بذاك الزائر ذلك فضل الله يؤتيه من
يشاء وعدهم القاضي عياض ستة ثم قال لا سابع لهم وذكر ابو عبد الله ابن خالويه في كتاب ليس
والسهيلي في الروض انه لا يعرف في العرب من تسمى محمدا قبل النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثا قال الحافظ
ابو الفضل ابن حجر رحمه الله وهو حصر مردود والعجب ان السهيلي متأخر الطبقة عن عياض ولعله لم يقف
على كلامه قال وقد جمعت اسماء من تسمى بذلك في جزء مفرد فبلغوا نحو العشرين لكن مع تكرر في بعضهم
ووهم في بعض فيتلخص منهم خمسة عشر نفسا واشهرهم محمد بن عدي بن ربيعة بن سواءة بن جشم بن سعد بن زيد

مناة

مناة بن تميم التميمي السعدي ومنهم محمد بن احيحة بضم الهمزة وفتح المهملة ابن الجلاح بفتح الجيم وتخفيف
اللام اخره مهملة الاوسي ومحمد بن اسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر ومحمد بن البراء وقيل البر بن طريف بن عتوارة
ابن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة البكري العتواري ومحمد بن الحارث بن خديج بن حويص ومحمد بن
حرماز بن مالك اليعمري ومحمد بن حمران ابن ابي حمران ربيعة بن مالك الجعفي المعروف بالشويعر ومحمد بن خزاعي
ابن علقمة ابن حرابة السلمي من بني ذكوان ومحمد بن خولي الهمداني ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن اليحمد الازدي
ومحمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة ومحمد بن الاسيدي ومحمد بن الفقيمي ولم يدركوا الاسلام الا الاول
ففي سياق خبره ما يشعر بذلك والا الرابع فهو صحابي جزما وفيمن ذكره عياض محمد بن مسلمة الانصاري
وليس ذكره بجيد فانه ولد بعد النبي صلى الله عليه وسلم بازيد من عشرين سنة لكنه قد ذكر تلو كلامه
المتقدم محمد بن حمدان الماضي فصار من عنده ستة ثم لا سابع لهم انتهى واما اسمه عليه السلام محمود
فاعلم ان من اسماء الله تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه تعالى حمد نفسه وحمده عباده وقد سمي الرسول
صلى الله عليه وسلم بمحمود وكذا وقع اسمه في زبور داود واما الماحي ففسر في الحديث بمحو الكفر ولم
يمح الكفر باحد من الخلق ما محي بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه بعث واهل الارض كلهم كفار ما بين عباد اوثان
ويهود ونصارى ضالين وصابئة دهرية لا يعرفون ربا ولا معادا ومن عباد الكواكب وعباد النار وفلا
سفة لا يعرفون شرائع الانبياء ولا يقرون بها فمحاها برسوله حتى اظهر دينه على كل دين وبلغ دينه
ما بلغ الليل والنهار وسارت دعوته مسير الشمس في الاقطار ولما كانت البحار هي الماحية للادران
كان اسمه عليه السلام فيها الماحي واما الحاشر ففسر ايضا في الحديث بانه الذي يحشر الناس على قدمه
اي يقدمهم وهم خلفه وقيل على سابقته وقيل قدامه وحوله اي يجتمعون اليه في القيامة وقد كان
حشره لاهل الكتاب اجلاء لهم من حصونهم وبلادهم من جزيرة الى حيث اذاقهم الله من شدة الحشر ما شاء
في دار الدنيا الى ما اتصل لهم بذلك في برزخهم وهو اول من تنشق عنه الارض فيحشر الناس على اثره واليه
يلجاون في محشرهم وقيل على سنته واما العاقب فهو الذي جاء عقب الانبياء فليس بعده نبي لان
العاقب هو الاخر اي عقب الانبياء قيل وهو اسمه عليه السلام في النار فاذا جاءه يخمد شفاعته خمدت
النار وسكنت كما روي انه قوما من حملة القرآن يدخلون في النار فينسيهم الله تعالى ذكر محمد صلى الله عليه وسلم
حتى يذكرهم جبريل فيذكرونه فتخمد النار وتزوى عنهم واما المقفي فكذلك اي قفا الاثار من سبقه من الرسل
وهو لفظة مشتقة من القفو يقال قفاه يقفوه اذا تأخر عنه ومنه قافية الراس وقافية البيت فالمقفي
اي قفى من قبله من الرسل فكان خاتمهم واخرهم واما الاول فلانه اول النبيين خلقا كما مر وكانه اول
في البداءة حقوا وهو اول في العود فهو اول من تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة وهو اول شافع واول مشفع
كما كان في وليات البدء في عالم الذر اول مجيب اذ هو اول من قال بلى اذا اخذ ربه الميثاق على الذرية الادمية
فاشهدهم على انفسهم الست بربكم صلى الله عليه وسلم لاول من ذلك كله على الاطلاق واما الاخر فلانه اخرهم
في البعث كما في الحديث واما الظاهر فلانه ظهر على جميع الظاهرات ظهوره وظهر على الاديان دينه فهو الظاهر في
وجوه الظهور كلها واما الباطن فهو المطلع على بواطن الامور بواسطة ما يوحيه الله تعالى واما الفاتح الخاتم
ففي حديث الاسراء عن ابي هريرة من طريق الربيع ابن انس قول الله تعالى له وجعلتك فاتحا وخاتما وفي حديث
ابي هريرة ايضا في الاسراء قوله صلى الله عليه وسلم وجعلني فاتحا وخاتما فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد
ان كان مرتجا وفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وفتح به امصار الكفر وفتح به ابواب الجنة وفتح به

طرق العلم النافع والعمل الصالح والدنيا والاخرة والقلوب والاسماع والابصار والامصار وقد يكون المراد
المبتداء المقدم في الانبيا والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت اول النبيين في الخلق واخرهم في البعث
واما الرؤوف الرحيم ففي القران لقد جاكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين
رؤف رحيم وهو فعول من الرافة وهي ارق من الرحمة قاله ابو عبيد والرحيم فعيل من الرحمة وقيل رؤف
بالمطيعين رحيم بالمذنبين واما الحق المبين فقال الله تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال تعالى
وقل اني انا النذير المبين وقال قد جاكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد عليه السلام
وقيل القران ومعناه هنا ضد الباطل والمحقق صدقه وامره والمبين البين امره ورسالته او المبين
عن الله ما بعثه به كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم واما المومن فقال تعالى ومنهم الذين يوذون النبي
ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يومن بالله ويومن للمومنين اي يصدق وقال عليه السلام انا امنة لاصحابي
فهذا بمعنى المومن واما المهيمن فقال تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا
عليه ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ان ابي نجيح روي عن مجاهد ومهيمنا عليه قال محمد موتمن على القران قال
فعلى هذا في الكلام محذوف كانه قال وجعلناك يا محمد مهيمنا عليه وسماه العباس بن عبد المطلب في شعره مهيمنا في
قوله ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق وروي ثم اعتدى بيتك المهيمن قيل اراد
يا ايها المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القاسم القشيري واما العزيز فمعناه جلالة القدر او الذي لا نظير
له او المعز لغيره وقد استدل القاضي عياض لهذا الاسم بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله
النبي صلى الله عليه وسلم بالعزيز والمراد لحصول العزة له ولقايل ان يقول هذا الوصف ايضا للمومنين لشموله
فلا اختصاص للنبي صلى الله عليه وسلم والغرض اختصاصه قال البمتي وعجيب من القاضي كيف خفي عليه مثل هذا واما
العالم والعليم والمعلم ومعلم امته فقد قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون واما الخبير فمعناه المطلع على كنه الشي العالم بحقيقته وقيل المخبر قال الله تعالى الرحمن
فاسال به خبيرا قال القاضي بكر بن العلا فيما ذكر في الشفا المامور بالسوال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسول
الله عز وجل فالنبي صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عليه الصلاة والسلام عالم على غاية من
العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به انتهى واما العظيم فقال
الله تعالى في شانه وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر من التوراة عن اسمعيل واما الشاكر والشكور
فقد وصف صلى الله عليه وسلم نفسه بذلك فقال افلا اكون عبدا شكورا اي اترك تهجدي فلا اكون عبدا شكورا
والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف اتركه وعلى هذا فيكون الفا للسببية وقال القاضي عياض شكورا
اي معترفا بنعم ربي عالما بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله تعالى لين شكرتم لازيدنكم
واما الشكار فهو ابلغ من شاكر وفي حديث ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم رب اجعلني لك شكارا واما الكريم والاكرم
واكرم بني آدم فسماه الله تعالى به في قوله تعالى انه لقول رسول كريم اي محمد صلى الله عليه وسلم وليس المراد به
جبريل لانه تعالى لما قال انه لقول رسول كريم ذكر بعده انه ليس بقول شاعر ولا كاهن والمشركون لم يكونوا
يصفون جبريل بذلك فتعين ان يكون المراد بالرسول الكريم هنا محمدا صلى الله عليه وسلم كما سياتي بيانه
ان شا الله تعالى في مقصد آي التنزيل وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد آدم واما الولي والمولى فقال
عليه السلام انا ولي كل مومن رواه واما الامين فقد كان عليه السلام يعرف به وشهر به قبل النبوة وبعدها
وهو احق العالمين بهذا الاسم فهو امين الله على وحيه ودينه وهو امين من في السماء والارض واما الصادق و

والمصدوق ~~بهذا الاسم فهو امين الله على وحيه ودينه وهو امين من في~~ فقد ورد في الحديث تسميته بهما ومعنا
غير خفي وكذلك الاصدق وروي انه عليه السلام لما كذبه قومه حزن فقال له جبريل انهم يعلمون انك صادق
واما الطيب وماذ ماذ بميم ثم الف ثم ذال معجمة منونة ثم ميم ثم الف ثم ذال معجمة كذا رايته لبعض العلما ونقل
العلامة الحجازي في حاشيته على الشفاء عن السهيلي تمما واشمام الهمزة ضمة بين الواو والالف ممدود وقال
نقلته عن حبر اسلم من علما بني اسرائيل وقال معناه طيب طيب وكما روي انه صلى الله عليه وسلم اطيب الطيبين وحسبك
انه كان يوخذ من عرقه ليتطيب به فهو صلى الله عليه وسلم طيب الله الذي نفحه في الوجود فتعطرت به الكائنات وتحت
واعترف به القلوب فطابت وتسميته الارواح فحييت واما الطاهر والمطهر والمقدس اي المطهر من الذنوب
كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها
كما قال تعالى ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة
والاوصاف الدنية واما العفو والصفوح فمعناهما واحد وقد وصفه الله تعالى بهما في القران والتوراة والانجيل
كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند البخاري ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وامره تعالى بالعفو
وقال فاعف عنهم واصفح واما العطوف فهو الشفوق وسمي به عليه السلام لكثرة شفقته على امته ورافته بهم
واما النور فقال تعالى قد جاكم من الله نور قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القران فهو نور الله الذي لا يطفا واما
السراج فسماه الله تعالى به في قوله وسراجا منيرا لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المومنين والعارفين بما جابه
فهو يتوقد دائما منير لغيره فهو السراج الكلام في الاضاة ولم يوصف بالوهاج كالشمس لان المنير هو الذي ينير من غير
احراق خلاف الوهاج واما الهادي فمعنى الدلالة والدعا قال الله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال تعالى
فيه وداعيا الى الله باذنه واما البرهان فقال تعالى يا ايها الناس قد جاكم برهان من ربكم قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
معجزاته وقيل القران واما النقيب فروي انه صلى الله عليه وسلم لما مات نقيب بني النجار ابو امامة اسعد بن زرارة
وجد عليه صلى الله عليه وسلم ولم يجعل عليهم نقيبا بعده وقال انا نقيبكم فكانت من مفاخرهم والنقيب هو شاهد القوم
وناظرهم وضمينهم واما الجبار فسمي به في مزامير داود في قوله تقلد ايها الجبار سيفك
فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك لانه الجبار الذي جبر الخلق بالسيف على الحق وصرفهم عن الكفر جبرا
وقد قال القاضي عياض نفى الله تعالى عنه في القران جبرية التكبر التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار واما
الشاهد والشهيد فسماه الله تعالى بهما في قوله انا ارسلناك شاهدا اي على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم
ونجاتهم وضلالهم وقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا وروي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبيا
فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيوتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون
فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيوتى
بمحمد عليه السلام فيسال عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول لا واما الناشر
فسمي به لانه نشر الاسلام واظهر شرايع الاحكام واما المزمل فاصله المتزمل فادغمت التاء في الزاي وسمي به لما روي
انه عليه السلام كان يفرق من جبريل ويتزمل بالثياب اول ما جاءه وقيل اتاه وهو في قطيفة وقال السدي معناه يا ايها
النائم قال وكان تلفف بقطيفة بثياب نومه وعن ابن عباس يعني المتزمل بالقران وعن عكرمة بالنبوة وقيل من الزمل في
الحمل ومنه الزاملة اي المتحمل باعباء النبوة وعلى هذا يكون المزمل مجازا وقال السهيلي ليس المزمل باسم من اسمايه
تعرف به وانما هو مشتق من حالته التي كان التبس بها حالة الخطاب والعرب اذا قصدت الملاطفة بالمخاطب تترك
المعاتبة نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه وقد نام ولصق جنبه

بالتراب قم ابا تراب اشعارا بانه ملاطف له فقوله يا ايها المزمل فيه تانيس وملاطفة واما ما روي عن عايشة انها قالت
كان متزملا بمرط نصفه علي وانا نايمة ونصفه عليه فكذب صراح لان نزول يا ايها المزمل بمكة في اول مبعثه ودخوله بعايشة
كان بالمدينة واما المدثر فاصله المتدثر فادغمت التاء في الدال روي انه عليه السلام قال كنت بحرا فنوديت فنظرت
عن يميني وشمالي فلم ار شيا فنظرت فوقي فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت فرجعت
الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن عكرمة يا ايها المدثر بالنبوة واثقالها قد تدثرت
هذا الامر فقم به وقيل ناداه بالمزمل والمدثر في اول امره فلما شرع خاطبه الله بالنبوة والرسالة واما طه
فروى النقاش عنه عليه السلام لي في القران سبعة اسما فذكر منها طه وقيل هو اسم لله وقيل معناه يا محمد وقيل
يا انسان وقيل يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وهو مروي عن الواسطي وقيل معناه يا مطمع الشفاعة
للامة ويا هادي الخلق الى الملة وقيل الطاء في الحساب بتسعة والهاء بخمسة وذلك اربعة عشر فكانه قال يا بدر
وهذه من محاسن النكت ولكن المعتمد انهما من اسماء الحروف واما يس فحكى ابو محمد مكي انه روي عنه عليه السلام
انه قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر منها يس وقد قيل معناه انسان بلغة طي وقيل بالحبشية وقيل بالسريانية
واصله كما قال البيضاوي وابن الخطيب وغيرهما يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به وقيل
يس لكن تعقب بانه لا يعلم ان العرب قالوا في تصغير انسين وان الذي نقل عنهم في تصغير انسان انيسيان بياء بعدها
الف وبان التصغير من العظيم الممتنع في حق النبوة لنصهم على ان التصغير لا يدخل في الاسماء المعظمة شرعا ويأتي
مزيد لذلك ان شا الله تعالى في الفصل الرابع من النوع الخامس من انواع المقصد السادس وعن ابن الحنفية معناه
يا محمد وعن ابي العالية يا رجل وعن ابي بكر الوراق يا سيد البشر وعن جعفر الصادق يا سيد مخاطبة له عليه
السلام وفيه على من تعظيمه على تقدير انه يا سيد ما فيه واما الفجر فقال ابن عطا في قوله تعالى والفجر وليال
عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان وهو ... والصواب ان الفجر المقسم
بالصبح في قوله والصبح اذا تنفس واما القوي فقال الله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل
جبريل عليهما السلام وسياتي في المقصد السادس ما في ذلك واما ما قاله ابن عطا في قوله تعالى ق والقران
المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو
حاله فلا يخفى ما فيه واما النجم فعن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين في تفسير قوله تعالى والنجم انه محمد صلى الله عليه
وسلم اذا هوى اذ انزل من السماء ليلة المعراج وحكى السلمي في قوله تعالى والسماء والطارق وما ادراك
ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم والصحيح ان المراد النجم على ظاهره وسمي عليه
السلام بانه يهتدى به في طرق الهدى كما يهتدى بالنجم واما الشمس فسمي بها صلى الله عليه وسلم لكثرة
نفعه وعلو رفعته وظهور شريعته وجلالة قدره وعظم منزلته لانه لا يحاط بكماله حتى ان ... لا ينظر
اليه ملء عينيه اجلالا له كما ان الشمس في الوسط ارفع من غالب الكواكب لانها في السماء الرابعة وللامتناع بها
اكثر من غيرها كما لا يدرك ... البصر لكبر جرمها وايضا فلان ساير الكواكب تستمد من نورها فلتسميته عليه
السلام بها لان نور الانبيا مستمد من نوره واما النبي والرسول فمن خصايصه انه خاطبه تعالى بهما في القران
دون ساير الانبياء ثم ان النبوة بالهمز ماخوذ من النبا وهو الخبر وقد لا تهمز تسهيلا اي ان الله تعالى
اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبيا منبأ او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبيا بما
اطلعه الله عليه وبغير الهمز يكون مشتقا من النبوة وهو ما ارتفع من الارض اي ان له رتبة شريفة
ومكانة عند الله منيفة قال الشيخ نور الدين الزركشي في شرح البرده وكان نافع يقرا النبي جميع القران والانبياء
في ...

تركم

تركم وهو لغة النبي صلى الله عليه وسلم وقد جا في الحديث ان رجلا قال يا نبي الله يعني بالهمز فقال لست نبي الله ولكني
نبي الله فانكر الهمز لانه لم يكن من لغته عليه السلام وقال الجوهري والصاغاني انما انكره لان الاعرابي اراد يا من خرج من مكة
الى المدينة يقال نبات من ارض الى ارض اذا خرجت منها الى اخرى وقد تكلم جماعة من القراء في هذا الحديث وقد رواه الحاكم في
المستدرك عن ابي الاسود عن ابي ذر وقال صحيح على شرط الشيخين وفيما قاله نظر فان فيه حمران الجعفي وليس من شرطهما ورواه
ابو عبيد حدثنا محمد بن سعد عن حمزة الزيات عن حمران بن اعين ان رجلا الحديث وهذا منقطع انتهى والرسول انسان بعثه الله
الى الخلق بشريعة مجددة يدعو الناس اليها واختلف هل هما بمعنى او معنيين فقال بالاول قوم مستدلين بقوله تعالى وما
ارسلنا من قبلك من نبي ولا رسول فاثبت لهما معا الارسال وعلى هذا فلا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا
وقال آخرون بالثاني وانهما يجتمعان في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة
بعرفه ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الارسال وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين اذ لو كانا شيا واحدا
لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ ويكون المعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وذهب آخرون الى
ان الرسول من جا بشرع مبتدا ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح ان كل رسول نبي وليس
كل نبي رسولا نعم نوزع في هذا بانه كلام يطلقه من لا تحقيق عنده فان جبريل عليه السلام وغيره من الملايكة المكرمين رسل
بالرسالة مرسلا لانبيا فلا اشكال عند من يقيد الفرق بين الرسول والنبي بالرسول البشري ثم ان الرسالة والنبوة ليستا ذاتا
للنبي صلى الله عليه وسلم ولا وصف ذات بل تخصيص الله اياه بذلك خلافا للكرامية وقال القرافي كما نقله عنه ابن مرزوق وتبعه
كثير ان النبوة مجرد الوحي وهو باطل لحصوله لمن ليس بنبي كمريم وليست نبية على الصحيح مع انه تعالى يقول فارسلنا اليها
روحنا الآية وان الله يبشرك وفي مسلم بعث الله تعالى ملكا لرجل على مدرجته كان خرج في زيارة اخ له في الله تعالى
وقال له ان الله بعثني اليك انه يحبك بحبك لاخيك في الله وليس بنبوة لانها عند المحققين ايحا الله لبعض خلقه الانساني بحكم يختص
به كقوله اقرا باسم ربك فهذا تكليف مختص به في الوقت فهذه نبوة لا رسالة فلما نزل قم فانذر كانت رسالة لتعلق هذا
التكليف بغيره ايضا فالنبي كلف بما يخصه والرسول بذلك وبتبليغ غيره فالرسول اخص مطلقا انتهى ملخصا المذكر فقال
تعالى فذكر انما انت مذكر واما البشير والمبشر والنذير والمنذر فقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا لاهل طاعته
بالثواب وقيل بالمغفرة ونذيرا لاهل معصيته بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات واما المبلغ فقال تعالى يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك واما الحنيف فقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا كذا قاله بعضهم واما نبي التوبة فلان الامم
رجعت بهدايته عليه السلام بعد ما تفرقت بها الطرق الى الصراط المستقيم واما رسول الرحمة ونبي المرحمة ونبي الرحمة
فقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال تعالى بالمومنين رؤف رحيم فبعثه تعالى رحمة لامته ورحمة
للعالمين وروى البيهقي مرفوعا انما انا رحمة مهداة فرحم الله تعالى به الخلق مؤمنهم وكافرهم وهذا الاسم من احق
اسمائه وقد كان حظ آدم من رحمته سجود الملايكة له تعظيما له اذ كان في صلبه ونوح خروجه من السفينة سالما وحظ
ابراهيم كون النار عليه بردا وسلاما اذ كان في صلبه فرحمته عليه السلام في البدء والدوام والكلام ... من
دعوى الشفاعة ولما كانت نبوته رحمة دايمة مكررة مضاعفة اشتق له من اسم الرحمة واما نبي الملحمة والملاحم وهي الحروب
فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف ولم يجاهد نبي وامته قط ما جاهد صلى الله عليه وسلم وامته والملاحم التي وقعت
بين امته وبين الكفار لم يعهد مثلها قبله فان امته يقاتلون الكفار في اقطار الارض على تعاقب الاعصار واما صاحب القضيب
فهو السيف كما وقع مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق
الذي كان يمسكه واما صاحب الهراوة وهي في اللغة العصا وقد كان عليه السلام يمسك في يده القضيب كثيرا وكان يمشي
بين يديه بالعصا وتغرز له في الارض فيصلي اليها قاله القاضي واما العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه

بعصاه لا هل اليمن اي لا جلهم ليتقوموا فلما كان صلى الله عليه وسلم راعيا للخلق سايقا لجميعهم الى مواردهم كان صاحب الهراوة
يرعى بها اهل الطواعية وصاحب السيف يقوم به من لا تزيده الحياة الا شرا واما صاحب التاج فالمراد به العامة ولم
تكن حينيذ الا للعرب والعمايم تيجانها واما صاحب المغفر فهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من
الدروع على قدر الراس كان صلى الله عليه وسلم يلبسه في حروبه واما قدم صدق فقال قتادة والحسن وزيد بن اسلم في قوله تعالى
وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن ابي سعيد الخدري هي شفاعة
نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وعن سهيل بن عبد الله هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم
واما نعمة الله فقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال يعرفون
نعمة الله ثم ينكرونها اي يعرفون ان محمدا نبي ثم يكذبونه وهذا مروي عن مجاهد والسدي وقال به الزجاج واما الصراط
المستقيم فقال ابو العالية والحسن البصري في تفسير سورة الفاتحة هو رسول الله وخيار اهل بيته واصحابه وحكى
الماوردي ذكره في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد واما العروة الوثقى فحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم
في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى الاية انه محمد صلى الله عليه وسلم واما ركن المتواضعين فلانه عادم وقد ظهر
عليه صلى الله عليه وسلم من التواضع ما لم يظهر على غيره فكان يرقع القميص ويخصف النعل ويقم البيت ووقع فيما رجوته من كتاب
شعيا ما يدل على ذلك في البشارة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يميل الى الهوى ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة
بل يقوي الصديقين وهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذي لا يطفا واما قثم وقثوم بالقاف والثاء المثلثة ففسرهما القاضي
عياض بالجامع للخير وقال ابن الجوزي مشتق من القثم وهو الاعطا يقال قثم له من العطا اذا اعطاه وقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعظم الخلق نوالا واسخاهم يدا واما البارقليط والفارقليط بالموحدة وبالفاء بدلها وفتح الراء
والقاف وسكون الراء مع فتح القاف وبفتح الراء مع سكون القاف وبكسر الراء وسكون القاف غير منصرف للعجمة
والعلمية فوقع في الانجيل بمعناه ومعناه روح الحق وقال ثعلب الذي يفرق بين الحق والباطل وفي نهاية ابن الاثير في صفته
عليه السلام ان اسمه في الكتب السالفة فارقليطا اي يفرق بين الحق والباطل قال ومنه الحديث محمد فرق بين الناس اي
يفرق بين المومنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه واما حمطايا فبفتح الحاء المهملة وسكون الميم قال الهروي اي حامي الحرم
وقال ابن الاثير في حديث كعب انه قال في اسماء النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة محمد واحمد وحمطايا بفتح الحاء المهملة
ثم ميم ساكنة ثم مثناة تحتية فالف فطا مهملة فالف قال ابو عمر وسالت بعض من اسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمي الحرم
من الحرام ويوطي الحلال واما احيد وهو بفتح بهمزة مفتوحة ثم حاء مهملة مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم دال مهملة كذا
وجدته في بعض نسخ الشفا المعتمدة والمشهور ضبطه بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح المثناة التحتية وبعضهم بفتح
وكسر الحاء وسكون المثناة فقال النووي في تهذيب الاسماء واللغات عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمي
في القران محمد وفي الانجيل احمد وفي التوراة احيد وانما سميت احيد لاني احيد عن امتي نار جهنم واما المنحمنا
وهو بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء المهملة وكسر الميم وتشديد النون الثانية المفتوحة مقصور وضبطه بعضهم بفتح
الميمين فمعناه بالسريانية محمد واما المشفح وهو بضم الميم وبالشين المعجمة وبالفاء المشددة المفتوحتين
ثم حاء مهملة وروي بالقاف بدل الفاء فقد كتاب شعيا في البشارة به عليه السلام يفتح العيون العور والاذان الصم
ويحيي القلوب وما اعطيته لا اعطي احدا مشفح يحمد الله حمدا جديدا وهو بالسريانية محمد واما مقيم السنة
ففي كتاب الشفا قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة واما المبارك فمبدا الكون
ونماؤه كاين من بركته المستمدة من بركة الله ومن كان البركة نبع الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام القليل
ببركته حتى اشبع الجيش الكثير وغير ذلك مما لمسه او باشره كما سياتي في ذلك ان شا الله تعالى في مقصد معجزاته

معجزاته واما المكين فهو صلى الله عليه وسلم المكين بعلو مكانته عند ربه تعالى ومن ذلك ان قرن سبحانه
ذكره باسمه فما اذن باسم احد سواه ولا قرن باسم احد مع اسمه الا اياه فاعلن في السابقة على ساق العرش
واذن به في اللاحقة في منار الايمان واما الامي فهو من اخص اسمايه وقال تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فهو تعالى يقريه ما كتبه بيده وما خطته اقلامه العلية
في اللوح المحفوظ قدسه فيغنيه بذلك عن ان يقرا ما يكتبه الخلق واما المكي فقد كان بداية ظهوره عليه السلام
في الارض في مكة التي هي حرم الله وهو مورد البركة ومنشا الهدى فهو عليه السلام مكي الاقامة ومبدا النبوة
ومكي الاعادة وكان من اية ذلك توجيهه لها حيث ما توجه فهو عليه السلام المكي الذي لم يبرح وجودا
وقصدا والمرة حيث قصده لا حيث جسمه حتى كان من شرعه ان يوجه الميت للكعبة ومن اذن ما النبي فهو
لها ورعاه ولذلك صح للصلاة ايماء واما المدني فلان المدينة دار هجرته واقامته لا رحلة له عنها
وخص تربتها بان ضمت اعضاءه المقدسة واما عبد الكريم فذكر الحسين بن محمد الدامغاني في كتابه شوق العروس
وانس النفوس نقلا عن كعب الاحبار انه قال اسم النبي صلى الله عليه وسلم عند اهل الجنة عبد الكريم وعند اهل النار
عبد الجبار وعند اهل العرش عبد الحميد وعند سائر الملائكة عبد المجيد وعند الانبياء عبد الوهاب
وعند الشياطين عبد القهار وعند الجن عبد الرحيم وفي الجبال عبد الخالق وفي البر عبد القادر وفي البحر عبد المهيمن
وعند الحيتان عبد القدوس وعند الهوام عبد الغياث وعند الوحوش عبد الرزاق وعند السباع عبد السلام
وعند البهايم عبد المومن وعند الطيور عبد الغفار وفي التوراة موذ موذ وفي الانجيل طاب طاب وفي الصحف
عاقب وفي الزبور فاروق وعند الله طه ويس وعند المومنين محمد صلى الله عليه وسلم قال وكنيته ابو القسم
لانه يقسم الجنة بين اهلها واما عبد الله فسماه الله تعالى به في اشرف مقاماته فقال وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وقال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقال
الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب فذكره بالعبودية في مقام انزال الكتاب عليه والتحدي بان ياتوا بمثله وقال
تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه فذكره في مقام الدعوة اليه وقال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وقال
فاوحى الى عبده ولو كان له اسم اشرف منه لسماه به في تلك الحالات العلية ولما رفعه الله تعالى الى حضرته
السنية ورقاه الى اعلى المعالي العلوية الزمه تشريفا له اسم العبودية وقد كان صلى الله عليه وسلم
يجلس للاكل جلوس العبد وكان يتخلى عن وجوه الترفهات كلها في ملبسه وماكله ومبيته ومسكنه اظهارا
لظاهر العبودية فيما بين العيان صدقا عما في باطنه من تحقق العبودية لربه تحقيقا للمعنى الذي جاء
بالصدق وصدق به ولما خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا اختار ان يكون نبيا عبدا فاختار
ما هو الاتم وكان صلى الله عليه وسلم يقول كما في الصحيح لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ولكن قولوا
عبد الله ورسوله فاستحق ما هو ثابت له واسم الله ما هو له لا سواه وليس للعبد الا اسم العبد ولذا
كان عبد الله احب الاسماء الى الله

صح

الفصل الثاني في ذكر اولاده الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام

اعلم ان جملة ما اتفق عليه منهم ستة القاسم وابراهيم واربع بنات زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة وكلهن ادركن الاسلام وهاجرن معه و اختلف فيما سوى هؤلاء فعند ابي اسحاق الطاهر والطيب ايضا فيكون على هذا ثمانية اربعة ذكور واربع اناث و قال الزبير بن بكار كان له عليه السلام سوى ابراهيم القاسم وعبد الله مات صغيرا بمكة ويقال له الطيب والطاهر ثلاثة اسما وهو قول اكثر اهل النسب قاله ابو عمر و قال الدارقطني هو الاثبت سمي عبد الله بالطيب الطاهر لانه ولد بعد النبوة فعلى هذا يكون جملتهم سبعة ثلثة ذكور و قيل عبد الله غير الطيب والطاهر حكاه الدارقطني وغيره فيكون جملتهم على هذا ثمانية خمسة ذكور و قيل كان له الطيب والمطيب ولدا في بطن والطاهر والمطهر ولدا في بطن ذكره صاحب الصفوة فيكونون على هذا احدى عشر و قيل كان له صلى الله عليه وسلم ولد قبل المبعث يقال له عبد مناف فيكونون على هذا اثني عشر و كلهم سوى هذا ولدوا في الاسلام بعد المبعث و قال ابن اسحاق كلهم غير ابراهيم قبل الاسلام ومات البنون قبل الاسلام ومات البنون قبل الاسلام وهم يرتضعون وقد تقدم من قول بعضهم ان عبد الله ولد بعد النبوة ولذلك سمي بالطيب والطاهر فتحصل من جميع الاقوال ثمانية ذكور اثنان متفق عليهما القاسم وابراهيم و ستة مختلف فيهم عبد مناف وعبد الله والطيب والمطيب والطاهر والمطهر و الاصح انهم ثلثة ذكور والاربع بنات متفق عليهن و كلهن من خديجة ما خلا ابراهيم فاما القاسم فهو اول ولد ولد له عليه السلام قبل النبوة وبه كان يكنى وعاش حتى مشى وقيل عاش سنتين و قال مجاهد مكث سبع ليال وخطأه الغلابي في ذلك وقال الصواب انه عاش سبعة عشر شهرا و قال ابن فارس بلغ ركوب الدابة ومات قبل المبعث و في مستدرك الفريابي ما يدل على انه توفي في الاسلام وهو اول من مات من ولده عليه السلام واما زينب فهي اكبر بناته بلا خلاف الا ما لا يصح وانما الخلاف فيها وفي القاسم ايهما اول ولد و عند ابن اسحاق انها ولدت في سنة ثلثين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وادركت الاسلام وهاجرت وماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها وابن خالتها ابي العاص لقيط وقيل مهشم بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه وردها النبي صلى الله عليه وسلم له بالنكاح الاول بعد سنتين و قيل بعد ست سنين و قيل قبل انقضاء العدة فيما ذكره ابن عقبة و في حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ردها له بنكاح جديد سنة سبع و ولدت له عليا مات صغيرا قد ناهز الحلم وكان رديف رسول الله صلى الله عليه

كلهم

وسلم

وسلم على ناقته يوم الفتح و ولدت له ايضا امامة التي حملها صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح على عاتقه وكان اذا ركع وضعها واذا رفع راسه من السجود اعادها و تزوجها علي بن ابي طالب بعد موت فاطمة واما رقية فولدت سنة ثلاث وثلثين من مولده عليه السلام وذكر الزبير بن بكار وغيره انها اكبر بناته صلى الله عليه وسلم وصححه الجرجاني والنسابة و الاصح الذي عليه الاكثرون كما تقدم ان زينب اكبرهن وكانت رقية تحت عتبة ابن ابي لهب واختها ام كلثوم تحت اخيه عتيبة فلما نزلت تبت يدا ابي لهب قال لهما ابوهما ابو لهب راسي من راسكما حرام ان لم تفارقا ابنتي محمد ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة وهاجر بها الهجرتين الى ارض الحبشة وكانت ذات جمال رائع وذكر الدولابي ان تزويجه بها كان في الجاهلية وذكر غيره ما يدل على انه كان بعد اسلامه و توفيت والنبي صلى الله عليه وسلم ببدر و عن ابن عباس لما عزي صلى الله عليه وسلم برقية قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات خرجه الدولابي واما ام كلثوم فلا يعرف لها اسم انما تعرف بكنيتها وكانت عند عتيبة ابن ابي لهب كما قدمته ففارقها قبل الدخول و روي ان عتيبة لما فارق ام كلثوم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال كفرت بدينك وفارقت ابنتك لا تحبني ولا احبك ثم سطا عليه وشق قميصه وهو خارج نحو الشام تاجرا فقال صلى الله عليه وسلم اما اني اسال الله ان يسلط عليه كلبه و في رواية اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وابو طالب حاضر فوجم لها فقال ما كان اغناك عن دعوة ابن اخي فخرج في تجر من قريش حتى نزلوا مكانا من الشام يقال له الزرقاء ليلا فاطاف بهم الاسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول يا ويل امي هو والله آكلي كما دعا علي محمد اقاتلي ابن ابي كبشة وهو بمكة وانا بالشام فعدي عليه الاسد من بين القوم فاخذ براسه ففدغه و في رواية فجعل الاسد يتشمم وجوههم ثم ثنى ذنبه فوثب فضربه ضربة واحدة فخدشه فقال قتلني ومات و في رواية ان الاسد اقبل يتخطاهم حتى اخذ براس عتيبة ففدغه ذكره الدولابي و لما توفيت رقية خطب عثمان ابنة عمر حفصة فرده فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عمر ادلك على خير لك من عثمان وادل عثمان على خير له منك قال نعم يا نبي الله قال تزوجني ابنتك وازوج عثمان ابنتي خرجه الخجندي و كان تزويج عثمان بام كلثوم سنة ثلاث من الهجرة و روي انه عليه السلام قال والذي نفسي بيده لو ان عندي مائة بنت تموت واحدة بعد واحدة زوجتك اخرى هذا جبريل اخبرني ان الله يامرني ان ازوجكها رواه الفضائلي و ماتت ام كلثوم سنة تسع من الهجرة وصلى عليها عليه السلام ونزل في حفرتها علي والفضل واسامة ابن زيد و في البخاري جلس صلى الله عليه وسلم على القبر وعيناه تذرفان ثم قال هل فيكم من احد لم يقارف الليلة فقال ابو طلحة انا فقال انزل فنزل في قبرها و قد روي نحو ذلك في رقية وهو وهم فانه عليه السلام لم يكن حاضرا دفنها بل كان غائبا ببدر كما قدمته و غسلتها اسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب وشهدت ام عطية غسلها و روت قوله عليه السلام اغسلنها ثلاثا او خمسا او سبعا او اكثر من ذلك ان رأيتن بماء وسدر واجعلن في الآخرة كافورا فاذا فرغتن فآذنني فلما فرغنا آذناه فالقى الينا حقوه وقال اشعرنها اياه قالت ومشطناها ثلاثة قرون والقيناها خلفها و الحقو الازار و اشعرنها اي اجعلنه شعارها الذي يلي جسدها و ذلك هو الشعار وما فوقه الدثار واما فاطمة الزهراء البتول فولدت سنة واحد واربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو عمر وهو مغاير لما قاله ابن اسحاق ان اولاده عليه السلام كلهم ولدوا قبل النبوة الا ابراهيم و قال ابن الجوزي ولدت قبل النبوة بخمس سنين ايام بناء البيت و روي مرفوعا انما سميت فاطمة لان الله قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة اخرجه الحافظ الدمشقي و روى الغساني مرفوعا لان الله فطمها ومحبيها عن النار وكنيت بتولا لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا وقيل لانقطاعها عن الدنيا الى الله قاله ابن الاثير و تزوجها علي ابن ابي طالب في السنة الثانية وقيل بعد احد وقيل بعد بنائه عليه السلام بعائشة باربعة اشهر ونصف و بنى بها بعد تزويجها بسبعة اشهر ونصف وقيل في صفر في السنة الثانية وبنى بها في ذي الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا وكان تزويجها بامر الله ووحيه

القدغ الشدخ والشق اليسير

قارف الذنب داناه وقارف امرأته جامعها

بضم العين وفتح الميم وسكون الياء اسماء هاجرت مع زوجها جعفر بن ابي طالب الى الحبشة وتزوجها الصديق ... بعد قتله ... تزوجها علي بعد موته ... ولدت ذكرين سنتين

في غزوة المريسيع

وتزوجها وله خمس عشرة سنة وخمسة اشهر ونصف وتقدم مزيد لذلك في المغازي والسير من المقصد الاول قال ابو عمر
وفاطمة وام كلثوم افضل بنات النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فاطمة احب اهله صلى الله عليه وسلم اليه وكان يقبلها في فمها ويمص لسانه
واذا اراد سفرا يكون اخر عهده بها واذا قدم اول ما يدخل عليها وقال عليه السلام فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني رواه
البخاري وقال لها اوما ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين رواه مسلم وفي رواية احمد افضل نساء اهل الجنة وتوفيت
بعده عليه السلام بستة اشهر ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة احدى عشرة وهي ابنة تسع وعشرين سنة
قاله المدايني وقيل توفيت بعده بثمانية اشهر وقيل غير ذلك والاول اصح كذا قالوه و [illegible] نحو غير منتظم مع السابق
فليتامل وروي انها قالت لاسماء بنت عميس اني قد استقبحت ما يصنع بالنساء انه يطرح على المراة الثوب فيصفها فقالت
اسماء يا بنت رسول الله الا اريك شيئا رايته بارض الحبشة فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبا فقالت
فاطمة ما احسن هذا تعرف به المراة من الرجل فاذا انا مت فاغسليني انت وعلي ولا يدخلن علي احد الحديث خرجه ابو عمر وفي
حديث ام سلمى انها لما اشتكت اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت في وسط البيت ووضعت يدها اليمنى تحت خدها
ثم استقبلت القبلة وقالت اني مقبوضة الان فلا يكشفني احد ولا يغسلني ثم قبضت مكانها ودخل علي فاخبر بالذي
قالت فاحتملها فدفنها بغسلها ذلك ولم يكشفها ولا غسلها احد رواه احمد في المناقب والدولابي وفي هذا اللفظ مخالفة
وهو مضاد لخبر اسماء المتقدم قال ابو عمر فاطمة اول من غطي نعشها من النساء على الصفة المذكورة في حديث اسماء المتقدم
ثم بعدها زينب بنت جحش صنع بها ذلك وولدت لعلي حسنا وحسينا ومحسنا فمات محسن صغيرا وام كلثوم وزينب ولم يكن
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عقب الا من ابنته فاطمة رضي الله عنها فانتشر نسله الشريف منها من جهة السبطين
الحسن والحسين فقط ويقال للمنسوب لاولهما حسني ولثانيهما حسيني وقد يضم للحسيني من يكون من ذرية اسحاق بن
جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الاسحاقي فيقال الحسيني الاسحاقي
واسحاق هذا هو زوج السيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي وله منها القاسم وام كلثوم ولم يعقبا
وتزوج عمر بن الخطاب ام كلثوم بنت فاطمة فولدت له زيدا ورقية ولم يعقبا ثم تزوجت ام كلثوم بعد موت عمر عون
ابن جعفر ثم تزوجت بعد وفاته باخيه محمد بن جعفر ثم مات عنها فتزوجت باخيه عبد الله بن جعفر فماتت عنده
ولم تلد لواحد من الثلاثة سوى للثاني ابنة توفيت صغيرة فليس لها عقب ثم تزوج عبد الله بن جعفر باختها زينب
بنت فاطمة فولدت له عدة منهم علي وام كلثوم وتزوج ام كلثوم هذه ابن عمها القاسم بن محمد بن
جعفر بن ابي طالب فولدت له عدة اولادهم فاطمة تزوج حمزة بن عبد الله ابن الزبير ابن العوام وله منها عقب
وبالجملة فعقب عبد الله بن جعفر انتشر من علي واخته ام كلثوم ابني زينب بنت علي ويقال لكل من ينسب لهما
جعفري ولا ريب ان لهم شرفا واما الخلاف في المنسوبين لعبد الله بن جعفر فلهم ايضا شرف لكنه يتفاوت فمن كان
من ولده من زينب الزهراء اعلى واشرف ممن من غيرها مع كونهم لا يوازون شرف المنسوبين للحسن والحسين [illegible] وكذا
يوصف العباسيون بالشرف لشرف بني هاشم خلافا للحافظ ابن حجر في الالقاب وقد لقب به بعض بالشرف كل
عباسي ببغداد وعلوي بمصر وفي شيوخ ابن الرفعة شيخ يقال له الشريف العباسي [illegible] فقيل مات
صغيرا بمكة فقال العاصي بن وائل قد انقطع ولده فهو ابتر فانزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر واختلف هل
ولد قبل النبوة او بعدها او هو الطيب والطاهر والصحيح انهما لقبان له كما تقدم واما ابراهيم فمن
مارية القبطية وسياتي ذكرها في سراريه عليه السلام ان شاء الله تعالى في الفصل الثالث [illegible] المؤمنين
وولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة وقيل ولد بالعالية ذكره الزبير بن بكار وكانت سلمى زوج ابي رافع مولاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قابلته فبشر ابو رافع به النبي صلى الله عليه وسلم فوهب له عبدا واعتق عنه يوم

على المراة

بين في الروضة بعض البلدان [illegible]

المقصد

سابعه

سابعة بكبشين وحلق راسه ابو هند وسماه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وتصدق بزنة شعره ورقا على المساكين ود فنوا
شعره في الارض وفي البخاري من حديث انس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال ولد لي الليلة غلام فسميته باسم ابي ابراهيم
ثم دفعه الى ام سيف امراة قين بالمدينة يقال له ابو سيف الحديث وفيه انه بقي عندها الى ان مات والقين الحداد ويجمع
بينهما بان التسمية كانت قبل السابع كما في حديث انس هذا ثم ظهرت فيه واما حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
عند الترمذي مرفوعا انه امر بتسمية المولود يوم سابعه فيحمل على انها لا تؤخر عن السابع لا انها لا تكون الا فيه بل هي مشروعة
من الولادة الى السابع قال الزبير بن بكار وتنافست الانصار فيمن يرضع ابراهيم عليه السلام فانهم احبوا ان يفرغوا مارية
له عليه السلام فاعطاه لام بردة بنت المنذر بن زيد الانصاري زوجة البراء بن اوس فكانت ترضعه بلبن ابنها في بني مازن
ابن النجار وترجع به الى امه واعطى صلى الله عليه وسلم ام بردة قطعة نخل وقد تقدم انه اعطاه ام سيف وبقي عندها الى ان مات
فيحتمل ان يكون اعطاه اولا لام بردة ثم اعطاه ام سيف وبقي عندها الى ان توفي لكن قد روي انه توفي عند ام بردة
[illegible] الترجيح الى التصحيح وعن انس بن مالك قال ما رايت احدا ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ابراهيم
مسترضعا في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وكان ظئره قينا فياخذه فيقبله ثم يرجع الحديث رواه
ابو حاتم وفي حديث جابر اخذ صلى الله عليه وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف فاتى به النخل فاذا ابنه ابراهيم يجود بنفسه فاخذه
صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم ذرفت عيناه ثم قال انا بك يا ابراهيم لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول
ما يسخط الرب خرجه بهذا السياق ابو عمرو بن السماك ومعناه في الصحيح وتوفي وله سبعون يوما فيما ذكره ابو داود في
الاول يوم الثلاثاء لعشر خلون منه وقيل بلغ ستة عشر شهرا وثمانية ايام وقيل سنة وعشرة اشهر وستة ايام و
حمل على سرير صغير وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالبقيع وقال ندفنه عند فرطنا عثمان بن مظعون وروي ان عائشة
قالت دفنه عليه الصلاة والسلام ولم يصل عليه فيحتمل ان يكون لم يصل عليه بنفسه وامر اصحابه ان يصلوا عليه او لم
يصل عليه في جماعة وروي ان الذي غسله ابو بردة وروي الفضل بن العباس ولعلهما اجتمعا عليه ونزل في قبره الفضل
واسامة والنبي صلى الله عليه وسلم على شفير القبر ورش قبره وعلم بعلامة قال الزبير وهو اول قبر رش وانكسفت
الشمس يوم موته فقال الناس انما كسفت لموت ابراهيم فقال عليه السلام ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله [illegible]
ابراهيم فقال عليه السلام ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله لا ينكسفان لموت احد رواه الشيخان وقيل
والغالب ان الكسوف يكون يوم الثامن والعشرين او التاسع والعشرين فكسفت يوم موت ابراهيم في العاشر فلذلك
قالوا كسفت لموته وقال عليه السلام ان له مرضعا في الجنة رواه ابن ماجه وقد روي من حديث انس بن مالك انه قال
لو بقي يعني ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم لكان نبيا ولكن لم يبق لان نبيكم اخر الانبياء اخرجه ابو عمر وقال الطبري
وهذا انما يقوله انس عن توقيف يختص ابراهيم والا فلا يلزم ان يكون ابن النبي نبيا بدليل ابن نوح عليه السلام وقال
النووي في تهذيب الاسماء واللغات واما ما روي عن بعض المتقدمين لو عاش ابراهيم لكان نبيا فباطل وجسارة على الكلام
على المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم انتهى قال شيخنا في كتابه المقاصد الحسنة ونحوه قول ابن عبد البر في تمهيده لا ادري
ما هذا فقد ولد نوح غير نبي ولو لم يلد النبي الا نبيا لكان كل احد نبيا لانهم من ولد نوح انتهى قال الحافظ ابن حجر ولا يلزم
من الحديث المذكور ما ذكره الطبري كما لا يخفى وكانه سلف النووي وقال ايضا عقب كلام النووي انه عجيب مع وروده عن
ثلاثة من الصحابة قال وكانه لم يظهر له وجه تاويله فبالغ في انكاره ما قال وجوابه ان القضية الشرطية لا تستلزم
الوقوع ولا يظن بالصحابي الهجوم على مثل هذا بالظن قال شيخنا والطرق الثلاثة احدها ما اخرجه ابن ماجه وغيره
من حديث ابن عباس لما مات ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم صلى عليه وقال ان له مرضعا في الجنة ولو عاش لكان صديقا نبيا ولو
عاش لاعتقت اخواله من القبط وما استرق قبطي وفي سنده ابو شيبة ابراهيم بن عثمان الواسطي وهو ضعيف ومن طريقه

وان تسميته [illegible]

الربيع

وفيه ان الكلام في ولد نبينا وسط [illegible]

اخرجه ابن منده في المعرفة وقال انه غريب ثانيها ما رواه ابراهيم السدي عن ابيه عن انس قال كان ابراهيم قد ملا
المهد ولو بقي لكان نبيا الحديث ثالثها ما عند البخاري من طريق محمد بن بشر عن اسمعيل ابن ابي خالد قال قلت لعبد الله ابن ابي
اوفى رايت ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم قال مات صغيرا ولو قضي ان يكون بعد محمد نبي عاش ابنه ابراهيم ولكن لا نبي بعده واخرجه
احمد عن وكيع عن اسمعيل سمعت ابن ابي اوفى يقول لو كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نبي ما مات ابنه انتهى الفصل الثالث في ذكر
ازواجه الطاهرات وسراريه المطهرات قال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم اي
ازواجه عليه السلام امهات المؤمنين سواء من مات عنها او ماتت عنده وهي تحته وذلك في تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن
لا في نظر وخلوة ولا يقال بناتهن اخوات المؤمنين ولا اباؤهن وامهاتهن اجداد وجدات ولا اخوتهن واخواتهن اخوال
وخالات قال البغوي كن امهات المؤمنين دون النساء روي ذلك عن عايشة رضي الله عنها وهو جار على الصحيح عند
اصحابنا وغيرهم من اهل الاصول ان النساء لا يدخلن في خطاب الرجال قال وكان صلى الله عليه وسلم ابا للرجال والنساء ويجوز ان
يقال ابو المؤمنين في الحرمة وفضلت زوجاته عليه السلام على النساء وثوابهن وعقابهن مضاعفان ولا يحل سوالهن
الا من وراء حجاب وافضلهن خديجة وعايشة رضي الله عنهما وفي افضلهما خلاف ياتي تحقيقه ان شا الله تعالى قريبا ان
واختلف في عدة ازواجه صلى الله عليه وسلم وترتيبهن وعدة من مات منهن قبله ومن مات عنهن ومن دخل بها ومن لم يدخل
بها ومن خطبها ولم ينكحها ومن عرضت نفسها عليه والمتفق عليه انهن احدى عشرة امراة ست من قريش خديجة بنت خويلد
ابن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي وعايشة بنت ابي بكر ابن ابي قحافة ابن عامر بن عمرو بن
كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لوي وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ابن عبد الله بن قرط بن رياح
ابن رزاح بن عدي بن كعب بن لوي وام حبيبة بنت ابي سفيان بن حرب ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن
كلاب بن مرة بن كعب بن لوي وام سلمة بنت ابي امية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن
كعب بن لوي وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لوي
واربع عربيات زينب بنت جحش بن رياب بن يعمر [illegible] بن كثير بن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمة وميمونة
بنت الحارث الهلالية وزينب بنت خزيمة الهلالية ام المساكين وجويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية و
واحدة غير عربية من بني اسرائيل وهي صفية بنت حيي من بني النضير ومات عنده صلى الله عليه وسلم منهن اثنتان خديجة
وزينب ام المساكين ومات صلى الله عليه وسلم عن تسع ولا خلاف في ان اول امراة تزوج بها منهن خديجة بنت خويلد وانه
صلى الله عليه وسلم لم يتزوج عليها حتى ماتت وهذا حين الشروع في ذكرهن على الترتيب فاما ام المؤمنين خديجة
وامها فاطمة بنت زايدة بن الاصم فكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة وكانت تحت ابي هالة النباش ابن زرارة وولدت
له هندا وهالة وهما ذكران ثم تزوجها عتيق بن عايذ المخزومي فولدت له جارية اسمها هند وبعضهم يقدم عتيقا
على ابي هالة ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولها يومئذ من العمر اربعون سنة وبعض اخرى وكان سنه عليه
السلام احدى وعشرين سنة وقيل خمسا وعشرين وعليه الاكثر وقيل ثلاثين وكانت قد عرضت نفسها عليه فذكر
ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه فتزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها
عشرين بكرة وزاد ابن اسحاق من طريق اخر وحضر ابو طالب ورؤساء مضر فخطب ابو طالب وقد قدمت خطبته في
المقصد الاول عند ذكر تزويجه له صلى الله عليه وسلم وذكر الدولابي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم اصدق خديجة اثنتي
عشرة اوقية ذهبا وكانت خديجة كما قدمته اول من امن من الناس وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة ان جبريل
قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد هذه خديجة قد اتتك باناء فيه طعام او ادام او شراب فاذا هي اتتك فاقرا عليها السلام
من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب والقصب اللؤلؤ المجوف قال ابن اسحاق وكان
صلى

صلى الله عليه وسلم لا يسمع شيئا من رد عليه وتكذيب له عليه السلام فيحزنه ذلك الا فرج الله عنه بخديجة اذا رجع اليها
تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه امر الناس حتى ماتت وعن عبد الرحمن ابن زيد قال قال ادم عليه السلام اني
لسيد البشر يوم القيامة الا رجلا من ذريتي نبيا له احد فضل علي باثنتين زوجته عاونته فكانت له عونا وكانت
زوجتي علي عونا واعانه الله على شيطانه فاسلم وكفر شيطاني خرجه الدولابي كما ذكره الطبري وخرج الامام احمد عن
ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال افضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران واسية
امراة فرعون قال الشيخ ولي الدين ابن العراقي خديجة افضل امهات المؤمنين على الصحيح المختار وقيل عايشة انتهى
وقال شيخ الاسلام زكريا الانصاري في شرح بهجة الحاوي وافضلهن خديجة وعايشة وفي افضلهما خلاف
صحح ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال لعايشة حين قالت له قد رزقك الله خيرا منها فقال
لا والله ما رزقني الله خيرا منها امنت بي حين كذبني الناس واعطتني مالها حين حرمني الناس وسيل ابن داود ايهما افضل
فقال عايشة اقراها النبي صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل وخديجة اقراها جبريل من ربها السلام على لسان
محمد فهي افضل قيل له فمن افضل خديجة ام فاطمة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة مني فلا
اعدل ببضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم اما ترضين ان تكوني سيدة
نساء اهل الجنة الا مريم واحتج من فضل عايشة بما احتجت به من انها في الاخرة مع النبي صلى الله عليه وسلم في الدرجة وفاطمة
مع علي فيها وسيل السبكي عن ذلك فقال الذي نختاره وندين الله به ان فاطمة بنت محمد افضل ثم امها خديجة ثم
عايشة ثم استدل لذلك بما تقدم بعضه واما خبر الطبراني خير نساء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة بنت خويلد ثم فاطمة
بنت محمد ثم اسية امراة فرعون فاجاب عنه ابن العماد بان خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار الامومة لا باعتبار السيادة
[illegible] السبكي ان مريم افضل من خديجة لهذا الخبر وللاختلاف في نبوتها انتهى قال ابو امامة ابن النقاش ان
سبق خديجة وتاثيرها في اول الاسلام ومؤازرتها ونصرها وقيامها في الدين لله بمالها ونفسها لم يشركها فيه احد لا عايشة
ولا غيرها من امهات المؤمنين وتاثير عايشة في اخر الاسلام وحمل الدين وتبليغه الى الامة وادراكها من الامر ما لم
يشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها انتهى وتوفيت خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل باربع
وقيل بخمس ودفنت في الحجون وهي بنت خمس وستين سنة ولم يكن يومئذ يصلى على الجنائز وكانت مدة مقامها مع النبي
صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وقيل اربعا وعشرين سنة واما ام المؤمنين سودة بنت زمعة وامها الشموس
بنت قيس [illegible] اسلمت قديما وبايعت وكانت تحت ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو اخو سهيل بن عمرو واسلم معها قديما
وهاجرا جميعا الى ارض الحبشة الهجرة الثانية فلما قدما مكة مات زوجها وقيل مات بالحبشة وتزوجها صلى الله عليه
وسلم بمكة بعد موت خديجة قبل ان يعقد على عايشة هذا قول قتادة وابي عبيدة ولم يذكر ابن قتيبة غيره ويقال تزوجها
بعد عايشة وجمع بين القولين بانه صلى الله عليه وسلم عقد على عايشة قبل سودة ودخل بسودة قبل عايشة
فالتزويج يطلق على كل واحد منهما وان كان المتبادر الى الفهم العقد دون الدخول ولما كبرت سودة اراد صلى
الله عليه وسلم طلاقها فسالته ان لا يفعل وجعلت يومها لعايشة فامسكها وتوفيت بالمدينة في شوال سنة اربع
وخمسين واما ام المؤمنين عايشة بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنها وامها ام رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس
من بني مالك بن كنانة وكانت مسماة على جبير بن مطعم فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم واصدقها فيما قاله ابن
اسحاق اربع مائة درهم وتزوجها بمكة في شوال سنة عشر من النبوة وقبل الهجرة بثلاث سنين ولها ست سنين
وبنى بها بالمدينة في شوال سنة اثنتين من الهجرة على راس ثمانية عشر شهرا ولها تسع سنين [illegible] بعد
اشهر من مقدمه عليه السلام وخرج الشيخان عن عايشة انها قالت تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم

وانا ابنة ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحرث بن الخزرج فوعكت فتمزق شعري فاتتني امي ام رومان واني
لفي ارجوحة مع صواحب لي فصرخت بي فاتيتها ما ادري ما تريد مني فاخذت بيدي حتى وقفتني على باب الدار وانا انهج
حتى سكن بعض نفسي ثم اخذت شيا من ماء فمسحت به وجهي ثم ادخلتني الدار فاذا نسوة من الانصار في البيت فقلن
على الخير والبركة فاسلمتني اليهن فاصلحن من شاني فلم يرعني الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فاسلمنني اليه وانا يوميذ
بنت تسع سنين واخرجه ابو نعيم حاتم تبغيير بعض الفاظه قال ابو عمر كان نكاحه عليه السلام لعايشة في شوال
وابتنى بها في شوال وكانت تحب ان يدخل النساء من اهلها واحبتها في شوال على ازواجهن وكانت احب نساء رسول
الله صلى الله عليه وسلم اليه وكانت اذا هويت الشي تابعها عليه وفقدها عليه السلام في بعض اسفاره فقال
واعروساه خرجه احمد وقال لها عليه السلام كما في الصحيحين رايتك في المنام ثلث ليال جاني بك الملك في سرقة من
حرير فيقول هذه امرأتك فاكشف عن وجهك فاقول ان يك من عند الله يمضه والسرقة شقة الحرير او البيضا وفي
الترمذي ان جبريل جاه عليه السلام بصورتها في خرقة حرير خضرا وقال هذه زوجتك في الدنيا والاخرة وفي رواية عنده
قال جبريل ان الله قد زوجك بابنة ابي بكر ومعه صورتها وكانت مدة مقامها معه عليه السلام تسع سنين
ومات عنها صلى الله عليه وسلم ولها ثمانية عشر سنة ولم يتزوج بكرا غيرها وكانت فقيهة عالمة فصيحة كثيرة
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارفة بايام العرب واشعارها روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين
وكان صلى الله عليه وسلم يقسم لها ليلتين ليلتها وليلة سودة بنت زمعة لانها وهبت ليلتها لما كبرت لها كما تقدم
ولنسايه ليلة ليلة وكان يدور على نسايه ويختم بعايشة وماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين وقال الواقدي ليلة
الثلاثا لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين وهي ابنة ست وستين سنة واوصت ان تدفن بالبقيع
ليلا وصلى عليها ابو هريرة وكان يوميذ خليفة مروان على المدينة في ايام معاوية ابن ابي سفيان وكانت
عايشة تكنى ام عبد الله يروى انها اسقطت من النبي صلى الله عليه وسلم سقطا ولم يثبت والصحيح انها
كانت تكنى بعبد الله ابن الزبير ابن اختها فانه عليه السلام تفل في فيه لما ولد وقال لعايشة هو عبد الله
وانت ام عبد الله قالت فما زلت اكنى بها وما ولدت قط خرجه ابو حاتم واما ام المومنين حفصة
بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وامها زينب بنت مظعون فاسلمت وهاجرت وكانت قبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم تحت خنيس بضم المعجمة وفتح النون وبالسين المهملة بن حذافة السهمي هاجرت
معه ومات عنها بعد غزوة بدر فلما تايمت ذكرها عمر على ابي بكر وعثمان فلم يجبه واحد منهما الى زواجها
فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحها اياه في سنة ثلاث من الهجرة وطلقها تطليقة واحدة ثم
راجعها نزل عليه الوحي راجع حفصة فانها صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة روى عنها جماعة من
الصحابة والتابعين وماتت في شعبان سنة خمس واربعين في خلافة معوية وقيل سنة احدى واربعين
وهي ابنة ستين سنة وقيل انها ماتت في خلافة عثمان واما ام المومنين ام سلمة هند وقيل رملة
والاول اصح وامها عاتكة بنت عامر بن ربيعة وليست عاتكة بنت عبد المطلب فكانت قبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم تحت ابي سلمة بن عبد الاسد وكانت هي وزوجها اول من هاجر الى ارض الحبشة فولدت له بها
زينب وولدت له بعد ذلك سلمة وعمر ودرة وقيل انها اول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة وقيل
غيرها ومات ابو سلمة سنة اربع وقيل سنة ثلاث من الهجرة وكانت ام سلمة سمعته عليه السلام يقول ما من مسلم
تصيبه فيقول اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اخلف الله له خيرا منها قالت فلما مات
ابو سلمة قلت اي المسلمين خير من ابي سلمة ثم اني قلتها فاخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم جا خاطبا الى

بلتعة

بلتعة يخطبني له وفي رواية خطبها ابو بكر فابت وخطبها عمر فابت ثم ارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مرحبا
برسول الله ان في خلالا ثلاثا انا امراة شديدة الغيرة وانا امراة مصبية وانا امراة ليس لي ههنا احد من اوليايي فيزوجني
فغضب عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشد مما غضب لنفسه حين ردته فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اما ما ذكرت من غيرتك فاني ادعو الله ان يذهبها عنك واما ما ذكرت من صبيتك فان الله سيكفيهم واما ما ذكرت
من اوليايك فليس احد من اوليايك يكره فقالت لابنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه قال صاحب السمط
الثمين واخرجه بهذا السياق هدبة بن خالد وصاحب الصفوة واخرج احمد والنساي طرفا منه ومعناه في الصحيح وفيه دلالة على ان
للابن ولاية العقد على امه وعندنا انه انما زوجها بالعصوبة لانه ابن ابن عمها لان ابا سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن
عبد الله وام سلمة هند بنت سهل بن المغيرة بن عبد الله ولم يكن من عصبتها احد حاضر غيره وكانت ام سلمة من اجمل الناس وتزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال بقين من شوال من السنة التي مات فيها ابو سلمة وماتت سنة تسع وخمسين وقيل سنة
اثنين وستين والاول اصح ودفنت بالبقيع وصلى عليها ابو هريرة وقيل سعيد بن زيد وكان عمرها اربعا وثمانين
سنة واما ام المومنين ام حبيبة رملة بنت ابي سفيان صخر بن حرب وقيل اسمها هند والاول اصح وامها صفية بنت
ابي العاص فكانت تحت عبيد الله بن جحش وهاجر بها الى ارض الحبشة الهجرة الثانية ثم تنصر وارتد عن الاسلام ومات
هناك وثبتت ام حبيبة على الاسلام واختلف في وقت نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها وموضع العقد
فقيل انه عقد عليها بارض الحبشة سنة ست فروي انه صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن امية الضمري الى النجاشي ليخطبها
عليه فزوجها اياه واصدقها عنه اربع مائة دينار وبعث بها اليه مع شرحبيل بن حسنة وروي ان النجاشي ارسل اليها
جاريته ابرهة فقالت ان الملك يقول لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الي ان ازوجكه وانها ارسلت الى خالد بن
سعيد بن العاص فوكلته واعطت ابرهة سوارين وخواتم من فضة سرورا بما بشرتها به فلما كان العشي امر النجاشي جعفر
ابن ابي طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشي فقال الحمد لله الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز
الجبار اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو
كره المشركون اما بعد فقد اجبت الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصدقها اربع مائة دينار ذهبا ثم سكب
الدنانير بين يدي القوم فتكلم خالد بن سعيد فقال الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون اما بعد فقد اجبت
الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته ام حبيبة بنت ابي سفيان فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ودفع الدنانير الى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها ثم ارادوا ان يقوموا فقال اجلسوا فان سنة الانبيا اذا تزوجوا
ان يوكل طعام على التزويج فدعا بطعام فاكلوا ثم تفرقوا خرجه صاحب الصفوة كما قاله الطبري وكان ذلك في سنة سبع
من الهجرة قال ابو عمر واختلف فيمن زوجها فروي انه سعيد بن العاص وروي عثمان ابن عفان وهي ابنة عمته وذكر البيهقي
ان الذي زوجها خالد بن سعيد بن العاص وهو ابن ابن عم ابيها لكن ان صح التاريخ المذكور فلا يصح ان يكون عثمان هو الذي زوجها
فانه كان مقدمه من الحبشة قبل وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة وكان ابو سفيان ابوها حال نكاحها بمكة مشركا محاربا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عقد النكاح عليها كان بالمدينة بعد رجوعها من ارض الحبشة والمشهور الاول
وماتت بالمدينة سنة اربع واربعين وقيل سنة اثنين واربعين واما ام المومنين زينب بنت جحش وامها امية بنت
عبد المطلب بن هاشم فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها من زيد بن حارثة فمكثت عنده مدة ثم طلقها كما سياتي في
الخصايص ان شا الله تعالى فلما انقضت عدتها منه قال صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة اذهب فاذكرني لها قال فذهبت
فجعلت ظهري الى الباب فقلت يا زينب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك فقالت ما كنت لاحدث شيا حتى اوامر

من نبي عز وجل فقامت الى مسجدها فانزل الله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخل عليها بغير اذن اخرجه مسلم وطلب المنافقون حرم محمد نساء الولد وقد تزوج امراة ابنه فانزل الله
تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم الاية وكانت زينب تفخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن اهاليكن وزوجني
الله من فوق سبع سموات رواه الترمذي وصححه وكان اسمها برة فسماها عليه السلام زينب وعن انس لما تزوج صلى الله
عليه وسلم زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فاذا هو صلى الله عليه وسلم يتهيا للقيام فلم يقوموا
فلما راى ذلك قام وقام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فاذا القوم جلوس ثم انهم قاموا
فانطلقت فجئت فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم انهم انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت ادخل فالقى الحجاب بيني وبينه
فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية وكان تزوجها له صلى الله عليه وسلم في سنة خمس من الهجرة
وقيل سنة ثلاث وهي اول من مات من ازواجه بعده وقالت عائشة في شانها ولم تكن امراة خيرا منها في الدين واتقى لله
واصدق حديثا واوصل للرحم واعظم صدقة واشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به الى الله رواه
مسلم وماتت بالمدينة سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين ولها ثلاث وخمسون سنة وصلى عليها عمر بن الخطاب وهي
اول من جعل على جنازتها نعش واما ام المؤمنين زينب بنت خزيمة ابن الحرث الهلالية وكانت تدعى في الجاهلية ام
المساكين لاطعامها اياهم فكانت تحت عبد الله بن جحش في قول ابن شهاب فقتل عنها يوم احد فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنة ثلاث ولم تلبث عنده الا شهرين او ثلاثة وتوفيت في حياته صلى الله عليه وسلم وقيل مكثت عنده ثمانية اشهر ذكره
الفضائلي وقيل كانت قبله عليه السلام تحت الطفيل بن الحرث ثم خلف عليها اخوه عبيدة بن الحرث وقتل عنها يوم احد
شهيدا فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والاول اصح وتوفيت في ربيع الاخر سنة اربع ودفنت بالبقيع قال
الطبري كذا ذكره الفضائلي وانما يكون هذا على حكاية من انها مكثت عنده صلى الله عليه وسلم ثمانية اشهر اما على حكاية
ابي عمر فلا يصح اذ العقد كان في سنة ثلاث فمدتها عنده صلى الله عليه وسلم شهران او ثلثة فلا يصح ان تكون وفاتها
في ربيع الاخر انتهى قلت وتامل واما ام المؤمنين ميمونة بنت الحرث الهلالية وامها هند بنت عوف بن زهير بن الحرث بن حماطة
ابن حمير فتزوجها صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة معتمرا سنة سبع غزوة خيبر وكانت اختها ام الفضل لبابة الكبرى تحت
العباس بن عبد المطلب واختها لامها اسما بنت عميس تحت جعفر وسلمى بنت عميس تحت حمزة وكانت جعلت امرها الى العباس
فانكحها النبي عليه السلام وهو محرم فلما رجع بنى بها بسرف حلالا كذا ذكره ابو عمر وفي الصحيح من افراد مسلم عنها انه صلى
الله عليه وسلم تزوجها وهو حلال زاد البرقاني بعد قوله تزوجها حلالا وبنى بها حلالا وماتت بسرف فجعل قوله
وهو محرم اي داخلا الحرم ويكون العقد وقع بعد انقضاء العمرة ثم خرج منه الى سرف وابتنى بها فيه وهو على عشرة
اميال من مكة كذا قاله الطبري وسياتي في مقصد المعجزات في ذكر الخصائص مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى وكانت
ميمونة قبل عند ابي رهم بن عبد العزى ويقال بل عند عبد الله ابن ابي رهم وقيل بل عند حويطب بن عبد العزى وقيل
بن عبد العزى قال ابن اسحاق ويقال انها وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان خطبته عليه السلام انتهت
اليها وهي على بعيرها فقالت البعير وما عليه لله ولرسوله وقيل الواهبة نفسها غيرها وتوفيت ميمونة بسرف في الموضع
الذي بنى بها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك سنة احدى وخمسين وقيل ست وستين وقيل ثلث وستين وصلى عليها
ابن عباس ودخل قبرها واما ام المؤمنين جويرية بنت الحرث ابن ابي ضرار بكسر الضاد المعجمة وتخفيف الراء فكانت تحت
مسافع بالسين المهملة والفاء ابن صفوان المصطلقي وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس
الانصاري في غزوة المريسيع وهي غزوة المصطلق في سنة خمس وقيل سنة ست فكاتبته على نفسها ثم جاءت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انا جويرية بنت الحرث وكان من امري ما لا يخفى عليك ووقعت

في سهم ثابت بن قيس بن شماس واني كاتبته على نفسي فجئت اسالك في كتابتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهل لك الى ما هو خير قالت وما هو يا رسول الله قال اؤدي عنك كتابتك واتزوجك قالت قد فعلت فتسامع
الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية فارسلوا ما في ايديهم من السبي فاعتقوهم وقالوا اصهار رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فما راينا امراة كانت اعظم بركة على قومها منها اعتق في سببها مائة اهل بيت من
بني المصطلق خرجه ابو داود من حديث عائشة وقال ابن هشام ويقال اشتراها صلى الله عليه وسلم من ثابت بن
قيس واعتقها وتزوجها واصدقها اربع مائة درهم وعن ابن شهاب سبا صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث
يوم المريسيع فحجبها وقسم لها وكانت ابنة عشرين سنة وكان اسمها برة فحوله صلى الله عليه وسلم وسماها جويرية
وقد تقدم مثل ذلك في زينب بنت جحش وتوفيت وعمرها خمس وستون سنة في ربيع الاول سنة خمسين وقيل سنة
ست وخمسين واما ام المؤمنين صفية بنت حيي بن اخطب بن سعية بفتح السين وسكون العين المهملتين وبالياء
المثناة التحتية ابن ثعلبة بن عبيد من بني اسرائيل من سبط هرون بن عمران عليه السلام وامها ضرة بفتح الضاد المعجمة وتشديد
الراء بنت سموال بفتح السين المهملة وفتح الميم وسكون الواو وفتح الهمزة وباللام فكانت تحت كنانة ابن ابي الحقيق بضم الحا
المهملة وفتح القاف الاولى وسكون المثناة التحتية فقتل يوم خيبر في المحرم سنة سبع من الهجرة قال انس لما افتتح صلى الله
عليه وسلم خيبر وجمع السبي جاءه دحية فقال يا رسول الله اعطني جارية فقال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت
حيي فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير ما تصلح
الا لك قال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال واعتقها
وتزوجها فقال له ثابت يا ابا حمزة ما اصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له ام
سليم فاهدتها له من الليل فاصبح صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجئ به قال فبسط نطعا
قال فجعل الرجل يجيء بالاقط وجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الرجل يجيء بالسمن فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي رواية فقال الناس لا ندري اتزوجها ام اتخذها ام ولد قالوا ان حجبها فهي امراته وان
لم يحجبها فهي ام ولد فلما اراد ان يركب حجبها وفي رواية فانطلقنا حتى اذا راينا جدر المدينة هششنا اليها فرفعنا
مطايانا ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطيته قال وصفية خلفه قد اردفها قال فعثرت مطية رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصرع وصرعت قال فليس احد من الناس ينظر اليه والى اليها حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسترها قال فدخلنا المدينة فخرج جواري نسائه يتراءينها ويشمتن بصرعتها رواه الشيخان وهذا لفظ مسلم
وروي عن جابر انه صلى الله عليه وسلم اتى بصفية يوم خيبر وانه قتل اباها واخاها وان بلالا مر بها بين المقتولين وانه
صلى الله عليه وسلم خيرها بين ان يعتقها فترجع الى من بقي من اهلها او تسلم فيتخذها لنفسه فقالت اختار الله ورسوله
خرجه في الصفوة واخرج تمام في فوائده من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك في قالت
يا رسول الله لقد كنت اتمنى ذلك في الشرك فكيف اذا امكنني الله منه في الاسلام واخرج ابو حاتم من حديث ابن عمر راى صلى
الله عليه وسلم بعين صفية خضرة فقال ما هذه الخضرة فقالت كان راسي في حجر ابن الحقيق وانا نائمة فرايت
قمرا وقع في حجري فاخبرته بذلك فلطمني وقال تمنين ملك يثرب وبنى بها صلى الله عليه وسلم بالصهباء وماتت في رمضان
سنة خمسين في زمن معاوية وقيل غير ذلك ودفنت بالبقيع فهؤلاء ازواجه اللاتي دخل بهن لا خلاف في ذلك بين اهل
السير والعلم بالاثر وقد ذكر انه صلى الله عليه وسلم تزوج نسوة غير من ذكر وجملتهن اثنتا عشرة امراة اما الواهبة
نفسها له صلى الله عليه وسلم واختلف من هي فقيل ام شريك القرشية العامرية واسمها غزية بضم الغين المعجمة وفتح الزاي
وتشديد المثناة التحتية بنت جابر بن عوف من بني عامر بن لؤي وقيل بنت داود بن عوف وطلقها النبي صلى الله عليه وسلم

واختلف في دخوله بها وقيل هي ام شريك غزية الانصارية من بني النجار وفي الصفوة هي ام شريك غزية بنت جابر الدوسية قال والاكثرون على انها التي وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت وذكر ابن قتيبة في المعارف عن ابي اليقظان ان الواهبة نفسها خولة بنت حكيم السلمية ويجوز ان تكونا وهبتا انفسهما من غير تضاد وقال عروة ابن الزبير كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عايشة اما تستحي المراة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشاء منهن قالت عايشة يا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع لك في هواك رواه الشيخان وهذه خولة هي زوجة عثمان بن مظعون ولعل ذلك وقع منها قبل عثمان الثانية خولة بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها صلى الله عليه وسلم فهلكت قبل ان تصل اليه الثالثة عمرة بنت يزيد ابن الجون بفتح الجيم الكلابية وقيل عمرة بنت يزيد بن عبيد ابن رواس بن كلاب الكلابية قال ابو عمر وهذا اصح تزوجها صلى الله عليه وسلم فتعوذت منه حين ادخلت عليه فقال لها لقد عذت بمعاذ فطلقها وامر اسامة ابن زيد فمتعها بثلثة اثواب قال ابو عمر هكذا روي عن عايشة وقال قتادة كان ذلك في امراة من سليم وقال ابو عبيدة انما ذلك لاسما بنت النعمان بن الجون وهكذا ذكره ابن قتيبة وسيأتي وقال في عمرة هذه ان اباها وصفها للنبي صلى الله عليه وسلم ثم قال وازيدك انها لم تمرض قط فقال عليه السلام ما لهذه عند الله من خير فطلقها الرابعة اسما بنت النعمان بن الجون بفتح الجيم بن الحرث الكندية وهي الجونية اجمعوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها واختلفوا في سبب فراقه لها فقال قتادة وابو عبيدة انه صلى الله عليه وسلم لما دعاها قالت تعال انت وابيان تجيء وقال بعضهم قالت اعوذ بالله منك فقال عذت بمعاذ وقد اعاذك الله مني وقيل ان نساءه صلى الله عليه وسلم علمنها ذلك فانها كانت من اجمل النساء فخفن ان تغلبهن عليه فقلن لها انه يحب اذا دنا منك ان تقولي اعوذ بالله منك فقال قد عذت بمعاذ وطلقها ثم سرحها الى اهلها وكانت تسمي نفسها الشقية وقال الجرجاني فقيل لها ان اردت ان تحظي عنده فتعوذي بالله منه فقالت ذلك فولى وجهه عنها وقيل المتعوذة غيرها قال ابو عبيدة ويجوز ان يكونا تعوذتا وقال اخرون كان باسما وضح فقال لها الحقي باهلك وقد قيل في اسمها اميمة وقيل امامة الخامسة مليكة بنت كعب الليثية قال بعضهم هي التي استعاذت من النبي صلى الله عليه وسلم وقيل دخل بها وماتت عنده والاول اصح ومنهم من ينكر تزويجه بها اصلا السادسة فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي تزوجها بعد وفاة ابنته زينب وخيرها حين نزلت آية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها عليه الصلاة والسلام فكانت بعد ذلك تلقط البعر وتقول هي الشقية اختارت الدنيا هكذا رواه ابن اسحاق لكن قال ابو عمر هذا عندنا غير صحيح لان ابن شهاب يروي عن عروة عن عايشة انه صلى الله عليه وسلم حين خير ازواجه بدا بها فاختارت الله ورسوله وتابع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم عند التخيير تسع نسوة وهن اللاتي توفي عنهن وقيل انه عليه السلام تزوجها سنة ثمان وقيل ان اباها قال انها لم تصدع قط فقال عليه السلام لا حاجة لي بها السابعة عالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف تزوجها عليه السلام وكانت عنده ما شاء الله ثم طلقها وقل من ذكرها وقال ابو سعد طلقها حين ادخلت عليه صلى الله عليه وسلم الثامنة قتيلة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية بنت قيس اخت الاشعث بن قيس الكندية زوجها اياه اخوها في سنة عشر ثم انصرف الى حضرموت فحملها فقبض صلى الله عليه وسلم سنة احدى عشرة قبل قدومها عليه وقيل تزوجها عليه السلام قبل وفاته بشهرين وقال قايلون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصى بان تخير فان شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت من امهات المؤمنين وان شاءت الفراق فلتنكح من شاءت فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة ابن ابي جهل بحضرموت فبلغ ذلك ابا بكر فقال هممت ان احرق عليهما بيتهما فقال له عمر رضي الله عنهما ما هي من امهات المؤمنين ما دخل بها صلى الله عليه وسلم ولا ضرب عليها الحجاب وقال بعضهم لم يوص فيها عليه السلام بشيء ولكنها ارتدت حين ارتد اخوها وبذلك احتج عمر على ابي بكر رضي الله عنهما انها ليست من امهات المؤمنين بارتدادها بتاسعة

سبا

تاسعتها اسما بنت الصلت السلمية تزوجها عليه الصلاة والسلام وماتت قبل ان يدخل بها وعند ابن اسحاق طلقها قبل ان يدخل بها العاشرة شراف بفتح الشين المعجمة وتخفيف الراء وبالفاء بنت خليفة الكلبية اخت دحية الكلبي تزوجها صلى الله عليه وسلم فماتت قبل دخوله عليه السلام بها الحادية عشرة ليلى بنت الخطيم بفتح الخاء المعجمة وكسر الطاء المهملة اخت قيس تزوجها صلى الله عليه وسلم وكانت غيورا فاستقالته فاقالها فاكلها الذيب وقيل هي التي وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم الثانية عشر امراة من غفار تزوجها صلى الله عليه وسلم فامرها فنزعت ثيابها فراى بكشحها بياضا فقال الحقي باهلك ولم ياخذ مما اتاها شيا فجملة من ذكر من ازواجه صلى الله عليه وسلم وفارقهن في حياته بعضهن قبل الدخول وبعضهن بعده كما ذكرناه فيكون جملة من عقد عليهن ثلاثا وعشرين امراة دخل ببعضهن دون بعض مات منهن عنده بعد الدخول خديجة وزينب بنت خزيمة ومات منهن قبل الدخول اثنتان اخت دحية وبنت الهذيل باتفاق واختلف في مليكة وسنا هل ماتتا او طلقها مع الاتفاق على انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بها وفارق بعد الدخول باتفاق بنت الضحاك وبنت ظبيان وقبله باتفاق عمرة واسماء والغفارية واختلف في ام شريك هل دخل بها مع الاتفاق على الفرقة والمستقيلة التي جهل حالها والمفارقات باتفاق سبع والمتنازع فيهن اثنتان على خلف والميتات في حياته باتفاق اربع ومات صلى الله عليه وسلم عن عشر واحدة لم يدخل بها وروي انه صلى الله عليه وسلم خطب عدة نسوة الاولى منهن امراة من بني مرة بن عوف ابن سعد خطبها صلى الله عليه وسلم الى ابيها فقال ان بها برصا وهو كاذب فرجع اليها وقد برصت فولدت له ابنها شبيب ابن البرصا ابن الحرث بن عوف وذكر ابن قتيبة كما قاله الطبري وعند ابن الاثير في جامع الاصول جمرة بنت الحرث بن عوف خطبها صلى الله عليه وسلم ابوها سوءا ولم يكن بها شيء فرجع اليها ابوها وقد برصت قال وهي ام شبيب ابن البرصا الشاعر الثانية امراة قرشية يقال لها سودة خطبها صلى الله عليه وسلم وكانت مصبية فقالت اخاف ان يضغوا صبيتي الى يعقوا ويبكوا عند راسك فدعا لها وتركها الثالثة صفية بنت بشامة بفتح الموحدة وتخفيف الشين المعجمة كان اصابها في سبي فخيرها بين نفسه الكريمة وبين زوجها فاختارت زوجها الرابعة ولم يذكر اسمها قيل انه صلى الله عليه وسلم خطبها فقالت استامر ابي فلقيت اباها فاذن لها فعادت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها قد التحفنا لحافا غيرك الخامسة ام هاني فاختة بنت ابي طالب اخت علي خطبها صلى الله عليه وسلم فقالت اني امراة مصبية واعتذرت اليه فعذرها السادسة ضباعة بضم الضاد المعجمة وتخفيف الموحدة وبالعين المهملة بنت عامر بن قرط بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة خطبها صلى الله عليه وسلم الى ابنها سلمة بن هشام بن هاشم فقال حتى استامرها فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم انها قد كبرت فلما عاد ابنها وقد اذنت له سكت عنها صلى الله عليه وسلم فلم ينكحها السابعة امامة بنت حمزة بن عبد المطلب عرضت عليه صلى الله عليه وسلم فقال هي ابنة اخي من الرضاعة الثامنة عزة بنت ابي سفيان عرضتها اختها ام حبيبة عليه صلى الله عليه وسلم فقال انها لا تحل لي لمكان اختها ام حبيبة تحت النبي صلى الله عليه وسلم التاسعة تزوج الجندعية بضم الجيم وسكون النون وضم الدال وبالعين المهملة امراة من جندع وهي ابنة جندب بن ضمرة ولم يدخل بها وانكر بعض الرواة فهؤلاء النسوة اللاتي ذكر انه صلى الله عليه وسلم تزوجهن او خطبهن او دخل بهن او لم يدخل بهن او عرضن عليه واما سراريه فقيل انهن اربعة مارية القبطية بنت شمعون بفتح الشين المعجمة اهداها له المقوقس القبطي صاحب مصر والاسكندرية واهدى معها اختها سيرين بكسر السين المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الراء وبالنون اخرها وخصيا يقال له مابور والف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا لينا من قباطي مصر وبغلة شهبا وهي دلدل وحمارا اشهب وهو عفير ويقال يعفور وعسلا من عسل بنها فاعجب النبي صلى الله عليه وسلم العسل ودعا في عسل بنها بالبركة قال ابن الاثير بنها بكسر الباء وسكون النون قرية من قرى مصر بارك النبي صلى الله عليه وسلم في عسلها والناس اليوم

البوم يبقون الباء انتهى و وهب صلى الله عليه وسلم سيرين من حسان بن ثابت وهي ام عبد الرحمن بن حسان و مارية هي
ام ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وماتت مارية في خلافة عمر سنة ست عشرة ودفنت بالبقيع و ريحانة بنت شمعون
من بني قريظة وقيل من بني النضير وهذا قول الاظهر وماتت قبل وفاته عليه السلام مرجعه من حجة الوداع سنة عشر ودفنت
بالبقيع وكان عليه السلام وطيها بملك اليمين وقيل اعتقها وتزوجها ولم يذكر ابن الاثير غيرها و اخرى وهبتها له زينب بنت
جحش الرابعة اصابها في بعض السبي الفصل الرابع في اعمامه وعماته واخوته من الرضاعة وجداته قال صاحب ذخاير
العقبى في مناقب ذوي القربى كان له صلى الله عليه وسلم اثنا عشر عما بنو عبد المطلب ابوه عبد الله ثالث عشرهم الحارث
وابو طالب واسمه عبد مناف والزبير ويكنى ابا الحارث وحمزة وابو لهب واسمه عبد العزى والغيداق والمقوم وضرار
والعباس وقثم وعبد الكعبة وحجل بتقديم الجيم وهو السقا الضخم وقال الدارقطني بتقديم الحاء وهو القيد والخلخال
ويسمى المغيرة وقيل كانوا احد عشر فاسقط المقوم وقيل هو عبد الكعبة وقيل عشرة فاسقط الغيداق وحجلا وقيل
تسعة فاسقط قثم اما حمزة فامه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة ويكنى ابا عمارة وابا يعلى كنيتان له
بابنيه عمارة ويعلى وفي معجم البغوي انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده انه لمكتوب عند الله عز وجل في السما
السابعة حمزة اسد الله واسد رسوله وكان اسلامه في السنة الثانية من المبعث وقيل في السادسة بعد دخوله عليه
السلام دار الارقم وقيل قبل اسلام عمر بثلاثة ايام وشهد بدرا وقتل بها عتبة بن ربيعة مبارزة قاله موسى بن عقبة
وقيل بل قتل شيبة بن ربيعة مبارزة قاله ابن اسحاق واول لواء عقده عليه السلام لاحد من المسلمين كانت لحمزة واول
سرية بعثها وقال عليه الصلاة والسلام خير اعمامي حمزة رواه الحافظ الدمشقي وروى ابن السري مرفوعا سيد
الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب وذكر السلفي عن بريدة في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة قال حمزة بن
عبد المطلب وعن ابن عباس فمنهم من قضى نحبه قال حمزة واستشهد في وقعة احد قتله وحشي وعن سعيد بن
المسيب كان يقول العجب لقاتل حمزة كيف ينجو حتى انه مات غريقا في الخمر رواه الحاكم على شرط الشيخين وقال
ابن هشام بلغني ان وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر يقول لقد علمنا ان الله لم يكن ليدع قاتل
حمزة ولما راى النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] بالكل راي ما مثل به شهق وعن ابي هريرة وقف عليه السلام على
حمزة وقد قتل ومثل به فلم ير منظرا كان اوجع لقلبه منه رواه ابو عمر والملا صاحب الصفوة وعند ابن هشام انه
عليه السلام قال لن اصاب بمثلك ابدا ما وقفت موقفا قط اغيظ لي من هذا وعن ابن شاذان من حديث ابن مسعود
ما راينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا قط اشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته
وانتحب حتى نشغ من البكا يقول يا حمزة يا عم رسول الله واسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات
يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله والنشغ الشهيق حتى يبلغ به الغشي وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى على جنازة كبر
عليها اربعا وكبر على حمزة سبعين تكبيرة رواه البغوي في معجمه وقد روى انس بن مالك ان شهداء احد لم يغسلوا ودفنوا
بدمائهم ولم يصل عليهم خرجه احمد وابو داود فيحمل امر حمزة على التخصيص ومن صلى عليه غيره على انه جرح حال
الحرب ولم يمت حتى انقضت الحرب وكان سن حمزة يوم قتل سبعا وخمسين سنة ودفن هو وابن اخته عبد الله بن جحش
في قبر واحد واما العباس وكنيته ابو الفضل فامه نتلة ويقال نتيلة بنت جناب بن كليب بن النمر بن قاسط
ويقال انها اول عربية كست البيت الحرام الديباج واصناف الكسوة لان العباس ضل وهو صبي فنذرت ان وجدته ان
تكسو البيت وكان العباس جميلا وسيما ابيض له ضفيرتان معتدلا وقيل كان طوالا وولد قبل الفيل بثلاث سنين وكان
اسن من النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين او ثلاث وكان رئيسا في قريش واليه عمارة المسجد الحرام وكان مع النبي صلى الله
عليه وسلم يوم العقبة يعقد له البيعة على الانصار وكان عليه السلام يثق به في امره كله ولما شدوا وثاقه في الاسرى

بدير

بدير سهر عليه السلام تلك الليلة فقيل ما يسهرك يا رسول الله قال انين العباس فقام رجل فارخى من وثاقه
وفعل ذلك بالاسارى كلهم ذكره ابو عمر وصاحب الصفوة وقيل كان يكتم اسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر
فقال صلى الله عليه وسلم من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها فاسره كعب بن عمرو وفادى نفسه ورجع الى
مكة وقيل انه اسلم يوم بدر ثم اقبل الى المدينة مهاجرا فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالابواء وكان
معه في فتح مكة وبه ختمت الهجرة وقال ابو عمر اسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه ويسره ما يفتح الله على المسلمين
واظهر اسلامه يوم فتح مكة وشهد حنينا والطائف وتبوك ويقال ان اسلامه كان قبل بدر وكان يكتب باخبار المشركين الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكتب اليه صلى الله عليه وسلم ان مقامك بمكة خير لك وقال السهمي في الفضايل ان ابا رافع لما بشر النبي صلى الله عليه وسلم
باسلام العباس اعتقه وكان عليه السلام يكرم العباس بعد اسلامه ويعظمه ووصفه عليه السلام فقال اجود الناس
كفا واحناه عليهم رواه الفضايلي وفي معجم البغوي العباس عمي وصنو ابي من آذاه فقد آذاني وفي الترمذي نحوه وقال
حسن صحيح وذكر السهمي في الفضايل ان العباس اتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما راه قام اليه وقبل ما بين عينيه ثم
اقعده عن يمينه ثم قال هذا عمي فمن شاء فليباه بعمه فقال العباس نعم القول يا رسول الله قال ولم لا اقول هذا انت
عمي وصنو ابي وبقية آبائي ووارثي وخير من اخلف من اهلي وقال له عليه السلام يا عم لا ترم منزلك انت وبنوك غدا حتى
آتيك فان لي فيكم حاجة فلما اتاهم اشتمل عليهم بملاءته ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم
من النار كستري اياهم بملاءتي هذه قال فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين آمين رواه ابن غيلان
والسهمي ورواه ابن السري وفيه فما بقي في البيت مدرة ولا باب الا امن ورواه الترمذي من حديث ابن عباس بلفظ
[illegible] ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه في ولده وقال
حسن غريب وعند الباغندي من حديث ابي هريرة اللهم اغفر للعباس ولولد العباس ولمن احبهم وروى البغوي انه عليه
السلام قال يا عباس ان الله عز وجل غير معذبك ولا احد من ولدك وروى السهمي في الفضايل انه عليه السلام قال له لك يا عم من الله الرضا حتى ترضى
وفي المناقب للامام احمد ان العباس قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال انظر
هل ترى في السماء نجما قلت الثريا قال اما انه يلي هذه الامة بعددها من صلبك وروى السهمي من حديث ابن عباس انه
صلى الله عليه وسلم قال له الا ابشرك يا عم قال بلى بابي انت وامي فقال عليه السلام ان من ذريتك الاصفياء ومن عترتك الخلفاء
ومن حديث ابي هريرة فيكم النبوة والمملكة ومن حديث ابن عباس عن ابيه هذا عمي ابو الخلفاء اجود قريش كفا واجملها
وفي حديث ابن عباس انه عليه السلام قال يا ابا بكر هذا
وان من ولده السفاح والمنصور والمهدي وذكر ابن حسان والملا حديثا عن ابن عباس وعن جابر بن عبد الله سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ليكونن في ولده يعني العباس ملوك يكونون امراء امتي يعز الله بهم الدين قال الحافظ ابو الحسن الدارقطني
هذا حديث غريب من حديث عمرو بن دينار عن جابر خرجه للاصبهاني وتوفي العباس رضي الله عنه في خلافة عثمان قبل
مقتله بسنتين بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة وقيل لاربع عشرة خلت من رجب وقيل من رمضان سنة اثنتين وقيل ثلاث
وثلثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل سبع وثمانين سنة ادرك منها في الاسلام اثنين وثلاثين سنة ودفن بالبقيع
ودخل قبره ابنه عبد الله وكان عظيما جليلا وكان يسمى ترجمان القرآن وهو ابو الخلفاء ويروى ان ام الفضل
لما وضعته اتت به النبي صلى الله عليه وسلم فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى وقال اذهبي بابي الخلفاء ورواه ابن
حبان وغيره وقد ملا عقبه الارض حتى قيل انهم بلغوا زمن المامون ستمائة الف واستبعد فالله اعلم وكان العباس
اصغر اعمامه عليه السلام ولم يسلم منهم الا هو وحمزة واسمهما الحارث واما عماته صلى الله عليه وسلم فست بنات

عبد المطلب بن هاشم فجملتهن ست عاتكة واميمة والبيضاء وهي ام حكيم وبرة وصفية واروى ولم يسلم منهن الا صفية ام الزبير بلا خلاف واختلف في اروى وعاتكة فذهب ابو جعفر العقيلي الى اسلامهما وعدّهما في الصحابة وذكر الدارقطني عاتكة في جملة الاخوة والاخوات ولم يذكر اروى واما ابن اسحاق فذكر انه لم يسلم منهن غير صفية فاما صفية فاسلمت باتفاق كما ذكرنا وشهدت الخندق وقتلت رجلا من اليهود وضرب لها عليه الصلاة والسلام بسهم وامها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة شقيقة حمزة والمقوم وحجل وكانت في الجاهلية تحت الحارث بن حرب ابن امية بن عبد شمس ثم هلك فخلف عليها العوام بن خويلد اخو خديجة ام المؤمنين فولدت له الزبير والسائب وعبد الكعبة وتوفيت بالمدينة في خلافة عمر رضي الله عنه سنة عشرين ولها ثلاث وسبعون سنة ودفنت بالبقيع ن

واما عاتكة المختلف في اسلامها فامها فاطمة بنت عمرو بن عائذ فيكون شقيقة عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم وابي طالب والزبير وعبد الكعبة وهي صاحبة الرؤيا في قصة بدر واما اروى المختلف ايضا في اسلامها فامها صفية بنت جندب فهي شقيقة الحارث بن عبد المطلب وكانت تحت عمير بن وهب بن عبد فقصي فولدت له طليبا ثم خلف عليها كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي واسم طليب وكان سببا في اسلام امه كما ذكره الواقدي واما ام حكيم البيضاء فهي شقيقة عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم واما برة فامها فاطمة ايضا وكانت عند ابي رهم بن عبد العزى العامري ثم خلف عليها عبد الاسد بن هلال المخزومي فولدت له ابا سلمة بن عبد الاسد الذي كانت عنده ام سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم واما اميمة فامها ... وكانت تحت جحش بن رئاب فولدت له عبد الله وعبيد الله وابا احمد وزينب وام حبيبة وحمنة اولاد جحش بن رئاب واما جداته عليه الصلاة والسلام من ابيه فام عبد الله ابيه هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وام عبد المطلب سلمى ابنة عمرو من بني النجار وكانت قبل هاشم تحت احيحة بن الجلاح فولدت له ابنا احيحة وهو اخو عبد المطلب لامه وام هاشم هي عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان من بني سليم ن

وام عبد مناف عاتكة بنت فالج بن مليك بن ذكوان من بني سليم وام قصي فاطمة بنت سعد من ازد الشراة وام كلاب نعم بنت سرير بن ثعلبة بن مالك بن كنانة وام مرة وحشية بنت شيبان بن محارب من فهر وام كعب سلمى بنت محارب بن فهر وام لوي وحشية بنت مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة وام غالب سلمى بنت سعد بن هذيل وام فهر جندلة ابنة الحارث الجرهمي وام مالك هند بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان وام النضر برة بنت مر اخت تميم بن مر ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف كما حكاه الطبري عنه وقال فالجدة الاولى مخزومية والثانية نجارية والثالثة سلمية والرابعة سلمية ايضا وقيل خزاعية والخامسة ازدية والسادسة كنانية والسابعة فهرية والثامنة فهرية ايضا او فهرية الخطاء في الاصل بوه والعاشرة هذلية والحادية عشرة جرهمية والثانية عشرة قيسية والثالثة عشرة مرية واما جداته عليه الصلاة والسلام من امه فام آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب وام ابيها وهب عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان من بني سليم ذكره ابن قتيبة وقال ابو عمر ويعرف ابو هالة بابي كبشة الذي كان ينسب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال ابن ابي كبشة ونسب اليه لانه كان يعبد الشعرى ولم يكن احد من العرب يعبدها غيره فلما جاء عليه السلام بخلاف ما كانت عليه العرب قالوا هذا ابن ابي كبشة ولم يقصدوا ذمه عليه السلام بذلك وقيل بل نسب الى وهب ابي امه كان يدعى بها وقيل كان يدعى بها ابوه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى زوج حليمة فنسب اليه ولم برة هام جيب قاله ابن قتيبة وقال ابو سعيد ام سفيان بنت اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة وام ام حبيب

هي برة بنت عوف بن عبيد بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب وام برة قلابة بنت الحارث بن صعصعة بنت عوف بن عبيد ... وام قلابة هند بنت يربوع من ثقيف قاله ابن قتيبة وقال ابن سعد انها بنت مالك ابن عابد بن لحيان من هذيل والاولى والثانية والثالثة من امهات امه عليه السلام قرشيات وام ابي امه ابن عثمان من بني لحيان فالجدة سلمية والرابعة لحيانية هذلية والخامسة ثقفية ففي كل قبيلة من قبائل العرب له عليه السلام علقة نسب

واما اخوته عليه الصلوة والسلام من الرضاعة فحمزة ابو سلمة بن عبد الاسد ارضعتهما معه صلى الله عليه وسلم ثويبة جارية ابي لهب بلبن ابنها مسروح بن ثويبة وابو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ارضعته ورسول الله صلى الله عليه وسلم حليمة السعدية وعبد الله وانيسة وحذافة وتعرف بالشيما الثلاثة اولاد حليمة وقد روي ان خيلا له عليه السلام السعدية اغارت على هوازن فاخذوها في جملة السبي فقالت انا اخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا محمد انا اختك فرحب بها وبسط لها رداءه واجلسها عليه ودمعت عيناه وقال عليه السلام ان احببت فاقيمي عندي مكرمة محببة وان احببت ان ترجعي الى قومك وصلتك قالت بل ارجع الى قومي فاسلمت واعطاها صلى الله عليه وسلم ثلاثة اعبد وجارية ونعما وشاء ذكره ابو عمر وابن قتيبة واما امه من الرضاعة فحليمة بنت ابي ذؤيب من هوازن وهي التي ارضعته حتى اكملت رضاعه وجاءته عليه السلام يوم حنين فقام اليها وبسط رداءه لها فجلست عليه وكذا ثويبة جارية ابي لهب ايضا واختلف في اسلامها كما اختلف في اسلام حليمة وزوجها فالله اعلم وكانت ثويبة تدخل عليه صلى الله عليه وسلم بعد ان تزوج خديجة فكانت تكرمها واعتقها ابو لهب وكان عليه السلام يبعث اليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر ذكره ابو عمر وكانت حاضنته عليه السلام ام ايمن بركة بنت ثعلبة ابن حصن بن مالك غلبت عليها كنيتها وكنيت باسم ابنها ايمن الحبشي وهي ام اسامة بن زيد تزوجها زيد بعد عبيد فولدت له اسامة ويقال انها مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجرت الهجرتين الى ارض الحبشة والى المدينة وكانت لعبد الله بن عبد المطلب فورثها النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يقول ام ايمن امي بعد امي وكانت الشيماء بنت حليمة السعدية تحضنه وقيل كانت امه عليه السلام ايضا مع امها حليمة السعدية

واما خدمه عليه السلام ومواليه ومن كان على نفقاته وخاتمه ونعله وسواكه ومن يأذن عليه ومن كان يضرب الاعناق بين يديه فمنهم انس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الانصاري الخزرجي يكنى ابا حمزة خدم النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين او عشر سنين ودعا له صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكثر ماله وولده وادخله الجنة وقال ابو هريرة ما رايت احدا اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم منه وتوفي في سنة ثلاث وتسعين وقيل سنة اثنتين وقيل سنة احدى وتسعين وقد جاوز المائة ومنهم ربيعة بن كعب الاسلمي صاحب وضوئه توفي سنة ثلاث وستين ومنهم ايمن ابن ام ايمن صاحب مطهرته عليه السلام استشهد يوم حنين ومنهم عبد الله ابن مسعود بن غافل بالمعجمة والفاء بن حبيب الهذلي احد السابقين الاولين شهد بدرا والمشاهد وكان صاحب الوسادة والسواك والنعلين والطهور كان يلي ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم وكان اذا قام النبي صلى الله عليه وسلم البسه نعليه واذا جلس جعلهما في ذراعه حتى يقوم وتوفي بالمدينة وقيل بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين وقيل سنة ثلاث ومنهم عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهني وكان صاحب بغلته يقود به عليه السلام في الاسفار روينا عنه انه قال بينا اقود برسول الله صلى الله عليه وسلم في نقب من تلك النقاب اذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب يا عقبة قال فاجللت رسول الله ان اركب مركبه ثم اشفقت ان يكون معصية قال فركبت هنيهة ثم نزلت ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم وقدت فقال لي يا عقبة الا اعلمك من خير سورتين قرأ بهما الناس فقلت بلى بابي انت وامي يا رسول الله فقال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس الحديث رواه وكانت عقبة عالما بكتاب الله وبالفرائض فصيحا شاعرا مفوها ولي مصر لمعاوية سنة اربع واربعين ثم صرفه بمسلمة بن مخلد وتوفي بها سنة ثمان وخمسين ومنهم اسلع بن شريك صاحب راحلته ومنهم سعد مولى ابي بكر وقيل سعيد ولم يثبت روى عنه ابن ماجه ومنهم ابو

ذر جندب بن جنادة الغفاري اسلم قديما وتوفي بالربذة سنة احدى وثلثين وصلى عليه عبد الله بن مسعود ثم مات بعده
في ذلك اليوم قاله ابن الاثير في معرفة الصحابة وفي التقريب للحافظ ابن حجر سنة اثنتين وثلثين ومنهم مهاجر مولى ام سلمة
ومنهم حنين والد عبد الله مولى ابن عباس كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ثم وهبه لعمه العباس ومنهم نعيم ابن ربيعة الاسلمي
ومنهم ابو الحمراء مولاه صلى الله عليه وسلم وخادمه واسمه هلال بن الحرث وابن ظفر نزل حمص توفي بها
ومنهم ابو السمح خادمه عليه السلام واسمه اياد … ومن النساء بركة ام ايمن الحبشية وهي والدة
اسامة بن زيد ماتت في خلافة عثمان رضي الله عنه وخولة جدة حفص … وسلمى ام رافع زوج ابي رافع وميمونة
بنت سعد وام عياش … مولاة رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكان يضرب الاعناق بين يديه علي
ابن ابي طالب والزبير بن العوام والمقداد بن عمرو ومحمد بن مسلمة وعاصم بن ثابت بن ابي الاقلح والضحاك بن سفيان وكان قيس
ابن سعد بن عبادة بين يديه عليه السلام بمنزلة صاحب الشرطة وكان بلال على نفقاته ومعيقيب ابن ابي فاطمة الدوسي على
خاتمه وابن مسعود على سواكه ونعله كما تقدم وابو رافع واسمه اسلم وقيل غير ذلك على ثقله واذن عليه في
المشربة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه رباح النوبي واما حرسه فمنهم سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس سيد الاوس
اسلم بين العقبتين على يدي مصعب بن عمير وشهد بدرا واصيب في الخندق فرمى فيه بسهم عاش شهرا ثم انتقض جرحه فمات حرس النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين نام في العريش ومنهم محمد بن مسلمة الانصاري حرسه يوم احد ومنهم الزبير بن العوام
حرسه يوم الخندق ومنهم بلال اسلم قديما وعذب في الله وسكن الشام اخيرا ولا عقب له وتاتي وفاته ان شاء الله تعالى
وكان يحرس النبي صلى الله عليه وسلم بوادي القرى وكان ابو بكر الصديق يوم بدر في العريش شاهرا سيفه على راسه صلى
الله عليه وسلم لئلا يصل اليه احد من المشركين رواه ابن السماك في الموافقة ووقف المغيرة بن شعبة على راسه بالسيف
يوم الحديبية وكان يحرسه عليه السلام ايضا عباد بن بشر فلما نزل والله يعصمك من الناس ترك ذلك واما مواليه صلى الله عليه وسلم
فمنهم اسامة ابو زيد بن حارثة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقه وزوجه مولاته ام ايمن واسمها بركة فولدت
له اسامة وكان زيد قد اسر في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فاستوهبه النبي صلى الله عليه وسلم منها وذكر
قصته محمد بن اسحاق في السيرة وان اباه وعمه اتيا مكة فوجداه فطلبا ان يفدياه فخيره النبي صلى الله عليه وسلم بين ان يدفعه لهما
او يبقى عنده فاختار ان يبقى عنده عليه السلام وفي رواية الترمذي قال يا رسول الله لا اختار عليك احدا ابدا واستشهد
زيد في غزوة مؤتة ومات ابنه اسامة بالمدينة او بوادي القرى سنة اربع وخمسين ومنهم ثوبان لازم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة اربع وخمسين وابو كبشة اوس ويقال سليم من مولدي مكة وشهد
بدرا وشقران بفتح الشين المعجمة وسكون القاف واسمه صالح الحبشي ويقال فارسي شهد بدرا وهو مملوك ثم عتق
قاله الحافظ ابن حجر قال الظاهر انه مات في خلافة عثمان ورباح وهو بفتح الراء والموحدة الاسود وكان ياذن عليه احيانا
اذا انفرد وهو الذي اذن لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في المشربة كما تقدم ويسار الراعي وهو الذي قتله العرنيون
وزيد وهو ابو يسار وليس زيد بن حارثة والد اسامة ذكره ابن الاثير ومدعم بكسر الميم وفتح العين المهملة عبد اسود
كان لرفاعة بن زيد الضبيبي بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة الاولى فاهداه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو رافع
واسمه اسلم القبطي وكان للعباس فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم فلما بشر النبي صلى الله عليه وسلم باسلام العباس اعتقه توفي
قبل قتل عثمان رضي الله عنه بيسير ورفاعة بن زيد الجذامي وسفينة واختلف في اسمه فقيل طهمان وقيل كيسان
وقيل مهران وقيل غير ذلك وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة لانهم كانوا حملوه شيئا كثيرا في السفر وابو …
القبطي وواقد ابو واقد وانجشة الحادي وياتي ذكره في حداته عليه السلام ان شاء الله تعالى وسلمان الفارسي ابو
عبد الله ويقال له سلمان الخير اصله من اصبهان وقيل من رامهرمز اول مشاهده الخندق ومات سنة اربع وثلثين ويقال

بلغ

بلغ ثلثماية سنة وشمعون ابن زيد ابو ريحانة قال ابن عبد البر حليف الانصار ويقال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
شهد فتح دمشق وقدم مصر وسكن بيت المقدس وابو بكرة نفيع ومن النساء ام ايمن الحبشية وسلمى ام رافع زوج
ابي رافع ومارية وريحانة وقيصر اخت مارية وغير ذلك قال ابن الجوزي مواليه ثلاثة واربعون واماؤه احدى عشرة
الفصل السادس في امرائه ورسله وكتابه وكتبه الى اهل الاسلام في الشرائع والاحكام ومكاتباته الى الملوك
وغيرهم من الانام اما كتابه فالخلفاء الاربعة ابو بكر الصديق وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة وفي الاسلام عبد
الله وسمي بالصديق لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله صدقه ويلقب عتيقا لجماله او لانه ليس في نسبه
ما يعاب به وقيل لانه عتيق من النار ولي الخلافة سنتين ونصفا وسنه سن المصطفى عليه السلام وتوفي مسموما واسلم
ابو قحافة يوم الفتح وتوفي في خلافة عمر واسلمت امه ام الخير سلمى بنت صخر قديما في دار الارقم وعمر بن الخطاب ابن
نفيل ابن عبد العزى استخلفه ابو بكر فاقام عشر سنين وستة اشهر واربع ليال وقتله ابو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة
ابن شعبة وعثمان ابن عفان ابن ابي العاص ابن امية وكانت خلافته احدى عشرة سنة واحد عشر او ثلاثة عشر يوما ثم
قتل يوم الدار شهيدا وروي عن عايشة فيما ذكره الطبري في فضائله من كتاب الرياض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسند ظهره الي وان جبريل ليوحي اليه القران وانه ليقول له اكتب يا عثيم رواه احمد وروى السهمي عن جعفر بن محمد
عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن ابي طالب واقام في الخلافة اربع سنين وتسعة اشهر وثمانية
ايام وتوفي شهيدا على يد عبد الرحمن بن ملجم واختص علي بكتابة الصلح يوم الحديبية وطلحة بن عبيد الله احد العشرة
استشهد يوم الجمل سنة ست وثلثين وهو ابن ثلث وستين والزبير بن العوام ابن خويلد احد العشرة ايضا قتل سنة ست وثلثين
يوم الجمل وسعد بن ابي وقاص وعامر بن فهيرة وعبد الله بن الارقم مات في خلافة عثمان وولاه عمر بيت المال وابي بن كعب
بضم الهمزة وفتح الموحدة من سادات الانصار كان يكتب الوحي له صلى الله عليه وسلم واحد الستة الذين حفظوا القران على عهده
صلى الله عليه وسلم واحد الفقهاء الذين كانوا يفتون على عهده عليه السلام توفي بالمدينة سنة تسع عشرة وقيل سنة عشرين
وقيل غير ذلك وهو الذي كتب الكتاب الى ملكي عمان جيفر وعبد ابني الجلندى كما سياتي ان شاء الله تعالى وثابت بن قيس بن شماس
استشهد باليمامة وهو الذي كتب كتاب نقض بن حارثة العليمي كما سياتي ان شاء الله تعالى وحنظلة ابن الربيع الاسيدي
الذي غسلته الملائكة حين استشهد وابو سفيان صخر بن حرب وابنه معاوية ولي لعمر بن الخطاب الشام واقره
عثمان قال ابن اسحق وكان اميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة وروينا في مسند الامام احمد من حديث العرباض ابن سارية
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب وهو مشهور بكتابة
الوحي ومات في رجب سنة ستين وقد قارب الثمانين واخوه يزيد ابن ابي سفيان بن حرب امره عمر على دمشق حتى مات
بها سنة ثماني عشرة بالطاعون وزيد بن ثابت ابن الضحاك الانصاري النجاري مشهور بكتابة الوحي مات سنة خمس او ثمان
واربعين وقيل بعد الخمسين وكان احد فقهاء الصحابة واحد من جمع القران في خلافة ابي بكر ونقله في المصحف في خلافة
عثمان وشرحبيل بن حسنة وهي امه والعلاء ابن الحضرمي وخالد بن الوليد ابن المغيرة المخزومي سيف الله اسلم بين الحديبية
والفتح مات سنة احدى او اثنتين وعشرين وعمرو بن العاص بن وائل السهمي اسلم عام الحديبية وولي امرة مصر
وهو الذي فتحها ومات بها سنة نيف واربعين وقيل بعد الخمسين والمغيرة ابن شعبة الثقفي اسلم قبل الحديبية وولي
امرة البصرة ثم الكوفة مات سنة خمسين على الصحيح وعبد الله بن رواحة الخزرجي الانصاري احد السابقين شهد بدرا
واستشهد بموتة ومعيقيب بالقاف واخره موحدة مصغرا ابن ابي فاطمة الدوسي من السابقين الاولين وشهد المشاهد
مات في خلافة عثمان او علي وحذيفة ابن اليمان من السابقين صح في مسلم انه صلى الله عليه وسلم اعلمه بما كان وما يكون الى ان
تقوم الساعة وابوه صحابي استشهد باحد ومات حذيفة في اول خلافة علي سنة ست وثلثين وحويطب ابن عبد

العزى العامري اسلم يوم الفتح عاش مائة وعشرين سنة ومات سنة اربع وخمسين وكان معاوية وزيد بن ثابت الزمهم لذلك واخصهم به كما قاله الحافظ الشرف الدمياطي وغيره وتبعته عليه قال الحافظ ابن حجر وقد كتب له قبل زيد بن ثابت ابي ابن كعب وهو اول من كتب له بالمدينة واول من كتب له بمكة من قريش عبد الله بن سعد ابن ابي سرح ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام يوم الفتح وممن كتب له من اجلة الخلفا الاربعة وابان وخالد ابنا سعيد ابن العاص ابن امية وقد كتب صلى الله عليه وسلم الى الملوك والى الاسلام كتبا في الشرايع والاحكام منها كتابه في الصدقات الذي كان عند ابي بكر لانس لما وجهه الى البحرين ولفظه كما عند البخاري وابي داود والنساي بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين والتي امر الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم فمن سيلها من المسلمين على وجهها فليعطها ومن سيل فوقها فلا يعطه في اربعة وعشرين من الابل فما دونها من الغنم في كل خمس شاة فاذا بلغت خمسا وعشرين الى خمس وثلثين ففيها بنت مخاض انثى فان لم تكن ابنة مخاض فابن لبون فاذا بلغت ستا وثلثين الى خمس واربعين ففيها بنت لبون انثى فاذا بلغت ستا واربعين ففيها حقة طروقة الجمل فاذا بلغت واحدة وستين الى خمس وسبعين ففيها جذعة فاذا بلغت ستا وسبعين الى تسعين ففيها بنتا لبون فاذا بلغت احدى وتسعين الى عشرين ومائة ففيها حقتان طروقتا الجمل فاذا زادت على عشرين ومائة ففي كل اربعين ابنة لبون وفي كل خمسين حقة ومن لم يكن معه الا اربع من الابل فليس فيها صدقة الا ان يشا ربها فاذا بلغت خمسا من الابل ففيها شاة وصدقة الغنم في سايمتها فاذا بلغت اربعين الى عشرين ومائة شاة شاة فان زادت على عشرين ومائة الى مائتين ففيها شاتان فاذا زادت على مائتين الى ثلث مائة ففيها ثلث شياه فان زادت على ثلثمائة ففي كل مائة شاة فاذا كانت سايمة الرجل ناقصة من اربعين شاة واحدة فليس فيها صدقة الا ان يشا ربها ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة وما كان من خليطين فانهما يتراجعان بينهما بالسوية ولا يخرج في الصدقة هرمة ولا ذات عوار ولا تيس الا ان يشا المصدق وفي الرقة ربع العشر فان لم يكن الا تسعين ومائة فليس فيها صدقة الا ان يشا ربها ومن بلغت عنده من الابل صدقة الجذعة وليست عنده جذعة وعنده حقة فانها تقبل منه الحقة ويجعل معها شاتين ان استيسرتا له او عشرين درهما ومن بلغت عنده صدقة الحقة وليست عنده وعنده الجذعة فانها تقبل منه الجذعة ويعطيه المصدق عشرين درهما او شاتين ومن بلغت عنده صدقة الحقة وليست عنده الا ابنة لبون فانها تقبل منه بنت لبون ويعطي شاتين او عشرين درهما ومن بلغت صدقته بنت لبون وعنده حقة فانها تقبل منه الحقة ويعطيه المصدق عشرين درهما او شاتين ومن بلغت عنده صدقة بنت لبون وليست عنده وعنده بنت مخاض فانها تقبل منه بنت المخاض ويعطي معها عشرين درهما او شاتين ومن بلغت صدقته بنت مخاض وليست عنده وعنده بنت لبون فانها تقبل منه بنت لبون ويعطيه المصدق عشرين درهما او شاتين فان لم يكن عنده بنت مخاض على وجهها وعنده ابن لبون فانه يقبل منه وليس معه شي قوله وفي الرقة اي الدراهم المضروبة واصلها ورق فعوض من الواو المحذوفة من الورق قاله ابن الاثير في الجامع وقال في فتح الباري هي بكسر الراء وتخفيف القاف الفضة الخالصة سوا كانت مضروبة او غير مضروبة

ومنها كتابه الذي كان عند عمر بن الخطاب

رضي الله عنه في نصب الزكاة وغيرها كما رواه ابو داود والترمذي عن سالم عن ابيه كتب صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقة ولم يخرجه الى عماله حتى قبض فعمل به ابو بكر حتى قبض ثم عمل به عمر حتى قبض وكان فيه في خمس من الابل شاة وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة ثلاث شياه وفي عشرين اربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض الى خمس وثلثين فان زادت واحدة ففيها حقة الى ستين فان زادت واحدة ففيها جذعة الى خمس وسبعين فان زادت واحدة ففيها ابنتا لبون الى تسعين فاذا زادت واحدة ففيها حقتان الى عشرين ومائة فاذا كانت الابل اكثر من

ذكر

ذلك ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين ابنة لبون وفي الغنم في كل اربعين شاة شاة الى عشرين ومائة فاذا زادت واحدة فشاتان الى مائتين فاذا زادت على المائتين ففيها ثلث شياه الى ثلثمائة فان كانت الغنم اكثر من ذلك ففي كل مائة شاة شاة ثم ليس فيها شي حتى تبلغ المائة ولا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق مخافة الصدقة وما كان من خليطين فانهما يتراجعان بالسوية ولا يوخذ في الصدقة هرمة ولا ذات عيب قال ابن الاثير في النهاية والخليط يريد به الشريك الذي يخلط ماله بمال شريكه والتراجع بينهما هو ان يكون لاحدهما مثلا اربعون بقرة وللاخر ثلاثون بقرة ومالهما مختلط فياخذ الساعي عن الاربعين مسنة وعن الثلاثين تبيعا فيرجع باذل المسنة بثلثة اسباعها على شريكه وباذل التبيع باربعة اسباعه على شريكه لان كل واحد من السنين واجب على الشيوع كان المال ملك واحد انتهى وقال في فتح الباري واختلف في المراد بالخليط فعند ابي حنيفة انه الشريك واعترض عليه بان الشريك لا يعرف عين ماله وقد قال انهما يتراجعان بينهما بالسوية ومما يدل على ان الخليط لا يستلزم ان يكون شريكا قوله تعالى وان كثيرا من الخلطا وقد بينه قبل ذلك بقوله ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة واعتذر بعضهم عن الحنفية بانهم لم يبلغهم هذا الحديث او راوا ان الاصل قوله ليس فيما دون خمس ذود صدقة وحكم الخلطة تغاير هذا الاصل فلم يقولوا به وقال ابو حنيفة لا يجب على احد منهم فيما يملك الا مثل الذي كان يجب عليه لو لم يكن خلط وقال سفيان الثوري لا يجب حتى يتم لهذا اربعون ولهذا اربعون وقال الشافعي واحمد واصحاب الحديث اذا بلغت ماشيتهما النصاب زكيا والخلطة عندهم ان يجتمعا في المسرح والمبيت والحوض والفحل والشركة اخص منها انتهى ومنها

كتابه عليه السلام الى اهل اليمن

وهو كتاب جليل فيه من انواع الفقه من الزكاة والديات والاحكام وذكر الكباير والطلاق والعتاق واحكام الصلاة في الثوب الواحد والاحتباء فيه ومس المصحف وغير ذلك واحتج الفقها كلهم بما فيه من مقادير الديات ورواه النسائي وقال قد روى هذا الحديث يونس عن الزهري مرسلا وابو حاتم بن حبان وغيرهما متصلا عن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن وكان في كتابه ان من اعتبط مومنا قتلا عن بينة فانه قود الا ان يرضى اوليا المقتول وفيه ان الرجل يقتل بالمراة وفيه في النفس الدية مائة من الابل وعلى اهل الذهب الف دينار وفي الانف اذا اوعب جدعه الدية مائة من الابل وفي الاسنان الدية وفي الشفتين الدية وفي البيضتين الدية وفي الذكر الدية وفي الصلب الدية وفي العينين الدية وفي الرجل الواحدة نصف الدية وفي المامومة ثلث الدية وفي الجايفة ثلث الدية وفي المنقلة خمس عشرة من الابل وفي كل اصبع من اصابع اليد والرجل عشر من الابل وفي السن خمس من الابل وفي رواية مالك وفي العين خمسون وفي اليد خمسون وفي الرجل خمسون وفي الموضحة خمس من الابل ومنها كتابه الى بني زهير واما مكاتباته عليه السلام الى الملوك وغيرهم فروي انه لما رجع عليه السلام من الحديبية كتب الى الروم فقيل له انهم لا يقرون كتابا الا ان يكون مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه ثلاثة اسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر وختم به الكتب وانما كانوا لا يقرون الكتاب الا مختوما خوفا من كشف اسرارهم وللاشعار بان الاحوال المعروضة عليهم ينبغي ان تكون مما لا يطلع عليها غيرهم وعن انس ان ختم كتاب السلطان والقضاة سنة متبعة وقال بعضهم هو سنة لفعله صلى الله عليه وسلم فكتب الى هرقل بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يوتك الله اجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون رواه البخاري وكان عليه السلام ارسل هذا الكتاب مع دحية ابن خليفة الكلبي الى هرقل في اثر سنة ست بعد ان رجع من الحديبية كما قاله الواقدي

ووقع في تاريخ خليفة ان ارساله كان سنة خمس وهلا ولا اثبت بل هذا غلط لتصريح ابي سفيان بان ذلك كان في مدة صلح
الحديبية كما في حديث البخاري في المدة التي كان عليه السلام ماد فيها ابا سفيان وكفار قريش يعني مدة صلح الحديبية وكانت
سنة ست اتفاقا وانما لم يقل صلى الله عليه وسلم الى هرقل ملك الروم لانه معزول بحكم الاسلام ولم يخله من الاكرام لمصلحة
التاليف قوله يوتك الله اجرك مرتين اي لكونه مومنا بنبيه ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم قوله فان عليك اثم الاريسيين اي
فان عليك مع اثمك اثم الاتباع بسبب انهم اتبعوك على استمرار الكفر وقيل انه عليه السلام كتب هذه الآية يعني يا اهل الكتاب قبل
نزولها فوافق لفظه لفظها لما نزلت لان هذه الآية نزلت في قصة وفد نجران وكانت قصتهم سنة الوفود سنة تسع وقصة ابي سفيان هذه كانت قبل ذلك سنة ست وقيل نزلت في اليهود وجوز بعضهم نزولها مرتين وهو بعيد
والله اعلم وكتب صلى الله عليه وسلم الى كسرى بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام
على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ادعوك
بداعية الله فاني رسول الله الى الناس كلهم لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم فان توليت فعليك
اثم المجوس فلما قرئ عليه الكتاب مزقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مزق ملكه وفي البخاري من
حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه الى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي فامره ان
يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى فلما قرأه مزقه فحسبت ان ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يمزقوا كل ممزق وقيل بعثه مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي في البخاري هو الصحيح وفي كتاب
الاموال لابي عبيد من مرسل عمر بن اسحاق قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر فاما كسرى فلما قرأ
الكتاب مزقه واما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هولاء فيمزقون واما
هولاء فسيكون لهم بقية وروي انه لما جاءه جواب كسرى قال مزق ملكهم ولما جاء جواب هرقل قال ثبت ملكهم
وذكر في فتح الباري عن سيف الدين فليج المنصوري انه قدم على ملك الغرب بهدية من الملك المنصور قلاوون فارسله ملك الغرب
الى ملك الفرنج في شفاعة وانه قبله واكرمه وقال لاتحفنك بتحفة سنية فاخرج له صندوقا مصفحا بذهب فاخرج منها كتابا
قد زالت اكثر حروفه وقد الصقت عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر ما زلنا نتوارثه الى الآن واوصانا اباؤنا
عن آبائهم الى قيصر انه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى
ليدوم الملك فينا انتهى وكتب صلى الله عليه وسلم الى النجاشي بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك
الحبشة اما بعد فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن واشهد ان عيسى ابن مريم روح
الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني ادعوك الى
الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتومن بالذي جاءني فاني رسول الله واني ادعوك وجنودك الى الله
تعالى وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى وبعث الكتاب مع عمرو بن امية الضمري فقال
النجاشي اشهد بالله انه النبي الامي الذي ينتظره اهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل ثم كتب
النجاشي جواب الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله من النجاشي اصحمة سلام عليك يا رسول
الله ورحمة الله وبركاته الله الذي لا اله الا هو اما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من امر عيسى فورب
السماء والارض ان عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفروقا انه كما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به الينا فاشهد انك رسول الله صادقا
وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين انتهى والثفروق علاقة ما بين النواة والقشر وقد وهم
من قال ان هذا النجاشي الذي صلى الله عليه وسلم وقد غلط راويه فانهما اثنان وقد جاء ذلك مبينا في صحيح مسلم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى النجاشي وليس بالذي صلى عليه وكتب عليه الصلاة والسلام الى المقوقس ملك مصر

والاسكندرية بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى
اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يوتك الله اجرك مرتين فان توليت فعليك اثم القبط يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون وبعث به مع حاطب ابن ابي بلتعة فلما دخل عليه قال له انه كان قبلك رجل
يزعم انه الرب الاعلى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك فقال
ان لنا دينا لن ندعه الا لما هو خير منه فقال حاطب ندعوك الى دين الله وهو الاسلام الكافي به الله ما سواه ان هذا
النبي دعا الناس فكان اشدهم عليه قريش واعداهم له اليهود واقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى
الا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك اهل التوراة الى الانجيل وكل نبي
ادرك قوما فهم من امته فالحق عليهم ان يطيعوه فانت ممن ادركه هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نامرك
به فقال المقوقس اني قد نظرت في هذا النبي فوجدته لا يامر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم اجده بالساحر
الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخبء والاخبار بالنجوى وسانظر واخذ كتاب النبي صلى
الله عليه وسلم فجعله في حق من عاج ودفعه لجارية له ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم
بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط اما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو
اليه وقد علمت ان نبيا بقي وكنت اظن انه يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان
من القبط عظيم وبكسوة واهديت لك بغلة لتركبها والسلام ولم يزد على هذا ولم يسلم وكتب عليه السلام الى المنذر بن
ساوى ذكر الواقدي باسناده عن عكرمة قال وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد موته فنسخته فاذا فيه
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء ابن الحضرمي الى المنذر بن ساوى وكتب اليه كتابا يدعوه فيه الى الاسلام
وكتب المنذر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد يا رسول الله فاني قرأت كتابك على اهل البحرين فمنهم من احب
الاسلام واعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبارضي يهود ومجوس فاحدث الي في ذلك امرك فكتب اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فاني احمد
اليك الله الذي لا اله الا الله واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله اما بعد فاني اذكرك الله عز وجل فانه
من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلي ويتبع امرهم فقد اطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد
اثنوا عليك خيرا واني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت عن اهل الذنوب فاقبل منهم
وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن اقام على يهوديته او مجوسيته فعليه الجزية وكتب صلى الله عليه وسلم الى ملك
عمان وبعثه مع عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى جيفر وعبد ابني الجلندى السلام على من
اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوكما بدعاية الاسلام اسلما تسلما فاني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان
حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان اقررتما بالاسلام وليتكما وان ابيتما ان تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلي
تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما وكتب ابي بن كعب وختم الكتاب قال عمرو فخرجت حتى انتهيت الى عمان فلما قدمتها
عمدت الى عبد وكان احلم الرجلين واسهلهما خلقا فقلت اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى اخيك فقال اخي المقدم
علي بالسن والملك وانا اوصلك اليه حتى يقرأ كتابك ثم قال وما تدعو اليه قلت ادعوك الى الله وحده لا شريك له
وتخلع ما عبد من دونه وتشهد ان محمدا عبده ورسوله قال يا عمرو انك ابن سيد قومك فكيف صنع ابوك فان لنا فيه
قدوة قلت مات ولم يومن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت انه كان اسلم وصدق به وقد كنت على مثل رايه حتى هداني
الله للاسلام قال فمتى تبعته قلت قريبا فسالني اين كان اسلامك فقلت عند النجاشي واخبرته ان النجاشي قد اسلم

قال فكيف صنع قومه بملكه قلت أقروه واتبعوه قال والأساقفة والرهبان قلت نعم قال انظر يا عمرو ما تقول
انه ليس من خصلة في رجل افضح له من كذب قلت ما كذبت وما نستحله في ديننا ثم قال فاخبرني ما الذي يأمر به
وينهى عنه قلت بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن
الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الوثن والصليب قال ما احسن هذا الذي يدعو اليه لو كان اخي يتابعني لركبنا حتى
نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن اخي اضن بملكه من ان يدعه ويصير ذنبا قلت انه ان اسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على قومه فاخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقرائهم قال ان هذا لخلق حسن وما الصدقة فاخبرته بما فرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الصدقات في الاموال حتى انتهيت الى الابل فقال يا عمرو ويؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر
وترد المياه فقلت نعم فقال والله ما ارى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا قال فمكثت
ببابه اياما وهو يصل الى اخيه فيخبره كل خبري ثم انه دعاني يوما فدخلت عليه فاخذ اعوانه بضبعي فقال
دعوه فارسلت فذهبت لاجلس فابوا ان يدعوني فنظرت فقال تكلم بحاجتك فدفعت اليه الكتاب مختوما
ففض خاتمه وقرأه حتى انتهى الى اخره ثم دفعه الى اخيه فقرأه مثل قراءته الا اني رأيت اخاه ارق منه فقال الا
تخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت تبعوه اما راغب في الدين واما مقهور بالسيف قال ومن معه قلت
الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله انهم كانوا في ضلال فما اعلم
احدا بقي غيرك في هذه الحرجة وان لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل فاسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك
الخيل والرجال قال دعني يومي هذا وارجع الي غدا فرجعت الى اخيه فقال يا عمرو اني لارجو ان يسلم ان لم يضن بملكه حتى
اذا كان الغد اتيت اليه فابى ان يأذن لي فانصرفت الى اخيه فاخبرته اني لم اصل اليه فاوصلني اليه فقال اني فكرت فيما
دعوتني اليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي وهو لا تبلغ خيله ههنا وان بلغت خيله الفت قتالا ليس
كقتال من لاقى قلت وانا خارج غدا فلما ايقن بمخرجي خلا به اخوه فاصبح فارسل الي فاجاب الى الاسلام هو
واخوه جميعا وصدقا النبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي عونا على من خالفني
وكتب صلى الله عليه وسلم الى صاحب اليمامة هوذة بن علي وارسله مع سليط بن عمرو العامري بسم الله الرحمن
الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدى واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر
فاسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوما انزله
وحباه واقرأه عليه الكتاب فرد ردا دون رد وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم ما احسن ما تدعو اليه
واجمله والعرب تهاب مكاني فاجعل الي بعض الامر اتبعك واجاز سليطا بجائزة وكساه اثوابا من نسج هجر فقدم
بذلك كله على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم كتابه وقال لو سألني سيابة من الارض
ما فعلت باد وباد ما في يده فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بان هوذة مات
فقال صلى الله عليه وسلم اما ان اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ يقتل بعدي فكان كذلك وكتب صلى الله عليه
وسلم الى الحارث بن ابي شمر وكان بدمشق بغوطتها بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله
الى الحارث بن ابي شمر سلام على من اتبع الهدى وامن بالله وصدق واني ادعوك الى ان تؤمن بالله وحده لا
شريك له يبقى لك ملكك وارسله مع شجاع بن وهب وكتب صلى الله عليه وسلم ليحنة بن روبة صاحب ايلة لما
اتاه بتبوك وصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاه الجزية بسم الله الرحمن الرحيم هذه امنة من الله
ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن روبة واهل ايلة اساقفهم وسايرهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبي ومن
كان معه من اهل الشام واهل اليمن واهل البحر فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب

لمن

لمن اخذه من الناس وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يريدونه ولا طريقا يريدونه من بر او بحر هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل
ابن حسنة باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب صلى الله عليه وسلم لاهل جربا واذرح لما اتوه بتبوك ايضا واعطوا
الجزية بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل اذرح انهم آمنون
بامان الله وامان محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل عليهم بالنصح والاحسان
الى المسلمين ومن لجأ اليهم من المسلمين من المخافة وعن حسين بن عبد الله بن ضميرة عن ابيه عن جده ضميرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مر بام ضميرة وهي تبكي فقال ما يبكيك اجائعة انت ام عارية فقالت يا رسول الله فرق بيني
وبين ابني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفرق بين الوالدة وولدها ثم ارسل الى الذي عنده ضميرة فدعا
فابتاعه منه ببكر قال ابن ابي ذيب ثم اقرأني وانا عنده بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله
لابي ضميرة واهل بيته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقهم وانهم اهل بيت من العرب ان احبوا اقاموا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم وان احبوا رجعوا الى قومهم فلا يعرض لهم الا بحق ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم
خيرا وكتب ابي بن كعب وكتب عليه السلام الى اهل وج سيأتي في وفد ثقيف من الفصل العاشر في هذا
المقصد ان شاء الله تعالى وكذا كتابه عليه السلام الى مسيلمة الكذاب في وفد بني حنيفة وكتب عليه السلام لاكيدر ولاهل
دومة الجندل لما صالحه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لاكيدر ولاهل دومة ان لنا الضاحية
من الضحل والبور والمعامي واغفال الارض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور
لا تعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذلك
عهد الله والميثاق ولكم به الصدق والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين الضاحي البارز والضحل الماء
القليل والبور الارض تستخرج والمعامي اغفال الارض والحصن دومة الجندل والضامنة النخل الذي معهم في
الحصن والمعين الظاهر من الماء الدائم وباع صلى الله عليه وسلم للعداء عبدا وكتب بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما اشترى العداء بن خالد بن هوذة من محمد رسول الله اشترى منه عبدا او امة شك لا داء ولا غائلة ولا خبثة بيع
المسلم المسلم رواه ابو داود والدارقطني والغائلة الاباق والسرقة والزنا والخبثة قال ابن ابي عروبة بيع اهل
عين المسلمين وكان اسلام العداء بعد فتح خيبر وهذا يدل على مشروعية الاشهاد في المعاملات قال الله تعالى واشهدوا
اذا تبايعتم والامر هنا ليس للوجوب وقد باع عليه السلام ولم يشهد واشترى ورهن درعه عند يهودي
ولم يشهد ولو كان الاشهاد امرا واجبا لوجب مع الرهن خوف المنازعة والله اعلم واما امراؤه عليه السلام
فمنهم باذان بن ساسان من ولد بهرام امره صلى الله عليه وسلم على اليمن وهو اول امير في الاسلام على اليمن
واول من اسلم من ملوك العجم وامر صلى الله عليه وسلم على صنعاء خالد بن سعيد وولى زياد بن لبيد الانصاري حضرموت
وولى ابا موسى الاشعري زبيد وعدن وولى معاذ بن جبل الجند وولى ابا سفيان بن حرب نجران وولى ابنه
يزيد تيماء وولى عتاب بفتح المهملة وتشديد المثناة الفوقية بن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة مكة واقامة الموسم
والحج بالمسلمين وولى علي بن ابي طالب القضاء باليمن وولى عمرو بن العاص عمان واعمالها وولى ابا بكر الصديق رضي الله عنه
اقامة الحج سنة تسع وبعث في اثره عليا فقرأ على الناس براءة فقيل لان اولها نزل بعد ان خرج ابو بكر الى الحج
وقيل اردفه به عونا له ومساعدا ولهذا قال له الصديق امير او مأمور واما الرافضة فقالوا بل عزله بهذا لا
يعتد من نبذهم واقرانهم وقد ولي عليه السلام الصدقات جماعة كثيرة ولما ارسله صلى الله عليه وسلم فقد
روي انه صلى الله عليه وسلم بعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع وذكر القاضي عياض في الشفا ما عزاه
للواقدي انه اصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم انتهى وكان اول رسول بعثه صلى الله عليه وسلم عمرو بن

ناميّة الضمري الى النجاشي ملك الحبشة وكتب اليه كتابين يدعوه في احدهما الى الاسلام ويتلو عليه القرآن فاخذه النجاشي ووضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الارض ثم اسلم وشهد شهادة الحق وقال لو كنت استطيع ان آتيه لاتيته وفي الكتاب الاخر ان يزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان فزوجه اياها كما تقدم في ذكر الازواج ودعا بحق من عاج فجعل فيه كتابي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بالحبشة كذا قاله الواقدي وغيره وليس كذلك فان النجاشي الذي صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هو الذي كتب اليه كما قدمته وبعث عليه السلام دحية بن خليفة الكلبي وهو احد الستة الى قيصر ملك الروم واسمه هرقل يدعوه الى الاسلام فهم بالاسلام فلم توافقه الروم فخافهم على ملكه فامسك وبعث عبد الله السهمي الى كسرى وهو الثالث وبعث الرابع وهو حاطب بن ابي بلتعة الى المقوقس فاكرمه وبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم بجاريتين وكسوة وبغلة ولم يسلم وبعث الخامس وهو شجاع بن وهب الاسدي الى ملك البلقاء الحارث ابن ابي شمر الغساني وبعث السادس وهو سليط بن عمرو العامري الى هوذة والى ثمامة بن اثال الحنفي فاسلم ثمامة ٥ وبعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين قبل منصرفه من الجعرانة وقيل قبل الفتح فاسلم وصدق وبعث عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان الى جيفر وعبد ابني الجلندا بعمان فاسلما وصدقا وبعث المهاجر بن ابي امية المخزومي الى الحارث بن كلال الحميري باليمن فقال سانظر في امري وبعث ابا موسى الاشعري ومعاذ بن جبل الى اليمن عند انصرافه من تبوك سنة عشر في ربيع الاول داعيين الى الاسلام فاسلم غالب اهلها من غير قتال ثم بعث علي بن ابي طالب بعد ذلك اليهم ووافاه بمكة في حجة الوداع وبعث جرير بن عبد الله البجلي الى ذي الكلاع وذي عمرو يدعوهم الى الاسلام فاسلما وتوفي صلى الله عليه وسلم وجرير عندهم وبعث عمرو بن امية الضمري الى مسيلمة الكذاب بكتاب وبعث الى فروة بن عمرو الجذامي وكان عاملا لقيصر يدعوه الى الاسلام فاسلم وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم باسلامه وبعث اليه بهدية مع مسعود بن سعد وهي بغلة شهباء يقال لها فضة وفرس يقال له الضرب وحمار يقال له يعفور وبعث اليه اثوابا وقباء سندس مذهبا فقبل هديته ووهب لمسعود بن سعد اثني عشر وبعث المصدقين لاخذ الصدقات هلال المحرم سنة تسع فبعث عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم وبعث بريدة ويقال كعب بن مالك الى اسلم وغفار وبعث عباد بن بشر الى سليم ومزينة وبعث رافع بن مكيث الى جهينة وبعث عمرو بن العاص الى فزارة وبعث الضحاك بن سفيان الى بني كلاب وبعث بشر بن سفيان الكعبي ويقال النحام العدوي الى بني كعب وبعث عبد الله ابن اللتبية الى ذبيان وبعث رجلا من سعد هذيم الى قومه

الفصل السابع في مؤذنيه وخطبائه وحداته وشعرائه

اما مؤذنوه فاربعة اثنان بالمدينة بلال بن رباح وامه حمامة مولى ابي بكر الصديق وهو اول من اذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤذن بعده لاحد من الخلفاء الا ان عمر لما قدم الشام حين فتحها اذن بلال فتذكر الناس النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلم مولى عمر فلم ار اكثر باكيا من يومئذ وتوفي بلال سنة سبع عشرة او ثمان عشرة او عشرين بداريا بباب كيسان وله بضع وستون سنة وقيل مات بحلب وقيل بدمشق وعمرو بن ام مكتوم القرشي الاعمى وهاجر الى المدينة قبل النبي صلى الله عليه وسلم واذن له عليه السلام بقبا سعد بن عائذ او ابن عبد الرحمن المعروف بسعد القرظ والقرظ مولى عمار بن ياسر وبقي الى ولاية الحجاج على الحجاز وذلك سنة اربع وسبعين وبمكة ابو محذورة واسمه اوس الجمحي المكي ابو معير بكسر الميم وسكون المهملة وفتح التحتانية مات بمكة سنة تسع وخمسين وقيل تاخر بعد ذلك وكان منهم من يرجع الاذان ويثني الاقامة وبلال لا يرجع ويفرد الاقامة فاخذ الشافعي باقامة بلال واهل مكة اخذوا باذان ابي محذورة واقامة بلال واخذ ابو حنيفة واهل العراق باذان بلال واقامة ابي محذورة واخذ احمد واهل المدينة باذان بلال واقامته وخالفهم مالك في موضعين اعادة التكبير وتثنية لفظ الاقامة واما شعراؤه عليه السلام الذين يذبون عن الاسلام فكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة الخزرجي الانصاري وحسان بن ثابت

بن

ابن المنذر بن عمرو بن حرام الانصاري دعا له عليه السلام فقال اللهم ايده بروح القدس فيقال اعانه جبريل بسبعين بيتا وفي الحديث ان جبريل مع حسان ما نافح عني وهو بالحاء المهملة اي دافع والمراد هجا المشركين وجاوبهم على اشعارهم وعاش مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الاسلام وكذا عاش ابوه ثابت وجده المنذر وجد ابيه حرام كل واحد منهم مائة وعشرين سنة وتوفي حسان سنة اربع وخمسين ولما جاء عليه السلام بنو تميم وشاعرهم الاقرع بن حابس فنادوه يا محمد اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين فلم يزد عليه السلام على ان قال ذلكم الله اذا مدح زان واذا ذم شان اني لم ابعث بالشعر ولم اومر بالفخر ولكن هاتوا فامر عليه السلام ثابت بن قيس ان يجيب خطيبهم فخطب فغلبهم فقام الاقرع بن حابس شاعرهم فقال

اتيناك كيما يعرف الناس فضلنا ... اذا خالفونا عند ذكر المكارم
وانا رؤوس الناس في كل معشر ... وان ليس في ارض الحجاز كدارم

فامر صلى الله عليه وسلم حسانا يجيبهم فقال

بني دارم لا تفخروا ان فخركم ... يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وانتم ... لنا خول ما بين ظئر وخادم

وكان خطيبه عليه السلام وكان اول من اسلم شاعرهم وكان اشد شعرائه عليه السلام على الكفار حسان وكعب ثابت بن قيس بن شماس بمعجمة وميم مشددة وآخره مهملة وهو خزرجي شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة خطيبه وخطيب الانصار واستشهد باليمامة سنة اثنتي عشرة وكان يحدو بين يديه عليه السلام في السفر عبد الله ابن رواحة وفي الترمذي في الشمائل عن انس انه عليه السلام دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه ويقول

خلوا بني الكفار عن سبيله ... اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ... ويذهل الخليل عن خليله

وقد تقدم مزيد لهذا في عمرة القضية والله اعلم وعامر بن الاكوع بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح الواو وبالعين المهملة وهو عم سلمة بن الاكوع واستشهد يوم خيبر ومرت قصته في غزوتها وانجشة العبد الاسود وهو بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم وبالشين المعجمة وكان يحسن الحداء قال انس كان البراء بن مالك يحدو بالرجال وانجشة يحدو بالنساء وقد كان يحدو وينشد القريض والرجز فقال له عليه السلام كما في رواية البراء بن مالك عند مسلم رويدك رفقا بالقوارير اي النساء شبههن بالقوارير من الزجاج لانه يسرع اليها الكسر فلم يأمن عليه السلام ان يصيبهن او يقع في قلوبهن حداؤه فامره بالكف عن ذلك وفي المثل الغناء رقية الزنا وقيل اراد ان الابل اذا سمعت الحداء اسرعت في المشي واشتدت فازعجت الراكب واتعبته فنهاه عن ذلك لان النساء يضعفن عن شدة الحركة

الفصل الثامن في آلات حروبه

عليه السلام كدروعه واقواسه ومنطقته واتراسه اما اسيافه عليه السلام فكان له تسعة اسياف مأثور وهو اول سيف ملكه صلى الله عليه وسلم وهو الذي يقال انه عليه السلام قدم به الى المدينة في الهجرة والعضب ارسل اليه سعد بن عبادة حين سار الى بدر وذو الفقار لانه كان في وسطه مثل فقارة الظهر تنفله يوم بدر وصار اليه يوم بدر وكان للعاص بن منبه وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وذؤابته وبكراته ونعله من فضة وكان هذا السيف لا يفارقه صلى الله عليه وسلم يكون معه في كل حرب يشهدها والقلعي بفتح القاف وفتح اللام وهو الذي اصابه من قلع موضع بالبادية والبتار اي القاطع والحتف وهو الموت والمخذم وهو القاطع والرسوب اي يمضي في الضريبة ويغيب فيها وهو فعول من رسب يرسب اذا ذهب الى سفل واذا ثبت اصابهما من الفلس بضم الفاء واسكان اللام صنم كان لطيء والقضيب الادوات اما ادراعه فسبعة ذات الفضول بالضاد المعجمة لطولها ارسل بها اليه سعد بن عبادة حين سار الى بدر وكانت من حديد وهي التي رهنها عند ابي الشحم اليهودي على شعير وكان ثلاثين صاعا وكان الدين الى سنة وذات الوشاح وذات الحواشي

والسُّغْدِيَّة ويقال بالعين وهي درع عكير القينقاعي قيل وهي درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت وفضة وكان قد اصابها من بني قينقاع والبتراء لقصرها والخرنق باسم ولد الارنب وكان عليه السلام صلى الله عليه وسلم يوم احد درعان ذات الفضول وفضة وكان عليه يوم خيبر درعان ذات الفضول والسغدية واما اقواسه عليه السلام فكانت ستة الزوراء وثلاث من سلاح بني قينقاع قوس تدعى الروحاء وقوس تدعى الصفراء وشوحط والكتوم كسرت يوم احد فاخذها قتادة والسداد وكانت له جعبة تدعى الكافور وكانت له منطقة من ادم فيها ثلاث حلق من فضة والابزيم من فضة والطرف من فضة واما اتراسه فكان له عليه السلام ترس اسمه الزلوق يزلق عنه السلاح وترس يقال له الفتق وترس اهدي اليه فيه صورة تمثال عقاب او كبش فوضع يده عليه فاذهب الله ذلك التمثال واما ارماحه عليه السلام فالمثوي قال ابن الاثير سمي به لانه يثبت المطعون به من الثوى وهو الاقامة انتهى والمثنى ورمحان اخران وله عليه السلام حربة كبيرة اسمها البيضاء وكانت له عليه السلام حربة اخرى صغيرة دون الرمح شبه العكاز يقال لها العنزة وكانت تركز امامه ويصلي اليها وكان له عليه السلام مغفر من حديد يسمى السبوغ واخر يسمى الموشح تكبيل وكان له عليه السلام فسطاط يسمى الكن وكان له محجن قدر ذراع او اكثر يمشي ويركب به ويعلقه على بعيره بين يديه وكانت له مخصرة تسمى العرجون وقضيب من الشوحط يسمى الممشوق وكان له قدح يسمى الريان واخر يسمى مغيثا وقدح مضبب بسلسلة من فضة في ثلاثة مواضع واخر من عيدان واخر من زجاج وتور من حجارة يسمى المخضب وركوة تسمى الصادر ومخضب من نحاس وشبه من صفر ومدهن وربعة اسكندرانية يجعل فيها المرآة ومشط من عاج وهو الذبل ومكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثا في كل عين وكان في الربعة ايضا المقراض والسواك وهذه الربعة اهداها له المقوقس صاحب الاسكندرية مع مارية ام ابراهيم عليه السلام وكانت له قصعة تسمى الغراء باربع حلق وصاع ومد وقطيفة وسرير قوائمه من ساج وفراش من ادم حشوه ليف وخاتم من حديد ملوي بفضة وخاتم فضة فصه منه يجعله في يمينه وقيل كان اولا في يمينه ثم حوله الى اليسار منقوش عليه محمد رسول الله واهدى له النجاشي خفين ساذجين فلبسهما وكان له ثلاث جباب يلبسهن في الحرب وجبة سندس اخضر وجبة طيالسة وعمامة يقال لها السحاب واخرى سوداء ورداء صلوات الله وسلامه عليه

الفصل التاسع في ذكر خيله عليه السلام ولقاحه ودوابه اما خيله عليه السلام فالسكب يقال فرس سكب اي كثير الجري كانما يصب جريه صبا واصله من سكب الماء يسكبه وهو اول فرس ملكه اشتراه عليه السلام بعشر اواق وكان اغر محجلا طلق اليمين كميتا وقال ابن الاثير كان ادهم والمرتجز سمي به لحسن صهيله ماخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر وكان ابيض وهو الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت فجعل شهادته شهادة رجلين واللحيف اهداه له فروة بن عمرو الجذامي واللحيف بالمهملة اهداه له ربيعة بن ابي البراء سمي به لسمنه وكبره كانه يلحف الارض اي يغطيها بذنبه لطوله فعيل بمعنى فاعل يقال لحفت الرجل باللحاف طرحته عليه ويروى بالجيم وبالخاء المعجمة رواه البخاري ولم يتحقق والمعروف بالحاء المهملة قاله في النهاية واللزاز سمي به لشدة تلززه واجتماع خلقه ولزبه الشيء اي لزق به كانه يلتزق بالمطلوب لسرعته وهذا اهداه له المقوقس والورد وسبحة بالموحدة من قولهم فرس سابح اذا كان حسن مد اليدين في الجري فهذه سبعة متفق عليها وذكر ابن التين فيما حكاه الحافظ الدمياطي البحر في خيله عليه السلام قال وكان اشتراه من تجار قدموا من اليمن فسبق عليه مرات فجثا صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ومسح وجهه وقال ما انت الا بحر فسمي بحرا قال ابن الاثير وكان كميتا وكان سرجه دفتاه من ليف وكان له عليه السلام من البغال دلدل وكانت شهباء اهداها له المقوقس

ونفضة

وفضة اهداها له فروة بن عمرو الجذامي واخرى اهداها له ابن العلماء صاحب ايلة واخرى من دومة الجندل واخرى من عند النجاشي قيل واهدى له كسرى بغلة اخرى وفي ذلك نظر وكان له عليه السلام من الحمير عفير اهداه له المقوقس ويعفور اهداه له فروة بن عمرو ويقال هما واحد وذكر ان سعد بن عبادة اعطى النبي صلى الله عليه وسلم حمارا فركبه وكان له عليه السلام من اللقاح القصواء وهي التي هاجر عليها والعضباء والجدعاء ولم يكن بها عضب ولا جدع وانما سميت بذلك وقيل كان باذنها عضب وقيل العضباء والجدعاء واحدة والعضباء هي التي كانت لا تسبق فجاء اعرابي على قعود له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال عليه السلام ان حقا على الله ان لا يرفع من الدنيا شيئا الا وضعه وغنم عليه السلام يوم بدر جملا لابي جهل في انفه برة من فضة فاهداه يوم الحديبية ليغيظ بذلك المشركين وكانت له خمس عشرة لقحة ارسل بها اليه سعد بن عبادة وكانت له مائة شاة وكان له سبع اعنز منائح ترعاهن ام ايمن

الفصل العاشر في ذكر من وفد عليه صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه

قال النووي الوفد الجماعة المختارة للتقدم في لقي العظماء واحدهم وافد انتهى وقد كان ابتداء الوفود عليه بعد رجوعه عليه السلام من الجعرانة في اخر سنة ثمان وما بعدها وقال ابن اسحاق بعد غزوة تبوك وقال ابن هشام كانت سنة تسع تسمى سنة الوفود وقد سرد محمد بن سعد في الطبقات الوفود وتبعه الدمياطي في السيرة له وابن سيد الناس ومغلطاي والحافظ زين الدين العراقي ومجموع ما ذكروه يزيد على الستين فقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن كما ذكره البخاري وغيره وذكر موسى بن عقبة في المغازي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف في شوال الى الجعرانة وفيها السبي يعني سبي هوازن قدمت عليه وفود هوازن مسلمين فيهم تسعة نفر من اشرافهم فاسلموا وبايعوا ثم كلموه فقالوا يا رسول الله ان فيمن اصبتم الامهات والاخوات والعمات والخالات فقال سأطلب لكم وقد وقعت المقاسم فاي الامرين احب اليكم السبي ام المال قالوا خيرتنا يا رسول الله بين الحسب والمال فالحسب احب الينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فقال اما الذي لبني هاشم فلكم وسوف اكلم لكم المسلمين فكلموهم واظهروا اسلامكم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاجرة قاموا فتكلم خطباؤهم فابلغوا ورغبوا الى المسلمين في رد سبيهم ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ فشفع لهم وحض المسلمين عليه وقال قد رددت الذي لبني هاشم عليهم وفي رواية ابن اسحاق عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وادركه وفد هوازن بالجعرانة وقد اسلموا فقالوا يا رسول الله انا اصل وعشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال يا رسول الله ان اللواتي في الحظائر من السبايا خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك وانت خير مكفول ثم انشد

امنن علينا رسول الله في كرم فانك المرء نرجوه وندخر

الابيات المشهورة الاتية ان شاء الله تعالى وروينا في المعجم الصغير للطبراني من ثلاثياته عن زهير بن صرد الجشمي يقول لما اسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين يوم هوازن وذهب يفرق السبي والشاء اتيته فانشأت اقول هذا الشعر

امنن علينا رسول الله في كرم فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر مشتت شملها في دهرها غير
ابقت لنا الدهر هتافا على حزن على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركهم نعماء تنشرها يا ارجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها اذ فوك تملؤه من محضها الدرر
اذ انت طفل صغير كنت ترضعها واذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته واستبق منا فانا معشر زهر
انا لنشكر للنعماء اذ كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه من امهاتك ان العفو مشتهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
انا نؤمل عفوا منك تلبسه هادي البرية اذ تعفو وتنتصر
فاعفو عفا الله عما انت راهبه يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر

قال فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لي ولعبد المطلب فهو لك وقالت قريش ما كان لنا فهو لله
ولرسوله وقالت الانصار ما كان لنا فهو لله ولرسوله وعند الطبراني وزهير لا يعرف ولكن يقوى حديثه بالمتابعة
المذكورة فهو حديث حسن وقد وهم من زعم انه منقطع وقد زاد الطبراني عليها ايراده ابن اسحاق خمسة ابيات
وذكر الواقدي ان وفد هوازن كانوا اربعة وعشرين بيتا فيهم ابو برقان السعدي فقال يا رسول الله ان في هذه
الحظاير عماتك وخالاتك وحواضنك ومرضعاتك فامنن علينا من الله عليك فقال قد استانيت بكم حتى ظننت انكم
لا تقدمون وقد قسمت السبي وقدم عليه السلام وفد ثقيف بعد قدومه عليه السلام من تبوك وكان من
امرهم انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطايف قيل له يا رسول الله ادع على ثقيف فقال اللهم اهد ثقيفا وايت
بهم ولما انصرف عنهم اتبع اثره عروة بن مسعود حتى ادركه قبل ان يدخل المدينة فاسلم وساله ان يرجع الى قومه
بالاسلام فلما اشرف لهم على علية له وقد دعاهم الى الاسلام واظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل وجه فاصابه
سهم فقتله ثم اقامت ثقيف بعد قتله اشهرا ثم انهم ايتمروا بينهم وراوا انه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب
وقد بايعوا واسلموا واجمعوا ان يرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير ومعه
اثنان من الاحلاف وثلاثة من بني مالك عثمان ابن ابي العاص واوس بن عوف ونمير بن خرشة فلما قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة في ناحية المسجد وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا واكتتبوا كتابهم وكان خالد هو الذي كتبه وكان فيما سالوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يدع لهم الطاغية وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين فابى عليهم عليه السلام الا ان يبعث ابا سفيان بن حرب والمغيرة
ابن شعبة يهدمانها وكانوا سالوه مع ذلك ان يعفيهم من الصلاة ومن تكسير اصنامهم بايديهم فقال عليه السلام
كسروا اوثانكم بايديكم ~~فقال عليه السلام كسروا اوثانكم بايديكم~~ واما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه فلما اسلموا
وكتب لهم الكتاب امر عليهم عثمان ابن ابي العاص وكان من احدثهم سنا لكنه كان من احرصهم على التفقه في الاسلام وتعلم القران
فرجعوا الى بلادهم ومعهم ابو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية فلما دخل المغيرة علاها يضربها
بالمعول وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها واخذ المغيرة بعد ان كسرها مالها وحليها وكان كتاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذي كتب لهم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المومنين ان عضاه
وج وصيده حرام لا يعضد ومن وجد يفعل شيا من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه فان تعدى ذلك فانه يوخذ
فيبلغ النبي محمدا وان هذا امر النبي محمد رسول الله فكتب خالد بن سعيد بامر الرسول محمد بن عبد الله فلا
يتعداه احد فيظلم نفسه فيما امر به محمد رسول الله ووج واد بالطايف واختلف فيه هل هو حرم يحرم
صيده وقطع شجره فالجمهور انه ليس في البقاع حرم الا حرم مكة والمدينة وخالفهم ابو حنيفة في حرم المدينة
وقال الشافعي في احد قوليه وج حرم يحرم صيده وشجره واحتج لهذا القول بحديثين احدهما ما تقدم
والثاني حديث عروة ابن الزبير عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان صيد وج وعضاهه حرم محرم لله رواه
الامام احمد وابو داود وفي سماع عروة من ابيه نظر وان كان قد راه وفي مغازي المعتمر بن سليمان عن عبد الله
ابن عبد الرحمن الطايفي عن عمه عمرو بن اوس عن عثمان ابن ابي العاص قال استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا اصغر الستة الذين وفدوا عليه من ثقيف وذلك اني كنت قرات سورة البقرة فقلت يا رسول الله ان القران
يتفلت مني فوضع يده على صدري وقال يا شيطان اخرج من صدر عثمان فما نسيت شيا بعده اريد حفظه وفي
صحيح مسلم عن عثمان ابن ابي العاص قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي يلبسها علي فقال ذاك شيطان
يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت فاذهبه الله عني وقدم عليه وفد

بني

بني عامر عليه صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق لما فرغ عليه السلام من تبوك واسلمت ثقيف وبايعت ضربت اليه وفود
العرب من كل وجه فدخلوا في دين الله افواجا يضربون اليه من كل وجه فوفد اليه عليه السلام بنو عامر ابن الطفيل واربد
ابن قيس وخالد بن جعفر وجبار بن سلمى وكان هولاء النفر روساء القوم وشياطينهم فقدم عدو الله عامر بن
الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد ان يغدر به فقال لاربد اذا قدمنا على الرجل فاني شاغل عنك وجهه فاذا فعلت
ذلك فاعله بالسيف فكلم عامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والله لاملانها عليك خيلا ورجالا فلما ولى قال
عليه السلام اللهم اكفني عامر بن الطفيل فلما خرجا قال عامر لاربد ويحك اين ما كنت امرتك به فقال والله ما هممت
بالذي امرتني به الا دخلت بيني وبينه افاضربك بالسيف ولما كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر
ابن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله الله وفي صحيح البخاري ان عامرا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخيرك
بين ثلاث خصال يكون لك اهل السهل ولي اهل المدر او اكون خليفتك من بعدك او اغزوك بغطفان بالف
اشقر والف شقراء فطعن في بيت امراة فقال اغدة كغدة البكر في بيت امراة من بني فلان ايتوني بفرسي فركب
فمات على ظهر فرسه وقدم وفد عبد القيس عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه وهي قبيلة كبيرة
يسكنون البحرين ينسبون الى عبد القيس بن افصى بسكون الفاء بعدها مهملة بوزن اعمى ابن دعمي بضم المهملة
وسكون المهملة ايضا وكسر الميم بعدها تحتانيه وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قدم وفد عبد
القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى فقالوا
يا رسول الله ان بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر حرام فمرنا بامر فصل
ناخذ به ونامر به من وراءنا وندخل به الجنة قال امركم باربع وانهاكم عن اربع امركم بالايمان بالله
وحده اتدرون ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء
الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس وانهاكم عن اربع عن الدبا والحنتم والنقير والمزفت فاحفظوهن
وادعوا اليهن من وراءكم قال ابن القيم ففي هذه القصة ان الايمان بالله مجموع هذه الخصال من القول والعمل
كما على ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وتابعوهم كلهم ذكره الشافعي في المبسوط وعلى ذلك
ما يقارب مائة دليل من الكتاب والسنة ولم يعد الحج في هذه الخصال وكان قدومهم في سنة تسع وهذا اصح ما يحتج به
على ان الحج لم يكن فرض بعد وانه انما فرض في العاشرة ولو كان فرض لعده من الايمان كما عد الصوم والزكاة انتهى
وقد كانت لعبد القيس وفادتان وكانت احداهما قبل الفتح ولهذا قالوا له عليه السلام حال بيننا
وبينك كفار مضر وكان ذلك قديما اما في سنة خمس او قبلها وكانت قريتهم بالبحرين وكان عدد
الوفد الاول ثلاثة عشر رجلا وقيل كانوا اربعة عشر راكبا وفيها سالوه عن الايمان وعن الاشربة
وكان فيهم الاشج وكان كبيرهم وقال له عليه السلام ان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والاناة رواه
مسلم من حديث ابي سعيد واخرج البيهقي بينما النبي صلى الله عليه وسلم يحدث اصحابه قال سيطلع عليكم
من ههنا ركب هم خير اهل المشرق فقام عمر نحوهم فلقي ثلاثة عشر راكبا فبشرهم بقوله عليه السلام ثم مشى معهم
حتى اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فرموا بانفسهم عن ركائبهم فاخذوا يده فقبلوها الحديث واخرجه البخاري في الادب
المفرد فيمكن ان يكون احد المذكورين غير راكب او مرتدفا وثانيتهما كانت في سنة الوفود وكان عددهم حينئذ
اربعين رجلا كما في حديث ابي خيرة الصباحي عند ابن منده ويويد التعدد ما اخرجه من وجه اخر انه
عليه السلام قال لهم ما لي ارى الوانكم تغيرت ففيه اشعار بانه كان راهم قبل التغير وفي قولهم يا رسول الله
دليل على انهم كانوا حين المقالة مسلمين وكذا في قولهم كفار مضر وقولهم الله ورسوله اعلم وبذلك على سبقهم

الى الاسلام ايضا ما في البخاري ان اول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثى من البحرين وهي قرية لهم وانما جمعوا بعد رجوع وفدهم اليهم قال في فتح الباري فدل على انهم سبقوا جميع القرى الى الاسلام وما جزم به ابن القيم من ان السبب في كونه لم يذكر الحج في الحديث لانه لم يكن فرض هو المعتمد وقد قدمت الدليل على قدم اسلامهم لكن جزمه تبعا للواقدي بان قدومهم كان في سنة تسع قبل فتح مكة ليس بجيد لان فرض الحج كان سنة ست على الاصح ولكنه اختار كغيره ان فرض الحج في السنة العاشرة حتى لا يرد على مذهبه انه على الفور وقد احتج الشافعي لكونه على التراخي بان فرض الحج كان بعد الهجرة وانه صلى الله عليه وسلم كان قادرا على الحج في سنة ثمان وفي سنة تسع ولم يحج الا في سنة عشر وسياتي في حجه عليه السلام من مقصد عباداته مزيد لذلك ان شاء الله تعالى فان قلت كيف قال اربع والمذكورات خمس اجاب القاضي عبد الوهاب تبعا لابن بطال بان الاربع ما عدا اداء الخمس قال وكانه اراد اعلامهم بقواعد الايمان وفروض الاعيان ثم اعلمهم بما يلزمهم اخراجه اذا وقع لهم جهاد لانهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر ولم يقصد الى ذكرها بعينها لانها مسببة عن الجهاد ولم يكن الجهاد اذ ذاك فرض عين قال ولذلك لم يذكر الحج لانه لم يكن فرض وقال غيره قوله وان تعطوا معطوف على قوله باربع اي امركم باربع وان تعطوا ويدل عليه العدول عن سياق الاربع والاتيان بان والفعل مع توجه الخطاب اليهم وقال القاضي ابو بكر بن العربي يحتمل ان يقال انه عليه السلام عد الصلاة والزكاة واحدة لانها قرينتها في كتاب الله وتكون الرابعة اداء الخمس او انه لم يعد الخمس لانه داخل في عموم ايتاء الزكاة والجامع بينهما انه اخراج مال معين وقال البيضاوي الظاهر ان الامور الخمسة هنا تفسير للايمان وهو احد الاربعة الموعود بذكرها والثلاثة الاخرى حذفها الراوي اختصارا او نسيانا وتعقب بانه وقع في صحيح البخاري ايضا في رواية امركم باربع شهادة ان لا اله الا الله وعقد واحدة فدل على ان الشهادة احدى الاربع وقال القرطبي قيل ان اول الاربع المامور بها اقام الصلاة وانما ذكر الشهادتين تبركا والى هذا نحا الطيبي فقال عادة البلغاء ان الكلام اذا كان منصوبا لغرض جعلوا سياقه له وطرحوا ما عداه وهنا لم يكن الغرض في الايراد ذكر الشهادتين لان القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمتي الشهادة ولكن ربما كانوا يظنون ان الايمان مقصور عليها كما كان الامر في صدر الاسلام قال ولهذا لم يعد الشهادتين في الاوامر انتهى ملخصا من فتح الباري وقدم عليه الصلاة والسلام وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة الكذاب فكان منزلهم في دار امراة من الانصار من بني النجار فاتوا بمسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستر بالثياب ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه في يده عسيب من سعف النخل فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلمه وساله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سالتني هذا العسيب الذي في يدي ما اعطيتكه وذكر حديثه ابن اسحاق على غير ذلك فقال حدثني شيخ من اهل اليمامة من بني حنيفة انهم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا مسيلمة في رحالهم فلما اسلموا ذكروا له مكانه فقالوا يا رسول الله انا قد خلفنا صاحبا لنا في رحالنا وركابنا يحفظها لنا فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما امر به للقوم وقال لهم انه ليس بشركم مكانا لكونه يحفظ ضيعة اصحابه ثم انصرفوا فلما قدموا اليمامة ارتد عدو الله وتنبا وقال اني اشركت في الامر معه ثم جعل يسجع السجعات فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقران لقد انعم الله على الحبلى اخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى وسجع اللعين على سورة انا اعطيناك الكوثر فقال انا اعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر ان مبغضك رجل كافر وفي رواية انا اعطيناك الجماهر فخذ لنفسك وبادر واحذر ان تحرص او تكاثر وفي رواية انا اعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر في الليالي الغوادر ولم يعرف المخذول

الله

انه محروم على المطلوب وسياتي في اوائل مقصد معجزاته عليه السلام من تسجيع مسيلمة الركيك مزيد على ما ذكرته هنا ان شاء الله تعالى وقيل انه اذخل بيضة في القارورة وادعى انها معجزة له فافتضح بنحو ما ذكر ان النوشادر اذا ضرب في خل الخمر حاجيا او جعلت فيه البيضة يلين يومها يوما وليلة فانها تمتد كالخيط فيفعل في القارورة ويصب عليها الماء البارد فانها تجمد ولما سمع اللعين ان النبي صلى الله عليه وسلم مج في بير فكثر ماؤها وتفل في عين علي وكان ارمد فبرئ فتفل اللعين في بير فغار ماؤها وفي عين بصير فعميت ومسح بيده ضرع شاة حلوب فارتفع درها ويبس ضرعها ولله در الشقراطسي حيث يقول في مدائح النبي صلى الله عليه وسلم

اعجزت بالوحي ارباب البلاغة في … عصر البيان فضلت اوجه الحيل
سالتهم سورة في مثل حكمته … فتلهم عنه حين الهجز بالخطل
فرام رجس كذاب ان يعارضه … بسخف افك ولم يخلق ولم يطل
مثبج بركيك الافك ملتبس … ملجلج بزري الزور والخطل
يمج اول حرف سمع سامعه … ويعتريه كلال العجز والملل
كانه منطق الورهاء شذبه … لبس من الخبل او مس من الخبل
امر اليد والمورت لمجنيه … فيها واعمى بصير العين بالتفل
وايبس الضرع منه شوم راحته … من بعد ارسال رسل منه منهمل

فشبه هذا الكلام الذي عارض به مسيلمة بكلام امراة ورهاء وهي الحمقاء التي تتكلم بجمل ما لا تفهم فهي تهذي بكلام مشذب اي مختلط لا يقترن بعضه ببعض ولا يشبه بعضه بعضا ككلام من به خبل بسكون الموحدة اي فساد او مس من الخبل بفتحها اي الجنون ثم ان اللعين وضع عن قومه الصلاة واحل لهم الخمر والزنا وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه نبي وقد كان كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فاني قد اشركت معك في الامر وان لنا نصف الامر ولقريش نصف الامر فقدم عليه صلى الله عليه وسلم رسوله بهذا الكتاب فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وفي الصحيحين من حديث نافع ابن جبير عن ابن عباس قال قدم مسيلمة الكذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول ان جعل لي محمد الامر من بعده اتبعته وقدمها في بشر كثير من قومه فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في اصحابه فقال ان سالتني هذه القطعة ما اعطيتكها ولن تعدو امر الله فيك ولئن ادبرت ليعقرنك الله واني لاراك الذي اريت فيه ما رايت وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني ثم انصرف قال ابن عباس فسالت عن قول النبي صلى الله عليه وسلم انك الذي اريت فيه ما رايت فاخبرني ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نايم رايت في يدي سوارين من ذهب فاهمني شانهما فاوحي الي في المنام ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما كذابين يخرجان من بعدي فكان احدهما العنسي صاحب صنعاء والاخر مسيلمة فان قلت كيف يلتئم خبر ابن اسحاق مع الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع به وخاطبه وصرح بحضرة قومه انه لو ساله القطعة من الجريدة ما اعطاه 5
اجيب بان المصير الى ما في الصحيح اولى ويحتمل ان يكون مسيلمة قدم مرتين الاولى كان تابعا وكان رئيس بني حنيفة غيره ولهذا اقام في حفظ رحالهم ومرة متبوعا وفيها خاطبه النبي صلى الله عليه وسلم او القصة واحدة وكانت اقامته في رحالهم باختيار انفة منه واستكبارا ان يحضر مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وعامله عليه السلام معاملة الكرم على عادته في الملاطفة والاستيلاف فقال لقومه انه ليس بشركم اي مكانا لكونه كان يحفظ رحالهم واراد استيلافه بالاحسان بالقول والفعل فلما لم يفد في مسيلمة توجه بنفسه اليه ليقيم عليه الحجة ويعذر اليه بالانذار والعلم عند الله تعالى وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد طيئ وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم فعرض عليهم الاسلام فاسلموا وحسن اسلامهم وقال عليه السلام ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني الا رايته دون ما يقال فيه الا زيد

عنه الخيل فانه لم يبايع كما فيه ثم سماه زيد الخير فخرج راجعا الى قومه فلما انتهى الى ماء من مياه نجد اصابته الحمى فمات قال
ابن عبد البر وقيل مات في آخر خلافة عمر وله ابنان مكنف وحريث اسلما وصحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدا قتال
اهل الردة مع خالد وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد كندة في ثمانين او ستين راكبا من كندة فدخلوا عليه مسجده قد رجلوا
جممهم وتسلحوا ولبسوا جباب الحبرات مكففة بالحرير فلما دخلوا قال صلى الله عليه وسلم اولم تسلموا قالوا بلى قال فما هذا الحرير
في اعناقكم فشقوه فنزعوه والقوه وقدم عليه زاده الله شرفا لديه الاشعريون واهل اليمن وقيل هو من عطف
الخاص على العام وقال الحافظ ابو الفضل شيخ الاسلام ابن حجر المراد بهم بعض اهل اليمن وهم وفد حمير قال ووجدت
في كتاب الصحابة لابن شاهين من طريق اياس بن عمرو الحميري انه قدم وافدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من حمير فقالوا
اتيناك لنتفقه في الدين الحديث والحاصل ان الترجمة مشتملة على طائفتين وليس المراد اجتماعهما في الوفادة فان قدوم الاشعريين
الذين كان مع ابي موسى في سنة سبع عند فتح خيبر وقدوم حمير كان في سنة تسع وهي سنة الوفود ولهذا اجتمع مع بني
تميم وروى يزيد بن هرون عن حميد عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقدم عليكم قوم هم ارق منكم قلوبا فقدم
الاشعريون فجعلوا يرتجزون غدا نلقى الاحبه محمدا وحزبه وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول جاء اهل اليمن هم ارق افئدة واضعف قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية والسكينة في اهل الغنم والفخر والخيلاء
في الفدادين اهل الوبر قبل مطلع الشمس رواه مسلم وفي البخاري ان نفرا من بني تميم جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ابشروا يا بني تميم فقالوا بشرتنا فاعطنا فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء نفر من اهل اليمن فقال اقبلوا
البشرى اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا ثم قالوا يا رسول الله جئناك لنتفقه في الدين ونسألك عن هذا
الامر فقال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء [illegible] وجاء نفر من اهل اليمن هم
الاشعريون قوم ابي موسى وقدم عليه صلوات الله وسلامه عليه صرد بن عبد الله الازدي فاسلم
وحسن اسلامه في وفد من الازد فامره عليه السلام على من اسلم من قومه وامره ان يجاهد بمن اسلم اهل الشرك من قبائل
اليمن فخرج صرد يسير بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بجرش وبها قبائل من قبائل العرب فحاصروهم فيها
قريبا من شهر وامتنعوا فيها فرجع عنهم قافلا حتى اذا كان في جبل لهم [illegible] وظنوا انه انما ولى عنهم منهزما خرجوا
في طلبه حتى ادركوه عطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا وكان اهل جرش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلين منهم فبينما هما عنده عليه السلام عشية فقال لهما عليه السلام ان بدن الله لتنحر عند شكر اي المكان
الذي وقع به قتل قومهم قال فجلس الرجلان الى ابي بكر وعثمان فقالا لهما ان رسول الله ينعي لكما قومكما فخرجا
الى قومهما فوجداهم قد اصيبوا في اليوم الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم ما قال وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر فخرج
وفد جرش حتى قدموا عليه صلوات الله وسلامه عليه فاسلموا وحمى لهم حول قريتهم وفد بني الحارث بن كعب
قال ابن اسحق بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر وجمادى الاولى سنة عشر الى بني الحرث
ابن كعب من بنجران وامره ان يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلهم ثلاثا فان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا
فقاتلهم فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون ايها الناس
اسلموا تسلموا فاسلم الناس ودخلوا فيما دعوا اليه فاقام خالد يعلمهم الاسلام وكتب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بذلك ثم اقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه وفدهم منهم قيس بن الحصين ويزيد بن المحجل وشداد
ابن عبد الله وقال لهم عليه الصلاة والسلام بم كنتم تغلبون من قاتلكم قالوا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ احدا
بظلم قال صدقتم وامر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا الى قومهم في بقية من شوال او من ذي القعدة فلم يمكثوا
الا اربعة اشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد همدان فيهم مالك بن

النمط

النمط وضمام بن مالك وعمرو بن مالك فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات
والعمائم العدنية على الرواحل المهرية والارحبية ومالك بن النمط يرتجز بين يديه صلى الله عليه وسلم وذكروا له كلاما
كثيرا حسنا فصيحا فكتب لهم عليه السلام كتابا اقطعهم فيه ما سألوه وامر عليهم مالك بن النمط واستعمله على من اسلم
من قومه وامره بقتال ثقيف وكان لا يخرج لهم سرح الا اغار عليه وروى البيهقي باسناد صحيح عن البراء ان النبي
صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى اهل اليمن يدعوهم الى الاسلام قال البراء فكنت فيمن خرج مع خالد بن
الوليد فاقمنا ستة اشهر ندعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث علي بن ابي طالب فامره ان
يقفل خالد الا رجلا ممن كان مع خالد ان يعقب مع علي فلما دنونا من القوم خرجوا الينا فصلى بنا علي ثم صفنا صفا
واحدا ثم تقدم بين ايدينا وقرا عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت همدان جميعا فكتب علي الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجدا ثم رفع راسه فقال
السلام على همدان السلام على همدان واصل الحديث في صحيح البخاري وهذا اصح مما تقدم ولم تكن همدان تقاتل ثقيفا ولا تغير
على سرحهم فان همدان باليمن وثقيف بالطائف قاله ابن القيم في الهدي النبوي وفد مزينة روى البيهقي عن النعمان
ابن مقرن قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع مائة رجل من مزينة فلما اردنا ان ننصرف قال يا عمر زود
القوم قال ما عندي الا شيء من تمر ما اظنه يقع من القوم موقعا قال انطلق فزودهم قال فانطلق بهم عمر فادخلهم منزله
ثم اصعدهم الى علية فلما دخلنا اذا فيها من التمر مثل الجمل الاورق فاخذ القوم منه حاجتهم قال النعمان وكنت في آخر من
خرج فنظرت وما افقد موضع تمرة من مكانها وفد دوس وكان قدومهم عليه السلام صلى الله عليه وسلم بخيبر قال
ابن اسحاق كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث انه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها فمشى اليه رجال قريش وكان
الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا فقالوا له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين اظهرنا فرق جماعتنا وشتت
امرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين المرء وابنه وبين المرء واخيه وبين الرجل وزوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل
علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه قال فوالله ما زالوا بي حتى اجمعت ان لا اسمع منه شيئا ولا اكلمه حتى حشوت في اذني
حين غدوت الى المسجد كرسفا فرقا من ان يبلغني شيء من قوله قال فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم
يصلي عند الكعبة فقمت قريبا منه فابى الله الا ان يسمعني بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت واثكل امياه والله
اني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني ان اسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان ما يقول حسنا قبلت
وان كان قبيحا تركت قال فمكثت حتى انصرف عليه السلام الى بيته فتبعته حتى اذا دخل بيته فقلت يا محمد ان قومك
قد قالوا لي كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوفونني امرك حتى سددت اذني بكرسف لئلا اسمع قولك ثم ابى الله الا ان
يسمعنيه فسمعت قولا حسنا فاعرض علي امرك فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا علي القرآن فلا
والله ما سمعت قولا قط احسن منه ولا امرا اعدل منه فاسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يا رسول الله اني امرؤ
مطاع في قومي واني راجع اليهم فداعيهم الى الاسلام فادع الله ان يجعل لي آية قال فخرجت الى قومي حتى اذا كنت
بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح قال فقلت اللهم في غير وجهي اني اخشى ان يقولوا مثلة وقعت
في وجهي لفراق دينهم قال فتحول فوقع في راس سوطي كالقنديل المعلق وانا اهبط اليهم من الثنية حتى جئتهم واصبحت
فيهم فلما نزلت اتاني ابي [illegible] فقلت اليك عني يا ابة فلست مني ولست منك قال لم يا بني قلت قد اسلمت
وتابعت دين محمد قال يا بني فديني دينك قال فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال اعلمك ما علمت
قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فاسلم ثم اتتني صاحبتي فقلت لها اليك عني فلست
منك ولست مني قالت لم قلت فرق الاسلام بيني وبينك اسلمت وتابعت محمدا عليه الصلاة والسلام قالت فديني دينك

الحاضر القوم النزول على الماء يقيمون به ولا يرحلون عنه

فأسلمت ثم دعوت دوسًا إلى الإسلام فأبطؤوا علي فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله إنه قد غلبت
على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسًا ثم قال ارجع إلى قومك فادعهم إلى الله وارفق بهم فرجعت
إليهم فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الله ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فنزلت المدينة بسبعين
أو ثمانين بيتًا من دوس ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأسهم لنا مع المسلمين وهذا يدل على تقدم إسلامه
وقد جزم ابن أبي حاتم بأنه قدم مع أبي هريرة بخيبر وكأنها قدمته الثانية وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد
نصارى نجران فلما دخلوا المسجد النبوي بعد العصر حانت صلاتهم فقاموا يصلون فيه فأراد الناس منعهم فقال
عليه السلام دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم وكانوا ستين راكبًا منهم أربعة وعشرون رجلًا من أشرافهم
والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم واسمه عبد المسيح
والسيد صاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأيهم بتحتانية ساكنة ويقال شرحبيل وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل قد
شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه وموّلوه وكان يعرف أمر النبي صلى الله
عليه وسلم وشأنه وصفته مما علمه من الكتب المتقدمة ولكن حمله جهله على الاستمرار على النصرانية لما يرى من تعظيمه
ووجاهته عند أهلها فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا فقال إن أنكرتم ما أقول
فهلم أباهلكم وفي البخاري من حديث حذيفة جاء السيد والعاقب صاحبا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريدان أن يلاعناه يعني يباهلاه فقال أحدهما لصاحبه لا تفعل وعند أبي نعيم أن القائل ذلك هو السيد وعند
عبد الرزاق قال ذلك هو العاقب لأنه كان صاحب رأيهم وفي زيادات يونس بن بكير في المغازي أن الذي قال
ذلك شرحبيل فوالله لئن كان نبيًا فلاعناه يعني باهلناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا زاد في رواية ابن مسعود
أبدًا ثم قالا إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلًا أمينًا ولا تبعث معنا إلا
أمينًا فقال لأبعثن معكم رجلًا أمينًا حق أمين فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا أبا عبيدة بن
الجراح فلما قام قال صلى الله عليه وسلم هذا أمين هذه الأمة وفي رواية يونس بن بكير أنه صالحهم على ألفي حلة ألف في رجب
وألف في صفر ومع كل حلة أوقية وساق الكتاب الذي بينهم مطولًا وذكر ابن سعد أن السيد والعاقب رجعا بعد ذلك
وأسلما وفي قصتهم مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة وقد وقع ذلك لجماعة من العلماء سلفًا وخلفًا وعلم
بالتجربة أن من باهل وكان مبطلًا لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة وقدم عليه صلى الله عليه وسلم رسول
فروة بن عمرو الجذامي ملك الروم وكان منزله معان بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء ولما بلغ الروم ذلك من
إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه ثم صلبوه على ماء بفلسطين وضربوا عنقه على ذلك الماء وقدم عليه صلى
الله عليه وسلم ضمام بن ثعلبة بعثه بنو سعد بن بكر روى البخاري من حديث أنس بن مالك قال بينما نحن جلوس
مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال أيكم محمد والنبي صلى الله عليه
وسلم متكئ بين ظهرانيهم فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكئ فقال له الرجل ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد
أجبتك فقال إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك فقال سل عما بدا لك فقال أسألك بربك ورب من قبلك
آلله أرسلك إلى الناس كلهم فقال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة قال اللهم نعم قال
أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
نعم فقال الرجل آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر وزاد
ابن إسحاق في مغازيه فقال آلله أمرك أن نعبده ولا نشرك به شيئًا وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون
فقال صلى الله عليه وسلم اللهم نعم قال وكان ضمام رجلًا جلدًا أشعر ذا غديرتين ثم أتى بعيره وأطلق عقاله ثم خرج

حتى

حتى أتى قومه فاجتمعوا إليه وكان أول ما تكلم به أن قال بئست اللات والعزى فقالوا مه يا ضمام اتق البرص
اتق الجنون والجذام قال ويلكم إنهما لا يضران ولا ينفعان إن الله قد بعث رسولًا وأنزل عليه كتابًا استنقذكم به وإني أشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وإني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه فوالله ما أمسى في ذلك اليوم
في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلمًا قال ابن عباس فما سمعنا بوافد قوم أفضل من ضمام بن ثعلبة وقدم طارق بن عبد
الله وقومه روى البيهقي عن جامع بن شداد قال حدثني رجل يقال له طارق بن عبد الله قال إني لقائم بسوق ذي
المجاز إذ أقبل رجل وهو يقول يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة يقول يا أيها الناس
إنه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا هذا غلام من بني هاشم يزعم أنه رسول الله قال قلت من هذا الذي يفعل به
هذا قالوا عمه عبد العزى قال فلما أسلم الناس وهاجروا خرجنا من الربذة نريد المدينة نمتار من تمرها فلما دنونا من حيطانها
ونخلها قلنا لو نزلنا فلبسنا ثيابًا غير هذه فإذا رجل في طمرين له فسلم وقال من أين أقبل القوم قلنا من الربذة قال وأين تريدون
قلنا نريد المدينة قال ما حاجتكم فيها قلنا نمتار من تمرها قال ومعنا ظعينة لنا ومعنا جمل أحمر مخطوم فقال أتبيعوني
جملكم هذا قالوا نعم بكذا وكذا صاعًا من تمر فأخذ بخطام الجمل فانطلق فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا ما
صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمنًا قال تقول المرأة التي معنا والله لقد رأيت رجلًا كأن وجهه شقة
القمر ليلة البدر أنا ضامنة لثمن جملكم وفي رواية ابن إسحاق قالت الظعينة فلا تلاوموا لقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم
ما رأيت شيئًا أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه إذ أقبل رجل فقال أنا رسول رسول الله إليكم هذا تمركم فكلوا واشبعوا
واكتالوا واستوفوا فأكلنا حتى شبعنا واكتلنا واستوفينا ثم دخلنا المدينة فلما دخلنا المسجد إذا هو قائم على المنبر يخطب
الناس فأدركنا من خطبته وهو يقول تصدقوا فإن الصدقة خير لكم اليد العليا خير من اليد السفلى وقدم عليه صلى الله
وسلم وفد تجيب وهم من السكون ثلاثة عشر رجلًا قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسر بهم
وأكرم منزلهم وأمر بلالًا أن يحسن ضيافتهم ثم جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعونه فأمر بلالًا فأجازهم بأرفع
ما كان يجيز به الوفود قال هل بقي منكم أحد قالوا غلام خلفناه على رحالنا هو أحدثنا سنًا قال أرسلوه إلينا فلما أقبل
الغلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي وإن كانوا راغبين في الإسلام والله
ما أخرجني من بلادي إلا أن تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني وأن يجعل غناي في قلبي فقال عليه السلام اللهم اغفر له وارحمه
واجعل غناه في قلبه ثم أمر له بمثل ما أمر لرجل من أصحابه ثم انطلقوا راجعين إلى أهليهم ثم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سنة عشر فقال ما فعل الغلام قالوا يا رسول الله ما رأينا مثله قط ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله لو أن
الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها قدوم وفد بني سعد هذيم من قضاعة روى الواقدي
عن أبي النعمان عن أبيه من بني سعد هذيم قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدًا في نفر من قومي فنزلنا ناحية
من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد الحرام فقمنا ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم حتى يلقى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونبايعه ثم بايعناه صلى الله عليه وسلم على الإسلام ثم انصرفنا إلى رحالنا وقد كنا خلفنا أصغرنا فبعث عليه السلام
في طلبنا فأتي بنا إليه فتقدم صاحبنا إليه فبايعه على الإسلام فقلنا يا رسول الله إنه أصغرنا وخادمنا فقال
أصغر القوم خادمهم بارك الله عليك قال فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمّره
علينا فكان يؤمنا ولما رجعنا إلى قومنا فرزقهم الله الإسلام وفد بني فزارة قال أبو الربيع ابن سالم في كتاب
الاكتفاء ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك قدم عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلًا فيهم خارجة
ابن حصن والحر بن قيس ابن أخي عيينة بن حصن وهو أصغرهم مقرين بالإسلام وهم مسنتون على ركاب عجاف فسألهم
عن بلادهم فقال أحدهم يا رسول الله أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جناننا وغرث عيالنا فادع لنا ربك

يعيننا واشفع لنا وليشفع لنا ربك اليك فقال صلى الله عليه وسلم سبحان الله ويلك هذا انا شفعت الى ربي
عز وجل فمن ذا الذي يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العظيم وسع كرسيه السموات والارض فهي تئط من عظمته
وجلاله كما يئط الرحل الجديد وقال عليه السلام ان الله عز وجل يضحك من شففكم وقرب غياثكم فقال الاعرابي
لن نعدم من رب يضحك خيرا فضحك صلى الله عليه وسلم من قوله وصعد المنبر ورفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه
وكان مما حفظ من دعائه اللهم اسق بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير اجل
نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء
الحديث ورواه ابن سعد والبيهقي وياتي بتمامه ان شا الله تعالى في الاستسقا من مقصد عباداته عليه السلام
وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد بني اسد عشرة رهط فيهم وابصة بن معبد وطليحة بن خويلد ورسول
الله صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه فقال متكلمهم يا رسول الله انا نشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك
عبده ورسوله وجيناك ولم تبعث الينا بعثا فانزل الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم
بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين وقدم عليه صلوات الله وسلامه عليه وفد بهرا من
اليمن وكانوا ثلثة عشر رجلا فاقبلوا الى باب المقداد فرحب بهم وقدم لهم جفنة من حيس فاكلوا منها حتى نهلوا
وردت القصعة وفيها شي فجمع في قصعة صغيرة وارسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ام سلمة فاصاب
منها هو ومن معه في البيت حتى نهلوا ثم اكل منها الضيف ما اقاموا يردد دون ذلك عليهم وما تغيض حتى
جعلوا يقولون يا ابا معبد انك لتنهلنا من احب الطعام الينا وما كنا نقدر على مثل هذا الا في الحين فاخبرهم ابو معبد
بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اكل منها وردها وان هذه بركة اصابعه عليه السلام فجعل القوم يقولون
نشهد انه رسول الله وازدادوا يقينا وتعلموا الفرايض واقاموا اياما ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامر لهم بجوايزهم وانصرفوا الى اهليهم وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد عذرة في صفر سنة تسع وكانوا اثني عشر
رجلا منهم حمزة بن النعمان فرحب بهم عليه السلام فاسلموا وبشرهم بفتح الشام وهرب هرقل الى ممتنع من بلاده
ثم انصرفوا وقد اجيزوا وقدم عليه سلام الله عليه وفد بلي فاسلموا فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي
هداكم للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو في النار ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اجازهم
وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد ذي مرة وكانوا ثلثة عشر رجلا ورئيسهم الحرث بن عوف فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف البلاد فقالوا والله انا لمسنتون فادع الله لنا فقال عليه السلام اللهم اسقهم
الغيث ثم اقاموا اياما ورجعوا بالجايزة فوجدوا بلادهم قد امطرت في ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقدم عليه زاده الله شرفا لديه وفد خولان في شعبان سنة عشر وكانوا عشرة
فقالوا يا رسول الله نحن مومنون بالله مصدقون برسوله قد ضربنا اليك اباط الابل وركبنا حزون الارض
وسهولها والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زايرين لك فقال عليه السلام اما ما ذكرتم من مسيركم الي
فان لكم بكل خطوة خطاها بعير احدكم حسنة واما قولكم زايرين لك فانه من زارني بالمدينة كان في جواري
يوم القيمة ثم قال عليه السلام ما فعل صنم خولان الذي كانوا يعبدونه قالوا ابشر بدلنا الله ما جيت به الا ان عجوزا
وشيخا كبيرا يتمسكان به ولو قدمنا عليه هدمناه ان شا الله تعالى ثم علمهم عليه السلام فرايض الدين
وامرهم بالوفا بالعهد واداء الامانة وحسن الجوار وان لا يظلموا احدا ثم اجازهم ورجعوا الى قومهم وهدموا
الصنم وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد محارب عام حجة الوداع وكانوا اغلظ العرب وافظهم عليه ايام عرضه
على القبايل يدعوهم الى الله فجاه عليه السلام منهم عشرة فاسلموا ثم انصرفوا الى اهليهم وقدم عليه عليه السلام

وفد صداء في سنة ثمان وذلك انه لما انصرفوا من الجعرانة بعث قيس بن سعد بن عبادة في اربع مائة وامره ان يطا ناحية
من اليمن فيها صداء فقدم رجل منهم علم بالبعث على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اردد الجيش
وانا لك بقومي فرد قيسا ورجع الصدائي الى قومه فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر
رجلا منهم فبايعوه على الاسلام ورجعوا الى قومهم ففشا فيهم الاسلام فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهم مائة رجل في حجة الوداع ذكره الواقدي وذكر من حديث زياد بن الحرث الصدائي انه الذي قدم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اردد الجيش وقال كان زياد هذا معه صلى الله عليه وسلم في بعض
اسفاره وانه عليه السلام قال له يا اخا صدا هل معك ما قلت معي شي في اداوتي فقال صبه فصبه في قعب
ثم وضع عليه السلام كفه فرايت الماء ينبع من بين اصابعه عينا تفور وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد غسان
في شهر رمضان سنة عشر وكانوا ثلاثة نفر فاسلموا واجازهم عليه السلام بجوايز وانصرفوا راجعين وقدم
عليه وفد سلامان في شوال سنة عشر كما قال الواقدي وكانوا سبعة نفر فيهم حبيب بن عمرو فاسلموا وشكوا اليه
جدب بلادهم فدعا لهم ثم ودعوه وامر لهم بالجوايز ورجعوا الى بلادهم فوجدوها قد امطرت في اليوم الذي
دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة وقدم عليه وفد بني عبس فقالوا يا رسول الله قدم
علينا قراونا فاخبرونا انه لا اسلام لمن لا هجرة له ولنا اموال ومواشي فان كان لا اسلام لمن لا هجرة له بعناها
وهاجرنا فقال عليه السلام اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم من اعمالكم شيا وقدم عليه وفد غامد
سنة عشر وكانوا عشرة فاقروا بالاسلام وكتب لهم كتابا فيه شرايع الاسلام وامر ابي بن كعب فعلمهم قرانا واجازهم
عليه السلام وانصرفوا وقدم عليه وفد الازد ذكر ابو نعيم في كتاب معرفة الصحابة وابو موسى المديني من
حديث احمد بن ابي الحواري قال سمعت ابا سليمان الداراني قال حدثني علقمة ابن يزيد بن سويد الازدي قال
حدثني ابي عن جدي قال وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخلنا عليه
وكلمناه اعجبه ما راى من سمتنا وزينا فقال وما انتم قلنا مومنون فتبسم عليه السلام وقال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة
قولكم وايمانكم قلنا خمس عشرة خصلة خمس منها امرتنا رسلك ان نومن بها وخمس امرتنا ان نعمل بها وخمس تخلقنا بها
في الجاهلية فنحن عليها الا ان تكره منها شيا فقال صلى الله عليه وسلم ما الخمس التي امرتكم بها رسلي قلنا امرتنا ان
نومن بالله وملايكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال وما الخمس التي امرتكم ان تعملوا بها قلنا امرتنا ان
نقول لا اله الا الله ونقيم الصلاة ونوتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت ان استطعنا اليه سبيلا قال
وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية قلنا الشكر عند الرخا والصبر عند البلا والرضا بمر القضا والصدق
في مواطن اللقا وترك الشماتة بالاعدا فقال صلى الله عليه وسلم حكما علما كادوا من فقههم ان يكونوا انبيا
ثم قال وانا ازيدكم خمسا فتتم لكم عشرون خصلة ان كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تاكلون ولا تبنوا ما لا
تسكنون ولا تنافسوا في شي انتم عنه غدا زايلون واتقوا الله الذي اليه ترجعون وعليه تعرضون وارغبوا
فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه السلام وعملوا بها وقدم عليه وفد
بني المنتفق روى عبد الله بن الامام احمد في مسند ابيه عن دلهم بن الاسود عن عاصم ابن لقيط ان لقيط ابن
عامر خرج وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك ابن المنتفق
فوافياه صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة فقام في الناس خطيبا فقال يا ايها الناس الا اني قد خبات
لكم صوتي منذ اربعة ايام لتسمعوا اليوم الا فهل من امري بعثه قومه فقالوا له اعلم لنا ما يقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا ثم لعله يلهيه حديث نفسه او حديث صاحبه الا واني مسوول هل بلغت الا اسمعوا تعيشوا

الحديث وفيه ذكر البعث والنشور والجنة والنار وفيه ثم قال قلت يا رسول الله على م ابايعك فبسط صلى الله عليه وسلم يده وقال على اقام الصلاة وايتاء الزكاة وان لا تشرك بالله شيا الحديث و قدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد النخع وهم آخر الوفود قدوما عليه وكان قدومهم في نصف المحرم سنة احدى عشرة في مائتي رجل فنزلوا دار الاضياف ثم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو يا رسول الله اني رايت في سفري هذا عجبا قال وما رايت قال رايت اتانا تركتها كانها ولدت جديا اسفع احوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت لك مصرة على حمل قال نعم قال فانها قد ولدت غلاما وهو ابنك قال يا رسول الله ما باله اسفع احوى قال ادن مني فدنا منه قال هل بك من برص تكتمه قال والذي بعثك بالحق نبيا ما علم به احد ولا اطلع عليه غيرك قال فهو ذلك قال يا رسول الله ورايت النعمان بن المنذر عليه قرطان مدلجان ومسكتان قال ذلك ملك العرب رجع الى احسن زيه وبهجته قال يا رسول الله ورايت عجوزا شمطا خرجت من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورايت نارا خرجت من الارض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون في آخر الزمان قال يا رسول الله وما الفتنة قال يقتلون الناس امامهم وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصابعه يحسب المسيء فيها انه محسن ويكون دم المومن عند المومن احلى من شرب الماء ان مات ابنك ادركت الفتنة وان مت انت ادركها ابنك قال يا رسول الله ادع الله ان لا ادركها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركها فمات وبقي ابنه فكان ممن خلع عثمان بن عفان رضي الله عنه انتهى ملخصا من الهدي النبوي والله اعلم وسياتي هذا ان شا الله تعالى في تعبيره صلى الله عليه وسلم الرؤيا من المقصد الثامن المقصد الثالث في ما فضله الله تعالى به من كمال خلقته وجمال صورته وكرمه تعالى به من الاخلاق الزكية وشرفه به من الاوصاف المرضية وما تدعو ضرورة حياته اليه صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة فصول الاول في كمال خلقته وجمال صورته صلى الله عليه وسلم اعلم ان من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم الايمان بان الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمي مثله فيكون ما يشاهد من خلق بدنه آيات على ما يتضح من عظيم خلق نفسه الكريمة وما يتضح من عظيم اخلاق نفسه آيات على ما تحتوي له من سر قلبه المقدس ولله در الابوصيري حيث قال

فهو الذي تم معناه وصورته • ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم •
منزه عن شريك في محاسنه • فجوهر الحسن فيه غير منقسم •

يعني حقيقة الحسن الكامل كاينة فيه لانه الذي تم معناه دون غيره وهي غير منقسمة بينه وبين غيره والا لما كان حسنه تاما لانه اذا انقسم لم ينله الا بعضه فلا يكون تاما وفي الاثر ان خالد بن الوليد خرج في سرية من السرايا فنزل ببعض الاحياء فقال له سيد ذلك الحي صف لنا محمدا فقال اما اني افصل فلا فقال الرجل اجمل فقال الرسول على قدر المرسل ذكره ابن المنير في اسرار الاسرا فمن ذا الذي يصل قدره ان يقدر قدر الرسول ويبلغ من الاطلاع على ما ثور المامول والسول وقد حكى القرطبي في كتاب الصلاة عن بعضهم انه قال لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لانه لو ظهر لنا تمام حسنه لما اطاقت اعيننا رويته صلى الله عليه وسلم ولقد احسن الابوصيري ايضا حيث قال

اعيى الورى فهم معناه فليس يرى • للقرب والبعد فيه غير منفحم •
كالشمس تظهر للعينين من بعد • صغيرة وتكل الطرف من امم •

وهو مثل قوله

انما مثلوا صفاتك للناس • كما مثل النجوم الماء •

واشار بقوله تظهر الى وجه التشبيه بالشمس لا مطلقا ولقد بين عيب التشبيه بها على الاطلاق ابو النواس حيث قال

٩٣

• يتيه الشمس والقمر المنير • اذا قلنا كانهما الامير •
• لان الشمس تغرب حين تمسي • وان البدر ينقصه المسير •

وهذه التشبيهات الواردة في حقه عليه السلام انما هي على سبيل التقريب والتمثيل والا فذاته اعلى واما وجهه الشريف فحسبك ما روى الشيخان من حديث البراء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابي هريرة ما رايت شيا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه رواه الترمذي والبيهقي واحمد وابن حبان قال الطيبي شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل ان يكون من تناهي التشبيه جعل وجهه مقرا ومكانا للشمس ولله در القايل

لم لا يضي بك الوجود وليله • فيه صباح من جمالك مسفر •
فبشمس حسنك كل يوم مشرق • وببدر وجهك كل ليل مقمر •

وفي البخاري سئل البرا اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل القمر وكان السايل اراد مثل السيف في الطول فرد عليه البراء فقال بل مثل القمر في التدوير ويحتمل ان يكون اراد مثل السيف في اللمعان والصقال فقال بل فوق ذلك وعدل الى القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان وفي رواية مسلم من حديث جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وانما قال مستديرا للتنبيه على انه جمع الصفتين لان قوله مثل السيف يحتمل ان يريد به الطول او اللمعان فرده المسوول ردا بليغا ولما جرى التعارف ان التشبيه بالشمس انما يراد به غالبا الاشراق والتشبيه بالقمر انما يراد به الملاحة دون غيرها فقوله وكان مستديرا اشار به الى انه اراد به التشبيه بالصفتين معا الحسن والاستدارة وروى الترمذي والبيهقي عن علي انه نعته صلى الله عليه وسلم فقال لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم كان في وجهه تدوير والمكلثم المدور الوجه اي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل وفي حديث علي عند ابي عبيد في الغرايب وكان في وجهه تدوير قال ابو عبيد في شرحه يريد ما كان في غاية التدوير كان فيه سهولة وهي احلى عند العرب في حديث ابي هريرة عند الذهبي في الزهريات في صفته صلى الله عليه وسلم كان اسيل الخدين قال ابن الاثير الاسالة في الخد الاستطالة وان لا يكون مرتفع الوجنة قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر وهو كالحامل على من سال اكان وجهه مثل السيف واخرج البخاري عن كعب بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كانه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه اي الموضع الذي يتبين فيه السرور وهو جبينه وقالت عايشة مسرورا تبرق اسارير وجهه ولذلك قال قطعة قمر وفي حديث جبير بن مطعم عند الطبراني التفت الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه مثل شقة القمر فهذا محمول على صفته عند الالتفات وقد اخرج الطبراني حديث كعب بن مالك من طرق في بعضها كانه دارة قمر ويسال عن السر في التقييد بالقطعة مع كثرة ما ورد في كثير من كلام البلغا من تشبيه الوجه بالقمر بغير تقييد وقد كان كعب بن مالك قايل هذا من شعرا الصحابة فلا بد في التقييد بذلك من حكمة وما قيل في ذلك من الاحتراز من السواد الذي في القمر ليس بقوي لان المراد بتشبيهه ما في القمر من الضيا والاستنارة وهو في تمامه لا يكون فيها اقل مما في القطعة المجردة فكان التشبيه وقع على بعض الوجه فناسب ان يشبه ببعض القمر وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدارة القمر اخرجه ابو نعيم وروى البيهقي عن ابي اسحاق عن امراة من همدان قالت حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم قلت لها شبهيه قالت كالقمر ليلة البدر لم ار قبله ولا بعده مثله وروى الدارمي والبيهقي وابو نعيم والطبراني عن ابي عبيدة قال قلت للربيع بنت معوذ صفي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لو رايته لقلت الشمس طالعة وروى مسلم عن ابي الطفيل انه قيل له صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان ابيض مليح الوجه وما احسن قول سيدي

علي ابن وفا حيث قال — الا يا صاحب الوجه المليح • سالتك لا تغيب فانت روحي
متى ما غاب شخصك عن عياني • رجعت فلا ترى الا ضريحي • بحقك جد لي فدتك باحبيبي
وداوي لوعة القلب الجريح • ورق لمغرم في الحب امسى • واصبح بالهوى دنفا طريح
بجيش ضاق بالاشواق ذرعا • وآوى منك للكرم الفسيح • وفي النهاية انه عليه السلام كان اذا
سر فكان وجهه المرآة وكان الجدر تلاحك وجهه وقاية والملاحكة شدة الملائمة اي يرى شخص
الجدر في وجهه صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابن ابي هالة يتلالا وجهه تلالا القمر ليلة البدر وذلك لان
القمر يملا الارض بنوره ويونس كل من شاهده وهو يجمع النور من غير اذى ويتمكن من النظر اليه بخلاف الشمس
التي تعشي البصر فتمنع من تمكن الرؤية والتشبيه بالبدر ابلغ في العرف من التشبيه بالقمر لانه وقت كماله كما قال
لو كنت في شيء سوى بشر • كنت المنور ليلة البدر • وقد صادف هذا التشبيه تحقيقا من اسمائه صلى الله
عليه وسلم البدر ولهذا انشدوا لما قدم المدينة • طلع البدر علينا • من ثنيات الوداع • ولقد احسن قال
كالبدر والكاف ان انصفت زائدة • فيه فلا تظننها كاف التشبيه • وما احلى قول ابن الحلاوي
يقولون يحكي البدر في الحسن وجهه • وبدر الدجى عن ذلك الحسن منحط • كما شبهوا غصن النقا بقوامه
لقد بالغوا بالمدح للغصن واشتطوا • فقد حصل للبدر والغصن غاية من الفخر بهذا التشبيه على ان هذه
التشبيهات الواردة في صفاته عليه السلام انما هي على عادة الشعراء والعرب والا فلا شيء في هذه المحدثات
يعادل صفاته الخلقية والخلقية ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا حيث قال
كم فيه للابصار حسن مدهش • كم فيه للارواح راح مسكر • سبحان من انشاه من سبحاته
بشرا باسرار الغيوب يبشر • فاسوء جهلا بالغزال تغزلا • هيهات يشبه الغزال الاحور
هذا وحقك ما له من شبه • واري المشبه بالجهالة يكفر • باتي عظيم الذنب في تشبيهه
لولا ارتجاله يستغفر • فخر الملاح بحسنهم وجمالهم • وبحسنه كل المحاسن تفخر
فجماله مجلي لكل جميلة • وله منار كل وجه نير • جنات عدن في جنا وجناته
ودليله ان المراشف كوثر • هيهات الهو عن هواه بغيره • والغير في حشر الاجانب يحشر
كتب الغرام علي في اسفاره • كتبا تؤول ما الهوى وتفسر • اقرع الدعي وما ادعاه في الهوى
فذعيته بالفجر فيه يفجر • وعليك بالعلم العليم فانه • لخطيبه في كل خطب منبر
واما بصره الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه الله تعالى في كتابه العزيز بقوله ما زاغ البصر
وما طغى وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار
في الضوء • رواه البخاري وعن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى في الظلماء كما
في الضوء • رواه البيهقي وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتي ههنا فوالله ما
يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم اني لاراكم من وراء ظهري • رواه البخاري ومسلم وعند مسلم من رواية انس
انه صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني امامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود فاني اراكم من امامي
ومن خلفي وعن مجاهد في قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال كان صلى الله عليه
وسلم يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه رواه الحميدي في مسنده وابن المنذر في تفسيره وهذه
الرؤية رؤية ادراك والرؤية لا تتوقف على وجود آلتها التي هي العين عند اهل الحق ولا شعاع ولا مقابلة
وهذا بالنسبة الى القديم العالي اما المخلوق فتتوقف صحة الرؤية في حقه على الحاسة والشعاع والمقابلة

بالاتفاق

بالاتفاق وهذا خرق عادة في حقه عليه السلام وخالق البصر في العين قادر على خلقه في غيرها قال الحولي
وهذه الاية قد جعلها الله تعالى دالة على ما كان في حقيقة امره من الاطلاع الباطن لسعة علمه ومعرفته
لما عرف به لا بنفسه اطلعه الله على ما بين يديه مما تقدم من امر الله وعلى ما وراء الوقت مما تاخر من امر الله
فلما كان على ذلك من الاحاطة في ادراك مدركات القلوب جعل الله تعالى له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك في
مدركات العيون فكان يرى المحسوسات من وراء ظهره كما يراها من بين يديه كما قال صلى الله عليه وسلم انتهى
ومن الغريب ما ذكره الزاهدي مختار بن محمود شارح القدوري في رسالته الناصرية انه صلى الله
عليه وسلم كان له بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر بهما ولا تحجبهما الثياب • وقيل بل كانت صورهم تنطبع
في حائط قبلته كما تنطبع في المرآة امثلتهم فيها فيشاهد افعالهم وهذا ان كان نقلا عن الشارع عليه السلام بطريق
صحيح فمقبول والا فليس المقام مقام راي على ان لا فائدة في اثبات كونه معجزة حملها على الادراك من غير آلة والله اعلم
وقد ذهب بعضهم الى ان هذه الرؤية رؤية قلبه الشريف وعن بعضهم المراد بها العلم اما بان يوحى الله اليه
كيفية فعلهم واما بان يلهم والصحيح والصواب ما تقدم وهذا يستشكل على قول من يقول ان المراد بذلك العلم
ما ذكره ابن الجوزي في بعض كتبه بغير اسناد انه صلى الله عليه وسلم قال اني لا اعلم ما وراء جداري هذا فان
صح فالمراد منه نفي العلم بالمغيبات فكيف يجتمعان والجواب ان الاحاديث للاول ظاهرة فيما يتعلق باختصاص
ذلك بحالة الصلاة ويحمل المطلق منها على المقيد واما اذا ذهبنا الى الادراك بالبصر وهو الصواب فلا اشكال
لان نفي العلم هنا عن الغيب وذاك مشاهدة فان قيل يشكل على هذا ايضا اخباره صلى الله عليه وسلم بكثير من
المغيبات ووقعت كما اخبر صلى الله عليه وسلم فالجواب ان نفي العلم في هذا ورد على اصل الوضع وهو ان علم الغيب
مختص بالله تعالى وما وقع منه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى اما وحي او الهام
ويدل لذلك الحديث الذي فيه انه لما ضلت ناقته صلى الله عليه وسلم تكلم بعض المنافقين وقالوا محمد يزعم انه
يخبر بخبر السماء وهو لا يدري اين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك والله اني لا اعلم الا ما علمني ربي
وقد دلني ربي عليها وهي في موضع كذا وكذا احبستها شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها كما اخبر صلى الله عليه وسلم
فعلم انه لا يعلم ما وراء جداره ولا غيره الا ما علمه ربه تبارك وتعالى • وذكر القاضي في الشفا انه صلى الله عليه
وسلم كان يرى في الثريا احد عشر نجما وعند السهيلي اثنا عشر وفي حديث ابن ابي هالة واذا التفت التفت جميعا خافض
الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة • وهي مفاعلة من اللحظ وهو النظر بشق
العين الذي يلي الصدغ واما الذي في الانف فالموق والماق • وقوله واذا التفت التفت جميعا اراد انه لا يسارق
النظر وقيل لا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة اذا نظر الى الشيء وانما يفعل ذلك الطايش الخفيف ولكن كان يقبل جميعا ويدبر
جميعا قاله ابن الاثير وعن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين اهدب الاشفار مشرب العين
بحمرة • رواه البيهقي وعن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم اشكل العينين منهوس
العقبين رواه مسلم والشكلة الحمرة تكون في بياض العين وهو محمود واما الشهلة فانها حمرة في سوادها
وهذا هو الصواب لا ما فسره به بعضهم بانه طول شق العين وعند الترمذي في حديث عن علي انه نعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كان في وجهه تدوير ابيض مشرب ادعج العينين اهدب الاشفار الحديث والادعج
الشديد سواد الحدقة والاهدب الطويل الاشفار وهي شعر العين وعنده ايضا عن علي قال كان اسود الحدقة
اهدب الاشفار وعن علي بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن فاخطب يوما على الناس وحبر من احبار يهود واقف
بيده سفر ينظر فيه فلما رآني قال صف لنا ابا القاسم فقلت ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحديث • وفيه قال علي

فلو سكت فقال الحبر فاذا قلت هذا ما يعرف قال الحبر في عينيه حمرة حسن اللحية ثم قال علي هذه والله
صفته قال الحبر فاني اجد هذه الصفة في سفر آبائي واني اشهد انه نبي وانه رسول الله الى الناس كافة الحديث
وامّا سمعه الشريف فحسبك انه قد قال صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون أطّت
السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى رواه الترمذي
من رواية ابي ذر وما رواه ابو نعيم عن حكيم بن حزام بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه اذ قال
لهم تسمعون ما اسمع قالوا ما نسمع من شيء قال اني لاسمع اطيط السماء وما تلام ان تئط وما فيها موضع
شبر الا وعليه ملك ساجد او قائم ولما جبينه الكريم صلى الله عليه وسلم فقد كان واضح الجبين مقرون
الحاجبين بهذا وصفه علي كما عند ابن سعد وابن عساكر فقال مقرون الحاجبين صلت الجبين اي واضحه والقرن
اتصال شعر الحاجبين وعند البيهقي عن رجل من الصحابة قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل حسن
الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين ولله در القائل • جبينه مشرق من فوق طرته • يتلو الضحى ليله والليل كافره
بالمسك حفت على كافور جبهته • من فوق نوناتها سبقا طغائره • بكل الخلق ما عضت حصا يمنه
منفر الحسن قد قلت نظائره • وقال ابن ابي هالة ازج الحواجب الحواجب وفسر بالمقوس الطويل الوافر
الشعر ثم قال من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اي يمتلئ دما اذا غضب كما يمتلئ الضرع لبنا اذا در
قاله ابن النهاية وعن مقاتل بن حيان قال اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اسمع واطع يا ابن الطاهرة
البكر البتول اني خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فاياي فاعبد وعلي فتوكل فسر لا هل سوران اني
انا الله الحي القيوم بالذي لا ازول صدقوا النبي الامي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين وا
الجعد [illegible] اهدب الاشفار الادعج العينين المقرون الحاجبين الاقنى الانف الواضح الخد
الجبهة [illegible] لو وريح المسك ينفح منه كان عنقه ابريق
العين والقرن بالتحريك التقاء الحاجبين وما وصفه ابن ابي هالة بما
وما في حديث ام معبد فانها قالت ازج اقرن اي مقرون الحاجبين فال
صفته يعني سوابغ في غير قرن والقنا في الانف طوله ودقة ارنبته مع حدب في وسطه وقد وصفه
صلى الله عليه وسلم غير واحد بانه كان عظيم الهامة اي الراس كذا في حديث ابن ابي هالة المشهور وقال
علي ابن ابي طالب في حديث رواه الترمذي وصححه والبيهقي ضخم الراس وكذا قال انس في رواية البخاري
وكان عليه السلام ايضا ضخم الكراديس وهي رؤس العظام كما وصفه به علي في حديث الترمذي وقال
في رواية للترمذي جليل المشاش والكتد وفسر برؤس العظام كالركبتين والمرفقين والمنكبين
والكتد بفتحتين ويجوز كسر التاء مجمع الكتفين وكان عليه السلام دقيق العرنين كما علي
به علي في رواية ابن سعد وابن عساكر وفي رواية ايضا عن ابن عمر بن وصف علي له ايضا اقنى الانف
بالسايل المرتفع وسطه وقال ابن ابي هالة اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم والاشم الطويل
قصبة الانف واما فمه الشريف صلى الله عليه وسلم ففي مسلم من حديث جابر انه صلى الله عليه وسلم كان ضليع الفم
يعني واسعه وكذا وصفه به ابن ابي هالة وزاد يفتتح الكلام ويختمه باشداقه يعني لسعة فمه والعرب تمدح به
على وتذم بصغر الفم وقال شمر عظيم الاسنان وفي حديث عند البزار والبيهقي قال ابو هريرة كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اسيل الخدين وصفه صلى الله عليه وسلم ابن ابي هالة فقال اشنب مفلج الاسنان والشنب
رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيزها والفلج الاسنان اي متفرقها وقال علي مفلج الثنايا بالمرحدة اخرجه

ابن سعد من حديث ابي هريرة وعند ابن عساكر عن علي براق الثنايا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم افلج الثنيتين اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه رواه الترمذي في الشمائل والدارمي والطبراني في الاوسط
وكان عليه السلام احسن عباد الله شفتين والطفهم ختم فم بحر من الشهد في فيه مراشفه • ياقوته صدف فيه جواهره •
وعن ابي قرصافة قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وامي وخالتي فلما رجعنا قالت لي امي وخالتي يا بني
ما رأينا مثل هذا الرجل احسن وجها ولا انقى ثوبا ولا الين كلاما ورأينا كالنور يخرج من فيه واما ريقه الشريف ففي
الصحيح عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو ان يعطاها
فقال اين علي بن ابي طالب فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق رسول الله صلى
الله عليه وسلم في عينيه فبرأ حتى كان لم يكن به وجع الحديث متفق عليه واتي بدلو من ماء فشرب من الدلو ثم
صب في البئر او قال ومج في البئر ففاح منها مثل رائحة المسك رواه احمد وابن ماجه من حديث وائل بن حجر وبزق
في بئر في دار انس فلم يكن بئر بالمدينة اعذب منها رواه ابو نعيم وكان عليه السلام يوم عاشوراء يدعو برضعائه
ورضعاء ابنته فاطمة فيتفل في افواههم ويقول للامهات لا ترضعنهم الى الليل فكان ريقه يجزيهم رواه البيهقي و
دخلت عليه عميرة بنت مسعود هي واخواتها يبايعنه وهن خمس فوجدنه يأكل قديدا فمضغ لهن قديدة ثم ناولهن
كل واحدة قطعة قطعة فلقين الله وما وجدن لافواههن خلوفا رواه الطبراني ومسح صلى الله عليه وسلم بيده
الشريفة لعابا نفث فيها من ريقه على ظهر عتبة وبطنه وكان به شرى فما كان يشم اطيب منه رائحة رواه الطبراني
واعطى الحسن لسانه وكان قد اشتد ظماؤه فمصه حتى روي رواه ابن عساكر ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا الشاذلي
حيث يقول • حيا النحل منه مفيه وفيه حياتنا • ولكنه من ولي يلثم الثامه • مرحيق الثنايا والثاني مقسمه •
[illegible] واما فصاحة لسانه وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فكان صلى الله عليه
وسلم افصح خلق الله واعذبهم كلاما واسرعهم اداء واحلاهم منطقا حتى كان كلامه يأخذ القلوب ويسلب
الارواح [illegible] فياحسنه في نثره ونظامه • يناجي فينجي من يناجي من الجوى •
فكل كليم بالجراحة في كلامه • فصاحة لسانه عليه السلام غاية لا يدرك مداها ومنزلة لا يداني منتهاها
وكيف لا يكون ذلك وقد جعل الله تعالى لسانه سيفا من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو اليه عباده
فهو ينطق بحكمه عن امره ويبين عن مراده بحقيقة ذكره افصح خلق الله اذا لفظ وانصحهم اذا وعظ لا
يقول هجرا ولا ينطق هذرا كلامه كله يثمر علما ويمتثل شرعا وحكما لا يتفوه بشر بكلام احكم منه في مقالة
ولا اجزل منه في عذوبته وخليق من عبر عن مراد الله بلسانه واقام به الحجة على عباده ببيانه
وبين مواضع فروضه واوامره ونواهيه وزواجره ووعده ووعيده وارشاده ان يكون احكم الخلق
جنانا واصدقهم لسانا واوضحهم بيانا وقد كان عليه السلام اذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد
ليس بهذ مسرع لا يحفظ قالت عائشة رضي الله عنها ما كان صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا
كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه وكان يعيد الكلمة ثلاثا لتفهم عنه وكان يقول انا افصح العرب
وان اهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول
الله ما لك افصحنا ولم تخرج من بين اظهرنا قال كانت لغة اسمعيل قد درست فجاءني بها جبريل فحفظتها
رواه ابو نعيم وروى العسكري في الامثال من حديث علي بسند ضعيف جدا قال قدم بنو نهد على النبي
صلى الله عليه وسلم فقدم ذكر خطبتهم وما اجابهم النبي صلى الله عليه وسلم قال فقلنا يا نبي الله نحن بنو

أنه واحد ونشأنا في بلد واحد وانك تكلم العرب بلسان ما نفهم أكثره فقال إن الله عز وجل أدبني
فأحسن أدبي ونشأت في بني سعد بن بكر وعن محمد بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن جده قال قال رجل يا رسول
الله أيدالك الرجل امرأته قال نعم إذا كان مُلْفَجًا فقال له أبو بكر يا رسول الله ما قال لك وما قلت له قال
أيماطل الرجل أهله قلت له نعم إذا كان مفلسًا قال أبو بكر يا رسول الله لقد طفت في العرب وسمعت
فصحاءهم فما سمعت أفصح منك قال أدبني ربي ونشأت في بني سعد رواه السرقسطي في الدلائل بسند
واه وكذا أخرجه ابن عساكر قال في القاموس ودالكه أي ماطله انتهى وقوله ملفجًا بضم الميم وفتح
القاف اسم فاعل من ألفج الرجل فهو ملفج إذا كان فقيرًا وهو غير مقيس ومثله أحصن فهو محصن وأسهب
فهو مسهب في ألفاظ شذت والقياس الكسر قاله ابن عمرو ولكن قال ابن الأثير لم يجئ إلا في ثلاثة أحرف
أسهب وأحصن وألفج وقال غيره معناه أيدافع الرجل امرأته يعني قبل الجماع وسماه مطلًا لكون غرضها
الأعظم الجماع قال إذا كان عاجزًا لا يكون ذلك محرمًا كالشهوة ولعجزه سمي مفلسًا وأما ما يروى أنا
أفصح من نطق بالضاد فقال ابن كثير لا أصل له انتهى لكن معناه صحيح والله أعلم وقد حدوا الفصاحة
بخلوص الكلمة من التنافر والغرابة ومخالفة القياس والمراد بالتنافر تقارب مخارج الحروف
كقوله غدائره مستشزرات إلى العلا فإن السين والشين والتاء والزاي كلها متقاربة المخارج والغرابة
كون الكلمة لا تدل على المراد من أول وهلة لاحتمال معنى آخر ومخالفة القياس استعمال الكلمة على غير قياس
كابقاء وجود المثلين من كلمة واحدة من غير إدغام كقوله الحمد لله العلي الأجلل والفصاحة يوصف بها
الكلام والكلمة والمتكلم والبلاغة أن يطابق الكلام مقتضى الحال مع فصاحته والجزالة خلاف الركاكة
ففصاحته عليه السلام إلى الحد الخارق للعادة البالغ نهاية المرتبة والزيادة التي تصدع القلوب قبل الأذهان
وتقرع الجوانح قبل الآذان ما يروق ويفوق ويثبت له على سائر البشر الحقوق التي لا تقابل بالعقوق فهو
صاحب جوامع الكلم وبدائع الحكم وقوارع الزجر وقواطع الأمر والأمثال السائرة والغرر الشائلة والدرر
المنثورة والدراري المأثورة والقضايا المحكمة والوصايا المبرمة ولا سيما التي هي على العرب كلمة
والحجج التي هي للذة الخصام مفحمة ملجمة وتكميل هذا الوصف بوجوده صلى الله عليه وسلم عليه وزاده فضلًا
وشرفًا لديه وقد روى الحاكم وصححه من حديث ابن عباس أن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم
وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته إلى شاهد ولا ينكرها موافق ولا معاند وقد جمع الناس من كلامه
الفرد الموجز البديع الذي لم يسبق إليه دواوين وفي كتاب الشفا للقاضي عياض من ذلك ما يشفي
العليل كقوله المرء مع من أحب وقوله أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وقوله السعيد
من وعظ بغيره ومما لم يذكر القاضي رحمه الله قوله عليه السلام إنما الأعمال بالنيات رواه الشيخان
وغيرهما ليس للعامل من عمله إلا ما نواه رواه ... وتحت هاتين الكلمتين كنوز العلم ولهذا قال
الشافعي رحمه الله حديث الأعمال بالنيات يدخل في نصف العلم وذلك أن الدين ظاهر وباطن والنية
متعلقة بالباطن والعمل هو الظاهر وأيضًا فالنية عبودية القلب والعمل عبودية الجوارح وقال
بعض الأئمة حديث الأعمال بالنيات ثلث الدين ووجهه أن الدين قول وعمل ونية وقوله نية المؤمن
خير من عمله رواه الطبراني لكن قال بعضهم لا يصح رفعه قال ... ورواه القضاعي عن إسماعيل بن عبد الرحمن
الصفار نا علي بن عبد الله الفضل نا محمد بن الحنفية الواسطي نا محمد بن عبد الله الحلبي نا يوسف بن عطية
عن ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول نية المؤمن أبلغ من عمله قال هذا إسناد لا أصل

عليه

عليه يوسف بن عطية متروك الحديث ورواه عثمان بن عبد الله الشامي من حديث النواس بن سمعان وقال
نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله وقال ابن عدي عثمان بن عبد الله الشامي له أحاديث موضوعات
هذا من جملتها وقال ابن الجوزي لا يصح رفعه قال ومعناه أن النية سر والعمل ظاهر والعمل السر أفضل
وهو يقتضي أنه لو نوى أن يذكر الله أو يتفكر تكون نية الذكر والتفكر خيرًا منه وليس بصحيح وقيل أن النية
بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية وهذا بعيد لأن العمل إذا خلا عن النية لم يكن فيه خير أصلًا وقيل
النية عمل القلب والفعل عمل الجوارح وعمل القلب خير من عمل الجوارح فإن القلب أمير الجوارح وبينه وبينها
علاقة فإذا تألمت تألم القلب وإذا تألم القلب تألمت فارتعدت الفرائص وتغير اللون فالقلب كالملك الراعي
والجوارح خدمه ورعيته وعمل الملك أبلغ من عمل رعيته وقيل لما كانت النية أصل الأعمال كلها وروحها
ولبها والأعمال تابعة لها تصح بصحتها وتفسد بفسادها وهي التي تقلب العمل الصالح فتجعله فاسدًا وغير
الصالح تجعله صالحًا مثابًا عليه ويثاب عليها أضعاف ما يثاب على العمل فلذا كانت نية المؤمن خيرًا من عمله وقوله
يا خيل الله اركبي رواه أبو الشيخ في الناسخ والمنسوخ عن سعيد بن جبير والعسكري عن أنس وابن عائذ في المغازي عن قتادة
ولفظه عند ابن عائذ قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يعني يوم الأحزاب ينادي يا خيل الله اركبي
قال العسكري وهذا على المجاز والتوسع أراد يا فرسان خيل الله اركبي فاختصر وقوله الولد للفراش وللعاهر الحجر
رواه الشيخان وقوله كل الصيد في جوف الفرا وهو بفتح الفاء حمار الوحش رواه الرامهرمزي في الأمثال وسنده
جيد ولكنه مرسل وهو عند العسكري وقال في جوف وجنب وقوله الحرب خدعة رواه البخاري ومسلم عن أبي
هريرة قال سمى النبي صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وليس عند مسلم سمى وقوله خدعة مثلثة الخاء أشهرها فتح
الخاء مع إسكان الدال قال ثعلب وغيره وهي لغة النبي صلى الله عليه وسلم والثانية ضم الخاء مع إسكان الدال والثالثة
[illegible] الدال قال النووي اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب كيفما أمكن إلا أن يكون فيه نقض عهد
[illegible] وقوله إياكم وخضراء الدمن رواه الرامهرمزي والعسكري في الأمثال وابن عدي في الكامل والقضاعي
[illegible] نار عن أبي وجزة يزيد بن عبيد عن عطاء بن
يزيد الليثي عن أبي سعيد مرفوعًا قيل يا رسول الله وما ذا قال المرأة الحسناء في المنبت السوء قال ابن عدي تفرد
به الواقدي ومعناه أنه كره نكاح الفاسدة وقال إن أعراق السوء تنزع أولادها وتفسير حقيقته أن النبات
ينبت على البعر في الموضع الخبيث فيكون ظاهره حسنًا وباطنه قبيحًا فاسدًا فالدمن جمع دمنة وهو البعر وأنشد زفر
ابن الحارث وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا ومعنى البيت أن الرجلين قد يظهران
الصلح والمودة ويبطنان على البغضاء والعداوة كما ينبت المرعى على الدمن وهذا الثرى أو كما هو ربما أشار إليه
شيخنا وقوله والأنصار كرشي وعيبتي رواه البخاري أي أنهم بطانته وموضع سره والعيبة كذلك لأن المجتر يجمع علفه
في كرشه والرجل يضع ثيابه في عيبته وقيل أراد بالكرش الجماعة أي جماعتي وصحابتي ويقال عليه كرش من الناس أي جماعة ووقع
في رواية الترمذي ألا إن عيبتي التي آوي إليها أهل بيتي وإن كرشي الأنصار وقوله ولا يجني على المرء إلا يده رواه
ولأحمد وابن ماجه من حديث عمرو بن الأحوص لا يجني جان إلا على نفسه وقوله ليس الشديد من غلب الناس إنما الشديد من
غلب نفسه رواه ابن حبان في صحيحه ورواه الشيخان بلفظ ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب
يعني أنه إذا ملكها فقد كان قهر أقوى أعدائه وشر خصومه ولذلك قال أعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك وهذا
من باب المجاز ومن فصيح الكلام لأنه لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ وقد ثارت عليه شدة الغضب فقهرها
بحلمه وصرعها بثباته كان كالصرعة الذي يصرع الرجال ولا يصرعونه وقوله ليس الخبر كالمعاينة رواه أحمد وابن

منيع والطبراني والعسكري وقوله المجالس بالامانات رواه العقيلي في ترجمة حسين بن عبد الله بن ضميرة عن ابيه عن جده
عن علي رفعه عن جابر بن عتيك اذا حدث الرجل ثم التفت فهي امانة ورواه ابو داود في سننه والترمذي في جامعه
وابن ابي الدنيا في الصمت وغيرهم فهو حاث لكل من الحل على اداب العشرة واداب الصحبة وكتم السر وحفظ الود وحسن
العهد واصلاح ذات البين والتحذير من النميمة بين الاخوان الموقعة للشنآن مالا يكاد يخفى على مبادي الاذهان انتهى
وقوله البلاء موكل بالمنطق رواه ابن ابي شيبة والبخاري في الادب المفرد من رواية ابراهيم عن ابن مسعود ورواه
الديلمي عن ابي الدرداء مرفوعا البلاء موكل بالمنطق واورده ابن الجوزي في الموضوعات من حديث ابي الدرداء وابن
مسعود قال شيخنا في المقاصد الحسنة ولا يحسن مع مجموع ما ذكرناه الحكم عليه ويشهد بالوضع لمعناه قوله
صلى الله عليه وسلم للاعرابي الذي دخل عليه يعوده وقال لا باس على شيخ كبير تزيره القبور فقال صلى الله عليه
وسلم فنعم اذا وانشد في معناه لا تنطقن بما كرهت فربما نطق اللسان بحادث فيكون
وقوله عليه السلام ترك الشر صدقة رواه ... وقوله اي داء ادوى من البخل رواه البخاري
وقوله لا ينتطح فيها عنزان اي لا يجري فيها خلف ونزاع وقوله الحياء خير كله متفق عليه وقوله اليمين الفاجرة تدع
الديار بلاقع رواه في مسند الفردوس من حديث ابي هريرة وقوله سيد القوم خادمهم رواه ابو عبد الرحمن السلمي
في اداب الصحبة له عن عقبة بن عامر رفعه وفي سنده ضعف وانقطاع ورواه غيره ايضا وقوله فضل العلم خير
من فضل العبادة رواه الطبراني في الاوسط والبزار وقوله الخيل في نواصيها الخير متفق عليه من حديث مالك عن نافع عن ابن
عمر رفعه بلفظ الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة وفي لفظ الخير معقود بنواصيها الخير وقوله اعجل
الاشياء عقوبة البغي رواه ... وقوله وان من الشعر لحكما رواه ابو داود من رواية صخر بن
عبيد الله بن بريدة عن ابيه عن جده سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا
وان من الشعر حكما فقال صعصعة بن صوحان صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اما قوله ان من البيان سحرا فالرجل
يكون عليه الحق وهو الحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق واما قوله ان من العلم جهلا
فتكلف العالم الى علمه ما لا يعلم فيجهله واما قوله ان من الشعر حكما فهي هذه المواعظ والامثال التي يتعظ بها الناس
ومفهومه ان بعض الشعر ليس كذلك لان من تبعيضية وفي البخاري ان من الشعر حكمة اي قولا صادقا مطابقا للحق
قال الطبري وفي هذا الحديث رد على من كره الشعر مطلقا واحتج بقول ابن مسعود الشعر مزامير الشيطان وعن ابي
امامة رفعه ان ابليس لما اهبط الى الارض قال رب اجعل لي قرآنا قال قرآنك الشعر ثم اجاب عن ذلك بانها احاديث
واهية وهو كذلك فحديث ابي امامة فيه علي بن يزيد الالهاني وهو ضعيف وعلى تقدير قوتها فهو محمول على الافراط
فيه والاكثار منه ويدل على الجواز احاديث كثيرة منها ما اخرجه البخاري في الادب المفرد عن عمرو بن الشريد عن ابيه
استنشدني النبي صلى الله عليه وسلم من شعر امية ابن ابي الصلت فانشدته مائة قافية وقوله الصحة والفراغ
نعمتان رواه البخاري وقوله استعينوا على الحاجات بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود رواه الطبراني في معاجمه
الثلاثة عن معاذ بن جبل رفعه واخرجه الخلعي عن علي مرفوعا استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان لها وقوله
المكر والخديعة في النار رواه الديلمي عن ابي هريرة ومعناه ان ذا المكر والخداع لا يكون تقيا ولا خائفا لله
لانه اذا مكر غدر وخدع واذا فعله اوبق وهذا لا يكون في تقي فكل خلة جانبت التقى فهي في النار وقوله
من غشنا فليس منا رواه مسلم في صحيحه وقوله والمستشار مؤتمن رواه احمد وغيره ومعناه انه امين فيما يسأل من
وامنك على ذات نفسه فقد جعلك بموضع نفسه فيجب عليك ان لا تشير عليه الا بما تراه صوابا فانه كالامانة للرجل
الذي كان امن على ايداع ماله الا التقية في نفسه والسر الذي ربما كان في اذاعته تلف النفس اولى بان لا يجعل

الا عند

الا عند الوثوق به وقوله الندم توبة رواه الطبراني في الكبير وقوله الدال على الخير كفاعله رواه العسكري
وابن جميع ومن طريقه المنذري عن ابن عباس في حديث مرفوع بلفظ وكل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله
والله يحب اغاثة اللهفان والمعنى ان من دلك على خير وارشدك اليه فبلغته بارشاده فكانه فعل ذلك الخير
وقوله حبك الشيء يعمي ويصم رواه ابو داود والعسكري من حديث بقية ابن الوليد عن ابي بكر بن عبد الله ابن ابي
مريم عن خالد بن محمد الثقفي عن بلال بن ابي الدرداء عن ابيه مرفوعا ولم ينفرد به بقية بل توبع عليه وابن ابي
مريم ضعيف وقد حكم الصغاني عليه بالوضع وتعقبه العراقي وقال ان ابن ابي مريم لم يتهمه احد بكذب ويكفينا
سكوت ابي داود عليه فليس بموضوع بل ولا شديد الضعف فهو حسن قال العسكري اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان
من الحب ما يعميك عن طريق الرشد ويصمك عن استماع الحق وان الرجل اذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له رادع من
عقل او دين اصمه حبه عن العدل واعماه عن الرشد وكذا قال بعض الشعراء

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدي المساويا *

اشار اليه شيخنا في المقاصد الحسنة وقوله عليه السلام العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضي
والزعيم غارم رواه الترمذي وابو داود وقوله سبقك بها عكاشة رواه البخاري وقوله عجب
ربك من كذا وهي في عدة روايات عند البخاري وغيره ومعناه كما قاله ابن الاثير عظم ذلك عنده وكبر لديه اعلم
الله انه انما يتعجب الادمي من الشيء اذا عظم موقعه عنده وخفي عليه سببه فاخبرهم بما يعرفون ليعلموا موقع هذه
الاشياء عنده وقيل معنى عجب ربك اي رضي واثاب فسماه عجبا مجازا وليس بعجب في الحقيقة والاول الوجه وقوله
قتل صبرا رواه غير واحد وقوله وليس المسؤل باعلم من السائل رواه مسلم وغيره وقوله ولا ترفع عصاك
عن اهلك ادبا رواه احمد اي لا تدع تاديبهم وجمعهم على طاعة الله
المراد الضرب بالعصا ولكنه جعله مثلا وقيل لا تغفل عن ادبهم ومنعهم من الفساد قاله ابن الاثير وقوله ان
مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم رواه البخاري وذكره ابن دريد وقال انه من الكلام الفرد الوجيز الذي لم يسبق
صلى الله عليه وسلم الى معناه اي كل ما انبت الجدول واسناد الانبات اليه مجاز والمنبت في الحقيقة هو
الله تعالى ومن ليست للتبعيض وحبطا بفتح الحاء المهملة والموحدة والطاء المهملة ايضا هو انتفاخ البطن
من كثرة الاكل حتى ينتفخ فيموت ويلم بضم الياء اي يقرب من الهلاك وهو مثل للمنهمك في جمع الدنيا المانع
من اخراجها في وجهها وقوله عليه السلام خير المال عين ساهرة لعين نائمة رواه ... ومعناه عين ماء
تجري ليلا ونهارا وصاحبها نائم فجعل دوام جريانها سهرا لها وقوله عليه السلام من ابطأ به عمله لم يسرع
به نسبه رواه مسلم من حديث ابي هريرة وقوله زر غبا تزدد حبا رواه البزار والحارث ابن ابي اسامة
عن ابي هريرة مرفوعا وفي بعض احاديث الباب انه قيل يا ابا هريرة اين كنت امس قال زرت ناسا من اهلي
فقال يا ابا هريرة زر غبا تزدد حبا وقوله انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم رواه
ابو يعلى والبزار من طرق احدها حسن بلفظ انكم لن تسعوا الناس باموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن
الخلق وقوله الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل رواه الطبراني في الكبير والاوسط والبيهقي وقوله
ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى
رواه البزار والحاكم في علومه والبيهقي في سننه كلهم من طريق محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا
وهو مما اختلف فيه على ابن سوقة في ارساله ووصله وفي رفعه ووقفه ثم في الصحابي اهو جابر او عائشة او عمر
ورجح البخاري في تاريخه من حديث ابن المنكدر الارسال ومعناه انه بقي في طريقه عاجزا عن مقصده لم يقض وطره

وقد اعطب ظهره والوغول الدخول فكانه قال ان هذا الدين مع كونه يسيرًا سهلًا شديدًا فبالغوا فيه بالعبادة
لكن اجعلوا تلك المبالغة مع رفق فان من بالغ بغير رفق وتكلف من العبادة فوق طاقته يوشك ان يمل حتى ينقطع
عن الواجبات فيكون مثله كمثل الذي يعسف الركاب ويحملها من السير على ما لا تطيق رجاء الاسراع فينقطع ظهره
فلا هو الذي قطع الارض التي اراد ولا هو ابقى ظهره سالمًا ينتفع به بعد ذلك وقوله عليه السلام من شاد هذا
الدين غلبه رواه العسكري عن بريدة وللبخاري من حديث معن بن محمد الغفاري عن سعيد المقبري عن ابي هريرة
مرفوعًا ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة
وشيء من الدلجة وقوله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على
الله الاماني رواه الحاكم عن شداد بن اوس وقال صحيح على شرط البخاري وتعقبه الذهبي بان ابن ابي مريم واه
وكذا رواه العسكري والقضاعي والترمذي وابن ماجه وقوله عليه السلام تنكح المراة لجمالها ومالها ودينها
وحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك متفق عليه من حديث ابي هريرة وقوله الشتاء ربيع المومن قصر نهاره
فصامه وطال ليله فقامه رواه البيهقي واحمد وابو نعيم مختصرًا والعسكري بتمامه كلهم من حديث دراج عن ابي
الهيثم عن ابي سعيد وله شواهد وانما كان الشتاء ربيع المومن لانه يرتع فيه في بساتين الطاعات ويسرح في
ميادين العبادات وينزه قلبه في رياض الاعمال الميسرة فيه من الطاعات فان المومن يقدر على صيام نهاره من
غير مشقة ولا كلفة ولا يحصل له جوع ولا عطش فان نهاره قصير بارد فلا يحس فيه مشقة الصيام وقوله
عليه السلام القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى رواه الطبراني في الاوسط من حديث المنكدر ابن محمد بن المنكدر
عن جابر والقضاعي بدون وكنز لا يفنى عن انس وفي القناعة احاديث كثيرة ولو لم يكن في القنع الا التمتع
بالعز لكفى صاحبه وكان من دعايه عليه السلام اللهم قنعني بما رزقتني وانشد بعضهم
ما ذاق طعم الغنى من لا قنوع له ولن ترى قانعًا ما عاش مفتقرا وقوله عليه السلام الاقتصاد في
النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس نصف العقل وحسن السوال نصف العلم رواه البيهقي في الشعب
والعسكري في الامثال وابن السني والديلمي من طريقه والقضاعي كلهم من حديث نافع عن ابن عمر مرفوعًا وضعفه
البيهقي لكن له شاهد عند العسكري من حديث خلاد بن عيسى عن ثابت عن انس رفعه الاقتصاد نصف العيش وحسن
الخلق نصف الدين وكذا اخرجه الطبراني وابن لال ومن شواهده ايضًا ما للعسكري عن انس رفعه السوال
نصف العلم والرفق نصف المعيشة وما عال امرؤ في اقتصاد وللديلمي من حديث ابي امامة رفعه السوال
نصف العلم والرفق نصف المعيشة وصحح ابن حبان من حديث طويل عن ابي ذر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
له يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق وهذا اللفظ عند البيهقي في الشعب وله
ايضا وللعسكري عن علي مرفوعًا التودد نصف الدين وما عال امرؤ قط على اقتصاد اي ما افتقر من انفق
قصدًا ولم يجاوز الى الاسراف وقوله عليه السلام المومن من امنه الناس رواه الترمذي وقوله
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله متفق عليه عن ابن عمرو به مرفوعًا وعن ابي
موسى ومسلم عن جابر وقوله قلة العيال احد اليسارين رواه صاحب مسند الفردوس وقوله عليه السلام اد الامانة
الى من ائتمنك ولا تخن من خانك رواه ابو داود والترمذي من رواية شريك وقيس بن الربيع كلاهما عن ابي صالح
والحسن من رواية الحسن كلاهما عن ابي هريرة وقال الترمذي حديث حسن غريب واخرجه الدارمي في مسنده والدار
قطني والحاكم وقال انه صحيح على شرط مسلم ولكن اعله ابن حزم وكذا ابن القطان والبيهقي وقال ابو حاتم انه
منكر وقال الشافعي انه ليس بثابت عند اهله وقال احمد هذا حديث باطل لا اعرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم

من

من وجه صحيح قال شيخنا لكن بانضمامها يتقوى الحديث انتهى وقوله الرضاع يغير الطباع رواه ابو الشيخ من حديث
ابن عمر وقوله عليه السلام لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له رواه احمد وابو يعلى في مسنديهما
والبيهقي في الشعب عن انس وقوله عليه السلام حسن العهد من الايمان رواه الحاكم في مستدركه عن عايشة
قالت جاءت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي فقال لها من انت فقالت جثامة المزنية قال انت
حسانة كيف انتم كيف كنتم بعدنا قالت بخير يا رسول الله بابي انت وامي فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل
على هذه العجوز هذا الاقبال قال انها كانت تاتينا زمن خديجة وان حسن العهد من الايمان وقال
انه صحيح على شرط الشيخين وليس له علة وقوله صلى الله عليه وسلم جمال الرجل فصاحة لسانه رواه
القضاعي من حديث الاوزاعي والعسكري من حديث المنكدر ابن محمد بن المنكدر كلاهما عن محمد بن المنكدر عن جابر
مرفوعًا واخرجه ايضا الخطيب وابن طاهر وفي اسناده احمد بن عبد الرحمن بن الجارود الرقي والديلمي من
حديث جابر رفعه الجمال صواب المقال والكمال حسن الفعال بالصدق وعند العسكري من حديث العباس قلت
يا رسول الله ما الجمال في الرجل قال فصاحة لسانه وقوله عليه السلام منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب
دنيا رواه الطبراني في الكبير والقضاعي عن ابن مسعود وهو عند البيهقي في المدخل عن القاسم قال قال
ابن مسعود منهومان لا يشبعان طالب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان اما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان
واما صاحب العلم فيزداد من رضى الرحمن وقال انه موقوف منقطع وكذا رواه البزار والعسكري وغيرهما
ويجمعها يتقوى وان كانت مفرداتها ضعيفة والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم لا فقر اشد من
الجهل ولا مال اعز من العقل ولا وحشة اشد من العجب رواه ابن ماجه وقوله عليه السلام الذنب
لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن كما شئت رواه في مسند الفردوس عن ابن عمر وقوله عليه السلام ما
جمع شيء الى شيء احسن من حلم الى علم رواه العسكري في الامثال من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي بن
الحسين عن علي به مرفوعًا بزيادة وافضل الايمان التحبب الى الناس ثلاث من لم تكن فيه فليس مني ولا من الله
حلم يرد به جهل الجاهل وحسن خلق يعيش به في الناس وورع يحجزه عن معاصي الله وعنده ايضًا من حديث
جابر مرفوعًا ما اوى شيء الى شيء احسن من حلم الى علم وصاحب العلم غرثان الى الحلم وقوله عليه السلام
التمسوا الرزق في خبايا الارض رواه في مسند ابي يعلى عن عايشة رضي الله عنها والمراد الزرع وانشدوا
تتبع خبايا الارض وادع مليكها لعلك يومًا ان تجاب فترزقا
وقوله عليه السلام كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعد نفسك في اهل القبور رواه البيهقي
في الشعب والعسكري من حديث ابن عمر مرفوعًا في حديث واخرجه البخاري والترمذي وغيرهم
وقوله عليه السلام صنايع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفي غضب الرب وصلة الرحم
تزيد في العمر اخرجه الطبراني في الكبير بسند حسن وقوله عليه السلام العفو لا يزيد العبد الا عزا
والتواضع لا يزيده الا رفعة وما نقص مال من صدقة روى مسلم ما نقصت صدقة من مال وما زاد
الله عبدًا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وروى القضاعي عن ابي سلمة عن ام
سلمة مرفوعًا ما نقص مال من صدقة ولا عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا وروى الديلمي من حديث
ابي هريرة مرفوعًا والذي نفس محمد بيده لا ينقص مال من صدقة ورواه الترمذي وقال حسن صحيح وقوله
عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من شر فتنة الغنى رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقوله عليه السلام الدنيا
عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر والاخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل قادر يحق فيها الحق ويبطل

الباطل فكونوا ابناء الاخرة ولا تكونوا ابنا الدنيا فان كل ام يتبعها ولدها رواه ابو نعيم في الحلية من
حديث شداد وقوله عليه السلام اخسر الناس صفقة من اذهب اخرته بدنيا غيره رواه وقوله
عليه السلام ان من كنوز البر كتمان المصايب رواه وقوله عليه السلام اليمين حنث او ندم رواه
ابو يعلى وابن ماجه الا انه قال الحلف وقوله عليه السلام لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك
رواه الترمذي من حديث مكحول عن واثلة وقال حسن غريب وهو عند الطبراني ايضا وفي رواية لابن
ابي الدنيا فيرحمه الله ويبتليك فيعافيه الله وقوله عليه السلام اليوم الرهان وغدا السباق والغاية الجنة
والهالك من دخل النار رواه وقوله عليه السلام من ضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له
على الله الجنة رواه جماعة منهم العسكري به والمراد بما بين لحييه اللسان وما ياتي به النطق وبما بين
رجليه الفرج قال الداوودي المراد بما بين اللحيين الفم فيتناول الاقوال والاكل والشرب وساير ما يتاتى
بالفم وفي البخاري والترمذي عن سهل بن سعد بلفظ من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه اضمن له
الجنة وفي لفظ من توكل لي ما بين فقميه ولحييه ورجليه اتوكل له بالجنة والفقم بالضم والفتح اللحي وفي لفظ اخر
من تكفل لي تكفلت وللديلمي بسند ضعيف عن انس رفعه من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه وجبت له
الجنة ولفظ الاحياء وقي والقبقب البطن من القبقبة وهو صوت يسمع في البطن وكانها حكاية ذلك الصوت ويكون
بكونه كناية عن اكل الحرام وشبهه والذبذب الذكر واللقلق اللسان فهذا وامثاله هو مما يحصر استقصاؤه يدل على ذكائه صلى
الله عليه وسلم قدرته على من الفصاحة وجوامع الكلم درجة لا يقاس بها غيره وحاز مرتبة لا يقدر فيها قدره
صلى الله عليه وسلم **ومما عد من وجوه بلاغته** ما ذكر انه جمع متفرقات الشرايع وقواعد الاسلام في
اربعة احاديث وهي حديث انما الاعمال بالنية رواه الشيخان وحديث الحلال بين والحرام بين رواه مسلم وحديث
البينة على المدعي واليمين على من انكر وحديث لا يكمل ايمان المرء حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه رواه الشيخان فالحديث الاول
يشتمل على ربع العبادات والثاني على ربع المعاملات والثالث على ربع الحكومات والخصومات والرابع على ربع
الاداب والمناصفات ويدخل تحته التحذير من الجنايات قال ابن المنير **ومما عد ايضا من انواع بلاغته** كلامه
عليه السلام مع كل ذي لغة بليغة بلغته اتساعا في الفصاحة واستحداثا للالفة فكان صلى الله عليه وسلم يخاطب
اهل الحضر بكلام الين من الدهن وارق من المزن ويخاطب اهل البدو بكلام ارسى من الهضب وارهف من القضب
فانظر الى دعايه لاهل المدينة وقد سالوه ذلك فقال اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم
ومدهم وفي حديث اخر بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا اللهم
اني ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك ابراهيم لمكة ومثله معه ثم انظر دعاءه لبني نهد وقد وفدوا عليه
في جملة الوفود فقام طهفة ابن رهم النهدي يشكو الجدب فقال اتيناك يا رسول الله من غوري تهامة باكوار
الميس ترتمي بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستجيل الجهام
من ارض غائلة النطا غليظة الموطا قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك
الهدي ومات الودي برينا اليك يا رسول الله من الوثن والعنن وما يحدث الزمن لنا دعوة السلام
وشريعة الاسلام ما طما البحر وقام تعار ولنا نعم همل اغفال ما تبل ببلال فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد
وبارك له في المال والولد من اقام الصلاة كان مسلما ومن اتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان
مخلصا لكم يا بني نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة

ثم

ثم كتب معه كتابا الى نهد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى بني نهد ابن زيد السلام على من امن
بالله عز وجل ورسوله لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو
الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر بما في هذا الكتاب
فله من الله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة **ويحتاج** هذه الالفاظ البالغة اعلى انواع البلاغة الى تفسير
فالميس شجر صلب تعمل منه اكوار الابل ورحالها **ونستحلب** بالحاء المهملة الصبير بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة هو
سحاب ابيض متراكب متكاثف اي نستدر السحاب **ونستخلب** بالخاء المعجمة **والخبير** بالخاء المعجمة ايضا ثم الموحدة النبات
والعشب شبه بخبير الابل وهو وبرها واستخلابه احتشاشه بالمخلب وهو المنجل **والخبير** يقع على الوبر والزرع
والاكار قاله ابن الاثير **ونستعضد البرير** اي نقطعه ونجنيه من شجره للاكل وهو بموحدة وراءين بينهما مثناة تحتية
ثمر الاراك اذا اسود وبلغ وقيل هو اسم له في كل حال وكانوا ياكلونه في الجدب **ونستخيل** بالخاء المعجمة
الرهام بكسر الراء وهي الامطار الضعيفة واحدتها رهمة اي نتخيل الماء في السحاب القليل وقيل الرهمة اشد
وقعا من الديمة **ونستجيل** بالجيم اي نراه جايلا تذهب به الريح ههنا وههنا **والجهام** بالجيم اي السحاب الذي فرغ
ماؤه ومن رواه نستخيل بالخاء المعجمة فهو نستفعل من خلت اخال اي اذا ظننت اراد لا نتخيل في السحاب خالا الا المطر
وان كان جهاما لشدة حاجتنا اليه ومن رواه بالحاء المهملة وهو الاشهر اراد لا ننظر من السحاب في حال الا الى
جهام من قلة المطر **والمرض غايلة** بالغين المعجمة **والنطا** بكسر النون اي مهلكة للبعد يقال بلد نطي اي بعيد ويروى
المنطى وهو مفعل منه **والمدهن** نقرة في الجبل **والجعثن** بالجيم والمثلثة اصل النبات ويقال اصل الصليان
خاصة وهو نبت معروف **والعسلوج** بضم العين وبالسين المهملة اخره جيم هو الغصن اذا يبس وذهبت
طراوته **وقيل** هو القضيب الحديث الطلوع يريد ان الاغصان يبست وهلكت من الجدب وجمعه عساليج **و**
الاملوج بالضم والجيم ورق شجر يشبه الطرفا والسرو **وقيل** هو ضرب من النبات ورقه كالعيدان وقيل هو
نوى المقل **و** في رواية وسقط الاملوج من البكارة بالكسر جمع البكر يريد ان السمن الذي قد علا بكارة الابل
بما رعت من هذه الشجرة قد سقط عنها فسماها باسم المرعى اذ كان سببا له وهلك الهدي بفتح الهاء وكسر الدال المهملة
والتشديد كالهدي بالتخفيف وهو ما يهدى الى البيت الحرام من النعم لتنحر فاطلق على جميع الابل وان لم تكن هديا
تسمية للشيء ببعضه يقال كم هدي بني فلان اي كم ابلهم **ومات الودي** بالتشديد فسيل النخل يريد هلكت
الابل ويبست النخيل **وبرينا اليك من الوثن** والعنن الوثن الصنم والعنن الاعتراض يقال عن لي الشيء اي اعترض
كانه قال برينا اليك من الشرك والظلم وقيل اراد به الخلاف والباطل **وما طما البحر** اي ارتفع بامواجه **وتعار** بكسر
التاء المثناة الفوقية يصرف ولا يصرف اسم جبل **ولنا نعم همل** اي مهملة لا رعاة لها ولا فيها ما يصلحها ويهديها فهي
كالضالة **و**ابل الاغفال لا البان فيها **و**قوله عليه السلام في محضها بالحاء المهملة والضاد المعجمة اي خالص لبنها
ومخضها بالمعجمتين ما مخض من اللبن واخذ زبده **و**مذقها بفتح الميم وسكون المعجمة بالقاف اي ممزوج بالماء **وابعث**
راعيها في الدثر بالمهملة المفتوحة ثم المثلثة الساكنة ثم الراء المهملة الكثير وقيل الخصب والنبات الكثير **و**افجر له الثمد
بفتح المثلثة الماء القليل اي صيره كثيرا **و**ودايع الشرك قيل المراد بها العهود والمواثيق يقال توادع الفريقان اذا
اعطى كل واحد منهم عهده للاخر الا يغزوه وقيل ما كانوا استودعوه من اموال الكفار الذين لم يدخلوا في الاسلام
اراد احلالها لهم لانها مال كافر قدر عليه من غير عهد ولا شرط **ووضايع الملك** جمع وضيعة وهي الوظيفة التي
تكون على الملك وهي ما يلزم الناس في اموالهم من الزكاة والصدقة اي لكم الوظايف التي تلزم المسلمين لا نتجاوزها
عنكم ولا نزيد عليكم فيها شيا **و**لا تلطط بضم المثناة الفوقية ثم اللام الساكنة ثم طاءان الاولى مكسورة والثانية

مجزومة على النهي اي لا تمنعوا و لا تلحد في الحياة بفتح المثناة الفوقية واسكان اللام وكسر الحاء المهملة اخره دال مهملة
اي لا تمل عن الحق ما دمت حيا قال بعضهم كذا رواه القتيبي لا نلطط و لا نلحد على النهي للواحد و لا وجه له لانه خطاب للجماعة
ورواه غيره ما لم يكن عهد و لا موعد و لا تثاقل عن الصلاة و لا يلطط في الزكاة و لا يلحد في الحياة قال الحافظ ابو
السعادات الجزري وهو الوجه لانه خطاب للجماعة واقع على ما قبله و قوله لا تثاقل عن الصلاة اي لا تتخلف و
الوظيفة الحق الواجب و الوزيمة اي الهرمة المسنة اي لا ناخذ في الصدقات هذا الصنف كما انا لا ناخذ خيار
المال و الفارض بالفاء والضاد المعجمة المريضة و الدريش بفتح الفاء اخره شين معجمة وهي من الابل كالنفسا من بنات
ادم اي لكم خيار المال وشراره ولنا وسطه و العنان بكسر العين سير اللجام و الركوب بفتح الراء الرسن الذلول
الضبيس بفتح المعجمة وكسر الموحدة اخره مهملة المهر العسر الصعب اي منّ عليهم بترك الصدقة في الخيل جيدها ورديها
و لا يمنع بضم المثناة التحتية وفتح النون سرحكم بفتح السين المهملة وسكون الراء والحاء المهملة ما سرح من المواشي
اي لا يدخل عليكم احد في مراعيكم و لا يعضد طلحكم اي لا يقطع و لا يحبس دركم اي لا تحبس ذوات الدر عن المرعى الى
ان تجمع الماشية ثم تعدّ او لا تمنعاه ان ياخذها المانع ذلك من الاضرار و الاماق بالميم اي ما لم تضمروا الغيظ
والبكاء مما يلزمكم من الصدقة قال في القاموس و قال الزمخشري اراد اضمار الكفر والعمل على ترك الاستبصار
في دين الله و مما نهي عنه الرماق بالراء والميم اي النفاق يقال رامقته رماقا و هو ان ينظر اليه شزرا نظر العداوة
يعني ما لم تضق قلوبكم عن الحق يقال عيش رماق اي ضيق وعيش رمق ومرمق اي يمسك الروح والرمق بقية الروح
واخر النفس و تاكلوا الرباق بكسر الراء و بالموحدة المخففة اي الا ان تنقضوا العهد و استعار الاكل لنقض العهد لان
البهيمة اذا اكلت الربق وهو الحبل يجعل فيه عرى تشد به خلصت من الرباط و الربوه بكسر الراء وفتحها وضمها
اي الزيادة يعني من تقاعد عن اعطاء الزكاة فعليه الزيادة في الفريضة عقوبة له فانظر الى هذا الدعاء والكتاب
الذي انطبق على فهمهم وجاء وزاد عليها في الجزالة والبداوة اين هذا من كتابه عليه الصلاة والسلام لانس في الصدقة
واين ذلك من كتابه بين قريش والانصار انهم امة واحدة دون الناس من قريش على ربعاتهم يتعاقلون بينهم معاقلهم
الاولى ويفكون عانيهم بالمعروف والقسط بين المومنين وان المومنين المتقين ايديهم على من بغى عليهم او ابتغى دسيعة
ظلم وان سلم المومنين واحد على سواء وعدل بينهم وان كل غازية غزت يعقب بعضهم بعضا ومن اعتبط مومنا
قتلا فهو قود الا ان يرضى ولي المقتول ومن ظلم واثم فانه لا يوتغ الا نفسه واهل بيته وان هذه الصحيفة البر المحض
كذا روي مختصرا من حديث ابن شهاب و قوله دسيعة ظلم اي عظيمة من الظلم وربعاتهم امرهم القديم الذي كانوا عليه
و يتعاقلون بينهم معاقلهم الاولى اي يكونون على ما كانوا عليه من اخذ الديات واعطائها وهو تفاعل من العقل والمعاقل
الديات جمع معقلة يقال بنو فلان على معاقلهم التي كانوا عليها اي مراتبهم وحالاتهم و لا يوتغ اي لا يهلك و يعقب
بعضهم بعضا اي يكون الغزو بينهم نوبا فاذا خرجت طائفة ثم عادت لم تكلف ان تعود ثانية حتى تعقبها غيرها
واين هذا اللين في القول وقرب الماخذ في الالفاظ على طريق الحاضرة وعرف الجمهور المشهور من
كتابه لذي المشعار الهمداني لما لقيه وفد همدان مقدمه من تبوك فقال مالك بن نمط يا رسول الله
نصية من همدان من كل حاضر وباد اتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تاخذهم في الله لومة
لائم من مخلاف خارف ويام لا ينقض عهدهم من سنة ماحل ولا سوداء عنقفير ما قام لعلع وما جرى اليعفور
بصلع فكتب لهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف واهل جناب الهضب وحقاف
الرمل مع وافدها ذي المشعار مالك بن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما اقاموا
الصلاة واتوا الزكاة ياكلون علافها ويرعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة

ولهم

ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري وعليهم فيه الصالغ والقارح
قوله نصية من كل حاضر وباد قال ابن الاثير النصية من ينتصى من القوم اي يختار من نواصيهم وهم الرؤس والاشراف
ويقال للروسا نواصي كما يقال للاتباع اذناب و اتوك على قلص بضم القاف واللام جمع قلوص وهي الناقة
الشابة و النواج السراع و قوله متصلة بحبائل الاسلام اي عهوده واسبابه و خارف بالخاء المعجمة و يام
بالمثناة التحتية قبيلتان و لا ينقض عهدهم عن سنة ماحل اي لا ينقض بسعي ساع بالنميمة والافساد كما يقال لا
افسد ما بيني وبينك بمذاهب الاشرار وطرقهم في الفساد والسنة الطريقة والسنن ايضا و العنقفير بفتح
العين المهملة وسكون النون وتقديم القاف الداهية اي لا تنقض عهدهم سعي الواشي ولا داهية تنزل
لعلع جبل و ما جرى اليعفور بفتح التحتية الخشف ولد البقرة الوحشية وقيل هو تيس الظباء والجمع اليعافير
والياء زائدة و بصلع بضم الصاد المهملة وتشديد اللام الارض التي لا نبات فيها و قوله عليه السلام واهل
جناب الهضب بكسر الجيم اسم موضع وحقاف الرمل اسم بلادهم و فراعها بكسر الفاء وبراء وعين مهملة
اي ما علا من الجبال والارض و وهاطها بكسر الواو وبطاء مهملة المواضع المطمئنة واحدها وهط
وبه سمي الوهط وهو مال كان لعمرو بن العاص بالطائف وقيل الوهط قرية بالطائف كان الكرم المذكور
بها و عزازها بفتح العين المهملة ثم زايين مخففتين ما صلب من الارض واشتد وخشن وانما يكون في اطرافها و ياكلون علافها
بكسر العين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء جمع علف وهو ما تاكله الماشية و عفاءها بفتح المهملة وتخفيف الفاء وبالمد اي المباح
و من دفئهم بكسر الدال المهملة وسكون الفاء وبالهمز فالدفء في الحمل نتاج الابل والبانها والانتفاع بها و صرامهم بكسر الصاد المهملة
وتخفيف الراء اي من نخلهم و الثلب بكسر المثلثة واللام الساكنة وبالموحدة ما هرم من ذكور الابل وتكسرت اسنانه و الناب
بالنون والموحدة الناقة الهرمة التي طال نابها و الفصيل بالمهملة التي انفصل عن امه و الفارض بالفاء المسن من الابل و الداجن
بالمهملة والجيم الداجنة التي تالف البيوت و الكبش الحوري بالحاء المهملة ثم واو مفتوحتين فراء مكسورة الذي في صوفه
حمرة و الصالغ بالصاد المهملة والغين المعجمة من ضلع الشاة ونحوها اذا تمت اسنانها و القارح بالقاف والراء والحاء
المهملة وهو من الخيل الذي دخل في السنة الخامسة انتهى و هذا من جنس كتابه لقطن ابن حارثة العليمي من كلب
هذا كتاب من محمد لعمائر كلب واحلافها ومن ظاره الاسلام من غيرهم مع قطن ابن حارثة العليمي باقام الصلاة
لوقتها وايتاء الزكاة بحقها في شدة عقدها ووفاء عهدها بمحضر من شهود المسلمين سمى جماعة منهم دحية ابن خليفة
الكلبي عليهم في الهمولة الراعية البساط الظؤار في كل خمسين ناقة غير ذات عوار والحمولة المايرة لهم لاغية
وفي الشوي الوري مسنة حاملا او حائل وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر وفي العثري شطره بقيمة الامين لا
يزاد عليهم وظيفة ولا يفرق شهد على ذلك الله ورسوله وكتب ثابت ابن قيس ابن شماس و تفسير غريبه ان قوله
ومن ظاره الاسلام بالظاء المعجمة والراء اخرها هاء اي عطفه عليه و عليهم في الهمولة بفتح الهاء التي ترعى بانفسها ولا
تستعمل فعولة بمعنى مفعولة و البساط التي معها اولادها والظؤار ان تعطف الناقة على غير ولدها
الحمولة المايرة لهم لاغية يعني الابل التي تحمل عليها الميرة وهي الطعام ونحوه مما يجلب للبيع لا يوخذ منها زكاة لانها
عوامل و في الشوي بفتح الشين المعجمة وكسر الواو والياء المشددة اسم جمع الشاة و الوري السمينة
ومن هذا النمط كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل ابن حجر بتقديم الحاء المضمومة على الجيم الساكنة الى الاقيال العباهلة
والارواع المشابيب وذكر الفرائض فقال في التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب
الخمس ومن زنى من بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى من ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في
الدين ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال و فسر الاقيال وهو بالقاف والمثناة

مرتحت بالروضة الذين دون الملوك و العباهلة بالمهملة المفتوحة والموحدة الذين أقروا على ملكهم لا يزالون
و الأرواع بفتح الهمزة وسكون الراء آخره عين مهملة جمع رائع وهم ذوو الهيئة أي الحسان الوجوه و المشابيب
بفتح الميم والشين المعجمة وبائين بينهما ألف ساكنة تحتية ساكنة السادة الرؤوس الحسان الوجوه و في التيعة بكسر المثناة الفوقية
وسكون المثناة التحتية وبالعين المهملة أربعون من الغنم وفي القاموس والنهاية أدنى ما تجب فيه الصدقة من
الحيوان و لا مقورة بضم الميم وفتح القاف وتشديد الواو و الألياط بفتح الهمزة وسكون اللام آخره طاء مهملة أي لا
مسترخية الجلود لكونها هزيلة و لا ضناك بكسر المعجمة وتخفيف النون ضدها وهي المكتنزة اللحم و أنطوا بقطع الهمزة
أي أعطوا و الثبجة بالمثلثة ثم موحدة ثم جيم مفتوحات وقد تكسر الموحدة أي أعطوا الوسط في الصدقة لا من خيار
المال ولا من رذالته و في السيوب بضم السين المهملة وآخره موحدة أي الركاز قاله الهروي وقيل المال المدفون
في الجاهلية أو المعدن و في عنم بكسر الراء بلا تنوين لأن أصله من البكر كان أهل اليمن يبدلون لام التعريف ميما
وهي ساكنة فأدغمت النون فيها والمراد بالبكر الجنس وقال ابن الأثير أي من بكر ومن ثيب فقلبت النون الساكنة
ميما أما مع بكر فلأن النون إذا سكنت قبل الباء فإنها تقلب ميما في النطق نحو عنبر وشنباء وأما مع غير الباء فإنها
لغة يمانية كما يبدلون الميم من لام التعريف انتهى و فاصقعوه بهمزة وصل وإسكان الصاد المهملة وفتح القاف
وضم العين المهملة أي اضربوه و استوفضوه بهمزة وصل وكسر الفاء وضم الضاد المعجمة أي غربوه وانفوه و
فضرجوه بالضاد المعجمة وتشديد الراء وبالجيم و بالأضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة أي أدموه بالضرب بجماهير الحجارة
و لا توصيم بالصاد مهملة مكسورة أي لا كسل عن إقامة الحدود و لا غمة بضم المعجمة وتشديد الميم أي لا يستر ولا يخفى و
يترفل بتشديد الفاء المفتوحة يسود ويترأس استعارة من ترفيل الثوب وهو إسباغه وإسباله وقريب
من هذا كتابه لأكيدر وأهل دومة كما قدمته في كتاباته عليه السلام و قال عليه السلام في حديث عطية
السعدي فإن اليد العليا هي المنطية والسفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا
و قد كان هذا من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه أن يكلم كل ذي لغة بليغة بلغته على اختلاف لغة
العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها و كان أحدهم لا يتجاوز لغته وإن سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربي
وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم إلا بقوة إلهية وموهبة ربانية لأنه بعث إلى الكافة طرا وإلى الخليقة سودا
وحمرا والكلام باللسان يقع به غاية البيان ولا يوجد غالبا متكلم بغير لغته إلا قاصرا في الترجمة نازلا عن صاحب
الأصالة في تلك اللغة إلا نبينا وسيدنا صلى الله عليه وسلم كما تقدم فإنه زاده الله تكريما وشرفا تكلم في كل لغة
من لغة العرب بأفصح وأنصع بلفظها منها بلغة أهلها وجدير به ذلك فقد أوتي في سائر القوى البشرية المحمودة زيادة ومزية
على الناس مع اختلاف الأصناف والأجناس مما لا ينضبط بقياس ولا يدخل في عقيدته الناس انتهى وأما صوته الشريف
فعن أنس قال ما بعث الله نبيا قط إلا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه
حسن الصوت رواه ابن عساكر وروي نحوه من حديث علي بن أبي طالب وروي أنه كان إذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه
و قد كان صوته عليه السلام يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره فعن البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع
العواتق في خدورهن رواه البيهقي و قالت عائشة رضي الله عنها جلس صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر فقال
للناس اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة وهو في بني غنم فجلس في مكانه رواه أبو نعيم و قال عبد الرحمن بن معاذ التيمي
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ففتحت أسماعنا وفي لفظ ففتح الله أسماعنا حتى إن كنا لنسمع ما يقول ونحن في
منازلنا رواه ابن سعد و عن أم هانئ قالت كنا نسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في جوف الليل عند الكعبة وأنا
على عريشي رواه ابن ماجه و أما ضحكه صلى الله عليه وسلم ففي البخاري عن عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا

قط

قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم أي ما رأيته مستجمعا من جهة الضحك بحيث يضحك ضحكا تاما مقبلا بكليته
على الضحك و اللهوات بفتح اللام جمع لهاة وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم وهذا لا ينافيه حديث أبي هريرة
في قصة المواقع أهله في رمضان فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه رواه البخاري وهي بالجيم والذال
المعجمة الأضراس ولا تكاد تظهر إلا عند المبالغة في الضحك لأن عائشة إنما نفت رؤيتها وأبو هريرة أخبر بما شاهده والمثبت
مقدم على النافي و قد قال أهل اللغة التبسم مبادئ الضحك والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور
فإن كان بصوت وكان بحيث يسمع من بعد فهو القهقهة وإلا فالضحك وإن كان بلا صوت فهو التبسم وقال ابن
أبي هالة جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام أي يبدي أسنانه ضاحكا وحب الغمام البرد وقال أبو هريرة ولذا
قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر من مجموع الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسم
وربما زاد على ذلك فضحك قال والمكروه من ذلك إنما هو الإكثار منه أو الإفراط فيه لأنه يذهب الوقار قال
ابن بطال والذي ينبغي أن يقتدى به من فعله ما واظب عليه من ذلك و قد روى البخاري في الأدب المفرد وابن
ماجه عن أبي هريرة رفعه لا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب وقال أبو هريرة وإذا ضحك يتلألأ في الجدر رواه
البزار والبيهقي أي يضيء في الجدر بضم الجيم والدال جمع جدار وهو الحائط أي يشرق نوره عليها إشراقا كإشراق الشمس
وكان صلى الله عليه وسلم إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه بل كان إذا خطب وذكر الساعة
اشتد غضبه وعلا صوته كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم رواه مسلم وكان بكاؤه عليه السلام من جنس ضحكه
لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن تدمع عيناه حتى تهملان ويسمع لصدره أزيز يبكي رحمة لميت
وخوفا على أمته وشفقة من خشية الله وعند سماع القرآن وأحيانا في صلاة الليل قاله في الهدي النبوي و قد
حفظه الله تعالى من التثاؤب ففي تاريخ البخاري ومصنف ابن أبي شيبة عن يزيد بن الأصم ما تثاءب النبي
صلى الله عليه وسلم قط وأخرج عند ابن أبي شيبة ما تثاءب نبي قط و أما يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد
بأنه كان شثن الكفين أي غليظ أصابعهما و بأنه عبل الذراعين رحب الكفين و قد مسح صلى الله عليه وسلم خد جابر
ابن سمرة قال فوجدت ليده بردا أو ريحا كأنما أخرجها من جؤنة عطار رواه مسلم و في حديث وائل بن حجر عند الطبراني
والبيهقي لقد كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدي جلده فأتعرفه بعد في يدي وإنه لأطيب
رائحة من المسك وقال يزيد بن الأسود ناولني رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب
ريحا من المسك رواه البيهقي وعن المستورد بن شداد عن أبيه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده
فإذا هي ألين من الحرير وأبرد من الثلج رواه الطبراني و دخل صلى الله عليه وسلم على سعد بن أبي وقاص بمكة يعوده وقد
اشتكى قال فوضع يده على جبهتي فمسح وجهي وصدري وبطني فما زلت يخيل إلي أني أجد برد يده على كبدي حتى الساعة
رواه مسلم وفي البخاري من حديث أنس ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو من باب عطف الخاص على العام لأن الديباج نوع من الحرير قيل وهذا الوصف في هذا الحديث
يخالف ما وقع في حديث ابن أبي هالة عند الترمذي في صفته صلى الله عليه وسلم فإن فيه كما تقدم كان شثن الكفين
والقدمين أي غليظهما في خشونة وهكذا وصفه علي من عدة طرق عند الترمذي والحاكم وغيرهما وكذا وصف
عائشة له عند ابن أبي خيثمة والجمع بينهما أن المراد اللين في الجلد والغلظ في العظام فيجتمع له نعومة البدن وقوته
و قال ابن بطال كانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما غير أنها مع ضخامتها كانت لينة كما في حديث أنس قال
وأما قول الأصمعي الشثن غلظ الكف مع خشونة فلم يوافق على تفسيره بالخشونة والذي فسر به الخليل أولى قال
وعلى تسليم ما فسره به الأصمعي الشثن يحتمل أن يكون أنس وصف حالتي كف النبي صلى الله عليه وسلم فكان إذا عمل بكفه في الجهاد

اوبع مهنة اهله صار كفه خشنا للعارض المذكور واذا ترك ذلك رجع كفه الى اصل جبلته من النعومة وقال القاضي
عياض فسر ابو عبيد الشثن بالغلظ مع القصر وتعقب بانه ثبت في وصفه عليه السلام انه كان سائل الاطراف
انتهى ويؤيد كونها كانت لينة قوله في رواية النعمان كان سبط الكفين بتقديم المهملة على الموحدة فانه موافق لوصفها
باللين والتحقيق في الشثن انه الغلظ من غير قيد قصر ولا خشونة وقد نقل ابن خالويه ان الاصمعي لما فسر الشثن بما مضى قيل له انه
قد ورد في صفة النبي صلى الله عليه وسلم انه لين الكف فآلى على نفسه ان لا يفسر شيئا في الحديث انتهى وفي
حديث معاذ عند الطبراني والبزار اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في سفر فما مسست شيئا قط الين
من جلده صلى الله عليه وسلم واصيب عائذ بن عمرو في وجهه يوم حنين فسال الدم على وجهه وصدره فسلت
النبي صلى الله عليه وسلم الدم بيده عن وجهه وصدره ثم دعا له وكان اثر يده [illegible] فترحموا عليه لما انتهوا عليه
ولعنوه معك فقولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه وقال لهم في رجل كان كثيرا ما يؤتى به سكران يحد حد الخمر
فلعنوه مرة فقال لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله فاظهر لهم مكتوم قلبه لما رفضوه بظاهر فعله وانما
ينظر الله الى القلوب طهر الله قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا ومن ذلك ما رواه الدارقطني من حديث عائشة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصغي الى الهرة الاناء حتى تشرب ثم يتوضأ بفضلها ومن ذلك اتساع
خلقه في شريف تواضعه وادابه وحسن عشرته مع اهله وخدمه واصحابه قال
بعضهم اعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس
وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق والخلق بمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها
وكان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا صلى الله عليه وسلم في اوطان القرب وحسبك من تواضعه عليه السلام ان
خيره ربه تعالى بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاعطاه الله تعالى بتواضعه ان جعله اول من تنشق عنه
الارض واول شافع واول مشفع فلم ياكل متكئا بعد ذلك حتى فارق الدنيا وقد قال عليه السلام لا تطروني كما
اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله رواه الترمذي ومن تواضعه عليه السلام
انه كان لا ينهر خادما روينا في كتاب الترمذي عن انس قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين
فما قال لي اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وكذلك كان صلى الله عليه وسلم
مع عبيده واماءه ما ضرب منهم احدا قط وهذا امر لا يتسع له الطباع البشرية لولا التأييدات الربانية
وفي رواية مسلم ما رايت احدا ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة ما ضرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم
من صاحبه الا ان ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله رواه مسلم وسئلت عائشة كيف كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا في بيته قالت الين الناس بساما ضحاكا لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه
رواه وعنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه
الا قال لبيك رواه وعند احمد وابن سعد وصححه ابن حبان عنها كان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه
ويخصف نعله وفي رواية لاحمد ويرقع دلوه وعنها ايضا يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه وهذا
يتعين حمله على اوقات فانه ثبت انه كان له خدم فتارة يكون بنفسه وتارة بغيره وتارة بالمشاركة وكان
يركب الحمار ويردف خلفه وركب يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف رواه الترمذي وعن قيس بن
سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة وركب
صلى الله عليه وسلم ثم قال يا سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها
رواه ابو داود وغيره وفي البخاري من حديث انس بن مالك اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر واني لرديف
ابي طلحة وهو يسير وبعض نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عثرت
بيده عليه السلام الى منتهى ما مسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس رواه الحاكم وابو نعيم وابن عساكر واخرج
البخاري في تاريخه والبغوي وابن منده في الصحابة من طريق صاعد بن العلاء بن بشر عن ابيه عن جده بشر بن معاوية بن
ثور انه قدم مع ابيه معاوية بن ثور على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح راسه ودعا له بالبركة فكانت في وجهه
مسحة النبي صلى الله عليه وسلم كالغرة وكان لا يمسح شيئا الا برأ ومسح صلى الله عليه وسلم راس مدلوك ابي سفيان فكان
ما مرت يده عليه اسود وشاب ما سوى ذلك رواه البخاري في تاريخه والبيهقي وكذا وقع في ذلك عليه السلام
في راس السائب رواه البغوي والبيهقي وابن منده واخرج البيهقي وصححه والترمذي وحسنه عن ابي زيد الانصاري
عن ابي زيد الانصاري قال مسح عليه السلام بيده على راسي ولحيتي ثم قال اللهم جمله قال فبلغ بضعا ومائة سنة
وما في لحيته بياض ولقد كان منبسط الوجه ولم ينقبض وجهه حتى مات ومسح عليه السلام راس حنظلة بن حذيم
بيده وقال له بورك فيك فكان يؤتى بالشاة الوارم ضرعها والبعير والانسان به الورم فيتفل في يده ويمسح بصلعته
ويقول بسم الله على اثر يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمسحه ثم يمسح موضع الورم فيذهب الورم رواه احمد
والبخاري في التاريخ وابو يعلى وغيرهم وقد جاء في عدة احاديث عن جماعة من الصحابة بياض ابطيه فعن انس قال
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الدعاء حتى رايت بياض ابطيه وقال الطبري من خصائصه صلى الله
عليه وسلم ان الابط من جميع الناس متغير اللون غيره اي الا هو ومثله للقرطبي وزاد وانه لا شعر عليه
لكن نازع فيه صاحب شرح تقريب الاسانيد وقال انه لم يثبت ذلك بوجه من الوجوه قال والخصائص لا تثبت بالاحتمال
ولا يلزم من ذكر انس وغيره بياض ابطيه ان لا يكون له شعر وقد قال عبد الله بن اقرم الخزاعي وقد صلى معه
صلى الله عليه وسلم كنت انظر الى عفرة ابطيه حسنه الترمذي والعفرة بياض ليس بالناصع كما قاله الهروي وغيره وسيأتي
مزيد لذكر في الخصائص ان شاء الله تعالى وعن رجل من بني حريش قال ضمني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسال علي من عرق ابطه مثل ريح المسك رواه البزار وفي صفة علي فقال ذو مسربة ونشر يخيط
الشعر بين الصدر والسرة وقال ابن ابي هالة دقيق المسربة وعند ابن سعد عن علي طويل المسربة وعند البيهقي
له شعرات من لبته الى سرته تجري كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه غيره وفي صفة بطنه ام هانئ فقالت
ما رايت بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ذكرت القراطيس المثنى بعضها على بعض رواه الطيالسي والطبراني وقال
ابو هريرة كان صلى الله عليه وسلم ابيض كانما صيغ من فضة رجل الشعر مفاض البطن عظيم مشاش المنكبين وتقدم ان المشاش
هو رؤوس العظام كالركبتين وكذا مفاض اي واسع البطن وقيل مستوي البطن مع الصدر واخرج الامام احمد عن محرش
الكعبي قال اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ليلا فنظرت الى ظهره كانه سبيكة فضة وكان صلى الله عليه وسلم بعيد
ما بين المنكبين رواه البخاري اي عريض الصدر ووقع عند ابن سعد من حديث ابي هريرة رحب الصدر واما قلبه
الشريف فاعلم ان القلب مضغة في الفؤاد معلقة بالنياط فهو اخص من الفؤاد قاله الواحدي وسمي به لتقلبه بالخواطر
والعزوم قال الشاعر وما سمي الانسان الا لانسه وما القلب الا انه يتقلب وقال الزمخشري مشتق من القلب
الذي هو المصدر لفرط تقلبه الا ترى الى ما روى ابو موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا القلب
كمثل ريشة ملقاة بفلاة تقلبها الريح بطنا لظهر قال والفرق بينه وبين الفؤاد ان الفؤاد وسط القلب سمي به لتفؤده
اي توقده وفسر الجوهري القلب بالفؤاد ثم فسر الفؤاد بالقلب قال الزركشي والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب

والقلب جنة وسوء بدائه وبه بدا الفرق قوله صلى الله عليه وسلم الين قلوبا وارق افئدة وهو اولى من قول
بعضهم انه كرر لاختلاف اللفظ وقال الراغب يعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به كالعلم والشجاعة وقيل حيثما ذكر
الله القلب فاشارة الى العقل والعلم كقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وحيثما ذكر الله الصدر فاشارة
الى ذلك والى سائر القوى من الشهوة والغضب ونحوها انتهى قال بعض العلماء وقد خلق الله تعالى للانسان وجعل له
قلبا يعقل عنه وهو اصل وجوده اذا صلح قلبه صلح سائره واذا فسد قلبه فسد سائره وجعل سبحانه القلوب
محل السر والاخلاص الذي هو سر الله يودعه قلب من شاء من عباده فاول قلب اودعه قلب محمد صلى الله عليه وسلم لانه
اول خلق وصورته صلى الله عليه وسلم آخر صورة ظهرت من صور الانبياء فهو اولهم وآخرهم وقد جعل الله تعالى اخلاق
القلوب للنفوس اعلاما على اسرار القلوب فمن تحقق قلبه بسر الله انبعثت اخلاقه لجميع خلق الله وكذلك جعل الله تعالى
لمحمد صلى الله عليه وسلم جثمانية اختص بها من بين سائر العالمين فيكون علامات اختصاص ختما نبيه ايات دالة على احوال نفسه
الشريفة وعظيم خلقه وتكون علامات عظيم اخلاقه ايات على سر قلبه المقدس ولما كان قلبه صلى الله عليه وسلم اوسع قلب
اطلع الله عليه كما ورد في الخبر كان بمحله اولى ان يكون هو قلب العبد الذي يقول فيه تعالى ما وسعني ارضي ولا سمائي ووسعني
قلب عبدي المومن ولما كان كالمقبل ... بمنزلة سائر المومنين كان صدره يضيق فاتسع قلبه لما انشرح صدره ووضع عنه
وزره ورفع له ذكره وقد صح ان جبريل عليه السلام شقه واستخرج منه علقة فقال له هذا حظ الشيطان منك ثم
غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لامه فاعاده في مكانه قال انس فلقد كنت ارى اثر المخيط في صدره رواه مسلم وانما
خلقت هذه العلقة في ذاته الكريمة ثم استخرجت منه لكونها من جملة الاجزاء الانسانية فخلقها ... امر رباني طرا بعد ذلك قاله السبكي
وعند احمد ... ثم استخرجا قلبي فشقاه فاخرجا منه علقتين سوداوين فقال احدهما ائتني بماء ثلج فغسلا به
جوفي ثم قال ائتني بماء برد فغسلا به قلبي ثم قال ائتني بالسكينة فذراها في قلبي ثم قال احدهما لصاحبه حصه فحاصه
وختم عليه بخاتم النبوة وفي رواية البيهقي ان ملكين جاءاني في صورة كركيين معهما ثلج وبرد وماء بارد فشرح
احدهما صدري ومج الاخر بمنقاره فيه وعن ابي هريرة قال يا رسول الله ما اول ما ابتديت به من امر النبوة قال
اني لفي صحراء ابن عشر حجج اذا انا برجلين فوق راسي يقول احدهما لصاحبه اهو هو قال نعم فاخذاني فلصقاني
لحلاوة القفا ثم شقا بطني وكان احدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والاخر يغسل جوفي فقال احدهما لصاحبه افلق
صدره فاذا صدري فيما ارى مفلوقا لا اجد له وجعا ثم قال اشقق قلبه فشق قلبي فقال اخرج الغل والحسد منه فاخرج
شبه العلقة فنبذه ثم قال ادخل الرافة والرحمة قلبه فادخل شيئا كهيئة الفضة ثم اخرج ذرورا كان معه
فذره عليه ثم نقر ابهامي ثم قال اغد فرجعت بما لم اغد به من رحمتي للصغير ورقتي على الكبير رواه عبد الله بن
الامام احمد في زوائد المسند وابو نعيم وقال تفرد به معاذ عن ابيه وتفرد بذكر السن وعند ابي نعيم في
حديث يونس بن ميسرة فاستخرج حشوة جوفي فغسلها ثم حشاها ذرورا ثم قال قلب وكيع يعي ما وقع
فيه عيناه بصيرتان واذنان تسمعان وانت محمد رسول الله المقفي الحاشر قلبك سليم ولسانك صادق ونفسك
مطمئنة وخلقك قيم وانت قثم وهذا الشق روي انه وقع له عليه السلام مرات منها في حال طفوليته ارهاصا
وتقدم المعجزة على زمان المعجزة البعثة جائز للارهاص ومثل هذا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم كثير وبه يجاب عن
استشكال وقوع ذلك في حال طفوليته لانه من المعجزات ولا يجوز ان يتقدم على النبوة قاله الرازي والذي
عليه اكثر اهل الاصول اشتراط اقتران المعجزة بالتحدي كما نبهت عليه في اوائل الكتاب ويأتي تحقيقه ان شاء الله
تعالى في المقصد الرابع وهو المراد بقوله الم نشرح لك صدرك وقد قيل المراد بالشرح في الاية ما يرجع الى المعرفة
والطاعة ثم ذكروا في ذلك وجوها منها انه لما بعث الى الاحمر والاسود من جني وانسي اخرج تعالى عن قلبه جميع

الهموم

الهموم وانفسح صدره حتى اتسع لجميع المهمات فلا يقلق ولا يضجر بل هو في حالتي البؤس والفرح منشرح الصدر
مشتغل باداء ما كلف فان قلت لم قال الم نشرح لك صدرك ولم يقل قلبك اجيب بان محل الوسوسة
الصدر كما قال تعالى يوسوس في صدور الناس فازالة تلك الوسوسة وابدالها بدواعي الخير هي الشرح لا جرم خص
ذلك الشرح بالصدر دون القلب وقد قال محمد بن علي الترمذي القلب محل العقل والمعرفة وهو الذي يقصده
الشيطان يجي الى الصدر الذي هو حصن القلب فاذا دخل مسلكا اغار فيه وانزل جنده فيه وبث فيه الهموم
والغموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا طرد العدو في الابتداء
حصل الامن وزال الضيق وانشرح الصدر وتيسر له القيام باداء العبودية وههنا دقيقة قال الله تعالى حكاية
عن موسى رب اشرح لي صدري وقال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الم نشرح لك صدرك فاعطي بلا سوال ثم انه تعالى
نعته عليه السلام وقال وسراجا منيرا فانظر الى التفاوت فان شرح الصدر هو ان يصير قابلا للنور والسراج
المنير يقتبس منه النور والفرق بينهما واضح قال الدقاق كان موسى عليه السلام مريدا اذ قال رب اشرح
لي صدري ونبينا صلى الله عليه وسلم مرادا اذ قال الله له الم نشرح لك صدرك والله اعلم واما جماعه
صلى الله عليه وسلم فلقد كان يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال
الراوي قلت لانس اوكان يطيقه قال كنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رواه البخاري وعند الاسمعيلي
عن معاذ قوة اربعين زاد ابو نعيم عن مجاهد كل رجل من رجال اهل الجنة وعن انس مرفوعا يعطى المومن
في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع قلت يا رسول الله او يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة قال الترمذي
صحيح غريب لا نعرفه من حديث قتادة الا من حديث عمران القطان فاذا ضربنا اربعين في مائة بلغت
اربعة الاف وذكر ابن العربي انه كان له صلى الله عليه وسلم القوة الظاهرة على الخلق في الوطء وكان له في الاكل
القناعة ليجمع الله له الفضيلتين في الامور الاعتيادية وطاف على نسائه التسع ليلة رواه ابن سعد وروي
انه صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل بقدر فاكلت منها فاعطيت قوة اربعين رجلا في الجماع وروي انه عليه السلام
اعطي قوة بضع واربعين رجلا كل من اهل الجنة رواه الحارث ابن ابي اسامة وقد حفظه الله من الاحتلام فعن ابن
عباس قال ما احتلم نبي قط وانما الاحتلام من الشيطان رواه الطبراني واما قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم
فقد وصفه غير واحد بانه كان شثن القدمين اي غليظ اصابعهما رواه الترمذي وغيره وعن ميمونة بنت كردم
قالت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول اصبع قدميه السبابة على سائر اصابعه رواه احمد والطبراني
وعن جابر بن سمرة كانت خنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجله متظاهرة رواه البيهقي وقد اشتهر على
الالسنة ان سبابة النبي صلى الله عليه وسلم كانت اطول من الوسطى قال الحافظ ابن حجر وهو غلط ممن قاله وانما
ذلك في اصابع رجليه انتهى قال شيخنا في المقاصد الحسنة وسلفه في جزمه الكمال الدميري وهو خطا
نشا عن اعتماد رواية مطلقة وعبارته كذا رواه ابن هارون عن عبد الله بن مقسم عن سارة ابنة مقسم
انها سمعت ميمونة ابنة كردم تخبر انها رات اصابع النبي صلى الله عليه وسلم كذلك فضمت ما وقع فيها من ان
الاصابع الى كون الوسطى من كل اطول من السبابة وعين اليد منه صلى الله عليه وسلم لذلك بناء على ان العقد
ذكر وصف اختص به صلى الله عليه وسلم عن غيره ولكن الحديث في مسند الامام احمد من حديث يزيد بن هارون
المذكور مقيد بالرجل ولفظه كما قدمته فما نسيت طول اصبع قدمه السبابة على سائر اصابعه وهو عند
البيهقي ايضا في الدلائل من طريق يزيد ولفظها رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو على ناقة
وانا مع ابي فدنا منه ابي فاخذ بقدمه فاقر له رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فما نسيت طول اصبع

فدميه السابقة على سائر اصابعه وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا وطي بقدمه وطي بكلها ليس له اخمص
رواه البيهقي وعن ابي امامة الباهلي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا اخمص له يطا على قدمه كلها رواه ابن عساكر وقال
ابن ابي هالة خمصان الاخمصين مسيح القدمين قال ابن الاثير الاخمص من القدم الموضع الذي لا يلصق بالارض منها عند
الوطي والخمصان المبالغ منه اي ان ذلك الموضع من اسفل قدمه شديد التجافي عن الارض وسيل ابن الاعرابي عنه فقال
اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفل القدم جدا فهو احسن ما يكون واذا استوى او ارتفع جدا فهو
ذم فيكون معنى ان اخمصه معتدل الخمص بخلاف الاول ووقع في حديث ابي هريرة اذا وطي بقدمه وطي بكلها ليس له اخمص
وقوله مسيح القدمين اي ملساوان لينتان ليس فيهما تكسر ولا اشقاق فاذا اصابهما الماء نبا عنهما كما قال ابن ابي هالة ينبو
عنهما الماء وهو معنى حديث ابي هريرة وعن عبد الله بن بريدة كان صلى الله عليه وسلم احسن البشر قدما رواه ابن سعد
واما طوله صلى الله عليه وسلم فقال علي كان صلى الله عليه وسلم لا قصير ولا طويل وهو الى الطول اقرب رواه البيهقي
وعنه كان صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب طولا وفوق الربعة اذا جاء مع القوم غمرهم رواه عبد الله بن الامام احمد و
عن ابي هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة وهو الى الطول اقرب رواه البزار وقوله ربعة اي مربوعا
والتانيث باعتبار النفس وقد فسر في الحديث الاتي بانه ليس بالطويل البائن ولا بالقصير والمراد بالطويل البائن
المفرط في الطول مع اضطراب القامة وقال ابن ابي هالة اطول من المربوع واقصر من المشذب وهو بمعجمتين
مفتوحتين ثانيهما مشدد اي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الاخر لم يكن بالطويل الممغط وهو
بتشديد الميم الثانية المتناهي في الطول وامغط النهار اذا امتد ومغطت الحبل اذا مددته واصله منمغط والنون
للمطاوعة فقلبت ميما وادغمت في الميم ويقال بالعين المهملة بمعناه وعن عايشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وكان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ولم يكن على حال يماشيه احد
من الناس ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الربعة رواه ابن عساكر والبيهقي وزاد ابن سبع في الخصائص انه كان اذا جلس يكون
كتفه اعلى من جميع الجالسين ووصفه ابن ابي هالة بانه بادن متماسك اي معتدل الخلق كان اعضاه يمسك بعضها بعضا
واما شعره الشريف صلى الله عليه وسلم فعن قتادة قال سالت انسا عن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
شعر بين شعرين لا رجل ولا سبط ولا جعد قطط كان بين اذنيه وعاتقه وفي رواية قال كان رجلا ليس بالسبط
ولا الجعد بين اذنيه وعاتقه وفي اخرى الى انصاف اذنيه رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وعن
عايشة قالت كنت اغتسل انا والنبي صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وكان له شعر فوق الجمة ودون الوفرة
رواه الترمذي وابو داود والوفرة الشعر الواصل الى شحمة الاذن وقال ابن ابي هالة ايضا كان رجل الشعر
وهو بفتح الراء وكسر الجيم اي متكسر قليلا بخلاف السبط والجعد ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة
اذنه اذا هو وفره والعقيقة بالقافين شعر راسه الشريف يعني ان انفرقت بنفسها فرقها والا تركها
معقوصة ويروى ان انفرقت عقيصته بالصاد وهو الشعر المعقوص وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يسدل شعره وكان المشركون يفرقون رؤوسهم وكان اهل الكتاب يسدلون رؤوسهم وكان
يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يومر فيه بشيء ثم فرق صلى الله عليه وسلم راسه رواه الترمذي في الشمايل
وفي صحيح مسلم نحوه وسدل الشعر ارساله والمراد هنا ارساله على الجبين واتخاذه كالقصة واما الفرق
فهو فرق الشعر بعضه من بعض قال العلما والفرق سنة لانه الذي رجع اليه صلى الله عليه وسلم والصحيح جواز الفرق
والسدل لكن الفرق افضل وعن عايشة كان له صلى الله عليه وسلم شعر فوق الجمة ودون الوفرة رواه الترمذي

وفي

وفي حديث انس كان الى اذنيه وفي حديث البراء يضرب منكبيه وفي حديث ابي رمثة يبلغ الى كتفيه او منكبيه وفي رواية
ما رايت من ذي لمة احسن منه والجمة هي الشعر الذي نزل الى المنكبين والوفرة ما نزل الى شحمة الاذنين واللمة التي المت
بالمنكبين قال القاضي عياض والجمع بين هذه الروايات ان ما يلي الاذن هو الذي يبلغ شحمة اذنيه وما خلفه
هو الذي يضرب منكبيه قال وقيل بل ذلك لاختلاف الاوقات فاذا غفل عن تقصيرها بلغت المنكب واذا قصرها
كانت الى انصاف الاذنين وكانت تطول وتقصر بحسب ذلك وعن ام هاني بنت ابي طالب قالت قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم علينا مكة قدمة وله اربع غداير رواه الترمذي في الشمايل والغداير بالغين المعجمة والدال
المهملة هي الذوايب واحدتها غديرة وفي مسلم عن انس كان في لحيته عليه السلام شعرات بيض وفي رواية عنده
لم ير من الشيب الا قليلا وفي اخرى له ايضا لو شئت ان اعد شمطات كن في راسه ولم يختضب وعنده ايضا لم
يختضب عليه السلام انما كان البياض في عنفقته وفي الصدغين وفي الراس نبذ بضم النون وفتح الباء الموحدة وبفتح
النون واسكان الموحدة اي شعرات متفرقة وفي رواية اخرى ما شانه الله ببيضا قال الشيخ عبد الجليل في
شعب الايمان فيما حكاه عنه القاضي انما كان كذلك لان النساء يكرهن الشيب غالبا ومن كره من النبي صلى الله عليه وسلم
شيا كفر وقال في النهاية قد تكرر في الحديث جعل الشيب ههنا عيبا وليس بعيب فانه قد جاء في الحديث انه وقار
وانه نور والشيب ممدوح وذلك يحبب منه لا سيما في حق النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن ان يجمع بينهما ووجه الجمع انه عليه
السلام لما راى ابا قحافة وراسه كالثغامة امرهم بتغييره وكرهه ولذلك قال غيروا الشيب فلما علم انس ذلك من
عادته قال ما شانه الله ببيضا بنا على هذا القول وحملا له على هذا الراي ولم يسمع الحديث الاخر ولعل احدهما ناسخ
للاخر انتهى وفي رواية ابي جحيفة عنده رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه منه بيضا ووضع الراوي
بعض اصابعه على عنفقته وفي حديث انس عند البيهقي ما شانه الله بالشيب كان في راسه ولحيته الا سبع عشرة
بيضا وعن ابي جحيفة كان ابيض قد شمط رواه البخاري وفي الصحيح ان ابن عمر راى النبي صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة
وعن عمر انما كان شيبه صلى الله عليه وسلم نحوا من عشرين شعرة بيضا رواه الترمذي وروي ايضا عن ابن عباس
قال ابو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت
وفي حديث جابر عنده لم يكن في راسه عليه السلام شيب الا شعرات في مفرق راسه اذا ادهن واراهن الدهن
وفي رواية البيهقي اسود اللحية حسن الثغر واختلف العلماء هل خضب عليه السلام ام لا فانكر القاضي عياض ومنعه الاكثرون
وهو مذهب مالك وقال النووي المختار انه صبغ في وقت وتركه في معظم الاوقات فاخبر كل بما راى وهو صادق
قال وهذا التاويل كالمتعين لحديث ابن عمر في الصحيحين ولا يمكن تركه ولا تاويل له واما اختلاف الرواية في قدر
شيبه فالجمع بينهما انه راى شيا يسيرا فمن اثبت شيبه اخبر عن ذلك اليسير ومن نفاه اراد انه لم يكثر فيه كما قال
في الرواية الاخرى لم ير من الشيب الا قليلا انتهى وعن جابر بن سمرة كان صلى الله عليه وسلم قد شمط مقدم راسه
ولحيته وكان اذا ادهن لم يتبين واذا شعث راسه تبين وكان كثير شعر اللحية رواه مسلم والنسائي وعن انس
كان صلى الله عليه وسلم يكثر دهن راسه ويسرح لحيته رواه البغوي في شرح السنة وقد وصفه عليه السلام
ابن ابي هالة بانه كان موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك اشعر
الذراعين والمنكبين واعالي الصدر وعن انس قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف
به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل رواه مسلم وسياتي ان شا الله تعالى قصة حلق راسه الشريف
في حجة الوداع ولم يروا انه صلى الله عليه وسلم حلق راسه الشريف في غير نسك حج او عمرة فيما علمته كتنقية الشعر
في الراس سنة ومنكرها يجب تاديبه ومن لم يستطع التنقية يباح له ازالته وقد رايت بمكة المشرفة في ذي القعدة

سنة سبع وتسعين وثمان مائة شعرة عند الشيخ ابي حامد المرشدي شاع وذاع انها من شعره صلى الله عليه وسلم
منهن وصحبة المقام الغرسي خليل العباسي والى الله احتسابه عليه وعن محمد بن سيرين قال قلت لعبيدة عندنا
من شعر النبي صلى الله عليه وسلم اصبناه من قبل انس او من قبل اهل انس قال لان يكون عندي شعرة منه احب الي
من الدنيا وما فيها رواه البخاري وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه صلى الله عليه وسلم كان ياخذ من لحيته
من عرضها وطولها رواه الترمذي وقال حديث غريب واخرج الترمذي عن ابن عباس وحسنه قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم يقص شاربه وعنده ايضا من حديث زيد بن ارقم قال قال صلى الله عليه وسلم من لم ياخذ شاربه
فليس منا وفي الصحيح من حديث خالفوا المشركين وفروا اللحى واحفوا الشوارب واختلف في قص الشارب وحلقه
ايهما افضل ففي الموطا يوخذ من الشارب حتى يبدو طرف الشفة وعن ابن عبد الحكم عن مالك قال ويحفي الشارب
ويعفي اللحا وليس احفاء الشارب حلقه وارى تاديب من حلق شاربه وعن اشهب ان حلقه بدعة قال
وارى ان يوجع ضربا من فعله وقال النووي المختار في قص الشارب انه يقصه حتى يبدو طرف الشفة ولا
يحفه من اصله وقال الطحاوي لم يجدوا عن الشافعي شيئا منصوصا في هذا وكان المزني والربيع يحفيان
شاربهما واما ابو حنيفة وصاحباه فمذهبهم في شعر الراس والشارب ان الاحفاء افضل من التقصير
واما احمد فقال الاثرم رايته يحفي شاربه شديدا وقد اختلفوا في كيفية قص الشارب هل يقص طرفاه
ايضا وهما المسميان بالسبالين ام يترك السبالان كما يفعله كثير من الناس قال الغزالي في الاحياء لا باس
بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر رضي الله عنه وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه
غمر الطعام اذ لا يصل اليه انتهى وروى ابو داود عن جابر قال كنا نعفي السبال الا في حج او عمرة
وكره بعضهم ابقاءه لما فيه من التشبه بالاعاجم بل بالمجوس واهل الكتاب وهذا اولى بالصواب
لما رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المجوس فقال انهم
يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم فكان يجز سباله كما يجز الشاة او البعير وروى احمد في مسنده
في اثناء حديث لابي امامة فقلنا يا رسول الله فان اهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم
فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا اهل الكتاب والعثانين بالعين المهملة والثاء المثلثة
وتكرار النون جمع عثنون وهو اللحية قاله في شرح تقريب الاسانيد واما العانة ففي حديث انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان لا يتنور وكان اذا كثر شعره حلقه ولكن سنده ضعيف وروى ابن ماجة والبيهقي ورجاله
ثقات ولكن اعل بالارسال واحمد صححه من حديث ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اطلى بدا بعانته فطلاها
بالنورة وسائر جسده اهله واما الحديث الذي يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل حمام الجحفة فموضوع
باتفاق اهل المعرفة بالحديث كما قاله الحافظ ابن كثير بل لم تعرف العرب الحمام ببلادهم الا بعد موته عليه
السلام واخرج البيهقي من مرسل ابي جعفر الباقر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب ان ياخذ من
اظفاره وشاربه يوم الجمعة وله شاهد موصول من حديث ابي هريرة لكن سنده ضعيف اخرجه البيهقي ايضا
في الشعب وسئل عنه احمد فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال وعنه يوم الخميس وعنه يتخير قال الحافظ
ابو الفضل ابن حجر وهذا هو المعتمد انه يستحب كيف ما احتاج اليه قال ولم يثبت في استحباب قص
الظفر يوم الخميس حديث وكذا لم يثبت في كيفيته شيء ولا في تعيين يوم له عن النبي صلى الله عليه وسلم وما
يعزى من النظم في ذلك لعلي رضي الله عنه ثم لشيخ الاسلام ابن حجر قال شيخنا انه باطل والمراد ازالة
ما يزيد على ما يلامس راس الاصبع من الظفر لان الوسخ يجتمع فيه فيستقذر وقد ينتهي الى حد يمنع من

وصول

وصول الماء الى ما يجب غسله في الطهارة وقد حكى اصحاب الشافعي فيه وجهين فقطع المتولي بان الوضوء حينئذ لا يصح
وقطع الغزالي في الاحياء بانه يعفى عن مثل ذلك واخرج الطبراني في الاوسط عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم لا
يفارق سواكه ومشطه وكان ينظر في المراة اذا سرح لحيته وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة يكتحل
منها كل ليلة ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه رواه ابن ماجة والترمذي واحمد ولفظه كان يكتحل بالاثمد كل ليلة قبل
ان ينام وكان يكتحل في كل عين ثلاثة اميال وروى النسائي والبخاري في تاريخه عن محمد بن علي قال سالت عائشة
اكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطيب قالت نعم بذكارة الطيب المسك والعنبر واما مشيه صلى الله عليه وسلم فعن
علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفا تكفيا كانما ينحط من صبب رواه البيهقي والترمذي وصححه البيهقي
والتكفؤ الميل الى سنن المشي وعند البزار من حديث ابي هريرة اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها وعند الترمذي في الشمايل
من حديثه وما رايت احدا اسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا
وهو غير مكترث وعن يزيد بن مرثد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى اسرع حتى يهرول الرجل وراءه
فلا يدركه رواه ابن سعد ويروى انه كان اذا مشى مشى مجتمعا اي قوي الاعضاء غير مسترخ في المشي وقال علي رضي
الله عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا مشى تقلع وقال ابن ابي هالة اذا زال زال تقلعا ويمشي هونا ذريع المشية اذا
مشى كانما ينحط من صبب وفي رواية اذا زال قلعا بالفتح والضم فبالفتح هو مصدر بمعنى الفاعل اي كان يزول قالعا
لرجله من الارض وهو بالضم اما مصدر او اسم وهو بمعنى الفتح وقال الهروي قرات هذا الحرف في كتاب غريب الحديث
لابن الانباري قلعا بفتح القاف وكسر اللام وكذلك قراته بخط الازهري وهو كما جاء في حديث اخر كانما ينحط من صبب
والانحدار من الصبب والتقلع من الارض قريب بعضه من بعض اراد انه كان يستعمل التثبت ولا يتبين منه في هذه الحال
استعجال ومبادرة شديدة وذريع المشية اي واسع الخطو قاله ابن الاثير وقال ابن القيم التقلع الارتفاع
من الارض بجملته كحال المنحط في الصبب وهي مشية اولي العزم والهمة والشجاعة وهي اعدل المشيات وارواحها للاعضاء
فكثير من الناس يمشي قطعة واحدة كانه خشبة محمولة فهي مذمومة واما ان يمشي بانزعاج مشي الجمل الاهوج وهي مشية
مذمومة وهي علامة خفة عقل صاحبها ولا سيما ان اكثر الالتفات حال مشيه يمينا وشمالا وفي بعض المسانيد ان المشاة
شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشي في حجة الوداع فقال استعينوا بالنسلان وهو العدو الخفيف الذي
لا يزعج الماشي واما مشيه صلى الله عليه وسلم مع اصحابه فكانوا يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول خلوا ظهري
للملائكة وهو معنى قول القائل وكان يسوق اصحابه ومشاهم فرادى وجماعة ومشى عليه السلام في بعض غزواته
مرة فدميت اصبعه وسال منها الدم فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت رواه ابو داود
ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ظل في شمس ولا قمر رواه الترمذي الحكيم عن ذكوان وقال ابن سبع كان صلى الله
عليه وسلم نورا فكان اذا مشى في الشمس او القمر لا يظهر له ظل قال غيره ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه
واجعلني نورا واما لونه الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه عليه السلام جمهور اصحابه بالبياض منهم
ابو بكر وعمر وعلي وابو جحيفة وابن عمر وابن عباس وابن ابي هالة والحسن بن علي وابو الطفيل ومحرش الكعبي
وابن مسعود والبراء وعائشة وانس في احدى الروايتين عنه فاما لفظ ابي جحيفة فقال كان ابيض رواه
البخاري واما ابو الطفيل فقال كان ابيض مليحا رواه الترمذي في الشمايل وفي رواية مسلم ابيض مليح الوجه وفي
رواية الطبراني ما انسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره وفي شعر ابي طالب
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل وقال علي رضي الله عنه ابيض مشرب
والمشرب هو الذي في بياضه حمرة كما قال في الرواية الاخرى ابيض مشرب بحمرة وبهذا فسر قول انس في صحيح

مسلم ازهر اللون. وفي النسائي من حديث ابي هريرة بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس بين اصحابه جاء رجل فقال ايكم
ابن عبد المطلب قالوا هذا الامغر المرتفق والامغر المشرب حمرة والمرتفق المتكي على مرفقه وفي البخاري من حديث
انس ليس بابيض امهق قال الحافظ ابن حجر ووقع عند الداوودي تبعا لرواية المروزي امهق ليس بابيض و
في رواية عند ابي حاتم وغيره اسمر واستشكله بعضهم وقال ان غالب هذه الروايات متدافع وبعضها يمكن الجمع
كالابيض مع رواية مشرب بالحمرة والازهر وبعضها غير ممكن الجمع كالابيض الشديد الوضح مع الاسمر واعترض
على الداوودي رواية امهق ليس بابيض وهي التي وقعت عنده تبعا لرواية المروزي وقال القاضي عياض انها
وهم قال وكذلك رواية من روى انه ليس بالابيض ولا الآدم وليس بصواب قال الحافظ ابن حجر هذا ليس
بجيد لان المراد انه ليس بالابيض الشديد البياض ولا بالادم الشديد الادمة وانما يخالط بياضه الحمرة والعرب قد
تطلق على كل من كان كذلك اسمر ولهذا جاء في حديث انس عند احمد والبزار رواية منه باسناد صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اسمر واخرجه البيهقي في الدلائل من وجه اخر عن انس فذكر الصفة النبوية فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم ابيض
بياضه الى السمرة. وفي حديث ابن عباس في صفته صلى الله عليه وسلم رجل بين رجلين جسمه ولحمه احمر الى البياض اخرجه
احمد. وقد تبين من مجموع الروايات ان المراد بالسمرة الحمرة التي تخالط البياض وان المراد بالبياض المثبت ما يخالطه
الحمرة والمنفي ما لا يخالطه وهو الذي تكره العرب لونه وتسميه امهق وبهذا تبين ان رواية المروزي امهق ليس بابيض
مقلوبة على انه يمكن توجيهها بان المراد بالامهق الاخضر اللون الذي ليس بياضه في الغاية ولا سمرته ولا حمرته فقد
نقل عن رؤبة ان المهق خضرة الماء فهذا التوجيه يتم على تقدير ثبوت الرواية وقد تقدم في حديث ابي جحيفة اطلاق
كونه كان ابيض وكذا في حديث ابي الطفيل عند مسلم والترمذي. وفي حديث سراقة عند ابن اسحاق فجعلت
انظر الى ساقه كانها جمارة ولاحمد من حديث محرش الكعبي في عمرة الجعرانة قال فنظرت الى ظهره كانه سبيكة فضة.
وعن سعيد بن المسيب انه سمع ابا هريرة يصفه صلى الله عليه وسلم فقال كان شديد البياض اخرجه يعقوب بن
سفيان والبزار باسناد قوي ويجمع بينها بما تقدم وقال البيهقي يقال ان المشرب منه حمرة والى السمرة ما ضحى
للشمس والريح اي كالوجه والعنق واما ما تحت الثياب فهو الازهر الابيض انتهى وهذا ذكره ابن ابي خيثمة
عقب حديث عايشة في صفته صلى الله عليه وسلم بابسط من هذا وزاد ولونه الذي لا يشك فيه الابيض
الازهر انتهى والله اعلم وقد تعقب بعضهم قول كل من وصفه بالسمرة مما كانت الشمس تصيب منه بانه انسان لا يخفى عليه
امره حتى يصفه بغير صفته اللازمة له لقربه منه ولم يكن عليه السلام ملازما للشمس نعم لو وصفه بذلك بعض القادمين
من صادفه في وقت غيرته الشمس لامكن قال والاولى حمل السمرة في رواية انس على الحمرة التي تخالط البياض كما فهمه تنبيه
في الشفا حكاية عن احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل انتهى وهذا
يقتضي ان مجرد الكذب عليه في صفة من صفاته كفر يوجب القتل وليس كذلك بل لا بد من ضميمة ما يشعر بتنقيص وذلك
كما في مسئلتنا هذه فان الاسود لون مفضول واما طيب ريحه صلى الله عليه وسلم وعرقه وفضلاته فقد كانت
الرائحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وان لم يمس طيبا وروينا عن انس قال ما شممت ريحا قط ولا مسكا ولا عنبرا
اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه الامام احمد. وفي رواية البخاري ولا شممت مسكة ولا
عنبرة اطيب من رائحة النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية الترمذي ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان اطيب من عرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله شممت بكسر الميم الاولى وسكون الثانية وعن ام عاصم امراة عتبة بن فرقد
السلمي قالت كنا عند عتبة اربع نسوة فما منا امراة الا وهي تجتهد في الطيب لتكون اطيب من صاحبتها وما يمس
عتبة الطيب الا ان يمس دهنا يمسح به لحيته ولهو اطيب ريحا منا وكان اذا خرج الى الناس قالوا ما شممنا ريحا

اطيب من ريح عتبة فقلت له يوما انا لنجتهد في الطيب ولانت اطيب ريحا منا فمم ذلك فقال اخذني الشرى على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته فشكوت ذلك اليه فامرني ان اتجرد فتجردت وقعدت بين يديه والقيت
ثوبي على فرجي فنفث في يده ثم مسح ظهري وبطني بيده فعبق بي هذا الطيب من يومئذ رواه الطبراني في معجمه الصغير
وروى ابو يعلى والطبراني قصة الذي استعان به صلى الله عليه وسلم على تجهيز ابنته فلم يكن عنده شيء فاستدعى
بقارورة فسلت له فيها من عرقه وقال مرها فلتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم اهل المدينة ذلك
الطيب فسموا بيت المطيبين. وقال جابر بن عبد الله كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال لم يكن في
طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيب عرفه وعرقه ولم يكن يمر بحجر ولا شجر الا سجد له. رواه الدارمي والبيهقي وابو
نعيم ولله در القايل. فلو ان ركبا يمموك لقادهم. نسيمك حتى يستدل به الركب. وعن انس قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رايحة الطيب وقالوا مر رسول الله صلى
الله عليه وسلم من هذا الطريق. رواه ابو يعلى والبزار باسناد صحيح. وما احسن قول القايل
. تنفسه في الوقت انفاس عضره . فمن طيبه طابت له طرقاته . تروح له الارواح حيث تنسمت . لها سحرا من طيبه نسماته
وعن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها وانورهم لونا لم يصفه
واصف قط الا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر وكان عرقه في وجهه مثل اللولو اطيب من المسك الاذفر رواه ابو نعيم
وعن انس قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق وجاءت امي بقارورة فجعلت تسلت العرق
فيها فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال يا ام سليم ما هذا الذي تصنعين قالت هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو اطيب الطيب
رواه مسلم وفي رواية له كان صلى الله عليه وسلم يدخل بيت ام سليم فينام على فراشها وليست فيه قالت فجاء يوما
فنام على فراشها فاتيت فقيل لها هذا النبي نايم في بيتك على فراشك قالت فجاء وقد عرق واستنقع عرقه على
قطعة اديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع صلى الله عليه وسلم فقال
ما تصنعين يا ام سليم فقالت يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا قال اصبت والعتيدة كالصندوق الصغير الذي تترك
فيه المراة ما يعز عليها من متاعها واما ما روي ان الورد خلق من عرقه صلى الله عليه وسلم او من عرق البراق فقال شيخنا
في الاحاديث المشتهرة قال النووي لا يصح وقال شيخ الاسلام ابن حجر انه موضوع وسبقه لذلك ابن عساكر وهو في مسند
الفردوس بلفظ الورد الابيض خلق من عرقي ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبريل والورد الاصفر خلق من عرق
البراق ورواه من طريق مكي بن بندار الزنجاني حدثنا الحسن بن علي بن عبد الواحد القرشي حدثنا هشام بن عمار عن الزهري
عن انس به مرفوعا ثم قال ابو مسعود حدثت ابو عبد الله الحاكم عن رجل عن مكي ومكي تفرد به انتهى ورواه
ابو الحسين بن فارس اللغوي في الريحان والراح له عن مكي به ومكي ممن اتهمه الدارقطني بالوضع وله طريق اخرى رواه
ابو الفرج النهرواني في الجزء الخامس والتسعين من الجليس الصالح له من طريق محمد بن عنبسة بن حماد حدثنا ابي عن جعفر بن سليمان
عن مالك بن دينار عن انس رفعه لما عرج بي الى السماء بكت الارض من بعدي فنبت اللصف من نباتها فلما ان رجعت قطر
من عرقي على الارض فنبت ورد احمر الا من اراد ان يشم رايحتي فليشم الورد الاحمر قال ابو الفرج اللصف الكبر قال
وما اتى به هذا الخبر هو اليسير من كثير مما اكرم الله به نبيه ودل على فضله ورفيع منزلته انتهى وانما ذكرته
ليعلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من
جونة عطار قال غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي
فيعرف من بين الصبيان بريحها رواه وجونة العطار بضم الجيم وهمزة بعدها ويجوز تخفيفها واو اسفله
مستديرة مغشاة وقد ومن ذلك ما عزاه القاضي عياض للاخبار بغير ذلك من الفضائل الكريمة انه صلى الله عليه وسلم كان

اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض وابتلعت بوله وغايطه وفاحت لذلك رايحة طيبة قال عنه ولم يطلع على ما يخرج منه بشر قط واسنده محمد بن سعد كاتب الواقدي كما هو في بعض نسخ الشفا قالوا انه ليس من الرواية ولا من حواشي اصل ابن جبير بل من حواشي غيره عن عايشه رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلاء فلا نرى منك شيئا من الاذى فقال يا عايشه او ما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شي انتهى وفي الشفا لابن سبع عن بعض الصحابة قال صحبته صلى الله عليه وسلم في سفر فلما اراد قضاء الحاجة تاملته وقد دخل مكانا فقضى حاجته فدخلت الموضع الذي خرج منه فلم ار له اثر غايط ولا بول ورايت في ذلك الموضع ثلاثة احجار فاخذتهن فوجدت لهن رايحة طيبة وعطرا قلت وقد سيل الحافظ عبد الغني المقدسي هل روي انه صلى الله عليه وسلم كان ما يخرج منه تبتلعه الارض فقال قد روي ذلك من وجه غريب والظاهر يويده فانه لم يذكر عن احد من الصحابة انه راه ولا ذكره واما البول فقد شاهده غير واحد وشربته ام ايمن والله اعلم انتهى لكن قال البيهقي واما الحديث الذي اخبرنا ابو الحسين ابن بشران اخبرنا اسمعيل بن محمد الصفار حدثنا زيد بن اسمعيل الصايغ حدثنا حسين بن علوان عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشه قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل الغايط دخلت في اثره فلا ارى شيا الا اني كنت اشم رايحة الطيب فذكرت ذلك له فقال يا عايشه اما علمت ان اجسادنا نبتت على ارواح اهل الجنة وما خرج منها ابتلعته الارض فهذا من موضوعات الحسين ابن لا ينبغي ذكره في الاحاديث الصحيحة والمشهور في مجازاته كفاية عن كذب ابن علوان انتهى وروي انه كان يتبرك ببوله ودمه صلى الله عليه وسلم فروى ابن حبان في الضعفاء عن ابن عباس قال حجم النبي صلى الله عليه وسلم غلام لبعض قريش فلما فرغ من حجامته اخذ الدم فذهب به من وراء الحايط فنظر يمينا وشمالا فلم ير احدا تحسا دمه حتى فرغ ثم اقبل فنظر في وجهه فقال ويحك ما صنعت بالدم قلت غيبته من وراء الحايط قال اين غيبته قلت يا رسول الله نفست على دمك ان اهريقه في الارض فهو في بطني فقال اذهب فقد احرزت نفسك من النار وفي سنن سعيد بن منصور من طريق عمر بن السايب انه بلغه ان مالكا والد ابي سعيد الخدري لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم مص جرحه حتى انقاه ولاح ابيض فقيل له مجه فقال لا والله لا امجه ابدا ثم ازدرده فقال النبي صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا فاستشهد واخرج البزار والطبراني والحاكم والبيهقي وابو نعيم في الحلية من حديث عامر بن عبد الله ابن الزبير عن ابيه قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاني الدم فقال اذهب فغيبه فذهبت فشربته فاتيته صلى الله عليه وسلم فقال ما صنعت قلت غيبته قال لعلك شربته قلت شربته فقال ويل لك من الناس وويل للناس منك وعند الدارقطني من حديث اسما بنت ابي بكر نحوه وفيه ولا تمسك النار واخرج الحسن ابن سفيان في مسنده والحاكم والدارقطني والطبراني وابو نعيم من حديث ابي مالك النخعي عن الاسود ابن قيس عن نبيح العنزي عن ام ايمن قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة في جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وانا عطشانة فشربت ما فيها وانا لا اشعر فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ام ايمن قومي فاهريقي ما في تلك الفخارة قلت قد والله شربت ما فيها قالت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال اما والله لا يتجعن بطنك ابدا وعن ابن جريج قال اخبرت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شي فقال لامراة يقال لها بركة كانت تخدم ام حبيبة جاءت معها من ارض الحبشة اين البول الذي كان في القدح قالت شربته قال صحة يا ام يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه فروى ابو داود عن ابن جريج عن حكيمة عن امها اميمة بنت رقيقة وصحح ابن دحية انهما قصتان وقعتا لامراتين وقد وضح ان بركة ام يوسف غير بركة ام ايمن وهو الذي ذهب اليه شيخ الاسلام البلقيني وفي هذه الاحاديث

دلالة

دلالة على طهارة بوله ودمه صلى الله عليه وسلم قال النووي في شرح المهذب واستدل من قال بطهارتهما بالحديثين ان ابا طيبة الحجام حجمه صلى الله عليه وسلم وشرب دمه ولم ينكر عليه وان امراة شربت بوله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليها وحديث ابي طيبة وحديث شرب المراة البول صحيح رواه الدارقطني وقال هو حديث حسن صحيح وذلك كاف في الاحتجاج لكل الفضلات قياسا قال القاضي حسين قال الاصح القطع بطهارة الجميع انتهى وبهذا قال ابو حنيفة كما قاله العيني وابو طيبة بفتح الطا المهملة وسكون اليا المثناة تحت وبالموحدة نافع الحجام مولى محيصة بضم الميم وفتح المهملة وتشديد المثناة تحت وكسرها وهو ابن مسعود الانصاري وقال شيخ الاسلام ابن حجر قد تكاثرت الادلة على طهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم وعد الايمة ذلك من خصايصه انتهى قال بعضهم وكان السر في ذلك ما روي من صنيع الملكين حين غسلا جوفه والله اعلم واما سيرته عليه الصلاة والسلام في البراز ففي حديث عايشه عند ابي عوانة في صحيحه والحاكم ما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم قايما منذ انزل عليه القران وفي حديث عبد الرحمن بن حسنة عند النسايي وابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم بال جالسا فقال انظروا اليه يبول كما تبول المراة وحكى ابن ماجه عن بعض مشايخه انه قال كان من شان العرب البول قايما ويويده ما في حديث عبد الرحمن هذا وفيه دلالة على انه كان يخالفهم في ذلك فيقعد لكونه استر وابعد من مماسة البول وقال حذيفة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سباطة قوم فبال قايما ثم دعا بما فتوضا رواه البخاري وفي رواية عنه بال قايما فتفحج رجليه اي فرقهما وباعد ما بينهما والسباطة بضم المهملة وبعدها موحدة هي المزبلة والكناسة تكون بفناء الدور مرفقا لاهلها وتكون في الغالب سهلة لا يرتد فيها البول على البايل واضافها الى القوم اضافة اختصاص لا ملك لانها لا تخلو عن النجاسة وبهذا يندفع ايراد من استشكله لكون البول يوهي الجدار ففيه اضرار او نقول انما بال فوق السباطة لا في اصل الجدار وهو صريح في رواية ابي عوانة في صحيحه وقيل يحتمل ان يكون علم اذنهم في ذلك بالتصريح او غيره او لكونه بما يتسامح الناس بمثله او لعلمه بايثارهم اياه بذلك او لكونه يجوز له التصرف في مال امته دون غيره لانه اولى بالمومنين من انفسهم واموالهم وهذا وان كان صحيح المعنى لكن لم يعهد ذلك من سيرته ومكارم اخلاقه صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر واما مخالفته صلى الله عليه وسلم لما عرف من عادته من الابعاد عند قضا الحاجة عن الطرق المسلوكة وعن اعين النظار فقد قيل فيه انه صلى الله عليه وسلم كان مشغولا بمصالح المسلمين ولعله طال عليه المجلس حتى احتاج الى البول فلو ابعد لتضرر واستدنى حذيفة ليستره من خلفه عن روية من لعله يراه ولعله فعله لبيان الجواز ثم هو في البول اخف من الغايط لاحتياجه الى زيادة تكشف والغرض من الابعاد التستر وهو يحصل بارخاء الذيل والدنو من الساتر وروى الطبراني من حديث عصمة ابن مالك قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض سكك المدينة فانتهى الى سباطة قوم فقال يا حذيفة استرني فذكر الحديث فظهر منه الحكمة في ادنا حذيفة في تلك الحالة وقيل انما بال قايما لانها حالة يومن معها خروج الريح بصوت ففعل ذلك لكونه قريبا من الديار ويويده ما رواه عبد الرزاق عن عمر رضي الله عنه قال البول قايما احصن للدبر وقيل السبب في ذلك ما روي عن الشافعي واحمد ان العرب كانت تستشفي لوجع الصلب بذلك فلعله كان به وروى الحاكم والبيهقي من حديث ابي هريرة قال انما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم قايما لجرح كان بمابضه والمابض بهمزة ساكنة بعدها موحدة ثم معجمة باطن الركبة فكانه لم يتمكن لاجله من القعود ولو صح هذا الحديث لكان فيه غنى عن جميع ما تقدم ولكن ضعفه الدارقطني والبيهقي والاظهر انه فعل ذلك لبيان الجواز وكان اكثر احواله البول عن قعود وقيل ان البول عن قيام منسوخ واستدل عليه بحديث عايشه المتقدم والصواب انه غير منسوخ والجواب عن حديث عايشه انه مستند الى علمها فيحمل على ما وقع منه في البيوت واما غير البيوت فلم تطلع هي عليه وقد حفظه حذيفة وهو من كبار الصحابة

وهو جائز في غير كراهة اذا امن الرشاش كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يدخل الخلاء قال اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبائث رواه البخاري من حديث انس والخبث بضم المعجمة والموحدة ومراده ذكران الشياطين واناثهم وقد كان عليه السلام يستعيذ اظهارا للعبودية ويجهر بذلك للتعليم وهل يختص هذا الذكر بالابنية المعدة لذلك لكونها حضرة الشياطين او يعم الاصح الثاني ويقول ذلك قبل الدخول في الامكنة واما في غيرها فيقوله في اول الشروع كتشمير ثيابه مثلا وهذا مذهب الجمهور وقالوا من نسي يستعيذ بقلبه لا بلسانه وعن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد الحاجة لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض رواه الترمذي وابو داود والدارمي وعن عائشة قالت كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال غفرانك رواه الترمذي وابن ماجه وعن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال الحمد لله الذي اذهب عني الاذى وعافاني رواه ابن ماجه وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقوا او غربوا رواه البخاري من حديث ابي ايوب الانصاري وهذا في الصحراء واما في البنيان فلما روي عن ابن عمر ارتقيت فوق بيت حفصة لبعض حاجتي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام رواه الشيخان واما حديث جابر عند ابي داود وابن خزيمة ولفظه عند احمد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا ان نستدبر القبلة او نستقبلها بفروجنا اذا اهرقنا الماء قال ثم رأيته قبل موته بعام مستقبل القبلة فقال في فتح الباري لكن انه ليس بناسخ لحديث النهي خلافا لمن زعمه بل هو محمول على انه رآه في بناء او نحوه لان ذلك هو المعهود من حاله صلى الله عليه وسلم لمبالغته في التستر ودعوى خصوصية ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم لا دليل عليه اذ الخصائص لا تثبت بالاحتمال ومذهب الجمهور وهو مذهب مالك والشافعي واسحاق التفريق بين البنيان والصحراء وهذا اعدل الاقوال لاعماله جميع الادلة وقال قوم بالتحريم مطلقا وهو المشهور عن ابي حنيفة واحمد ورجحه من المالكية ابن العربي وحجتهم ان النهي مقدم على الاباحة ولم يصححوا حديث جابر المتقدم وقال قوم بالجواز مطلقا وهو قول عائشة وعروة وربيعة محتجين بان الاحاديث تعارضت فليرجع الى اصل الاباحة وفي البخاري عن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج لحاجته اجيء انا وغلام معنا اداوة من ماء يعني يستنجي به وفي رواية لمسلم عنه فخرج علينا وقد استنجى بالماء وعن ابي هريرة قال اتبعت النبي صلى الله عليه وسلم وخرج لحاجته فقال ابغني احجارا استنفض بها ولا تأتني بعظم ولا روث فاتيته باحجار بطرف ثيابي فوضعتها الى جنبه فلما قضى حاجته اتبعه بهن وعن عبد الله بن مسعود قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم الغائط فامرني ان آتيه بثلاثة احجار فوجدت حجرين والتمست الثالث فلم اجده فاخذت روثة فاتيته بها فاخذ الحجرين والقى الروثة رواه البخاري وفي حديث سلمان عند مسلم مرفوعا لا يستنجي احدكم باقل من ثلاثة احجار وقد اخذ الشافعي واحمد واصحاب الحديث بهذا فاشترطوا ان لا ينقص من الثلاثة مع مراعاة الانقاء اذا لم يحصل بها فيزاد حتى ينقى ويستحب حينئذ الايتار لقوله عليه السلام من استجمر فليوتر وليس بواجب لزيادة في ابي داود حسنة الاسناد قال ومن لا فلا حرج قال الخطابي لو كان القصد الانقاء فقط لخلا اشتراط العدد عن الفائدة فلما اشترط العدد لفظا وعلم الانقاء فيه معنى دل على ايجاب الامرين ونظيره العدة بالاقراء فان العدد مشترط ولو تحققت براءة الرحم بقرء واحد فان العدد مطلوب وقال الطحاوي لو كان العدد شرطا لطلب عليه السلام حجرا ثالثا وغفل رحمه الله عما اخرجه احمد في مسنده من طريق معمر عن ابن مسعود في هذا الحديث فان فيه فالقى الروثة وقال انها ركس ائتني بحجر ورجاله ثقات اثبات واستدلال الطحاوي فيه نظر لاحتمال ان يكون اكتفى بطرف احدهما عن الثالث لان المقصود بالثلاثة ان يمسح بها ثلاث مسحات وذلك حاصل ولو بواحد انتهى ملخصا من فتح الباري

الفصل الثاني فيما اكرمه الله تعالى به من الاخلاق الزكية وشرفه به من الاوصاف المرضية

اعلم ان الاخلاق جمع خلق بضم الخاء واللام ويجوز اسكانها قال الراغب الخلق والخلق بالفتح وبالضم في الاصل بمعنى واحد كالشرب والشرب لكن خص الخلق الذي بالفتح

بالهيئات

بالهيئات والصور المدركة بالبصر وخص الخلق الذي بالضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة انتهى وقد اختلف هل حسن الخلق غريزة او مكتسب وتمسك من قال بانه غريزة بحديث ابن مسعود ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم الحديث رواه البخاري وقال القرطبي الخلق جبلة في نوع الانسان وهم في ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شيء منها كان محمودا والا فهو المأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا وكذا ان كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى وقد وقع في حديث الاشج انه صلى الله عليه وسلم قال له ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة قال يا رسول الله قديما كان في او حديثا قال قديما قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما رواه احمد والنسائي وصححه ابن حبان فترديده السؤال وتقريره عليه يشعر بان في الخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي اخرجه احمد وصححه ابن حبان وعند مسلم في حديث دعاء الافتتاح واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد اثنى الله تعالى عليه في كتابه الكريم فقال وانك لعلى خلق عظيم وكلمة على للاستعلاء فدل اللفظ على انه مشتمل على هذه الاخلاق ومستول عليها والخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة وقد وصف الله تعالى نبيه بما يرجع الى قوته العلمية بانه عظيم فقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ووصف ما يرجع الى قوته العملية بانه عظيم فقال وانك لعلى خلق عظيم فدل مجموع هاتين الايتين على ان روحه فيما بين الارواح البشرية عظيمة عالية الدرجة كانها لقوتها وشدة كمالها كانت من جنس ارواح الملائكة قال الحليمي وانما وصف خلقه بالعظم مع ان الغالب وصف الخلق بالكرم لان كرم الخلق يراد به السماحة والدماثة ولم يكن خلقه صلى الله عليه وسلم مقصورا على ذلك بل كان رحيما بالمؤمنين رفيقا بهم شديدا على الكفار غليظا عليهم مهيبا في صدور الاعداء منصورا بالرعب منهم على مسيرة شهر فكان وصف خلقه بالعظم اولى ليشمل الانعام والانتقام وقال الجنيد وانما كان خلقه صلى الله عليه وسلم عظيما لانه لم يكن له همة سوى الله تعالى وقيل لانه عليه السلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه وقيل لاجتماع مكارم الاخلاق فيه قال عليه السلام فيما رواه الطبراني في الاوسط بسند فيه عمر بن ابراهيم المقدسي وهو ضعيف عن جابر ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال وفي رواية مالك في الموطأ بلاغا بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فجميع الاخلاق الحميدة كلها كانت فيه صلى الله عليه وسلم فانه ادب بالقرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن قال بعض العارفين وقد علم ان القرآن فيه المتشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به اي اقررناه في نصابه واقررناه من خلف حجابه وتلقانا تنسيق الحجة به ولكن في قرائنه

وما كنهه ما تحصل نقله * ولا حده ما تحصل بلا تأمل

وقال صاحب عوارف المعارف ولا يبعد ان قول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن فيه رمز غامض وايماء خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال ادبها انتهى فكانت معاني القرآن لا تتناهى فكذلك اوصافه الجميلة الدالة على خلقه العظيم لا تتناهى اذ في كل حالة من احواله تتجدد له من مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم وما يفيضه الله تعالى عليه من معارفه وعلومه ما لا يعلمه الا الله تعالى فاذا التعرض لحصر جزئيات اخلاقه الحميدة تعرض لما ليس من مقدور الانسان ولا من ممكنات عاداته قال الحرالي وهو كما في القاموس بتشديد اللام نسبة الى قبيلة بالبربر واسمه علي بن احمد بن

الحسن ذو التصانيف المشهورة • ولما كان عرفان قلبه عليه السلام بربه عز وجل كما قال عليه السلام بربي عرفت
كل شي كانت اخلاقه اعظم خلق فلذلك بعثه الى الناس كلهم ولم يقصر رسالته على الانس حتى عمت الجن ولم يقصرها
على الثقلين حتى عمت جميع العالمين فكل من كان الله ربه فمحمد رسوله وكما ان الربوبية تعم العالمين فالخلق
المحمدي يشمل جميع العالمين انتهى • وهذا مصير منه الى انه صلى الله عليه وسلم قد ارسل الى الملايكة ايضا وسياتي
الكلام في ذلك مستوفى ان شا الله تعالى وهو المستعان • وقد كان صلى الله عليه وسلم مجبولا على الاخلاق
الكريمة في اصل خلقته الزكية النقية لم يحصل له ذلك برياضة نفس بل بجود الهي • ولهذا لم يزل تشرق انوار
المعارف في قلبه حتى وصل الى الغاية العليا • والمقام الاسنى • واصل هذه الخصال الحميده والمواهب المجيده كمال
العقل لان به تقتبس الفضايل وتجتنب الرذايل فالعقل لسان الروح وترجمان البصيرة • والبصيرة للروح بمثابة
القلب والعقل بمثابة اللسان قال بعضهم لكل شي جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر واما
ما روي ان الله لما خلق العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اشرف فادبر
منك فبك اخذ وبك اعطي فقال شيخنا قال ابن تيمية وتبعه غيره انه كذب موضوع باتفاق انتهى وفي
زوايد عبد الله ابن الامام احمد على الزهد لابيه عن علي بن مسلم عن سيار بن حاتم وهو ممن ضعفه غير واحد
وكان جماعا للرقايق وقال القواريري انه لم يكن له عقل قال حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي حدثنا مالك
ابن دينار عن الحسن البصري مرسلا لما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال ما خلقت خلقا
احب الي منك بك آخذ وبك اعطي واخرجه داود ابن المحبر في كتاب العقل له وابن المحبر كذاب قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر
والوارد في اول ما خلق الله حديث اول ما خلق الله القلم وهو اثبت من حديث العقل وكان الشيخ عمرو ابن ابي اياس
المزني وبعض الناس يعملون الخير وانما يعطون اجورهم على قدر عقولهم • وقد اختلف في ماهية العقل اختلافا
طويلا بطول استقصاوه • وفي القاموس ومن خطه نقلت العقل العلم او بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها
ونقصانها او العلم بخير الخيرين وشر الشرين او يطلق لامور لقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن ولمعان مجتمعة في الذهن أو
تكون بمقدمات تستتب بها الاغراض والمصالح ولهيية محمودة للانسان في حركاته وكلامه • والحق انه نور روحاني به
تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ
انتهى • وقد كان صلى الله عليه وسلم من كمال العقل في الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه ولهذا كانت معارفه
عظيمة وخصايصه جسيمة خارقة العقول في بعض ما افاضه من غيبه لديه • وكلت الافكار في معرفة بعض ما
اطلعه الله عليه • وكيف لا يعطى ذلك وقد امتلا قلبه وباطنه وفاض على جسده المكرم مما وهبه من اسرار
الهيته • ومعرفة ربوبيته • وتحقق عبوديته • قال وهب ابن منبه قرات في احد وسبعين كتابا فوجدت في
جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم
الا كحبة رمل من بين جميع رمال الدنيا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا
رواه ابو نعيم في الحلية وابن عساكر • وعن بعضهم مما هو في عوارف المعارف العقل الكامل مايه
جزء تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في سائر المومنين • ومن تامل حسن تدبيره للعرب
الذين هم كالوحش الشارد • والطبع المتنافر المتباعد • وكيف ساسهم واحتمل جفاهم • وصبر على اذاهم • الى
ان انقادوا اليه • واجتمعوا عليه • وقاتلوا دونه اهليهم واباهم وابناهم • واختاروه على انفسهم وهجروا في
رضاه اوطانهم واحباهم • من غير ممارسة تقدمت له ولا مطالعة كتب يتعلم منها سير الماضين • تحقق انه اعقل
العالمين • ولما كان عقله عليه السلام اوسع العقول لا جرم اتسعت اخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يضيق عن
شي

شي من ذلك لاتساع خلقه العظيم في الحلم والعفو مع القدرة • وصبره عليه السلام على ما يكره • وحسبك صبره وعفوه
عليه السلام عن الكافرين المقاتلين المحاربين له في اشد ما نالوه به من الجراح والجهد بحيث كسرت رباعيته وشج
وجهه يوم احد حتى صار الدم يسيل على وجهه الشريف حتى شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت
عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومي او اهد قومي فانهم لا يعلمون •
قال ابن حبان اي اغفر لهم ذنبهم في شج وجهي لا انه اراد الدعا لهم بالمغفرة مطلقا اذ لو كان كذلك لاجيب
ولو اجيب لاسلموا كلهم كذا قال رحمه الله • وقد روي عن عمر انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول
الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الايه ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد
وطي ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
وههنا دقيقة وهي انه عليه السلام لما شج وجهه عفا وقال اللهم اهد قومي وحين شغلوه عن الصلاة يوم
الخندق قال اللهم املا بطونهم نارا فتحمل الشجة الحاصلة في وجه جسده وما تحمل الشجة الحاصلة في وجه
دينه فان وجه الدين هو الصلاة فرجح حق خالقه على حقه • واعلم ان الصبر على الاذى جهاد النفس وقد جبل
الله تعالى النفس على التالم بما يفعل بها ولهذا شق عليه صلى الله عليه وسلم نسبتهم له الى الجور في القسمة لكنه
عليه السلام حلم على القايل وصبر لما علم من جزيل ثواب الصابرين وان الله تعالى يجزيهم بغير حساب • وصبره عليه السلام
على الاذى انما هو فيما كان من حق نفسه واما اذا كان لله فانه يمتثل فيه امر الله تعالى من الشدة كما قال له
تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم • وقد وقع له عليه السلام انه غضب لاسباب
مختلفة مرجعها الى ان ذلك كان في امر الله واظهر الغضب فيها ليكون اوكد في الزجر فصبره انما كان فيما يتعلق
بنفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم • وقد روى الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي عن زيد بن سعنه بالمهملة
والنون المفتوحة صححه عبد الحق وذكره الدارقطني بالمثناة التحتية وثبت في الشفا وصحح عليه مولفه بخطه وهو الذي
ذكره ابن اسحاق كما قاله النووي احد احبار اليهود الذي اسلم انه قال لم يبق من علامات النبوة شي الا وقد عرفته
~~الطبراني وابو والحاكم والبيهقي عن زيد~~ نظرت اليه الا اثنين لم اخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل
عليه الا حلما فكنت اتلطف له لان اخالطه فاعرف حلمه وجهله فابتعت منه تمرا الى اجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل
بيومين او ثلاثة اتيته فاخذت بمجامع قميصه وردايه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت الا تقضيني يا محمد حقي فوالله
انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال عمر اي عدو الله اتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما احاذر
فوته لضربت بسيفي راسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر في سكون وتوده وتبسم ثم قال انا وهو كنا احوج
الى غير هذا منك يا عمر ان تامرني بحسن الادا وتامره بحسن التباعة اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان
ما رعته • فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين
لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل الا حلما فقد اختبرتهما فاشهدك اني قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد نبيا • وعن ابي هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ثم قام فقمنا حين قام فنظرنا الى اعرابي قد
ادركه فجذبه بردايه فحمر رقبته وكان رداء خشنا فالتفت اليه فقال له الاعرابي احملني على بعيري هذين فانك لا تحملني
من مالك ولا من مال ابيك فقال له صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله لا واستغفر الله لا واستغفر الله لا احملك حتى تقيدني
من جبذتك التي جبذتني فكل ذلك يقول له الاعرابي والله لا اقيدكها فذكر الحديث قال ثم دعا رجلا فقال له احمل له على بعيريه
هذين على بعير تمرا وعلى الاخر شعيرا • رواه ابو داود • ورواه البخاري من حديث انس بلفظ كنت امشي مع النبي صلى الله عليه
وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه بردايه جبذة قال انس فنظرت الى صفحة عاتقه وقد اثرت

فيه حاشية البرد من شدة جذبته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه فضحك ثم امر له بعطاء وفي هذا
بيان حلمه عليه السلام وصبره على الاذى في النفس والمال والتجاوز عن جفا من يريد تألفه على الاسلام وعن عايشة لم يكن
النبي صلى الله عليه وسلم فحاشا ولا متفحشا ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح رواه الترمذي اي لم يكن له الفحش خلقا
ولا مكتسبا وروى البخاري من حديث ابن عمر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا وفي رواية ايضا من حديث
انس بن مالك لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سبابا ولا فاحشا ولا لعانا والفحش كل ما خرج عن مقداره حتى يستقبح ويدخل في القول
والفعل والصفة لكن استعماله في القول اكثر والمتفحش بالتشديد الذي يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه وعن عايشة ان
رجلا استاذن على النبي صلى الله عليه وسلم فلما راه قال بئس اخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس تطلق النبي صلى
الله عليه وسلم في وجهه وانبسط اليه فلما انطلق الرجل قالت له عايشة يا رسول الله حين رايت الرجل قلت له كذا وكذا
ثم تطلقت في وجهه وانبسطت اليه فقال صلى الله عليه وسلم يا عايشة متى عهدتيني فحاشا ان شر الناس عند الله منزلة يوم
القيمة من تركه الناس اتقاء شره رواه البخاري قال ابن بطال هذا الرجل هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر
الفزاري وكان يقال له الاحمق المطاع وكذا فسره به القاضي عياض والقرطبي والنووي واخرج عبد الغني من طريق ابي عامر
الخزاعي عن عايشة قالت جاء مخرمة ابن نوفل يستاذن فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوته قال بئس اخو العشيرة الحديث
والمراد بالعشيرة الجماعة والقبيلة وانما تطلق صلى الله عليه وسلم في وجهه تالفا له ليسلم قومه لانه كان رئيسهم وقد جعل
هذا الحديث كما قاله الخطابي عليا ولدنا وليس قوله عليه السلام في امته بالامور التي يسميهم بها ويضيفها اليهم من المكروه
غيبة وانما يكون ذلك من بعضهم في بعض بل الواجب عليه صلى الله عليه وسلم ان يبين ذلك ويفصح به ويعرف الناس امرهم
فان ذلك من باب النصيحة والشفقة على الامة ولكنه لما جبل عليه من الكرم واعطيه من حسن الخلق اظهر له البشاشة ولم
يجبه بالمكروه ولتقتدي به امته في اتقاء شر من هذا سبيله وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته وقال
القرطبي فيه جواز غيبة المعلن بالفسق والفحش ونحو ذلك مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك الى المداهنة
في دين الله ثم قال تبعا للقاضي حسين والفرق بين المداراة والمداهنة ان المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا او الدين
او هما معا وهي مباحة وربما استحسنت والمداهنة بذل الدين لصلاح الدنيا والنبي صلى الله عليه وسلم انما بذل له من
دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه بقول من خلفه فلم يناقض قوله فعله فان قوله فيه قول حق وفعله
معه حسن عشرة فيزول مع هذا التقرير الاشكال ولله الحمد وقال القاضي عياض لم يكن عيينة والله اعلم حينيذ اسلم فلم
يكن القول فيه غيبة او كان اسلم ولم يكن اسلامه ناصحا فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يبين ذلك لئلا يغتر به من لم
يعرف باطنه وقد كانت منه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعده امور تدل على ضعف ايمانه فيكون ما وصفه
به عليه السلام من علامات النبوة واما الالانة القول له بعد ان دخل فعلى سبيل الاستيلاف وفي فتح الباري ان عيينة
ارتد في زمن الصديق وحارب ثم رجع واسلم وحضر بعض الفتوح في عهد عمر انتهى وما انتقم صلى الله عليه وسلم لنفسه
رواه البخاري فان قلت قد صح انه صلى الله عليه وسلم امر بقتل عقبة بن ابي معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما
ممن كان يوذيه صلى الله عليه وسلم وهذا ينافي قوله وما انتقم لنفسه فالجواب انهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات
الله وقيل اراد بانه لا ينتقم اذا اوذي في غير السبب الذي يخرج الى الكفر كما عفا عن الاعرابي الذي جفا في رفع صوته
عليه وعن الاخر الذي جبذ برداته حتى اثر في كتفه وحمل الداودي عدم الانتقام على ما يختص بالمال واما
العرض فقد اقتص ممن نال منه وقد اخرج الحاكم هذا الحديث من طريق معمر عن الزهري مطولا واوله ما لعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم مسلما بذكر اي بصريح اسمه وما ضرب بيده شيا قط الا ان يضرب في سبيل الله ولا سيل شيا فمنعه
الا ان يسال ماثما ولا انتقم لنفسه من شي الا ان تنتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم الحديث ومما روي

من اتساع خلقه وحلمه صلى الله عليه وسلم اتساع خلقه لطوائف المنافقين الذين كانوا يوذونه اذا غاب ويتملقون
له اذا حضر وذلك مما تنفر منه النفوس البشرية حتى تويدها الربانية وكان عليه السلام كلما اذن له في التشديد عليهم
فتح لهم صلى الله عليه وسلم بابا من الرحمة فكان يستغفر لهم ويدعو لهم حتى انزل الله عليه استغفر لهم او لا تستغفر
لهم فقال عليه السلام خيرني ربي فاخترت ان استغفر لهم ولما قال الله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله
لهم فقال صلى الله عليه وسلم لازيدن على السبعين وامره لذا الذي تولى كبره النفاق والاذى منهم بان ابنه ولما مات
كفنه في ثوب خلقه عن بدنه وصلى عليه هذا وعمر ابن الخطاب رضي الله عنه يجذبه بثوبه ويقول يا رسول
الله اتصلي على راس المنافقين فنتر ثوبه عن عمر وقال اليك عني يا عمر فخالف قوما ولينا في حق منافق عدو
وكل ذلك رحمة منه لامته وقال النووي قيل انما اعطاه قميصه وكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه فانه
كان صحابيا صالحا وقد سال ذلك فاجابه اليه وقيل مكافاة لعبد الله المنافق الميت لانه كان البس
العباس حين اسر يوم بدر قميصا وفي ذلك كله بيان عظيم مكارم اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد
علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء وقابله بالحسنى فالبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال
الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ومن ذلك انه عليه السلام لم يواخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وعفا
عن اليهودية التي سمته في الشاة على الصحيح من الرواية والله تعالى يرحم القايل
وما الفضل الا خاتم انت فصه وعفوك نقش الفص فاختم به عذري ومن ذلك اشفاقه صلى
الله عليه وسلم على اهل الكباير من امته وامره بالستر فقال من بلي بهذه القاذورات بشي من المحرمات
فليستتر وامر امته ان يستغفروا للمحدود ويترحموا عليه لا يحنقوا عليه ويسبوه ويلعنوه فقال قولوا
اللهم اغفر له اللهم ارحمه وقال لعمر في رجل كان كثيرا ما يوتى به سكرانا بعد تحريم الخمر فلعنه مرة فقال لا تلعنه فانه
يحب الله ورسوله فاظهر لهم مكتوم قلبه لما يعقوه بظاهر فعله وانما ينظر الله الى القلوب كما اطهر الله قلوبنا وغفر عظيم
ذنوبنا ومن ذلك ما رواه الدارقطني من حديث عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصغي الى الهرة الاناء حتى تشرب
ثم يتوضا بفضلها ومن ذلك اتساع خلقه في شريف تواضعه وادابه وحسن عشرته مع
اهله وخدمه واصحابه قال بعضهم اعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة
في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاوها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق والخلق بمحو اثارها وسكون
وهجها وغبارها وكان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا صلى الله عليه وسلم في اوطان القرب وحسبك من تواضعه عليه
السلام ان خيره ربه تعالى بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاعطاه الله تعالى بتواضعه ان جعله اول من تنشق عنه
الارض واول شافع واول مشفع فلم ياكل متكيا بعد ذلك حتى فارق الدنيا وقد قال عليه السلام لا تطروني كما اطرت
النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله رواه الترمذي ومن تواضعه عليه السلام انه كان لا ينهر
خادما كما روينا في كتاب الترمذي عن انس قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط ولا قال
لي لشي صنعته لم صنعته ولا لشي تركته لم تركته وكذلك كان صلى الله عليه وسلم مع عبيده وامائه ما ضرب منهم احدا
قط وهذا امر لا يتسع له الطباع البشرية لولا التاييدات الربانية وفي رواية مسلم ما رايت احدا ارحم بالعيال
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت عايشة ما ضرب صلى الله عليه وسلم شيا قط بيده ولا امراة ولا خادما
الا ان يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شي قط فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك شي من محارم الله فينتقم لله رواه
مسلم وسيلت عايشة كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا في بيته قالت الين الناس بساما ضحاكا
لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه رواه
وعنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما دعاه احد من اصحابه الا قال لبيك رواه وعند احمد وابن سعد وصححه ابن حبان عنها كان صلى الله
عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله وفي رواية لاحمد ويرقع دلوه وعنده ايضا يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه
وهذا يتعين حمله على الاوقات فانه ثبت انه كان له خدم فتارة يكون بنفسه وتارة بغيره وتارة بالمشاركة وكان يركب
الحمار ويردف خلفه وركب يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف رواه الترمذي وعن قيس بن سعد قال
زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطاء عليه بقطيفة وركب صلى الله عليه وسلم
ثم قال لا سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت
فقال اما ان تركب واما ان تنصرف وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها رواه ابو داود
وغيره وفي البخاري من حديث انس بن مالك اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين وانا لرديف ابي طلحة وهو
يسير وبعض نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عثرت الناقة فقلت المراة
فقال صلى الله عليه وسلم انها امكم فشددت الرحل وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث والمراة صفية
والرديف والردف الراكب خلف الراكب باذنه وقال معاذ بن جبل بينا انا رديف النبي صلى الله عليه وسلم ليس
بيني وبينه الا آخرة الرحل وقد ركب صلى الله عليه وسلم على حمار على اكاف عليه قطيفة فدكية واردف اسامة وراءه
ولما قدم عليه السلام مكة استقبله اغيلمة بني عبد المطلب فحمل واحدا بين يديه وآخر خلفه وقال ابن عباس اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد حمل قثم بين يديه والفضل خلفه او قثم خلفه والفضل بين يديه رواه البخاري وذكر
المحب الطبري في مختصر السيرة النبوية له انه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عريا الى قبا وابو هريرة معه فقال يا ابا هريرة
أأحملك فقال ما شئت يا رسول الله قال اركب فوثب ابو هريرة ليركب فلم يقدر فاستمسك برسول الله صلى الله عليه وسلم
فوقعا جميعا ثم ركب صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ابا هريرة أأحملك فقال ما شئت يا رسول الله فقال اركب فلم يقدر
ابو هريرة على ذلك فتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم قال يا ابا هريرة أأحملك فقال لا والذي
بعثك بالحق لا رميتك ثالثا وذكر الطبري ايضا انه عليه السلام كان في سفر وامر اصحابه باصلاح شاة فقال رجل يا رسول
الله علي ذبحها وقال آخر يا رسول الله علي سلخها وقال آخر يا رسول الله علي طبخها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعلي جمع الحطب فقالوا يا رسول الله نكفيك العمل فقال قد علمت انكم تكفوني ولكني اكره ان اتميز عليكم وان الله يكره
من عبده ان يراه متميزا بين اصحابه انتهى ولم ار هذا لغير الطبري بعد التتبع نعم رايت في جزء تمثال النعل الشريف
لابي اليمن بن عساكر بعد ان روى حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف
فانقطعت شسعه فقلت يا رسول الله ناولنيه اصلحه فقال هذه اثرة ولا احب الاثرة بفتح الهمزة والثاء الاسم من
آثر يؤثر اذا اعطى والاثرة الاستيثار وهو الانفراد بالشيء قال وكانه كره صلى الله عليه وسلم ان ينفرد احد باصلاح
نعله فيحوز فضيلة الخدمة فيكون له بمثابة الخادم ويكون له صلى الله عليه وسلم ترفع المخدوم على خادمه كره ذلك صلى الله
عليه وسلم لتواضعه وعدم ترفعه على من يصحبه ويؤيده ما ذكر انه صلى الله عليه وسلم اراد ان يمتهن نفسه في شيء
فقالوا نحن نكفيك يا رسول الله فقال قد علمت انكم تكفوني ولكني اكره ان اتميز عليكم فان الله يكره من عبده ان يراه
متميزا بين اصحابه صلى الله عليه وسلم انتهى ثم رايت شيخنا في الاحاديث المشتهرة حكى ذلك والله الموفق وعن ابي قتادة
وفد وفد النجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين
وانا احب ان اكافيهم ذكره في الشفاء وفي البخاري عن انس كان الرجل يجعل للنبي صلى الله عليه وسلم النخلات حتى افتتح
قريظة والنضير وان اهلي امروني ان آتي النبي صلى الله عليه وسلم فاساله الذي كانوا اعطوه او بعضه وكان عليه السلام
قد اعطاه ام ايمن فجاءت ام ايمن فجعلت الثوب في عنقي تقول كلا والذي لا اله الا هو لا يعطيكهم وقد اعطانيها او كما قالت

والنبي

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لك كذا وتقول كلا والله حتى اعطاها حسبت انه قال عشرة امثاله او كما قال وانما
فعلت هذا ام ايمن لانها ظنت انها كانت هبة مؤبدة وتمليكا لاصل الرقبة واراد النبي صلى الله عليه وسلم استطابة
قلبها في استرداد ذلك فلاطفها ولا زال يزيدها في العوض حتى رضيت وكل هذا تبرع منه صلى الله عليه وسلم واكرام لها
لما فيها من حق الحضانة والتربية ولا يخفى ما في هذا من فرط جوده وكثرة حلمه وبره صلى الله عليه وسلم وجاءته صلى الله
عليه وسلم امراة كان في عقلها شيء فقالت ان لي اليك حاجة فقال اجلسي في اي سكك المدينة شئت اجلس اليك وفي رواية
مسلم حتى اقضي حاجتك فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها ولا ريب ان هذا كله من تواضعه صلى الله عليه وسلم وقال
عبد الله بن ابي الحمساء بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيته
فذكرت بعد ثلاث فاذا هو في مكانه فقال لقد شققت علي انا هاهنا منذ ثلاث انتظرك رواه ابو داود وقال انس ان كان
عليه السلام لا يانف ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي له الحاجة رواه النسائي وفي رواية البخاري ان كانت الامة
لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وفي رواية احمد فتنطلق به في حاجتها وعنده ايضا ان كانت الوليدة
من ولائد اهل المدينة لتجيء فتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت
والمقصود من الاخذ باليد لازمه وهو الانقياد وقد اشتمل على انواع من المبالغة في التواضع لذكر المراة دون الرجل
والامة دون الحرة وحيث عمم بلفظ الاماء اي امة كانت وبقوله حيث شاءت اي من الامكنة والتعبير باليد اشارة
الى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحالة لساعدها على ذلك وهذا من
مزيد تواضعه وبراءته من جميع انواع الكبر صلى الله عليه وسلم ودخل الحسن وهو يصلي فركب على ظهره فابطأ في سجوده حتى
نزل الحسن فلما فرغ قال له بعض اصحابه يا رسول الله لقد اطلت سجودك قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان اعجله اي جعلني
كالراحلة فركب على ظهري وكان عليه السلام يعود المرضى ويشهد الجنائز اخرجه الترمذي في الشمائل وحج عليه السلام
على رحل رث وعليه قطيفة لا تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة وكان صلى الله عليه وسلم
اذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى باناء الا غمس يده فيه فربما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس
يده فيها رواه مسلم والترمذي وكان عليه السلام حسن العشرة مع ازواجه وكان عليه السلام ينام مع ازواجه قال
النووي وهو ظاهر فعله الذي واظب عليه مع مواظبته صلى الله عليه وسلم على قيام الليل فينام مع احداهن فاذا
اراد القيام لوظيفته قام وتركها فيجمع بين وظيفته واداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف وقد علم من هذا ان اجتماع
الزوج مع زوجته في فراش واحد افضل لا سيما ان عرف من حالها حرصها على هذا ولا يلزم من نومه معها الجماع والله اعلم
وقد كان عليه السلام يسرب الى عائشة رضي الله عنها بنات الانصار يلعبن معها رواه الشيخان واذا شربت من الاناء
اخذه فوضع فمه على موضع فمها وشرب رواه مسلم واذا تعرقت عرقا وهو العظم الذي عليه اللحم اخذه فوضع فمه على موضع
فمها رواه مسلم ايضا وكان يتكي في حجرها ويقبلها وهو صائم رواه الشيخان وكان يريها الحبشة وهم يلعبون في المسجد وهي
متكئة على منكبه رواه البخاري ورواه الترمذي بلفظ قام صلى الله عليه وسلم فاذا حبشية تزفن والصبيان حولها فقال يا عائشة
تعالي فانظري فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت انظر اليها ما بين المنكب الى راسه فقال
لي اما شبعت اما شبعت قالت فجعلت اقول لا لا وقال حسن صحيح غريب وروي انه صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته
ثم سابقها بعد ذلك فسبقها قال هذه بتلك ورواه ابو داود بلفظ سابقته في سفر فسبقته على رجلي قالت فلما حملت
اللحم سابقته فسبقني فقال هذه بتلك السبقة وعن انس بن مالك انهم كانوا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في
بيت عائشة رضي الله عنها اذ اتي بصحفة خبز ولحم من بيت ام سلمة فوضعت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال ضعوا
ايديكم فوضع نبي الله صلى الله عليه وسلم ووضعنا ايدينا فاكلنا وعائشة تصنع طعاما عجلته قد رات الصحفة التي اتي بها

فلما فرغت من طعامها جاءت به فوضعته ورفعت صحفة أم سلمة فكسرتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا بسم الله
غارت أمكم ثم أعطى صحفتها أم سلمة فقال طعام مكان طعام وإناء مكان إناء رواه الطبراني في الصغير وهو عند
البخاري بلفظ كان عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التي النبي في بيتها يد الخادم
فسقطت الصحفة فانفلقت فجمع صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول غارت
أمكم ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها فدفع الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها وأمسك المكسورة في بيت
التي كسرت وعند أحمد وأبي داود والنسائي قالت عائشة ما رأيت صانعة طعاما مثل صفية أهدت إلى النبي صلى الله عليه وسلم
إناء من طعام فما ملكت نفسي أن كسرته فقلت يا رسول الله ما كفارته قال إناء كإناء وطعام كطعام وعند غيرهم فأخذت
القصعة من بين يديه فضربت بها وكسرتها فقام صلى الله عليه وسلم يلتقط اللحم والطعام وهو يقول غارت أمكم فلم يثرب
عليها فوسع خلقه الكريم آثار طيش آثار غيرتها ولم يتأثر وقضى عليها بحكم الله في التغاير وهكذا كانت أحواله عليه
السلام مع أزواجه لا يأخذ عليهن ويعذرهن وإن أقام عليهن قسطاس عدل أقامه بغير قلق ولا غضب بل رءوف
رحيم حريص عليهن وعلى غيرهن عزيز عليه ما يعنتهم قيل وفي هذا الحديث إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيرى فيما يصدر
منها لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبا بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة وقد أخرج أبو يعلى بسند لا بأس به عن
عائشة مرفوعا أن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه انتهى وعن عائشة رضي الله عنها أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
بخزيرة طبختها له فقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي فأبت فقلت لها كلي فأبت فقلت لها لتأكلين
أو لألطخن بها وجهك فأبت فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع
فخذه لها وقال لسودة الطخي وجهها فلطخت وجهي فضحك صلى الله عليه وسلم الحديث رواه ابن غيلان من حديث
الهاشمي وخرجه الملا في سيرته والخزيرة لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق وبالجملة
فمن تأمل سيرته عليه السلام مع أهله وأصحابه وغيرهم من الفقراء والأيتام والأرامل والأضياف والمساكين علم
أنه قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التي لا مرمى وراءها لمخلوق وإنه كان يشتد في حدود الله وحقوقه
ودينه حتى قطع يد السارق إلى غير ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يباسط أصحابه بما يولج حبه في القلوب
كان له رجل من البادية يسمى زاهرا وكان يهادي النبي صلى الله عليه وسلم بموجود البادية بما يستطرفونه منها وكان
صلى الله عليه وسلم يهاديه ويكافيه بموجود الحاضرة وبما يستطرف منها وكان صلى الله عليه وسلم يقول إن زاهرا
باديتنا ونحن حاضرته وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فمشى صلى الله عليه وسلم يوما إلى السوق فوجده قائما فجاءه
من قبل ظهره وضمه بيده إلى صدره فأحس زاهر بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلت أمسح ظهري
في صدره رجاء بركته ● وفي رواية الترمذي في الشمائل فاحتضنه من خلفه ولا يبصره فقال أرسلني
من هذا فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه
وسلم حين عرفه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يشتري العبد فقال له زاهر يا رسول الله إذا
تجدني كاسدا فقال له صلى الله عليه وسلم أنت عند الله غال ● وفي رواية الترمذي أيضا لكن عند الله لست
بكاسد أو قال أنت عند الله غال ● وأخرج أبو يعلى عن زيد بن أسلم أن رجلا كان يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم
العكة من السمن والعسل فإذا جاء صاحبه يتقاضاه جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعط هذا متاعه
فما يزيد النبي صلى الله عليه وسلم على أن يتبسم ويأمر به فيعطى ● ووقع في حديث محمد بن عمرو بن حزم وكان
لا يدخل إلى المدينة طرفة إلا اشترى منها ثم جاء فقال يا رسول الله هذا أهديته لك فإذا جاء صاحبه
يطلب ثمنه جاء به فقال أعط هذا الثمن فيقول ألم تهده لي فيقول ليس عندي فيضحك ويأمر لصاحبه

(زاهر بن حرام)

ثمنه

ثمنه ● وكان عليه السلام يمزح ولا يقول إلا حقا كما روى أبو هريرة وقد قال له رجل كان فيه بله يا رسول
الله احملني فباسطه عليه السلام من القول بما عساه أن يكون شفاء لبلهه بعد ذلك فقال أنا حاملك على ابن الناقة فقال
لخاطره استصغارا لما يصدق عليه البنوة فقال يا رسول الله ما عسى يغني ابن الناقة فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك
وهل يلد الجمل إلا الناقة رواه الترمذي وأبو داود ● وباسط عمته صفية وهي عجوز فقال لها إن الجنة
لا تدخلها عجوز فلما جزعت قال لها إنك تعودين إلى صورة الشباب في الجنة ● وفي رواية الترمذي عن الحسن أنه
أتت النبي صلى الله عليه وسلم عجوز فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز
قال فولت تبكي فقال أخبروها أنها لا تدخل وهي عجوز إن الله تعالى يقول إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا (عربا أترابا)
رزين وكان عليه السلام يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويؤانسهم ويأخذ معهم في تدبير أمورهم ويداعب صبيانهم
ويجلسهم في حجره وهو مع ذلك يبش في الملكوت يجول حيث أراد الله به والدعابة بضم الدال وتخفيف العين
المهملتين وبعد الألف موحدة هي الملاطفة في القول بالمزاح وغيره وقد أخرج الترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة
قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا قال إني لا أقول إلا حقا وما ورد عنه عليه السلام في النهي عن المداعبة محمول على الإفراط
لما فيه من الشغل عن ذكر الله والتفكر عن مهمات الدين وغير ذلك والذي يسلم من ذلك هو المباح فإن صادف
مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب كما كان هو فعله عليه السلام فهو مستحب وقال أنس كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمير وكان له نغير يلعب به فمات فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم
ذات يوم فرآه حزينا فقال ما شأنه قالوا مات نغره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير رواه البخاري ومسلم وفي رواية
الترمذي قال أنس إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير يا أبا عمير ما فعل النغير قال الجوهري النغير
تصغير نغر والنغر جمع النغرة وهو طائر صغير كالعصفور والجمع نغران مثل صرد وصردان ● وكان قد أتي عليه مع
الدعابة المهابة ولقد جاء إليه صلى الله عليه وسلم رجل فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون
عليك فإني لست بملك ولا جبار إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال
يا أيها الناس إني أوحي إلي أن تواضعوا ألا فتواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد وكونوا عباد الله
إخوانا فسكن عليه السلام روعه شفقة لأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم وسلب عنه وصف الملوكية بقوله فإني لست بملك لما يلزم
من الجبروتية وقال إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد تواضعا لأن القديد مفضول وهو مأكول المسكنة ولما رأته
عليه السلام قيلة بنت مخرمة في المسجد وهو قاعد القرفصاء أرعدت من الفرق رواه أبو داود ● وروى مسلم عن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيما له ولو
قيل لي صفه لما قدرت أو كما قال وإذا كان هذا قوله وهو من جلة أصحابه ولولا أنه عليه السلام كان يباسطهم
ويتواضع لهم ويؤنسهم لما قدر أحد منهم أن يقعد معه ولا أن يسمع كلامه عليه السلام لما رزقه الله تعالى من المهابة والجلالة
بين ذلك ويوضحه ما روي أنه عليه السلام كان إذا فرغ من ركوع الفجر حدث عائشة إن كانت مستيقظة وإلا اضطجع بالأرض
ثم خرج بعد ذلك إلى الصلاة وما ذاك إلا أنه عليه السلام لو خرج على تلك الحالة التي كان عليها وما حصل له من القرب والتداني
في مناجاته وسماع كلام ربه وغير ذلك من الأحوال التي يكل اللسان عن وصف بعضها لما استطاع بشر أن يلقاه فكان يأنس
وكان عليه السلام يتحدث مع عائشة أو يضطجع بالأرض حتى يحصل له التأنيس بجنسهم وهو التأنيس مع عائشة أو جنس أصل الخلقة
التي هي الأرض ثم يخرج إليهم وما ذاك إلا رفقا بهم وكان بالمؤمنين رحيما قاله ابن الحاج في المدخل وقد جاء في الحديث أنه لما
خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فنظر عليه السلام إلى جبريل كالمستشير له فنظر جبريل إلى الأرض يشير إلى التواضع فاختار
عليه السلام العبودية فلما كان تواضعه عليه السلام إلى الأرض حيث أشار جبريل ورثه الله تعالى رفعته إلى السماء ثم إلى الرفرف

بالعلي الى حضرة قاب قوسين او ادنى ووقفت بين يديه محمود ابن الربيع وهو صغير ابن خمس سنين فمج عليه السلام في وجهه مجة من ماء من دلو بما زجة بها وكان في ذلك من البركة انه لما كبر لم يبق في ذهنه من ذكر رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الا تلك المجة فعد بها من الصحابة وحديثه مذكور في البخاري ودخل عليه ربيبته زينب بنت ام سلمة وهو في مغتسله فنضح الماء في وجهها وكان في ذلك من البركة في وجهها انه لم يتغير فكان ماء الشباب ثابتا في وجهها ظاهرا في رونقها وهي عجوز كبيرة وحديثها مذكور فيه فقد علمنا انه عليه السلام كان مع اصحابه واهله ومع الغريب والقريب من سعة الصدور ودوام البشر وحسن الخلق والسلام على من لقيه والوقوف مع من استوقفه والمزح بالحق مع الصغير والكبير احيانا واجابة الداعي ولين الجانب حتى يظن كل احد من اصحابه انه احبهم اليه وهذا الميدان لا تجد فيه الا واجبا او مستحبا او مباحا فكان يباسط الخلق ويلابسهم ليستضيئوا بنور هدايته في ظلمات دياجي الجهل ويقتدون بهديه صلى الله عليه وسلم وقد كانت مجالسه عليه السلام مع اصحابه رضي الله عنهم عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب اما بتلاوة القرآن او بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة وتعليم ما ينفع في الدين كما امره الله تعالى ان يذكر ويعظ ويقص وان يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وان يبشر وينذر فلذلك كانت تلك المجالس توجب لاصحابه رقة القلوب والزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة كما ذكره ابو هريرة بما رواه احمد والترمذي وابن حبان في صحيحه قال قلنا يا رسول الله ما لنا اذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من اهل الاخرة فاذا خرجنا من عندك عافسنا اهلنا وشممنا اولادنا انكرنا انفسنا فقال صلى الله عليه وسلم لو انكم اذا خرجتم من عندي كنتم على حالكم ذلك لزارتكم الملائكة في بيوتكم الحديث ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم انه ما عاب ذواقا قط ولا عاب طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه رواه الشيخان وهذا اذا كان الطعام مباحا اما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه وذهب بعضهم الى ان العيب ان كان من جهة الخلقة كره وان كان من جهة الصنعة لم يكره قال لان صنعة الله تعالى لا تعاب وصنعة الادميين تعاب قال في فتح الباري والذي يظهر التعميم فان فيه كسر قلب الصانع قال النووي ومن آداب الطعام المتأكدة ان لا يعاب كقوله مالح قليل الملح غليظ دقيق غير ناضج ونحو ذلك ومن تواضعه ان هذه الدنيا شاع سبها في العالمين فقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا ثم مدحها فقال نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر وقال لا تسبوا الدهر رواه البخاري من حديث ابي هريرة بلفظ لا تقولوا خيبة الدهر فان الله هو الدهر وفي لفظ لا يسب بنو آدم الدهر وانا الدهر بيدي الليل والنهار وعند مسلم من حديث بلفظ لا يسب احدكم الدهر ومحصل ما قيل في تاويله ثلاثة اوجه احدها ان المراد بقوله ان الله هو الدهر اي المدبر للامور ثانيها انه على حذف مضاف اي صاحب الدهر وثالثها التقدير مقلب الدهر ولذلك عقب بقوله في رواية البخاري بيدي الليل والنهار وقال المحققون من نسب شيئا من الافعال الى الدهر حقيقة كفر ومن جرى هذا اللفظ على لسانه غير معتقد لذلك فليس بكافر لكن يكره له ذلك لتشبهه باهل الكفر في الاطلاق وما خير صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه رواه البخاري اي بين امرين من امور الدين لا اثم فيهما وابهم فاعل خير ليكون اعم من قبل الله او من قبل المخلوقين وقوله الا اختار ايسرهما وقوله ما لم يكن اثما اي ما لم يكن الاسهل مقتضيا للاثم فانه حينئذ يختار الاشد وفي حديث انس عند الطبراني في الاوسط الا اختار ايسرهما ما لم يكن لله فيه سخط ووقوع التخيير بين ما فيه اثم وما لا اثم فيه من قبل المخلوقين ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام انه لم يكن له بواب راتب كما جاء عن انس انه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بامراة وهي تبكي عند قبر فقال اتقي الله واصبري فقالت اليك عني فانك خلي من مصيبتي قال فجاوزها ومضى فمر بها رجل فقال ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ما عرفته قال انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجاءت الى بابه فلم تجد عليه بوابا الحديث رواه البخاري لكن في حديث ابي موسى انه كان بوابا

للنبي

بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم لما جلس على القف وجمع بينهما بانه كان عليه السلام اذا لم يكن في شغل من اهله ولا انفراد من امره انه كان يرفع حجابه بينه وبين الناس ويبرز لطالب الحاجة اليه وفي حديث عمر حين استاذن له الاسود في قصة حلفه ان لا يدخل على نسائه شهرا ففيه انه كان في وقت خلوته بنفسه يتخذ بوابا ولولا ذلك لاستاذن عمر لنفسه ولم يحتج الى قوله يا رباح استاذن لي لكن يحتمل ان يكون سبب استيذان عمر انه خشي ان يكون وجد عليه بسبب ابنته فاراد ان يختبر ذلك باستيذانه عليه فلما اذن له اطمان وقد اختلف في مشروعية الحجاب للحاكم فقال الشافعي وجماعة ينبغي للحاكم ان لا يتخذ حاجبا وذهب آخرون الى الجواز وحمل الاول على زمن سكون الناس واجتماعهم على الخير وطواعيتهم للحاكم • وقال آخرون بل يستحب ذلك حينئذ لترتيب الخصوم ومنع المستطيل ودفع الشرير والله اعلم ولما ما روي من حيائه صلى الله عليه وسلم فحسبك ما في البخاري من حديث ابي سعيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها • والعذراء هي البكر والخدر بكسر الخاء المعجمة اي في سترها وهو من باب التتميم لان العذراء في الخلوة يشتد حياؤها اكثر مما تكون خارجة عنه لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها فالظاهر ان المراد تقييده اذا دخل عليها في خدرها لا حيث تكون منفردة فيه والحيا بالمد وهو من الحياة ومنه الحيا للمطر لكن هو مقصور وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء وقلة الحيا من موت القلب والروح وكلما كان القلب احيى كان الحياء اتم وهو في اللغة تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به وقد يطلق على مجرد ترك الشيء بسبب والترك انما هو من لوازمه • وفي الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق وقال ذو النون الحيا وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك الى ربك والحب ينطق والحيا يسكت والخوف يقلق • وقال يحيى ابن معاذ رحمه الله من استحيا من الله مطيعا استحيا الله منه وهو مذنب الكلام يحتاج الى شرح ومعناه ان من غلب عليه خلق الحياء من الله حتى في حال طاعته فقلبه مطرق بين يديه اطراق مستحي خجل فانه اذا وقع منه ذنب استحى الله من نظره اليه في تلك الحالة لكرامته عليه فيستحي ان يرى من وليه ما يشينه عنده • وفي الشاهد شاهد بذلك فان الرجل اذا اطلع على اخص الناس به واحبهم اليه واقربهم منه من صاحب او ولد او من يحبه وهو يخونه فانه يلحقه من ذلك الاطلاع عليه حياء عجيب حتى كانه هو الجاني وهذا غاية الكرم • والحيا اقسام ثمانية يطول استقصاؤها منها حياء الكرم كحيائه عليه السلام من القوم الذين دعاهم الى وليمة زينب وطولوا عنده المقام واستحيا ان يقول لهم انصرفوا ومنها حياء المحب من محبوبه حتى انه اذا خطر على قلبه في حال غيبته هاج الحياء من قلبه واحس به في وجهه فلا يدري ما سببه ومنها حياء العبودية وهو حياء ممتزج بين محبة وخوف ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده وان قدره اعلى واجل منها فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة ومنها حياء المرء من نفسه وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص وقنعها بالدون فيجد نفسه مستحييا من نفسه حتى كان له نفسان يستحي باحدهما من الاخرى وهذا اكمل ما يكون من الحياء فان العبد اذا استحيا من نفسه فهو بان يستحيي من غيره اجدر والحيا كما قال عليه السلام لا ياتي الا بخير وهو من الايمان كما رواه البخاري قال القاضي عياض وغيره وانما جعل الحيا من الايمان وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم وقال القرطبي الحياء المكتسب هو الذي جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به دون الغريزي غير ان من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب حتى يكون غريزيا قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جمع له النوعان فكان في الغريزي اشد حياء من العذراء في خدرها وقال القاضي عياض وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد

واما خوفه صلى الله عليه وسلم ربه جل وعلا

فاعلم ان الخوف والوجل والهيبة والرهبة الفاظ متقاربة غير مترادفة قال الجنيد الخوف توقع العقوبة على مجارى الانفاس وقيل الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف منه وقيل الخوف قوة العلم بمجارى الاحكام وهذا سبب الخوف لا انه نفسه • وقيل الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره • والخشية اخص من الخوف فان الخشية للعلماء بالله تعالى قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فهو خوف مقرون بمعرفة وقال صلى الله عليه وسلم انا اتقاكم لله واشدكم له خشية فالخوف حركة والخشية انجماع وانقباض وسكون فان الذي يرى العدو والسيل ونحوهما له حالتان احدهما حركة للهرب منه وهي حالة الخوف والثانيه سكونه وقراره في مكان لا يصل اليه وهي الخشية واما الرهبة فهي الامعان في الهرب من المكروه وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه واما الوجل فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته واما الهيبة فخوف مقارن للتعظيم والاجلال واكثر ما يكون مع المعرفة والمحبة والاجلال تعظيم مقرون بالحب فالخوف لعامة المومنين والخشية للعلماء العارفين والهيبة للمحبين والاجلال للمقربين وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية كما قال صلى الله عليه وسلم اني لاعلمكم بالله واشدكم له خشية رواه البخاري وقال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا رواه البخاري في من حديث ابي هريرة • وفيه دلالة على اختصاصه صلى الله عليه وسلم بمعارف بصرية وقلبية وقد يطلع الله تعالى عليها غيره من المخلصين من امته لكن بطريق الاجمال واما تفاصيلها فاختص بها صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفس محمد بيده لو رايتم ما رايت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قالوا وما رايت يا رسول الله قال رايت الجنة والنار وقد جمع الله له ما بين علم اليقين وعين اليقين مع الخشية القلبية واستحضار العظمة الالهية على وجه لم يجمع لغيره ولذا قال ان اتقاكم واعلمكم بالله انا وهو في الصحيح من حديث عايشة • وكان صلى الله عليه وسلم يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه بلفظ كازيز الرحى اي حنين من الخوف بالجيم وهو صوت البكا وقيل هو ان يجيش جوفه ويغلي بالبكاء

واما ما روي من شجاعته عليه السلام ونجدته وقوته في الله وشدته

فعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرا الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وفي رواية كان فزع بالمدينة فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسا من ابي طلحة يقال له المندوب فركب فلما رجع قال ما راينا من شي وان وجدناه لبحرا وانه لبحر فكان بعد فرسا بطيا رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي وللبخاري ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب النبي صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او به قطاف فلما رجع قال وجدنا فرسكم هذا بحرا فكان بعد لا يجارى وفي اخرى له ثم خرج يركض وحده فركب الناس يركضون خلفه فقال لن تراعوا انه لبحر فما سبق بعد ذلك اليوم وقوله لن تراعوا اي روعا مستقرا او روعا يضركم وفي هذا الحديث بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم من شدة عجلته في الخروج الى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعا بعد ان كان بطيا وهو معنى قوله عليه السلام وجدناه بحرا اي واسع الجري وفيه قطاف يقال قطف الفرس في مشيه اذا تضايق خطوه واسرع مشيه قال القاضي عياض وقد كان في افراسه عليه السلام مندوب فلعله صار اليه بعد ابي طلحة وقال النووي يحتمل انهما فرسان اتفقا في الاسم وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ابن اسحاق في كتابه وغيره انه كان بمكة رجل شديد القوة يحسن الصراع وكان الناس ياتونه من البلاد للمصارعة فيصرعهم فبينا هو ذات يوم في شعب من شعاب مكة اذ لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ركانة الا تتقي الله وتقبل ما ادعوك اليه او كما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ركانة يا محمد هل من شاهد يدل على صدقك قال ارايت ان صرعتك اتومن بالله ورسوله قال نعم يا محمد فقال له تهيا للمصارعة قال تهيات فدنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه ثم صرعه قال فتعجب ركانة من ذلك ثم ساله الاقالة والعودة ففعل به ذلك ثانيا وثالثا فوقف ركانة متعجبا وقال ان شانك لعجيب ورواه الحاكم في مستدركه عن ابي جعفر محمد بن ركانة المصارع ورواه ابو داود والترمذي وكذا البيهقي من رواية سعيد بن جبير وقد صارع عليه السلام جماعة غير ركانة منهم ابو الاسد الجمحي كما قاله السهيلي ورواه البيهقي وكان شديدا بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذب اطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتفرى الجلد ولم يتزحزح عنه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتني امنت بك فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يومن وفي قصة طول وفي البخاري من حديث البراء وساله رجل من قيس افررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كان هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنايم فاستقبلنا بالسهام ولقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان ابا سفيان بن الحرث اخذ بزمامها وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب • وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة لانه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة ليست بسريعة الجري ولا تصلح لكر ولا فر ولا هرب وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله عليه وسلامه عليه • وفي حديث كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه قداما واستقبلنا العدو به وقمنا خلفه

واما ما ذكر من سخاوته وجوده وكرمه

فاعلم ان السخاء صفة غريزية وفي مقابلته الشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون حكم بالفلاح لمن وقي الشح بالفلاح ايضا لمن انفق وبذل فقال ومما رزقناهم ينفقون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون والفلاح اجمع اسم لسعادة الدارين وليس الشح من الادمي بعجيب لانه جبلي فيه وانما العجب وجود السخاء في الغريزة والسخاء اتم واكمل من الجود وفي مقابلته البخل وفي مقابلة السخاء الشح والجود والبخل يتطرق اليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء اذ كان ذلك من ضرورة الغريزة فكل سخي جواد وليس كل جواد سخيا والجود يتطرق اليه الرياء وياتي به الانسان متطلعا الى عرض من الخلق او الحق بمقابلة من الثناء او غيره من الخلق والثواب من الله تعالى ولا يتطرق الرياء الى السخاء لانه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاعراض اشار اليه في عوارف المعارف وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس واجود الناس رواه البخاري ومسلم من حديث انس واجود افعل من تفضيل من الجود وهو اعطا ما ينبغي لمن ينبغي ومعناه هو اسخى الناس لما كانت نفسه اشرف النفوس ومزاجه اعدل الامزجة لا بد ان يكون فعله احسن الافعال وشكله املح الاشكال وخلقه احسن الاخلاق فلا شك يكون اجود وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات

رجل من قيس

والشح ... وحكم

بالباقيات الصالحات و اقتصار انس على هذه الاوصاف الثلاثة من جوامع الكلم لانها امهات الاخلاق فان في كل
انسان ثلاث قوى احدها الغضبية وكمالها الشجاعة ثانيها الشهوانية وكمالها الجود وثالثها العقلية وكمالها النطق
بالحكمة • وفي رواية لمسلم عنه ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا الا اعطاه فجاءه رجل فاعطاه غنما بين جبلين
فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر و عنده ايضا عن صفوان بن امية قال لقد
اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطاني وانه لابغض الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس الي قال
ابن شهاب اعطاه يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة • وفي مغازي الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى
صفوان يومئذ واديا مملوءا ابلا ونعما فقال صفوان اشهد ما طابت بهذا الا نفس نبي ورحم الله ابن جابر حيث قال
هذا الذي لا يتقي فقرا اذا • يعطي ولو كثر الانام وداموا • واد من الانعام اعطى املا • فتحيرت لعطائه الاوهام
وانما اعطاه ذلك لانه عليه السلام علم ان داءه لا يزول الا بهذا الدوا وهو الاحسان فعالجه به حتى برأ من داء
الكفر واسلم وهذا من كمال شفقته ورحمته ورأفته عليه السلام اذ عامله بكمال الاحسان وانقذه من حر النيران
الى برد لطف الجنان و كان علي اذا وصفه صلى الله عليه وسلم قال كان اجود الناس كفا واصدق الناس لهجة خرج
ابن عدي باسناد فيه ضعف من حديث انس مرفوعا انا اجود بني آدم فهو صلى الله عليه وسلم بلا ريب اجود بني آدم على الاطلاق
كما انه افضلهم واعلمهم واشجعهم واكملهم في جميع الاوصاف الحميدة وكان جوده بجميع انواع الجود من بذل العلم والمال
وبذل نفسه لله في اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام جائعهم ووعظ جاهلهم
وقضاء حوائجهم وتحمل اثقالهم و لقد احسن ابن جابر حيث قال • يروي حديث الندى والبشر عن يده •
ووجهه بين منهل ومنسجم • من وجهه احمد لي بدر ومن يده • بحر ومن فمه در لمنتظم •
يمم نبيا تباري الريح انمله • والمزن من كل هامي الودق مرتكم • لو عامت الفلك فيما فاض من يده •
لم تلق اعظم بحر منه ان تعم • يحيط كفاه بالبحر المحيط فلذ • به ودع كل طامي الموج ملتطم •
لو لم يحط كفه بالبحر ما شملت • كل الانام وروت قلب كل ظمي • فسبحان من اطلع انوار الجلال من
افق جبينه • وانشأ امطار السحاب من غمائم يمينه وروى البخاري من حديث جابر ما سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن شي قط فقال لا • وكذا عند مسلم اي ما طلب منه شي من امر الدنيا فمنعه قال
الفرزدق • ما قال لا قط الا في تشهده • لولا التشهد كانت لاؤه نعم • لكن قال شيخ مشايخنا
الحافظ ابو الفضل ابن حجر ليس المراد انه يعطي ما يطلب منه جزما بل المراد انه لا ينطق بالرد بل ان
كان عنده اعطاه ان كان الاعطاء سائغا والا سكت وقد ورد بيان ذلك في حديث مرسل لابن الحنفية
عند ابن سعد ولفظه اذا سئل فاراد ان يفعل قال نعم واذا لم يرد ان يفعل سكت وهو قريب من حديث
ابي هريرة ما عاب طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام معناه لم يقل لا
منعا للعطا ولا يلزم من ذلك ان لا يقولها اعتذارا كما في قوله قلت لا اجد ما احملكم عليه ولا يخفى الفرق بين قول
لا اجد ما احملكم وبين لا احملكم انتهى • وهو نظير ما في حديث ابي موسى الاشعري لما سأله الاشعريون الحملان فقال
صلى الله عليه وسلم ما عندي ما احملكم لكن يشكل عليه انه صلى الله عليه وسلم حلف لا يحملهم فقال والله لا احملكم فيمكن ان
يخص من عموم حديث جابر ما اذا سئل ما ليس عنده والسائل يتحقق انه ليس عنده ذلك او حيث كان المقام
لا يقتضي الاقتصار على السكوت مع الحالة الواقعة او من حال السائل كان لو لم يكن يعرف العادة فلو اقتصر في جوابه
على السكوت مع حاجة السائل لتمادى على السؤال مثلا ويكون القسم على ذلك تاكيدا لقطع طمع السائل والسر
في الجمع بين قوله لا اجد ما احملكم وقوله والله لا احملكم ان الاول لبيان ان الذي سأله لم يكن موجودا عنده

والثاني

والثاني انه لا يتكلف الاجابة الى ما سئل بالقرض مثلا او بالاستيهاب اذ لا اضطرار حينئذ وروى الترمذي
انه حمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها قال
وجاءه رجل فقال ما عندي شي ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شي قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر فكره النبي
صلى الله عليه وسلم فقال رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم
وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت وانما فعل ذلك للمصلحة الداعية لذلك كالاستيلاف ونحوه وذكر ابو فارس
في كتابه في اسماء النبي صلى الله عليه وسلم انه في يوم حنين جاءت امراة فانشدت شعرا تذكره ايام رضاعه في هوازن
فرد عليهم ما اخذ واعطاهم عطاء كثيرا حتى قوم ما اعطاهم ذلك اليوم فكان خمسماية الف الف قال ابن دحية وهذا
نهاية الجود الذي لم يسمع بمثله في الوجود • وفي البخاري من حديث انس انه اتي بمال من البحرين فقال انثروه يعني صبوه
في المسجد وكان اكثر مال اتي به صلى الله عليه وسلم فخرج الى المسجد ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فما كان
يرى احدا الا اعطاه اذ جاءه العباس فقال اعطني فاني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال له خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم
يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم يرفعه الي قال لا قال فارفعه انت علي قال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم
يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم يرفعه علي قال لا قال فارفعه انت قال لا ثم نثر منه ثم احتمله فالقاه
على كاهله فانطلق فما زال صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبا من حرصه فما قام عليه السلام وثم
منها درهم و في رواية ابن ابي شيبة من طريق حميد بن هلال مرسلا كان مائة الف وانه ارسل به العلاء ابن الحضرمي
من خراج البحرين قال وهو اول مال حمل اليه صلى الله عليه وسلم وساوره جابر على جمل له فقال له عليه السلام بعني
جملك فقال هو لك يا رسول الله بابي انت وامي قال بل بعنيه فباعه اياه وامر بلالا ان ينقده ثمنه فنقده ثم
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب بالثمن والجمل بارك الله لك فيهما • مكافاة لقوله بل هو لك فاعطاه الثمن
ورد عليه الجمل وزاده الدعاء بالبركة فيهما وحديثه في البخاري ومسلم وغيرهما و قد كان جوده عليه السلام
كله لله و في ابتغاء مرضاته فانه كان يبذل المال تارة لفقير او لمحتاج وتارة ينفقه في سبيل الله وتارة
يتالف به على الاسلام من يتقوى الاسلام باسلامه وكان يؤثر على نفسه واولاده فيعطي عطاء يعجز عنه
الملوك مثل كسرى وقيصر ويعيش في نفسه عيش الفقرا فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار وربما
ربط الحجر على بطنه الشريف من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم قد اتاه سبي فشكت اليه فاطمة ما تلقى من خدمة
البيت وطلبت منه خادما يكفيها مؤونة بيتها فامرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد وقال لا اعطيك
وادع اهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع و اتته امراة ببردة فقالت يا رسول الله اكسوك هذه فاخذها
صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة فقال يا رسول الله ما احسن هذه فاكسنيها
فقال نعم فلما قام صلى الله عليه وسلم لامه اصحابه قالوا ما احسنت حين رايت النبي صلى الله عليه وسلم اخذها محتاجا
اليها ثم سالته اياها وقد عرفت انه لا يسال شيئا فيمنعه رواه البخاري من حديث سهل ابن سعد وفي رواية ابن ماجه
والطبراني قال نعم فلما دخل طواها وارسل بها اليه وافاد الطبراني في رواية زمعة بن صالح انه صلى الله عليه وسلم
امر ان يصنع له غيرها فمات قبل ان يفرغ منها و في هذا الحديث من الفوائد حسن خلقه صلى الله عليه وسلم وسعة جوده و
استنبط منه السادة الصوفية جواز استدعاء المريد خرقة التصوف من المشايخ تبركا بهم وبلباسهم كما استدلوا
لالباس الشيخ للمريد بحديث انه صلى الله عليه وسلم البس ام خالد خميصة سوداء ذات علم رواه لكن
قال شيخنا ما يذكرونه من ان الحسن البصري لبسها من علي ابن ابي طالب رضي الله عنه فقال ابن دحية وابن الصلاح انه
باطل وقال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر ليس في شي من طرقها ما يثبت ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف انه

لبس خرقة التصوف

صلى الله عليه وسلم البس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لاحد من اصحابه ولا امر احدا من اصحابه بفعلها
وكل ما يروى صريحا في ذلك فباطل قال ثم ان من الكذب المفترى قول من قال ان عليا البس الخرقة الحسن البصري فان
ائمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعا فضلا عن ان يلبسه الخرقة وكذا قاله الدمياطي والذهبي والعلاي
ومغلطاي والعراقي والابناسي والحلبي وغيرهم مع كون جماعة منهم لبسوها والبسوها تشبها بالقوم نعم ورد
لبسهم لها مع الصحبة المتصلة الى كميل بن زياد وهو صحب علي ابن ابي طالب رضي الله عنه من غير خلف في صحبته له
بين ائمة الجرح والتعديل وفي بعض الطرق اتصالها باويس القرني وهو اجتمع بعمر بن الخطاب وعلي ابن ابي طالب
رضي الله عنهما وهذه صحبة لا مطعن فيها وكثير من السادة يكتفي بمجرد الصحبة كالشاذلية وشيخنا ابي اسحاق ابراهيم
المتبولي وكان الشيخ يوسف العجمي يجمع بين تلقين الذكر واخذ العهد واللبس وله في ذلك رسالة ريحان القلوب قراتها على
ولد ولده العارف المسلك سيدي علي مع الباسه لي الخرقة والتلقين والعهد والشيخ قطب الدين ابن القسطلاني ارتقا الرتبة
في الباس والصحبة والله يهدينا الى سواء السبيل

الفصل الثالث فيما تدعوا ضرورته اليه صلى الله عليه وسلم من غذايه وملبسه ومنكحه وما يلحق بذلك

وفيه اربعة انواع **النوع الاول** في عيشه صلى الله عليه وسلم
في الماكل والمشرب اعلم ان تناول الطعام اصل كبير يحتاج الى علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية
وتعلق اثره بالقلب والقالب وبه قوام البدن باجراء سنة الله تعالى بذلك والقالب مركب القلب وبهما عمارة
الدنيا والاخرة والقالب بمفرده على طبيعة الحيوانات يستعان به على عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة
الملكية يستعان بها على عمارة الاخرة وباجتماعهما يصلحان لعمارة الدارين قال الغزالي ولا طريق الى الوصول الى اللقا
الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفوا سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات
والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين ان الاكل من الدين وعليه
نبه رب العالمين بقوله وهو اصدق القايلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن تناول الاكل ليستعين به على العلم
والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي ان يترك نفسه سدى يسترسل في الاكل استرسال البهايم في المرعى فان
ما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه ينبغي ان يظهر انوار الدين وادابه وسنته التي يزم العبد بزمامها
ويلجم المتقي بلجامها حتى يزن بميزان الشرع شهوة الطعام في اقدامها واحجامها فيصير بسببها مرفعة للوزر
ومجلبة للاجر واعلم ان الشبع بدعة ظهرت بعد القرن الاول وقد روى النسايي وابن ماجه وصححه الحاكم
من حديث المقدام بن معد يكرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملا ابن ادم وعاء شرا من
بطنه حسب الادمي لقيمات يقمن صلبه فان غلبت الادمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس
قال القرطبي في شرح الاسما كما نقله شيخ الاسلام والحافظ ابن حجر لو سمع بقراط بهذه القسمة لعجب من هذه
الحكمة وقال غيره انما خص الثلاثة بالذكر لانها اسباب حياة الحيوان ولانه لا يدخل البطن سواها وهل
المراد بالثلث التساوي على ظاهر الخبر او التقسيم الى ثلثة اقسام متقاربة محل احتمال وقد صح المومن ياكل
في معا واحد وهي بكسر الميم مقصورا المصارين والكافر ياكل في سبعة امعا وليست حقيقة العدد
مرادة وتخصيص السبعة للمبالغة في التكثير والمعنى ان المومن من شانه التقلل من الاكل لاشتغاله باسباب
العبادة ولعلمه بان مقصود الشرع من الاكل ما يسد الجوع ويعين على العبادة وخشيته ايضا من حساب
ما زاد على ذلك والكافر بخلاف ذلك وعند اهل التشريح ان امعاء الانسان سبعة المعدة ثم ثلاثة امعاء بعدها
متصلة بها البواب ثم الصايم ثم الرقيق والثلاثة رقاق ثم الاعور والقولون والمستقيم وطرفه الدبر وكلها غلاظ
وقد نظمها الحافظ زين الدين العراقي في قوله سبعة امعاء لكل ادمي معدة بوابها مع صايم

ثم

ثم الرقيق اعور قولون مع المستقيم مسلك المطاعم فيكون المعنى ان الكافر لكونه ياكل بشراهة لا يشبعه
الا ملء امعايه السبعة والمومن يشبعه ملء معا واحد ولا يلزم من هذا الحديث اطراده في حق كل مومن وكافر فقد يكون
في المومنين من ياكل كثيرا اما بحسب العادة واما لعارض يعرض له من مرض باطن ولغير ذلك ويكون في الكفار من ياكل قليلا
اما لمراعاة الصحة على راي الاطبا واما للرياضة على راي الرهبان واما لعارض كضعف المعدة ومحصل القول
ان من شان المومن الحرص على الزهادة والاقتناع بالبلغة بخلاف الكافر وقيل المراد ان المومن يسمي الله عند طعامه
وشرابه فلا يشركه الشيطان فيكفيه القليل بخلاف الكافر وقيل المراد بالمومن في هذا الحديث التام الايمان لان من حسن
اسلامه وكمل ايمانه اشتغل فكره فيما يصير اليه من الموت وما بعده فيمنعه شدة الخوف وكثرة الفكر والاشفاق على نفسه
من استيفاء شهوته كما ورد في حديث لابي امامة رفعه من كثر تفكره قل مطعمه ومن قل تفكره كثر مطعمه وقسا قلبه
وقالوا لا تدخل الحكمة معدة ملئت طعاما ومن قل شربه وخف منامه ومن خف منامه ظهرت بركة عمره ومن امتلا
بطنه كثر شربه ومن كثر شربه ثقل نومه ومن ثقل نومه محقت بركة عمره فاذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذا بدنه وصلح
حال نفسه وقلبه ومن تملا من الطعام ساء غذاء بدنه واشرت نفسه وقسا قلبه وعن ابن عباس قال صلى الله عليه
وسلم ان اهل الشبع في الدنيا هم اهل الجوع غدا في الاخرة رواه الطبراني وعن سلمان وابي جحيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان اكثر الناس شبعا في الدنيا اطولهم جوعا في الاخرة وقالت عايشة لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه
وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه
شرب رواه وقولها لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط محمول على الشبع الذي يثقل المعدة
ويثبط صاحبه عن القيام بالعبادة ويفضي الى البطر والاشر والنوم والكسل وقد تنتهي كراهته الى التحريم
بحسب ما يترتب عليه من المفسدة وليس المراد الشبع المنفي المعتاد في الجملة ففي صحيح مسلم خروجه صلى الله عليه
وسلم وصاحبيه من الجوع وذهابهم الى بيت الانصاري وذبحه الشاة وفيه فلما ان شبعوا ورووا قال النووي
فيه جواز الشبع وما جاء في كراهته محمول على المداومة عليه وعن ابي هريرة قال ما شبع ال محمد صلى الله عليه
وسلم من طعام ثلاثة ايام تباعا حتى قبض رواه الشيخان وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبيت الليالي المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم الشعير رواه الترمذي وصححه وفي
حديث سعد عند مسلم ما شبع ال محمد يومين من خبز البر الا واحدهما تمر واخرج ابن سعد من طريق عمران بن يزيد المدني
حدثني والدي قال دخلنا على عايشة فقالت خرج تعني النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يملا بطنه في يوم من طعامين
كان اذا شبع من التمر لم يشبع من الشعير لم يشبع وليس في هذا ما يدل على ترك الجمع بين لونين فقد صح صلى الله
عليه وسلم القثا بالرطب كما سياتي ان شا الله تعالى وعن الحسن قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله
ما امسى في ال محمد صاع من طعام وانها لتسعة ابيات والله ما قالها استقلالا لرزق الله ولكن اراد ان تتاسى به امته
رواه الدمياطي في السيرة له وعن عايشة قالت كان يعجب النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا ثلاثة اشيا الطيب
والنسا والطعام فاصاب اثنين ولم يصب واحدة اصاب النسا والطيب ولم يصب الطعام ذكره الدمياطي وفي الشمايل
للترمذي عن النعمان ابن بشير لقد رايت نبيكم وما يجد من الدقل ما يملا بطنه وفي رواية مسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد
من الدقل ما يملا بطنه وقالت عايشة انا كنا ال محمد نمكث شهرا ما نستوقد بنار ان هو الا الما والتمر وقال عتبة ابن
غزوان لقد رايتني واني لسابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام الا ورق السمر حتى تقرحت اشداقنا
وفي رواية البخاري ومسلم كانت عايشة تقول لعروة والله يا ابن اختي ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة
اهلة في شهرين وما اوقد في ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار فقلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان

التمر والماء الا انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منايح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقيناه ولمسلم ايضا قالت لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين وقال انس ما اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رغيفا مرققا حتى لحق بالله ولا راى شاة سميطا بعينه حتى لحق بالله ~~ولا راى شاة سميطا بعينه حتى لحق بالله~~ رواه البخاري والمرقق الملين المحسن كخبز الحوارى وشبهه والترقيق التليين ولم يكن عندهم مناخل وقد يكون المرقق الرقيق الموسع قاله القاضي عياض وجزم به ابن الاثير فقال هو السميذ وما يصنع منه من كعك وغيره وقال ابن الجوزي هو الخفيف كانه اخذه من الرقاق وهي الخشبة التي يرقق بها والحوارى بضم المهملة وتشديد الواو وفتح الراء الخالص الذي ينخل مرة بعد اخرى وقوله ولا شاة سميطا هو الذي ازيل شعره بالماء السخن وشوي بجلده وانما يصنع ذلك في الصغير السن وهو فعل المترفين من وجهين احدهما المبادرة الى ذبح ما لو بقي لازداد ثمنه وثانيهما ان المسلوخ ينتفع بجلده في اللبس وغيره والسمط يفسده وقد جرى ابن بطال وابن الاثير على ان المسموط هو المشوي لكن التابعي ذكر ان اصله نزع صوفه بالماء الحار كما تقدم قال وانما يفعل ذلك في الغالب ليشوى ولعله يعني انه لم ير السميط في ماكوله والا فان لم يكن معهودا فلا تمدح وعن ابي حازم انه سال سهلا هل رايتم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم النقي قال لا فقلت كنتم تنخلون الشعير قال لا ولكن كنا ننفخه رواه البخاري وفي رواية له هل كانت لكم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل فقال ما راى النبي صلى الله عليه وسلم منخلا من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله قال شيخ الاسلام ابن حجر اظنه احترز عما قبل البعثة لكونه صلى الله عليه وسلم كان يسافر في تلك المدة الى الشام تاجرا وكانت الشام اذ ذاك مع الروم والخبز النقي عندهم كثير وكذا المناخل وغيرها من آلات الترفه ولا ريب انه راى ذلك عندهم واما بعد البعثة فلم يكن الا بمكة والطائف والمدينة ووصل الى تبوك وهي من اطراف الشام لكن لم يفتحها ولا طالت اقامته بها انتهى وقد تتبعت هل كانت اقراصه صلى الله عليه وسلم صغارا ام كبارا فلم اجد في ذلك شيئا بعد التفتيش نعم روي الامر بتصغيرها في حديث عند الديلمي عن عائشة رفعته بلفظ صغروا الخبز واكثروا عدده يبارك لكم فيه وهو واه بحيث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال ان المتهم به جابر بن سليم وروي عن ابن عمر مرفوعا البركة في صغر القرص وقيل عن النسائي انه كذب لكن روى البزار بسند ضعيف عن ابي الدرداء مرفوعا قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه قال في النهاية وحكي عن الاوزاعي انه تصغير الارغفة وكذا حكى البزار عن ابراهيم بن عبد الله بن الجنيد عن بعض اهل العلم انه تصغير الارغفة اشار اليه شيخنا في المقاصد الحسنة ولعل هذا مستند شيخي وقدوتي وانسان عين بصيرتي العارف الرباني برهان الدين ابي اسحق ابراهيم المتبولي في تصغير ارغفة سماطه كالشيخ ابي العباس احمد البدوي والسادات الكبير معارف السعادات اولي المواهب العلية الوفا اعاد الله من بركاتهم علينا وواصل امداداتهم الينا والحقائق المحمدية. وعن عائشة قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عندي شيء ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي فاكلت منه حتى طال علي فكلته ففني رواه البخاري ومسلم وعندها ايضا قالت توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا من شعير وقال ابن عباس ودرعه مرهونة بعشرين صاعا من طعام اخذه لاهله رواه الترمذي. وعن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاذا هو بابي بكر وعمر فقال ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال وانا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما فاتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما راته المراة قالت مرحبا واهلا فقال لها صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله ما احد اليوم اكرم اضيافا مني قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا واخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا

فلما

فلما ان شبعوا ورووا قال صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسالن عن هذا النعيم يوم القيمة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم رواه مسلم وغيره وهذا السؤال سؤال تشريف لا تعنيف وتعديد فضل واكرام. وعن طلحة بن نافع انه سمع جابر بن عبد الله يقول اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ذات يوم الى منزله فاخرج اليه فلقا من خبز فقال ما من ادم فقالوا لا الا شيء من خل قال نعم الادم الخل قال جابر فما زلت احب الخل منذ سمعتها من نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال طلحة فما زلت احب الخل منذ سمعتها من جابر رواه مسلم وروي عن ابن بجير قال اصاب النبي صلى الله عليه وسلم جوع يوما فعمد الى حجر فوضعه على بطنه ثم قال الا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيمة الا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين الا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم رواه ابن ابي الدنيا. وعن انس عن ابي طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين قال الترمذي هذا حديث غريب من حديث ابي طلحة لا نعرفه الا من هذا الوجه ومعنى قوله ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر قال كان احدهم يشد في بطنه الحجر من الجهد والضعف الذي به من الجوع وفي قصة جابر يوم الخندق حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وقد قام الى الكدية وبطنه معصوب بحجر تقدمت. وما احسن قول الابوصيري: وشد من سغب احشاءه وطوى ... تحت الحجارة كشحا مترف الادم

والكشح كما ذكرته في شرح هذه القصيدة ما بين خاصرته الشريفة واقصر ضلع من جنبه الشريف وانما فعل هذا صلى الله عليه وسلم ليسكن بعض الم الجوع وانما كان هذا الفعل مسكنا لان كلب الجوع من شدة حرارة المعدة الغريزية فهي اذا امتلات من الطعام اشتغلت تلك الحرارة بالطعام فاذا لم يكن فيها طعام طلبت رطوبات الجسم وجواهره فيتالم الانسان بتلك الحرارة متعلق بكثير من جواهر البدن فاذا انضمت على المعدة الاحشاء والجلد خمدت نارها بعض الخمود فقل الالم وانما تالمه بالجوع ليحصل له تضعيف الاجر مع حفظ قوته ونضارة جسمه حتى ان من يراه لا يظن ان به جوعا لان جسمه صلى الله عليه وسلم انما كان يرى اشد نضارة من اجسام المترفين بالنعم في الدنيا وهذا المعنى هو الذي قصده الناظم بقوله مترف الادم وهو من باب الاحتراس والتكميل لانه لما ذكر انه شد من سغب خاف من توهم ان جسمه [illegible] يظهر فيه اثر الجوع فاحترس ورفع ذلك الابهام بقوله مترف الادم وقد انكر ابو حاتم ابن حبان احاديث وضع الحجر على بطنه الشريف من الجوع وقال انها باطلة متمسكا بحديث الوصال لست كاحدكم اني اطعم واسقى قال وانما معناها الحجز بالزاي وهو طرف الازار لان الله تعالى قد كان يطعم رسوله عليه الصلاة والسلام ويسقيه اذا واصل فكيف يحتاج الى شد الحجر على بطنه وما يغني الحجر عن الجوع انتهى وقال بعضهم يجوز ان يكون عصب الحجر لعادة عند العرب واهل المدينة انهم يفعلون ذلك اذا خلت اجوافهم وغارت بطونهم يشدون عليها حجرا ففعل صلى الله عليه وسلم ذلك ليعلم اصحابه انه ليس عنده ما يستاثر به عليهم والصواب صحة الاحاديث وانه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك اختيارا للثواب. وقد استشكل كونه عليه السلام واصحابه كانوا يطوون الايام جوعا مع ما ثبت انه كان يرفع لاهله قوت سنة وانه قسم بين اربعة انفس من الذهب ما افاء الله عليه وانه ساق في عمرته مائة بدنة فنحرها واطعمها المساكين وانه امر لاعرابي بقطيع من الغنم وغير ذلك مع من كان معه من اصحاب الاموال كابي بكر وعمر وعثمان وطلحة وغيرهم مع بذلهم انفسهم واموالهم بين يديه وقد امر بالصدقة فجاء ابو بكر بجميع ماله وعمر بنصفه وحث على تجهيز جيش العسرة فجهزهم عثمان بالف بعير الى غير ذلك واجاب عنه الطبري كما حكاه في فتح الباري ان ذلك كان منهم في حالة دون حالة لا لعوز وضيق بل تارة للايثار وتارة لكراهية الشبع ولكثرة الاكل انتهى وتعقب بان ما نفاه مطلقا فيه نظر لما تقدم من الاحاديث واخرج ابن حبان في صحيحه عن عائشة من حدثكم انا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما افتتحت قريظة اصبنا شيئا من التمر والودك الى غير ذلك قال الحافظ ابن حجر والحق ان الكثير منهم كانوا في حال ضيق قبل الهجرة حيث كانوا بمكة ثم لما هاجروا الى

المدينة كان اكثرهم كذلك فواساهم الانصار بالمنازل والمنايح فلما فتحت لهم النضير وما بعدها ردوا عليهم منايحهم
كما تقدم • وقد قال عليه السلام لقد اخفت في الله وما يخاف احد ولقد اوذيت في الله وما يؤذى احد ولقد
اتت علي ثلثون من يوم وليلة مالي ولبلال طعام ياكله احد الا شي يواريه ابط بلال • رواه الترمذي
وصححه • نعم كان صلى الله عليه وسلم يختار ذلك مع حصول التوسع والتبسط في الدنيا له كما اخرج الترمذي
من حديث ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحا مكة ذهبا قلت لا يا رب
ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك • وحكمة هذا
التفصيل لا يستلذ الا بالخطاب والا فالله تعالى عالم بالاشيا جملة وتفصيلا • وعن ابن عباس قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل على الصفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل والذي بعثك
بالحق ما امسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السما افزعته
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله القيامة ان تقوم قال لا ولكن امر اسرافيل فنزل اليك حين سمع
ما ذكرت فعثني اليك بمفاتيح خزاين الارض وامرني ان اعرض عليك ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا
وذهبا وفضة فعلت فان شيت نبيا ملكا وان شيت نبيا عبدا فاوما اليه جبريل ان تواضع فقال
بل نبيا عبدا ثلثا • رواه الطبراني باسناد حسن • فانظر الى همته العلية لما عرضت عليه مفاتيح خزاين
الارض فاباها ومعلوم انه لو اخذها لانفقها في طاعة ربه فابا ذلك واختار العبودية المحضة فيالها
من همة شريفة رفيعة ما اسناها • ونفس زكية كريمة ما ابهاها ولله در صاحب بردة المديح حيث قال
• وراودته الجبال الشم من ذهب • عن نفسه فاراها ايما شمم • واكدت زهده فيها ضرورته •
• ان الضرورة لا تعدو على العصم • وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من • لولاه لم تخرج الدنيا من العدم •
اي كيف تدعو ضرورة سيد المعصومين الى زخرف الدنيا وما فيها انما برزت لاجله فكيف يضطر اليها لكن
في كلامه شي فانه في مقام المدح فلا يليق منه الوصف بالزهد ولا بالضرورة قال الحليمي في شعب الايمان من تعظيم
النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يوصف بما هو عند الناس من اوصاف الضعة فلا يقال كان فقيرا وانكر بعضهم اطلاق
الزهد في حقه صلى الله عليه وسلم وقد حكى صاحب نثر الدرر عن محمد بن واسع انه قيل له فلان زاهد فقال وما قدر
الدنيا حتى يزهد فيها • وقد ذكر القاضي عياض في الشفا ونقله عنه الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه السيف المسلول
ان فقها الاندلس افتوا بقتل حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه لاستخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء
مناظرته باليتيم وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها انتهى • وذكر الشيخ بدر الدين الزركشي
عن بعض الفقهاء المتاخرين انه كان يقول لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا حاله حال فقير بل كان
اغنى الناس فقد كفي امر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في قوله عليه السلام اللهم احيني مسكينا ان المراد به
استكانة القلب لا المسكنة التي هي ان لا يجد ما يقع موقعا من كفايته وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك انتهى
واما ما يروى انه عليه السلام قال الفقر فخري وبه افتخر فقال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر هو باطل موضوع
واعلم انه لم يكن من عادته الكريمة صلى الله عليه وسلم حبس نفسه الشريفة على نوع واحد من الاغذية لا يتعداه
الى سواه فان ذلك يضر بالطبيعة جدا ولو انه افضل الاغذية بل كان صلى الله عليه وسلم ياكل ما جرت عادة اهل بلده
باكله من اللحم والفاكهة والخبز والتمر وغيره مما سياتي فاكل صلى الله عليه وسلم الحلوى والعسل وكان يحبهما رواه
البخاري والترمذي • والحلوى بالقصر والمد كل حلو • وقال الخطابي اسم الحلوى لا يقع الا على ما دخلته الصنعة
• وقال ابن سيده هو ما عولج من الطعام بحلو وقد يطلق على الفاكهة قال الخطابي ولم يكن حبه عليه السلام لها على معنى

كثرة

كثرة التشهي لها وشدة نزاع النفس اليها وانما كان ينال منها اذا احضرت نيلا صالحا فيعلم بذلك انها تعجبه • ووقع في كتاب
فقه اللغة للثعالبي ان حلوى النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يحبها هي المجيع بالميم والجيم بوزن عظيم وهو تمر يعجن بلبن كذا
في فتح الباري ولم يصح ورود انه عليه السلام كان يحب السكر ولا انه تصدق به ولا انه راه لكن اخرج ابو جعفر الطحاوي
والبيهقي في سننه من حديث لمازة عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر
ملاك رجل من الانصار فجات الجواري معهن الاطباق عليها اللوز والسكر فامسك القوم ايديهم فقال عليه السلام الا تنتهبون
قالوا انك نهيت عن النهبة قال اما العرسان فلا قال فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاذبهم ويجاذبونه واحتج به الطحاوي
على ان النثار غير مكروه كما ذهب اليه ابو حنيفة وتعقبه على الاحاديث الصحيحة التي فيها النهي عن النهبة لكن قال البيهقي بعد
روايته الحديث وهذا لا يثبت ثم قال وروي من حديث عايشة عنه صلى الله عليه وسلم ولا يثبت في هذا المعنى شي ونتج على
الطحاوي القول في ذلك جدا في كتاب المعرفة وقال الحديث انما يروى عن عون بن عمارة وعصمة بن سليمان وكلاهما لا يحتج
به وشيخهما لمازة بن المغيرة مجهول فهاتان علتان كل منهما منفردة توجب ضعف الحديث فكيف بهما مجتمعتين هذا وخالد بن معدان
عن معاذ منقطع ولا حجة في منقطع فهذه ثلاث علل يضعف الحديث بدونها وقد افرد الكلام على ذلك ابن مفلح الحنبلي اليوسفي
والله اعلم • وعن ليث بن ابي سليم قال اول من خبص في الاسلام عثمان بن عفان رضي الله عنه قدمت عليه عير تحمل الدقيق والعسل
فخلط بينهما وبعث به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل فاستطابه قال الطبري في الرياض رواه خيثمة في فضايل
عثمان • وعن عبد الله بن سلام قال قدمت عير فيها جمل لعثمان بن عفان عليه دقيق حواري وسمن وعسل فاتى بها النبي صلى
الله عليه وسلم فدعا فيها بالبركة ثم دعا ببرمة فنصبت على النار وجعل فيها من العسل والدقيق والسمن ثم عصد حتى نضج وكاد
ان ينضج ثم نزل فقال صلى الله عليه وسلم كلوا هذا شي تسميه فارس الخبيص قال الطبري خرجه تمام في فوايده والطبراني
في معجمه • واكل عليه السلام لحم الضان • وهذه الثلاثة اعني الحلوى والعسل واللحم من افضل الاغذية وانفعها للبدن والكبد
والاعضاء ولا ينفر منها الا من به علة وافة • واللحم سيد طعام اهل الجنة وفي رواية هو سيد الطعام لاهل الدنيا والاخرة
رواه ابن ماجه وابن ابي الدنيا من حديث ابي الدرداء مرفوعا وسنده ضعيف وله شواهد منها عن علي مرفوعا سيد طعام
الدنيا اللحم ثم الارز اخرجه ابو نعيم في الطب النبوي واكله يزيد سبعين قوة قاله الزهري • وعن علي انه يصفي اللون ويحسن
الخلق ومن تركه اربعين ليلة سا خلقه • ولابي الشيخ ابن حيان من رواية ابن سمعان قال سمعت من علمايا يقولون كان احب
الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والاخرة ولو سالت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل ~~وهو يزيد في السمع وهو~~
~~سيد الطعام في الدنيا~~ وقال الامام الشافعي ان اكله يزيد في العقل • وكان عليه السلام يعجبه الذراع ولذلك سم فيه • و
عن ابي رافع انه اهديت له شاة فجعلها في قدر فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا ابا رافع فقال
شاة اهديت لنا يا رسول الله فطبختها في القدر قال ناولني الذراع يا ابا رافع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع الاخر
فناولته الذراع الاخر فقال ناولني الذراع الاخر فقال يا رسول الله انما للشاة ذراعان فقال له صلى الله عليه وسلم اما
انك لو سكت لناولتني ذراعا فذراعا ما سكت ثم دعا بما فمضمض فاه وغسل اطراف اصابعه ثم قام فصلى الحديث رواه احمد
• ورواه الدارمي والترمذي عن ابي عبيد بلفظ طبخت له صلى الله عليه وسلم قدرا وكان يعجبه الذراع فناولته الذراع فقال
ثم قال ناولني الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع فقلت يا رسول الله
وكم للشاة من ذراع فقال والذي نفسي بيده لو سكت لناولتني الذراع ما دعوت • وقالت عايشة رضي الله عنها وكان
الذراع احب اليه وكان لا ياكل اللحم الا غبا وكان يعجل اليها لانها اعجل نضجا • رواه الترمذي • وكذلك كان يحب لحم الرقبة فعن
ضباعة بنت الزبير انها ذبحت في بيتها شاة فارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطعمينا من شاتكم فقالت ما بقي عندنا الا
الرقبة واني لاستحيي ان ارسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الرسول فاخبره فقال ارجع اليها فقل لها ارسلي بها فانها هادية

هادية الشاة واقرب الشاة الى الخير وابعدها من الاذى رواه   ولا ريب ان اخف لحم الشاة لحم الرقبة ولحم الذراع
والعضد وهو اخف على المعدة واسرع انهضاما وفي هذا مراعاة الاغذية التي تجمع ثلاثة اوصاف احدها كثرة
نفعها وتاثيرها في القوى الثاني خفتها على المعدة وسرعة انحدارها عنها الثالث سرعة هضمها وهذا افضل
ما يكون من الغذاء وقال عليه السلام اطيب اللحم لحم الظهر رواه الترمذي واما حديث انه صلى الله عليه وسلم كان
يكره الكليتين لمكانهما من البول فقال الحافظ العراقي رويناه في جزء من حديث ابي بكر محمد بن عبد الله ابن الشخير من
حديث ابن عباس باسناد فيه انتهى وكان عليه السلام ينتهش اللحم اي يقبض عليه بفمه ويزيله من العظم او غيره وينتشله
اي يقتلعه من المرق والنهش بعد الانتشال وفي البخاري انه عليه السلام احتز من كتف شاة في يده فدعي الى الصلاة
فالقاها والسكين التي يحتز بها ثم قام الى الصلاة ولم يتوضا قال ابن بطال هذا الحديث يرد حديث ابي معشر عن هشام
ابن عروة عن ابيه عن عائشة رفعته لا تقطعوا اللحم بالسكين فانه من صنيع الاعاجم وانهشوه فانه اهنا وامرا قال
ابو داود هو حديث ليس بالقوي قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني رحمه الله له شاهد من حديث صفوان ابن امية
اخرجه الترمذي بلفظ انهشوا اللحم نهشا فانه اهنا وامرا وقال لا نعرفه الا من حديث عبد الكريم انتهى قال وعبد
الكريم هو ابو امية ابن ابي المخارق ضعيف لكن اخرجه ابن ابي عاصم من وجه اخر عن صفوان بن امية فهو حسن لكن
ليس فيه ما زاده ابو معشر من التصريح بالنهي عن قطع اللحم بالسكين واكثر ما في حديث صفوان ان النهش اولى انتهى
ويمكن الجمع بان النهش ما على العظم الصغير والاحتزاز ما على الكبير واكل صلى الله عليه وسلم الشوى فعن ام سلمة انها قربت
الى النبي صلى الله عليه وسلم جنبا مشويا فاكل منه ثم قام الى الصلاة وما توضا قال الترمذي حديث صحيح واكل عليه السلام
القديد كما في حديث في السنن عن رجل قال ذبحت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة ونحن مسافرون فقال اصلح لحمها فلم ازل
اطعمه منه الى المدينة واكل عليه السلام من الكبد المشوية   واكل لحم الدجاج رواه الشيخان والترمذي
وغيرهم واكل لحم حمار الوحش رواه الشيخان واكل لحم الجمل سفرا وحضرا رواه   واكل من دواب البحر رواه الترمذي
مسلم واكل الثريد وهو بفتح المثلثة ان يثرد الخبز بمرق اللحم وقد يكون معه اللحم ومن امثالهم الثريد احد اللحمين وروى
ابو داود من حديث ابن عباس قال كان احب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد من الخبز والثريد من الحيس واكل
عليه السلام بالسمن واكل الخبز بالزيت وعن حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل اطعمني الهريسة يشد بها ظهري
لقيام الليل رواه الطبراني في الاوسط وفيه محمد بن الحجاج اللخمي وهو الذي وضع هذا الحديث واكل عليه السلام الدباء
وكانت تعجبه وكان يتتبعها من حوالي الصحفة قال انس فلم ازل احب الدباء من يومئذ رواه مسلم قال النووي فيه انه
يستحب ان يحب الدباء وكذلك كل شيء كان يحبه صلى الله عليه وسلم وكذلك اكل عليه السلام السلق مطبوخا بالشعير قال
الترمذي حديث حسن غريب واتى الحسن ابن علي وابن عباس وابن جعفر الى سلمى فقالوا اصنعي لنا طعاما مما كان يعجب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويحسن اكله فقالت يا بني لا تشتهيه اليوم قال بلى اصنعيه لنا قال فقامت فاخذت شيئا من
الشعير فطحنته ثم جعلته في قدر وصبت عليه شيئا من زيت ودقت الفلفل والتوابل فقربته اليهم فقالت هذا
ما كان يعجبه صلى الله عليه وسلم ويحسن اكله رواه الترمذي واكل عليه الصلاة والسلام الخزيرة وهي بخاء معجمة
مفتوحة ثم زاي مكسورة وبعد التحتانية الساكنة راء ما يتخذ من الدقيق على هيئة العصيدة لكنها ارق منها قاله
الطبري وقال ابن فارس دقيق يخلط بشحم وقال القتبي وتبعه الجوهري ان يوخذ اللحم فيقطع صغارا
ويصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق فان لم يكن فيها لحم فهي عصيدة وقيل مرقة تصفى من بلالة النخالة
ثم تطبخ وقيل الخزيرة بالاعجام من النخالة والحريرة بمهملات من [illegible] وقال عتبان غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر حين ارتفع النهار وحبسناه على خزير صنعناه واكل عليه السلام الاقط كما قاله ابن عباس فيما رواه

وهو

وهو جبن اللبن المستخرج زبده اكله وهو كثير بمكة والمدينة زادهما الله شرفا وهو اشبه شيء بالكشك واكل عليه السلام
الرطب والتمر والبسر رواه مسلم والترمذي وغيرهما واكل الكباث رواه مسلم وهو بفتح الكاف وتخفيف الموحدة وبعد
الالف مثلثة النضيج من ثمر الاراك وقيل ورق الاراك وتعقبه الاسمعيلي فقال انما هو ثمر الاراك وهو البرير بموحدة بوزن
الحرير فاذا اسود فهو الكباث وفي النهاية لابن الاثير انه عليه السلام كان يحب الجذب بالجيم والذال المعجمة المفتوحتين اي الجمار
وهو شحم النخل واحدها جذبة واما الجبن ففي السنن من حديث ابن عمر قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم بجبنة في تبوك فدعا
بسكين فسمى وقطع رواه ابو داود وكان عليه السلام يراعي صفات الاطعمة وطبائعها واستعمالها على قاعدة الطب فاذا
كان في احد الطعامين ما يحتاج الى كسر وتعديل كسره وعدله بضده ان امكن كتعديله حرارة الرطب بالبطيخ وهذا اصل كبير
في المركبات من الادوية وان لم يجد ذلك تناوله على حاجة وداعية من النفس من غير اسراف وروى ابو داود من حديث ابي
اسامة عن هشام انه صلى الله عليه وسلم كان ياكل البطيخ بالرطب ويقول نكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بحر هذا ورواه
يزيد بن رومان عن الزهري عن عروة بتقديم الطاء كالترمذي وبتاخيرها كما للنسائي في الوليمة فكانه كان عند هشام
باللفظين وكذا رواه ابن حبان في صحيحه من حديث محمد بن عبد الرحمن عن الامام احمد بن حنبل عن وهب ابن جرير بن حازم قال
سمعت حميدا يحدث عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ياكل الطبيخ او البطيخ بالرطب وقال عقبه الشك من احمد وتقدم
انه عند [illegible] صاحب الحكم وقد كان احمد بن اسلم لا ياكل البطيخ لانه لم ينقل كيفية اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم له وروى
الطبراني في الاوسط من حديث عبد الله بن جعفر قال رايت في يمين النبي صلى الله عليه وسلم قثاء وفي شماله رطبا وهو ياكل من ذا مرة
ومن ذا مرة وفي سنده ضعف واخرج فيه وفي الطب لابي نعيم من حديث انس كان ياخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره
وياكل الرطب بالبطيخ وكان احب الفاكهة اليه وسنده ضعيف ايضا واخرج النسائي بسند صحيح عن حميد عن انس قال
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرطب والخربز وهو بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء وكسر الموحدة بعدها زاي نوع من البطيخ
الاصفر وفي هذا تعقب على من زعم ان المراد بالبطيخ في الحديث الاخضر واعتلوا بان في الاصفر حرارة كما في
الرطب وقد ورد التعليل بان احدهما يطفئ حرارة الاخر والجواب عن ذلك بان في الاصفر بالنسبة للرطب برودة
وان كان فيه لحلاوته طرف حرارة والله اعلم وفي رواية للنسائي ايضا بسند صحيح عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
اكل البطيخ والرطب جميعا واخرج ابن ماجه عن عائشة ارادت امي ان تعالجني للسمنة لتدخلني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما
استقام لها ذلك حتى اكلت الرطب بالقثاء فسمنت كاحسن سمنة ورواه النسائي وقال بالتمر مكان الرطب واما فضائل
البطيخ فاحاديثه باطلة وان افرد الموقاني فيه جزءا كما قاله الحفاظ والله اعلم وكان عليه السلام ياكل التمر بالزبد ويحبه
فعن عبد الله وعطية ابني بسر قالا دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا له زبدا وتمرا وكان يحب الزبد والتمر
رواه ابو داود وابن ماجه وسمى صلى الله عليه وسلم اللبن والتمر الاطيبين رواه احمد وكان ياكل الخبز مادوما وجعله
اداما فتارة يادمه باللحم ويقول هو سيد الطعام لاهل الدنيا والاخرة وتارة بالبطيخ رواه
وتارة بالتمر فانه وضع تمرة على كسرة من خبز الشعير وقال هذه ادام هذه رواه ابو داود والترمذي بسند حسن من
حديث يوسف بن عبد الله بن سلام قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم اخذ فذكره قال ابن القيم وهذا
من تدبير الغذاء فان الشعير بارد يابس والتمر حار رطب على اصح القولين فادم خبز الشعير به من احسن
التدبير وتارة بالخل ويقول نعم الادام الخل رواه مسلم وتقدم قال الخطابي والقاضي عياض معناه مدح الاقتصاد
في الماكل ومنع النفس من ملاذ الاطعمة تقديره ائتدموا بالخل وما في معناه مما تخف مؤنته ولا يعز وجوده ولا تتانقوا
في الشهوات فانها مفسدة للدين مسقمة للبدن وتعقبه النووي فقال الذي ينبغي ان يجزم به انه مدح للخل نفسه
واما الاقتصاد في المطعم وترك الشهوات فمعلوم من قواعد اخر انتهى وقال ابن القيم هذا ثناء عليه بحسب مقتضى الحال

الحاضر لا تفضيلًا له على غيره كما ظنه بعضهم قال وسببه الحديث انه دخل على اهله يومًا فقدموا له خبزًا فقال
ما من ادم فقالوا ما عندنا الا خل فقال نعم الادام الخل والمقصود ان اكل الخبز مع الادم من اسباب حفظ الصحة
بخلاف الاقتصار على احدهما وسمي الادم ادمًا لاصلاحه الخبز وجعله ملايمًا لحفظ الصحة وليس في هذا تفضيل له على
اللبن واللحم والعسل والمرق ولو حضر لبن او لحم لكان اولى بالمدح منه فقال هذا جبرًا وتطييبًا لقلب من قدمه له لا
تفضيلًا له على ساير انواع الادم وكان عليه السلام ياكل من فاكهة بلده عند مجيئها ولا يحتمي عنها وهذا من اكبر اسباب
الصحة فان الله تعالى بحكمته جعل في كل بلد من الفاكهة ما ينتفع به اهلها في وقته فيكون تناوله من اسباب
صحتهم وعافيتهم ويغني عن كثير من الادوية وقل من احتمى عن فاكهة بلده خشية السقم الا وهو من اسقم الناس وابعدهم
من الصحة والقوة فمن اكل منها ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي كان له دواء نافعًا وقد روي
ابن عباس قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل العنب خرطًا رويناه في الغيلانيات لكن قال ابو جعفر العقيلي
كما حكاه في الهدي لا اصل لهذا الحديث قال ابن الاثير يقال خرط العنقود واخترطه اذا وضعه في فيه ثم ياخذ حبه
ويخرج عرجونه عاريًا منه قال وجاء في بعض الروايات خرصًا يعني بالصاد بدل الطاء واما البصل فروى ابو داود
في سننه عن عايشة انها سيلت عن البصل فقالت ان اخر طعام اكله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بصل وثبت
عنه في الصحيح انه منع اكله من دخول المسجد وكان عليه السلام يترك الثوم دايمًا لانه يتوقع مجي الملايكة والوحي
كل ساعة قال النووي واختلف اصحابنا في حكم الثوم في حقه عليه السلام وكذلك البصل والكراث ونحوها فقال
اصحابنا هي محرمة عليه والاصح عندهم انها مكروهة كراهة تنزيه ليست محرمة لعموم قوله عليه السلام لا في جواب
قوله احرام هو ومن قال بالاول يقول معنى الحديث ليس بحرام في حقكم انتهى فينبغي لمحبه موافقته عليه الصلاة والسلام
في ترك الثوم ونحوه وكراهة ما كان يكرهه عليه السلام فان من ارضان المحب الصادق ان يحب ما احبه محبوبه ويكره
ما كرهه وكان عليه السلام ياكل باصابعه الثلاث رواه الترمذي في الشمايل وهذا في الهدي انفع ما يكون من الاكلات
فان الاكل باصبع اكل المتكبر ولا يستلذ به الاكل ولا يمريه ولا يشبعه الا بعد طول ولا يفرح لمادة الطعام والمعدة بما ينالها
في كل اكلة فيا خذها على اغماض كما ياخذ الرجل حقه حبة او نحو ذلك فلا يلتذ باخذه والاكل بالخمسة والراحة يوجب ازدحام
الطعام على الاته وعلى المعدة وربما انسدت الالات فات وتغصب الالات على دفعه والمعدة على احتماله ولا يجد له
لذة ولا استمراء فانفع الاكل اكله صلى الله عليه وسلم واكل من اقتدى به بالاصابع الثلاث وكان عليه السلام يلعق اصابعه
اذا فرغ ثلاثًا رواه الترمذي في الشمايل وفي رواية مسلم ويلعق يده قبل ان يمسحها وفي رواية انه امر بلعق الاصابع
والصحفة وقد روى الترمذي عن ام عاصم قالت دخل علينا نبيشة الخير ونحن ناكل في قصعة فحدثنا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من اكل في قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة وكذا اخرجه ابن ماجه واحمد بن شاهين والدارمي
وغيرهم وقال الترمذي انه حديث غريب واورده بعضهم بلفظ تستغفر الصحفة للاحسها وفي حديث جابر مرفوعًا
عند ابي الشيخ في الثواب من اكل ما يسقط من الخوان او القصعة امن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق
وللديلمي من طريق الرشيد عن ابايه عن ابن عباس رفعه من اكل ما يسقط من المايدة خرج ولده صباح الوجه ونفي عنه الفقر
واورد الغزالي في الاحيا علوم بلفظ عاش في سعة وعوفي في ولده وكلها مناكير لكن في مسلم عن جابر وانس مرفوعًا
اذا وقعت لقمة احدكم فلياخذها فليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق
اصابعه لانه لا يدري في اي طعامه البركة وفي حديث كعب بن عجرة عن الطبراني في الاوسط صفة لعق الاصابع ولفظه
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل باصابعه الثلاث بالابهام والتي تليها والوسطى ثم رايته يلعق اصابعه الثلاث
قبل ان يمسحها الوسطى ثم التي تليها ثم الابهام قال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي كان السر فيه

ان الى

ان الوسطى اكثر تلويثًا لانها اطول فيبقى فيها من الطعام اكثر من غيرها ولانها لطولها اول ما ينزل الطعام وقد وقع في مرسل
ابن شهاب عند سعيد بن منصور ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اكل اكل بخمس فيجمع بينه وبين ما تقدم باختلاف الحال
وقد جاء علة اللعق مبينة في بعض الروايات انه لا يدري احدكم في اي طعامه البركة وفي الحديث رد على من كره
لعق الاصابع استقذارًا نعم يحصل ذلك لو فعله في اثناء الاكل لانه يعيد
اصابعه في الطعام وعليها اثر ريقه قال الخطابي عاب قوم افسد عقلهم الترفه لعق الاصابع وزعموا انه مستقبح
كانهم لم يعلموا ان الطعام الذي علق بالاصابع والصحفة جزء من اجزاء ما اكلوه واذا لم يكن ساير اجزايه مستقذرًا لم
يكن الجزء اليسير منه مستقذرًا وليس في ذلك اكثر من مصه اصابعه بباطن شفتيه ولا يشك عاقل ان لا باس بذلك
فقد يتمضمض الانسان فيدخل اصبعه في فيه فيدلك اسنانه وباطن فمه ثم لم يقل احد ان ذلك قذارة وسوء ادب
انتهى ولا ريب ان من استقذر ما نسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم من سيئ الادب يخشى عليه امر عظيم فنسال الله
تعالى بوجاهة وجهه الكريم ان لا يسلك بنا غير سبيل سنته وان يديم لنا حلاوة محبته وقد كان صلى الله عليه وسلم
لا ياكل متكيًا لما صح انه قال لا اكل متكيًا رواه البخاري وقال انما انا عبد اجلس كما يجلس العبد واكل كما ياكل العبد وروى
ابن ماجه والطبراني باسناد حسن قال اهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فجثا على ركبتيه ياكل فقال له اعرابي
ما هذه الجلسة فقال ان الله جعلني كريمًا ولم يجعلني جبارًا عنيدًا قال ابن بطال انما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
تواضعًا لله ثم ذكر من طريق ايوب عن الزهري قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم ملك لم ياته قبلها فقال ان ربك
يخيرك بين ان تكون عبدًا نبيًا او نبيًا ملكًا فنظر الى جبريل كالمستشير له فاوما اليه ان تواضع فقال
بل عبدًا نبيًا قال فما اكل متكيًا وهذا مرسل او معضل وقد وصله النسائي من طريق الزبيدي
عن الزهري عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال ما رئي النبي صلى الله عليه وسلم ياكل متكيًا قط واخرج
ابن ابي شيبة عن مجاهد قال ما اكل النبي صلى الله عليه وسلم متكيًا الا مرة واحدة ويمكن الجمع بان تلك المرة التي
اخبر مجاهد لم يطلع عليها عبد الله بن عمرو وقد اخرج ابن شاهين في ناسخه من مرسل عطاء بن يسار ان جبريل راى
النبي صلى الله عليه وسلم ياكل متكيًا فنهاه وروى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم نهى ان ياكل الرجل وهو منبطح
على وجهه وقد فسر القاضي عياض في الشفا الاتكاء بالتمكن للاكل والتقعد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن
الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته قال والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله
عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيًا قال وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند
المحققين انتهى والاقعاء ان يلصق اليتيه بالارض وينصب ساقيه ويتساند الى ظهره وهو المنهي عنه في الصلاة
وتفسير القاضي عياض الاتكاء بما فسره به حكاه في الاكمال عن الخطابي وقال ان الخطابي خالف في هذا التاويل اكثر
الناس وانهم انما حملوا الاتكاء على انه الميل على احد الجانبين انتهى والذي رايته يعزى للخطابي بحسب العامة
ان المتكي هو الاكل على احد شقيه وليس كذلك بل هو المعتمد على الوطاء الذي تحته انتهى وقد فسر ايضا بالميل
على احد الشقين وبه جزم ابن الجوزي وقيل هو الاعتماد على الشي وقيل ان يعتمد على يده اليسرى من الارض وقد
اخرج ابن عدي بسند ضعيف زجر النبي صلى الله عليه وسلم ان يعتمد الرجل على يده اليسرى عند الاكل قال مالك
هو نوع من الاتكا قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني وفي هذا اشارة من مالك الى كراهة كل ما يعد الاكل فيه
متكيًا ولا يختص بصفة بعينها وحكى ابن الاثير في النهاية ان من فسر الاتكاء بالميل على احد الشقين تاوله على مذهب
الطب وقال ابن القيم انه يضر بالاكل فانه يمنع مجرى الطعام الطبيعي عن هياته ويعوقه عن سرعة نفوذه الى المعدة
ويضغط المعدة فلا يستحكم فتحها للغذاء واما الاعتماد على الشي فهو من جلوس الجبابرة المنافي للعبودية ولهذا قال

عليه السلام اكل كما ياكل العبد وان كان المراد بالاتكاء الاعتماد على الوسايد والوطاء الذي تحت الجالس كما ذكره عن الخطابي
فيكون المعنى اني اذا اكلت لم اقعد متكئا على الاوطئة والوسايد كفعل الجبابرة ومن يريد الاكثار من الطعام لكني اكل
من الزاد فلذلك اقعد مستوفزا وفي حديث انس انه صلى الله عليه وسلم اكل تمرا وهو مقع وفي رواية وهو محتفز
المراد الجلوس على وركيه غير متمكن واختلف السلف في حكم الاكل متكئا فزعم ابن القاص ان ذلك من خصايصه صلى الله
عليه وسلم وتعقبه البيهقي فقال قد يكره لغيره ايضا لانه من فعل المتعظمين واصله ماخوذ من ملوك العجم قال
فان كان بالمرء مانع لا يتمكن معه من الاكل الا متكئا لم يكن في ذلك كراهة ثم ساق عن جماعة من السلف انهم اكلوا كذلك
واشار الى حمل ذلك عنهم على الضرورة قال في فتح الباري وفي الحمل نظر وقد اخرج ابن ابي شيبة عن ابن عباس وخالد
بن الوليد ومحمد بن سيرين وعطا ابن يسار وغيرهم جواز ذلك مطلقا واذا ثبت كونه مكروها او خلاف الاولى فالمستحب
في صفة الجلوس للاكل ان يكون جاثيا على ركبتيه وظهور قدميه او ينصب الرجل اليمنى ويجلس على اليسرى انتهى وقال
ابن القيم ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يجلس للاكل متوركا على ركبتيه ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر اليمنى تواضعا
لله عز وجل وادبا بين يديه قال وهذه الهيئة انفع هيئات الاكل وافضلها لان الاعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي الذي
خلقها الله تعالى عليه انتهى واخرج ابن ابي شيبة من طريق ابراهيم النخعي قال كانوا يكرهون ان ياكلوا اتكاة مخافة ان تعظم
بطونهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا وضع يده في الطعام يسمي الله تعالى واما قول النووي في اداب الاكل من الاذكار
والافضل ان يقول بسم الله الرحمن الرحيم فان قال بسم الله كفاه وحصلت السنة فقال في فتح الباري لم ار لما ادعاه
من الافضلية دليلا خاصا وكان عليه السلام يحمد الله في اخره فيقول الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع
ولا مستغنى عنه ربنا رواه الترمذي وقوله غير مودع بفتح الدال الثقيلة اي غير متروك ولا مستغنى عنه بفتح
النون وربنا بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو ربنا ويجوز النصب على المدح او الاختصاص او اضمار اعني
وقال ابن الجوزي ربنا بالنصب على النداء مع حذف اداة النداء وفي رواية الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين
وللنسائي من طريق عبد الرحمن بن جبير المصري انه حدثه رجل خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين انه كان يسمع
النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرب اليه طعام يقول بسم الله فاذا فرغ قال اللهم اطعمت وسقيت واغنيت
واقنيت وهديت واحييت فلك الحمد على ما اعطيت وسنده صحيح وقد كان عليه السلام يحب التيامن في شانه
كله وقال عليه السلام يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك قال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي
حمله اكثر الشافعية على الندب وبه جزم الغزالي ثم النووي لكن نص الشافعي في الرسالة وفي موضع اخر من الام على
الوجوب وكذا ذكره عنه الصيرفي في شرح الرسالة ونقل البويطي في مختصره ان الاكل من راس الثريد والتعريس على
الطريق والقران في التمر حرام ومثل البيضاوي في منهاجه للندب بقوله صلى الله عليه وسلم كل مما يليك وتعقبه
الشيخ تاج الدين ابن السبكي في شرحه بان الشافعي نص في غير هذا الموضع على ان من اكل مما لا يليه عالما بالنهي كان
عاصيا اثما قال وقد جمع والدي نظاير هذه المسالة في كتاب له سماه كشف اللبس عن المسايل الخمس ونص الشافعي على
ان الامر فيها للوجوب قال شيخ الاسلام ابن حجر بعد ان ذكره ويدل على وجوب الاكل باليمين ورود الوعيد في الاكل
بالشمال ففي صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا ياكل بشماله فقال كل بيمينك قال لا استطيع قال لا
استطعت فما رفعها الى فيه بعد فان قلت انه عليه السلام كان يتتبع الدبا من حوالي القصعة وهو يعارض الاكل مما
يلي فالجواب انه يحمل الجواز على ما اذا علم رضى من ياكل معه فاذا علم كراهة من ياكل معه لذلك لم ياكل الا مما
يليه قال ابن بطال وانما جالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطعام لانه علم ان احدا لا يتكره ذلك ولا
يتقذره بل كانوا يتبركون بريقه وبما مسه بيده بل كانوا يتبادرون الى نخامته فيتدلكون بها وقال غيره انما فعل

ذكر

ذلك لانه كان ياكل وحده وهو غير مسلم لان انسا اكل معه صلى الله عليه وسلم وحديث عكراش عند الترمذي الذي
فيه التفصيل بينهما اذا كان لونا واحدا فلا يتعدى ما يليه او اكثر من لون فيجوز ضعيف والله اعلم وقرب اليه
صلى الله عليه وسلم طعام فقالوا الا ناتيك بوضوء فقال انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة رواه الترمذي
وفي رواية له انه عليه السلام قال بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده فحمل الوضوء الاول على الرسغ والثاني
على اللغوي وروى ابو يعلى باسناد ضعيف من حديث ابن عمر من اكل من هذه اللحوم شيئا فليغسل يده من ريح وضره ولا يؤذي
من حذاءه ولم يكن صلى الله عليه وسلم ياكل طعاما حارا فروى الطبراني في الصغير والاوسط من حديث بلال ابن ابي
هريرة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصحفة تفور فقال ان الله لم يطعمنا نارا قال وبلال قليل الرواية انتهى
وعند ابي نعيم في الحلية من حديث انس مرفوعا كان يكره الكي والطعام الحار ويقول عليكم بالبارد فانه ذو بركة الا وان
الحار لا بركة له الحديث ولاحمد ولابي نعيم من حديث اسما انها كانت اذا بردت غطته بشيء حتى يذهب فوره ثم تقول اني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هو اعظم بركة لكن عند البيهقي بسند صحيح عن ابي هريرة قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم
بطعام سخن فقال ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم وكان له عليه السلام قدح من خشب مضبب بحديد
قال انس لقد سقيته عليه السلام بهذا القدح الشراب كله الماء والنبيذ والعسل وفي البخاري عن سهل بن سعد فاقبل
~~عليه السلام بهذا القدح الشراب~~ النبي صلى الله عليه وسلم حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو واصحابه ثم قال اسقنا يا سهل
فاخرجت لهم هذا القدح فاسقيتهم فيه فاخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك
فوهبه له الحديث وكان عمر بن عبد العزيز قد ولي حينئذ امرة المدينة وعند البخاري من حديث عاصم الاحول قال رايت
قدح النبي صلى الله عليه وسلم عند انس بن مالك وكان قد انصدع فسلسله بفضة قال وهو قدح جيد عريض من نضار قال
قال انس لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا القدح اكثر من كذا وكذا وقال ابن سيرين انه كان فيه حلقة من حديد
فاراد انس ان يجعل مكانها حلقة من ذهب او فضة فقال له ابو طلحة لا تغيرن شيئا صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه
وزيد في رواية الحسن من طريق ابي حمزة السكري عن عاصم قال رايت القدح وشربت منه واخرجه ابو نعيم من طريق علي بن الحسن بن شقيق
عن ابي حمزة ثم قال قال علي بن الحسن وانا رايت القدح وشربت منه وذكر القرطبي في مختصر البخاري انه راى في بعض النسخ
القديمة من البخاري قال ابو عبد الله البخاري رايت هذا القدح بالبصرة وشربت فيه وكان اشتري من ميراث النضر
ابن انس بثمانماية الف ووقع عند احمد من طريق شريك عن عاصم رايت عند انس قدح النبي صلى الله عليه وسلم فيه ضبة من
فضة وقوله من نضار بضم النون وبالضاد المعجمة الخالص من العود من كل شيء ويقال اصله من شجر النبع وقيل من الاثل ولونه
يميل الى الصفرة ولم ياكل صلى الله عليه وسلم على خوان قط ولا اكل خبزا مرققا رواه الترمذي والخوان بكسر المعجمة ويجوز
ضمها المايدة ما لم يكن عليها طعام واما السفرة فاشتهرت لما يوضع عليه الطعام وكان عليه السلام ينهى عن النوم
على الاكل ويذكر انه يقسي القلب ذكره ابو نعيم وكذا قال الاطبا كما في الهدي من اراد حفظ الصحة فليمش بعد العشاء ولو
مائة خطوة ولا ينام عقبه فانه مضر جدا او الصلاة بعد الاكل تسهل هضمه واما شربه صلى الله عليه وسلم فقد كان
يستعذب له الماء الحلو قالت عايشة رضي الله عنها كان يستعذب له الماء من بيوت السقيا رواه ابو داود وهي بضم المهملة
وبالقاف وهي عين بينها وبين المدينة يومان قال ابن بطال واستعذاب الماء لا ينافي الزهد ولا يدخل في الترفه المذموم
بخلاف تطييب الماء بالمسك ونحوه فقد كرهه مالك لما فيه من السرف واما شرب الماء الحلو وطلبه فمباح قد فعله الصالحون
وليس في شرب الماء الملح فضيلة وقد كان عليه السلام يشرب العسل الممزوج بالماء البارد قال ابن القيم وفي هذا من
حفظ الصحة ما لا يهتدي الى معرفته الا افاضل الاطبا فان شربه العسل ولعقه يزيل البلغم ويغسل خمل المعدة ويجلو لزوجتها
ويدفع عنها الفضلات ويسخنها باعتدال وينفع سددها والماء البارد رطب يقمع الحرارة ويحفظ البدن وقالت عايشة

كان احب الشراب اليه صلى الله عليه وسلم الحلو البارد رواه الترمذي ويحتمل ان يريد به الماء الممزوج بالعسل والذي نقع فيه التمر والزبيب وكان ينبذ له اول الليل ويشربه اذا اصبح يومه ذلك والليلة التي تجيء والغد الى العصر فان بقي منه شيء سقاه الخادم او امر به فصب رواه مسلم وهذا النبيذ هو ما يطرح فيه تمر يحليه وله نفع عظيم في زيادة القوة ولم يكن يشربه بعد ثلاث خوفا من تغيره الى الاسكار وكان عليه السلام يشرب اللبن خالصا تارة وتارة مشوبا بالماء البارد لان اللبن عند الحلب يكون حارا وتلك البلاد في الغالب حارة فكان يكسر حر اللبن بالماء البارد وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الانصار ومعه صاحب له فسلم فرد الرجل وهو يحول الماء في حائط فقال صلى الله عليه وسلم ان كان عندك ماء بات في شنة والا كرعنا فقال عندي ماء بات في شن فانطلق الى العريش فسكب في قدح ماء ثم حلب عليه من داجن فشرب عليه السلام الحديث رواه البخاري وكان عليه السلام يقول ليس يجزئ عن الطعام والشراب الا اللبن قال الترمذي حديث حسن وللترمذي ايضا عن ابن عمر مرفوعا ثلاث لا ترد الوسائد والدهن

النبيذ

وانشد بعضهم

فقد كان من سيرة خير الورى * صلى عليه الله طول الزمن
ان لا يرد الطيب والمتكا * والحلو ايضا يا اخي واللبن

قال ابن القيم ولم يكن صلى الله عليه وسلم يشرب على طعامه لئلا يفسده ولا سيما ان كان الماء حارا او باردا فانه رديء جدا انتهى وكان عليه السلام يشرب قاعدا وكان ذلك عادته رواه مسلم وفي رواية له ايضا انه نهى عن الشرب قائما وفي رواية له ايضا عن ابي هريرة لا يشربن احدكم قائما فمن نسي فليستقئ وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بدلو من زمزم فشرب وهو قائم وفي حديث علي عند البخاري انه شرب وهو قائم قال ان ناسا يكرهون الشرب قائما وان النبي صلى الله عليه وسلم صنع مثل ما صنعت وكل هذه الاحاديث صحيحة ولا اشكال فيها ولا تعارض وغلط من زعم ان فيها نسخا وكيف يصار الى النسخ مع امكان الجمع بين الاحاديث والصواب ان النهي محمول على كراهة التنزيه واما شربه عليه السلام قائما فلبيان الجواز فان قلت كيف يكون الشرب قائما مكروها وقد فعله صلى الله عليه وسلم فالجواب ان فعله صلى الله عليه وسلم اذا كان بيانا للجواز لا يكون مكروها بل البيان واجب عليه صلى الله عليه وسلم واما قوله عليه السلام فمن نسي فليستقئ فمحمول على الاستحباب والندب فيستحب لمن شرب قائما ان يتقايأ لهذا الحديث الصحيح الصريح سواء كان ناسيا او لا قاله النووي وقال المالكية لا باس بالشرب قائما واستدلوا لذلك بحديث جبير بن مطعم قال رايت ابا بكر الصديق يشرب قائما ويقول مالك انه بلغه عن عمر بن الخطاب وعثمان وعلي انهم كانوا يشربون قياما واجابوا عن حديث ابي هريرة لا يشربن احدكم قائما فمن نسي فليستقئ بان عبد الحق قال ان في اسناده عمر بن حمزة العمري وهو ضعيف انتهى وقال المازري قال بعض شيوخنا لعل النهي ينصرف لمن اتى اصحابه فبادر لشربه قائما قبلهم استبدادا به وخروجا عن كون ساقي القوم آخرهم شربا وقال بعض الشيوخ الاظهر انه موقوف على ابي هريرة قال والاظهر ان احاديث شربه قائما تدل على الجواز واحاديث النهي تحمل على الاستحباب والحث على ما هو اولى واكمل لان في الشرب قائما ضررا ما فكره من اجله وفعله هو لامنه منه قال وعلى هذا الثاني يحمل قوله فمن شرب فليستقئ على ان ذلك يحرك خلطا يكون القيء دواءه ويؤيده قول النخعي انما نهي عن ذلك لداء البطن انتهى وقال ابن القيم للشرب قائما آفات عديدة منها انه لا يحصل به الري التام ولا يستقر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الاعضاء وينزل بسرعة الى المعدة فيخشى منه ان يبرد حرارتها ويسرع النفوذ الى اسافل البدن بغير تدريج وكل هذا يضر بالشارب قائما فاذا فعله نادرا لم يضره وعند احمد عن ابي هريرة انه راى رجلا يشرب قائما فقال له قه فقال لمه قال ايسرك ان يشرب معك الهر قال لا قال قد شرب معك من هو شر منه الشيطان وكان صلى الله عليه وسلم يتنفس في الشراب ثلاثا ويقول انه اروى وامرأ وابرأ رواه مسلم ومعنى تنفسه ابانة القدح عن فيه وتنفسه خارجه ثم يعود الى الشرب واخرج الطبراني في الاوسط بسند

حسن عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يشرب في ثلاثة انفاس اذا ادنى الاناء الى فيه سمى الله فاذا اخره حمد الله يفعل ذلك ثلاثا وهذا الشرب حكم جمة وفوائد مهمة نبه عليه السلام على مجامعها بقوله انه اروى وامرأ وابرأ فاروى من الري بكسر الراء من غير همز اشد ريا وابلغه وانفعه وابرأ افعل من البرء بالهمز وهو الشفاء اي يبرئ من شدة العطش ودائه لتردده على المعدة الملتهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الاولى عن تسكينه والثالثة ما عجزت عنه الثانية وايضا فانه اسلم لحرارة المعدة وابقى عليها من ان يهجم عليها البارد دفعة واحدة ونهلة واحدة فانه اسلم عاقبة وآمن غائلة من تناول جميع ما يروي دفعة واحدة فانه يخاف منه ان يطفئ الحرارة الغريزية بشدة برده وكثرة كميته او يضعفها فيؤدي ذلك الى فساد المعدة والكبد والى امراض رديئة خصوصا في سكان البلاد الحارة وفي الازمنة الحارة فان الشرب فيها وهلة واحدة مخوف عليهم جدا وقوله امرأ هو افعل من مرئ الطعام والشراب في بدنه اذا دخله وخالطه بسهولة ولذة ونفع انتهى وقال بعضهم والمعنى انه يصير هنيئا مريئا بريئا اي سالما او مبريا من مرض او عطش واذى ويؤخذ من ذلك انه اقمع للعطش واقوى على الهضم ومن آفات الشرب نهلة واحدة انه يخاف منه الشرق بان ينسد مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه فاذا تنفس رويدا ثم شرب امن من ذلك وقد روى عبد الله بن المبارك والبيهقي وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا شرب احدكم فليمص الماء مصا ولا يعب عبا فانه يورث الكباد والكباد بضم الكاف وتخفيف الباء وجع الكبد ولا معارضة بين التنفس هنا وبين النهي عن التنفس في الاناء الوارد في الحديث لان النهي عنه التنفس داخل الاناء فانه ربما حصل للماء تغير من النفس اما لكون المتنفس كان متغير الفم بماكول مثلا او لبعد عهده بالسواك والمضمضة او لان النفس يصعد ببخار المعدة وهنا التنفس خارج الاناء فلا تعارض فلو لم يتنفس جاز الشرب بنفس واحد وقيل يمنع مطلقا لانه شرب الشيطان وكان عليه السلام اذا دعي لطعام وتبعه احد اعلم به رب المنزل فيقول ان هذا تبعنا فان شئت رجع وكان يكرم على اضيافه ويعرض عليهم الاكل مرارا وفي حديث ابي هريرة في قصة شرب اللبن وقوله له مرارا اشرب فما زال يقول اشرب حتى قال والذي بعثك بالحق لا اجد له مسلكا رواه البخاري وكان عليه السلام اذا اكل مع قوم كان آخرهم اكلا رواه البيهقي في الشعب عن جعفر بن محمد عن ابيه مرسلا وفي حديث ابن عمر مرفوعا عند ابن ماجه والبيهقي اذا وضعت المائدة فلا يقوم الرجل وان شبع حتى يفرغ القوم فان ذلك يخجل جليسه وعسى ان يكون له في الطعام حاجة وكان عليه السلام اذا اكل عند قوم لم يخرج حتى يدعو لهم فدعا في منزل عبد الله بن بسر فقال اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم رواه مسلم ودعا في منزل سعد فقال افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة رواه ابو داود وسقاه آخر لبنا فقال اللهم امتعه بشبابه فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء رواه ابن السني

النوع الثاني في لباسه عليه السلام وفراشه

قال البخاري باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجوز من اللباس يعني يتوسع فلا يضيق بالاقتصار على صنف بعينه او يضيق بطلب النفيس الغالي بل يستعمل ما تيسر وقال القاضي عياض كان عليه السلام قد اقتصر منه على ما تدعو ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في غالب احواله الشملة والكساء الخشن والاردية والازر ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه انتهى وقد روى ابو نعيم في الحلية عن ابن عمر مرفوعا ان من كرامة المؤمن على الله عز وجل نقاء ثوبه ورضاه باليسير وله ايضا من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا وسخة ثيابه فقال اما وجد هذا شيئا ينقي به ثيابه فقد كانت سيرته صلى الله عليه وسلم في ملبسه اتم وانفع للبدن واخف عليه

فانه لم تكن عمامته بالكبيرة التي تؤذي حاملها ويضعفه ويجعله عرضة للآفات كما يشاهد من حال اصحابها ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الراس من الحر والبرد بل وسطا بين ذلك وكان يدخلها تحت حنكه فانها تقي العنق الحر والبرد وهو اثبت لها عند ركوب الخيل والابل والكر والفر وكذلك الاردية والازر اخف على البدن من غيرها وقد اطنب ابن الحاج في المدخل في الاستدلال لاستحباب التحنيك ثم قال واذا كانت العمامة من باب المباح فلا بد فيها من فعل سنن تتعلق بها من تناولها باليمين والتسمية والذكر الوارد ان كان مما لبس جديدا او امتثال السنة في صفة التعميم من فعل التحنيك والعذبة وتصغير العامة يعني سبعة اذرع او نحوها يخرجون منها التحنيك او العذبة فان زاد في العمامة قليلا لاجل حر او برد فيسامح فيه ثم قال بعد ان ذكر قوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فعليك بان تتسرول قاعدا وتتعمم قائما انتهى ولم يكن صلى الله عليه وسلم يطول اكمامه ويوسعها بل كان كم قميصه الى الرسغ وهو منتهى الكف عند المفصل لا يجاوز اليد فيشق على لابسه ويمنعه سرعة الحركة والبطش ولا يقصر صلى الله عليه وسلم عن هذا فتبرز للحر والبرد وقد روي عن اسماء بنت يزيد قالت كان كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرسغ رواه الترمذي وكان ذيل قميصه وردائه الى انصاف الساقين لم يتجاوز الكعبين فيؤذي الماشي ويجعله كالمقيد ولم يقصر عن عضلة ساقيه فيتاذى بالحر والبرد انتهى اشار اليه في زاد المعاد وقد اخرج الترمذي عن الاشعث ابن سليم قال سمعت عمتي تحدث عن عمها قال بينا انا امشي في المدينة اذا انسان خلفي يقول ارفع ازارك فانه اتقى وابقى فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انما هي بردة ملحاء قال اما لك في اسوة فنظرت فاذا ازاره الى نصف ساقيه واخرج الطبراني من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن عمر قال رآني النبي صلى الله عليه وسلم اسبلت ازاري فقال يا ابن عمر كل شيء مس الارض من الثياب في النار وروى في البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الكعبين من الازار في النار قال الخطابي يريد ان الموضع الذي يناله الازار من اسفل الكعبين في النار فكنى بالثوب عن بدن لابسه ومعناه ان الذي دون الكعبين من القدم يعذب عقوبة بالنار وحاصله انه من باب تسمية الشيء باسم ما جاوره او حل فيه وتكون من بيانية وللطبراني من حديث عبد الله بن مغفل رفعه ازرة المؤمن الى انصاف الساقين وليس عليه حرج فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار والازرة بالكسر الحالة وهيئة الائتزار مثل الركبة والجلسة واعلم ان المراد به ثوبي وثوبك ونحو سرتي وسرتك وان هذا الاطلاق يحمل على ما ورد من قيد الخيلاء فهو الذي ورد فيه الوعيد بالاتفاق وقد اخرج اصحاب السنن الا الترمذي واستغربه وابن ابي شيبة من طريق عبد العزيز بن ابي رواد عن سالم ابن عبد الله بن عمر عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاسبال في الازار والقميص والعمامة من جر منها شيئا خيلاء الحديث فبين في هذه الرواية ان الحكم ليس خاصا بالازار وان جاء في اكثر طرق الاحاديث بلفظ الازار قال الطبري وانما ورد الخبر بلفظ الازار لان اكثر الناس في عهده كانوا يلبسون الازر والاردية فلما لبس الناس القميص والدراريع كان حكمها حكم الازار في النهي قال ابن بطال هذا قياس صحيح لو لم يات النص بالثوب فانه يشمل جميع ذلك وفي تصوير جر العمامة نظر الا ان يكون المراد ما جرت به عادة العرب من ارخاء العذبات فمهما زاد على العادة في ذلك كان من الاسبال وهل يدخل في الزجر عن جر الثوب تطويل اكمام القميص ونحوه محل نظر والذي يظهر ان من اطالها حتى خرج عن العادة كما يفعله بعض الحجازيين دخل في ذلك قال ابن القيم واما هذه الاكمام الواسعة الطوال التي هي كالاخراج وعمائم كالابراج فلم يلبسها عليه السلام هو ولا احد من اصحابه وهي مخالفة لسنته وفي جوازها نظر فانها من جنس الخيلاء انتهى وقال صاحب المدخل ولا يخفى على ذي بصيرة ان كم بعض من ينتسب الى العلم اليوم فيه اضاعة المال المنهي عنها لانه قد يفصل من ذلك الكم ثوب لغيره انتهى لكن حدث للناس اصطلاح بتطويلها وصار لكل نوع من الناس شعار

يعرفون

يعرفون به ومهما كان من ذلك على سبيل الخيلاء فلا شك في تحريمه وما كان على طريق العادة فلا تحريم فيه ما لم يصل الى جر الذيل الممنوع منه ونقل القاضي عياض عن العلماء كراهة كل ما زاد على العادة وعلى المعتاد في اللباس من الطول والسعة وفي حديث ابي هريرة عند البخاري مرفوعا بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته اذ خسف به فهو يتجلجل الى يوم القيامة وفي الطبراني وابي داود ان رجلا ممن كان قبلكم لبس بردة فتبختر فيها فنظر الله اليه فمقته فامر الارض فاخذته وهذا الوعيد المذكور يتناول الرجال والنساء على هذا الفعل المخصوص وقد فهمت ذلك ام سلمة رضي الله عنها فاخرج النسائي والترمذي وصححه من طريق ايوب عن نافع عن ابن عمر فقالت ام سلمة فكيف تصنع النساء بذيولهن فقال يرخين شبرا فقالت اذن تنكشف اقدامهن قال يرخينه ذراعا لا يزدن عليه وحاصل ما ذكر في ذلك ان للرجال حالين حال استحباب وهو ان يقتصر بالازار على نصف الساق وحال جواز وهو الى الكعبين وكذلك للنساء حالان حال استحباب وهو ما يزيد على ما هو جائز للرجال بقدر الشبر وحال جواز بقدر ذراع وان الاسبال يكون في الازار والقميص والعمامة وانه لا يجوز اسباله تحت الكعبين ان كان للخيلاء وان كان لغيرها فهو مكروه للتنزيه قال النووي وظواهر الاحاديث في تقييدها بالخيلاء تدل على ان التحريم مخصوص بالخيلاء قال وهذا نص الشافعي على الفرق كما ذكرنا انتهى تنبيه قال العراقي في شرح الترمذي الذراع الذي رخص للنساء فيه هل ابتداؤه من الحد الممنوع منه الرجال وهو من الكعبين او من الحد المستحب وهو انصاف الساقين او حده من اول ما يمس الارض الظاهر ان المراد الثالث بدليل حديث ام سلمة الذي رواه ابو داود والنسائي واللفظ له وابن ماجه قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم تجر المراة من ذيلها قال شبرا قالت اذا ينكشف عنها قال ذراع لا تزيد عليه فظاهره ان لها ان تجر على الارض منه ذراعا قال والظاهر ان المراد بالذراع ذراع اليد وهو شبران لما في سنن ابن ماجه عن ابن عمر قال رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهات المؤمنين شبرا ثم استزدنه فزادهن شبرا فدل على ان الذراع المأذون فيه شبران وهو الذراع الذي يقاس به الحصر اليوم انتهى وانما جاز ذلك للنساء لاجل الستر لان المراة كلها عورة الا ما استثني وقد كان له عليه السلام عمامة تسمى السحاب ويلبس تحتها القلانس اللاطئة والقلانس جمع قلنسوة بفتح القاف واللام وسكون النون وضم المهملة وفتح الواو وقد تبدل ياء تحتية وقد تبدل الفا وتفتح السين فيقال قلنساة وقد تحذف النون من هذه [illegible] غشاء مبطن يستر به الراس قاله القزاز في شرح الفصيح وقال ابن هشام هي التي تقول لها العامة الشاشية وفي المحكم هي من ملابس الرؤوس معروفة وقال ابو هلال العسكري هي التي تغطى بها العمائم وتستر من الشمس والمطر كانها عنده راس البرنس انتهى وروى الزهري عن جابر رضي الله عنه قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء وفي رواية انس عند البخاري دخل عام الفتح وعلى راسه المغفر وهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من الدروع على قدر الراس وجمع بينهما بان العمامة السوداء كانت فوق المغفر وجمع بينهما القاضي عياض بان اول دخوله كان على راسه المغفر ثم بعد ذلك كان على راسه العمامة بعد ازالة المغفر بدليل قوله في حديث عمرو بن حريث عن ابيه خطب الناس وعليه عمامة سوداء لان الخطبة انما كانت عند باب الكعبة بعد تمام الفتح قال الولي ابن العراقي وهو اولى والظاهر في الجمع من الاول وقد تقدم نحو ذلك في غزوة فتح مكة وعن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اعتم سدل رواه الترمذي في الشمائل زاد مسلم وقد ارخى طرفها بين كتفيه وروى ابو محمد بن حيان في كتاب اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتم قال يدير كور العمامة على راسه ويغرزها من ورائه ويرخي لها ذؤابة بين كتفيه وروى مسلم من حديث عمرو بن حريث قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد ارخى طرفها بين كتفيه وعنده ايضا عن جابر دخل مكة وعليه عمامة سوداء ولم يذكر فيه ذؤابة فدل انه لم يكن يرخيها دائما بين كتفيه لكن قد يقال انه دخل

مكة كان وعليه اهبة القتال والمغفر على راسه فلبس في كل موطن ما يناسبه قال ابن القيم في الهدي النبوي وكان
وكان شيخ الاسلام ابن تيمية يذكر في سبب الذؤابة شيئا بديعا وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم انما اتخذها صبيحة المنام
الذي رآه بالمدينة لما راى رب العزة فقال يا محمد فيم يختصم الملا الاعلى قلت لا ادري فوضع يده بين كتفي فعلمت
ما بين السماء والارض الحديث وهو في الترمذي وسال عنه البخاري فقال صحيح قال فمن تلك الغداة ارخى الذؤابة بين
كتفيه قال وهذا من العلم الذي تنكره السنة الجهال وقلوبهم قال ولم ار هذه الفائدة في شان الذؤابة لغيره
انتهى وعبارة عبد الهدي وذكر ابن تيمية انه صلى الله عليه وسلم لما راى ربه واضعا يده بين كتفيه اكرم ذلك الموضع
بالعذبة انتهى لكن قال العراقي بعد ان ذكره لم نجد لذلك اصلا انتهى وروى ابن ابي شيبة عن علي قال عممني رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني بعمامة سدل طرفها على منكبي وقال ان الله امدني يوم بدر ويوم حنين بملائكة معتمين هذه العمة
وقال ان العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين قال عبد الحق الاشبيلي وسنة العمامة بعد فعلها ان يرخي طرفها
ويتحنك به فان كانت بغير طرف ولا تحنيك فذلك يكره عند العلماء واختلف في وجه الكراهة فقيل لمخالفة السنة
فيها وقيل لانها كذلك كانت عمائم الشياطين وجاءت الاحاديث في ارسال طرفها على انواع منها ما تقدم انه
ارسل طرفها على منكب علي ومنها ان عبد الرحمن بن عوف قال عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسدلها بين
يدي ومن خلفي ذكره ابو داود وعن ابن عباس انه راى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة دسماء اي سوداء
رواه الترمذي وفي حديث ركانة انه صلى الله عليه وسلم قال ان فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس
رواه الترمذي ايضا وعن ابي كبشة الانماري قال كانت كمام اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بطحا رواه الترمذي
ايضا وفي رواية اكمة وهما جمع كمة وقلة للكمة القلنسوة يعني انها كانت منبطحة غير منتصبة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له كمة بيضا رواه الدمياطي وكان احب الثياب اليه صلى الله عليه وسلم
القميص كما في الشمايل للترمذي من حديث ام سلمة قالت كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
القميص وعن معاوية بن قرة عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في رهط من مزينة لنبايعه وان قميصه لمطلق
الازرار او قال زر قميصه مطلق قال فادخلت يدي في جيب قميصه فمسست الخاتم رواه الترمذي
وعن انس قال كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم قطنا قصير الطول والكمين رواه الدمياطي
وعن انس بن مالك قال كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه الحبرة رواه الترمذي
والحبرة ضرب من البرود فيه حمرة وعن ابي رمثة قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه
بردان اخضران رواه الترمذي وعن عطاء بن ابي يعلى عن ابيه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف
بالبيت مضطبعا ببرد اخضر رواه ابو داود وعن عروة ابن المغيرة بن شعبة عن ابيه ان النبي صلى الله
عليه وسلم لبس جبة رومية ضيقة الكمين رواه الترمذي وعن ابي ذر اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
وعليه ثوب ابيض رواه البخاري وعن عائشة قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة
وعليه مرط من شعر اسود رواه الترمذي وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف
وكان له صلى الله عليه وسلم كساء ملبد يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد رواه الشيخان
فان قلت قد علم من هنا ومن سيرة السلف الصالح رثاثة الهيئة ورثاثة الملابس فما بال الشاذلية
من الصوفية يحكون نقاوة ثيابهم وملابسهم وطريقتهم لا قدوا بالسنة الشريفة والسلف الصالح اجاب
سيدي علي الوفوي اذاقنا الله حلاوة مشربه ومن خطه الكريم نقلت باللفظ ذلك لانهم نظروا الى
المعاني والحكم فوجدوا السلف الصالح لما وجدوا اهل الغفلة والشغل بدنياهم منهمكين على الزينة الظاهرة

تفاخروا

تفاخرا بدنياهم واطمئنانا اليها واشعارا بانهم من اهلها خالفوهم اظهارا لحقارة ما حقره الحق مما عظمه الغافلون
فكان اطمارهم يومئذ تقول الحمد لله الذي اغنانا به عما افتقر نفسه اليه من عظمت دنياه فلما طال الامد وقست
القلوب بنسيان ذلك المعنى واتخذ الغافلون رثاثة الاطمار وبذاذة الهيئة حيلة على دنياهم انعكس الامر فصار
مخالفة هؤلاء في ذلك لله هو قول السلف وطريقتهم كما تقدم قال وقد ارشد الاستاذ ابو الحسن الشاذلي قدس
الله سره العزيز الى ذلك بقوله لبعض من انكر عليه حال هيئته من اصحاب الرثاثة يا هذا هيئتي هذه تقول الحمد
لله وهيئتك هذه تقول اعطوني شيئا من دنياكم والقوم افعالهم دائرة مع الحكمة الربانية يراعون مرضاة
ربهم انتهى ما قاله سيدي علي وقد ورد في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال
وفي الحديث الاخر ان الله يحب النظافة وفي السنن عن ابي الاحوص الجشمي عن ابيه قال رآني النبي صلى الله عليه
وسلم وعلي اطمار وفي رواية للنسائي وعلي ثوب دون فقال هل لك من مال قلت نعم قال من اي المال قلت
من كل ما آتاني الله من الابل والشاء قال فلتر نعمته وكرامته عليك وفي رواية للنسائي قال فاذا آتاك الله مالا
فلير اثر نعمة الله عليك وكرامته وفي حديث جابر انه عليه السلام راى رجلا شعثا قد تفرق شعره فقال
اما كان يجد هذا ما يسكن به راسه وراى رجلا عليه ثياب وسخة فقال اما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبيه رواه
احمد وفي السنن ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده فهو سبحانه يحب ظهور اثر نعمته على عبده فانه من الجمال
الذي يحبه وذلك من شكره على نعمه وهو جمال باطن فيحب ان يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن
بالشكر عليها ولاجل محبته تعالى للجمال انزل على عباده لباسا يجمل ظواهرهم وتقوى تجمل بواطنهم فقال تعالى يا بني
ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير وقال في اهل الجنة ولقاهم نضرة
وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا فجمل وجوههم بالنضرة وبواطنهم بالسرور وابدانهم بالحرير وهو سبحانه
كما يحب الجمال في الاقوال والافعال واللباس والهيئة يبغض القبيح من الاقوال والافعال والهيئة فيبغض
القبيح واهله ويحب الجمال واهله ولكن ضل في هذا الموضع فريقان فريق قالوا كل ما خلقه تعالى جميل
فهو يحب كل ما خلقه ونحن نحب جميع ما خلقه فلا نبغض منه شيئا قالوا ومن راى الكائنات منه راها
كلها جميلة واحتجوا بقوله تعالى الذي احسن كل شيء خلقه وهؤلاء قد عدموا الغيرة لله من قلوبهم والبغض
في الله والمعاداة فيه وانكار المنكر واقامة الحدود والفريق الثاني قالوا قد ذم الله تعالى جمال الصورة
وتمام القامة والخلقة فقال عن المنافقين واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وفي صحيح مسلم مرفوعا ان الله لا ينظر
الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم قالوا وقد حرم علينا لباس الحرير والذهب وآنية الفضة
وذكر من اعظم جمال الدنيا وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه
وفي الحديث البذاذة من الايمان وقد ذم الله المسرفين والسرف كما يكون في الطعام والشراب يكون في اللباس
وفصل النزاع ان يقال الجمال في الصورة واللباس والهيئة ثلاثة انواع منه ما يحمد ومنه ما يذم ومنه
ما لا يتعلق به ذم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجمل للوفود وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال ولباس الحرير في الحرب في
الخيلاء فيه فان ذلك محمود اذا تضمن اعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه والمذموم منه ما كان للدنيا والرياسة
والفخر والخيلاء وان يكون هو غاية العبد واقصى مطلبه فان كثيرا من الناس ليس له همة في سوى ذلك واما
ما لا يحمد ولا يذم فهو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوصفين والمقصود من هذا الحديث ان الله تعالى
يحب من عبده ان يجمل لسانه بالصدق وقلبه بالاخلاص والمحبة والانابة وجوارحه بالطاعة وبدنه باظهار
نعمه عليه في لباسه وتطهيره له من الانجاس والاحداث والشعور المكروهة والختان وتقليم الاظفار فيعرف ذلك

ما ورد فيه من السنة والله اعلم وعن جابر بن سمرة قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة اضحيان فجعلت انظر اليه صلى الله عليه وسلم والى القمر وعليه حلة حمرا فاذا هو احسن عندي من القمر رواه الدارمي والترمذي وعن عون بن ابي جحيفة عن ابيه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء كاني انظر الى بريق ساقيه قال سفيان اراه حبرة وعن البراء ابن عازب قال ما رايت احدا من الناس من في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواهما الترمذي وفي رواية البخاري ومسلم رايته في حلة حمراء لم ار شيا قط احسن منه وفي رواية لابي داود ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله من ذي لمة بكسر اللام اي شعر الراس دون الجمة سميت بذلك لانها المت بالمنكبين فاذا زادت فهي الجمة وفي رواية النسائي ما رايت رجلا احسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في القاموس الحلة بالضم ازار ورداء برد او غيره ولا يكون حلة الا من ثوبين او ثوب له بطانة وقال ابن القيم وغلط من ظن انها كانت حمراء بحتا لا يخالطها غيرها وانما الحلة الحمراء بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الاسود كسائر البرود اليمنية وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط والا فالاحمر البحت منهي عنه اشد النهي ففي صحيح البخاري انه صلى الله عليه وسلم نهى عن المياثر الحمر وفي صحيح مسلم عن ابن عمرو قال راى النبي صلى الله عليه وسلم علي ثوبين معصفرين فقال ان هذه لباس الكفار فلا تلبسها ومعلوم ان ذلك انما يصبغ صباغا احمر قال وفي جواز لبس الاحمر من الثياب والجوخ وغيرها نظر واما كراهته فشديدة فكيف يظن به صلى الله عليه وسلم انه لبس الاحمر القاني كلا لقد اعاذه الله منه وانما وقعت الشبهة من لفظ الحلة الحمراء والله اعلم انتهى وقال النووي اختلف العلماء في الثياب المعصفرة وهي المصبوغة بعصفر فاباحها جميع العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبه قال الامام الشافعي وابو حنيفة ومالك ولكنه قال غيرها افضل منها وفي رواية عنه انه اجاز لباسها في البيوت وافنية الدور وكرهه في المحافل والاسواق ونحوها وقال جماعة من العلماء هو مكروه كراهة تنزيه وحملوا النهي على هذا لانه ثبت انه عليه السلام لبس حلة حمراء وفي الصحيحين من حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم صبغ بالصفرة وحمل بعضهم النهي على المحرم بالحج او العمرة وقد اتقن البيهقي المسالة في معرفة السنن فقال نهى الشافعي الرجل عن المزعفر واباح له المعصفر قال الامام الشافعي وانما رخصت في المعصفر لاني لم اجد احدا يحكي عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عنه الا ما قال علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم نهاني ولا اقول نهاكم قال البيهقي وقد جاءت احاديث تدل على النهي على العموم ثم ذكر حديث مسلم ان هذا من لباس الكفار واحاديث غيرها ثم قال ولو بلغت هذه الاحاديث الشافعي لقال بها ان شاء الله تعالى ثم ذكر باسناده ما صح عن الشافعي انه قال اذا صح الحديث خلاف قولي فاعملوا بالحديث ودعوا قولي وفي رواية مذهبي قال البيهقي قال الشافعي وانهى الرجل الحلال بكل حال ان يتزعفر قال وامره اذا تزعفر ان يغسله قال البيهقي فتبع السنة في المزعفر فمتابعتها في المعصفر اولى به انتهى ورايت في فتاوى شيخنا العلامة قاسم احد ائمة الحنفية ومحققيها كراهة التحريم مع صحة الصلاة فيه واستدل له بما ذكرته وبما في حديث طاوس عند الحاكم وقال صحيح على شرطهما عن ابن عمرو بن العاص قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلي ثوب معصفر قال من اين لك هذا قال صنعته لي اهلي فقال عليه السلام احرقه انتهى وعن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس بردة الاحمر في العيدين والجمعة وعن يحيى بن عبد الله بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ ثيابه بالزعفران قميصه ورداءه وعمامته رواهما الدمياطي وهو عند ابي داود بلفظ يصبغ بالورس والزعفران ثيابه حتى عمامته وكذا رواه من حديث زيد بن اسلم وام سلمة وابن عمر لكن لا يعارضه ما في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم نهى عن التزعفر والله اعلم واما صفة ازاره صلى الله عليه وسلم فعن ابي بردة عن ابي موسى الاشعري قال اخرجت الينا عائشة رضي الله عنها كساء وازارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين رواه البخاري وفي رواية

ازار

ازارا غليظا مما يصنع باليمن وكساء من هذه التي تدعونها الملبدة وفي رواية كساء ملبدا قال ابن الاثير اي مرقعا يقال لبدت القميص البده ولبدته ويقال للخرقة التي يرقع بها صدر القميص اللبدة وقيل الملبد الذي ثخن وسطه وصفق حتى صار يشبه اللبد وروى مسلم من حديث عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود والمرط بكسر الميم واسكان الراء كساء من صوف او خز يؤتزر به والمرحل بتشديد الحاء المهملة المفتوحة كمعظم هو الذي فيه صور الرحال قال في القاموس في مادة رحل وكمعظم برد فيه تصاوير رحل قال وتفسير الجوهري اياه بازار خز فيه علم غير جيد انما ذلك تفسير المرجل بالجيم وقال في مادة رجل وبرد مرجل كمعظم فيه صور الرجال انتهى وقال النووي والصواب الذي رواه الجمهور وضبطه المتقنون بالحاء المهملة اي عليه صور رحال الابل ولا باس بهذه الصور وانما يحرم تصوير الحيوان وقال الخطابي المرحل الذي فيه خطوط والله اعلم وعن عروة ان طول رداء النبي صلى الله عليه وسلم اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر وعن عروة ايضا ان ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه الى الوفد رداء اخضر في طول اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر وعن معن بن عيسى قال حدثنا محمد بن هلال قال رايت على هشام ابن عبد الملك برد النبي صلى الله عليه وسلم من حبرة له حاشيتان وعن ابن عمر قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ازار يتقعقع وعن يزيد بن ابي حبيب انه صلى الله عليه وسلم كان يرخي الازار من بين يديه ويرفعه من ورائه وعن ابن عباس قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتزر تحت سرته وتبدو سرته ورايت عمر يأتزر فوق سرته رواها كلها الدمياطي وعن اسماء بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج وقالت هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عند عائشة فلما قبضت قبضتها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها رواه مسلم وقوله جبة طيالسة باضافة جبة الى الطيالسة وكسروانية بكسر الكاف وفتحها والسين ساكنة والراء مفتوحة نسبة الى كسرى ملك الفرس ولبنة بكسر اللام واسكان الباء رقعة في جيب القميص وفيه جواز لبس ما له فرجان وانه لا كراهة فيه وان المراد بالنهي عن الحرير المتمحض منه او ما اكثره منه وانه ليس المراد تحريم كل جزء منه بخلاف الخمر والذهب فانه يحرم كل جزء منها قاله النووي لطيفة قيل لما كان صلى الله عليه وسلم لا يعدو امته الا طيب كان ابهى ذلك في بدنه الشريف انه لا يتسخ له ثوب فانسخ له ثوب قط فسل ولم يقمل ثوبه قط وقال ابن سبع من الشفا والسبتي في عذب الموارد والطيب والدلائل لم يكن القمل يؤذيه تعظيما له وتكريما صلى الله عليه وسلم لكن يشكل عليه ما رواه احمد والترمذي في الشمايل عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه لا زم التفلي وجود شي يؤذي في الجملة اما قملا او برغوثا او نحو ذلك وقد اجيب بان التفلي لاستقذار وجود ما علق بثوبه الشريف من غيره ولو لم يحصل منه اذى في حقه صلى الله عليه وسلم وهذا فيه بحث لان اذى القمل هو غذاؤه من البدن على ما اجرى الله العادة واذا امتنع الغذاء لا يعيش الحيوان عادة ونقل الفخر الرازي ان الذباب لا يقع على ثيابه قط وانه لا يمتص دمه البعوض واما الطيلسان وهو بفتح اللام واحد الطيالسة والهاء في الجمع للعجمة لانه فارسي معرب وهو الساج ايضا وقال ابن خالويه في شرح الفصيح يقال للطيلسان الاخضر الساج وفي المجمل لابن فارس الطاق الطيلسان فقال ابن القيم لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه لبسه ولا احد من اصحابه بل ثبت في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الدجال فقال يخرج معه سبعون الفا من يهود اصبهان عليهم الطيالسة وراى انس جماعة عليهم الطيالسة فقال ما اشبههم بيهود خيبر قال ومن هنا كرهه جماعة من السلف والخلف لما روى ابو داود والحاكم في المستدرك عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تشبه بقوم فهو منهم وفي الترمذي ليس منا من تشبه بغيرنا وانما ما جاء في حديث الهجرة انه صلى الله عليه وسلم جاء الى ابي بكر متقنعا بالهاجرة فانما فعله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة

الم

ليختفي بذلك للحاجة ولم تكن عادته التقنع وقد ذكر انس عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يكثر القناع وهذا انما كان يفعله
للحاجة من الحر ونحوه انتهى قال شيخ الاسلام الولي ابن العراقي في شرح تقريب الاسانيد التقنع معروف وهو تغطية الرأس
بطرف العمامة او برداء او نحو ذلك انتهى وقال ابن الحاج في المدخل واما قناع الرجل فهو ان يغطي راسه بردائه ويرد
طرفه على احد كتفيه انتهى واما قول ابن القيم انه عليه السلام انما فعل ذلك للحاجة فيرد عليه حديث سهل بن سعد انه صلى
الله عليه وسلم كان يكثر القناع رواه البيهقي في الشعب والترمذي والبيهقي في الشعب ايضا وابن سعد في طبقاته من حديث
انس بلفظ يكثر التقنع فهذا وما اشبهه يرد قول ابن القيم انه لم ينقل عنه عليه السلام انه لبسه واما قوله ولا احد
من اصحابه فيرده ما اخرجه الحاكم في المستدرك بسند على شرط الشيخين عن مرة بن كعب قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة فقربها فمر رجل مقنع في ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت فاذا هو عثمان بن عفان
واخرج سعيد بن منصور في سننه عن ابي العلا قال رأيت الحسن بن علي يصلي وهو مقنع راسه واخرج ابن
سعد عن سليمان بن المغيرة قال رأيت الحسن يلبس الطيالسة واخرج عن عمارة بن زاذان قال رأيت على الحسن طيلسانا
اندقيا واما ما ذكره ابن القيم من قصة اليهود فقال الحافظ ابن حجر انما يصلح الاستدلال به في الوقت الذي
تكون الطيالسة من شعارهم وقد ارتفع ذلك في هذه الازمنة فصار داخلا في عموم المباح وقد ذكره ابن عبد السلام
في امثلة البدع المباحة وقد يصير من شعار قوم فيكون تركه من الاخلال بالمروءة وقيل انما انكر انس الوان الطيالسة
لانها كانت صفرا والله اعلم واما الخاتم ففي الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق
وكان في يده ثم كان في يد ابي بكر ثم كان في يد عمر ثم كان في يد عثمان حتى وقع في بئر اريس وفيهما ايضا عن انس
ما كان النبي صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فيه فص حبشي وكان يجعل فصه مما يلي كفه واخرج احمد والنسائي
والترمذي والبزار في مسنده عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم راى في يد رجل خاتما من حديد فقال ما لي اجد منك
ريح الاصنام ثم قال له اتخذه من فضة ولا تتمه على مثقال وقد اختلف العلما في لبسه في الجملة فاباحه كثير من اهل العلم
من غير كراهة ومنهم من كره هذا اذا قصد به الزينة ومنهم من كرهه الا لذي سلطان لحديث ابي داود والنسائي عن
ابي ريحانة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الخاتم الا لذي سلطان وكانه عليه السلام انما اتخذه لحاجة ختم الكتب
التي بعثها الى الملوك كما في حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى وقيصر والنجاشي فقيل له انهم لا يقبلون كتابا
الا بخاتم فصاغ خاتما ونقش فيه محمد رسول الله وانما لبسه ابو بكر لاجل ولايته فانه كان يحتاج اليه كما كان النبي صلى الله
عليه وسلم يحتاج اليه وكذلك عمر وعثمان وحكى ابن عبد البر عن طائفة من العلما كراهة لبسه مطلقا احتجاجا
بحديث انس انه صلى الله عليه وسلم نبذه ولم يلبسه وفي الشمائل للترمذي عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من
فضة فكان يختم به ولا يلبسه وفي الصحيحين من حديث انس انه راى في يده صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق يوما
واحدا ثم ان الناس اصطنعوا الخواتم من ورق ولبسوها فطرح النبي صلى الله عليه وسلم خاتمه فطرح الناس خواتيمهم
والصواب القول الاول ولبس النبي صلى الله عليه وسلم الخاتم انما كان في الاصل لاجل المصلحة لختم الكتب التي يرسلها
الى الملوك ثم استدام لبسه ولبسه اصحابه معه ولم ينكر عليهم بل اقرهم عليه فدل ذلك على الاباحة المجردة
واما حديث النهي عن الخاتم الا لذي سلطان فقال ابن رجب ذكر بعض اصحابنا ان الامام احمد ضعفه واما ما
جاء في حديث الزهري عن انس انه صلى الله عليه وسلم لبسه يوما واحدا ثم القاه فقد اجيب عنه بثلاثة اجوبة احدها
انه وهم من الزهري وسهو جرى على لسانه لفظ الورق وانما الذي لبسه يوما واحدا ثم القاه كان من ذهب
كما ثبت ذلك من غير وجه في حديث ابن عمر وانس ايضا الثاني ان الخاتم الذي رمى به عليه السلام لم يكن كله فضة
وانما كان حديدا عليه فضة ذكره ابو داود عن معيقيب الصحابي وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم قال كان

خاتم

خاتم النبي صلى الله عليه وسلم كان ~~خاتم النبي صلى الله عليه وسلم~~ من حديد ملوي عليه فضة فلعل هذا هو الذي لبسه يوما
واحدا ثم طرحه ولعله هو الذي كان يختم به ولا يلبسه الثالث ان طرحه انما كان لئلا يظن انه سنة مسنونة
فانهم اتخذوا الخواتيم لما راوه قد لبسه فتبين بطرحه انه ليس بمشروع ولا سنة ثم ان الخاتم يكون تارة من فضة
وتارة من ذهب وتارة من حديد وتارة من صفر او رصاص ونحوها وتارة من عقيق فاما الذهب ففي الصحيحين
عن البراء بن عازب قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خاتم الذهب وانية الذهب وفيهما عن ابي هريرة
عنه صلى الله عليه وسلم انه نهى عن خاتم الذهب وفيهما ايضا عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ذهب
فجعله في اصبعه وجعل فصه مما يلي باطن كفه فاتخذ الناس خواتيم الذهب قال فصعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم المنبر فالقاه ونهى عن التختم بالذهب وهو مذهب الائمة الاربعة مالك والشافعي وابي حنيفة واحمد واكثر
العلما ورخص فيه طائفة منهم اسحاق بن راهويه وقال مات خمسة من اصحابه عليه السلام خواتيمهم من ذهب
كان مصعب بن سعد رايت على طلحة وسعد وصهيب خواتيم من ذهب وعن حمزة بن ابي اسيد والزبير بن المنذر
ابي اسيد انهما نزعا من يد ابي اسيد خاتما من ذهب حين مات وكان بدريا رواهما البخاري في تاريخه وروى
النسائي عن سعيد بن المسيب قال قال عثمان لصهيب ما لي ارى عليك خاتم الذهب فقال قد رآه من هو خير منك
فلم يعبه قال من هو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واما خاتم الفضة فاباحه كثير من العلما ولبسه
صلى الله عليه وسلم وجماعة من اصحابه قال الرافعي يجوز للرجل التختم بالفضة وكذا في الروضة وغيرها وكتب
اصحابنا طافحة بجوازه وروى ابو داود وصححه ابن حبان من حديث بريدة بن الحصيب ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال للابس خاتم الحديد ما لي ارى عليك حلية اهل النار فطرحه وقال يا رسول الله من اي شي اتخذه قال من ورق ولا تتمه
مثقالا وخرجه ايضا النسائي والترمذي وقال غريب وخرجه الامام احمد وابو يعلى في مسنديهما والضيا في المختارة مما ليس
في الصحيحين ورجاله رجال الصحيحين الا عبد الله بن مسلم المعروف بابي طيبة وهو صدوق مشهور وصحح ابن حبان حديثه
الدال على قوله فاقل احوال الامر ان يكون من درجة الحسن والاصل في النهي كونه للتحريم ولان الاصل في استعمال الفضة للرجال التحريم
الا ما رخص فيه فاذا حد فيه حد وجب الوقوف عنده وبقي ما عداه على الاصل وقد قال ابن الرفعة في باب ما يكره لبسه
من الكفاية وينبغي ان ينقص وزنه عن مثقال لان احمد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا وساق الحديث وقوله ينبغي
يصلح للوجوب وغيره وحمله عليه اولى لانه ساق الحديث مساق الاحتجاج لهذا الحكم فلا نعرف النهي عن حقيقته الا
بصارف وظاهر صنيع ابن الملقن في شرح منهاج النووي يقتضيه فانه قال في زكاة النقد فرع في ابي داود وصحيح
ابن حبان من حديث بريدة انه عليه السلام قال لذلك الرجل وذكر الحديث فساقه سوق الفروع التي لا خلاف فيها بين
الاصحاب وظاهر ذلك تحريم المثقال وفي التوسط للاذرعي لم يتعرض اصحابنا لمقدار الخاتم ولعلهم اكتفوا بالعرف فما خرج
عنه كان اسرافا كما قالوه في الخلخال للمراة ونحوه والصواب الضبط بما نص عليه في الحديث وليس في كلامهم ما يخالفه هذا
لفظه وهو يشير الى هذا الحديث وكذا مشى عليه ابن العماد في التعقبات وعبارته واذا جاز لبس الخاتم فشرطه ان لا يبلغ
به مثقالا للحديث انتهى لكن قال الحافظ العراقي في شرح الترمذي ان النهي في قوله ولا تتمه مثقالا محمول على التنزيه
فيكره ان يبلغ به وزن مثقال قال وفي رواية ابي داود في رواية صاحب المعالم ولا تتمه مثقالا ولا قيمة مثقال وليست
هذه الزيادة في رواية اللؤلؤي ومعنى هذه الزيادة انه ربما وصل الخاتم بالنفاسة في صنعته الى ان يكون قيمة مثقال
فهو داخل في النهي ايضا انتهى وقد افتى العلامة السراج العبادي بانه يجوز ان يبلغ به مثقالا وان ما زاد عليه حرام
واما خاتم الحديد فاخرج ابو داود في الخاتم من سننه والبيهقي في شعب الايمان والادب وغيرهما من تصانيفه
من طريقه والنسائي في الزينة من سننه وابن حبان في صحيحه ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه خاتم من شبه وهو

بفتح المعجمة والموحدة وباسكانها وكسر المعجمة نوع من النحاس كانت الاصنام تتخذ منه وسمي بذلك لشبهه بالذهب لونا
فقال مالي اجد منك ريح الاصنام فطرحه ثم جاء وعليه خاتم من حديد فقال مالي ارى عليك حلية اهل النار فطرحه واخرجه
الترمذي كله قال من صفر ولا من شبه وهما بمعنى قال النووي في شرح المهذب قال صاحب الابانة يكره الخاتم
من حديد او شبه وتابعه صاحب البيان فقال يكره الخاتم من حديد او رصاص او نحاس لحديث بريده وقال صاحب
التتمة لا يكره الخاتم من حديد او رصاص لحديث الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للذي خطب الواهبة
نفسها اطلب ولو خاتما من حديد قال ولو كان فيه كراهة لم ياذن فيه وفي سنن ابي داود باسناد جيد عن معيقيب
الصحابي كان خاتمه عليه السلام من حديد ملوي عليه فضة والمختار انه لا يكره لهذين الحديثين وقال في شرح
مسلم في الكلام على حديث المراة الواهبة نفسها وفي هذا الحديث جواز اتخاذ خاتم الحديد وفيه خلاف للسلف
حكاه القاضي ولاصحابنا في كراهته وجهان اصحهما لا يكره لان الحديث في النهي عنه ضعيف انتهى ولعل تضعيف النووي
للحديث انما هو بالنسبة الى ما ومنه حديث سهل بن سعد في الصحيح وغيره في قصة الواهبة نفسها لا مطلقا كيف
وله في ذلك شواهد عدة ان لم ترقه الى درجة الصحة لم تدعه ينزل عن درجة الحسن واما خاتم العقيق فعن
انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تختموا بالعقيق واليمين احق بالزينة وفي سنده مجهول وروي بلفظ
تختموا بالعقيق فانه ينفي الفقر وروى يعقوب بن ابراهيم عن عايشة مرفوعا تختموا بالعقيق فانه مبارك ويعقوب
متروك وروى ابو بكر بن شعيب عن فاطمة رضي الله عنها مرفوعا من تختم بالعقيق لم يزل يرى خيرا وهذا ايضا لا يثبت
وكذا ورد فيه احاديث غير هذه وكلها كما قال الحافظ ابن رجب لا تثبت وقال العقيلي لا يصح في التختم بالعقيق عن
النبي صلى الله عليه وسلم شيء وروى ابن فنجويه في كتاب الخواتيم له باسناد ضعيف عن علي مرفوعا من تختم بالياقوت
الاصفر منع الطاعون واسناده ضعيف واما فص خاتمه عليه السلام فروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتخذ خاتما من فضة فصه منه اخرجه البخاري وغيره وفي صحيح مسلم ان خاتمه صلى الله عليه وسلم كان فصه حبشيا قال
النووي قال العلماء يعني حجرا حبشيا اي فصا من جزع او عقيق فان معدنهما بالحبشة واليمن انتهى فان صح انهم كانوا يعنون
بالحبشي العقيق فيكون له خاتمان احدهما فصه عقيق والاخر فصه منه وفي شرح مسلم للنووي حكاية انه صلى الله عليه
وسلم كان له في وقت خاتم فصه منه قال وفي حديث اخر فصه من عقيق انتهى لكن لم يرو عنه عليه السلام انه
لبس خاتما كله عقيقا واما نقش خاتمه عليه السلام ففي صحيح مسلم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع خاتما
من ورق فنقش فيه محمد رسول الله وقال للناس اني اتخذت خاتما من فضة ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش
احد على نقشه قال الترمذي معنى قوله لا تنقشوا عليه نهى ان ينقش فيه محمد رسول الله وفي رواية البخاري والترمذي
وكان نقش الخاتم ثلاثة اسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر قال في فتح الباري ظاهره انه لم يكن فيه زيادة
على ذلك وانه كان على هذا الترتيب لكن لم تكن كتابته على الترتيب المعتاد فان ضرورة الاحتياج الى ان يختم به تقتضي
ان يكون الاحرف المنقوشة مقلوبة ليخرج الختم مستويا واما قول بعض الشيوخ ان كتابته كانت من فوق
يعني الجلالة اعلى الاسطر الثلاثة ومحمد من اسفلها فلم ار التصريح بذلك في شيء من الاحاديث بل رواية الاسمعيلي
يخالف ظاهرها ذلك فانه قال محمد سطر والسطر الثاني رسول والسطر الثالث الله وعن ابن عمر انه صلى الله عليه
وسلم كان يلبس خاتمه في يمينه فلما قبض صار في يد ابي بكر في يمينه فلما قبض صار في يد عمر في يمينه ثم صار في يد
عثمان في يمينه ثم ذهب يوم الدار عليه لا اله الا الله رواه بركة بن محمد الحلبي كما حكاه ابن رجب في كتاب الخواتيم ثم
قال وهي رواية ساقطة جدا فان بركة مذكور بالكذب وفي لفظها ما يدل على بطلانه وهو قوله ذهب يوم
الدار عليه لا اله الا الله فانه انما سقط في بير اريس قبل الدار وقد عاش عثمان بعده مدة واتخذ له خاتما عوضه

وانما

وانما كان نقشه محمد رسول الله لا كلمة الاخلاص انتهى تنبيه قال شيخ الاسلام الشرف المناوي وغيره وفصل السنة
بلبس الخاتم مطلقا ولو مستعارا او مستاجرا لكن الاوفق للسنة لبسه بالملك والاستدامة على ذلك ويجوز تعداد
الخواتم اتخاذا واما الاستعمال فمفهوم كلام الرافعي عدم الجواز وبه صرح المحب الطبري فقال المتجه انه لا يجوز
للرجل ان يلبس خاتمين من فضة في يديه او في احدهما لان استعمال الفضة حرام الا ما وردت به الرخصة ولم ترد
الا في خاتم واحد لكن ذكر الخوارزمي في الكافي انه يجوز له ان يلبس زوجا في يد وفردا في الاخرى فان لبس في كل
واحدة زوجا فقال الصيدلاني في الفتاوى لا يجوز وقال الدارمي في الاستذكار يكره للرجل لبس فوق خاتمين فاقتضاه
على الكراهة يدل على الحرمة واذا تقرر ذلك فالمسئلة ذات خلاف والذي يظهر كلام المحب الطبري فان سلط عليها اعتمدها
عليها افتى به الصيدلاني انتهى ويجوز التختم في اليمين واليسار واختلف الناس في افضلها فقيل اليسار وهو نص الامام
احمد في رواية صالح قال التختم في اليسار احب الي وهو مذهب الامام مالك ويروى انه كان يلبسه في يساره ولذلك
الامام الشافعي وفي صحيح مسلم عن انس قال كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه واشار الى الخنصر من يده اليسرى وفي
سنن ابي داود عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يساره وروى اسمعيل بن مسلم عن السليطي قال اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم في ليلة قمراء كاني انظر الى عكن بطنه وكانها القباطي والى وبيص خاتمه في يساره واسمعيل هذا قال
البخاري تركه ابن المبارك وربما روى عنه وقد ذكر بعض الحفاظ كما افاده الحافظ ابن رجب ان التختم في اليسار مروي
عن عامة الصحابة والتابعين ورجحت طايفة التختم في اليمين وهو قول ابن عباس وعبد الله بن جعفر وروى
حماد بن ابي سلمة قال رايت ابن ابي رافع يتختم في يمينه وقال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه ورواه احمد والنسائي
وابن ماجه والترمذي وقال قال محمد يعني البخاري هذا اصح شيء روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب
وفي الشمايل للترمذي عن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه وهذا فيه ضعف لحال عبد الله بن ميمون
وروى من حديث عباد بن صهيب عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر بن عبد الله قال قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم والخاتم في يمينه وعباد بن صهيب متروك ايضا وروى البزار في مسنده من حديث عبيد بن القاسم بن هشام
ابن عروة عن ابيه عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه وقبض والخاتم في يمينه وعبيد هذا كذاب
قال الحافظ ابن رجب وقد جا التصريح بان تختمه عليه السلام في اليسار كان اخر الامرين في حديث رواه سليمان بن
محمد عن عبد الله بن عطاء عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه ثم انه حوله الى يساره
وقال وكيع التختم في اليمين ليس بسنة ونص الامام واصحابه بكره التختم في السبابة والوسطى وروى عن علي انه قال
نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اتختم في هذه او هذه واوما الى السبابة والوسطى والله اعلم وفي اللباب
وكان عليه السلام يتختم وربما خرج وفي خاتمه خيط يستذكر به الشيء ورواه ابن عدي بسند ... واضعف من حديث
واثلة بلفظ كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد الحاجة اوثق في خاتمه خيطا وروى ابو يعلى عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا اشفق من الحاجة ان ينساها ربط في اصبعه خيطا ليذكرها وكذا هو في رابع الخلعيات لكن فيه سالم بن عبد
الاعلى ابو الفيض رماه ابن حبان بالوضع بل اتهمه ابو حاتم بهذا الحديث واما السراويل فاختلف هل لبسها
النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فجزم بعض العلماء بانه عليه السلام لم يلبسه ويستانس له بما جزم به النووي في ترجمة عثمان
ابن عفان رضي الله عنه في كتاب تهذيب الاسماء واللغات انه رضي الله عنه لم يلبس السراويل في جاهلية ولا اسلام الا
يوم قتله فانهم كانوا احرص شيء على اتباعه صلى الله عليه وسلم لكن قد ورد في حديث عند ابي يعلى الموصلي في مسنده بسند
ضعيف جدا عن ابي هريرة قال دخلت السوق يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى سراويل باربعة
دراهم وكان لاهل السوق وزان يزن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتزن وارجح فقال الوزان ان هذه لكلمة

باسعها من احد قال ابو هريرة فقلت له كي بكن الوهن والجفا في دينك ان لا تعرف نبيك فطرح الميزان ووثب الى يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يقبلها فجذب يده صلى الله عليه وسلم منه فقال يا هذا انما تفعل هذه الاعاجم
بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم فوزن فارجح واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل قال ابو هريرة فذهبت
لاحمله عنه فقال صاحب الشي احق بشيئه ان يحمله الا ان يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه اخوه المسلم قال قلت يا رسول الله
فانك لتلبس السراويل قال اجل في السفر والحضر وبالليل والنهار فاني امرت بالستر فلم اجد شيئا استر منه وكذا اخرجه
ابن حبان في الضعفاء عن ابي يعلى ورواه الطبراني في الاوسط والدارقطني في الافراد والعقيلي في الضعفا وصدان على
يوسف بن زياد الواسطي لكن قد صح شراء النبي صلى الله عليه وسلم له وفي الهدى والظاهر انه صلى الله عليه وسلم انما اشتراه ليلبسه
وقد روي انه لبس السراويل وكانوا يلبسونه في زمانه وباذنه وقد اورد ابو سعيد النيسابوري ذكر الحديث في تجارته
صلى الله عليه وسلم من كتابه شرف المصطفى وقد ترجم البخاري في اللباس من صحيحه باب السراويل واورد فيه حديث المحرم لكونه
لم يرد فيه شي على شرطه قال ابو عبد الله الحجازي في حاشيته على الشفا وما قاله في الهدي من انه صلى الله عليه وسلم لبس
السراويل قالوا سبق قلم والله اعلم **واما الخف** فروى الترمذي عن بريده ان النجاشي اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم
خفين اسودين ساذجين فلبسهما ثم توضا ومسح عليهما وعن المغيرة ابن شعبة قال اهدى دحية للنبي صلى الله عليه
وسلم خفين فلبسهما وقال اسرايل عن جابر عن عامر وجبة فلبسهما حتى تخرقا لا يدري النبي صلى الله عليه وسلم اذكيان هما ام
واما نعله صلى الله عليه وسلم والنعل كما قال صاحب المحكم ما وقيت به القدم ففي البخاري عن قتادة عن انس ان
نعل النبي صلى الله عليه وسلم كان لها قبالان والقبالان تثنية القبال وهو زمام النعل وهو السير الذي يكون بين الاصبعين
وعن ابن عباس قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان مثني شراكهما رواه الترمذي في الشمايل وفيها ايضا
عن ابي هريرة قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان وعن عيسى ابن طهمان قال اخرج الينا انس ابن مالك نعلين
جرداوين لهما قبالان فحدثني ثابت بعد عن انس انهما كانتا نعل النبي صلى الله عليه وسلم وعن عبيد بن جريج انه قال لابن عمر
رايتك تلبس النعال السبتية قال اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر ويتوضا فيها فانا احب
ان البسها وعن عمرو بن حريث قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعلين مخصوفين وعن عايشة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيمن ما استطاع في ترجله وتنعله وطهوره رواه الترمذي وعن ابي هريرة قال
صلى الله عليه وسلم اذا انتعل احدكم فليبدا باليمين واذا نزع فليبدا بالشمال لتكن اليمنى اولهما تنعل واخرهما تنزع
وكان صلى الله عليه وسلم ينهى ان ينتعل الرجل قايما رواه ابو داود والترمذي وقد ذكر ابو اليمن ابن عساكر تمثال
نعله الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم في جزء مفرد رويناه قراة وسماعا وكذا افرده بالتاليف ابو اسحاق
ابراهيم بن محمد بن خلف السلمي المشهور بابن الحاج من اهل المرية بالاندلس وكذا غيرهما ولم اثبتها هنا اتكالا على شهرتها
وصعوبة ضبط تسطيرها الا على حاذق ومن بعض ما ذكر من فضلها وجرب من نفعها وبركاتها ما ذكره ابو جعفر احمد بن عبد
المجيد وكان شيخا صالحا ورعا قال حذوت هذا المثال لبعض الطلبة فجاءني يوما فقال لي رايت البارحة من بركة صاحب
هذا النعل عجبا اصاب زوجتي وجع شديد كاد يهلكها فجعلت النعل على موضع الوجع وقلت اللهم ارني بركة صاحب
هذا النعل فشفاها الله للحين وقال ابو اسحاق قال ابو القاسم ... ومما جرب من بركته ان من امسكه عنده متبركا به
كان له امانا من بغي البغاة وغلبة العداة وحرزا من كل شيطان مارد وعين كل حاسد وان امسكته المراة الحامل بيمينها
وقد اشتد عليها الطلق تيسر امرها بحول الله وقوته ولله در ابي اليمن ابن عساكر حيث قال

يا منشدا في رسم ربع خالي … ومناشدا لدوارس الاطلال
دع تندب الآثار وذكر ما مضى … من حبتا ونوا وعصر خالي
والثم ثرى الاثر الكريم فحبذا … ان فزت منه بلثم ذا التمثال

ان ترا له نعلو بنا اثرلها … شغل الخلي بحب ذات الخال
فبل لك الاقبال تعلي اخمص … من الهلاك بها محل قبال
الصق بها قلبا تقلبه الهوى … وجلا على الاوصاب والاوجال
صافح بها خدا وعفر وجنة … في تربها وجدا وفرط نعال
سبل حجوا نوا بجوانح … في الحب ما جنحت الى الابلال
ما شبه نعل المصطفى ومثالها … لمحل الاسما الشريف العالي
هملت لمراى العيون وقد رات … من رسم العيان بغير ما اهمال
وتذكرت عهد العقيق فانثرت … شوقا عقيق المدمع الهطال
وصبت فواصلت الحنين الى الذي … ما زال بالي منه في بلبال
اذكرتني قدما لها قدم العلا … والجود والمعروف والافضال
اذكرتني من لم يزل ذكرى له … يعتاد في الابكار والآصال
ولها المفاخر والمآثر في الدنا … والدين في الاقوال والافعال
لو ان خدي يحتذى لها نعلا لها … لبلغت من نيل المنا آمالي
او ان اجفاني لوطي نعالها … ارض سمت عزا بذاك الاذلال

وما احسن قول ابي الحكيم ابن المرحل في قصيدة له ذكرها ابو
اسحاق ابن الحاج يصف حبيبي طرز الشعر ناظمه … ونمنم خد القرطاس بالنقش راقمه

رؤوف عطوف اوسع الناس رحمة … وجادت عليهم بالنوال غمايمه
له الحسن والاحسان في كل مذهب … فآثاره محبوبة ومعالمه
به ختم الله النبيين كلهم … وكل فعال صالح فهو خاتمه
احب رسول الله حبا لو انه … تقاسمه قومي كفتهم قسايمه
كان فوادي كلما مر ذكره … من الورق خفاق اصيبت قوادمه
اهيم اذا هبت نواسم ارضه … ومن لفوادي كان ثمت نسايمه
فانشق مسكا طيبا فكانما … نوافجه جاءت به ولطايمه
وما داعني والدواعي كثيرة … الى الشوق الا الشوق ما الا كاتمه
مثال لنعلى من احب حويته … فها انا في يومي وليلي لاثمه
اجر على راسي ووجهي اديمه … والثم طورا وطورا الازمه
امثله في رجل اكرم من مشى … احركه حتى تراه ... وقعه
على وجنتي خطوا هناك ادامه … ومن لي بوقع النعل في حر وجنتي
لماش علت فوق النجوم براجمه … ساجعله فوق الترايب عوذة
لقلبي لعل القلب يبرد حاجمه … لجفني لعل الجفن يرقا ساجمه
واربطه فوق الشؤون تميمة … الا بابي تمثال نعل محمد
لطاب لحاذيه وقدس خادمه … يود هلال الافق لو انه هوى
يزاحمنا في لثمه ونزاحمه … وما ذاك الا ان حبه نبينا
يقوم باجسام الخليقة لازمه … سلام عليه كلما هبت الصبا
وعنت اغصان الاراك حمايمه

ولابي بكر بن احمد بن الامام ابي محمد عبد الله بن الحسين القرطبي

ونعل خضعنا هيبة لبهايها … وانا متى نخضع لها ابدا نعلو
فضعها على اعلى المفارق انها … حقيقتها تاج وصورتها نعل
باخمص خير الخلق حازت مزية … على التاج حتى باهت المفرق الرجل
شفا لذي سقم رجاء لبايس … امان لذي خوف كذا يحسب الفضل
طريق الهدى عنها استنارت لمبصر … وانجار الجود من فيضها خلوا
سلونا ولكن عن سواها وانما … نهيم بمعناها الغريب وما نسلو
فما شاقنا مذ فارقنا رسم عزها … حبيب ولا مال كريم ولا نسل

واما فراشه صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم اخذ من ذلك بما تدعوا ضرورته اليه وترك ما سوى ذلك وفي صحيح مسلم قوله عليه السلام
فراش للرجل وفراش لامراته والثالث للضيف والرابع للشيطان قال العلما معناه ما زاد على الحاجة فاتخاذه
انما هو للمباهاة والاختيال والالتهاء بزينة الدنيا وما كان بهذه الصفة فهو مذموم وكل مذموم يضاف للشيطان لانه

يرتضيه ويوسوس به ويحسنه وقيل انه على ظاهره وانه اذا كان لغير حاجة كان الشيطان عليه مبيته ومقيله واما تعداد
الفراش للزوج والزوجة فلا باس به لانه قد يحتاج كل واحد منهما الى فراش عند المرض ونحوه وعن عايشة انما كان
فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه ادما حشوه ليف رواه الشيخان وروى البيهقي من حديثها
قالت دخلت علي امراة من الانصار فرات فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة مثنية فبعثت الي بفراش حشوه الصوف
فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا عايشة قلت يا رسول الله فلانة الانصارية دخلت فرات
فراشك فبعثت الي بهذا فقال رديه يا عايشة فوالله لو شيت لاجرى الله معي جبال الذهب والفضة واخرج احمد وابن
حبان في صحيحه والبيهقي من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على
حصير قد اثر في جنبه فقال يا رسول الله لو اتخذت فراشا اوثر من هذا فقال ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا الا كراكب
سار في يوم صايف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها وعن عبد الله بن مسعود نام رسول الله صلى الله عليه
وسلم على حصير فقام وقد اثر في جنبه الحديث رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح والطبراني ولفظه دخلت على
النبي صلى الله عليه وسلم وهو في غرفة كانها بيت حمام وهو نايم على حصير قد اثر بجنبه فبكيت فقال ما يبكيك يا عبد الله قلت
يا رسول الله كسرى وقيصر يطون على الخز والديباج والحرير وانت نايم على هذا الحصير قد اثر بجنبك فقال فلا تبك يا عبد
الله فان لهم الدنيا ولنا الاخرة وقوله كانها بيت حمام يشدد الميم اي انها من الحر والكرب كانها بيت الحمام وعن ابن عباس
قال حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قال فجلست فاذا
عليه ازاره وليس عليه غيره واذا الحصير قد اثر في جنبه واذا انا بقبضة من شعير نحو الصاع واذا اهاب معلق فابتدرت
عيناي فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب فقلت يا نبي الله وما لي لا ابكي وهذا الحصير قد اثر في جنبك وهذه خزانتك لا ارى
فيها الا ما ارى وذاك كسرى وقيصر في الثمار والانهار وانت نبي الله وصفوته وهذه خزانتك قال يا ابن الخطاب اما
ترضى ان تكون لنا الاخرة ولهم الدنيا رواه ابن ماجه باسناد صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولفظه قال
عمر رضي الله عنه استاذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في مشربة وانه لمضطجع على خصفة
وان بعضه لعلى التراب وتحت راسه وسادة محشوة ليفا وان فوق راسه لاهابا عطينا وفي ناحية المشربة
قرظ فسلمت عليه وجلست فقلت انت نبي الله وصفوته وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير
فقال اولئك عجلت لهم طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع وانا قوم اخرت لنا طيباتنا في اخرتنا وعن عايشة
رضي الله عنها عنها كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سرير مزمل بالبردي عليه كساء اسود وقد حشوناه بالبردي
فدخل ابو بكر وعمر عليه فاذا النبي صلى الله عليه وسلم نايم عليه فلما راهما استوى جالسا فنظر فاذا اثر السرير
في جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ما يوذيك خشونة ما نرى من فراشك وسريرك وهذا
كسرى وقيصر على فرش الحرير والديباج فقال عليه السلام لا تقولا هذا فان فراش كسرى وقيصر في النار
وان فراشي وسريري هذا عاقبته الى الجنة رواه ابن حبان في صحيحه وروي انه عليه السلام ما عاب
مضجعا قط ان فرش له اضطجع والا اضطجع على الارض وتقدم قوله عليه السلام بالملحفة قال عليه السلام ما اتاني
جبريل وانا في لحاف امراة منكن غير عايشة رواه

النوع الثالث في سيرته عليه السلام في نكاحه

قد كان صلى الله عليه وسلم ياخذ من الجماع بالاكل ما يحفظ به الصحة وتتم به اللذة وسرور النفس ويحصل به مقاصده
التي وضع لاجلها فان الجماع في الاصل وضع لثلاثة اشياء هي مقاصده الاصلية احدها حفظ النسل ودوام
النوع الانساني الى ان تتكامل العدة التي قدر الله تعالى بروزها الى هذا العالم الثاني قضاء الوطر ونيل
اللذة والتمتع بالنعمة وهذه هي الفايدة التي في الجنة اذ لا تناسل هناك ولا احتقان يستفرغه الانزال والفضلا

الاطباء

الاطباء يرون ان الجماع من احد اسباب حفظ الصحة لكن لا ينبغي اخراج المني الا في طلب النسل او اخراج المحتقن منه
اذا دام احتقانه احدث امراضا ردية منها الوسواس والجنون والصرع وغير ذلك وقد يبري استعماله من
هذه الامراض كثيرا فانه اذا طال احتباسه فسد واستحال الى كيفية سمية توجب امراضا ردية قال محمد بن زكريا
من ترك الجماع مدة طويلة ضعفت قوى اعصابه واستد مجاريها وتقلص ذكره قال ورايت جماعة تركوه لنوع من
التقشف فبردت ابدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم كابة بلا سبب وقلت شهواتهم وهضمهم اشار اليه في زاد
المعاد ومن منافعه غض البصر وكف النفس والقدرة على العفة عن الحرام وتحصيل ذلك للمراة فهو ينفع نفسه
في دنياه واخرته وينفع المراة ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية وفي
ذلك كان صلى الله عليه وسلم يتعاهده ويقول كما في حديث انس عند الطبراني في الاوسط والنسائي في سننه حبب
الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة اي لمناجاته فيها ربه تعالى زاد الامام احمد في الزهد
اصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن محبة النساء والنكاح من كمال الانسان هذا خليل الله ابراهيم امام
الحنفاء كان عنده سارة اجمل نساء العالمين واحب هاجر وتسرى بها وذكر سعد بن البراق شغفا بها وقلة
صبره عنها وهذا داود عليه السلام كان عنده تسع وتسعون امراة فاحب تلك المراة وتزوج بها فكمل المائة
وهذا سليمان ابنه كان يطوف في الليلة على تسعين امراة تنبيه وقع في الاحيا للغزالي وتفسير ال عمران
من الكشاف وفي كثير من كتب الفقها حبب الي من دنياكم ثلاث وقالوا انه عليه السلام قال ثلاث ولم يذكر الا
اثنتين الطيب والنسا قالوا ومنه قول الشاعر ان الاجامرة الثلاثة اهلكت مالي وكنت بهن قدما مولعا
الخمر والماء القراح واطلي بالزعفران فلا ازال مولعا وذكرها ابن فورك في جزء مفرد ووجها واطنب
في ذلك لكن هذا انبني عندهم على انه يذكر جمع ثم يوتى ببعضه ويسكت عن ذكر باقيه لغرض للمتكلم وانشد الزمخشري
عليه كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها وفايدة الطي عندهم تكثير ذلك الشي لكن
ابن القيم وغيره من رواه حبب الي من دنياكم ثلث فقد وهم ولم يقل صلى الله عليه وسلم ثلاث والصلاة ليست
من امور الدنيا التي تضاف اليها انتهى نعم تضاف اليها لكونها ظرفا لوقوعها فقط فهي عبادة محضة قال شيخ
الاسلام والحافظ ابن حجر في تخاريج الكشاف ان لفظ ثلاث لم يقع في شي من طرقه وزيادته تفسد المعنى وكذا
قال شيخ الاسلام الولي ابن العراقي في اماليه وعبارته ليست هذه اللفظة وهي ثلاث في شي من كتب الحديث
وهي مفسدة للمعنى فان الصلاة ليست من امور الدنيا وكذا صرح به الزركشي وغيره كما حكاه شيخنا في المقاصد
الحسنة واقره وقال ابن الحاج في المدخل انظر الى حكمة قوله عليه السلام حبب ولم يقل احببت وقال
من دنياكم فاضافها اليهم دونه عليه السلام فدل على ان حبه كان خاصا بمولاه تبارك وتعالى وجعلت قرة عينه
في الصلاة فكان عليه السلام بشريا في الظاهر ملكيا في الباطن وكان عليه السلام يانس الى الشي من احوال البشرية لا انه يانس
اليه ويشرع لها لا انه يحتاج الى الشي من ذلك الا ترى قوله تعالى قل لا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب ولا
اقول لكم اني ملك فقال لكم ولم يقل لي يحكم نفي الملكية عنه الا بالنسبة اليهم اعني في معانيه عليه السلام لا في ذاته
اذ انه عليه السلام بحوشريته ما يلحق البشر ولهذا قال سيدي الشيخ ابو الحسن الشاذلي في صفته صلى الله عليه وسلم هو بشر لا كالبشر
كما ان الياقوت حجر ليس كالاحجار وهذا منه رحمه الله على سبيل التقريب للفهوم فدل على انه صلى الله عليه وسلم
كان ملكي الباطن ومن كان ملكي الباطن فملك نفسه انتهى وههنا لطيفة روي انه عليه السلام لما قال حبب الي من دنياكم
النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة قال ابو بكر وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا النظر الى وجهك وجمع
المال للانفاق عليك والتوسل بقرابتك اليك وقال عمر وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا الامر بالمعروف والنهي

عن المنكر والقيام بامر الله • وقال عثمان وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا اشباع الجايع وارواء الظمآن وكسوة العاري • وقال علي بن ابي طالب وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا الصوم في الصيف واقراء الضيف والضرب بين يديك بالسيف • قال الطبري خرجه الجندي كذا قال والعهدة عليه وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الناس باربع بالسماحة والشجاعة وشدة البطش رواه الطبراني و قال انس كان صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قلت لانس اوكان يطيقه قال كنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رواه البخاري من طريق قتادة وقال ابن خزيمة تفرد بذلك معاذ بن هشام عن ابيه ورواه سعيد بن ابي عروبة وغيره عن قتادة فقالوا تسع نسوة انتهى وكذا رواه البخاري من طريق سعيد ابن ابي عروبة ايضا بلفظ ولهن يومئذ تسع نسوة وجمع بينهما ابن حبان في صحيحه فانه حمل ذلك على حالتين لكنه وهم في قوله ان الاولى كانت في اول قدومه المدينة حيث كان تحته تسع نسوة والحالة الثانية في آخر الامر حيث اجتمع عنده احدى عشرة امراة وموضع الوهم منه انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يكن تحته سوى سودة ثم دخل على عايشة بالمدينة ثم تزوج ام سلمة وحفصة وزينب بنت خزيمة في السنة الرابعة ثم زينب بنت جحش في الخامسة ثم جويرية في السادسة ثم صفية وام حبيبة وميمونة في السابعة هولاء جميع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة على المشهور لكن تحمل رواية هشام على انه ضم مارية وريحانة اليهن واطلق عليهن لفظ نسائه تغليبا وعن طاوس ومجاهد اعطي صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا في الجماع رواه ابن سعد وفي رواية عن مجاهد قوة بضع واربعين رجلا كل رجل من اهل الجنة رواه الحارث ابن ابي اسامة وعند احمد والنسايي وصححه الحاكم من حديث زيد بن ارقم رفعه ان الرجل من اهل الجنة ليعطى قوة مائة في الاكل والشرب والجماع والشهوة وعن صفوان بن سليم مرفوعا اتاني جبريل بقدر فاكلت منها فاعطيت قوة اربعين رجلا في الجماع رواه ابن سعد ولما كان عليه السلام ممن اقدر على القوة في الجماع واعطي الكثير منه ابيح له من عدد الحراير ما لم يبح لغيره قال ابن عباس تزوجوا فان افضل هذه الامة اكثرها نساء يشير اليه صلى الله عليه وسلم وقيده بهذه الامة ليخرج مثل سليمان عليه السلام فانه كان اكثر نساء ووقع عند الطبراني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس تزوجوا فان خيرنا اكثرنا نساء قيل المعنى خير امة محمد عليه السلام من كان اكثر نساء من غيره ممن يتساوى معه فيما عدا ذلك من الفضايل قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني والذي يظهر ان مراد ابن عباس بالخير النبي صلى الله عليه وسلم وبالامة الاخصاء من اصحابه وكانه اشار الى ان ترك التزوج مرجوح اذ لو كان راجحا ما آثر النبي صلى الله عليه وسلم غيره وكان مع كونه اخشى الناس لله واعلمهم به يكثر التزوج لمصلحة تبليغ الاحكام التي لا يطلع عليها الرجال ولاظهار المعجزة البالغة في خرق العادة لكونه كان ما يجد ما يتقوت به من القوت غالبا وان وجد فكان يؤثر به اكثر ويصوم كثيرا ويواصل ومع ذلك فكان يطوف على نسايه في الليلة الواحدة ولا يطاق ذلك الا مع قوة البدن وقوة البدن تابعة لما يقوم به من استعمال المقويات من ماكول ومشروب وهي عنده عليه السلام نادرة او معدومة وقال بعض العلما لما كان الحر لفضله على العبد يستبيح من النساء اكثر مما يستبيح العبد وجب ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم لفضله على جميع الامة يستبيح من النساء اكثر مما يستبيحه الامة قالوا ومن فوايد ذلك زيادة التكليف في القيام بوضع تحمل اعباء الرسالة فيكون ذلك اعظم لمشاقه واكثر لاجره ومنها ان النكاح في حقه عبادة ومنها نقل محاسنه الباطنة وقد تزوج عليه السلام ام حبيبة وكان ابوها في ذلك الوقت عدوه وصفية وقد قتل اباها وعمها وزوجها فلو لم يطلعن من باطن احواله على انه اكمل خلق الله لكانت الطباع البشرية تقتضي ميلهن الى اباءهن وقراباتهن فكان في كثرة النسا عنده بيان لمعجزاته وكماله ظاهرا وباطنا كما عرف منه الرجال ظاهرا • وقد رغب عليه السلام في النكاح فروى ابو داود والنسايي من حديث معقل بن يسار مرفوعا تزوجوا الولود الودود

فاني

فاني مكاثر بكم الامم وفي ابن ماجه عن ابي هريرة رفعه النكاح فاني مكاثر بكم وهو معنى ما اشتهر على الالسنة تناكحوا تناسلوا فاني اباهي بكم الامم ولم اقف عليه بهذا اللفظ وارشد عليه السلام من لم يستطع البارة الى الصوم لان كثرته تقلل مادة النكاح وتضعف ما يجده المرء من الحرارة المقوية التي تبعثه على النكاح وحض الشباب في قوله يا معشر الشباب لان الشاب من شهوة النكاح ما ليس لغيرهم وقد ظهر لك ان النكاح اعظم في الاجر والثواب من القيام فانه صلى الله عليه وسلم لم يامر اولا بالقيام انما امر به عند عدم الطول الى النكاح واذا كان النكاح ينوى به التناسل لتكثير هذه الامة المحمدية فهو بلا شك افضل قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني لآتي النساء وما لي اليهن حاجة رجاء ان يخرج الله من ظهري من يكاثر به محمد الامم يوم القيامة ذكره ابن ابي جمرة واستمر كون نبينا صلى الله عليه وسلم بالاجماع اعبد الناس مع ما طبعت عليه البشرية من حب الجماع وكيف لم يخل بعبادته شيئا لانه عليه السلام لم يكن يتناولها الا على مشروعيتها وهذا هو غاية الكمال في البشرية لانه يرجع ما طبع عليه تابعا لما امر به وقد روي عنه عليه السلام انه قال لا رهبانية في الاسلام وهي ترك النساء ولو كان تركهن افضل لشرع ذلك في ديننا اذ هو خير الاديان وقد قال عليه السلام سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امراة الحديث رواه البخاري وهذا فيه معجزة لسليمان عليه السلام اذ البشر عاجز عن الطواف على مائة امراة في ليلة واحدة فاظهر الله تعالى قدرته بان اعطى لسليمان عليه السلام القوة على ذلك وكان فيها معجزة واظهار قدرة وفوايد اذ حكمة ردا على من ربط الاشيا بالعوايد فيقول لا يكون كذا الا من كذا ولا يتولد كذا الا من كذا فالقى الله تعالى في صلب سليمان ما مائة رجل وكان له ثلثماية زوجة والف سرية وهذا لا يعطي تفضيل سليمان عليه السلام على نبينا صلى الله عليه وسلم اذ سيدنا محمد لم يعط الا ما اربعين رجلا ولم يكن له غير عشر نسوة لانه مرتبة نبينا عليه الصلاة والسلام في الافضلية لا يساويه فيها احد وسليمان عليه السلام تمنى ان يكون ملكا فاعطي ذلك واعطي هذه القوة في الجماع لكي يتم له الملك على خرق العادة من كل الجهات ليمتاز بذلك فكان نساؤه من جنس ملكه الذي لا ينبغي لاحد من بعده كما طلب ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما خير بين ان يكون نبيا ملكا اي ذلك واختار ان يكون نبيا عبدا فاعطي من الخصوصية ذلك القدر لكونه عليه السلام اختار الفقر والعبودية فاعطي الزايد بخرق العادة في النوع الذي اختار وهو الفقر والعبودية فكان عليه السلام يربط على بطنه الحجار من شدة الجوع والمجاهدة وهو على حاله في الجماع لم ينقصه شيا والناس ابدا اذا احدهم الجوع والمجاهدة لا يستطيعون ذلك فهو ابلغ في المعجزة فاله في بهجة النفوس •

النوع الرابع في نومه عليه السلام كان صلى الله عليه وسلم ينام اول الليل ويستيقظ في اول النصف الثاني فيقوم فيستاك ويتوضا ولم يكن ياخذ من النوم فوق القدر المحتاج ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج اليه منه كان ينام على جانبه الايمن ذاكرا الله تعالى حتى تغلبه عيناه غير ممتلي البدن من الطعام والشراب والسر في اضطجاعه على الشق الايمن ان القلب معلق في الجانب الايسر فاذا نام الرجل على الجانب الايسر استثقل نوما لانه يكون في دعة واستراحة فيثقل نومه فاذا نام على الشق الايمن فانه يقلق ولا يستغرق في النوم لقلق القلب وطلبه مستقره وميله اليه فالاولى كثرة النوم على الجانب الايسر دائما وكان اهناه مضرا بالقلب بسبب ميل الاعضا اليه فتنصب المواد واما قول الفاضي عياض في الشفا وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم الخ ففيه شي لانه عليه السلام لا ينام قلبه فسوا كان نومه على الجانب الايمن او الايسر فهذا الحكم ثابت له وما علله به انما يستقيم في حق من ينام قلبه وحينئذ فالاحسن تعليله بحب التيامن او بقصد التعليم كما مر وارذل النوم على الظهر ولا يضر الا سقفا لطلبه للراحة من غير نوم واردا منه النوم منبطحا على وجهه وفي سنن ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم مر برجل في المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله فقال قم او اقعد فانها نومة جهنمية وكان عليه السلام ينام على الفراش تارة وعلى النطع تارة وعلى الحصير تارة وعلى الارض تارة وكان عليه السلام ينام على الفراش مرة ينام عليه وكان صلى الله عليه وسلم اذا اخذ

مضجعه وضع كفه تحت خده الايمن وقال رب قني عذابك يوم تبعث عبادك وفي رواية يوم تجمع عبادك وقال
ابو قتادة كان عليه السلام اذا عرس بليل اضطجع على شقه الايمن واذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه ووضع راسه
على كفه وقال ابن عباس كان عليه السلام اذا نام نفخ وعن حذيفة كان عليه السلام اذا اوى الى فراشه قال اللهم باسمك
اموت واحيا وقالت عايشة كان يجمع كفيه فينفث فيهما ويقرا قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب
الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدا بهما على راسه ووجهه وما اقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات وقال
انس كان عليه السلام اذا اوى الى فراشه قال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا واوانا وكم ممن لا كافي له ولا موي
روى ذلك الترمذي وقد كان عليه السلام تنام عينه ولا ينام قلبه رواه البخاري من حديث عايشة قالت
لها عليه السلام لما قالت له اتنام قبل ان توتر وانما كان عليه السلام لا ينام قلبه لان القلب اذا قويت فيه الحياة
لا ينام اذا نام البدن وكانت هذه الحالة كانت لنبينا صلى الله عليه وسلم ولمن احيا الله قلبه بمحبته واتباع رسوله من ذلك
بحسب نصيبه منها فيستيقظ القلب وغافله يستيقظ البدن ونائمه والى هذا الذي ذكرته اشار صاحب المعارف
العلية والكمالات السنية سيدي علي بن سيدي محمد وفا عيني تنام لكن قلبي والله ما ينام
وكيف ينام عاشق مثلي في الحب مستهام ناظر الى وجه الحب شاخص على الدوام اين يحيى الرسوم
فحتام بالحمى العيوم ما يبعد من يقوم وقد جمع العلما بين هذا الحديث وبين حديث نومه صلى الله
عليه وسلم في الوادي عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس وحميت حتى ايقظه عمر رضي الله عنه بالتكبير قال النووي له
جوابان احدهما ان القلب انما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث والالم ونحوهما ولا يدرك ما يتعلق بالعين لانها نايمة
والقلب يقظان والثاني انه كان له حالان حال كان قلبه لا ينام وهو الاغلب وحال ينام فيه قلبه وهو نادر
فصادف هذا اي قصة النوم عن الصلاة قال والصحيح المعتمد هو الاول والثاني ضعيف قال في فتح الباري
وهو كما قال ولا يقال القلب وان كان لا يدرك ما يتعلق بالعين من رؤية الفجر مثلا لكنه يدرك اذا كان يقظانا
مرور الوقت الطويل فان من ابتداء طلوع الفجر الى ان حميت الشمس مدة طويلة لا تخفى على من لم يكن مستغرقا لانا نقول
يحتمل ان يقال كان قلبه صلى الله عليه وسلم اذ ذاك مستغرقا بالوحي ولا يلزم مع ذلك وصفه بالنوم كما كان يستغرق
صلى الله عليه وسلم حالة القاء الوحي في اليقظة وتكون الحكمة في ذلك بيان التشريع بالفعل لانه اوقع في النفس
كما في قصة سهوه في الصلاة وقريب من هذا جواب ابن المنير ان القلب قد يحصل له السهو في اليقظة لمصلحة التشريع
ففي النوم بطريق الاولى او على السوا وقال ابن العربي في القبس النبي صلى الله عليه وسلم كيف ما اختلف حاله
من نوم او يقظة في حق وتحقيق ومع الملايكة في كل طريق ان نبي فما كرام المنبي اشتغل وان نام
فبقلبه ونفسه على الله اقبل ولهذا قالت الصحابة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نام لا نوقظه حتى يستيقظ
لانا لا ندري ما هو فيه فنومه عن الصلاة او نسيانه لشي منها لم يكن عن آفة وانما كان بالتصرف من حالة الى حالة
مثلها لتكون لنا سنة انتهى وقد اجيب عن اصل الاستشكال باجوبة اخرى ضعيفة منها ان معنى قوله
لا ينام قلبي اي لا يخفى عليه حالة انتقاض وضوئه ومنها ان معناه لا يستغرقه النوم حتى يوجد منه الحدث
وهذا قريب من الذي قبله قال ابن دقيق العيد كان قايل هذا اراد تخصيص يقظة القلب بادراك حالة الانتقاض
وذلك بعيد وذلك ان قوله صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي خرج جوابا عن قول عايشة اتنام
قبل ان توتر وهذا كلام لا تعلق له بانتقاض الطهارة الذي تكلموا فيه وانما هو جواب يتعلق بامر الوتر فتحمل
يقظته على تعلق القلب باليقظة للوتر وفرق بين من شرع في النوم مطمين القلب به وبين من شرع فيه متعلقا
باليقظة قال وعلى هذا تعارض ولا اشكال في حديث النوم حتى طلعت الشمس لانه يحمل انه اطمان في نومه لما اوجبه

نعب

افرنيسي الذي اخرج ... نعم عليه وسلم ... ولم يكن عليه ومعلوم النوم ... مهم

نعب السير معتمدا على من وكله بكلاة الفجر انتهى ويحتمل ان يقال تخصيص اليقظة المفهومة من قوله ولا ينام قلبي بادراكه
وقت الوتر ادراكا معنويا لتعلقه به وان نومه في حديث الباب كان نوما مستغرقا ويويده قول بلال له كان مستغرقا
وقد اعترض عليه بانه ما قاله يقتضي اعتبار خصوص السبب واجاب بانه يعتبر اذا قامت عليه قرينة وارشد
اليها السياق وهو هنا كذلك ومن الاجوبة الضعيفة ايضا قول من قال كان قلبه يقظانا وعلم بخروج الوقت لكنه ترك اعلا
مهم بذلك لمصلحة التشريع والله اعلم انتهى المقصد الرابع في معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق
رسالته وما خص به من خصايص اياته وبدايع كراماته وفيه فصلان الاول في معجزاته اعلم ايها المحب
لهذا النبي الكريم والرسول العظيم سلك الله بي وبك منهاج سنته واماتنا على محبته بمنه ورحمته ان المعجزة هي الامر
الخارق للعادة المقرون بالتحدي الدال على صدق الانبيا عليهم السلام وسميت معجزة لعجز البشر عن الاتيان بمثلها وان لها شروطا احدها ان تكون خارقة للعادة كانشقاق القمر وانفجار الماء من بين الاصابع وقلب العصا حية
واخراج ناقة من صخرة واعلام جبل فخرج غير الخارق للعادة كطلوع الشمس كل يوم الثاني ان تكون مقرونة بالتحدي
وهو طلب المعارضة والمقابلة قال الجوهري يقال تحديت فلانا اذا باريته في فعله ونازعته للغلبة وفي القاموس
نحوه وفي الاساس حدا يحدو وهو حادي الابل واحدابها حداء اذا غنى ومن المجاز تحدى اقرانه اذا باراهم ونازعهم
الغلبة واصله الحداء يتبارى فيه الحاديان ويتعارضان فيتحدى كل واحد منهما صاحبه اي يطلب حداه كما يقال توقاه
بمعنى استوفاه وفي بعض الحواشي الموثوق به كانوا عند الحدو يقوم حاد عن يمين القطار وحاد عن يساره يتحدى كل واحد
منهما صاحبه بمعنى يستحديه اي يطلب منه حداه ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل مباراة انتهى من حاشية الطيبي على الكشاف
وقال المحققون التحدي الدعوى للرسالة انتهى والشرط الثالث من شروط المعجزات ان لا ياتي احد بمثل ما اتى به
المتحدي على وجه المعارضة وعبر عنه بعضهم بقوله دعوى الرسالة مع امن المعارضة وهو احسن من التعبير بعدم المعارضة
لانه لا يلزم من عدم المعارضة امتناعها والشرط انما هو عدم امكانها وقد خرج بقيد التحدي الخارق من غير تحد وهو
الكرامة للولي وبالمقارنة الخارق المتقدم على التحدي كاظلال الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا صلى الله عليه وسلم
قبل دعوى الرسالة وكلام عيسى في المهد وما شابه ذلك مما وقع من الخوارق قبل دعوى الرسالة فانها ليست معجزات
انما هي كرامات ظهورها على الاوليا جايز والانبياء قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الاوليا فيجوز ظهورها عليهم ايضا
وحينيذ يسمى ارهاصا اي تاسيسا للنبوة كما صرح به العلامة السيد الجرجاني في شرح المواقف وغيره وهو مذهب
جمهور ايمة الاصول وغيرهم وخرج ايضا بقيد المقارنة المتاخر عن التحدي بما يخرجه عن المقارنة العرفية
وخرج ايضا بامن المعارضة السحر المقرون بالتحدي فانه يمكن معارضته بالاتيان بمثله من المرسل اليهم واختلف هل السحر
قلب للاعيان واحالة الطبايع ام لا فقال بالاول قايلون حتى جوزوا للساحر ان يقلب الانسان حمارا وذهب
اخرون الى ان احدا لا يقدر على قلب عين ولا احالة طبيعة الا الله تعالى لانبيايه وان الساحر والصالح لا يقلبان
عينا قالوا ولو جوزنا للساحر ما جاز للنبي فاي فرق وعند كم بينهما فان احلتم الى ما ذكره القاضي ابو بكر الباقلاني
من الفرق بالتحدي فقط فيسر لكم هذا باطل من وجوه احدها ان اشتراط التحدي قول لا دليل عليه لا من كتاب
ولا من سنة ولا من قول صحابي ولا اجماع وما تعرى من الدليل فهو باطل الثاني ان اكثر اياته صلى الله عليه وسلم واعمها
واغلبها كانت بلا تحد كنطق الحصا ونبع الما ونطق الجذع والطعام المسموم من ضاع وتفله في العين وتكليم الذراع
وشكوى البعير وكذا ساير معجزاته العظام ولعله لم يتحد بغير القران وتمني الموت قالوا فاقل القول لا يبقى من الايات
ما يسمى معجزة الا هذين الشيين ويلغى معجزاته كالبحر المتعادي بالامواج ومن قال ان هذه ليست معجزات ولا ايات
فهو الى الكفر اقرب منه الى البدعة قالوا وقد كان عليه الصلاة والسلام يقول عند ورود اية من هذه الايات اشهد ان

اجهاد

رسول الله كما قال ذلك عند تحققهم مصداق قوله في الاخبار عن الذي انكى في المشركين فتلا في المعركة انه من اهل
النار فقتل نفسه بحضرة ذلك الذي اتبعه من المسلمين فالاول والوجه الثالث وهو الرامخ لهذا القول
قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت
لا يؤمنون وقال تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون فسمى تلك المعجزات المطلوبات
من الانبياء ايات ولم يشترط تحديا من غيره فصح ان اشتراط التحدي باطل محقق انتهى ملخصا من تفسير ابي امامة ابن
النقاش واجيب بانه ليس الشرط الاقتران بالتحدي بمعنى طلب الاتيان بالمثل الذي هو المعنى الاصلي للتحدي
بل يكفي دعوى الرسالة والله اعلم

الرابع من شروط المعجزة ان يقع على وفق دعوى المتحدي بها فلو قال مدعي الرسالة اية نبوتي ان تنطق يدي
او هذه الدابة فنطقت يده او الدابة بكذبه وقالت كذب وليس هو بنبي فان الكلام الذي خلقه الله تعالى دال
على كذب ذلك المدعي لان ما فعله الله تعالى لم يقع على وفق دعواه كما يروى ان مسيلمة الكذاب لعنه الله تفل
في بئر ليكثر ماؤها فغارت وذهب ما فيها من الماء فمتى اختل شرط من هذه لم تكن معجزة ولا يقال قضية ما
قلتم ان ما توفرت فيه الشروط الاربعة من المعجزات لا تظهر الا على يدي الصادقين وليس كذلك لان المسيح الدجال
يظهر على يديه من الايات العظام ما هو مشهور كما وردت به الاخبار الصحيحة لانا نقول انما ذكرنا في مدعي الرسالة
وهذا يدعي الربوبية وقد قام الدليل العقلي على ان بعثه بعض الخلق غير مستحيلة فلم يبعد ان يقيم الله تعالى
الادلة على صدق مخلوق انه بعثه بالشرع والمقصود ان القواطع على كذب المسيح الدجال فيما يدعيه للتغير من حال
الى حال وغير ذلك من الاوصاف التي تليق بالمحدثات ويتعالى عنها رب الارباب ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

فان قلت اي الاسماء احق واولى بما اتت به الانبياء هل لفظ المعجزة او لفظ الاية او الدليل فالجواب
ان كبار الائمة يسمون معجزات الانبياء دلائل النبوة وايات النبوة ولم يرد ايضا في القران لفظ المعجزة بل ولا في السنة
ايضا وانما فيها لفظ الاية والبينة والبرهان كما في قصة موسى فذانك برهانان من ربك في العصا واليد وفي حق
نبينا عليه السلام قد جاءكم برهان من ربكم واما لفظ الايات فكثير بل هو اكثر من ان نسرده هنا كقوله تعالى واذا
جاءتهم اية وان في ذلك لايات واما لفظ المعجزة اذا اطلق فانه لا يدل على كون ذلك اية الا اذا فسر المراد به وذكر
شرائطه وقد كان كثير من اهل الكلام لا يسمي معجزا الا ما كان للانبياء فقط ومن اثبت للاولياء خوارق عادات سماها
كرامات والسلف كانوا يسمون هذا وهذا معجزا كالامام احمد وغيره بخلاف ما كان اية وبرهانا على نبوة النبي فان هذا
يجب اختصاصه به وقد يسمون الكرامات ايات لكونها تدل على نبوة من اتبعه ذلك الولي فان الدليل مستلزم للمدلول
يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فكذلك ما كان اية وبرهانا انتهى واذا علمت هذا فاعلم ان دلائل نبوة
نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرة والاخبار بظهور معجزاته شهيرة فمن دلائل نبوته ما وجد في التوراة والانجيل
وسائر كتب الله المنزلة من ذكره ونعته وخروجه بارض العرب وما خرج بين يدي ايام مولده ومبعثه من
الامور الغريبة العجيبة القادحة في سلطان الكفر الموهنة لكلمتهم المؤيدة لشان العرب المنوهة بذكرهم
كقصة الفيل وما احل الله تعالى باصحابه من العقوبة والنكال وخمود نار فارس وسقوط شرفات ايوان
كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة ورؤيا الموبذان وما سمع من الهواتف الصارخة بنعوته واوصافه
وانتكاس الاصنام المعبودة وخرورها لوجوهها من غير دافع لها من امكنتها الى سائر ما روي ونقل في الاخبار
المشهورة من ظهور العجائب في ولادته وايام حضانته وبعدها الى ان بعثه الله نبيا ولم يكن له صلى الله عليه
وسلم ما يستميل به القلوب من مال يطمع فيه ولا قوة يقهر بها الرجال ولا اعوان على الراي ظهراء والدين الذي

دعا اليه

دعا اليه وكانوا مجتمعين على عبادة الاصنام وتعظيم الازلام مقيمين على عادة الجاهلية في العصبية والحمية والتعادي
والتباغي وسفك الدماء وشن الغارات لا تجمعهم الفة الدين ولا يمنعهم عن سوء افعالهم نظر في عاقبة ولا خوف
عقوبة ولائمة فالف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الاراء وتناصرت القلوب وترادفت
الايدي فصاروا البا واحدا في نصرته وعنقا واحدا الى طاعته وهجروا بلادهم واوطانهم وجفوا قومهم وعشائرهم
في محبته وبذلوا مهجهم وارواحهم في نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف في اعزاز كلمته بلا دنيا بسطها لهم
ولا اموال افاضها عليهم ولا عوض في العاجل اطمعهم في نيله يرجونه او ملك او شرف في الدنيا يحوزونه بل كان
من شانه صلى الله عليه وسلم ان يجعل الغني فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل يلتئم مثل هذه الامور ويتفق مجموعها
لاحد هذا سبيله من قبيل الاختيار العقلي والتدبير الفكري لا والذي بعثه بالحق وسخر له هذه الامور ما يرتاب
عاقل في شيء من ذلك وانما هو امر الهي وشيء غالب سماوي ناقض للعادات يعجز عن بلوغه قوى البشر
ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ومن دلائل نبوته انه كان عليه السلام اميا
لا يخط كتابا بيده ولا يقرؤه ولد في قوم اميين ونشا بين اظهرهم في بلد ليس بها عالم يعرف اخبار الماضين ولم يخرج
في سفر ضاربا الى عالم فيعكف عليه فجاءهم باخبار التوراة والانجيل والامم الماضية وقد كان ذهب معالم
تلك الكتب ودرست وحرفت عن مواضعها ولم يبق من المتمسكين بها واهل المعرفة بصحيحها وسقيمها الا القليل
ثم حاج كل فريق من اهل الملل المخالفة له بما لو احتشد له حذاق المتكلمين وجهابذة النقاد المتفننين لم يتهيا له
نقض ذلك وهذا ادل دليل على انه امر جاءه من عند الله تعالى ومن ذلك القران العظيم فقد تحدى بما فيه من
الاعجاز ودعاهم الى معارضته والاتيان بسورة من مثله فنكلوا عنه وعجزوا عن الاتيان بشيء منه قال بعض
العلماء ان الذي اورده عليه السلام على العرب من الكلام الذي اعجزهم عن الاتيان بمثله اعجب في الاية واوضح
في الدلالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لانه اتى اهل البلاغة وارباب الفصاحة ورؤساء البيان والمتقدمين
في اللسن بكلام مفهوم المعنى عندهم وكان عجزهم عنه اعجب من عجز من شاهد المسيح عند احياء الموتى لانهم لم يكونوا يطمعون فيه
ولا في ابراء الاكمه والابرص ولا يتعاطون علمه وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة والخطابة فدل
ان العجز عنه انما كان ليصير علما على رسالته وصحة نبوته وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح قال ابو سليمان
الخطابي وقد كان صلى الله عليه وسلم من عقلاء الرجال عند اهل زمانه بل هو اعقل خلق الله على الاطلاق وقد قطع
القول فيما اخبر به عن ربه تعالى بان ذلك من عند الله علام الغيوب وانه لا يقع فيما اخبر عنه خلف والا لم
ياذن له عقله ان يقطع القول في شيء بانه لا يكون وهو يكون انتهى وهذا من احسن ما يقال في هذا المجال
وابدعه واكمله وابينه فانه نادى عليهم بالعجز قبل المعارضة وبالتقصير عن بلوغ الغرض في المناقضة صارخا بهم
على رؤوس الاشهاد فلم يستطع احد منهم الالمام به مع توفر الدواعي وتظاهر الاجتهاد فقال وكان بما
القى اليهم عليها خبيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا فرضيت هممهم التربية وانفسهم الشريفة الابية بسفك الدماء وهتك الحريم وقد ورد
من الاخبار في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم لبعض ما نزل عليه على المشركين الذين كانوا من اهل الفصاحة والبلاغة
واقرارهم باعجازه جمل كثيرة فمنها ما روي عن محمد بن كعب قال حدثت ان عتبة بن ربيعة قال ذات يوم وهو جالس في
نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد يا معشر قريش الا اقوم الى هذا فاعرض عليه
امورا لعله ان يقبل منا بعضها ويكف عنا قالوا بلى يا ابا الوليد فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض عليه من المال وغير ذلك فلما فرغ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افرغت

لعل يرجونه

يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال افعل فقال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ قرانا عربيا فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها عليه فلما سمعها عتبة انصت لها والقى بيديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد فيها ثم قال سمعت يا ابا الوليد قال سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال ورائي اني والله قد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة يا معشر قريش اطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ قال فاجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة قرا بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل عليكم العذاب * رواه البيهقي وغيره وفي احدى قصص اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون * رواه مسلم والبيهقي وعن عكرمة في قصة الوليد ابن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرا علي فقرا عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الى اخر الاية قال اعد فاعاد صلى الله عليه وسلم فقال والله ان له لحلاوة * وان عليه لطلاوة * وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما يقول هذا بشر ثم قال لقومه والله ما فيكم رجل اعلم مني بالاشعار ولا اعلم برجزه ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا والله ان لقوله الذي يقول لحلاوة * وان عليه لطلاوة وانه لمثمر اعلاه مغدق اسفله وانه ليعلو وما يعلى وفي خبره الاخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول هو كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا بوسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل رواه ابن اسحاق والبيهقي واخرج ابو نعيم من طريق ابن اسحاق حدثني اسحاق بن يسار عن رجل من بني سلمة قال لما اسلم فتيان بني سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه اخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل فقرا عليه الحمد لله رب العالمين الى قوله الصراط المستقيم فقال ما احسن هذا واجمله او كل كلامه مثل هذا قال يا ابت واحسن من هذا وقال بعضهم ان هذا القران لو وجد مكتوبا في مصحف في فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة انه منزل من عند الله وان البشر لا قدرة لهم على تاليف ذلك فكيف اذا جاء على يد اصدق الخلق وابرهم واتقاهم وقال انه كلام الله وتحدى الخلق كلهم ان ياتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يبقى مع هذا شك فيه انتهى *

واعلم ان وجوه اعجاز القران لا تنحصر لكن قال بعضهم انه قد اختلف العلماء في اعجازه على ستة اوجه احدها ان وجه اعجازه هو الايجاز والبلاغة مثل قوله ولكم في القصاص حياة فجمع في كلمتين عدد حروفهما عشرة احرف معاني كلام كثير وحكى ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وسمع اخر رجلا يقرا فلما استياسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكى الاصمعي انه راى جارية خماسية او سداسية وهي تقول استغفر الله من ذنوبي كلها فقلت لها مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم فقالت * استغفر الله لذنبي كله * قتلت انسانا لغير حله * مثل غزال ناعم في دله * انتصف الليل ولم اصله *

فقلت

فقلت لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو برجل قائم على راسه يتشهد شهادة الحق فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرا اية من كتابكم فتاملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى ابن مريم من احوال الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية وقد رام قوم من اهل الزيغ والالحاد او تواطؤا من البلاغة وحظا من البيان ان يضعوا شيئا يلبسون به فلما وجدوه مكان النجم من يد المتناول مالوا الى السور القصار كسورة الكوثر والعصر واشباههما لوقوع الشبهة على الجهال فيما قل عدد حروفه لان التحدي ما يقع في التاليف والاتصال وممن رام ذلك من العرب في التشبيه بالسور القصار مسيلمة الكذاب فقال يا ضفدع نقي كم تنقين * اعلاك في الماء واسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا التراب تمنعين ولما سمع ابو بكر رضي الله عنه هذا الكلام قال انه لكلام لم يخرج من ال اي من الرب لا يترك ربوبيته والال بالكسر هو الله تعالى وفي الال الاصل الجيد اي لم يجئ من الاصل الذي جاء منه القران ولما سمع مسيلمة عليه اللعنة والنازعات قال والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر الى غير ذلك من الهذيان مما ذكرت في الوفود من المقصد الثاني بعضه والله اعلم وقال اخر الم تر كيف فعل ربك بالحبلى اخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف واحشا وقال اخر الفيل * وما الفيل * وما ادراك ما الفيل * له ذنب وبيل * ومشفر طويل * وان ذلك من خلق ربنا القليل في هذا الكلام مع قلة حروفه من السخافة ما لا خفاء به على من لا يعلم فضلا عن يعلم والثاني ان اعجازه هو الوصف الذي صار به خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر والرجز والسجع فلا يدخل في شيء منها ولا يختلط بها مع كون الفاظه وحروفه من جنس كلامهم ومستعملة في نثرهم ونظمهم ولذلك تحيرت عقولهم وتدلهت احلامهم فلم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم فلا ريب انه في فصاحته قد قرع القلوب ببديع نظمه وفي بلاغته قد اصاب المعاني بصائب سهمه فانه حجة الله الواضحة ومحجته اللائحة ودليله القاهر وبرهانه الباهر ما رام معارضته شقي الا تهافت تهافت الفراش في الشهاب وذل ذل النقد حول الليوث الغضاب وقد حكي عن غير واحد ممن تصدى لذلك انه اعترته روعة وهيبة كفته عن ذلك كما حكي عن يحيى بن حكم الغزال بتخفيف الزاي وقد تقدم وكان بليغ الاندلس في زمانه انه قد رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها فاعترته منه خشية ورقة حملته على التوبة والانابة وحكي ايضا ان ابن المقفع وكان افصح اهل وقته طلب ذلك ورامه ونظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فاجتاز يوما بصبي يقرا في مكتب قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر الاية فرجع ومحى ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض ابدا وما هو من كلام البشر ولله در القائل حيث يمدح وفا حيث قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم والقران المعظم *

له اية الفرقان في عين جحده ، جوامع ايات بها اتضح الرشد ، حديث تنزيله عن حدوث منزه ، قديم صفات الذات ليس له ضد
بلاغ بليغ للبلاغة معجز ، له معجزات لا يعد لها عد ، تحلت بروح الوحي حلة نسجه ، عقودا عقادا لا يحل لها عقد
وغاية ارباب البلاغة عجزهم ، لديه وان كانوا هم الالسن اللد ، فاما كتم بالا وكلا عباه عنه ، بصمي وللاسماع عن غيه صد
فلا ابتدا او تلا بها مجرها ، هوانا بها الورقاء والبهم البلد ، تلاها فتل العشر في القبح وجهها ، وعز بها الالباب نزهها الزهد
لقد فرق الفرقان شمل فريقها ، بجمع رسول الله واسعد الرشد ، اتى بالهدى صلى عليه اله ، ولم يلفه بالا بهوا اذ جاءه الجد

والثالث انه وجه اعجازه هو ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وطلاوة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة ما بلغ يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف صلى الله عليه وسلم القران بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد اشار اليه القاضي عياض والرابع ان وجه اعجازه هو ما فيه من الاخبار بما كان مما علموه وما لم يعلموه فاذا سالوا عنه عرفوا صحته وتحققوا صدقه كالذي حكاه من قصة اهل الكهف وشأن موسى والخضر عليهما السلام وحال ذي القرنين وقصص الانبياء مع اممها والقرون الماضية في دهرها والخامس ان وجه اعجازه هو ما فيه من علم الغيب والاخبار بما يكون فيوجد على صدقه وصحته مثل قوله تعالى لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ثم قال ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم فما تمناه احد منهم ومثل قوله لقريش فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقطع بانهم لا يفعلون فلم يفعلوا وتعقب بان الغيوب التي اشتمل عليها القران وقع بعضها في زمنه صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا وبعضها بعده كقوله تعالى الم غلبت الروم فلو كان كما قالوا لنا زعل وقع المتوقع وبان الاخبار عن الغيب جاء في بعض سور القران والتحدي منهم بمعارضة سورة غير معينة فلو كان كذلك لعارضوه بقدر يصير سورة لا غيب فيها والسادس ان وجه اعجازه هو كونه جامعا لعلوم كثيرة لم يتعاط العرب الكلام فيها ولا يحيط بها من علماء الامم واحد منهم ولا يشتمل عليها كتاب بين الله تعالى فيه خبر الاولين والاخرين وحكم المكلفين وثواب المطيعين وعقاب العاصين فهذه ستة اوجه يصح ان يكون كل واحد منها اعجازا فاذا جمعها القران فليس اختصاص احدها بان يكون معجزا اولى من غيره فيكون الاعجاز بجميعها وقد قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله فلم يقدر احد ان ياتي بمثل القران في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده على نظمه وتاليفه وعذوبة منطقه وصحة معانيه وما فيه من الامثال والاشياء التي دلت على البعث واياته والانباء بما كان ويكون وما فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع من اراقة الدماء وصلة الارحام الى غير ذلك فكيف يقدر على الضد وقد عجزت عنه العرب الفصحاء والخطباء البلغاء والشعراء الفهماء في قريش وغيرها وهو صلى الله عليه وسلم في مدة ما عرفوه قبل نبوته واداء رسالته اربعين سنة لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولا يتعلم سحرا ولا ينشد شعرا ولا يحفظ خبرا ولا يروي اثرا حتى اكرمه الله بالوحي المنزل والكتاب المفصل فدعاهم اليه وحاجهم به قال الله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون وشهد له في كتابه بذلك فقال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون واما ما عدا القران من معجزاته عليه السلام كنبع الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام ببركته وانشقاق القمر ونطق الجماد فمنه ما وقع التحدي به ومنه ما وقع دالا على صدقه من غير سبق تحد ومجموع ذلك يفيد القطع بانه ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات شيء كثير كما يقطع بوجود جود حاتم وشجاعة علي وان كانت افراد ذلك ظنية وردت موارد الاحاد مع ان كثيرا من المعجزات النبوية قد اشتهر ورواه العدد الكثير والجم الغفير وافاد الكثير منه القطع عند اهل العلم بالاثار والعناية بالسير والاخبار وان لم يصل عند غيرهم الى هذه المرتبة لعدم عنايتهم بذلك فلو ادعى مدع ان غالب هذه الوقائع مفيد للقطع النظري لما كان مستبعدا وذلك انه لا مرية ان رواة الاخبار في كل طبقة قد حدثوا بهذه الاخبار في الجملة ولا يحفظ عن احد من الصحابة مخالفة الراوي فيما حكاه من ذلك ولا

الانكار

الانكار عليه فيما هنالك فيكون الساكت منهم كالناطق لان مجموعهم محفوظ من الاغضاء على الباطل وعلى تقدير ان يوجد من بعضهم انكار او طعن على من روى شيئا من ذلك فانما هو من جهة توقف في صدق الراوي او تهمته بكذب او توقف في ضبطه او نسبته الى سوء الحفظ او جواز الغلط ولا يوجد احد منهم طعن في المروي كما وجد منهم من غير هذا الفن من الاحكام وحروف القران ونحو ذلك والله اعلم وانت اذا تاملت معجزاته وباهر اياته وكراماته عليه السلام وجدتها شاملة للعلوي والسفلي والصامت والناطق والساكن والمتحرك والمائع والجامد والسابق واللاحق والغائب والحاضر والباطن والظاهر والعاجل والآجل الى غير ذلك مما لو اعيد لطال كالرمي بالشهب الثواقب ومنع الشياطين من استراق السمع بالغياهب وتسليم الحجر والشجر عليه وشهادتها له بالرسالة بين يديه ومخاطبتها له بالسيادة وحنين الجذع ونبع الماء من كفه في الميضاة والتور والمزادة وانشقاق القمر ورد العين العور ونطق العير والذئب والجمل وكالنور المتوارث من آدم الى جبهة ابيه من الازل وما سوى ذلك من المعجزات التي تداولتها الجلة ونقلها عن السنة اولي النقلة مما لو اعملنا انفسنا في حصرها لفني المداد في ذكرها ولو بالغ الاولون والاخرون في احصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ما حباه الكريم به من مواهبه ولكان الملم بساحل بحرها مقتصرا عن حصر بعض فخرها ولقد صح لمجتبيه ان ينشد واقيه

وعلى تفنن واصفيه بحسنه ۞ يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وانه لحليق بان ينشد

فما بلغت كف امرئ متناولا ۞ من المجد الا والذي نال اطول
ولا بلغ المهدون في القول مدحة ۞ ولا بلغ ولو جدوا الا الذي فيه افضل

ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا فلقد كفا وشفا بقوله

ما شئت قل فيه فانت مصدق ۞ فالحب يقضي والمحاسن تشهد

ولقد ابدع الامام الاديب شرف الدين الابوصيري حيث قال

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ۞ واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب الى ذاته ما شئت من شرف ۞ وانسب الى قدره ما شئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له ۞ حد فيعرب عنه ناطق بفم

يعني انه للبلغاء وان انتهوا الى اقصى الغايات والنهايات لا يصلون اليها واولا حد له وقيل انه روي الشيخ عمر بن الفارض السعدي في النوم فقيل له لم لا مدحت النبي صلى الله عليه وسلم فقال

اري كل مدح في النبي مقصرا ۞ وان بالغ المثني عليه واكثرا
اذا الله اثنى بالذي هو اهله ۞ عليه فما مقدار ما يمدح الورى

قال الشيخ بدر الدين الزركشي وهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كابي تمام والبحتري وابن الرومي مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه صلى الله عليه وسلم عندهم من اصعب ما يحاولونه فان المعاني دون مرتبته والاوصاف دون وصفه وكل غلو في حقه تقصير فيضيق على البليغ مجال النظم وعند التحقيق اذا اعتبرت جميع الامداح التي فيها غلو بالنسبة الى من قيلت له وجدتها صادقة في حق النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الشعراء على صفاته عليه السلام كانوا يتعمدونه والى امداحه كانوا يقصدونه وقد اشار الابوصيري بقوله دع ما ادعته النصارى الى ما اطرت النصارى به عيسى بن مريم من اعتنائهم الهاة لما لبسا بوهم كانهم صححوا في الانجيل عيسى نبيي واني ولدته فحرفوا القول بتقديم الباء الموحدة وخففوا اللام في الثاني فلعنة الله على الكافرين فان قلت الحاصل ادى لحدوث نبينا عليه السلام ما ادعي في عيسى اجيب بانهم قد كادوا ان يفعلوا عن ذلك حين قالوا له عليه السلام الا نسجد لك فقال لو كنت امرا احدا ان يسجد لغير الله لامرت المراة ان تسجد لزوجها فمنعهم عما عساه يبلغ بهم من العبادة وقد جاء في صفته في حديث ابن ابي هالة ولا يقبل الثناء الا من مكافئ اي مقارب في مدحه غير مفرط فيه وقال ابن قتيبة معناه الا ان يكون ممن له عليه صلى الله عليه وسلم منة فيكافئه الاخر وغلطه ابن الانباري بانه لا ينفك احد من انعام رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل بعثه رحمة للعالمين فالثناء عليه فرض عليهم لا يتم الاسلام الا به

قال وأما المعنى لا يقبل الشك إلا من رجل عرف حقيقة إسلامه ثم خاصل معجزاته وباهر آياته وكراماته كما نبه عليه
القطب القسطلاني يرجع إلى ثلاثة أقسام ماض وجد قبل كونه فقضى بحكمه ومستقبل يقع بعد حوزاته في لحده وكائن معه
من حين حمله ووضعه إلى أن نقله الله إلى محل فضله وموطن جمعه فأما القسم الأول الماضي وهو ما كان قبل ظهوره
إلى هذا الوجود فقد ذكرت منه جملة في المقصد الأول كقصة الفيل وغير ذلك مما هو أسبق لنبوته وإرهاص لرسالته
قال الإمام الرازي ومذهبنا أنه يجوز تقديم المعجزة تأسيسا وإرهاصا قال ولذلك كانت الغمامة تظله يعني في
سفره قبل النبوة خلافا للمعتزلة القائلين بأنه لا يجوز أن تكون المعجزة قبل الإرسال انتهى وقد تقدم أول هذا المقصد
أن الذي عليه جمهور أئمة الأصول وغيرهم أن هذا ونحوه مما هو متقدم على الدعوى لا يسمى معجزة بل تأسيسا للنبوة
وكرامة للرسول عليه السلام وأما القسم الثاني وهو ما وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فكثير جدا إذ في كل حين يقع
لمواهب أمته من خوارق العادات بسببه مما يدل على تعظيم قدره الكريم ما لا يحصى لاستعانتهم به وغير ذلك مما سيأتي
إن شاء الله تعالى في المقصد الأخير مما يتعلق بالكلام على زيارة قبره الشريف وأما القسم الثالث وهو ما كان معه من حين ولادته
إلى وفاته فكالنور الذي خرج معه حتى أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رئيت أعناق الإبل ببصرى ووقوع الطائر على فؤاد
أمه حتى لم تجد لحمله ألما دونه والطواف به في الآفاق وغير ذلك وكانشقاق القمر عند فراغ جاعليه وانخرام الشجرتين لما دعاهما
إليه وكإطعام الجيش الكثير من الزاد اليسير في عدة من المواطن واستكثار الماء وغير ذلك مما أمده الله تعالى به من المعجزات
وأكرمه به من خوارق العادات آيات لا تقام حجته وتمهيد هدايته محجته وتأييدا لسيادته في كل أمة وتنبيها لمن أذكر
بعلامة مما يشعله يخرج عن مقصود الاختصار إذ هو باب فسيح المجال منيع المنال لكني آتيه من ذلك على نبذ يسيرة وأنوع
في أثنائها جملة خطيرة فأقول وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب أما معجزة انشقاق القمر فقد قال الله
تعالى في كتابه العزيز اقتربت الساعة وانشق القمر الآية والمراد وقوع انشقاقه ويدل عليه قوله تعالى بعد ذلك وإن يروا
آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فإن ذلك ظاهر في أن المراد بقوله انشق وقوع انشقاقه لأن الكفار لا يقولون ذلك يوم القيامة
وإذا تبين أن قولهم ذلك إنما هو في الدنيا تبين وقوع الانشقاق وأنه المراد بالآية التي زعموا أنها سحر وسيأتي ذلك مصرحا
في حديث ابن مسعود وغيره والمعجزات القمر لم يشق لأحد غير نبينا صلى الله عليه وسلم وهو من أمهات معجزاته عليه السلام
وقد أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه لأجله صلى الله عليه وسلم فإن كفار قريش لما كذبوه ولم يصدقوه طلبوا منه آية
تدل على صدقه في دعواه فأعطاه الله تعالى هذه الآية العظيمة التي لا قدرة لبشر على إيجاد مثلها دالة على صدقه عليه السلام
في دعواه الرسالة عن الله تعالى وأنه منفرد بالربوبية وأن هذه الآلهة التي يعبدونها باطلة لا تنفع ولا تضر وأن العبادة إنما
تكون لله وحده لا شريك له قال الخطابي انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء وذلك أنه ظهر في
ملكوت السماوات خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك
صار البرهان به أظهر انتهى وقال ابن عبد البر قد روى هذا الحديث يعني حديث انشقاق القمر عن جماعة كثيرة من الصحابة
وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير إلى أن انتهى إلينا وتأيد بالآية الكريمة انتهى وقال العلامة
ابن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما
من طرق من حديث شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود ثم قال وله طرق أخرى شتى بحيث لا يمترى في تواتره
انتهى وقد جاءت أحاديث الانشقاق في روايات صحيحة عن جماعة من الصحابة منهم أنس وابن مسعود وابن عباس
وعلي وحذيفة وجبير بن مطعم وابن عمر وغيرهم فأما أنس وابن عباس فلم يحضرا ذلك لأنه كان بمكة قبل الهجرة بنحو خمس
سنين وكان ابن عباس إذ ذاك لم يولد وأما أنس فكان ابن أربع أو خمس بالمدينة وأما غيرهما فيمكن أن يكون شاهد ذلك
وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم

انشقاق

انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وقوله شقتين بكسر الشين المعجمة أي نصفين ومن حديث ابن مسعود قال
انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشهدوا وروى الترمذي من حديث ابن عمر في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال فقد كان ذلك على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين فلقة دون الجبل وفلقة خلف الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا
وعند الإمام أحمد من حديث جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على
هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد فقالوا إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس وعن عبد الله بن
مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كفار قريش هذا سحر ابن أبي كبشة قال فقالوا
انظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار فأخبروهم بذلك رواه أبو داود
والطيالسي ورواه البيهقي بلفظ انشق القمر بمكة فقالوا سحركم ابن أبي كبشة فسلوا السفار فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد
صدق وإن لم يكونوا رأوا ما رأيتم فهو سحر فسألوا السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا رأيناه وعند أبي نعيم في الدلائل
من وجه ضعيف عن ابن عباس قال لما اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وأبو جهل
والعاص بن وائل والأسود بن المطلب والنضر بن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن كنت صادقا فشق
لنا القمر فرقتين فسأل ربه فانشق وعند البخاري مختصرا من حديث ابن عباس بلفظ أن القمر انشق على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابن عباس لم يكن عن رآه بلفظ وإن كان لم يشاهد القصة كما قدمته في بعض طرقه أنه حمل
الحديث عن ابن مسعود وعند مسلم من حديث شعبة عن قتادة بلفظ فأراهم انشقاق القمر مرتين وكذا في مصنف عبد
الرزاق عن معمر بلفظ مرتين أيضا واتفق الشيخان عليه من رواية شعبة عن قتادة بلفظ فرقتين كما في حديث جبير عند
أحمد وفي حديث ابن عمر فلقتين بالفاء كما قدمته وفي لفظ في حديث جبير فانشق القمر باثنتين وفي رواية عن ابن
عباس عند أبي نعيم في الدلائل فصار قمرين ووقع في نظم السيرة للحافظ أبي الفضل العراقي وانشق مرتين بالإجماع قال الحافظ ابن
حجر وأظن قوله بالإجماع يتعلق بانشق لا مرتين فإني لا أعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه صلى
الله عليه وسلم ولعل قائل مرتين أراد فرقتين وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات وقد وقع في رواية البخاري
من حديث ابن مسعود ونحن بمنى وهذا لا يعارض قول أنس إن ذلك كان بمكة لأنه لم يصرح بأنه عليه السلام كان ليلتئذ
بمكة فالمراد أن الانشقاق كان وهم بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة والله أعلم وقد أنكر هذه المعجزة جماعة من المبتدعة
كجمهور الفلاسفة متمسكين بأن الأجرام العلوية لا يتهيأ فيها الانخراق والالتئام وكذا قالوا في فتح أبواب السماء ليلة الإسراء
إلى غير ذلك وجواب هؤلاء إن كانوا كفارا أن يناظروا أولا على ثبوت دين الإسلام فإذا ثبت أشركوا مع غيرهم
ممن أنكر ذلك من المسلمين ومتى سلم المسلم بعض ذلك دون بعض لزمه التناقض وأيضا فلا سبيل له إلى إنكار ما ثبت في
القرآن من الانخراق والالتئام في القيامة وإذا ثبت هذا استلزم الجواز ووقوعه معجزة لنبي الله صلى الله عليه وسلم
وقد أجاب القدماء عن ذلك فقال أبو إسحاق الزجاج في معاني القرآن أنكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة انشقاق
القمر ولا إنكار للعقل فيه لأن القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء كما يكوره يوم القيامة ويفنيه انتهى وأما قول بعض الملاحدة
لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة لأنه أمر صدر عن حس ومشاهدة
فالناس فيه شركاء والدواعي متوفرة على رواية كل غريب ونقل ما لم يعهد ولو كان لذلك أصل لخلد في كتب التسيير
والتنجيم إذ لا يجوز إطباقهم على تركه وإغفاله مع جلالة شأنه ووضوح أمره فأجاب عنه الخطابي وغيره بأن هذه القصة
خرجت عن بقية الأمور التي ذكروها لأنه شيء طلبه خاص من الناس فوقع ليلا لأن القمر لا سلطان له بالنهار ومن شأن الليل
أن يكون أكثر الناس فيه نياما ومستكنين في الأبنية والبارز منهم بالصحراء إذا كان يقظانا يحتمل أنه يتفق أنه كان في ذلك الوقت

مشغولا بما يلهيه من سمر وغيره ومن المستبعدات بقصد اهل الى مركز القمر ناظرين اليه لا يغفلون عنه فقد يجوز انه وقع ولم
يشعر به اكثر الناس وانما رآه من تصدى لرؤيته ممن اقترح وقوعه ولعل ذلك انما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر وقد
يكون القمر حينئذ في بعض المنازل التي تظهر لبعض الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم كما يجد الكسوف
اهل بلد دون اهل بلد آخر وقال ابن الخطابي ما حكمه بالغة في كون المعجزات المحمدية لم يبلغ شي منها مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه كالقرآن
ما حاصله ان معجزة كل نبي كانت اذا وقعت عامة اعقبت هلاك من كذب بها من قومه والنبي صلى الله عليه وسلم بعث
رحمة للعالمين فكانت معجزته التي تحدى بها عقلية فاختص بها القوم الذين بعث فيهم لما اوتوه من فضل العقول وزيادة
الافهام ولو كان ادراكها عاما لعوجل من كذب به كما عوجل من قبلهم انتهى وكذا اجاب ابن عبد البر نحوه تنبيه
ما يذكره بعض القصاص ان القمر دخل في جيب النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فليس له اصل كما حكاه الشيخ بدر الدين
الزركشي عن شيخه العماد بن كثير واما رد الشمس له صلى الله عليه وسلم فروى عن اسما بنت عميس ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت
يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسما
فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهبا في خيبر رواه الطحاوي في مشكل
الحديث كما حكاه القاضي عياض في الشفا وقال قال الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف
عن حفظ حديث اسما لانه من علامات النبوة انتهى قال بعضهم هذا الحديث ليس بصحيح وان اوهم تخريج القاضي له في
الشفا عن الطحاوي من طريقين فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال انه موضوع بلا شك وفي سنده احمد بن داود
وهو متروك الحديث كذاب كما قاله الدارقطني وقال ابن حبان كان يضع الحديث قال ابن الجوزي وقد روى هذا
الحديث ابن شاهين فذكره ثم قال وهذا حديث باطل قال ومن تغفل واضعه انه نظر الى صورة فضيلة ولم يلمح عدم الفائدة
فيها فان صلاة العصر بغيبوبة الشمس صارت قضاء ورجوع الشمس لا يعيدها اداء انتهى وقد افرد ابن تيمية تصنيفا مفردا
في الرد على الروافض ذكر فيه الحديث بطرقه ورجاله وانه موضوع والعجب من القاضي مع جلالة قدره وعلو خطره في علوم
الحديث كيف سكت عنه موهما صحته وناقلا ثبوته موثقا رجاله انتهى قال شيخنا قال احمد لا اصل له وتبعه ابن
الجوزي فاورده في الموضوعات ولكن قد صححه الطحاوي والقاضي عياض واخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث
اسما بنت عميس وابن مردويه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه انتهى ورواه الطبراني في معجمه الكبير باسناد حسن كما
حكاه شيخ الاسلام ابن العراقي في شرح التقريب عن اسما بنت عميس ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى
الظهر بالصهبا ثم ارسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع عليه السلام راسه في حجر علي
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صليت العصر قال لا يا رسول الله فدعا الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت فرايت
الشمس طلعت بعد ما غابت حين ردت حتى صلى العصر قال وروى الطبراني ايضا في معجمه الاوسط باسناد حسن عن
جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الشمس فتأخرت ساعة من نهار وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي
عن ابن اسحق مما ذكره القاضي عياض في الشفا لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في
العير قالوا متى تجي قال يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرونه وقد ولى النهار ولم تجي فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس انتهى وهذا يعارضه قوله في الحديث الصحيح لم
تحبس الشمس على احد الا ليوشع بن نون يعني حين قاتل الجبابرين يوم الجمعة فلما ادبرت الشمس خاف ان تغيب قبل ان يفرغ
منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم ويجاب بان المعنى لم تحبس
على احد من الانبياء غيري الا ليوشع والله اعلم وكذا روي حبس الشمس لنبينا صلى الله عليه وسلم ايضا يوم الخندق حين

شغل

شغل عن صلاة العصر فيكون حبس الشمس مخصوصا بنبينا صلى الله عليه وسلم وبيوشع وذكر البغوي في تفسيره انها
حبست لسليمن عليه السلام ايضا لقوله ردوها علي وتوزع فيه بعدم ذكر الشمس في الاية فالمراد الصافنات
الجياد والله اعلم قال القاضي عياض واختلف في حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت على ادراجها وقيل
وقفت ولم ترد وقيل بطؤ حركتها قال وكل ذلك من معجزات النبوة انتهى واما ما روي من طاعات
الجمادات وتكليمها له بالتسبيح والسلام ونحو ذلك مما وردت به الاخبار فمنها تسبيح الطعام والحصا
في كفه الشريف صلى الله عليه وسلم خرج محمد بن يحيى الذهلي في الزهريات قال اخبرنا ابو اليمان قال انا شعيب
عن الزهري قال ذكر الوليد بن سويد ان رجلا من بني سليم كبير السن كان ممن ادرك ابا ذر بالربذة عن ابي ذر
قال هجرت يوما من الايام فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته فسالت عنه الخادم فاخبرني انه ببيت
عائشة فاتيته وهو جالس ليس عنده احد من الناس وكاني حينئذ ارى انه في وحي فسلمت عليه فرد السلام ثم قال
ما جاء بك قلت الله ورسوله فامرني ان اجلس فجلست الى جنبه لا اساله عن شي ولا يذكره لي فمكثت غير كثير
فجا ابو بكر يمشي مسرعا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال ما جاء بك قال جا بي الله ورسوله فاشار بيده ان اجلس
فجلس الى ربوة مقابل النبي صلى الله عليه وسلم ثم جا عمر ففعل مثل ذلك وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل ذلك وجلس الى جنب ابي بكر ثم جا عثمن كذلك وجلس الى جنب عمر ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على
حصيات سبع او تسع او ما قرب من ذلك فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم ناولهن ابا بكر وجاوزني فسبحن في كف ابي بكر ثم اخذهن منه فوضعهن في الارض فخرسن ثم
ناولهن عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف ابي بكر ثم اخذهن منه فوضعهن في الارض فخرسن ثم
ناولهن عثمن فسبحن في كفه كما سبحن في كف ابي بكر وعمر ثم اخذهن فوضعهن في الارض فخرسن قال الحافظ
ابن حجر وقد اشتهر على الالسنة تسبيح الحصى ففي حديث ابي ذر قال تناول النبي صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فسبحن
في يده حتى سمعت لهن حنينا ثم وضعهن في يد ابي بكر فسبحن ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ثم وضعهن في يد عثمن فسبحن اخرجه
البزار والطبراني في الاوسط وفي رواية الطبراني فسمع تسبيحهن من في الحلقة ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع احد منا
قال البيهقي في الدلائل كذا رواه صالح بن ابي الاخضر ولم يكن بالحافظ عن الزهري عن سويد بن يزيد السلمي عن ابي ذر
والمحفوظ ما رواه شعيب بن ابي حمزة عن الزهري قال ذكر الوليد بن سويد ان رجلا من بني سليم كان كبير السن انتهى
وليس لحديث تسبيح الحصى الا هذه الطريقة الواحدة مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس وقال الحسن قول سيدي محمد
لتسبيحه ذاك الوجه قد سبح الحصى ومن نبع بين الكف قد سبح الرعد وقول الآخر
يا حبذا لو انثنت كفا تشعشعت وسطها الحصاة وقد اخرج البخاري من حديث ابن مسعود كنا نأكل مع النبي
صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه
جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح رواه القاضي عياض في الشفا ونقله عنه
الحافظ ابو الفضل في فتح الباري واعلم ان التسبيح من قبيل الالفاظ الدالة على معنى التنزيه واللفظ يوجد حقيقة
ممن قام به اللفظ فيكون في غير من قام به مجازا فالطعام والحصاة والشجر ونحو ذلك كل منها متكلم باعتبار
خلق الكلام فيه فيكون الكلام فيها حقيقة وهذا من قبيل خرق العادة وفي قوله ونحن نسمع تسبيحه تصريح بكرامة
الصحابة بسماع هذا التسبيح وفهمه وذلك ببركته صلى الله عليه وسلم ومن ذلك تسليم الحجر عليه صلى الله عليه وسلم
خرج مسلم من حديث جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان
ابعث اني لاعرفه الان وقد اختلف في هذا الحجر فقيل هو الحجر الاسود وقيل حجر غيره بزقاق يعرف به بمكة والناس
يتبركون بلمسه ويقولون انه هو الذي كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم متى اجتاز به وقد ذكر الامام ابو عبد الله
محمد بن رشيد بضم الراء في رحلته مما ذكره في شفاء الغرام عن علم الدين احمد بن ابي بكر بن خليل قال اخبرني عمي سليمن
قال اخبرني محمد بن اسمعيل بن ابي الصيف قال اخبرني ابو حفص الميانشي قال اخبرني كل من لقيته بمكة ان هذا الحجر الاسود
يعني المذكور هو الذي كلم النبي صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي والدارمي والحاكم وصححه عن علي بن ابي طالب قال كنت

امتي مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله حجر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله رواه البزار وابو نعيم وعن جابر بن عبد الله قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له ومن ذلك تامين اسكفة الباب وحوايط البيت على دعايه عليه السلام عن ابي اسيد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب يا ابا الفضل لا ترم منزلك انت وبنوك غدا حتى اتيكم فان لي فيكم حاجة فانتظروه حتى جاء بعد ما اضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال كيف اصبحتم قالوا اصبحنا بخير نحمد الله فقال تقاربوا فتقاربوا يزحف بعضهم الى بعض حتى اذا امكنوه اشتمل عليهم بملايته فقال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهولاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاتي هذه قال فامنت اسكفة الباب وحوايط البيت فقالت امين امين امين رواه البيهقي في الدلايل وابن ماجة مختصرا ومن ذلك كلامه للجبل وكلام الجبل له صلى الله عليه وسلم عن انس قال صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه النبي صلى الله عليه وسلم برجله وقال اثبت احد فما عليك الا نبي وصديق وشهيدان رواه احمد والبخاري والترمذي وابو حاتم قال ابن المنير قيل الحكمة في ذلك انه لما رجف اراد الرسول صلى الله عليه وسلم ان يبين ان هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم وان تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب ولهذا نص على مقام النبوة والصديقية والشهادة التي توجب سرور ما اتصلت به لا رجفانه فاقر الجبل بذلك فاستقر انتهى واحد جبل بالمدينة وهو الذي قال فيه احد جبل يحبنا ونحبه رواه البخاري ومسلم واختلف في المراد بذلك فقيل اراد به اهل المدينة كما قال تعالى واسأل القرية اي اهلها قاله الخطابي وقال الحافظ البغوي فيما حكاه الحافظ المنذري الاولى اجراوه على ظاهره ولا ينكر وصف الجمادات بحب الانبيا والاوليا واهل الطاعة كما حنت الاسطوانة على مفارقته صلى الله عليه وسلم حتى سمع الناس حنينها الى ان سكنها وكما اخبر ان حجرا كان يسلم عليه قبل الوحي فلا ينكر ان يكون جبل احد وجميع اجزا المدينة تحبه وتحن الى لقايه حالة مفارقته اياها انتهى كلام الحافظ المنذري وقال البغوي جيد وعن ثمامة عن عثمن بن عفان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض فركضه برجله وقال اسكن ثبير فما عليك الا نبي وصديق وشهيدان خرجه النسائي والترمذي والدارقطني والحضيض القرار من الارض عند منقطع الجبل وركضه برجله اي ضربه بها وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حرا هو وابو بكر وعمر وعثمن وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسكن حرا فما عليك الا نبي او صديق او شهيد وفي رواية وسعد بن ابي وقاص ولم يذكر عليا خرجها مسلم وانفرد بذلك وخرجه الترمذي في مناقب عثمن ولم يذكر سعدا وقال اهدا مكان اسكن وقال حديث صحيح وخرجه الترمذي ايضا عن سعيد بن زيد وذكر انه كان عليه العشرة الا ابا عبيدة وقال اثبت حرا وكذا رواه الخلعي عنه بنحو ولم يذكر ابا عبيدة ابن الجراح ورواه ايضا الحافظ ابو اسحق البغدادي فيما رواه الكبار عن الصغار والاباء عن الابنا ولله در القايل

ومالك حرا تحته فرحا به • فلولا مقال اسكن تقضقض وانقضا •

وحرا وثبير جبلان متقابلان معروفان بمكة واختلاف الروايات يحمل على انها قضايا تكررت قاله الطبري وغيره لكن رجح الحافظ بن حجر انه احد قال ولولا اتحاد المخرج لجوزت تعدد القصة ثم ظهر لي ان الاختلاف فيه من سعيد فاني وجدته في مسند الحرث بن ابي اسامة عن روح بن عبادة فقال فيه احد او حرا بالشك وقد اخرجه احمد من حديث بريدة بلفظ حرا واسناده صحيح واخرجه ابو يعلى من حديث سهل بن سعد بلفظ احد واسناده صحيح فقوي احتمال تعدد القصة واخرج مسلم من حديث ابي هريرة ما يويد تعدد القصة فذكر انه كان على حرا ومعه المذكورون هنا وزاد معهم غيرهم ولما طلبته عليه الصلوة والسلام قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال له حرا الي يا رسول الله رواه في الشفا وهو حديث مروي في الهجرة من السير وحرا مقابل لثبير والوادي بينهما وهما على يسار السالك الى منى وحرا قبلي ثبير مما يلي الشمس وهذه الواقعة غير واقعة نور وحجر الهجرة هذا هو الظاهر

والله اعلم ومن ذلك كلام الشجر له وسلامها عليه وطواعيتها له وشهادتها له بالرسالة صلى الله عليه وسلم اخرج البزار وابو نعيم من حديث عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اوحي الي جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله واخرج الامام احمد عن ابي سفيان طلحة بن نافع قال جا جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض اهل مكة فقال ما لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل بي هولاء وفعلوا فقال له جبريل اتحب ان اريك اية فقال نعم قال فانظر الى الشجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع الى مكانها فامرها فرجعت الى مكانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي حسبي ورواه الدارمي من حديث انس وعن علي قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب واخرج الحاكم في مستدركه باسناد جيد عن ابن عمر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فاقبل اعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال هل من شاهد على ما تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على شاطي الوادي فاقبلت تخد الارض خدا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها الحديث ورواه الدارمي ايضا بنحوه وقوله تخد بضم الخا المعجمة وتشديد الدال المهملة اي تشق الارض وعن بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جات تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله فقال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ايذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها رواه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جا اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بم اعرف انك رسول الله قال ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد اني رسول الله فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ارجع فعاد فاسلم الاعرابي رواه الترمذي وصححه وفي حديث يعلى ابن مرة الثقفي ثم سرنا حتى نزلنا منزلا فنام النبي صلى الله عليه وسلم فجات شجرة تشق الارض حتى غشيته ثم رجعت الى مكانها فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له فقال هي شجرة استاذنت ربها في ان تسلم علي فاذن لها الحديث رواه البغوي في شرح السنة وفي حديث جابر بن عبد الله سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا افيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيا يستتر به فاذا شجرتان في شاطي الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قايده ثم فعل بالاخرى كذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتامتا الحديث رواه مسلم والمنصف بفتح الميم الموضع الوسط بين الموضعين والالتئام الاجتماع ولله در الابوصيري حيث قال

جات لدعوته الاشجار ساجدة • تمشي اليه على ساق بلا قدم
كانما سطرت سطرا لما كتبت • فروعها من بديع الخط في اللقم

شبه اثار مشي الشجرة لما جات اليه صلى الله عليه وسلم بكتابة كاتب اوقعها على نسبة معلومة في اسطر منظومة واذا كانت الاشجار تبادر لامتثال امره صلى الله عليه وسلم حتى تخر ساجدة بين يديه فنحن اولى بالمبادرة لامتثال ما دعا اليه زاده الله شرفا لديه وما احسن قول الاعرابي له ايذن لي ان اسجد لك لما راى من سجود الشجرة فراى انه احرى بذلك حتى اعلمه عليه الصلوة والسلام انه لا يكون الا لله الخالق على كل مؤمن ان يلازم السجود للحق المعبود ويقوم على ساق العبودية وان لم يكن له قدم كما قامت الشجرة ومن ذلك حنين الجذع شوقا اليه صلى الله عليه وسلم اعلم ان الحنين مصدر مضاف الى الفاعل والمراد شوقه ونزاعه الى النبي صلى الله عليه وسلم والذي في الاحاد

المسوقة هنا انه صوت ولعل المراد منه الدلالة على الشوق اي الصوت الدال على شوقه الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم والجذع واحد جذوع النخل وهو بالذال المعجمة وقد روى حديث حنين الجذع عن جماعة من
الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك قال العلامة التاج ابن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب
والصحيح عندي ان حنين الجذع متواتر رواه البخاري عن نافع عن ابن عمر ورواه احمد من رواية ابي حباب عن ابيه عن — متواتر
ابن عمر ورواه ابن ماجه وابو يعلى الموصلي وغيرهما من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن انس واسناده على شرط
مسلم ورواه الترمذي وصححه وابو يعلى وابن خزيمة والطبراني وصححه وقال على شرط مسلم ملزمه اخراجه من رواية
اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس ورواه الطبراني من رواية الحسن عن انس ورواه احمد وابن منيع والطبراني
وغيرهم من رواية حماد بن سلمة عن عمار بن ابي عمار عن ابن عباس ورواه احمد والدارمي وابو يعلى وابن ماجه وغيرهم
من رواية الطفيل بن ابي بن كعب عن ابيه ورواه الدارمي من رواية ابي حازم عن سهل بن سعد ورواه ابو محمد
الجوهري من رواية عبد العزيز بن ابي رواد عن نافع عن تميم الداري ثم قال ولست ادعي ان التواتر حاصل بما
علمت من الطرق بل من طرق اخرى كثيرة يجدها المحدث ضمن المسانيد والاجزاء وغيرها وانما ذكرت في
المشاهد منها اربعها ورب متواتر عند قوم غير متواتر عند اخرين انتهى وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري
حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا وقال البيهقي قصة حنين الجذع من الامور الظاهرة
التي حملها الخلف عن السلف انتهى وهذه الاية من اكبر الايات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
قال الشافعي فيما نقله ابن ابي حاتم عنه في مناقبه ما اعطى الله نبيا ما اعطى نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام
فقيل له اعطى عيسى احياء الموتى فقال اعطى محمدا حنين الجذع حتى سمع صوته فهذا اكبر من ذلك وقال القاضي عياض حديث
حنين الجذع مشهور منتشر والخبر به متواتر اخرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضع عشر منهم ابي بن كعب
وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة
وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة انتهى فاما حديث ابي فرواه الشافعي من حديث الطفيل بن ابي بن كعب
عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الى جذع اذ كان المسجد عريشا وكان يخطب الى ذلك الجذع
فقال رجل من اصحابه هل لك ان نجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة وتسمع الناس خطبتك قال نعم فصنع له ثلاث
درجات هي التي على المنبر فلما صنع ووضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضعه الذي هو فيه فكان اذا بدا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يخطب عليه تجاوز الجذع الذي كان يخطب اليه خار حتى تصدع وانشق فنزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده ثم رجع الى المنبر الحديث واما حديث جابر فرواه
البخاري من طرق وفي لفظ له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة الى شجرة او نخلة فقالت
امراة من الانصار او رجل من الانصار الا نجعل لك منبرا قال ان شئتم فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة رفع الى المنبر
فصاحت النخلة فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمها اليه فجعلت تئن انين الصبي الذي يسكن قال كانت تبكي
على ما كانت تسمع من الذكر عندها وفي لفظ قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وهو بكسر
العين النوق الحوامل وفي حديث ابي الزبير عن جابر عند النسائي في الكبرى اضطربت تلك السارية كحنين الناقة
الخلوج انتهى والخلوج بفتح الخاء المعجمة وضم اللام الخفيفة واخره جيم الناقة التي انتزع منها ولدها والحنين هو
صوت المتألم المشتاق عند الفراق وانما يشتاق الى بركة الرسول ويأسف على مفارقته اعقل العقلاء والعقل
والحنين بهذا الاعتبار يستدعي الحياة وهذا يدل على ان الله عز وجل خلق فيه الحياة والعقل والشوق ولهذا
حن وان قيل مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري ان الاصوات لا يستلزم خلقها في محل خلق الحياة والعقل
فاجيب بانه كذلك ونحن لم نجعل الحياة لازمة الا من الشوق الى الحق سوقا معنويا علقنا لا طبعا حسيا ومذهب
الشيخ ابي الحسن ان الذكر المعنوي والكلام النفسي يستلزمان الحياة استلزام العلم لها وقد بينا ان هذه المعاني
وجدت في الجذع واطلق الحاضرون حنينه على صوته انه حنين وفهموا انه شوق الى الذكر والى مقام الحبيب

عليه وقد عامله النبي صلى الله عليه وسلم هذه المعاملة فالتزمه كما يلتزم الغائب اهله واحبته يبرد غليل شوقهم
اليه واسفهم عليه ولله در القائل — وحن اليه الجذع شوقا ورقة ورجع صوتا كالعشار مرددا
فبادره ضما فقر لوقته لكل امرئ من دهره ما تعودا — واما حديث انس فرواه ابو يعلى الموصلي بلفظ
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوم الجمعة يسند ظهره الى جذع منصوب في المسجد فيخطب الناس فجاءه
رومي فقال الا اصنع لك شيئا تقعد عليه كانك قائم فصنع له منبرا له درجتان ويقعد على الثالثة فلما قعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم على المنبر خار الجذع كخوار الثور ارتج المسجد لخواره حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
نزل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التزمه سكت ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والذي نفس محمد بيده لو لم التزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامر به صلى الله عليه وسلم فدفن ورواه الترمذي وقال صحيح غريب وكذا رواه ابن ماجه والامام احمد من طريق
الحسن عن انس ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره الى خشبة فلما كثر الناس
قال ابنوا لي منبرا اراد ان يسمعهم فبنوا له عتبتين فتحول من الخشبة الى المنبر قال فاخبرني انس بن مالك انه سمع الخشبة
تحن حنين الواله قال فما زالت تحن حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فمشى اليها فاحتضنها
فسكنت ورواه ابو القاسم البغوي وزاد فيه فكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال يا عباد الله الخشبة
تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه من الله فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه ولله در القائل
والقى حتى في الجمادات حبه فكانت لاهداء السلام له تهدى وفارق جذعا كان يخطب عنده فان انين الام اذ تجد الفقدا
يحن اليه الجذع يا قوم هكذا اما نحن اولى ان نحن له وجدا اذا كان جذع لم يطق بعده ساعة فليس وفاء ان نطيق له بعدا
واما حديث سهل بن سعد ففي الصحيحين من طرق واما حديث ابن عباس فعند الامام احمد باسناد على شرط مسلم ورواه
ابن ماجه واما حديث ابن عمر ففي البخاري واما حديث ابي سعيد الخدري فعند ابن حميد واما حديث عائشة فعند
البيهقي وفي اخره ان الجذع خير بين الدنيا والاخرة فاختار الاخرة واما حديث بريدة فعند الدارمي وفيه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان شئت اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة
وان شئت اغرسك في الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني
في الجنة فياكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال
اختار دار البقاء على دار الفناء واما حديث ام سلمة فعند ابي نعيم في الدلائل والقصة واحدة وما في الفاظها من ظاهر
التغاير هو من الرواة وعند التحقيق يرجع الى معنى واحد فلا نطيل بذكر ذلك والله اعلم واما كلام الحيوانات
وطاعتها له صلى الله عليه وسلم فمنها سجود الجمل وشكواه اليه صلى الله عليه وسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه
قال كان اهل بيت من الانصار لهم جمل يسنون عليه وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وان الانصار جاءوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انه كان لنا جمل نسني عليه وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل
والزرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى رسول الله صلى
الله عليه وسلم نحوه فقالت الانصار يا رسول الله قد صار مثل الكلب الكلب وانا نخاف عليك صولته فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليس علي منه باس فلما نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل نحوه حتى خر ساجدا بين
يديه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته اذل ما كان قط حتى ادخله في العمل فقال له اصحابه يا رسول الله
هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن احق ان نسجد لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلح لبشر ان يسجد
لبشر ولو صلح لبشر ان يسجد لبشر لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها رواه احمد والنسائي والحائط هو
البستان وقوله نسني عليه بالسين والنون المهملة اي نستقي عليه وفي حديث يعلى بن مرة الثقفي بينا نحن نسير مع
النبي صلى الله عليه وسلم اذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما راه جرجر ووضع جرانه فوقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اين صاحب هذا البعير فجاءه فقال بعنيه فقال بل نهبه لك يا رسول الله وانه لاهل بيت ما لهم معيشة غيره فقال
اما ما ذكرت من امره فانه شكا كثرة العمل وقلة العلف فاحسنوا اليه رواه البغوي في شرح السنة والجران

بكسر الجيم قال ابن فارس مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره وروى الإمام أحمد قصة أخرى نحو ما تقدم من حديث
جابر ضعيفة والبيهقي بإسناد جيد وكذا روى الطبراني قصة أخرى عن عكرمة عن ابن عباس لكن بإسناد ضعيف — ١ بإسناد ضعيف
والإمام أحمد أيضا من حديث يعلى بن مرة وأخرج ابن شاهين في الدلائل عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال
أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فأسر إلي حديثا لا أحدث به أحدا من الناس قال وكان
أحب ما استتر به النبي صلى الله عليه وسلم لحاجته هدف أو حائش نخل فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا
جمل فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفريه وفي رواية فسكن
ثم قال من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل فجاء فتى من الأنصار فقال هذا لي يا رسول الله فقال ألا تتقي الله في هذه
البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكى إلي أنك تجيعه وتدئبه قال في المصباح وهو حديث صحيح قال ورواه أبو
داود عن موسى بن إسماعيل عن مهدي بن ميمون والحائش بالحاء المهملة وبالشين المعجمة ممدودا هو جماعة النخل لا
واحد له من لفظه وقوله ذفراه تثنية ذفرى بكسر الذال المعجمة مقصور هو الموضع الذي يعرق من قفا البعير عند أذنه
ومنها سجود الغنم له صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا للأنصار ومعه
أبو بكر وعمر ورجل من الأنصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر يا رسول الله نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد ورواه أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه في كتاب
دلائل النبوة بإسناد ضعيف وذكر القاضي عياض في الشفا وذكر أيضا عن جابر بن عبد الله عن رجل أتى النبي صلى الله
عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف لي بالغنم قال احصب
وجوهها فإن الله سيؤدي عنك أمانتك ويردها إلى أهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت إلى أهلها
ومنها قصة كلام الذئب وشهادته له صلى الله عليه وسلم اعلم أنه قد جاء حديث قصة الذئب في عدة طرق
من حديث أبي هريرة وأنس وابن عمر وأبي سعيد الخدري فأما حديث أبي سعيد فرواه الإمام أحمد بسند جيد
ولفظه قال عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه وقال ألا تتقي الله
تنزع مني رزقا ساقه الله إلي فقال الراعي يا عجبا ذئب مقع على ذنبه يكلمني بكلام الإنس فقال الذئب ألا أخبرك
بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق قال فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها
إلى زاوية من زواياها ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي
بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للأعرابي أخبرهم فأخبرهم وأما حديث ابن عمر فأخرجه أبو سعيد الماليني
والبيهقي وأما حديث أنس فأخرجه أبو نعيم في الدلائل وأما حديث أبي هريرة فرواه سعيد بن منصور في سننه
قال جاء الذئب فأقعى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يبصبص بذنبه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئا قالوا والله لا نفعل وأخذ رجل من القوم
حجرا رماه به فأدبر الذئب وله عواء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذئب وما الذئب وروى البغوي في
شرح السنة وأحمد وأبو نعيم بسند صحيح عن أبي هريرة أيضا قال جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة فطلبه
الراعي حتى انتزعها منه قال فصعد الذئب على تل فأقعى واستذفر وقال عمدت إلى رزق رزقنيه الله انتزعته
انتزعته مني فقال الرجل تالله إن رأيت كاليوم ذئب يتكلم فقال الذئب أعجب من هذا رجل في النخلات بين
الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم قال وكان الرجل يهوديا فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره
فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم إنها أمارات بين يدي الساعة قد أوشك الرجل أن يخرج
فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده واستذفر بالسين المهملة والمثناة الفوقية والقاف آخره راء
أي جعل ذنبه بين رجليه كما يفعل الكلب قال القاضي عياض وفي بعض الطرق عن أبي هريرة فقال
الذئب أنت أعجب مني واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط أعظم منه عنده قدرا قد فتحت له أبواب
الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال
الراعي من لي بغنمي قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى وذكر قصته وإسلامه ووجوده

النبي صلى

النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد إلى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح
للذئب شاة منها وقد روى ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب
وجداه أخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب أعجب من ذلك محمد بن عبد الله
بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا
بضم الخاء المعجمة أي فاسدة متغيرة يعني يقع الفساد والتغير في أهلها ومن ذلك الحمار أخرج ابن عساكر عن أبي منظور
قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أصاب حمارا أسود فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمار فكلمه
الحمار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال يزيد بن شهاب أخرج الله من جدي ستين حمارا كلهم
لا يركبه إلا نبي وقد كنت أتوقعك أن تركبني لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الأنبياء غيرك قد كنت قبلك لرجل يهودي
وكنت أتعثر به عمدا وكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فأنت يعفور وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبعثه إلى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه
أن أجب رسول الله فلما قبض صلى الله عليه وسلم جاء إلى بئر كانت لأبي الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه أبو نعيم بنحوه من حديث معاذ بن جبل لكن الحديث مطعون فيه وذكره ابن
الجوزي في الموضوعات وفي معجزاته عليه السلام ما هو أعظم من كلام الحمار ونحوه ومن ذلك حديث الضب
وهو مشهور على الألسنة ورواه البيهقي في أحاديث كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال المزي لا يصح إسنادا
ولا متنا وذكره القاضي عياض في الشفا وقد روي من حديث عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل
من أصحابه إذ جاء أعرابي من بني سليم قد صاد ضبا جعله في كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله فلما رأى الجماعة
قال من هذا قالوا نبي الله فأخرج الضب من كمه وقال واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا
لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله
وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب
من كذبك فأسلم الأعرابي الحديث بطوله وهو مطعون فيه وقيل إنه موضوع لكن معجزاته عليه السلام فيها
ما هو أبلغ من هذا وليس فيه ما ينكر شرعا خصوصا وقد رواه الأئمة فنهايته الضعف لا الوضع والله أعلم ومن
ذلك حديث الغزالة روى حديثها البيهقي من طرق وضعفه جماعة من الأئمة لكن طرقه تقوي بعضها بعضا
وذكره القاضي عياض في الشفا ورواه أبو نعيم في الدلائل بإسناد فيه مجاهيل عن حبيب بن محصن عن أم سلمة رضي الله
عنها قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحراء من الأرض إذا هاتف يهتف يا رسول الله ثلاث مرات
فالتفت فإذا ظبية مشدودة في وثاق وأعرابي منجدل في شملة نائم في الشمس فقال ما حاجتك قالت صادني هذا
الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت عذبني الله
عذاب العشار إن لم أعد فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه الأعرابي
وقال يا رسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحا وهي تضرب برجليها
الأرض وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وكذا رواه الطبراني بنحوه وساق الحافظ المنذري
حديثها في الترغيب والترهيب من باب الزكاة ونقل شيخنا الحافظ أبو الخير السخاوي عن ابن كثير أنه لا أصل له
وأن من نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب ثم قال شيخنا لكنه ورد في الجملة في عدة أحاديث يتقوى بعضها
ببعض أوردها شيخ الإسلام ابن حجر في تخريج أحاديث المختصر والله أعلم وفي شرح مختصر
ابن الحاجب للعلامة ابن السبكي وتسبيح الحصى رواه الطبراني وابن أبي عاصم من حديث أبي ذر وتسليم الغزالة
رواه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني والبيهقي في دلائل النبوة وعن نقل فيهما أنهما وإن لم يكونا اليوم متواترين فلعلهما
استغني عنهما بنقل غيرهما أو لعلهما تواترا إذ ذاك انتهى ومن ذلك داجن البيوت وهو ما ألفها
من الحيوان كالطير والشاة ونحوها روى قاسم بن ثابت عن عائشة رضي الله عنها قالت كان عندنا داجن فإذا

كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضيت هكذا فلم يجئ ولم يذهب واما خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم
جائز ذهب وذكر القاضي عياض بسنده لو اما نبع الماء الطهور من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وهو اشرف
المياه فقال القرطبي قصة نبع الماء من بين اصابعه قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن في مشاهد عظيمة
وورد من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن
غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه وقد نقل ابن عبد البر عن المزني
انه قال نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ابلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا
فتفجرت منه المياه لان خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم انتهى وقد روى حديث
نبع الماء جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود فاما حديث انس ففي الصحيحين قال رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء
فوضع يده في ذلك الاناء فامر الناس ان يتوضؤوا منه فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند
آخرهم وفي البخاري كانوا ثمانين رجلا وفي لفظ له فجعل الماء ينبع من بين اصابعه واطراف اصابعه حتى توضأ القوم

وفي لفظ للبخاري

قال فقلنا لانس كم كنتم قال كنا ثلثمائة قوله حتى توضؤوا من عند آخرهم قال الكرماني حتى للتدريج ومن للبيان
اي توضأ الناس حتى توضأ الذين هم عند آخرهم وهو كناية عن جميعهم وعند بمعنى في لان عند وان كانت للظرفية
الخاصة لكن المبالغة تقتضي ان تكون لمطلق الظرفية فكانه قال الذين هم في آخرهم وقال التيمي المعنى توضأ
القوم حتى وصلت النوبة الى الآخر وقال النووي من بمعنى الى وهي لغة وتعقبه الكرماني بانها شاذة
قال ثم ان الى لا يجوز ان تدخل على عند ويلزم عليه وعلى ما قاله التيمي ان لا يدخل الاخير لكن ما قاله الكرماني من
ان الى لا تدخل على عند لا يلزم مثله في من اذا وقعت بمعنى الى وعلى توجيه النووي يمكن ان يقال عند زائدة
قاله في فتح الباري وروى هذا الحديث ايضا عن انس ابن شاهين ولفظه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك فقال المسلمون يا رسول الله عطشت دوابنا وابلنا فقال هل من فضلة ماء فجاء رجل في شن
بشيء فقال هاتوا صحفة فصب الماء ووضع راحته في الماء قال فرايتها تخلل عيونا بين اصابعه قال فسقينا الابل والخيل
وتزودنا فقال اكتفيتم فقالوا نعم اكتفينا يا رسول الله فرفع يده فارتفع الماء واخرج البيهقي عن انس قال
خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى قباء فاتي من بعض بيوتهم بقدح صغير فادخل يده فلم يسعه القدح فادخل اصابعه
الاربعة ولم يستطع ان يدخل ابهامه ثم قال للقوم هلموا الى الشراب قال انس بصر عيني نبع الماء من بين اصابعه
فلم يزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعا واما حديث جابر ففي الصحيحين قال عطش النبي صلى الله
عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ منها وجهش الناس نحوه فقال ما لكم فقالوا يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به
ولا ما نشربه الا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون فشربنا وتوضأنا
قلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وقوله يفور اي يغلي ويظهر متدفقا وفي رواية
الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم
فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله
عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب عليه جابر وقال بسم الله قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه
ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي من احد
له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وروى حديث جابر ايضا الامام احمد
في مسنده بلفظ اشتكى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه العطش فدعا بعس فصب فيه شيء من الماء
ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده وقال استقوا فاستقى الناس فكنت ارى العيون تنبع من بين اصابعه
وفي لفظ من حديثه ايضا قال فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفه في الاناء ثم قال بسم الله ثم قال اسبغوا
الوضوء قال جابر فوالذي ابتلاني ببصري لقد رايت العيون عيون الماء يومئذ تخرج من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم

فارفعها حتى توضؤوا اجمعون ورواه ايضا عنه البيهقي في الدلائل قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
فاصابنا عطش فجهشنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوضع يده في تور من ماء بين يديه قال فجعل الماء ينبع
من بين اصابعه كانه العيون قال خذوا باسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا ولو كنا مائة الف لكفانا قلت لجابر كم
كنتم قال الفا وخمسمائة واخرجه ابن شاهين من حديث جابر ايضا وقال اصابنا عطش بالحديبية فجهشنا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث واخرجه ايضا عن جابر احمد من طريق نبيح العنزي عنه وفيه فجاء رجل باداوة فيها
شيء من ماء ليس في القوم ماء غيره فصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قدح ثم توضأ فاحسن الوضوء ثم انصرف
وترك القدح قال فتزاحم الناس على القدح فقال على رسلكم فوضع كفه في القدح ثم قال اسبغوا الوضوء قال فلقد رايت
العيون عيون الماء تخرج من بين اصابعه واما حديث ابن مسعود ففي الصحيح من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه في اناء
ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهر هذا ان الماء كان ينبع من بين اصابعه
بالنسبة الى رؤية الرائي وهو في نفس الامر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر وكفه صلى الله عليه وسلم في الاناء فيراه الرائي
نابعا من بين اصابعه وظاهر كلام القرطبي انه نبع من نفس اللحم الكائن في الاصابع وبه صرح النووي في شرح مسلم
ويؤيده قول جابر فرايت الماء يخرج من بين اصابعه وفي رواية فرايت الماء ينبع من اصابعه وهذا هو الصحيح وكلاهما
معجزة له صلى الله عليه وسلم وانما فعل ذلك ولم يخرجه من غير ملابسة ماء ولا وضع اناء تادبا مع الله تعالى اذ هو المنفرد
بابتداع المعدومات وايجادها من غير اصل وروى ابن عباس قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فطلب الماء فقال
لا والله ما وجدت الماء قال فهل من شن فاتاه بشن فبسط كفيه فيه فانبعثت تحت يده عين فكان ابن مسعود يشرب
وغيره يتوضأ رواه الدارمي وابو نعيم وكذا رواه الطبراني وابو نعيم من حديث ابي ليلى الانصاري وابو نعيم من طريق القاسم
ابن عبد الله بن ابي رافع عن ابيه عن جده ومن ذلك تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته روى مسلم في صحيحه
عن معاذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم انكم ستاتون غدا ان شاء الله عين تبوك وانكم لن تاتوها حتى يضحي
النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي قال فجئناها وقد سبق اليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء
من ماء فسالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسستما من مائها شيئا قالا نعم فسبهما وقال لهما ما شاء الله ان
يقول ثم غرفوا من العين بايديهم قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء ثم غسل عليه السلام به وجهه ويديه ثم اعاده فيها فجرت العين
بماء كثير فاستقى الناس ثم قال عليه السلام يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملئ جنانا
اي بساتين وعمرانا وهذا ايضا من معجزاته عليه السلام ورواه القاضي عياض في الشفا بنحوه من طريق مالك في الموطا
وزاد فقال قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق وفي البخاري في غزوة الحديبية من حديث
المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم انهم نزلوا باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه
وشكي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه فيه فوالله ما زال
يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه والثمد بالمثلثة والميم المفتوحتين الماء القليل وقوله يتبرضه الناس تبرضا بالضاد المعجمة
اي ياخذونه قليلا قليلا والبرض الشيء القليل وقوله يجيش بفتح المثناة التحتية وبالجيم آخره شين معجمة اي يفور
ماؤه ويرتفع وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم توضأ ومج في بئر الحديبية من فمه فجاشت بالماء كذلك وفي مغازي
ابي الاسود عن عروة انه توضأ في الدلو ومضمض فاه ثم مج فيه وامر ان يصب في البئر ونزع سهما من كنانته والقاه في
البئر ودعا الله تعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بايديهم منها وهم جلوس على شفتها فجمع بين الامرين وكذا
روى الواقدي من طريق اوس بن خولي وهذه القصة غير القصة السابقة في ذكر نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم
مما رواه البخاري في المغازي من حديث جابر عطش الناس بالحديبية وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة فوضع

يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه الحديث فبين القصتين مغايرة وجمع ابن حبان بينهما بان ذلك وقع في وقتين
انتهى فحديث جابر في نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند ارادة الوضوء وحديث البراء كان لارادة ما هو اعم
من ذلك ويحتمل ان يكون الماء لما تفجر من اصابعه ويده في الركوة وتوضؤوا كلهم وشربوا امر حينئذ بصب الماء الذي
بقي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها انتهى وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع مما رواه البخاري في قصة الحديبية وهم اربع
عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها
قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارتووا انفسهم وركابهم قال
في رواية البراء ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة قوله على جباها بفتح الجيم والموحدة والقصر
ما حول البئر وبالكسر ما جمعت فيه من الماء وقوله وركابهم اي الابل التي يسار عليها وفي الصحيحين عن عمران بن
الحصين قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فاشتكى اليه الناس من العطش فنزل فدعا فلانا كان يسميه ابو
رجاء ونسيه عوف ودعا عليا فقال اذهبا فابتغيا الماء فانطلقا فتلقيا امراة بين مزادتين او سطيحتين
من ماء فجاءا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستنزلوها عن بعيرها ودعا النبي صلى الله عليه وسلم باناء ففرغ فيه
من افواه المزادتين او السطيحتين واوكأ افواههما واطلق العزالي ونودي في الناس اسقوا واستقوا فسقى من
سقى واستقى من شاء وهي قائمة تنظر الى ما يفعل بمائها وايم الله لقد اقلع عنها وانه ليخيل الينا انها اشد ملأة منها
حين ابتدأ فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجمعوا لها فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها
طعاما فجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها قال لها تعلمين ما رزئنا من مائك شيئا
ولكن الله هو الذي اسقانا فاتت اهلها فقالت العجب لقيني رجلان فذهبا بي الى هذا الرجل الذي يقال له
الصابئ ففعل كذا وكذا فوالله انه لاسحر الناس كلهم او انه لرسول الله حقا فقالت لقومها فهل لكم في الاسلام الحديث
وعن ابي قتادة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انكم تسيرون عشيتكم وليلتكم وتاتون الماء غدا ان
شاء الله فانطلق الناس لا يلوي احد على احد فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل اي
انتصف فمال عن الطريق فوضع راسه ثم قال احفظوا علينا صلاتنا فكان اول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه
وسلم والشمس في ظهره ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى اذا ارتفعت الشمس نزل ثم دعا بميضاة كانت معي فيها شيء من
ماء فتوضأنا منها وضوءا دون وضوء قال وبقي فيها شيء من ماء ثم قال احفظ علينا ميضاتك فسيكون لها نبأ ثم اذن بلال بالصلاة
فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ثم صلى الغداة وركب وركبنا معه فانتهينا الى الناس حين امتد النهار
وحمي كل شيء وهم يقولون يا رسول الله هلكنا عطشنا فقال لا هلك عليكم ودعا بالميضاة فجعل يصب وابو قتادة
يسقيهم فلم يعد ان راى الناس ماء في الميضاة فتكابوا عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احسنوا الملأ
كلكم سيروى قال ففعلوا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب واسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم صب فقال لي اشرب فقلت لا اشرب حتى تشرب يا رسول الله فقال ان ساقي القوم
اخرهم فشربت وشرب الحديث رواه مسلم وعن انس قال اصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم الجمعة قام اعرابي فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال
فادع الله لنا فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب امثال الجبال ثم لم
ينزل عن منبره حتى رايت المطر يتحادر على لحيته فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد حتى الجمعة الاخرى وقام
ذلك الاعرابي او غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا
ولا علينا فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وصارت المدينة في مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهرا
ولم يجئ احد من ناحية الا حدث بالجود وفي رواية قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون

الاودية

القزعة قطعة من الغيم

الاودية ومنابت الشجر فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس رواه البخاري ومسلم والجوبة بفتح الجيم والموحدة بينهما
واو ساكنة الحفرة المستديرة الواسعة وكل منفتق بلا بناء جوبة اي حتى صار الغيم والسحاب محيطا بافاق المدينة
والجود بفتح الجيم واسكان الواو المطر الواسع الغزير وعن عبد الله بن عباس انه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حدثنا
عن ساعة العسرة فقال عمر خرجنا الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع
حتى ان كان الرجل ليذهب يلتمس الرحل فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستنقطع حتى ان كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه
فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله لنا قال اتحب
ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فاسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت
العسكر قال الحافظ المنذري اخرجه البيهقي في الدلائل وشيخه ابن بشران ثقة ودعلج ثقة وابن خزيمة
احد الائمة ويونس احتج به مسلم في صحيحه وابن وهب وعمرو بن الحارث ونافع بن جبير احتج بهم البخاري ومسلم وعتبة
فيه مقال انتهى وذكره القاضي عياض في الشفا مختصرا وروى ابو اسحق في مغازيه نحوه وروى صاحب مصابيح الظلام
عن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال كنت مع ابن اخي يعني النبي صلى الله عليه وسلم بذي المجاز فادركني العطش فشكوت
اليه فقلت يا ابن اخي عطشت وما قلت له ذلك وانا ارى عنده الا الجزع فثنى وركه ثم نزل وقال يا عم اعطشت
فقلت نعم فاهوى بعقبه الى الارض فاذا بالماء فقال اشرب يا عم فشربت وكذا رواه ابن سعد وابن عساكر ومن ذلك
تكثير الطعام القليل ببركته ودعائه عن جابر بن عبد الله قال فانكفات الى امراتي فقلت هل عندك شيء
فاني رايت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا فاخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها
وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم فساررته فقلت يا رسول الله ذبحنا
بهيمة لنا وطحنت صاعا من شعير فتعال انت ونفر معك فصاح النبي صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق ان جابرا صنع
سورا فحي هلا بكم فقال صلى الله عليه وسلم لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجيء فجئت فاخرجت له عجينا
فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادع خابزة فلتخبز معك واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها
وهم الف فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو رواه البخاري
ومسلم وقوله فانكفات اي انقلبت وقوله داجن يعني سمينة وقوله فذبحتها بسكون الحاء وطحنت بسكون
النون يعني ان الذي ذبح هو جابر والتي طحنت هي امراته سهيلة بنت مسعود الانصارية وقوله سورا بضم المهملة
وسكون الواو بغير همز قال ابن الاثير طعاما يدعو اليه الناس قال واللفظة فارسية وقوله فحي هلا كلمة
استدعاء فيه حث اي هلموا مسرعين وقوله واقدحي اي اغرفي وقوله وان برمتنا لتغط بالغين المعجمة والطاء
المهملة اي تغلي ويسمع غطيطها وعن انس قال قال ابو طلحة لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضعيفا اعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء فقالت نعم فاخرجت اقراصا من شعير ثم اخرجت خمارا لها فلفت الخبز
ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه اي ادارت بعض الخمار على راسي ثم ارسلتني الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلك ابو طلحة فقلت نعم قال لطعام قلت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن معه قوموا فانطلق وانطلقت بين ايديهم حتى جئت ابا طلحة فاخبرته فقال ابو طلحة يا ام سليم قد جاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت الله ورسوله اعلم فانطلق ابو طلحة حتى لقي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو طلحة معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هلمي يا ام سليم ما عندك فاتت بذلك الخبز فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت ام سليم
عكة فادمته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله ان يقول ثم قال ائذن

لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال
ائذن لعشرة فأكل القوم كلهم حتى شبعوا ثم لعشرة فأكل القوم وشبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا رواه البخاري ومسلم
والمراد بالمسجد هنا الموضع الذي أعده النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه حين محاصرة الأحزاب للمدينة في غزوة الخندق
وفي رواية لمسلم أنه قال ائذن لعشرة فدخلوا فقال كلوا وسموا الله فأكلوا حتى فعل ذلك بثمانين رجلا
ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم وأهل البيت وترك سؤرا أي بقية وهو بالهمز وفي رواية للبخاري قال أدخل علي
عشرة حتى عد أربعين ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم فجعلت أنظر هل نقص منها شيء وفي رواية يعقوب أدخل علي
ثمانية فما زال حتى دخل عليه ثمانون رجلا ثم دعاني ودعا أمي وأبا طلحة فأكلنا حتى شبعنا أمي وهذا يدل على تعدد القصة
فإن أكثر الروايات فيها أنه أدخلهم عشرة عشرة سوى هذه قاله الحافظ ابن حجر قال وظاهره أنه عليه السلام
دخل منزل أبي طلحة وحده وصرح بذلك في رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى ولفظه فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى الباب فقال لهم اقعدوا ودخل وفي رواية يعقوب عن أنس فقال أبو طلحة يا رسول الله إنما أرسلت أنسا يدعوك
وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من أرى وفي رواية عمرو بن عبد الله عن أنس فقال أبو طلحة إنما هو قرص فقال إن الله
سيبارك فيه قال العلماء وإنما أدخلهم عشرة عشرة والله أعلم لأنها كانت قصعة واحدة لا يمكن الجماعة الكثيرة أن
يقدروا على التناول منها مع قلة الطعام فجعلهم عشرة عشرة ليتناولوا من الأكل ولا يزدحموا وأما قوله عليه السلام
أرسلك أبو طلحة قلت نعم قال لطعام قلت نعم فقال لمن معه قوموا فظاهره أن النبي صلى الله عليه وسلم فهم أن أبا طلحة
استدعاه إلى منزله فلذلك قال لمن عنده قوموا وأول الكلام يقتضي أن أم سليم وأبا طلحة أرسلا الخبز مع أنس فيأخذه
النبي صلى الله عليه وسلم فيأكله فلما وصل أنس ورأى كثرة الناس حول النبي صلى الله عليه وسلم استحيا وظهر له أن يدعو
النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم معه وحده إلى المنزل فيحصل مقصودهم من إطعامه ويحتمل أن يكون ذلك عن رأي من
أرسله عهد إليه إذا رأى كثرة الناس أن يستدعي النبي صلى الله عليه وسلم وحده خشية أن لا يكفي ذلك النبي هو ومن
معه وقد عرفوا إيثاره عليه السلام وأنه لا يأكل وحده ووقع في رواية يعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس
عند أبي نعيم وأصله عند مسلم فقال لي أبو طلحة يا أنس اذهب فقم قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قام
فدعه حتى يتفرق عنه أصحابه ثم اتبعه حتى إذا قام على عتبة بابه فقل له إن أبي يدعوك وفيه فقال أبو طلحة يا رسول
الله إنما أرسلت أنسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من أرى فقال ادخل فإن الله سيبارك فيما عندك
وفي رواية مبارك بن فضالة فقال هل من سمن فقال أبو طلحة قد كان في العكة شيء فجاء بها فجعلا يعصرانها حتى خرج
ثم مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم القرص فانتفخ وقال بسم الله فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى رأيت القرص
في الجفنة يتسع وفي رواية النضر بن أنس فجئت بها ففتح رباطها ثم قال بسم الله اللهم أعظم فيها البركة وعرف بهذا
المراد بقوله فقال فيها ما شاء الله أن يقول وفي رواية أنس عند أحمد أن أبا طلحة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
طاويا وعند أبي يعلى من طريق محمد بن سيرين عن أنس أن أبا طلحة بلغه أنه ليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
طعام فآجر نفسه بصاع من شعير فعمل بقية يومه ذلك ثم جاء به الحديث وفي رواية عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة
عند مسلم وأبي يعلى قال رأى أبو طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا يتقلب بطنا لظهر وفي رواية يعقوب
ابن عبد الله بن أبي طلحة عند مسلم أيضا عن أنس قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته جالسا مع أصحابه
يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة فسألت بعض أصحابه فقال من الجوع فذهبت إلى أبي طلحة فأخبرته فدخل على أم سليم
فقال أعندك شيء فإني مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرئ أصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على
بطنه حجرا وعن أبي هريرة قال لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقال عمر يا رسول الله ادعهم بفضل أزوادهم
ثم ادع الله لهم عليها بالبركة فقال نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ويجيء الآخر

بكسرة

بكسرة من شعير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم فأخذوا في أوعيتهم حتى ما
تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه قال فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا
إله إلا الله وأشهد أني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة رواه مسلم وعن أنس قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب فعمدت أمي أم سليم إلى تمر وسمن وأقط فصنعت حيسا فجعلته
في تور فقالت يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا إليك أمي وهي تقرئك السلام
فقال صلى الله عليه وسلم ضعه ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا رجالا سماهم وادع لي من لقيت فدعوت من سمى
ومن لقيت فرجعت فإذا البيت غاص بأهله قيل لأنس عدد كم كانوا قال زهاء ثلاثمائة فرأيت النبي صلى الله عليه
وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله
وليأكل كل رجل مما يليه قال فأكلوا حتى شبعوا فخرجت طائفة حتى أكلوا كلهم قال لي يا أنس ارفع فرفعت فما أدري حين
وضعت كان أكثر أم حين رفعت رواه البخاري ومسلم وعن جابر أن أم مالك كانت تهدي للنبي صلى الله عليه وسلم
في عكة لها سمنا فيأتيها بنوها فيسألون الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي صلى الله عليه
وسلم فتجد فيه سمنا فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال عصرتيها قالت نعم قال
لو تركتيها ما زال قائما رواه مسلم وعنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق من شعير
فما زال يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال لو لم تكله لأكلتم منه ولقام
لكم رواه مسلم أيضا والحكمة في ذهاب بركته حين عصرت العكة وأصل الشعير حين كاله أن عصرها
وكيله مضاد للتسليم والتوكل على رزق الله تعالى ويتضمن التدبير والأخذ بالحول والقوة وتكلف الإحاطة بأسرار
حكم الله وفضله فعوقب فاعله بزواله قاله النووي وعن أبي العلاء عن سمرة بن جندب قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قلنا فما كانت تمد قال من أي شيء تعجب ما كانت تمد
إلا من ههنا وأشار بيده إلى السماء رواه الترمذي والدارمي وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بقصعة فيها ثريد فتعاقبوها
من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون فقال رجل لسمرة هل كانت تمد قال فما كانت تمد إلا من ههنا وأشار إلى
السماء رواه الدارمي وابن أبي شيبة والترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه وأبو نعيم وفي حديث عبد الرحمن بن أبي بكر
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر الحديث أنه عجن صاع وصنعت شاة فشوي سواد بطنها ثم جعل منها
قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير رواه البخاري وعن أبي هريرة قال أمرني رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن أدعو أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها
حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع رواه ابن أبي شيبة والطبراني وأبو نعيم وعن علي بن أبي طالب جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي
كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب منه رواه في الشفاء

ومن ذلك إبراء ذوي العاهات وإحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان وشهادتهم له بالنبوة

روى البيهقي في الدلائل عن ... أنه صلى الله عليه وسلم
دعا رجلا إلى الإسلام فقال لا أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال صلى الله عليه وسلم أرني قبرها فأراه إياه فقال صلى الله عليه
وسلم يا فلانة فقالت لبيك وسعديك فقال صلى الله عليه وسلم أتحبين أن ترجعي إلى الدنيا فقالت لا والله يا رسول
الله إني وجدت الله خيرا لي من أبوي ووجدت الآخرة خيرا لي من الدنيا وروى الطبراني عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم
نزل الحجون كئيبا حزينا فأقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا قال سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي
ثم ردها وكذا روي من حديث عائشة أيضا إحياء أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به أورده السهيلي وكذا الخطيب
في السابق واللاحق وقال السهيلي إن في إسناده مجاهيل وقال ابن كثير إنه منكر جدا وتقدم البحث في ذلك في أوائل المقصد

الأول وعن أنس أن شابا من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا
نعم قالت اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة
فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا رواه ابن عدي وابن أبي الدنيا والبيهقي وأبو نعيم وعن
النعمان بن بشير قال كان زيد بن خارجة من سروات الأنصار فبينا هو يمشي في طريق من طرق المدينة بين الظهر
والعصر إذ خر فتوفي فأعلمت به الأنصار فأتوه فاحتملوه إلى بيته فسجوه كساء وبردين وفي البيت نساء من الأنصار
يبكين عليه ورجال من رجالهم فمكث على حاله حتى إذا كان بين المغرب والعشاء الآخرة سمعوا صوتا قائلا يقول أنصتوا
فنظروا فإذا الصوت من تحت الثياب فحسروا عن وجهه وصدره فإذا القائل يقول على لسانه محمد رسول الله
النبي الأمي خاتم النبيين لا نبي بعده كان ذلك في الكتاب الأول ثم قال صدق صدق ثم قال هذا رسول الله السلام عليك
يا رسول الله ورحمة الله وبركاته رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت وعن سعيد بن المسيب أن رجلا
من الأنصار توفي فلما كفن أتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله خرجه أبو بكر بن الضحاك وأخرج أبو نعيم أن
جابرا ذبح شاة وطبخها وثرد في جفنة وأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل القوم وكان صلى الله عليه وسلم
يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما ثم إنه صلى الله عليه وسلم جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فإذا الشاة قد
قامت تنفض أذنيها كذا رواه والله أعلم وعن معيقيب اليمامي قال حججت حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرأيت فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت منه عجبا جاءه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا غلام من أنا قال أنت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم إن الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى
شب فكنا نسميه مبارك اليمامة وعن محمد بن عطية أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال
من أنا قال رسول الله رواه البيهقي وعن ابن عباس قال إن امرأة جاءت بابن لها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله إن ابني به جنون وإنه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره
فثع ثعة وخرج من جوفه مثل الجرو الأسود يسعى رواه الدارمي وقوله ثع يعني قاء وأصيب يوم أحد عين قتادة بن
النعمان حتى وقعت على وجنته فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن لي امرأة أحبها وأخشى إن رأتني
تقذرني فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها إلى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت أحسن
عينيه وأحدهما نظرا وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى ولقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر من أنت
فقال:
أنا ابن الذي سالت على الخد عينه ... فردت بكف المصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد
فوصله عمر وأحسن جائزته قال السهيلي وروى محمد بن أبي عثمان عن مالك بن
أنس عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد عن أخيه قتادة بن النعمان قال أصيبت عيناي يوم أحد فسقطتا
على وجنتي فأتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطني هذا حديث
غريب عن مالك تفرد به عمار بن نصر وهو ثقة ورواه الدارقطني عن إبراهيم الحربي عن عمار بن نصر وخرج الطبراني وأبو
نعيم عن قتادة قال كنت يوم أحد أتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت
منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة
كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا وفي البخاري في غزوة خيبر أنه صلى الله عليه وسلم قال
أين علي بن أبي طالب فقالوا يا رسول الله يشتكي عينيه قال فأرسلوا إليه فأتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع وعند الطبراني من حديث علي فما رمدت ولا صدعت منذ دفع إلي رسول
الله صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وفي رواية مسلم من طريق إياس بن سلمة عن أبيه قال فأرسلني النبي صلى الله عليه وسلم
إلى علي فجئت به أقوده أرمد فبصق في عينيه فبرأ وعند الحاكم من حديث علي أن النبي صلى الله عليه وسلم تفل في عيني

بصق

بصق في راحته فدلك بهما عيني وعند الطبراني فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لي صلى الله عليه وسلم
فقال اللهم أذهب عنه الحر والقر قال فما اشتكيتهما حتى يومي هذا وأصيب سلمة يوم خيبر أيضا بضربة في
ساقه فنفث فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكاها قط رواه البخاري ونفث في عيني فديك
وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيئا وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط في الإبرة وإنه لابن ثمانين سنة
وإن عينيه لمبيضتان رواه ابن أبي شيبة والبغوي والبيهقي والطبراني وأبو نعيم

الفصل الثاني

فيما اختصه الله تعالى به من المعجزات وشرفه به على سائر الأنبياء من الكرامات والآيات البينات اعلم
نور الله قلبي وقلبك وقدس سري وسرك أن الله تعالى قد خص نبينا صلى الله عليه وسلم بأشياء لم يعطها نبيا قبله
وما خص نبي بشيء إلا وقد كان لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثله فإنه أوتي جوامع الكلم وكان نبيا وآدم بين
الروح والجسد وغيره من الأنبياء لم يكن نبيا إلا في حال نبوته وزمان رسالته ولما أعطي هذه المنزلة علمنا أنه
الممد لكل إنسان كامل مبعوث ومن أحسن الله الأديب شرف الدين الأبوصيري فلقد أحسن حيث قال:
وكل آي أتى الرسل الكرام بها ... فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها ... يظهرن أنوارها للناس في الظلم
يعني أن كل معجزة أتى بها كل واحد من الرسل فإنما اتصلت بكل واحد منهم من نور محمد صلى الله عليه وسلم وما
أحسن قوله فإنما اتصلت من نوره بهم فإنه يعطي أن نوره صلى الله عليه وسلم لم يزل ثابتا ولم ينقص منه شيء
ولو قال فإنما هي من نوره لتوهم أنه وزع عليهم وقد لا يبقى له منه شيء وإنما كانت آيات كل واحد من نوره لأنه
شمس فضل هم كواكب تلك الشمس يظهرن أي تلك الكواكب أنوار تلك الشمس للناس في الظلم فالكواكب ليست مضيئة
بالذات وإنما هي مستمدة من الشمس فهي عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فكذلك الأنبياء قبل وجوده عليه
السلام كانوا يظهرون فضله فجميع ما ظهر على أيدي الرسل عليهم السلام سواء من الأنوار فإنما هو من نوره
الفائض ومدده الواسع من غير أن ينقص منه شيء وأول ما ظهر ذلك في آدم عليه السلام حيث جعله
الله تعالى خليفة وأمده بالأسماء كلها من مقام جوامع الكلم التي لمحمد صلى الله عليه وسلم فظهر بعلم الأسماء كلها
على الملائكة القائلين أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ثم توالت الخلائف في الأرض إلى أن وصل الزمان إلى
وجود صورة جسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لإظهار حكم منزلته فلما برز كان كالشمس اندرج في نورها كل
نور وانطوى تحت منشور رايته كل آية لغيره من الأنبياء ودخلت الرسالات كلها في صلب نبوته والنبوات
كلها تحت لواء رسالته فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة إلا وقد أعطي صلى الله عليه وسلم مثلها فآدم عليه
السلام أعطي أن الله تعالى خلقه بيده وأعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شرح صدره فتولى الله تعالى شرح
صدره بنفسه وخلق فيه الإيمان والحكمة وهو الخلق النبوي فتولى من آدم الخلق الوجودي ومن سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم الخلق النبوي مع أن المقصود من خلق آدم خلق نبينا في صلبه فسيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم المقصود وآدم الوسيلة والمقصود سابق على الوسيلة وأما سجود الملائكة لآدم فقال الإمام فخر
الدين الرازي في تفسيره إن الملائكة أمروا بالسجود لآدم لأجل أن نور محمد صلى الله عليه وسلم كان في جبهته
ولله در القائل:
تجلى جلال الله في وجه آدم ... فصلى له الأملاك حين توسل
وعن علماء الوعظ فيما حكاه الفاكهاني سمعت الإمام سهل بن محمد يقول هذا التشريف الذي شرف
الله تعالى به محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية أتم وأجمع من تشريف
آدم عليه السلام بأمر الملائكة له بالسجود لأنه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة في ذلك التشريف وتشريف
يصدر عنه أبلغ من تشريف تختص به الملائكة انتهى قال بعضهم وأما تعليم آدم أسماء كل شيء فأخرج الديلمي في
مسند الفردوس من حديث أبي رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلت لي أمتي في الماء والطين وعلمت

فسئل ما أصابه فقال كنت أمرن جملا فوقعت رجلي على بيض حية رواه ابن أبي شيبة كذا في حياة الحيوان للدميري

قال العلامة ابن مرزوق صح

الاسماء كلها كما علم ادم الاسماء كلها فكما ان ادم علم اسماء العلوم كلها كذلك نبينا صلى الله عليه وسلم
وزاد عليه واصل الله صلاته وسلامه عليه بعلم ذواتها ولله در الابوصيري حيث قال
لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لادم الاسماء ولا ريب ان المسميات اعلى رتبة من الاسماء
لان الاسماء يؤتى بها لتبيين المسميات فهي المقصودة بالذات واليه الاشارة بقوله ذات العلوم والاسماء
مقصودة لغيرها فهي دونها فتفضل العالم بحسب فضل معلومه واما ادريس عليه السلام فرفعه الله تعالى
مكانا عليا فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المعراج ورفع الى مكان لم يرفع اليه غيره واما نوح عليه
السلام فنجاه الله تعالى ومن امن معه من الغرق ونجاه من الخسف فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
انه لم تهلك امته بعذاب من السماء قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واما قول الفخر الرازي
في تفسيره اكرم الله تعالى نوحا بان امسك سفينته على الماء وفعل محمد صلى الله عليه وسلم اعظم منه روي انه
صلى الله عليه وسلم كان على شط ماء ومعه عكرمة بن ابي جهل فقال ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذي
في الجانب الاخر فليسبح ولا يغرق فاشار اليه عليه السلام فانقلع الحجر من مكانه وسبح حتى صار بين يدي
الرسول وشهد له بالرسالة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يكفيك هذا فقال حتى يرجع الى مكانه فامره
فرجع والله اعلم بحاله واما ابرهيم الخليل عليه الصلوة والسلام فكانت عليه نار نمرود بردا وسلاما فاعطي
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نظير ذلك اطفاء نار الحرب عنه عليه السلام وناهيك بنار حطبها السيوف
ووهجها الحتوف وموقدها الحسد ومطلبها الروح والجسد قال الله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها
الله فكم ارادوا ان يطفئوا النور بالنار وابى الجبار الا ان يتم نوره وان يخمد شرر وهو محمد عليه
السلام شروره وظهوره وذكر انه عليه السلام مر ليلة المعراج على بحر النار الذي دون السماء الدنيا مع
سلامته منه كما روي مما نسبه لبعض الكتب وروى النسائي ان محمد بن حاطب قال كنت طفلا فانصبت
القدر علي واحترق جلدي كله فحملني ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل عليه السلام في جلدي ومسح بيده
على المحترق وقال اذهب الباس رب الناس فصرت صحيحا لا باس بي واما ما اعطيه ابرهيم عليه السلام من
مقام الخلة فقد اعطيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وزاد بمقام المحبة وقد روي في حديث الشفاعة
الخليل ابرهيم عليه السلام اذا قيل له اتخذك الله خليلا فاشفع لنا قال انما كنت خليلا من وراء وراء
اذهبوا الى غيري الى ان تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول انا لها انا لها وهذا يدل على ان
نبينا عليه السلام كان خليلا مع رفع الحجاب وكشف الغطا ولو كان خليلا من وراء الحجاب لاعتذر كما اعتذر ابرهيم
وفيه تنبيه ظاهر على انه عليه السلام فاز برؤية الحق سبحانه وكشف له الغطا حتى راى الحق بعيني راسه
كما سياتي في المبعث ان شاء الله تعالى في المقصد الخامس والحظ من هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم نال
درجة الخلة التي شهرت لابرهيم عليه السلام على وجه نطق ابرهيم بان نصيب سيدنا محمد عليه السلام
منه الاعلى فقوله عن نفسه انما كنت خليلا من وراء وراء فلم يشفع فيه دليل على انه انما يشفع من كان
خليلا لا من وراء وراء بل مع الكشف والعيان وقرب المكانة من حظيرة القدس والمكان وذلك مقام محمد
عليه السلام بالدليل والبرهان ومما اعطيه ابرهيم عليه السلام انفراده في اهل الارض بعبادة الله وتوحيده
والاستخفاف بالاصنام بالكسر والقسر فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كسرها باسرها بالمخصر من اولى
نصرها بقضيب لين لا بما يكسره بقوة باسه وسادة العصبة الجبارية لها بالاعاين من الفاس وما عول
على المعول ولا تعرض في القول ولا تمرض في الصول بل قال جهرا عن تبصر وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل
كان زهوقا ومما اعطيه الخليل عليه السلام بنا البيت الحرام ولا خفاء ان البيت جسد وروحه الحجر

الاسود

الاسود بل هو سويدا القلب بل جاء انه يمين الرب كناية عن استلامه كما تستلم الايمان عند عقد العهود والايمان
وما اعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان قريشا لما بنت البيت بعد هدمه ولم يبق الا وضع الحجر تنافسوا
على الفخر الفخم والمجد الضخم ثم اتفقوا على ان يحكموا اول داخل فكان دخول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا
هذا الامين فحكموه في ذلك فامر ببسط ثوب ووضع الحجر فيه ثم امر من كل بطن بطرف فرفعوه جميعا ثم
اخذه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فوضعه في موضعه فادخر الله تعالى له ذلك المقام ليكون منقبة له على
مدى الايام واما ما اعطيه موسى عليه السلام من قلب العصا حية عن باطنه فاعطي سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم حنين الجذع وقد تقدمت قصته وحكى الامام الرازي في تفسيره وغيره انه لما اراد ابو جهل
ان يرميه عليه السلام بالحجر راى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا واما ما اعطيه موسى عليه السلام
ايضا من اليد البيضا وكان بياضها يغشي البصر فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه لم يزل نورا ينتقل
في اصلاب الاباء وبطون الامهات من لدن ادم الى ان انتقل الى عبد الله ابيه واعطي صلى الله عليه وسلم
قتادة بن النعمان وصلى معه العشا في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين
يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق
فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج رواه ابو نعيم واخرج البيهقي وصححه الحاكم عن
انس قال كان عباد بن بشر واسيد بن حضير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة حتى ذهب من الليل
ساعة وهي ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا بيد كل واحد منهما عصى فاضاءت لهما عصا احدهما فمشيا
في ضوءها حتى اذا افترقت بهما الطريق اضاءت للاخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ اهله
واخرج البخاري في تاريخه والبيهقي وابو نعيم عن حمزة الاسلمي قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فتفرقنا
في ليلة ظلما فاضاءت اصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وان اصابعي لتنير ومما اعطيه موسى
عليه السلام ايضا انفراق البحر له اعطي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر كما تقدم فموسى تصرف في
عالم الارض وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تصرف في عالم السماء والفرق بينهما واضح وقال ابن المنير وذكر
ابن حبيب ان بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف تكون بحور الارض بالنسبة اليه كالقطرة من البحر المحيط قال
فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم حتى جاوزه ليلة الاسرا قال وهو اعظم من انفلاق
البحر لموسى عليهما السلام ومما اعطي عليه السلام اجابة دعائه اعطي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا
يحصى ومما اعطيه موسى عليه السلام تفجر الماء له من الحجارة فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان الماء تفجر
من بين اصابعه وهذا ابلغ لان الحجر من جنس الارض التي ينبع منها الماء ولم تجر العادة بنبع الماء من اللحم والدم قال الله
وكل معجزة للرسل قد سلفت وانى بالعجب منها عند اظهار وما العصى حية تسعى باعجب من
شكوى البعير ولا من مشي اشجار ولا انفجار معين الماء من حجر اشد من سلسل من كفه جار
ومما اعطيه موسى عليه السلام الكلام اعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسرا وزيادة الدنو
وايضا كان مقام المناجاة في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فوق السموات العلى وسدرة المنتهى والمستوى
وحجب النور والرفرف ومقام المناجاة لموسى عليه السلام طور سينا ومما اعطيه هرون عليه السلام
من فصاحة اللسان فلقد كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة بالمحل الافضل والموضع
الذي لا يجهل ولقد قال له بعض اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما نزل القران
بلساني لسان عربي مبين وقد كانت فصاحة هرون عليه السلام في العبرانية والعربية افصح منها وهل كانت
فصاحة هرون معجزة ام لا قال ابن المنير الظاهر انها لم تكن معجزة ولكن فضيلة ولم يتحد بها من الانبياء بالفصاحة

الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لان هذه الخصوصية لا تكون لغير الكتاب العزيز وهل فصاحته عليه
السلام في جوامع الكلم التي ليست من التلاوة وكلها معدودة من السنة هل تحدى بها ام لا وظاهر
قوله عليه السلام اوتيت جوامع الكلم انه من التحدث بنعمة الله عليه وخصايصه ولا خلاف انها باعتبار
ما اشتملت عليه من الاخبار بالمغيبات ونحوها معجز واما ما اعطيه يوسف عليه السلام من شطر الحسن
فاعطي نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله وستاتي الاشارة الى ذلك ان شا الله تعالى في مقصد الاسما
ومن تامل ما نقلته في صفته عليه الصلوة والسلام تبين له من ذلك التفضيل على كل مشهور بالحسن
وكل جميل واما ما اعطيه يوسف الصديق من تعبير الرويا فالذي نقل عنه من ذلك ثلث منامات احدها
حين راى احد عشر كوكبا والشمس والقمر والثاني منام صاحبي السجن والثالث منام الملك واما ما اعطي
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك مما لا يدخله الحصر ومن تتبع الاخبار وتتبع الاثار وجد من ذلك العجب
العجاب وسياتي بعضه من ذلك ان شا الله تعالى واما ما اعطيه داود عليه السلام من تليين الحديد
له فكان اذا مسح الحديد لان فاعطي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر بين يديه واورق
ومسح صلى الله عليه وسلم شاة ام معبد الجربا فدرت واما ما اعطيه سليمن عليه السلام من كلام
الطير وتسخير الشياطين والريح والملك الذي لم يعطه احد من بعده فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
مثل ذلك وزيادة اما كلام الطير والوحش فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كلمه الحجر وسبح في كفه الحصى وهو
جماد وكلمه ذراع الشاة المسمومة كما تقدم في غزوة خيبر وكذلك كلمه الظبي وشكى اليه البعير كما تقدم وروي
ان طيرا فجع بولده فجعل يرفرف على راسه صلى الله عليه وسلم ويكلمه فيقول ايكم فجع هذا بولده فقال رجل انا
فقال اردد ولده ذكره الرازي ورواه ابو داود ولفظه كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته فراينا
حمرة معها فرخان فاخذنا فرخيها فجات الحمرة فجعلت تعرش فجا النبي صلى الله عليه وسلم فقال
من فجع هذه بولدها ردوا اليها ولدها الحديث وقصة كلام الذيب مشهورة واما الريح التي كانت غدوها
شهر ورواحها شهر تحمله اين اراد من اقطار الارض فقد اعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم البراق الذي هو اسرع
من الريح بل اسرع من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش في ساعة زمانية واقل مسافة ذلك سبعة
الاف سنة وتلك مسافة السموات واما الى المستوى والى الرفرف فذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى وايضا فالريح
سخرت لسليمن لتحمله الى نواحي الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض اي جمعت حتى راى مشارقها
ومغاربها وفرق بين من يسعى الى الارض وبين من تسعى له الارض واما ما اعطيه من تسخير الشياطين فقد روي
ان ابا الشياطين ابليس اعترض سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فامكنه الله منه وربطه بسارية
من سواري المسجد وخير مما اوتيه سليمن من ذلك ايمان الجن بمحمد صلى الله عليه وسلم فسليمن استخدمهم ومحمد
صلى الله عليه وسلم استسلمهم واما عد الجن من جنود سليمن في قوله تعالى وحشر لسليمن جنوده من الجن
فخير منه عد الملايكة جبريل ومن معه في جملة اجناده عليه السلام باعتبار الجهاد وباعتبار تكثير السواد
على طريقة الاجناد واما عد الطير من جملة اجناده فتعوض عنه حمامة الغار وتوكرها في اتساعه الواحدة
وحمايتها له من عدوه والغرض من استكثار الجند انما هو الحماية وقد حصلت من اعظم شي بايسر شي واما
ما اعطيه من الملك فنبينا صلى الله عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار صلى الله عليه وسلم
ان يكون نبيا عبدا ولله در القايل ... يا خير عبد على كل الملوك ولي واما ما اعطيه عيسى عليه
السلام من ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه رد العين الى مكانها بعد ما
سقطت فعادت احسن ما كانت وروي ان امراة معاذ بن عفرا وكانت برصا فشكت ذلك الى رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم فمسح عليها بعصى فاذهب الله البرص ومنها ذكره الرازي في دلايل النبوة للبيهقي قصة الرجل الذي
قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا اومن بك حتى تحيي لي ابنتي وفيه انه صلى الله عليه وسلم اتى قبرها فقال يا فلانة فقالت
لبيك يا رسول الله الحديث والله اعلم وايضا فقد سبح الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم وحن الجذع لفراقه وذلك ابلغ من
تكلم الموتى لان ذلك من جنس ما لا يتكلم واما ما اعطيه عيسى ايضا من انه كان يعرف ما تخفيه الناس في بيوتهم
فقد اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يحصى وسياتي من ذلك ان شا الله تعالى ما يكفي ويشفي واما ما
اعطيه عيسى عليه السلام ايضا من رفعه الى السما فقد اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك ليلة المعراج وزاد في الترقي
لرفيع الدرجات وسماع المناجاة والحظوة في الحضرة المقدسة بالمشاهدات وبالجملة فقد خص الله تعالى سيدنا
محمدا صلى الله عليه وسلم من خصايص الكرامات بما لم يعطه احدا من الانبيا عليهم الصلوة والتسليم وقد روى جابر عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل
احمر واسود واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة
فليصل حيث كان ونصرت بالرعب مسيرة شهر واعطيت الشفاعة رواه البخاري وفي رواية وبعثت الى الناس كافة
وزاد البخاري في رواية في الصلاة عن محمد بن سنان من الانبيا وعند الامام احمد اعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي
ولا اقوله فخرا وفيه واعطيت الشفاعة فاخرتها لامتي فهي لمن لا يشرك بالله شيا واسناده كما قال ابن كثير جيد
وليس المراد حصر خصايصه صلى الله عليه وسلم في هذه الخمسة المذكورة فقد روى مسلم من حديث ابي هريرة مرفوعا
فضلت على الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا وارسلت الى
الخلق كافة وختم بي النبيون فذكر الخمسة المذكورة في حديث جابر الا الشفاعة وزاد خصلتين وهما واعطيت
جوامع الكلم وختم بي النبيون فتحصل منه ومن حديث جابر سبع خصال ولمسلم ايضا من حديث حذيفة فضلنا
على الناس بثلث جعلت صفوفنا كصفوف الملايكة وذكر خصلة الارض كما تقدم قال وذكر خصلة اخرى وهذه الخصلة
المبهمة بينها ابن خزيمة والنسايي وهي واعطيت هذه الايات من اخر سورة البقرة من كنز تحت العرش يشير الى
ما حطه الله تعالى عن امته من الاصر وتحميل ما لا طاقة لهم به ورفع الخطا والنسيان فصارت الخصال تسعا ولاحمد
من حديث علي اعطيت اربعا لم يعطهن احد من انبيا الله تعالى اعطيت مفاتيح الارض وسميت احمد وجعلت امتي
خير الامم وذكر خصلة التراب فصارت الخصال اثني عشرة خصلة وعند البزار من وجه اخر عن ابي هريرة رفعه
فضلت على الانبيا غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر وجعلت امتي خير الامم واعطيت الكوثر وان صاحبكم
لصاحب لوا الحمد يوم القيمة تحته ادم فمن دونه وذكر ثنتين مما تقدم وله من حديث ابن عباس رفعه فضلت
على الانبيا بخصلتين كان شيطاني كافرا فاعانني الله عليه فاسلم قال ونسيت الاخرى فينتظم من هذا سبع عشرة خصلة ويمكن
ان يوجد اكثر من ذلك لمن امعن التتبع وقد ذكر ابو سعيد النيسابوري في كتاب شرف المصطفى ان عدد الذي
اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم عن الانبيا ستون خصلة وفي بعض الحواشي يقال لعله عليه السلام اطلع اولا على بعض ما اختص به
ثم اطلع على الباقي ومن لا يرى مفهوم العدد حجة يدفع هذا الاشكال من اصله وذكر بعض العلما انه صلى الله عليه وسلم
اوتي ثلاثة الاف معجزة وخصيصة وقد اختلف في العلم بخصايصه صلى الله عليه وسلم فقال الصيمري منع
ابو علي بن خيران الكلام فيها لانه امر انقضى لا معنى للكلام فيه وقال امام الحرمين قال
المحققون ذكر الاختلاف في مسايل الخصايص خبط غير مفيد فانه لا يتعلق به حكم ناجز تمس اليه حاجة وانما يجري
الخلاف فيما لا يوجد بد من اثبات حكم فيه فان الاقيسة لا مجال لها والاحكام الخاصة تتبع فيها النصوص وما لا نص
فيه فالخلاف فيه هجوم على الغيب من غير فايدة وقال النووي في الروضة والتهذيب بعد نقله هذين الكلامين
وقال ساير الاصحاب لا باس به وهو الصحيح لما فيه من زيادة العلم فهذا كلام الاصحاب والصواب الجزم

بجواز ذلك بل باستحبابه ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيداً لأنه ربما رأى جاهل بعض الخصائص ثابتاً في الحديث الصحيح
فعمل به أخذاً بأصل التأسي فوجب بيانها لتعرف فلا يعمل بها وأي فائدة أهم من هذه وأما ما يقع في ضمن الخصائص
مما لا فائدة فيه اليوم فقليل لا تخلو أبواب الفقه عن مثله للتدريب ومعرفة الأدلة وتحقيق الشيء على ما هو عليه
انتهى كلام النووي. فصل. فيما شرفه الله تعالى به بين الأنبياء من الخصائص والآيات وأكرمه به من الفضائل
والكرامات. من كتب العلماء كالخصائص لابن سبع وخصائص الروضة للنووي ومختصرها للحجازي وشرح الحاوي
لابن الملقن وشرح البهجة لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري واللفظ المكرم في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم
للشيخ قطب الدين الخيضري واستمددت منه كثيراً في فصل المعجزات مع ما أثبته أثناء المطالعة من فتح الباري وشرح
مسلم للنووي وشرح تقريب الأسانيد للعراقي وغير ذلك مما يطول ذكره فتحصل من ذلك جملة وقد قسمها غير
واحد من الأئمة أربعة أقسام. الأول ما اختص به صلى الله عليه وسلم من الواجبات والحكمة في ذلك زيادة
الزلفى والدرجات فإنه لن يتقرب المتقربون إلى الله تعالى بمثل أداء ما افترض عليهم. قال بعضهم خص الله تعالى
نبيه عليه السلام بواجبات عليه لعلمه بأنه أقوم بها منهم وقيل ليجعل أجره بها أعظم. فخص صلى الله عليه وسلم
بوجوب الضحى على المذهب لكن قول عائشة في الصحيح ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح سبحة الضحى يدل
على ضعف أنها كانت واجبة عليه. قال الحافظ ابن حجر ولم يثبت ذلك في خبر صحيح انتهى وسيأتي مزيد لذلك إن
شاء الله تعالى في ذكر صلاة الضحى من مقصد عباداته عليه السلام. وهل كان الواجب عليه أقل الضحى وأكثرها
أو أدنى الكمال قال الحجازي لا نقل فيه لكن في مسند أحمد أمرت بركعتي الضحى ولم تؤمروا بها. ومنها الوتر وركعتا الفجر
وركعتا الضحى قاله بعضهم وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم صلى الوتر على الراحلة قالوا فلو كان واجباً ما جاز فعله على
الراحلة. وتعقب بأن فعله على الراحلة من خصائصه أيضاً كما سيأتي في خصائصه عليه السلام من المباحات
إن شاء الله تعالى. وهل كان الواجب عليه أقل الوتر أم أكثره أم أدنى الكمال قال الحجازي لم أر فيه نقلاً والله أعلم.
ومنها صلاة الليل قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك أي فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة أو
فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك. ومنها السواك واستدل لوجوبه بما رواه أبو داود من حديث عبد الله بن
حنظلة بن أبي عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالوضوء عند كل صلاة طاهراً وغير طاهر فلما شق
ذلك عليه أمر بالسواك لكل صلاة. وفي إسناده محمد بن إسحق وقد رواه بالعنعنة وهو مدلس. وحجة من لم يجعله
واجباً عليه ما رواه ابن ماجه في سننه من حديث أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جاءني جبريل
إلا أوصاني بالسواك حتى خشيت أن يفرض علي وعلى أمتي وإسناده ضعيف. وروى أحمد في المسند من حديث
واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت بالسواك حتى خشيت أن يكتب علي. وإسناده
حسن والخصائص لا تثبت إلا بدليل صحيح قاله في شرح تقريب الأسانيد. ومنها الأضحية قال الله تعالى فصل
لربك وانحر وروى الدارقطني والحاكم عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن علي فرائض وهن لكم تطوع
النحر والوتر وركعتا الفجر. ومنها المشاورة قال الله تعالى وشاورهم في الأمر فظاهره الإيجاب وقيل إنما أمر بها
استمالة للقلوب ورفعاً واستخراج آرائهم. ونقل البيهقي في معرفة السنن والآثار عن النص أن المشورة غير واجبة
عليه كما نبه عليه الحجازي وغيره. واختلف في المعنى الذي لأجله أمر الله تعالى نبيه عليه السلام بالمشاورة مع كمال
عقله وجزالة رأيه وتتابع الوحي عليه ووجوب طاعته على أمته فقال بعضهم هو خاص في المعنى وإن كان عاماً في
اللفظ أي وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد يدل عليه قراءة ابن عباس وشاورهم في بعض الأمر. قال
الكلبي يعني ناظرهم في لقاء العدو ومكايد الحرب عند الغزو. وقال قتادة ومقاتل كانت سادات العرب إذا
لم يشاوروا في الأمر شق عليهم فأمر الله نبيه عليه السلام أن يشاورهم فإن ذلك أعطف لهم وأذهب لأضغانهم

والطيب

والطيب لنفوسهم. وقال الحسن قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده. وحكى
القاضي أبو يعلى في الذي أمر بالمشاورة فيه قولان أحدهما في أمر الدنيا خاصة والثاني في أمر الدين والدنيا
وهو الأصح. قاله العلائي في تفسيره. والحكمة في المشاورة في الدين التنبيه لهم على علل الأحكام وطريق
الاجتهاد. وأخرج ابن عدي والبيهقي في الشعب عن ابن عباس قال لما نزلت وشاورهم في الأمر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لأمتي. وعند الترمذي الحكيم من حديث
عائشة مرفوعاً إن الله أمرني بمداراة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض. ومنها مصابرة العدو وإن كثر عددهم.
ومنها تغيير المنكر إذا رآه لكن عبارة الحاوي كل مكلف تمكن من تغييره يلزمه فيقال المراد أنه لا يسقط عنه صلى الله عليه
وسلم للخوف بخلاف غيره. ومنها قضاء دين من مات معسراً لحديث مسلم أنا أولى بالمؤمنين من
أنفسهم فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ومن ترك مالاً فلورثته. قال النووي كان هذا القضاء واجباً
عليه صلى الله عليه وسلم وقيل تبرع منه والخلاف وجهان لأصحابنا وغيرهم. قال ومعنى الحديث أنه عليه السلام
قال أنا القائم بمصالحكم في حياة أحدكم وموته أنا وليه في الحالين فإن كان عليه دين قضيته من عندي إن لم يخلف
وفاء وإن كان له مال فلورثته لا آخذ منه شيئاً وإن خلف عيالاً محتاجين ضائعين فليأتوا إلي فعلي نفقتهم ومؤنتهم
انتهى. ومنها تخيير نسائه في فراقه وإمساكهن بعد أن اخترنه في أحد الوجهين وترك التزوج عليهن والتبدل
بهن مكافأة لهن ثم نسخ ذلك لتكون المنة له عليه السلام عليهن. قال الله تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك إن
كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الآية. واختلف في تخييره لهن على قولين أحدهما أنه خيرهن بين اختيار الدنيا
فيفارقهن واختيار الآخرة فيمسكهن ولم يخيرهن في الطلاق وهذا قول الحسن وقتادة. والثاني أنه خيرهن
بين الطلاق والمقام معه وهذا قول عائشة ومجاهد والشعبي ومقاتل. واختلفوا في السبب الذي لأجله خير
نساءه صلى الله عليه وسلم على أقوال أحدها أن الله تعالى خيره بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة على الدنيا فاختار الآخرة
وقال اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين فلما اختار ذلك أمره الله تعالى بتخيير نسائه
ليكن على مثل اختياره حكاه أبو القاسم الصيمري. الثاني لأنهن تغايرن عليه. والثالث لأن أزواجه طالبنه وكان
غير مستطيع فكان أولهن أم سلمة سألته ستراً معلماً وسألته ميمونة حلة يمانية وسألته زينب ثوباً مخططاً
وهو البرد اليماني وسألته أم حبيبة ثوباً سحولياً وسألته كل واحدة شيئاً إلا عائشة حكاه النقاش. والرابع
أن أزواجه عليه السلام اجتمعن يوماً فقلن نريد ما تريد النساء من الحلي فأنزل الله آية التخيير حكاه النقاش أيضاً
وذلك أنه لما نصر الله تعالى رسوله وفتح عليه قريظة والنضير ظن أزواجه أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم
فقعدن حوله وقلن يا رسول الله بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق وآلمن
قلبه بمطالبتهن له بتوسعة الحال وأن يعاملهن بما يعامل به الملوك والأكابر أزواجهم فأمره الله أن يتلو عليهن
ما نزل في أمرهن لئلا يكون لإحداهن منة عليه في الصبر على ما اختاره من خشونة العيش فلما اخترنه
وصبرن معه عوضهن الله تعالى على صبرهن بأمرين أحدهما أن جعلهن أمهات المؤمنين تعظيماً لحقهن وتأكيداً
لحرمتهن وتفضيلهن على سائر النساء بقوله لستن كأحد من النساء. والثاني أن حرم عليه طلاقهن والاستبدال
بهن فقال تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج الآية فكان تحريم طلاقهن مستداماً
وأما تحريم التزوج عليهن فنسخ قالت عائشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء يعني
اللاتي حظرن عليه. وقيل الناسخ لتحريمهن قوله تعالى إنا أحللنا لك أزواجك الآية. وقال البغوي في الروضة لما خيرهن
فاخترنه كافأهن الله على حسن صنيعهن بالجنة فقال فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً انتهى. وأما
اختصاصه صلى الله عليه وسلم بوجوب التخيير لنسائه بين التسريح والإمساك لأن الجمع بين [illegible]

بالفترة التي هي من اعظم الآلام وهو انه يكاد ينفر القلب ويوهن الاعتقاد وكذا الزاهق على العشر والقعود
ومما الذي يرام الامر ايهن حرج عن ان يكون خيرا بالفترة عن ذلك منصبه العالي وقيل له يا ايها النبي قل لازواجك
ومنها اتمام كل تطوع ~~حرج على ان يكون خيرا بالفترة عن ذلك منصبه العالي~~ شرع فيه حكاه في الروضة وعللها
قال النووي وهو ضعيف ونزعه بعض الاصحاب على انه كان يحرم عليه صلى الله عليه وسلم اذا لبس لامته
ان ينزعها حتى يلقى العدو ويقاتل ذكره في تهذيب الاسماء واللغات ومنها انه كان يلزمه اداء فرض الصلاة بلا خلل
قاله الماوردي قال العراقي في شرح المهذب انه كان معصوما عن نقص الفرض انتهى والمراد خلل لا يبطل الصلاة
وقال بعضهم كان يجب عليه صلى الله عليه وسلم اذا راى ما يعجبه ان يقول لبيك ان العيش عيش الآخرة قال
هذه كلمة صدرت منه صلى الله عليه وسلم في انعم حاله وهو حجه بعرفة وفي اشد حاله وهو يوم الخندق انتهى ومنها
انه كان يوخذ عن الدنيا حالة الوحي ولا يسقط عنه الصوم والصلاة وسائر الاحكام كما ذكر في زوائد الروضة
عن ابن القاص والقفال وكذا ذكره ابن سبع ومنها انه كان يغان على قلبه فيستغفر الله سبعين مرة ذكره ابن القاص
ونقله ابن الملقن في الخصائص وروى مسلم وابو داود من حديث الاغر المزني بلفظ انه ليغان على قلبي واني لاستغفر
الله في اليوم مائة مرة هذا لفظ مسلم وقال ابو داود في كل يوم قال الشيخ ولي الدين ابن العراقي والظاهر ان الجملة
الثانية مرتبة على الاولى وان سبب الاستغفار الغين ويدل لذلك قوله في رواية النسائي في عمل اليوم والليلة
انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله كل يوم مائة مرة وفي رواية له ايضا فاستغفر الله والفاظ الحديث المختلفة يفسر
بعضها بعضا ويحتمل من حيث اللفظ ان تكون الجملة الثانية كلاما مستانفا غير متعلقة بما قبله فيكون عليه السلام
اخبر بانه يغان على قلبه وبانه يستغفر الله في اليوم مائة مرة انتهى قال ابو عبيد اصل الغين في هذا ما يغشى القلب
ويغطيه واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره الغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية
كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس قال القاضي عياض بعد حكايته ذلك فيكون المراد بهذا
الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله
عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة
النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله
عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همته وتفرده
بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه راى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا
من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك قال وهذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنى
ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه
وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ انتهى وتعقب بانه لا ترضى نسبته صلى الله عليه وسلم
الى ذلك لما يلزم عليه من تفضيل الملائكة بعدم الفترة عن التسبيح والمشاهدة ولقوله صلى الله عليه وسلم لست
انسى ولكن انسى لاسن فهذه ليست فترة وانما هي حكمة مقصودة يثبت بها حكم شرعي فالاولى ان يحمل على ما جعله
علة فيه وهو ما دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل وحمل كل اعباء النبوة وهل انقالها
انتهى وقيل الغين شيء يعتري القلب مما يقع من حديث النفس قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر وهذا اشار اليه
الرافعي فيما نقله وقال ان والده كان يقرره وقيل كانت حالة لا يطلع فيها على احوال امته فيستغفر لهم
وقيل هو السكينة التي تغشى قلبه والاستغفار لاظهار العبودية لله والشكر لما اولاه وقال شيخ الاسلام ابن العراقي
ايضا هذه الجملة حالية اخبر عليه السلام انه يغان على قلبه مع ان حالة الاستغفار في اليوم مائة مرة وهي حال
مقدرة لان الغين ليس موجودا في حال الاستغفار بل اذا جاء الاستغفار اذهب ذلك الغين قال وعلى تقدير تعلق احد

الجملتين

الجملتين الاخرى وان الثانية مسببة عن الاولى فيحتمل ان يكون هذا الغين تغطية للقلب عن امور الدنيا وحجابا
بينه وبينها فيجمع القلب حينئذ على الله تعالى ويتفرغ للاستغفار شكرا وملازمة للعبودية قال وهذا معنى ما قاله القاضي
عياض انتهى ومراده قوله في الشفا وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ
شكرا لله وملازمة لعبوديته الى اخر كلامه قال الشيخ ابن العراقي وهو عندي كلام حسن جدا وتكون الجملة الثانية
مسببة عن الاولى لا بمعنى انه يسعى بالاستغفار لازالة الغين بل بمعنى ان الغين اصل محمود وهو الذي تسبب عنه الامر
وترتب عليه وهذا احسن الاقوال واحسنها لان الغين حينئذ وصف محمود وهو الذي نشا عنه الاستغفار قال وعلى الاول
يكون الغين بذلك واهل اللغة لم تفسر الغين بالغشاء فيحمل على غشاء يليق بحاله صلى الله عليه وسلم وهو الغشاء
الذي يصرف القلب ويحجبه عن امور الدنيا لا سيما وقد رتب على الغشاء امرا محمودا وهو الاستغفار فما نشا هذا الامر
الحسن الا عن حسن انتهى وذكر الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في كتابه لطائف المنن ان الشيخ ابا الحسن الشاذلي
قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فسالته عن هذا الحديث انه ليغان على قلبي فقال لي يا مبارك ذلك غين الانوار
لا غين الاغيار ه القسم الثاني ما اختص به صلى الله عليه وسلم مما حرم عليه فمنها تحريم الزكاة عليه وكذا الصدقة
على الصحيح المشهور المنصوص قال عليه السلام انا لا ناكل الصدقة رواه مسلم ومن قال باباحتها له يقول لا يلزم من امتناعه
من اكلها تحريمها فلعله ترك ذلك تنزها مع اباحته له وهذا خلاف ظاهر الحديث قال شيخ الاسلام ابن العراقي في شرح
التقريب ويحمل حال غيره انه من خصائصه عليه الصلاة والسلام الامتناع من اكل الصدقة اما وجوبا واما تنزها
انتهى والحكمة في ذلك صيانة منصبه الشريف عن اوساخ اموال الناس ومنها تحريم الزكاة على اله وتحريم كون اله
عمالا على الزكاة في الاصح وكذا تحريم صرف النذر والكفارة اليهم واما صدقة التطوع فتحل لهم في الاصح خلافا للمالكية وهو
وجه عندنا ومنها انه حرم عليه صلى الله عليه وسلم اكل ما له رائحة كريهة كثوم وبصل لتوقع مجيء الملائكة والوحي كل ساعة
والاكل متكئا في الحلال وجهين فيهما والاصح في الروضة كراهتهما وتعقب البلقيني الاتكاء فقال قد ذكر تحريمه جماعة من
المعتبرين وقد مر دليل لذلك ومنها تحريم الكتابة والشعر وانما يتجه القول بتحريمهما ممن يقول انه صلى الله عليه وسلم كان
يحسنهما والاصح انه كان لا يحسنهما قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وما علمناه الشعر وما
ينبغي له اي ما هو في طبعه ولا يحسنه ولا تقتضيه جبلته ولا يصلح له واجيب ان المراد تحريم التوصل اليهما وهل عدم
الشعر خاص به عليه السلام او يعم الانبياء قال بعضهم هو عام لقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له لانه لا تظهر فيه
للخصوص نكتة وتقدم في قصة الحديبية البحث في كونه عليه السلام هل كان يحسن الكتابة ام لا ومنها نزع لامته اذا
لبسها حتى يقاتل او يحكم الله بينه وبين عدوه ومنها المن ليستكثر وذلك هو الذي ولا تمنن تستكثر اي لا
تعطي شيئا لتعطي اكثر منه بل اعط لربك واقصد به وجهه فادبه باشرف الاداب قاله اكثر المفسرين وقال الضحاك ومجاهد
هذا كان للنبي خاصة وليس على احد من امته وقال قتادة لا تعط شيئا لمجازاة الدنيا اي اعط لربك وعن الحسن لا
تمنن على الله بعملك فتستكثره وقيل لا تمنن على الناس بالنبوة فتاخذ عليها اجرا وعوضا من الدنيا ومنها مد العين الى
ما متع به الناس قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به اي استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا
منهم اي اشكالا واشباها من الكفار وهو المراد بهذا الاشياء وهي المشاكلة وعن ابن عباس اصنافا منهم فانه مستحقر
بالاضافة الى ما اوتيه فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات ومنها خائنة الاعين وهي الايماء الى مباح من قتل
او ضرب على خلاف ما يشعر به الحال كما قيل له عليه السلام في قصة رجل اراد قتله ولا يحرم ذلك على غيره الا في محظور قاله
الرافعي فيما نقله الحجازي في مختصر الروضة ومنها نكاح من لم تهاجر في احد الوجهين قال الله تعالى يا ايها النبي انا احللنا
لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر البضع وتقييد الاحلال باعطائها معجلة لا يتوقف الحل عليه
بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات

عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك يعني من نساء بني زهرة اللاتي هاجرن معك اي الى المدينة قال والمراد هاجرن
كما هاجرت وان لم تكن هجرتهن في حال هجرته عليه السلام وظاهره يدل على ان الهجرة شرط في التحليل وان من لم تهاجر
من النساء لم يحل له نكاحها وقالت ام هانئ خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه بعذري فعذرني ثم انزل
الله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الى قوله اللاتي هاجرن معك فلم اكن لاحل له لاني لم اهاجر معه كنت
من الطلقاء وعن بعض المفسرين ان شرط الهجرة في التحليل منسوخ ولم يذكر ناسخه وعن الماوردي قولان احدهما ان
الهجرة شرط في احلال كل النساء له عليه السلام من غريبة وقريبة والثاني انها انما شرط في احلال بنات عمه وعماته
المذكورات في الاية وليس شرطا في احلال الاجنبيات وعنه ايضا ان المراد بالمهاجرات المسلمات ومنها تحريم
امساك من كرهته قاله الحجازي وغيره ومنها نكاح الكتابية لان ازواجه امهات المؤمنين وزوجاته له في الاخرة
ومعه في درجته في الجنة ولانه اشرف من ان يضع ماءه في رحم كافرة قال ولو نكح كتابية لهديت الى الاسلام كرامة
له ومنها نكاح الامة المسلمة ولو قدر نكاحه امة كان ولده منها حرا ولا تلزمه قيمته لعدم الرق قاله الرافعي حكاية
وقال ابو عاصم نعم نقله الحجازي ولا يشترط في حقه حينئذ خوف العنت ولا فقد الطول وله التسري بالامة قال مع
الحل لانه صلى الله عليه وسلم استمتع بامته ريحانة قبل ان تسلم وعلى هذا هل عليه تخييرها بين ان تسلم فيمسكها او تقيم على
دينها فيفارقها وجهان احدهما نعم لتكون من زوجاته في الاخرة والثاني لا لانه لما عرض على ريحانة الاسلام
فابت امسكها واقام على الاستمتاع وقد اسلمت بعد ومنها تحريم الاغارة اذا سمع التكبير ذكره ابن سبع في الخصائص

القسم الثالث فيما اختص به صلى الله عليه وسلم من المباحات اختص عليه السلام باباحة المكث في المسجد جنبا قاله
صاحب التلخيص وضعفه القفال قال النووي وما قاله في التلخيص قد يحتج له بقوله صلى الله عليه وسلم من حديث ابي سعيد
الخدري يا علي لا يحل لاحد ان يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك قال الترمذي حسن غريب وقد يعترض على هذا الحديث
بان عطية ضعيف عند الجمهور واجيب بان الترمذي حكم بانه حسن فلعله اعتضد بما اقتضى حسنه كما اشار
عليه السلام على ان ذلك لم يكن من الخصائص وقد غلط امام الحرمين وصاحب التلخيص في الاباحة واعلم ان معظم المباحات
لم يفعلها صلى الله عليه وسلم ومما اختص به ايضا انه لا ينتقض وضوءه بالنوم مضطجعا وفي اللمس وجهان قال النووي
المذهب الجزم بانتقاضه به واستدل القائلون بالاول بحديث عائشة عند ابي داود ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يقبل بعض ازواجه ثم يصلي ولا يتوضا رواه النسائي ايضا وقال ابو داود هو مرسل ابراهيم التيمي لم يسمع من عائشة
وقال النسائي ليس في هذا الباب حديث احسن من هذا وان كان مرسلا واختص ايضا باباحة الصلاة بعد العصر فقد
فاتته ركعتان بعد الظهر فقضاهما بعد العصر ثم واظب عليهما ذكره الحجازي وغيره وبجواز صلاة الوتر على الراحلة مع وجوبه
عليه كما ذكر في شرح المهذب وعبارته كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز فعل هذا الواجب الخاص به على الراحلة
وبالصلاة على الغائب عند ابي حنيفة ومالك خلافا للشافعية قاله ابن العربي فيما نقله في فتح الباري في الكلام على صلاته
عليه الصلاة والسلام على النجاشي قالت المالكية ليس ذلك الا لمحمد قلنا وما عمل به تعمل به امته معه لان الاصل عدم الخصوصية
قالوا طويت له الارض واحضرت الجنازة بين يديه قلنا ان ربنا لقادر وان نبينا لاهل لذلك ولكن لا تقولوا الا ما رويتم وقال الكرماني فهو
رفع الحجاب عنه ممنوع ولئن سلمنا فكان غائبا عن الصحابة الذين صلوا معه صلى الله عليه وسلم انتهى وبالقبلة في الصوم
مع قوة الشهوة روى البخاري من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بعض ازواجه وهو صائم
وكان املككم لاربه قال الحافظ ابن حجر اشارت بذلك الى ان الاباحة لمن يكون مالكا لنفسه دون من لا يامن
الوقوع فيما يحرم قال وفي رواية حماد عند النسائي قال الاسود قلت لعائشة ايباشر الصائم قالت لا قلت اليس كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يباشر وهو صائم قالت انه كان املككم لاربه قال وظاهر هذا انها اعتقدت خصوصية
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قاله القرطبي قال وهو اجتهاد منها وقيل على انها لا ترى بتحريمها وانه من الخصائص

ماروه

ما رواه مالك في الموطا ان عائشة بنت طلحة كانت عند عائشة فدخل عليها زوجها وهو عبد الله بن عبد
الرحمن بن ابي بكر فقالت له عائشة ما يمنعك ان تدنو من اهلك فتلاعبها وتقبلها قال اقبلها وانا صائم قالت نعم
ولعلم ايضا باباحة الوصال في الصوم كما سياتي وقال امام الحرمين هو قربة في حقه عليه السلام وان ياخذ الطعام
والشراب من مالكهما المحتاج اليهما اذا احتاج ويجب على صاحبهما البذل ويفدي بمهجته مهجة رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ولو قصده ظالم وجب على من حضره ان يبذل نفسه دونه صلى
الله عليه وسلم كما وقاه طلحة بنفسه يوم احد وباباحة النظر الى الاجنبيات وسياتي في القسم الرابع ان الله تعالى
حرم عليه السلام واختص ايضا بجواز الخلوة بهن قال في فتح الباري الذي وضح لنا بالادلة القوية ان من خصائصه
صلى الله عليه وسلم جواز الخلوة بالاجنبية والنظر اليها وبذلك اجيب عن قصة ام حرام بنت ملحان في دخوله عليها ونومه
عندها وتفليتها راسه ولم يكن بينهما محرمية ولا زوجية انتهى ومنها نكاح اكثر من اربع نسوة وكذلك الانبياء وفي
الزيادة لنبينا صلى الله عليه وسلم على التسع خلاف ويجوز له النكاح بلفظ الهبة من جهة المراة قال تعالى وامراة مؤمنة
ان وهبت نفسها للنبي واما من جهته صلى الله عليه وسلم فلا بد من لفظ الانكاح او التزويج على الاصح في اصل الروضة
وحكاه الرافعي عن ترجيح الشيخ ابي حامد لظاهر قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها قال الحجازي في قوله وامراة
مؤمنة الاية اي اعلمناك حل امراة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها والخلف في اتفاق
ذلك والقائلون به ذكروا انها ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة
بنت حكيم قال وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت كقوله اجلس ما دام زيد جالسا وقوله
ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادته نكاحها
فانها جارية مجرى القبول قال والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك من
دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله انتهى وقال البغوي وفي
معنى خالصة لك ثلاثة اقوال احدها ان المراة اذا وهبت نفسها له لم يلزمه صداقها دون غيره من المؤمنين قاله انس
ابن مالك وابن المسيب والثاني ان له ان ينكحها بلا ولي ولا شهود دون غيره قاله قتادة والثالث خالصة لك
ان تملك عقد نكاحها بلفظ الهبة دون المؤمنين قال وهذا قول الشافعي واحمد وعن ابي حنيفة ينعقد النكاح
بلفظ الهبة لغيره صلى الله عليه وسلم ايضا وكما يجوز له عليه السلام النكاح بلا مهر ابتداء وانتهاء كما تقدم ان المراة
اذا وهبت نفسها له عليه السلام لا يلزمه صداقها قال النووي اذا وهبت امراة نفسها له عليه السلام فتزوجها
بلا مهر حل له ذلك ولا يجب عليه بعد ذلك مهرها بالدخول ولا بغيره ذلك بخلاف غيره فانه لا يخلو نكاحه من وجوب
مهر اما مسمى واما مهر المثل والله اعلم وكما يجوز له النكاح في حال الاحرام قال النووي في شرح مسلم قال جماعة
من اصحابنا انه صلى الله عليه وسلم كان له ان يتزوج في حال الاحرام وهو مما خص به دون الامة قال وهذا اصح الوجهين
عند اصحابنا انتهى وكما يجوز له النكاح بغير رضى المراة فلو رغب في نكاح امراة خلية لزمها الاجابة وحرم على غيره
خطبتها او مزوجة وجب على زوجها طلاقها قاله الغزالي ولعل السر فيه من جانب الزوج امتحان ايمانه بتكليف
النزول عن اهله فانه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه واهله وولده
والناس اجمعين انتهى وقيل لعل هذه الخصيصة قصة زينب بنت جحش بنت عمته صلى الله عليه وسلم اميمة بنت
عبد المطلب المنصوص عليها بقوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه اي بنعمة الاسلام وهي اجل النعم وانعمت عليه
اي بالاعتاق امسك عليك زوجك واتق الله وهو زيد بن حارثة الكلبي وكان من سبي الجاهلية فملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل البعثة واعتقه وتبناه وخطب له زينب فابت هي واخوها عبد الله ثم رضيا لما نزل قوله وما كان لمؤمن ولا
مؤمنة الاية وكان الرجل في الجاهلية وصدر من الاسلام اذا تبنى رجلا غيره يدعوه الناس به ويرث ميراثه وتحريم

عليه زوجته فنسخ الله تعالى التبني بقوله تعالى ادعوهم لآبائهم وبهذه القصة ليثبت الحكم بالقول والفعل
فأوحى الله تعالى إليه أن زيدا سيطلقها وأنه عليه السلام يتزوجها وألقى في قلب زيد كراهتها فأراد فراقها
فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أريد أن أفارق صاحبتي قال ما لك أرابك منها شيء قال لا والله يا رسول
الله ما رأيت منها إلا خيرا ولكنها تتعظم علي بشرفها وتؤذيني بلسانها فقال له صلى الله عليه وسلم أمسك عليك
زوجك واتق الله أي في أمرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا فلما قضى زيد منها وطرا ولم يبق له فيها حاجة وطلقها
وانقضت عدتها زوجها الله تعالى له كما قال تعالى زوجناكها والمعنى أنه أمر بتزويجها منه أو جعلها زوجته
بلا واسطة عقد ويؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تولى نكاحي وأنتن زوجكن
أولياؤكن وقيل إن زيدا كان السفير في التزويج وفي ذلك لزيد ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة إيمانه وكذا يجوز
له عليه السلام النكاح بلا ولي ولا شهود قال النووي المشهور الصحيح عند أصحابنا صحة نكاحه عليه السلام بلا ولي
ولا شهود لعدم الحاجة إلى ذلك في حقه عليه السلام وهذا الخلاف في غير زينب أما زينب فمنصوص عليها والله أعلم
قال العلماء إنما اعتبر الولي للمحافظة على الكفاءة وهو صلى الله عليه وسلم فوق الأكفاء وإنما اعتبر الشهود لأمن الجحود
وهو عليه السلام لا يجحد ولو جحدت هي لم يرجع إلى قولها بل قال العراقي في شرح المهذب تكون كافرة بتكذيبه
وكان له صلى الله عليه وسلم تزويج المرأة ممن شاء بغير إذنها وإذن وليها وله إجبار الصغيرة من غير بناته وزوجه
الله تعالى بزينب فدخل عليها بتزويج الله بغير عقد من نفسه وعبر في الروضة عن هذا بقوله وكانت المرأة تحل له
بتحليل الله تعالى ومنها أنه أعتق أمته صفية وجعل عتقها صداقها وقد اختلف في معناه فقيل إنه أعتقها بشرط
أن يتزوجها فوجب له عليها الوفاء وكانت معلومة فتزوجها ويؤيده قوله في رواية عبد العزيز بن صهيب سمعت
أنسا قال سبى النبي صلى الله عليه وسلم صفية فأعتقها وتزوجها فقال ثابت لأنس ما أصدقها قال نفسها فأعتقها
هكذا أخرجه البخاري في المغازي وفي رواية حماد عن ثابت وعبد العزيز عن أنس في حديث قال وصارت صفية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها فقال عبد العزيز لثابت يا أبا محمد أنت سألت
أنسا ما أمهرها قال أمهرها نفسها فتبسم فهو ظاهر جدا في أن المجعول مهرا هو نفس العتق والتأويل الأول
لا بأس به فإنه لا منافاة بينه وبين القواعد حتى لو كانت القيمة مجهولة فإن في صحة العقد بالشرط المذكور وجها
عند الشافعية وقال آخرون بل جعل نفس العتق المهر ولكنه من خصائصه وممن جزم بذلك الماوردي وقال آخرون
قوله أعتقها وتزوجها معناه أعتقها ثم تزوجها فلما لم يعلم أنه ساق لها صداقا قال أصدقها نفسها أي لم يصدقها
شيئا فيما أعلم ولم ينف أصل الصداق ومن ثم قال أبو الطيب الطبري من الشافعية وابن المرابط من المالكية
ومن تبعهما أنه قول أنس قاله ظنا من قبل نفسه ولم يرفعه ويعارضه ما أخرجه الطبراني وأبو الشيخ من حديث
صفية نفسها قالت أعتقني النبي صلى الله عليه وسلم وجعل عتقي صداقي وهذا موافق لحديث أنس وفيه رد على من قال
إن أنسا قال ذلك بناء على ظنه ويحتمل أن يكون أعتقها بشرط أن ينكحها من غير مهر فلزمها الوفاء بذلك وهذا خاص
بالنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره ويحتمل أنه أعتقها بغير عوض وتزوجها بغير مهر في الحال ولا في المآل قال ابن الصلاح
معناه أن العتق حل محل الصداق وإن لم يكن صداقا قال وهذا كقولهم الجوع زاد من لا زاد له قال وهذا الوجه أصح الأوجه
وأقربها إلى لفظ الحديث وتبعه النووي في الروضة وممن جزم بأن ذلك كان من الخصائص يحيى بن أكثم كما أخرجه
البيهقي قال وكذا نقله المزني عن الشافعي قال وموضع الخصوصية أنه أعتقها مطلقا وتزوجها بغير مهر ولا شهود
وهذا بخلاف غيره انتهى وقال النووي في شرح مسلم الصحيح الذي اختاره المحققون أنه أعتقها تبرعا بلا عوض ولا
شرط ثم تزوجها برضاها من غير صداق والله أعلم كذا قال شيخ الحفاظ ابن حجر والخلاف في انحصار طلاقه صلى الله
عليه وسلم في الثلاث وعلى الحصر فهل تحل له من غير محلل وقيل لا تحل له أبدا وكان له نكاح المعتدة في أحد الوجهين قال

قال

النووي

النووي الصواب القطع بامتناع نكاح المعتدة من غيره والله أعلم وفي وجوب نفقة زوجاته وجهان قال النووي
الصحيح الوجوب انتهى ولا يجب عليه القسم بين زوجاته على ما قاله طوائف من أهل العلم وبه جزم الإصطخري من الشافعية والمشهور
عندهم وعند الأكثرين الوجوب وتحل الجمع له بين المرأة وعمتها وخالتها إلا أختها وأمها وبنتها قالوا ومن جمع
هذه الخصائص بين الحالات النكاح في حقه كالتسري في حقنا وكان له عليه السلام أن يصطفي ما شاء من الغنيمة قبل القسمة من
جارية وغيرها وأبيح له القتال بمكة والقتل بها ودخول مكة بغير إحرام مطلقا ذكره ابن القاص واستدل له بحديث
أنس عند الستة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر وذلك من كونه عليه السلام كان
مستور الرأس بالمغفر والمحرم يجب عليه كشف رأسه ومن تصريح جابر عند الترمذي وغيره بأنه لم يكن محرما وأبدى ابن دقيق
العيد لستر الرأس احتمالا فقال يحتمل أن يكون لعذر انتهى وتعقبه الشيخ ولي الدين ابن العراقي فقال هذا يرده تصريح جابر
وغيره قال وهذا الاستدلال في غير موضع الخلاف المشهور لأنه عليه السلام كان خائفا من القتال متأهبا ومن كان كذلك
فله الدخول عندنا بلا إحرام بلا خلاف عندنا ولا عند أحد فيما نعلمه ولذا استشكل النووي في شرح المهذب ذلك لأن مذهب
الشافعي أن مكة فتحت صلحا خلافا لأبي حنيفة في قوله إنها فتحت عنوة وحينئذ فلا خوف ثم أجاب عنه بأنه عليه السلام
صالح أبا سفيان وكان لا يأمن غدر أهل مكة فدخلها صلحا وهو متأهب للقتال إن غدروا انتهى وقد ذكرت ما في فتح
مكة من المباحث في قصة فتحها من المقصد الأول ثم إن غيره صلى الله عليه وسلم إذا لم يكن محاربا فقال أصحابنا إن لم يكن
ممن يتكرر دخوله ففي وجوب الإحرام عليه قولان أصحهما عند أكثرهم أنه لا يجب وقطع به بعضهم فإن تكرر دخوله كالحطابين
ونحوهم ففيه خلاف مرتب وأولى بعدم الوجوب وهو المذهب وقال الحنابلة بوجوب الإحرام إلا على الخائف وأصحاب الحاجات
المتكررة وأوجبه المالكية في المشهور عندهم على غير ذوي الحاجات المتكررة وأوجبه الحنفية مطلقا إلا من كان داخل
الميقات وقد تحرر أن المشهور من مذهب الشافعي عدم الوجوب مطلقا ومن مذاهب الأئمة الثلاثة الوجوب
إلا فيما يستثنى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقضي بعلمه من غير خلاف وأن يقضي لنفسه وولده وأن يشهد
لنفسه ولولده ولا تكره له الفتوى والقضاء في حال الغضب كما ذكره النووي في شرح مسلم وقد قضى للزبير بشراج الحرة بعد أن
أغضبه خصم الزبير لعصمته صلى الله عليه وسلم فلا يقول في الغضب إلا كما يقول في الرضا وكان له أن يدعو لمن شاء
بلفظ الصلاة وليس لنا أن نصلي إلا على نبي أو ملك وكان له أن يقتل بعد الأمان وأن يلعن من شاء بغير سبب واستبعد
ذلك وجعل الله تعالى شتمه ولعنه قربة للمشتوم والملعون لإجابة عليه السلام قاله أبو القاضي ورجح حمله حكاه
الحجازي في مختصر الروضة عن نقل الرافعي وكان يقطع الأراضي قبل فتحها لأن الله ملكه الأرض كلها وأفتى الغزالي بكفر من
عارض أولاد تميم الداري فيما أقطعهم وقال لأنه صلى الله عليه وسلم كان يقطع أرض الجنة فأرض الدنيا أولى القسم

الرابع فيما اختص به صلى الله عليه وسلم من الفضائل والكرامات منها أنه أول النبيين خلقا كما تقرر في أول هذا الكتاب
وأنه كان نبيا وآدم بين الروح والجسد رواه الترمذي من حديث أبي هريرة ومنها أنه أول من أخذ عليه الميثاق
ومنها أنه أول من قال بلى يوم ألست بربكم رواه أبو سهل القطان في جزء من أماليه ومنها أن آدم وجميع المخلوقات
خلقوا لأجله رواه البيهقي وغيره ومنها أن الله كتب اسمه الشريف على العرش وعلى كل سماء وعلى الجنان وما فيها
رواه ابن عساكر عن كعب الأحبار ومنها أن الله تعالى أخذ الميثاق على النبيين آدم فمن بعده أن يؤمنوا به وينصروه قال
تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي
ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ومنها أنه وقع التبشير به في الكتب السالفة كما سيأتي إن شاء الله تعالى
ومنها أنه لم يقع في نسبه من لدن آدم سفاح رواه البيهقي والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الدلائل ومنها أنه نكست
الأصنام لمولده رواه الخرائطي في الهواتف وغيره ومنها أنه ولد مختونا مقطوع السرة رواه الطبراني وتقدم ما فيه من

وجهان ح

أي الاستدلال

جاب

كما مر ح

العجب في اول الكتاب ومنها انه خرج نظيفا ما به قذر رواه ابن سعد ومنها انه وقع الى الارض مقبوضة
اصابعه كالمتضرع المبتهل رواه ابو نعيم من حديث ابن عباس ورات امه عند ولادته نورا خرج منها اضاء له قصور
الشام وكذلك امهات الانبياء رواه الامام احمد وكان مهده عليه السلام يتحرك بتحريك الملائكة كما ذكره ابن سبع تدري صح
في الخصائص وكان القمر يحدثه وهو في مهده ويميل حيث اشار اليه رواه ابن طغربل في النطق المفهوم وغيره
وتكلم في المهد رواه الواقدي وابن سبع وظللته الغمامة في الحر رواه ابو نعيم والبيهقي ومال اليه فيء الشجرة
اذ سبق اليه رواه البيهقي ومنها شق صدره الشريف رواه مسلم وغيره وغطه جبريل عند ابتداء الوحي ثلاث
غطات عدهن بعضهم من خصائصه عليه السلام نقله الحافظ ابن حجر قال ولم ينقل عن احد من الانبياء انه
جرى له عند ابتداء الوحي ومنها ان الله تعالى ذكره في القران عضوا عضوا فقلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما راى
وقوله نزل به الروح الامين على قلبك ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وقوله فانما يسرناه بلسانك وبصره
بقوله ما زاغ البصر وما طغى ووجهه بقوله قد نرى تقلب وجهك في السماء ويده وعنقه بقوله ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك وظهره وصدره بقوله الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك واشتق اسمه من اسم
المحمود ويشهد له ما اخرجه البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن زيد قال كان ابو طالب يقول
وشق له من اسمه ليجله ٭ فذو العرش محمود وهذا محمد ٭ وهو مشهور لحسان بن ثابت وسمي احمد ولم يسم به احد
قبله رواه مسلم واحمد من حديث علي اعطيت اربعا لم يعطهن احد قبلي وذكر منها وسميت احمد ومنها انه صلى الله
عليه وسلم كان يبيت جائعا ويصبح طاعما يطعمه ربه ويسقيه من الجنة كما سياتي البحث فيه ان شاء الله تعالى في
صيامه صلى الله عليه وسلم من مقصد عباداته وكان يرى من خلفه كما يرى امامه رواه مسلم ويرى في الليل في الظلمة
كما يرى بالنهار وفي الضوء رواه البيهقي وكان ريقه يعذب الماء الملح رواه ابو نعيم ويجزئ الرضيع رواه البيهقي وكان
ابطه عليه السلام لا شعر عليه قاله القرطبي وكان ابيض غير متغير اللون كما ذكره الطبري وعده في الخصائص وذكر بعض
الشافعية لحديث ابن المتفق عليه انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الاستسقاء حتى يرى بياض ابطيه وقال
الشيخ جمال الدين الاسنوي في المهمات البياض الابط كان من خواصه انتهى قال في شرح تقريب الاسانيد وما ادعاه
من كون هذا من الخصائص فيه نظر اذ لم يثبت ذلك بوجه من الوجوه بل لم يرد ذلك في شيء من الكتب المعتمدة والخصائص لا
تثبت بالاحتمال ولا يلزم من ذكر انس وغيره بياض ابطيه ان لا يكون له شعر فان الشعر اذا نتف بقي المكان ابيض وان
بقي فيه اثار الشعر ولذلك ورد في حديث عبد الله بن اقرم الخزاعي انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كنت
انظر الى عفرة ابطيه اذا سجد اخرجه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه وقد ذكر الهروي في الغريبين وابن الاثير
في النهاية ان العفرة بياض ليس بالناصع ولكن كلون عفرة الارض وهو وجهها وهذا يدل على ان اثار الشعر هو الذي جعل
المكان اعفر والا فلو كان خاليا عن نبات الشعر جملة لم يكن اعفر نعم الذي يعتقد فيه صلى الله عليه وسلم انه لم يكن لابطه
رائحة كريهة بل كان نظيفا طيب الرائحة كما ثبت في الصحيح وكان عليه السلام يبلغ صوته وسمعه ما لا يبلغه صوت غيره
وكان تنام عينه ولا ينام قلبه رواه البخاري وما تثاءب قط كما رواه ابن ابي شيبة والبخاري في تاريخه من مرسل يزيد
بن الاصم قال ما تثاءب النبي صلى الله عليه وسلم واخرج الخطابي من طريق مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال ما تثاءب نبي
قط ويؤيد ذلك ان التثاؤب من الشيطان رواه البخاري وما احتلم قط وكذلك الانبياء رواه الطبراني وكان عرقه
اطيب من المسك رواه ابو نعيم وغيره واذا مشى مع الطويل طاله رواه البيهقي ولم يقع له ظل على الارض ولا رئي له ظل في شمس
ولا قمر ويشهد له انه عليه السلام سال الله ان يجعل في جميع اعضائه وجهاته نورا ختم بقوله واجعلني نورا وكان
صلى الله عليه وسلم لا يقع على ثيابه ذباب قط نقله الغزالي الذي قال ولا يمتص دمه البعوض كما نقلهما الحجازي وغيره
وما اذاه القمل قاله ابن سبع في الشفا والسبتي في اعذب الموارد ومنها انقطاع الكهنة عند مبعثه وحراسة السماء من

استراق

استراق السمع والرمي بالشهب قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها
وياتون باخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد
صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار
فلا يخطئ ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس في البراري وهذا لم
يكن ظاهرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكره احد قبل زمانه وانما ظهر في بدء امره وكان ذلك اساسا
لنبوته وقال معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارايت قوله تعالى وانا كنا نقعد
منها الاية قال غلظت وشدد امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه
ولكن لم يكن في شدة الحراسة بعد مبعثه وقيل ان النجم كان ينقض ويرمي الشياطين ثم يعود الى مكانه ذكره البغوي
ومنها انه اتي بالبراق ليلة الاسراء مسرجا ملجما قيل وكانت الانبياء انما تركبه عريانا ومنها الاسراء به صلى الله عليه وسلم
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وعروجه به الى المحل الاعلى واراءته من اياته الكبرى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر
وما طغى واحضار الانبياء له وصلى بهم وبالملائكة اماما واطلاعه على الجنة والنار عزيت هذه للبيهقي ومنها انه راى خ مقصد
الله بعينيه كما ياتي ذلك في الاسراء ان شاء الله تعالى وجمع الله تعالى له بين الكلام والرؤية وكلمه تعالى في الرفيع
الاعلى وكلم موسى بالجبل ومنها ان الملائكة تسير معه حيث سار يمشون خلف ظهره وقاتلت معه كما في
غزوة بدر وحنين ومنها انه اوتي الكتاب العزيز وهو امي لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ومنها حفظ
كتابه هذا من التبديل والتحريف حتى سعى كثير من الملحدين والمعطلة لا سيما القرامطة في تغييره وتبديل محكمه فما قدروا
على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلمه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه قال تعالى لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه الاية وكتابه يشتمل على ما اشتملت عليه جميع الكتب جامعا لاخبار القرون السالفة
والامم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في
تعلم ذلك ويسر تعالى حفظه لمتعلميه وقربه على متحفظيه كما قال تعالى ولقد يسرنا القران للذكر وسائر
الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف بالجم الغفير على مرور السنين عليهم والقران ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة
ومنها انه انزل على سبعة احرف تسهيلا علينا وتيسيرا وبشرا ورحمة وخصوصية لفضلنا ومنها كونه اية باقية لا أية باقية
تعدم ما بقيت الدنيا ومنها انه تعالى تكفل بحفظه فقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون اي من التحريف
والزيادة والنقصان ونظيره قوله تعالى في صفة القران لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقوله ولو
كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فان قلت هذه الاية تنفي الاختلاف فيه وقد ثبت انزل القران على
سبعة احرف المروي في البخاري عن عمر بن الخطاب اجاب الجعبري في اول شرحه للشاطبية بان المثبت اختلاف
تغاير والمنفي اختلاف تناقض فموردهما مختلف فان قلت فلم اشتغلت الصحابة بجمع القران في المصحف وقد
وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله تعالى فلا خوف عليه فالجواب كما قال الرازي ان جمعهم القران كان من
اسباب حفظ الله تعالى اياه فانه تعالى لما اراد حفظه قيضهم لذلك قال وقال اصحابنا في هذه الاية دلالة قوية
على ان البسملة اية من اول كل سورة لان الله تعالى قد وعد بحفظ القران والحفظ لا معنى له الا ان يبقى مصونا
من التغيير ومما كان محفوظا عن الزيادة ولو جاز ان يظن بالصحابة انهم زادوا لوجب ايضا ان يظن بهم النقصان
وذلك يوجب خروج القران عن كونه حجة واختلف كيف يحفظ القران فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزا
مباينا لكلام البشر يعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو زادوا فيه او نقصوا منه لتغير نظم القران
فيظهر لكل العقلاء ان هذا ليس من القران وقال اخرون اعجز الخلق عن ابطاله وافساده بان قيض جماعة يحفظونه
ويدرسونه فيما بين الخلق الى اخر بقاء التكليف وقال اخرون المراد بالحفظ هو ان احدا لو حاول ان يغيره بحرف

فانه لا كتاب الا وقد دخله التصحيف والتغيير والتحريف وقد صان الله هذا الكتاب العزيز عن

او نقطة لقال له اهل الدنيا هذا كذاب حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له تغيير في حرف منه لقال الصبيان كلهم اخطأت ايها الشيخ وصوابه كذا ولم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الكتاب العزيز عن جميع التحريف مع ان دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على ابطاله وافساده وانقضى الى الان ثمانية وتسعون سنة وثمان مائة سنة وهو بحمد الله في زيادة من الحفظ ومنها انه عليه السلام خص باية الكرسي وبالمفصل وبالمثاني وبالسبع الطول كما في حديث ابن عباس بلفظ واعطيت خواتيم سورة البقرة من كنوز العرش خصصت به دون الانبياء واعطيت المثاني مكان التوراة والمئين مكان الانجيل والحواميم مكان الزبور وفضلت بالمفصل رواه ابو نعيم في الدلائل وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم وفي البخاري من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ام القران هي السبع المثاني والقران العظيم سابع واختلفوا لم سميت مثاني فعن الحسن وابن عباس وقتادة لانها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل صلاة وقيل لانها مقسومة بين الله وبين العبد نصفين نصفها ثناء ونصفها دعاء كما في حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين وقيل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وعن مجاهد لان الله تعالى استثناها وادخرها لهذه الامة فما اعطاها غيرهم وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان السبع المثاني هي السبع الطول اولها سورة البقرة واخرها سورة الانفال مع التوبة وقال بعضهم سورة يونس بدل الانفال قال ابن عباس وانما سميت السبع الطول مثاني لان الفرائض والحدود والامثال والخبر والعبر تثنيت فيها وقال طاوس القران كله مثاني قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني وسمي القران مثاني لان القصص تثنت فيه والله اعلم ومنها انه اعطي مفاتيح الخزائن قال بعضهم وهي خزائن اجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبونه لذواتهم فكل ما ظهر من رزق العالم فان الاسم الالهي لا يعطيه الا عن محمد صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح كما اختص تعالى بمفاتيح الغيب فلا يعلمها الا هو واعطى هذا السيد الكريم منزلة الاختصاص باعطايه مفاتيح الخزائن ومنها انه اوتي جوامع الكلم فالكلم جمع كلمة وكلمات الله تعالى لا تنفد فكلمة منه كلمات وما علم جوامع الكلم اعطى المعاني بالقران الذي هو كلام الله تعالى وهو المترجم عن الله نوع المعاني في الترجمة التي هي له فان المعاني المجردة عن المواد لا يتصور الا بها وان الاعيان ربط هذه المعاني بصور الكلم القائم من نظم الحروف فهو لسان الحق وسمعه وبصره ومنها انه بعث الى الناس كافة قال بعضهم وهو من الكفت وهو الضم قال تعالى الم نجعل الارض كفاتا اي تضم الاحياء على ظهرها والاموات في بطنها كذلك عمت شريعته صلى الله عليه وسلم جميع الناس فلا يسمع به احد الا لزمه الايمان به ولما سمع الجن القران تلي ولوا الى قومهم منذرين يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به الاية فعمت شريعته الانس والجن وعمت رحمته التي ارسل بها العالم قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فمن لم تنله رحمته فان ذلك من جهته واتى ذلك من جهة القابل فهو كالنور الشمسي فاض شعاعه على الارض فمن استتر عنه في كن او ظل جدار فهو الذي لم يقبل انتشار النور عليه وعدل عنه فلم ينسب الى الشمس من ذلك شيء انتهى فان قلت ان نوحا كان مبعوثا الى اهل الارض بعد الطوفان فانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليه وقد جا في حديث جابر وغيره وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود وفي رواية الى الناس كافة اجاب الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ان هذا العموم الذي حصل لنوح عليه السلام لم يكن في اصل بعثته وانما اتفق بالحادث الذي وقع وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك ساير الناس واما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة فثبت اختصاصه بذلك واما قول اهل الموقف لنوح كما صح في حديث الشفاعة انه اول رسول الى اهل الارض فليس المراد به عموم بعثته بل اثبات اولية ارساله وعلى تقدير ان يكون مرادا فهو مخصوص بتنصيصه سبحانه وتعالى في عدة ايات على ان ارسال نوح كان الى قومه ولم يذكر انه ارسل الى غيرهم واستدل بعضهم لعموم بعثته بكونه دعا على جميع من في الارض

ناهلكوا

ناهلكوا بالغرق الا اهل السفينة ولو لم يكن مبعوثا اليهم لما اهلكوا لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد ثبت انه اول الرسل واجيب بجواز ان يكون غيره ارسل اليهم في اثناء مدة نوح وعلم نوح بانهم لم يومنوا فدعا على من لم يومن من قومه وغيرهم فاجيب وهذا جواب حسن لكن لم ينقل انه نبي في زمن نوح غيره ويحتمل ان يكون معنى الخصوصية لنبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك بقاء شريعته الى يوم القيامة ونوح وغيره بصدد ان يبعث نبي في زمانه او بعده فينسخ بعض شريعته انتهى واما قول بعض اليهود ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم انما هو مبعوث الى العرب خاصة ففاسد والدليل عليه انهم اي اليهود سلموا انه رسول صادق الى العرب فوجب ان يكون كلما يقوله حقا وقد ثبت بالتواتر انه كان يدعي انه رسول صادق الى كل الناس فلو كذب فيه لزم التناقض انتهى صاحب المعالم ومنها نصره صلى الله عليه وسلم بالرعب مسيرة شهر والشهر فيه قطع القمر جميع بروج الفلك المحيط فهو اسرع قاطع الموجود بطبيعته في قلوب اعدائه فلا يقبل الرعب الا عدو مقصود لتمييز السعيد من الشقي ومفهومه ان هذا لم يحصل لغيره النصر بالرعب في هذه المدة ولا في اكثر منها اما ما دونها فلا لكن لفظ رواية عمرو بن شعيب ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر والظاهر اختصاصه به مطلقا وانما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده عليه السلام وبين احد من اعدائه اكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر وهل هي حاصلة لامته من بعده فيه احتمال ومنها احلال الغنايم ولم تحل لاحد قبله وقد كان من تقدم على ضربين منهم من لم يوذن له في الجهاد فلم تكن له مغانم ومنهم من اذن له فيه لكن كانوا اذا غنموا شيئا لم يحل لهم ان ياكلوه وجاءت نار فاحرقته قال بعضهم اعطى صلى الله عليه وسلم مواقع شهوة امته لان النفوس لها التذاذ بها لكونها حصلت لهم عن قهر منهم لعدوهم وغلبة فلا يريدون ان يفوتهم التنعم بها في مقابلة ما قاسوه من الشدة والتعب ومنها جعل الارض له ولامته مسجدا وطهورا والمراد بموضع سجود لا يختص السجود منها بموضع دون غيره ويمكن ان يكون مجازا عن المكان المبني للصلاة وهو من مجاز التشبيه لانه لما جازت الصلاة في جميعها كان كالمسجد في ذلك وقيل المراد جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيري مسجدا ولم تجعل له طهورا لان عيسى كان يسيح في الارض ويصلي حيث ادركته الصلاة قاله ابن التين ومن قبله الداودي وقيل انما ابيح لهم في موضع يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة فابيح لهم في جميع الارض الا فيما تيقنوا نجاسته والاظهر ما قاله الخطابي وهو ان من قبله انما ابيحت لهم الصلوات في اماكن مخصوصة كالبيع والصوامع ويؤيده رواية عمرو بن شعيب بلفظ وكان من قبلي انما كانوا يصلون في كنايسهم وهذا نص في موضع النزاع فثبتت الخصوصية ويؤيده ما رواه البزار من حديث ابن عباس نحو حديث جابر وفيه لم يكن من الانبياء احد يصلي حتى يبلغ محرابه قاله في فتح الباري ومنها ان معجزته عليه السلام مستمرة الى يوم القيامة ومعجزات ساير الانبياء انقرضت لوقتها فلم يبق الا خبرها والقران العظيم لم تزل حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة ومنها انه اكثر الانبياء معجزة قال القاضي عياض اما كونها كثيرة فهذا القران كله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ايمة المحققين بسورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وذهب اخرون الى ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين قال القاضي والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القران على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الاخبار عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القران فلا يكاد ياخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه انتهى ومن ذلك انشقاق القمر وتسليم الحجر وحنين الجذع ونبع الماء من بين الاصابع

ولم يبعث لواحد من الانبياء مثل ذلك كما ذكره ابن عبد السلام وغيره وللكلام فيه من المباحث ومنها
انه خاتم الانبيا والمرسلين قال عليه السلام مثلي ومثل الانبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه الا موضع لبنة
من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا تلك
اللبنة وانا خاتم النبيين رواه البخاري ومسلم ومنها ان شرعه مؤبد الى يوم الدين وناسخ لشرائع النبيين
وانه اكثر الانبيا تابعا كما قال عليه السلام وارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة رواه الشيخان
من حديث ابي هريرة ومنها انه لو ادركه الانبيا لوجب عليهم اتباعه كما سياتي تقريره ان شا الله تعالى ومنها
انه ارسل الى الجن اتفاقا والدليل على ذلك من الكتاب والسنة قال الله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وقد
اجمع المفسرون على دخول الجن في هذه الاية وهو مدلول لفظها فلا يخرج عنه الا بدليل وان قيل ان الملائكة
خارجون من ذلك فلا يضر لان العام المخصوص حجة عند جمهور العلما والاصوليين ولو بطل الاستدلال بالعمومات
المخصوصة لبطل الاستدلال باكثر الادلة وقال تعالى في الاحقاف اجيبوا داعي الله فامر بعضهم بعضا باجابته
دليل على انه داع لهم وهو معنى بعثته اليهم الى غير ذلك من الايات واما السنة ففي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست ذكر منها وارسلت الى الخلق كافة فانه يشمل
الجن والانس وحمله على الانس خاصة تخصيص بغير دليل فلا يجوز والكلام فيه كالكلام في اية الفرقان فان قلت
ان قوله قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم وما ارسلناك الا كافة للناس ظاهر في اختصاص رسالته عليه السلام
بالانس واحتمال غيره ذلك عدول عن الظاهر فالجواب ان هذا انما يمشي على مذهب الدقاق والقائل بان مفهوم
اللقب حجة والناس من قبيل اللقب فان المسئلة المترجمة في الاصول بمفهوم اللقب لا تختص باللقب بل الاعلام
كلها واسما الاجناس كلها كذلك ما لم يكن صفة والناس اسم جنس غير صفة فلا مفهوم له فهذه الاية ليس فيها ما
يفهم منه انه ليس رسولا لغيرهم الا على مذهب الدقاق بل لا يتم على مذهبه التمسك بهذا المفهوم لان الدقاق
انما يقول به حيث لم يظهر غرض اخر سواه في تخصيص ذلك الاسم وحيث ظهر غرض لا يقال بالمفهوم بل يحمل التخصيص
على ذلك الغرض والغرض في الاية التعميم في جميع الناس وعدم اختصاص الرسالة ببعضهم فلا يلزم منه نفي الرسالة عن غيرهم
لا على مذهب الدقاق ولا على مذهب غيره وانما خاطب الناس لانهم الذين تغلب رؤيتهم والخطاب معهم فتقصد الاية
خطاب الناس والتعميم فيهم لا النفي عن غيرهم وهذا اذا قلنا ان لفظ الناس لا يشمل الجن فان قلنا انه يشملهم فواضح
والاختلاف فيه مبني على الخلاف في اشتقاق الناس هل هو من النوس وهو الحركة او من الانس ضد الوحشة فان قلنا
بالاول اطلق على الفريقين ولكن استعماله في الانس اغلب فيغلب اطلاقه على المراد به ولد ادم وان قلنا بالثاني فلا لانا لا نبصر
الجن ولا نانس بهم فدخول الجن في الاية اما ممتنع واما قليل فلا يحمل عليه وهذا يبين [illegible] لكنها لا
تدل على خلافه واما قول الضحاك ومن تبعه ان الرسل الى الجن منهم لقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم
فهو ظاهر الاية لكن لم يقل الضحاك ولا احد غيره باستمرار ذلك في هذه الملة وانما محل الخلاف في ذلك في الملل المتقدمة
خاصة واما في هذه الملة فنبينا صلى الله عليه وسلم هو المرسل اليهم والى غيرهم ولم ينقل احد عن الضحاك ان رسل الجن
منهم مطلقا ولا ينبغي ان ينسب اليه ما يخالف الاجماع على ان الاكثرين قالوا لم تكن الرسل الا من الانس ولم يكن من الجن
قط رسول لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرجان من الملح دون
العذب وقيل الرسل من الجن رسل الرسل من بني ادم اليهم لا رسل الله لقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين قاله
بعض العلما ومنها انه ارسل الى الملائكة في احد القولين ورجحه السبكي قال تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على
عبده ليكون للعالمين نذيرا ولا نزاع ان المراد من العبد ههنا محمد صلى الله عليه وسلم والعالم هو ما سوى الله تعالى
فيتناول جميع المكلفين من الجن والانس والملائكة وبطل بذلك قول من قال انه كان رسولا الى البعض دون البعض لان

لفظ العالمين يتناول جميع المخلوقات فدلت الاية على انه رسول الى جميع الخلق ولو قبل المدعي خروج الملائكة
من هذا العموم اقام الدليل عليه رجاعنه فانه يحتمل ان يكون من الملائكة من انذره صلى الله عليه وسلم قابلية
الانس والمتاعد منها لكن يكون صلاة نذا بدل الرسالة اليهم في شيء خاص ان يكون بالشريعة كلها وانا قلنا ان الملا
هم من جنس الجن السماوية فاذا ركبت هذا مع القول بعموم الرسالة للجن الذي قام الاجماع عليه لزم عموم الرسالة
اليهم لكن القول بان الملائكة من الجن قول شاذ والجمهور على ان العالمين في اية الفرقان عام مخصوص
بالانس والجن كما فسره بما حديث وارسلت الى الخلق كافة المروي في مسلم وصرح الحليمي والبيهقي في الباب
الرابع من شعب الايمان انه عليه السلام لم يرسل الى الملائكة وفي الباب الخامس عشر نفيا لكونهم من شرعه
وفي تفسير الامام فخر الدين والبرهان النسفي حكاية الاجماع في تفسير اية الفرقان على انه لم يكن رسولا اليهم كما
حكاه العلامة الجلال المحلي وعبارة النسفي ثم انهم قالوا هذه الاية تدل على احكام اولها قوله ليكون للعالمين
نذيرا يتناول جميع المكلفين من الجن والانس والملائكة لكنا اجمعنا على انه عليه السلام لم يكن رسولا الى الملائكة
بل كان رسولا الى الجن والانس جميعا وهي عبارة الامام فخر الدين ايضا وقد تعقب الجلال المحلي العلامة كمال
الدين ابن ابي شريف فقال اعلم ان البيهقي نقل ذلك عن الحليمي فانه قال هذا معنى كلام الحليمي وفي قوله هذا
اشعار بالتبري عن عهدته وبتقدير ان لا اشعار فيه فلم يصرح بانه مرضي عنده واما الحليمي فانه وان كان من اهل
السنة فقد وافق المعتزلة في تفضيل الملائكة على الانبيا عليهم الصلوة والسلام ومما نقله عنه موافق لقوله بافضلية
الملائكة فلعله بناه عليه واما ما ذكره من حكاية الرازي والنسفي الاجماع على انه عليه السلام لم يكن مرسلا اليهم
فقد وقع في نسخ من تفسير الرازي حكي بينا بدل اجمعنا فلا ان قوله اجمعنا ليس صريحا في اجماع الامة لان مثل هذه
العبارة تستعمل لاجماع الخصمين المتناظرين بل قد صرح به من نقله قال الامام السبكي في قوله ليكون للعالمين نذيرا
قال المفسرون كلهم في تفسيرها الجن والانس وقال بعضهم والملائكة انتهى وبالجملة فلا اعتماد على تفسير الرازي والنسفي
في حكاية اجماع انفردا بحكايته امر لا ينهض حجة على طريقة علما النقل لان مدرك نقل الاجماع من كلام الائمة
وحفاظ الامة كابن المنذر وابن عبد البر ومن فوقهما في الاطلاع كالائمة اصحاب المذاهب المتبوعة ومن لحق
بهما في سعة دائرة الاطلاع والحفظ والاتقان من اعلام الشهرة عند علما النقل ما يغني عن بسط الكلام فيها والاليق
بهذه المسئلة التوقف عن الخوض فيها على وجه يتضمن دعوى القطع في شيء من الجانبين انتهى ومنها انه ارسل رحمة
للعالمين كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال السمرقندي يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق رحمة
للمومن بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب
اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم اخر من كذبه الى الموت او الى يوم القيمة واما من صدقه فله الرحمة في
الدنيا والاخرة وقد انه عليه السلام رحمة لعم المومن والكافر كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال
عليه السلام انما انا رحمة مهداة رواه الدارمي والبيهقي من حديث ابي هريرة وسياتي في المقصد السادس مزيد
لذلك ان شا الله تعالى والله الموفق ومنها ان الله تعالى خاطب جميع الانبيا باسمائهم في القران فقال يا ادم يا نوح
يا ابراهيم يا داود يا زكريا يا يحيى يا عيسى ولم يخاطب هو في القرآن الا بيا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها
المدثر ومنها انه حرم على الامة ندائه باسمه قال الله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا اي لا تجعلوا
ندائه وتسميته كندا بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والندا من ورا الحجرات ولكن قولوا يا رسول الله يا نبي الله مع التوقير
والتواضع وخفض الصوت وقيل لا تقيسوا دعاه اياكم على دعا بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة
ومنها انه حرم الجهر له بالقول قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم كان ابو بكر

لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار ولو رجحت انه صلى الله عليه وسلم ما كان يسمع كلام عمر حتى
يستفهمه مما يخفض صوته وكان ثابت بن قيس في اذنه وقر وكان جهوري الصوت فلما نزلت تخلف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت عليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت
فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة
قال انس وكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة راى ثابت من المسلمين
بعض الانكشاف وانهزمت طائفة منهم فقاتل حتى قتل ومنها انه حرم نداؤه من وراء الحجرات قال الله
تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة
ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم اي لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم
الرسول صلى الله عليه وسلم الموجبين للثناء والثواب ومنها انه حبيب الله جمع له بين المحبة والخلة وسياتي
تحقيق ذلك وما فيه من المباحث في المقصد السابع ان شاء الله تعالى ومنها انه اقسم على رسالته بحياته وبلده
وعصره كما سياتي ذلك في المقصد السادس ان شاء الله تعالى ومنها انه كلم بجميع اصناف الوحي كما نقل عن ابن
عبد السلام وسبق تحقيقه في المبعث من المقصد الاول ومنها ان اسرافيل هبط عليه ولم يهبط على نبي قبله واخرج
الطبراني من حديث ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد هبط علي ملك من السماء ما هبط
على نبي قبلي ولا يهبط على احد بعدي وهو اسرافيل فقال انا رسول ربك اليك امرني ان اخيرك ان شئت نبيا عبدا
وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فاومأ الي ان تواضع فلو اني قلت نبيا ملكا لسارت الجبال معي ذهبا
ومنها انه سيد ولد آدم رواه مسلم من حديث ابي هريرة بلفظ انا سيد ولد آدم يوم القيامة وعند الترمذي من حديث
ابي سعيد الخدري انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وانما قال ذلك اخبارا عما اكرمه الله
به من الفضل والسؤدد وتحدثا بنعمة الله عنده واعلاما لامته ليكون ايمانهم به على حسبه وموجبه ولهذا اتبعه
بقوله ولا فخر اي ان هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله لم انلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوتي فليس لي ان افتخر بها
ومنها انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام من خصائصه انه اخبره الله تعالى بالمغفرة ولم ينقل انه اخبر احدا من
الانبياء بمثل ذلك ويدل له قولهم في الموقف نفسي نفسي وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية يعني اية الفتح لا يشاركه
فيها غيره وقد اخرج ابو يعلى والطبراني والبيهقي عن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا على اهل السماء وعلى الانبياء
قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال لمحمد وما ارسلناك
الا كافة للناس فارسله الى الانس والجن ومنها انه اكرم الخلق على الله فهو افضل من كل المرسلين وجميع الملائكة
المقربين وسياتي الجواب عن قوله عليه السلام في حديث ابن عباس عند مسلم ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من
يونس بن متى وغير ذلك في المقصد السادس ان شاء الله تعالى ومنها اسلام قرينه رواه مسلم من حديث ابن مسعود
والبزار من حديث ابن عباس ومنها انه لا يجوز عليه الخطأ كما ذكره ابن ابي هريرة والماوردي والحجازي في مختصر
الروضة وقال في خروج النساء حكاه النووي في شرح مسلم ومنها ان الميت يسأل عنه صلى الله عليه وسلم في
قبره عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون فاذا كان الرجل
الصالح اجلس فيقال له ما هذا الرجل الذي كان فيكم فيقول محمد رسول الله الحديث رواه احمد والبيهقي ومنها
انه يجوز ان يقسم على الله به وليس ذلك لغيره قال ابن عبد السلام وهذا ينبغي ان يكون مقصورا عليه صلى الله عليه وسلم
لانه سيد ولد آدم وان لا يقسم على الله بغيره من الملائكة والاولياء لانهم ليسوا في درجته وان يكون هذا مما خص به
لعلو درجته ومرتبته انتهى ومنها انه حرم نكاح ازواجه من بعده قال الله تعالى وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة

كالامهات

كالامهات في تحريم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن ازواج له في الآخرة وهل ذلك في غير المختارات
له من اختارت منهن الدنيا فمن حلها للازواج طريقان احدهما طرد الخلاف والثاني القطع بالحل واختار هذا الامام
والغزالي وازواجه التي توفي عنهن محرمات على غيره ابدا وفي جواز النظر وجهان اشهرهما المنع وليس لهن
حكم الامومة في احترامهن وطاعتهن وتحريم نكاحهن لا في جواز الخلوة والنفقة والميراث ولا يتعدى ذلك
الى غيرهن فلا يقال بناتهن اخوات للمؤمنين على الاصح وقيل امهات من لا انه عليه السلام حي في قبره
ولهذا حكى الماوردي انه لا يجب عليهن عدة الوفاة وفي التي فارقها في الحياة كالمستعيذة والتي رأى بكشحها
بياضا اوجه احدها يحرم ايضا وهو الذي نص عليه الشافعي وصححه في الروضة لعموم الآية وليس المراد من
بعد بعدية الموت بل بعدية النكاح وقيل لا والثالث وصححه امام الحرمين والرافعي في الصغير تحريم المدخول بها
فقط لما روي ان الاشعث بن قيس نكح المستعيذة في زمن عمر فهم عمر برجمه فاخبر انها لم تكن مدخولا بها فكف
وفي امة فارقها بعد وطئها اوجه ثالثها تحرم ان فارقها بالموت كمارية ولا تحرم ان باعها في الحياة انتهى ومنها
انه تحرم رؤية اشخاص ازواجه في الازر وكذا كشف وجوههن واكفهن لشهادة او غيرها كما صرح به القاضي
عياض وعبارته فرض الحجاب مما اختصصن به فهو فرض عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين فلا يجوز لهن كشف
ذلك في شهادة ولا غيرها ولا اظهار شخوصهن وان كن مستترات الا ما دعت اليه ضرورة من براز ثم استدل
بما في الموطأ ان حفصة لما توفي عمر رضي الله عنه سترها النساء عن ان يرى شخصها وان زينب بنت جحش جعلت
لها القبة فوق نعشها ليستر شخصها انتهى قال الحافظ ابن حجر وليس فيما ذكره دليل على ما ادعاه من فرض ذلك
عليهن وقد كن بعد النبي صلى الله عليه وسلم يحججن ويطفن وكان الصحابة ومن بعدهم يسمعون منهن الحديث وهن
مستترات الابدان لا الاشخاص انتهى واما حكم نظر غير ازواجه عليه السلام فقال في الروضة واصلها عن الاكثرين
حرمة النظر الى وجه حرة كبيرة اجنبية وكفيها اذا لم يخف فتنة مع الكراهة وقوى كلام الشيخين الرافعي والنووي
يقتضي رجحانه وصوبه في المهمات كتصريح الرافعي في الشرح بان الاكثرين عليه لكن نقل ابن العراقي ان شيخه
البلقيني قال الترجيح بقوة المدرك والفتوى على ما في المنهاج وقد جزم به في المهذب ودون كلام الصغير يقتضي رجحانه
وعلله باتفاق المسلمين على منع النساء من الخروج سافرات ونقل في الروضة واصلها هنا الاتفاق والاراء وغيرها
نقل القاضي عياض عن العلماء مطلقا انه لا يجب على المرأة ستر وجهها في الطريق وانما هو سنة وعلى الرجال غض
البصر وحكاه عنه النووي في شرح مسلم واقره له الشيخ علم الدين البلقيني في تصحيح المنهاج والله اعلم
وكان النكاح في حقه عليه السلام عبادة مطلقا كما قاله السبكي وهو في حق غيره ليس بعبادة عندنا بل من المباحات
والعبادة عارضة له ومنها ان اولاد بناته ينسبون اليه قال عليه السلام في الحسن ان ابني هذا سيد رواه ابو
يعلى ومنها ان كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة الا سببه ونسبه قال عليه السلام كل سبب ونسب منقطع
يوم القيامة الا سببي ونسبي والنسب بالولادة والسبب بالزواج قيل معناه ان امته ينتفعون بالنسبة اليه يوم
القيامة بخلاف امة غيره ومنها انه لا يتزوج على بناته ففي المسور بن مخرمة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المنبر يقول ان بني هاشم بن المغيرة استأذنوني ان ينكحوا ابنتهم علي بن ابي طالب فلا آذن ثم لا آذن
الا ان يحب ابن ابي طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فانما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها اخرجه
الشيخان وعند الترمذي وعنده ان علي بن ابي طالب خطب بنت ابي جهل وعنده فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم
فلما سمعت بذلك فاطمة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان قومك يتحدثون انك لا تغضب لبناتك وهذا
علي ناكح ابنة ابي جهل قال المسور فقام النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد قال اما بعد فاني انكحت ابا العاص
ابن الربيع فحدثني فصدقني وان فاطمة بنت محمد بضعة مني وانما اكره ان يفتنوها وانه والله لا تجتمع بنت رسول

الله

وبنت عدو الله عند رجل واحد ابدًا قال فترك علي الخطبة اخرجه الشيخان واسم بنت ابي جهل هذه جويرية اسلمت وبايعت وتزوجها عتاب بن اسيد ثم ابان بن سعيد بن العاص قال ابو داود حرم الله تعالى على علي ان ينكح على فاطمة حياتها لقوله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وذكر الشيخ ابو علي السنجي في شرح التلخيص انه يحرم التزوج على بنات النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون ذلك خاصًا بفاطمة رضي الله عنها وقد علل عليه السلام بان ذلك يؤذيه واذايته صلى الله عليه وسلم حرام بالاتفاق وفي هذا تحريم اذى من يتاذى النبي صلى الله عليه وسلم بتاذيه لان اذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام اتفاقا قليله وكثيره وقد جزم عليه السلام بانه يؤذيه ما اذى فاطمة فكل من وقع منه في حق فاطمة شي فتاذت به فهو يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم لشهادة هذا الخبر الصحيح وقد يستشكل اختصاص فاطمة بذلك مع ان الغيرة على النبي صلى الله عليه وسلم اقرب الى خشية الافتتان في الدين ومع ذلك فكان صلى الله عليه وسلم يستكثر من الزوجات وتوجد منهن الغيرة ومع ذلك ما راعى صلى الله عليه وسلم ذلك في حقهن كما راعاه في حق فاطمة واجيب بان فاطمة كانت اذ ذاك فاقدة من تركن اليه ممن تؤنسها ويزيل وحشتها من ام او اخت بخلاف امهات المومنين فان كل واحدة منهن كانت ترجع الى من يحصل لها معه ذلك وزيادة عليه وهو زوجهن صلى الله عليه وسلم لما كان عنده من الملاطفة وتطييب القلوب وجبر الخواطر بحيث ان كل واحدة منهن ترضى منه لحسن خلقه وجميل خلقه بجميع ما يصدر منه بحيث لو وجدت ما يخشى وجوده من الغيرة لزال عن قرب ومنها ان لا يجلد في حد صلى اليه يمينه ولا يسره وافتى شيخ الاسلام ابو زرعة ابن العراقي في شخص امتنع من الصلاة الى محراب النبي صلى الله عليه وسلم وقال انا اجتهد واصلي بانه ان فعل ذلك مع الاعتراف بان كل ما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فهو رقة وان ذكر تاويلا بان قال ليس هو الان على ما كان عليه في زمنه عليه السلام بل غير عما كان عليه فهذا سبب اجتهاد لم نحكم بردته وان لم يكن هذا التاويل صحيحا ومنها ان من رآه في المنام فقد رآه حقا فان الشيطان لا يتمثل به وفي رواية مسلم من رآني في المنام فسيراني في اليقظة او لكانما راني في اليقظة لا يتمثل الشيطان بي قال الحافظ ابن حجر ووقع عند الاسمعيلي فقد راني في اليقظة بدل قوله فسيراني ومثله عند ابن ماجه وصححه الترمذي من حديث ابن مسعود وفي رواية ابي قتادة عند مسلم ايضا من راني فقد راى الحق وله ايضا من حديث جابر من راني في المنام فقد راني فانه لا ينبغي للشيطان ان يتمثل في صورتي وفي رواية من راني في المنام فقد راني فانه لا ينبغي للشيطان ان يتشبه بي وفي حديث ابي سعيد عند البخاري فان الشيطان لا يتكوّن بي اي لا يتكون كوني فحذف المضاف ووصل المضاف اليه بالفعل وفي حديث ابي قتادة عند البخاري لا تتراءى بي بالراء بوزن يتعاطى ومعناه لا يستطيع ان يتمثل بي يعني ان الله تعالى وان امكنه من التصور في اي صورة اراد فانه لم يمكنه من التصور في صورة النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذهب الى هذا جماعة فقالوا في الحديث ان محل ذلك اذا راه الرائي على صورته التي كان عليها ومنهم من ضيق الغرض في ذلك حتى قال لا بد ان يراه على صورته التي قبض عليها حتى يعتبر عدد الشعرات البيض التي لم تبلغ عشرين شعرة وعن حماد بن زيد قال كان محمد يعني ابن سيرين اذا قص عليه رجل انه راى النبي صلى الله عليه وسلم قال صف الذي رايته فان وصف له صفة لا يعرفها قال لم تره وسنده صحيح وقد اخرج الحاكم من طريق عاصم بن كليب حدثني ابي قال قلت لابن عباس رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام قال صفه لي قال فذكرت الحسن بن علي فشبهته به قال قد رايته وسنده جيد لكن يعارضه ما اخرجه ابن ابي عاصم من وجه آخر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من راني في المنام فقد راني فاني ارى في كل صورة وفي سنده ابي التوءمة وهو ضعيف لاختلاطه وهو من رواية من سمع منه بعد الاختلاط قال القاضي ابو بكر بن العربي رؤيته صلى الله عليه وسلم بصفاته المعلومة ادراك على الحقيقة ورؤيته على غير صفته ادراك للمثال فان الصواب ان الانبياء لا تغيرهم الارض ويكون ادراك الذات

الكريمة حقيقة وادراك الصفات ادراك المثال قال وشذ بعض القدرية فقال الرؤيا لا حقيقة لها اصلا قال وقوله فسيراني معناه فسيرى تفسير ما راى لانه حق وغيب واما قوله فكانما راني فهو تشبيه ومعناه انه لو راه في اليقظة لطابق ما راه في المنام فيكون الاول حقا وحقيقة والثاني حقا وتمثيلا قال وهذا كله اذا راه على صورته المعروفة فان راه على خلاف صفته فهي امثال فان راه مقبلا عليه مثلا فهو خير للرائي وعلى العكس فبالعكس وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد بقوله فقد راني او فقد راى الحق ان من راه على صورته المعروفة وحياته كانت رؤياه حقا ومن راه على غير صورته كانت رؤيا تاويل انتهى وتعقبه النووي فقال هذا ضعيف بل الصحيح انه يراه حقيقة سواء كانت على صفته المعروفة او غيرها انتهى وتعقبه شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر فقال لم يظهر لي من كلام القاضي ما ينافي ذلك بل ظاهر قوله انه يراه حقيقة في الحالين لكن في الاولى تكون الرؤيا مما لا يحتاج الى تعبير والثانية مما يحتاج الى التعبير وقال بعضهم معناه ان من راه على صورته التي كان عليها ويلزم من قوله انه لا تكون رؤيته الا على صورته المعلومة ان من راه على غير صفته ان تكون رؤياه من اضغاث الاحلام ومن المعلوم انه يرى في النوم على حالة تخالف حالته في الدنيا من الاحوال اللائقة وتقع تلك الرؤيا حقا كما لو راى في دار قوم بغير اذنهم ولا يمكن الشيطان من التمثيل بشي مما كان عليه او ينسب اليه لعارض عموم قوله فان الشيطان لا يتمثل بي فالاولى ان ننزه رؤياه وكذا رؤيا شي منه او مما ينسب اليه عن ذلك فانه ابلغ في الحرمة واليق بالعصمة كما عصم من الشيطان في يقظته فالصحيح في تاويل هذا الحديث ان مقصوده ان رؤيته في كل حالة ليست باطلة ولا اضغاثا بل هي حق في نفسها ولو روي على غير صورته فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان بل هو من قبل الله وهذا قول القاضي ابي بكر بن الطيب وغيره ويؤيده قوله فقد راى الحق اشار اليه القرطبي وقال ابن بطال قوله فسيراني في اليقظة يريد تصديق تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها وخروجها على الحق وليس المراد انه يراه في الاخرة لانه سيراه يوم القيامة في اليقظة جميع امته من راه في النوم ومن لم يره وقال المازري ان كان المحفوظ فكانما راني في اليقظة فمعناه ظاهر وان كان المحفوظ فسيراني في اليقظة احتمل ان يكون اراد اهل عصره ممن لم يهاجر اليه فانه اذا راه في المنام جعل ذلك علامة على انه يراه بعد ذلك في اليقظة واوحى الله بذلك اليه صلى الله عليه وسلم وقيل معناه سيرى تاويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها واجاب القاضي عياض باحتمال ان تكون رؤياه له في النوم على الصفة التي عرف بها ووصف عليها موجبة لتكرمته في الاخرة وان يراه رؤية خاصة من القرب منه او الشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات قال ولا يبعد ان يعاقب الله بعض المذنبين في القيامة بمنع رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم مدة وحمله ابن ابي جمرة على محمل اخر فذكر عن ابن عباس او غيره انه راى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فبقي بعد ان استيقظ متفكرا في هذا الحديث فدخل على بعض امهات المومنين ولعلها خالته ميمونة فاخرجت له المراة التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم فنظر فيها صورة النبي صلى الله عليه وسلم ولم ير صورة نفسه وقال الغزالي ليس معنى قوله فقد راني انه راى جسمي وبدني وانما المراد انه راى مثالا صار ذلك المثال الة يتادى بها المعنى الذي في نفسي اليه وكذلك قوله فسيراني في اليقظة ليس المراد انه يرى جسمي وبدني قال والالة تارة تكون حقيقية وتارة تكون خيالية والنفس غير المثال المتخيل فما راه من الشكل ليس هو روح المصطفى ولا شخصه بل هو مثال له على التحقيق قال ومثل ذلك من يرى الله تعالى في المنام فان ذاته تعالى منزهة عن الشكل والصورة ولكن تنتهي تعريفاته تعالى الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور او غيره ويكون ذلك المثال حقا في كونه واسطة في التعريف فيقول الرائي رايت الله تعالى في المنام لا يعني اني رايت ذات الله تعالى كما يقول في حق غيره وقال الغزالي ايضا في بعض فتاويه من راى الرسول يعني في المنام لم ير حقيقة شخصه المودع روضة المدينة وانما راى مثاله لا شخصه ثم قال وذلك المثال مثال روحه المقدسة عن الصورة والشكل وقال الطيبي المعنى من راني في المنام باي صفة كانت فليستبشر وليعلم انه قد راني

الرؤيا الحق اي رؤية الحق لا الباطل وكذا قوله فقد رأني فالشرط والجزاء اذا اتحدا دل على الغاية في الكمال او فقد
رأني رؤيا ليس بعدها شيء والحاصل من الاجوبة على التشبيه والتمثيل ويدل عليه قوله فكأنما رأني في اليقظة ه
ثانيها معناه سيرى في اليقظة تأويلها بطريق الحقيقة او التعبير ثالثها انه خاص باهل عصره ممن آمن به قبل ان يراه
رابعها المراد انه يراه في المرآة التي كانت له ان امكنه ذلك قال شيخ مشايخنا الحافظ ابن حجر وهذا من
ابعد المحامل خامسها انه يراه يوم القيامة بمزيد خصوصية لا مطلق من يراه حينئذ ممن لم يره في المنام ولكن
كما قدمناه في رؤيته عليه السلام النعيم على اي حال رآه الرائي بشرط ان يكون على صورته الحقيقة في وقت
ما سواء كان في شبابه او رجوليته او كهوليته او اخر عمره وقد يكون لما خالف ذلك تعبير يتعلق بالرائي كما
قال بعض علماء التعبير ان من رآه شيخا فهو غاية سلم ومن رآه شابا فهو غاية حرب وقال ابو سعيد احمد بن محمد
ابن نصر من رأى نبيا على حاله وهيئته فذلك دليل على صلاح الرائي وكمال جاهه وظفره بمن عاداه ومن رآه متغير
الحال عابسا مثلا فذلك دال على سوء حال الرائي وقال العارف ابن ابي جمرة من رآه في صورة حسنة فذاك
حسن في دين الرائي وان كان في جارحة من جوارحه شين او نقص فذلك خلل في الرائي من جهة الدين قال وهذا
هو الحق وقد جرب ذلك فوجد على هذا الاسلوب وبه تحصل الفائدة الكبرى في رؤياه حتى يتبين للرائي هل عنده
خلل او لا لانه عليه السلام نوراني مثل المرآة الصقيلة كما كان في الناظر اليها من حسن او غيره تصور فيها
وهي في ذاتها على احسن حال لا نقص فيها ولا شين وكذلك يقال في كلامه عليه السلام في النوم انه يعرض على سنته فما
وافقها فهو حق وما خالفها فالخلل في سمع الرائي فرؤيا الذات الكريمة حق والخلل انما هو في سمع الرائي او بصره
قال وهذا خير ما سمعته في ذلك انتهى وقال بعضهم ليست رؤيته عليه السلام وعلى اعين اصحاب الابصار
وذلك لا نستبعد عن حصر الرائي بل يكون من المشرق الى المغرب ومن الارض الى العرش تخبر بما ترى الصورة في المرآة
المحاذية لها وليست الصورة منتقلة الى جرم المرآة وعين الناظر مقابلة جميع الكائنات كالمرآة والخلاف
رؤيته صلى الله عليه وسلم بان يراه بعضهم شيخا وآخر شابا وآخر ضاحكا وآخر باكيا ترجع الى الرائين كاختلاف
الصورة الواحدة فيمن يرى مختلفة الاشكال والمقادير ففي الكبيرة يرى وجهه كبيرا وفي الصغيرة صغيرا وفي
المعوجة معوجا وفي الطويلة طويلا الى غير ذلك فالاختلاف راجع الى اختلاف اشكال المرائي لا الى وجه الرائي
كذلك الراؤون له عليه السلام احوالهم بالنسبة اليه مختلفة فمن رآه متبسما اليه دل على ان الرائي متمسك
بسنته والله اعلم وقد اجاب الشيخ بدر الدين الزركشي عن سؤال رؤية جماعة له صلى الله عليه وسلم
في آن واحد من اقطار متباعدة مع ان رؤيته صلى الله عليه وسلم حق بانه صلى الله عليه وسلم سراج ونور
الشمس في هذا العالم مثال نوره في العوالم كلها وكما ان الشمس يراها كل من في المشرق والمغرب في ساعة
واحدة وبصفات مختلفة فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولله در القائل

كالبدر من اي النواحي جئته ... يهدي الى عينيك نورا ثاقبا

واما رؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة
بعد موته فقال شيخنا لم يصل الينا ذلك عن احد من الصحابة ولا عمن بعدهم وقد اشتد حزن فاطمة عليه
صلى الله عليه وسلم حتى ماتت كمدا بعده بستة اشهر على الصحيح وبيتها مجاور لضريحه الشريف ولم ينقل عنها
رؤيته في المدة التي تأخرتها عنه واما ما حكي عن بعض الصالحين حكاه عن الفقيه كما هو في توثيق عرى الايمان
للبارزي وبهجة النفوس لابي عبد الله بن ابي جمرة وروض الرياحين للعفيف اليافعي وغيرهم من تصانيفه والشيخ
صفي الدين بن ابي المنصور في رسالته وعبارة ابن ابي جمرة قد ذكر عن السلف والخلف الى هلم جرا عن جماعة
كانوا يصدقون بهذا الحديث بعض من رآه في المنام فسر اني في اليقظة انهم رأوه صلى الله عليه وسلم في النوم
فرأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن اشياء كانوا منها متشوشين فاخبرهم بتفريجها ونص لهم على الوجوه التي منها

يكون

يكون فرجها فجاء الامر كذلك بلا زيادة ولا نقص ثم قال والمنكر لهذا لا يخلو اما ان يكون ممن يصدق بكرامات
الاولياء او لا فان كان الثاني فقد سقط البحث معه فانه يكذب ما اثبتته السنة بالدلائل الواضحة وان كان الاول
فهذه منها لان الاولياء يكشف لهم بخرق العادة عن اشياء في العالمين العلوي والسفلي عديدة مع التصديق بذلك
وقال ابن المنصور في رسالته ويقال ان الشيخ ابا العباس ابن القسطلاني دخل مرة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم اخذ الله بيدك يا احمد وعن الشيخ ابي السعود قال [illegible] ابا العباس وغيره
من صلحاء مصر فلما انقطعوا واشتغلت وقع علي لم يكن لي شيخ الا النبي صلى الله عليه وسلم وانه كان يصافحه عقب
كل صلاة وقال الشيخ ابو العباس الحرار دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم مرة فوجدته يكتب مناشير الاولياء
بالولاية قال وكتب لاخي محمد منهم منشورا فقلت يا رسول الله فاكتب لي كاخي فقال انت يلزمك ان تكون فيها او هذه
لعقائد الصلة يعني طريقا ونحو عنه ان له مقاما عبر هذا وقال حجة الاسلام الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال
وهم يعني ارباب القلوب في يقظتهم يشاهدون الملائكة وارواح الانبياء ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد
انتهى وقرأت في كتاب المنح الالهية في مناقب السادة الوفائية عن سيدي علي بن سيدي محمد وفا انه قال في
بعض مشاهده كنت وانا ابن خمس سنين اقرأ القرآن على رجل يقال له الشيخ يعقوب فاتيته يوما فرأيت انسانا يقرأ عليه
سورة والضحى وعجبته رأيت له وهو يلوي شدقيه بالامالة ويرفعه يضحك لعجبا فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم
يقظة لا مناما وعليه قميص ابيض قطن ثم رأيت القميص علي فقال لي اقرأ فقرأت عليه سورة الضحى والم نشرح ثم غاب عني
فلما بلغت احدى وعشرين سنة احرمت لصلاة الصبح بالقرافة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قبالة وجهي فعانقني فقال لي
واما بنعمة ربك فحدث فاوتيت لسانه من ذلك الوقت قال شيخنا واما ما حكاه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف
المنن عن الشيخ ابي العباس المرسي انه كان مع الشيخ ابي الحسن الشاذلي بالقيروان في ليلة الجمعة سابع عشري رمضان فذهب
معه الى الجامع الحكاية الى ان قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله
في كل نفس الخبر فيحتمل ان يكون مناما وكذا قول الشيخ قطب الدين القسطلاني كنت اقرأ على ابي عبد الله محمد بن عمر بن
يوسف القرطبي بالمدينة النبوية فجئته يوما في وقت خلوة وانا اريد حديث السن فخرج الي وقال عن ذلك بهذا الاذن
وعاتب علي فذهبت وانا منكسر فدخلت المسجد وقعدت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينا انا جالس على تلك الحال واذا
بالشيخ عبد الفتاح الكلابشي بانه قال ما تزوجت حتى قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج وحكي عن السيد فخر الدين
الاسحي والد السيد صفي الدين والسيد عفيف الدين انه في بعض زيارته للنبي صلى الله عليه وسلم سمع جواب سلامه من
داخل القبر الشريف عليك السلام يا ولدي وقال السيد حسن بن الاهدل في مسألة الرؤية لا ان وقوعها للاولياء قد
تواترت باجناسها الاخبار وصار العلم بذلك قطعيا استغني عنه الشك وما تواترت عنه اخبارهم لم يبق له شبهة فيه
ولكن يقع لهم ذلك في بعض غيبة حس وعروض طرف نور وحال لا تكاد تضبطها العبارة ومرادهم في الرؤية مغايرته
وكثيرا ما يغلط فيها رواتها فقل ما تجد رواية متصلة صحيحة حتى يوثق به فقد يكذب وقد يرى مناما او في غيبة حس
فيظنه يقظة وقد يرى خيالا فيظنه الرسول وقد يلبس عليه الشيطان فيجب الحذر في هذا الباب وبالجملة فالقول برؤيته
صلى الله عليه وسلم بعد موته بعين الرأس يقظة يدرك فساده باوائل العقول لاستلزامه خروجه عليه السلام من قبره
ومشيه في الاسواق ومخاطبته للناس ومخاطبتهم له وخلو قبره عن جسده المقدس فلا يبقى منه فيه شيء بحيث يزار
مجرد القبر ويسلم على غائب اشار الى ذلك القرطبي في الرد على القائل بان الرائي له في المنام رأى حقيقته ثم يراه كذلك في
اليقظة قال وهذه جهالات لا يقول بشيء منها من له ادنى مسكة من المعقول وملتزم شيء من ذلك مختل مخبول
وقال القاضي ابو بكر ابن العربي وشذ بعض الصالحين فزعم انها تقع بعيني الرأس حقيقة وقال في فتح الباري بعد ان ذكر
كلام ابن ابي جمرة وهذا مشكل جدا ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ولامكن بقاء الصحبة الى يوم القيامة انتهى ه

الحاكم
هرجاني وقال ثم فقد [illegible]
قبل شيخ [illegible]
ما حكاه السهروردي في
عوارف المعارف عن الشيخ

ولشيخ مسلم شيخ الطائفة السلمية ه فمن يدعي في هذه الدار أنه • يرى المصطفى حقا فقد فاه منشطا
ولكن بين النوم واليقظة التي • تباشر هذا الأمر مرتبة وشكلا • وقد حمل القاضي أبو بكر بن العربي
القول بأن الرؤية في المنام بعين الرأس على وجه ... ثم حكى ما نسب لبعض المتكلمين وهو القول بأنها مدركة
بعينين في القلب وأنه ضرب من المجاز أيضا فلا تمنع من الخواص أرباب القلوب القائمين بالمراقبة والتوجه
على قدم الخوف بحيث لا يسلمون لشيء مما يقع لهم من الكرامات فضلا عن أن يحدثوا بها الغير ضرورة مع السعي
في التخلص من الكدورات والاعراض عن الدنيا وأهلها جملة وكون الواحد منهم يود أنه يخرج من أهله وماله
وأنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم كالشيخ عبد القادر الكيلاني أن يتمثل صورته صلى الله عليه وسلم في خاطره
ويتصور في عالم سره أنه يكلمه بشرط أن يستقر ذلك وعدم ما يضطرب به فإن تزلزل أو اضطرب كان دلالة من الشيطان
وليس ذلك خادشا في علو مناصبهم لعدم عصمة غير الأنبياء فقد قال العلامة ابن السبكي في جمع الجوامع ثم الغير
وأن الإلهام ليس بحجة لعدم الثقة بمن ليس معصوما بخواطره وحينئذ فمن قال ممن حكينا عنه وغيرهم بأن
المرئي هو المثال لا يمتنع حمله على هذا بل يحمل كل من أطلق عليه هو اللائق وقريب منه قوله صلى الله عليه وسلم
إني رأيت الجنة والنار مع مزيد استبعاده هناك أن يكون المراد بالرؤية رؤية العلم وحكي عن الشيخ أبي العباس المرسي
أنه قال لو حجب عني سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين وعلى هذا فيكون
معنى قوله في اليقظة أي يتصور مشاهدته وينزل نفسه حاضرا معه بحيث لا يخرج عن آدابه وسنته صلى الله
عليه وسلم بل يسلك منهاجه على شريعته وطريقته ومنه قوله عليه السلام في الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه
وحمل القولين بعض من رأى على الموفقين والمنتسبين قول بعض المعتمدين أي من أراد رؤيته فليعظم حرمته وشاق
لمشاهدته توصل إلى رؤية محبوبه وظفر بكل مطلوبه وقريب منه قول صاحب شرايع الصالحين أو يراه في حالة
الذوق والانسلاخ عن العوائق الجسمانية كما نقل ذلك عن بعض الصالحين أنه رآه في حالة الذوق والشوق وقد
قال الأهدل عقب الحكاية عن الشيخ أبي العباس المرسي وهذا فيه تجوز يقع مثله في كلام الشيوخ وذلك أن
المراد أنه لم يحجب عنه بغفلة ونسيان لدوام المراقبة واستحضارها في الأعمال والأحوال ولم يرد أنه يحجب عن الرؤية
الشخصية طرفة عين فذلك مستحيل انتهى ومما اختص به عليه السلام أن المسمى باسمه ميمون ونافع في الدنيا
والآخرة روينا عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوقف عبدان بين يدي الله تعالى فيأمر
بهما إلى الجنة فيقولان ربنا بما استأهلنا الجنة ولم نعمل عملا تجازينا به الجنة فيقول الله تعالى ادخلا الجنة فإني
آليت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه أحمد ولا محمد وروى أبو نعيم عن نبيط بن شريط قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا عذبت أحدا يسمى باسمك في النار وعن علي بن أبي طالب قال ما
من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد إلا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين رواه أبو منصور الديلمي
وليس لأحد أن يكتني بكنيته أبي القاسم سواء كان اسمه محمدا أم لا ومنهم من كره الجمع وجوز الإفراد وينبغي أن
يكون هذا هو الأصح قال النووي في هذه المسألة مذاهب الشافعي منع مطلقا وجوزه مالك والثالث يجوز لمن
ليس اسمه محمدا ومن جوزه مطلقا خص النهي بحياته صلى الله عليه وسلم وهو الأقرب للنهي ومنها أنه يستحب الغسل
لقراءة حديثه والتطيب وأن لا ترفع عنده الأصوات بل يخفض كما في حياته إذا تكلم فإن كلامه المأثور بعد موته في
الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه الشريف وأن يقرأ على مكان مرتفع روينا عن مطرف قال كان الناس إذا
أتوا مالكا رحمه الله خرجت إليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل فإن قالوا المسائل
خرج إليهم في الوقت وإن قالوا الحديث دخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا وتعمم ولبس ساجه وتناول
القلنسوة وتلقى له منصة فيخرج ويجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله

صلى

وبال[illegible] الامام [illegible] عن سعيد
ابن المسيب [illegible] وقتادة
وجماعة التابعين [illegible]

صلى الله عليه وسلم ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث قال ابن أبي أويس فقيل له في ذلك فقال أحب
أن أعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا حتى كان الأعمش إذا كان على غير طهارة تيمم
ولا شك أن حرمته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وتوقيره بعد مماته عند ذكره وذكر حديثه وسماع اسمه وسيرته
كما كان في حياته والله أعلم ومنها أنه يكره لقارئ حديثه أن يقوم لأحد قال ابن الحاج في المدخل لأن ذلك قلة أدب
مع النبي صلى الله عليه وسلم وقلة احترامه وعدم مبالاة أن يقطع حديثه لأجل غيره فكيف لبدعة وقد كان السلف
لا يقطعون حديثه ولا يتحركون لو نزعوا أصابهم لضرب في أبدانهم ويتحملون المشقة التي تنزل بهم إذ ذاك احتراما للحديث
بحضرته صلى الله عليه وسلم وحسبك ما وقع لمالك رحمه الله إذ لسعته العقرب ست عشرة مرة وهو لم يتحرك تحمله
للسعها توقيرا للجناب حديثه عليه السلام إذا كان يكون بقراءته وهو يتحرك لقراءته به مع أنه معذور ربما وقع به
فكيف بالحركة والقيام إذ ذاك لا لضرورة بل للبدعة سيما إذا انضاف إلى ذلك ما لا ينبغي من الكلام للمعانقة
التي للخصا ومنها أنه تثبت الصحبة لمن اجتمع به صلى الله عليه وسلم لحظة بخلاف التابعي مع الصحابي فلا تثبت إلا بطول
الاجتماع معه على الأصح عند أهل الأصول والفرق عظم منصب النبوة ونورها فبمجرد ما يقع بصره على الأعرابي الجلف
ينطق بالحكمة ومنها أن أصحابه كلهم عدول لظواهر الكتاب والسنة فلا يبحث عن أحد منهم كما يبحث عن سائر الرواة
قال تعالى خطابا للموجودين حينئذ وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي عدولا وقال عليه السلام لا تسبوا أصحابي
فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه رواه ... عليه السلام خير الناس قرني ثم
الذين يلونهم والآيات كثيرة والأحاديث تقتضي القول بعدالتهم وكذلك أجمع من يعتد به على ذلك سواء العدل بل
من لابس الفتنة منهم وغيره لوجوب حسن الظن بهم حملا للملابس على الاجتهاد ونظرا إلى ما تمهد لهم من المآثر من
امتثال أوامره عليه السلام ونقلهم للأقاليم وتبليغهم عنه الكتاب والسنة وهدايتهم الناس مع مواظبتهم على الصلوات
والزكوات وأنواع القربات مع الشجاعة والبراعة والكرم والأخلاق الحميدة التي لم تكن في أحد من الأمم المتقدمة
ولا تكون لأحد بعدهم مثلهم في ذلك كل ذلك بحلول نظره عليه الصلاة والسلام وأفضلهم عند أهل السنة إجماعا
أبو بكر ثم عمر وأما بعدهما فالجمهور على أنه عثمان ثم علي وسيأتي مزيد لذلك إن شاء الله تعالى في الفصل السابع
ومنها أن المصلي يخاطبه بقوله السلام عليك أيها النبي ولا يخاطب غيره ومنها أنه كان يجب على من دعاه وهو
في الصلاة أن يجيبه ويشهد له حديث سعيد بن المعلى كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم أجبه الحديث وفيه ألم يقل الله تعالى استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم فإجابته فرض يعصي المرء بتركها وهل
تبطل الصلاة أم لا صرح جماعة من أصحابنا الشافعية وغيرهم أنها لا تبطل وفيه بحث لاحتمال أن تكون إجابته واجبة
مطلقا سواء كان المخاطب مصليا أو غير مصل لكنه يخرج بالإجابة من الصلاة وإلى ذلك جنح بعض الشافعية والله أعلم
ومنها أن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره ومن كذب عليه لم تقبل روايته أبدا وإن تاب فيما ذكره جماعة من المحدثين
وقال عبد الرزاق أنا معمر عن رجل عن سعيد بن جبير أن رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير فقال
اذهبا فإن أدركتماه فاقتلاه وهذا حكى إمام الحرمين عن أبيه أن من تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكفر لكن لم يوافقه أحد من الأئمة على ذلك والحق أنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة ولكن لا يكفر بها إلا من استحله
وقال النووي لم أر له أي للقول في أصل المسألة دليلا ويجوز أن يوجه بأن ذلك جعل تغليظا وزجرا بليغا عن الكذب
عليه صلى الله عليه وسلم لعظم مفسدته فإنه يصير شرعا مستمرا إلى يوم القيامة بخلاف الكذب على غيره والشهادة فإن
مفسدتهما قاصرة ليست عامة ثم قال وهذا الذي ذكره هؤلاء الأئمة ضعيف مخالف للقواعد الشرعية والمختار
القطع بصحة توبته وقبول روايته بشروطها المعروفة قال فهذا هو الجاري على قواعد الشرع وقد أجمعوا على صحة رواية من كان كافرا
فأسلم قال وأجمعوا على قبول شهادته ولا فرق بين الشهادة والرواية في هذا انتهى قال شيخنا ويمكن أن يقال إنما كان

كتبه في صحيفته وحمل عنه ودون ان الاثم غير منفك عنه بل هو لاحق له ابدا فان من سن سنة سيئة
عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة والتوبة حينئذ متعذرة ظاهرة وان وجد مجرد اسمها
ومنها انه معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها عمدها وسهوها وكذلك الانبياء ومنها انه لا يجوز عليه
الجنون لانه نقص ولا الاغماء الطويل الزمن فيما ذكره الشيخ ابو حامد في تعليقه وجزم به البلقيني في حواشي الروضة
وكذلك الانبياء ونبه السبكي على ان اغماءهم يخالف اغماء غيرهم وانما هو عن غلبة الاوجاع للحواس الظاهرة
دون القلب لانه قد ورد انما تنام اعينهم دون قلوبهم فاذا حفظت قلوبهم وعصمت من النوم الذي
هو اخف من الاغماء فمن الاغماء بطريق الاولى قال السبكي ولا يجوز عليهم العمى لانه نقص ولم يعم نبي قط وما
ذكر عن شعيب انه كان ضريرا فلم يثبت واما يعقوب فحصلت له غشاوة وزالت انتهى وقال الامام فخر الدين
الرازي في قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن لما قال يا اسفا على يوسف غلبه البكا وعند غلبة البكا
يكثر الماء في العين فتصير العين كانها ابيضت من بياض ذلك الماء فقوله وابيضت عيناه من الحزن كناية عن
غلبة البكا والدليل على صحة هذا القول ان تاثير الحزن في غلبة البكا لا في حصول العمى فلو حملنا البياض على
غلبة البكا كان هذا التعليل حسنا ولو حملناه على العمى لم يحسن هذا التعليل فكان ما ذكرناه اولى ثم قال
واختلفوا فقال بعضهم انه كان قد عمي بالكلية فالله تعالى جعله بصيرا في هذا الوقت وقال اخرون بل كان قد
ضعف بصره من كثرة البكا والاحزان بحيث صار يدرك ادراكا ضعيفا فلما القوا القميص على وجهه وبشر
بحياة يوسف عظم فرحه وانشرح صدره وزالت احزانه فعند ذلك قوي بصره وزال النقصان عنه انتهى
ومنها ان من سبه او انتقصه قتل واختلف هل يتحتم قتله في الحال او يوقف على استتابته وهل الاستتابة
واجبة ام لا فمذهب المالكية يقتل حدا لا ردة ولا تقبل توبته ولا عذره ان ادعى سهوا او غلطا وعبارة شيخهم
العلامة خليل في مختصره وان سب نبيا او ملكا او عرض او لعنه او عابه او قذفه او استخف بحقه او غير صفته
او الحق به نقصا وان في بدنه او خصلته او غض من مرتبته او وفور علمه او زهده او اضاف له ما لا يجوز عليه او
نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او قيل له بحق رسول الله فلعن وقال اردت العقرب قتل ولم يستتب
حدا الا ان يسلم الكافر والا ان ظهر انه لم يرد ذمه لجهل او سكر او تهور وهذا ما ذكره القاضي عياض في الشفا
وغيره واستدلوا له بالكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا واللعنة من الله تعالى هو ابعاد الملعون عن رحمته واحلاله
في وبيل عقوبته قال القاضي عياض وانما يستوجب اللعن من هو كافر وحكم الكافر القتل والاذى هو الشر
الخفيف فان زاد كان ضررا كذا قاله الخطابي وغيره واطلاق الاذى في حقه تعالى انما هو على سبيل المجاز لتعاليه عن
الحقيقة فيه ويشهد لذلك الالهي يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني وهذا بخلاف جانب الرسول فالاذى
في حقه تعالى وحق رسوله كفر بشهادة هذه الاية لان العذاب المهين انما يكون للكفار وكذلك العذاب الاليم
وقال تعالى قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم قال القاضي عياض قال
اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله واما السنة فروى ابو داود والترمذي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من لنا بابن الاشرف وفي اخرى من لكعب بن الاشرف اي من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا
وفي رواية فانه يؤذي الله ورسوله قال القاضي عياض ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره
من المشركين وعلل باذاه له فدل على ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وفي حديث مصعب بن سعد عن ابي
داود انه لما كان يوم الفتح امن صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر ذكرهم ثم قال واما ابن ابي سرح فاختبا
عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به حتى اوقفه على رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله بايع عبد الله فرفع راسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يابى فبايعه بعد
ثلاث ثم اقبل على اصحابه فقال اما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين كففت يدي عن بيعته
فيقتله فقالوا ما ندري يا رسول الله ما في نفسك الا اومات الينا قال انه لا ينبغي لنبي ان تكون له خائنة
الاعين وفيه انه امر بقتل عبد الله ابن خطل لان ابن خطل كان يقول الشعر يهجو به النبي صلى الله عليه
وسلم ويامر جاريتيه به وكذلك قتل جاريتيه قالوا فقد ثبت انه امر بقتل من اذاه ومن تنقصه
والحق له عليه السلام وهو مخير فيه فاختار القتل في بعضهم بعد ذلك وعفا عن بعضهم واما بعد وفاته تعذر
المعرفة بالعفو فبقي الحكم على عمومه في القتل لعدم الاطلاع على العفو والبراءة لتعذر ان يسقطوا حقه فلم
يرد عنه الاذن في ذلك واما الاجماع فقال القاضي عياض اجمعت الامة على قتل منتقصه من المسلمين
وسابه وقال ابن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك
مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي وقال الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف
في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال محمد بن سحنون اجمع العلماء على ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم
المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر انتهى
ومذهب الشافعية ان ذلك ردة تخرجه من الاسلام الى الكفر فهو مرتد كافر قطعا لا نزاع في ذلك
عند الجمهور من الشافعية ايضا والمرتد يستتاب فان تاب والا قتل وفي الاستتابة قولان اصحهما وجوبها لانه
كان محترما بالاسلام وربما عرضت له شبهة فينبغي ازالتها وقيل يستحب لانه غير مضمون الدم فان قلنا
الاول فيجب في الحال ولم يؤجل كغيره وفي الصحيح حديث من بدل دينه فاقتلوه وفي قول يمهل ثلاثة ايام فان
لم يتب واصر رجلا كان او امراة قتل وان اسلم صح اسلامه وترك لقوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة
الاية وعن ابن عباس قال ايما مسلم سب الله او سب احدا من الانبيا فقد كذب برسول الله وهي ردة يستتاب
فان تاب والا قتل وايما معاهد سب الله او سب احدا من الانبيا فقد نقض العهد فاقتلوه واجيب عما
تقدم من ادلة المالكية فاما قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله الاية فليس فيه الا الكفر من مؤذيه
عليه السلام واما كونه يقتل بعد التوبة والاسلام فلا دلالة فيه اصلا واما ابن خطل فانما قتل ولم يستتب
للكفر والزيادة فيه بالاذى مع ما اجتمع فيه من موجبات القتل ولانه اتخذ الاذى ديدنا فلا يقاس عليه من
فرط منه فرطة وقلنا يكفر بها وتاب ورجع الى الاسلام والفرق واضح وكذلك قتل جاريتيه لانهما
جعلتا ذلك ديدنا مع ما قام بهما من صفة الكفر ولذا وقع لابن عباس ان عقبة بن ابي معيط
نادى يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكر له سببين في تحتم قتله وهذا في غاية الظهور واما قول الخطابي وغيره لا اعلم احدا
من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما فمحمول على القتل بعد عدم التوبة واما سياق القاضي عياض
لقصة الرجل الذي كذب على النبي صلى الله عليه وسلم وانه بعث عليا والزبير لقتله فليس بعمدة في هذا
المقام لان الظاهر ان هذا الكذب فيه افساد فتنة بين المؤمنين لاسيما ان كان كافرا فيكون من محاربي
الله ورسوله مع السعي في الارض بالفساد فيكون يتحتم القتل والا فليس مطلق الكذب عليه مما يوجب القتل
وكذا سياقه حديث ابن عباس ان هجت امراة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل
من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان اي لا يجري
فيها خلف ولا نزاع فان في هذه الحكاية ونظايرها ما تقرر ان الحكم بالكفر بالمحكي عنهم والزيادة منه وقد اخبر
عليه السلام انه لا عصمة لاحد من الناس بعد دعواهم الى الاسلام الا بالاسلام فكل منهم مهدر الدم لا

من عصم الله منهم بالإسلام وأما النافع له في مقام الاستدلال ذكر من طرأ عليه من المسلمين رفضه
الارتداد بالسب على القول بكونه ردة فرجع إلى الإسلام وتاب فهذا هو محل النزاع وموضع الاستدلال
لكل من المتنازعين أما بكونها كافرة أصلية بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وامتنع من إجابته وحاربه
بيده ولسانه فلا نزاع في إهدار دمه قطعاً لا سيما وقد نقل عن هذه المرأة الكافرة أنها كانت تعيب
الإسلام وتؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه فاحتج بها موجباً للقتل إجماعاً فقد تقدم مما
ساقه القاضي عياض أنه أمر عليه السلام بقتل سابه إنما نقل عن الكفر ولم ينقل أنه عليه السلام قتل
مسلماً بسبه ولما كان ذلك في أهل الكفر والعناد ولو نقل والتعين كونه حداً لاحتمال أن يكون مثله كم
ولدلالة قوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فعلمنا أن وراء الشرك
في حيز إمكان المغفرة وقوله تعالى إن الله يغفر الذنوب جميعاً أو نزلت هذا بالنظر إلى ظلم النفس
وحقوق الله تعالى لا بالنظر لحقوق العباد لأن حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة وحقوق العباد
مبنية على المشاحة وهنا حق النبي صلى الله عليه وسلم وليس لنا أن نسقطه بخلافه هو صلى الله عليه وسلم
فإن له ذلك فالجواب لا بد لنا من نص على ذلك لأنه عليه السلام كان يقول لمثل هذا من سبني فاقتلوه
ولا تقبلوا له توبة ولا نرجع عن سنته فإن نقل اتبعناه ثم إنه من جهة النظر مبنى الخلاف حقوق رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحقوق الله فكما أن حقوق الله تعالى مبناها على المسامحة كذلك حقوقه صلى الله عليه وسلم
فإنه متخلق بأخلاق الله تعالى ومما عدّ من خصائصه صلى الله عليه وسلم إذا قصده ظالم وجب على
من حضره أن يبذل نفسه دونه حكاه النووي في زيادة الروضة عن جماعة من الأصحاب ومن خصائصه
أيضاً أنه كان صلى الله عليه وسلم يخص من شاء بما شاء من الأحكام كجعله شهادة خزيمة بشهادة رجلين
روى أبو داود عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عمه وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى
الله عليه وسلم ابتاع من أعرابي فرساً فاستتبعه ليقبضه

ليقضيه ثمن الفرس فأسرع النبي صلى الله عليه وسلم المشي وأبطأ الأعرابي فطفق رجال يعترضون الأعرابي
يساومونه بالفرس ولا يشعرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ابتاعه حتى زادوا على ثمنه فذكر الحديث
قال فطفق الأعرابي يقول هلم شهيداً يشهد أني قد بعتك فمن جاء من المسلمين يقول ويلك إن النبي صلى
الله عليه وسلم لم يكن ليقول إلا الحق حتى جاء خزيمة بن ثابت فاستمع المراجعة فقال أنا أشهد أنك قد بايعته
الحديث وفيه قال فجعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة برجلين وفي البخاري من حديث زيد بن ثابت
قال فوجدتها مع خزيمة الذي جعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادته برجلين وعند الحرث بن أبي أسامة
في مسنده من حديث النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى من أعرابي فرساً فجحد
الأعرابي فجاء خزيمة فقال يا أعرابي أنا أشهد عليك أنك بعته فقال الأعرابي إن شهد علي خزيمة فأعطني
الثمن فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا خزيمة إنا لم نشهدك كيف تشهد قال أنا أصدقك على خبر السماء
ألا أصدقك على ذا الأعرابي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين فلم يكن في الإسلام
من تعدل شهادته بشهادة رجلين غير خزيمة قال الخطابي هذا الحديث حمله كثير من الناس على
غير محمله وتذرع به قوم من أهل البدع إلى استحلال الشهادة لمن عرف عندهم بالصدق على كل شيء
ادعاه وإنما وجه الحديث أنه صلى الله عليه وسلم حكم على الأعرابي بعلمه وجرت شهادة خزيمة
مجرى التوكيد لقوله والاستظهار على خصمه فصارت في التقدير كشهادة اثنين في غيرها من القضايا
انتهى ومن ذلك ترخيصه في النياحة لأم عطية روى مسلم عنها قالت لما نزلت هذه الآية يبايعنك
على أن لا يشركن بالله شيئاً إلى قوله ولا يعصينك في معروف قالت كان منه النياحة فقلت
يا رسول الله إلا آل فلان فإنهم كانوا أسعدوني في الجاهلية فلا بد لي من أن أسعدهم فقال إلا آل فلان
قال النووي هذا محمول على الترخيص لأم عطية في آل فلان خاصة وللشارع أن يخص من العموم ما شاء
ومن ذلك ترك الإحداد لأسماء بنت عميس قالت لما أصيب جعفر بن أبي طالب قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم تسلبي ثلاثاً ثم اصنعي ما شئت ومن ذلك الأضحية لأبي بردة بن نيار رواه الشيخان من
حديث البراء بن عازب قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال من صلى صلاتنا
ونسك نسكنا فقد أصاب السنة ومن نسك قبل الصلاة فتلك شاة لحم فقام أبو بردة بن نيار
فقال يا رسول الله لقد نسكت قبل أن أخرج إلى الصلاة وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب فتعجلت وأكلت
وأطعمت أهلي وجيراني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك شاة لحم قال فإن عندي عناق جذعة
هي خير من شاتي لحم فهل تجزئ عني قال نعم ولن تجزئ عن أحد بعدك ونيار بكسر النون وتخفيف المثناة
التحتية وآخره راء قوله ولن تجزئ بفتح أوله غير مهموز أي تقضي والجذع بالجيم والذال المعجمة وفي هذا
الحديث تخصيص لأبي بردة وفي حديث عقبة بن عامر بالجذع من المعز في الأضحية لكن وقع في عدة
أحاديث التصريح بنظير ذلك لغير أبي بردة ففي حديث عقبة بن عامر عند البيهقي ولا رخصة فيها لأحد بعدك
قال البيهقي إن كانت هذه الزيادة محفوظة كان هذا رخصة لعقبة كما رخص لأبي بردة قال الحافظ
ابن حجر وفي هذا الجمع نظر لأن في كل منهما صيغة عموم فأيهما تقدم على الآخر اقتضى انتفاء الوقوع للثاني
ويحتمل أن تكون خصوصية الأول نسخت بثبوت الخصوصية للثاني ولا مانع من ذلك لأنه لم يقع في السياق
استمرار المنع لغيره صريحاً وفي كلام بعضهم أن الذين ثبتت لهم الرخصة أربعة أو خمسة واستشكل الجمع

عناقا

وليس بمشكل فان الاحاديث التي وردت في ذلك ليس فيها التصريح بالنفي الا في قصة ابي بردة في الصحيح
وفي قصة عقبة بن عامر عند البيهقي واما ما عدا ذلك فاخرج ابو داود وصححه ابن حبان
من حديث زيد بن خالد ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاه عتودا جذعا فقال ضح به فقلت
انه جذع افاضحي به قال ضح به وفي الاوسط للطبراني من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم
اعطى سعد بن ابي وقاص جذعا من المعز فامره ان يضحي به واخرجه الحاكم من حديث عائشة وفي
سنده ضعف فلا منافاة بين ذلك وبين تخصيص ابي بردة وعقبة بالرخصة في ذلك وان تعذر الجمع
بين حديث ابي بردة وحديث عقبة فحديث ابي بردة اصح مخرجا وان كان حديث عقبة
عند البيهقي من مخرج الصحيح والله اعلم ومن ذلك انكاح ذلك الرجل بما معه من القران فيما ذكره جماعة
وورد به حديث مرسل اخرجه سعيد بن منصور عن ابي النعمان الازدي قال زوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم امراة على سورة من القران وقال لا يكون لاحد بعدك مهرا ومنها انه يوعك
كما يوعك رجلان لمضاعفة الاجر ومنها ان جبريل ارسل اليه ثلاثة ايام في مرضه يساله عن حاله
ذكره البيهقي وغيره ومنها انه صلى عليه الناس افواجا افواجا بغير امام وبغير دعاء الجنازة ذكره
البيهقي وابن سعد وغيرهما وترك بلا دفن ثلثة ايام كما سياتي وفرش له في لحده قطيفة وان كان
مكروها في حقنا واظلمت الارض بعد موته كما سياتي ومنها انه لا يبلى جسده وكذلك الانبياء
رواه ابو داود بلفظ ان الارض لا تاكل اجساد الانبياء ومنها انه لا يورث فقيل لبقائه على ملكه
وقيل لمصيره صدقة وبه قطع الروياني ثم حكى وجهين في انه هل يصير وقفا على ورثته وانه اذا صار وقفا
هل هو الواقف وجهان قال النووي في زيادة الروضة الصواب الجزم بزوال ملكه وان ما تركه
صدقة للمسلمين لا يختص به الورثة انتهى قال في الشرح الصغير المشهور انه صدقة وذكر الرافعي
في قسم الفيء ان الخمس كان له صلى الله عليه وسلم ينفق منه على نفسه ومصالحه ولم يكن يملكه ولا ينتقل
الى ورثته وقال في باب الخصائص انه ملكه وجمع بينهما بان الجهة الانفاق ما دام حيا مملوكة وغير مملوكة
والخلاف جار في احدهما ايضا وعلى هذا فيباح له عليه الصلاة ان يوصي بجميع ماله للفقراء وتمضي وصيته
بعد موته بخلاف غيره فانه لا يمضي مما اوصى به الا الثلث بعد موته وكذلك الانبياء لا يورثون لما رواه
النسائي من حديث الزبير مرفوعا انا معاشر الانبياء لا نورث وعلى هذا فيجاب عن قوله تعالى وورث
سليمان داود وقوله رب هب لي من لدنك وليا يرثني بان المراد ارث النبوة والعلم ومنها انه حي في
قبره وكذلك الانبياء ولهذا قيل لا عدة على زوجاته وقيل ويصلي فيه باذان واقامة وقد حكى ابن زبالة وابن
النجار ان الاذان ترك في ايام الحرة ثلثة ايام وخرج الناس وسعيد بن المسيب في المسجد قال
سعيد فاستوحشت فدنوت الى القبر فلما حضرت الظهر سمعت الاذان في القبر فصليت الظهر ثم
مضى ذلك الاذان والاقامة في القبر لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليال ورجع الناس وعاد المؤذنون
فسمعت اذانهم كما سمعت الاذان في قبر النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وقد ثبت ان الانبياء يحجون ويلبون
فان قلت كيف يصلون ويحجون ويلبون وهم اموات في الدار الاخرة وليست دار عمل فالجواب
انهم كالشهداء بل افضل منهم والشهداء احياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا كما قال
ان البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا في استكثارهم من الاعمال وزيادة الاجور وان المنقطع في الاخرة

انما هو التكليف وقد تحصل الاعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها ولهذا انهم يسبحون ويقرؤن
القران ومن هذا سجود النبي صلى الله عليه وسلم وقت الشفاعة وقد قال صاحب التلخيص ان ماله
عليه السلام بعد موته قائم على نفقته وملكه وحكاه من خصائصه ونقل امام الحرمين عنه ان ما
خلفه بقي على ما كان في حياته فكان ينفق منه ابو بكر على اهله وخدمه وكان يرى انه باق على ملك
النبي صلى الله عليه وسلم فان الانبياء احياء وهذا يقتضي اثبات الحياة في احكام الدنيا وذلك زائد على حياة
الشهيد والذي صرح به النووي زوال ملكه عليه السلام وان ما تركه صدقة على جميع المسلمين لا
تختص به ورثته فان قلت القران ناطق بموته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انك ميت وانهم
ميتون وقال عليه السلام اني مقبوض وقال الصديق فان محمدا قد مات واجمع المسلمون على
اطلاق ذلك اجاب الشيخ تقي الدين السبكي بان ذلك الموت غير مستمر وانه صلى الله عليه وسلم
احيي بعد الموت ويكون انتقال الملك ونحوه مشروطا بالموت المستمر الا ان الحياة الثانية حياة
اخروية ولا شك انها اعلى واكمل من حياة الشهداء وهي ثابتة للروح بلا اشكال وقد ثبت ان
اجساد الانبياء لا تبلى وعود الروح الى الجسد ثابت في الصحيح لسائر الموتى فضلا عن الشهداء فضلا
عن الانبياء واما النظر في استمرارها في البدن وفي ان البدن يصير حيا كحالته في الدنيا او حيا بدون
وهي حيث شاء الله فان ملازمة الحياة للروح امر عادي لا عقلي فهذا مما يجوزه العقل فان صح
به سمع اتبع وقد ذكره جماعة من العلماء ويشهد له صلاة موسى في قبره فان الصلاة تستدعي جسدا
حيا وكذلك الصفات المذكورة في الانبياء ليلة الاسراء كلها صفات الاجسام ولا يلزم من كونها
حياة حقيقية ان تكون الابدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب
وغير ذلك من صفات الاجسام التي نشاهدها بل يكون لها حكم اخر فليس في العقل ما يمنع من اثبات
الحياة الحقيقية لهم واما الادراكات كالعلم والسماع فلا شك ان ذلك ثابت لهم بل ولسائر الموتى
حكاه الشيخ زين الدين المراغي وقال انه مما يقرر وجوده وفي مثله فليتنافس المتنافسون ومنها انه
وكل بقبره ملك يبلغه صلاة المصلين عليه رواه احمد والنسائي والحاكم وصححه بلفظ ان لله ملائكة
سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام وعند الاصبهاني عن عمار ان لله ملكا اعطاه سمع
العباد كلهم فما من احد يصلي علي الا ابلغنيها وتعرض اعمال امته عليه ويستغفر لهم روى ابن المبارك
عن سعيد بن المسيب ليس من يوم الا وتعرض على النبي صلى الله عليه وسلم اعمال امته غدوة وعشيا
فيعرفهم بسيماهم واعمالهم ومنها ان منبره على حوضه كما في الحديث وفي رواية ومنبري على ترعة
من ترع الجنة واصل الترعة الروضة على المكان المرتفع خاصة فاذا كانت في المطمئن فهي روضة
ولم يختلف احد من العلماء انه على ظاهره وانه حق محسوس موجود فان القدرة صالحة لا يعجز فيها
وكما اخبر به الصادق عليه السلام من امور الغيب فالايمان به واجب ومنها ان ما بين قبره
ومنبره روضة من رياض الجنة رواه البخاري بلفظ ما بين بيتي ومنبري وهذا يحتمل الحقيقة والمجاز فمن
الحقيقة فبان يكون ما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم بانه من الجنة ان يكون مقتطعا منها كما ان الحجر
الاسود منها وكذلك النيل والفرات من الجنة وكذلك الثمار الهندية من الورق التي هبط بها ادم

عليه السلام من الجنة فاقتضت الحكمة ان يكون في هذه الدار من مياه الجنة ومن ترابها ومن حجرها
ومن فواكهها حكمة حكيم جليل واما المجاز فبان يكون من اطلاق اسم المسبب على السبب فان ملازمة
ذلك المكان للصلاة والعبادة سبب في نيل الجنة قاله ابن ابي جمرة وهو معنى قول البعض لكون الخباد
فيه تؤول الى دخول العابد روضة وهذا فيه نظر اذ لا اختصاص لذلك بتلك البقعة على غيرها
وفي كتاب بهجة النفوس لابن ابي جمرة حكاية قول ان تلك البقعة تنقل بعينها فتكون في الجنة يعني
روضة من رياضها قال والاظهر الجمع بين الوجهين معا يعني احتمال كونها تنقل الى الجنة وكون العمل فيها
يوجب لصاحبه روضة في الجنة ويأتي مزيد لذلك في فضل الزيارة من المقصد الاخير ان شا الله تعالى
ومنها انه صلى الله عليه وسلم اول من ينشق عنه القبر في رواية مسلم انا اول من تنشق عنه الارض
وهو اول من يفيق من الصعقة قال عليه السلام انا اول من يرفع راسه بعد النفخة فاذا انا بموسى آخذ
بقائمة من قوائم العرش فلا ادري افاق قبلي ام جوزي بصعقة الطور رواه البخاري والظاهر انه
عليه السلام لم يكن عنده علم بذلك حتى اعلمه الله تعالى فقد اخبر عن نفسه الكريمة انه عليه الصلوة والسلام
اول من ينشق عنه القبر وهو اول من يجيز على الصراط رواه البخاري من حديث ابي هريرة وانه يحشر في
سبعين الفا من الملايكة كما روي عن كعب الاحبار ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الف ملك يحفون
بقبره عليه السلام يضربون باجنحتهم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط سبعون الف ملك حتى اذا انشقت
عنه الارض خرج في سبعين الفا من الملايكة يوقرونه صلى الله عليه وسلم الحديث رواه ابن النجار في تاريخ
المدينة وانه يحشر راكب البراق رواه الحافظ السلفي كما ذكره الطبري ويكسى في الموقف اعظم الحلل من الجنة
رواه البيهقي بلفظ فاكسى حلة لا يقوم لها البشر ورواه كعب بن مالك بلفظ يحشر الناس يوم القيمة فاكون
انا وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضرا رواه الطبري وهو عند ابن ابي شيبة بلفظ يحشر الناس على تل
وامتي على تل عند الطبري ايضا من حديث ابن عمر فيرقى هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وامته على كوم فوق
الناس وانه يقوم عن يمين العرش رواه ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم وفيه لا يقومه غيره يغبطه
فيه الاولون والاخرون ومنها انه يعطى المقام المحمود قال مجاهد هو جلوسه على العرش وعن عبد الله
ابن سلام على الكرسي ذكرهما البغوي وسياتي ما قيل في ذلك في تفسير المحمود ان شا الله تعالى
ومنها انه يعطى الشفاعة العظمى في فصل القضا بين اهل الموقف حين يفزعون اليه بعد الانبيا والشفاعة
في ادخال قوم الجنة بغير حساب وفي رفع درجات ناس في الجنة كما جوز النووي اختصاص هذه والتي قبلها
به وورد به الاحاديث في التي قبل وسياتي مزيد لذلك ان شا الله تعالى في المقصد الاخير والله المعين
ومنها انه صاحب لواء الحمد يوم القيمة آدم فمن دونه تحته رواه البزار وانه اول من يقرع باب الجنة روى
مسلم من حديث المختار بن فلفل عن انس قال صلى الله عليه وسلم انا اكثر الناس تبعا يوم القيمة وانا
اول من يقرع باب الجنة وعنه ايضا عن انس قال صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح
فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك ورواه الطبراني بزيادة فيه قال فيقوم الخازن فيقول
لا افتح لاحد قبلك ولا اقوم لاحد بعدك وهذه خصوصية اخرى له صلى الله عليه وسلم وهي ان خازن الجنة
لا يقوم لاحد غيره صلى الله عليه وسلم فقيامه له عليه السلام فيه اظهار لمزيته ومرتبته ولا يقوم لاحد

قلت يكفي في مزيد الاختصاص مع انه جا وعمد لك فيه اذا احرام ثم بابه اكثيه فادعوا لهم مع

بالقيام

بعده

بعده بل خزنة الجنة يقومون تحت منته وهو كالملك عليهم وقد اقامه الله تعالى لخدمته عبده ورسوله
حتى مشى وفتح له الباب ومنها انه صلى الله عليه وسلم اول من يدخل الجنة قال عليه السلام وانا اول من
يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقرا المومنين ولا فخر رواه الترمذي ومن خصايصه صلى الله عليه
وسلم الكوثر نهر في الجنة يسيل في حوضه مجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج
ومنها الوسيلة وهي اعلى درجة في الجنة واما خصايص امته صلى الله عليه وسلم زادها شرفا
فاعلم انه لما انشا سبحانه وتعالى العالم على غاية من الاتقان وابرز جسد نبينا صلى الله عليه وسلم
للعيان ظهرت عنايته بامته الانسانية بحضوره وظهوره فيها وان كان رب العالم الانساني والبارى
كله امته ولكن لهولاء خصوص من وصف فجعلهم خير امة اخرجت للناس وجعلهم ورثة الانبيا واعطاهم
الاجتهاد في نصب الاحكام فيحكمون بما ادى اليه اجتهادهم وجعل من دخل من الانبيا عليهم السلام كعيسى
او لقيه ودخل كالخضر في زمان هذه الامة فانه لا يحكم في العالم الا بما شرع محمد نبينا صلى الله عليه وسلم
فاذا نزل سيدنا عيسى صلى الله عليه وسلم فانما يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم بالهام او اطلاع
على الروح المحمدي او بما شا الله تعالى فياخذ عنه ما شرع الله له ان يحكم به في امته فلا يحكم في شي من تحريم
وتحليل الا بما كان يحكم به نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يحكم بشريعته التي انزلت عليه في اوان رسالته ودولته
فهو عليه السلام تابع لنبينا صلى الله عليه وسلم وقد نبه على ذلك الترمذي الحكيم في كتاب ختم الاوليا والغرب
عنه صاحب عنقا مغرب وكما الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح عقايد النسفي وصح انه يصلي بالناس
ويومهم ويقتدي به المهدي لانه افضل فامامته اولى انتهى فهو عليه السلام وان كان خليفة في الامة
المحمدية فهو رسول ونبي كريم على حاله فان قلت قد ورد في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم ليوشكن
ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية والصواب في معناه
انه لا يقبل الجزية ولا يقبل الا الاسلام او القتل وهذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم فان الكتابي اذا بذل
الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله ولا اكراهه على الاسلام واذا كان كذلك فكيف يكون عيسى عليه السلام
حاكما بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم فالجواب انه لا خلاف ان عيسى عليه السلام انما ينزل حاكما
بهذه الشريعة المحمدية ولا ينزل نبيا برسالة مستقرة وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الامة واما
حكم الجزية وما يتعلق به فليس حكما مستمرا الى يوم القيمة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى وقد اخبر نبينا
صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ بل نبينا صلى الله عليه وسلم هو المبين للنسخ
فدل على ان الامتناع في ذلك الوقت من قبول الجزية هو شرع نبينا صلى الله عليه وسلم اشار اليه النووي
في شرح مسلم فان قلت ما المعنى في تغيير حكم الشرع عند نزول عيسى عليه السلام في عدم قبول الجزية
اجاب ابن بطال بانا انما قبلناها لاحتياجنا الى المال وليس يحتاج عيسى عند خروجه الى
مال لانه يفيض [illegible] المال حتى لا يقبله احد فلا يقبل الا القتل او الايمان بالله وحده انتهى
واجاب الشيخ ولي الدين بن العراقي بان قبول الجزية من اليهود والنصارى لشبهة ما بايديهم
من التوراة والانجيل وتعلقهم بزعمهم بشرع قديم فاذا نزل عيسى عليه السلام زالت تلك الشبهة بحصول
معاينته فصاروا كعبدة الاوثان في انقطاع شبهتهم وانكشاف امرهم فعوملوا معاملتهم في انه لا يقبل

في [illegible] بعد نبيهم

منهم الا الاسلام والحكم بقول بنداء على ان عليه قال وهذا معنى حسن مناسب لم ار من تعرض له قال
وهذا اولى مما ذكره ابن بطال انتهى وكذلك من يقول من العلماء بنبوة الخضر وانه باق الى اليوم فانه تابع
لاحكام هذه الملة وكذلك الياس على ما صححه ابو عبد الله القرطبي انه حي ايضا وليس في الرسل من بعده
رسول له كتاب الا نبينا صلى الله عليه وسلم وكفى بهذا شرفا لهذه الامة المحمدية زادها الله تعالى شرفا
فالحمد لله الذي خصنا بهذه الرحمة واسبغ علينا هذه النعمة ومن علينا بما عمنا به من الفضائل الجمة
ونوه بنا في كتابه العزيز بقوله كنتم خير امة فتامل قوله كنتم اي في اللوح المحفوظ وقيل كنتم في علم الله
فينبغي لمن هو من هذه الامة المحمدية ان يتخلق بالاخلاق الزكية ليثبت له ما لهذه الامة المرضية من
الاوصاف المرضية ويتاهل لما لها من الخيرية قال مجاهد كنتم خير امة اخرجت للناس اذا كنتم على الشرائط
المذكورة اي تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقيل انما صارت امة محمد عليه السلام خير امة لان
المسلمين منهم اكثر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم افشى فقيل هذا لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
كما قال عليه السلام خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهذا يدل على ان اول هذه الامة
افضل ممن بعدها والى هذا ذهب معظم العلماء وان من صحبه صلى الله عليه وسلم وراه ولو مرة من عمره
افضل من كل من ياتي بعده وان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل وهذا مذهب الجمهور وذهب ابو عمر بن عبد البر
الى انه قد يكون فيمن ياتي بعد الصحابة افضل ممن كان في جملة الصحابة وان قوله عليه السلام خير الناس
قرني ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن بين الفاضل والمفضول وقد جمع قرنه عليه السلام من المنافقين
المظهرين للايمان واهل الكبائر والذين عليهم وعلى بعضهم الحدود وقد روى ابو امامة انه صلى الله عليه
وسلم قال طوبى لمن راني وامن بي وطوبى سبع مرات لمن لم يرني وامن بي وفي مسند ابي داود الطيالسي
عن محمد بن ابي حميد عن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اتدرون اي الخلق افضل ايمانا قلنا الملائكة قال وحق لهم بل غيرهم قلنا الانبياء قال وحق لهم بل غيرهم
ثم قال صلى الله عليه وسلم افضل الخلق ايمانا قوم في اصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني فهم افضل
الخلق ايمانا وروى ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة كتب الى سالم بن عبد الله ان اكتب الي بسيرة
عمر بن الخطاب لاعمل بها فكتب اليه سالم ان عملت بسيرة عمر فانت افضل من عمر لان زمانك
ليس كزمان عمر ولا رجالك كرجال عمر قال وكتب الى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل قول سالم قال
ابو عمر هذه الاحاديث تقتضي مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين اول هذه الامة واخرها في فضل
العمل الا اهل بدر والحديبية ومن تدبر هذا الباب بان له الصواب والله يؤتي فضله من يشاء انتهى
واسناد حديث ابي داود الطيالسي عن عمر ضعيف فلا يحتج به لكن روى احمد والدارمي والطبراني
عن ابي عبيدة يا رسول الله احد خير منا اسلمنا معك وجاهدنا معك قال قوم يكونون من بعدكم
يؤمنون بي ولم يروني واسناده حسن وصححه الحاكم والحق ما عليه الجمهور ان فضيلة الصحبة لا يعدلها
عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم واما [illegible] افضلية الصحابة على غيرهم فكثيرة متظاهرة لا
نطيل بذكرها وستاتي بقية مباحث ذلك في فضل الصحابة من المقصد السابع ان شاء الله تعالى وقد خص
الله تعالى هذه الامة الشريفة بخصائص لم يؤتها احد قبلهم ومن الاخبار والاثار الناطقة بذلك ما خرج ابو نعيم

عن ابي

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى لما نزلت عليه التوراة قراها فوجد فيها
ذكر هذه الامة فقال يا رب اني اجد في الالواح امة هم الاخرون السابقون فاجعلها امتي قال تلك
امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة اناجيلهم في صدورهم يقرؤونها ظاهرا فاجعلها امتي
قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة ياكلون الفيء فاجعلها امتي قال تلك امة احمد
قال يا رب اني اجد في الالواح امة يجعلون الصدقة في بطونهم يؤجرون عليها فاجعلها امتي قال تلك
امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة
وان عملها كتبت له عشر حسنات فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح
امة يؤتون العلم الاول اذا هم احدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت سيئة واحدة فاجعلها
امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة يؤتون العلم الاول والعلم الاخر فيقتلون
المسيح الدجال فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال يا رب فاجعلني من امة احمد فاعطي عند ذلك
خصلتين فقال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين
قال قد رضيت يا رب وروى ابن ظفر في النطق المفهوم عن ابن عباس رفعه قال موسى يا رب
هل في الامم اكرم عليك من امتي ظللت عليهم الغمام وانزلت عليهم المن والسلوى فقال الله سبحانه
وتعالى يا موسى اما علمت ان فضل امة محمد على سائر الامم كفضلي على جميع خلقي قال يا رب فارنيهم قال
لن تراهم ولكن اسمعك كلامهم فناداهم الله تعالى فاجابوه كلهم بصوت واحد لبيك اللهم لبيك وهم
في اصلاب ابائهم وبطون امهاتهم فقال سبحانه وتعالى صلاتي عليكم ورحمتي سبقت غضبي وعفوي
سبق عقابي استجبت لكم قبل ان تسالوني من لقيني منكم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
غفرت له ذنوبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد الله ان يمن علي بذلك فقال وما
كنت بجانب الطور اذ نادينا اي امتك حتى اسمعنا موسى كلامهم ورواه فيه وزاد فقال موسى يا رب
ما احسن اصوات امة محمد صلى الله عليه وسلم اسمعني مرة اخرى وفي الحلية لابي نعيم عن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى موسى نبي بني اسرائيل انه من لقيني وهو جاحد
باحمد ادخلته النار قال يا رب ومن احمد قال ما خلقت خلقا اكرم علي منه كتبت اسمه مع اسمي في
العرش قبل ان اخلق السموات والارض ان الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وامته قال ومن
امته قال الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون اوساطهم ويطهرون اطرافهم
صائمون بالنهار رهبان بالليل اقبل منهم اليسير وادخلهم الجنة بشهادة ان لا اله الا الله قال
فاجعلني نبي تلك الامة قال نبيها منها قال اجعلني من امة ذلك النبي قال استقدمت واستاخر ولكن
ساجمع بينك وبينه في دار الجلال وعن وهب بن منبه قال اوحى الله تعالى الى شعيا اني باعث نبيا
اميا افتح به اذانا صما وقلوبا غلفا واعينا عميا مولده بمكة ومهاجره طيبة وملكه بالشام عبدي
المتوكل المصطفى المرفوع الحبيب المتحبب المختار لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ويغفر
رحيما بالمؤمنين يبكي للبهيمة المثقلة ويبكي لليتيم في حجر الارملة ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في
الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا لو يمر الى جنب السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشي على
القصب الرعراع لم يسمع من تحت قدميه ابعثه مبشرا ونذيرا الى ان قال واجعل امته خير امة اخرجت

للناس آمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر وتوحيدًا لي وإيمانًا بي وإخلاصًا لي وتصديقًا بما جاء
به رسلي وهم رعاة الشمس والقمر طوبى لتلك القلوب والوجوه والأرواح التي أخلصت لي ألهمهم
التسبيح والتكبير والتحميد والتوحيد في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم
ويصفّون في مساجدهم كما تصفّ الملائكة حول عرشي هم أوليائي وأنصاري أنتقم بهم من أعدائي
عبدة الأوثان يصلّون لي قيامًا وقعودًا وركّعًا وسجّدًا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء
مرضاتي ألوفًا ويقاتلون في سبيلي صفوفًا أختم بكتابهم الكتب وبشريعتهم الشرائع وبدينهم الأديان
فمن أدركهم فلم يؤمن بكتابهم ويدخل في دينهم وشريعتهم فليس مني وهو مني بريء وأجعلهم أفضل
الأمم وأجعلهم أمة وسطًا شهداء على الناس إذا غضبوا هلّلوني وإذا تنازعوا سبّحوني يطهّرون
الوجوه والأطراف ويشدّون الثياب إلى الأنصاف ويهلّلون على التلال والأشراف قربانهم
دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم رهبانًا بالليل ليوثًا بالنهار طوبى لمن كان معهم وعلى دينهم ومنهاجهم
وشريعتهم وذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم رواه أبو نعيم وقد ذكر الإمام فخر الدين
أنه من كانت معجزاته أظهر يكون ثواب أمته أقل قال السبكي إلا هذه الأمة فإن معجزات نبينا
أظهر وثوابنا أكثر من سائر الأمم ومن خصائص هذه الأمة إحلال الغنائم ولم تحلّ لأمة قبلها
وجعلت لهم الأرض مسجدًا ولم تكن الأمم تصلّي إلا في البيع والكنائس وجعل ترابها لهم طهورًا
وهو التيمم وفي رواية أبي أمامة عند البخاري وجعلت الأرض كلها لي ولأمتي مسجدًا وطهورًا وفي
رواية مسلم من حديث حذيفة وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا وجعلت تربتها طهورًا إذا لم نجد
الماء ومن خصائص هذه الأمة أيضًا الوضوء فإنه لم يكن إلا للأنبياء دون أممهم ذكره الحليمي واستدل له
بحديث البخاري إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًّا محجّلين من آثار الوضوء لكن قال في فتح الباري وفيه
نظر لأنه ثبت في البخاري قصة سارة عليها السلام مع الملك الذي أعطاها هاجر أن سارة لما همّ
الملك بالدنو منها قامت تتوضأ وتصلي وفي قصة جريج الراهب أيضًا أنه قام فتوضأ وصلى ثم كلم
الغلام فالظاهر أن الذي اختصت به هذه الأمة هو الغرة والتحجيل لا أصل الوضوء وقد صرح بذلك
في رواية لمسلم عن أبي هريرة مرفوعًا قال سيما ليست لأحد غيركم أي علامة وغاية التحجيل استيعاب
العضدين والساقين والغرة غسل مقدمات الرأس وصفحة العنق مع الوجه ومنها مجموع الصلوات
الخمس ولم تجمع لأحد غيرهم وأخرج الطحاوي عن عبيد الله بن محمد بن عائشة قال إن آدم لما تيب عليه عند
الفجر صلى ركعتين فصارت الصبح وفدي إسحاق عند الظهر فصلى أربع ركعات فصارت الظهر وبعث
عزير فقيل له كم لبثت قال يومًا فرأى الشمس فقال أو بعض يوم فصلى أربع ركعات فصارت العصر
وغفر لداود عند المغرب فقام يصلي أربع ركعات فجهد فجلس في الثالثة فصارت المغرب ثلاثًا
وأول من صلى العشاء الآخرة نبينا صلى الله عليه وسلم وأخرج أبو داود في سننه وابن أبي شيبة في
مصنفه والبيهقي في سننه عن معاذ بن جبل قال أخّر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العتمة
ليلة حتى ظن الظان أنه قد صلى ثم خرج فقال أعتموا بهذه الصلاة فإنكم فضّلتم بها على سائر الأمم ولم
تصلّها أمة قبلكم ومنها الأذان والإقامة ومنها البسملة قاله بعضهم فيما نقله الشيخ شهاب الدين
الحلبي النحوي في تفسيره قال ولم تنزل على أحد من الأمم قبلنا إلا على سليمان بن داود فمما اختصت به

هذه

هذه الأمة انتهى ومنها التأمين روى الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها قالت بينا أنا
عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ استأذن رجل من اليهود فذكر الحديث وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال إنهم لم يحسدونا على شيء كما حسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وعلى قولنا خلف الإمام آمين
قال الحافظ ابن حجر وهو حديث غريب لا أعرفه بهذه الألفاظ إلا من هذا الوجه لكن لبعضه
متابع حسن في التأمين أخرجه ابن ماجه وصححه ابن خزيمة كلاهما من رواية سهيل بن أبي صالح
عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما حسدتنا اليهود على شيء ما حسدتنا على السلام
والتأمين ومنها الاختصاص بالركوع عن علي رضي الله عنه قال أول صلاة ركعنا فيها العصر فقلت
يا رسول الله ما هذا فقال بهذا أمرت رواه البزار والطبراني في الأوسط ووجه الاستدلال منه أنه صلى
قبل ذلك الظهر وصلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل فكون الصلاة السابقة بلا ركوع قرينة لخلو
صلاة الأمم السالفة منه قاله بعض العلماء قلت وذكر جماعة من المفسرين في قوله تعالى واركعوا
مع الراكعين أن مشروعية الركوع في الصلاة خاص بهذه الملة وأنه لا ركوع في صلاة بني إسرائيل ولذلك
أمرهم بالركوع مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم انتهى وهذا يعارضه قوله تعالى يا مريم اقنتي لربك واسجدي
واركعي مع الراكعين المفسر بأمرت بالصلاة في الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة عليها قالوا وقدم
السجود على الركوع إما لكونه كذلك في شريعتهم أو للتنبيه على أن الواو لا توجب الترتيب وقيل المراد بالقنوت
إدامة الطاعة كقوله تعالى أمّن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا وبالسجود الصلاة لقوله تعالى
وأدبار السجود وبالركوع الخشوع والإخبات ومنها الصفوف في الصلاة كصفوف الملائكة رواه مسلم
من حديث حذيفة ومنها تحية السلام لحديث عائشة السابق ومنها الجمعة قال صلى الله عليه وسلم
نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله
عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدًا والنصارى بعد غد رواه البخاري
ومنها ساعة الإجابة التي في الجمعة واختلف في تعيينها على أقوال تزيد على الثلاثين ذكرتها في لوامع
الأنوار في الأدعية والأذكار ومنها إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم ومن نظر إليه
لم يعذبه أبدًا وتزيين الجنة فيه وخلوف أفواه الصائمين أطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم
الملائكة في كل ليلة حتى يفطروا وإذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعًا رواه البيهقي بإسناد لا بأس به بلفظ
أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسًا لم يعطهن نبي قبلي الحديث وتستغفر لهم الحيتان حتى يفطروا ورواه البزار
وتصفّد فيه مردة الشياطين رواه أحمد والبزار ومنها السحور وتعجيل الفطر رواه الشيخان وإباحة
الأكل والشرب والجماع ليلًا إلى الفجر وكان محرّمًا على من قبلنا بعد النوم وكذا كان في صدر الإسلام ثم
نسخ ومنها ليلة القدر كما قاله النووي في شرح المهذب وهل صيام رمضان من خصائص هذه الأمة
أم لا إن قلنا إن التشبيه الذي دلت عليه الكاف في قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين
من قبلكم على حقيقته فيكون رمضان كتب على من قبلنا وذكر ابن أبي حاتم عن ابن عمر رفعه صيام رمضان
كتبه الله على الأمم قبلكم وفي إسناده مجهول وإن قلنا المراد مطلق الصيام دون قدره ووقته فيكون التشبيه
واقعًا على مطلق الصوم وهو قول الجمهور ومنها أن لهم الاسترجاع عند المصيبة قال سعيد بن جبير
لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الأنبياء عليهم السلام مثله إنا لله وإنا إليه راجعون ولو

اعطيت الانبيا الا اعطيه يعقوب عليه السلام اذ قال يا اسفى على يوسف ومنها ان الله تعالى رفع
عنهم الاصر الذي كان على الامم قبلهم قال الله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم اي يخفف
عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطا وقطع الاعضا الخاطئة وقطع موضع
النجاسة وقتل النفس في التوبة وقد كان الرجل من بني اسرائيل يذنب الذنب فيصبح قد كتب على باب بيته
ان كفارته ان تنزع عينيه فينزعهما واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك
لثقله ومنها ان الله احل لهم كثيرا مما شدد على من قبلهم ولم يجعل عليهم في الدين من حرج كما قال
تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما اشتد القيام عليهم اشارة الى انه لا
مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه يعني من لم يستطع ان يصلي قائما فليصل قاعدا واباح للصايم الفطر في
السفر والمرض ونحوه وقيل لا جعل لهم من كل ذنب مخرجا وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات
في حقوقه تعالى والاروش والديات في حقوق العباد قاله البيضاوي وروي عن ابن عباس انه قال
الحرج ما كان على بني اسرائيل من الاصر والشدايد وضعه الله عن هذه الامة وعن كعب اعطى الله هذه الامة
ثلثا لم يعطهن الا الانبيا جعلهم شهدا على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال ادعوني استجب
لكم ومنها ان الله تعالى رفع عنهم المواخذة بالخطا والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس وقد
كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيا مما امروا به او اخطأوا فعجلت لهم العقوبة فحرم عليهم شي من مطعم او مشرب
على حسب ذلك الذنب وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله وضع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا
عليه رواه احمد وابن حبان والحاكم وابن ماجه ومنها ان الاسلام وصف خاص بهم لا يشركهم فيه غيرهم
الا الانبيا عليهم الصلوة والسلام لقوله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل ورضيت لكم الاسلام دينا اذ لو
يكن خاصا بهم لم يكن في الامتنان عليهم بذلك فايدة وقد يجاب بان رضى لهم الاسلام دينا لهم وبتسمية
ابرهيم اياهم بذلك لا ينفي اتصاف غيرهم به وفايدة ذلك الاعلام بالانعام عليهم بما انعم به على غيرهم من
الفضايل وقيل لا يختص بهم بل يطلق على غيرهم ايضا وهو اسم لكل دين حق لغة وشرعا كما اجاب به ابن الصلاح
لقوله تعالى حكاية عن وصية يعقوب ولا تموتن الا وانتم مسلمون فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين الى
غير ذلك ولان الايمان احق من الاسلام كما هو مذهب كثير من العلما وليس خاصا بهذه الامة بل يوصف
به كل من دخل في شريعة مصدقا بالله تعالى وبانبيائه كما قال الراغب ومنها ان شريعتهم اكمل من جميع شرايع
الامم المتقدمة وهذا مما يحتاج الى بيان لوضوحه وانظر الى شريعة موسى عليه السلام فقد كانت
شريعة جلال وقهر امروا بقتل نفوسهم وحرمت عليهم الشحوم وذوات الظفر وغيرها من الطيبات
وحرمت عليهم الغنايم وعجلت لهم من العقوبات ما عجل وحملوا من الاصار والاغلال ما لم يحمله غيرهم
وكان موسى عليه السلام من اعظم خلق الله هيبة ووقارا واشدهم باسا وغضبا لله وبطشا باعدا الله
فكان لا يستطيع النظر اليه وعيسى عليه السلام كان في مظهر الجمال وكانت شريعته شريعة فضل
واحسان وكان لا يقاتل ولا يحارب وليس في شريعته قتال البتة والنصارى يحرم عليهم في دينهم القتال
وهم به عصاة فان الانجيل يامر فيه ان من لطمك على خدك الايمن فادر له خدك الايسر ومن نازعك
ثوبك فاعطه رداك ومن سخرك ميلا فامش معه ميلين ونحو هذا وليس في شريعتهم مشقة ولا اصار
ولا اغلال واما النصارى فابتدعوا تلك الرهبانية من قبل انفسهم ولم تكتب عليهم واما نبينا صلى الله

النظر

عليه

عليه وسلم فكان مظهر الكمال الجامع لتلك القوة والعدل والشدة لتلك في الله واللين والرافة
والرحمة فشريعته اكمل الشرايع وامته اكمل الامم واحوالهم ومقاماتهم اكمل الاحوال والمقامات
ولذلك تاتي شريعته بالعدل ايجابا له وفرضا وبالفضل ندبا اليه واستحبابا وبالشدة في موضع
الشدة وباللين في موضع اللين ووضع السيف موضعه ووضع الندى موضعه فيذكر الظلم
ويحرمه والعدل ويامر به والفضل ويندب اليه في بعض اية كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها
فهذا عدل فمن عفا واصلح فاجره على الله فهذا فضل انه لا يحب الظالمين فهذا تحريم للظلم وقوله
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به فهذا ايجاب للعدل وتحريم الظلم ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين ندب الى الفضل وكذلك تحريم ما حرم على هذه الامة صيانة وحمية حرم عليهم
كل خبيث وضار واباح لهم كل طيب ونافع فتحريمه عليهم رحمة وعلى من كان قبلهم لم يخل من عقوبة
كما اشرت اليه قريبا وهداهم لما ضلت عنه الامم قبلهم كيوم الجمعة كما سنذكره ان شا الله تعالى
في مقصد عباداته عليه السلام وتقدم ما يشهد له ووهب لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير امة
اخرجت للناس وكمل لهم من المحاسن ما فرقه في الامم كما كمل لنبيهم من المحاسن ما فرقه في الانبيا
قبله وكمل في كتابه من المحاسن ما فرقه في الكتب قبله وكذلك في شريعته هذه الامة المجتبون كما
قال الله هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج وجعلهم شهدا على الناس فاقامهم في مقام
الرسل الشاهدين على اممهم اشار اليه ابن القيم ومنها انهم لا يجتمعون على ضلالة رواه الامام احمد
في مسنده والطبراني في الكبير وابن ابي خيثمة في تاريخه عن ابي نضرة الغفاري مرفوعا في حديث سالت
ربي ان لا تجتمع امتي على ضلالة فاعطانيها ورواه ابن ابي عاصم والطبراني ايضا من حديث ابي مالك الاشعري
رفعه ان الله اجاركم من ثلث وذكر منها وان لا تجتمعوا على ضلالة قال شيخنا وبالجملة فهو حديث
مشهور المتن ذو اسانيد كثيرة وله شواهد متعددة في المرفوع وغيره ومنها ان اجماعهم حجة
وان اختلافهم رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذابا روى البيهقي في المدخل حديثا من رواية سليمان
ابن ابي كريمة عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلاف
اصحابي لكم رحمة وجويبر ضعيف جدا والضحاك عن ابن عباس منقطع وهو كما قال الحافظ ابن حجر حديث
مشهور على الالسنة وقد اورده ابن الحاجب في المختصر في مباحث القياس بلفظ اختلاف امتي رحمة
للناس قال وكثر السوال عنه وزعم كثير من الايمة انه لا اصل له لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث مستطردا
وقال اعترض على هذا الحديث رجلان احدهما ماجن والاخر ملحد وهما اسحق الموصلي وعمرو بن بحر الجاحظ
وقالا جميعا لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابا قال ثم تشاغل الخطابي برد هذا الكلام ولم
يقع في كلامه نص في عزو الحديث ولكنه اشعر بان له اصلا عنده ومن حديث الليث بن سعد عن يحيى بن
سعيد قال اهل العلم اهل توسعة وما برح المفتون يختلفون فيحل هذا ويحرم هذا فلا يعيب هذا
على هذا اشار اليه شيخنا في المقاصد الحسنة ومنها ان الطاعون لهم شهادة ورحمة وكان على الامم
عذابا رواه الطبراني في الكبير من حديث ابي عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجاله ثقات
ولفظه الطاعون شهادة لامتي ورحمة لهم ورجز على الكافر ومنها انهم اذا شهد اثنان منهم لعبد بخير

وجبت له الجنة وكان الامم السالفة اذا شهد منهم مائة ومنها انهم اقل الامم عملا
واكثرهم اجرا واقصرهم اعمارا واوتوا العلم الاول والاخر وآخر الامم فافتضحت الامم عندهم ولم
يفتضحوا ومنها انهم اوتوا الاسناد وهو خصيصة فضيلة من خصائص هذه الامة وسنة بالغة من
السنن المؤكدة وقد روينا من طريق ابي العباس الدغولي قال سمعت محمد بن حاتم بن المظفر يقول
ان الله تعالى قد اكرم هذه الامة وشرفها وفضلها بالاسناد وليس لاحد من الامم كلها قديمها وحديثها
اسناد انما هو صحف في ايديهم وقد خلطوا بكتبهم اخبارهم فليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة
والانجيل وبين ما الحقوه بكتبهم من الاخبار التي اخذوها عن غير الثقات وهذه الامة الشريفة
زادها الله شرفا بنبيها انما تنقل الحديث عن الثقة المعروف في زمانه بالصدق والامانة عن مثله حتى
تتناهى اخبارهم ثم يبحثون اشد البحث حتى يعرفوا الاحفظ فالاحفظ والاضبط فالاضبط والاطول فالاطول
مجالسة من فوقه ممن كان اقصر مجالسة ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها واكثر حتى يهذبوه من
الغلط والزلل ويضبطوا حروفه ويعدوه عدا فهذا من فضل الله على هذه الامة فنستوزع الله تعالى
شكر هذه النعمة وغيرها من نعمه وقال ابو حاتم الرازي لم يكن في امة من الامم منذ خلق الله تعالى ادم
امناء يحفظون الرسل الا في هذه الامة ومنها انهم اوتوا الانساب والاعراب قال ابو بكر محمد بن
احمد بلغني ان الله خص هذه الامة بثلاثة اشياء لم يعطها من قبلها الاسناد والاعراب
والانساب انتهى وهو مروي عن ابي علي الجبائي ايضا ومنها انهم اوتوا تصنيف الكتب ذكره بعضهم ولا تزال
طائفة منهم ظاهرين على الحق حتى يأتي امر الله رواه الشيخان ومنها ان فيهم اقطابا واوتادا ونجباء
وابدالا عن انس مرفوعا الابدال اربعون رجلا واربعون امرأة كلما مات رجل ابدل الله رجلا مكانه
واذا ماتت امرأة ابدل الله مكانها امرأة رواه الخلال في كرامات الاولياء ورواه الطبراني في الاوسط
بلفظ لن تخلو الارض من اربعين رجلا مثل خليل الرحمن عليه السلام فبهم تسقون وبهم تنصرون ما
مات منهم احد الا ابدل الله مكانه اخر ورواه ابن عدي في كامله بلفظ البدلاء اربعون اثنان وعشرون
بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات منهم احد ابدل الله مكانه اخر فاذا جاء الامر قبضوا كلهم فعند
ذلك تقوم الساعة وكذا يروى كما عند احمد في المسند والخلال من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا
لا يزال في هذه الامة ثلاثون مثل ابرهيم خليل الرحمن كلما مات واحد ابدل الله مكانه رجلا وفي لفظ للطبراني
في الكبير بهم تقوم الارض وبهم يمطرون وبهم ينصرون ولابي نعيم في الحلية عن ابن عمر مرفوعا خيار امتي في
كل قرن خمسمائة والابدال اربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون كلما مات رجل ابدل الله
مكانه اخر وهم في الارض كلها وفي الحلية ايضا عن ابن مسعود رفعه لا يزال اربعون رجلا من امتي قلوبهم
على قلب ابرهيم يدفع الله بهم عن اهل الارض يقال لهم الابدال انهم لم يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا بصدقة
قال فبم ادركوها يا رسول الله قال بالسخاء والنصيحة للمسلمين وعن معروف الكرخي من قال اللهم ارحم
امة محمد في كل يوم كتبه الله من الابدال وهو في الحلية بلفظ من قال في كل يوم عشر مرات اللهم اصلح امة
محمد اللهم فرج عن امة محمد اللهم ارحم امة محمد كتب من الابدال وعن غيره قال من علامة الابدال ان لا يولد
لهم ويروى خبر مرفوع معضل علامة ابدال امتي انهم لا يلعنون شيئا ابدا وقال يزيد بن هرون الابدال

عمرا

خبر

هم اهل العلم وقال الامام احمد ان لم يكونوا اصحاب الحديث فمن هم وفي تاريخ بغداد للخطيب عن الكتاني
قال النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والبدلاء اربعون والاخيار سبعة والعمد اربعة والغوث واحد
فمسكن النقباء المغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الابدال الشام والاخيار سياحون في الارض
والعمد في زوايا الارض ومسكن الغوث مكة واذا عرضت الحاجة من امر العامة ابتهل فيها النقباء
ثم النجباء ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان اجيبوا والا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته
انتهى ومنها انهم يدخلون قبورهم بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنوب تمحص عنهم باستغفار المؤمنين
لهم رواه الطبراني في الاوسط من حديث انس ولفظه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتي
امة مرحومة تدخل قبورها بذنوبها وتخرج من قبورها لا ذنوب عليها تمحص عنها باستغفار المؤمنين
لها ومنها انهم اختصوا في الاخرة بانهم اول من تنشق عنهم الارض من الامم رواه ابو نعيم عن ابن عباس
مرفوعا بلفظ وانا اول من تنشق عنه الارض عني وعن امتي ولا فخر ومنها انهم يدعون يوم القيامة غرا محجلين
من اثار الوضوء رواه البخاري والغرة بياض في وجه الفرس والتحجيل بياض في قوائمه وذلك مما يكسبه
حسنا وجمالا فشبه صلى الله عليه وسلم النور الذي يكون يوم القيامة في اعضاء الوضوء بالغرة والتحجيل
ليفهم ان هذا البياض في اعضاء الانسان يتمايز به الامة تبيينه تعظيما لهم اذا دعوا على رؤوس الخلائق
نودوا بهذا الوصف او كانوا على هذه الصفة ومنها انهم يكونون في الموقف على مكان عال رواه ابن جرير
وابن مردويه من حديث جابر مرفوعا بلفظ انا وامتي على كوم مشرفين على الخلائق وما من الناس احد
الا ود انه منا وما من نبي كذبه قومه الا ونحن نشهد انه بلغ رسالة ربه وعند ابن مردويه من حديث
كعب فاكون انا وامتي على تل ومنها ان لهم سيما في وجوههم من اثر السجود قال تعالى سيماهم في وجوههم
من اثر السجود وهل هذه العلامة في الدنيا او في الاخرة فيه قولان احدهما انه في الدنيا قال ابن عباس
في رواية ابن ابي طلحة السمت الحسن وقال في رواية مجاهد ليست بالتي ترون هي سمت الاسلام وسيماه
وخشوعه وقيل الصفرة في الوجه من اثر السهر تحسبهم مرضى وما هم بمرضى والقول الثاني انه في الاخرة
يعني ان مواضع السجود من وجوههم تكون اشد بياضا يوم القيامة يعرفون بتلك العلامة انهم سجدوا
في الدنيا رواه العوفي عن ابن عباس وعن شهر بن حوشب يكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة
البدر وقال عطاء الخراساني دخل في هذه الاية كل من حافظ على الصلوات الخمس ومنها انهم يؤتون كتبهم
بايمانهم رواه احمد والبزار ومنها ان نورهم يسعى بين ايديهم اخرجه احمد باسناد صحيح ومنها ان لهم ما سعوا
وما يسعى لهم وليس لمن قبلهم الا ما سعى قاله عكرمة واما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ففيها
اجوبة احدها انها منسوخة روى ذلك عن ابن عباس نسخها قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا
بهم ذرياتهم فجعل الولد الطفل في ميزان ابيه ويشفع الله تعالى الاباء في الابناء والابناء في الاباء بدليل قوله
تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا الثاني انها مخصوصة بالكافر واما المؤمن فله ما سعى
غيره قال القرطبي وكثير من الاحاديث يدل على هذا القول وان المؤمن يصل اليه ثواب العمل الصالح من غيره
وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات وعليه صيام صام عنه وليه وقال صلى الله عليه وسلم للذي حج
عن غيره حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة وعن عائشة انها اعتكفت عن اخيها عبد الرحمن واعتقت عنه وقال سعد
للنبي صلى الله عليه وسلم ان امي توفيت افاتصدق عنها قال نعم قال فاي الصدقة افضل قال سقي الماء وفي الموطا

جمع عمود

بلوغ ثواب التلاوة للميت

عن عبد الله بن بكر عن عمته انها حدثته عن جدته انها جعلت على نفسها مشيا الى مسجد قبا فماتت ولم تقضه
فافتى عبد الله بن عباس ابنتها ان تمشي عنها ومن المفسرين من قال ان الانسان في الاية ابو جهل ومنهم
من قال عقبة بن ابي معيط ومنهم من قال الوليد بن المغيرة ومنهم من قال اخبار عن شرع من قبلنا
وقد دل شرعنا ان الانسان له سعيه وما سعي له ومنهم من قال الانسان بسعيه في الخير وحسن
صحبته وعشرته اكتسب الاصحاب واسدى لهم الخير وتودد اليهم فصار ثوابهم له بعد موته من سعيه
ومنهم من قال الانسان في الاية الحي دون الميت ومنهم من قال لم ينف في الاية انتفاع الرجل بسعي
غيره له وانما نفى ملكه لسعي غيره وبين الامرين فرق فقال لا ينحصر في وان ليس للانسان الا ما سعى
فان قلت اما تمنع في الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه قلت فيه جوابان احدهما ان سعي غيره
لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي غيره نفسه وهو ان يكون مومنا مصدقا فكذلك كان سعي غيره
سعي لنفسه لكونه تبعا له وقايما لقيامه والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه له
هو في حكم الشرع كالنايب عنه والوكيل القايم مقامه والصحيح من الاجوبة ان قوله وان ليس للانسان
الا ما سعى عام مخصوص بما تقدم من الاجوبة وقد اختلف العلما في ثواب قراة القران هل يصل
الى الميت فذهب الاكثرون الى المنع وهو المشهور من مذهب الامام الشافعي والامام مالك ونقل
عن جماعة من الحنفية وقال كثير من الشافعية والحنفية يصل وبه قال الامام احمد بن حنبل رحمه الله
بعد ان قال القراة على القبر بدعة بل نقل عن الامام احمد يصل الى الميت كل شي من صدقة وصلاة
وحج واعتكاف وقراة وذكر وغير ذلك وذكر الشيخ شمس الدين بن القطان العسقلاني ان وصول
ثواب القراة الى الميت من قريب او اجنبي هو الصحيح كما ينفعه الصدقة والدعا والاستغفار بالاجماع
وقد افتى القاضي حسين بان الاستيجار لقراة القران على راس القبر جايز كالاستيجار للاذان وتعليم
القران لكن قال الرافعي وتبعه النووي عود المنفعة الى المستاجر شرط في الاجارة فيجب عود المنفعة في هذه
الاجارة الى المستاجر او ميته لكن المستاجر لا ينتفع بان يقرا الغير له ومشهور ان الميت لا يلحقه ثواب
القراة بالدعا للميت فان الدعا يلحقه والدعا بعد القراة اقرب الى الاجابة واكثر بركة والثاني ذكر الشيخ
عبد الكريم السالوسي انه ان نوى القاري بقراته ان يكون ثوابها للميت لم يلحقه لكن لو قراها جعل ما حصل
من الاجر له فهذا دعا بحصول ذلك الاجر للميت فينفع الميت قال النووي في زوايد الروضة ظاهر كلام
القاضي حسين صحة الاجارة مطلقا وهو المختار فان موضع القراة موضع بركة وتنزل رحمة وهذا مقصود
ينفع الميت وقال الرافعي وتبعه النووي في الوصية الذي يعتاد من قراة القران على راس القبر قد ذكرنا في
باب الاجارة طريقين في عود فايدتها الى الميت وعن القاضي ابي الطيب طريق ثالث وهو ان الميت كالحي
الحاضر فيرجى له الرحمة ووصول البركة اذا اهدى الثواب له القاري وقال الحلواني اذا نوى القاري ان
يكون ثوابها للميت لم يلحقه اذ جعل ذلك قبل حصوله وتلاوته عبادة البدن فلا يقع عن الغير وان قرا ثم جعل
ما حصل من الثواب للميت ينفعه اذ قد جعل من الاجر لغيره والميت يوجر بدعا الغير لكن اطلاق ان الدعا ينفع
الميت اعترض عليه بعضهم بانه موقوف على الاجابة ويمكن ان يقال ان الدعا للميت مستجاب كاطلاق اعتمادا
على سعة فضل الله وقال الرافعي والنووي يستوي في الصدقة والدعا الوارث والاجنبي قال الشافعي وفي

بتبع

وسع الله ان يثيب المتصدق ايضا وقال الاصحاب يستحب ان ينوي المتصدق في الصدقة عن ابويه فان
الله ينيلهما الثواب ولا ينقص من اجره شيا وذكر صاحب العدة انه لو انبط عينا او حفر نهرا او غرس شجرا
او وقف مصحفا في حال حياته او فعل غيره بعد موته يلحق الثواب بالميت وقال الرافعي والنووي ان هذه
الامور اذا صدرت من الحي فهي صدقة جارية يلحقه ثوابها بعد الموت كما ورد في الخبر ولا يختص الحكم بوقف
المصحف بل يلحق به كل وقف وهذا القياس يقتضي جواز التضحية عن الميت فانها ضرب من الصدقة لكن في
التهذيب انه لا تجوز التضحية عن الغير بغير امره وكذا عن الميت الا ان يكون اوصى به وقد روي عن علي او غيره
من الصحابة انه كان يضحي عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وعن ابي العباس محمد بن اسحق السراج قال ضحيت
عن النبي صلى الله عليه وسلم سبعين اضحية واما اهدا القراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نعرف فيه خبرا
ولا اثرا وقد انكره جماعة منهم الشيخ برهان الدين بن الفركاح لان الصحابة لم يفعله احد منهم وحكى صاحب
الرونق ان من الفقها المتاخرين من استحبه ومنهم من راه بدعة قالوا والنبي صلى الله عليه وسلم غني عن ذلك
فان له اجر كل من عمل خيرا من امته من غير ان ينقص من اجر العامل شي قال الشافعي فما من خير يعمله
احد من امة النبي صلى الله عليه وسلم الا والنبي صلى الله عليه وسلم اصل فيه قال في عقيق النصوص جميع حسنات
المسلمين واعمالهم الصالحة في صحايف نبينا صلى الله عليه وسلم زيادة على ما له من الاجر مع مضاعفة لا يحصرها
الا الله تعالى لان كل مهتد وعامل الى يوم القيمة يحصل له اجر ويتجدد لشيخه مثل ذلك الاجر ولشيخ شيخه
مثلاه وللشيخ الثالث اربعه وللرابع ثمانيه وهكذا تضعف كل مرتبه بعدد الاجور الحاصله بعده الى النبي صلى
الله عليه وسلم وبهذا يعلم تفضيل السلف على الخلف فاذا فرضت المراتب عشرة بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان
للنبي صلى الله عليه وسلم من الاجر الف واربعة وعشرون فاذا اهتدى بالعاشر حادي عشر صار اجر النبي صلى
الله عليه وسلم الفين وثمانيه واربعين وهكذا كلما ازداد واحد يتضاعف ما قبله ابدا كما قاله بعض المحققين انتهى
ولله در القايل وهو سيدي محمد وفا رحمه الله لا حسن الا من محاسن حسنه ولا محسن الا له حسناته
وبهذا اجاب عن استشكال دعا القاري له صلى الله عليه وسلم بزيادة الشرف مع العلم بانه عليه السلام في
سائر انواع الشرف فكان الداعي لحظ ان قبول قراته يتضمن لعمله نظير اجره وهكذا حتى يكون للمعلم الاول وهو
الشارع عليه السلام نظير جميع ذلك كما قررته ومن ذلك ما شرع عند روية الكعبة من قوله اللهم زد هذا
البيت تشريفا وتعظيما فثمرة الدعا بذلك عايدة على الداعي لاشتماله على طلب قبول القراة وهذا كما قالوا في الصلاة
عليه زاده الله شرفا لديه ان ثمرتها عايدة على المصلي اشار لنحوه الحافظ ابن حجر رحمه الله ومن خصايص
هذه الامة انهم يدخلون الجنة قبل ساير الامم رواه الطبراني في الاوسط من حديث عمر بن الخطاب مرفوعا
حرمت الجنة على الانبيا حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي ومنها انهم يدخلون الجنة سبعون الفا
بغير حساب ورواه الشيخان وعند الطبراني والبيهقي والبعث ان ربي وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا
لا حساب عليهم واني سالت ربي المزيد فاعطاني مع كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا وبالجملة فقد
اختصت هذه الامة بما لم يعطه غيرها من الامم تكرمة لنبيها عليه السلام وزيادة في شرفه وتفضيل فضلها
وخصايصها يستدعي سفرا او اسفارا وذلك فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم ⁂ المقصد
الخامس في تخصيصه عليه السلام بخصايص المعراج والاسرا وتعميمه بعموم لطايف التكريم في حضرة التقريب بالمكالمة والمشاهدة

الصلاة

والآيات الكبرى اعلم وفقني الله واياك للترقي في معارج السعادات واوصلنا به اليه في حظاير الكرامات
ان قصة الاسراء والمعراج من اشهر المعجزات واظهر البراهين البينات واقوى الحجج المحكمات واصدق
الانباء واعظم الآيات واتم الدلالات الدالة على تخصيصه عليه السلام بعموم الكرامات وقد
اختلف العلماء في الاسرا هل هو اسرا واحد في ليلة واحدة يقظة او مناما او اسراآن كل واحد في ليلة مرة
بروحه وبدنه يقظة ومرة مناما او يقظة بروحه وجسده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم مناما
من المسجد الاقصى الى العرش او هي اربع اسراءات احتج القايلون بانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبيا
وحي بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس لان الرؤيا مصدر الحلمية واما البصرية الحلمية
فالرؤية بالتاء وبذلك تكرار مالك والحريري وغيرهما كما افاده الشيخ بدر الدين الزركشي ورد ورود الرؤيا للبصرية
ولحنوا المتنبي في قوله ورؤياك احلى في العيون من الغمض واجيب بانه انما قال الرؤيا لوقوع ذلك
في الليل وسرعة تقضيه كانه منام وبان الرؤيا والرؤية واحد كقربى وقربة ويشهد له قول ابن عباس
في الآية كما عند البخاري هي رؤيا عين اريها صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به وزاد سعيد بن منصور عن
سفيان في آخر الحديث وليس رؤيا منام ولم يصرح في رواية البخاري بالمرئي وعند سعيد بن منصور ايضا
من طريق ابي مالك قال هو ما اري في طريقه الى بيت المقدس وهذا مما يستدل به على اطلاق لفظ الرؤيا
على ما يرى بالعين في اليقظة وهو يرد على من خطأ المتنبي على انه اختلف المفسرون في هذه الآية فقيل اي الرؤيا
التي اريناك ليلة المعراج قال البيضاوي فسر الرؤيا بالرؤية وقيل رؤيا عام الحديبية حين راى انه دخل مكة
فصده المشركون وافتتن بذلك ناس وقيل رؤيا وقعة بدر وسأل ابن العقيب شيخه ابا العباس القرطبي عن
الآية فقال الصحيح انها رؤية عين يقظة اراه جبريل مصارع القوم ببدر فارى النبي صلى الله عليه وسلم الناس
مصارعهم التي اراه جبريل فتسامعت به قريش واستسخروا منه انتهى واحتج القايلون بانه رؤيا منام ايضا
بقول عائشة ما فقد جسده الشريف واجيب بان عائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن اذ ذاك
زوجا ولا في سن من يضبط او لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسرا متى كان وقالت انما رأى ما
فقد جسده عن الروح بل كان مع روحه وكان المعراج بالجسد والروح جميعا انتهى واحتج القايلون بانه
بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السما بالروح بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى فجعل المسجد الاقصى غاية الاسرا الذي وقع التعجب بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي صلى
الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسرا قالوا ولو كان الاسرا بجسده الى زايد على المسجد الاقصى لذكره فيكون
ابلغ في المدح واجيب بان حكمة التخصيص بالمسجد الاقصى سؤال قريش له عنه على سبيل الامتحان لما شاهدوه
وعرفوه من صفة بيت المقدس وقد علموا انه لم يسافر اليه فيخبرهم بما عاين ويوافق ما علموه فتقوم الحجة
عليهم وكذلك وقع ولهذا لم يسألوه عن ما رأى في السما اذ لا عهد لهم بذلك وقال النووي في فتاويه وكان
الاسرا به عليه الصلوة والسلام مرتين مرة في المنام ومرة في اليقظة وذكر السهيلي تصحيح هذا المذهب
عن شيخه القاضي ابي بكر بن العربي وان مرة النوم توطية له وتيسيرا عليه كما كان بدو نبوته الرؤيا الصادقة
ليسهل عليه امر النبوة فانه امر عظيم تضعف عنه القوى البشرية وكذلك الاسرا سهله عليه بالرؤيا
لان هوله عظيم فجاء في اليقظة على توطية وتقدمة رفقا من الله بعبده وتسهيلا عليه وقد جوز بعض

قائل

قدره

قائل ذلك ان تكون قصة المنام قبل المبعث لاجل شريك في روايته وذلك قبل ان يوحى اليه وسياتي
البحث في ذلك ان شاء الله تعالى واحتج القايلون بانه اربع اسراءات يقظة بتعدد الروايات في الاسرا
واختلاف ما يذكر فيها فبعضهم يذكر شيا لم يذكره الاخر وبعضهم يسقط شيا ذكره الاخر واجيب بان ذلك
لا يدل على التعدد لان بعض الرواة قد يحذف بعض الخبر للعلم به او ينساه وقد وقع في رواية حميد بن هلال
موحدة ثم مثلثة بوزن جعفر في رواية عن حصين بن عبد الرحمن عند الترمذي والنسائي لما اسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمر بالنبي والنبيين ومعه الواحد الحديث فان كان ذلك محفوظا كان فيه قوة لمن
ذهب الى تعدد الاسراء وانه وقع بالمدينة ايضا غير الذي وقع بمكة قال في فتح الباري والذي يتحرر من هذه
المسئلة ان الاسرا الذي وقع بالمدينة ليس فيه ما وقع بمكة من استفتاح ابواب السماء بابا بابا ولا من التقاء
الانبيا كل واحد في سماء ولا المراجعة مع موسى فيما يتعلق بفرض الصلوات ولا في طلب تخفيفها وساير ما يتعلق معهم ولا المراجعة
بذلك وانما تكررت قضايا كثيرة سوى ذلك راها صلى الله عليه وسلم فمنها بمكة البعض ومنها
بالمدينة بعد الهجرة البعض ومعظمها في المنام والله اعلم انتهى وقال بعض العارفين ان له صلى الله عليه
وسلم اربعة وثلثين مرة الذي اسري به منها اسرا واحد بجسمه والباقي بروحه رؤيا راها صلى الله عليه
وسلم وقال الحافظ ابن كثير من جعل كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فاثبت اسراآت متعددة فقد
ابعد واغرب وهرب الى غير مهرب ولم يحصل على مطلب ولم ينقل ذلك عن احد من السلف ولو
تعدد هذا التعدد لاخبر النبي صلى الله عليه وسلم به امته ولنقله الناس على التعدد والتكرار انتهى
فالحق انه اسرا واحد بروحه وجسده يقظة في القصة كلها والى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين
والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك اذ ليس في العقل
ما يحيله قال الرازي قال اهل التحقيق الذي يدل على ان الله تعالى اسرى بروح محمد صلى الله عليه وسلم وجسده
من مكة الى المسجد الاقصى القران والخبر اما القران فهو قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
وتقرير الدليل ان العبد اسم للجسد والروح فوجب ان يكون الاسرا حاصلا لجميع الجسد والروح ويدل
عليه قوله تعالى في سورة الجن وانه لما قام عبد الله يدعوه والمراد مجموع الروح والجسد انتهى وكذا
ها هنا واحتجوا ايضا بظاهر قوله عليه السلام اسري بي لان الاصل في الافعال ان تحمل على اليقظة حتى
يدل الدليل على خلافه وبان ذلك لو كان مناما لما كانت فيه فتنة للضعفا ولا استبعده الاغبياء وبان
الدواب لا تحمل الارواح وانما تحمل الاجسام وقد تواترت الاخبار بانه اسري به على البراق فان قلت
ما الحكمة في كونه تعالى جعل الاسرا ليلا فالجواب بانه انما جعله ليلا تمكينا للتخصيص بمقام المحبة لانه تعالى
اتخذه عليه السلام حبيبا وخليلا والليل اخص زمان للمحبين لجمعهما فيه والخلوة بالحبيب متحققة
بالليل وقال ابن المنير ولعل تخصيص الاسرا بالليل ليزداد الذين امنوا ايمانا بالغيب وليفتتن الذين كفروا
زيادة على فتنتهم اذ الليل اخفى حالا من النهار قال ولعله لو عرج به نهارا لفات المؤمن فضيلة الايمان
بالغيب ولم يحصل ما وقع من الفتنة على من شقي وجحد انتهى وفي ذلك حكمة اخرى على طريقة اهل الاشارات
ذكرها العلامة ابن مرزوق وهي انه قيل لان الله تعالى محا اية الليل وجعل اية النهار مبصرة اكرم الليل
بجبر بان اسري فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل لتفاخر النهار على الليل بالشمس فقيل له لا تفتخر ان كانت شمس الدنيا

تُشرق فيك فيستعرج شمس الوجود في الليل الى السما وقيل لانه صلى الله عليه وسلم سراج والسراج انما يوقد في الليل
قلت يا سيدي زدني توضيح الليل على بهجة النهار بالمنبي قال لا استطيع تغيير رمزي هكذا الرسم في طلوع البدر
انما زدت في الظلام لكنما يبرق الليل من اشعة نوري

التفضيل بين ليلة الاسرا وليلة القدر

فان قلت ايما افضل ليلة الاسرا او ليلة القدر فالجواب كما قاله الشيخ ابو امامة ابن النقاش ان ليلة الاسرا افضل في حق النبي صلى الله عليه وسلم وليلة القدر افضل في حق الامة لانها لهم خير من عمل في ثمانين سنة لمن قبلهم واما ليلة الاسرا فلم يات في ارجحية العمل فيها صحيح ولا ضعيف ولذلك لم يعينها النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ولا عينها احد من الصحابة باسناد صحيح ولا صح الى الآن والى ان تقوم الساعة فيها شي ومن قال فيها شيا فانما قاله من كيسه لمرجح ظهر له استانس به ولهذا تصادمت الاقوال فيها وتباينت ولم يثبت الامر فيها على شي ولو تعلق بها نفع للامة ولو بذرة لبينته لهم صلى الله عليه وسلم فان قلت هل وقع الاسرا لغيره صلى الله عليه وسلم اجاب العارف عبد العزيز المهدوي بان مرتبة الاسرا بالجسم الى تلك الحضرات العليه لم تكن لاحد من الانبيا الا لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى وانما قال سبحانه وتعالى اسرى بعبده اشارة الى انه تعالى هو المسري به ليعلم ان الامر من عنده عز وجل هبة الهية وعناية ربانية سبقت له عليه السلام مما لم يخطر بسره ولا اختلج في ضميره وادخل الباء المصاحبة في قوله بعبده ليفيد انه تعالى صحبه في مسراه صحبة الالطاف والعناية والاسعاف والرعاية ويشهد له قوله عليه السلام اللهم انت الصاحب في السفر وتامل قوله تعالى يسيركم في البر والبحر وقوله اسرى بعبده يلح لك خصوصية مصاحبة الرسول عليه السلام للحق دون عموم الخلق وقرن سبحانه وتعالى التسبيح بهذا المسرى لينفي بذلك عن قلب صاحب الوهم ومن حكم عليه خياله من اهل التشبيه والتجسيم ما يتخيله في حق الحق تعالى من الجهة والحد والمكان ولذا قال لنريه من اياتنا يعني ما راى في تلك الليلة من عجايب الايات كانه تعالى يقول ما اسريت به الا لرؤية الآيات لا الي فاني لا يحدني مكان ونسبة الامكنة الي نسبة واحدة فكيف اسري به الي وانا عنده وانا معه اينما كان ولله در القايل مطلب

سبحان من اسرى اليه بعبده ليريه الذي اخفاه من اياته
لحضوره في غيبه وبسكره في صحوه والمحو في اثباته
ويرى الذي عنه تكون سره في صنعه ابداعه وهباته
ويزيله ما ابدعه من جوده بوجوده والعقد من هباته
سبحانه من سيد ومهيمن في ذاته وسماته وصفاته

واكثره تعلق بقوله ليلا مع ان الاسرا لا يكون في اللسان العربي الا ليلا لاجل ارادة رفع الاشكال حتى لا يتخيل انه اسري بروحه فقط وبتنزيل من خاطر من يعتقد من الناس ان الاسراء ربما يكون نهارا لان القران وان كان نزل بلغة العرب فانه خاطب به الناس اجمعين اصحاب اللسان وغيرهم وقال البيضاوي تبعا لصاحب الكشاف وفايدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسرا ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به وتعقبه القطب في حاشيته على الكشاف كما نبهت عليه في حاشية الشفا المعارج ليلة الاسراء عشرة سبع الى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقي وقد وقع له عليه السلام في سني الهجرة العشر ما كان فيها مناسبات لطيفة لهذه المعارج العشرة

ولهذا

ولهذا ختمت سني الهجرة بالوفاة وهي لقا الحق جل جلاله والانتقال من دار الفنا الى دار البقا والعروج بالروح الكريمة الى المقعد الصدق والى الموعد الحق والى الوسيلة وهي المنزلة الرفيعة كما ختمت معارج الاسرا باللقا والحضور بحظيرة القدس وقد افاد الامام الذهبي ان الحافظ عبد الغني جمع احاديث الاسرا في جزء ولم يتيسر لي الوقوف عليهما بعد الفحص وقد صنف الشيخ ابو اسحق النعماني رحمه الله في الاسرا والمعراج كتابا جامعا للاطناب بزيادة الرقايق والاشجان بتواصل الحقايق ولم اقف عليه حال الكتابة في هذا المقصد الشريف والله تعالى يرحم شيخ الاسلام والحفاظ الشهاب ابن حجر العسقلاني فانه قد جمع في كتابه الفتح كثيرا مما تشتت من طرق حديث الاسرا وغيره من الاحاديث مع تدقيقها وتحقيقها انتهت والكشف عن اسرار معاني كلمه وبدايع الفاظه وحكمه وكل من صنف في شي من المنح النبوية والمناقب المحمدية لا يستغني عن استمدادها معارفها اللطايف من رياض حياضه والاستشفا من ادوا المشكلات بدواء شفائه المبرئ لعضل الامراض فالله تعالى يفيض عليه وعلى سائر علما هذه الامة سجال رحمته ورضوانه ويسكنا معهم في بحبوحة جنانه وقد وردت احاديث الاسرا من حديث انس وابي بن كعب وجابر بن عبد الله وبريدة وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وابن عمرو وحذيفة بن اليمان وشداد بن اوس وصهيب وعلي بن ابي طالب وعمر بن الخطاب ومالك ابن صعصعة وابي امامة وابي ايوب وابي حبة وابي ذر وابي سعيد الخدري وابي سفيان بن حرب وابي هريرة وعايشة واسما بنتي ابي بكر وام هاني وام سلمة وغيرهم وفي تفسير الحافظ ابن كثير من ذلك ما يكفي ويشفي وبالجملة فحديث الاسرا اجمع عليه المسلمون واعرض عنه الزنادقة الملحدون يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون وقد روى البخاري عن قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به بينما انا نايم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا اذ اتاني آت فشق قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره الى شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض فقال له الجارود هو البراق يا ابا حمزة قال انس نعم يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السما الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فلما خلصت فاذا فيها ادم فقال هذا ابوك ادم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السما الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السما الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السما الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فلما خلصت اذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه

فردّ ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ثم صعد إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا ابرهيم قال هذا أبوك فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بما أمرت قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال بما أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وفي رواية له ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه وفي رواية شريك يعني به صدره ولغاديده وهي بلام مفتوحة وغين معجمة أي عروق حلقه وفي النهاية جمع لغدود وهي لحمة عند اللهاة والشك في قوله وربما قال في الحجر من قتادة كما بينه أحمد عن عفان ولفظه بينما أنا في الحطيم وربما قال قتادة في الحجر والمراد بالحطيم هنا الحجر ووقع عند المخاري في بدء الخلق بلفظ بينما أنا عند البيت وهو أعم وفي رواية الزهري عن أنس عن أبي ذر فرج سقف بيتي وأنا بمكة وفي رواية الواقدي بأسانيده أنه أسري به من شعب أبي طالب وفي حديث أم هانئ عند الطبراني أنه بات في بيتها قالت ففقدته من الليل فقال إن جبريل أتاني والجمع بين هذه الأقوال كما في فتح الباري أنه بات في بيت أم هانئ وبيتها عند شعب أبي طالب ففرج سقف بيته وأضاف البيت إليه لكونه كان يسكنه فنزل منه الملك فأخرجه من البيت إلى المسجد فكان به مضطجعا وبه أثر النعاس ثم أخرجه الملك فأخرجه من المسجد فأركبه البراق قال وقد وقع في مرسل الحسن عند ابن إسحق أن جبريل أتاه فأخرجه إلى المسجد فأركبه البراق وهو يؤيد هذا الجمع فإن قيل لم فرج سقف بيته عليه

السلام

السلام ونزل منه الملك ولم لم يدخل عليه من الباب مع قوله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها أجيب بأن الحكمة في ذلك أن الملك انصب من السماء انصبابة واحدة ولم يعرج على شيء سواه مبالغة في المفاجأة وتنبيها على أن الطلب وقع على غير ميعاد كرامة له عليه السلام وهذا بخلاف موسى عليه السلام فكانت كرامته بالمناجاة عن ميعاد واستعداد بخلاف نبينا عليه السلام فإنه حمل عنه ألم الانتظار كما حمل عنه ألم الاستعداد ويؤخذ من هذا أن مقام نبينا عليه السلام بالنسبة إلى مقام موسى عليه السلام مقام المراد بالنسبة إلى مقام المريد ويحتمل أن يكون السر في ذلك أن يكون توطئة وتمهيدا لكونه فرج عن صدره فأراه الملك بإفراجه عن السقف ثم التئام السقف على الفور كيفية ما يصنع به وقرب له الأمر في نفسه بالمثال المشاهد في بيته لطفا في حقه عليه السلام وتثبيتا لصبره والله أعلم وقوله مضطجعا زاد في بدء الخلق بين النائم واليقظان وهو محمول على ابتداء الحال ثم لما أخرج به إلى باب المسجد فأركبه البراق استمر في يقظته وأما ما وقع في رواية شريك عنه أيضا فلما استيقظت فإن قلنا بالتعدد فلا إشكال وإلا حمل على أن المراد استيقظت أي أفقت مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة الملكوت ورجع إلى العالم الدنيوي فالمراد الإفاقة البشرية من الغرابة الملكية وقوله أتاني آت هو جبريل عليه السلام وفي رواية شريك أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم وكانت تلك الليلة أي كانت القصة الواقعة تلك الليلة ما ذكر هنا فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه وقد أنكر الخطابي قوله قبل أن يوحى إليه وكذا القاضي عياض والنووي وعبارة النووي وقع في رواية شريك يعني هذه أوهام أنكرها العلماء أحدها قوله قبل أن يوحى إليه وهو غلط لم يوافق عليه وأجمع العلماء على أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء فكيف يكون قبل الوحي انتهى فقد صرح هؤلاء بأن شريكا تفرد بذلك لكن قال الحافظ ابن حجر في دعوى التفرد نظر فقد وافقه كثير بن خنيس بالمعجمة ونون مصغرا عن أنس كما أخرجه سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في كتاب المغازي من طريقه قال ولم يتبع التعيين بين المجيئين فيحمل على أن المجيء الثاني كان بعد الوحي وحينئذ وقع الإسراء والمعراج وإذا كان بين المجيئين مدة فلا فرق بين أن تكون تلك المدة ليلة واحدة أو ليالي أو عدد سنين وبهذا يرتفع الإشكال عن رواية شريك ويحصل به الوفاق أن الإسراء كان في اليقظة بعد البعثة وقبل الهجرة وسقط تشنيع الخطابي وغيره بأن شريكا خالف الإجماع في دعواه أن المعراج كان قبل البعثة وأقوى ما يستدل به على أن المعراج كان بعد البعثة قوله في هذا الحديث نفسه إن جبريل قال للبواب إذ قال له أبعث قال نعم فإنه ظاهر أن المعراج كان بعد البعثة ووقع في رواية ميمون بن سياه عند الطبراني فأتاه جبريل وميكائيل فقالا أيهم وكانت قريش تنام حول الكعبة فقال أمرنا بسيدهم ثم ذهبا ثم جاءوا وهم ثلاثة وفي رواية مسلم سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة بين الرجلين فأتيت فانطلق بي والمراد بالرجلين حمزة وجعفر وكان النبي صلى الله عليه وسلم نائما بينهما وقوله قده بالقاف والدال المهملة الثقيلة من ثغرة نحره بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة وهي الموضع المنخفض الذي بين الترقوتين إلى شعرته بكسر الشين المعجمة أي شعر العانة الشريفة وفي رواية مسلم إلى أسفل بطنه وفي رواية للبخاري إلى مراق البطن وفي رواية شريك عنه فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته بفتح اللام وتشديد الموحدة وهو موضع القلادة من الصدر وقد أنكر القاضي عياض في الشفا وقوع شق صدره الشريف ليلة الإسراء وقال إنما كان وهو صبي وقيل الوحي يعني في بني سعد ولا نكارة في ذلك

كما قاله الحافظ ابو الفضل العسقلاني رحمه الله فقد تواردت الروايات به وثبت شق الصدر ايضا
عند البعثة كما اخرجه ابو نعيم في الدلايل ولكل منها حكمة فالاول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث
انس فاخرج علقة فقال هذا حظ الشيطان منك وكان هذا في زمن الطفولية فنشا على اكمل الاحوال من
العصمة من الشيطان ولعل هذا الشق كان سببا في اسلام قرينه المروي عند البزار من حديث ابن عباس
ويحتمل ان يكون اشارة الى حظ الشيطان اللعين كالعفريت الذي اراد ان يقطع عليه صلاته وامكنه الله منه
واما شقه عند ارادة العروج الى السماء فللتهيي للترقي الى الملا الاعلى والثبوت في المقام الاسنى والتقوي
لاستجلاء الاسماء الحسنى ولهذا لما لم يتفق لموسى عليه السلام مثل هذا التهيي لم يتفق له الرويه وكيف
يثبت الرجل لما لا يثبت له الجبل ويحتمل ان يكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الاسباغ بحصول
المرة الثالثة كما تقرر في شرعه عليه السلام ثم ان جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك
من الامور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل
شي من ذلك قال العارف ابن ابي جمرة فيه دليل على ان قدرة الله تعالى لا يعجزها ممكن ولا تتوقف لعدم شي
ولا لوجوده وليست مربوطة بالعادات الا من حيث شاءته القدرة لانه على ما يعهد ويعرف ان البشر
مهما شق بطنه كله الى انتهى القلب واخرج مات ولم يعش وهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد شق على بطنه
المكرم حتى اخرج القلب فغسل وقد شق بطنه كذلك ايضا وهو صغير وشق قلبه واخرجت منه نزغة
الشيطان ومعلوم ان القلب مهما وصل اليه الجرح مات صاحبه وهذا النبي صلى الله عليه وسلم شق بطنه
في هاتين المرتين ولم يندبل ولم يتالم بذلك ولم يمت لما اراد الله تعالى ان لا يوثر ما اجرى به العادة ان
يوثر بها موت صاحبها فابطل تلك العادة وقد رمي ابرهيم عليه السلام في النار فلم تحرقه وكانت
عليه بردا وسلاما انتهى وقد حصل من شق صدره الكريم اكرامه عليه السلام بتحقيق ما اوحي اليه
فهو من جنس ما اكرم به اسمعيل الذبيح بتحقيق صبره على مقدمات الذبح شدا وكتفا وتلا للجبين
واهوالا بالمدية الى النحر فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ووفى بما وعد الله فاكرمه الله بالثنا
على صبره الى الابد ولا مرية ان الذي حصل من صبر نبينا صلى الله عليه وسلم على شق الصدر اعلى واجل
لان تلك مقدمات وهذه نتيجة وتلك معاريض وهذه حقيقة والمنحر مقبل وما اصابه من اسمعيل
الا صورة الفعل لا فعله وشق صدر نبينا عليه السلام واستخراج قلبه ثم شقه ثم كذا ثم كذا مما نال
عليه وقعت كلها ولكن انخرقت العادة ببقا الحياة فهذا الابتلا اعظم من ابتلا الذبح بما ذكرنا فان قلت
انما يتحقق الصبر انه لو كان هناك مشقة فلعل العادة لما انخرقت في ابقا الحياة انخرقت في رفع المشاق
وحمل الالام اجيب بانه ورد في حديث شق صدره فاقبل وهو منتقع اللون او ممتقع بالميم بدل النون
وهو يدل على ان الصبر على مشقة المعالجة المذكورة محقق قال القاضي عياض واصل النقع صار كلون
النقع والنقع الغبار وهو تشبيه ابن الجوزي بلون الاموات وهذا يدل على غاية المشقة واما قوله فشقه
وما شق عليه فيحمل انه صبر صبر من لم يشق عليه انتهى وكذلك الابتلا ايضا من جهة اليتم فان ذلك
وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم بعيد ما لفظ وايضا فانه كان منفردا عن امه ويتيما من ابيه واختطف
من بين الاطفال وفعل به ما فعل من الافعال تسهيلا لما يلقاه في الحال وتعظيما لما ناله على الصبر من
الثواب والثنا ولهذا لما شج وجرح وكسرت رباعيته قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون زاده الله شرفا

عدم موت النبي بالشق

ووله

وقوله ثم اتيت بطست من ذهب انما اتي بالطست لانه اشهر آلات الغسل عرفا فان قلت ان استعمال
الذهب حرام في شرعه عليه السلام فكيف استعمل الطست الذهب هنا اجاب العارف ابن ابي جمرة بان
تحريم الذهب انما هو لاجل الاستمتاع به في هذه الدار واما في الاخرة فهو للمومنين خالصا لقوله عليه
السلام هو لهم في الدنيا وهو لنا في الاخرة فان ثمرات الاستمتاع بهذا الطست لم يحصل منه عليه السلام
وانما كان غيره هو المباشر له والمتناول لما كان فيه حتى وضعه في القلب المبارك فتوى ان الطست
من هناك وكونه كان من ذهب دال على رفيع المقام فاستغنى المعارض بدليل ما قررناه انتهى وتعقبه الحافظ
ابن حجر بانه لا يكفي ان يقال ان المستعمل له ممن لم يحرم عليه ذلك من الملايكة لانه لو كان قد حرم عليه
استعماله لتنزه ان يستعمله غيره في امر يتعلق ببدنه المكرم ويمكن ان يقال ان تحريم استعماله مخصوص
باحوال الدنيا وما وقع في تلك الليلة كان الغالب انه من احوال الغيب فيلحق باحكام الاخرة ولعل ذلك
قبل ان يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة ويظهر ههنا مناسبات منها انه من اواني الجنة ومنها
انه لا تاكله النار ولا التراب ومنها انه لا يلحقه الصدا ومنها انه اثقل الجواهر فناسب قلبه
عليه الصلوة والسلام لانه من اواني احوال الجنة ولا تاكله النار ولا التراب ان الله حرم على الارض ان
تاكل اجساد الانبيا ولا يلحقه الصدا وانه اثقل من كل قلب عدل به وفيه مناسبة اخرى وهي ثقل
الوحي فيه انتهى قلت قوله ولعل ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة قد جزم هو في
اول الصلاة من كتابه فتح الباري بان تحريم الذهب انما وقع بالمدينة وقال السهيلي وابن دحية ان نظر
الى لفظ الذهب ناسب من جهة اذهاب الرجس عنه ولكونه وقع عند الذهاب الى ربه وان نظر الى
معناه فلوضاءته ونقائه وصفائه انتهى والمراد بقوله ملى حكمة وايمانا ان الطست جعل فيها شيا
يحصل به كمال الايمان والحكمة فسمي حكمة وايمانا مجازا او يحتمل ان يكون على حقيقته وتجسيد المعاني
جايز كما ان سورة البقرة تجي يوم القيمة كانها ظلة والموت في صورة كبش وكذلك وزن الاعمال وغير
ذلك وقال البيضاوي لعل ذلك من باب التمثيل اذ تمثيل المعاني قد وقع كثيرا كما مثلت له صلى الله عليه وسلم
الجنة والنار في عرض الحايط وفايدته كشف المعنوي بالمحسوس وقال العارف ابن ابي جمرة فيه دليل
على ان الايمان والحكمة جواهر محسوسات لا معاني لانه عليه السلام قال عن الطست انه اتي به مملوا
حكمة وايمانا ولا يقع الخطاب الا على ما يفهم ويتعارف والمعاني ليس لها اجسام حتى تملا وانما يملا الانا
بالاجسام والجواهر وهذا نص من الشارع عليه السلام بضد ما ذهب اليه المتكلمون في قولهم ان الايمان
والحكمة اعراض والجمع بين الحديث وما ذهبوا اليه هو ان حقيقة اعيان المخلوقات التي ليس للعقول
اليها ادراك ولا من النبوة اخبار عن حقيقتها غير محققة وانما هو غلبة ظن لان العقل لا اجماع
من اهل العقل المويدين بالتوفيق حدا يقف عنده ولا يتسلط فيما عدا ذلك ولا يقدر ان يصل اليه فهذا
وما اشبهه منها لانهم تكلموا على ما ظهر لهم من الاعراض الصادرة عن هذه الجواهر التي ذكرها الشارع
عليه السلام في الحديث ولم يكن للعقل قدرة ان يصل الى هذه الحقيقة التي اخبر بها عليه السلام فبقي ان
الجمع بينهما ما قاله المتكلمون حق لانه الصادر عن الجواهر وهو الذي يدرك بالعقل والحقيقة ما
ذكره عليه السلام في الحديث ولهذا نظاير كثيرة بين المتكلمين واثار النبوة ويقع الجمع بينهما على الاسلوب
الذي قررناه او ما اشبهه ثم مثل بجي الموت في هيئة كبش املح ثم بالاذكار والتلاوة ثم قال لان ما ظهر هنا هنا

فعان وتوجد يوم القيمة جواهر محسوسات لا انها توزن ولا يوزن في الميزان الا الجواهر وفي ذلك
دليل لاهل الصوفية واصحاب المعاملات والتحقيق القائلين بانهم يزنون قلوبهم وقلوب اخوانهم وايمانهم
وايمان اخوانهم باعين بصايرهم جواهر محسوسات فمنهم من يعاين ايمانه مثل المصباح ومنهم من يعاينه مثل
الشمعة ومنهم من يعاينه المشعل وهو افوقها ويقولون بانه لا يكون المحقق محققا حتى يعاين قلبه بعين بصيرته
كما يعاين كفه بعين بصره ويعرف الزيادة فيه من النقصان كان قيل ما الحكمة في شق صدره الشريف ثم ملئه
ايمانا وحكمة ولم لم يوجد الله تعالى ذلك فيه من غير ان يفعل به ما فعل اجاب العارف ابن ابي جمرة بانه
عليه السلام لما اعطي كثرة الايمان والحكمة وقوي التصديق اذ ذاك اعطي برؤية شق البطن والقلب عدم الخوف
من جميع العادات الجارية بالهلاك فحصلت له عليه السلام قوة الايمان من ثلاثة اوجه بقوة التصديق وبالمشاهدة
وعدم الخوف من العادات المهلكات فكمل له عليه السلام بذلك ما اريد منه من قوة الايمان بالله عز وجل
وعدم الخوف مما سواه واجل ما اعطيه مما اشرنا اليه كان عليه السلام في العالم اشجعهم وابينهم واعلاهم
حالا ومقاما فني العلوي لما كان كما اخبر عليه السلام ان جبريل لما وصل معه الى مقامه قال ها انا تقدمت
هذا مقامي لا اتعداه فزج به في النور زجة ولم يتوان ولم يلتفت فكان هنالك في الحضرة كما اخبر عنه ربه عز وجل
بقوله ما زاغ البصر وما طغى واما حاله عليه السلام في هذا العالم فكان اذا حمي الوطيس في الحرب يركض
بغلته في نحر العدو وهم شاكون في سلاحهم ويقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب ثم ان في العناية
بتطهير قلبه المقدس وافراغ الايمان والحكمة فيه اشارة الى مذهب اهل السنة في ان محل العقل وغيره من
اسباب الادراكات كالنظر والفكر انما هو القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة والفلاسفة واما الحكمة في غسل
قلبه المقدس بماء زمزم فقيل لان ماء زمزم يقوي القلب ويسكن الروع قال الحافظ زين العراقي ولذلك
غسل به قلبه عليه السلام ليلة الاسراء ليقوى على رؤية الملكوت واستدل شيخ الاسلام البلقيني بغسل قلبه
الشريف به على انه افضل من ماء الكوثر قال لانه لم يكن يغسل قلبه المكرم الا بافضل المياه واليه يومي قول
العارف ابن ابي جمرة في كتابه بهجة النفوس واما قوله عليه السلام فغسل صدري فالظاهر ان المراد به القلب
كما في الرواية الاخرى وقد يحتمل ان تحمل كل رواية على ظاهرها ويقع الجمع بان يقال اخبر عليه السلام مرة بغسل صدره
الشريف ولم يتعرض لذكر قلبه واخبر مرة بغسل قلبه ولم يتعرض لذكر صدره فيكون الغسل قد حصل فيهما معا مبالغة
في تنظيف المحل المقدس ولا شك ان المحل الشريف كان طاهرا مطهرا وقابلا لجميع ما يلقى اليه من الخير وقد غسل
اولا وهو عليه السلام طفل واخرجت من قلبه نزغة الشيطان واما كان ذلك اعظاما وتاهبا لما يلقى هنالك
وقد جرت الحكمة بذلك في غير ما موضع مثل الوضوء للصلاة لمن كان متنظفا لان الوضوء في حقه انما هو اعظاما
وتاهبا للوقوف بين يدي الله تعالى ومناجاته فكذلك غسل جوفه الشريف هنا وقد قال الله تعالى ومن
يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب فكان الغسل له عليه السلام من تعظيم شعائر الله واشارة لامته
بالفعل بتعظيم شعائر الله كما نص لهم عليه بالقول واما قوله ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع
خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السماء الدنيا وفي رواية عنه في الصلاة ثم اخذ بيدي
فعرج بي الى السماء فظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الى السماء قال العارف ابن ابي جمرة افاد ذلك انهم كانوا
يمشون في الهواء وقد جرت العادة بان البشر لا يمشي في الهواء سيما وكان راكبا على دابة من دواب الارض لكن لما كان
شان القدرة ذلك كان فكما بسط تعالى لهم الارض يمشون عليها كذلك يمشيهم في الهواء كل ذلك بيد قدرته لا

توبسط

يبسط قدرته تعالى بعادة جارية وقد سئل عليه السلام حين اخبر عن الاشقياء الذين يمشون يوم القيمة على وجوههم
كيف يمشون فقال عليه السلام الذي امشاهم في الدنيا على اقدامهم قادر ان يمشيهم يوم القيمة على وجوههم
انتهى وقد استدل بعضهم بهذا الحديث على ان المعراج كان في ليلة غير ليلة الاسراء الى بيت المقدس لكون الاسراء اليه
لم يذكر هنا فاما المعراج في غير هذه الرواية من الاخبار انه لم يكن على البراق بل رقي في المعراج وهو السلم كما وقع
التصريح به في حديث عند ابن اسحق والبيهقي في الدلائل كما سياتي ان شاء الله تعالى ويمكن ان يقال ما وقع هنا
اختصار من الراوي والاتيان بثم المقتضية للتراخي لا ينافي وقوع الاسراء بين الامرين المذكورين وهما الاطباق
والعروج وحاصله ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الاخر وثابت البناني قد حفظ الحديث ففي روايته عند مسلم
اتاني بيت المقدس فصلى فيه ثم عرج الى السماء كما سياتي ان شاء الله تعالى وقد قيل في الحكمة في الاسراء به
راكبا مع القدرة على طي الارض له اشارة الى ان ذلك وقع تانيسا له بالعادة في مقام خرق العادة
لان العادة جرت ان الملك اذا استدعى من يختص به بعث اليه بمركوب سني يحمله عليه في وفادته اليه
وفي كلام لبعض اهل الاشارات لما كان صلى الله عليه وسلم ثمرة شجرة الكون ودرة صدفة الوجود وسر
معنى كلمة كن ولم يكن بد من عرض هذه الثمرة بين يدي مثمرها ورفعها الى حضرة قربه والطواف بها
على ندمائه حضرته ارسل اليه اعز خدام الملك عليه فلما ورد عليه قدما واقاه على فراشه نائما فقال
قم يا نائم فقد هيئت لك الغنائم قال يا جبريل الى اين قال يا محمد ارتفع الاين من البين انما انا رسول
القدم ارسلت اليك من جملة الخدم يا محمد انت مراد الارادة انت مراد لاجلك وانت مراد لاجله
انت صفوة كاس المحبة انت درة هذه الصدفة انت شمس المعارف انت بدر اللطايف ما مهدت الدار
الا لاجلك ما حجبت تلك الحجب الا لوصلك ما روق كاس المحبة الا لشربك فقال عليه السلام يا جبريل
فالكريم يدعوني اليه فالذي يفعل بي قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال يا جبريل هذا لي
فما لعيالي واطفالي قال ولسوف يعطيك ربك فترضى قال يا جبريل الان طاب قلبي ها انا ذاهب الى ربي
فقال جبريل يا محمد قد جيء بالبراق اليك الليلة لا كون خادم دولتك وحاجب حاشيتك وحامل غاشيتك
وجيء بالمركوب اليك لاظهار كرامتك لان من عادة الملوك اذا استزاروا حبيبا واستدعوا قريبا واراد
ظهور اكرامه واحترامه ارسل احص خدامه واعز مراكبهم لتقبل فتاهم تجنبا ل على رسم عادة الملوك
وادب السلوك ومن اعتقد انه يصل اليه بالخطا فقد وقع في الخطا ومن ظن انه محجوب بالغطا فقد حرم
العطا انتهى والحكمة في كون البراق دابة دون البغل وفوق الحمار ابيض ولم يكن على شكل الفرس اشارة الى ان
الركوب كان في سلم وامن لا في حرب وخوف او لاظهار المعجزة بوقوع الاسراع الشديد بدابة لا توصف بذلك
في العادة وذكر بعضهم ابيض باعتبار كونه مركوبا او عطفا على لفظ البراق واختلف في تسميته بذلك
فقيل من البريق وقال القاضي عياض لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء اذا كان في خلال صوفها
الابيض طاقات سود وقيل من البرق لانه وصف بسرعة السير ويحتمل ان لا يكون مشتقا ووصفه
بانه يضع خطوه عند اقصى طرفه بسكون الراء وبالفاء اي يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره وقال ابن
المنير يقطع ما انتهى اليه بصره في خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السماء في خطوة واحدة
لان بصر الذي في الارض يقع على السماء فبلغ اعلى السموات في سبع خطوات انتهى وفي حديث ابن مسعود عند
الحاكم والبزار باسناد صحيح قال فيها اذا اتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه وفي رواية لابن سعد

عن الواقدي باسانيده له جناحان قال الحافظ ابن حجر ولم اره لغيره وعند الثعلبي بسند ضعيف
عن ابن عباس في صفة البراق له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كالابل واظلاف وذنب
كالبقر وكان صدره ياقوتة حمراء وفي رواية ابن سعد في شرف المصطفى فكان الذي امسك بركابه
جبريل وبزمام البراق ميكائيل وفي رواية معمر عن قتادة عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي
بالبراق ليلة اسري به مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك خلق قط
اكرم على الله منه قال فارفض عرقا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وصححه ابن حبان وذكر ابن اسحق
عن قتادة انه لما شمس وضع جبريل عليه السلام يده على معرفته وقال اما تستحيي وذكر نحوه لكنه مرسل
لانه لم يذكر انسا وفي رواية وثيمة عند ابن اسحق فعرقت حتى لصقت بالارض فاستويت عليها وفي رواية
للنسائي وابن مردويه من طريق يزيد ابن ابي مالك عن انس نحوه موصولا وزاد وكانت تسخر للانبياء قبله
ونحوه في حديث ابي سعيد عند ابن اسحق وفيه دلالة على ان البراق كان معدا لركوب الانبيا خلافا لمن نفى ذلك
كابن دحية واول قول جبريل فما ركبك اكرم على الله منه اي ما ركبك احد قط فكيف يركبك اكرم منه
ويكون مثل قول امرئ القيس على لاحب لا يهتدى بمناره فيفهم ان له منارا لا يهتدى به وليس المراد الا انه لا منار
له البتة فكيف يهتدى به فنا قله وقد جزم السهيلي بان البراق انما استصعب عليه لبعد عهده بركوب الانبيا
قبله وقال النووي قال صاحب مختصر العين وتبعه صاحب التحرير كان الانبيا يركبون البراق قال
وهذا يحتاج الى نقل صحيح انتهى وقد تقدم النقل بذلك قال في الفتح ويؤيده ظاهر قوله فربطته بالحلقة التي يربط
بها الانبيا انتهى قلت قيل فانه ليس فيه فربطته بالحلقة التي تربط به الانبيا وانما قال يربط بها الانبياء
وسكت عن ذكر المربوط ما هو فيحتمل انه كما قال ابن المنير ان يكون غير البراق ويحتمل ان يريد بربط الانبيا
انفسهم بتلك الحلقة اي تمسكهم بها ويكون من جنس العروة الوثقى انتهى لكن وقع التصريح بذلك في حديث ابي سعيد
عند البيهقي ولفظه فاوثقته بالحلقة التي كانت الانبيا تربطها فيه وقد وقع عند ابن اسحق من رواية وثيمة
في ذكر الاسراء فاستصعب البراق وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم تكن ركبت في الفترة وفي مغازي ابن عائذ من طريق
الزهري عن سعيد بن المسيب قال البراق هي الدابة التي كان يزور ابراهيم عليها اسمعيل فعلى هذا فلا يكون ركوب
البراق من خصائصه صلى الله عليه وسلم نعم قيل ركوبه مسرجا ملجما لم ينقل لغيره من الانبيا عليهم السلام فان
قلت ما وجه استصعاب البراق عليه اجيب بانه تنبيه على انه لم يذلل قبل ذلك ان قلنا انه لم يركبه احد قبله
او لبعد العهد بركوبه ان قلنا انه ركب قبله ويحتمل ان يكون استصعابه تيها وزهوا بركوبه صلى الله عليه وسلم
عليه واراد جبريل بقوله امحمد تستصعب استنطاقه بلسان الحال انه لم يقصد الصعوبة وانما تاه لمكان
الرسول عليه السلام منه ولهذا قال فارفض عرقا فكانه اجاب بلسان الحال متبرئا من الاستصعاب
وعرق من خجل العتاب ومثل هذا رجفة الجبل به حتى قال له اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيدان
فانها هزة الطرب لا هزة الغضب وكذلك البراق لما قال له جبريل اسكن فما ركبك احد اكرم
على الله منه فاستقر وتخلى عن ظاهر الاستصعاب ولتوجه الخطاب فعرق حتى غرق ووقع في حديث
حذيفة عند الامام احمد قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فلم يزايلا ظهره هو وجبريل حتى
انتهيا الى بيت المقدس وهذا لم يسنده حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه قاله عن اجتهاد ويحتمل
ان يكون قوله هو وجبريل متعلق بمرافقته في السير لا في الركوب وقال ابن دحية معناه وجبريل قائد او

سائق

او سائق او دليل قال وانما جزمنا بذلك لان قصة المعراج كانت كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم
فلا مدخل لغيره فيها وقد تعقب الحافظ ابن حجر التاويل المذكور بان في صحيح ابن حبان من حديث
ابن مسعود ان جبريل حمله على البراق رديفا له وفي رواية الحارث في مسنده اتي بالبراق فركبه خلف
جبريل فسار بهما فهذا صريح في ركوبه معه فالله اعلم انتهى وقد وقع في غير هذه الرواية بيان ما راه ليلة
الاسراء فمن ذلك ما وقع في حديث شداد بن اوس عند البزار والطبراني وصححه البيهقي في الدلائل انه اول
ما اسري به مر بارض ذات نخل فقال له جبريل انزل فصل فصلى فقال صليت بيثرب ثم مر بارض بيضا
فقال انزل فصل فصلى فقال صليت بمدين ثم مر ببيت لحم فقال انزل فصل فنزل فصلى فقال
صليت حيث ولد عيسى وفي حديث انس عند البيهقي في الدلائل لما جاء جبريل بالبراق اليه صلى الله عليه وسلم
فكانها امرت اذنيها فقال لها جبريل مه يا براق فوالله ما ركبك مثله فسار رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا هو بعجوز على جنب الطريق فقال ما هذه يا جبريل قال سر يا محمد فسار ما شا الله ان يسير فاذا هو
بشيء يدعوه متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد فقال له جبريل سر وانه مر بجماعة فسلموا عليه فقالوا
السلام عليك يا اول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا حاشر فقال له جبريل اردد عليهم السلام فرد الحد
وفي آخره فقال له جبريل اما العجوز التي رايت جانب الطريق فلم يبق من الدنيا الا ما بقي من عمر تلك
العجوز والذي دعاك ابليس والعجوز الدنيا اما لو اجبتها لاختارت امتك الدنيا على الاخرة واما الذين
سلموا عليك فابرهيم وموسى وعيسى عليهم السلام قال الحافظ عماد الدين بن كثير في الفاظه نكارة وغرابة
وفي رواية انه مر بموسى عليه السلام وهو يصلي في قبره قال انس ذكر كلمة فقال اشهد انك رسول الله ولا
مانع ان الانبيا عليهم السلام يصلون في قبورهم لانهم احيا عند ربهم يرزقون فهم يتعبدون بما يجدون
من دواعي انفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم اهل الجنة الذكر وستاتي الاشارة لذلك في حجة الوداع ان شاء
الله تعالى وفي حديث ابي هريرة عند الطبراني والبزار انه عليه السلام مر على قوم يزرعون ويحصدون في يوم
كلما حصدوا عاد كما كان فقال لجبريل عليه السلام ما هذا قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم
الحسنة الى سبعمائة ضعف وما انفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم اتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر
كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال ما هذا يا جبريل قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم
عن الصلاة المكتوبة ثم اتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام ياكلون
الضريع والزقوم ورضف جهنم فقال ما هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة اموالهم
وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ثم اتى على قوم بين ايديهم لحم نضيج في قدور ولحم آخر نيء في قدر خبيث
فجعلوا ياكلون من النيء الخبيث ويدعون النضيج قال يا جبريل ما هذا قال هذا الرجل من امتك تكون عنده المراة الحلال
الطيب فياتي امراة خبيثة فيبيت معها حتى يصبح والمراة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتاتي رجلا
خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح ثم اتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال
ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من امتك تكون عليه امانات الناس لا يقدر على ادائها وهو يريد ان يحمل
عليها ثم اتى على قوم تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم
من ذلك شيء قال ما هذا يا جبريل قال هؤلاء خطباء الفتنة قال ثم اتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم
فجعل الثور يريد ان يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة

ثم تزيد علينا فلا يستطيع ان يردها ثم اتى على واد فوجد ريحا طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتا
فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت الجنة تقول رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي واستبرقي
وحريري وسندسي وعبقريي ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي واكوابي وصحافي واباريقي ومراكبي وعسلي
ومائي ولبني وخمري فأتني بما وعدتني فقال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل
صالحا ولم يشرك بي ولم يتخذ من دوني اندادا ومن خشيني فهو آمن ومن سألني اعطيته ومن اقرضني جزيته
ومن توكل علي كفيته انني انا الله لا اله الا انا لا اخلف الميعاد قد افلح المؤمنون وتبارك الله احسن الخالقين
قالت قد رضيت ثم اتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت
جهنم تقول رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي واغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي وعذابي
وقد بعد قعري واشتد حري فأتني بما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل جبار
لا يؤمن بيوم الحساب قالت قد رضيت قال فسار حتى اتى بيت المقدس وفي رواية ابي سعيد عند البيهقي
دعاني داع عن يميني انظرني اسألك فلم اجبه ثم دعاني آخر عن يساري كذلك فلم اجبه وفيه اذا امرأة
حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى فقالت يا محمد انظرني اسألك فلم التفت اليها
وفيه ان جبريل قال له اما الداعي الاول فهو داعي اليهود ولو اجبته لتهودت امتك واما الثاني فداعي
النصارى ولو اجبته لتنصرت امتك واما المرأة فالدنيا وفيه انه صعد الى السماء الدنيا ورأى فيها آدم وانه
رأى أخونة عليها لحم طيب ليس عليها احد واخرى عليها لحم منتن عليها ناس يأكلون قال جبريل هؤلاء الذين
يتركون الحلال ويأكلون الحرام وفيه انه مر بقوم بطونهم امثال البيوت كلما نهض احدهم خر وان جبريل قال له
هم اكلة الربا وانه مر بقوم مشافرهم كالابل يلتقمون حجرا فيخرج من اسافلهم وان جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون
اموال اليتامى وانه مر بنساء يعلقن بثديهن وهن الزواني وانه مر بقوم يقطع من جنوبهم اللحم
فيطعمون وانهم الهمازون اللمازون وفي حديث ابي هريرة عند البزار والحاكم انه صلى ببيت المقدس مع الملائكة
وانه اتي هناك بارواح الانبياء فاثنوا على الله وفيه قول ابرهيم لقد فضلكم محمد وفي رواية عبد الرحمن بن هشام عن انس
ثم بعث له آدم فمن دونه فامهم تلك الليلة وفي حديث ام هانئ عند ابي يعلى ونشر له رهط من الانبياء منهم
ابرهيم وموسى وعيسى وفي رواية ابي سلمة ثم حانت الصلاة فاممتهم اخرجه مسلم وفي حديث ابي امامة عند
الطبراني في الاوسط ثم اقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم وفي رواية ثابت البناني
عن انس عند مسلم قال فربطته يعني البراق بالحلقة وهي باسكان اللام على الاشهر التي تربط به الانبياء بضمير المذكر
اعادة على معنى الحلقة وهو الشيء والمراد حلقة باب مسجد بيت المقدس قاله صاحب التحرير قال عليه
السلام ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن
فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة اي اخترت اللبن الذي عليه ثبتت الخلقة وبه نبت اللحم
ونشز العظم او اخترته لانه الحلال الدائم في دين الاسلام بخلاف الخمر فحرام فيما يستقر عليه الامر وقال
التوربشتي المراد بالفطرة هنا الاسلام والاستقامة قال ومعناه والله اعلم اخترت علامة الاسلام والاستقامة
قال وجعل اللبن علامة لكونه سهلا طيبا طاهرا سائغا للشاربين سليم العاقبة واما الخمر فانها
ام الخبائث وجالبة لانواع الشر في الحال والمآل انتهى وقال القرطبي يحتمل ان يكون سبب تسمية اللبن
فطرة لكونه اول شيء يدخل جوف المولود ويشق امعاءه والسر في ميل النبي صلى الله عليه وسلم اليه دون

غيره

غيره لكونه مألوفا له اولا انتهى واذا كانت الخمر مباحة لانها انما حرمت بالمدينة والاسراء كان بمكة
فما وجه تجنبه عليه السلام لاحد المباحين وما وجه عد ذلك صوابا وعد الآخر خطأ وهما سواء في
الاباحة فيحتمل ان يكون توقاها تورعا وتعريضا بانها ستحرم والله اعلم وافق الصواب في علم الله تعالى
قال له جبريل اصبت الفطرة او اصبت اصاب الله بك [illegible] واذا قلنا بانها كانت من خمر الجنة فيكون
سبب تجنبها صورتها ومضاهاتها الخمر المحرمة اي في علم الله وذلك ابلغ في الورع ويستفاد منه ان من
اتخذ من ماء الرمان او غيره مثلا وضاهى به الخمر في الصورة وهيأه بالهيئات التي يتعاطاها اهل الشهوات
من الاجتماعات والآلات فقد اتى منكرا وان كان لا حد عليها قاله ابن المنير وينظر فيما يعمله كثير من
فقراء اليمن وغيرهم بمكة المشرفة وجدة وغيرهما من ماء قشر البن ويسمونه بالقهوة وهو من اسماء الخمر
وفي حديث ابن عباس عند احمد فلما اتى المسجد الاقصى قام يصلي فلما انصرف جيء بقدحين في احدهما لبن
وفي الآخر عسل فاخذ اللبن وفي رواية البزار بثلاثة اوان وان الثالث كان خمرا وان ذلك وقع ببيت المقدس
وان الاول كان ماء ولم يذكر العسل وفي حديث شداد بن اوس فصليت من المسجد حيث شاء الله واخذني
من العطش اشد ما اخذني فاتيت باناءين احدهما لبن والآخر عسل ثم هداني الله فاخذت اللبن فقال
شيخ بين يدي يعني لجبريل اخذ صاحبك الفطرة وقد كان اتيانه بالآنية مرتين مرة عند فراغه من الصلاة
ومرة عند وصوله الى سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة وممن صرح بانه كان مرتين الحافظ عماد الدين
ابن كثير وعلى هذا فيكون تكرار جبريل عليه السلام التصويب حيث اختار اللبن تأكيدا للتحذير مما سواه
وقد انكر حذيفة ربط البراق بالحلقة فروى احمد والترمذي من حديث حذيفة قال يحدثون انه ربطه اخاف
ان يفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة وكذا انكر ايضا حذيفة صلاته عليه السلام ببيت المقدس
وتعقبه البيهقي وابن كثير بان المثبت مقدم على النافي يعني من اثبت ربط البراق والصلاة في بيت المقدس معه
زيادة علم على من نفى ذلك فهو اولى بالقبول ووقع في رواية بريدة عند البزار لما كان ليلة اسري به فاتى جبريل
الصخرة التي كانت ببيت المقدس فوضع اصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق ونحوه للترمذي وفي حديث
ابي سعيد عند البيهقي حتى اتيت بيت المقدس فاوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الانبياء تربطها فيه فدخلت
انا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين وفي رواية ابن مسعود نحوه وزاد ثم دخلت المسجد فعرفت
النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ثم اذن مؤذن فاقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا
فاخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم وفي حديث ابن مسعود ايضا عند مسلم وحانت الصلاة فاممتهم ثم
وعن ابي سعيد ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قضيت
الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم
قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقي ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم فقال ابرهيم عليه
السلام الحمد لله الذي اتخذني خليلا واعطاني ملكا عظيما وجعلني امة قانتا يؤتم بي وانقذني من النار
وجعلها علي بردا وسلاما ثم ان موسى عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي كلمني تكليما واصطفاني
وانزل علي التوراة وجعل هلاك فرعون ونجاة بني اسرائيل على يدي وجعل من امتي قوما يهدون بالحق وبه
يعدلون ثم ان داود عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور والان
لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن معي والطير واتاني الحكمة وفصل الخطاب ثم ان سليمان عليه السلام اثنى

علی ربه فقال الحمد لله الذی سخر لی الریاح وسخر لی الشیاطین یعملون ما شئت من محاریب وتماثیل وعلمنی
منطق الطیر واتانی ملکا لا ینبغی لاحد من بعدی وجعل ملکی ملکا طیبا لیس فیه حساب ثم ان عیسی علیه السلام
اثنی علی ربه فقال الحمد لله الذی جعلنی کلمته وجعلنی مثل ادم خلقه من تراب ثم قال له کن فیکون وعلمنی الکتاب
والحکمة والتوراة والانجیل وجعلنی اخلق من الطین کهیئة الطیر فانفخ فیه فیکون طیرا باذن الله وجعلنی ابرئ
الاکمه والابرص واحیی الموتی باذن الله ورفعنی وطهرنی واعاذنی وامی من الشیطان الرجیم فلم یکن للشیطان
علینا سبیل قال وان محمدا صلی الله علیه وسلم اثنی علی ربه فقال کلکم اثنی علی ربه وانا اثنی علی ربی الحمد
لله الذی ارسلنی رحمة للعالمین وکافة للناس بشیرا ونذیرا وانزل علی الفرقان فیه تبیان کل شیء
وجعل امتی امة وسطا وجعل امتی هم الاولون وهم الاخرون وشرح لی صدری ووضع عنی وزری ورفع لی
ذکری وجعلنی فاتحا وخاتما فقال ابرهیم بهذا فضلکم محمد ثم ذکر انه عرج به الی السماء الدنیا ومن سماء الی سماء
ذکره القاضی عیاض فی الشفا مختصرا من حدیث ابی هریرة من غیر عزو وذکره البیهقی من حدیث ابی سعید
الخدری وهذا لفظه وفی روایة ابن ابی حاتم فی تفسیره عن انس فلما بلغ بیت المقدس بلغ المکان الذی یقال له
باب محمد ... الی الحجر الذی به فخرقه جبریل باصبعه فشده ثم ربطها فلما استویا فی صرحة المسجد قال جبریل یا محمد
هل سالت ربک ان یریک الحور العین قال نعم قال فانطلق الی اولئک النسوة فسلم علیهن قال فسلمت علیهن
فرددن علی السلام فقلت من انتن فقلن خیرات حسان نساء قوم ابرار نقوا فلم یدرنوا واقاموا
فلم یظعنوا وخلدوا فلم یموتوا قال ثم انصرفت فلم البث الا یسیرا حتی اجتمع ناس کثیر ثم اذن مؤذن
واقیمت الصلاة قال فقمنا صفوفا ننتظر من یؤمنا فاخذ بیدی جبریل علیه السلام فقدمنی فصلیت بهم
فلما انصرفت قال لی جبریل یا محمد من صلی خلفک قلت لا قال صلی خلفک کل نبی بعثه الله قال القاضی عیاض
یحتمل ان یکون صلی الله علیه وسلم صلی بالانبیاء جمیعا فی بیت المقدس ثم صعد منهم الی السماء من ذکر
انه علیه السلام راه ویحتمل ان یکون صلی بهم بعد ان هبط من السماء فهبطوا ایضا والاظهر ان صلاته
بهم ببیت المقدس کان قبل العروج انتهی وقال ابن کثیر صلی بهم ببیت المقدس قبل العروج وبعده فان
فی الحدیث ما یدل علی ذلک ولا مانع منه انتهی وقد اختلف فی هذه الصلاة هل هی فرض او نفل واذا قلنا انها
فرض فای صلاة هی قال بعضهم الاقرب انها الصبح ویحتمل ان تکون العشاء وانما یاتی علی قول من قال
انه صلی بهم قبل عروجه الی السماء واما علی قول من قال انه صلی بهم بعد العروج فتکون الصبح قال ابن کثیر
ومن الناس من یزعم انه امهم فی السماء والذی تظاهرت به الروایات ببیت المقدس والظاهر انه بعدما رجع
الیه لانه لما مر بهم فی منازلهم جعل یسال جبریل عنهم واحدا واحدا وهو یخبره بهم قال وهذا هو اللائق
لانه اولا کان مطلوبا الی الجناب العلوی لیفرض الله علیه وعلی امته ما یشاء ولما فرغ مما ارید به اجتمع
هو واخوانه من النبیین ثم اظهر شرفه علیهم بتقدیمه فی الامامة وفی روایة ابن اسحق انه علیه السلام
قال لما فرغت مما کان ببیت المقدس اتی بالمعراج ولم ار قط شیئا احسن منه وهو الذی یمد الیه المیت
عینیه اذا احتضر فاصعدنی صاحبی فیه حتی انتهی الی باب من ابواب السماء وفی روایة کعب فوضعت له
مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب حتی عرج وجبریل وفی شرف المصطفی انه اتی بالمعراج من جنة الفردوس
وانه منضد عن یمینه ملائکة وعن یساره ملائکة وفی روایة ابی سعید عند البیهقی ثم اتیت بالمعراج الذی
تعرج علیه ارواح بنی ادم فلم تر الخلائق احسن من المعراج اما رایت المیت حین یشق بصره طامحا الی السماء

فان ذلک

فان ذلک عجبه بالمعراج وقد تقدم فی حدیث البخاری السابق فانطلق بی جبریل حتی اتی السماء الدنیا فاستفتح
قیل من هذا قال هذا جبریل قیل ومن معک قال محمد قیل وقد ارسل الیه قال نعم ولم یقل جبریل علیه السلام
انا حیث قیل له من انما سمی نفسه فقال جبریل لان لفظ انا فیه اشعار بالعظمة وفی الکلام السابق
اول من قال انا ابلیس فشقی وایضا فقوله انا مبهمة لافتقار الضمیر الی العود فنهی عنه کما فی الباب
وعلی هذا فینبغی للمستاذن اذا قیل له من ذا لا یقول انا بل یقول فلان وفی روایة للبخاری ومسلم فعرج
وهو بفتح العین بمعنی صعد وفی حدیث ابی سعید عند البیهقی حتی انتهی الی باب من ابواب السماء یقال
له باب الحفظة وعلیه ملک یقال له اسمعیل تحت یده اثنا عشر الف ملک وفی روایة شریک عند البخاری
ایضا ثم عرج به الی السماء الدنیا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل السماء الدنیا من هذا قال جبریل قالوا ومن معک
قال محمد قالوا وقد بعث قال نعم قالوا فمرحبا واهلا فیستبشر به اهل السماء لا یعلم اهل السماء بما یرید الله به فی
الارض حتی یعلمهم ای علی لسان من شاء کجبریل ووقع فی هذه الروایة انه رای فی السماء الدنیا النیل والفرات
عنصرهما وظاهره یخالف حدیث مالک بن صعصعة فان فیه بعد ذکر سدرة المنتهی فاذا فی اصلها اربعة
انهار ویجمع بان اصل نبعهما من تحت سدرة المنتهی ومقرهما فی السماء الدنیا ومنها ینزلان الی الارض ووقع
فی هذه الروایة ایضا ثم مضی به فی السماء الدنیا فاذا هو بنهر اخر علیه قصر من لؤلؤ وزبرجد وانه الکوثر
وهو مما استشکل من روایة شریک فان الکوثر من الجنة والجنة فوق السماء السابعة ویحتمل ان یکون تقدیره
ثم مضی فی السماء الدنیا الی السابعة فاذا هو بنهر قوله فی الحدیث افتح دلالة علی انه صادف ابواب السماء
مغلقة وفی ذلک والله اعلم التنویه بقدره علیه السلام وتحقیق ان السموات لم تفتح ابوابها الا من اجله
ولو وجدها مفتوحة لم یحقق انها فتحت لاجله فلما فتحت له تحقق علیه السلام من ان الحل معمول فتحه
له کرامة وتبجیلا واما قوله فی الحدیث ارسل الیه وفی روایة وقد بعث الیه فیحتمل ان یکون استفهاما عن الارسال
الیه للعروج الی السماء وهو الاظهر الیه لان اصل بعثته قد اشتهر فی الملکوت الاعلی وقیل سالوه تعجبا من
نعمة الله علیه بذلک واستبشارا به وقد علموا ان بشرا لا یترقی هذا الترقی الا باذن من الله تعالی وان جبریل
لا یصعد بمن لم یرسل الیه وقیل ان الله تعالی اراد اطلاع نبیه علی انه معروف عند الملا الاعلی لانهم قالوا
او بعث الیه او ارسل الیه فدل علی انهم کانوا یعرفون ان ذلک سیقع له والا لکانوا یقولون ومن محمد مثلا
ولذلک اجابوا بقولهم مرحبا به ولنعم المجیء جاء وکلامهم بهذه الصیغة ادل دلیل علی ما ذکرناه من معرفتهم بجلالته
وتحقیق رسالته لان هذا اجل ما یکون من حسن الخطاب والترحیب علی المعروف من عادة العرب واما
قوله من معک فیشعر بانهم احسوا معه علیه السلام والا لکان السؤال بلفظ امعک احد وهذا الاحساس
اما بمشاهدة لکون السماء شفافة واما بامر معنوی کزیادة انوار ونحوها قاله الحافظ ابن حجر ولعله اخذه
من کلام العارف ابن ابی جمرة حیث قال فی بهجته الاظهر ان یکون سؤالهم لما راوا من اقبال علیهم من زیادة
الانوار وغیرها من اثار البشارة زیادة علی ما یعهدونه فتاول وهذا هو الاظهر کانهم قالوا من الشخص الذی
من اجله هذه الزیادة التی معک فاخبرهم بما ارادوا وهو تعیین الشخص باسمه حتی عرفوه انتهی وقد قال
بعض العلماء فی قوله تعالی لقد رای من ایات ربه الکبری انه رای صورة ذاته المبارکة فی الملکوت فاذا هو عروس المملکة
واما قولهم مرحبا به ولنعم المجیء جاء فیحتمل ان یکون ما قالوه لما عاینوه من برکاته علیه السلام التی سبقته الی السماء
مبشرة بقدومه وفیه تقدیم وتاخیر والتقدیر جاء فنعم المجیء مجیئه وانما لم یقل الخازن مرحبا بک بصیغة

للخطاب بل قال بصيغة الغيبة لانه حياه قبل ان يفتح الباب وقبل أن يصدر من النبي صلى الله عليه
وسلم خطاب ويحتمل ان يكون حياه بصيغة الغيبة تعظيما له لان هاء الغيبة ربما كانت افخم من
كاف الخطاب واما قوله في الحديث فاذا رجل قاعد على يمينه اسودة وعلى يساره اسودة اذا نظر
قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا
قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل اليمين منهم اهل الجنة والاسودة التي
عن شماله اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فالاسودة بوزن ازمنة هي الاشخاص
والنسم والسين المهملة المفتوحتين جمع نسمة وهي الروح وقد قال القاضي عياض جاء ان ارواح (بالنون)
الكفار في سجين وان ارواح المومنين منعمة في الجنة يعني فكيف تكون مجتمعة في سماء الدنيا واجاب
بانه يحتمل انها تعرض على آدم اوقاتا فوافق عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم ويدل على ان كونهم في
النار انما هو في اوقات دون اوقات قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا واعترض بان ارواح
الكفار لا تفتح لهم ابواب السماء كما هو نص القرآن والجواب ما ابداه هو احتمالا ان الجنة كانت في جهة يمين
آدم والنار في جهة شماله وكان يكشف له عنهما ولا يلزم من رؤيته اياهما وهو في السماء ان تفتح لها ابواب
السماء ولا تلجها وفي حديث ابي هريرة عند البزار فاذا عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب (أن)
يخرج منه ريح خبيثة اذا نظر عن يمينه استبشر واذا نظر عن شماله حزن وهذا لو صح لكان المصير اليه اولى
من جميع ما تقدم ولكن سنده ضعيف قاله الحافظ ابن حجر واما قوله في الحديث ثم صعد بي حتى اتى
السماء الثانية فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به
فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت
فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح الى قوله ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل
قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء
فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام وقال مرحبا بالابن
الصالح والنبي الصالح فهذه الرواية موافقة لرواية ثابت عن انس عند مسلم ان في السماء الاولى آدم وفي الثانية
يحيى وعيسى وفي الثالثة يوسف وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة هرون وفي السادسة موسى وفي
السابعة ابراهيم وخالف ذلك ابن شهاب الزهري في روايته عن انس عن ابي ذر كما في اول الصلاة من
البخاري ايضا انه لم يثبت كيف منازلهم وقال فيه وابراهيم في السماء السادسة وفي رواية شريك عن انس
ان ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وآخر في الخامسة لم احفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى
في السابعة بتفضيل كلام الله وسياقه يدل على انه لم يضبط منازلهم ايضا كما صرح به الزهري ورواية
من ضبط اولى ولا سيما مع اتفاق قتادة وثابت وقد وافقهما يزيد بن ابي مالك عن انس الا انه خالف في ادريس
وهرون فقال هرون في الرابعة وادريس في الخامسة ووافقهم ابو سعيد الا ان في روايته يوسف في
الثانية وعيسى ويحيى في الثالثة والمشهور في الروايات ان الذي في السابعة هو ابراهيم وكذلك في حديث
مالك بن صعصعة بانه كان مسندا ظهره الى البيت المعمور ومع التعدد لا اشكال ومع الاتحاد فقد جمع بان موسى
كان حالة العروج في السادسة وابراهيم في السابعة على ظاهر حديث مالك بن صعصعة وعند الهبوط كان
موسى في السابعة لانه لم يذكر في القصة ان ابراهيم كلمه في شيء مما يتعلق بما فرض على امته من الصلاة كما

كلمه

كلمه موسى عليه السلام والسماء السابعة هي اول شيء انتهى اليه حالة الهبوط فناسب ان يكون موسى
بها لانه هو الذي خاطبه في ذلك كما ثبت في جميع الروايات ويحتمل ان يكون لقي موسى في السادسة
فاصعد معه الى السابعة تفضيلا له على غيره من اجل كلام الله تعالى وظهرت فائدة ذلك في كلامه
مع نبينا فيما يتعلق بامر امته في الصلاة قاله في فتح الباري وقال ان النووي اشار الى شيء من ذلك وفي رواية
شريك عن انس في قصة موسى لم اظن ان يرفع علي احد قال ابن بطال فهم موسى عليه السلام من اختصاصه
بكلام الله تعالى له في الدنيا دون غيره من البشر لقوله تعالى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي
ان المراد بالناس هنا البشر كلهم وانه استحق بذلك ان لا يرفع عليه احد فلما فضل الله تعالى محمدا عليهما
السلام بما اعطاه من المقام المحمود وغيره ارتفع على موسى وغيره بذلك وفي حديث ابي سعيد قال موسى يزعم
بنو اسرائيل اني اكرم على الله وهذا اكرم على الله مني زاد الاموي في روايته ولو كان هذا وحده هان ولكن
معه امته وهم افضل الامم عند الله وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما
يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي ولم يكن بكاء موسى
عليه السلام حسدا معاذ الله فان الحسد في ذلك العالم منزوع من آحاد المومنين فكيف بمن اصطفاه الله
تعالى بل كان اسفا على ما فاته من الاجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من امته من كثرة
المخالفة المقتضية لتنقيص اجورهم المستلزمة لتنقيص اجره لان لكل نبي مثل اجر من اتبعه ولهذا
كان من اتبعه في العدد دون من اتبع نبينا صلى الله عليهما وسلم مع طول مدتهم بالنسبة لمدة هذه الامة
وقال العارف ابن ابي جمرة قد جعل الله تعالى في قلوب انبيائه عليهم السلام الرأفة والرحمة لاممهم
وركبهم على ذلك وقد بكى نبينا صلى الله عليه وسلم فقيل له ما يبكيك قال هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده
الرحماء والانبياء عليهم السلام قد اخذوا من رحمة الله اوفر نصيب فكانت الرحمة في قلوبهم لعباد الله اكثر
من غيرهم فلاجل ما كان لموسى عليه السلام من الرحمة واللطف بكى اذ ذاك رحمة منه لامته لان هذا وقت
افضال وجود وكرم فرجا لعل ان يكون وقت القبول والافضال فيرحم الله امته ببركة هذه الساعة فان
قال قائل كيف يكون هذا وامته لا تخلو من قسمين قسم مات على الايمان وقسم مات على الكفر فالذي مات
على الايمان لا بد له من دخول الجنة والذي مات على الكفر لم يدخل الجنة ابدا فبكاه من اجل ما ذكر لا يسوغ لان
الحكم فيهم قد مر ونفذ قيل ان الله تعالى قدر فقدره على قسمين فقدر قدرا وقدر ان ينفذ على كل الاحوال
وقدر قدرا وقدر ان لا ينفذ ويكون رفعه بسبب دعاء او صدقة او غير ذلك فلاجل ما ركب في موسى عليه
السلام من اللطف والرحمة بالامة طمع لعل ان يكون مما اتفق لامته من القدر الذي قدره الله تعالى وقدر
ارتفاعه بسبب الدعاء والتضرع اليه وهذا وقت يرتجى فيه التعطف والاحسان من الله تعالى لانه وقت
اسرى فيه بالحبيب الكريم ليخلع عليه خلع القرب والفضل العميم فطمع الكليم لعل ان يلحق لامته نصيبا من هذا
الخير العظيم وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله وهذه نفحة من النفحات
فتعرض لها موسى فكان امر قد قدر والاسباب لا تؤثر الا بما سبقت القدرة بانها فيه تؤثر فما كان
تماما قدر لا ترده الاسباب حتم لازم وفي بكائه عليه السلام رجاء اخروي وبشارة لنبينا صلى الله
عليه وسلم وادخال السرور عليه وذلك قول موسى عليه السلام الذي هو احد الانبياء ان اتباعه الذين
يدخلون الجنة من امة محمد صلى الله عليه وسلم اكثر مما يدخلها من امتي واما قول موسى عليه السلام لان

غلاماً ولم يقل عبداً لكان من القبيح فاشار الى صغر سنه بالنسبة اليه وفي القاموس والغلام الطار
الشارب والكهل ضد وقال الخطابي العرب تسمي الرجل المستجمع السن غلاماً ما دامت فيه بقية
من القوة قال في فتح الباري ويظهر لي ان موسى عليه السلام اشار الى ما انعم الله به على نبينا من
استمرار القوة في الكهولة الى ان دخل في اول سن الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعتراه في قوته نقص
حتى ان الناس في قدومه المدينة لما راوه مردفاً ابا بكر اطلقوا اسم الشاب عليه وعلى ابي بكر اسم الشيخ
مع كونه عليه الصلوة والسلام في العمر اسن من ابي بكر والله اعلم وقد ذكرت ذلك في الهجرة من المغازي
الاول ووقع في حديث ابي هريرة عند الطبراني في ذكر ابراهيم فاذا هو رجل اشمط جالس عند باب
الجنة على كرسي وفي رواية مسلم من حديث ثابت عن انس ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاذا بابراهيم
صلى الله عليه وسلم مسنداً ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون
اليه وفيه فاذا انا بيوسف واذا هو قد اعطي شطر الحسن وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي وابي هريرة عند
الطبراني فاذا انا برجل احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب
وهذا ظاهره ان يوسف عليه السلام كان احسن من جميع الناس لكن روى الترمذي من حديث انس
ما بعث الله نبياً الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجهاً واحسنهم صوتاً
فعلى هذا يحمل حديث المعراج على ان المراد غير النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده قول من قال ان المتكلم لا يدخل
في عموم خطابه وحمل ابن المنير حديث الباب على ان المراد ان يوسف اعطي شطر الحسن الذي اوتيه
نبينا صلى الله عليه وسلم واما قوله في الحديث عن ادريس ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح فيحمل
على اخوة النبوة والاسلام لان كلا يجتمع الوالد بالولد وقال ابن المنير وفي طريق هذا شأنه مرحباً بالابن الصالح
وهذه هي القياس لانه جده الاعلى وقيل ان ادريس الذي لقيه ليس هو الجد المشهور ولكنه الياس فان كان ذلك
ارتفع الاشكال فان قلت لم كان هؤلاء الانبياء عليهم السلام في السموات دون غيرهم من الانبياء
وما وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء تخصه ولم كان في السماء الثانية بخصوصها اجيب عن الاختصاص
على هؤلاء دون غيرهم من الانبياء انهم امروا بملاقاة نبينا صلى الله عليه وسلم فمنهم من ادركه في اول وهلة ومنهم
من تأخر فلحقه ومنهم من فاته وقيل اشارة الى ما سيقع له صلى الله عليه وسلم مع قومه من نظير ما وقع
لكل منهم فاما ادم عليه السلام فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة الى الارض بما سيقع لنبينا صلى
الله عليه وسلم من الهجرة الى المدينة والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق ما الفه من
الوطن ثم كان عاقبة كل منهما ان يرجع الى وطنه الذي خرج منه وبعيسى ويحيى على ما وقع له اول الهجرة
من عداوة اليهود وتماليهم على البغي عليه وارادتهم السوء اليه وبيوسف على ما وقع له مع اخوته على
ما وقع لنبينا عليه السلام من قريش في نصبهم الحرب له وارادتهم هلاكه وكانت العاقبة له وقد اشار
عليه السلام الى ذلك يوم الفتح بقوله لقريش اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم
وهو ارحم الراحمين اذهبوا فانتم الطلقاء اي العتقاء وبادريس على رفيع منزلته عند الله تعالى وبهرون
على ان قومه رجعوا الى محبته بعد ان اذوه وبموسى على ما وقع له من معالجة قومه وقد اشار الى ذلك عليه
السلام بقوله لقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر وبابراهيم في استناده الى البيت المعمور بما ختم
له صلى الله عليه وسلم في اخر عمره من اقامة منسك الحج وتعظيم البيت الحرام واجاب العارف ابن ابي جمرة عن

وجه

وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء بان الحكمة في كون ادم في السماء الدنيا لانه اول الانبياء واول الاباء وهو
الاصل فلاجل تانيس البنوة بالابوة واما عيسى فانما كان في السماء الثانية لانه اقرب الانبياء الى النبي صلى الله
عليه وسلم ولا تنسخ شريعة عيسى عليه السلام الا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولانه ينزل في اخر الزمان
لامة محمد صلى الله عليه وسلم على شريعته ويحكم بها ولهذا قال عليه السلام انا اولى الناس بعيسى فكان في الثانية
لاجل هذا المعنى واما كان يحيى عليه السلام معه هناك لانه ابن خالته وهما كالشيء الواحد فلاجل التزام
احدهما بالاخر كانا هناك معاً واما كان يوسف عليه السلام في السماء الثالثة لان على حسنه تدخل امة
النبي صلى الله عليه وسلم الجنة فاري له هناك لكي يكون ذلك بشارة له عليه السلام فيسر بذلك واما كان
ادريس عليه السلام في السماء الرابعة فلانه هناك توفي ولم تكن له تربة في الارض على ما ذكر واما كان
هرون عليه السلام في السماء الخامسة فلانه ملازم لموسى عليه السلام لاجل انه اخوه وخليفته في قومه
فكان هناك لاجل هذا المعنى وانما لم يكن مع موسى عليه السلام في السماء السادسة لان لموسى مزية
وحرمة وهي كونه كليماً واختص باشياء لم تكن لهرون فلاجل هذا لم يكن معه في السادسة واما كان
موسى عليه السلام في السماء السادسة لاجل ما اختص به من الفضائل ولانه الكليم وهو اكثر الانبياء اتباعاً
بعد نبينا صلى الله عليه وسلم واما كان ابراهيم عليه السلام في السماء السابعة فلانه الخليل والاب
الاخير فناسب ان يتجدد للنبي صلى الله عليه وسلم بلقيته انس لتوجهه بعده الى عالم اخر وهو اختراق
الحجب وايضاً لانه الخليل ولا احد افضل من الخليل الا الحبيب والحبيب ها هو قد علا ذلك المقام فكان
الخليل فوق الكل لاجل خلته وفضله وارتفع الحبيب فوق الكل لاجل ما اختص به مما زاد به عليهم قال
الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فحصل لهم الكل والله درجة
الرفيعة وهي درجة الرسالة والنبوة ورفعوا بعضهم فوق بعض بمقتضى الحكمة ترفيعاً للمرفوع دون تنقيص المنزول
انتهى ملخصاً وقد اختلف في روية نبينا صلى الله عليه وسلم لهولاء الانبياء عليهم السلام فحمله بعضهم على
روية ارواحهم الا عيسى لما ثبت انه رفع بجسده وقد قيل في ادريس ايضاً ذلك واما الذين صلوا معه
في بيت المقدس فيحتمل الارواح خاصة ويحتمل الاجساد بارواحها وقيل يحتمل ان يكون عليه السلام عاين
كل واحد منهم في قبره في الارض على الصورة التي اخبر بها من الموضع الذي ذكر انه عاينه فيه فيكون الله عز
وجل قد اعطاه من القوة في البصر والبصيرة ما ادرك به ذلك ويشهد له رويته عليه السلام الجنة والنار
في عرض الحائط والقدرة صالحة لكليهما وقيل يحتمل ان يكون الله سبحانه وتعالى لما اراد اسراء نبينا
عليه السلام رفعهم من قبورهم لتلك المواضع اكراماً لنبيه عليه السلام وتعظيماً حتى يحصل له من قبلهم
ما اشرنا اليه من الانس والبشارة وغير ذلك مما لم نشر اليه ولا نعلمه نحن وكل هذه الوجوه محتملة ولا ترجيح
لاحدها على الاخر اذ القدرة صالحة لكل ذلك انتهى واما قوله في الحديث ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا
نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان
ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات
وفي رواية عند البخاري ايضاً فاذا في اصلها اي سدرة المنتهى اربعة انهار وعند مسلم يخرج من اصلها وعند
ابن ابي حاتم من حديث ابي هريرة اربعة انهار من الجنة النيل والفرات وسيحان وجيحان فيحتمل ان تكون سدرة
المنتهى مغروسة في الجنة والانهار تخرج من اصلها فيصح انها من الجنة ووقع في حديث شريك كما عند البخاري

في الترحيبات انه راى في سماء الدنيا نهرين يطردان فقال له جبريل هما النيل والفرات عنصرهما والجمع
بينهما انه راى هذين النهرين عند سدرة المنتهى مع نهري الجنة وراهما في السماء الدنيا دون نهري الجنة
واراد بالعنصر عنصر انتشارهما بسماء الدنيا كذا قاله ابن دحية وروى ابن ابي حاتم عن انس عن النبي عليه السلام
بعد ان رأى ابرهيم قال ثم انطلق بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت واللؤلؤ
والزبرجد وعليه طير خضر انعم طير رايت قال جبريل هذا الكوثر الذي اعطاك الله فاذا فيه آنية الذهب
والفضة يجري على رضراض من الياقوت والزمرد ماؤه اشد بياضا من اللبن قال فاخذت من آنيته
فاغترفت من ذلك الماء فشربت فاذا هو احلى من العسل واشد رائحة من المسك وفي حديث ابي سعيد عند
البيهقي فاذا فيها عين تجري يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران احدهما الكوثر والاخر يقال له نهر الرحمة
وسياتي مزيد لما ذكرنا من الكوثر في الفصل الاخير ان شاء الله تعالى وقد وقع في حديث ثابت عن انس
عند مسلم ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها
من امر الله عز وجل ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها وقد جاء في
حديث ابن مسعود عند مسلم ايضا بيان سبب تسميتها بسدرة المنتهى ولفظه لما اسري برسول
الله صلى الله عليه وسلم قال انتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة واليها ينتهي ما يعرج من
الارض فيقبض منها وهو معنى قول ابن ابي جمرة لان اليها تنتهي الاعمال ومن هناك ينزل الامر وتلقى
الاحكام وعندها تقف الحفظة وغيرهم ولا يتعدونها فكانت منتهى لان اليها ينتهي ما يصعد من
السفلي واليها ينزل من العالم العلوي من امر العلي وقال النووي لان علم الملائكة ينتهي اليها
ولم يجاوزها احد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعارض له قوله في حديث ابن مسعود هذا
انها في السادسة ما دل عليه بقية الاخبار انه وصل اليها بعد ان دخل في السماء السابعة لانه يحمل على
ان اصلها في السماء السادسة واغصانها وفروعها في السابعة وليس في السادسة الا اصل ساقها
قاله في فتح الباري وجاء في حديث ابي ذر عند البخاري في الصلاة فغشيها الوان لا ادري ما هي وفي حديث
ابن مسعود المذكور عند مسلم قال الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي حديث
يزيد بن ابي مالك جراد من ذهب قال البيضاوي وذكر الفراش وقع على سبيل التمثيل لان من شان الشجر عن انس
ان يسقط عليها الجراد وشبهه وجعلها من الذهب حقيقة والقدرة صالحة لذلك وفي حديث ابي سعيد خ
عن انس وابن عباس تغشاها الملائكة وفي حديث علي على كل ورقة منها ملك وفي رواية مالك عن انس وفي رواية ثابت عن انس
عند مسلم فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها وفي رواية
حميد عن انس عند ابن مردويه نحوه لكن قال تحولت ياقوتا ونحو ذلك قال ابن دحية واختير السدر
دون غيرها لان فيها ثلاثة اوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية فكانت بمنزلة الايمان
الذي يجمع القول والعمل والنية فالظل بمنزلة العمل والطعم بمنزلة النية والرائحة بمنزلة القول وقال
العارف ابن ابي جمرة وهل الشجرة مغروسة في تخوم لا يحتمل الوجهين معا لان القدرة صالحة لكليهما فكما
جعل الله تعالى في هذه الدار الارض مقر الشجر كذلك يجعل الهواء لها مقرا وكما رجع صلى الله عليه وسلم
مشى في الهواء كما كان يمشي في الارض وكان بالقدرة استقرت الارض مع انها على الماء ولا مانع من ان تكون الشجرة
في الهواء ويحتمل ان تكون مغروسة بارض وان تكون من تراب الجنة والله قادر على ما يشاء واما قوله

صلى

صلى الله عليه وسلم في الحديث ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال
هي الفطرة التي انت عليها فيدل على انه عرض عليه الانية مرتين مرة ببيت المقدس ومرة عند وصوله
سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة واما الاختلاف في عدد الانية وما فيها فيحمل على ان بعض الرواة
ذكر ما لم يذكره الاخر ومجموعها اربعة اواني فيها اربعة اشياء من الانهار الاربعة التي راها تخرج من
اصل سدرة المنتهى ووقع في حديث ابي هريرة عند الطبري سدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء
غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى فلعله عرض عليه من كل نهر
اناء وجاء عن كعب ان نهر العسل نهر النيل ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الماء نهر سيحان
ولنهر النيل فضائل ولطائف افردها بالتاليف غير واحد من الائمة ووقع في بعض الطرق انه صلى الله عليه
وسلم صلى بالانبياء في السموات واما قوله عليه السلام في الحديث ثم رفع لي البيت المعمور فمعناه
انه ابدي له وقد يحتمل ان يكون المراد الرفع والرؤية معا لانه قد يكون بينه وبين البيت المعمور عوالم
حتى لا يقدر على ادراكه فرفع اليه وامد في بصره وبصيرته حتى راه وروى الطبري من حديث سعيد بن ابي
عروبة عن قتادة قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البيت المعمور مسجد في السماء بحذاء الكعبة
لو خر لخر عليها يدخله سبعون الف ملك كل يوم اذا خرجوا منه لم يعودوا وفي هذا دليل على عظيم قدرة الله
تعالى وانه لا يعجزه ممكن لان هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم هذا العدد العظيم من خلق الله تعالى
للخلق الى الابد شرط طائفة هذا اليوم لا ترجع اليه ابدا ومع انه قد روي انه ليس في السموات ولا في الارض
موضع شبر الا وفيه ملك واضع جبهته هناك ساجدا ثم البحار ما من قطرة الا وفيها ملك موكل وان كانت
السموات والارض والبحار هكذا فهؤلاء الملائكة الذين يدخلون اين يذهبون هذا من عظيم القدرة التي لا
يشبهها شيء وفي هذا دليل على ان الملائكة اكثر الخلق فانه لانه اذا كان سبعون الف ملك كل يوم تصلي في
البيت المعمور على ما تقدم ثم لا يعودون مع ان الملائكة في السموات والارض والبحار وفي حديث ابي هريرة
خ عند ابن مردويه وابن ابي حاتم ان في السماء نهرا يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس ثم يخرج فينتفض
الذين فيخرج عنه سبعون الف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا فهم يصلون فيه اي في البيت المعمور ثم لا يعودون
اليه واسناده ضعيف وذكر الامام فخر الدين الرازي عند قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون انه روي عن عطا
ومقاتل والضحاك عن ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين
السبع والبحار السبعة يدخله جبريل عليه السلام كل سحر ويغتسل فيه فيزداد نورا الى نوره وجمالا
الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نقطة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم
اقسام الملائكة وعددهم سبعون الفا ثم لا يعودون اليه الى ان تقوم الساعة وقد روي ان ثم ملائكة يسبحون الله تعالى
يخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكا هذا ما عدا الملائكة التي للتعبد وما عدا الملائكة الذين يكتبون صالح الاعمال
مطلب من الحفظة الموكلين بالنبات والارزاق والحفظة والملك الموكل بتصوير ابن آدم والملائكة الذين ينزلون
في السحاب والملائكة الذين يكتبون الناس يوم الجمعة وخزنة الجنة والملائكة الذين يتعاقبون والذين
يؤمنون على قراءة المصلي والذين يقولون ربنا ولك الحمد والذين يدعون لمنتظر الصلاة والذين يلعنون
من هجرت فراش زوجها وقد روي ان في السماء الدنيا وهي من ماء وحجاب ملائكة خلقوا من ماء وريح عليهم
يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقولون سبحان ذي الملك والملكوت وان في السماء الثانية

ملائكة على الوان شتى رافعين أصواتهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت وان فيها ملكا نصف جسده
من نار ونصف جسده من ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفي النار وهو يقول يا من ألف بين الثلج والنار ألف
بين عبادك وان في الثالثة وهي من حديد ملائكة ذو اجنحة ووجوه شتى واصوات شتى رافعوا اصواتهم
بالتسبيح يقولون سبحانك انت الله الحي الذي لا يموت وهم صفوف قيام كأنهم بنيان مرصوص لا يعرف احد
لون صاحبه من خشية الله وان في الرابعة وهي من نحاس ملائكة يضعفون على ملائكة الثالثة وكذلك
كل سماء ملائكة عدد اهل السماء التي تليها وان ملائكة السماء الرابعة قيام وركوع وسجود على الوان شتى من العبادة
يبعث الله الملك منهم الى امر من اموره فينطلق ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذي الى جنبه من شدة العبادة
وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذي لا اله الا هو وان في الخامسة وهي من فضة ملائكة يزيدون
على ملائكة الاربع سموات وهم سجود وركوع لم يرفعوا ابصارهم الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة قالوا ربنا
لم نعبدك حق عبادتك وان في السادسة وهي من ذهب جند الله الاعظم الكروبيون لا يحصى عددهم الا الله
عليهم ملك له سبعون الف جناح وكل ملك منهم جنده سبعون الف ملك وهم الذين يبعثهم الله
في امره الى اهل الدنيا رافعوا اصواتهم بالتسبيح والتهليل وان في السابعة وهي من ياقوتة حمراء من الملائكة
ما يزيد ويربو على ما تقدم وعليهم ملك يقدمهم على سبعين الف ملك منهم جنود مثل قطر السماء وتراب الثرى
والرمل والسهل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق في السموات والارض ويخلق الله في كل يوم ما يشاء وما يعلم
جنود ربك الا هو وان حملة العرش لكل ملك منهم وجوه شتى واعين شتى في جسده لا يشبه بعضها بعضا
رافعة اصواتهم بالتهليل ينظرون الى العرش لا يغفلون لو ان الملك منهم نشر جناحيه لطبق الدنيا بريشة من
جناحيه لا يعلم عددهم الا الله وحملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت حسن رخيم يقول الاربعة منهم سبحانك
وبحمدك على حلمك بعد علمك ويقول الاربعة سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك وقد روى الطبراني من حديث
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل على اي شيء انت قال على الريح والجنود قال وعلى اي شيء
ميكائيل قال على النبات والقطر قال وعلى اي شيء ملك الموت قال على قبض الارواح الحديث وفي اسناده محمد بن عبد
الرحمن بن ابي ليلى وقد ضعف لسوء حفظه ولم يترك وروى الترمذي من حديث ابي سعيد مرفوعا وزيراي من
اهل السماء جبريل وميكائيل الحديث وروى النقاش ان اسرافيل اول من سجد من الملائكة وانه جوزي بولاية
اللوح المحفوظ وقد وقعت في غير رواية البخاري هنا زيادات فمنها ما وقع في رواية ابي سعيد الخدري عند البيهقي
في دلائله ثم صعدت الى السماء السابعة فاذا ابراهيم الخليل ساند ظهره الى البيت المعمور كاحسن الرجال
ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي واذا امتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض كأنهم القراطيس
وشطر عليهم ثياب رمد قال فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الاخرون
الذين عليهم ثياب رمد فصليت انا ومن معي في البيت المعمور وفي رواية الطبراني فاذا انا برجل اشمط جالس عند
باب الجنة على كرسي وعنده قوم جلوس بيض الوجوه امثال القراطيس وقوم في الوانهم شيء فدخلوا نهرا
فاغتسلوا فيه فخرجوا قد خلص من الوانهم شيء ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه فخلص الوانهم وصارت مثل
الوان البيض الوجوه فقال من هذا ومن هؤلاء الذين في الوانهم شيء وما هذه الانهار التي دخلوا فيها فجاؤوا وقد
صفت الوانهم قال هذا ابوك ابراهيم اول من شمط على الارض واما هؤلاء البيض الوجوه ...
هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم واما هؤلاء الذين في الوانهم شيء فقوم خلطوا عملا صالحا

وآخر

وآخر سيئا فتابوا فتاب الله عليهم واما الانهار فاولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث وسقاهم ربهم
شرابا طهورا وفي رواية البخاري في الصلاة ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام الحديث
والمستوى المصعد وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة تصويتها حالة الكتابة والمراد ما تكتبه الملائكة من
اقضية الله تعالى والقدر المكتوب قديم وانما الكتابة حادثة وظاهر الاخبار ان اللوح المحفوظ فرغ من
كتابته وجف القلم بما فيه قبل خلق السموات والارض وانما هذه الكتابة في صحف الملائكة كالفروع المنتسخة
من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ما ذكر في الاثر وذكر ابن القيم ان الاقلام اثنا عشر قلما واعلاها واجلها
في الرتب فاعلاها واجلها قدرا قلم القدر السابق الذي كتب الله به مقادير الخلائق كما في سنن ابي داود
عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم قال له
اكتب قال رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة فهذا القلم اول الاقلام واجلها وقد
قال غير واحد من اهل التفسير انه القلم الذي اقسم الله به والقلم الثاني قلم الوحي والثالث قلم التوقيع
عن الله ورسوله والرابع قلم طب الابدان الذي يحفظ به صحتها والخامس قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم وبه
تساس الممالك والسادس قلم الحساب وهو الذي يضبط به الاموال مستخرجها ومصروفها ومقاديرها
وهو قلم الارزاق والسابع قلم الحكم الذي تثبت به الحقوق وتنفذ به القضايا والثامن قلم الشهادة الذي
تحفظ به الحقوق والتاسع قلم التعبير وهو كاتب وحي المنام وتفسيره وتعبيره والعاشر قلم تواريخ العالم
ووقائعه والحادي عشر قلم اللغة وتفاصيلها والثاني عشر القلم الجامع وهو قلم الرد على المبطلين ودفع
شبه المحرفين فهذه الاقلام التي بها انتظام مصالح العالم قال ويكفي في جلالة القلم انه لم تكتب كتب الله الا
به وانه تعالى اقسم به في كتابه انتهى ملخصا من كتاب اقسام القرآن وقد وقع في رواية ابي ذر عند مسلم وغيره
من الزيادة ايضا ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك الحديث والجنابذ بالجيم ثم النون
الساكنة ثم الف ثم موحدة ثم ذال معجمة هي القباب ويؤيده ما في التفسير من البخاري من حديث قتادة
عن انس لما عرج به صلى الله عليه وسلم قال اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ واما ما في كتاب الصلاة
من البخاري واذا فيها حبايل اللؤلؤ بالمهملة والموحدة واخره لام فقال القاضي عياض وغيره هو تصحيف
وفي حديث الامام احمد من رواية حذيفة فتحت لنا ابواب السماء قال فرايت الجنة والنار وفي حديث ابي سعيد
انه عرضت عليه الجنة وان رمانها كانه الدلاء واذا طيرها كانها البخت وانه عرضت عليه النار فاذا هي لو
طرح فيها الحجارة والحديد لاكلتها ووقع عند مسلم من طريق همام عن قتادة عن انس بينا انا اسير في الجنة
اذا انا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف واذا طينته مسك اذفر فقال جبريل هذا الكوثر وفي رواية ابي عبيدة
عن عبد الله بن مسعود عن ابيه ان ابراهيم عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا بني انك لاق ربك
الليلة وان امتك اخر الامم واضعفها فان استطعت ان تكون حاجتك في امتك فافعل ووقع في حديث ابي سعيد
الخدري عند البيهقي ثم صعد بي الى السماء السابعة قال ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا كل ورقة منها تغطي هذه
الامة واذا فيها عين تجري يقال لها السلسبيل فيشق منها نهران احدهما الكوثر والاخر يقال له نهر الرحمة
فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ثم رفعت الى الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لمن انت
يا جارية قالت لزيد بن حارثة وفيه واذا رمانها كانه الدلاء عظما ثم عرضت علي النار فاذا فيها غضب الله
وزجره ونقمته لو طرحت فيها الحجارة والحديد لاكلتها ثم اغلقت دوني وللطبراني من حديث عائشة لما

كان ليلة أسري بي الى السماء أدخلت الجنة فوقفت على شجرة من أشجار الجنة لم أر في الجنة شجرة أحسن منها
ولا ابيض منها ولا اطيب منها ثمرة فتناولت ثمرة من ثمرها فأكلتها فصارت نطفة في صلبي فلما هبطت
الى الارض واقعت خديجة فحملت بفاطمة وهو حديث ضعيف وفيه التصريح بان الاسرا كان
قبل ولادة فاطمة وهي ولدت قبل النبوة بسبع سنين وحكى ولا ريب ان الاسرا كان بعد النبوة
وذكر ابو الحسن ابن غالب فيما تكلم فيه على احاديث الحجب السبعين والسبع مائة والسبعين الف
وعزاها لابي الربيع بن سبع في شفاء الصدور من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بعد ان ذكر حديث الاسرا كما ورد في الامهات اتاني جبريل وكان السفير حتى انتهى الى مقام
ثم وقف عند ذلك فقلت يا جبريل في مثل هذا المقام يترك الخليل خليله فقال ان تجاوزته احترقت بالنور
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل لك من حاجة الى ربك قال يا محمد سل الله لي ان ابسط جناحي
على الصراط لامتك حتى يجوزوا عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم زج بي في النور زجا فخرقت سبعين
الف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا وانقطع عني حس كل ملك وانسي فلحقني عند ذلك استيحاش
فعند ذلك ناداني مناد بلغة ابي بكر قف ان ربك يصلي فبينما انا اتفكر في ذلك فاقول هل سبقني ابو بكر فاذا
النداء من العلي الاعلى أدن يا خير البرية ادن يا احمد ادن يا محمد ليدنو الحبيب فادناني ربي حتى كنت كما قال
تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى قال وسألني ربي فلم استطع ان اجيبه فوضع يده
بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد فوجدت بردها فاورثني علم الاولين والاخرين وعلمني علوما شتى فعلم
اخذ علي كتمانه اذ علم انه لا يقدر على حمله احد غيري وعلم خيرني فيه وعلمني القران فكان جبريل عليه السلام
يذكرني به وعلم امرني بتبليغه الى العام والخاص من امتي قال ولقد عاجلت جبريل عليه السلام في اية
نزل بها فعاتبني ربي وانزل علي ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما ثم قلت
اللهم انه لما لحقني استيحاش قبل قدومي عليك سمعت مناديا ينادي بلغة تشبه لغة ابي بكر فقال لي قف
فان ربك يصلي فعجبت من هاتين هل سبقني ابو بكر الى هذا المقام وان ربي لغني عن ان يصلي فقال تعالى
انا الغني عن ان اصلي لاحد وانما اقول سبحاني سبقت رحمتي غضبي اقرا يا محمد هو الذي يصلي عليكم وملايكته
ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمومنين رحيما فصلاتي رحمة لك ولامتك واما امر صاحبك يا محمد
فان اخاك موسى كان انسه بالعصا فلما اردنا كلامه قلنا وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي وشغل
بذكر العصا عن عظيم الهيبة وكذلك انت يا محمد لما كان انسك بصاحبك ابي بكر وانك خلقت وهو من طينة
واحدة وهو انيسك في الدنيا والاخرة خلقنا ملكا على صورته يناديك بلغته ليزول عنك الاستيحاش
لئلا يلحقك من عظيم الهيبة ما يقطعك عن فهم ما يراد منك ثم قال الله تعالى واين حاجة جبريل فقلت
اللهم انت تعلم فقال يا محمد قد اجبته فيما سال ولكن فيمن احبك وصحبك وفي رواية فتقدمت وجبريل معي
اتى حتى انتهى بي الى حجاب فراش الذهب فحرك الحجاب فقيل من هذا قال انا جبريل ومعي محمد صلى الله عليه
وسلم قال الملك الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني فوضعني بين يديه في اسرع من طرفة عين
وغلظ الحجاب مسيرة خمسمائة عام فقال لي تقدم يا محمد فمضيت فانطلق بي الملك في اسرع من طرفة عين الى
حجاب اللولو فحرك الحجاب فقال الملك من وراء الحجاب من هذا قال انا صاحب حجاب الذهب وهذا محمد
صلى الله عليه وسلم رسول رب العزة معي فقال الملك الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني حتى وضعني بين

الوق

يديه فلم ازل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزني سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة
عام ثم تدلى لي رفرف اخضر يغلب ضوؤه ضوء الشمس فالتمع بصري ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملني حتى
وصلت الى العرش فابصرت امرا عظيما لا تناله الالسن ثم تدلى لي قطرة من العرش فوقعت على لساني فما
ذاق الذايقون شيا قط احلى منها فانباني الله بها نبا الاولين والاخرين ونور قلبي وغشى نور عرشه بصري
فلم ارد شيا فجعلت ارى بقلبي ولا ارى بعيني ورايت من خلفي ومن بين كتفي كما رايت امامي الحديث رواه
والذي قبله في كتاب شفاء الصدور كما ذكره ابن غالب والعهدة في ذلك عليه والرفرف البساط وقيل انه
الاصل ما كان من الديباج وغيره رقيقا حسن الصنعة ثم اتسع فيه اعلم ان ما ذكر في هذا الفصل الرفيع من الحجب
هو في حق المخلوق لا في حق الخالق عز وجل والله سبحانه وتعالى منزه عن ما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس
فالخلق كلهم محجوبون عنه تعالى بمعاني الاسما والصفات والافعال وساير المخلوقات من معاني الانوار
والظلمات لكل له مقام من الحجب معلوم وحظ من الادراك والمعرفة مقسوم واقرب الخلق الى الله تعالى
الملايكة الحافون والكروبيون وهم محجوبون بنور المهابة والعظمة والكبريا والجلال والقدس والعبودية
حجب الذات بالصفات وهم في الحجب عنه على طبقات مختلفات لكل على مقام معلوم ودرجات وبالجملة
فالمخلوقات كلها ما كانت حجابا عن الخالق فقوم حجبوا برؤية النعم عن المنعم وبرؤية الاحوال عن المحول وبرؤية
الاسباب عن المسبب وقوم حجبوا بالعلم عن العلم وبالفهم عن الفهم وبالعقل عن العقل وذلك كله من معنى حجاب
النعم عن المنعم والمواهب عن الوهاب وقوم حجبوا بالشهوات المباحة وقوم بالشهوات المحرمات والمعاصي
والسيات وقوم حجبوا بالمال والبنين وزينة الحياة الدنيا الظاهرة تحجب قلوبنا عنك في الدنيا ولا ابصارنا في الاخرة
بالرؤية وقد ورد في الصحيح عن انس قال عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة جل جلاله
فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى الي ما اوحى الحديث وهذا الدنو والتدلي المذكور في هذا
الحديث وغيره من احاديث المعراج غير الدنو والتدلي في قوله تعالى في سورة النجم ثم دنا فتدلى فكان قاب
قوسين او ادنى وان اتفقا في اللفظ فان الصحيح ان المراد في الاية جبريل لانه هو الموصوف بما ذكر من اول السورة
الى قوله ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح قالت
عايشة رضي الله عنها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال ذاك جبريل لم اره في صورته التي خلق
عليها الا مرتين ولفظ القران لا يدل على غير ذلك من وجوه احدها انه قال علمه شديد القوى وهذا جبريل
الذي وصفه بالقوة في سورة التكوير انه لقول رسول كريم ذي قوة اي حسن الخلق وهو الكريم الذي في سورة التكوير
الثالث انه قال فاستوى وهو بالافق الاعلى وهو ناحية السما العليا وهذا استوى جبريل عليه السلام واما
استوى الرب جل جلاله فعلى عرشه الرابع انه قال ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فهذا دنو جبريل
ونزوله الى الارض حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الدنو والتدلي في حديث المعراج فرسول
الله صلى الله عليه وسلم كان فوق السموات فهناك دنا الجبار جل جلاله منه وتدلى الخامس انه قال
ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى والذي عند سدرة المنتهى قطعا هو جبريل وبهذا فسره النبي صلى
الله عليه وسلم فقال ذاك جبريل السادس ان مفسر الضمير في قوله ولقد راه وفي قوله دنا فتدلى وقوله فاستوى
وقوله وهو بالافق الاعلى واحد فلا يجوز ان يخالف بين المفسر من غير دليل السابع انه سبحانه اخبر ان هذا
الذي دنا فتدلى كان بالافق الاعلى وهو افق السما بل تحتها قد نا من الارض فتدلى من رسول الله صلى الله عليه

وسلم ودنو الرب تبارك وتعالى وتدلّيه على ما في حديث شريك كان فوق العرش لا الى الارض ثم تدلّى عن نبيه
صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه ما زاغ البصر وما طغى ما يعرض للرائي الذي لا ادب له بين يدي الملوك
والعظمة من التفاته يمينا وشمالا ومجاوزة بصره لما بين يديه واخبر عنه بكمال الادب في ذلك المقام
وفي تلك الحضرة اذ لم يلتفت جانبا ولم يمدّ بصره الى غير ما أُري من الآيات وما هناك من العجائب بل قام
مقام العبد الذي اوجب ادبه اطراقه واقباله على ما أُريه دون التفاته الى غيره ودون تطلعه الى ما
لم يُرَه مع ما في ذلك من ثبات الجأش وسكون القلب وطمأنينته وهذا غاية الكمال وقال في مدارج
السالكين وفي هذه الآية اسرار عجيبة هي من غوامض الآداب اللائقة باكمل البشر صلوات الله وسلامه
عليه تواطأ هناك بصره وبصيرته وتوافقا وتصادقا فيما شاهده بصره فالبصيرة مواطئة له وما
شاهدته بصيرته فهو ايضا حق مشهود بالبصر فتواطأ في حقه اي ما كذب الفؤاد ما رآه ببصره ولهذا
قرأها هشام وابو جعفر ما كذّب الفؤاد ما رأى بتشديد الذال اي لم يكذّب القلب البصر بل صدّقه
وواطأه لصحة الفؤاد والبصر وكون المرئي المشاهد بالبصر والبصيرة حقا وقرأ الجمهور ما كذب
الفؤاد بالتخفيف وهو متعدٍّ وما رأى مفعوله اي ما كذب قلبه ما رأت عيناه بل واطأه ووافقه فلموافقة
قلبه لقالبه وظاهره لباطنه وبصره لبصيرته لم يكذّب الفؤاد البصر ولم يتجاوز البصر حدّه فيطغى
ولم يمِل عن المرئي فيزيغ بل اعتدل البصر على المرئي ما جاوزه ولا مال عنه كما اعتدل القلب في الاقبال
على الله تعالى والاعراض عما سواه بكليته فان للقلب زيغا وطغيانا كما ان للبصر زيغا وطغيانا وكلاهما
منتفٍ عن قلبه وبصره فلم يزغ قلبه التفاتا عن الله الى غيره ولم يطغ بمجاوزته مقامه الذي اقيم فيه وهذا
غاية الكمال والادب مع الله تعالى الذي لا يلحقه فيه سواه فان عادة النفوس اذا اقيمت في مقام عالٍ
رفيع ان تتطلع الى ما هو اعلى منه وفوقه الا ترى ان موسى عليه السلام لما اقيم مقام التكليم والمناجاة
طلبت نفسه الرؤية ونبينا صلى الله عليه وسلم لما اقيم في ذلك المقام وفّاه حقه ولم يلتفت الى بصره
ولا قلبه الى غير ما اقيم فيه البتة ولاجل هذا ما عاقه عائق ولا وقف به مراده حتى جاوز السموات السبع فلم
يعقه امامه ولم تقف به دونه كمال العبودية همّة ولهذا كان مركوبه في مسراه يسبق خطوه الطرف فيضع
قدمه عند منتهى طرفه مشاكلا لحال راكبه وبعد شأوه الذي سبق به العالم اجمع في مسيره فكان قدم
البراق لا يتخلف عن موضع نظره كما كان قدمه صلى الله عليه وسلم لا يتأخر عن محل معرفته فلم يزل صلى الله
عليه وسلم في خفارة كمال ادبه مع الله تعالى وتكميل مرتبة عبوديته له حتى خرق حجب السموات وجاوز السبع
الطباق وجاوز سدرة المنتهى ووصل الى محل من القرب سبق به الاولين والآخرين فانصبّت له هناك
اقسام القرب انصبابا وانقشعت عنه سحائب الحجب ظاهرا وباطنا حجابا حجابا واقيم مقاما يغبطه به
الانبياء والمرسلون فاذا كان في المعاد اقيم مقاما من القرب ثانيا يغبطه فيه الاولون والآخرون
واستقام هناك على صراط مستقيم من كمال ادبه مع الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فاقامه في هذا العالم على
اقوم صراط الحق والهدى واقسم بكلامه العظيم على ذلك في الذكر الحكيم فقال يس والقرآن الحكيم انك لمن
المرسلين على صراط مستقيم فاذا كان يوم لقائنا اقامه على الصراط يسأل السلامة لاتباعه واهل سنّته
حتى يجوزوا جنات النعيم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ثم ما ذكرناه من القرب
والدنو المراد به تأكيد المحبة والقربة ورفع المنزلة والرتبة قال بعض العارفين قرب الحبيب من الحبيب

غاية

غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق تعالى بغاية اللطف وذلك قوله جلّ جلاله فاوحى الى
عبده ما اوحى اي كان ما كان وجرى ما جرى وقال الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب للحبيب والطف به الطاف
الحبيب بالحبيب واخفى السرّ ولم يطلع عليه احد ولم يعلم احد ما اوحى الا الذي اوحى وقال غيره في قوله
فاوحى الى عبده ما اوحى ابهمه لعظمه فان الابهام قد يأتي للتعظيم فهو مبهم لا نطّلع عليه بل نتعبّد بالايمان
به وقيل بل هو مفسّر بالاخبار الواردة قال سعيد بن جبير اوحى الله تعالى اليه صلى الله عليه وسلم الم
اجدك يتيما فآويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عائلا فاغنيتك الم نشرح لك صدرك ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى الله تعالى اليه ان الجنة حرام على الانبياء
حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها امتك ذكره الثعلبي والقشيري وقيل اوحى اليه خصصناك بحوض
الكوثر فكل اهل الجنة اضيافك بالماء وهم الخمر واللبن والعسل ذكره القشيري وذكر ايضا انه اوحى اليه
ما اوحى الى الرسل لقوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقيل اوحى اليه الصلوات الخمس
ذكره النقاش وفي رواية ابي سعيد الخدري عند البيهقي ان الله تعالى قال له صلوات الله وسلامه عليه
سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا
عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمن ملكا عظيما وسخرت له الانس والجن والشياطين
وسخرت له الرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه
والابرص ويحيي الموتى باذنك واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال ربه تعالى قد
اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت
لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا اذكر الا ذكرت معي وجعلت امتك خير امة اخرجت
للناس وجعلت امتك امة وسطا وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة
حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلت من امتك اقواما قلوبهم اناجيلهم وجعلتك اول النبيين
خلقا وآخرهم بعثا واولهم يقضى له واعطيتك سبعا من المثاني لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم
سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك الكوثر واعطيتك ثمانية اسهم الاسلام
والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلتك فاتحا
وخاتما وفي اسناده ابو جعفر الرازي ضعفه وقال ابو زرعة متهم وقال ابن كثير الاظهر انه سيئ الحفظ وذكر
النجم الرازي عن والده قال سمعت ابا القاسم سليمان الانصاري يقول لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى
الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعارج اوحى الله تعالى اليه يا محمد بم اشرّفك قال يا رب بنسبتي
اليك بالعبودية فانزل الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده فسمّاه تعالى بهذا الاسم لتحققه صلى الله عليه وسلم
بالاسم الاعظم واتصافه بجميع صفاته فلا يصلح هذا الاسم بالحقيقة الا له عليه السلام وللاقطاب من بعده
بتبعيته لا بالحقيقة وان اطلق على غيره مجازا ورحم الله تعالى الاديب برهان الدين القيراطي فلقد اجاد حيث
قال ودعتني بالعبد يوما تعالوا قد دعته باشرف الاسماء وقال بعض اهل الاشارات كان الله تعالى قال له يا
محمد لاعطينك نورا تنظر به جمالي وسمعا تسمع به كلامي يا محمد اني عرّفتك بلسان الحال معنى من رآك
اليّ يا محمد ارسلتك الى الناس شاهدا ومبشرا ونذيرا للشاهد عطاءك بحقيقة ما تشهد به فاريك جنتي
لتشاهد ما اعددت فيها لاوليائي واريك ناري لتشاهد ما اعددت فيها لاعدائي ثم اشهدك جلالي

واكشف لك عن جمالي لتعلم اني منزه في كمالي عن التشبيه والنظير والوزير والمشير فرآه صلى الله عليه وسلم
بالنور الذي قواه من غير ادراك ولا احاطة فردا احدا لا في شي ولا من شي ولا قائما بشي ولا على شي
ولا مفتقرا الى شي ليس كمثله شي فلما كلمه شفاها وشاهده كفاحا قيل له يا محمد لا بد لهذه الخلوة
من سر لا يذاع ورمز لا يشاع فاوحى الى عبده ما اوحى فكان سرا من سره لم يقف عليه ملك مقرب
ولا نبي مرسل وانشد لسان الحال بين المحبين سر ليس يفشيه * قول ولا قلم في الكون يحكيه *
سر تمازجه انس يقابله * نور تحير في بحر من التيه * ولما انتهى الى العرش تمسك العرش باذياله *
وناداه بلسان حاله يا محمد انت في صفاء وقتك آمنا من مقتك اشهدك جمال احديته واطلعك
على جلال صمديته وانا الظمآن اليه اللهفان عليه المتحير فيه لا ادري من اي جهاته آتيه * خلقني
اعظم خلقه فكنت اعظمهم منه هيبة واكثرهم فيه حيرة واشدهم منه خوفا يا محمد خلقني فكنت ارعد
لهيبة جلاله فكتب على قائمتي لا اله الا الله فازددت لهيبة اسمه ارتعادا وارتعاشا فكتب محمد
رسول الله فسكن لذلك قلقي وهدأ روعي فكان اسمك لقاحا لقلبي وطمانينة لسري فهذه بركة
اسمك علي فكيف اذا وقع جميل نظرك الي يا محمد انت المرسل رحمة للعالمين ولا بد لي من نصيب من هذه
الرحمة ونصيبي يا حبيبي ان تشهد لي بالبراءة مما نسبه اهل الغرور الي وتقوله اهل الغرور علي زعموا
اني اسع من لا مثل له واحيط بمن لا كيفية له يا محمد من لا حد لذاته ولا عد لصفاته كيف يكون
مفتقرا الي او محمولا علي اذا كان الرحمن اسمه والاستوا صفته وصفته متصلة بذاته كيف يتصل بي
او ينفصل عني يا محمد وعزته لست بالقريب منه وصلا ولا بالبعيد عنه فصلا ولا بالمطيق له حملا
اوجدني منه رحمة وفضلا ولو محقني لكان حقا منه وعدلا يا محمد انا محمول قدرته ومعمول حكمته
فاجاب لسان حال سيد الكائنات اراده الله تفضلا وشرفا لديه وآل صلاته وسلامه عليه ايها العرش
اليك عني انا مشغول عنك فلا تكدر علي صفوتي ولا تشوش علي خلوتي فما اعاره صلى الله عليه وسلم
منه طرفا ولا اقراه من مسطورها اوحى اليه حرفا ما زاغ البصر وما طغى وقد ورد في بعض اخبار الاسرا
مما ذكره العلامة ابن مرزوق في شرحه لبردة المديح انه صلى الله عليه وسلم لما كان من ربه تعالى
قاب قوسين قال اللهم انك عذبت الامم بعضهم بالحجارة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ فما
انت فاعل بامتي قال انزل عليهم الرحمة وابدل سيئاتهم حسنات ومن دعاني منهم لبيته ومن سالني
اعطيته ومن توكل علي كفيته وفي الدنيا استر على العصاة وفي الاخرة اشفعك فيهم ولولا ان الحبيب
يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت امتك ولما اراد صلى الله عليه وسلم الانصراف قال يا رب لكل
قادم من سفر تحفة فما تحفة امتي قال الله تعالى انا لهم ما عاشوا وانا لهم اذا ماتوا وانا لهم في
القبور وانا لهم في النشور واعلم انه قد اختلف العلما قديما وحديثا في رويته صلى الله عليه وسلم ربه
تعالى ليلة الاسرا وروى البخاري من حديث مسروق قال قلت لعايشة يا امتاه هل راى محمد ربه
فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا
راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرات وما تدري
نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس ومن حدثك انه كتم فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل

اليك

اليك من ربك الاية ولكنه راى جبريل في صورته مرتين وفي رواية لمسلم من حدثك ان محمدا راى ربه فقد
اعظم الفرية وقولها قف شعري اي قام من الفزع لما حصل عندها من هيبة الله واعتقدته من تنزيهه
واستحالة وقوع ذلك قال النووي تبعا لغيره لم تنف عايشة وقوع الروية بحديث مرفوع ولو كان
معها لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الاية وقد خالفها غيرها من الصحابة
والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني
جزمه بان عايشة لم تنف الروية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة وهو عجيب فقد ثبت ذلك عنها
في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ فعنده من طريق داود بن ابي هند عن الشعبي عن مسروق في الطريق
المذكور قال مسروق وكنت متكيا فجلست فقلت الم يقل الله ولقد راه نزلة اخرى فقالت انا اول
هذه الامة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت يا رسول الله هل رايت ربك فقال لا انما
رايت جبريل منهبطا نعم احتجاج عايشة رضي الله عنها بالاية خالفها فيه ابن عباس فاخرج
الترمذي من طريق الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس قال راى محمد ربه قلت اليس يقول الله لا
تدركه الابصار قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد راى ربه مرتين وقال القرطبي الابصار
في الاية جمع محلى بالالف واللام فيقبل التخصيص وقد ثبت دليل ذلك سمعا في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون فيكون المراد الكفار بدليل قوله تعالى في الاية الاخرى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
واذا جازت في الاخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقتين بالنسبة الى المرئي انتهى وهو استدلال جيد
وقال القاضي عياض روية الله تعالى جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها
سوال موسى عليه السلام ثم قال وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود
فرويته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف
التاويلات في الاية انتهى وقد روى ابن ابي حاتم بسنده عن اسمعيل بن علية في تاويل هذه الاية قال هذا في
الدنيا وقال اخرون لا تدركه الابصار اي جميعها وهذا مخصص بما ثبت من روية المومنين له في الدار الاخرة
وقال اخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الاية انه لا يرى في الدنيا ولا في الاخرة فخالفوا اهل
السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
اما الكتاب فقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال
الامام الشافعي رحمه الله فدل هذا على ان المومنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى واما السنة فقد تواترت
الاخبار عن ابي سعيد وابي هريرة وانس وجرير وصهيب وبلال وغير واحد من الصحابة ان المومنين يرون
الله تعالى في الدار الاخرة في العرصات وفي روضات الجنات جعلنا الله منهم وقيل المنفي ادراك العقول
قال الحافظ ابن كثير هو غريب جدا وهو خلاف ظاهر الاية وقال اخرون لا منافاة بين اثبات الروية ونفي الادراك
فان الادراك اخص من الروية ولا يلزم من نفي الاخص انتفا الاعم ثم اختلف هولاء في
الادراك المنفي ما هو فقيل معرفة الحقيقة فان هذا لا يعلمه الا هو وان راه المومنون كما ان من راى القمر
فانه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته فالعظيم اولى بذلك ولله المثل الاعلى وقال اخرون المراد بالادراك الاحاطة
قالوا ولا يلزم من عدم الاحاطة عدم الروية كما لا يلزم من عدم الاحاطة بالعلم عدم العلم وفي صحيح البخاري
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ولا يلزم من هذا عدم الثنا فكذلك هذا وروى ابن ابي حاتم عن

ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لا تدركه الابصار قال لو ان الجن والانس والشياطين
والملائكة منذ خلقوا الى ان فنوا صفوا صفا واحدا ما احاطوا بالله ابدا قال ابن كثير غريب لا يعرف
الا من هذا الوجه ولم يروه احد من اصحاب الكتب الستة والله اعلم ومما نسب لامام الحرمين في لمع الادلة
انه قال من اصحابنا من قال ان الرب تعالى يرى ولا يدرك لان الادراك ينبئ عن الاحاطة ودرك الغاية
والرب جل جلاله تقدس عن الغاية والنهاية ثم قال فان عارضوا بقوله تعالى في جواب موسى عليه السلام
لن تراني وزعموا ان لن تفيد النفي على التأبيد قلنا هذه الاية اوضح الادلة على جواز الرؤية فانها لو كانت
مستحيلة لكان معتقد جواز الرؤية ضالا او كافرا وكيف يعتقد ما لا يجوز على الله من اصطفاه الله لرسالته
واختاره لنبوته وخصه بكرامته وشرفه بتكليمه وجعله افضل اهل زمانه وايده ببرهانه وكيف يجوز
على الانبياء الريب في امر يتعلق بعلم الغيب فيجب حمل الاية على ان ما اعتقده موسى عليه السلام من جواز
لكن ظن ان ما اعتقد جوازه ناجز فرجع النفي في الجواب الى الانجاز فما سأل موسى عليه السلام ربه في
الحال بصرف النفي اليه والجواب على قضية الخطاب انتهى وقال البيضاوي في هذه الاية دليل على
ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك
رده بقوله لن تراني دون لن أُرى انتهى ونقل القاضي عياض عن ابي بكر الهذلي في الاية ان المراد ليس
لبشر ان يطيق ان ينظر اليّ في الدنيا وانه من نظر اليّ مات قال وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما
معناه ان رؤيته تبارك وتعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضا
للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الاخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوى ثابتة باقية
واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية قال وقد رأيت نحو هذا لمالك ابن انس رحمه الله قال
لم يُرَ في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية رئي الباقي بالباقي
وهذا كلام مليح حسن وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث القدرة فاذا قوى الله تعالى من شاء — ضعف القوة صح
من عباده واقدره على حمل اعباء الرسالة لم يمتنع في حقه انتهى والاستثناء في قوله الا من ضعف القوة
ينبغي ان يكون منقطعا على معنى لكن من حيث ضعف القوة والا فضعف القوة قصاراه ان يكون مانعا — والا فضعف القوة
اي امتنع من جهة ضعف القوة لا من جهة كونه مستحيلا ويدل على هذا قوله فاذا قوى الله من شاء
من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم يمتنع في حقه وقد وقع في صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة في حديث
مرفوع فيه واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا واخرجه ابن خزيمة ايضا من حديث ابي امامة ومن حديث
عبادة بن الصامت فان جازت الرؤية في الدنيا عقلا فقد امتنعت سمعا لكن من اثبتها للنبي صلى الله عليه وسلم
له ان يقول ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه وفي تفسير ابن كثير ان في بعض كتب الله المتقدمة ان الله تعالى
قال لموسى لما سأله الرؤية يا موسى انه لا يراني حي الا مات وقد جزم القشيري في الرسالة بانها لا تجوز
في الدنيا على جهة الكرامة وادعى حصول الاجماع عليه وحكى القاضي عياض امتناعها في الدنيا عن جماعة
من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وقال القشيري ايضا سمعت الامام ابا بكر بن فورك يحكي عن ابي الحسن
الاشعري في ذلك قولين في كتاب الرؤية الكبير انتهى وقد ذهبت عائشة وابن مسعود الى انه عليه
الصلاة والسلام لم ير ربه ليلة الاسراء واختلف عن ابي ذر وذهب جماعة الى اثباتها وحكى عبد الرزاق
عن معمر عن الحسن انه حلف ان محمدا رأى ربه واخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير اثباتها وكان يشتد

وبه قال سائر اصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهري وصاحبه معمر واخرون وهو قول
الاشعري وغالب اتباعه ثم اختلفوا هل رآه بعينه او بقلبه وجاءت عن ابن عباس اخبار مطلقة
واخرى مقيدة فيجب حمل مطلقها على مقيدها فمن ذلك ما اخرجه النسائي باسناد صحيح وصححه الحاكم ايضا
من طريق عكرمة عن ابن عباس قال أتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد
ومنها ما اخرجه مسلم من طريق ابي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى
ولقد رآه نزلة اخرى قال رأى ربه بفؤاده مرتين وله من طريق عطاء عن ابن عباس قال رآه بقلبه
واصرح من ذلك ما اخرجه ابن مردويه من طريق عطاء عن ابن عباس قال لم يره رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعينه وانما رآه بقلبه وعلى هذا فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عائشة بان يحمل نفيها على
رؤية البصر واثباته على رؤية القلب لكن روى الطبراني في الاوسط باسناد رجاله رجال الصحيح خلا
جمهور بن منصور الكوفي وجمهور بن منصور ذكره ابن حبان في الثقات عن ابن عباس انه كان
يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية
القلب لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام بل مراد من اثبت له انه رآه
بقلبه ان الرؤية التي حصلت له خلقت له في قلبه كما يخلق الرؤية بالعين لغيره والرؤية لا يشترط لها شيء
مخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها في العين وروى ابن خزيمة باسناد قوي عن انس قال رأى
محمد ربه وفي مسلم من حديث ابي ذر انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نور أنّى أراه
اي حجابه نور فكيف اراه ومعناه ان النور منعني من الرؤية وعند احمد قال رأيت نورا ومن
المستحيل ان تكون ذات الله تعالى نورا اذ النور من جملة الاجسام والله تعالى يتعالى عن ذلك وعند
ابن خزيمة عنه قال رآه بقلبه ولم يره بعينه وبهذا يتبين مراده في حديث ابي ذر بذكره النور اي ان النور
حال بينه وبين رؤيته له ببصره وجنح ابن خزيمة في كتاب التوحيد الى ترجيح الاثبات واطنب في الاستدلال
بما يطول ذكره وحمل ما ورد عن ابن عباس على ان الرؤية وقعت مرتين مرة بقلبه ومرة بعينه ومما
يعزى للاستاذ عبد العزيز المهدوي انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من سفر الاسراء اخبر العوالم من حيث
عقولهم ومراتبهم وسقى كل واحد من كأسه وعلى قدر عقله فخاطب الكفار وهم اجل العوالم بما رأى
في الطريق وما كان في المسجد الاقصى على العيان وبما يعرفون لانهم في فلك الاجسام حتى صدقوا بالاسراء
ثم الى ان حتى حدث عن فلك السماء وكذلك في كل سماء واخبر عما شاهد ورأى في كل فلك وما يليق
ان يحدث به لعقول اهلها يحدث كل على قدر مرتبته بلا ضيق ولا مزاحم الى السماء السابعة ولما وصل مقام
جبريل حدث عن الافق المبين وعما فوق الى الدنو والى التدلي الى موضع الايحاء عند حضرة اسقاط الصور
والخلق فاخبر بذلك اصحابه فمنهم من قال رأى جبريل بالافق المبين وبالافق الاعلى وصدق ومنهم من قال رأى ربه
برؤية الفؤاد والبصيرة وصدق وهي عائشة ومن معها ومنهم من قال بعيني رأسه رأى وصدق فكل
اخبر بما حدثه صلى الله عليه وسلم من مقامه وسقاه من كأسه وما يليق به فاذا صح هذا المعنى عرفت
الاسراء ومقامات الرؤية والقائلين بذلك واختلافهم وتوجه الجمع انتهى وممن اثبت الرؤية
لنبينا صلى الله عليه وسلم الامام احمد فروى الخلال في كتاب السنة عن المروزي قلت لاحمد انهم يقولون
ان عائشة قالت من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية فبأي شيء يدفع قولها قال بقول

النبي صلى الله عليه وسلم رايت ربي قول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر من قولها وقد انكر صاحب الهدي على من زعم ان احمد قال راى ربه بعيني راسه قال وانما قال مرة راى محمد ربه وقال مرة بفؤاده وحكى عنه بعض المتاخرين راه بعيني راسه وهذا من تصرف الحاكي فان نصوصه موجودة انتهى

وقد رجح القرطبي في المفهم قول الوقف في هذه المسألة وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بانه ليس في الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به الطائفتان ظواهر متعارضة قابلة للتاويل قال وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالادلة الظنية وانما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها الا بالدليل القطعي والله اعلم واما قوله في الحديث ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم ففي رواية ثابت البناني عن انس عند مسلم ففرض الله على خمسين صلاة كل يوم وليلة ونحوه في رواية مالك ابن صعصعة عند البخاري ايضا ويحتمل ان يقال ذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على الامة وبالعكس الا ما يستثنى من خصائصه وفي حديث ثابت عن انس عند مسلم فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقلت لقد رجعت الى ربي حتى استحييت منه وفي رواية النسائي عن انس فقيل لي اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين صلاة فقم بها انت وامتك وذكر مراجعته مع موسى وفيه فانه فرض على بني اسرائيل صلاتان فما قاموا بهما وقال في اخر خمس بخمسين فقم بها انت وامتك قال فعرفت انها عزمة من الله فرجعت فقال ارجع فلم ارجع فان قلت لم قال موسى عليه السلام لنبينا صلى الله عليه وسلم ان امتك لا يطيقون ذلك ولم يقل انك وامتك لا تطيقون اجيب لان العجز مقصور على الامة لا يتعداهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فهو لما رزقه الله تعالى من الكمال يطيق ذلك واكثر منه وكيف لا وقد جعلت قرة عينه في الصلاة قال العارف ابن ابي جمرة والحكمة في تخصيص فرض الصلاة بليلة الاسراء انه صلى الله عليه وسلم لما عرج به راى في تلك الليلة تعبد الملائكة وان منهم القائم فلا يقعد والراكع فلا يسجد والساجد فلا يقعد فجمع الله تعالى له ولامته تلك العبادات كلها في ركعة يصليها العبد بشرائطها من الطمانينة والاخلاص وقد وقع من موسى عليه السلام من العناية بهذه الامة في امر الصلاة ما لم يقع لغيره ووقعت الاشارة لذلك في حديث ابي هريرة عند الطبراني والبزار قال صلى الله عليه وسلم كان موسى اشدهم علي حين مررت وخيرهم لي حين رجعت وفي حديث ابي سعيد فاقبلت راجعا فمررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم فسالني كم فرض عليك ربك الحديث قال السهيلي وانما اعتنى موسى عليه السلام بهذه الامة والحاحه على نبيها ان يشفع لها ويسال التخفيف عنها لقوله تعالى والله اعلم حين قضى اليه الامر بجانب الغربي وراى صفات محمد صلى الله عليه وسلم في الالواح وجعل يقول اني اجد في الالواح امة صفتهم كذا اللهم اجعلهم امتي فيقال له تلك

امة

امة احمد وهو حديث مشهور في التمهيد تقدم ذكره في خصائص هذه الامة قال فكان اشفاقه عليهم واعتناؤه بامرهم كما يعتنى بالقوم من هو منهم لقوله اللهم اجعلني منهم وقال القرطبي الحكمة في تعيين موسى لمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم في امر الصلوات يحتمل ان يكون لكون امة موسى عليه السلام كلفت من الصلوات ما لم يكلف به غيرها من الامم قبلها فثقلت عليهم فاشفق موسى على امة محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ويشير اليه قوله اني قد جربت الناس قبلك انتهى وقد لاح في كلام بعض اهل الاشارات لما تمكنت نار المحبة من قلب موسى عليه السلام ما صار له انوار نور الطور فاسرع اليها يقتبس فاختبر فلما نودي في النادي اشتاق الى المنادي فكان يطوف في بني اسرائيل من يحملني رسالة الى ربي ومراده ان تطول المناجاة مع الحبيب فلما مر عليه نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ردده في امر الصلوات ليسعد برؤية حبيب الحبيب وقال اخر لما سال موسى عليه السلام الرؤية ولم تحصل له البغية بقي الشوق يقلقله والامل يعلله فلما تحقق ان سيدنا محمدا الحبيب منح الرؤية وفتح له باب المزية اكثر السؤال ليسعد برؤية من قد راى كما قيل

واستنشق الارواح من نحو ارضكم ... لعلي اراكم او ارى من يراكم

وانشد من كان عنكم عساكم ... عودوني بالعطف منكم عساكم

انتم حياتي ان حييت وان امت ... فيا حبذا ان مت عند هواكم

وقال اخر

وانما السر في موسى يردده ... ليجتلي حسن ليلى حين يشهده

يبدو سناها على وجه الرسول فيا ... لله در رسول حين اشهده

وقال اخر لما جلس الحبيب في مقام القرب ودارت عليه كؤوس الحب ثم عاد وهلال ما كذب الفؤاد ما راى بين عينيه وسر فاوحى الى عبده ما اوحى ملء قلبه واذنيه فلما اجتاز بموسى عليه السلام قال لسان حاله

يا واردا من اهيل الحي يخبرني ... عن جيرتي شنف الاسماع بالخبر

ناشدتك الله يا راوي حديثهم ... حدث فقد لذ اسماعي الهوى عن بصري

فاجاب لسان حال نبينا صلى الله عليه وسلم

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا ... سر ارق من النسيم اذا سرى

واباح طرفي نظرة املتها ... فغدوت معروفا وكنت منكرا

وكل قوم يعطون مذهبهم وقد علم كل اناس مشربهم والله تعالى بفضله واحسانه يوالي انعامه بمحا عفوه ورضوانه على العارف الرباني الشيخ ابي عبد الرحمن السلمي فلقد اجاد اذ افاد بافراده من لطائف المعراج حسبما جمعه من كلام اهل الاشارات بانوار منهاج وقد استدل العلماء بقوله في الحديث وهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون على عدم فرضية ما زاد على الصلوات الخمس كالوتر وعلى دخول النسخ قبل الفعل قال ابن بطال وغيره الا ترى انه عز وجل نسخ الخمسين بالخمس قبل ان تصلى ثم تفضل عليهم بان اكمل لهم الثواب وتعقبه ابن المنير فقال هذا ذكره طوائف من الاصوليين والشراح وغيرهم وهو مشكل على من اثبت النسخ قبل الفعل كالاشاعرة او منعه كالمعتزلة لكونهم اتفقوا جميعا على ان النسخ لا يتصور قبل البلاغ وحديث الاسراء وقع فيه النسخ قبل البلاغ فهو مشكل عليهم جميعا انتهى فان اراد قبل البلاغ لكل احد فممنوع وان اراد قبل البلاغ الى بعض الامة فمسلم لكن يقال ليس هو بالنسبة اليهم نسخا لكن هو نسخ بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم لانه كلف بذلك قطعا ثم نسخ بعد ان بلغه وقبل ان يفعله فالمسألة صحيحة التصوير في حقه صلى الله عليه وسلم ولما رجع صلى الله عليه وسلم

انتهى ح

فيه ان وجوب الوتر كان ثابتا الا لقوله صلى الله عليه ان الله زادكم صلاة

من سفر الاسرا مر في بعض طريقه بعير لقريش تحمل طعاما فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء
وغرارة بيضاء فلما حاذى بالعير نفرت منه واستدارت وانصرع ذلك البعير وفي رواية اضلوا بعيرا
لهم قد جمعه فلان قال صلى الله عليه وسلم فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم اتى مكة
قبل الصبح واخبر قومه بما راى وقال لهم ان من اية ما اقول لكم اني مررت بعيركم في مكان كذا وكذا
وقد اضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان وان مسيرهم ينزلون بكذا ثم كذا وياتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم
جمل ادم عليه مسح اسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرف الناس ينظرون حتى اذا كان قريب
من نصف النهار اقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه عليه السلام وفي رواية سالوه اية فاخبرهم
بقدوم العير يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس ان تغرب فدعا الله تعالى
فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف وعن عايشة لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى اصبح
يحدث الناس بذلك فارتد ناس كانوا امنوا وسعى رجال من المشركين الى ابي بكر فقالوا هل لك الى صاحبك
يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا
تصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح فقال نعم اني لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك في خبر
السما في غدوة وروحة فلذلك سمي الصديق رواه الحاكم في المستدرك وابن اسحق وزاد ثم اقبل حتى انتهى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله احدثت هولا انك جيت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم
قال يا نبي الله صفه لي فاني قد جيته قال الحسن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع لي حتى نظرت
اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابي بكر فيقول ابو بكر صدقت اشهد انك رسول الله كلما وصف
له منه شيا وقول ابي بكر صفه لي لم يكن عن شك فانه صدقه من اول وهلة ولكنه اراد اظهار صدقه
عليه السلام لقومه فانهم كانوا يعرفون بان ابا بكر اذا طابق خبره عليه السلام ما كان يعلم ابو بكر صدقه
كان حجة ظاهرة عليهم وفي رواية البخاري فجلى الله لي بيت المقدس اي كشف الحجب بيني وبينه حتى رايته
وفي رواية مسلم فسالوني عن اشيا لم اثبتها فكربت كربا شديدا لم اكرب مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ما
يسالوني الا انباتهم به ويحتمل ان يكون حمل الى ان وضع بحيث يراه ثم اعيد وفي حديث ابن عباس عند احمد
والبزار فجي بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع عند دار عقيل فنعته وانا انظر اليه وهذا ابلغ في المعجزة ولا
استحالة فيه فقد احضر عرش بلقيس في طرفة عين واما ما وقع في حديث ام هاني عند ابي سعيد فخيل
الي بيت المقدس وطفقت اخبرهم فان ثبت احتمل ان يكون المراد مثل قريبا منه كما قيل في حديث اريت
الجنة والنار ويؤيد قوله جي بالمسجد جي به وفي حديث ام هاني المذكور انهم قالوا له كم للمسجد من باب
قال ولم اكن عددتها فجعلت انظر اليه واعدها بابا بابا وعند ابي يعلى ان الذي ساله عن صفة بيت
المقدس هو المطعم بن عدي والد جبير بن مطعم واشار ابن ابي جمرة الى ان الحكمة في الاسرا الى بيت المقدس
اظهار الحق للمعاند لانه لو عرج به من مكة الى السما لم يجد لمعاندة الاعدا سبيلا الى البيان والايضاح حيث
سالوه عن جزييات بيت المقدس كانوا راوها وعلموا انه لم يكن راها قبل ذلك فلما اخبرهم بها حصل
التحقيق انه اسري به الى بيت المقدس واذا صح الخبر في البعض لزم تصحيح الباقي فكان ذلك سببا لقوة ايمان المومنين
وزيادة في شقاوة من عاند وجحد من الكفرة انتهى المقصد السادس فيما ورد في اي التنزيل من تعظيم
قدره ورفعة ذكره وشهادته تعالى له بصدق نبوته وثبوت بعثته وقسمه تعالى على تحقيق رسالته وعلو منصبه

الجليل

الجليل ومكانته ووجوب طاعته واتباع سنته واخذه تعالى له الميثاق على سائر النبيين فضلا
ومنة ليومنن به ان ادركوه ولينصرنه والتنويه به في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل بانه صاحب
الرسالة والتبجيل وغير ذلك اعلم اطلعني الله واياك على اسرار التنزيل ومنحنا بلطفه تبصرة تهدينا
الى سواء السبيل انه لا سبيل لنا ان نستوعب الايات الدالة على ذلك وما فيها من التصريح والاشارة
الى علو محله الرفيع ورتبته ووجوب المبالغة في حفظ الادب معه وكذلك الايات التي فيها
ثناوه تعالى عليه واظهار عظيم شانه لديه وقسمه تعالى بحياته ونداوه بالرسول والنبي ولم يناده
باسمه بخلاف غيره من الانبيا فناداهم باسمائهم الى غير ذلك مما يشير الى انافة قدره العلي جلاء
وانه لا يجد بساحة مجده فوزا من تامل القران العظيم وجده طافحا بتعظيم الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم ورحم الله ابن خطيب الاندلس حيث قال

مدحتك ايات الكتاب فما عسى … يثني على علياك نظم مديحي
واذا كتاب الله اثنى مفصحا … كان القصور قصار كل فصيح

وهذا المقصد ان شاء الله يشتمل على عشرة انواع النوع الاول في ايات تضمنت تعظيم قدره ورفعة
ذكره وجليل رتبته وعلو درجته على الانبيا وتشريف منزلته قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض منهم من كلم الله قال المفسرون يعني موسى عليه السلام كلمه بلا واسطة وليس نصا
في اختصاص موسى بالكلام فقد ثبت انه كلم نبينا ايضا كما مر فان قلت انه عليه السلام كلمه ربه وقام به هذا
الوصف فلم لم يشتق له من الكلام اسم الكليم كما اشتق منه لموسى اجيب بان اعتبار المعنى قد يكون لتصحيح
الاشتقاق كاسم الفاعل فيطرد بمعنى ان كل من قام به ذلك الوصف اشتق له منه اسم وجوبا وقد يكون للترجيح
فقط كالكليم والقارورة فلا يطرد وحينيذ فلا يلزم في كل من قام به ذلك الوصف ان يشتق له منه اسم
كما حققه القاضي عضد الدين وهذا ملخصه وتحريره كما قاله المولى سعد الدين التفتازاني انتهى وقوله
ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفعه الله تعالى من ثلاثة اوجه بالذات في المعراج وبالسيادة
على جميع البشر وبالمعجزات لانه عليه السلام اوتي من المعجزات ما لم يوته نبي قبله قال الزمخشري وفي هذا
الابهام من تفخيم فضله واعلا قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز
الذي لا يلتبس انتهى وقد بينت هذه الاية وكذا قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ان مراتب
الرسل والانبيا متفاوتة خلافا للمعتزلة القايلين بانه لا فضل لبعضهم على بعض وفي هاتين الايتين رد عليهم
وقال قوم انما الفضل للحق الابوة وتوقف بعضهم فقال السكوت افضل والمعتمد الذي عليه جماهير
السلف والخلف ان الرسل افضل من الانبيا وكذلك الرسل بعضهم افضل من بعض بشهادة هاتين الايتين
وغيرهما قال بعض اهل العلم فيما حكاه القاضي عياض والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة
احوال ان تكون اياته ومعجزاته اظهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر
وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شا
الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه انتهى فلا مرية ان ايات نبينا صلى الله عليه وسلم ومعجزاته
اظهر وابهر واكثر وابقى واقوى ومنصبه اعلى ودولته اعظم واوفر وذاته افضل واطهر وخصوصياته
على جميع الانبيا اشهر من ان تذكر فدرجته ارفع من درجات جميع المرسلين وذاته ازكى وافضل من سائر
المخلوقين وتامل حديث الشفاعة في المحشر وانتهاءها اليه وانفراده هناك بالسودد كما قال صلى

الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم واول من تنشق عنه الارض يوم القيمة رواه ابن ماجه وفي حديث انس
عند الترمذي انا اكرم ولد ادم يومئذ على ربي ولا فخر لكن هذا لا يدل على كونه افضل من ادم بل من
اولاده فالاستدلال به على مطلق افضليته عليه الصلوة والسلام على الانبيا كلهم ضعيف واستدل
الشيخ سعد الدين التفتازاني لمطلق افضليته عليه السلام بقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس
قال لانه لا شك ان خيرية الامة بحسب كمالهم في الدين وذلك تابع لكمال نبيهم الذي يتبعونه واستدل
له الفخر الرازي في المعالم بانه تعالى وصف الانبيا بالاوصاف الحميدة ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فامره ان يقتدي باثرهم فيكون اتيانه به واجبا والا فيكون تاركا
للامر واذا اتى بجميع ما اتوا به من الخصال الحميدة فقد اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم فيكون افضل منهم
وبان دعوته عليه السلام في التوحيد والعبادة وصلت الى اكثر بلاد العالم بخلاف سائر الانبيا فظهر
ان انتفاع اهل الدنيا بدعوته صلى الله عليه وسلم اكمل من انتفاع سائر الامم بدعوة سائر الانبيا فوجب
ان يكون افضل من سائر الانبيا انتهى وقد روى الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت
لوائي وفي حديث ابي هريرة مرفوعا عند البخاري انا سيد الناس يوم القيمة وهذا يدل على انه افضل
من ادم عليه السلام ومن كل اولاده وروى البيهقي في فضائل الصحابة انه ظهر علي بن ابي طالب من البعد
فقال صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عايشة الست سيد العرب فقال انا سيد العالمين
وهو سيد العرب وهذا يدل على انه افضل الانبيا بل افضل خلق الله كلهم وقد روى هذا الحديث الحاكم
في صحيحه عن ابن عباس لكن بلفظ انا سيد ولد ادم وعلي سيد العرب وقال انه صحيح ولم يخرجاه وله شاهد
من حديث عروة عن عايشة وساقه من طريق احمد بن عبيد بن ناصح حدثنا الحسين بن علوان
وهما ضعيفان عن هشام بن عروة عن ابيه بلفظ ادعوا الى سيد العرب قالت فقلت يا رسول الله
الست سيد العرب فقال وذكره وكذا ورد من حديث عمر بن موسى الوجيهي وهو ضعيف ايضا
عن ابي الزبير عن جابر مرفوعا ادعوا لي سيد العرب فقالت عايشة الست سيد العرب وذكره قال
شيخنا وكلها ضعيفة بل جنح الذهبي الى الحكم على ذلك بالوضع انتهى ولم يقل صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس
عجبا وافتخارا على من دونه حاشاه الله من ذلك وانما قاله عليه السلام اظهارا لنعمة الله تعالى عليه واعلاما
للامة بقدر امامهم ومتبوعهم عند الله تعالى وعلو منزلته لديه لتعرف نعمة الله عليهم وعليه وكذلك
العبد اذا لاحظ ما فيه من فيض المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك فقره اليه
في كل لحظة وعدم استغنائه عنه طرفة عين انشأ الله ذلك في قلبه سحائب السرور فاذا انبسطت
هذه السحائب في سماء قلبه وامتلأ افقه بها امطرت عليه وابل الطرب بما هو فيه من لذيذ السرور فان
لم يصبه وابل فطل وحينئذ يجري على لسانه الافتخار من غير عجب ولا فخر بل فرح بفضل الله ورحمته كما
قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فالافتخار على ظاهره والافتقار والانكسار في باطنه
ولا ينافي احدهما الاخر والى هذا المعنى يشير قول العارف الرباني سيدي علي بن وفا في قصيدته التي اولها
من كنت مولاه حاشا ● لا والله ان يتلاشا ● والله يا روح قلبي ● لا خاف من يك غاشا ● فوق الطهات(؟) ساق
لا يتركون(؟) عطاشا ● لعبد لديك عني ● فكيف لا يتحاشا ● حاشا وفاي كريم ● من انت مولاه حاشا ●

لذلك

صح

هو

انت

فان قلت

فان قلت فالجمع بين هاتين الايتين وبين قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى
ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق
بين احد منهم ونحن له مسلمون والحديث الثابت عن ابي هريرة قال استب رجل من المسلمين
ورجل من اليهود فقال اليهودي في قسمه لا والذي اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم يده فلطم
اليهودي فقال اي خبيث وعلى محمد فجاء اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكى
عن المسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على الانبيا وفي رواية لا تفضلوا بين الانبيا وحديث
ابي سعيد الخدري عند البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لا تخيروا بين الانبيا وحديث ابن
عباس عند مسلم مرفوعا ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وحديث ابي هريرة عند الشيخين
ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب اجاب العلما بان قوله عز وجل لا نفرق بين احد منهم
يعني في الايمان بما انزل اليهم والتصديق بهم والايمان بانهم رسل الله وانبياؤه والتسوية بينهم في هذا
لا يمنع ان يكون بعضهم افضل من بعض واجابوا عن الاحاديث باجوبة فقال بعضهم انه قبل ان يعلم ان الله
فضل بعضهم على بعض على الجملة ونكف عن الخوض في تفصيل التفضيل بارائنا قال ابن ظفر فان اراد
هذا القائل انا نكف عن الخوض في تفصيل التفضيل بارائنا فصحيح وان اراد انا لا نذكر في ذلك ما فهمناه
من كتاب الله او روي لنا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقيم وقال اخر تفضيل من رفع
الله درجته بخصائص الحظوة والزلفى ولا نخوض في تفضيل بعضهم على بعض في سياسة المتدربين والصبر على
التبري والمحنة في اداء الرسالة والحرص على هدى الضلال فان كلا منهم قد بذل في ذلك وسعه الذي
كلفه الله تعالى لكرمه وقال اخر مما ذكره القاضي عياض ان نهيه عليه السلام عن التفضيل كان قبل ان
يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب قال
الحافظ عماد الدين ابن كثير وفي هذا نظر انتهى ولعل وجه النظر من جهة معرفة المتقدم والمتاخر من ذلك
وقال اخر انما قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب قال القاضي عياض وهذا
لا يسلم من الاعتراض وقيل لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقيص بعضهم او الغض منه وقيل منع التفضيل
في حق النبوة والرسالة فان الانبيا عليهم السلام فيهما على حد واحد لا تتفاضل وانما التفاضل في زيادة
الاحوال والخصوص والكرامات والرتب واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور زائدة
عليها ولذلك منهم رسل واولوا عزم منهم وهذا اقرب من القول الثاني وقال ابن ابي جمرة في حديث
يونس يريد بذلك نفي التكييف والتحديد على ما قاله ابن خطيب الري لانه قد وجدت الفضيلة بينهما
في عالم الحس لان النبي صلى الله عليه وسلم اسري به الى فوق السبع الطباق ويونس نزل به الى قعر البحر
وقد قال عليه السلام انا سيد ولد ادم يوم القيمة وقال عليه السلام ادم ومن دونه تحت لوائي وقد
اختص صلى الله عليه وسلم بالشفاعة الكبرى التي لم تكن لغيره من الانبيا عليهم السلام فهذه الفضيلة
وجدت بالضرورة فلم يبق ان يكون قوله عليه السلام لا تفضلوني على يونس بن متى الا بالنسبة الى القرب
من الله سبحانه والبعد فمحمد صلوات الله وسلامه عليه وان اسري به لفوق السبع الطباق واخترق الحجب
ويونس عليه السلام وان نزل به لقعر البحر فهما بالنسبة الى القرب والبعد من الله سبحانه وتعالى على حد واحد
انتهى وهو مروي عن امام دار الهجرة مالك بن انس وعزي نحوه لامام الحرمين وقال ابن المنير ان ...

في الصحيحين

عند البخاري ومسلم

انا

ثم رايت في تاريخ ابن كثير ان هذا من جملة ان هذا قيد وابي سعيد وابي هريرة وما ما خرجه هريرة الا عام خيبر متاخرا فبعد ان لم يعلم هذا الا بعد بعد انتهى

ان لم يفضّل على يونس باعتبار استوا الجهتين بالنسبة الى وجود الحق تعالى فقد فضّله باعتبار تفاوت
الجهتين في تفضيل الحق فانه تعالى فضّل الملأ الاعلى على الحضيض الادنى فكيف لا نفضله عليه السلام
على يونس وان لم يكن التفضيل بالمكان فهو بالمكانة بلا اشكال ثم قال قلت لم ينه عن مطلق التفضيل
وانما نهى عن تفضيل مقيد بالمكان يفهم منه القرب المكاني فعلى هذا يحمل جمعا بين القواعد انتهى
واختلف هل البشر افضل من الملايكة فقال جمهور اهل السنة والجماعة خواص بني ادم وهم الانبيا — تفضيل البشر
افضل من خواص الملايكة وهم جبريل وميكايل واسرافيل وعزرايل وحملة العرش والمقربون والكروبيون
والروحانيون وخواص الملايكة افضل من عوام بني ادم قال التفتازاني بالاجماع بل بالضرورة وعوام
بني ادم افضل من عوام الملايكة فالمسجود له افضل من الساجد فاذا ثبت تفضيل الخواص على الخواص
ثبت تفضيل العوام على العوام وعوام الملايكة خدام عمال الخير والمخدوم له فضل على الخادم ولان المومنين — خ خدم
ركب فيهم الهوى والعقل مع تسلط الشيطان عليهم بوسوسته والملايكة ركب فيهم العقل دون الهوى
ولا سبيل للشيطان عليهم فالانسان كما قاله في شرح العقايد يحصل الفضايل والكمالات العلمية مع
وجود العوايق والموانع من الشهوة والغضب وسنوح الحاجات الضرورية الشاغلة عن اكتساب الكمالات
ولا شك ان العبادة وكسب الكمال مع الشواغل والصوارف اشق وادخل في الاخلاص فيكون افضل والمراد
بعوام بني ادم هنا الصلحا لا الفسقة كما نبه عليه العلامة كمال الدين بن ابي شريف المقدسي قال وتقع عليه
البيهقي في الشعب وعبارته انه قد تكلم الناس قديما وحديثا في الملايكة والبشر فذهب ذاهبون
الى ان الرسل من البشر افضل من الرسل من الملايكة والاوليا من البشر افضل من الاوليا من الملايكة انتهى
وذهبت المعتزلة والفلاسفة وبعض الاشاعرة الى تفضيل الملايكة وهو اختيار القاضي ابي بكر الباقلاني
وابي عبد الله الحليمي وتمسكوا بوجوه الاول ان الملايكة ارواح مجردة كاملة بالفعل مبراة من مبادي الشرور
والافات كالشهوة والغضب وعن ظلمات الهيولى والصورة قوية على الافعال العجيبة عالمة بالكوائن ماضيها — خ غلط
واتيها من غير تخليط والجواب ان مبنى ذلك على الاصول الفلسفية دون الاصول الاسلامية الثاني ان
الانبيا مع كونهم افضل البشر يتعلمون ويستفيدون منهم بدليل قوله تعالى علمه شديد القوى وقوله تعالى نزل
به الروح الامين على قلبك ولا شك ان المعلم افضل من المتعلم والجواب ان التعليم من الله تعالى والملايكة
انما هم مبلغون الثالث انه اطرد في الكتاب والسنة تقديم ذكرهم على ذكر الانبيا وما ذلك الا لتقدمهم في
الشرف والرتبة والجواب ان ذلك لتقدمهم في الوجود او لان وجودهم اخفى فالايمان بهم اقوى والتقدم
اولى الرابع قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملايكة المقربون فان اهل اللسان يفهمون
من ذلك افضلية الملايكة من عيسى اذ القياس في مثله الترقي من الادنى الى الاعلى يقال لا يستنكف من هذا
الامر الوزير ولا السلطان ولا يقال السلطان ولا الوزير ثم لا قايل بالفضل بين عيسى عليه السلام وغيره
من الانبيا عليهم السلام والجواب ان النصارى استعظموا المسيح بحيث يترفع من ان يكون عبدا من عباد
الله بل ينبغي ان يكون ابنا لله لانه مجرد لا اب له وكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى بخلاف سائر العباد
من بني ادم فرد عليهم بانه لا يستنكف من ذلك المسيح ولا من هو اعلى منه في هذا المعنى وهم الملايكة الذين لا
اب لهم ولا ام ويقدرون باذن الله على افعال اقوى واعجب من ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى فالترقي
والعلو انما هو في امر التجرد واظهار الاثار القوية لا في مطلق الشرف والكمال فلا دلالة على افضلية الملايكة انتهى

ثم ان

ثم ان الملايكة بعضهم افضل من بعض وافضلهم الروح الامين جبريل المرسل من رب العالمين المقول
فيه من ذي العزة انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فوصفه بسبع
صفات وهو افضل الملايكة الثلاثة الذين هم افضل الملايكة على الاطلاق وهم ميكايل واسرافيل
وعزرايل وكذلك الرسل افضل من الانبيا وكذلك الرسل بعضهم افضل من بعض ومحمد افضل
الانبيا والرسل كما تقدم واول الانبيا ادم واخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاما نبوة ادم فالكتاب — ب
الدال على انه قد امر ونهي مع القطع بانه لم يكن في زمنه نبي اخر فهو بالوحي لا غير وكذا السنة والاجماع
فانكار نبوته على ما نقل عن البعض يكون كفرا وقد اختلف في عدد الانبيا والمرسلين والمشهور — عدد الانبياء
في ذلك ما في حديث ابي ذر عند ابن مردويه في التفسير قال قلت يا رسول الله كم الانبيا قال مايه الف
واربعة وعشرون الفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلثمايه وثلاثة عشر جم غفير قلت
يا رسول الله من كان اولهم قال ادم ثم قال يا ابا ذر اربعة سريانيون ادم وشيث ونوح وخنوخ
وهو ادريس وهو اول من خط بقلم واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا ابا ذر واول — بالقلم
نبي من بني اسرايل موسى واخرهم عيسى واول النبيين ادم واخرهم نبيك وقد روى هذا الحديث
بطوله الحافظ ابو حاتم بن حبان في كتابه الانواع والتقاسيم وقد وسمه بالصحة وخالفه ابن الجوزي
فذكره في الموضوعات واتهم به ابراهيم بن هشام قال الحافظ ابن كثير ولا شك انه قد تكلم فيه غير واحد
من ايمة الجرح والتعديل من اجل هذا الحديث والله اعلم وروى ابو يعلى عن انس مرفوعا كان فيمن خلا
من اخواني من الانبيا ثمانية الاف نبي ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت انا والذي نص الله تعالى على اسمايهم
في القران ادم وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم ولوط واسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف
وايوب وشعيب وموسى وهرون ويونس وداود وسليمن والياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى — ٢٣
وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين والله اعلم قال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك روى ابن جرير
من حديث ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل عليه السلام فقال ان ربي
وربك يقول لك كيف رفعت ذكرك قلت الله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي وذكره الطبري وصححه
ابن حبان وروينا عن الامام الشافعي قال اخبرنا ابن عيينة عن ابن ابي نجيح معناه لا اذكر الا ذكرت معي
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قال الامام الشافعي يعني والله اعلم ذكره عند الايمان
بالله والاذان قال ويحتمل ذكره عند تلاوة الكتاب وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية انتهى
وقيل رفعه بالنبوة كما قاله يحيى بن ادم وعن ابن عطا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني
وعنه ايضا جعلت تمام الايمان بذكري معك وعن جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا
ذكرني بالربوبية قال البيضاوي واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل
طاعته طاعته انتهى يشير الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله والله ورسوله احق ان يرضوه
من يطع الله ورسوله واطيعوا الله ورسوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول وقول قتادة رفع الله ذكره في
الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله انتهى فهو مذكور معه في الشهادة والتشهد ومقرون ذكره بذكره في القران
والخطب والاذان ويوذن باسمه في موقف القيمة رواه   واخرج ابو نعيم في الحلية عن

ابي هريرة رفعه لما نزل آدم عليه السلام بالهند استوحش فنزل جبريل عليه السلام فنادى بالاذان
الله اكبر الله اكبر مرتين اشهد ان لا اله الا الله مرتين اشهد ان محمدا رسول الله مرتين الحديث وكتب
اسمه الشريف على العرش وعلى كل سماء وعلى الجنان وما فيها رواه ابن عساكر واخرج البزار عن ابن
عمر مرفوعا لما عرج بي الى السماء ما مررت بسماء الا وجدت اسمي فيها مكتوبا محمد رسول الله
وفي الحلية عن ابن عباس رفعه ما في الجنة شجرة عليها ورقة الا مكتوب عليها لا اله الا الله محمد
رسول الله واخرج الطبراني من حديث جابر مرفوعا كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام
لا اله الا الله محمد رسول الله وعزاه الحافظ ابن حجر في كتاب احكام الخواتيم له لجزء ابي علي
الخالدي وقال انه باطل موضوع وشق اسمه الكريم من اسمه تعالى كما قال حسان
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد * وسماه من اسمائه الحسنى
بنحو سبعين اسما كما بينت ذلك في اسمائه صلوات الله وسلامه عليه وصلى عليه في ملائكته وامر
المؤمنين بالصلاة عليه فقال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا
عليه وسلموا تسليما فاخبر عباده بمنزلة نبيه عنده في الملأ الاعلى بانه يثني عليه عند الملأ المقربين
وان الملائكة تصلي عليه ثم امر العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه فيجتمع الثناء عليه من اهل العالمين
العلوي والسفلي جميعا وكتبه نبيا وآدم بين الروح والجسد وختم به النبوة والرسالة واعلن ذكره
الكريم في الاولين والآخرين ونوه بعلو قدره الرفيع حين اخذ الميثاق على جميع النبيين وجعل ذكره في فواتح
الرسائل وخواتمها وشرف به المصاحف على المنابر وزين بذكره ارباب الاقلام والمحابر ونشر ذكره
في الآفاق شرقا وغربا برا وبحرا حتى في السموات السبع وعند المستوى وصريف الاقلام والعرش والكرسي
وساير الملائكة المقربين من الكروبيين والروحانيين والعلويين والسفليين وجعله في قلوب
المؤمنين بحيث يستطيبون ذكره فترتاح ارواحهم وتمايل من طرب سماع اسمه اشباحهم
واذا ذكرتم امسك كان الذي من طيب ذكركم سقيت الرحا كانه تعالى يقول ملأت الوجود كله
من اتباعك كلهم يثنون عليك ويصلون عليك ويحفظون سنتك بل ما من فريضة من فرايض الصلاة
الا ومعها سنة فهم متمسكون في الفريضة بامري وفي السنة بامرك وصلت طاعتي طاعتك وبيعتي بيعتك
فالقراء يحفظون الفاظ منشورك والمفسرون يفسرون معاني فرقانك والوعاظ يبلغون بليغ
وعظك والملوك والسلاطين يقفون في خدمتك ويسلمون من وراء الباب عليك ويمسحون وجوههم
بتراب روضتك ويرجون شفاعتك فشرفك باق ابد الآبدين والحمد لله رب العالمين وقال
تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اعلم ان للمفسرين في طه قولان احدهما انها من حروف التهجي
والثاني انها كلمة مفيدة وعلى القول الاول قيل معناها يا مطمع الشفاعة للامة ويا هادي الخلق الى الملة
وقيل الطا في الحساب بتسعة والها بخمسة فالجملة اربعة عشر ومعناه يا ايها البدر وهذه
الاقوال لا يجب ان يعتمد عليها اذ هي كما قال المحققون من بدع التفاسير ومنها قول الواسطي فيما حكاه
القاضي عياض في الشفا اراد يا طاهر يا هادي واما على قول من قال انها كلمة مفيدة ففيه وجهان
احدهما ان معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة
قال سعيد بن جبير بلسان النبطية وقال قتادة بلسان السريانية وقال عكرمة بلسان الحبشة وما

البيضاوي

ايضا وكان من قال ان معناه يا رجل فلعل اصله يا هذا اختصر لتوانيه بالقلب والاختصار وقيل معناه
يا انسان وقرئ طه باسكان الها على انه امر له صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فقد
روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر ان يطأ الارض بقدميه معا
وان الاصل طأ فقلبت همزته ها كما قالوا هياك في اياك وهرقت في ارقت ويجوز ان يكون الاصل
من وطي على ترك الهمزة فيكون اصله ط يا رجل ثم اثبت الها فيها للوقف وعلى هذا يحتمل ان يكون
اصل طه طأها والالف مبدلة من الهمزة والها كناية عن الارض لكن يرد ذلك كتبهما على صورة
الحرف واما قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فذكروا في سبب نزولها اقوالا احدها ان ابا
جهل والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتشقى حيث تركت
دين آبائك فقال صلى الله عليه وسلم بل بعثت رحمة للعالمين وانزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم
وتعريفا له صلى الله عليه وسلم بان دين الاسلام والقرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في ادراك
كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وثانيها انه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى تورمت
قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلنا عليك لتنهك نفسك بالعبادة
وتذيقها المشقة العظيمة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وروي انه كان اذا قام من الليل ربط صدره بحبل
حتى لا ينام وقال بعضهم كان يسهر طول الليل وتعقب بانه بعيد لانه صلى الله عليه وسلم ان فعل
شيا من ذلك فلا بد وان يكون قد فعله بامر الله تعالى واذا فعله عن امره فهو من باب السعادة لا من باب
الشقا وثالثها قال بعضهم يحتمل ان يكون المراد لتشق نفسك وتعذبها بالاسف على كفر هؤلاء فانما
انزلنا عليك القرآن لتذكر به من آمن فمن آمن واصلح فلنفسه ومن كفر فلا يحزنك كفره فما عليك الا البلاغ
وهذا كقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ولا يحزنك كفرهم ورابعها ان هذه السورة من اوايل
ما نزل بمكة وفي ذلك الوقت كان صلى الله عليه وسلم مقهورا تحت ذل اعاديه فكانه تعالى قال لا تظن انك تبقى
على هذه الحالة بل يعلو امرك ويظهر قدرك فانا ما انزلنا عليك القرآن لتبقى شقيا بل تصير معظما مكرما
رفعه الله تعالى تعظيما وتكريما وتشريفا وقال تعالى انا اعطيناك الكوثر السورة الى اخرها قال الامام
فخر الدين ابن الخطيب في هذه السورة كثير من الفوايد منها انها كالمتممة لما قبلها من السور وذلك
لان الله تعالى جعل سورة والضحى في مدح نبينا صلى الله عليه وسلم وتفصيل احواله فذكر في اولها ثلاثة اشيا
تتعلق بنبوته وهي قوله ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى
ثم ختمها كذلك باحوال ثلاثة فيما يتعلق بالدنيا وهي قوله تعالى الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا اي عن
علم الحكم والاحكام فهدى ووجدك عائلا فاغنى ثم ذكر في سورة الم نشرح انه تعالى شرفه عليه السلام
بثلاثة اشيا وهي الم نشرح لك صدرك اي الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق ووضعنا عنك
وزرك اي عناك الثقيل الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وهكذا سورة سورة حتى قال انا اعطيناك
الكوثر اي اعطيناك هذه المناقب المتكاثرة التي كل واحدة منها اعظم من ملك الدنيا بحذافيرها واذا انعمنا
عليك بهذه النعم فاشتغل بطاعتنا ولا تبال بقولهم ثم ان الاشتغال بالعبادة اما ان يكون بالنفس وهو
قوله فصل لربك واما بالمال وهو قوله وانحر وتامل قوله انا اعطيناك كيف ذكره بلفظ الماضي ولم يقل
سنعطيك ليدل على ان هذا الاعطاء حصل في الزمان الماضي قال عليه السلام كنت نبيا وآدم بين الروح

والجسد ولا شك أنه من كان في الزمان الماضي عن هذا موحى للجانب أشرف ممن سيصير كذلك كأنه تعالى يقول يا محمد قد هيأنا أسباب سعادتك قبل دخولك في هذا الوجود فكيف أمرك بعد وجودك واشتغالك بعبوديتنا يا أيها العبد الكريم إنا لم نعطك هذا الفضل العظيم لأجل طاعتك وإنما اخترناك بمحض فضلنا وإحساننا من غير موجب. واختلف المفسرون في تفسير الكوثر على وجوه منها أنه نهر في الجنة وهذا هو المشهور المستفيض عند السلف والخلف فروى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه مسك أذفر رواه البخاري وقيل الكوثر أولاده لأن هذه السورة إنما نزلت ردا على من عابه عليه الصلاة والسلام بعدم الأولاد وعلى هذا فالمعنى أنه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من أهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم ولم يتفق ذلك لنبي من الأنبياء غيره وقيل الكوثر الخير الكثير وقيل النبوة وهي الخير الكثير وقيل علماء أمته وقيل الإسلام ولا ريب أنهما من الخير الكثير فالعلماء ورثة الأنبياء كما رواه أحمد وأبو داود والترمذي وأما علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل فقال الحافظ ابن حجر ومن قبله الذهبي والزركشي أنه لا أصل له نعم روى أبو نعيم في فضل العالم العفيف بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد وقيل الكوثر كثرة الأتباع والأشياع وعن بعضهم المراد بالكوثر العلم وحمله عليه أولى لوجوه أحدها أن العلم هو الخير الكثير والثاني إما أن يحمل الكوثر على نعم الآخرة أو على نعم الدنيا فالأول غير جائز لأنه قال إنا أعطيناك والجنة سيعطيها لا أنه أعطاها فوجب حمل الكوثر على ما وصل إليه في الدنيا وأشرف الأمور الواصلة إليه في الدنيا هو العلم والنبوة فوجب حمل اللفظ على العلم والثالث أنه لما قال إنا أعطيناك الكوثر قال عقبه فصل لربك وانحر والشيء الذي يتقدم على العبادة هو المعرفة ولأن الفاء في قوله فصل للتعقيب ومعلوم أن الموجب للعبادة ليس إلا العلم وقيل الكوثر الخلق الحسن وعن ابن عباس جميع نعم الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم وبالجملة فليس حمل الآية على بعض هذه النعم أولى من حملها على الباقي فوجب حملها على الكل ولذا روي أن سعيد بن جبير لما روى هذا القول عن ابن عباس قال له بعضهم إن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه قال الإمام فخر الدين ابن الخطيب قال بعض العلماء ظاهر قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر يقتضي أنه تعالى قد أعطاه ذلك الكوثر فيجب أن يكون الأقرب حمله على ما آتاه الله تعالى من النبوة والقرآن والذكر العظيم والنصر على الأعداء. وأما الحوض وسائر ما أعد له من الثواب فهو وإن جاز أن يقال إنه داخل فيه لأن ما ثبت بحكم وعد الله فهو كالواقع إلا أن الحقيقة ما قدمناه لأن ذلك وإن أعد له فلا يصح أن يقال على الحقيقة أنه أعطاه الكوثر في حال نزول هذه السورة بمكة ويحتمل أن يجاب عنه بأن من أقر لولده الصغير بشيء له يصح أن يقال أعطاه ذلك الشيء مع أن الصبي في ذلك الحال ليس أهلا للتصرف انتهى. وقد روينا في صحيح مسلم من حديث أنس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك أضحك الله سنك يا رسول الله قال نزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر ثم قال أتدرون

ما الكوثر

الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول ما تدري ما أحدث بعدك وهذا التفسير صريح منه صلى الله عليه وسلم بأن المراد بالكوثر هنا الحوض فالمصير إليه أولى وهذا هو المشهور كما تقدم فسبحان من أعطاه هذه الفضائل العظيمة وشرفه بهذه الخصال الجميلة وحباه بما أفاضه عليه من نعمه الجسيمة وقد جرت عادة الله تعالى مع أنبيائه عليهم السلام أنه يناديهم بأسمائهم الأعلام نحو يا آدم اسكن يا نوح اهبط يا موسى إني أنا الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وأما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فناداه بالوصف الشريف من الإنباء والإرسال فقال يا أيها النبي يا أيها الرسول ولله در القائل

دعا جميع الرسل كلا باسمه ودعاك وحدك بالرسول وبالنبي

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ولا يخفى على أحد أن السيد إذا دعا عبيده بأفضل ما وجد فيهم من الأوصاف العلية والأخلاق السنية ودعا آخرين بأسمائهم الأعلام التي لا تشعر بوصف من الأوصاف ولا بخلق من الأخلاق أن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعز عليه وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم وهذا معلوم بالعرف أن من دعي بأفضل أوصافه وأخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه انتهى وانظر ما في نحو قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة من ذكر الرب تعالى وإضافته إليه صلى الله عليه وسلم وما في ذلك من التنبيه على شرفه واختصاصه بخطابه وما في ذلك من الإشارة اللطيفة وهي أن المقبل عليه بالخطاب له الحظ الأعظم والقسم الأوفر من الجملة إذ هو في الحقيقة أعظم خلفائه ألا ترى إلى عموم رسالته ودعايته وجعله أفضل أنبيائه أمامهم ليلة الإسراء وجعل آدم فمن دونه يوم القيامة تحت لوائه فهو المقدم في أرضه وسمائه وفي دار تكليفه وجزائه وبالجملة فقد تضمن الكتاب العزيز من التصريح بجليل رتبته وتعظيم قدره وعلو منصبه ورفعة ذكره ما يقضي بأنه استولى على أقصى درجات التكريم وكان إخباره تعالى بالعفو عنه ملاطفة قبل ذكر العتاب في قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم وتقديم ذكره على الأنبياء تعظيما له مع تأخره عنهم في الزمان في قوله تعالى ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم والإخبار بتمني أهل النار طاعته في قوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وهذا بحر لا ينفد ونظر لا يعد.

النوع الثاني في أخذ الله تعالى له الميثاق على النبيين فضلا ومنة ليؤمنن به إن أدركوه ولينصرنه

قال الله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية أخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم أن يصدق بعضهم بعضا قاله الحسن وطاوس وقتادة وقيل معناه أنه تعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الأمم وعن علي بن أبي طالب وابن عباس ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وما قاله قتادة والحسن وطاوس لا يضاد ما قاله علي وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه وقيل معناه أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بأنه إذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وأن ينصروه واحتج له بأن الذين أخذ الله الميثاق

منهم يجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند بعثته وكان الانبيا عند بعث محمد
صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات والميت لا يكون مكلفا فتعين ان يكون الميثاق ماخوذا
على الامم قالوا ويؤكد هذا انه تعالى حكم على الذين اخذ عليهم الميثاق انهم لو تولوا كانوا
فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبيا وانما يليق بالامم واجيب بان يكون المراد من الاية ان الانبيا
لو كانوا في الحياة لوجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى لئن اشركت
ليحبطن عملك وقد علم الله تعالى انه لا يشرك قط ولكن هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض وقال
تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقال في الملائكة
ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم مع انه تعالى اخبر عنهم بانهم لا يسبقونه بالقول
وبانهم يخافون ربهم من فوقهم فكل ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير واذا ثبتت هذه الاية
على ان الله تعالى اوجب على جميع الانبيا ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولو كانوا في الحيا وانهم
لو تركوا ذلك لصاروا في زمرة الفاسقين فلان يكون الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا على اممهم
من باب اولى فكان صرف هذا الميثاق الى الانبيا اقوى في تحصيل المقصود وقال السبكي في هذه
الاية انه عليه السلام على تقدير مجيئهم في زمانه يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة
لجميع الخلق من زمن ادم الى يوم القيمة وتكون الانبياء واممهم كلهم من امته ويكون قوله عليه السلام
وبعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه الى يوم القيمة بل يتناول من قبلهم ايضا وانه
اخذ له المواثيق على الانبياء ليعلموا انه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وفي اخذ المواثيق وهي في
معنى الاستحلاف ولذلك دخلت لام القسم في لتومنن به ولتنصرنه لطيفة وهي كانها ايمان البيعة
التي توخذ للخلفا ولعل ايمان الخلفا اخذت من هنا فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم
من ربه تعالى فاذا عرفت هذا فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم نبي الانبيا ولهذا ظهر ذلك في الاخرة
جميع الانبيا تحت لوايه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسرا صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن ادم ونوح
وابرهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم
فنبوته عليهم ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما امره يتوقف على اجتماعهم معه فتاخر ذلك
الامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافه بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه
على اهلية الفاعل فهنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة
وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا ياتي
عيسى عليه السلام في اخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم على حالته لا كما يظن بعض الناس انه ياتي
واحدا من هذه الامة نعم هو واحد من هذه الامة لما قلنا من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وانما
يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقران والسنة وكل ما فيهما من امر او نهي فهو متعلق به
كما يتعلق بسائر هذه الامة وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شي وكذلك لو بعث النبي صلى الله
عليه وسلم في زمانه او في زمان موسى وابرهيم ونوح وادم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم
الى اممهم والنبي صلى الله عليه وسلم نبي عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته اعم واشمل واعظم
ومتفق مع شرايعهم في الاصول لانها لا تختلف وتقدم شريعته فيما عساه يقع الاختلاف فيه من

الفروع

الفروع اما على سبيل التخصيص واما على سبيل النسخ او لا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي صلى
الله عليه وسلم في تلك الاوقات بالنسبة الى اولئك الامم مما جاءت به انبياوهم وفي هذا الوقت
بالنسبة الى هذه الامة الشريعة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات وبهذا بان
لنا معنى حديثين كانا خفيا عنا احدهما قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة
كنا نظن انه من زمانه الى يوم القيمة فبان انه جميع الناس اولهم واخرهم والثاني قوله صلى الله عليه
وسلم كنت نبيا وادم بين الروح والجسد كنا نظن انه بالعلم فبان انه زايد على ذلك وانما يفترق
الحال بين ما بعد وجود جسده الشريف صلى الله عليه وسلم وبلوغه الاربعين وما قبل المبعوث
اليهم وتاهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تاهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام
على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فهنا التعليق انما هو
بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذي يخاطبهم
بلسانه وهذا كما يوكل الاب رجلا في تزويج ابنته اذا وجدت كفوا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل
اهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود الكفو ولا يوجد الا بعد مدة
وذلك لا يقدح في صحة الوكالة واهلية الوكيل انتهى النوع الثالث في وصفه تعالى له عليه السلام
بالشهادة وشهادته له بالرسالة قال الله تعالى حكاية عن ابرهيم واسمعيل عليهما السلام عند
بنا البيت الحرام ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة
لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم فاستجاب الله تعالى دعاءهما وبعث في
اهل مكة رسولا منهم بهذه الصفة من ولد اسمعيل الذي دعا مع ابيه ابرهيم عليهما السلام بهذا
الدعا فان قلت من اين علم ان الرسول هنا المراد به محمد صلى الله عليه وسلم فالجواب من وجوه
احدها اجماع المفسرين وهو حجة الثاني قوله عليه السلام انا دعوة ابي ابرهيم وبشارة عيسى
قالوا واراد بالدعوة هذه الاية وبشارة عيسى هو ما ذكر في سورة الصف من قوله ومبشرا برسول
ياتي من بعدي اسمه احمد الثالث ان ابرهيم انما دعا بهذا الدعا بمكة لذريته الذين كانوا بها وما
حولها ولم يبعث الله تعالى الى من بمكة الا محمدا صلى الله عليه وسلم وقد امتن الله على المومنين ببعث
هذا النبي عليهم بهذه الصفة فقال تعالى لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا
عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة الاية فليس لله منة على المومنين اعظم من ارساله
محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وانما كانت النعمة على هذه الامة بارساله
اعظم النعم لان النعمة به صلى الله عليه وسلم تمت بها مصالح الدنيا والاخرة وكمل بسببها دين الله
الذي رضيه لعباده وقوله من انفسهم يعني انه بشر مثلهم وانما امتاز عليهم بالوحي وقرئ في الشواذ
من انفسهم بفتح الفا يعني من اشرفهم لانه من بني هاشم وبنو هاشم افضل من قريش وقريش افضل العرب
والعرب افضل من غيرهم ثم قيل لفظ المومنين عام ومعناه خاص في العرب لانه ليس حي من احيا
العرب الا وقد ولده وخص المومنين بالذكر لانهم المنتفعون به اكثر فالمنة عليهم اعظم فان قلت
هل العلم بكونه صلى الله عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط في صحة الايمان او هو من فروض الكفاية
اجاب الشيخ ولي الدين ابن العراقي بانه شرط في صحة الايمان قال فلو قال شخص او من برسالة

ذكره بالنسبة الي و

محمد لجميع الخلق ولكني لا ادري هل هو من البشر او الملائكة او الجن او لا ادري هل هو من العرب
او من العجم فلا شك في كفره لتكذيبه للقرآن وجحده ما تلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف
وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام ولا اعلم في ذلك خلافا فلو كان غبيا لا يعرف
ذلك وجب تعليمه اياه فان جحده بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى فان قلت هل هو عليه السلام باق
على رسالته الى الآن اجاب ابو المعين النسفي بان الاشعري قال انه عليه السلام الآن في حكم
الرسالة وحكم الشيء يقوم مقام اصل الشيء الا ترى ان العدة تدل على ما كان من احكام النكاح انتهى وقال
غيره ان النبوة والرسالة باقية بعد موته عليه السلام حقيقة كما بقي وصف الايمان للمؤمن بعد
موته لان المتصف بالنبوة والرسالة والايمان هو الروح وهي باقية لا تتغير بموت البدن انتهى وتعقب
بان الانبياء احياء في قبورهم فوصف النبوة باق للجسد والروح معا وقال القشيري كلام الله تعالى
لمن اصطفاه ارسلتك او بلغ عني وكلامه تعالى قديم فهو عليه السلام قبل ان يوجد كان رسولا وفي حال
موته والى الابد رسولا لبقاء الكلام وقدمه واستحالة البطلان على الارسال الذي هو كلام الله ونقل
السبكي في طبقاته عن ابن فورك انه قال انه عليه السلام حي في قبره رسول الله ابد الآباد على الحقيقة لا المجاز
انتهى وقال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين المراد بالاميين العرب تنبيها لهم على قدر هذه النعمة وعظمها
حيث كانوا اميين لا كتاب لهم وليس عندهم شيء من آثار النبوات كما عند اهل الكتاب فمن الله تعالى
عليهم بهذا الرسول وبهذا الكتاب حتى صاروا افضل الامم واعلمهم وعرفوا ضلالة من ضل قبلهم من الامم
وفي كونه عليه السلام منهم فائدتان احداهما ان هذا الرسول كان ايضا اميا كامته المبعوث اليهم
لم يقرأ كتابا قط ولم يخطه بيمينه كما قال تعالى ولا خرج عن ديارهم فاقام عند غيرهم حتى تعلم منهم
بل لم يزل اميا بين امة امية لا يكتب ولا يقرأ حتى كمل الاربعين من عمره ثم جاء بعد ذلك بهذا الكتاب
المبين وهذه الشريعة الباهرة وهذا الدين القيم الذي اعترف حذاق اهل الارض ونظارها انه لم يقرع
العالم ناموس اعظم منه وفي هذا برهان عظيم على صدقه عليه السلام الفائدة الثانية التنبيه على ان المبعوث
منهم وهم الاميون خصوصا اهل مكة يعرفون نسبه وشرفه وصدقه وامانته وعفته وانه نشأ بينهم
معروفا بذلك وانه لم يكذب قط فكيف كان يدع الكذب على الناس ثم يفتري الكذب على الله عز وجل هذا
هو الباطل ولذلك سأل هرقل عن هذه الاوصاف واستدل بها على صدقه فيما ادعاه من النبوة
والرسالة وقد قال الله تعالى خطابا له فانهم لا يكذبونك وروي ان رجلا قال والله يا محمد ما كذبتنا قط
فنتهمك اليوم ولكنا ان نتبعك نتخطف من ارضنا فنزلت هذه الآية رواه ابو صالح عن ابن عباس رض
وعن مقاتل كان الحارث بن عامر يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية فاذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد
من اهل الكذب وروي ان المشركين كانوا اذا رأوه عليه السلام قالوا انه لنبي وعن علي قال قال ابو جهل
للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله الآية والمعنى انهم ينكرونه مع العلم
بصحته اذ الجحد لغة هو الانكار مع العلم فان قلت فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك
اجيب بانه على طريق التعدد وهو مختلف باختلاف احوالهم في الجهل فمنهم من وقع منه ذلك لجهله حيث علم
آمن ومنهم من علم عنادا وانكر كفرا وعنادا لا عن جهل فيكون المراد بقوله فانهم لا يكذبونك قوما مخصوصين
منهم لا كلهم وحينئذ فلا تعارض وروي ان ابا جهل لقيه صلى الله عليه وسلم فصافحه فقيل له اتصافحه فقال

والله

والله اني لأعلم انه نبي ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف فانزل الله الآية رواه ابن ابي حاتم والقرآن
كله مملوء بالآيات الدالة على صدق هذا الرسول الكريم وتحقيق رسالته وكيف يليق بكمال الله تعالى
ان يقر من يكذب عليه اعظم الكذب ويخبر عنه بخلاف ما الامر عليه ثم ينصره على ذلك ويؤيده
ويعلي كلمته ويرفع شأنه ويجيب دعوته ويهلك عدوه ويظهر على يديه من الآيات والبراهين
والادلة ما يضعف عن مثله قوى البشر وهو مع ذلك كاذب عليه مفتر ساع في الارض بالفساد
ومعلوم ان شهادته سبحانه على كل شيء وقدرته على كل شيء وحكمته وعزته وكماله المقدس يأبى ذلك
كل الاباء ومن ظن ذلك به وجوزه عليه فهو من ابعد الخلق عن معرفته ان عرف منه بعض صفاته
كصفة القدرة وصفة المشيئة والقرآن كله مملوء من هذه الطريقة وهي طريق الخاصة بل خاصة
الخاصة الذين يستدلون بالله على افعاله وما يليق به ان يفعله وما لا يفعله واذا تدبرت القرآن
رأيته ينادي على ذلك ويبديه ويعيده لمن له فهم وقلب واع عن الله تعالى قال تعالى ولو تقول علينا
بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين فاخبر سبحانه
ان لكماله وحكمته وقدرته يأبى ان يقر من تقول عليه بعض الاقاويل بل لا بد ان يجعله عبرة لعباده
كما جرت بذلك سنته في المتقولين عليه وقال تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم
على قلبك ههنا انتهى جواب الشرط ثم اخبر خبرا جازما غير معلق انه يمحو الباطل ويحق الحق وقال تعالى
وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء فاخبر ان من نفى عنه الارسال والكلام لم يقدره
حق قدره ولا عرفه كما ينبغي ولا عظمه كما يستحق فكيف من ظن انه ينصر الكاذب المفتري عليه ويؤيده
ويظهر على يديه الآيات والادلة وهذا في القرآن كثير يستدل تعالى بكماله المقدس واوصافه وجلاله على
صدق رسوله وعلى وعده ووعيده ويدعو عباده الى ذلك وقال تعالى لمن طلب آية تدل على صدق رسوله
اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بيني وبينكم
شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون فاخبر سبحانه ان
الكتاب الذي ارسله يكفي من كل آية ففيه الحجة والدلالة على انه من الله وان الله سبحانه به ارسله وفيه
بيان ما يوجب لمن اتبعه السعادة وينجيه من العذاب ثم قال قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في
السموات والارض فاذا كان سبحانه عالما بجميع الاشياء كانت شهادته اصدق شهادة واعدلها فانها
بعلم تام محيط بالمشهود به وهو سبحانه وتعالى يذكر علمه عند شهادته وقدرته وملكه عند مجازاته وحكمته
عند خلقه وامره ورحمته عند ذكر ارسال رسله وحلمه عند ذنوب عباده فتأمل ورود اسمائه الحسنى
في كتابه وارتباطها بالخلق والامر والثواب والعقاب انتهى وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا اي شاهدا على الوحدانية وشاهدا في الدنيا باحوال الآخرة من
الجنة والنار والميزان والصراط وشاهدا في الآخرة باحوال الدنيا بالطاعة والمعصية والصلاح والفساد
وشاهدا على الخلق يوم القيامة كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا كانه تعالى يقول يا ايها المشرف
من قبلنا انا ارسلناك شاهدا بوحدانيتنا وشاهدا بجمال فردانيتنا تبشر عبادنا عنا وتحذرهم مخالفة
امرنا وتعلمهم مواضع الخوف منا وداعيا الخلق الينا وسراجا يستضيئون بك وشمسا ينبسط شعاعك على
جميع من صدقك وآمن بك ولا يصل الينا الا من اتبعك وخدمك وقدمك فبشر بفضلنا وطولنا عليهم

واحسانا اليهم ولما كان الله تعالى قد جعله عليه السلام شاهدا على الوحدانية والشاهد لا يكون
متعينا فالله تعالى لم يجعل النبي في مسئلة الوحدانية مدعيا لها لان المدعي من يقول شيئا على خلاف الظاهر
والوحدانية اظهر من الشمس والنبي صلى الله عليه وسلم كان ادعى النبوة فجعل الله تعالى نفسه شاهدا
له في مجازاة كونه شاهدا له تعالى فقال سبحانه والله يشهد انك لرسوله ومن هذا قوله تعالى ويقول
الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب فاستشهد على رسالته
بشهادة الله له وكذلك قوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وقوله تعالى لكن الله يشهد
بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وقوله والله يعلم انك لرسوله وقوله محمد
رسول الله فهذا كله منه تعالى شهادة لرسوله قد اظهرها وبينها وبين صحتها غاية البيان بحيث قطع العذر
بينه وبين عباده واقام الحجة عليهم بكونه سبحانه شاهدا لرسوله وقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا فيظهره ظهورين ظهورا بالحجة والبيان وظهورا بالنصر والغلبة والتأييد
حتى يظهر على مخالفيه ويكون منصورا ومن شهادته تعالى ايضا ما اودعه في قلوب عباده من التصديق الجازم
واليقين الثابت والطمأنينة بكلامه ووحيه فان الله تعالى فطر القلوب على قبول الحق والانقياد له والطمأنينة
والسكون اليه ومحبته وفطرها على بغض الكذب والباطل والنفور عنه وعدم السكون اليه ولو بقيت الفطر
على حالها لما آثرت على الحق سواه ولما سكنت الا اليه ولا اطمأنت الا به ولا احبت غيره ولهذا ندب الحق سبحانه
الى تدبر القرآن فان كل من تدبره اوجب له علما ضروريا ويقينا جازما انه حق بل احق كل حق واصدق
كل صدق قال تعالى افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها فلو رفعت الاقفال عن القلوب
لباشرتها حقائق القرآن واستنارت فيها مصابيح الايمان وعلمت علما ضروريا كسائر الامور الوجدانية
كاللذة والالم انه من عند الله تكلم به حقا وبلغه رسوله جبريل الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهذا الشاهد
في القلب من اعظم الشواهد انتهى ملخصا من مدارج السالكين وقال تعالى يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
في هذه الاية دلالة على انه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كافة الثقلين وكذب العيسوية من اليهود وهم اتباع عيسى
الاصبهاني ان محمدا صادق مبعوث الى العرب غير مبعوث الى بني اسرائيل ودليلنا على ابطال قولهم هذه الاية لان
قوله تعالى يا ايها الناس خطاب يتناول كل الناس ثم قال اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا
الى جميع الناس وايضا لانا نعلم بالتواتر انه كان يدعي انه مبعوث الى الثقلين فاما ان نقول انه كان رسولا حقا
او ما كان كذلك فان كان رسولا حقا امتنع الكذب عليه ووجب الجزم بكونه صادقا في كل ما يدعيه فلما ثبت
بالتواتر وبظاهر هذه الاية انه كان يدعي كونه مبعوثا الى جميع الثقلين وجب كونه صادقا وذلك يبطل قول
من يقول انه كان مبعوثا الى العرب فقط لا الى بني اسرائيل واذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى قل يا ايها الناس اني
رسول الله اليكم جميعا من الناس من قال انه عام دخله التخصيص ومنهم من انكر ذلك اما الاولون فقالوا
دخله التخصيص من وجهين الاول انه رسول الى الناس اذا كانوا من جملة المكلفين فاما اذا لم يكونوا من جملة
المكلفين لم يكن رسولا اليهم وذلك لانه عليه السلام قال رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى
يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق رواه والثاني انه رسول الله الى كل من وصله خبر وجوده وخبر
معجزاته وشرائعه حتى يمكنه عند ذلك متابعته اما لو قدرنا حصول قوم في طرف من اطراف الارض لم يبلغهم
خبر وجوده وخبر معجزاته وشرائعه حتى لا يمكنهم عند ذلك متابعته فلا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته وعن الحسن

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني
ثم يموت ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار رواه مسلم ومفهومه ان من لم يسمع
به صلى الله عليه وسلم ولم تبلغه دعوة الاسلام فهو معذور على ما تقرر في الاصول انه لا حكم قبل
ورود الشرع على الصحيح وفي هذا الحديث نسخ الملل كلها برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم وقال تعالى
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل الاية خاطب تعالى اهل الكتاب من اليهود
والنصارى بانه قد ارسل اليهم رسوله محمدا خاتم النبيين الذي لا نبي بعده ولا رسول بل هو المعقب
لجميعهم ولهذا قال تعالى على فترة من الرسل اي بعد مدة متطاولة ما بين ارساله وعيسى بن مريم وقد
اختلفوا في مقدار هذه الفترة كم هي فقال النهدي وقتادة في رواية عنه ستمائة سنة ورواه (ستون)
البخاري عن سلمان الفارسي وعن قتادة خمسمائة وستون سنة وقال الضحاك اربعمائة وبضع وثلاثون سنة
وعن الشعبي فيما ذكره ابن عساكر تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة قال الحافظ عماد الدين بن كثير
والمشهور انها ستمائة سنة قال وكانت هذه الفترة بين عيسى بن مريم آخر انبياء بني اسرائيل وبين محمد
آخر النبيين من بني آدم على الاطلاق كما في البخاري من حديث ابي هريرة مرفوعا ان اولى الناس بابن
مريم لانا لانه ليس بيني وبينه نبي وهذا فيه رد على من زعم انه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد
كما حكاه القضاعي وغيره والمقصود ان الله بعث محمدا على فترة من الرسل وطموس من السبل وتغير
الاديان وكثرة عبادة الاوثان والنيران والصلبان فكانت النعمة به اتم والنفع به اعم وفي حديث
عند الامام احمد مرفوعا ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عجمهم وعربهم الا بقايا من بني اسرائيل وفي لفظ مسلم
من اهل الكتاب فكان الدين قد التبس على اهل الارض كلهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهدى
به الخلائق واخرجهم الله به من الظلمات الى النور وتركهم على المحجة البيضاء والشريعة الغراء صلوات الله
وسلامه عليه وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم اي عزيز عليه عنتكم اي اثمكم
بالشرك والمعاصي حريص عليكم قال الحسن عزيز عليه ان تدخلوا النار حريص عليكم ان تدخلوا الجنة ومن
حرصه صلى الله عليه وسلم علينا انه لم يخاطبنا بما يريد بلاغة البيان وفخامة اداء على قدر منزلته بل على قدر
منزلتنا والى هذا اشار صاحب البردة بقوله لم يمتحنا بما تعيا العقول به حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم
اي لم نتحير ولم نشك فيما القاه الينا وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ولا رحمة مع التكليف بما
لا يفهم ومن حرصه عليه السلام على هدايتنا انه كثيرا ما يضرب المثل المحسوس ليحصل الفهم وهذا
سنة القرآن ومن تتبع الكتاب والسنة راى من ذلك العجب العجاب ولما ساوى سبحانه وتعالى بين الناس
في حرص رسوله عليه السلام على اسلامهم خص المؤمنين برافته ورحمته لهم وقال تعالى من انفسكم
لم يقل منهم ولعله يحتمل ان يكون مراده ما يجمع المنفس لا من وجه المقدس ورحم الله تعالى القائل

اذا رمت مدح المصطفى شغفا به ۞ تبلد ذهني هيبة لمقامه ۞ فاقطع ليلي ساهر الجفن مطرقا
هوى فيه احلى من لذيذ منامه ۞ اذا قال فيه الله جل جلاله ۞ رؤوف رحيم في سياق كلامه
فمن ذا يجاري الوحي والوحي معجز ۞ بمختلفيه نثره ونظامه ۞

تنبيه واما على قول القاضي عياض
بعد ذكر الاية ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم ٣٤
وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه فهو واذا كان المقصد منه صحيحا في ظاهره شيء

لأنه يوهم أن قوله وشدة ما يعنتهم معطوف على متعلق المصدر الذي هو الحرص فيكون محفوضًا
به ومما يقوي هذا التوهم قوة إعطاء الكلمات المعربة الأول من قوله وعزيز عليه حتى النبي صلى الله عليه
وسلم والضمير الثاني عائدًا على الله تعالى فلا يبقى للشدة إلا أن تكون معطوفة على متعلق المصدر ولا يخفى ما في
هذا وقد نازع له بعض العلماء على حذف مضاف أي وكراهة شدة ما يعنتهم أو نحو ذلك من المضافات
والأولى والصواب إن شاء الله أن تكون الشدة معطوفة على نفس المصدر الذي هو الحرص ويكون قوله
وعزيز عليه معطوف على وشدة والضمير فيه راجع إلى الموصول وهو ما في قوله ما يعنتهم والهاء الثانية
في عليه عائدة على النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وقال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين يجوز أن يكون
رحمة مفعولًا له أي لأجل الرحمة ويجوز أن ينتصب على الحال مبالغة في أن جعله نفس الرحمة وإما على
حذف مضاف أي ذا رحمة أو بمعنى راحم قاله السمين وقال أبو بكر بن طاهر فيما حكاه القاضي عياض
زين الله تعالى محمدًا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة
على الخلق فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما إلى كل محبوب ألا ترى
وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر لأن كل نبي إذا كذب أهلك الله من كذبه ومحمد أخر من كذبه إلى
الموت أو القيمة وأما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والآخرة وقال الحق فهو رحمة للعالمين يعني
للجن والإنس وقيل لجميع الخلق للمؤمنين رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالأمان من القتل ورحمة
للكافر بتأخير العذاب فذاته عليه السلام كما قيل رحمة تعم المؤمن والكافر كما قال الله تعالى وما
كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وقال عليه السلام إنما أنا رحمة مهداة رواه الدارمي والبيهقي في
الشعب من حديث أبي هريرة وقال بعض العارفين الأنبياء خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى الله عليه
وسلم عين الرحمة ولقد أحسن القائل
غنيمة عمر الكون بهجة عيشه • سرور حياة الروح قائد الدهر •
هو النعمة العظمى هو الرحمة التي • تحلى بها الرحمن في السر والجهر •
فبذاته عليه السلام وبعثه رحمة ودعاؤه واستغفاره رحمة فمن رزق ذلك فمن رزقه ومن حرمه من رده
فإن قلت كيف كان رحمة وقد جاء بالسيف واستباحة الأموال فالجواب من وجهين أحدهما أنه إنما جاء
بالسيف لمن استكبر وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر ومن أوصاف الله تعالى الرحمن الرحيم ثم هو منتقم
من العصاة وقد قال تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركًا ثم قد يكون سببًا للفساد ثانيهما أن كل نبي
من الأنبياء قبل نبينا إذا كذبه قومه أهلك الله المكذبين بالخسف والمسخ والغرق وقد أخر الله تعالى
عذاب من كذب نبينا إلى الموت أو إلى القيمة لا يقال إنه تعالى قال قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ونحن هم
وقال ليعذب المنافقين لأنا نقول تخصيص العام لا يقدح فيه وفي الشفاء للقاضي عياض وحكى
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت أخشى
العاقبة فأمنت لثناء الله تعالى علي بقوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين
انتهى وهذا يقتضي أن محمدًا صلى الله عليه وسلم أفضل من جبريل وهو الذي عليه الجمهور خلافًا لمن زعم أن
جبريل أفضل واستدل بأن الله تعالى وصف جبريل بسبعة أوصاف من صفات الكمال في قوله إنه لقول
رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ووصف محمدًا صلى الله عليه وسلم بقوله
وما صاحبكم بمجنون ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم مساويًا لجبريل في صفات الفضل أو مقاربًا له لكان

وصف

وصف محمد بمثل ذلك وأجيب بأنا متفقون على أن لمحمد صلى الله عليه وسلم فضائل أخرى سوى ما ذكر في هذه
الآية وعدم ذكر الله تعالى لتلك الفضائل هنا لا يدل على عدمها بالإجماع وإذا ثبت أن لمحمد صلى الله عليه وسلم
فضائل أخر زائدة فيكون أفضل من جبريل وبالجملة فإفراد أحد الشخصين بالوصف لا يدل على انتفاء
تلك الأوصاف عن الثاني وإذا ثبت بالدليل القرآني أنه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين والملائكة
من جملة العالمين وجب أن يكون أفضل منهم والله أعلم وقال تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن
رسول الله وخاتم النبيين وهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الأولى
لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس كما قدمنا ذلك في أسمائه الشريفة
من المقصد الثاني وبذلك وردت الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم فروى أحمد من حديث أبي بن كعب
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارًا فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم
يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة فأنا في النبيين موضع
تلك اللبنة ورواه الترمذي عن بندار عن أبي عامر العقدي وقال حديث حسن صحيح وفي حديث أنس بن مالك
مرفوعًا إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي رواه الترمذي وغيره وفي حديث جابر مرفوعًا
مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر إليها قال ما أحسنها إلا
موضع هذه اللبنة فأنا موضع اللبنة ختم بي الأنبياء عليهم السلام رواه أبو داود الطيالسي وكذا البخاري ومسلم
وفي حديث أبي سعيد الخدري فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة رواه مسلم وفي حديث أبي هريرة عند مسلم وأرسلت
إلى الخلق كافة وختم بي النبيون فمن تشريف الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال
الدين الحنيف له وقد أخبر الله تعالى في كتابه ورسوله في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من
ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ولو تحرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات
فكلها محال وضلال عند أولي الألباب ولا يقدح في هذا نزول عيسى عليه السلام بعده لأنه إذا نزل كان على
دين نبينا صلى الله عليه وسلم ومنهاجه أن المراد أنه آخر من نبئ قال أبو حيان ومن ذهب إلى أن النبوة مكتسبة
لا تنقطع أو إلى أن الولي أفضل من النبي فهو زنديق يجب قتله والله أعلم النوع الرابع في التنويه به صلى الله عليه وسلم
في الكتب السالفة كالتوراة والإنجيل بأنه صاحب الرسالة والتبجيل قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول
النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل وهذه الآية تدل على أنه لو لم يكن مكتوبًا لكان ذكر هذا
الكلام من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله لأن الإصرار على الكذب والبهتان من أعظم المنفرات لكن
العاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس عن قبول مقالته فلما قال لهم عليه السلام هذا دل على أن ذلك
النعت كان مذكورًا في التوراة والإنجيل وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته لكن أهل الكتاب كما قال الله تعالى يكتمون
الحق وهم يعلمون ويحرفون الكلم عن مواضعه والله يتم ما اللهم الله قد عرفوا محمدًا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا أبناءهم
وجدوه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل لكنهم حرفوهما وبدلوهما ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره
ولو كره الكافرون فلم يبق نبينا في كتابهما بعد تحريفهما طائفة وأعلام شرائعه ورسالته فيهما لاتحة وكيف
يخفى عنهم أنكرهم وهذا اسم النبي صلى الله عليه وسلم بالسريانية مشفحًا فشفح محمد بلا شك واعتبارها أنهم
يقولون شفحا لاها إذا أرادوا أن يقولوا الحمد لله وإذا كان الحمد شفحا فشفح محمد ولأن الصفات التي فرقها في
وفاق أحواله وزمانه ومخرجه ومبعثه وشريعته صلى الله عليه وسلم فليتدبر المتأمل من هذه الصفات له دون غيره

له الامم برمتها وانقادت له واستجابت لدعوته ومن صاحب الجمل الذي هلكت بابل واصنامها به
على انا لو لم نات بهذه الانباء والقصص من كتبهم لم يكن فيما اودع الله عز وجل القرآن دليل على ذلك
وفي تركهم جحد ذلك وانكاره وهو يقرعهم به دليل على اعترافهم له فانه يقول الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ويقول حكاية عن المسيح
اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ويقول
يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ويقول الذين اتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وكانوا يقولون لمخالفيهم عند القتال هذا نبي قد اظل مولده ويذكرون
من صفته ما يجدونه في كتابهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة وتحمل
انهم كانوا يظنونه انه من بني اسرائيل فلما بعثه الله من العرب من نسل اسمعيل عظم ذلك عليهم واظهروا
التكذيب فلعنة الله على الكافرين وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى اتباعه وتصديقه فكيف
يجوز ان يحتج بباطل من الحجج ثم يحيل ذلك على ما عندهم وما في ايديهم ويقول من علامة نبوتي
وصدقي انكم تجدوني مكتوبا عندكم وهم لا يجدونه كما ذكر اوليس ذلك مما يزيدهم عنه بعدا وقد كان
غنيا ان يدعوهم بما ينفرهم ويستميلهم بما يوحشهم وكم اسلم من اسلم من علمائهم كعبد الله بن سلام
وتميم الداري وكعب وقد وقفوا منه على مثل هذه الدعاوي وقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق
محمد بن حمزة بن عبد الله بن سلام عن جده ابن سلام انه لما سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خرج
فلقيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم اهل يثرب قال نعم قال ناشدتك الله الذي
انزل التوراة هل تجد صفتي في كتاب الله قال انسب ربك يا محمد فارتج النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
جبريل قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال ابن سلام اشهد انك رسول
الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق
ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يستقيم به الملة المعوجة حتى يقولوا لا
اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا قوله ليس بفظ ولا غليظ موافق لقوله
تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا يعارض قوله واغلظ عليهم
لان النفي محمول على طبعه الكريم الذي جبل عليه والامر محمول على المعالجة او النفي بالنسبة الى المؤمنين
والامر بالنسبة للكفار والمنافقين كما هو مصرح به في نفس الاية وقلوبا غلفا اي مغشاة مغطاة
واحدها اغلف ومنه غلاف السيف وغيره واخرج البيهقي وابو نعيم عن ام الدرداء امرأة ابي الدرداء قالت
قلت لكعب كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال كنا نجده موصوفا فيها
محمد رسول الله اسمه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق واعطي المفاتيح ليبصر الله به اعينا عورا
ويسمع به اذانا صما ويقيم به الالسنة المعوجة حتى تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له يعين المظلوم
ويمنعه من ان يستضعف وفي البخاري عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت
اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في
القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك

السنة معوجة حتى تشهد

المتوكل

المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه
الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وعند
ابن اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق
كريم ثم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته
والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه
اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واغني به بعد العيلة
واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة
اخرجت للناس واخرج البيهقي عن ابن عباس قال قدم الجارود فاسلم وقال والذي بعثك بالحق لقد
وجدت وصفك في الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول واخرج ابن سعد قال لما امر ابراهيم باخراج هاجر
حمل على البراق فكان لا يمر بارض عذبة سهلة الا قال انزل ها هنا يا جبريل فيقول لا حتى اتى مكة فقال
جبريل انزل يا ابراهيم قال حيث لا ضرع ولا زرع قال نعم ههنا يخرج النبي الذي من ذرية ابنك الذي تتم به
الكلمة العليا وفي التوراة مما اختاروه بعد الحذف والتحريف والتبديل مما ذكره ابن ظفر في البشر وابن قتيبة
في اعلام النبوة جاء الله من سينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران فسينا هو الجبل الذي كلم الله
فيه موسى وساعير هو الجبل الذي كلم الله فيه عيسى وظهرت فيه نبوته وجبال فاران وهو اسم عبراني
وليست الفه الاولى همزة وهي جبال بني هاشم التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في احدها وفيه
فاتحة الوحي وهو احد ثلاثة اجبال احدها ابو قبيس والمقابل له قعيقعان الى بطن الوادي والثالث
الشرقي فاران ومنحه الذي يلي قعيقعان الى بطن الوادي هو شعب بني هاشم وفيه مولده صلى الله عليه
وسلم على احد الاقوال قال ابن قتيبة وليس بهذا غموض لان مجيء الله من سينا انزاله التوراة على موسى عليه
السلام بطور سينا ويجب ان يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل وكان المسيح يسكن من
ساعير ارض الخليل بقرية تدعى ناصرة وباسمها سمي من اتبعه نصارى وكما وجب ان يكون اشراقه من ساعير
انزاله على المسيح فكذلك يجب ان يكون استعلانه من جبال فاران بانزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وهي
جبال مكة وليس بين المسلمين واهل الكتاب في ذلك اختلاف في ان فاران هي مكة وان ادعوا انها غير مكة
قلنا اليس في التوراة ان الله اسكن هاجر واسمعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه
فاران والنبي الذي انزل عليه كتابا بعد المسيح اوليس استعلن وعلن بمعنى واحد وهو ما ظهر وانكشف فهل
تعلمون دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها فشوه وفي التوراة ايضا مما ذكره
ابن ظفر خطابا لموسى والمراد به الذين اختارهم لميقات ربه الذين اخذتهم الرجفة خصوصا ثم بني اسرائيل
عموما والله ربك يقيم نبيا من اخوتك فاستمع له كالذي سالت ربك في حوريب يوم الاجتماع حين قلت
لا اعود اسمع صوت الله ربي لئلا اموت فقال الله لي نعم ما قالوا وسأقيم لهم نبيا مثلك من اخوتهم
واجعل كلامي في فمه ويقول لهم كل شيء امرته واي رجل لم يطع من تكلم باسمي فاني انتقم منه قال وفي هذا
الكلام ادلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقوله نبيا من اخوتهم وموسى وقومه من بني اسحق واخوتهم
بنو اسمعيل ولو كان هذا النبي الموعود به من بني اسحق لكان من انفسهم لا من اخوتهم واما قوله نبيا مثلك
وقد قال في التوراة لا يقوم في بني اسرائيل احد مثل موسى وفي ترجمة اخرى مثل موسى لا يقوم في بني اسرائيل ابدا

فذهب اليهود الى ان هذا النبي الموعود به هو يوشع بن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفؤا لموسى
عليه السلام بل كان خادما في حياته ومؤكدا لدعوته بعد وفاته فتعين ان يكون المراد به صلى الله عليه وسلم
فانه كفؤ موسى لانه ماثله في نصب الدعوة والتحدي بالمعجزة وشرع الاحكام واجراء النسخ على الشرايع
السالفة وقوله تعالى اجعل كلامي في فيه فانه واضح ان المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم لان
معناه اوحي اليه بكلامي فينطق به على ما سمعه ولا انزل صحفا ولا الواحا لانه امي لا يحسن ان يقرا المكتوب
وفي الانجيل مما ذكره ابن طغربك في الدر المنظم قال يوحنا في انجيله عن المسيح انه قال انا اطلب لكم
من الاب ان يعطيكم فارقليط اخر يكون معكم الى الابد روح الحق الذي لن يطيق العالم ان يتناوله وهو عند
ابن طغربك بلفظ ان احببتموني فاحفظوا وصيتي وانا اطلب الى ابي فيعطيكم فارقليط اخر يكون معكم هذا الدهر كله
قال فهذا تصريح بان الله سيبعث اليهم من يقوم مقامه وينوب في تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه
منابه وتكون شريعته باقية مخلدة ابدا فهل هذا الا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى ولم يذكر فصول
الفارقليط كما افاده ابن طغربك سوى يوحنا دون غيره من نقلة الاناجيل وقد اختلف النصارى في تفسير
الفارقليط فقيل هو الحامد وقيل المخلص فان وافقناهم على انه المخلص افضى بنا الامر الى ان المخلص رسول
ياتي لخلاص العالم وذلك من غرضنا لان كل نبي مخلص لامته من الكفر ويشهد له قول المسيح في الانجيل
اني جئت لخلاص العالم فاذا ثبت ان المسيح هو الذي وصف نفسه بانه مخلص العالم وهو الذي سال الاب
ان يعطيهم فارقليط اخر ففي مقتضى اللفظ ما يدل على انه قد تقدم فارقليط اول حتى ياتي فارقليط اخر وان
تنزلنا معهم على القول بانه الحامد فاي لفظ اقرب الى احمد ومحمد من هذا قال ابن طغربك وفي الانجيل مما
ترجموه ما يدل على ان الفارقليط الرسول فانه قال ان هذا الكلام الذي تسمعونه ليس هو لي بل للاب الذي
ارسلني بهذا الكلام لكم واما الفارقليط روح القدس الذي يرسله ابي باسمي فهو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم
كلما قلته لكم فهل بعد هذا بيان اليس هذا صريحا ان الفارقليط رسول يرسله الله وهو روح القدس وهو
يصدق بالمسيح ويظهر اسمه انه رسول حق من الله وليس باله وهو يعلم الخلق كل شيء ويذكرهم كلما قاله المسيح
عليه السلام لهم وكلما امرهم به من توحيد الله واشارة لمعاني هذه اللفظة مبدلة محرفة وليست منكرة
الاستعمال عند اهل الكتابين اشارة الى الرب سبحانه وتعالى لانه عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلم
معلمه الذي يستمد منه العلم ومن المشهور مخاطبة النصارى عظماء دينهم بالاب ... ولم تزل بنوا
اسرايل بزعمهم يقولون عن انبيا الله ... فهم عند الله تعالى واما قوله ... اشارة
الى شهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالصدق والرسالة وما تضمنه القران من مدحه ... في امه وفي
ترجمة اخرى للانجيل انه قال الفارقليط انا ذاهب وياتي العالم على الحقيقة ولا يقول من تلقاء نفسه ما يسمعه
يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث وهو عند ابن طغربك بلفظ فاذا جاء روح الحق ليس ينطق من عنده بل يتكلم
بكل ما يسمع ويخبركم بما ياتي وهو يمجدني لانه ياخذ مما هو لي ويخبركم نقوله ليس ينطق من عنده وفي الرواية الاخرى
ولا يقول من تلقاء نفسه بل يتكلم بكل ما يسمع اي من الله الذي ارسله وهذا كما قال الله تعالى في حقه صلى الله عليه
وسلم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقوله وهو يمجدني فلم يمجده حق تمجيده الا محمد صلى الله عليه
وسلم لانه وصفه بانه رسول الله وبراه وبرا امه عليهما السلام مما نسب اليهما ... قال
ابن طغربك فمن ذا الذي دعى العالم الى كتاب الحق وعرفها الكلم عن مواضعه ورفع الذين بالثمن البخس ومن ذا الذي

انبا

انبا بالحوادث واخبر بالغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم ولله در ابي محمد عبد الله الشقراطسي حيث
قال في قصيدته المشهورة • توراة موسى اتت عنه فصدقها • انجيل عيسى بحق غير منتحل
اخبار احبار اهل الكتب قد وردت • عما راوا ورووا في الاعصر الاول • ويعجبني قول العارف ابي عبد الله
ابن النعمان كذا هذا النبي محمد جاءت به • توراة موسى للانام تبشر • وكذاك انجيل المسيح موافق • ذكرا لاحمد معرب ومذكر
ويرحم الله ابن جابر حيث قال • لم تخل من نعته في كل جيل علامة • على ما حكته الكتب من امره الجلي
فجاء به انجيل عيسى باخر • كما قد حكت توراة موسى باول • وفي الدلايل للبيهقي عن الحاكم بسند
لا باس به عن ابي امامة الباهلي عن هشام بن العاص الاموي قال بعثت انا ورجل اخر الى هرقل صاحب الروم
ندعو الى الاسلام فذكر الحديث وانه ارسل اليهما ليلا قال فدخلنا عليه فدعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة
مذهبة فيها بيوت صغار عليها ابواب ففتح واستخرج حريرة سودا فنشرها فاذا فيها صورة حمراء
واذا رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ار مثل طول عنقه واذا له ضفيرتان احسن ما خلق الله تعالى
قال اتعرفون هذا قلنا لا قال هذا ادم عليه السلام ثم فتح بابا اخر فاستخرج حريرة سودا واذا
فيها صورة بيضا احمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال اتعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح
عليه السلام قال ثم فتح بابا اخر واخرج حريرة فاذا فيها صورة بيضا واذا فيه والله رسول الله
قال اتعرفون هذا قلنا نعم محمد رسول الله وبكينا قال والله انه قام قايما ثم جلس وقال انه لهو
قلنا نعم انه لهو كانك تنظر اليه فامسك ساعة ينظر اليها ثم قال اما والله انه اخر البيوت
ولكني عجلته لانظر ما عندكم الحديث وفيه ذكر صور الانبيا ابرهيم وموسى وعيسى وسليمن وغيرهم
قال فقلنا له من اين لك هذه الصور فقال ان ادم عليه السلام سال ربه ان يريه الانبيا من ولده فانزل
الله عليه صورهم فكان في خزانة ادم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب
الشمس فدفعها الى دانيال وفي زبور داود عليه السلام في مزمور اربعة واربعين فاضت النعمة من
شفتيك من اجل هذا باركك الله الى الابد تقلد ايها الجبار السيف فان شرايعك وسننك مقرونة بهيبة
يمينك وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون تحتك هذا المزمور يتحقق بمحمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة
التي فاضت من شفتيه هي القول الذي يقوله وهو الكتاب الذي انزل عليه والسنة التي سنها وفي قوله
تقلد سيفك ايها الجبار دلالة على انه النبي العربي اذ ليس يتقلد السيوف امة من الامم سوى العرب فكلهم
يتقلد وهذا على اختلاف ... وفي قوله فان شرايعك وسننك نص صريح انه صاحب شريعة وسنة وانها
تقوم بسيفه والجبار الذي يجبر الخلق بالسيف على الحق ويصرفهم عن الكفر جبرا وعن وهب بن منبه قال
قرات في بعض الكتب القديمة قال الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لانزلن على جبال العرب نورا املا ما
بين المشرق والمغرب ولاخرجن من ولد اسمعيل نبيا عربيا اميا يومن به عدد نجوم السما ونبات الارض
كلهم يومن بي ربا وبه رسولا يكفرون بملل ابائهم ويفرون منها قال موسى سبحانك وتقدست اسماوك
لقد كرمت هذا النبي وشرفته قال الله يا موسى اني انتقم من عدوه في الدنيا والاخرة واظهر دعوته على كل
دعوة واذل من خالف شريعته بالعدل زينته والقسط اخرجته وعزتي لاستنقذن به امما من النار فتحت
الدنيا بهم وختمتها بمحمد فمن ادركه ولم يومن به ولم يدخل في شريعته فهو من الله بري ذكره ابن طغربك وغيره

النوع الخامس في ايات تتضمن اشارته تعالى على تحقيق رسالته وثبوت ما

ما أوحى إليه من آياته وعلو رتبته الرفيعة ومكانته

وهذا النوع أعزك الله لخصت أكثره من كتاب أقسام القرآن للعلامة ابن القيم مع زيادات من زوائد
الفوائد اعلم أنه تعالى أقسم بأمور على أمور وإنما أقسم بنفسه الموصوفة بصفاته أو آياته المستلزمة لذاته
وصفاته وإقسامه ببعض مخلوقاته دليل على أنه من عظيم آياته ثم إنه تعالى تارة يذكر جواب القسم وهو
الغالب وتارة يحذفه وتارة يقسم على أن القرآن حق وتارة على أن الرسول حق وتارة على أن الجزاء والوعد
والوعيد فالأول كقوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم والثاني حق
كقوله تعالى يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين والثالث كقوله والذاريات ذروا إلى قوله وإن الدين
لواقع وهذه الأمور الثلاثة متلازمة فمتى ثبت أن الرسول حق ثبت أن القرآن حق وثبت المعاد ومتى
ثبت أن القرآن حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به ومتى ثبت أن الوعد والوعيد حق ثبت صدق الرسول
الذي جاء به وفي هذا النوع خمسة فصول **الفصل الأول** في قسمه تعالى على ما خصه به من الخلق العظيم وحباه
من الفضل العميم قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون
وإنك لعلى خلق عظيم ن من أسماء الحروف كالم والمص وق واختلف فيها فقيل هي أسماء للقرآن وقيل قيل
أسماء السور وقيل أسماء الله ويدل عليه أن عليا كان رضي الله عنه يقول يا كهيعص يا حم عسق كما روي
ولعله أراد يا منزلهما وقيل إنه سر استأثر الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة
ما يقرب منه ولعلهم أرادوا أنها أسرار بين الله ورسوله لم يقصد بها إفهام غيره إذ يبعد الخطاب بما لا
يفيد وهل المراد بقوله هنا نون اسم الحوت وهل المراد به الجنس أو البهموت وهو الذي عليه الأرض
وقيل المراد به الدواة وهو مروي عن ابن عباس ويكون هذا قسما بالدواة والقلم فإن المنفعة بهما بسبب
الكتابة عظيمة فإن التفاهم تارة يحصل بالنطق وتارة بالكتابة وقيل إن نون لوح من نور يكتب
فيه الملائكة ما يأمرهم به رواه معاوية بن قرة مرفوعا أقسم تعالى بالكتاب وآلته وهو القلم الذي هو
إحدى آياته وأول مخلوقاته الذي جرى به قدره وشرعه وكتب به الوحي وقيد به الدين وأثبتت به
الشريعة وحفظت به العلوم وقامت به مصالح العباد في المعاش ودام في الناس بلا خطيب واعظه
وانبعثه لهم والنصح ولعظاته تشفي مواعظه القلوب من السقم وطبيبا يبرئ بإذن الله بارئه من أنواع الألم
على تنزيه نبيه ورسوله محمد المحمود في كل أفعاله وأقواله مما غمصه أعداؤه الكفرة به وتكذيبهم له
بقوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون وكيف يرمى بالجنون من أتى بما عجزت العقلاء قاطبة عن معارضته
وكلت عن مماثلته وعرفهم من الحق ما لا اهتدت إليه عقولهم بحيث أذعنت له عقول العقلاء وخضعت
له ألباب الألباء وتلاشت في جنب ما جاء به بحيث لم يسعها إلا التسليم له والانقياد والإذعان طائعة
مختارة فهو الذي كمل عقولها كما يكمل الطفل برضاع الثدي ثم أخبر تعالى عن كمال حالتي نبيه صلى الله
عليه وسلم في دنياه وأخراه فقال وإنك لعلى خلق عظيم أي ثواب غير منقطع بل هو دائم مستمر ونكر وإن لك لأجرا غير ممنون
الأجر للتعظيم أي أجرا عظيما لا يدركه الوصف ولا يناله التعبير ثم أثنى عليه بما منحه فقال وإنك لعلى
خلق عظيم وهذه من أعظم آيات نبوته ورسالته ولقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله
عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ومن ثم قال ابن عباس وغيره أي على دين عظيم وسمي الدين خلقا
لأن الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة وإرادات زكية وأعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والحكمة

والحكمة والمصلحة وأقوال مطابقة للحق تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات
فتكتسب النفس بها أخلاقا هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها وهذه كانت أخلاقه صلى الله عليه وسلم
المقتبسة من القرآن فكان كلامه مطابقا للقرآن تفصيلا وتبيينا وعلومه علوم القرآن وإراداته
وأعماله ما أوجبه وندب إليه القرآن وإعراضه وتركه لما منع القرآن ورغبته فيما رغب فيه
وزهده فيما زهد فيه وكراهته لما كرهه ومحبته لما أحبه وسعيه في تنفيذ أوامره فترجمت
أم المؤمنين لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها كان خلقه القرآن
وفهم السائل رحمها الله هذا المعنى فاكتفى به واشتفى ولما وصفه تعالى بأنه على خلق عظيم قال فستبصر
ويبصرون بأيكم المفتون أي فسترى يا محمد ويرى المشركون كيف عاقبة أمرك فإنك تصير معظما
في القلوب ويصيرون أذلاء مغلوبين وتستولي عليهم بالقتل والنهب **الفصل الثاني** في قسمه تعالى
على ما أنعم به عليه وأظهره من قدره العلي لديه قال الله تعالى والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما
قلى السورة أقسم تعالى على إنعامه على رسوله صلى الله عليه وسلم وإكرامه له وإعطائه ما يرضيه وذلك
متضمن لتصديقه له فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه في الآخرة فهو قسم على النبوة والمعاد وأقسم
تعالى بآيتين عظيمتين من آياته الدالين على ربوبيته ووحدانيته وحكمته ورحمته وهما الليل والنهار
وفسر بعضهم كما حكاه الإمام فخر الدين الضحى بوجهه صلى الله عليه وسلم والليل بشعره قال ولا استبعاد
فيه وتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل المقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه
بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه ودع محمدا ربه فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره
بعد ظلمة احتباسه واحتجابه وأيضا فإن الذي اقتضت رحمته أن لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدا بل هداهم
بضوء النهار إلى مصالحهم ومعايشهم لا يتركهم في ظلمة الجهل والغي بل يهديهم بنور الوحي والنبوة إلى مصالح دنياهم
وآخرتهم فتأمل حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه وتأمل هذه الجزالة والرونق الذي على هذه الألفاظ والجلالة
التي على معانيها ونفى سبحانه أن يكون ودع نبيه أو قلاه فالتوديع الترك والقلا البغض أي ما تركك منذ اعتنى بك
ولا أبغضك منذ أحبك وحذف الكاف من قلا اكتفاء بكاف ودعك ولأن رءوس الآيات بالياء فأوجب
اتفاق الفواصل حذفها وهذا يعم كل أحواله وأن كل حالة يرقيه إليها هي خير له مما قبلها كما أن الدار الآخرة
هي خير له مما قبلها ثم وعده بما تقر به عينه وتفرح به نفسه وينشرح به صدره وهو أن يعطيه فيرضى وهذا
يعم ما يعطيه من القرآن والهدى والنصر والظفر بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجا
والغلبة على بني قريظة والنضير وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار
الأرض من المدائن وما قذف في قلوب أعدائه من الرعب ونشر الدعوة ورفع ذكره وإعلاء كلمته وما يعطيه
بعد مماته وما يعطيه في موقف القيامة من الشفاعة والمقام المحمود وما يعطيه في الجنة من الوسيلة والدرجة
الرفيعة والكوثر وقال ابن عباس يعطيه ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابها المسك وفيها ما يليق بها وبالجملة
فقد دلت هذه الآية على أنه تعالى يعطيه عليه السلام كلما يرضيه وأما ما اغتر به الجهال من أنه لا يرضى وأحد
من أمته في النار ولا يرضى أن يدخل أحد من أمته النار فهو من غرور الشيطان لهم ولعبه بهم فإنه صلوات الله
وسلامه عليه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة
ثم يحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم حدا يشفع فيهم كما سيأتي إن شاء الله تعالى في الفصل الآخر ورسوله عليه

السلام اعرف به وبمحبته من ان يقول لا ارضى ان تدخل احد من امتي النار ويدعه فيها بل ربه تبارك وتعالى
يأذن له فيشفع فيمن شاء الله ان يشفع فيه ولا يشفع في غير من اذن له ورضيه ثم ذكر سبحانه بنعمه عليه
من ايوائه بعد يتمه فقال الم يجدك يتيما فاوى وذهب بعضهم الى ان معنى اليتيم من قولهم درة يتيمة
اي الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك اليه واغناك بعد الفقر ثم امره سبحانه ان يقابل هذه
النعم الثلاث بما يليق بها من الشكر فنهاه ان يقهر اليتيم وان ينهر السائل وان يكتم النعمة بل يحدث بها
فان من شكر النعمة الحديث بها وقيل المراد بالنعمة النبوة والحديث بها تبليغها

الفصل الثالث

في قسمه تعالى على تصديق نبيه عليه السلام فيما اتى به من وحيه وكتابه وتنزيهه عن الهوى في خطابه
قال الله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى اقسم تعالى بالنجم على تنزيه
رسوله وبراءته مما نسبه اليه اعداؤه من الضلال والغي واختلف المفسرون في المراد بالنجم باقوال معروفة
منها النجم على ظاهره وتكون اللام لتعريف العهد في قول ولتعريف الجنس في اخر وهي النجوم التي يهتدى بها وقيل
الثريا اذا سقطت وغابت وهو مروي عن ابن عباس في رواية علي بن ابي طلحة وعطية والعرب اذا اطلقت
النجم تريد به الثريا وعن ابن عباس في رواية عكرمة النجوم التي ترمى بها الشياطين اذا سقطت في اثارها
عند استراق السمع وهذا قول الحسن وعن السدي الزهرة وعن الحسن النجوم اذا سقطت يوم القيمة وقيل
المراد به النبت الذي لا ساق له وهوى اي سقط على الارض وقيل القران رواه الكلبي عن ابن عباس لانه نزل
نجوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول مجاهد ومقاتل والضحاك وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
هو محمد صلى الله عليه وسلم اذا هوى اذا نزل من السما ليلة المعراج واظهر الوجوه الاول كما قاله ابن القيم انها النجوم
التي ترمى بها الشياطين ويكون سبحانه قد اقسم بهذه الاية الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله تعالى اية وحفظا
للوحي من استراق الشياطين على ان ما اتى به رسوله حق وصدق لا سبيل للشيطان ولا طريق له اليه بل قد
حرس بالنجم اذا هوى رصدا بين يدي الوحي وحرسا له وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في غاية
الظهور وفي المقسم به دليل على المقسم عليه وليس البين تسمية القران عند نزوله بالنجم اذا هوى ولا تسمية
نزوله هويا ولا عهد في القران بذلك فيحمل هذا اللفظ عليه وليس بالبين تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها اذا
غابت وليس بالبين ايضا القسم بالنجوم عند انتثارها يوم القيمة بل هذا مما يقسم الرب عليه ويدل عليه باياته
فلا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره للمخاطبين ولا سيما منكر البعث وانه سبحانه انما يستدل بما لا يمكن جحده
ولا المكابرة فيه ثم انه بين المقسم به والمقسم عليه ما لا يخفى فان قلنا ان المراد بالنجوم التي للاهتدا فالمناسبة ظاهرة من المناسبة ح
وان قلنا ان المراد الثريا فلانه اظهر النجوم عند الرائي لانه لا يشتبه بغيره في السما بل هو ظاهر لكل احد والنبي
صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل بما منح من الايات البينات ولان الثريا اذا ظهرت من المشرق حان ادراك الثمار
واذا ظهرت من المغرب قرب اواخر الخريف فتقل الامراض والنبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر قل الشرك والامراض
القلبية وان قلنا ان المراد بها القران فهو مناسب لان يعجز به صلى الله عليه وسلم على صدقه وبراءته وانه ما ضل ولا
غوى وان قلنا ان المراد النبات فالمناسبة به ان النبات القوى الجسمانية وصلاحها والقوى العقلية اولى بالصلاح
وذلك بالرسل وايضاح السبل وتامل كيف قال تعالى ما ضل صاحبكم ولم يقل ما ضل محمد تاكيدا لاقامة الحجة
عليهم بانه صاحبهم وهم اعلم الخلق به وبحاله واقواله واعماله وانهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون
عليه امرا واحدا قط وقد نبه تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل ام لم يعرفوا رسولهم ثم نزه نطق رسوله صلى الله

عليه

عليه وسلم ان يصدر عن هوى فقال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولم يقل وما ينطق بالهوى
لان نفي نطقه عن الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر عن هوى واذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به
فيتضمن نفي الامرين نفي الهوى عن مصدر النطق ونفيه عن النطق نفسه فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد
لا الغي والضلال ثم قال ان هو الا وحي يوحى فاعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل اي ما نطقه الا وحي يوحى
وهذا احسن من جعل الضمير عائدا الى القران فان نطقه بالقران والسنة وان كليهما وحي يوحى قال
الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وهما القران والسنة وذكر الاوزاعي عن حسان بن عطية
قال كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقران يعلمه اياها ثم اخبر
تعالى عن وصف من علمه الوحي والقران بما يعلم انه مضاد لاوصاف الشيطان معلم الضلال والغواية فقال
علمه شديد القوى وهو جبريل اي قواه العلمية والعملية كلها شديدة ولا شك ان مدح المعلم مدح المتعلم
فلو قال علمه جبريل ولم يصفه لم يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم به فضيلة ظاهرة وهذا نظير قوله تعالى ذي قوة عند
ذي العرش كما سيأتي الكلام فيه ان شاء الله تعالى ثم اخبر سبحانه وتعالى عن تصديق فؤاده لما راته عيناه وان
القلب صدق العين وليس كمن راى شيا على خلاف ما هو به فكذب فؤاده بصره بل ما راه ببصره صدقه الفؤاد
وعلم انه كذلك وفي حديث قصة الاسرا مزيد لما ذكرته هنا والله الموفق والمعين وقال تعالى فلا اقسم بالخنس
الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم اي لا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او اقسم ولا مزيدة
للتاكيد وهذا قول اكثر المفسرين بدليل قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم قال الزمخشري والوجه
ان يقال هي للنفي اي انه لا يقسم بالشي الا اعظاما له فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي باقسامي به
كلا اعظام يعني انه يستاهل فوق ذلك اقسم تعالى بالنجوم في احوالها الثلاثة من طلوعها وجريانها وغروبها
وبانصرام الليل واقبال النهار عقيبه من غير فصل فذكر سبحانه حالة ضعف هذا وادباره وحالة قوة هذا
وتنفسه واقباله يطرد ظلمة الليل بتنفسه فكلما تنفس هرب الليل وادبر بين يديه وذلك من اياته ودلائل ربوبيته
ان القران لقول رسول كريم وهو هنا جبريل لانه ذكر صفته قطعا بعد ذلك بما يعينه به واما الرسول الكريم
في الحاقة فهو محمد صلى الله عليه وسلم فاضافه الى الرسول الملكي تارة والى البشري اخرى واضافته اليهما اضافة
تبليغ لا اضافة انشاء من عندهما ولفظ الرسول يدل على ذلك فان الرسول هو الذي يبلغ كلام من ارسله
فهذا صريح في انه كلام من ارسل جبريل ومحمدا صلى الله عليه وسلم فجبريل تلقاه عن الله ومحمد صلى الله عليه وسلم تلقاه عن
جبريل وقد وصف الله تعالى رسوله الملكي في هذه السورة بانه كريم يعطي افضل العطايا وهي العلم والمعرفة والهدى
والبر والارشاد وهذا غاية الكرم ذي قوة كما قال في النجم علمه شديد القوى فيمنع بقوته الشياطين ان تدنو منه
الاربع ح وان يزيدوا فيه او ينقصوا منه وروي انه رفع قريات قوم لوط على قوادم جناحه حتى سمع اهل السما نباح كلابها
واصوات ديكتها عند ذي العرش مكين اي متمكن المنزلة وهذه العندية عندية الاكرام والتشريف والتعظيم
مطاع في ملائكة الله المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه امين على وحي الله ورسالاته قد عصمه
الله من الخيانة والزلل فهذه خمس صفات تتضمن تزكية سند القران وانه سماع محمد صلى الله عليه وسلم
من جبريل وسماع جبريل من رب العالمين فناهيك بهذا السند علوا وجلالة فقد تولى الله تزكيته بنفسه
ثم نزه رسوله البشري وزكاه مما يقول فيه اعداؤه فقال وما صاحبكم بمجنون وهذا امر يعلمونه ولا يشكون
فيه وان قالوا بالسنتهم خلافه فهم يعلمون انهم كاذبون ثم اخبر عن رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام

وهذا يتضمن انه ملك موجود في الخارج يرى بالعيان ويدرك بالبصر خلافا لقوم حقيقته عندهم انه خيال
موجود في الاذهان لا في العيان وهذا مما خالفوا فيه جميع الرسل واتباعهم وخرجوا به عن جميع الملل
ولهذا كان تقرير رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل اهم من تقرير رؤيته لربه تبارك وتعالى فان رؤيته
عليه السلام لجبريل هي اصل الايمان الذي لا يتم الا باعتقادها ومن انكرها كفر قطعا واما رؤيته
لربه تعالى فغاية ما تكون مسئلة نزاع لا يكفر جاحدها بالاتفاق وقد صرح جماعة من الصحابة بانه
لم يره فتقرير رؤيته لجبريل احوج منا الى تقرير رؤيته لربه تعالى وان كانت رؤية الرب سبحانه اعظم من لجبريل
رؤية جبريل فان النبوة لا تتوقف عليها البتة ثم نزه تعالى رسوليه كليهما صلى الله عليهما وسلم احدهما
بطريق النطق والثاني بطريق المفهوم عما يضاد مقصود الرسالة من الكتمان الذي هو الضنة والبخل والتبديل
والتغيير الذي يوجب التهمة فقال وما هو على الغيب بضنين فان الرسالة لا يتم مقصودها الا باداءها
ادائها من غير كتمان وادائها على وجهها من غير زيادة ولا نقصان والقراءتان كالايتين فتضمنت احداهما
وهي قراءة الضاد تنزيهه عن البخل فان الضنين البخيل يقال ضننت به اضن بوزن بخلت ابخل ومعناه
وقال ابن عباس ليس بخيل بما انزل الله وقال مجاهد لا يضن عليهم بما يعلم واجمع المفسرون على ان
الغيب ههنا القرآن والوحي قال الفراء يقول يأتيه غيب من السماء وهو منفوس فيه فلا يضن به عليكم وهذا
معنى حسن جدا فان عادة النفوس الشح بالشيء النفيس ولاسيما عمن لا يعرف قدره ومع هذا فالرسول صلى
الله عليه وسلم لا يبخل عليكم بالوحي الذي هو انفس شيء واجله وقال ابو علي الفارسي المعنى يأتيه الغيب
فيبينه ويخبر به ويظهره ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده ويخفيه حتى ياخذ عليه حلوانا واما
من قراه بظنين بالظاء فمعناه المتهم يقال ظننت زيدا بمعنى اتهمته وليس هو من الظن الذي هو الشعور
والادراك فان ذلك يتعدى الى مفعولين والمعنى وما هذا الرسول على القرآن بمتهم بل هو امين فيه
لا يزيد فيه ولا ينقص منه وهذا يدل على ان الضمير فيه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم لانه قد تقدم
وصف الرسول الملكي بالامانة ثم قال وما صاحبكم بمجنون ثم قال وما هو اي وما صاحبكم بمتهم
ولا بخيل فنفى سبحانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كله وزكى سند القرآن اعظم تزكية والله
يقول الحق وهو يهدي السبيل وقال تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم
الايه اقسم تعالى بالاشيا كلها ما يبصر منها وما لا يبصر وهذا اعم قسم وقع في القرآن فانه يعم العلويات
والسفليات والدنيا والاخرة وما يرى وما لا يرى ويدخل في ذلك الملائكة كلهم والجن والانس والعرش
والكرسي وكل مخلوق وذلك كله من ايات قدرته وربوبيته ففي ضمن هذا القسم ان كل ما يرى وما لا يرى
اية ودليل على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وان ما جاء به هو من عند الله تعالى وهو كلامه تعالى لا كلام
شاعر ولا مجنون ولا كاهن وانه حق ثابت كما ان سائر الموجودات ما يرى منها وما لا يرى حق كما قال
تعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون فكانه سبحانه وتعالى يقول ان القرآن حق كما ان ما
تشاهدونه حق موجود ويكفي الانسان من جميع ما يبصره وما لا يبصره نفسه وهذا خلقه ونشاته وما من الخلق وما لا تشاهدونه صح
يشاهد من احواله ظاهرا او باطنا ففي ذلك ابين دلالة على وحدانية الرب سبحانه وثبوت صفاته وصدق
ما اخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم ومن لم يباشر قلبه ذلك حقيقة لم تخالط بشاشة الايمان قلبه ثم قرر
اقامة البرهان القاطع على صدق رسوله وانه لم يتقول عليه فيما قاله وانه لو تقول عليه وافترى لما

اقره

اقره ولعاجله بالاهلاك فان كمال علمه وقدرته وحكمته يابى ان يقر من تقول عليه وافترى عليه
واضل عباده واستباح دماء من كذبه وحريمهم واموالهم فكيف يليق وتظهره بهم يسفك دماءهم
ويستبيح اموالهم واولادهم ونساءهم قائلا ان الله امرني بذلك واباحه لي بل كيف يليق به ان يصدقه بانواع
التصديق كلها فيصدقه باقراره وبالايات المستلزمة لتصديقه ثم يصدقه بانواعها كلها على اختلافها
فكل اية على انفرادها مصدقة له ثم يقيم الدلالة القاطعة على ان هذا قوله وكلامه فيشهد له باقراره
وفعله وقوله فمن اعظم المحال وابطل الباطل وابين البهتان ان يجوز على احكم الحاكمين ان يفعل ذلك
والمراد بالرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم كما تقدمه لانه لما قال انه لقول رسول كريم ذكر
بعده انه ليس بقول شاعر ولا كاهن والمشركون ما كانوا يصفون جبريل عليه السلام بالشعر والكهانة
ومن ذلك قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون
لا يمسه الا المطهرون وقيل المراد بالكتاب المكنون اللوح المحفوظ قال ابن القيم والصحيح انه الكتاب الذي مرفوعة مكرمة
بايدي الملائكة وهو المذكور في قوله تعالى في صحف مكرمة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة قال مالك احسن ما سمعت
وهذه انها مثل الذي في عبس قال ومن المفسرين من قال ان المراد ان المصحف لا يمسه الا طاهر والاول
ارجح لان الاية سيقت تنزيها للقرآن ان تنزل به الشياطين وان محله لا يصل اليه كما قال تعالى وما
تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون وايضا فان قوله لا يمسه بالرفع فهذا خبر لفظا ومعنى
ولو كان نهيا لكان مفتوحا ومن حمل الاية على النهي احتاج الى صرف الخبر عن ظاهره الى معنى النهي والاصل
في الخبر والنهي حمل كل منهما على حقيقته وليس هنا موجب يوجب صرف الكلام عن الخبر الى النهي ملخصا
وهذا الذي قاله ابن القيم قد تمسك به جماعة منهم داود بانه يجوز مس المصحف للمحدث وقد اجاب ابن
الرفعة في الكفاية عن ادلتهم المزخرفة فقال ما نعته القرآن لا يصح مسه فعلم ان المراد به الكتاب الذي هو بين
المذكورين ولا يتوجه النهي الى اللوح المحفوظ لانه غير منزل ومسه غير ممكن ولا يمكن ان يكون المراد بالمطهرين بررة
الملائكة لانه قد نفى واثبت فكانه قال يمسه المطهرون ولا يمسه غير المطهرين والسماء ليس فيها غير مطهر
بالاجماع فعلم انه اراد المطهرين من الادميين ويتبين ذلك بما روي انه عليه الصلوة والسلام قال في كتاب
عمرو بن حزم المروي في الدارقطني وغيره ولا يمس القرآن الا وانت على طهر ثم قال فان قيل فقد قال الواحدي
ان اكثر اهل التفسير على ان المراد اللوح المحفوظ وان المطهرين الملائكة ثم لو صح ما قلتم لم يكن فيها دليل لان
قوله لا يمسه بضم السين ليس بنهي عن المراد ولو كان نهيا لكان بفتح السين فجوابه اخبر قلنا اما قول اكثر
المفسرين فهو معارض بقول الباقين والمرجع الى الدليل وهو كون المراد بالاية الخبر والجواب انا نقول اللفظ
لفظ الخبر ومعناه النهي وهو كثير في القرآن قال الله تعالى لا تضار والدة بولدها والمطلقات يتربصن بانفسهن
واجاب العلامة البساطي في شرحه لمختصر الشيخ خليل بان يمسه مجزوم وضم السين لاجل الضمير كما صرح به
جماعة وقالوا انه مذهب البصريين ومنهم ابن الحاجب في شافيته انتهى وقد ذكر هذا العلامة شهاب ابن مسعود
الدين احمد بن يوسف الحلبي المشهور بالسمين مع زيادة ايضاح وفوائد فقال في لا هذه وجهان احدهما ان لا
ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى لم يمسسهم سوء ولكنه ادغم
ولما ادغم حرك اخره بالضمة لاجل هاء ضمير المذكر الغائب ولم يحفظ سيبويه في نحو هذا الا الضم وفي الحديث
انا لم نرده عليك الا انا حرم وان كان القياس جواز فتحه تخفيفا قال وهذا الذي ذكره يظهر فساده من
رد بانه لو كان نهيا لكان يقال لا يمسه بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل الهاء في هذا النحو لاسيما على

فيه ان العلم الى الكتابة بالكسر بيان ان السطور بسبل الوراق

راى سيبويه فانه لا يجيز غيره **الفصل الرابع** في قسمه تعالى على تحقيق رسالته قال الله سبحانه
وتعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين الاية اعلم ان كل سورة بدأ الله تعالى فيها بحرف التهجي
كان في اوائلها الذكر او الكتاب او القرآن الا ان تراك في ذكر هذه الحروف في اوائل السور امورا تدل
على انها غير خالية عن الحكمة لكن علم الانسان لا يصل اليها الا ان كشف الله له سر ذلك واختلف
المفسرون في معنى يس على اقوال احدها انها يا انسان بلغة طيء وهذا قول ابن عباس والحسن وعكرمة
والضحاك وسعيد بن جبير وقيل بلغة الحبشة وقيل بلغة كلب وحكى الكلبي انها بالسريانية قال الامام
فخر الدين وتقريره هو ان تصغير انسان انيسين وكانه حذف الصدر منه واخذ العجز وقال يس وعلى هذا
فيكون الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى انك لمن المرسلين ونقضه ابو حيان بان
الذي نقل عن العرب في تصغير انسان انيسيان بيا بعدها الف فدل على ان اصله انسيان لان التصغير
يرد الاشياء الى اصولها ولا نعلم انهم قالوا في تصغيره انيسين وعلى تقدير انه يصغر كذلك فلا يجوز ذلك الا ان
يبنى على الضم لانه منادى مقبل عليه ومع ذلك فلا يجوز لانه تحقير ويمتنع ذلك في حق النبوة انتهى قال السمين
وهذا الاعتراض الاخير صحيح فقد نصوا على ان التصغير لا يدخل في الاسماء المعظمة شرعا ولذلك يحكى ان ابن قتيبة
لما قال في المهيمن انه مصغر من مومن والاصل مؤيمن فابدلت الهمزة هاء قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله
كانه اتق وقيل معنى يس يا محمد قاله ابن الحنفية والضحاك وقيل يا رجل قاله ابو العالية وقيل هو اسم من
اسماء القرآن قاله قتادة وعن ابي بكر الوراق يا سيد البشر وعن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة
للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه من تعظيمه وتمجيده ما لا يخفى وعن طلحة عن ابن عباس انه قسم اقسم الله به
وهو من اسمائه وعن كعب اقسم الله قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال
والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا فاقسم الله باسمه وكتابه
انه من المرسلين بوحيه الى عباده وعلى طريق مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال
النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له صلى الله عليه وسلم **الفصل الخامس**
في قسمه تعالى بمدة حياته صلى الله عليه وسلم وعصره وبلده قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
العمر والعمر واحد ولكنه في القسم يتعين الفتح لكثرة الاستعمال فاذا اقسموا قالوا لعمرك القسم قال النحويون ارتفع قوله
لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى قسمي فحذف الخبر لان في الكلام دليلا عليه وباب القسم يحذف منه الفعل
نحو بالله لافعلن والمعنى احلف بالله فحذف احلف لعلم المخاطب بانك حالف قال الزجاجي من قال لعمر الله
كانه حلف ببقاء الله ومن ثم قال المالكية والحنفية ينعقد بها اليمين لان بقاء الله من صفات ذاته وعن مالك
لا يعجبني الحلف بذلك وقال الامام الشافعي واسحق لا يكون يمينا الا بالنية وعن احمد كالمذهبين والراجح عنه كالثاني
واختلف في من المخاطب في الاية على قولين احدهما ان الملائكة قالت للوط عليه السلام لما وعظ قومه
وقال هؤلاء بناتي لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اي يتحيرون فكيف يعقلون قولك ويلتفتون الى نصحك
الثاني ان المخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه تعالى اقسم بحياته وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع
وجاه عريض قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم
وما سمعت الله اقسم بحياة احد غيره قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون يقول وحياتك وعمرك
وبقائك في الدنيا انهم لفي سكرتهم يعمهون رواه ابن جرير وابن مردويه بتوله وما سمعت الله المتلو في الكتب المنزلة
ورواه البغوي في تفسيره بلفظ وما اقسم الله بحياة احد الا بحياته وما اقسم بحياة احد غيره وذلك يدل على انه

اكرم خلق الله على الله وعلى هذا فيكون قسمه تعالى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم كلاما معترضا في قصة
لوط قال القرطبي واذا اقسم الله تعالى بحياة نبيه فانما اراد به بيان التصريح لنا انه يجوز لنا ان نحلف بحياته
ولهذا قال الامام احمد فيمن اقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم ينعقد به يمينه ويجب الكفارة بالحنث واحتج
بكونه صلى الله عليه وسلم احد ركني الشهادة وقال ابن خويز منداد واستدل من جوز الحلف به عليه
الصلوة والسلام بان ايمان المسلمين جرت من عهده صلى الله عليه وسلم ان يحلفوا به صلى الله عليه وسلم
حتى ان اهل المدينة الى يومنا هذا اذا جاء صاحبه وقال احلف لي بحق ما حواه صاحب هذا القبر و
بحق ساكن هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد
الاية اقسم تعالى بالبلد الامين وهو مكة ام القرى وهي بلده عليه السلام وقيده بحلوله عليه السلام
فيه اظهارا لمزيد الفضيلة واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله قاله البيضاوي ثم اقسم بالوالد وما ولد
وهو نبينا قيل ابراهيم واسمعيل وما ولد محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فتضمن السورة القسم به في موضعين
وقيل المراد به ادم وذريته وهو قول الجمهور من المفسرين وانما اقسم تعالى بهم لانهم اعجب خلق الله على وجه
الارض لما فيهم من البيان والنطق واستخراج العلوم وفيهم الانبياء والدعاة الى الله تعالى والانصار لدينه
وكل ما في الارض من مخلوق خلق لاجلهم وعلى هذا فقد تضمن القسم اصل المكان واصل السكان فمرجع البلاد
الى مكة ومرجع العباد الى ادم وقوله وانت حل هو من الحلول ضد الظعن فيتضمن اقسامه تعالى ببلد مشتمل
على عبده ورسوله فهو خير البقاع واشتمل على خير العباد فقد جعل الله تعالى بيته هدى للناس ونبيه اماما
وهاديا لهم وذلك من اعظم نعمه واحسانه الى خلقه وقيل المعنى وانت مستحل فيك ولخارجك من هذا
البلد الامين الذي يامن فيه الطير والوحش وقد استحل فيه قومك حرمتك وهذا مروي عن شرحبيل بن سعد
وعن قتادة وانت حل اي لست باثم وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت وذلك ان الله تعالى فتح عليه مكة
واحلها وما فتحت على احد قبله فاحل ما شاء وحرم ما شاء فقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة
وغيره وحرم دار ابي سفيان فان قلت هذه السورة مكية وانت حل بهذا البلد اخبار عن الحال والواقعة
التي ذكرت في اخر مدة هجرته الى المدينة فكيف الجمع بين الامرين اجيب بانه قد يكون اللفظ للحال والمعنى
مستقبل كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون وعلى كل حال فهذا متضمن للقسم ببلد رسوله عليه السلام ولا
يخفى ما فيه من زيادة التعظيم وقد روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان اقسم بحياتك دون سائر الانبياء ولقد
بلغ من فضيلتك عنده ان اقسم بتراب قدميك فقال لا اقسم بهذا البلد وقال تعالى والعصر ان الانسان
لفي خسر اختلف في تفسير العصر على اقوال فقيل هو الدهر لانه مشتمل على الاعاجيب لانه يحصل فيه
السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر وغير ذلك ولان العصر الذي عمرت به ينقضي عمرك فاذا لم تكن في مقابلته
كسب صار ذلك عين الخسران ولله در القائل انا لنفرح بالايام نقطعها وكل يوم مضى نقص من الاجل
وفي تفسير الامام فخر الدين والبيضاوي وغيرهما انه قسم بزمان الرسول صلى الله عليه وسلم قال الامام
الرازي واحتجوا له بقوله صلى الله عليه وسلم انما مثلكم ومثل من كان قبلكم كمثل رجل استاجر اجراء فقال
من يعمل لي من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من الظهر الى العصر بقيراط فعملت النصارى
ثم قال من يعمل لي من العصر الى المغرب بقيراطين فعملتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا

ما قل اجراً فقال الله تعالى وهل نقصت من اجركم شيئاً قالوا لا قال فذلك فضلي اوتيه من اشا فكنتم اقل
عملاً واكثر اجراً رواه البخاري قالوا فهذا الحديث دل على ان العصر هو عصره الذي هو فيه فيكون على هذا
اقسم تعالى بزمانه في هذه الاية وبمكانه في قوله وانت حل بهذا البلد وبعمره في قوله لعمرك فكانه
قال وعصرك وبلدك وعمرك وذلك كله كالظرف له فاذا وجب تعظيم الظرف فكيف حال المظروف
قال ووجه القسم كانه تعالى قال ما اعظم خسرانهم اذا اعرضوا عنك انتهى

الفصل السادس في وصفه تعالى له عليه الصلوة والسلام بالنور والسراج المنير

اعلم ان الله تعالى قد وصف رسوله صلى الله عليه وسلم
بالنور في قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقيل المراد القرآن ووصفه عليه السلام ايضاً
بالسراج المنير في قوله تعالى انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً
والمراد كونه هادياً مبيناً كالسراج يرى الطريق ويبين الهدى والرشاد فبانه اقوى والقرآن انفع من نور
الشمس واذا كان كذلك وجب ان تكون نفسه الزكية القدسية اعظم في النورانية من الشمس فكما ان
الشمس في عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فكذا نفس النبي صلى الله عليه وسلم تفيد
الانوار العقلية لسائر الانفس البشرية ولمثل ذلك وصف الله الشمس بالسراج حيث قال وجعل فيها سراجاً
وقمراً منيراً وكما وصف الله تعالى رسوله بانه نور وصف نفسه المقدسة بذلك فقال الله نور السموات
والارض فليس فيهما نور الا الله ونوره القدسي هو سر الوجود والحياة والجمال والكمال وهو الذي
اشرق على العالم فاشرق على العوالم الروحانية وهم الملائكة فصارت سرجاً منيرة يستمد منها من دونها
بجود الله ثم سرى النور الى عالم النفوس الانسانية ثم طرحته النفوس على صفحات الجسوم فليس في الوجود
الا نور الله السارى الى التي منه تنبسط قوله ويسع لاستعداده ورحب تلقيه والنور في الاصل كيفية
يدركها الباصر اولاً وبوساطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين الشمس والقمر على
الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك
زيد كرم بمعنى ذو كرم او بمعنى منور السموات والارض فانه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار
والملائكة والانبياء من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور ويؤيد هذا
التاويل قراءة علي بن ابي طالب وزيد بن علي وغيرهما نور فعلاً ماضياً والارض بالنصب وقوله مثل نوره
اي مثل هداه سبحانه وتعالى واضاف النور الى السموات والارض اما دلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته
حتى تضيء له السموات والارض واما لارادة اهل السماء والارض وانهم يستضيئون به وعن مقاتل اي مثل
الايمان في قلب محمد كمشكاة فيها مصباح فالمشكاة نظير صلب عبد الله والزجاجة نظير جسد محمد صلى الله
عليه وسلم والمصباح نظير الايمان والنبوة في قلب محمد وعن غيره المشكاة نظير ابرهيم والزجاجة نظير اسمعيل
عليهما السلام والمصباح جسد محمد صلى الله عليه وسلم والشجرة النبوة والرسالة وعن ابي سعيد الخراز
المشكاة جوف النبي صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعل الله في قلب محمد صلى الله عليه
وسلم وعن كعب بن جبير النور الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم وعن سهل بن عبد الله مثل نور محمد اذ كان
مستودعاً في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا وكذا واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره اي كانه كوكب
دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اي من نور ابرهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة
وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد تبين للناس من قبل كلامه حكى هذا القول الاخير القاضي ابو الفضل

ح وكذلك

اليحصبي

اليحصبي والفخر الرازي لكنه عن كعب الاحبار وعن الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحي قال
عبد الله بن رواحة ه
لو لم تكن فيه ايات مبينة * كانت بداهته تنبيك بالخبر
لكن التفسير الاول في هذه الاية هو المختار لانه تعالى ذكر قبل هذه الاية ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات
فاذا كان المراد بقوله مثل نوره اي مثل هداه كان ذلك مطابقاً لما قبله

النوع السابع في ايات تتضمن وجوب طاعته واتباع سنته

قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله
وقال تعالى واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان
الله لا يحب الكافرين قال القاضي عياض فجعل طاعته طاعة رسوله وقرن طاعته بطاعته ووعد
على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله
يعني من اطاع الرسول لكونه رسولاً مبلغاً الى الخلق احكام الله فهو في الحقيقة ما اطاع الا الله وذلك
في الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظاً فان من اعماه الله عن الرشد واضله
عن الطريق فان احداً لا يقدر على ارشاده وهذه الاية من اقوى الادلة على ان الرسول معصوم في جميع
الاوامر والنواهي وفي كل ما يبلغه عن الله لانه لو اخطأ في شيء منها لم تكن طاعته طاعة الله وايضاً
وجب ان يكون معصوماً في جميع احواله لانه تعالى امر بمتابعته في قوله فاتبعوه والمتابعة عبارة
عن الاتيان بمثل فعل الغير فثبت انه يجب الانقياد له في جميع اقواله وافعاله الا ما خصه الدليل طاعة له
وانقياداً لحكم الله تعالى وقال تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين الاية وهذا عام في المطيعين لله من اصحاب الرسول ومن بعدهم وعام
للمعية في هذه الدار وان كانت فيها معية الابدان وقد ذكروا في سبب نزول هذه الاية ان ثوبان
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه
فاتاه يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن حاله فقال يا رسول الله ما بي وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة عظيمة حتى القاك
فذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني ان دخلت الجنة فانت تكون في درجات النبيين واني ان لم ادخل
الجنة فذلك حين لا اراك ابداً فنزلت هذه الاية وذكر ابن ابي حاتم عن ابي الضحى عن مسروق قال اصحاب محمد
يا رسول الله ما ينبغي لنا ان نفارقك فانك لو قد مت لرفعت فوقنا ولم نرك فانزل الله الاية وذكر عن
عكرمة مرسلاً قال اتى فتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لنا منك نظرة في الدنيا ويوم القيمة
لا نراك لانك في الجنة في الدرجات العلى فانزل الله هذه الاية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت معي
في الجنة وذكر ايضاً فيها روايات اخرى تاتي ان شاء الله تعالى في فصل محبته صلى الله عليه وسلم لكن قال
المحققون لا ينكر صحة هذه الروايات الا ان سبب نزول هذه الاية يجب ان يكون شيئاً اعظم من ذلك وهو
الحث على الطاعة والترغيب فيها فانا نعلم ان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ فهذه الاية عامة في
حق جميع المكلفين وهو ان كل من اطاع الله واطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العالية والمراتب الشريفة
عند الله تعالى ثم ان ظاهر قوله تعالى ومن يطع الله والرسول انه يكتفي بالطاعة الواحدة لان اللفظ
الدال على الصفة يكفي في جانب الثبوت حصول ذلك المسمى مرة واحدة لكن لا بد ان يحمل على غير ظاهره وان
تحمل الطاعة على فعل المامورات وترك جميع المنهيات اذ لو حملناه على الطاعة الواحدة لدخل فيه الفساق

خ من الخلق

والكفار لانهم قد ياتون بالطاعة الواحدة قال الرازي قد ثبت في اصول الفقه ان الحكم المذكور عقب
الصفة مشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف واذا ثبت هذا فنقول قوله من يطع الله اي في كونه
الها وطاعة الله في كونه الها هي معرفته والاقرار بجلاله وعزته وكبريائه وصمديته فصارت
هذه الاية تنبيها على امرين عظيمين من احوال المعاد فالاول ان منشا جميع السعادات يوم القيامة
اشراق الروح بانوار معرفة الله فكل من كانت هذه الانوار في قلبه اكثر وصفاؤها اقوى كان
الى السعادة اقرب والى الفوز بالنجاة اوصل والثاني ان الله تعالى ذكر في الاية السابقة وعد اهل
الطاعة بالاجر العظيم والثواب الجسيم ثم ذكر في هذه الاية وعدهم بكونهم مع النبيين وليس المراد ان
يكون من اطاع الله واطاع الرسول مع النبيين والصديقين كون الكل في درجة واحدة لان هذا يقتضي
التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز بل المراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد
منهم من رؤية الاخرين وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الرؤية والتلاقي
قدروا على ذلك فهذا هو المراد من هذه المعية وقد ثبت وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المرء
مع من احب وثبت ايضا انه قال ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا نزلتم منزلا الا وهم معكم
حبسهم العذر فالمعية والصحبة الحقيقية انما هي بالسر والروح لا بمجرد البدن فهي بالقلب لا بالقالب
ولهذا كان النجاشي معه صلى الله عليه وسلم ومن اقرب الناس اليه وهو بين النصارى بارض الحبشة و
عبد الله بن ابي من ابعد الخلق عنه وهو معه في المسجد وذلك ان العبد اذا اراد تقلبه امر من طاعة او
معصية او شخص من الاشخاص فهو بارادته ومحبته معه لا يفارقه فالارواح تكون مع الرسول صلى الله
عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وبينها وبينهم من المسافة الزمانية والمكانية بعد عظيم وقال تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وهذه الاية الشريفة تسمى اية المحبة قال بعض اية المحبة
السلف ادعى قوم محبة الله فانزل الله الاية قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وقوله يحببكم الله اشارة الى دليل
المحبة وثمرتها وفائدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم فما لم تحصل
المتابعة فلا محبة لكم حاصلة ومحبته لكم منتفية فجعل سبحانه اتباع رسوله عليه السلام مشروطا بمحبتهم
لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون وجود تحقق شرطه فعلم انتفا المحبة عند انتفا
المتابعة فانتفا محبتهم لله لازم لانتفا المتابعة لرسوله وانتفا المتابعة ملزوم لانتفا محبة الله لهم
فيستحيل حينئذ ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ودل على ان متابعة الرسول هي حب الله ورسوله وطاعة امره ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله
احب اليه مما سواهما فلا يكون شي احب اليه من الله ورسوله ومتى كان عنده شي احب اليه منهما فهذا
هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة ولا يهديه الله قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين فكل من
قدم طاعة احد من هولاء على طاعة الله ورسوله او قول احد منهم على قول الله ورسوله او مرضاة احد منهم
على مرضاة الله ورسوله او خوف احد منهم ورجاه والتوكل عليه على خوف الله ورجايه والتوكل عليه
او معاملة احد منهم على معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان قال

بلسانه

بلسانه فهو كذب منه واخبار بما ليس هو عليه انتهى ملخصا من كتاب المدارج وسياتي مزيد لذلك ان
شا الله تعالى في مقصد محبته عليه السلام وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن
بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون اي الى الصراط المستقيم فجعل رجا الاهتدا اثر الامرين الايمان
بالرسول واتباعه تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في الضلاله فكل ما اتى
به الرسول يجب علينا الا ما خصه الدليل وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا يعني اتباعهم
القران فالايمان به صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال
الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اي ومن لم يؤمن بالله ورسوله فمن
الكافرين وانا اعتدنا للكافرين سعيرا وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
الاية معناه فوربك كقوله فوربك لنسالنهم اجمعين ولا مزيدة للتاكيد لمعنى القسم كما في لئلا يعلم ولا
يؤمنون جواب اقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة انه لا يؤمن احد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه
وسلم في جميع اموره ويرضى بجميع ما حكم به وينقاد له ظاهرا وباطنا سوا كان الحكم بما يوافق اهواهم او يخالفها
كما ورد في الحديث والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جيت به وهذا ايضا يدل على
ان من لم يرض بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون مومنا وعلى انه لا بد من حصول الرضى بحكمه في القلب
وذلك بان يحصل الجزم واليقين في القلب بان الذي يحكم به عليه السلام هو الحق والصدق فلا بد من
الانقياد باطنا وظاهرا وسياتي مزيد بيان لذلك في مقصد محبته عليه الصلوة والسلام ثم ان ظاهر هذه
الاية يدل على انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه يدل على انه يجب متابعة قوله وحكمه وانه لا يجوز
العدول عنه الى غيره وقوله ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت مشعر بذلك لانه متى خطر بقلبه قياس
يقتضي ضد مدلول النص فهناك يحصل الحرج في النفس فبين تعالى انه لا يكمل ايمانه الا بعد ان لا يلتفت الى
ذلك الحرج ويسلم الى النص تسليما كليا قاله الامام فخر الدين وجوز غيره تخصيص الكتاب والسنة بالقياس
وبه صرح العلامة التاج السبكي في جمع الجوامع وغيره النوع الثاني فيما يتضمن الادب معه صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله فمن الادب ان لا يتقدم عليه بامر
ولا نهي ولا اذن ولا تصرف حتى يامر هو وينهى وياذن كما امر الله تعالى بذلك في هذه الاية وهذا باق الى
يوم القيمة لم ينسخ فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته لا فرق بينهما عند ذي
عقل سليم قال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشي حتى يقضيه الله على لسانه
وقال الضحاك لا تقضوا امرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره لا تامروا ولا تنهوا حتى ينهى
وانظر ادب الصديق رضي الله عنه معه عليه الصلوة والسلام في الصلاة ان يتقدم بين يديه كيف
تاخر وقال ما كان لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اورثه مقامه
والامامة بعده فكان ذلك التاخر الى خلفه وقد اومى اليه ان اثبت مكانك سعيا الى قدام بكل
خطوة الى وراء مراحل الى قدام تنقطع فيها اعناق المطي ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا ترفع
الاصوات فوق صوته كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له
بالقول كجهر بعضكم لبعض قال الرازي افادت انه ينبغي ان لا يتكلم المومن عنده صلى الله عليه وسلم كما يتكلم العبد
عند سيده لان العبد داخل في قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض لانه ويؤيد ما ذكرناه قوله تعالى النبي اولى

بالمؤمنين من انفسهم والسيد ليس اولى عند عبده من نفسه حتى لو كان له في مخمصة ووجد العبد ما
لو لم ياكله لمات لا يجب عليه بذله لسيده ويجب البذل للنبي صلى الله عليه وسلم ولو علم العبد ان
موته بنجو سيده لا يلزمه ان يلقي نفسه في التهلكة لانجا سيده ويجب لانجا النبي صلى الله عليه وسلم
فكما ان العضو الرئيس اولى بالرعاية من غيره لان عند خلل القلب مثلا لا يبقى لليدين والرجلين
استقامة فلو حفظ الانسان نفسه وترك النبي صلى الله عليه وسلم لهلك هو ايضا بخلاف العبد والسيد
انتهى **واعلم** ان في الرفع والجهر استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم
المبالاة **وروى** ان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك الا كاخي
السرار **وان** عمر رضي الله عنه كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم
بعد هذه الاية حتى يستفهمه **وقد** روى ان ابا جعفر امير المؤمنين ناظر مالكا في مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما
فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الاية
وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا
فاستكان لها ابو جعفر **واذا** كان رفع الاصوات فوق صوته موجب لحبوط الاعمال فما الظن برفع الاراء
ونتائج الافكار على سنته وما جاء به **ومن الادب معه** صلى الله عليه وسلم ان لا يجعل دعاؤه كدعاء
بعضنا بعضا **قال** تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وفيه قولان للمفسرين احدهما
انكم لا تدعونه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا بل قولوا يا رسول الله يا نبي الله مع التوقير والتواضع فعلى هذا المصدر
مضاف الى المفعول اي دعاءكم الرسول والثاني ان المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضا
ان شاء اجاب وان شاء ترك بل اذا دعاكم لم يكن لكم بد من اجابته ولم يسعكم التخلف عنها البتة فان المبادرة الى
اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة فعلى هذا المصدر مضاف الى الفاعل اي دعاؤه اياكم **وقد**
تقدم في الخصائص من المقصد الرابع عن مذهب الشافعي ان الصلاة لا تبطل باجابته صلى الله عليه وسلم
ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم انهم اذا كانوا معه على امر جامع من خطبة او جهاد او رباط لم يذهب
احد مذهبا في حاجته حتى يستاذنه كما قال تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على
امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه فاذا كان هذا مذهبا مقيدا بحاجة عارضة لم يوسع لهم فيه الا باذنه
فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين اصوله وفروعه دقيقه وجليله هل يشرع الذهاب اليه بدون
استئذانه فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون **ومن الادب معه** صلى الله عليه وسلم ان لا يستشكل قوله
بل تستشكل الاراء لقوله ولا يعارض نصه بقياس بل تهدر الاقيسة وتلقى لنصوصه ولا يحرف كلامه
عن حقيقته لخيال يسميه اصحابه معقولا نعم هو مجهول وعن الصواب معزول ولا يوقف قبول
ما جاء به على موافقة احد فكل هذا من قلة الادب معه وهو عين الجراة **ورأس الادب** معه صلى الله عليه وسلم
كمال التسليم له والانقياد لامره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون ان يحمله معارضة خيال باطل يسميه
معقولا او يحمله شبهة او شكا او يقدم عليه اراء الرجال وزبالات اذهانهم فيوحد التحكيم والتسليم
والانقياد والاذعان كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والانابة والتوكل فهما توحيدان لا نجاة
للعبد من عذاب الله الا بهما توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول فلا يحاكم الى غيره ولا يرضى بحكم غيره انتهى

لحفظها

للعظام من المدارج والقران مملوء بالايات المرشدة الى الادب معه صلى الله عليه وسلم فلتراجع امثاله
النوع التاسع في ايات تتضمن رده تعالى بنفسه المقدسة على عدوه صلى الله عليه وسلم ترفيعا لشانه
قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون لما قال المشركون يا ايها
الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون اجاب تعالى عنه عدوه بنفسه من غير واسطة وهكذا سنة الاحباب
ان الحبيب اذا سمع من يسب حبيبه تولى بنفسه جوابه فههنا تولى الحق سبحانه جوابهم بنفسه
لان نصرته تعالى له اتم من نصرته وارفع لمنزلته ورده ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده فاقسم
تعالى بما اقسم به من عظيم اياته على تنزيه رسوله وحبيبه وخليله مما غمصته اعداؤه الكفرة به
وتكذيبا لهم بقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون وسيعلم اعداؤه المكذبون له ايهم المفتون هو او هم
وقد علم هو وهم والعقلاء ذلك في الدنيا ويزداد علمهم به في البرزخ وينكشف ويظهر كل الظهور في الاخرة
بحيث يتساوى الخلق كلهم في العلم به **ولما** رأى العاص بن وائل السهمي النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد
وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص
قالوا له من هذا الذي كنت تحدث معه قال ذلك الابتر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن
لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة **رد** الله تعالى عليه وتولى جوابه بقوله ان شانئك هو الابتر
اي عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير **ولما** قالوا افترى على الله كذبا **قال** الله تعالى بل الذين لا يؤمنون
بالاخرة في العذاب والضلال البعيد **ولما** قالوا لست مرسلا **اجاب** الله تعالى عنه فقال يس
والقران الحكيم انك لمن المرسلين **ولما** قالوا ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون **رد** الله تعالى عليهم فقال
بل جاء بالحق وصدق المرسلين فصدقه ثم ذكر وعيد خصمائه فقال انكم لذائقوا العذاب الاليم **ولما**
قالوا ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون **رد** الله تعالى عليهم بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له
ان هو الا ذكر وقران مبين **ولما** حكى الله عنهم قولهم ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون
فقد جاءوا ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا **قال** قل انزله الذي يعلم السر في السموات
والارض **سماهم** الله تعالى كاذبين بقوله فقد جاءوا ظلما وزورا **ولما** قال النضر بن الحارث لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين
ولما تلى عليهم نبا الاولين **قال** الله تعالى تكذيبا لهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله **ولما**
قال الوليد بن المغيرة ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر **قال** الله تعالى كذلك ما اتى
الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون تسلية له عليه السلام **ولما** قالوا ما لهذا الرسول
ياكل الطعام ويمشي في الاسواق **قال** تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
ويمشون في الاسواق **ولما** حسدته اعداء الله اليهود على كثرة النكاح والزوجات وقالوا ما همته الا النكاح
رد الله تعالى عليهم عن رسوله ونافح عنه فقال ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد
اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما **ولما** استبعدوا ان يبعث الله رسولا من البشر بقوله
الذي حكاه الله عنهم وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا وجهلوا
ان التجانس يورث التوانس وان التخالف يورث التباين **قال** تعالى قل لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اي لو كانوا ملائكة لوجب ان يكون رسولهم من الملائكة
لكن لما كان اهل الارض من البشر وجب ان يكون رسولهم من البشر فلاجل هذه الكراهة **وقد** كانت الانبياء
اتباعهم يدافعون عن انفسهم ويردون على اعدائهم كقول نوح عليه السلام يا قوم ليس بي ضلالة وقول هود

ليس فيه سفاهة واشباه ذلك النوع العاشر في ازالة الشبهات عن ايات وردت في حقه عليه السلام متشابهات قال الله تعالى ووجدك ضالا فهدى اعلم انه قد اتفق العلما على انه صلى الله عليه وسلم
ما ضل لحظة واحدة قط وهل هو جاير عقلا على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم قبل النبوة قالت
المعتزلة هو غير جاير عقلا لما فيه من التنفير وعند اصحابنا انه جاير في العقول ثم يكرم الله من
اراده بالنبوة الا ان الدليل السمعي قام على ان هذا الجايز لم يقع قال الله تعالى ما ضل صاحبكم وما
غوى قاله الامام فخر الدين وقال الامام ابو الفضل اليحصبي في الشفا والصواب انهم معصومون
قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شي من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن
الانبيا بتبريهم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار
المعارف ونفحات الطاف السعادة ولم ينقل احد من اهل الاخبارات احدا نبي واصطفي ممن عرف
بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل ثم قال وقد استبان لك بما قررناه ما هو الحق
من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشي من ذلك كله جملة
بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا وعقلا ولا بشي مما قررته من امور الشرع واداه عن ربه من
الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نباه الله وارسله قصدا او غير قصد
واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكباير
اجماعا وعن الصغاير تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما
شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح مما يجب لك ان تتلقاه باليمين
وتشد عليه يد الضنين فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا
يعرف صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجوز ان يضاف
اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما
لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار وقد استدل بعض الايمة على عصمتهم من الصغاير بالمصير الى امتثال
افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقها على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة
من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك فلو جوزنا عليهم الصغاير لم يمكن الاقتدا
بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده من القربة والاباحة والحظر والمعصية انتهى
واختلف في تفسير هذه الاية على وجوه كثيرة احدها اي وجدك ضالا عن معالم النبوة وهو مروي عن
ابن عباس والحسن والضحاك وشهر بن حوشب ويؤيده قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
اي ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان قاله السمرقندي وقال
بكر القاضي ولا الايمان الذي هو الفرايض والاحكام فقد كان عليه السلام قبل مومنا بتوحيده ثم نزلت
الفرايض التي لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف ايمانا وسياتي اخر هذا النوع مزيد لذلك ان شا الله تعالى
الثاني من معنى قوله تعالى ضالا ما روي مرفوعا مما ذكر الامام فخر الدين انه قال عليه السلام ضللت
عن جدي عبد المطلب وانا صبي حتى كاد الجوع يقتلني فهداني الله الثالث يقال ضل الما في اللبن اذا
صار مغمورا فمعنى الاية كنت مغمورا بين الكفار بمكة فقواك الله حتى اظهرت دينه الرابع ان العرب
تسمي الشجرة الفريدة في الفلاة الضالة كانه تعالى يقول كانت تلك البلاد كالمفازة ليس فيها شجرة
تحمل ثمر الايمان بالله تعالى ومعرفته الا انت فانت شجرة فريدة في مفازة الجهل الخامس قد يخاطب السيد

والمراد

والمراد قومه اي وجد قومك ضالين فهداهم بك وبشرعك السادس اي محبا للمعرفة وهو مروي عن
ابن عطا والضال المحب كما قال تعالى انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا ها هنا في الدين
اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا السابع اي وجدك ناسيا فذكرك وذلك ليلة المعراج نسي ما يجب
ان يقال بسبب الهيبة فهداه تعالى الى كيفية الثنا حتى قال لا احصي ثنا عليك الثامن اي وجدك بين
اهل ضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم التاسع اي وجدك متحيرا في بيان ما انزل
عليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر وهذا مروي عن الجنيد العاشر عن علي انه صلى الله عليه
وسلم قال ما هممت بشي مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما
اريد ثم ما هممت بعدها بشي حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي باعلى
مكة لو حفظت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت حتى اتيت اول دار من دور
مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فجلست انظر اليهم فضرب الله على اذني فنمت فما ايقظني الا مس
الشمس ثم قلت ليلة اخرى مثل ذلك فضرب الله على اذني فما ايقظني الا مس الشمس ثم ما هممت بعدها
بسوء حتى اكرمني الله برسالته واما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقد احتج بها
جماعة من الفقها والمحدثين والمتكلمين المجوزين للصغاير على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
وبظواهر كثيرة من القران والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم كما قال القاضي عياض الى تجويز الكباير
وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت
الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم
اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الادلة على خطا قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى
ما صح انتهى وقد اختلف في هذه الاية فقال اهل اللغة الاصل فيه ان الظهر اذا اثقله الحمل له نقيض اي صوت
كصوت المحامل والرحال وهذا مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اوزار وقيل
المراد منه تخفيف اعبا النبوة التي يثقل الظهر القيام بامرها وحفظ موجباتها والمحافظة على حقوقها فسهل
الله تعالى ذلك عليه وحط عنه ثقلها بان يسرها عليه حتى تيسرت له وقيل الوزر ما كان يكرهه من تغييرهم
لسنة الخليل عليه السلام وكان لا يقدر على منعهم الى ان قواه الله تعالى وقال له اتبع ملة ابرهيم وقيل
معناه عصمناك عن الوزر الذي انقض ظهرك لو كان ذلك الذنب حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا ومن
ذلك ما في الحديث انه عليه السلام حضر وليمة فيها دف ومزامير قبل البعثة فضرب الله على اذنه فما ايقظه
الا حر الشمس من الغد وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا لك ذلك وقيل معناه
خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه قال القاضي فيكون
المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه
بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها وقيل انها ذنوب امته صارت كالوزر عليه فامنه الله
تعالى من عذابهم في العاجل بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ووعده الشفاعة في الاجل واما قوله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال ابن عباس اي انك مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو
كان وقال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك وقيل المراد ما كان من سهو وغفلة
وتاويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه

السر فنبه على ما المراد امته وقيل المراد بالذنب ترك الأولى كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين
وترك الاولى ليس بذنب لان الأولى وما يقابله مشتركان في اباحة الفعل وقال السبكي فاذا تأملنا
يعني الآية مع ما قبلها وما بعدها وجدناها لا تحتمل الا وجها واحدا وهو تشريف النبي صلى الله عليه وسلم
من غير ان يكون هناك ذنب ولكنه اراد ان يستوعب في الآية جميع انواع النعم من الله على عباده الاخروية
وجميع النعم الاخروية شيئان سلبية وهي غفران الذنوب وثبوتية وهي لا تتناهى اشار اليها بقوله
ويتم نعمته عليك وجميع النعم الدنيوية شيئان دينية اشار اليه بقوله ويهديك صراطا مستقيما ودنيوية
وهي قوله وينصرك الله نصرا عزيزا فانتظم بذلك تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم باتمام انواع نعم الله
تعالى عليه المتفرقة في غيره ولهذا جعل ذلك غاية للفتح المبين الذي عظمه وفخمه باسناده اليه بنون
العظمة وجعله خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بقوله لك وقد سبق الى نحو هذا ابن عطية فقال وانما
المعنى التشريف بهذا الحكم ولم تكن ذنوب البتة ثم قال وعلى تقدير الجواز لا شك ولا ارتياب انه لم
يقع منه صلى الله عليه وسلم وكيف يتخيل خلاف ذلك وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى واما
الفعل فاجماع الصحابة على اتباعه والتأسي به في كل ما يفعله من قليل او كثير او صغير او كبير لم يكن عندهم
في ذلك توقف ولا بحث حتى اعماله في السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم او لم يعلم
ومن تأمل احوال الصحابة معه صلى الله عليه وسلم استحيى من الله ان يخطر بباله خلاف ذلك انتهى
واما قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فالمراد به انه صلى الله عليه وسلم
اتقى الخلق والامر بالشيء لا يكون الا عند عدم اشتغال المأمور بالمأمور به اذ لا يصلح ان يقال للجالس اجلس
ولا للساكت اسكت ولا يجوز عليه ان لا يتقي ولا ان يخاف الناس ولا ان يشرك ولا ان يطيع الكافرين
والمنافقين حاشاه الله من ذلك وانما امره الله بتقوى توجب استدامة الحضور واجاب بعضهم عن هذا
ايضا بانه صلى الله عليه وسلم كان يزداد علمه ومرتبته حتى كان حاله عليه السلام فيما مضى بالنسبة
الى ما هو فيه ترك للافضل فكان له في كل ساعة تقوى تتجدد وقيل المراد دم على التقوى فانه يصح ان يقال
للجالس اجلس ههنا الى ان آتيك وللساكت قد اصبت فاسكت تسلم اي دم على ما انت عليه وقيل الخطاب
مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وقيل ويدل عليه قوله تعالى ان الله كان بما تعملون خبيرا ولم يقل بما
تعمل واما قوله تعالى فلا تطع المكذبين فاعلم انه تعالى لما ذكر ما عليه الكفار في امره صلى الله عليه وسلم
ونسبته الى ما نسبوه اليه مع ما انعم الله به عليه من الكمال في امر الدين والخلق العظيم اتبعه بما يقوي قلبه
ويدعوه الى التشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه السورة من اوائل
ما نزل فقال فلا تطع المكذبين والمراد رؤساء الكفار من اهل مكة وذلك انهم دعوه الى دينهم فنهاه الله
ان يطيعهم وهذا من الله تهييج للتشديد في مخالفتهم واما قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل
الذين يقرؤون الكتاب من قبلك الآية فاعلم ان المفسرين اختلفوا فيمن المخاطب بهذا فقال قوم المخاطب
به النبي صلى الله عليه وسلم وقال آخرون المخاطب غيره فاما من قال بالاول فاختلفوا على وجوه الاول
ان الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد غيره كقوله تعالى اذا طلقتم النساء وكقوله تعالى
لئن اشركت ليحبطن عملك وكقوله لعيسى بن مريم عليهما السلام أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله ومثل هذا معتاد فان السلطان اذا كان له امير وكان تحت راية ذلك الامير جمع فاراد ان

وقطع طمعهم في ان يتابعهم

يامر

يأمر الرعية بامر مخصوص فانه لا يوجه خطابه اليهم بل يوجهه الى ذلك الامير ليكون ذلك اقوى
تأثيرا في قلوبهم الثاني قال الزجاج ان الله تعالى علم ان رسوله صلى الله عليه وسلم غير شاك ولكن هذا
كما يقول الرجل لولده ان كنت ابني فبرني ولعبده ان كنت عبدي فاطعني الثالث ان الله تعالى
لقنه الصلاة شاك بقوله ان ضقت ذرعا بما تعانيه من تعنتهم واذاهم فاصبر واسأل الذين
يقرؤون الكتاب من قبلك كيف صبر الانبياء على اذى قومهم وكيف كان عاقبة امرهم من النصر فالمراد
تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها وتهييج الرسول عليه السلام
وزيادة تثبيته او يكون على سبيل الفرض والتقدير لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم لما نزلت هذه الآية والله لا اشك ولا اسأل واما الوجه الثاني وهو ان المخاطب غيره صلى
الله عليه وسلم فتقريره ان الناس كانوا في زمانه عليه السلام فرقا ثلاثة المصدقون له والمكذبون
له والمتوقفون في امره الشاكون فيه فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال فان كنت في شك ايها
الانسان مما انزلنا اليك من الهدى على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فسأل اهل الكتاب ليدلوك
على صحة نبوته وهذا مثل قوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ويا ايها الانسان انك كادح واذا مس
الانسان ضر فان المراد بالانسان هنا الجنس لا انسان بعينه فكذا هنا ولما ذكر الله تعالى لهم ما يزيل
ذلك الشك عنهم حذرهم من ان يلحقوا بالقسم الثاني وهم المكذبون فقال ولا تكونن من الذين كذبوا
بآيات الله فتكون من الخاسرين وقوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا
تكونن من الممترين اي انهم لا يعلمون ذلك او يكون المراد قل لمن امترى بالحق لا تكونن من الممترين وانه لم
صلى الله عليه وسلم مخاطب به عموم وقيل غير ذلك واما قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن
من الجاهلين فقال القاضي لا يلتفت الى قول من قال لا تكونن ممن يجهل ان الله تعالى لو شاء لجمعهم على
الهدى اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم ان لا
يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين وليس في الآية دليل على كونه على تلك الصفة التي نهاه عن الكون عليها
فامره صلى الله عليه وسلم بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يتحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل
بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامته عليه السلام اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه
ابو محمد مكي قال ومثله في القرآن كثير وكذلك قوله تعالى وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره كما قال
تعالى ان تطيعوا الذين كفروا وقوله تعالى فان يشأ الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبه
ذلك فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا والله ينهاه عما يشاء
ويأمره بما يشاء كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية وما طردهم عليه السلام وما كان من الظالمين
واما قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين فليس بمعنى قوله والذين هم عن آياتنا غافلون وانما المعنى
لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم يخطر ببالك ولم يقرع سمعك قط فلم تعلمها الا بوحينا واما قوله تعالى
واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية فمعناه يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض
عنهم والنزغ ادنى حركة تكون كما قاله الزجاج فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان
من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ به تعالى منه فيكفى امره ويكون سبب
تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وكذلك لا يصح ان يتصور له
الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها بل لا يشك النبي ان ما يأتيه من الله

هو الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهر لديه كما قدمته
في المقصد الاول عند البعثة لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته واما قوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فاحسن ما قيل فيها ما عليه
جمهور المفسرين ان التمني المراد به هنا التلاوة والقا الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار
من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين
من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته قال القاضي عياض وقد
تقدم في المقصد الاول مزيد لذلك قال في الشفا واما قوله عليه السلام حين نام عن الصلاة يوم
الوادي ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره
فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدا الصبي حتى نام
فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاة الفجر هذا ان جعلنا قوله
ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب
الرحيل عن الوادي لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب
لبيانه وارتفاع اشكاله قال واما قوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الايات فليس فيها اثبات ذنب
له عليه السلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف له
حال الرجلين لاختار الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر
كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله
من ذلك عليه اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله
وما عليك الا يزكى اي ليس عليك باس في ان لا يتزكى بالاسلام اي لا يبلغن بك الحرص على اسلامهم ان
تعرض عمن اسلم بالاشتغال بدعوتهم ان عليك الا البلاغ وقد كان ابن ام مكتوم يستحق التاديب والزجر
لانه وان فقد بصره كان يسمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لاولئك الكفار وكان يعرف بواسطة
استماع تلك الكلمات شدة اهتمامه عليه السلام بشانهم فكان اقدامه على قطع كلامه عليه السلام
ايذاء له عليه السلام وذلك معصية عظيمة فثبت ان فعل ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وان
الذي فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان هو الواجب المتعين وقد كان عليه السلام ماذونا له في تاديب
اصحابه لكن ابن ام مكتوم بسبب عماه استحق مزيد الرفق واما قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم
الاية فروى ابن ابي حاتم عن مسعر عن عون قال هل سمعتم بمعاتبة احسن من هذا بدا بالعفو قبل المعاتبة
وكذا قال مورق العجلي وغيره وقال قتادة عاتبه كما تسمعون ثم انزل التي في سورة النور فرخص له في ان
ياذن لهم ان شا فقال تعالى فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم ففوض الامر الى رايه
عليه السلام وقال عمرو بن ميمون اثنتان فعلهما الرسول صلى الله عليه وسلم لم يومر فيهما بشي اذنه
للمنافقين واخذه الفدا من الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون واما قول بعضهم على ان هذه الاية تدل
على انه وقع من الرسول ذنب لانه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سالفة ذنب وقوله الاخر
لم اذنت لهم استفهام بمعنى الانكار فاعلم انا لا نسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب ذنبا ولم لا
يقال ان ذلك يدل على مبالغة الله تعالى في توقيره وتعظيمه كما يقول الرجل لغيره اذا كان عظيما عنده عفا
الله عنك ما صنعت في امري ورضي عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله الا عرفت حقي فلا يكون غرضه

من هذا الكلام الا زيادة التبجيل والتعظيم وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال صلى الله عليه وسلم
عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما
يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك
ذنبا واما الجواب عن الثاني فيقال اما ان يكون صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب في هذه الواقعة او لا
فان قلنا انه ما صدر عنه ذنب امتنع على هذا التقدير ان يكون قوله لم اذنت لهم انكارا عليه وان قلنا انه قد صدر
عنه ذنب وحاشاه الله من ذلك فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول
العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فثبت انه على جميع التقادير يمتنع ان يقال ان قوله لم اذنت لهم
يدل على كون الرسول مذنبا وهذا جواب كاف شاف قاطع وعلى هذا يحمل قوله لم اذنت لهم على
ترك الاولى والاكمل بل لم يعد هذا اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه ذهب ناس
الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا فلما
اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم وعلى هذا يحمل
واما قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض
الدنيا والله يريد الاخرة الى قوله عظيم فروى مسلم من افراده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال لما هزم الله المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون واسر منهم سبعون استشار النبي صلى الله
عليه وسلم ابا بكر وعمر وعليا فقال ابو بكر يا نبي الله هولاء بنو العم والعشيرة والاخوان واني ارى ان
تاخذ منهم الفدية فيكون ما اخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت والله ما ارى ما راى ابو بكر ولكن
ارى ان تمكنني من فلان قريب لعمر فاضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان
اخيه يضرب عنقه حتى يعلم الله انه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فاخذ منهم الفدا فلما كان من الغد غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا هو قاعد وابو بكر الصديق وهما يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني ماذا يبكيك انت وصاحبك
فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض علي اصحابك
من الفدا لقد عرض علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة فانزل الله تعالى ما كان لنبي ان يكون
له اسرى الى قوله عظيم وقوله حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه
ويعز الاسلام ويستولي اهله وليس في هذا الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل
من بين سائر الانبيا عليهم السلام فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنائم
ولم تحل لنبي قبلي واما قوله تعالى تريدون عرض الدنيا فقيل المراد بالخطاب من اراد ذلك منهم وتجرد
غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه
بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم
عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله سبق لمسكم فاختلف
المفسرون في معنى الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني الا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون
امر الاسرى معصية وقيل لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم
على الغنائم وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم وهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان

من قتل ما أحل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً وقيل بل كان عليه السلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي قال جاء جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤوا القتل وان شاؤوا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على انهم لم يفعلوا الا ما أذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين قال القاضي بكر بن العلا اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ان تأويله وافق ما كتب له من تحليل الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادى في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الاسارى كان على تأويل وبصيرة على ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليه لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لا على وجه عتاب او انكار وتذنيب قاله القاضي عياض واما قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً اذاً لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الآية فالمعنى لولا ان ثبتناك لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب فضلاً عن ان تركن اليهم وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها فالعصمة بتوفيق الله وحفظه ولو قاربت لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي ضعف ما يعذب به في الدارين مثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير خطير وقد اعاذه الله من الركون الى اعدائه بذرة في قلبه ومما يعزى للحريري مما يؤيد ذلك قوله

احاجيك هذا العصر ما هي لفظة ۞ جرت في لساني جرهم وثمود
اذا استعملت في صورة الجحد اثبتت ۞ وان اثبتت قامت مقام جحود

وفسر الاول وهو النفي المثبت بنحو وجحوها وما كادوا يفعلون وقد فعلوا والثاني وهو المثبت المنفي بنحو قوله تعالى لقد كدت تركن قالوا وهو صلى الله عليه وسلم ثبت قلبه ولم يركن واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فالمعنى لو افترى علينا نبي من عند نفسه لاخذناه بيمينه وقطعنا نياط قلبه واهلكناه وقد اعاذه الله من التقول عليه فان قلت لا مرية انه يعني الحبيب والصاحب المحاسن والاحسان العظيم ما لا يعني لغيره ويسامح بما لا يسامح به غيره كما قال الشاعر

واذا الحبيب اتى بذنب واحد ۞ جاءت محاسنه بالف شفيع

ولا شك ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الحبيب الاعظم ذو المحاسن والاحسان الاكثر فما هذه العقوبة المضاعفة والتهديد الشديد لو اريد انه وقع منه ما يكره وكم من ركن الى اعدائه ومتقول من قبل نفسه لم يعبأ به كارباب البدع ونحوهم فالجواب انه لا تنافي بين الامرين فان من كملت عليه نعمة الله واختصه منها بما لم يختص به غيره وحباه بالانعام وخصه بمزيد القرب والاكرام اقتضت حاله من حفظ مرتبة القرب والولاية والاختصاص ان تراعى مرتبته من ادنى مشوش وقاطع فلشدة الاعتناء به ومزيد تقريبه واتخاذه لنفسه واصطفائه على غيره تكون حقوق وليه وسيده عليه اتم ونعمه عليه اكمل فالمطلوب منه فوق المطلوب من غيره فهو اذا غفل او اخل بمقتضى مرتبته نبه بما لم ينبه عليه البعيد مع كونه يسامح بما لا يسامح به ذلك ايضاً فيجتمع في حقه الامران واذا اردت معرفة اجتماعهما وعدم تناقضهما فالواقع شاهد بذلك فان الملك يسامح خاصته واولياءه بما لا يسامح به من ليس في منزلتهم ويواخذهم بما لم يواخذ به غيرهم وانت اذا كان لك

عذاب او ولدان احدهما احب اليك من الآخر واقرب الى قلبك واعز عليك فمعاملته بهذين الامرين واجتمع في حقه المعاملتان بحسب قربه منك وحبك له وعزته فاذا نظرت الى كمال احسانك اليه واتمام نعمتك عليه اقتضت معاملته بما لا تعامل به من دونه من التنبيه وعدم الاهمال واذا نظرت الى محبته لك وطاعته وخدمته وكمال عبوديته ونصحه وهبت له وسامحته وعفوت عنه بما لا تفعله مع غيره فالمعاملتان بحسب ما بينك وبينه وقد ظهر اعتبار هذا المعنى في الشرع حيث جعل حد من انعم عليه بالتزوج اذا تعداه الى الزنا الرجم وحد من لم يعطه هذه النعمة الجلد وكذلك ضاعف الحد على الحر الذي قد ملكه نفسه واتم عليه نعمته ولم يجعله مملوكاً لغيره وجعل حد العبد المنقوص بالرق الذي لم تحصل له هذه النعمة نصف ذلك فسبحان من بهرت حكمته في خليقته فلله سر تحت كل لطيفة ۞ فاخو البصائر غائص يتغلغل انتهى ملخصاً

واما قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فقيل معناه ما تدري الايمان على التفصيل الذي شرع لك في القرآن وقال ابو العالية هو بمعنى الدعوة الى الايمان لانه كان قبل الوحي لا يتهيأ له ان يدعو الى الايمان بالله تعالى وقيل معناه انه ما كان يعرف الايمان حين كان في المهد وقبل البلوغ حكاه الماوردي والواحدي والقشيري وقيل انه من باب حذف المضاف اي ما كنت تدري اهل الايمان اي من الذي يؤمن ابو طالب او العباس او غيرهما وقيل المراد به شرائع الايمان ومعالمه وهي كلها ايمان وقد سمى الصلاة ايماناً بقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى البيت المقدس فيكون اللفظ عاماً والمراد الخصوص قاله ابن قتيبة وابن خزيمة وقد اشتهر في الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان يوحد الله ويبغض الاوثان ويحج ويعتمر وروى ابو نعيم وابن عساكر عن علي قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثناً قط قال لا قالوا فهل شربت خمراً قط قال لا وما زلت اعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان وقد وردت العرب لم يزالوا على بقايا من دين اسمعيل كحج البيت والختان والغسل من الجنابة وكان عليه السلام لا يقرب الاوثان ويعيبها ولا يعرف شرائع الله التي شرعها لعباده على لسانه فذلك قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولم يرد به الايمان الذي هو الاقرار بالله لان آباءه الذين ماتوا على الشرك كانوا يؤمنون بالله ويحجون له مع شركهم انتهى والله اعلم

المقصد السابع في وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه وطريقته وفرض محبة آله واصحابه وقرابته وعترته وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله فضلاً وشرفاً لديه وفيه ثلاثة فصول

الاول في وجوب محبته واتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته صلى الله عليه وسلم اعلم ان المحبة كما قال صاحب المدارج هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون واليها يشخص العاملون والى علمها شمر السابقون وعليها تفانى المحبون وبروح نسيمها تروح العابدون فهي قوت القلوب وغذاء الارواح وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الاموات والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الاسقام واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام وهي روح الايمان والاعمال والمقامات والاحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه تحمل اثقال السائرين الى بلاد لم يكونوا الا بشق الانفس بالغيه وتوصلهم الى منازل لم يكونوا ابداً بدونها واصليها وتبوئهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا لولا هي داخليها وهي مطايا القوم التي سراهم في ظهورها

دائبا الى الحبيب وطريقهم الاقوم الذي يبلغهم الى منازلهم الاولى من قريب تالله لقد ذهب اهلها
بشرف الدنيا والاخرة اذ لهم من معية محبوبهم اوفر نصيب وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلائق
بمشيئته وحكمته البالغة ان المرء مع من احب فيالها نعمة على المحبين سابغة لقد سبق القوم السعاة
وهم على ظهور الفرش نائمون ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون

من لي بمثل سيرك المدلل ... تمشي رويدا وتجي في الاول

اجابوا مؤذن الشوق اذ نادى بهم حي على الفلاح
وبذلوا انفسهم في طلب الوصول الى محبوبهم وكان بذلهم بالرضى والسماح وواصلوا اليه المسير بالادلاج
والغدو والرواح ولقد حمدوا عند الوصول مسراهم وانما يحمد القوم السرى عند الصباح وقد
اختلفوا في المحبة وعباراتهم وان كثرت فليست في الحقيقة ترجع الى اختلاف مقال وانما هي اختلاف احوال
واكثرها يرجع الى ثمراتها دون حقيقتها وقد قال بعض المحققين حقيقة المحبة عند اهل المعرفة من
المعلومات التي لا تحد وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه وهذا كقول صاحب مدارج
السالكين تبعا لغيره المحبة لا تحد بحد اوضح منها فالحدود لا تزيدها الا خفاء وجفاء فحدها وجودها
ولا توصف المحبة بوصف اظهر من المحبة وانما يتكلم الناس في اسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها
وثمراتها واحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة وتنوعت بهم العبارات وكثرت الاشارات
بحسب المقام والادراك والحال وقد وضعوا لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة الحاء التي
هي من اقصى الحلق والباء الشفهية التي هي نهايته فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء وهذا شان المحبة وتعلقها
بالمحبوب فان ابتداءها منه وانتهاءها اليه واعطوا الحب حركة الضم التي هي اشد الحركات واقواها
مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها واعطوا الحب وهو المحبوب حركة الكسر لخفتها من الضمة وخفة المحبوب
وذكره على قلوبهم والسنتهم فتامل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الالفاظ والمعاني تطلعك
على قدر هذه اللغة وان لها شانا ليس لسائر اللغات وهذه بعض رسوم وحدود قيلت في المحبة بحسب
اثارها وشواهدها والكلام على ما يحتاج الى الكلام منها فمنها موافقة الحبيب في المشهد والمغيب
وهذا موجبها ومقتضاها ومنها محو المحب لصفاته واثبات المحبوب لذاته وهذا من احكام الفناء في المحبة
وهو ان تمحى صفات المحب وتفنى في صفات محبوبه وذاته وهذا يستدعي بيانا اتم من هذا لا يدركه الا
من افناه وارد المحبة عنه واخذه منه ومنها استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك
وهو لابي يزيد وهو ايضا من احكامها وموجباتها وشواهدها والمحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع ما
يقدر عليه لاستقله واستحيا منه ولو ناله من محبوبه ايسر شيء لاستكثره واستعظمه ومنها استكثار
القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وهو قريب من الاول لكنه مخصوص بما من المحب
ومنها معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وهو لسهل بن عبد الله وهو ايضا حكم المحبة وموجبها ومنها
ان تهب كلك لمن احببت فلا يبقى لك منك شيء وهو لسيدنا ابي عبد الله القرشي وهو ايضا من موجبات
المحبة واحكامها والمراد ان تهب ارادتك وعزمك وافعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه
وتجعلها حبسا في مرضاته ومحابه ولا تاخذ منها لنفسك الا ما اعطاكه فتاخذه منه له ومنها ان تمحو
من القلب ما سوى المحبوب وكمال المحبة يقتضي ذلك فانه ما دامت في القلب بقية لغيره ومسكن لسواه
فالمحبة مدخولة ومنها ان تغار على المحبوب ان يحبه مثلك وهو للشبلي ومراده احتقارك لنفسك

واستصغارها

واستصغارها ان يكون مثلك يحبه ومنها غض طرف المحب عما سوى المحبوب غيرة وعن المحبوب
هيبة وهذا يحتاج الى ايضاح اما الاول فظاهر واما الثاني فان غض طرف القلب عن المحبوب مع
كمال محبته كالمستحيل ولكن عند استيلاء سلطان المحبة يقع مثل هذا وذلك من علامة المحبة المقارنة
للهيبة والتعظيم ومنها ميلك الى الشيء بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك
له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه قال الجنيد سمعت الحرث المحاسبي يقول ذلك ومنها سكر لا
يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة لا يوصف وانشد بعضهم

فاسكر القوم دور الكاس بينهم ... لكن سكري نشا من رؤية الساقي

ومنها سفر القلب في طلب
المحبوب ولهج اللسان بذكره على الدوام اما سفر القلب في طلبه فهو الشوق الى لقائه واما لهج اللسان
بذكره فلا ريب ان من احب شيئا اكثر من ذكره ومنها الميل الى ما يوافق الانسان كحب الصور الجميلة
والاصوات الحسنة وغير ذلك من الملاذ التي لا يخلو كل طبع سليم عن الميل اليها لموافقتها او لاستلذاذه
بادراكه بحاسته او يكون حبه لذلك لموافقته له من جهة احسانه اليه وانعامه عليه فقد جبلت
القلوب على حب من احسن اليها كما رواه ابو نعيم في الحلية وابو الشيخ وغيرهما واذا كان الانسان يحب
من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا فانيا منقطعا او استنقذه من هلكة او مضرة لا تدوم فما بالك بمن
منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الاليم ما لا يفنى ولا يحول واذا كان المرء يحب غيره على ما فيه
من صورة جميلة وسيرة حميدة فكيف بهذا النبي الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن الاخلاق والتكريم
المانح لنا جوامع المكارم والفضل العميم فقد اخرجنا الله به من ظلمات الكفر الى نور الايمان وخلصنا به
من نار الجهل الى جنات المعارف والايقان فهو السبب لبقاء مهجنا البقاء الابدي في النعيم السرمدي
فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الينا فلا منة وحياته لاحد بعد الله كما له علينا ولا فضل
لبشر كفضله لدينا فكيف ننهض ببعض شكره او نقوم من واجب حقه بمعشار عشره فقد متعنا الله به منع
الدنيا والاخرة واسبغ علينا نعمه باطنة وظاهرة فاستحق ان يكون حظه من محبتنا له اوفى وازكى من محبتنا
لانفسنا واولادنا واهلينا واموالنا والناس اجمعين بل لو كان في كل منبت شعرة منا محبة تامة له
صلوات الله وسلامه عليه لكان بعض ما يستحقه علينا وقد روى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده رواه البخاري وقدم الوالد للاكثرية لان كل
احد له والد من غير عكس وفي رواية النسائي تقديم الولد على الوالد وذلك لمزيد الشفقة وزاد في رواية عبد العزيز
ابن صهيب عن انس والناس اجمعين وفي صحيح ابن خزيمة من اهله وماله بدل من والده وولده وذكر
الوالد والولد ادخل في المعنى لانهما اعز على العاقل من الاهل والمال بل ربما يكونان اعز من نفسه ولذا لم يذكر النفس
في حديث ابي هريرة وذكر الناس بعد الوالد والولد من عطف العام على الخاص قال الخطابي والمراد بالمحبة
هنا حب الاختيار لا حب الطبع وقال النووي فيه تلميح الى قضية النفس الامارة والمطمئنة فان من رجح
جانب المطمئنة كان حبه للنبي صلى الله عليه وسلم راجحا ومن رجح جانب الامارة كان حكمه بالعكس وفي
كلام القاضي عياض ان ذلك شرط في صحة الايمان لانه حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال وتعقبه صاحب
المفهم بان ذلك ليس مرادا هنا لان اعتقاد الاعظمية ليس مستلزما للمحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شيء مع
خلوه من محبته قال فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل ايمانه والى هذا يومي قول عمر في الحديث
الذي رواه البخاري في الايمان والنذور من حديث عبد الله بن هشام ان عمر بن الخطاب قال للنبي صلى الله عليه وسلم

احب

لانت يا رسول الله عندي لاحب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان يا عمر هذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعا وفي رواية فقال صلى الله عليه وسلم لا والذي نفسي بيده حتى اكون احب اليك من نفسك قال بعض الزهاد تقدير الكلام لا تصدق في حبي حتى تؤثر رضاي على هواك وان كان فيه الهلاك واما توقف عمر في اول امره واستثناؤه نفسه فلان حب الانسان نفسه طبع وحب غيره اختيار بتوسط الاسباب وانما اراد عليه السلام منه حب الاختيار اذ لا سبيل الى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه وعلى هذا فجواب عمر اولا كان بحسب الطبع ثم تامل فعرف بالاستدلال ان النبي صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والاخرة فاخبر بما اقتضاه الاختيار فلذلك حصل الجواب بقوله الان يا عمر اي عرفت فنطقت بما يجب واذا كان هذا شان نبينا صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله في محبتنا له ووجوب تقديمها على محبة انفسنا واولادنا والدنيا والناس اجمعين فما الظن بمحبة الله تعالى ووجوب تقديمها على محبة ما سواه ومحبة الله تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها وافراده سبحانه وتعالى بها فان الواجب له من ذلك ان يكون احب الى العبد من ولده ووالده بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه فيكون الهه الحق ومعبوده احب اليه من ذلك كله والشيء قد يحب من وجه دون وجه وقد يحب لغيره وليس شيء يحب لذاته من كل وجه الا الله تعالى وحده ولا تصلح الالوهية الا له تعالى وان التاله هو المحبة والطاعة والقبول ومن علامات الحب المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرض الانسان على نفسه انه لو خير بين فقد غرض من اغراضه او فقد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ان لو كانت ممكنة فان كان فقدها ان لو كانت ممكنة اشد عليه من فقد شيء من اغراضه فقد اتصف بالاحبية المذكورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لا فلا قال القرطبي كل من امن بالنبي صلى الله عليه وسلم ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة غير انهم متفاوتون فمنهم من اخذ من تلك المرتبة بالحظ الاوفى ومنهم من اخذ بالحظ الادنى كمن كان مستغرقا في الشهوات محجوبا في الغفلات في اكثر الاوقات لكن الكثير منهم اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اشتاق الى رؤيته بحيث يؤثرها على اهله وماله وولده ويبذل نفسه في الامور الخطيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع اثاره على جميع ما ذكرناه وفي قلوبهم من محبته غير ان ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات انتهى فكل مسلم في قلبه محبة الله ورسوله لا يدخل في الاسلام الا بها والناس متفاوتون في محبته صلى الله عليه وسلم بحسب استحضار ما وصل اليهم من جهته عليه الصلوة والسلام من النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك ولا شك ان حظ الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى اتم لان هذا ثمرة المعرفة وهم بها اعلم وقد روى ابن اسحق ما حكاه في الشفا ان امراة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين فقالت ارونيه حتى انظر اليه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل تعني صغيرة رواه البيهقي في دلائله وذكره صاحب اللباب بلفظ لما قيل يوم احد قتل محمد عليه السلام وكثرت الصوائح بالمدينة خرجت امراة من الانصار فاستقبلت باخيها وابيها

وزوجها

قتلا

وزوجها وابيها قتلوا الا تدري بايهم استقبلت وكلما مرت بواحد منهم صريعا قالت من هذا قالوا اخوك وابوك وزوجك وابنك قالت فما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون امامك حتى ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بابي انت وامي يا رسول الله لا ابالي اذ سلمت من عطب وقال عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وقال علي بن ابي طالب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الينا من اموالنا واولادنا وابائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظما رواه ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتشديد النون من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت احدا من الناس يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا وعما ذكره القاضي عياض ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقراها عليه وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بابي انت وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية وذكر البغوي في تفسيره بلفظ نزلت اي الاية في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية وكذا ذكره الواحدي في اسباب النزول وعزاه للكلبي عن ثوبان وقال قتادة قال بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون الحال في الجنة وانت في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل الله الاية وذكره ابن ظفر في ينبوع الحياة بلفظ ان عامرا الشعبي قال ان رجلا من الانصار اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له والله لانت يا رسول الله احب الي من نفسي ومالي وولدي واهلي ولولا اني اتيك فاراك لرايت ان اموت وبكى الانصاري فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابكاك قال بكيت اذ ذكرت انك ستموت ونموت فترفع مع النبيين ونكون نحن ان دخلنا الجنة دونك فلم يحر النبي صلى الله عليه وسلم اليه بمعنى اي لم يرجع اليه بقول فانزل الله الاية قال وذكر مقاتل بن سليمان مثل هذا وقال هو عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصاري الذي اري الاذان وذكر ايضا ان عبد الله بن زيد هذا كان يعمل في جنة له فاتاه ابنه فاخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي فقال اللهم اذهب بصري حتى لا ارى بعد حبيبي محمد احدا فكف بصره واعلم انه لا يمكن ان يجتمع في القلب حبان فان المحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب فليختر المرء لنفسه احدى المحبتين فانهما لا يجتمعان في القلب والانسان عند محبوبه كائنا ما كان كما قيل

انت القتيل باي من احببته … فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

ولبعض الحكماء كما ان الغد لا يتبع

وكذا روى ابن ابي الدنيا بنحوه مختصرا

وروي صح

وبكى

لغضبتين فكذلك القلب لا يتسع لحبين وكذلك لا تزم اتباعك على هواه اعراضك عن كل شي سوا
من يا هو في المحبة او ملجا فقد عرض لمدى الغيرة او ملجا فمحبة الرسول عليه السلام بل تقديمها في
الحب على الانفس والابا والابنا لا يتم الايمان الا بها اذ محبته من محبة الله وقد حكى عن ابي سعيد الخراز
مما نظره القشيري في رسالته انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله اعذرني
فان محبة الله شغلتني عن محبتك فقال لي يا مبارك من احب الله فقد احبني وقيل ان ذلك وقع لامراة من
الانصار معه صلى الله عليه وسلم يقظة ولابن [illegible]

الا يا محب المصطفى زد صبابة وضمخ لسان الذكر منك بطيبه ولا تعبأن بالمبطلين فانما علامة حب الله حب حبيبه

وكذلك كل حب لله ولله كما في الصحيحين عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلث من كن فيه
وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره
ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار فعلق ذوق الايمان بالرضا بالله ربا وعلق وجدان حلاوته
بما هو موقوف عليه ولا يتم الا به وهو كونه سبحانه احب الاشيا الى العبد هو ورسوله فمن رضي بالله ربا
رضيه الله له عبدا ومعنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في الدين ولو ثرا ذلك
على اعراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول قاله النووي
وقال غيره معناه ان من استكمل الايمان علم ان حق الله ورسوله اكد عليه من حق والده وولده والناس اجمعين
لان الهدى من الضلال والخلاص من النار انما كان بالله على لسان رسوله وفي قوله عليه السلام حلاوة
الايمان استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المومن في الايمان بشي حلو واثبت له لازم ذلك الشي
واضافه اليه وفيه تلميح الى قصة المريض والصحيح لان المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرا والصحيح يذوق
حلاوته على ما هي عليه وكلما نقصت الصحة شيا ما نقص ذوقه بقدر ذلك وقال العارف ابن ابي جمرة
واختلف في الحلاوة المذكورة هل هي محسوسة او معنوية فحملها قوم على المعنى وهم الفقها وحملها قوم على
المحسوس وابقوا اللفظ على ظاهره من غير ان يتاولوه وهم اهل الصفة او قال الصوفية قال والصواب معهم
في ذلك والله اعلم لان ما ذهبوا اليه ابقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تاويل قال ويشهد الى ما ذهبوا
اليه احوال الصحابة والسلف الصالح واهل المعاملات فانه حكي عنهم انهم وجدوا الحلاوة محسوسة
فمن ذلك حديث بلال حين صنع به ما صنع في الرمضا اكراها على الكفر وهو يقول احد احد فمزج مرارة العذاب
بحلاوة الايمان وكذلك ايضا عند موته اهله يقولون واكرباه وهو يقول واطرباه غدا القى الاحبه
محمدا وصحبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقا وهي حلاوة الايمان ومنها حديث الصحابي الذي سرق فرسه
بليل وهو في الصلاة فراى السارق حين اخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له في ذلك فقال ما كنت فيه الذ
من ذلك ولا ذاك الا للحلاوة التي وجدها محسوسة في وقته ذلك ومنها حديث الصحابيين اللذين
جعلهما صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه من قبل العدو فاقبل فراهما فكبل الجاسوس القوس ورمى الصحابي
فاصابه فبقي على صلاته ولم يقطعها ثم رماه ثانية فاصابه فلم يقطع لذلك صلاته ثم رماه ثالثة فاصابه
فعند ذلك ايقظ صاحبه وقال لولا اني خفت على المسلمين ما قطعت صلاتي ولا ذاك الا لشدة ما وجد فيها
من الحلاوة حتى اذهبت عنه ما يجد من الم السلاح قال ومثل هذا حكي عن كثير من اهل المعاملات انتهى
وحديث الصحابيين ذكره البخاري في صحيحه في باب من لم ير الوضوء الا من المخرجين بلفظ ويذكر عن جابر ان النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم كان في غزوة ذات الرقاع فرمي رجل بسهم فنزفه الدم فركع وسجد ومضى في صلاته وقد
وصله ابن اسحق في المغازي قال حدثني صدقة بن يسار عن عقيل عن جابر عن ابيه مطولا واخرجه احمد
وابو داود والدارقطني وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم كلهم من طريق ابن اسحق قال في فتح الباري
وشيخه صدقة ثقة وعقيل بفتح العين لا اعرف راويا عنه غير صدقة ولهذا لم يجزم به البخاري اولكونه
اختصره او للخلاف في ابن اسحق واخرجه البيهقي في الدلائل من وجه اخر وسمى احدهما عباد بن بشر الانصاري
وعمار بن ياسر من المهاجرين والسورة الكهف وانما قال مما سواهما ولم يقل ممن ليعم من يعقل ومن لا يعقل
وفي قوله ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما دليل على انه لا باس بهذه التثنية واما قوله للذي
خطب فقال ومن يعصهما بئس الخطيب انت فليس من هذا لان المراد في الخطب الايضاح واما هنا فالمراد
الايجاز في اللفظ ليحفظ ويدل عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم حيث قاله في موضع اخر قال ومن يعصهما فلا
يضر الا نفسه وقيل انه من الخصائص فيمتنع من غير النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمتنع منه لان غيره اذا جمع اوهم
اطلاق التسوية بخلافه هو فان منصبه لا يتطرق اليه ايهام ذلك والى هذا مال ابن عبد السلام ومن محاسن
الاجوبة في الجمع بين هذا الحديث وقصة الخطيب ان تثنية الضمير هنا للايما الى ان المعتبر هو المجموع المركب
من المحبتين لا كل واحدة منهما فانها وحدها لاغية اذا لم ترتبط بالاخرى فمن يدعي حب الله مثلا ولا يحب
رسوله لا ينفعه ذلك ويشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاوقع متابعته مكتنفة
بين قطري محبة العباد لله ومحبة الله للعباد واما امر الخطيب بالافراد فلان كل واحد من العصيانين مستقل
باستلزام الغواية اذ العطف في تقدير التكرير والاصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم ويشير اليه
قوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فاعاد اطيعوا في الرسول ولم يعده في اولي الامر لانهم
لا استقلال لهم في الطاعة كاستقلال الرسول انتهى ملخصا من كلام البيضاوي والطيبي كما حكاه في فتح الباري
وفي الصحيح ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا قال في المدارج فاخبر ان للايمان
طعما وان القلب يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب وقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ادراك حقيقة
الايمان والاحسان وحصوله للقلب ومباشرته له بالذوق تارة وبالطعام والشراب اخرى وبوجد الحلاوة
تارة كما قال ذاق وقال ثلث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ولما نهاهم عن الوصال قالوا انك تواصل
قال اني لست كهيئتكم اني اطعم واسقى وقد غلط حجاب من ظن ان هذا طعام وشراب حسي للفم وسياتي
تحقيق الكلام في هذا ان شا الله تعالى في الصوم من مقصد عباداته عليه السلام والمقصود ان ذوق حلاوة
الايمان امر يجده القلب تكون نسبته اليه كذوق حلاوة الطعام الى الفم وذوق حلاوة الجماع الى اللذة كما
قال عليه السلام حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وللايمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد
ولا تزول الشبه والشكوك الا اذا وصل العبد الى هذه الحال فباشر الايمان قلبه حقيقة المباشرة فيذوق
طعمه ويجد حلاوته وقال العارف الكبير تاج الدين بن عطا الله فيه يعني في هذا الحديث اشارة الى ان القلوب
السليمة من امراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعاني كما تتنعم النفوس بملذوذات الاطعمة وانما ذاق
طعم الايمان من رضي بالله ربا لانه لما رضي بالله ربا استسلم له وانقاد لحكمه والقى قياده اليه فوجد لذاذة
العيش وراحة التفويض ولما رضي بالله ربا كان له الرضى من الله واذا كان له الرضى من الله اوجده الله حلاوة
ذلك ليعلم ما من به عليه وليعرف احسان الله اليه ولما سبقت لهذا العبد العناية خرجت له العطايا

من خرا بين المنى فلما واصلته امداد الله وانوار عوفي قلبه من الامراض والاسقام فكان سليم الادراك
فادرك لذاذة الايمان وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة ذوقه وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا
لانه اذا رضي بالاسلام دينا فقد رضي بما رضي به المولى ولازم من رضي بمحمد نبيا ان يكون له وليا وان يتادب
بآدابه ويتخلق باخلاقه زهدا في الدنيا وخروجا منها وصفحا عن الجناة وعفوا عمن اساء اليه الى غير ذلك من
تحقيق المتابعة قولا وفعلا واخذا وتركا وحبا وبغضا فمن رضي بالله استسلم له ومن رضي بالاسلام عمل له
ومن رضي بمحمد صلى الله عليه وسلم تابعه ولا يكون واحد منها الا بكلها اذ محال ان يرضى بالله ربا ولا يرضى بالاسلام
دينا او يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفاء به انتهى ملخصا واعلم ان محبة الله على
قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال الاوامر والانتهاء عن المعاصي والرضى بما يقدره
فمن وقع في معصية من فعل محرم او ترك واجب فلتقصيره في محبة الله حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون
مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجا فيقدم على المعصية
والندب ان يواظب على النوافل ويجتنب الوقوع في الشبهات والمتصف بذلك في عموم الاوقات والاحوال
عموما نادر وفي البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالى انه قال
ما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه وفي رواية بشيء احب الي من اداء ما افترضته عليه ولا يزال
عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي
يبطش بها ورجله التي يمشي بها وفي رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذني
لاعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته
ويستفاد من قوله وما تقرب الي عبدي بشيء احب الي ان اداء الفرائض احب الاعمال الى الله تعالى وعلى هذا
فقد استشكل كون النوافل تنتج المحبة ولا تنتجها الفرائض واجيب بان المراد من النوافل ما كانت مع الفرائض مشتملة
عليها ومكملة لها ويؤيده ان في رواية ابي امامة ابن ادم انك لن تدرك ما عندي الا باداء ما افترضته عليك
او يجاب بان الاتيان بالنوافل لمحض المحبة لا لخوف العقاب على الترك بخلاف الفرائض وقال الفاكهاني
معنى الحديث انه اذا ادى الفرائض ودام على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما افضى به ذلك الى محبة
الله تعالى وقد استشكل ايضا كيف يكون الباري جل جلاله سمع العبد وبصره الى اخره واجيب باجوبة منها
انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره في ايثار امري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب
هذه الجوارح ومنها ان المعنى ان كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه الا الى ما يرضيني ولا يرى ببصره الا ما
امرته به ومنها ان المعنى كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه ومنها انه على حذف
مضاف اي كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك الى اخره قال
الفاكهاني قال ويحتمل معنى اخر ادق من الذي قبله وهو ان يكون بمعنى مسموعه لان المصدر قد جاء بمعنى
المفعول مثل فلان املي بمعنى مأمولي والمعنى انه لا يسمع الا ذكري ولا يلتذ الا بتلاوة كتابي ولا يانس الا
بمناجاتي ولا ينظر الا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده الا فيما فيه رضاي ورجله كذلك وقال غيره اتفق العلماء
ممن يعتد بقوله على ان هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتاييده واعانته حتى كانه سبحانه نزل نفسه منزلة
الالات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي قال والاتحادية
زعموا انه على حقيقته وان الحق عين العبد تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقال الخطابي عبر بذلك عن

سرعة

سرعة اجابة الدعاء والنجح في الطلب وذلك ان مساعي الانسان كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة وعن
ابي عثمان الحيري احد ائمة الطريق قال معناه كنت اسرع الى قضاء حوائجه من سمعه في الاسماع وعينه في النظر
ويده في اللمس ورجله في المشي كذا اسنده عنه البيهقي في الزهد وحمله بعض اهل الزيغ على ما يدعونه من
ان العبد اذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى تصفى من الكدورات انه يصير في معنى الحق تعالى الله
عن ذلك وانه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد ان الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه
وان هذه الاسباب والرسوم تصير عدما صرفا وعلى التوجيه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين
بالوحدة المطلقة لقوله في بقية الحديث ولئن سالني زاد في رواية عبد الواحد عبدي كما نبه عليه الحافظ وقال العلامة
ابن القيم تضمن هذا الحديث الشريف الالهي الذي حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد به حصر
اسباب محبته في امرين اداء فرايضه والتقرب اليه بالنوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير
محبوبا لله فاذا صار محبوبا لله اوجبت محبة الله له محبة اخرى منه لله فوق المحبة الاولى فشغلت هذه المحبة
قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه وملكت عليه روحه ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة فصار ذكر
محبوبه وحبه ومثله الاعلى مالكا لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق في
محبته التي قد اجتمعت قوى حبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان ابصر ابصر به وان مشى
مشى به فهو في قلبه ومعه وانيسه وصاحبه والباء هنا باء المصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها لا تدرك بمجرد
الاخبار عنها والعلم بها فالمسألة حالية لا علمية محضة قال ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه
حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه اي كما
وافقني في مرادي بامتثال اوامري والتقرب الي بمحابي فانا اوافقه في رغبته ورهبته فيما يسالني ان افعله
به ويستعيذني ان يناله وقوي امر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في اماتة عبده
لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكره عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي ان لا يميته ولكن مصلحته
في اماتته فانه ما اماته الا ليحييه ولا امرضه الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه ولا منعه الا ليعطيه ولم يخرجه
من الجنة في صلب ابيه الا ليعيده اليها على احسن احواله فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه انتهى وقال
الخطابي التردد في حق الله غير جائز والبدا عليه في الامور غير سائغ ولكن له تاويلان احدهما ان العبد قد يشرف
على الهلاك في ايام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها فيكون
ذلك من فعله كتردد من يريد امرا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من لقائه اذا بلغ الكتاب اجله
لان الله تعالى قد كتب الفنا على خلقه واستاثر بالبقا لنفسه والثاني ان يكون معناه ما رددت رسلي في
شيء انا فاعله كترديدي اياهم في نفس المؤمن كما روي في قصة موسى عليه السلام وما كان من لطمه عين
ملك الموت وتردده اليه مرة بعد اخرى قال وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به
وشفقته عليه وقال الكلاباذي ما حاصله انه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات يعني باعتبار متعلقها
اي عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف احوال العبد من ضعف ونصب الى ان تنتقل محبته
في الحياة الى محبته للموت فيقبض على ذلك قال وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق
اليه والمحبة للقائه ما يشتاق معه الى الموت فضلا عن ازالة الكراهة عنه انتهى وبالجملة فلا حياة للقلب الا
بمحبة الله ومحبة رسوله ولا عيش الا عيش المحبين الذين قرت اعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم اليه واطمانت

الصواب يعني بان الصوفية او اهل الحقيقة او اهل التحقيق كما هو معلوم في كتب السادة [illegible] والعوارف

[illegible] ليس كلام اهل التحقيق

وان نظر نظر به مع

قلوبهم به واستأنسوا بقربه وتمتعوا بمحبته ففي القلب طاقة لا يسدها إلا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات قال صاحب المدارج ولن يصل العبد إلى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله تعالى ويهتدي إليه بطريق توصله إليه ويحرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فينجذب إليها بكليته ويزهد في التعلقات الفانية ويدأب في تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة وترك المنهيات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله تعالى ولا بخطرة فضول لا تنفعه فيصفو لذلك قلبه بذكر ربه ومحبته والإنابة إليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه إلى فضاء الخلوة بربه وذكره كما قال

وأخرج من بين البيوت لعلني • أحدث عنك النفس بالسر خاليا •

فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على إرادة ربه وطلبه والشوق إليه فإذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله إمامه وأستاذه ومعلمه وشيخه وقدوته كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع سيرته ومبادئ أموره وكيفية نزول الوحي عليه ويعرف صفاته وأخلاقه وآدابه وحركاته وسكونه ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لأهله وأصحابه إلى غير ذلك مما منحه الله به مما ذكرت بعضه حتى يصير كأنه من بعض أصحابه فإذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي المنزل عليه من ربه بحيث إذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا أنزلت فيه وماذا أريد بها وحظه المختص به منها من الصفات والأخلاق والأفعال المذمومة فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في الشفاء من المرض المخوف ولمحبة الرسول عليه السلام علامات أعظمها الاقتداء به واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتداء بهديه وسيرته والوقوف مع ما حد لنا من شريعته قال الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فجعل تعالى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله تعالى إياه وقد قال الحكيم وهو محمود الوراق كما أفاده المحاسبي في كتاب القصد والرجوع

تعصي الإله وأنت تظهر حبه • هذا لعمري في القياس بديع • لو كان حبك صادقا لأطعته • إن المحب لمن يحب يطيع •

(في كل يوم يبتديك بنعمة • منه وأنت لشكر ذاك مضيع)

فائدة المحبة تنشأ من مطالعة العبد منة الله عليه من نعمه الظاهرة والباطنة فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة ومن أعظم مطالعة منة الله على عبده منة تأهيله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم وأصل هذا نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد فإذا دار ذلك النور أشرقت له ذاته فرأى في نفسه وما أهلت له من الكمالات والمحاسن فعلت به همته وقويت عزيمته وانقشعت عنه ظلمات نفسه وطبعه لأن النور والظلمة لا يجتمعان إلا ويطرد أحدهما الآخر فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والأنس إلى الحبيب الأول

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى • ما الحب إلا للحبيب الأول •
كم منزل في الأرض يألفه الفتى • وحنينه أبدا لأول منزل •

وبحسب هذا الاتباع توجب المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الأمر إلا بهما فليس الشأن أن تحب الله بل الشأن أن يحبك الله ولا يحبك إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا وصدقته خبرا وأطعته أمرا وأجبته دعوة وآثرته طوعا وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق بمحبته وعن طاعة غيره بطاعته وإن لم تكن كذلك فلا تتعن فلست على شيء وتأمل قوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله أي الشأن في أن الله يحبكم لا في أنكم تحبونه وهذا لا تنالونه إلا باتباع الحبيب وقال المحاسبي في كتاب القصد والرجوع وعلامة محبة العبد لله عز وجل اتباع مرضاة الله والتمسك بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا ذاق العبد حلاوة الإيمان ووجد طعمه

ظهرت

ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى وما والاه وأسرعت الجوارح إلى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الإيمان في القلب كما يدخل حب الماء البارد الشديد برده في اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد عطشه فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعات غذاء لقلبه وسرورا له وقرة عين في حقه ونعيما لروحه يلتذ بها أعظم من اللذات الجسمانية ولا يجد في أوراد العبادة كلفة وفي الترمذي عن أنس مرفوعا من أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة وعن ابن عطاء من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه وقال أبو إسحق الرقي من أقران الجنيد علامة محبة الله إيثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم وعن غيره لا يظهر على أحد شيء من نور الإيمان إلا باتباع السنة ومجانبة البدعة فأما من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول عليه الصلاة والسلام فيدعي علما لدنيا أوتيه فهو من لدن النفس والشيطان وإنما يعرف كون العلم لدنيا رحمانيا بموافقته لما جاء به الرسول عن ربه تعالى فالعلم اللدني نوعان لدني رحماني ولدني شيطاني والمحك هو الوحي ولا وحي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وأما قصة موسى مع الخضر فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني إلحاد وكفر يخرج عن الإسلام موجب لإراقة الدم والفرق أن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا إلى الخضر ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته ولو كان مأمورا بها لوجب عليه أن يهاجر إلى موسى ويكون معه ولهذا قال له أنت موسى بني إسرائيل قال نعم ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى جميع الثقلين فرسالته عامة للجن والإنس في كل زمان ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من أتباعه فمن ادعى أنه مع محمد كالخضر مع موسى أو جوز ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه وليتشهد شهادة الحق فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية فضلا عن أن يكون من خاصة أولياء الله تعالى وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه والعلم اللدني الرحماني هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه أزكى الصلوات وأتم التسليم وبه يحصل الفهم في الكتاب والسنة بأمر يختص به صاحبه كما قال علي بن أبي طالب وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء دون الناس فقال لا إلا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه فهذا هو العلم اللدني الحقيقي فاتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الأرواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين ومن علامة محبته أن يرضى مدعيها بما شرعه حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضى قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له قال شيخ المحققين وإمام العارفين تاج الدين بن عطاء الله الشاذلي أذاقنا الله حلاوة مشربه في هذه الآية دلالة على أن الإيمان الحقيقي لا يحصل إلا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد على كل مؤمن في كليهما فأحكام التكليف الأوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العباد وأحكام التعريف هو ما أورده عليك من فهم المراد فتبين من هذا أنه لا يحصل لك حقيقة الإيمان إلا بالأمرين الامتثال لأمره والاستسلام لقهره ثم إنه سبحانه لم يكتف بنفي الإيمان عمن لم يحكم أو حكم ووجد الحرج في نفسه حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسوله صلى الله عليه وسلم رأفة وعناية وتخصيصا ورعاية لأنه لم يقل فلا والرب إنما قال فلا وربك

لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففي ذلك تأكيد بالقسم وتأكيد في القسم علماً منه سبحانه بما للنفوس
منطوية عليه من حب الغلبة ووجود النصرة سواء كان الحق عليها أو لها وفي ذلك إظهار لعنايته برسوله
صلى الله عليه وسلم لأنه كما وصفه به ربه وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فحكمه حكم الله وقضاؤه
قضاء الله كما قال إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وأكد ذلك بقوله يد الله فوق أيديهم وفي
الآية إشارة أخرى إلى تعظيم قدره وتفخيم أمره صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى وربك فأضاف نفسه
إليه كما قال في الآية الأخرى كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا فأضاف الحق سبحانه نفسه إلى محمد صلى الله
عليه وسلم وأضاف زكريا إليه ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين وتفاوت ما بين الرتبتين ثم إنه تعالى
لم يكتف بالتحكيم الظاهر فيكونوا به مؤمنين بل اشترط فقدان الحرج وهو الضيق من نفوسهم في أحكامه
صلى الله عليه وسلم سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو بخلافها وإنما تضيق النفوس لفقدان الأنوار ووجود
الأغيار فعنه يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك إذ نور الإيمان ملأ قلوبهم فاتسعت
وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهيأة لوارد أحكامه
مفوضة له في نقضه وإبرامه انتهى وقال سهل بن عبد الله من لم ير ولاية الرسول عليه في جميع الأحوال
ويرى نفسه في ملكه لم يذق حلاوة سنته لأنه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى
أكون أحب إليه من نفسه وروينا عن سيدنا العارف الكبير أبي عبد الله القرشي أنه قال حقيقة المحبة أن
تهب كلك لمن أحببت ولا يبقى لك منك شيء انتهى فمن آثر هذا النبي الكريم على نفسه كشف الله له عن حضرته
ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له خفايا حقائق أسراره انتهى ومن علامات محبته عليه الصلاة
والسلام نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والصبر
والتواضع وغيرها مما ذكرته في أخلاقه العظيمة وتقدم في كلام العارف ابن عطاء الله مزيد لذلك فمن
جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين
وآثر ذلك على أعراض الدنيا ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم التسلي عن المصائب فإن المحب يجد
في لذة المحبة ما ينسيه المصائب ولا يجد من مسها ما يجد غيره حتى كأنه قد اكتسى طبيعة ثانية ليست
طبيعة الخلق بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصائب أعظم من التذاذ الخلي بحظوظه
وشهواته والذوق والوجود شاهد بذلك فكرب المحبة ممزوج بالحلاوة فإذا فقد الحلاوة اشتاق
إلى ذلك الكرب كما قيل: تشكى المحبون الصبابة ليتني • تحملت ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذة الحب كلها • فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي • ومن علامات محبته عليه الصلاة
والسلام كثرة ذكره فمن أحب شيئاً أكثر ذكره وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وآخر ذكر المحبوب على عدد
الأنفاس وقال غيره للمحب ثلاث علامات أن يكون كلامه ذكر المحبوب وصمته فكره فيه وعمله طاعة له
وقال المحاسبي علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون
وقد أجمع الحكماء على أن من أحب شيئاً أكثر من ذكره فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون
به بدلاً ولا يبغون عنه حولاً ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم وما تلذذ المتلذذون بشيء ألذ من
ذكر المحبوب انتهى فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن الملاطفات وانقطعت أوهامهم
عن عارض دواعي الشهوات ورفضت إلى معادن الذخائر وبغية الطلبات وربما تزايد وجد المحب

وهاج

وهاج الحنين وباح الأنين وتحركت المواجيد وتغير اللون واسترسلت الجوارح وفتر البدن واقشعر
الجلد وربما صاح وربما بكى وربما شهق وربما وله وربما سقط ولسيدي محمد وفا
إذا باح نمّ الدمع وهاجره باح المحب بما يخفي ضمائره أيكتم الحب صب باح مدمعه بما جرى بالذي تخفي سرائره
كأنما قلبه أجفان مقلته ودمعه في أماقيه خواطره يا صاح الحب هل الإجبار ليس عليه في حكمه قد جار جائره
آه وكم لي على خطب الهوى خطب من الغرام به تعلو منابره مهفهف اللحظ بدر على غصن غني البدور إذا الأحب يغايره
مطرز الخد بالريحان في ضرج مورد ناشئه تزهو أزاهره مكمل الخلق ما تخفى خصائصه منضر الحسن قد فتنت نواظره
وربما زاد الوجد على المحب فقتله أو دنا نعوذ من أهنا بالمحبة بذل الروح ثم المغالين الحبائب وسومها
بيد المحب يباع وصلهم تالله ما هزلت فيستامها المفلسون ولا كسدت فينفقها بالنسيئة المعسرون
لقد أقيمت للعرض في سوق من يزيد فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس فتأخر البطالون وقام المحبون
ينظرون أيهم يصلح أن يكون ثمناً فدارت السلعة بينهم ووقعت في يد أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين
ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام تعظيمه عند ذكره وإظهار الخشوع والخضوع والانكسار مع سماع
اسمه فكل من أحب شيئاً خضع له وكان كثير من الصحابة بعده إذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم
وبكوا وكذلك كان كثير من التابعين فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة وشوقاً أو هيبة وتوقيراً قال أبو
إبراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره صلى الله عليه وسلم أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن
من حركته ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به
وكان أيوب السختياني إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه وكان عبد الرحمن بن القاسم إذا ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى لونه كأنه قد نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان عبد الله بن الزبير إذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع
وكان الزهري من أهنأ الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنك ما عرفته ولا عرفك
وكان صفوان بن سليم من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فلا يزال يبكي حتى
يقوم الناس عنه ويتركوه وكان قتادة إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل أشار إلى ذلك القاضي عياض
ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم كثرة الشوق إلى لقائه إذ كل حبيب يحب لقاء حبيبه ولبعضهم
المحبة الشوق إلى المحبوب وعن معروف الكرخي المحبة ارتياح الذات لمشاهدة الصفات أو مشاهدة
أسرار الصفات فيرى بلوغ السول ولو بمشاهدة الرسول ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم إذا اشتد بهم
الشوق وأزعجتهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشفوا بمشاهدته وتلذذوا
بالجلوس معه والنظر إليه والتبرك به صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد
يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار
يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم
ولما احتضر بلال نادت امرأته واحرباه فقال واطرباه غداً ألقى الأحبة محمداً وصحبه إذا ذاق القلب طعم
المحبة اشتاق وتأججت نيران الحب والطلب في قلبه ويجد صبره عن محبوبه من أعظم كبائره كما قيل:
والصبر يحمد في المواطن كلها • إلا عليك فإنه لا يحمد • وعن زيد بن أسلم خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ليلة يعس فرأى مصباحاً في بيت وإذا عجوز تنفش صوفاً وتقول: على محمد صلاة الأبرار صلى عليه الطيبون الأخيار

وكان جعفر بن محمد كثير الدعابة والتبسم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه

لعله احتضر

قد كنت قوامًا بكّاءً بالاسحار • يا ليت شعري والمنايا طوارق • هل تجمعني وحبيبي الدار • فبكى النبي صلى الله عليه وسلم
فجلس عمر يبكي ثم قام الى باب خيمتها فقال السلام عليكم ثلاث مرات فقال لها اعيدي علي قولك
فاعادته بصوت حزين فبكى وقال لها لا تنسينيه يرحمك الله فقالت وعمر فاغفر له يا غفار
ويحكى انه رؤيت امرأة مشرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي قيل بماذا
قالت بمحبتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه فنوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا
نستحيي ان نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه ومن علامة محبته صلى الله عليه وسلم حب القرآن
الذي اتى به وهدى به واهتدى به وتخلق به واذا اردت ان تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة
الله ورسوله فانظر محبة القرآن من قلبك والتذاذك بسماعه اعظم من التذاذ اصحاب الملاهي والغناء
المطرب بسماعهم فانه من المعلوم ان من احب محبوبًا كان كلامه وحديثه احب شيء اليه كما قيل
ان كنت تزعم حبي • فلم هجرت كتابي • اما تاملت ما فيه • من لذيذ خطابي ويروى ان عثمان بن عفان
رضي الله عنه قال لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية
مطلوبه قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود اقرأ علي قال اقرأ عليك وعليك انزل فقال
اني احب ان اسمعه من غيري فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى بلغ فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فرفع رأسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان
من البكاء رواه البخاري وهذا تجده من سمع الكتاب العزيز باذن قلبه قال الله تعالى واذا سمعوا ما انزل
الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال صاحب عوارف المعارف اذاقنا الله
حلاوة مشربه هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من اهل الايمان محكوم لصاحبه
بالهداية وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فيفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار
وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة تورث ندما والندم حار فاذا اثار السماع هذه الصفات من صاحب
قلب مملوء ببرد اليقين ابكى وادمع لان الحرارة والبرودة اذا اصطدما عصرتا ماء فاذا الم السماع بالقلب
تارة يخف الماء فيظهر اثره في الجسد ويقشعر منه الجلد قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم وتارة يعظم وقعه ويتصوب اثره او يتصاعد الى الدماغ فتندفق منه العين بالدمع وتارة يتصوب اثره
الى الروح فيموج منه الروح موجا يكاد يضيق عنه نطاق القالب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب
وهذه كلها احوال يجدها اربابها من اصحاب الحال وقد كان ابن عمر رضي الله عنهما ربما مر بآية من ورده
فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب مريضا وكان الصحابة اذا اجتمعوا
وفيهم ابو موسى يقولون يا ابا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يسمعون فللمحبين من سماع القرآن من الوجد
والذوق واللذة والحلاوة والسرور اضعاف ما للمحبين السماع الشيطاني فاذا رأيت الرجل ذوقه ووجده
وطربه ونشأته في سماع الابيات دون سماع الآيات وفي سماع الالحان دون سماع القرآن كما قيل
تقرأ عليك الختمة • وانت جامد كالحجر • وبيت من الشعر ينشد • تميل كالنشوان • فاعلم ان هذا
من اقوى الادلة على فراغ قلبه من محبة الله ورسوله اذاقنا الله تعالى لنا حلاوة محبته ولا سلك بنا في
غير سبيل سنته بمنه ورحمته ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبة سنته وقراءة حديثه
فان من دخلت حلاوة الايمان في قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله او من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

تشربها

تشربها روحه وقلبه ونفسه ويقول اشمّ منك نسيمًا لست اعرفه • اظن لمياء جرت فيك اردانا •
ثم تلك الكلمة وتشمله فيبصر كل شعرة منه سمعًا وكل ذرة منه بصرًا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل
بالكل ويقول لو جئت حيًّا له نصب عيني • سره في ضمائري مذ نزل • ان تذكرته فكلي قلوب
او تاملته فكلي عيون • فحينئذ يستنير قلبه ويشرق سره وتتلاطم عليه امواج التحقيق عند ظهور
البراهين ويرى بريق عطف محبوبه الذي لا شيء ارق لقلبه من عطفه عليه ولا شيء اشد لهيبه من
من اعراضه عنه وهذا كان عذاب اهل النار باحتجاب ربهم عنهم اشد عليهم من العذاب الجسماني
كما ان نعيم اهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه واقباله اعظم من النعيم الجسماني لا حرمنا الله
ذوق حلاوة هذا المشرب ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم ان يلتذ محبه بذكره الشريف ويطرب
عند سماع اسمه المنيف وقد يوجب له ذلك سكرا يستغرق قلبه وروحه وسمعه وسبب هذا السكر
اللذة القاهرة للعقل وسبب اللذة ادراك المحبوب عليه السلام فاذا كانت المحبة قوية وادراك هذا
المحبوب قويا كانت اللذة بادراكه تابعة لقوة هذين الامرين فان كان العقل قويا مستحكما لم يتغير لذلك
وان كان ضعيفا حدث السكر المخرج له عن حكمه وقد حد السكر بانه سقوط التمالك في الطرب كانه
يبقى في السكران بقية يلتذ بها ويطرب ولا يتمالك صاحبها ولا يقدر ان يبقى معها وقد يكون سبب السكر
قوة الفرح بادراك المحبوب بحيث يختلط كلامه وتتغير افعاله بحيث يزول عقله ويعربد اعظم من عربدة
شارب الخمر وربما قتله سكر هذا الفرح بسبب طبيعي وهو انبساط دم القلب وهلة واحدة انبساطا غير
معتاد والدم هو حامل الحار الغريزي فيبرد القلب بسبب انبساط الدم عنه فيحدث الموت ومن هذا
قول سكران الفرح بوجود راحلته في المفازة بعد ان استشعر الموت اللهم انت عبدي وانا ربك اخطأ
من شدة فرحه وسكرة الفرح فوق سكرة الشراب فتصور في نفسك حال فقير معدم عاشق للدنيا
اشد العشق ظفر بكنز عظيم فاستولى عليه آمنا مطمئنا كيف تكون سكرته او من غاب عنه غلامه
بمال عظيم مدة سنين حتى اضرّ به العدم فقدم عليه من غير انتظار له بماله كله وقد كسب اضعافه
ومن اقوى اسباب ما يحصل فيه سماع الاصوات المطربة بالاشعار المتصفات بالصفات النبوية المعجزة
اذا صادفت محلا قابلا فلا تسأل عن سكرة السامع وهذا السكر يحدث عندها من جهتين احداهما
انها في نفسها توجب لذة قوية ينغمر منها العقل الثانية انها تحرك النفس الى نحو محبوبها وجهته فيحصل
بتلك الحركة والشوق والطلب مع التخيل للمحبوب واحضاره في النفس وادنائه صورته الى القلب واستيلائها
على الفكر لذة عظيمة تغمر العقل فيجتمع لذة الالحان ولذة الاشجان فتسكر الروح سكرا عجيبا اطيب والذ
من سكر الشراب ويحصل به نشأة الذ من نشأة الشراب وقد ذكر الامام احمد وغيره ان الله تعالى
يقول لداود مجّدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا فيقول كيف وقد ذهب فيقول
انا ارده عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع اهل الجنة صوته استفرغ نعيم اهل الجنة واعظم
من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الى ذلك رؤية وجهه الكريم الذي
ينسيهم لذة رؤيته عن الجنة ونعيمها فامر لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة وهذه صفة لا يلج كل اذن
وصيت به لا يحيى به كل ارض وعين لا يشرب منها كل وارد وسماع لا يطرب عليه كل سامع وما يدري لا
جلس عليها طفيلي اشار اليه في المدارج فصل انصف بهذه العلامات التي ذكرتها هو كامل المحبة لله

ورسوله ومن خالف بعضها فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله عليه السلام للذي حُدّ في الخمر لما لعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله فاخبر انه يحب الله ورسوله مع وجود ما صدر منه وفيه الرد على من زعم ان مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهي عن لعنه وثبوت الامر بالدعاء له وفيه انه لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب وان من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله ويحتمل ان يكون استمرار ثبوت محبة الله ورسوله في قلب العاصي مقيدا بما اذا ندم على وقوع المعصية واذا اقيم عليه الحد فكفر عنه الذنب المذكور بخلاف من لم يقع منه ذلك فانه يخشى بتكرار الذنب ان ينطبع على قلبه حتى يسلب منه ذلك اسأل الله العفو والثبات على محبته وسلوك سنته ورحمته. تنبيه وقد اختلف العلماء ايما ارفع درجة المحبة او درجة الخلة فحكى القاضي عياض ان بعضهم جعلها سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابرهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليهما وسلم بالمحبة قال وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة وابنيها واسامة انتهى وهذا هو المعنى الظاهر من المعنى الاخص لان المحبة ما حوله من نفس الخلة لكن يرد ما روى في قصة الاسرا ومناجاته صلى الله عليه وسلم لربه تعالى حيث قال له الله تعالى يا محمد سل فقال يا رب انك اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال له تعالى الم اعطك خيرا من هذا الى قوله واتخذتك حبيبا رواه البيهقي بنحوه وهذا يعطي ان درجة المحبة ارفع وقد احتج من ذهب الى تفضيل المحبة على الخلة بفروق كثيرة ذكر القاضي عياض في الشفا منها نقلا عن الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين نبذة منها ان الخليل يصل بالواسطة من قوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل اليه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى ومنها ان الخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله ومنها ان الخليل هو الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الى كمال عنه الشامي والقاري عن صحيح البخاري وجوه اخرى غير ما حكاه القاضي عياض وفي كلها نظر واضح كما بينته في حاشية الشفا وذلك ان مقتضى الفرق بين الشيئين ان يكون في حد ذاتيهما يعني باعتبار مدلول خليل وحبيب وما حكاه القاضي عياض وذكرته في العقد يقتضي تفضيل ذات محمد صلى الله عليه وسلم على ذات ابرهيم صلى الله عليهما وسلم لا يقال باعتبار ثبوت وصف الخلة له فيلزم ذلك لانا نقول كل منهما ثابت له وصف المحبة والخلة اذ لا يسلب عن ابرهيم عليه السلام وصف المحبة لاسيما والخلة احق من المحبة ولا يسلب عن نبينا صلى الله عليه وسلم وصف الخلة لاسيما وقد ثبت في حديث ابي هريرة قول الله تعالى له اني اتخذتك خليلا وقد قام الاجماع على فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الانبيا بل هو افضل خلق الله مطلقا واما قوله ان الخليل يصل بالواسطة فلا يفيد غرضنا فهذا المقام الذي هو يصل به والنبي المراد به قطعا الا الوصول الى المعرفة اذ الوصول الحسي ممتنع على الله تعالى واما قوله والحبيب يصل اليه به فالوصول الى الله به تعالى لا يكون الا به حبيبا كان او خليلا واما قوله الخليل هو الذي تكون مغفرته في حد الطمع الى آخره فانه لا يصح ان تكون على جهة

لاتخذت ابا بكر خليلا

او ما في معناه

تعالى

التفسير

التفسير الخليل فلا تعلق له بمعناه وقصارى ما ذكره انه يعطي تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على ابرهيم عليه الصلوة والسلام في حد ذاته من غير نظر الى ما جعله علة معنوية في ذلك من وصف المحبة والخلة والحق ان الخلة اعلى واكمل وافضل من المحبة قال ابن القيم واما ما يظنه بعض الغالطين ان المحبة اكمل من الخلة وان ابرهيم خليل الله ومحمد حبيب الله فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة قال وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اتخذه خليلا ونفى ان يكون له خليل غير ربه مع اخباره بحبه لعائشة ولابيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم وايضا فانه تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين ويحب المتقين ويحب المقسطين وخلته خاصة بالخليلين قال وانما هذا من قلة العلم والفهم عن الله تعالى ورسوله انتهى وقال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرحه لبردة الابوصيري وزعم بعضهم ان المحبة افضل من الخلة وقال محمد حبيب الله وابرهيم خليل الله وضعف بان الخلة خاصة وهي توحيد المحب والمحبة عامة قال الله تعالى ان الله يحب التوابين قال وقد صح ان الله اتخذ نبينا خليلا فقال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا انتهى

الفصل الثاني في حكم الصلاة عليه والتسليم فرضية وفضيلة وصفة ومحلا

قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال ابو العالية معنى صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه وتعظيمه عند الملائكة ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء قال في فتح الباري وهذا اولى الاقوال فيكون معنى صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه وتعظيمه وصلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى والمراد طلب الزيادة لا طلب اصل الصلاة وعن ابن عباس ان معنى صلاة الملائكة الدعاء بالبركة وروى ابن ابي حاتم عن مقاتل بن حيان قال صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار وقال الضحاك بن مزاحم صلاة الله رحمته وفي رواية عنه مغفرته وصلاة الملائكة الدعاء اخرجهما اسمعيل القاضي عنه وكانه يريد الدعاء بالمغفرة ونحوها وقال المبرد الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة رقة تبعث على استدعاء الرحمة وتعقب بان الله غاير بين الصلاة والرحمة في قوله سبحانه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما حتى سالوا عن كيفية الصلاة مع تقدم ذكر الرحمة في تعليم السلام حيث جاء بلفظ السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته واقرهم النبي صلى الله عليه وسلم فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام وجوز الحليمي ان تكون الصلاة بمعنى السلام عليه وفيه نظر وقيل صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة فصلاته على انبيائه هي ما تقدم من الثنا والتعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة فهي التي وسعت كل شيء وحكى القاضي عياض عن بكر القشيري انه قال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الله تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون النبي رحمة وبهذا يظهر الفرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين سائر المؤمنين حيث قال ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال قبل ذلك في السورة المذكورة هو الذي يصلي عليكم وملائكته ومن المعلوم ان القدر الذي يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك ارفع مما يليق بغيره والاجماع منعقد على ان في هذه الاية من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها وقال الحليمي في الشعب معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه فمعنى قولنا اللهم صل على محمد اعظم محمدا والمراد تعظيمه في الدنيا باعلاء ذكره واظهار دينه وابقاء شريعته وفي الاخرة باجزال مثوبته وتشفيعه في امته وابداء فضيلته بالمقام المحمود وعلى هذا فالمراد بقوله صلوا عليه ادعوا ربكم بالصلاة عليه انتهى ولا يعكر عليه عطف الملائكة

الذي في سورة الاحزاب

حجة

ودريته عليه فإنه لا يمتنع أن يدعو لهم بالتعظيم إذ تعظيم كل أحد بحسب ما يليق به وما تقدم عن أبي العالية
أظهر فإنه يحصل به استعمال لفظ الصلاة بالنسبة إلى الله وإلى ملائكته وإلى المؤمنين المأمورين بذلك بمعنى
واحد ويؤيده أنه لا خلاف في جواز الترحم على غير الأنبياء واختلف في جواز الصلاة على غير الأنبياء
ولو كان معنى قولنا اللهم صل على محمد ارحم محمدا أو ترحم على محمد جاز لغير الأنبياء وكذا لو كان بمعنى البركة
وكذلك الرحمة لسقط الوجوب في التشهد عند من يوجبه بقول المصلي في التشهد السلام عليك
أيها النبي ورحمة الله وبركاته ويمكن الانفصال عنه بأن ذلك وقع بطريق التعبد فلا بد من الإتيان
به ولو سبق الإتيان بما يدل عليه فإن قلت في أي وقت وقع الأمر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
فالجواب كما قاله أبو ذر الهروي أنه وقع في السنة الثانية من الهجرة وقيل في ليلة الإسراء وقيل إن شهر شعبان
شهر الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لأن آية الصلاة إن الله وملائكته يصلون على النبي نزلت فيه والله أعلم
قال الحليمي والمقصود بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم التقرب إلى الله تعالى بامتثال أمره تعالى وقضاء حق
النبي صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه ابن عبد السلام فقال في الباب الثامن في كتابه المسمى بشجرة المعارف
ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فإن مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله أمرنا بمكافأة من
أحسن إلينا فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء فأرشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا إلى الصلاة عليه
ونقل نحوه عن الشيخ أبي محمد المرجاني وقال ابن العربي فائدة الصلاة عليه ترجع إلى الذي يصلي عليه لدلالة
ذلك على نصوح العقيدة وخلوص النية وإظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة
صلى الله عليه وسلم واختلف في حكم الصلاة عليه صلوات الله وسلامه عليه على أقوال أحدها أنها
تجب في الجملة بغير حصر لكن أقل ما يحصل به الإجزاء مرة الثاني يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد قاله
القاضي أبو بكر بن بكير من المالكية وعبارته كما قاله القاضي عياض افترض الله تعالى على خلقه أن يصلوا
على نبيه صلى الله عليه وسلم ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا
يغفل عنها الثالث تجب كلما ذكر قاله الطحاوي وجماعة من الحنفية والحليمي وجماعة من [illegible]
وقال ابن العربي من المالكية إنه الأحوط وكذا قال الزمخشري واستدلوا لذلك بحديث من ذكرت
عنده فلم يصل علي فمات فدخل النار فأبعده الله أخرجه ابن حبان من حديث أبي هريرة وحديث رغم
أنف من ذكرت عنده فلم يصل علي رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه الحاكم وحديث شقي عبد
ذكرت عنده فلم يصل علي أخرجه الطبراني من حديث جابر ولأن الدعاء بالرغم والإبعاد والشقاء يقتضي الوعيد
والوعيد على الترك من علامات الوجوب ومن حيث المعنى أن فائدة الأمر بالصلاة عليه مكافأته على إحسانه
وإحسانه مستمر فيتأكد إذا ذكر واستدلوا أيضا بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
فلو كان إذا ذكر لا يصلى عليه كان كآحاد الناس وأجاب من لم يوجب ذلك بأجوبة منها أنه قول لا يعرف
عن أحد من الصحابة والتابعين فهو قول مخترع ولو كان ذلك على عمومه للزم المؤذن إذا أذن وكذا
سامعه وللزم القارئ إذا مر بآية فيها ذكره عليه السلام في القرآن وللزم الداخل في الإسلام إذا تلفظ
بالشهادتين ولكان في ذلك من المشقة والحرج ما جاءت الشريعة المطهرة السمحة بخلافه ولكان الثناء
على الله تعالى كلما ذكر أحق بالوجوب ولم يقولوا به وقد أطلق القدوري وغيره من الحنفية أن القول
بوجوب الصلاة كلما ذكر مخالف للإجماع المنعقد قبل قائله لأنه لا يحفظ عن أحد من الصحابة أنه خاطب

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليك ولأنه لو كان كذلك لما تفرغ لعبادة أخرى
وأجابوا عن الأحاديث بأنها خرجت مخرج المبالغة في تأكيد ذلك وطلبه وفي حق من اعتاد ترك الصلاة عليه
ديدنا وبالجملة فلا دلالة على وجوب تكرر ذلك بتكرر ذكره صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد
والله أعلم الرابع في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارا حكاه الزمخشري الخامس في كل دعاء حكاه أيضا
السادس أنها من المستحبات وهو قول ابن جرير الطبري وادعى الإجماع على ذلك واحتج على ذلك مع ورود
صيغة الأمر بذلك بالاتفاق من جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن ذلك غير لازم فرضا
حتى يكون تاركه عاصيا فدل على أن الأمر فيه للندب ويحصل الامتثال لمن قاله ولو كان خارج الصلاة
قال في فتح الباري وما ادعاه من الإجماع معارض بدعوى غيره الإجماع على مشروعية ذلك في الصلاة إما
بطريق الوجوب وإما بطريق الندب ولا يعرف عن السلف لذلك مخالف إلا ما أخرجه ابن أبي شيبة والطبري
عن إبراهيم النخعي أنه كان يرى أن قول المصلي في التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته يجزئ عن الصلاة
ومع ذلك إنما ادعى إجزاء السلام عن الصلاة السابع تجب في العمر مرة في الصلاة أو غيرها ككلمة التوحيد قاله أبو بكر
الرازي من الحنفية الثامن يجب في الصلاة من غير تعيين المحل ونقل ذلك عن أبي جعفر الباقر التاسع تجب في التشهد وهو
قول الشعبي وإسحاق بن راهويه العاشر تجب في القعود آخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحلل قاله الإمام
الشافعي ومن تبعه واستدل لذلك بما رواه أصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن ابن مسعود البدري
أنهم قالوا يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا في صلاتنا فقال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد الحديث ومعنى قولهم أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد الذي كان يعلمهم
إياه كما يعلمهم السورة من القرآن وفيه السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ورواه الشافعي في مسنده
عن أبي هريرة بمثله وقد احتج بهذه الزيادة جماعة من الشافعية منهم ابن خزيمة والبيهقي لإيجاب الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم في التشهد بعد التشهد وقبل السلام وقال الشافعي في الأم فرض الله الصلاة على رسوله صلى
الله عليه وسلم بقوله إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فلم يكن فرض الصلاة
عليه في موضع أولى منه في الصلاة ووجدنا الدلالة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أخبرنا إبراهيم بن محمد قال حدثنا
صفوان بن سليم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أنه قال يا رسول الله كيف نصلي عليك يعني في الصلاة قال
تقولون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم الحديث أخبرنا إبراهيم بن محمد حدثني سعد بن إسحق
ابن كعب بن عجرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في الصلاة
اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم الحديث قال الإمام الشافعي فلما روي أن النبي صلى
الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد في الصلاة وروي أنه علمهم كيف يصلون عليه في الصلاة لم يجز أن نقول التشهد
في الصلاة واجب والصلاة عليه فيه غير واجبة وقد تعقب بعض المخالفين هذا الاستدلال من أوجه أحدها
ضعف إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى والكلام فيه مشهور الثاني على تقدير صحته فقوله في الأول يعني في الصلاة
لم يصرح بالقائل يعني الثالث قوله في الثاني إنه كان يقول في الصلاة وإن كان ظاهره أن المراد الصلاة المكتوبة
لكنه يحتمل أن يكون المراد بقوله في الصلاة أي في صفة الصلاة عليه وهو احتمال قوي لأن أكثر الطرق عن كعب بن
عجرة يدل على أن السؤال وقع عن صفة الصلاة لا عن محلها الرابع ليس في الحديث ما يدل على تعيين ذلك في التشهد خصوصا
بينه وبين السلام وقد أطنب قوم من متأخري المالكية وغيرهم في التشنيع على الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلاة

وزعم انه تفرد بذلك وحكى الاجماع على خلافه منهم ابو جعفر الطبري والطحاوي وابن المنذر والخطابي
وحكى القاضي عياض في الشفا مقالتهم وقد عاب عليه غير واحد وقال لو كان شيء يشكونه عنها الان مبنى
تأليفه الشفا على كمال المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم واداء حقوقه والقول بوجوب الصلاة عليه
في الصلاة من غرض المبالغة في تعظيمه وقد استحسن هو القول بطهارة فضلاته مع ان الاكثر على خلافه
لكنه استجاده لما فيه من الزيادة في تعظيمه وكيف ينكر القول بوجوب الصلاة عليه وهي من جنس الصلاة ومقتضاها
واذا شرع السلام فيها على نفس المصلي وعلى عباد الله الصالحين كيف لا تجب الصلاة على سيد المرسلين وقد
انتصر جماعة كثيرة من العلماء الاعلام للامام الشافعي كالحافظ عماد الدين بن كثير والعلامة ابن القيم وشيخ
الاسلام والحافظ ابو الفضل بن حجر وتلميذه شيخنا الحافظ وغيرهم ممن يطول تعدادهم واستدلوا لذلك بادلة
نقلية ونظرية ودفعوا دعوى الشذوذ فنقلوا القول عن جماعة منهم ابن مسعود وابو مسعود البدري وجابر
ابن عبد الله ونقله اصحاب الشافعي عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومن التابعين الشعبي فيما رواه البيهقي كما
سياتي وكذا ابو جعفر الباقر ومقاتل واخرج الحاكم بسند قوي عن ابن مسعود قال يتشهد الرجل ثم يصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه قال الحافظ ابن حجر وهذا اقوى شيء يحتج به للشافعي فان ابن مسعود ذكر
ان النبي صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد في الصلاة وانه قال ثم ليتخير من الدعاء ما شاء فلما ثبت عن ابن مسعود
الامر بالصلاة عليه قبل الدعاء دل على انه اطلع على زيادة ذلك بين التشهد والدعاء واندفعت حجة من تمسك
بحديث ابن مسعود في دفع ما ذهب اليه الشافعي مثل ما ذكر القاضي قال وهذا تشهد ابن مسعود الذي علمه
له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه ذكر الصلاة عليه وفي جزء الحسن بن عرفة مرفوعا واخرج المعمري في عمل اليوم
والليلة عن ابن عمر بسند جيد قال لا تكون الصلاة الا بقراءة وتشهد وصلاة علي واخرج البيهقي في الخلافيات
بسند قوي عن الشعبي وهو من كبار التابعين قال تعلمنا التشهد فاذا قال واشهد ان محمدا عبده ورسوله يحمد
ربه ويثني عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسال حاجته وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود مرفوعا
من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه من قول ابي جعفر محمد
ابن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم لكن راويه
عن ابي جعفر جابر الجعفي وهو ضعيف كذا في الشفا وقد وافق الامام الشافعي من فقهاء الامصار احمد في احدى
الروايتين عنه وعمل به اخيرا كما حكاه عنه ابو زرعة الدمشقي فيما ذكره الحافظ ابن كثير واوجب اسحق بن راهويه
الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان والمشهور عن احمد انها تبطل بتركها عمدا او سهوا وعليه اكثر اصحابه
حتى ان بعض ائمة الحنابلة اوجب ان يقال في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما علمهم ان يقولوا لما سالوه كما ذكره
ابن كثير ووافق الخرقي اسحق في التقييد بالعمد دون السهو والخلاف ايضا عند المالكية كما ذكره ابن الحاجب في
سنن الصلاة ثم قال على الصحيح فقال شارحه ابن عبد السلام يريد ان في وجوبها قولين وهو ظاهر كلام الامام
ابن المواز وبه صرح عنه ابن القصار وعبد الوهاب كما في الشفا بلفظ انه يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي
قال وحكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة اقوال في الصلاة الوجوب والسنة والندب ورايت
مما عزي للقاضي ابي بكر بن العربي في سراج المريدين قال ابن المواز والشافعي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من فرائض
الصلاة وهو الصحيح انتهى وقد يلزم القائل من الحنفية بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر كالطحاوي ونقله السروجي
في شرح الهداية عن اصحاب المحيط والعقد والتحفة من كتبهم ان في التشهد يقول بوجوبها لتقدم ذكره صلى الله عليه وسلم

يقولوا بوجوبها في آخر التشهد

في آخر التشهد في قوله واشهد ان محمدا رسول الله كل الجمهور بل نحو ذلك ولا يجعلونه شرطا في صحة الصلاة وكم
خالف الشافعي احد من اصحابه في ذلك بل قال بعض اصحابنا بوجوب الصلاة على الآل ايضا كما حكاه البندنيجي
والدارمي ونقله امام الحرمين والغزالي قولا عن الشافعي قال الحافظ ابن كثير والصحيح انه وجه على ان الجمهور
على خلافه وللقول بوجوبه ظهور الحديث واما مخالفة الخطابي من اصحاب الشافعي للشافعي فلا يعتد به
لمقتضى الامر المحمول على الوجوب اجماعا واولى احواله الصلاة ولا مانع من احتمال كونه مرادا واما قوله ولا اعلم
له فيها قدوة فيقال عليه لا ريب ان الشافعي قدوة يقتدى به والمقام مقام اجتهاد فلا افتقار له فيه الى
غيره واما قوله في الشفا والدليل على انها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي و
اجماعهم عليه ففيه نظر لانه ان اراد بالعمل الاعتقاد فيحتاج الى النقل الصريح عنهم بان ذلك ليس بواجب واني
يوجد ذلك واما قوله وقد شنع الناس عليه يعني الشافعي هذه المسالة جدا فلا معنى له واي شناعة في ذلك ولم يخالف
فيه نصا ولا اجماعا ولا قياسا ولا مصلحة راجحة بل القول بذلك من محاسن مذهبه ولا ريب ان القائل
بجواز ترك الصلاة على افضل خلق الله في الصلاة التي هي راس العبادة المطلوب فيها الخضوع واستحضار شارعها
والثناء عليه اولى بالتشنيع واما نقله الاجماع فقد تقدم ما فيه واما قوله ان الشافعي اختار تشهد ابن مسعود
فلم يقل به احد والشافعي انما اختار تشهد ابن عباس كما سياتي ان شاء الله تعالى في فصل بعد كلامه صلى الله عليه وسلم
وقد استدل للوجوب بما اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي وصححه وكذا ابن خزيمة وابن حبان والحاكم
من حديث فضالة بن عبيد قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال عجل هذا ثم دعاه فقال اذا صلى احدكم فليبدا بالحمد لله والثناء عليه ثم ليصل على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء قلت ومما يعد من كرامات امامنا الشافعي وسره البارز ان القاضي
عياضا ساق هذا الحديث بسنده من طريق الترمذي من غير ان يتعرض في سياقه لعد قوله فصل في المواطن التي
يستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء
وهذا الحديث كما ترى من اعظم الادلة لنا فان قال قائل ليس لكم فيه دلالة لانه قال فيه سمع رجلا يدعو في صلاته
ولم يقل في تشهده يجاب بانه يلزم من هذا ان القاضي عياضا ساقه في غير محله لانه عقد الفصل كما قدمته
لبيان مواطن استحباب الصلاة ثم قال ومن ذلك في تشهد الصلاة وفي مصابيح البغوي من حديث فضالة
ابن عبيد هذا ما يدل على انه كان في التشهد ولفظه قال دخل رجل فقال اللهم اغفر لي وارحمني فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عجلت ايها المصلي اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو اهله وصل علي ثم ادعه وفي قوله
عجلت استلواح فوات الكمال عن الحقيقة الجزئية اذ لو كانت مجزئة لما حسن اللوم والتعليم بصيغة الامر
فان قال انه في مقام تعليم المستحبات اذ لو كان في الواجبات لامره بالاعادة كما امر المسيء صلاته يجاب بان في
قوله هنا غنية عن الامر بالاعادة لانه حيث علمه ما هو الواجب علم قطعا انه لم يات به اولا فلم يكن اتيانا به فوجب
اعادته وهم اهل الفهم والعرفان فان قال ان قوله فقعدت يحتمل ان يكون عطفا على مقدر تقديره اذا صليت
وفرغت فقعدت للدعاء فاحمد الله يجاب بان الاصل عدمه وانما هو عطف على المذكور اي اذا كنت في الصلاة
فقعدت للتشهد فاحمد الله اي اثن عليه بقولك التحيات لله الى اخره والله اعلم وقال الجرجاني من الحنفية
وغيره لو كانت فرضا للزم تاخير البيان عن وقت الحاجة لانه عليه السلام علمهم التشهد وقال فليتخير من الدعاء
ما شاء ولم يذكر الصلاة عليه واجيب باحتمال ان لا تكون فرضت حينئذ وقال الحافظ زين الدين العراقي

في شرح الترمذي قد ورد هذا في الصحيح بلفظ ثم ليتخير وتمسك المراغي فدل على انه كان هناك شيء بين التشهد والدعاء
انتهى وقد اطنب الشيخ ابو امامة ابن النقاش في تفسيره في الانتصار للشافعي في هذه المسئلة بما يطول ذكره فالله تعالى
ينبه على قصده الجميل واما صفة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة
فقال الا اهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك
فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم
بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ال ابرهيم انك حميد مجيد رواه البخاري ومسلم والترمذي وابو داود
والنسائي فان قلت كيف تطابق قوله اللهم صل على محمد قوله كما صليت على ال ابرهيم اجاب القاضي عياض بان
الال مقحم كما في قوله عليه السلام لابي موسى انه اعطي مزمارا من مزامير ال داود ولم يكن له ال مشهور بحسن الصوت
وقد روى هذا الحديث ابن ابي حاتم بلفظ لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه
وسلموا تسليما قال قلنا يا رسول الله فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على
ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وال ابرهيم انك حميد مجيد وقال
عبد الرحمن بن ابي ليلى يقول وعلينا معهم وعن ابي حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا
اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ال ابرهيم انك
حميد مجيد رواه الامام احمد وعن ابي مسعود الانصاري قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد
ابن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم
وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم رواه مالك
ومسلم وغيرهما فان قلت ما موقع التشبيه في قوله كما صليت على ابرهيم مع ان المقرر ان المشبه دون المشبه به
والواقع هنا عكسه لان محمدا صلى الله عليه وسلم وحده افضل من ال ابرهيم ومن ابرهيم ولا سيما وقد اضيف اليه
ال محمد وقضية كونه افضل ان تكون الصلاة المطلوبة افضل من كل صلاة حصلت او تحصل لغيره فقد اجاب العلماء عنه
باجوبة كثيرة منها انه عليه السلام قال ذلك قبل ان يعلم انه افضل من ابرهيم وقد اخرج مسلم من حديث انس ان
رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا خير البرية قال ذاك ابرهيم وتعقب بانه لو كان كذلك لغير صفة الصلاة عليه
بعد ان علم انه افضل ومنها انه قال ذلك تواضعا وشرع ذلك لامته ليكتسبوا بذلك الفضيلة ومنها ان التشبيه
انما هو لاصل الصلاة باصل الصلاة لا للقدر بالقدر فهو كقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح وهو
كقول القائل احسن الى ولدك كما احسنت الى فلان ويريد بذلك اصل الاحسان لا قدره ومنه قوله تعالى واحسن
كما احسن الله اليك ورجح هذا القول القرطبي في المفهم ومنها ان قوله اللهم صل على محمد مقطوع عن التشبيه
فيكون التشبيه متعلقا بقوله وعلى ال محمد وتعقب بان غير الانبياء لا يمكن ان يساووا الانبياء فكيف تطلب لهم
صلاة مثل الصلاة التي وقعت لابرهيم والانبياء من اله ويمكن الجواب عنه بان المطلوب الثواب الحاصل لهم
لا جميع الصفات التي كانت سببا للثواب وقد نقل العمراني في البيان عن الشيخ ابي حامد انه نقل هذا الجواب
عن نص الشافعي واستبعد ابن القيم صحة ذلك عن الشافعي لانه مع فصاحته ومعرفته بلسان العرب لا يقول هذا
الكلام المستلزم هذا التركيب الركيك المعيب من كلام العرب كذا قاله وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال ليس التركيب
المذكور ركيكا بل التقدير اللهم صل على محمد وصل على ال محمد كما صليت الى اخره فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة الثانية

ومنها

ومنها رفع المقدمة المذكورة اولا وهي ان المشبه به يكون ارفع من المشبه وان ذلك ليس مطردا بل قد يكون
التشبيه بالمثل بل بالدون كما في قوله تعالى مثل نوره كمشكاة واين يقع نور المشكاة من نوره تعالى ولكن
لما كان المراد من المشبه به ان يكون شيئا ظاهرا واضحا للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة وكذا هنا
لما كان تعظيم ابرهيم وال ابرهيم بالصلاة عليهم مشهورا واضحا عند جميع الطوائف حسن ان يطلب لمحمد
وال محمد بالصلاة عليهم مثل ما حصل لابرهيم وال ابرهيم ويؤيد ذلك ختم الطلب المذكور بقوله في العالمين
اي كما اظهرت الصلاة على ابرهيم وعلى ال ابرهيم في العالمين ولهذا لم يقع في العالمين الا في ذكر ابرهيم دون
ذكر ال محمد على ما وقع في الحديث الذي وردت فيه وهو حديث ابي مسعود الانصاري الذي ذكرته وهذا
معنى قول الطيبي وليس التشبيه المذكور من باب الحاق الناقص بالكامل لكن من باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر
وقال النووي احسن الاجوبة ما نسب الى الشافعي ان التشبيه لاصل الصلاة باصل الصلاة او المجموع بالمجموع
وقال ابن القيم بعد ان زيف اكثر الاجوبة الا تشبيه المجموع بالمجموع واحسن منه ان يقال هو صلى الله
عليه وسلم هو من ال ابرهيم وقد ثبت ذلك عن ابن عباس في تفسير قوله ان الله اصطفى ادم ونوحا وال
ابرهيم وال عمران على العالمين قال محمد من ال ابرهيم فكانه امرنا ان نصلي على محمد وعلى ال محمد خصوصا
بقدر ما صلينا عليه مع ابرهيم وال ابرهيم عموما فيحصل لاله ما يليق بهم ويبقى الباقي كله له وذلك القدر ازيد
مما لغيره من ال ابرهيم وظهر حينئذ فائدة التشبيه وان المطلوب له بهذا اللفظ افضل من المطلوب بغيره
من الالفاظ وقال الحليمي سبب هذا التشبيه ان الملائكة قالت في بيت ابرهيم رحمت الله وبركاته عليكم
اهل البيت انه حميد مجيد وقد علم ان محمدا وال محمد من اهل بيت ابرهيم فكانه قال اجب دعاء الملائكة
الذين قالوا ذلك في محمد وال محمد كما اجبتها عندما قالوها في ال ابرهيم الموجودين حينئذ ولذلك ختم بما ختم
به الاية وهو قوله انك حميد مجيد ومما يعزى للعارف الرباني ابي محمد المرجاني انه قال وسر قوله صلى الله عليه
وسلم كما صليت على ابرهيم وكما باركت على ابرهيم ولم يقل كما صليت على موسى عليه السلام لان موسى عليه السلام
كان التجلي له بالجلال لان المحبة والخلة من اثار التجلي بالجمال فلهذا امرهم صلى الله عليه وسلم ان يصلوا عليه كما
صلى على ابرهيم ليسألوا له التجلي بالجمال وهذا لا يقتضي التسوية فيما بينه وبين الخليل صلوات الله وسلامه عليهما
لانه انما امرهم ان يسألوا له التجلي بالوصف الذي تجلى به للخليل عليه السلام فالذي يقتضيه الحديث اشتراكهما
في الوصف الذي هو التجلي بالجمال ولا يقتضي التسوية في المقامين ولا في الرتبتين فان الحق سبحانه يتجلى بالجمال
لشخصين بحسب مقاميهما وان اشتركا في وصف التجلي بالجمال فيتجلى لكل واحد منهما بحسب مقامه عنده
ورتبته ومكانته فيتجلى للخليل عليه السلام بالجمال بحسب مقامه ويتجلى لسيدنا صلى الله عليه وسلم
بالجمال بحسب مقامه فعلى هذا يفهم الحديث انتهى فان قلت ما المراد بال محمد في هذا الحديث فالجواب
ان الراجح انهم من حرمت عليهم الصدقة كما نص عليه الشافعي واختاره الجمهور ويؤيده قوله عليه السلام
للحسن بن علي انا ال محمد لا تحل لنا الصدقة وقيل المراد بال محمد ازواجه وذريته وقيل المراد بهم جميع الامة
امة الاجابة وحكاه ابو الطيب الطبري عن بعض الشافعية ورجحه النووي في شرح مسلم وقيده القاضي حسين
بالاتقياء منهم وعليه يحمل كلام من اطلق ويؤيده ما رواه تمام في فوائده والديلمي عن انس قال سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ال محمد فقال كل تقي من امة محمد زاد الديلمي ثم قرا ان اولياؤه الا المتقون واسنادهما
ضعيف لكن ورد ما يشهد لذلك في الصحيحين كحديث ان ال بني فلان ليسوا لي باولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين

بالجلال نحو موسى صعقا
والخليل ابرهيم عليه السلام
كان التجلي له صح

محمد صح

لنفسي ملخصًا وقد استدل العلماء بتعليمه صلى الله عليه وسلم لاصحابه هذه الكيفية بعد سؤالهم عنها بانها افضل
كيفيات الصلاة عليه لانه لا يختار لنفسه الا الاشرف الافضل ويترتب على ذلك لو حلف ان يصلي على النبي صلى
الله عليه وسلم افضل الصلاة فطريق البراءة ان ياتي بذلك هكذا صوبه النووي في الروضة بعد ذكر حكاية الرافعي
عن المروزي انه قال يبر اذا قال كلما ذكره الذاكرون وكلما سهى عن ذكره الغافلون قال النووي وكانه اخذ
ذلك من كون الشافعي ذكر هذه الكيفية يعني في خطبة الرسالة ولكن بلفظ عما بدل سهى وقال الاوزاعي ابراهيم
ابراهيم المذكور كثير النقل من تعليقة القاضي حسين ومع ذلك فالقاضي قال في طريق البراءة يقول اللهم صل
على محمد كما هو اهله ويستحقه وكذا نقله البغوي في تعليقه ولو جمع بينها فقال ما في الحديث واضاف اليه
الشافعي وما قاله القاضي لكان اشمل ولو قيل انه يعمد الى جمع ما اشتملت عليه الروايات الثابتة فيستعمل منها
ذكرًا يحصل به البر لكان حسنًا وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تشهد احدكم في الصلاة
فليقل اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وارحم محمدا وال محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم
انك حميد مجيد رواه الحاكم وقد يستدل بهذا الحديث من ذهب الى جواز الترحم على النبي صلى الله عليه وسلم كما هو
قول الجمهور ويعضده حديث الاعرابي الذي قال اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا احدا فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقد تحجرت واسعًا وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منعه قال واجازه ابو محمد بن ابي زيد
انتهى وسيأتي ما في ذلك في اخر البحث ان شاء الله تعالى في المقصد التاسع عند الكلام على التشهد وعن سلامة الكندي
ان عليًا كان يعلم الناس هذا الدعاء ولفظ يعلم الناس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول
اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحننك على محمد عبدك
ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ جيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك
بطاعتك مستوفزًا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيًا على نفاذ امرك حتى اورى قبسًا لقابس
الاء الله تصل باهله اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وابهج موضحات الاعلام
ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك
نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنئات له غير
مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك
ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة مرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل
وبرهان عظيم حديث موقوف رواه الطبراني وقال الحافظ ابن كثير في سنده نظر قال وقال شيخنا
الحافظ ابو الحجاج المزي سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليًا كذا قال وقوله داحي المدحوات
اي باسط الارضين وكل شيء بسطته ووسعته فقد دحوته وبارئ المسموكات اي خالق السموات وكل
شيء رفعته واعليته فقد سمكته والدامغ جيشات الاباطيل اي المهلك لما نجم وارتفع منها وفار واصل الدمغ
من الدماغ دمغه اصاب دماغه وجيشات من جاش اذا ارتفع واضطلع افتعل من الضلاعة وهي
القوة واورى قبسًا لقابس اي اظهر نورًا من الحق لطالبه والاء الله نعم الله تصل باهله اي اهل ذلك
القبس وهو الاسلام والحق اسبابه واهله المؤمنون وبه هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم
اي هديت بعد الكفر والفتن لموضحات الاعلام ونائرات الاحكام والمنيرات الواضحات يقال انار الشيء ونار اذا وضح
وشهيدك يوم الدين يريد الشاهد على امته يوم القيامة وبعيثك نعمة اي مبعوثك فعيل بمعنى مفعول وابهج

لما وتبع له وفي عدنك اي في جنتك جنة عدن والمعلول من العلل وهو الشرب بعد الشرب يريد ان
عطاءه مضاعف كانه يعل به عباده اي يعطيهم عطاء بعد عطاء واعل على بناء الناس وفي رواية البانين اي ارفع
فوق اعمال العاملين عمله واكرم مثواه اي منزله ونزله رزقه والخطة بضم الخاء المعجمة الامر والقصة والفصل
القطع وعن عبد الله بن مسعود قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه
فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قال فقالوا له علمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك
على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم
ابعثه مقامًا محمودًا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم انك
حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وال ابرهيم انك حميد مجيد حديث موقوف رواه
ابن ماجه وعن رويفع بن ثابت الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على محمد وقال
اللهم انزله المقعد المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي رواه الطبراني قال ابن كثير واسناده حسن لم
يخرجوه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى
علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت
على ابرهيم انك حميد مجيد رواه ابو داود وعن طاوس سمعت ابن عباس يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى
وارفع درجته العليا واعطه سوله في الاخرة والاولى كما اتيت ابرهيم وموسى رواه اسمعيل القاضي قال ابن كثير
واسناده جيد قوي صحيح واما المواطن التي تشرع فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فمنها التشهد الاخير وهي
واجبة فيه كما قدمنا وفي وجوبها في التشهد الاول قولان اظهرهما المنع لانه مبني على التخفيف بل هي سنة تابعة
وفي استحباب الصلاة على الال في التشهد الاول قولان وفي وجوبها في الاخير روايتان اصحهما المنع بل هي سنة
تابعة واقلها اللهم صل على محمد وكذا صلى الله على محمد واقلها على الال واله وقال في الكفاية باعادة على
ومنها خطبة الجمعة وكذا غيرها من الخطب ولا تصح خطبة الجمعة الا بها الا بها عبادة وذكر الله فيها شرط فوجب
ذكر الرسول فيها كالاذان والصلاة وهذا مذهب الشافعي واحمد ومنها عقب اجابة المؤذن لما رواه الامام
احمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
ثم صلوا علي فانه من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرًا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي
الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة واخرجه مسلم وابو
داود والترمذي والنسائي من حديث كعب بن علقمة وذكره بلفظ الرجا وان كان محقق الوقوع ادبًا وارشادًا
وتعليمًا منه وتذكيرًا بالخوف وتفويضًا الى الله بحسب مشيئته ولكون الطالب للشيء بين الرجا والخوف وقوله
حلت عليه شفاعتي وجبت وقيل غشيته ونزلت به تنبيه قال شيخنا في المقاصد الحسنة حديث
الدرجة الرفيعة المدرج فيما يقال بعد الاذان لم ار في شيء من الروايات واصل الحديث عند احمد والبخاري والاربعة
عن جابر مرفوعًا من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ات محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيمة قال وكان من زادها اغتر بما
وقع في بعض نسخ الشفا في حديث جابر المشار اليه لكن مع زيادتها في هذه النسخة المعتمدة علم عليها كانها اشار
الى الشك فيها ولم ارها في سائر نسخ الشفا بل في الشفا عقبها انما في مكان اخر ولم يذكر فيه حديثًا مرفوعًا
وهو دليل لغلطها انتهى والله اعلم ومنها اول الدعاء واوسطه واخره لما روى احمد من حديث جابر ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج
الى شرابه شربه او الوضوء توضأ والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه وآخره ومنها وهو
من آكدها عقب دعاء القنوت لما رواه احمد واهل السنن وابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث ابي
الحوراء عن الحسن بن علي قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن في الوتر اللهم اهدني
فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني شر ما قضيت فانك تقضي
ولا يقضى عليك انه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت وزاد النسائي في سننه وصلى الله على النبي
وسيأتي في المقصد التاسع البحث في ذلك ان شاء الله تعالى ومنها اثناء تكبيرات العيدين لما روى
اسمعيل القاضي ان ابن مسعود وابا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة فقال ان هذا العيد
قد دنا فكيف التكبير فيه فقال عبد الله تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تقرأ ثم تكبر
وتركع ثم تقوم فتكبر وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك
ثم تركع فقال حذيفة وابو موسى صدق ابو عبد الرحمن قال ابن كثير اسناده صحيح ومنها عند دخول
المسجد والخروج منه لما رواه عن فاطمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى على محمد
ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب فضلك ومنها في صلاة الجنازة فان السنة ان يقرأ الفاتحة بعد احدى التكبيرات وبعد الاولى او
وان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الثانية ويدعو للميت بعد الثالثة وبعد الرابعة يقول اللهم
لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده وفي ذلك حديث رواه الشافعي والنسائي ومنها عند التلبية لما رواه الـ
والدارقطني عن القسم بن محمد بن ابي بكر الصديق قال كان يؤمر الرجل اذا فرغ من تلبيته ان يصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم على كل حال ومنها عند الصفا والمروة لما روى اسمعيل القاضي عن عمر بن الخطاب انه
قال اذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث
ترون البيت فكبروا سبع تكبيرات تكبيرا بين حمد الله وثناء عليه وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسألة
لنفسك وعلى المروة مثل ذلك قال ابن كثير اسناده حسن جيد قوي ومنها عند الاجتماع والتفرق لما
روى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه
ولم يصلوا على نبيه الا كان عليهم ترة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وروى اسمعيل القاضي عن ابي سعيد
قال ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان
دخلوا الجنة لما يرون من الثواب ومنها عند الصباح والمساء لما روى الطبراني من حديث ابي الدرداء مرفوعا
من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا ادركته شفاعتي يوم القيمة ومنها عند الوضوء لحديث
ابن ماجه عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يصل على النبي صلى الله عليه
وسلم ومنها عند طنين الاذن لحديث ابي رافع عند ابن السني مرفوعا اذا طنت اذن احدكم فليذكرني
وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير ومنها عند نسيان الحديث لحديث ابي موسى المديني بسند فيه ضعف
عن انس يرفعه اذا نسيتم شيئا فصلوا علي تذكروه ان شاء الله ومنها عند العطاس كما ذهب اليه ابو موسى
المديني وجماعة وخالفهم في ذلك آخرون وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كالاكل والشرب

والوقاع

والوقاع ونحو ذلك ومنها عند زيارة قبره الشريف لحديث ابي داود عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وورد الامر بالاكثار منها
يوم الجمعة وليلتها فعن اوس بن اوس الثقفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من افضل ايامكم
يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم
معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت يعني وقد بليت قال ان الله
حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء رواه احمد وابو داود والنسائي وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة
وابن حبان والدارقطني قال الحافظ ابن كثير وقد روى البيهقي من حديث ابي امامة عن النبي صلى
الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة لكن في اسناده ضعف فان
قلت ما الحكمة في خصوصية الاكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها اجاب
ابن القيم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الانام ويوم الجمعة سيد الايام فللصلاة عليه فيه
مزية ليست لغيره مع حكمة اخرى وهي ان كل خير نالته امته في الدنيا والآخرة فانما نالته على يديه
صلى الله عليه وسلم فجمع الله لامته به بين خيري الدنيا والآخرة واعظم كرامة تحصل لهم فانما تحصل
يوم الجمعة فان فيه بعثهم الى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم اذا دخلوا الجنة وهو
عيد لهم في الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم ولا يرد سائلهم وهذا كله انما
عرفوه وحصل لهم على يده فمن شكره وحمده واداء القليل من حقه صلى الله عليه وسلم ان نكثر من
الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته واما فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فقد ورد التصريح
به في احاديث كثيرة قوية لم يخرج البخاري منها شيئا امثلها ما اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد احدا يتبعه فاتاه عمر فطهره من خلفه فوجد النبي صلى
الله عليه وسلم ساجدا فتنحى عنه حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم راسه فقال احسنت يا عمر حين
وجدتني ساجدا فتنحيت عني ان جبريل اتاني فقال من صلى عليك من امتك واحدة صلى الله عليه عشر
صلوات ورفعه عشر درجات رواه الطبراني قال ابن كثير وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء
المقدسي في كتابه المستخرج على الصحيحين وعن ابي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات
يوم والسرور يرى في وجهه فقالوا يا رسول الله انا لنرى السرور في وجهك فقال انه اتاني الملك فقال
يا محمد اما يرضيك ان ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا
يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا قال بلى رواه الدارمي واحمد وابن حبان والحاكم والنسائي
واللفظ له وعن عامر بن ربيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة لم تزل
الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقل عبد من ذلك او ليكثر رواه احمد وابن ماجه من حديث شعبة و
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته
بها سبعين صلاة فليقل عبد من ذلك او ليكثر رواه احمد والتخيير بعد الاعلام بما فيه الخيرة في الحث
فيه على جهة التحذير من التفريط في تحصيله وهو قريب من معنى التهديد وروى الترمذي ان ابي بن كعب
قال يا رسول الله اني اكثر الصلاة فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت وان

زدت فهو خير لك قلت فالنصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالثلثين قال ما شئت
وان زدت فهو خير لك قلت اجعل لك صلاتي كلها قال اذاً تكفى همك ويغفر ذنبك ثم قال هذا
حديث حسن فهذا ما يتعلق بالصلاة واما السلام فقال النووي يكره افراد الصلاة عن السلام
واستدل لعدم ورود الامر بهما معاً في الاية يعني قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين
امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وتعقبوه بان النبي صلى الله عليه وسلم علم اصحابه التسليم قبل تعليمهم الصلاة
كما هو مصرح به في قولهم يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك وقوله علم الصلاة
والسلام يعني انه علمهم الصلاة والسلام كما قد علمتم فافرد التسليم مدة قبل الصلاة عليه لكن قال في فتح البارى
انه يكره ان يفرد الصلاة ولا يسلم اصلاً اما لو صلى في وقت وسلم في وقت اخر فانه يكون ممتثلا وقال
ابو محمد الجويني من اصحابنا السلام بمعنى الصلاة فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به غير الانبيا فلا يقال
علي عليه السلام وسوا في هذا الاحيا والاموات واما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك او عليكم
او السلام عليك او عليكم وهذا مجمع عليه انتهى وقد جرت عادة بعض النساخ ان يفردوا عليا وفاطمة رضي
الله عنهما بالسلام فيقولوا عليه او عليها السلام من دون سائر الصحابة في ذلك وهذا وان كان معناه
صحيحا لكن ينبغي ان يساوى بين الصحابة رضي الله عنهم في ذلك فان هذا من باب التعظيم والتكريم
والشيخان وعثمان اولى بذلك منهما اليه ابن كثير واما الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم فاختلف فيها
واخرج البيهقي بسند واه من حديث بريدة رفعه لا تتركن في التشهد الصلاة علي وعلى انبيا الله واخرج
اسمعيل القاضي بسند ضعيف من حديث ابي هريرة صلوا على انبيا الله واخرج الطبراني من حديث ابن
عباس رفعه اذا صليتم علي فصلوا على انبيا الله فان الله بعثهم كما بعثني وثبت عن ابن عباس اختصاص ذلك
بالنبي صلى الله عليه وسلم اخرجه ابن ابي شيبة من طريق عثمان بن حكيم عن عكرمة عنه قال ما اعلم الصلاة تنبغي على
احد من احد الا النبي صلى الله عليه وسلم وسنده صحيح وحكي القول به عن مالك وجاء نحوه عن عمر بن عبد
العزيز وقال سفيان يكره ان يصلي الا على نبي وعن بعض شيوخ مذهب مالك لا يجوز ان يصلى الا على محمد
قالوا وهذا غير معروف عن مالك وانما قال اكره الصلاة على غير الانبيا وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به
وخالفه يحيى بن يحيى فقال لا باس به واحتج بان الصلاة دعا بالرحمة فلا يمنع الا بنص او اجماع واما الصلاة
على غير الانبيا فان كان على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وال محمد ونحوه فهذا جائز
بالاجماع وانما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبيا بالصلاة عليهم فقال قائلون بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى
هو الذي يصلي عليكم وملائكته وقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وبقوله تعالى خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وبحديث عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على ال ابي اوفى اخرجه
الشيخان وقال الجمهور من العلما لا يجوز افراد غير الانبيا بالصلاة لان هذا قد صار شعاراً للانبيا
اذا ذكروا فلا يلحق غيرهم فلا يقال ابو بكر صلى الله عليه وسلم او قال علي صلى الله عليه وسلم وان كان المعنى صحيحا
كما لا يقال قال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا لان هذا من شعار ذكر الله عز وجل وحملوا ما ورد في ذلك
من الكتاب والسنة على الدعا لهم ولهذا لم يثبت شعاراً لال ابي اوفى وهذا مسلك حسن وقال اخرون
لا يجوز ذلك لان الصلاة على غير الانبيا قد صار من شعار اهل الاهوا يصلون على من يعتقدون فيهم

فلا

فلا يقتدى بهم في ذلك ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو من باب التحريم او كراهة التنزيه او خلاف
الاولى على ثلاثة اقوال حكاها النووي في كتاب الاذكار ثم قال والصحيح الذي عليه الاكثرون
انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار اهل البدع وقد نهينا عن شعارهم **الفصل الثالث في ذكر محبة اصحابه
عليه السلام واله وقرابته واهل بيته وذريته** قال الطبري اعلم ان الله تعالى لما اصطفى نبيه صلى الله عليه وسلم
على جميع من سواه وخصه بما عمه به من فضله الباهر وحباه اهلي بركته من انتمى اليه نسبا او نسبة
ورفع من انطوى عليه نصرة وصحبة والزم مودة قرباه كافة بريته وفرض محبة جملة اهل بيته
المعظم وذريته فقال تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى ويروى انها لما نزلت قالوا يا
رسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقد اختلف في المراد باهل البيت في هذه الاية فروى ابن ابي حاتم
عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت في نسا النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عكرمة انه كان
ينادي في السوق انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قال نزلت في نسا النبي صلى الله عليه
وسلم قال الحافظ ابن كثير وهذا يعني ما في هذه الاية نص في دخول ازواجه صلى الله عليه وسلم لانهن
سبب نزول هذه الاية وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا اما وحده على قول او مع غيره على الصحيح
وقيل المراد النبي صلى الله عليه وسلم قال عكرمة من شا باهلته انها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم
وان كان المراد انهن كن سبب النزول دون غيرهن وفي هذا نظر فانه قد ورد في ذلك احاديث تدل
على ان المراد اعم من ذلك فروى الامام احمد عن واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جا
ومعه علي وحسن وحسين اخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فادنى عليا وفاطمة فاجلسهما بين يديه
واجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه او قال كساه ثم تلا هذه الاية انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي واهل بيتي احق زاد
في رواية ابن جرير فقلت وانا يا رسول الله من اهلك قال وانت من اهلي قال واثلة وانها من ارجى
ما ارتجي وعن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بيتها اذ جاءت فاطمة ببرمة فيها
خزيرة فدخلت عليه بها فقال ادعي زوجك وابنيك قالت فجا علي وحسن وحسين فدخلوا عليه
فجلسوا ياكلون من تلك الخزيرة وتحته كسا قالت وانا في الحجرة اصلي فانزل الله عز وجل هذه الاية
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت فاخذ فضل الكسا فغشاهم به ثم
اخرج يده فالوى بها الى السما ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
قالت فادخلت راسي من البيت فقلت وانا معكم يا رسول الله فقال انك الى خير انك الى خير رواه احمد
وفي اسناده من لم يسم وبقية اسناده ثقات وقوله وحامتي بالتشديد اي خاصتي وعن ابي سعيد قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الاية في خمسة في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا رواه ابن جرير ورواه احمد في المناقب والطبراني
وعن زيد بن ارقم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما
بعد ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب
الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به وحث فيه ورغب فيه ثم قال

واهل بيتي اذكركم الله عز وجل في اهل بيتي ثلث مرات فقيل لزيد من اهل بيته اليس نساؤه من اهل
بيته قال بلى ان نساءه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل
علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس قال كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة قال نعم خرجه مسلم والاخذ
بهذا الحديث احرى وليس المراد بالاهل الازواج فقط بل هم مع آله ولا يشك من تدبر القرآن ان نساء النبي
صلى الله عليه وسلم داخلات في الاية الكريمة فان سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله
واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وهذا اختيار ابن عطية بعد ان نقل ان الجمهور على انهم
علي وفاطمة والحسن والحسين قال وحجة الجمهور قوله تعالى عنكم ويطهركم بالميم ولو كان للنساء
خاصة لكان عنكن واجيب بان الخطاب بلفظ المذكر وقع على سبيل التغليب فيكون المراد به كالمراد
بالآل في حديث كيفية الصلاة عليه السابق ذكره على قول من فسره به كما قدمته مع جزم قريبا في الفصل
السابق والله اعلم ولله در القائل سو بآل بيت رسول الله حبكم • فرض من الله في القرآن انزله
يكفيكم من عظيم الفخر انكم • من لم يصل عليكم لا صلاة له • واخرج احمد عن ابي سعيد معنى حديث
زيد بن ارقم السابق مرفوعا بلفظ اني اوشك ان ادعى فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي
اهل بيتي وان اللطيف الخبير اخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما
وعترة الرجل كما قاله الجوهري اهله ونسله ورهطه الادنون اي الاقارب وعن ابي بكر الصديق رضي
الله عنه انه قال يا ايها الناس ارقبوا محمدا في اهل بيته رواه البخاري والمراقبة للشي المحافظة عليه يقول
احفظوهم ولا تؤذوهم وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كما في البخاري ايضا لقرابة رسول الله صلى
الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي وهذا قاله على سبيل الاعتذار لفاطمة عن منعه اياها مما طلبته
من تركة النبي صلى الله عليه وسلم وقد جرى منه على موجب الايثار لانه عليه السلام شرط الاجابة له
على النفس والمال والولد كما قدمت ذكره في الفصل الاول من هذا المقصد ثم انه صلى الله عليه وسلم اثبت
لاقاربه ما اثبت لنفسه من ذلك فقال من احبهم فبحبي احبهم وحثنا على ذلك شفقة منه علينا صلوات
الله وسلامه عليه وعليهم ولقد احسن القائل سو رايت ولائي آل طه فريضة
على رغم اهل البعد يورثني القربا • فما طلب المبعوث اجرا على الهدى • بتبليغه الا المودة في القربى
وفي الترمذي وقال حديث حسن غريب احبوا الله لما يغذوكم به واحبوني بحب الله واحبوا اهل بيتي بحبي
وفي المناقب لاحمد من ابغض اهل البيت فهو منافق وروى ابن سعد من صنع الى احد من اهل بيتي معروفا
فعجز عن مكافاته في الدنيا فانا المكافئ له في القيامة والمراد بالقرابة من ينتسب الى جده الاقرب وهو عبد المطلب
ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم منهم او رآه من ذكر او انثى وهم علي واولاده الحسن والحسين ومحسن
وام كلثوم من فاطمة رضي الله عنها وجعفر واولاده عبد الله وعون ومحمد ويقال انه كان لجعفر
ابن ابي طالب ابن اسمه احمد وعقيل بن ابي طالب وولده مسلم بن عقيل وحمزة بن عبد المطلب واولاده
يعلى وعمارة وامامة والعباس بن عبد المطلب واولاده الذكور العشرة وهم الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله
والحرث ومعبد وعبد الرحمن وكثير وعون وتمام وفيه يقول العباس رضي الله عنه
تموا بتمام فصاروا عشرة • يا رب فاجعلهم كراما بررة • ويقال ان لكل منهم رؤية وكان من الاناث ام حبيبة
وآمنة وصفية واكثرهم من لبابة ام الفضل ومعتب بن ابي لهب والعباس بن ابي لهب وكان رفع

امية

امية بنت العباس وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب واخته ضباعة وكانت زوج المقداد بن الاسود
وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وابناه المغيرة والحرث ولهند بن الحرث هذا
رؤية وكان يلقب ببه عن حديث الثانية نفيلة وآمنة واروى وعاتكة وصفية بنات عبد
المطلب اسلمت صفية وصحبت وفي الباقيات الخلاف وفي البخاري من حديث سعد بن ابي وقاص ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لعلي انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي وفي لفظ اما ترضى ان تكون
مني بمنزلة هرون من موسى اي نازلا مني منزلة هرون من موسى والبا زائدة وقال الطيبي معنى الحديث
انه متصل بي نازل مني منزلة هرون من موسى وفيه تشبيه مبهم بينه بقوله الا انه لا نبي بعدي فعرف
ان الاتصال بينهما ليس من جهة النبوة بل من جهة ما دونها وهو الخلافة ولما كان هرون المشبه به انما
كان خليفة في حياة موسى دل ذلك على تخصيص خلافة علي للنبي صلى الله عليه وسلم بحياته والله اعلم واما
ما استدل به من هذا الحديث على استحقاق علي الخلافة دون غيره من الصحابة فان هرون كان خليفة
موسى فاجيب بان هرون لم يكن خليفة موسى الا في حياته لا بعد موته لانه مات قبل موسى باتفاق اشار
الى ذلك الخطابي واما حديث الترمذي والنسائي من كنت مولاه فعلي مولاه فقال الشافعي يعني بذلك ولاء
الاسلام كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقول عمر اصبحت مولى
كل مؤمن اي ولي كل مؤمن وطرق هذا الحديث كثيرة جدا استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من اسانيدها
صحاح وحسان وروي انه صلى الله عليه وسلم قال من آذى عليا فقد آذاني خرجه احمد واخرج المخلص
الذهبي من احب عليا فقد احبني وقد ذكر المفسرون ان قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم
الرحمن ودا نزل في علي وقال محمد بن الحنفية لا تجد مؤمنا الا وهو يحب عليا واهل بيته قال ابو حيان
في البحر ومن الغريب ما انشدنا الامام اللغوي رضي الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي
لزينبا ابن اسحق النصراني الرسعني ه • عدي وتيم لا احاول ذكرهم • بسوء ولكني محب لهاشم
وما يعتريني في علي ورهطه • اذا ذكروا في الله لومة لائم • يقولون ما بال النصارى تحبهم
واهل النهى من اعرب واعاجم • فقلت لهم اني لاحسب حبهم • سرى في قلوب الخلق حتى البهائم
وقالت عائشة رضي الله عنها كانت فاطمة احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها احب
الرجال اليه رواه الترمذي وفي البخاري ان فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني والبضعة بفتح الموحدة وحكي
ضمها وكسرها ايضا وسكون المعجمة اي قطعة لحم واستدل به السهيلي على ان من سبها فانه يكفر وفي الترمذي
من حديث اسامة بن زيد وقال حسن غريب انه صلى الله عليه وسلم قال في حسن وحسين اللهم اني
احبهما فاحبهما واحب من يحبهما وخرجه مسلم من حديث ابي هريرة في الحسن خاصة زاد ابو حاتم فما كان
احد احب الي من الحسن بعد ما قال صلى الله عليه وسلم ما قال وفي حديث ابي هريرة ايضا عند الحافظ السلفي قال ما
رايت الحسن بن علي قط الا فاضت عيناي دموعا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وانا في
المسجد فاخذ بيدي واتكا علي حتى جئنا سوق بني قينقاع فنظر فيه ثم رجع حتى جلس في المسجد ثم قال ادعوا ابني
قال فاتى الحسن بن علي يشتد حتى وقع في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه
ويقول اللهم اني احبه فاحبه واحب من يحبه ثلث مرات وفي الترمذي من حديث انس انه صلى الله عليه
وسلم كان يشمهما ويضمهما اليه وقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة

رواه احمد وقال الترمذي كان معي في الجنة وقال حديث غريب وليس المراد بالمعية من حيث المقام
بل من جهة رفع الحجاب كما تقرر نحو في قوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين في
المقصد السادس وفي حديث اهبان بن الاقرع رجل من الانصار انه صلى الله عليه وسلم قال في الحسن
من احبني فليحبه فليبلغ الشاهد الغائب وفي البخاري هما ريحانتاي من الدنيا وكان عليه الصلاة والسلام
يمص لسان الحسن او شفته رواه احمد وعن عقبة بن الحارث قال رايت ابا بكر وحمل الحسن وهو
يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وعن محمد بن سيرين عن انس كان يعني
الحسين اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم رواهما البخاري وعنده من رواية الزهري
عن انس لم يكن احد اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي وهذا قد يعارضه الوارد
في صفة النبي صلى الله عليه وسلم لم ار قبله ولا بعده مثله اخرجه الترمذي في الشمائل كما تقدم في المقصد
الثالث واجيب بانه يحمل النفي على عموم الشبه والمثبت على معظمه وقول انس لم يكن احد
اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي قد يعارض رواية ابن سيرين عن انس فقيه كان الحسين
يعني بالتاء اشبههم بالنبي صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع بان يكون انس قال ما وقع في رواية الزهري في
حياة الحسن لانه يومئذ كان اشد شبها بالنبي صلى الله عليه وسلم من اخيه الحسين واما ما وقع في
رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك او المراد بمن فضل عليه الحسين في الشبه كان من عدا الحسن
ويحتمل ان يكون كل منهما كان اشد شبها به في بعض اعضائه فقد روى الترمذي وابن حبان
من طريق هانئ بن هانئ عن علي قال الحسن اشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الراس الى
الصدر والحسين اشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما كان اسفل من ذلك وقد عد ممن كان له شبه
بالنبي صلى الله عليه وسلم سوى الحسن والحسين جعفر بن ابي طالب وقد قال عليه السلام لجعفر
اشبهت خلقي وخلقي قال الترمذي حسن صحيح وابنه عبد الله بن جعفر وقثم بن العباس بن عبد المطلب
وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ومسلم بن عقيل بن ابي طالب ومن غير بني هاشم السائب
ابن يزيد المطلبي الجد الاعلى للامام الشافعي وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف وفتح الراء وكابس بن ربيعة
رجل من اهل البصرة وجه اليه معاوية وقبل بين جبينه واقطعه قطيعة وكان انس اذا راه بكى فهؤلاء
عشرة ونظمهم شيخ الاسلام والحفاظ ابو الفضل بن حجر فقال

شبه النبي لعشر سائب وابي ... سفيان والحسنين الطاهرين هما
وجعفر وابنه ثم ابن عامرهم ... ومسلم كابس يتلوهم

وعدهم بعضهم سبعة وعشرين والمراد بالشبه الشبه في البعض والاتمام حسنه صلى الله عليه وسلم
منزه عن الشريك كما قال الابوصيري رحمه الله ولله دره منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم
كما اشرت اليه في المقصد الثالث وقد اطلت المقال وانما جرني الى ذلك ذكر حمل الصديق الحسن على
عاتقه المشعر بالاكرام من افضل البشر بعد النبيين لاهل البيت النبوي وحملهم على الاعناق لاسيما مع
قوله رضي الله عنه لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي فلما تمم الحديث
ذكر الشبه الكريم جرني الكلام اليه وهذا وقع لي كثيرا في هذا المجموع لكنه لا يخلو عن فرائد الفوائد
ومنها روي انه صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبد المطلب مني وانا منه لا تؤذوا العباس فتؤذوني من
سب العباس فقد سبني اخرجه البغوي في معجمه وقال صلى الله عليه وسلم للعباس ايضا والذي نفسي بيده

لا يدخل

لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ثم قال ايها الناس من آذى عمي فقد آذاني فانما عم الرجل
صنو ابيه رواه الترمذي وقال حسن صحيح وفي قوله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم اشارة الى ان الايمان
الحقيقي هو التصديق القلبي وبين المحبة والايمان ارتباط من جهة ان القلب محل المحبوب والايمان
التصديق القلبي فيجتمعان في القلب وجعلهما متلازمين فيلزم من نفي احدهما نفي الآخر ثم علل هذه المحبة
بكونها لله ولرسوله فلا عبرة بمحبة تكون لغير ذلك ثم جعل اذاه كاذى نفسه لانه عضو وعصبة ثم عظم
مقامه بتنزيله منزلة الاب فكما انه يجب على الولد تعظيم والده والقيام بحقوقه فكذلك عمه فقال وانما
عم الرجل صنو ابيه وهو بكسر الصاد المهملة وسكون النون اي مثل ابيه قال ابن الاثير واصله ان تطلع
نخلتان من عرق واحد يريد ان اصل العباس واصل ابي واحد انتهى وجلله عليه السلام وبنيه
بكساء ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه في ولده
رواه الترمذي وقال حسن غريب وزاد رزين ابن السري في روايته ان بنيه الذين جللوا بالكساء كانوا ستة
الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن قال وغطاهم بشملة سوداء مخططة بحمرة
وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي وعترتي فاسترهم من النار كستري اياهم بهذه الشملة قال فما بقي في البيت مدرة
ولا باب الا امن وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل بن ابي طالب اني احبك حبين حبا لقرابتك مني
وحبا لما كنت اعلم من حب عمي لك قال الطبري اخرجه ابو عمر صاحب الاستيعاب والبغوي وروى الدارقطني انه
صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين ابو سفيان بن الحارث خير اهلي او من خير اهلي واخرج الحاكم وصححه عن ابي
سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا اهل البيت احد الا ادخله الله النار واعلم انه قد
اشتهر استعمال اربعة الفاظ يوصفون بها الاولى آله عليه السلام والثانية اهل بيته والثالثة ذوو
القربى والرابعة عترته فاما الاولى فذهب قوم الى انهم اهل بيته وقال آخرون هم الذين حرمت عليهم
الصدقة وعوضوا عنها خمس الخمس وقال قوم من دان بدينه وتبعه فيه واما اللفظة الثانية وهي اهل
بيته فقيل من ناسبه الى جده الادنى وقيل من اجتمع معه في رحم وقيل من اتصل به بنسب او سبب واما
اللفظة الثالثة وهي ذوو القربى فروى الواحدي في تفسيره باسناده عن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى
قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين امرنا الله تعالى بمودتهم قال
علي وفاطمة وابناهما واما اللفظة الرابعة وهي عترته فقيل العشيرة وقيل الذرية فاما العشيرة فهي
الاهل الادنون واما الذرية فالنسل والولد بنت الرجل ذريته ويدل عليه قوله تعالى ومن ذريته داود
الى قوله وعيسى ولم يتصل عيسى بابراهيم الا من جهة امه مريم فهذه الذرية الطاهرة قد خصوا بمزايا الشرف
وعرفوا بواسطة السيدة فاطمة بفضل منيف والسواد داء الشرف ومنحوا بمزيد الاكرام والتحف
وقد وقع الاصطلاح على اختصاصهم من بين ذوي الشرف كالعباسيين والجعافرة بالشطفة الخضراء لمزيد شرفهم
والسبب في ذلك ما قيل ان المامون اراد ان يجعل الخلافة في بني فاطمة فاتخذ لهم شعارا اخضر والبسهم ثيابا خضرا لكون السواد شعار
العباسيين والبياض شعار سائر المسلمين في جمعهم ونحوها والاحمر مختلف في كراهته والاصفر شعار اليهود باخرة ثم انثنى عزمه
عن ذلك ورد الخلافة لبني العباس فبقي ذلك شعارا للاشراف العلويين من الزهراء لكنهم اختصروا الثياب الى قطعة من ثوب اخضر
توضع على عمائمهم شعارا لهم ثم انقطع ذلك الى اواخر القرن الثامن فلما كان في حادي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة من انباء الغمر بابناء العمر

كلمات

وفيها امر السلطان الاشرف ان يمتازوا عن الناس بعصايب خضر على العمايم ففعل ذلك بمصر والشام وغيرهما وفي ذلك
يقول الاديب ابو عبد الله ابن جابر الاندلسي ✽ جعلوا لابناء الرسول علامة ✽ ان العلامة شان من لم يشهر ✽ نور النبوة في كريم وجوههم
يغني الشريف عن الطراز الاخضر ✽ وللاديب شمس الدين المزيني الدمشقي ✽ اطراف تيجان اتت من سندس ✽ خضر باعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصصهم بها ✽ شرفا ليعرفهم من الاطراف ✽ والاشرف هو الملك شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون

واما الصحابة رضوان الله عليهم فقال الله سبحانه وتعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على
الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة فقد اخبر تعالى ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حقا من غير
شك ولا ريب فقال محمد رسول الله وهذا مبتدا وخبر وقال البيضاوي وغيره جملة مبينة للمشهود
به يعني قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى الى وكفى بالله شهيدا قال ويجوز ان يكون رسول الله
صفة ومحمد خبر محذوف انتهى وهذه الاية مشتملة على وصف جميل ثم ثنى بالثنا على اصحابه فقال والذين
معه اشداء على الكفار رحماء بينهم كما قال تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين
اعزة على الكافرين فوصفهم بالشدة والغلظة على الكفار والرحمة والبر بالاخيار ثم اثنى عليهم بكثرة الاعمال
مع الاخلاص التام فمن نظر اليهم اعجبه سمتهم وهديهم لخلوص نياتهم وحسن اعمالهم قال مالك بلغني
ان النصارى كانوا اذا راوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون والله لهولاء خير من الحواريين فيما بلغنا
وصدقوا فان هذه الامة المحمدية خصوصا الصحابة لم يزل ذكرهم معظما في الكتب كما قال سبحانه وتعالى
ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه اي فراخه فازره اي شده وقواه فاستغلظ شب
وطال فاستوى على سوقه يعجب الزراع قوته وغلظه وحسن منظره فكذلك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
آزروه وايدوه ونصروه فهم معه كالشطا مع الزرع ليغيظ بهم الكفار ومن هذه الاية انتزع الامام مالك
رحمه الله في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة قال لانهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة
فهو كافر وقد وافقه على ذلك جماعة من العلماء والاحاديث في فضايل الصحابة كثيرة ويكفي ثنا الله تعالى عليهم
ورضاه عنهم وقد وعدهم الله مغفرة واجرا عظيما ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا مبدل لكلماته وهو
السميع العليم ومن في قوله منهم لبيان الجنس واختلف في تعريف الصحابي فقيل من صحب النبي صلى الله عليه
وسلم اوراه من المسلمين واليه ذهب البخاري وسبقه اليه شيخه ابن المديني وعبارته كما قال شيخنا من صحب
النبي صلى الله عليه وسلم اوراه ولو ساعة من نهار فهو من اصحابه انتهى وهذا هو الراجح والقيد بالاسلام يخرج
من صحبه اوراه من الكفار بدليل اتفق اسلامه بعد موته لكن يرد على التعريف من صحبه اوراه مومنا به ثم ارتد
بعد ذلك ولم يعد الى الاسلام كعبيد الله بن جحش فانه ليس بصحابي اتفاقا وكذلك ابن خطل وربيعة بن امية
ابن خلف الجمحي وهو ممن اسلم في الفتح وشهد حجة الوداع وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ثم لحقه
الخذلان والعياذ بالله في خلافة عمر فلحق بالروم وتنصر بسبب شي اغضبه وقد اخرج له احمد في مسنده واخرج
له مشكل ولعله لم يقف على قصة ارتداده فينبغي ان يزاد في التعريف ومات على ذلك فلو ارتد ثم عاد الى الاسلام
لكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا بعد عوده فالصحيح انه معدود في الصحابة لاطباق المحدثين على عد
الاشعث بن قيس ونحوه ممن وقع له ذلك واخراجهم احاديثهم في المسانيد لكن قال الحافظ زين الدين العراقي
ان في ذلك نظرا كثيرا فان الردة محبطة للعمل عند ابي حنيفة ونص عليه الشافعي في الام وان كان الرافعي قد حكى عنه

اهما

انها انما تحبط بشرط اتصالها بالموت وحينيذ فالظاهر انها محبطة للصحبة المتقدمة اما من رجع الى
الاسلام في حياته صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن ابي سرح فلا مانع من دخوله في الصحبة بدخوله الثاني
في الاسلام وهل يشترط في الرائي ان يكون بحيث يميز ما راه او يكتفي بمجرد حصول الروية قال الحافظ
ابن حجر محل نظر وعمل من صنف في الصحابة يدل على الثاني فانهم ذكروا مثل محمد بن ابي بكر الصديق
وانما ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة اشهر وايام كما ثبت في الصحيح ان امه اسما بنت عميس
ولدته في حجة الوداع قبل ان تدخل مكة وذلك في اواخر ذي القعدة سنة عشر من الهجرة ومنهم من بالغ فكان
لا يعد في الصحابة الا من صحب الصحبة العرفية وروي عن سعيد بن المسيب انه كان لا يعد في الصحابة الا
من اقام مع النبي صلى الله عليه وسلم سنة فصاعدا او غزا معه غزوة فصاعدا والعمل على خلاف هذا القول
ومنهم من اشترط في ذلك ان يكون حين اجتماعه به بالغا وهو مردود ايضا لانه يخرج مثل الحسن بن علي
ونحوه من احداث الصحابة **واما** التقييد بالروية فالمراد به عند عدم المانع منها كابن ام مكتوم ونحوه من الاعمى
فهو صحابي بلا تردد فالاحسن ان يعبر باللقا بدل الروية قال الحافظ زين الدين العراقي وفي دخول من
راى النبي هل المراد رآه في حال نبوته او اعم من ذلك حتى يدخل من راه قبل النبوة ومات قبل النبوة على
دين الحنيفية كزيد بن عمرو بن نفيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة وحده وقد ذكره في الصحابة
ابو عبد الله بن منده وكذلك لو راه قبل النبوة ثم غاب عنه وعاش الى بعد زمن البعثة واسلم ثم مات ولم
يره ولم ار من تعرض لذلك ويدل على ان المراد راه بعد نبوته انهم ترجموا في الصحابة لمن ولد للنبي صلى الله
عليه وسلم كابراهيم وعبد الله ولم يترجموا لمن ولد قبل النبوة ومات قبلها كالقاسم انتهى وهل يلحق
بعض ذلك بعض الجن الذين آمنوا به عند بعض العلماء محل نظر اما الجن فالراجح دخولهم لان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث اليهم قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة والطايعون فمن عرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في ذكره في الصحابة
وان كان ابن الاثير عاب على ابي موسى فلم يستند في ذلك الى حجة واما الملايكة فيتوقف عدهم في ذلك على
ثبوت البعثة اليهم فان فيه خلافا بين الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على ثبوته وعكس بعضهم وهذا كله
فيمن راه في قيد الحياة الدنيوية اما من راه بعد موته وقبل دفنه فالراجح انه ليس صحابيا والا لعد من اتفق
انه يرى جسده المكرم وهو في قبره المعظم ولو في هذه الاعصار وكذلك من كشف له من الاولياء عنه صلى الله
عليه وسلم فراه كذلك على طريق الكرامة كما قدمت مباحثه في خصوصياته عليه السلام من المقصد الرابع اذ حجة
من اثبت الصحبة لمن راه قبل دفنه انه مستمر الحياة وهذه الحياة ليست دنيوية وانما هي اخروية لا تتعلق بها احكام
الدنيا واما من راه في المنام وان كان قد راه حقا فذلك فيما يرجع الى الامور المعنوية لا الاحكام الدنيوية
فلذلك لا يعد صحابيا ولا يجب عليه ان يعمل بما امره به في تلك الحالة **وقد** اجمع جمهور العلماء من السلف والخلف
على انهم خير خلق الله وافضلهم بعد النبيين وخواص الملايكة المقربين لما روى البخاري من حديث عبد الله ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وله من حديث عمران بن حصين
خير امتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثا قال في فتح الباري
والقرن اهل زمان واحد متقارب اشتركوا في امر من الامور المقصودة ويطلق على مدة من الزمان **واختلفوا** في
تحديدها من عشرة اعوام الى ماية وعشرين لكن لم ار من صرح بالتسعين ولا بماية وعشرة وما عدا ذلك فقد
قال به قايل قال صاحب المحكم هو القدر المتوسط من اعمار اهل كل زمن وهذا اعدل الاقوال والمراد بقرنه

النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحابة وتقدم في المقصد الاول حديث بعثت من خير قرون بني
ادم وفي رواية بريدة عند احمد خير هذه الامة القرن الذي بعثت فيهم وقد ضبط الائمة من الحفاظ
آخر من مات من الصحابة على الاطلاق بلا خلاف ابو الطفيل عامر بن واثلة الليثي كما جزم به مسلم في صحيحه
وكان موته سنة مائة على الصحيح وقيل سنة سبع ومائة وقيل سنة عشر ومائة وهو الذي صححه الذهبي وهو مطابق
لقوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها اليوم احد
وفي رواية مسلم أرأيتكم ليلتكم هذه فانه ليس من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة واما ما ذكر ان عكراش
ابن ذؤيب عاش بعد يوم الجمل مائة سنة فذلك غير صحيح وان صح فمعناه انه استكمل المائة بعد الجمل لا انه
بقي بعدها مائة سنة كما نص عليه الائمة واما ما ذكر ايضا من رتن بابا رتن ونحوه فان ذلك مما لا
يروج على من له ادنى مسكة من العقل كما قاله الائمة واما آخر الصحابة موتا بالاضافة الى النواحي فقد ذكرهم
ابن منده واما قوله ثم الذين يلونهم فهم اهل القرن الذين بعدهم وهم التابعون ثم الذين يلونهم وهم اتباع
التابعين ومقتضى هذا الحديث ان تكون الصحابة افضل من التابعين والتابعون افضل من اتباع التابعين
لكن هل هذه الفضيلة بالنسبة الى المجموع او الافراد والذي ذهب اليه ابن عبد البر هو الاول كما قدمت ذلك
في خصائص هذه الامة من المقصد الرابع واحتج لذلك سوى ما تقدم بحديث مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله
خير ام آخره قال الحافظ ابن حجر وهو حديث حسن له طرق قد يرتقي بها الى درجة الصحة وقد روى ابن ابي
شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير احد التابعين باسناد حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليدركن المسيح اقواما انهم لمثلكم او خير ثلاثا ولن يخزي الله امة انا اولها والمسيح آخرها وروى ابو داود
والترمذي من حديث ابي ثعلبة رفعه تأتي ايام للعامل فيهن اجر خمسين قيل منهم او منا يا رسول الله قال
بل منكم وهو شاهد لحديث مثل امتي مثل المطر لكن حديث للعامل منهم اجر خمسين منكم لا يدل على افضلية غير
الصحابة على الصحابة لان مجرد زيادة الاجر لا يستلزم ثبوت الافضلية المطلقة وايضا الاجر انما يقع تفاضله
بالنسبة الى ما يماثله في ذلك العمل فاما ما فاز به من شاهد النبي صلى الله عليه وسلم من فضيلة المشاهدة
فلا يعدله فيها احد ولا ريب ان من قاتل معه او في زمانه بامره او انفق شيئا من ماله بسببه لا يعدله احد في
الفضل بعده كائنا من كان قال الله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة
من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكذلك من ضبط الشرع المتلقى عنه وبلغه لمن بعده فحصل الترجيح بمحض
على من لم يحصل له الا مجرد المشاهدة وقد ظهر انه فاز بما لم يفز به من لم يحصل له ذلك وبهذا يمكن تأويل الاحاديث
المتقدمة ثم ان الصحابة على ثلاثة اصناف الاول المهاجرون الثاني الانصار وهم الاوس والخزرج
وحلفاؤهم ومواليهم الثالث من اسلم يوم الفتح قال ابن الاثير في الجامع والمهاجرون افضل من الانصار
وهذا على سبيل الاجمال واما على سبيل التفصيل فان جماعة من سباق الانصار افضل من جماعة من متأخري
المهاجرين واما سباق المهاجرين افضل من سباق الانصار ثم هم بعد ذلك متفاوتون فرب متأخر في الاسلام
افضل من متقدم عليه مثل عمر بن الخطاب وبلال بن رباح وقد ذكر العلماء للصحابة ترتيبا على طبقات
وممن قسمهم كذلك الحاكم في علوم الحديث الطبقة الاولى قوم اسلموا بمكة اول البعث وهم سباق المسلمين مثل
خديجة بنت خويلد وعلي بن ابي طالب وابي بكر الصديق وزيد بن حارثة وبقية العشرة وقد تقدم الخلاف
في اول من اسلم في المقصد الاول الطبقة الثانية اصحاب دار الندوة بعد اسلام عمر بن الخطاب حمل النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم ومن معه من المسلمين الى دار الندوة وسلم لذلك جماعة من اهل مكة الطبقة الثالثة الذين
هاجروا الى الحبشة فرارا بدينهم من اذى المشركين اهل مكة منهم جعفر بن ابي طالب وابو سلمة بن عبد الاسد
الطبقة الرابعة اصحاب العقبة الاولى وهم سباق الانصار الى الاسلام وكانوا ستة واصحاب العقبة
الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر وقد تقدمت اسماء اهل العقبتين في المقصد الاول الطبقة
الخامسة اصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين من الانصار منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام
وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة الطبقة السادسة المهاجرون الذين وصلوا الى
النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وهو بقباء قبل ان يبني المسجد وينتقل الى المدينة الطبقة السابعة اهل
بدر الكبرى قال صلى الله عليه وسلم لعمر في قصة حاطب بن ابي بلتعة وما يدريك لعل الله اطلع
على هذه العصابة من اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم رواه مسلم الطبقة الثامنة الذين هاجروا
بين بدر والحديبية الطبقة التاسعة اهل بيعة الرضوان الذين بايعوا بالحديبية تحت الشجرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار ان شاء الله من اصحاب الشجرة احد رواه مسلم الطبقة العاشرة
الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل الفتح كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وقد مثل بعضهم بابي هريرة لكن قال
الحافظ الزين العراقي لا يصح التمثيل به فانه هاجر قبل الحديبية عقيب خيبر بل في اواخرها الطبقة الحادية عشر
الذين اسلموا يوم الفتح وهم خلق كثير فمنهم من اسلم طائعا ومنهم من اسلم كارها ثم حسن اسلام بعضهم والله
اعلم بهم الطبقة الثانية عشر صبيان ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم وراوه يوم الفتح وبعده وفي حجة الوداع
وغيرهما كالسائب بن يزيد ثم انقطعت الهجرة بعد الفتح على الصحيح من الاقوال واما عدة اصحابه صلى الله عليه
وسلم فمن رام حصر ذلك رام امرا بعيدا ولا يعلم حقيقة ذلك الا الله تعالى لكثرة من اسلم من اول البعثة الى ان
مات النبي صلى الله عليه وسلم وتفرقهم في البلدان والبوادي وقد روى البخاري ان كعب بن مالك قال في قصة
تخلفه عن غزوة تبوك واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يعني الديوان لكن قد
جاء ضبطهم في بعض مشاهده كتبوك وقد ورد انه سار عام الفتح في عشرة آلاف من المقاتلة والى حنين في
اثني عشر الفا والى حجة الوداع في تسعين الفا والى تبوك في سبعين الفا وقد روي انه قبض عن مائة الف
واربعة وعشرين الفا والعامل عقيبه ذلك ثم ان افضلهم على الاطلاق عند اهل السنة اجماعا ابو بكر
ثم عمر رضي الله عنهما عن ابن عمر قال كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر
ثم عمر ثم عثمان بن عفان رواه البخاري وفي رواية عبيد الله بن عمر عن نافع كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
لا نعدل بابي بكر احدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلا نفاضل بينهم رواه البخاري ايضا
وقوله لا نعدل بابي بكر اي لا نجعل له مثلا ولابي داود من طريق سالم عن ابن عمر كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم
حي افضل امة النبي صلى الله عليه وسلم بعده ابو بكر ثم عمر ثم عثمان زاد الطبراني في رواية فيسمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره وروى خيثمة بن سليمان في فضائل الصحابة من طريق سهيل بن ابي صالح عن ابيه
عن ابن عمر كنا نقول اذا ذهب ابو بكر وعمر وعثمان استوى الناس فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره
وفي ذلك تقديم عثمان بعد ابي بكر وعمر واهل السنة على ان عليا بعد عثمان وذهب بعض السلف الى تقديم
علي على عثمان وممن قال به سفيان الثوري وقيل لا يفضل احدهما على الآخر ونقل ذلك عن مالك في المدونة
وتبعه جماعة منهم يحيى بن القطان وقال ابن معين من قال ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقته وفضله

هو صاحب سنة ولا شك ان من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلي فضله فهو مذموم وقد ادعى ابن عبد البر
ان حديث الاقتصار على الثلاثة ابي بكر وعمر وعثمان خلاف قول اهل السنة ان عليا افضل الناس بعد الثلاثة
وتعقب بانه لا يلزم من سكوتهم اذ ذاك عن تفضيله عدم تفضيله فالمقطوع به بين اهل السنة بافضلية
ابي بكر ثم عمر ثم اختلفوا فيمن بعدهما فالجمهور على تقديم عثمان وعن مالك التوقف والمسئلة اجتهادية
ومستندها ان هؤلاء الاربعة اختارهم الله لخلافة نبيه واقامة دينه فمنزلتهم عنده بحسب ترتيبهم في الخلافة
وقال الامام ابو منصور البغدادي اصحابنا مجمعون على ان افضلهم الخلفاء الاربعة ثم الستة تمام العشرة
يعني طلحة والزبير وسعدا وسعيدا وعبد الرحمن بن عوف وابا عبيدة عامر بن الجراح وقد روى الترمذي عن
سعيد بن زيد انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة في الجنة ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان
في الجنة وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وسعد بن ابي وقاص فعد هؤلاء
التسعة وسكت عن العاشر فقال القوم ننشدك الله من العاشر قال نشدتموني بالله سعيد بن زيد في الجنة
يعني نفسه وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه خرج الى المسجد فسال عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
وجه هاهنا فخرجت في اثره حتى دخل بئر اريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم حاجته فتوضا فقمت اليه فاذا هو جالس على بئر اريس وتوسط قفها فجلست عند الباب
فقلت لاكونن بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم اليوم فجاء ابو بكر فدفع الباب فقلت من هذا فقال ابو بكر
فقلت على رسلك ثم ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا ابو بكر يستاذن فقال ائذن له وبشره
بالجنة فاقبلت حتى قلت لابي بكر ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة فدخل ابو بكر فجلس عن يمين
رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف
عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت اخي يتوضا ويلحقني فقلت ان يرد الله بفلان خيرا يريد اخاه يات به
فاذا انسان يحرك الباب فقلت من هذا قال عمر بن الخطاب فقلت على رسلك ثم جئت الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقلت هذا عمر بن الخطاب يستاذنك فقال ائذن له وبشره بالجنة فجئت فقلت ادخل وبشرك رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالجنة فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر ثم رجعت
فجلست وقلت ان يرد الله بفلان خيرا يات به فجاء انسان فحرك الباب فقلت من هذا فقال عثمان فقلت على
رسلك وجئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فجئت فقلت
ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه
من الشق الاخر قال شريك قال سعيد بن المسيب فاولتها قبورهم رواه احمد ومسلم وابو حاتم واخرجه
البخاري واخرج ابو داود نحوه عن ابي سلمة عن نافع عن عبد الحرث الخزاعي قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
حائطا من حوائط المدينة فقال لبلال امسك علي الباب فجاء ابو بكر يستاذن فذكر نحوه قال الطبري وفي حديثه
ان نافع بن الحرث هو الذي كان يستاذن وهذا يدل على تكرر القصة لكن صوب الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر
عدم التعدد وانها عن ابي موسى ووهم القول بغيره وانشد لنفسه رح لقد بشر الهادي من الصحب زمرة
بجنات عدن كلهم فضله اشتهر ٭ سعيد زبير سعد طلحة عامر ٭ ابو بكر عثمان ابن عوف علي عمر ٭
ولابي الوليد بن الشحنة رح ٭ اسماء عشرة رسول الله بشرهم ٭ بجنة الخلد عمن زانها وعمر ٭
سعد سعيد علي عثمان طلحة ابو ٭ بكر ابن عوف ابن جراح الزبير عمر ٭ فان قلت من اعتقد في الخلفاء

الاربعة الافضلية على الترتيب المعلوم ولكن محبته لبعضهم تكون اكثر هل يكون آثما به ام لا اجاب
شيخ الاسلام الولي العراقي ان المحبة قد تكون لامر ديني وقد تكون لامر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للافضلية فمن
كان افضل كانت محبتنا الدينية له اكثر فمتى اعتقدنا في واحد منهم انه افضل ثم احببنا غيره من جهة الدين
اكثر كان تناقضا نعم ان احببنا غير الافضل اكثر من محبة الافضل لامر دنيوي كقرابة واحسان ونحوه
فلا تناقض في ذلك ولا امتناع فمن اعترف بان افضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم
عثمان ثم علي لكنه احب عليا اكثر من ابي بكر مثلا فان كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك اذ
المحبة الدينية لازمة للافضلية كما قررناه وهذا لم يعترف بافضلية ابي بكر الا بلسانه واما بقلبه فهو مفضل
لعلي لكونه احبه محبة دينية زائدة على محبة ابي بكر وهذا لا يجوز وان كانت المحبة المذكورة محبة دنيوية
لكونه من ذرية علي او لغير ذلك من المعاني فلا امتناع فيه والله اعلم انتهى وقد روى الطبري في الرياض وعمر
الملا في سيرته عن انس مرفوعا ان الله افترض عليكم حب ابي بكر وعمر وعثمان وعلي كما افترض الصلاة والزكاة
والصوم والحج فمن انكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج واخرج الحافظ السلفي في مشيخته
من حديث انس مرفوعا حب ابي بكر واجب على امتي واخرج الانصاري عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يا ابا بكر ليت اني لقيت اخواني فقال ابو بكر يا رسول الله نحن اخوانك قال لا انتم اصحابي اخواني الذين لم يروني
وصدقوا بي واحبوني حتى اني لاحب الى احدهم من ولده ووالده قالوا يا رسول الله انما نحن اخوانك قال لا
انتم اصحابي الا تحب يا ابا بكر قوما احبوك بحبي اياك قال فاحبهم ما احبوك بحبي اياك فمحبة من احبه الرسول عليه
السلام كآل بيته واصحابه رضي الله عنهم علامة على محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ان محبته عليه السلام
علامة محبة الله تعالى وكذلك عداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحب وابغض
من يبغض قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله فحب
آل بيته عليه السلام واصحابه واولاده وازواجه من الواجبات المتعينات وبغضهم من الموبقات المهلكات
ومن محبتهم وجوب توقيرهم وبرهم والقيام بحقوقهم والاقتداء بهم بان يمشي على سننهم وآدابهم واخلاقهم
والعمل باقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال وحسن الثناء عليهم بان يذكروا باوصافهم الجميلة على قصد التعظيم فقد
اثنى عليهم الله تعالى في الكتاب المجيد واثنى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فهو واجب الثناء والاستغفار لهم قالت عائشة امروا
ان يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم رواه مسلم وقائله المستغفر لهم عائبته عليه
قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره ومما
يجب ايضا الامساك عما شجر بينهم اي وقع بينهم من الاختلاف والاضطراب صفحا عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة
وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا رواه
وان يلتمس لهم مما نقل من ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب المخارج في المنازعات
والمحاربات فلا يحامل الا على احسن التاويلات فسبهم والطعن فيهم ان كان مما يخالف الادلة القطعية كقذف عائشة
رضي الله عنها فالامر كفر وفسق قال عليه السلام يا ايها الناس احفظوني في اختاني واصحابي لا يطالبكم الله بمظلمة
احد منهم فانها ليست مما توهب رواه الخلعي وقال عليه السلام الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي
من احبهم فقد احبني ومن ابغضهم فقد ابغضني ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله فيوشك ان ياخذه
رواه الحافظ الذهبي وهذا الحديث كما قاله بعضهم خرج مخرج الوصية باصحابه على طريق التاكيد والترغيب في حبهم

والترهيب عن بغضهم وفيه إشارة إلى تحجبهم من الأحباب وبغضهم كفر لأنه إذا كان بغضهم بغضا له كان كفرا لا
نزاع للحديث السابق لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وهذا يدل على كمال قربهم منه بتنزيلهم
منزلة نفسه حتى كأن ما آذاهم واقع عليه والحاصل إليه صلى الله عليه وسلم عليه وروي مرفوعا من سب أحدا من
أصحابي فاجلدوه خرجه تمام في فوائده وقال مالك بن أنس وغيره فيما ذكره القاضي عياض من أبغض
الصحابة فليس له في فيء المسلمين حق قال ونزع بآية الحشر والذين جاءوا من بعدهم

المقصد الثامن في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الأمراض والعاهات وتعبيره الرؤيا وإنبائه بالأنباء المغيبات

اعلم أنه لا سبيل لأحد إلى الإحاطة بنقطة من بحار معارفه أو قطرة مما أفاضه الله تعالى عليه من سحائب
عوارفه وأنت إذا تأملت ما منحه الله تعالى به من جوامع الكلم وخصه به من بدائع الحكم وحسن سيره وحكم حديثه
وإنبائه بأنباء القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة كقصص الأنبياء مع قومهم وخبر موسى مع الخضر
ويوسف مع إخوته وأصحاب الكهف وذي القرنين وأشباه ذلك وبدء الخلق وأخبار الدار الآخرة وما في
التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى وإظهار أحوال الأنبياء وأممهم وأسرار علومهم ومستودعات
سيرهم وإعلامه بمكنون شرائعهم ومضمنات كتبهم وغير ذلك مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب
ما ذكر منها بل أذعنوا لذلك فضلا عما أفاضه من العلم ومحاسن الآداب والشيم والمواعظ والحكم والتنبيه على
طرق الحجج العقليات والرد على فرق الأمم ببراهين الأدلة الواضحات إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه
فيها قدوة وإشاراته حجة كاللغة والمعاني والبيان والعربية وقوانين الأحكام الشرعية والسياسات العقلية
ومعارف المعارف للحقائق العلية إلى غير ذلك من ضروب العلوم وفنون المعارف بالشيء من المصالح الدينية
كالطب والعبارة والحساب وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى بأن مجال هذا الباب في حقه عليه السلام
ممتد ينقطع دون نفاده الأدلاء وإن بحر علمه ومعارفه زاخر لا تكدره الدلاء وهذا المقصد أعزك الله يشتمل على ثلاثة
فصول

الفصل الأول في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الأمراض والعاهات

اعلم أنه قد ثبت
أنه صلى الله عليه وسلم كان يعود من مرض من أصحابه لقد عاد غلاما كان يخدمه من أهل الكتاب
وعاد عمه وهو مشرك وعرض عليهما الإسلام فأسلم الأول وكان يهوديا كما روى البخاري وأبو داود
من حديث أنس أن غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فعاده صلى الله عليه وسلم
فقعد عند رأسه فقال أسلم فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال أطع أبا القاسم فأسلم فخرج صلى الله عليه
وسلم وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من النار وكان صلى الله عليه وسلم يدنو من المريض ويجلس عند
رأسه ويسأل عن حاله ويقول كيف تجدك وفي حديث جابر عند البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود
قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأبو بكر وهما ماشيان فوجداني أغمي علي
فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فأفقت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم وعند أبي داود
فنفخ في وجهي فأفقت وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال يا جابر لا أراك ميتا من وجعك هذا وفي حديث
أبي موسى عند البخاري مرفوعا أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني وعند مسلم من رواية البراء أمرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع فذكر منها عيادة المريض وعند مسلم خمس تجب للمسلم على المسلم فذكرها
منها قال ابن بطال يحتمل أن يكون الأمر على الوجوب بمعنى الكفاية كإطعام الجائع وفك الأسير ويحتمل
أن يكون للندب على التواصل والألفة وجزم الطبري بتأكده في حق من ترجى بركته ويسن فيمن يراعى حاله ويباح

فيها

تنبيها على ذلك واستدل بعموم قوله عودوا المريض على مشروعية العيادة في كل مرض لكن استثنى بعضهم
الأرمد ورد بأنه قد جاء في عيادة الأرمد بخصوصها حديث زيد بن أرقم قال عادني رسول الله صلى الله
عليه وسلم من وجع كان بعيني رواه أبو داود وصححه الحاكم وأما ما أخرجه البيهقي والطبراني مرفوعا
ثلاثة ليس لهم عيادة الرمد والدمل والضرس فصحح البيهقي أنه موقوف على يحيى بن أبي كثير ويؤخذ من إطلاقه
أيضا عدم التقييد بزمان يمضي من ابتداء مرضه وهو قول الجمهور وجزم الغزالي في الإحياء بأنه لا يعاد
إلا بعد ثلاث واستند إلى حديث أخرجه ابن ماجه عن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعود مريضا
إلا بعد ثلاثة وهذا الحديث ضعيف تفرد به مسلمة بن علي وهو متروك وقال أبو حاتم هو حديث باطل و
نطيل بإيراد ما ورد في فضل العيادة ويكفي حديث أبي هريرة مما حسنه الترمذي مرفوعا من عاد مريضا
ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وهذا لفظ ابن ماجه وفي سنن أبي داود
عن أنس مرفوعا من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم محتسبا بوعد من جهنم مسيرة سبعين خريفا
وفي حديث أبي سعيد عند ابن حبان في صحيحه مرفوعا خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة من عاد
مريضا وشهد جنازة وصام يوما وراح إلى الجمعة وأعتق رقبة وعند أحمد عن كعب مرفوعا من عاد
مريضا خاض في الرحمة فإذا جلس عنده استنقع فيها زاد الطبراني وإذا قام من عنده فلا يزال يخوض فيها
حتى يرجع من حيث خرج ولم يكن صلى الله عليه وسلم يخص يوما من الأيام بعيادة المريض ولا وقتا من
الأوقات وترك العيادة يوم السبت مخالف للسنة ابتدعه يهودي طبيب لملك فلما مرض والزمه
ملازمته فأراد يوم الجمعة أن يمضي لسبته فمنعه فخاف على استحلال سبته ومن سفك دمه فقال له
إن المريض لا يدخل عليه يوم السبت فتركه الملك ثم أشيع ذلك فصار كثير من الناس يعتمده ومن الغريب
ما نقله ابن الصلاح عن الفراوي أن العيادة تستحب في الشتاء ليلا وفي الصيف نهارا ولعل الحكمة في ذلك
أن المريض يتضرر بطول الليل في الشتاء وبطول النهار في الصيف فيحصل له بالعيادة استرواح وينبغي اجتناب
التطبب بأطباء الذمة من يهودي أو نحوه فإنه مقطوع بغشه سيما إن كان المريض كبيرا في دينه أو علمه حتى
إن كان هذا العدو يهوديا لأن فاعله دينهم أن من قتل منهم مسلما فقد خرج من دينه وإن من استحل
السبت فهو مهدر الدم عندهم حلال لهم سفك دمه ولا ريب أن من خاطر بنفسه يخشى عليه أن يدخل
في عموم النهي عن قتل نفسه وقد كثر الضرر في هذا الزمان بأهل الذمة فلا حول ولا قوة إلا بالله والله تعالى يحكم
لعن النصارى واليهود لأنهم بلغوا بمكرهم بنا الآمالا خرجوا أطباء وحسابا كي يتقسموا الأرواح والأموالا
ومما كان يفعله عليه الصلاة والسلام ويأمر به تطييب نفوس المرضى وتقوية قلوبهم ففي حديث أبي سعيد
الخدري قال صلى الله عليه وسلم إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في أجله فإن ذلك يطيب نفسه يريد مثل أن
يقول له لا بأس عليك طهور إن شاء الله ووجهك لأن تشفى ونحو ذلك وقد يكون من هذا أن يذكر له
الأجور الداخلة عليه في مرضه وأن المرض كفارة فربما أصلح ذلك قلبه وآمن من خوف ذلك ونحو ذلك قال
بعضهم وهذا الحديث نوع شريف جدا من أشرف أنواع العلاج وهو الإرشاد إلى ما يطيب نفس العليل من الكلام
الذي تقوى به الطبيعة وتنتعش به القوة وينبعث به الحار الغريزي ويساعد على دفع العلة أو تخفيفها الذي
هو غاية تأثير الطبيب ولتفريح نفس المريض وتطييب قلبه وإدخال السرور عليه تأثير عجيب في شفاء علته وخفتها
فإن الأرواح والقوى تقوى بذلك فتساعد الطبيعة على دفع المؤذي وقد شاهد الناس كثيرا من المرضى تنتعش

عيادة الأرمد

قواهم بعيادة من يحبونه ويعظمونه ورؤيتهم له ولطفهم بهم ومكالمتهم اياهم قال في الهدي وكان
صلى الله عليه وسلم يسأل المريض عن شكواه وكيف يجد وعما يشتهيه فان اشتهى شيئا وعلم انه لا يضره امر
له به ويضع يده على جبهته وربما وضعها بين ثدييه ويدعو له ويصف له ما ينفعه في علته وربما توضأ وصب
على المريض من وضوئه كما في حديث جابر المتفق عليه وربما كان يقول للمريض لا بأس عليك طهور ان شاء الله
وربما كان يقول كفارة وطهور وقالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم اذا عاد مريضا يضع يده على
المكان الذي يألم ثم يقول بسم الله رواه ابو يعلى بسند حسن واخرج الترمذي من حديث ابي امامة
بسند لين رفعه من تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته فيسأله كيف هو وعند ابن السني بلفظ
كيف اصبحت او كيف امسيت واذا علمت هذا فاعلم ان المرض نوعان مرض القلوب ومرض الابدان واما
طب القلوب ومعالجتها فخاص بما جاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى لا سبيل الى حصوله
الا من جهته فان صلاح القلوب ان تكون عارفة بربها وفاطرها وباسمائه وصفاته وافعاله واحكامه
وان تكون مؤثرة لمرضاته ومحابه متجنبة لمناهيه ومساخطه ولا صحة لها ولا حياة البتة الا بذلك ولا
سبيل الى تلقي ذلك الا من جهة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واما طب الاجساد فمنه ما جاء في المنقول عنه
صلى الله عليه وسلم ومنه ما جاء عن غيره لانه صلى الله عليه وسلم انما بعث هاديا وداعيا الى الله والى جنته
ومعرفا بالله ومبينا للامة مواقع رضاه وآمرا لهم بها ومواقع سخطه وناهيا لهم عنها ومخبرهم اخبار الانبيا
والرسل واحوالهم مع اممهم واخبار تخليق العالم وامر المبدأ والمعاد وكيفية شقاوة النفوس وسعادتها
واسباب ذلك واما طب الاجساد فجاء من تكميل شريعته ومقصودا لغيره بحيث انما يستعمل عند الحاجة اليه
فاذا قدر الاستغناء عنه كان صرف الهمم الى علاج القلوب وحفظ صحتها ودفع اسقامها وحميتها مما يفسدها
هو المقصود باصلاح الجسد واصلاح الجسد بدون اصلاح القلب لا ينفع وفساد البدن مع اصلاح القلب
مضرته يسيرة جدا وهي مضرة زائلة تعقبها المنفعة الدائمة التامة واذا علمت هذا فاعلم ان ضرر الذنوب
في القلوب كضرر السموم في الابدان على اختلاف درجاتها في الضرر وهل في الدنيا والاخرة شر وداء الا
وسببه الذنوب والمعاصي فللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب والبدن في الدنيا
والاخرة ما لا يعلمه الا الله ومنها حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية تطفئ ذلك النور
وللامام الشافعي رضي الله عنه شكوت الى وكيع سوء حفظي ◦ فارشدني الى ترك المعاصي ◦ وقال اعلم بان العلم نور ◦ ونور الله لا يعطى لعاصي
ومنها حرمان الرزق ففي المسند ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ومنها وحشة يجدها العاصي في
قلبه بينه وبين الله لا يوازنها ولا يقارنها لذة اصلا ومنها تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا يجده
مغلقا دونه او متعسرا عليه ومنها ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا
ادلهم وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والامور المهلكة وهو لا يشعر
ثم تقوى هذه الظلمة حتى تعلو الوجه وتصير سوادا فيه يراه كل احد ومنها انها توهن القلب والبدن
ومنها حرمان الطاعة وتقصير العمر ومحق البركة ولا يمتنع زيادة العمر باسباب كما ينقص باسباب وقيل
تاثير المعاصي في محق العمر انما هو بان حقيقة الحياة هي حياة القلب فليس عمر المرء الا اوقات حياته بالله فتلك
ساعات عمره فالبر والتقوى والطاعات تزيد في هذه الاوقات التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها
وبالجملة فالعبد اذا اعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه ايام حياته الحقيقية ومنها ان المعصية

طب القلوب

تورث

تورث الذل ومنها انها تفسد العقل فان للعقل نورا والمعصية تطفئ نور العقل ومنها انها تزيل النعم
وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة الا بذنب ولا حلت به نقمة الا بذنب وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقد احسن القائل ~ اذا كنت في نعمة فارعها ◦
فان الذنوب تزيل النعم ◦ وحطها بطاعة رب العباد ◦ فرب العباد سريع النقم ه ومن
عقوباتها انها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه وآخرته فان الذنوب هي امراض متى استحكمت قتلت
ولا بد وكما ان البدن لا يكون صحيحا الا بغذاء يحفظ قوته واستفراغ يستفرغ المواد الفاسدة
والاخلاط الرديئة التي متى غلبت عليه افسدته وحمية يمتنع بها من تناول ما يؤذيه ويخشى ضرره فكذلك
القلب لا تتم حياته الا بغذاء من الايمان والاعمال الصالحة يحفظ قوته واستفراغ بالتوبة النصوح تستفرغ
المواد الفاسدة والاخلاط الرديئة وحمية توجب له حفظ الصحة وتجنب ما يضادها وهي عبارة عن
ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوى اسم متناول لهذه الامور الثلاثة فما فات منها فات من التقوى بقدره
واذا تبين هذا فالذنوب مضادة لهذه الامور الثلاثة فانها تستجلب المواد المؤذية وتوجب التخليط
المضاد للحمية وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح فانظر الى بدن عليل قد تراكمت عليه الاخلاط ومواد المرض
وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها كيف يكون صحته وبقاؤه وقد احسن القائل ~
جسمك بالحمية حصنته ◦ مخافة من الم طاري ◦ وكان اولى بك ان تحتمي ◦ عن المعاصي خشية الباري
فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمل الحمية باجتناب النواهي واستفرغ التخليط بالتوبة النصوح لم يدع
للخير مطلبا ولا للشر مهربا وفي حديث انس الا ادلكم على دائكم ودوائكم الا ان داءكم الذنوب ودواءكم الاستغفار
فقد ظهر لك ان طب القلوب ومعالجتها لا سبيل الى معرفته الا من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم
بواسطة الوحي واما طب الاجساد فغالبه يرجع الى التجربة ثم هو نوعان نوع لا يحتاج الى فكر ونظر بل
فطر الله على معرفته الحيوانات مثل ما يدفع الجوع والعطش والبرد والتعب وهذا لا يحتاج فيه الى معالجة طبيب
ونوع يحتاج الى الفكر والنظر كدفع ما يحدث في البدن مما يخرجه عن الاعتدال وهو اما الى حرارة او برودة
وكل منهما اما الى رطوبة او يبوسة او الى ما يتركب منهما وغالب ما يقاوم الواحد منها بضده والدفع
قد يقع من خارج البدن وقد يقع من داخله وهو اعسرهما والطريق الى معرفته بتحقيق السبب والعلامة فـ
الطبيب الحاذق هو الذي يسعى في تفريق ما يضر بالبدن جمعه او عكسه او تنقيص ما يضر بالبدن زيادته
او عكسه ومدار ذلك على ثلاثة اشياء حفظ الصحة والاحتماء عن المؤذي واستفراغ المادة الفاسدة وقد
اشير الى الثلاثة في القرآن فالاول في قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وذلك
ان السفر مظنة النصب وهو من مغيرات الصحة فاذا وقع فيه الصيام ازداد فابيح الفطر وكذا القول في المرض
والثاني وهو الحمية من قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم فانه استنبط منه جواز التيمم عند خوف استعمال الماء
البارد وقال تعالى في اية الوضوء وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم
تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فاباح للمريض العدول عن الماء الى التراب حمية له ان يصيب جسده ما يؤذيه
وهو تنبيه على الحمية عن كل مؤذ له من داخل او خارج والثالث من قوله تعالى او به اذى من رأسه ففدية فانه
اشير بذلك الى جواز حلق الرأس الذي منع منه المحرم لاستفراغ الاذى الحاصل من البخار المحتقن في الرأس تحت
الشعر لانه اذا حلق رأسه تفتحت المسام فخرجت تلك الابخرة منها فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ
يؤذي احتباسه فقد ارشد تعالى عباده الى اصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده وفي الصحيحين من حديث

عطاء عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله داء الا انزل الله له شفاء
واخرجه النسائي وصححه ابن حبان والحاكم عن ابن مسعود بلفظ ما انزل الله داء فتداووا وعند احمد
من حديث انس ان الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا وعند البخاري في الادب المفرد واحمد
واصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن اسامة بن شريك رفعه تداووا يا عباد الله
فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء الا داء واحدا وهو الهرم وفي لفظ الا السام وهو بمهملة مخففا يعني
الا الموت اي المرض الذي قدر على صاحبه الموت فيه واستثناء الهرم في الرواية الاولى اما لانه جعله
شبيها بالموت والجامع بينهما نقص الصحة او لقربه من الموت وافضائه اليه ويحتمل ان يكون الاستثناء
منقطعا والتقدير لكن الهرم لا دواء له ولابي داود عن ابي الدرداء رفعه ان الله جعل لكل داء دواء فتداووا
ولا تداووا بحرام وفي البخاري ان الله تعالى لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم فلا يجوز التداوي بالحرام وعند
مسلم عن جابر مرفوعا لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برأ باذن الله تعالى فالشفاء موقوف على اصابة
الداء باذن الله تعالى وذلك ان الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية او الكمية فلا ينجع بل ربما احدث
داء اخر وفي رواية علي عند الحميدي في كتابه المسمى بطب اهل البيت ما من داء الا وله دواء فاذا كان
كذلك بعث الله عز وجل ملكا ومعه ستر فجعله بين الداء والدواء فكلما شرب المريض من الدواء لم يقع على الداء
فاذا اراد الله برءه امر الملك فرفع الستر ثم يشرب المريض الدواء فينفعه الله تعالى به وفي حديث ابن مسعود
رفعه ان الله لم ينزل داء الا انزل الله له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله رواه ابو نعيم وغيره وفيه
اشارة الى ان بعض الادوية ~~التي لا يمكن طبيب معرفته~~ لا يعلمها كل احد واما قوله لكل داء دواء فيجوز ان يكون
على عمومه حتى يتناول الادواء القاتلة والادواء التي لا يمكن طبيب معرفتها ويكون الله قد جعل لها ادوية
تبرئها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم اليها سبيلا لانه لا علم للخلق الا ما علمهم الله ولهذا علق صلى
الله عليه وسلم الشفاء على مصادفة الدواء الداء وقد يقع لبعض المرضى انه يتداوى من داء بدواء فيبرأ ثم يعتريه
بعد ذلك الداء بعينه فلا ينجع والسبب في ذلك الجهل بصفة من صفات الدواء فرب مرضين تشابها
ويكون احدهما مركبا لا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس مركبا فيقع الخطأ من هناك وقد يكون متحدا لكن يريد الله
ان لا ينجع وهنا تخضع رقاب الاطباء وفي مجموع ما ذكرناه من الاحاديث الاشارة الى اثبات الاسباب وان
ذلك لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالاكل والشرب وكذلك تجنب المهلكات والدعاء
بطلب الشفاء ودفع المضار وغير ذلك وقد سئل الحارث بن اسد المحاسبي في كتاب القصد
هل يتداوى المتوكل قال نعم قيل له من اين ذلك قال من وجود ذلك عن سيد المتوكلين الذي لم يلحقه لاحق
ولا سبقه في التوكل سابق محمد خير البرية صلى الله عليه وسلم قيل له ما تقول في خبر النبي صلى الله عليه وسلم
من استرقى او اكتوى بريء من التوكل قال بريء من توكل المتوكلين الذين ذكرهم في حديث اخر فقال يدخل
الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب واما سواهم من المتوكلين فمباح لهم التداوي والاسترقاء الذي ليس
المكروه في الشريعة او الكي وهو يعلق رغبته في الشفاء بوجود الكي ويصرفه عن فعل الله تعالى وان
من عنده واما انما فعل ذلك على ما جاء في الشريعة وكان ناظرا الى رب الدواء متوقعا الشفاء من الله تعالى
وقصد بذلك استعمال بدنه اذا ما صح لله وانقياد نفسه وكرهها ان خدمة ربه فتوكله باق على حاله لا ينقص
التوكل منه شيئا اسند لا يفعل سيد المرسلين اذ عمل بذلك في نفسه وفي غيره انتهى فقد تبين ان التداوي
لا ينافي التوكل بل لا يتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب التي نصبها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها

قدرا

قدرا وشرعا وان تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الامر والحكمة وحكى ابن القيم انه ورد في خبر اسرائيلي
ان الخليل عليه السلام قال يا رب ممن الداء قال مني قال فممن الدواء قال مني قال فما بال الطبيب قال
رجل ارسل الدواء على يديه قال وفي قوله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء تقوية لنفس المريض والطبيب
وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه فان المريض اذا استشعرت نفسه ان لدائه دواء يزيله تعلق
قلبه بروح الرجاء وبرد من حرارة الياس وانفتح له باب الرجاء وقويت نفسه وانبعثت حرارته الغريزية
وكان ذلك سببا لقوة الارواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية ومتى قويت هذه الارواح قويت القوى
التي هي حاملة لها فقهرت المرض ودفعته انتهى فان قلت ما المراد بالانزال في قوله في الاحاديث السابقة
الا انزل له دواء وفي الرواية الاخرى شفاء فالجواب انه يحتمل ان يكون عبر بالانزال عن التقدير ويحتمل
ان يكون المراد انزال علم ذلك على لسان الملك للنبي صلى الله عليه وسلم واين يقع طب حذاق الاطباء الذي
غايته ان يكون ماخوذا من قياس او من منامات وحدس وتجربة من الوحي الذي يوحيه الله تعالى الى
رسوله صلى الله عليه وسلم بما ينفعه ويضره فنسبة ما عند حذاق الاطباء من الطب الى هذا الوحي كنسبة
ما عندهم من العلوم الى ما جاء به صلى الله عليه وسلم بل ههنا من الادوية التي تشفي من الامراض ما لم يهتد اليه
عقول اكابر الاطباء ولم تصل اليها علومهم وتجربتهم واقيستهم من الادوية القلبية والروحانية وقوة القلب
واعتماده على الله تعالى والتوكل عليه والانطراح بين يديه والصدقة والصلاة والدعاء والتوبة والاستغفار
والاحسان الى الخلق والتفريج عن المكروب فان هذه الادوية قد جربتها الامم على اختلاف اديانها ومللها فوجدوا
لها من التاثير في الشفاء ما لا يصل اليه علم اعلم الاطباء وقد جربت ذلك والله مرارا فوجدته يفعل ما لا
تفعله الادوية الحسية ولا ريب ان طب النبي صلى الله عليه وسلم متيقن البرء لصدوره عن الوحي ومشكاة النبوة
وطب غيره اكثره حدس او تجربة وقد يتخلف الشفاء عن بعض من يستعمل طب النبوة وذلك لمانع قام بالمستعمل من
ضعف اعتقاد الشفاء به وتلقيه بالقبول واظهر الامثلة في ذلك القران الذي هو شفاء لما في الصدور ومع ذلك فقد
لا يحصل لبعض الناس شفاء صدره به لقصوره في الاعتقاد والتلقي بالقبول بل لا يزيد المنافق الا رجسا الى رجسه
ومرضا الى مرضه فطب النبوة لا يناسب الا الابدان الطيبة كما ان شفاء القران لا يناسب الا الارواح الطيبة
والقلوب الحية فاعراض الناس عن طب النبوة كاعراضهم عن الاستشفاء بالقران الذي هو الشفاء النافع وكان
علاجه صلى الله عليه وسلم للمرض على ثلاثة انواع احدها بالادوية الالهية الروحانية والثاني بالادوية الطبيعية
والثالث بالمركب من الامرين النوع الاول في طبه عليه السلام بالادوية الالهية اعلم ان الله تعالى لم ينزل من
السماء شفاء قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجع في ازالة الداء من القران فهو للداء شفاء ولصدا القلوب جلاء
كما قال الله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولفظة من كما قال الامام فخر الدين ليست
للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو القران شفاء من الامراض الروحانية وشفاء ايضا من الامراض
الجسمانية اما كونه شفاء من الامراض الروحانية فظاهر وذلك لان المرض الروحاني نوعان الاعتقادات الباطلة
واشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الالهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر والقران مشتمل على دلائل
المذهب الحق في هذه المطالب وابطال المذاهب الباطلة ولما كان اقوى الامراض الروحانية هو الخطأ في هذه
المطالب والقران مشتمل على الدلائل الكاشفة عما في هذه المذاهب الباطلة من العيوب لا جرم كان القران شفاء
من هذا النوع من المرض الروحاني واما الاخلاق المذمومة فالقران مشتمل على تفصيلها وتعريف ما فيها من

المناسب والارشاد الى الاخلاق الفاضلة والاعمال المحمودة فكان القران شفاء من هذا النوع من المرض فثبت
ان القران شفاء من جميع الامراض الروحانية واما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع
كثيرا من الامراض واذا اعتبر الجمهور من الفلاسفة واصحاب الطلسمات بان لقراءة الرقى المجهولة والعزائم التي
لا يفهم منها شيء اثارا عظيمة في تحصيل المنافع ودفع المفاسد فلان تكون قراءة القران العظيم المشتمل على ذكر
جلال الله تعالى وكبريائه وتعظيم الملائكة المقربين وتحقير المردة والشياطين سببا لحصول النفع في الدين
والدنيا اولى ويتاكد ما ذكرناه بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله ونقل عن
الشيخ ابي القاسم القشيري رحمه الله انه مرض له ولد مرضا شديدا حتى اشرف منه على الموت واشتد عليه
الامر قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فشكوت اليه ما بولدي فقال اين انت من ايات الشفاء
فانتبهت ففكرت فيها فاذا هي في ستة مواضع من كتاب الله وهي قوله تعالى ويشف صدور قوم مؤمنين
وشفاء لما في الصدور يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وننزل من القران ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين امنوا هدى وشفاء قال فكتبتها ثم حللتها بالماء
وسقيته اياها فكانما نشط من عقال او كما قال وانظر رقية اللديغ بالفاتحة وما فيها من الاثر البديع
والبرهان الرفيع وتامل قوله عليه السلام في بعض ادعيته وان تجعل القران ربيع قلبي وشفاء صدري
اي فيكون له بمنزلة الدواء الذي يستاصل الداء ويعيد البدن الى صحته واعتداله وفي حديث علي عند ابن
ماجة مرفوعا خير الدواء القران وههنا امر ينبغي ان يتفطن له نبه عليه ابن القيم وهو ان الايات والاذكار
والادعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل
وتاثيره فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل المنفعل او لمانع قوي فيه يمنع ان ينجع
فيه الدواء كما يكون ذلك في الادوية والادواء الحسية فان عدم تاثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء
وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه اثره فان الطبيعة اذا اخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن
به بحسب ذلك القبول وكذلك القلب اذا اخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام وكان للراقي نفس فعالة وهمة
مؤثرة اثر في ازالة الداء وكذلك الدعاء فانه من اقوى الاسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ولكن قد
يتخلف اثره عنه اما لضعفه في نفسه بان يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان واما لضعف القلب وعدم
اقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء واما لحصول المانع من الاجابة من اكل الحرام والظلم ورين القلوب
واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وقد روى الحاكم حديث واعلموا ان الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه ومن
انفع الادوية الدعاء وهو عدو البلاء يدفعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه او يخففه اذا نزل وهو سلاح المؤمن
واذا جمع الدعاء حضور القلب والجمعية بالكلية على المطلوب وصادف وقتا من اوقات الاجابة كثلث الليل
الاخير مع الخشوع والانكسار والذل والتضرع واستقبال القبلة والطهارة ورفع اليدين والبداءة بالحمد والثناء
على الله تعالى والصلاة والتسليم على سيدنا محمد بعد التوبة والاستغفار والصدقة والالحاح في المسالة واكثر
التملق والدعاء والتوسل اليه باسمائه وصفاته والتوجه اليه بنبيه صلى الله عليه وسلم كان هذا الدعاء لا يكاد
يرد لا سيما ان دعا بالادعية التي اخبر صلى الله عليه وسلم انها مظنة الاجابة او انها متضمنة للاسم الاعظم
ولا خلاف في مشروعية الفزع الى الله تعالى والالتجاء اليه في كل ما ينوب الانسان واما الرقى فاعلم ان
الرقى بالمعوذات وغيرها من اسماء الله تعالى هو الطب الروحاني واذا كان على لسان الابرار من الخلق حصل

آيات الشفا

اللدغ

وجلا حزني

الذنوب على

شرط اجابة الدعا

الشفا

الشفا باذن الله تعالى لكن لما عز هذا النوع فزع الناس الى الطب الجثماني وفي البخاري من حديث عائشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات وهي الفلق والناس
والمعوذات والاخلاص فيكون من باب التغليب والمراد الفلق والناس وكذلك كلما ورد من التعوذ
في القران كقوله تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واما ما اخرجه احمد وابو داود
والنسائي من حديث ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره عشر خصال فذكر منها
الرقى الا بالمعوذات ففي سنده عبد الرحمن بن حرملة قال البخاري لا يصح حديثه وعلى تقدير صحته فهو
منسوخ بالاذن في الرقية بالفاتحة واما حديث ابي سعيد عند النسائي كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ
من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذات فاخذ بهما وترك ما سواهما وحسنه الترمذي فلا
يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين بل على الاولوية ولا سيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما وانما
اجتزأ بهما لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا وقد اجمع العلماء على
جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط ان تكون باسماء الله تعالى واسمائه وصفاته وباللسان العربي او
بما يعرف معناه من غيره وان يعتقد ان الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى واختلفوا في كونها
شرطا والراجح انه لا بد من اعتبارها وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك كنا نرقي في الجاهلية
فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا علي رقاكم لا باس بالرقى ما لم يكن فيها شرك وله
من حديث جابر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا يا رسول الله
انه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب قال فعرضوا عليه فقال ما ارى باسا من استطاع ان ينفع
اخاه فلينفعه وقد تمسك قوم بهذا العموم فاجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل معناها
لكن دل حديث عوف انه مهما كان من الرقى يؤدي الى الشرك يمنع وما لا يعقل معناه لا يؤمن ان يؤدي
الى الشرك فيمنع احتياطا والشرط الاخير لا بد منه وقالت قوم لا تجوز الرقية الا من العين واللدغة لحديث
عمران بن الحصين لا رقية الا من عين او حمة واجيب بان معنى الحصر فيه انهما اصل كل ما يحتاج الى الرقية
فيلتحق بالعين جواز رقية من به خبل او مس ونحو ذلك لاشتراكها في كونها تنشا عن احوال شيطانية
من انس او جن ويلتحق بالسم كل ما عرض للبدن من قرح ونحوه من المواد السمية وقد وقع عند ابي داود
من حديث انس مثل حديث عمران وزاد او دم وفي مسلم من حديث انس ايضا رخص رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الرقى من العين والحمة والنملة وفي حديث اخر والاذن ولابي داود من حديث الشفاء بنت عبد الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا تعلمين هذه يعني حفصة رقية النملة والنملة قروح تخرج في الجنب
وغيره من الجسد وقيل المراد بالحصر معنى الافضل اي لا رقية انفع كما قيل لا سيف الا ذو الفقار وقال قوم
المنهي عنه من الرقى ما يكون قبل وقوع البلاء والماذون فيه ما كان بعد وقوعه ذكره ابن عبد البر والبيهقي
وغيرهما واخرج ابو داود وابن ماجه وصححه الحاكم عن ابن مسعود رفعه ان الرقى والتمائم والتولة شرك
والتمائم جمع تميمة وهي خرزة او قلادة تعلق في الراس كانوا في الجاهلية يعتقدون ان ذلك يدفع الافات
والتولة بكسر المثناة وفتح اللام والواو مخففا شيء كانت المراة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر
وانما كان ذلك من الشرك لانهم ارادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله ولا يدخل في ذلك ما كان
باسماء الله وكلامه فقد ثبت في الاحاديث استعمال ذلك قبل وقوعه كما سياتي ان شاء الله تعالى و

رقية الجن

بكلام

قال فلم عرضوها علي

رقية سم

خلاف في مشروعية الفزع إلى الله تعالى والالتجاء إليه سبحانه في كل ما وقع وما يتوقع وقال بعض المتأخرين عنه في الرقى هو الذي يستعمله المعزمون وغيرهم ممن يدعي تسخير الجن له فيأتي بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطل يجمع إلى ذكر الله تعالى وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم ويقال إن الحية لعداوتها للإنسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم أعداء بني آدم فإذا عزم على الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها وكذا اللديغ إذا رقي بتلك الأسماء سالت سمومها من بدن الإنسان فلذلك كره من الرقى ما لم يكن بذكر الله وأسمائه خاصة وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريئا من شوب الشرك وعلى كراهة الرقى بغير كتاب الله علماء الأمة وقال القرطبي الرقى ثلاثة أقسام أحدها ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك أو يؤدي إلى الشرك الثاني ما كان بكلام الله أو بأسمائه فيجوز فإن كان مأثورا فيستحب الثالث ما كان بأسماء غير الله من ملك أو صالح أو معظم من المخلوقات كالعرش قال فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذي يتضمن الالتجاء إلى الله تعالى والتبرك بأسمائه فيكون تركه أولى إلا أن يتضمن تعظيم المرقي به فينبغي أن يجتنب كالحلف بغير الله تعالى وقال الربيع سألت الشافعي عن الرقية فقال لا بأس أن يرقى بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله قلت أيرقي أهل الكتاب المسلمين قال نعم إذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وذكر الله انتهى وفي الموطأ أن أبا بكر قال لليهودية التي كانت ترقي عائشة ارقيها بكتاب الله قال النووي وقال القاضي عياض واختلف قول مالك في رقية اليهودي والنصراني المسلم وبالجواز قال الشافعي وروى ابن وهب عن مالك كراهة الرقية بالحديدة والملح وعقد الخيط والذي يكتب خاتم سليمان وقال لم يكن ذلك من أمر الناس القديم رقية الذي يصاب بالعين فيه روى مسلم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين أي الإصابة بالعين شيء ثابت موجود وهو من جملة ما تحقق كونه قال المازري أخذ الجمهور بظاهر الحديث وأنكره طوائف من المبتدعة لغير معنى لأن كل شيء ليس محالا في نفسه ولا يؤدي إلى قلب حقيقة ولا إفساد دليل فهو من مجوزات العقول فإذا أخبر الشارع بوقوعه لم يكن لإنكاره معنى وهل من فرق بين إنكارهم هذا وإنكارهم ما يخبر به من أمور الآخرة وقد استشكل بعض الناس هذه الإصابة فقال كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون وأجيب بأن طبائع الأشياء تختلف فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العائن في الهواء إلى بدن المعيون وقد نقل عن بعض من كان معيانا أنه قال إذا رأيت شيئا يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني ويقرب ذلك بالمرأة الحائض تضع يدها في إناء اللبن فيفسد ولو وضعتها بعد طهرها لم يفسد ومن ذلك أن الصحيح قد ينظر إلى العين الرمداء فيرمد وقال المازري زعم بعض الطبائعيين أن العائن تنبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك أو يفسد وهو كإصابة السم من نظر الأفاعي وأشار إلى منع الحصر في ذلك مع تجويزه وأن الذي يتمشى على طريقة أهل السنة أن العين إنما تضر عند نظر العائن بعادة أجراها الله تعالى أن يحدث الضرر عند مقابلة شخص آخر وهل ثم جواهر خفية أو لا هو أمر محتمل لا يقطع بإثباته ولا نفيه ومن قال ممن ينتمي إلى الإسلام من أصحاب الطبائع بالقطع بأن جواهر لطيفة غير مرئية تنبعث من العائن فتتصل بالمعيون وتتخلل مسام جسمه فيخلق الباري الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السم فقد أخطأ بدعوى القطع ولكنه جائز أن يكون عادة ليست ضرورة ولا طبيعة انتهى وهو كلام

مسلم بل

استمشيت بالسنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو أن شيئا كان فيه شفاء من الموت لكان في السنا قال أبو عيسى هذا حديث غريب وقد ذكره البخاري في تاريخه الكبير من حديث أسماء بنت عميس مثل ما ذكره الترمذي وذكر أبو محمد المليكي في كتاب الطب له أنه صلى الله عليه وسلم قال إياكم والشبرم فإنه حار وعليكم بالسنا فقد رواية فلو دفع الموت شيء لدفعه السنا وحكى عبد الحق الإشبيلي في كتاب الطب النبوي له أن [illegible] ذكر في كتابه المسمى بالفصل إلى الله أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب السنا بالتمر وفي [illegible] سنن ابن ماجه من حديث إبراهيم بن أبي عبلة قال سمعت عبد الله بن حرام وكان ممن صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القبلتين يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليكم بالسنا والسنوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام قيل يا رسول الله وما السام قال الموت قالوا والشبرم قشر عرق شجرة وهو حار يابس في الدرجة الرابعة وهو من الأدوية التي منع الأطباء من استعمالها لخطرها وفرط إسهالها وأما السنا فهو نبت حجازي أفضله المكي وهو دواء شريف مأمون الغائلة قريب من الاعتدال حار يابس في الدرجة الأولى يسهل الصفراء والسوداء ويقوي جرم القلب وهذه فضيلة شريفة ومن خاصيته النفع من الوسواس السوداوي قال الرازي السنا والشاهترج يسهلان الأخلاط المحترقة وينفعان من الجرب والحكة قال والشربة من كل واحد منهما من أربعة دراهم إلى سبعة دراهم وأما السنوت فقيل هو العسل وقيل رب عكة السمن يخرج خطوطا سوداء على السمن وقيل حب يشبه الكمون وليس به وقيل هو الكمون الكرماني وقيل هو الرازيانج وقيل إنه الشبت وقيل إنه العسل الذي يكون في زقاق السمن قال بعض الأطباء وهذا أجدر بالمعنى وأقرب إلى الصواب أي يخلط السنا مدقوقا بالعسل المخالط للسمن ثم يلعق فيكون أصلح من استعماله مفردا لما في العسل والسمن من إصلاح السنا وإعانته على الإسهال ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للمفؤود وهو الذي أصيب فؤاده فهو يشتكيه كالمبطون روى أبو داود عن سعد قال مرضت مرضا فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي وقال لي إنك رجل مفؤود فأت الحارث بن كلدة من ثقيف فإنه رجل متطبب فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلدك بهن العواد وهذا الحديث من الخطاب العام الذي أريد به الخاص كأهل المدينة ومن جاورهم والتمر لأهل المدينة كالحنطة لغيرهم واللدود ما يسقاه الإنسان من أحد جانبي الفم وفي التمر خاصية عجيبة لهذا الداء سيما تمر المدينة ولا سيما العجوة وفي كونها سبعا خاصية أخرى تدرك بالوحي وفي الصحيحين من تصبح بسبع تمرات عجوة من تمر العالية لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لداء ذات الجنب في البخاري مرفوعا عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب وفي الترمذي من حديث زيد بن أرقم قال صلى الله عليه وسلم تداووا من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت اعلم أن ذات الجنب ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع وقد يطلق على ما يعرض في نواحي الجنب من رياح غليظة تحتقن بين الصفاقات والعضل التي في الصدر والأضلاع فيحدث وجعا فالأول هو ذات الجنب الحقيقي الذي تكلم عليه الأطباء قالوا ويحدث بسببه خمسة أمراض الحمى والسعال والنخس وضيق النفس والنبض المنشاري ويقال لذات الجنب أيضا وجع الخاصرة وهو من الأمراض المخوفة لأنها تحدث بين القلب والكبد وهي من سيئ الأسقام والمراد بذات الجنب هنا الثاني لأن القسط وهو العود الهندي هو الذي يداوى به الريح الغليظة وقد حكى الإمام ابن القيم عن المسيحي أنه قال العود حار يابس قابض يحبس البطن ويقوي الأعضاء الباطنة ويطرد الريح ويفتح السدد ويذهب فضل الرطوبة نافع من ذات الجنب جيد للدماغ قال ويجوز أن ينفع من ذات

الجنب الحقيقية ايضا اذا كانت ناشئة عن مادة بلغمية ولا سيما في وقت انحطاط العلة ذكر
طبه صلى الله عليه وسلم لداء الاستسقاء عن انس قال قدم رهط من عرينة وعكل على النبي صلى الله عليه وسلم
فاجتووا المدينة فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو خرجتم الى ابل الصدقة فشربتم من البانها
وابوالها فلما صحوا عمدوا الى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الابل وحاربوا الله ورسوله فبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم في آثارهم فأخذوا فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم والقاهم في الشمس حتى ماتوا رواه الشيخان
واعلم ان الاستسقاء مرض مادي سببه مادة غريبة باردة تتخلل الاعضاء فتربو لها اما الاعضاء الظاهرة كلها
واما المواضع الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذاء والاخلاط واقسامه ثلاثة لحمي وهو اصعبها وهو الذي
يربو معه لحم جميع البدن بمادة بلغمية تفشو مع الدم في الاعضاء وزقي وهو الذي يجتمع منه في البطن الاسفل مادة
مائية رديئة يسمع لها عند الحركة خضخضة كما في الزق وهو اردى انواعه عند اكثر الاطباء وطبلي
وهو الذي ينتفخ معه البطن بمادة ريحية اذا ضربت عليه سمعت له صوتا كصوت الطبل واما امره عليه
السلام بشرب ذلك لان في لبن اللقاح جلاء وتليينا وادرارا وتلطيفا وتفتيحا للسدد اذ كان اكثر رعيها
الشيح والقيصوم والبابونج والاقحوان والاذخر وغير ذلك من الادوية النافعة للاستسقاء خصوصا اذا
استعمل بحرارته التي يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل وهو حار كما يخرج من الحيوان فان ذلك مما يزيد في
ملوحة اللبن وتقطيعه الفضول واطلاقه البطن واما ضعف المعدة فذكر ابن الحاج في المدخل ان بعض
الناس مرض بمعدته فراى الشيخ الجليل ابو محمد المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء وهو ان
ياخذ كل يوم على الريق وزن درهم من الورد المربى ويكون ملتوتا بالمصطكا بعد دقها ويجعل فيها سبع حبات
من الشونيز يفعل ذلك سبعة ايام ففعله فبرئ ومرض بعض الناس ببرد المعدة فراى الشيخ المرجاني ايضا
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء وهو اوقية ونصف عسل نحل ودرهمين شونيز ومثلها انيسون
ونصف اوقية من النعنع الاخضر ومن القرنفل درهم ومن الكزبرة نصف درهم وشي من قشر الليمون مع قليل من
الخل ويعقد ذلك على النار فاستعمله فبرئ ومرض آخر بسلس الريح فراى الشيخ المرجاني ايضا النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يشير بهذا الدواء شونيز ثلاثة دراهم ومن خزامى درهمين ونصف ومن الكمون الابيض ثلاثة دراهم
ومثله من السعتر الشامي ومثله من الفلفل ووزن عشرة دراهم من البلوط وهو ثمرة الفؤاد واوقية من الزبيب
المربى يجعل فيه من العسل النحل ما يعقد به وهو ربع رطل ويوخذ منه غدوة النهار وزن درهمين على الريق
وعند النوم وزن درهم ونصف فاستعمله فبرئ ثم رآه عليه الصلاة والسلام بعد ذلك فقال في النوم
لذلك الشخص الذي اخبره بهذا الدواء انه ينفع لادواء وهي الريح وسلس الريح والمعدة وبرودتها ووجع الفؤاد
والم الحيض والم النفاس ولتعقد الرياح والزبيب المربى صفته ان تاخذ شيئا من الزبيب الطيب وتجعله
في اناء نظيف وتحركه بعود وتقرا عليه الاخلاص والمعوذتين ولقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين لو انزلنا هذا القرآن على جبل الى آخر السورة وحصل لآخر
قولنج فراى الشيخ النبي صلى الله عليه وسلم فاشار بهذا الدواء وهو ان ياخذ ثلاثة دراهم من عسل النحل ووزن درهم
ونصف من الزبيب المربى وواحدى وعشرين حبة من الشونيز ويخلط الجميع ثم يفطر عليه ويفعل مثله عند النوم
ففعل ذلك حتى برا ويعمل له التلبينة ويستعملها بعد ان يفطر على ذلك والتلبينة حسا يعمل من دقيق او نخالة
وربما جعل فيها عسل ويكون غذاؤه مصلوقة الدجاج او لحم الضان ففعله فبرا بعد ان اعيا الاطباء ومرض

اخر

الدواء

الشيخ م

اخر بوجع الظهر فشكى ذلك للشيخ فراى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء وهو عسل نحل
وشونيز ودهن الالية والزيت المربى ورقيق البيض ويخلط ذلك كله ويمد على الموضع ويذر عليه دقيق
العدس المقشر مع الحرمل بعد ما يدق دقا ناعما حتى يعود مثل الدقيق ففعله فبرئ وشكى بعض الناس
اللاوخة في راسه فراى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فاشار اليه بهذا الدواء فلفل وزنجبيل وزرجة
وسنبل من كل واحد درهم ونصف شونيز درهمين يدق الجميع ثم يطبخ ويعقد بعسل النحل فاذا
قرب استواؤه عصر عليه قليل ليمون ويكون عسل النحل غالبا عليه ففعله فبرئ انتهى وهذا وان كان
مناما فقد عضدته التجربة مع ارشاد الشيخ المرجاني لذلك ذكر طبه عليه السلام من داء عرق
النسا وهو بفتح النون والمهملة المرض الحال بالعرق والاضافة فيه من باب اضافة الشيء الى محله
قيل وسمي بذلك لان المه ينسي ما سواه وهذا العرق ممتد من مفصل الورك وينتهي الى آخر القدم
وراء الكعب وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دواء عرق النسا الية شاة اعرابية
تذاب ثم تجزى ثلاثة اجزاء ثم تشرب على الريق في كل يوم جزء رواه ابن ماجه وهذا الدواء
خاص بالعرب واهل الحجاز ومن جاورهم وهو انفعه لهم لان هذا المرض يحدث من يبس وقد
يحدث من مادة غليظة لزجة فعلاجها بالاسهال والالية فيها الخاصتان الانضاج والتليين وهذا
المرض يحتاج علاجه الى هذين الامرين وفي تعيين الشاة الاعرابية قلة فضولها وصغر مقدارها
ولطف جوهرها وخاصية مرعاها لانها ترعى اعشاب البر الحارة كالشيح والقيصوم ونحوهما
وهذه اذا تغذى بها الحيوان صار في لحمه من طبعها بعد ان يلطفها تغذيه بها ويكسبها مزاجا الطف منها
ولا سيما الالية ذكر طبه عليه السلام من الاورام والخراجات بالبط والبزل ذكر عن علي رضي
الله عنه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل يعوده بظهره ورم فقالوا يا رسول الله
بهذه مدة قال بطوا عنه قال علي فما برحت حتى بطت والنبي صلى الله عليه وسلم شاهد ذكر طبه
عليه الصلاة والسلام بقطع العروق والكي روى الشيخان من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه
وسلم بعث الى ابي بن كعب طبيبا فقطع له عرقا وكواه عليه واخرج مسلم عن جابر قال رمي سعد بن معاذ
في اكحله فحسمه النبي صلى الله عليه وسلم وروى الطحاوي وصححه الحاكم عن انس قال كواني ابو طلحة في زمن النبي صلى
الله عليه وسلم وعند الترمذي انه صلى الله عليه وسلم كوى اسعد بن زرارة من الشوكة وروى مسلم عن عمران
ابن الحصين كان يسلم علي حتى اكتويت فتركت ثم تركت الكي فعاد وفي رواية ان الذي كان انقطع عني رجع
اليّ يعني تسليم الملائكة وروى احمد وابو داود والترمذي عن عمران ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الكي
فاكتوينا فما افلحنا ولا انجحنا الحديث وانما يستعمل الكي في الخلط الباغي الذي لا تنحسم مادته الا به ولهذا
وصفه صلى الله عليه وسلم ثم نهى عنه وانما كرهه لما فيه من الالم الشديد
والخطر العظيم ولهذا كانت العرب تقول في امثلتها آخر الدواء الكي والنهي فيه محمول على الكراهة او على خلاف
الاولى لما تقتضيه مجموع الاحاديث وقيل انه خاص بعمران لانه كان به الباسور وكان موضعه خطرا
فنهاه عن كيه فلما اشتد عليه كواه فلم ينجح وقال ابن قتيبة الكي نوعان كي الصحيح لئلا يعتل فهذا الذي قيل
فيه لم يتوكل من اكتوى لانه يريد ان يدفع القدر والقدر لا يدافع والثاني كي الجرح اذا نغل والعضو اذا
قطع فهو الذي شرع التداوي له فان كان الكي لامر محتمل فهو خلاف الاولى لما فيه من تعجيل التعذيب بالنار
لامر غير محقق وحاصل الجمع ان الفعل يدل على الجواز وعدم الفعل لا يدل على المنع بل يدل على ان تركه ارجح من

جوزة

بط الجرح شق والخراجات

فعله ولذا وقع الثناء على تاركه وأما النهي عنه فإما على سبيل الاختيار والتنزيه وإما عما لا يتعين
طريقا إلى الشفاء وقال بعضهم إنما نهى عنه مع إثباته الشفاء فيه إما لكونهم كانوا يرون أنه يحسم الداء
بطبعه فكرهه لذلك ولذلك كانوا يبادرون إليه قبل حصول الداء لظنهم أنه يحسم الداء فيتعجل الذي
يكتوي التعذيب بالنار لأمر مظنون قال في فتح الباري ولم أر أن صح أن النبي صلى الله عليه وسلم
اكتوى إلا أن القرطبي نسب لكتاب أدب النفوس للطبري أن النبي صلى الله عليه وسلم اكتوى وذكره
الحليمي بلفظ روي أنه اكتوى للجرح الذي أصابه بأحد قال الحافظ ابن حجر والثابت في الصحيح في غزوة
أحد أن فاطمة أحرقت حصيرا فحشت به جرحه وليس هذا الكي المعهود انتهى ذكر طبه صلى الله عليه وسلم
من الطاعون قال الخليل الطاعون الوباء وقال ابن الأثير الطاعون المرض العام والوباء الذي يفسد
له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان وقال القاضي أبو بكر بن العربي الطاعون الوجع الغالب الذي
يطفئ الروح سمي بذلك لعموم مصابه وسرعة قتله وقال أبو الوليد الباجي هو مرض يعم الكثير من الناس
في جهة من الجهات بخلاف المعتاد من أمراض الناس وقال القاضي عياض أصل الطاعون القروح
الخارجة في الجسد والوباء عموم الأمراض فسميت طاعونا لشبهها بها في الهلاك وقال النووي في
تهذيبه هو بثر وورم مؤلم جدا يخرج مع لهب ويسود ما حوله ويخضر ويحمر حمرة شديدة بنفسجية
كدرة ويحصل معه خفقان وقيء ويخرج غالبا في المراق والآباط وقد يخرج في الأيدي والأصابع
وسائر الجسد وقال ابن سينا الطاعون مادة سمية تحدث ورما قتالا يحدث في المواضع
الرخوة والمغابن من البدن وأغلب ما يكون تحت الإبط أو خلف الأذن أو عند الأرنبة وسببه
دم رديء يستحيل إلى جوهر سمي يفسد العضو ويغير ما يليه ويؤدي إلى القلب كيفية رديئة
فيحدث القيء والغثيان والغشي والخفقان وهو لرداءته لا يقبل من الأعضاء إلا ما كان أضعف بالطبع
وأردؤه ما يقع في الأعضاء الرئيسة والأسود منه قل من يسلم منه وأسلمه الأحمر ثم الأصفر والطواعين
تكثر عند الوباء في البلاد الوبئة ومن ثم أطلق على الطاعون وباء وبالعكس وأما الوباء فهو فساد
جواهر الهواء الذي هو مادة الروح ومدده والحاصل أن حقيقته ورم ينشأ عن هيجان الدم وانصباب
الدم إلى عضو فيفسده وأن غير ذلك من الأمراض العامة الناشئة عن فساد الهواء يسمى طاعونا بطريق
المجاز لاشتراكهما في عموم المرض به أو كثرة الموت والدليل على أن الطاعون يغاير الوباء أن الطاعون
لم يدخل المدينة النبوية وقد قالت عائشة دخلنا المدينة وهي أوبأ أرض الله وقال بلال أخرجونا
إلى أرض الوباء والطاعون من طعن الجن وإنما لم يتعرض الأطباء لكونه من طعن الجن لأنه أمر لا يدرك بالعقل
وإنما عرف من الشارع فتكلموا في ذلك على ما اقتضته قواعدهم ومما يؤيد أن الطاعون إنما يكون
من طعن الجن وإنما لم تعرض الأطباء وقوعه غالبا في أعدل الفصول وفي أصح البلاد هواء وأطيبها ماء
ولأنه لو كان بسبب فساد الهواء لدام في الأرض لأن الهواء يفسد تارة ويصح أخرى وهذا يذهب أحيانا
ويجيء أحيانا على غير قياس ولا تجربة فربما جاء سنة على سنة وربما أبطأ سنين وبأنه لو كان كذلك لعم
الناس والحيوان والموجود بالمشاهدة أنه يصيب الكثير ولا يصيب من هم بجانبهم ممن هو في مثل
مزاجهم ولو كان كذلك لعم جميع البدن وهذا يختص بموضع من الجسد لا يتجاوزه ولأن فساد الهواء
يقتضي تغير الأخلاط وكثرة الأسقام وهذا في الغالب يقتل بلا مرض فدل على أنه طعن الجن كما ثبت
في الأحاديث الواردة في ذلك منها حديث أحمد والطبراني عن أبي بكر بن موسى الأشعري قال سألت عنه

والغثيان

دون موضع

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو وخز أعدائكم من الجن وهو لكم شهادة قال شيخ الإسلام الحافظ
ابن حجر يقع في الألسنة وهو في النهاية تبعا لغريبي الهروي بلفظ وخز إخوانكم ولم أره بلفظ إخوانكم
بعد التتبع الطويل البالغ في شيء من طرق الحديث المسندة لا في الكتب المشهورة ولا في الأجزاء المنثورة
وقد عزاه بعضهم لمسند أحمد أو الطبراني أو كتاب الطواعين لابن أبي الدنيا ولا وجود لذلك في واحد
منها فالله أعلم انتهى وفي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا
عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه وقد ذكر العلماء في النهي عن الخروج حكما منها
أن الطاعون في الغالب يكون عاما في البلد الذي يقع به فإذا وقع فالظاهر مداخلة سببه لمن بها فلا
يفيده الفرار لأن المفسدة إذا تيقنت حتى لا يقع الانفكاك عنها كان الفرار عبثا فلا يليق بالعاقل ومنها
أن الناس لو تواردوا على الخروج لصار من عجز عنه بالمرض المذكور أو بغيره ضائع المصلحة لفقد من
يتعهده حيا وميتا وأيضا فلو شرع الخروج فخرج الأقوياء لكان في ذلك كسر قلوب الضعفاء وقد
قالوا إن حكمة الوعيد في الفرار من الزحف لما فيه من كسر قلب من لم يفر وإدخال الرعب عليه بخذلانه
وقد جمع الغزالي بين الأمرين فقال الهواء لا يضر من حيث ملاقاته ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق ق
فيصل إلى القلب والرئة فيؤثر في الباطن ولا يظهر على الظاهر إلا بعد التأثر في الباطن فالخارج من البلد الذي
يقع به لا يخلص غالبا مما استحكم به وينضاف إلى ذلك أنه لو رخص للأصحاء في الخروج لبقي المرضى لا يجدون
من يتعاهدهم فتضيع مصالحهم ومنها ما ذكره بعض الأطباء أن المكان الذي يقع به الوباء تتكيف أمزجة
أهله بهواء تلك البقعة فتألفها وتصير لهم كالأهوية الصحيحة لغيرهم فلو انتقلوا إلى الأماكن الصحيحة
لم توافقهم بل ربما إذا استنشقوا هواءها استصحب معه إلى القلب من الأبخرة الرديئة التي حصل تكيف بدنها
بها فأفسدته فمنع من الخروج لهذه النكتة ومنها أن الخارج يقول لو أقمت لأصبت والمقيم يقول
لو خرجت لسلمت فيقع في اللو المنهي عنه وقال العارف ابن أبي جمرة البلاء إنما يقصد به أهل البقعة
لا البقعة نفسها فمن أراد الله تعالى إنزال البلاء به فهو واقع به لا محالة فأينما توجه يدركه فأرشدنا
الشارع إلى عدم التعب وقال ابن القيم جمع صلى الله عليه وسلم للأمة في نهيه عن الدخول إلى الأرض
التي هو بها ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرز منه فإن في الدخول في الأرض التي هو فيها
تعرضا للبلاء وموافاة له في محل سلطانه وإعانة الإنسان على نفسه وهذا مخالف للشرع والعقل بل تجنب
الدخول إلى أرضه من باب الحمية التي أرشد الله تعالى إليها وهي حمية عن الأمكنة والأهوية المؤذية
وأما نهيه عن الخروج من بلده ففيه معنيان أحدهما حمل النفوس على الثقة بالله تعالى والتوكل عليه
والصبر على أقضيته والرضا والثاني ما قاله أئمة الطب إنه يجب على من كان يحترز من الوباء أن يخرج
عن بدنه الرطوبات الفضلية ويقلل الغذاء ويميل إلى التدبير المجفف من كل وجه والخروج من أرض الوباء
والسفر منها لا يكون إلا بحركة شديدة وهي مضرة جدا هذا كلام أفضل المتأخرين من الأطباء فظهر المعنى
الطبي من الحديث النبوي وما فيه من علاج القلب والبدن وصلاحهما انتهى ذكر طبه عليه السلام
من السلعة أخرج البخاري في تاريخه والطبراني والبيهقي عن شرحبيل الجعفي قال أتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبكفي سلعة فقلت يا رسول الله هذه السلعة قد آذتني تحول بيني وبين قائم السيف أن

تكيف من

ابيض عليه وعنانه الدابة فنفث في كفي ووضع كفه على السلعة فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها عنه وما
ارى اثرها ومسح صلى الله عليه وسلم وجه ابيض بن حمال وكان به القوبا فلم يمس من ذلك اليوم وبها
اثر رواه البيهقي وغيره ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الحمى روى البخاري من حديث ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فاطفئوها بالماء واختلف في نسبتها الى جهنم فقيل حقيقة
واللهب الحاصل في جسم المحموم قطعة من جهنم وقدر الله ظهورها باسباب تقتضيها ليعتبر العباد بذلك
كما ان انواع الفرح واللذة من نعيم الجنة اظهرها في هذه الدار عبرة ودلالة وقيل بل الخبر ورد مورد التشبيه
والمعنى ان حر الحمى شبيه بحر جهنم تنبيها للنفوس على شدة حر جهنم النار وان هذه الحرارة الشديدة
شبيهة بفيحها وهو ما يصيب من قرب منها من حرها قوله فاطفئوها بهمزة قطع امر بالاطفاء
وروى الطبراني الحمى حظ المؤمن من النار وفي رواية نافع عن ابن عمر عند الشيخين قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الحمى او شدة الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء بهمزة وصل والراء مضمومة على المشهور
وحكي كسر الراء وفي رواية لابن ماجة بالماء البارد وفي رواية ابي جمرة بالجيم عند البخاري قال كنت اجالس
ابن عباس بمكة فاخذتني الحمى فاحتبست اياما فقال ما حبسك قلت الحمى قال ابردها بماء زمزم
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء او بماء زمزم قال ابن القيم قوله
بالماء فيه قولان احدهما انه كل ماء وهو الصحيح والثاني انه ماء زمزم ثم قال بعد ان روى حديث ابي جمرة
هذا وراوي هذا قد شك فيه ولو جزم به لكان امرا لاهل مكة بماء زمزم اذ هو متيسر عندهم ولغيرهم
بما عندهم من الماء انتهى وتعقب بانه وقع في رواية احمد عن عفان عن همام فابردوها بماء زمزم ولم
يشك وكذا اخرجه النسائي وابن حبان والحاكم قال ابن القيم واختلف من قال انه على عمومه هل
المراد به الصدقة بالماء او استعماله على قولين والصحيح انه استعماله واظن الذي حمل من قال المراد به الصدقة
انه اشكل عليه استعمال الماء البارد في الحمى ولم يفهم وجهه مع ان لقوله وجها حسنا وهو ان الجزاء من
جنس العمل فكما اخمد لهيب العطش عن الظمآن بالماء البارد اخمد الله لهيب الحمى عنه جزاء وفاقا انتهى
وقال الخطابي وغيره اعترض بعض سخفاء الاطباء على هذا الحديث بان قال اغتسال المحموم بالماء خطر
يقربه الى الهلاك لانه يجمع المسام ويحقن البخار ويعكس الحرارة الى داخل الجسم فيكون ذلك سببا للتلف
وقد غلط بعض من ينسب الى العلم فانغمس في الماء لما اصابته الحمى فاحتقنت الحرارة في باطن بدنه فاصابته
علة صعبة كادت تهلكه فلما خرج من علته قال قولا سيئا لا يحسن ذكره وانما اوقعه في ذلك جهله
بمعنى الحديث والجواب ان هذا الاستشكال صدر عن صدر مرتاب في صدق الخبر فيقال له اولا
من اين حملت الامر على الاغتسال وليس في الحديث الصحيح بيان الكيفية فضلا عن اختصاصها بالغسل
وانما في الحديث الارشاد الى تبريد الحمى بالماء فان اظهر الوجود او اقتضت صناعة الطب ان انغماس كل
محموم في الماء او صبه اياه على جميع بدنه يضره فليس هو المراد وانما قصد عليه السلام استعمال الماء على وجه ينفع
فليبحث عن ذلك الوجه ليحصل الانتفاع به وهو كما وقع في امره العائن بالاغتسال واطلق وقد ظهر من
الحديث الآخر انه لم يرد مطلق الاغتسال وانما اراد الاغتسال على كيفية مخصوصة واولى ما يحمل عليه كيفية
تبريد الحمى ما صنعته اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما فانها كانت ترش على بدن المحموم شيئا من
الماء بين ثدييه وثوبه فيكون ذلك من باب النشرة الماذون فيها والصحابي ولا سيما مثل اسماء التي هي

ممن كان يلازم بيت النبي صلى الله عليه وسلم اعلم بالمراد من غيرها وقد ذكر ابو نعيم وغيره من حديث انس
يرفعه اذا حم احدكم فليرش عليه الماء البارد ثلاث ليال من السحر وقال المازري لا شك ان علم الطب
من اكثر العلوم احتياجا الى التفصيل حتى ان المريض يكون الشيء دواؤه في ساعة ثم يصير داء له في الساعة
التي تليها العارض يعرض له من غضب يحمي مزاجه مثلا فيتغير علاجه ومثل ذلك كثير فاذا فرض وجود
الشفاء لشخص بشيء في حالة ما لم يلزم منه وجود الشفاء به او لغيره في سائر الاحوال والاطباء مجمعون على
ان المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمان والعادة والغذاء المتقدم والتاثير المالوف
وقوة الطباع ويحتمل ان يكون في وقت مخصوص فيكون من الخواص التي اطلع الله عليها النبي صلى الله عليه وسلم
بالوحي ويضمحل عند ذلك جميع كلام اهل الطب وجعل ابن القيم خطابه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث خاصا
لاهل الحجاز وما والاهم اذ كان اكثر الحميات التي تعرض لهم من نوع الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة
حرارة الشمس قال وهذه ينفعها الماء البارد شربا واغتسالا لان الحمى حرارة غريبة تشتعل في القلب وتنتشر
منه بتوسط الروح والدم في العروق الى جميع البدن وهي قسمان عرضية وهي الحادثة عن ورم او حركة او اصابة
حرارة الشمس او القيظ الشديد ونحو ذلك ومرضية وهي ثلاثة انواع وتكون عن مادة ثم منها ما يسخن جميع
البدن فان كان مبدا تعلقها بالروح فهي حمى يوم لا تقلع غالبا في يوم ونهايتها الى ثلاث وان كان تعلقها بالاعضاء
الاصلية فهي حمى دق وهي اخطرها وان كان تعلقها بالاخلاط سميت عفنية وهي بعدد الاخلاط الاربعة اعني
صفراوية سوداوية بلغمية دموية وتحت هذه الانواع المذكورة اصناف كثيرة بسبب الافراد والتركيب
واذا تقرر هذا فيجوز ان يكون المراد النوع الاول فانها تسكن بالانغماس في الماء البارد وشرب الماء المبرد بالثلج وغيره
ولا يحتاج الى علاج اخر وقد قال جالينوس لو ان شابا حسن اللحم خصب البدن في احتياجه ورم ثم
بماء بارد او سبح فيه في وقت القيظ عند منتهى الحمى لانتفع بذلك وقد ذكر في الحديث استعماله صلى الله عليه
وسلم الماء البارد في علته كما في الحديث صبوا علي من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن وفي المسند وغيره من حديث
الحسن عن سمرة يرفعه الحمى قطعة من النار فابردوها بالماء البارد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا حم دعا بقربة من ماء فافرغها على راسه فاغتسل وصححه الحاكم ولكن قال في اسناده راو ضعيف وعن
انس رفعه اذا حم احدكم فليشن عليه من الماء البارد من السحر ثلاث ليال اخرجه الطحاوي وابو نعيم في الطب
واخرج الطبراني من حديث عبد الرحمن بن المرقع رفعه الحمى رائد الموت وهي سجن الله في الارض فبردوا لها
الماء في الشنان وصبوه عليكم فيما بين الاذانين المغرب والعشاء قال ففعلوا فذهب عنهم وقد اخرج الترمذي
من حديث ثوبان مرفوعا اذا اصاب احدكم الحمى وهي قطعة من النار فليطفئها عنه بالماء يستنقع في نهر جار
ويستقبل جريته وليقل بسم الله اللهم اشف عبدك وصدق رسولك بعد صلاة الصبح قبل طلوع الشمس
ولينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة ايام فان لم يبرأ في خمس فسبع فان لم يبرأ في سبع فتسع فانها لا تكاد تجاوز تسعا
باذن الله قال الترمذي غريب وفي سنده سعيد بن زرعة مختلف فيه ذكر طبه عليه السلام من حكة
الجسم وما يولد القمل لما كانت الحكة لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة رخص صلى الله عليه وسلم للزبير
ابن العوام وعبد الرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكة كانت بهما كما في البخاري عن قتادة ان انسا حدثهم
ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير في قميص من حرير من حكة كانت بهما وفي
رواية ~~رخص النبي صلى الله عليه وسلم~~ ان عبد الرحمن والزبير شكيا الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني القمل فرخص

لهما في الحرير بقراية عليهما في غزاة وفي رواية رخص النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف والزبير ابن العوام في حرير وفي رواية رخص او رخص لحكة كانت بهما ويحتمل ان تكون العلتان باحد الرجلين او ان الحكة حصلت من القمل فنسبت العلة تارة الى السبب وتارة الى المسبب قال النووي هذا الحديث صريح في الدلالة لمذهب الشافعي وموافقيه انه يجوز لبس الحرير للرجل اذا كانت به حكة لما فيه من البرودة وكذا القمل وما في معنى ذلك وقال مالك لا يجوز وهذا الحديث حجة عليه انتهى وتعقب قوله لما فيه من البرودة بان الحرير حار والصواب ان الحكمة فيه لخاصية فيه تدفع الحكة وقال ابن القيم واذا اتخذ منه ملبوس كان معتدل الحرارة في مزاجه مسخنا للبدن وربما برد البدن بتسمينه اياه وقال الرازي الابريسم اسخن من الكتان وابرد من القطن يربي اللحم وكل لباس خشن فانه يهزل ويصلب البشرة فملابس الاوبار والاصواف تسخن وتدفئ وملابس الكتان والحرير والقطن تدفئ ولا تسخن فثياب الكتان باردة يابسة وثياب الصوف حارة يابسة وثياب القطن معتدلة الحرارة وثياب الحرير الين من القطن واقل حرارة منه ولما كانت ثياب الحرير ليس فيها شيء من اليبس والخشونة كغيرها صارت نافعة من الحكة لان الحكة كما تقدم لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة فلذلك رخص عليه السلام لهما في لباس الحرير لمداواة الحكة

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من السم الذي اصابه بخيبر تقدم في غزوة خيبر قصة اليهودية التي اهدت اليه الشاة المسمومة وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك ان امرأة يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية بخيبر فقال ما هذه قالت هدية وحذرت ان تقول من الصدقة فلا يأكل فأكل النبي صلى الله عليه وسلم واكل اصحابه ثم قال امسكوا ثم قال للمرأة هل سممت هذه الشاة قالت من اخبرك قال هذا العظم لساقها وهو في يده قالت نعم قال لم قالت اردت ان كنت كاذبا ان نستريح منك والناس وان كنت نبيا لم يضرك قال فاحتجم النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة على الكاهل وقد ذكر في علاج السم انه يكون بالاستفراغات وبالادوية التي تعارض فعل السم وتبطله اما بكيفياتها واما بخواصها فمن عدم الدواء فليبادر الى الاستفراغ الكلي وانفعه الحجامة ولا سيما اذا كان البلد حارا والزمان حارا فان القوة السمية تسري في الدم فتنبعث في العروق والمجاري حتى تصل الى القلب والاعضاء فاذا بادر المسموم واخرج الدم خرجت معه تلك الكيفية السمية التي خالطته فان كان استفراغا تاما لم يضره السم بل اما ان يذهب واما ان يضعف فتقوى عليه الطبيعة فتبطل فعله او تضعفه ولما احتجم صلى الله عليه وسلم احتجم على الكاهل لانه اقرب الى القلب فخرجت المادة السمية مع الدم لا خروجا كليا بل بقي اثرها مع ضعفه لما يريد الله تعالى من تكميل مراتب الفضل كلها له بالشهادة زاده الله تعالى فضلا وشرفا

النوع الثالث في طبه صلى الله عليه وسلم بالادوية المركبة من الالهية والطبيعية

ذكر طبه عليه السلام من القرحة والجرح وكل شكوى عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض بسم الله تربة ارضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا وفي رواية كان يقول في الرقية تربة ارضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا رواه البخاري وفي رواية مسلم اذا اشتكى الانسان او كانت به قرحة او جرح قال باصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالارض الحديث وقوله تربة ارضنا خبر مبتدا محذوف اي هذه تربة ارضنا وقوله يشفى سقيمنا ضبط بوجهين بضم اوله على البناء للمجهول وسقيمنا بالرفع وبفتح اوله على ان الفاعل مقدر وسقيمنا بالنصب على المفعولية قال

النووي معنى الحديث انه اخذ من ريق نفسه على اصبعه السبابة ثم وضعها على التراب فعلق بها شيء منه ثم مسح به الموضع العليل او الجريح قائلا الكلام المذكور في حالة المسح وقال القرطبي زعم بعض علمائنا ان السر فيه ان تراب الارض لبرودته ويبسه يبرئ الموضع الذي به الالم ويمنع انصباب المواد اليه ليبسه مع منفعته في تجفيف الجراح واندمالها وقال في الريق انه يختص بالتحليل والانضاج وابراء الجرح والورم ولا سيما من الصائم الجائع وتعقبه القرطبي بان ذلك انما يتم اذا وقعت المعالجة على قوانينها من مراعاة مقدار التراب والريق وملازمة ذلك في اوقاته والا فالنفث ووضع السبابة على الارض انما يتعلق بها ما ليس له بال ولا اثر وانما هذا من باب التبرك باسماء الله تعالى وآثار رسوله صلى الله عليه وسلم واما وضع الاصبع بالارض فلعله لخاصية في ذلك او لحكمة اخفاء آثار القدرة بمباشرة الاسباب المعتادة وقال البيضاوي قد شهدت المباحث الطبية على ان للريق مدخلا في النضج وتعديل المزاج وتراب الوطن له تاثير في حفظ المزاج ودفع الضرر فقد ذكروا انه ينبغي للمسافر ان يستصحب تراب ارضه ان عجز عن استصحاب مائها حتى اذا ورد المياه المختلفة جعل شيئا منه في سقائه ليامن من مضرة ذلك ثم ان الرقى والعزائم لها آثار عجيبة تتقاعد العقول عن الوصول الى كنهها وقال التوربشتي كان المراد بالتربة الاشارة الى النطفة كأنه تضرع بلسان الحال انك اخترعت الاصل الاول من التراب ثم ابدعته منه من ماء مهين فهين عليك ان تشفي من كانت هذه نشاته وقال النووي وقيل المراد بارضنا ارض المدينة لبركتها وبعضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لشرف ريقه فيكون ذلك مخصوصا وفيه نظر وفي حديث عائشة عند ابي داود والنسائي ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على ثابت بن قيس بن شماس وهو مريض فقال اكشف الباس رب الناس ثم اخذ ترابا من بطحان فجعله في قدح ثم نفث عليه ثم صبه عليه قال الحافظ ابن حجر هذا الحديث تفرد به الشخص المرني

ذكر طبه عليه السلام من لدغة العقرب عن عبد الله ابن مسعود قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي اذ سجد فلدغته عقرب في اصبعه فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعن الله العقرب ما تدع نبيا ولا غيره ثم دعا باناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة في الماء والملح ويقرأ قل هو الله احد والمعوذتين حتى سكنت رواه ابن ابي شيبة في مسنده وقال ابن عبد البر رقى صلى الله عليه وسلم من العقرب بالمعوذتين وكان يمسح الموضع بماء فيه ملح وهذا طب مركب من الطبيعي والالهي فان سورة الاخلاص قد جمعت الاصول الثلاثة التي هي مجامع التوحيد وفي المعوذتين الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا ولهذا اوصى صلى الله عليه وسلم عقبة بن عامر ان يقرأ بهما عقب كل صلاة رواه الترمذي وفي هذا سر عظيم في استدفاع الشرور من الصلاة الى الصلاة وقال ما تعوذ المتعوذون بمثلهما واما الماء والملح فهو الطب الطبيعي فان في الملح نفعا لكثير من السموم ولا سيما لدغة العقرب وفيه من القوة الجاذبة المحللة ما يجذب السموم ويحللها ولما كان في لسعها قوة نارية تحتاج الى تبريد وجذب استعمل صلى الله عليه وسلم الماء والملح لذلك

ذكر الطب من النملة وهي [illegible] قروح تخرج في الجنب وسميت نملة لان صاحبها يحس في مكانه كأن نملة تدب عليه وتعضه وفي حديث مسلم عن انس انه صلى الله عليه وسلم رخص في الرقية من الحمة والعين والنملة وروى الخلال ان الشفاء بنت عبد الله كانت ترقي في الجاهلية من النملة فلما هاجرت الى النبي

من النحل

صلى الله عليه وسلم وكانت قد بايعته بمكة قالت يا رسول الله إني كنت أرقي في الجاهلية وإني أريد أن أعرضها
عليك فعرضتها فقالت بسم الله قلت حتى تعود من أفواهها ولا تضر أحدا اللهم اكشف البأس
رب الناس قال ترقي بها على عود سبع مرات وتقصد مكانا نظيفا وتدلكه على حجر بخل خمر حاذق
وتطليه على النملة ذكر طبه عليه السلام من البثرة روى النسائي عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه
وسلم قال عندك ذريرة فقلت نعم فدعا بها فوضعها على بثرة بين أصبعين من أصابع رجله ثم قال
اللهم مطفئ الكبير ومكبر الصغير أطفها عني فطفئت ذكر طبه عليه السلام من حرق النار روى
النسائي عن محمد بن حاطب قال تناولت قدرا فأصاب كفي من مائها فاحترق ظهر كفي فانطلقت بي
أمي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أذهب البأس رب الناس وأحسبه قال واشف أنت الشافي
ويتفل ذكر طبه صلى الله عليه وسلم بالحمية وهي قسمان حمية عما جلب المرض وحمية عما يزيده
فيقف على حاله فالأولى حمية الأصحاء والثانية حمية المرضى فإن المريض إذا احتمى وقف مرضه عن
التزايد وأخذت القوى في دفعه والأصل في الحمية قوله تعالى وإن كنتم مرضى أو على سفر إلى قوله فتيمموا
صعيدا طيبا فحمى المريض من استعمال الماء لأنه يضره كما وقعت الإشارة لذلك في أوائل هذا المقصد
وقد ذكر بعض أفاضل الأطباء رأس الطب الحمية والحمية للصحيح عندهم في المضرة بمنزلة التخليط للمريض (دفعها)
والناقه وأنفع ما تكون الحمية للناقه من المرض لأن التخليط يوجب الانتكاس والانتكاس أصعب
من ابتداء المرض والفاكهة تضر بالناقه من المرض لسرعة استحالتها وضعف الطبيعة عن هضمها
لعدم القوة وفي سنن ابن ماجه عن صهيب قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز
وتمر فقال ادن وكل فأخذت تمرا فأكلت فقال أتأكل تمرا وبك رمد فقلت يا رسول الله أمضغ من
الناحية الأخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه الإشارة إلى الحمية وعدم التخليط وأن الرمد
يضر به التمر وعن أم المنذر بنت قيس الأنصارية قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
علي وعلي ناقه من مرض ولنا دوالي معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل منها فطفق النبي صلى
الله عليه وسلم يقول لعلي إنك ناقه حتى كف قالت وصنعت شعيرا وسلقا فجئت به فقال صلى
الله عليه وسلم من هذا أصب فإنه أنفع لك رواه ابن ماجه وإنما منعه صلى الله عليه وسلم من أكله من
الدوالي لأن في الفاكهة نوع ثقل على المعدة ولم يمنعه من السلق والشعير لأنه من أنفع الأغذية للناقه
فإن ماء الشعير التغذية والتلطيف والتليين وتقوية الطبيعة فالحمية من أكبر الأدوية قبل الداء
فتمنع تزايده وانتشاره قال ابن القيم ومما ينبغي أن يعلم أن كثيرا مما يحمى عنه العليل والناقه والصحيح
إذا اشتدت الشهوة إليه ومالت إليه الطبيعة فتناول منه الشيء اليسير الذي لا تعجز الطبيعة عن
هضمه لم يضره تناوله بل ربما انتفع به فإن الطبيعة والمعدة تتلقيانه بالقبول والمحبة فيصلحان ما
يخشى من ضرره وقد يكون أنفع من تناوله ما تكرهه الطبيعة وتدفعه من الدواء ولهذا أقر النبي صلى الله
عليه وسلم صهيبا وهو أرمد على تناول التمرات اليسيرة وعلم أنها لا تضره ومن هذا الحديث يعني حديث
صهيب سر طبي لطيف فإن المريض إذا تناول ما يشتهيه عن جوع صادق وكان فيه ضرر ما كان أنفع
وأقل ضررا مما لا يشتهيه وإن كان نافعا في نفسه فإن صدق شهوته ومحبة الطبيعة له تدفع ضرره
وكذلك بالعكس ذكر حمية المريض من الماء عن قتادة بن النعمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال

قال إذا أحب الله العبد حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء قال الترمذي حديث حسن غريب
وروى الحميدي مرفوعا لو أن الناس أقلوا من شرب الماء لاستقامت أبدانهم وللطبراني في الأوسط
عن أبي سعيد مرفوعا من شرب الماء على الريق انتقصت قوته وفيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف
ذكر أمره صلى الله عليه وسلم بالحمية من الماء المشمس خوف البرص روى الدارقطني عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال لا تغتسلوا بالماء المشمس فإنه يورث البرص وروى الدارقطني هذا المعنى مرفوعا من
حديث عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف وكذا أخرج العقيلي نحوه عن أنس بن مالك ورواه
الشافعي عن عمر فعلى هذا يكره استعمال المشمس شرعا خوف البرص لكنهم اشترطوا شروطا أن يكون في (الماء)
البلاد والأوقات الحارة دون الباردة وفي الأواني المنطبعة على الأصح دون الخزف والخشب ونحوهما
واستثنى النقدان لصفائهما وقال الجويني بالتسوية حكاه ابن الصلاح ولا يكره المشمس في الحياض
والبرك قطعا وأن يكون الاستعمال في البدن لا في الثوب وأن يكون مستعملا حال الحرارة فلو برد زالت
الكراهة فالأصح في الروضة وصحح في الشرح الصغير عدم الزوال واشترط صاحب المهذب كما قاله
الجيلي أن يكون رأس الإناء منسدا لتحبس الحرارة وفي شرح المهذب أنها شرعية يثاب تاركها
وقال في شرح التنبيه إن اعتبرنا القصد فشرعية وإلا فإرشادية وإذا قلنا بالكراهة فكراهة تنزيه
لا تمنع صحة الطهارة وقال الطبري إن خاف الأذى حرم وقال ابن عبد السلام لو لم يجد غيره وجب
استعماله واختار النووي في الروضة عدم الكراهة مطلقا وحكاه الروياني في البحر عن النص ذكر
الحمية من طعام البخلاء عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طعام البخيل داء وطعام
السخي شفاء رواه التنيسي عن مالك في غير الموطأ كما ذكره عبد الحق في الأحكام ذكر الحمية من داء
الكسل رفعه أبو داود في المراسيل عن يونس عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه رآه مضطجعا في الشمس قال
يونس فنهاني وقال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنما تورث الكسل وتثير الداء الدفين
ذكر الحمية من داء البواسير عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجامعن أحدكم وبه
حقن خلاء فإنه يكون منه البواسير رواه أبو أحمد الحاكم ذكر إجابة الشراب من سم أحد جناحي الذباب
بأجنحة الآخر عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا وقع الذباب في إناء أحدكم
فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء وفي رواية أبي داود فإنه يتقي بجناحه الذي
فيه الداء فليغمسه كله وفي رواية الطحاوي فإنه يقدم السم ويؤخر الشفاء وفي قوله كله رفع توهم المجاز
في الاكتفاء بالبعض قال شيخنا لم يقع لي في شيء من الطرق تعيين الجناح الذي فيه الشفاء من غيره
لكن ذكر بعض العلماء أنه تأمله فوجده يتقي بجناحه الأيسر فعرف أن الأيمن هو الذي فيه الشفاء
وأخرج أبو يعلى عن ابن عمر مرفوعا عمر الذباب أربعون ليلة والذباب كله في النار إلا النحل وسنده
لا بأس به قال الجاحظ كونه في النار ليس تعذيبا له بل ليعذب أهل النار به ويتولد من العفونة
ومن عجيب أمره أن رجيعه يقع على الثوب الأسود أبيض وبالعكس وأكثر ما يظهر في أماكن العفونة
ومبدأ خلقه منها ثم من التوالد وهو أكثر الطيور سفادا وربما بقي عامة اليوم على الأنثى ويحكى
أن بعض الخلفاء سأل الشافعي لأي علة خلق الذباب فقال مذلة للملوك وكانت ألحت عليه ذبابة
قال الشافعي فسألني ولم يكن عندي جواب فاستنبطت ذلك من الهيئة الحاصلة فرحمة الله عليه

ورضوانه ذكر امره صلى الله عليه وسلم بالحمية من الوباء النازل في الاناء بالليل بتغطيته
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا الاناء واوكوا السقاء فان في السنة ليلة ينزل فيها
وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء او سقاء ليس عليه وكاء الا نزل فيه من ذلك الوباء رواه مسلم في
صحيحه قيل وذلك في اخر شهور السنة الرومية ذكر حمية الولد من ارضاع الحمقاء روى ابو داود
في المراسيل باسناد صحيح عن زياد السهمي قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسترضع الحمقى
فان اللبن يشبه وعند ابن ابي حبيب يعدي وعند القضاعي باسناد حسن من حديث ابن عباس
مرفوعا الرضاع يغير الطباع وعند ابن حبيب ايضا مرفوعا انه نهى عن استرضاع الفاجرة وعن واماو
عمر بن الخطاب ان اللبن ينزع لمن يسترضع ذكر الحمية من البرد فاشتهر على الالسنة اتقوا البرد فانه قتل
ابا الدرداء لكن قال شيخ الحفاظ ابن حجر لا اعرفه فان كان واردا فيحتاج الى تاويل فان ابا الدرداء
عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم دهرا انتهى واما ما اشتهر ايضا اصل كل داء البردة فقال شيخنا
رواه ابو نعيم والمستغفري معا في الطب النبوي والدارقطني في العلل كلهم من طريق تمام بن نجيح عن
الحسن البصري عن انس رفعه وتمام ضعفه الدارقطني وغيره ووثقه ابن معين وغيره ولابي نعيم ايضا
من حديث ابن المبارك عن السائب بن عبد الله بن علي بن زحر عن ابن عباس مرفوعا مثله وحديث
عمرو بن الحارث عن دراج ابي الهيثم عن ابي سعيد رفعه اصل كل داء من البردة والله قال الدارقطني
عقب حديث انس من علله عباد بن منصور عن الحسن من قوله وهو اشبه بالصواب وجعله الزمخشري
في الفائق من كلام ابن مسعود قال الدارقطني في كتاب التصحيف قال اهل اللغة رواه المحدثون يعني
باسكان الراء والصواب البردة يعني التخمة وهي التخمة لانها تبرد حرارة الشهوة او لانها ثقيلة على المعدة
بطيئة الذهاب من بردا اذا ثبت وسكن وكذا اورد ابو نعيم مضموما لهذه الاحاديث حديث الحارث بن
فضيل عن زياد بن ميناء عن ابي هريرة رفعه استدفئوا من الحر والبرد وكذا اورد المستغفري معا عنده من
حديث اصل كل داء البرد وهما ضعيفان به وذلك شاهدان لما حكي عن العوهري في كون المحدثين يروونه
بالسكون انتهى الفصل الثاني في تعبيره صلى الله عليه وسلم الرؤيا يقال عبرت الرؤيا
بالتخفيف اذا فسرتها وعبرتها بالتشديد للمبالغة في ذلك واما الرؤيا بوزن فعلى وقد تسهل الهمزة فهو ما
يراه الشخص في منامه قال القاضي ابو بكر بن العربي الرؤيا ادراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على
يدي ملك او شيطان اما باسمائها اي حقيقتها واما بكناها اي بعباراتها واما تخليطا وذهب
القاضي ابو بكر بن الطيب الى انها اعتقادات واحتج بان الرائي قد يرى نفسه بهيمة او طائرا مثلا وليس
هذا ادراكا فوجب ان يكون اعتقادا لان الاعتقاد قد يكون على خلاف المعتقد قال ابن العربي والاول
اولى والذي يكون من قبيل ما ذكره ابن الطيب من قبيل التمثيل فالادراك انما يتعلق به لا باصل الذات وقال
المازري كثر كلام الناس في حقيقة الرؤيا وقال فيها غير الاسلاميين اقاويل كثيرة منكرة لانهم حاولوا الوقوف
على حقائق لا تدرك بالعقل ولا يقوم عليها برهان وهم لا يصدقون بالسمع فاضطربت اقاويلهم فمن ينتمي الى
الطب ينسب جميع الرؤيا الى الاخلاط فيقول من غلب عليه البلغم راى انه يسبح في الماء ونحو ذلك لمناسبة الماء
طبيعة البلغم ومن غلبت عليه الصفراء راى النيران والصعود في الجو وهكذا الى اخره وهذا وان جوزه العقل
وجاز ان يجري الله العادة به لكنه لم يقم عليه دليل ولا اطردت به عادة والقطع في موضع التجويز غلط ومن

ينتمي الى الفلسفة يقول ان صور ما يجري في الارض هي في العالم العلوي كالنقوش فما حاذى بعض النقوش
منها انتقش فيها قال وهذا اشد فسادا من الاول لكونه تحكما لا برهان عليه والانتقاش من صفات
الاجسام واكثر ما يجري في العالم العلوي الاعراض والاعراض لا ينتقش فيها قال والصحيح ما عليه اهل السنة
ان الله تعالى يخلق في النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان فاذا خلقها فكانه جعلها علما على امور
اخرى يخلقها في ثاني الحال ومهما وقع منها على خلاف المعتقد فهو كما يقع لليقظان ونظيره ان الله تعالى
خلق الغيم علامة على المطر وقد يتخلف وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما يسر وتارة
بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضر والعلم عند الله تعالى واخرج الحاكم والعقيلي من رواية محمد بن عجلان
عن سالم بن عبد الله عن عمر عن ابيه قال لقي عمر عليا فقال يا ابا الحسن الرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق
ومنها ما يكذب قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد ولا امة ينام فيمتلئ نوما الا
تخرج روحه الى العرش فالذي لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش
فتلك الرؤيا التي تكذب قال الذهبي في تلخيصه هذا حديث منكر ولم يصححه المؤلف وذكر ابن القيم حديثا
مرفوعا غير معزو ان رؤيا المؤمن كلام يكلم به ربه في المنام ووجد الحديث للترمذي في نوادر الاصول من
حديث عبادة بن الصامت اخرجه في الاصل الثامن والسبعين وهو من رواية عن شيخه عمر بن ابي عمر وهو
واه وفي سنده جنيد بن ميمون عن حمزة بن الزبير عن عبادة قال الحكيم قال بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما
كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب قال من وراء حجاب اي في المنام ورؤيا الانبياء وحي
بخلاف غيرهم فالوحي لا يدخله خلل لانه محروس بخلاف رؤيا غير الانبياء فانها قد يحضرها الشيطان وقال
الحكيم ايضا وكل الله بالرؤيا ملكا اطلع على احوال بني ادم من اللوح المحفوظ فينسخ منها ويضرب لكل على قصته
الالهيه مثلا فاذا نام مثلت له تلك الاشياء على طريق الحكمة لتكون له بشرى او نذارة او معاتبة والادمي قد تسلط عليه
الشيطان لشدة العداوة بينهما فهو يكيده بكل وجه ويريد افساد اموره بكل طريق فيلبس عليه رؤياه
اما بتغليطه فيها او بغفلته عنها وفي البخاري من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة والمراد غالب رؤيا الصالحين والا
فالصالح قد يرى الاضغاث ولكنه نادر لقلة تمكن الشيطان منهم بخلاف عكسهم فان الصدق فيها نادر
لغلبة تسلط الشيطان عليهم وقد استشكل كون الرؤيا جزءا من النبوة مع ان النبوة قد انقطعت بموته صلى
الله عليه وسلم واجيب بان الرؤيا ان وقعت منه صلى الله عليه وسلم فهي جزء من اجزاء النبوة حقيقة
وان وقعت من غير النبي فهي جزء من اجزاء النبوة على سبيل المجاز وقيل المعنى انها جزء من علم النبوة لان النبوة وان
انقطعت فعلمها باق وتعقب بقول مالك كما حكاه ابن عبد البر انه سئل ايعبر الرؤيا كل احد فقال
ابالنبوة يلعب ثم قال الرؤيا جزء من النبوة واجيب بانه لم يرد انها نبوة باقية وانما اراد انها لما اشبهت
النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب لا ينبغي ان يتكلم فيها بغير علم فليس المراد ان الرؤيا الصالحة نبوة لان
المراد تشبيه الرؤيا بالنبوة وجزء الشيء لا يستلزم ثبوت وصفه فمن قال اشهد ان لا اله الا الله رافعا صوته
لا يسمى مؤذنا وفي حديث ام كرز الكعبية عند احمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان ذهبت النبوة وبقيت
المبشرات وعند احمد من حديث عائشة مرفوعا لم يبق بعدي من المبشرات الا الرؤيا وفي حديث ابن عباس
عند مسلم وابي داود انه عليه السلام كشف الستارة وراسه معصوب في مرضه الذي مات فيه والناس

صفوف خلف ابي بكر فقال يا ايها الناس انه لم يبق من مبشرات النبوة الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم او
ترى له والتعبير بالمبشرات خرج مخرج الغالب فان من الرؤيا ما تكون منذرة وهي صادقة يريها الله
للمؤمن رفقا به ليستعد لما يقع قبل وقوعه وقوله من الرجل لا مفهوم له فان المرأة الصالحة كذلك الصالح ع
وحكى ابن بطال الاتفاق عليه وقوله جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة كذا في اكثر الاحاديث
وروى مسلم من حديث ابي هريرة جزء من خمسة واربعين جزءا وعنده ايضا من حديث ابن عمر جزء من
سبعين جزءا وعند الطبراني جزء من ستة وسبعين وسنده ضعيف وعند ابن عبد البر من طريق عبد
العزيز بن المختار عن ثابت عن انس مرفوعا جزء من ستة وعشرين جزءا ووقع في شرح مسلم للنووي وفي
رواية عبادة اربعة وعشرين والذي تحصل من الروايات عشرة اقلها ما عند النووي واكثرها من ستة
وسبعين واضربنا عن باقيها خوف الاطالة قال القاضي ابو بكر بن العربي اجزاء النبوة لا يعلم حقيقتها
الا ملك او نبي وانما القدر الذي اراده النبي صلى الله عليه وسلم ان الرؤيا جزء من اجزاء النبوة في الجملة لان
فيها اطلاعا على الغيب من وجه ما واما تفصيل النسبة فيختص بمعرفته درجة النبوة وقال المازري لا
يلزم العالم ان يعرف كل شيء جملة وتفصيلا فقد جعل الله للعالم حدا يقف عنده فمنه ما يعلم المراد به جملة
وتفصيلا ومنه ما يعلمه جملة لا تفصيلا وهذا من هذا القبيل وقد تكلم بعضهم على الرواية المشهورة وابدى
لها مناسبة فنقل ابن بطال عن ابي سعيد السفاقسي ان بعض اهل العلم ذكر ان الله اوحى الى نبيه في المنام
ستة اشهر ثم اوحى اليه بعد ذلك في اليقظة بقية مدة حياته ونسبتها الى الوحي في المنام جزء من ستة واربعين
جزءا لانه عاش بعد النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح قال ابن بطال هذا التاويل يبعد من وجهين بعد
احدهما انه قد اختلف في قدر المدة التي بعد بعثته صلى الله عليه وسلم والثاني انه يبقى حديث السبعين
جزءا بغير معنى وهذا الذي قاله من الانكار في هذه المسألة سبقه اليه الخطابي فقال كان بعض اهل العلم يقول
في تاويل هذا العدد قولا لا يكاد يتحقق وذلك انه عليه السلام اقام بعد الوحي ثلاثا وعشرين سنة وكان
يوحى اليه في منامه ستة اشهر وهي نصف سنة فهي جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة قال الخطابي
وهذا وان كان وجها تحتمله قسمة الحساب والعدد فاول ما يجب على من قاله ان يثبت ما ادعاه خبرا
ولم يسمع فيه اثرا ولا ذكر مدعيه في ذلك خبرا فكانه قاله على سبيل الظن والظن لا يغني من الحق شيئا
وليس كل ما خفي علينا علمه يلزمنا حجته كاعداد الركعات وايام الصيام ورمي الجمار فانا لا نصل من علمها
الى امر يوجب حصرها تحت اعدادها ولم يقدح ذلك في موجب اعتقادنا للزومها وقد ذكروا في المناسبات
غير ذلك مما يطول ذكره وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اصدق الرؤيا بالاسحار رواه الترمذي
والدارمي وروى مسلم من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد
رؤيا المسلم تكذب واصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا قال الخطابي في المعالم في قوله اذا اقترب الزمان قولان
احدهما ان يكون معناه تقارب زمان الليل وزمان النهار وهو وقت استوائهما ايام الربيع وذلك
وقت اعتدال الطبائع الاربع غالبا قال والمعبرون يقولون اصدق الرؤيا ما كان وقت اعتدال الليل
والنهار وادراك الثمار والثاني ان اقتراب الزمان انتهاء مدته اذا دنا قيام الساعة وتعقب الاول
بانه يبعد التقييد بالمسلم فان الوقت الذي تعتدل فيه الطبائع لا يختص به وجزم ابن بطال بان الثاني
هو الصواب واستند الى ما اخرجه الترمذي من طريق معمر عن ايوب في هذا الحديث بلفظ في آخر الزمان لا تكذب

رؤيا

رؤيا المؤمن وقيل المراد بالزمان المذكور زمان المهدي عند تسلط العدل وكثرة الامن وبسط الخير
والرزق فان ذلك الزمان يستقصر لاستلذاذه فتتقارب اطرافه وقال القرطبي في المفهم المراد والله اعلم
باخر الزمان المذكور في هذا الحديث زمان الطائفة الباقية مع عيسى بن مريم عليهما السلام بعد قتله
الدجال فاهل هذا الزمان احسن هذه الامة حالا بعد الصدر الاول واصدقهم اقوالا فكانت رؤياهم
لا تكذب ومن ثم قال عقب هذا واصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا وانما كان كذلك لان من كثر
صدقه تنور قلبه وقوي ادراكه وانتقشت فيه المعاني على وجه الصحة وكذلك من كان غالب احواله الصدق
في يقظته استصحب ذلك في نومه فلا يرى الا صدقا وهذا بخلاف الكاذب والمخلط فانه يفسد قلبه ويظلم
فلا يرى الا تخليطا واضغاثا وقد يندر المنام احيانا فيرى الصادق ما لا يصح ويرى الكاذب ما يصح ولكن
الاغلب الاكثر ما تقدم انتهى ملخصا وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا راى احدكم الرؤيا يحبها فانما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا راى غير ذلك مما يكره فانما
هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره رواه البخاري وفي رواية مسلم
ورؤيا السوء من الشيطان فمن راى رؤيا فكره منها شيئا فلينفث عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان
ولا يخبر بها احدا فان راى رؤيا حسنة فليبشر ولا يخبر بها الا من يحب وقوله فليبشر بفتح الفوقانية وسكون
الموحدة وضم المعجمة من البشرى وفي حديث ابي رزين عند الترمذي ولا يقصها الا على واد بتشديد الدال
اسم فاعل من الود او ذي راي وفي اخرى ولا تحدث بها الا لبيبا او حبيبا وفي اخرى لا تقص الرؤيا الا
على عالم او ناصح وفي حديث ابي سعيد عند مسلم فليحمد الله عليها وليحدث بها وحاصل ما ذكر من ادب
الرؤيا الصالحة ثلاثة اشياء ان يحمد الله عليها وان يستبشر بها وان يتحدث بها لكن لمن يحب دون من يكره
وحاصل ما ذكر من ادب الرؤيا المكروهة اربعة اشياء ان يتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان ويتفل حين
يهب من نومه ولا يذكرها لاحد اصلا وفي البخاري من حديث ابي هريرة خامسة وهي الصلاة ولفظه فمن راى
شيئا يكرهه فلا يقصه على احد اصلا وليقم فليصل لكن لم يصرح البخاري بوصله وصرح به مسلم وزاد مسلم
سادسة وهي التحول من جنبه الذي كان عليه فقال عن جابر رفعه اذا راى احدكم الرؤيا يكرهها فليبصق
على يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه قال النووي وينبغي يت
ان يجمع هذه الروايات كلها ويعمل بجميع ما تضمنته فان اقتصر على بعضها اجزاه في دفع ضررها كما صرحت به الاحاديث
وتعقبه الحافظ ابن حجر بانه لم ير في شيء من الاحاديث الاقتصار على واحدة قال لكن اشار المهلب الى ان الاستعاذة
كافية في دفع شرها انتهى ولا ريب ان الصلاة تجمع ذلك كله كما قاله القرطبي لانه اذا قام فصلى تحول عن جنبه
وبصق ونفث عند المضمضة في الوضوء واستعاذ قبل القراءة ثم دعا الله في اقرب الاحوال اليه فيكفيه الله شرها
وذكر بعضهم سابعة وهي قراءة اية الكرسي ولم يذكر لذلك مستندا فان اخذه من عموم قوله في حديث ابي
هريرة ولا يقربك شيطان فيتجه قال وينبغي ان يقراها في صلاته المذكورة وحكمة التفل كما قال القاضي
عياض طرد للشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة تحقيرا له واستقذارا وخصت به اليسار
لانها محل الاقذار ونحوها والتثليث للتاكيد وقد ورد التفل والنفث والبصق قال النووي في الكلام على
النفث في الرقية تبعا للقاضي عياض اختلف في التفل والنفث فقيل هما بمعنى واحد ولا يكونان الا بريق
وقال ابو عبيد يشترط في التفل ريق يسير ولا يكون في النفث وقيل عكسه وسئلت عائشة عن النفث في الرقية

فقالت كما ينبت اكل الزبيب لا ربو معه قال ولا اعتبار بما يجرح معه من بلّة بغير قصد قال وقد جاء في حديث
ابي سعيد في الرقية بفاتحة الكتاب فجعل يجمع بزاقه قال القاضي عياض وفائدة التفل التبرك بتلك الرطوبة
والهوا والنفث للمباشر للرقية المقارن للذكر الحسن كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر والاسماء
وقال النووي ايضًا واكثر الروايات في الرؤيا فليبصق وهو النفخ اللطيف بلا ريق فيكون التفل والبصق
محمولين عليه مجازا وتعقبه الحافظ ابن حجر بان المطلوب في الموضعين مختلف لان المطلوب في الرقية
التبرك برطوبة الذكر كما تقدم والمطلوب هنا طرد الشيطان واظهار احتقاره واستقذاره كما نقله هو
عن عياض كما تقدم فالذي يجمع الثلاثة الحمل على التفل فانه نفخ معه ريق لطيف فبالنظر الى النفخ قيل له نفث
وبالنظر الى الريق قيل له بصق واما قوله فانها لا تضره فمعناه كما قاله النووي ان الله تعالى جعل ما ذكر
سببًا للسلامة من المكروه المترتب على الرؤيا كما جعل الصدقة وقاية للمال واما التحول فللتفاؤل بتحول
تلك الحال التي كان عليها والحكمة في قوله في الرؤيا الحسنة ولا يخبر بها الا من يحب لانه اذا حدث بها من لا يحب
قد يفسرها له بما لا يحب اما بغضًا واما حسدًا فقد تقع على تلك الصفة او يتعجل لنفسه من ذلك حزنا
ونكدا فامر بترك تحديث من لا يحب بسبب ذلك وقد روي من حديث انس مرفوعًا الرؤيا لاول عابر
وهو حديث ضعيف فيه يزيد الرقاشي ولكن له شاهد اخرجه ابو داود والترمذي وابن ماجه بسند حسن
وصححه الحاكم عن ابي رزين العقيلي رفعه الرؤيا على رجل طاير ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت وعند الدارمي بسند
حسن عن سليمن بن يسار عن عايشة قالت كانت امراة من اهل المدينة لها زوج تاجر يختلف في التجارة
فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي غايب وتركني حاملا فرايت في المنام ان سارية
بيتي انكسرت واني ولدت غلاما اعور فقال خير يرجع زوجك ان شا الله صالحا وتلدين غلاما برا
فذكرت ذلك ثلثا فجاءت ورسول الله صلى الله عليه وسلم غايب فسالتها فاخبرتني بالمنام فقلت لها لين
صدقت رؤياك ليموتن زوجك وتلدين غلاما فاجرا فقعدت تبكي فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال مه يا عايشة اذا عبرتم للمسلم الرؤيا فاعبروها على خير فان الرؤيا تكون على ما يعبرها صاحبها
وعند سعيد بن منصور من مرسل عطا بن ابي رباح قال جاءت امراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
اني رايت كان جايزة بيتي انكسرت وكان زوجها غايبا فقال رد الله زوجك عليك فرجع سالما الحديث
قال ابو عبيد وغيره معنى قوله الرؤيا لاول عابر اذا كان العابر الاول عالما فعبر واصاب وجه التعبير والا
فهي لمن اصاب بعده اذ ليس المدار الا على اصابة الصواب في تعبير المنام ليتوصل بذلك الى مراد الله فيما
ضربه من المثل فاذا اصاب فلا ينبغي ان يسال غيره وان لم يصب فليسال الثاني وعليه ان يخبر بما عنده ويبين
ما جهل الاول هكذا قال وفيه بحث يطول ذكره ومن اداب المعبر ما اخرجه عبد الرزاق عن معمر انه كتب
الى ابي موسى فاذا راى احدكم رؤيا فقصها على اخيه فليقل خيرا لنا وشرا لاعدائنا ورجاله ثقات ولكن سنده منقطع
وفي حديث ابن زمل عند الطبراني والبيهقي في الدلايل لما قص على النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا فقال عليه السلام
خير تلقاه وشر توقاه وخير لنا وشر على اعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك الحديث وسنده
ضعيف جدا وياتي ان شا الله تعالى ومن اداب العابر ان لا يعبرها عند طلوع الشمس ولا عند غروبها ولا عند
الزوال ولا في الليل وان لا يقصها على امراة لكن ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الغداة يقول هل راى
احد الليلة رؤيا فيقص عليه ما شا الله ان يقص ويعبر لهم ما يقصونه وبوب عليه البخاري باب تعبير الرؤيا

بعد صلاة الصبح قالوا وفيه اشارة الى ضعف ما اخرجه عبد الرزاق عن معمر عن سعيد بن عبد الرحمن عن بعض
علمايهم قال لا تقصص رؤياك على امراة ولا تخبرها حتى تطلع الشمس وفيه اشارة الى الرد على من قال من اهل التعبير
ان المستحب ان يكون التعبير من بعد طلوع الشمس الى الرابعة ومن العصر الى قبل المغرب فان الحديث دال على
استحباب تعبيرها قبل طلوع الشمس ولا يخالف قولهم بكراهة تعبيرها في اوقات كراهة الصلاة قال المهلب
تعبير الرؤيا عند صلاة الصبح اولى من غيره من الاوقات لحفظ صاحبها لها لقرب عهده بها وقل ما يعرض له
نسيانها ولحضور ذهن العابر وقلة شغله بالفكرة فيما يتعلق بمعاشه وليعرف الرائي ما يعرض له بسبب رؤياه
فيستبشر بالخير ويحذر من الشر ويتاهب لذلك فربما كان في الرؤيا تحذير من معصية فيكف عنها وربما
كانت انذارا لامر فيكون له مترقبا قال هذه عدة فوايد لتعبير الرؤيا اول النهار قاله في فتح الباري وذكر
بعض اهل التعبير ان من اداب الرائي ان يكون صادق اللهجة وان ينام على وضوء على جنبه الايمن وان يقرا عند نومه
اية الكرسي والشمس والليل والتين وسورتي الاخلاص والمعوذتين ويقول اللهم اني اعوذ بك من سيي الاحلام
واستجير بك من تلاعب الشيطان في اليقظة والمنام اللهم اني اسالك رؤيا صالحة صادقة نافعة حافظة غير
منسية اللهم ارني في منامي ما احب وان لا يقصها على عدو ولا جاهل اذا علمت هذا فاعلم ان جميع المرايي
تنحصر في قسمين اضغاث احلام وهي لا تندرج تحت انواع الاول تلاعب الشيطان ليحزن الرائي كان
يرى انه قطع راسه وهو يتبعه او راى انه واقع في هول ولا يجد من ينجده ونحو ذلك وروى مسلم عن جابر جاء
اعرابي فقال يا رسول الله اني حلمت ان راسي قطع فانا اتبعه فزجره صلى الله عليه وسلم وقال لا تخبر بتلعب
الشيطان بك في المنام الثاني ان يرى ان بعض الملايكة امره ان يفعل المحرمات مثلا ونحوه من المحال عقلا
الثالث ما تحدث به نفسه في اليقظة او يتمناه فيراه كما هو في المنام وكذا رؤية ما جرت عادته في اليقظة
او ما يغلب على مزاجه ويقع على المستقبل غالبا وعن الحال كثيرا وعلى الماضي قليلا القسم الثاني الصادقة
وهي رؤيا الانبيا ومن تبعهم من الصالحين وقد تقع لغيرهم وهي التي تقع في اليقظة على وفق ما وقعت في النوم
وقد وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من الرؤيا الصادقة التي كفلق الصبح ما لا يعد ولا يحد قالت عايشة
رضي الله عنها اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا
يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح الحديث رواه البخاري وفي رواية الرؤيا الصالحة وهما بمعنى واحد بالنسبة
الى امور الاخرة في حق الانبيا واما بالنسبة الى امور الدنيا فالصالحة في الاصل اخص فرؤيا النبي صلى الله
عليه وسلم كلها صادقة وقد تكون صالحة وهو الاكثر وغير صالحة بالنسبة للدنيا كما وقع في الرؤيا يوم احد
فانه صلى الله عليه وسلم راى بقرا تنحر وراى في سيفه ثلما فاول البقر بما اصابه يوم احد والثلم الذي في
السيف برجل من اهل بيته يقتل ثم كانت العاقبة للمتقين وكان بعد ذلك النصر والفتح على الخلق اجمعين واما رؤيا
غير الانبيا فبينهما عموم وخصوص ان فسرنا الصادقة بانها التي لا تحتاج الى التعبير واما ان فسرناها بانها
غير الاضغاث فالصالحة اخص مطلقا وقال الامام نصر بن يعقوب الدينوري في التعبير القادري
الرؤيا الصادقة ما يقع بعينه او ما يعبر في المنام او يخبر به من لا يكذب والصالحة ما يسر واعلم ان الناس
في الرؤيا على ثلاث درجات الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم ورؤياهم كلها صدق وقد يقع فيها ما
يحتاج الى التعبير والصالحون والاغلب على رؤياهم الصدق وقد يقع فيها ما لا يحتاج الى التعبير ومن عداهم يقع
في رؤياهم الصدق والاضغاث وهم على ثلاثة اقسام مستورون فالغالب استوا الحال في حقهم وفسقة

والغالب على رؤياهم الأضغاث ويقل فيها الصدق وكفار ويندر في رؤياهم الصدق جداً ويشير إلى
ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وقد
وقعت الرؤيا الصادقة من بعض الكفار كما في رؤيا صاحبي السجن مع يوسف عليه السلام ورؤيا
ملكهما وغير ذلك وقد روى الإمام أحمد مرفوعاً وصححه ابن حبان من حديث أبي سعيد أصدق
الرؤيا بالأسحار وذكر الإمام نصر بن يعقوب الدينوري أن الرؤيا أول الليل يبطئ تأويلها ومن
النصف الثاني يسرع بتفاوت أجزاء الليل وأن أسرعها تأويلاً رؤيا السحر عند طلوع الفجر وعن
جعفر الصادق أسرعها تأويلاً رؤيا القيلولة وعن محمد بن سيرين رؤيا النهار مثل الليل والنساء
كالرجال وعن القيرواني أن المرأة إذا رأت ما ليست له أهلاً فهو لزوجها وكذا حكم العبد لسيده
كما أن رؤيا الطفل لأبويه ومن مراتبه الكريمة عليه السلام شربه اللبن وتعبيره بالعلم كما في حديث
ابن عمر عند البخاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا أنا نائم أتيت بقدح
لبن فشربت منه حتى إني لأرى الري يخرج في أظفاري ثم أعطيت فضلي يعني عمر قالوا فما أولته يا رسول
الله قال العلم وفي رواية الكشميهني من أظافري وفي رواية صالح بن كيسان من أطراف وهذه
الرواية تحتمل أن تكون بصرية وهو الظاهر وتحتمل أن تكون علمية ويؤيد الأول ما أخرجه الحاكم
والطبراني من طريق أبي بكر بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جده في هذا الحديث فشربت حتى رأيته يجري
في عروقي بين الجلد واللحم على أنه يحتمل أيضاً قال بعض العارفين الذي خص اللبن من بين فرث ودم
قادر على أن يخلق المعرفة من بين شك وجهل وهو كما قال لكن اطردت العادة بأن العلم بالتعلم والذي
ذكره قد يكون خارقاً للعادة فيكون من باب الكرامة وقال العارف ابن أبي جمرة تأول النبي صلى الله
عليه وسلم اللبن بالعلم اعتباراً بما بين له أول الأمر حين أتي بقدح خمر وقدح لبن فقال له جبريل
أخذت الفطرة الحديث وقد جاء في بعض الأحاديث المرفوعة تأويله بالفطرة كما أخرجه البزار من حديث أبي
هريرة رفعه اللبن في المنام فطرة وذكر الدينوري أن اللبن المذكور في هذا يختص بلبن الإبل وأنه
لشاربه مال حلال وعلم قال ولبن البقر خصب السنة ومال حلال وفطرة أيضاً ولبن الشاة مال وسرور
وصحة جسم وألبان الوحش شك في الدين وألبان السباع غير محمودة إلا أن لبن اللبوة مال مع عداوة
لذي أمر وفي الحديث أن علم النبي صلى الله عليه وسلم بالله لا يبلغ أحد درجته فيه لأنه شرب حتى رأى
الري يخرج من أطرافه وأما إعطاؤه فضله عمر ففيه إشارة إلى ما حصل لعمر من العلم بالله بحيث كان لا يأخذه
في الله لومة لائم ووجه التعبير في الحديث بذلك من جهة اشتراك اللبن والعلم في كثرة النفع وكونهما سبباً
للصلاح فاللبن للغذاء البدني والعلم للغذاء المعنوي ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم القميص وتعبيره
بالدين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم رأيت الناس
يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك ومر علي عمر بن الخطاب وعليه
قميص يجره قالوا فما أولته يا رسول الله قال الدين رواه البخاري وفي رواية الترمذي الحكيم من طريق أخرى في هذا
الحديث فقال أبو بكر على ما تأولت هذا الحديث يا رسول الله والثدي بضم المثلثة وكسر الدال وتشديد الياء
جمع ثدي بفتح ثم سكون والمعنى أن القميص قصير جداً بحيث لا يصل من الحلق إلى نحو السرة بل فوقها وقوله
ومنها ما يبلغ دون ذلك يحتمل أن يريد به من جهة السفل وهو الظاهر فيكون أطول ويحتمل أن يكون دونه

من جهة

من جهة العلو فيكون أقصر ويؤيد الأول ما في رواية الترمذي الحكيم المذكورة فمنهم من كان قميصه إلى سرته
ومنهم من كان قميصه إلى أنصاف ساقيه ويجوز النصب في قوله الدين والتقدير أولت ويجوز الرفع
وفي رواية الحكيم المذكورة على الإيمان وقد قيل في وجه تعبير القميص بالدين أن القميص يستر العورة في
الدنيا والدين يسترها في الآخرة ويحجبها عن كل مكروه والأصل فيه قوله تعالى ولباس التقوى ذلك
خير واتفق أهل التعبير على أن القميص يعبر بالدين وأن طوله يدل على بقاء آثار صاحبه من بعده وقال
ابن العربي إنما أول النبي صلى الله عليه وسلم القميص بالدين لأن الدين يستر عورة الجهل كما يستر القميص
عورة البدن قال وأما غير عمر فالذي كان يبلغ الثدي هو الذي يستر قلبه عن الكفر ولو كان يتعاطى
المعاصي والذي كان يبلغ أسفل من ذلك وفرجه باد هو الذي لم يستر رجله عن المشي إلى المعصية والذي يستر
رجله هو الذي احتجب بالتقوى من جميع الوجوه والذي يجر قميصه زاد على ذلك بالعمل الصالح الخالص وأشار
العارف ابن أبي جمرة إلى أن المراد بالناس في هذا الحديث المؤمنون لتأويله القميص بالدين قال والذي
يظهر أن المراد خصوص هذه الأمة المحمدية بل بعضها والمراد بالدين العمل بمقتضاه كالحرص على امتثال الأوامر
واجتناب المناهي وكان لعمر في ذلك المقام العالي قال ويؤخذ من الحديث أن كل ما يرى في
القميص من حسن أو غيره فإنه يعبر بدين لابسه قال والنكتة في القميص أن لابسه إذا اختار نزعه
وإذا اختار إبقاءه فلما ألبس الله المؤمنين لباس الإيمان واتصفوا به كان الكامل في ذلك سابغ الثوب
ومن لا فلا وقد يكون نقص الثوب بسبب نقص الإيمان وقد يكون بسبب نقص العمل وفي الحديث أن أهل
الدين يتفاضلون في الدين بالقلة والكثرة وبالقوة والضعف وهذا من أمثلة ما يحمد في المنام ويذم
في اليقظة شرعاً أعني جر القميص لما ورد من الوعيد في تطويله ومن ذلك رؤيته عليه السلام السوارين
الذهب في يديه الشريفة وتعبيرهما بالكذابين روى البخاري عن عبيد الله بن عبد الله قال سألت عبد الله
ابن عباس عن رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم التي ذكر فقال ابن عباس ذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بينا أنا نائم رأيت أنه وضع في يدي سواران من ذهب ففظعتهما وكرهتهما فأذن لي فنفختهما
فطارا فأولتهما كذابين يخرجان فقال عبيد الله أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن والآخر مسيلمة
وفي رواية أبي هريرة عند الشيخين بينا أنا نائم إذ أتيت خزائن الأرض فوضع في يدي سواران من ذهب
فكبرا علي وأهماني فأوحي إلي أن انفخهما فنفختهما فذهبا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء
وصاحب اليمامة قال المهلب هذه الرؤيا ليست على وجهها وإنما هي من ضرب المثل وإنما أول النبي صلى
الله عليه وسلم السوارين بالكذابين لأن الكذب وضع الشيء في غير موضعه فلما رأى في ذراعيه سوارين
من ذهب وليسا من لبسه لأنهما من حلية النساء عرف أنه سيظهر من يدعي ما ليس له وأيضاً في كونهما
من ذهب والذهب منهي عن لبسه دليل على الكذب وأيضاً فالذهب مشتق من الذهاب فعلم أنه شيء
يذهب عنه وتأكد ذلك بالإذن له في نفخهما فطارا فعرف أنه لا يثبت لهما أمر وأن كلامه بالوحي الذي
جاء به يزيلهما عن موضعهما وقال ابن العربي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوقع بطلان أمر مسيلمة والعنسي
فأول الرؤيا عليهما ليكون ذلك إخراجاً للمنام عليهما فإن الرؤيا إذا عبرت خرجت ويحتمل أن يكون بوحي
والمراد بخزائن الأرض التي ذكرها ما فتح على أمته من الغنائم ومن ذخائر كسرى وقيصر وغيرهما ويحتمل معادن
الأرض التي فيها الذهب والفضة وقال القرطبي إنما كبر عليه السواران لكون الذهب من حلية النساء

وانما احرم على الرجال وفي طيرانهما اشارة الى اضمحلال امرهما ومناسبة هذا التاويل لهذه الرؤيا ان اهل
صنعا واهل اليمامة كانوا اسلموا فكانوا كالمساعدين للاسلام فلما ظهر فيهما الكذابان وبهرجا
على اهلهما بزخرف اقوالهما ودعاويهما الباطلة انخدع اكثرهم بذلك فكان اليدين بمنزلة البلدين
والسوارين بمنزلة الكذابين وكونهما من ذهب اشارة الى ما زخرفا والزخرف من اسماء الذهب
وقال اهل التعبير من راى انه يطير فان كان الى جهة السما بغير تعريج ناله ضرر فان غاب في السما ولم يرجع
مات وان رجع افاق من مرضه وان كان يطير عرضا سافر ونال رفعة بقدر طيرانه ومن ذلك
رؤيته عليه السلام المراة السودا الثائرة الراس وتعبيرها بنقل الوبا من المدينة الى الجحفة روى البخاري من
حديث عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت امراة سودا ثائرة الراس خرجت من المدينة
حتى قامت بمهيعة وهي الجحفة فاولت ان وبا المدينة نقل اليها وهذا من قسم الرؤيا المعبرة وهي مما ضرب
به المثل ووجه التمثيل انه شق من اسم السودا السو والدا فتاول خروجها بما جمع اسمها وتاول
من ثوران شعر راسها ان الذي يسو ويثير الشر يخرج من المدينة وقال القيرواني من اهل التعبير كل
شي غلبت عليه السودا في اكثر وجوهها فهو مكروه وقال غيره ثوران الراس يؤول بالحمى لانها تثير
البدن بالاقشعرار وبارتفاع الراس لا سيما من السودا فانها اكثر استيحاشا ومن ذلك رؤيته عليه
السلام انه في درع حصينة والبقر تنحر وتعبير ذلك عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت
في المنام اني اهاجر من مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلي الى انها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب
ورايت فيها بقرا والله خير فاذا هم النفر من المؤمنين يوم احد واذا الخير ما جا الله به من الخير بعد وثواب
الصدق الذي اتانا الله بعد يوم بدر رواه البخاري ومسلم وروى الامام احمد وغيره عن جابر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال رايت كاني في درع حصينة ورايت بقرا تنحر فاولت الدرع الحصينة المدينة والبقر بقر
وهذه اللفظة الاخيرة وهي بقر بفتح الموحدة وسكون القاف مصدر بقره يبقره بقرا ولهذا الحديث سبب جا
بيانه في حديث ابن عباس عند احمد ايضا والنسائي والطبراني وصححه الحاكم من حديث ابي الزناد عن عبيد الله
ابن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس في قصة احد واشارة النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ان لا يبرحوا من المدينة
وايثارهم للخروج لطلب الشهادة ولبسه اللامة وندامتهم على ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي
لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل وفيه اني رايت اني في درع حصينة الحديث نحو حديث جابر واتم
منه وقد تقدمت الاشارة اليه في غزوة احد من المقصد الاول والمراد بقوله واذا الخير ما جا الله به من
الخير وثواب الصدق الذي اتانا الله بعد يوم بدر فتح خيبر ثم مكة اي ما جا الله به بعد بدر الثانية من تثبيت
قلوب المؤمنين قاله في فتح الباري وهذا السياق اشعار بان قوله في الخبر والله خير من جملة الرؤيا
قال والذي يظهر لي ان لفظة والله خير لم يتحرر ايراده وان رواية ابن اسحق هي المحررة وانه راى بقرا وراى
خيرا فاول البقر على من قتل من الصحابة يوم احد واول الخير على ما حصل لهم من ثواب الصدق في القتال
والصبر على الجهاد يوم بدر وما بعده الى فتح مكة والمراد بالبعدية على هذا لا يختص بما بين بدر واحد نبه عليه ابن
بطال ومن ذلك رؤيته عليه السلام انه اتي برطب روى مسلم عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول رايت الليلة فيما يرى النائم كانا في دار عقبة بن رافع واتينا برطب من رطب ابن طاب فاولته
ان الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الاخرة وان ديننا قد طاب ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم سيفا

هزه وتعبيره في حديث ابي موسى المتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال رايت في رؤياي هذه اني هززت سيفا
فانقطع صدره فاذا هو ما اصيب به المؤمنون يوم احد ثم هززته اخرى فعاد احسن ما كان فاذا هو
ما جا الله به من الفتح واجتماع المؤمنين رواه الشيخان وهذه ايضا من ضرب المثل ولما كان صلى الله عليه
وسلم يصول بالصحابة عبر عن السيف بهم وبهزه عن امره لهم بالحرب وعن القطع فيه بالقتل فيهم وفي الهزة
الاخرى لما عاد الى حالته من الاستوا عبر به عن اجتماعهم والفتح عليهم وقال اهل التعبير السيف يتصرف على
اوجه منها انه من نال سيفا ينال سلطانا اما ولاية واما وديعة واما زوجة واما ولدا فان سله من
غمده فانثلم سلمت زوجته واصيب ولده فان انكسر الغمد وسلم السيف فبالعكس وان سلما او عطبا فكذلك
وقائم السيف يتعلق بالاب والعصبات ونعله بالام وذوي الرحم وان جرد السيف واراد قتل شخص فهو لسانه
يجرده في خصومة وربما عبر السيف بسلطان جائر وقال بعض اهل التعبير ايضا من راى انه غمد سيفا
فانه يتزوج او ضرب شخصا بسيف فانه يبسط لسانه فيه ومن راى انه يقاتل اخر وسيفه اطول من سيفه
فانه يغلبه ومن راى سيفا عظيما فهو فتنة ومن قلد سيفا قلد امرا فان كان قصيرا لم يدم امره ومن ذلك
رؤيته عليه السلام انه على قليب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم رايتني على
قليب وعليها دلو فنزعت منها ما شا الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع منها ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه
ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا فاخذها عمر بن الخطاب فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع ابن الخطاب
حتى ضرب الناس بعطن وعبقري القوم سيدهم وكبيرهم وقويهم وفي رواية فلم يزل ينزع حتى تولى الناس والحوض
يتفجر وفي رواية فاتاني ابو بكر فاخذ الدلو من يدي ليريحني وفي رواية موسى بن عقبة عن سالم عن ابيه رايت الناس اجتمعوا
فقام ابو بكر فنزع ذنوبا او ذنوبين وفيه نزعه ضعف والله يغفر له ثم قام ابن الخطاب فاستحالت غربا فما
رايت من الناس من يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن رواه البخاري قال النووي قالوا هذا المنام مثال لما جرى
للخليفتين من ظهور اثارهما الصالحة وانتفاع الناس بهما وكل ذلك ماخوذ من النبي صلى الله عليه وسلم
لانه صاحب الامر فقام به اكمل مقام وقرر قواعد الدين ثم خلفه ابو بكر فقاتل اهل الردة وقطع دابرهم ثم خلفه عمر
فاتسع الاسلام في زمنه فشبه امر المسلمين بقليب فيه الما الذي فيه حياتهم واصلاحهم وامرهم المستقي منها
وفي قوله فاخذ الدلو من يدي ليريحني اشارة الى خلافة ابي بكر بعد موته صلى الله عليه وسلم لان الموت راحة من كد
الدنيا وتعبها فقام ابو بكر بتدبير امر الامة ومعاناة احوالهم واما قوله وفي نزعه ضعف فهو اخبار عن حاله في قصر
مدة ولايته واما ولاية عمر فانها لما طالت كثر انتفاع الناس بها واتسعت دائرة الاسلام بكثرة الفتوح وتمصير
الامصار وتدوين الدواوين وليس في قوله عليه السلام والله يغفر له نقص ولا اشارة الى انه وقع ذنب وانما هي
كلمة كانوا يقولونها وقوله فاستحالت في يده غربا اي تحولت الدلو غربا بفتح الغين المعجمة وسكون الرا الدلو العظيمة
اي دلوا عظيما واخرج احمد وابو داود عن سمرة بن جندب ان رجلا قال يا رسول الله رايت كان دلوا دلي من السما
فجا ابو بكر فاخذ بعراقيها فشرب منها شربا ضعيفا ثم جا عمر فاخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جا عثمان فاخذ
بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جا علي فانتشطت وانتضح عليه منها شي والعراقي جمع عرقوة الدلو وهي الخشبة المعترضة
على فم الدلو وهما عرقوتان كالصليب وقد عرقيت الدلو اذا ركبت العرقوة فيها وانتشطت اي جذبت ورفعت
فهذه نبذة من مراياه الكريمة صلى الله عليه وسلم مع تعبيرها واما ما رآه غيره فعبره صلى الله عليه وسلم له فمما
يهم من امور الدنيا والاخرة فقد كان صلى الله عليه وسلم اذا انفتل من صلاة الصبح اقبل على الصحابة فقال
من راى منكم الليلة رؤيا فليقصها حتى اعبرها له فيقص الناس عليه مراءيهم وروى البخاري والنسائي عن سمرة بن جندب

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول لاصحابه هل راى احد منكم رؤيا فيقص عليه من شاء الله
ان يقص وانه قال ذات غداة هل راى احد منكم رؤيا فقالوا ما منا احد راى شيئا قال لكني اتاني الليلة آتيان
وانهما ابتعثاني فقالا لي انطلق فانطلقت فاتينا على رجل مضطجع واذا آخر قائم عليه بصخرة واذا هو يهوي
بالصخرة لراسه فيثلغ راسه الحديث واقام عليه السلام يسال اصحابه هل راى منكم الليلة احد رؤيا ما
شاء الله ثم ترك السؤال وكان يعبر لمن قص متبرعا واختلف النقلة في سبب تركه السؤال فقيل سبب ذلك حديث
ابي بكرة عند الترمذي وابي داود انه صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم من راى منكم رؤيا فقال رجل انا يا رسول الله
رايت كان ميزانا نزل من السماء فوزنت انت وابو بكر فرجحت انت بابي بكر ووزن ابو بكر وعمر فرجح ابو بكر ووزن عمر
وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان فراينا الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى قالوا فمن حينئذ
لم يسال النبي صلى الله عليه وسلم احدا عن رؤيا قال بعضهم وسبب كراهيته عليه السلام اشارة لستر العواقب
واخفاء المراتب فلما كانت هذه الرؤيا كاشفة لمنازلهم مبينة لفضل بعضهم على بعض في التعيين خشي ان يتوالى
ويتوالى ما هو ابلغ في الكشف من ذلك ولله في ستر خلقه حكمة بالغة ومشيئة نافذة وقال ابن قتيبة فيما ذكره
ابن المنير سبب تركه السؤال حديث ابن زمل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح قال صلى الله عليه وسلم
وهو ثان رجليه سبحان الله وبحمده واستغفر الله ان الله كان توابا سبعين مرة ثم يقول سبعون بسبعمائة
لا خير لمن كانت ذنوبه في يوم واحد اكثر من سبعمائة ثم يستقبل الناس بوجهه فيقول هل راى احد منكم شيئا قال ابن زمل
فقلت ذات يوم انا يا رسول الله قال خيرا تلقاه وشرا توقاه وخير لنا وشر على اعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص
رؤياك قال رايت جميع الناس على طريق رحب لاحب سهل والناس على الجادة منطلقون فبينما هم كذلك اشفى ذلك
الطريق بهم على مرج لم تر عيني مثله يرف رفيفا يقطر نداه فيه من انواع الكلا وكاني بالرعلة الاولى حين اشرفوا
على المرج كبروا ثم اكبوا رواحلهم في الطريق فلم يظلموه يمينا ولا شمالا ثم جاءت الرعلة الثانية من بعدهم وهم اكثر منهم
اضعافا فلما اشفوا على المرج كبروا ثم اكبوا رواحلهم في الطريق فمنهم المرتع ومنهم الآخذ الضغث ومضوا على ذلك قال
ثم قدم عظم الناس فلما اشفوا على المرج كبروا وقالوا هذا خير المنزل فكاني انظر اليهم يميلون يمينا وشمالا فلما رايت ذلك لزمت
الطريق حتى اتيت اقصى المرج فاذا انا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات وانت في اعلاها درجة واذا عن
يمينك رجل آدم اقنى اذا هو تكلم يسمو فيعلو الرجال طولا واذا عن يسارك رجل ربعة تار احمر كثير خيلان الوجه
اذا هو تكلم اصغيتم اليه اكراما له واذا امام ذلك شيخ كانكم تقتدون به واذا امام ذلك ناقة عجفاء شارف
واذا انت كانك تبعثها يا رسول الله قال فانتقع لون رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سري عنه فقال اما ما
رايت من الطريق الرحب اللاحب السهل فذلك ما حملتكم عليه من الهدى فانتم عليه واما المرج الذي رايت فالدنيا
وغضارة عيشها لم نتعلق بها ولم تردنا ولم نردها واما الرعلة الثانية والثالثة وقص كلامه فانا لله وانا اليه
راجعون واما انت فعلى طريقة صالحة فلن تزال عليها حتى تلقاني واما المنبر فالدنيا سبعة آلاف سنة انا في
آخرها الفا واما الرجل الطويل الآدم فذلك موسى نكرمه بفضل كلام الله اياه واما الرجل الربعة التار الاحمر فذلك
عيسى عليه السلام نكرمه بفضل منزلته من الله واما الشيخ الذي رايت كانا نقتدي به فذلك ابراهيم صلى الله عليه
وسلم واما الناقة العجفاء الشارف الذي رايتني ابعثها فهي الساعة علينا اي على الامة تقوم لا نبي بعدي ولا امة بعدكم
قال فما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا احدا عن رؤيا الا ان يجي الرجل متبرعا فيحدثه بها
رواه ابن قتيبة والطبراني والبيهقي في الدلائل وسنده ضعيف جدا ومن غرائب ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم من التعبير
انه زرارة بن عمرو النخعي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد النخع فقال يا رسول الله اني رايت في طريقي هذا

رؤيا رايت اتانا تركتها في الحي ولدت جديا اسفع احوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك
من امة تركتها مصرة حملا قال نعم تركت امة اظنها قد حملت قال فقد ولدت غلاما وهو ابنك قال فما باله
اسفع احوى قال ادن مني فدنا منه قال هل بك برص تكتمه قال نعم والذي بعثك بالحق ما رآه مخلوق ولا علم به قال
هو ذاك قال ورايت النعمان بن المنذر عليه قرطان ودملجان ومسكتان قال ذاك ملك العرب عاد الى افضل
زيه وبهجته قال ورايت عجوزا شمطاء تخرج من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورايت نارا خرجت من الارض
فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو ورايتها تقول لظى لظى بصير واعمى اطعموني اكلكم اهلكم ومالكم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون في آخر الزمان قال وما الفتنة يا رسول الله قال تقتل الناس امامهم ثم يشتجرون
اشتجار اطباق الراس وخالف صلى الله عليه وسلم بين اصابعه يحسب المسيء انه محسن ودم المؤمن عند المؤمن احلى
من شرب الماء فانظر الى هذا التعبير البارز من مشكاة النبوة محشوا احلاء الحق مكسوا طلاوة الصدق محلوا بانوار
الوحي والاسفع الذي اصاب جسده لون آخر والاحوى الاسود ليس بالشديد والمسكتان السواران من ذهب
واطباق الراس عظامه والاشتجار الاختلاف والاشتباك فان قلت تعبيره عليه السلام ههنا [illegible] وعبرهما
بالكذابين فيما تقدم اجيب بان النعمان بن المنذر لما كان ملك العرب وكان مملكا من جهة الاكاسرة وكانوا يسورون
الملوك ويحلونهم وكان السواران من زي الملوك ليسا بمنكرين في حقه ولا موضوعين في غير موضعهما
عندهم واما النبي صلى الله عليه وسلم فنهى عن لباس الذهب لا سيما حلقة الحديد ان يمنه ذلك لانه من زينة فاستدل
به على امر يوضع في غير موضعه ولكن حمدت العاقبة بذهابهما بحمد الله المحمود ومن ذلك ما روي عن قيس بن عباد بضم
العين وتخفيف الموحدة كنت في حلقة فيها سعد بن مالك وابن عمر فمر عبد الله بن سلام فقالوا هذا رجل من اهل
الجنة فقلت انهم قالوا كذا وكذا قال سبحان الله ما كان ينبغي لهم ان يقولوا ما ليس لهم به علم انما رايت كانما عمود وضع
في روضة خضراء فنصب فيها وفي راسها عروة وفي اسفلها منصف والمنصف الوصيف فقال ارقه فرقيته حتى اخذت
بالعروة فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يموت عبد الله وهو آخذ بالعروة الوثقى رواه البخاري
وفي رواية خرشة بينا انا نائم اتاني رجل فقال لي قم فاخذ بيدي فانطلقت معه فاذا انا بجواد عن شمالي
جمع جادة وهو الطريق المسلوك عن شمالي قال فاخذت لآخذ فيها او اسير فقال لا تاخذ فيها فانها طرق اصحاب
الشمال وفي رواية النسائي من طريقه فبينا انا امشي اذ عرض لي طريق عن شمالي فاردت ان اسلكها فقال
انك لست من اهلها وفي رواية مسلم فاذا منهج على يميني فقال لي خذ ههنا فاتى بي جبلا فقال لي اصعد قال فجعلت
اذا اردت ان اصعد خررت حتى فعلت ذلك مرارا وفي رواية ابن عون فيه فقال تلك الروضة روضة الاسلام وذلك
العمود عمود الاسلام وتلك العروة عروة الوثقى لا تزال متمسكا بالاسلام حتى تموت وفي رواية خرشة عند النسائي
وابن ماجه قال رايت خيرا اما المنهج فالمحشر واما الجبل فهو منزل الشهداء لن تناله وهذا علم من اعلام
نبينا صلى الله عليه وسلم فان عبد الله بن سلام لم يمت شهيدا وانما مات على فراشه في اول خلافة معاوية بالمدينة
وقولهم انه من اهل الجنة اخذوه من قوله لما ذكر طريق الشمال انك لست من اهلها وانما قال ما كان ينبغي لهم ان
يقولوا ما ليس لهم به علم على سبيل التواضع وكراهية ان يشار اليه بالاصابع خشية ان يدخله العجب عافانا الله
من سائر المكاره وقال المعبر ولعل الروضة التي لا يعرف نبتها تعبر بالاسلام لنضارتها وحسن بهجتها وتعبر ايضا
بكل مكان فاضل وقد تعبر بالمصحف وكتب العلم والعالم ونحو ذلك انتهى وقال غيره من المعبرين الحلقة والعروة المجهول
تدل لمن تمسك بها على قوته في دينه واخلاصه فيه ومن ذلك ما رواه البخاري عن ام العلاء وهي امراة من نسائهم
بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت لعثمان بن مظعون بعد موته في النوم عينا تجري فجئت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله يجري له وقد قيل يحتمل انه كان لعثمان شيء من عمله بقي
له ثوابه جاريا كالصدقة وانكره مغلطاي وقال لم يكن له شيء من الامور الثلاثة ذكرها مسلم في حديث ابي هريرة

رفعه اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلث وتعقبه شيخ الحفاظ ابن حجر بانه كان له ولد صالح يشهد
ببدر وما بعدها وهو السائب مات في خلافة ابي بكر فهو احد الثلاث قال وقد كان عثمان من الاغنياء فلا بد
ان تكون له صدقة استمرت بعد موته وقال المطلب العين الجارية عمل وجوها فان كان ماؤها صافيا
عبر بالعمل الصالح والا فلا وقال غيره العين للجارية عمل جار من صدقة او معروف لحي او ميت وقال
آخر عين الماء نعمة وبركة وخير وبلوغ امنية ان كان صاحبها مستورا فان كان غير عفيف اصابته مصيبة
يبكي لها اهل داره والله اعلم فهذا طرف من تعبيره عليه السلام يهديك الى غيره مما يشابهه والا فالذي نقل
عنه صلى الله عليه وسلم من غرائب التأويل ولطائف التعبير كما قاله ابن المنير لا تحصره المجلدات وانت
اذا تاملت ان كل كرامة اوتيها احد من هذه الامة في علم او عمل هي من آثار معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم
وسر تصديقه وبركات طريقه وثمرات الاهتداء بهديه وتوفيقه واستحضرت ما اوتيه الامام محمد بن
سيرين من لطائف التعبير مما شاع وذاع وامتلأت به الاسماع طبق الارض صدقا وصوابا وعجبا عجابا
بل عجبا عجابا تيقنت بان ما منحه صلى الله عليه وسلم من العلوم والمعارف لا تحيط به العبارات ولا تدرك
حقيقة كنهه الاشارات واذا كان هذا ابن سيرين واحد من امته عليه السلام نقل عنه من فن التعبير ما لا يعد
لكثرته فكيف به صلى الله عليه وسلم جاد (?) عليه وزاده فضلا وشرفا لديه وافاض علينا من سحائب علومه ومعارفه
وتعطف علينا بعواطفه **الفصل الاول في انبائه صلى الله عليه وسلم بالانباء المغيبات** اعلم ان علم
الغيب مختص بالله تعالى وما وقع منه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى اما بوحي او
الهام والشاهد لهذا قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ليكون معجزة
له واستدل به على ابطال الكرامات واجيب بتخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير توسطه وكرامات
الاولياء على المغيبات انما تكون بتوسط (?) الملائكة كاطلاعنا على احوال الملائكة بتوسط الانبياء وفي حديث مر انه عليه
السلام قال والله اني لا اعلم الا ما علمني ربي فكل ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من الانباء المنبئة عن الغيوب
ليس هو الا من اعلام الله له به اعلاما على ثبوت نبوته ودلالة على صدق رسالته وقد اشتهر وانتشر امره عليه
السلام بين اصحابه بالاطلاع على الغيوب حتى ان كان بعضهم يقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من
يخبره لاخبرته حجارة البطحاء ونشهد لهذا قول ابن رواحة ♦ وفينا رسول الله يتلو كتابه
اذا انشق معروف من الصبح ساطع ♦ ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ♦ به موقنات ان ما قال واقع
وقول حسان بن ثابت ♦ نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ♦ ويتلو كتاب الله في كل مشهد
فان قال في يوم مقالة غائب ♦ فتصديقها في ضحوة اليوم او غد ♦ وهذا الفصل ينقسم قسمين
الاول فيما اخبر به عليه السلام مما نطق به من القرآن العظيم فمن ذلك قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقوله ولن تفعلوا اخبار عن غيب تقضي العادة
بخلافه ومن ذلك قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم
الآية فانه قد كانت لقريش قافلتان احداهما ذات شوكة (?) دون الاخرى فاخبر الله تعالى عما في ضمائرهم وانجز
لهم ما وعد ولا شك ان الوعد كان قبل اللقاء لان الوعد بالشيء بعد وقوعه غير جائز ومن ذلك قوله تعالى
سيهزم الجمع ويولون الدبر وهذا اخبار عن المستقبل لان السين بمعنى الاستقبال يعني كفار قريش يوم بدر
وقد كان عددهم ما بين تسعمائة الى الالف وكانوا مستعدين بالمال والسلاح وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر
رجلا وليس معهم الا فرسان احدهما للزبير بن العوام والاخرى للمقداد فهزم الله المشركين ومكن المسلمين من
قتل ابطالهم واغتنام اموالهم ومن ذلك قوله تعالى في كفار قريش سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا
بالله ما لم ينزل به سلطانا يوم احد فقذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب

وناد

ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا
وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوا فالقى الله تعالى الرعب في قلوبهم ومن ذلك
قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين الى قوله لا يخلف الله وعده
وسبب نزول هذه الآيات ان كسرى وقيصر تقاتلا فغلب كسرى قيصر فساء المسلمين ذلك لان الروم اهل
كتاب ولتعظيم قيصر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وتمزيق كسرى كتابه وفرح المشركون به فاخبر الله تعالى بان
الروم بعد ان غلبوا سيغلبون في بضع سنين والبضع ما بين الثلاث الى العشرة فغلبت الروم اهل فارس يوم
الحديبية واخرجوهم من بلادهم وذلك بعد سبع سنين ومن ذلك قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
ولا يتمنونه ابدا فاخبر انهم لا يتمنون الموت بالقلب ولا بالنطق باللسان مع قدرتهم عليه ابدا فوجد مخبره كما
اخبر فلو لم يعلموا انما يلحقهم من الموت لسارعوا الى تكذيبه بالتمني ولو لم يعلم ذلك لخشي ان يجيبوا اليه فيقضي
عليه بالكذب قال البيضاوي وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر
فان التمني ليس من عمل القلب فيخفى وروي مرفوعا لو تمنوا الموت لغص كل انسان منهم بريقه فمات مكانه
وما بقي يهودي على وجه الارض ومن ذلك قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في
الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية هذا وعد من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بانه سيجعل امته خلفاء الارض
ائمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلن بعد خوفهم من الناس امنا وحكما فيهم وقد فعل
الله تعالى ذلك ولله الحمد والمنة فانه لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر
جزيرة العرب وارض اليمن بكمالها واخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض اطراف الشام وهاداه هرقل ملك
الروم وصاحب مصر والاسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد اصحمة
رحمه الله ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالامر بعده خليفته
ابو بكر الصديق رضي الله عنه فلم شعث ما وهى عند موته عليه السلام واطد جزيرة العرب ومهدها
وبعث الجيوش الاسلامية الى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد ففتحوا طرفا منها وجيشا آخر صحبة ابي عبيدة
الى ارض الشام وجيشا ثالثا صحبة عمرو بن العاص الى مصر ففتح الله للجيش الشامي في ايامه بصرى ودمشق
ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها وتوفاه الله واختار له ما عنده ومن على الاسلام واهله بان الهم
الصديق ان يستخلف عمر الفاروق فقام بالامر بعده قياما تاما لم يدر الفلك بعد الانبياء على مثله في قوة سيرته
وكمال عدله وتم في ايامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر الى آخرها واكثر اقليم فارس وكسر كسرى واهانه
غاية الهوان وتقهقر الى اقصى مملكته وقصر قيصر وانتزع يده من بلاد الشام فانحاز الى قسطنطينية وانفق
اموالهما في سبيل الله كما اخبر بذلك ووعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لما كانت الدولة العثمانية
امتدت الممالك الاسلامية الى اقصى مشارق الارض ومغاربها ففتحت بلاد المغرب الى اقصى ما هنالك الاندلس
وقبرص وسبتة مما يلي البحر المحيط ومن ناحية المشرق الى اقصى بلاد الصين وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية
وفتحت مدائن العراق وخراسان والاهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدا وجيء بالخراج من المشارق
والمغارب الى حضرة امير المؤمنين عثمان بن عفان وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الامة على حفظ القرآن
فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومن ذلك قوله تعالى ضربت عليهم الذلة والمسكنة
فاليهود اذل الكفار في كل زمان ومكان كما اخبر ومن ذلك قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وهذا ظاهر في العيان بان دين الاسلام كما اخبر عال على سائر الاديان

ومن ذلك قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها فكان كما اخبر دخل الناس في الاسلام افواجا فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام الى غير ذلك مما يطول استقصاؤه القسم الثاني فيما اخبر به عليه السلام من الغيوب سوى ما في القرآن فكان كما اخبر به في حياته وبعد مماته اخرج الطبراني عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رفع لي الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيمة كانما انظر الى كفي هذه وعن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هولاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته رواه ابو داود وروى مسلم من حديث ابن مسعود في الدجال فيبعثون عشر فوارس طليعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف اسماءهم واسماء ابائهم والوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الارض يومئذ فيخرج من هذا الخبر وغيره مما ياتي من الاخبار وسبح من خواطر الابدال الاخيار انه صلى الله عليه وسلم علم ما يقع في حياته وبعد موته وما فيه اختم الا وقوعه ولا سبيل الى موته وقال ابو ذر تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السما الا ذكر لنا منه علما رواه ولا شك ان الله تعالى قد اطلعه على ازيد من ذلك والقى عليه علم الاولين والاخرين واما علم عوارف المعارف الالهية فتلك لا ياتي على عددها واليه صلى الله عليه وسلم ينتهي مددها ومن ذلك ما رواه الشيخان عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي للناس في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى وصف بهم وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات وفي حديث انس عند احمد والبخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صعد احدا ومعه ابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم الجبل فضربه برجله وقال له اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيدان فكان كما اخبر عليه السلام ومن ذلك ما رواه الشيخان من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله قال النووي قال الشافعي وسائر العلماء معناه لا يكون كسرى بالعراق ولا قيصر بالشام كما كان في زمنه عليه السلام فاعلمنا صلى الله عليه وسلم بانقطاع ملكهما من هذين الاقليمين وكان كما قال فاما كسرى فانقطع ملكه وزال بالكلية من جميع الارض وتمزق ملكه كل ممزق واضمحل بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم واما قيصر فانهزم من الشام ودخل اقصى بلاده وافتتح المسلمون بلاده واستقرت للمسلمين ولله الحمد وقد وقع ذلك في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما قدمته وقال عليه السلام لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما اتي بهما عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة ومن ذلك اخباره عليه السلام بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها واسلم كما تقدم ذلك في غزوة بدر من المقصد الاول واخباره بمصارع المشركين وبشان كتاب حاطب الى اهل مكة وبموضع ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بخطامها في الشجرة ولما رجع المشركون يوم الاحزاب قال النبي صلى الله عليه وسلم الان نغزوهم ولا يغزونا فلم يغز رسول الله بعدها وبعث صلى الله عليه وسلم جيشا الى موتة وامر عليهم زيد بن حارثة فان اصيب فجعفر بن ابي طالب فان اصيب فعبد الله بن رواحة فلما التقى المسلمون بموتة جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وكشف له حتى نظر الى معتركهم فقال اخذ الراية زيد بن حارثة حتى استشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا له ثم اخذ الراية

جعفر

جعفر بن ابي طالب حتى استشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا لاخيكم جعفر ثم اخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا لاخيكم فاخبر اصحابه بقتلهم في الساعة التي قتلوا فيها ومؤتة دون دمشق بارض البلقاء وعن اسماء بنت عميس قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة اليوم الذي قتل فيه جعفر واصحابه فقال يا اسماء اين بنو جعفر فجئت بهم فضمهم وشمهم ثم ذرفت عيناه بالدموع فبكى فقلت يا رسول الله ابلغك عن جعفر شيء قال نعم قتل اليوم رواه يعقوب الاسفرايني في كتابه دلائل الاعجاز وخرجه ابن اسحق والبغوي ومن ذلك قوله عليه السلام زويت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فكان كذلك امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند الى اقصى المشرق والى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه امة من الامم ومن ذلك اعلامه قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم الله فوجدوها كما قال عليه السلام ومن ذلك ما رواه الطبراني في الكبير والبزار من حديث ابن عمر قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد منى فاتاه رجل من الانصار ورجل من ثقيف فسلما ثم قالا يا رسول الله جئنا نسالك فقال ان شئتما اخبرتكما بما جئتما تسالاني عنه فعلت وان شئتما ان امسك وتسالاني فعلت فقالا اخبرنا يا رسول الله فقال الثقفي للانصاري سل فقال اخبرني يا رسول الله فقال جئتني تسالني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام وما لك فيه وعن ركعتيك بعد الطواف وما لك فيهما وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه وعن رميك الجمار وما لك فيه وعن نحرك وما لك فيه مع الافاضة فقال والذي بعثك بالحق لعن هذا جئت اسالك ومن ذلك ما رواه ابن عساكر عن واثلة بن الاسقع قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من اصحابه فجلست وسط الحلقة فقال بعضهم يا واثلة قم عن هذا المجلس فقد نهينا عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه واياه فاني اعلم ما الذي اخرجه من منزله قلت يا رسول الله ما الذي اخرجني قال اخرجك من منزلك لتسال عن البر وعن الشك قال قلت والذي بعثك بالحق ما اخرجني غيره فقال صلى الله عليه وسلم البر ما استقر في الصدر واطمان اليه القلب والشك ما لم يستقر في الصدر فدع ما يريبك الى ما لا يريبك وان افتاك المفتون ومن ذلك قوله لفاطمة رضي الله عنها في مرضه انك اول اهلي لحوقا بي فعاشت بعده ثمانية اشهر وقيل ستة اشهر وقوله عليه السلام لنسائه اسرعكن بي لحوقا اطولكن يدا فكانت زينب بنت جحش لانها كانت تعمل بيدها وتتصدق ومن ذلك قوله عليه السلام لعلي اتدري من اشقى الاخرين قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك اخرجه احمد في المناقب وعند ابن ابي حاتم الذي يضربك على هذه واشار الى يافوخه وعند المحاملي قال علي عهد الي رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخضبن هذه من هذه واشار الى لحيته وراسه وعند الضحاك الذي يضربك على هذه فيبل منها هذه واخذ لحيته فضربه عبد الرحمن بن ملجم وعند الطبراني وابو نعيم من حديث جابر مرفوعا انك مؤمر مستخلف وانك مقتول وان هذه مخضوبة من هذه وقال صلى الله عليه وسلم لمعوية اما انك ستلي امر امتي بعدي فاذا كان ذلك فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم قال معوية فما زلت ارجوها حتى قمت مقامي هذا رواه ابن عساكر واخرج ابن عساكر ايضا من حديث عروة بن رويم مرفوعا لن يغلب معوية ابدا وان عليا قال يوم صفين لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلت معوية ومن ذلك قوله عليه السلام تقتل هذا مظلوما واشار الى عثمن رضي الله عنه خرجه البغوي في المصابيح من الحسان والترمذي وقال حسن غريب وخرجه احمد فكان كما قال عليه السلام

فاستشهد في الدار وبين يديه المصحف فنضح الدم على هذه الآية فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وفي الشفا
انه عليه السلام قال يقتل عثمان وهو يقرأ في المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه
وانه سيقطر دمه على فسيكفيكهم الله وقد اخرجه الحاكم عن ابن عباس بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يا عثمان تقتل وانت تقرأ سورة البقرة فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله لكن قال الذهبي انه حديث موضوع
وقد روى مسلم عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرف على اطم من اطام المدينة ثم قال هل
ترون ما ارى اني لارى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر فوقعت فتنة قتل عثمان وتتابعت الفتن الى فتنة
الحرة وكانت لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلث وستين من الهجرة وجرت فيها وقائع كثيرة مذكورة في كتب
التاريخ واخرج البيهقي عن الحسن قال لما كان يوم الحرة قتل اهلها حتى لا يكاد ينفلت منهم احد واخرج ايضا
عن مالك بن انس قال قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن منهم ثلثمائة من الصحابة وذلك في خلافة يزيد
واخرج ايضا عن المغيرة قال انهب ابو مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة ايام وافتض فيها الف عذراء وقال عليه
السلام لابي موسى وهو قاعد على قف بئر اريس لما طرق عثمان الباب ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه اشارة
الى ما تقدم من استشهاده يوم الدار بل اصرح من ذلك كله ما رواه احمد عن ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتنة فمر رجل فقال يقتل فيها هذا يومئذ ظلما قال فنظرت فاذا هو عثمان واسناده صحيح واخباره
عليه السلام بوقعة الجمل وصفين وقتال عائشة والزبير عليا كما اخرجه الحاكم وصححه والبيهقي عن ام سلمة رضي
قالت ذكر صلى الله عليه وسلم خروج بعض امهات المؤمنين فضحكت عائشة فقال انظري يا حميراء ان لا تكوني انت
ثم التفت الى علي فقال ان وليت من امرها شيئا فارفق بها وعن ابن عباس مرفوعا ايتكن صاحبة الجمل الادبب
تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب يقتل حولها قتلى كثيرة تنجو بعدما كادت رواه البزار وابو نعيم واخرج
الحاكم وصححه البيهقي عن ابي الاسود قال شهدت الزبير خرج يريد عليا فقال له علي انشدك الله هل سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقاتله وانت له ظالم فمضى الزبير منصرفا وفي رواية ابي يعلى والبيهقي فقال الزبير
ولكن نسيت ومن ذلك قوله عليه السلام في الحسن بن علي ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين
من المسلمين رواه البخاري وكما قال عليه الصلوة والسلام انه لما قتل علي بن ابي طالب بايع الحسن اكثر من
اربعين الفا فبقي سبعة اشهر خليفة بالعراق وما وراء النهر من خراسان ثم سار الى معوية وسار معوية
اليه فلما تراءى الجمعان بموضع يقال له مسكن بناحية الانبار من ارض السواد فعلم ان لن تغلب احد الفئتين
حتى يذهب اكثر الاخرى فكتب الى معوية يخبره انه يصير الامر اليه على ان يشترط عليه ان لا يطلب احدا من اهل
المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في ايام ابيه فاجابه معوية الا عشرة فلم يزل يراجعه حتى بعث اليه برق
ابيض وقال اكتب ما شئت فيه فانا التزمه واصطلحا على ذلك فكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وخرج الدولابي ان الحسن قال كانت جماجم العرب بيدي يسالمون
من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله تعالى وحقن دماء المسلمين ومن ذلك اعلامه عليه
السلام بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه رواه البغوي في معجمه من حديث انس
ابن مالك بلفظ استاذن ملك القطر ربه ان يزور النبي صلى الله عليه وسلم فاذن له وكان في يوم ام سلمة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة احفظي علينا الباب لا يدخل احد فبينا هي على الباب اذ دخل الحسين فاقتحم
فوثب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه ويقبله فقال له الملك اتحبه
قال نعم قال ان امتك ستقتله وان شئت اريتك المكان الذي يقتل به فاراه فجاء بسهلة او تراب احمر فاخذته

ام

ام سلمة فجعلته في ثوبها قال ثابت كنا نقول انها كربلا واخرجه ابو حاتم في صحيحه ورواه احمد بنحوه وفي السهلة
بالكسر رمل خشن ليس بالدقاق الناعم وفي رواية الملا قالت ثم ناولني كفا من تراب احمر وقال ان هذا
من تربة الارض التي يقتل بها فمتى صار دما فاعلمي انه قد قتل قالت ام سلمة فوضعته في قارورة عندي
وكنت اقول ان يوما يتحول فيه دما ليوم عظيم الحديث فاستشهد الحسين كما قال عليه السلام بكربلا
من ارض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع ايضا بالطف قتله سنان بن انس النخعي وقيل غيره ولما قتلوه
بعثوا براسه الى يزيد فنزلوا اول مرحلة فجعلوا يشربون بالراس فبينا هم كذلك اذ خرجت عليهم من الحائط
يد معها قلم حديد فكتبت سطرا بدم ۵ اترجو امة قتلت حسينا ۵ شفاعة جده يوم الحساب
فهربوا وتركوا الراس اخرجه منصور بن عمار وذكر ابو نعيم الحافظ في كتابه دلائل النبوة عن نضرة الازدية انها
قالت لما قتل الحسين بن علي امطرت السماء دما فاصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوة دما وكذا روي في احاديث
غير هذه وقال عليه السلام لعمار تقتلك الفئة الباغية رواه البخاري ومسلم فكان كما قال عليه السلام
ومن ذلك ما رواه ابو عمر بن عبد البر ان عبد الله بن عمر راى رجلا مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ارايته قال نعم قال ذاك جبريل اما انك ستفقد بصرك فعمي في آخر عمره ومن ذلك قوله عليه السلام
لثابت بن قيس بن شماس تعيش حميدا وتقتل شهيدا رواه الحاكم وصححه والبيهقي وابو نعيم فقتل يوم مسيلمة
الكذاب باليمامة ومن ذلك قوله لعبد الله بن الزبير ويل لك من الناس وويل للناس منك فكان من امره مع
الحجاج ما كان ومن ذلك حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الدين بدا نبوة ورحمة ثم يكون
خلافة ورحمة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون سلطانا وجبرية رواه وقوله ملكا عضوضا اي
يصيب الرعية فيه عسف وظلم كانهم يعضون فيه عضا وفي حديث سفينة عند ابي داود والترمذي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة في امتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك قال سعيد بن جمهان امسك
خلافة ابي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان وخلافة علي فوجدناها ثلثين سنة فقيل له ان بني امية يزعمون ان
الخلافة فيهم فقال كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من شر الملوك واخرج ابو نعيم عن ابن عباس ان ام الفضل مرت
به صلى الله عليه وسلم فقال انك حامل بغلام فاذا ولدتيه فاتيني به قالت فلما ولدته اتيته به فاذن في اذنه اليمنى
واقام في اليسرى والباه من ريقه وسماه عبد الله وقال اذهبي بابي الخلفاء فاخبرت العباس فاتاه فذكر له فقال
هو ما اخبرتك هذا ابو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي حتى يكون منهم من يصلي بعيسى بن مريم
واخرج ابو يعلى عن معوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتظهرن الترك على العرب حتى تلحقها بمنابت
الشيح والقيصوم ومن ذلك اخباره عليه السلام بعالم المدينة اخرج الحاكم وصححه عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوشك الناس ان يضربوا اكباد الابل فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة قال سفيان بن عيينة
نرى هذا العالم مالك بن انس وقال عبد الرزاق ولم يعرف بهذا الاسم غيره ولا ضربت اكباد الابل الى احد مثل ما ضربت
اليه وقال ابو مصعب كان الناس يزدحمون على باب مالك ويقتتلون عليه من الزحام يعني لطلب العلم وممن
روى عنه من الائمة المشهورين محمد بن شهاب الزهري والسفيانان والشافعي والاوزاعي امام الشام والليث
ابن سعد امام اهل مصر وابو حنيفة النعمان بن ثابت وصاحباه ابو يوسف ومحمد بن الحسن وعبد الرحمن بن مهدي
شيخ الامام احمد ويحيى بن يحيى شيخ البخاري وابو رجاء قتيبة بن سعيد شيخ البخاري ومسلم وذو النون المصري والفضيل
ابن عياض وعبد الله بن المبارك وابراهيم بن ادهم كما نقله عيسى بن مسعود الزواوي في كتابه المنهج السالك الى معرفة

قدر الامام مالك واخباره عن عالم قريش عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
قريشا فان عالمها يملا طباق الارض علما رواه ابو داود الطيالسي في مسنده وفيه الجارود مجهول لكن له
شواهد عن ابي هريرة من تاريخ بغداد للخطيب وعن علي وابن عباس في المدخل للبيهقي قال الامام احمد
وغيره هذا العالم هو الشافعي لانه لم ينتشر في طباق الارض من علم عالم قرشي من الصحابة وغيرهم ما انتشر
من علم الشافعي وما كان الامام احمد ليذكر حديثا موضوعا يحتج به او يستانس به في امر شيخه الشافعي واما
قوله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عالم قريش الى اخره بصيغة التمريض احتياطا للشك في ضعفه
فان اسناده لا يخلو من ضعف قاله العراقي ردا على الصغاني في زعمه انه موضوع وقد جمع الحافظ ابن حجر طرقه
في كتاب سماه لذة العيش في طرق حديث الائمة من قريش كما افاده شيخنا واخبر عليه السلام بان طائفة من امته
لا يزالون ظاهرين على الحق حتى ياتي امر الله رواه الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة وبان الله يبعث الى هذه الامة
على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها رواه الحاكم من حديث ابي هريرة وبذهاب الامثل فالامثل رواه
الحاكم وصححه بلفظ يذهبون الخير فالخير وبالخوارج رواه الشيخان من حديث ابي سعيد الخدري بلفظ بينما نحن عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اذ اتاه ذو الخويصرة فقال يا رسول الله اعدل قال ويلك ومن يعدل
ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال عليه السلام دعه
فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من
الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ايتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدي المراة او مثل البضعة تدردر يخرجون
على خير فرقة من الناس قال ابو سعيد فاشهد اني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشهد ان
علي بن ابي طالب قاتلهم وانا معه وامر بذلك الرجل فالتمس فوجد فاتي به حتى نظرت اليه على نعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذي نعته واخبر عليه السلام بالرافضة اخرجه البيهقي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يكون في امتي قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام واخبر ايضا بالقدرية والمرجئة وقال هم مجوس هذه
الامة رواه الطبراني في الاوسط عن انس ولذا اخبر عليه السلام اصحابه باشياء من بينه وبين الساعة وحذر
من مفاجاتها كما يحذر من حادث الطاعة وان الساعة لا تقوم حتى تظهر جملة من الامارات في العالم فاذا
ظهرت الطامة الكبرى يطيش منها الجاهل والعالم كما روي من رفع الامانة والقران واشتهار الخيانة وحسد الاقران
وقلة الرجال وكثرة النسوان الى غير ذلك مما شهدت به الاخبار وقضى بحقيقة وقوعه الاعيان وقد تعين ان
نلم بذكر طرف من اثار الصحاح والحسان وفي البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون
كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر
الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول
الذي يعرضه عليه لا ارب لي فيه وحتى يتطاول الناس في البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه
وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت
من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن
الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة
وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها فهذه ثلاثة عشر علامة جمعها ابو هريرة في حديث واحد ولم يبق بعد هذا ما

ينظر

ينظر من صحيح العلامات والاشراط وقد ظهر اكثر هذه العلامات فاما قوله حتى يقتتل فئتان
عظيمتان دعواهما واحدة فيريد فتنة معاوية وعلي بصفين قال القاضي ابو بكر بن العربي وهذا اول
خطب طرق الاسلام وتعقبه القرطبي بان اول امر دهم الاسلام موت النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعده
موت عمر لان بموته صلى الله عليه وسلم انقطع الوحي وكان اول ظهور الشر ارتداد العرب وغير ذلك
وبموت عمر رضي الله عنه سل سيف الفتنة فقتل عثمان وكان من قضاء الله وقدره ما كان واما قوله
دجالون كذابون قريب من ثلاثين فقد جاء عددهم معينا من حديث حذيفة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكون في امتي دجالون كذابون سبعة وعشرون منهم اربع نسوة واني خاتم النبيين لا
نبي بعدي اخرجه الحافظ ابو نعيم وقال هذا حديث غريب قال القاضي عياض هذا الحديث قد ظهر فلو عد
من تنبا من زمن النبي صلى الله عليه وسلم الى الان ممن اشتهر بذلك لوجد هذا العدد ومن طالع كتب
التواريخ عرف صحة هذا وقوله حتى يقبض العلم فقد قبض العلم ولم يبق الا رسمه واما الزلازل فوقع منها
شيء كثير وقد شاهدنا بعضها واما قوله حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته فهذا
مما لم يقع وقوله حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه لما يرى من عظم البلاء ورياسة الجهلاء وخمول
العلماء وغير ذلك مما ظهر كثير منه وفي حديث ابي هريرة عند الشيخين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من الحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى فقد خرجت نار عظيمة على قرب مرحلة
من المدينة وكان بدو ظهورها زلزلة عظيمة في ليلة الاربعاء بعد العشاء ثالث جمادى الاخرة سنة اربع وخمسين وستمائة
ويوما ثانيا اشتدت حركتها وعظمت رجفتها وتتابعت حطمتها وارتجت الارض بمن عليها وعجت الاصوات
لبارئها ودامت الحركة حتى ايقن اهل المدينة بوقوع الهلكة وزلزلوا زلزالا شديدا من جملة ثمانية عشر حركة
في يوم واحد دون ليلته قال القرطبي وكان يلي المدينة ببركته صلى الله عليه وسلم نسيم بارد وشوهد من هذه
النار غليان كغليان البحر وانتهت الى قرية من قرى اليمن فاحرقتها قال وقال لي بعض اصحابنا ولقد رايتها
صاعدة في الهواء من مسيرة خمسة ايام قال وسمعت انها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى وقال الشيخ قطب
الدين القسطلاني اقامت مدة ثلاثة وخمسين يوما قال وكان ابتداؤها وهدؤها في السابع والعشرين من شهر رجب
ليلة الاسرا والمعراج به صلى الله عليه وسلم وبالجملة فاستيفاء الكلام على هذه النار يخرج عن المقصود وقد نبه
عليها القرطبي في التذكرة وافردها بالتاليف الشيخ قطب الدين القسطلاني في كتاب سماه جمل الايجاز في
الاعجاز بنار الحجاز فاتى فيه من روائع الحقائق بالعجب العجاب والله الموفق

المقصد التاسع في لطيفة من لطائف عباداته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم ولقد نعلم انك يضيق صدرك
بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين فامره تعالى بعبادته حتى ياتيه
الموت وهو المراد باليقين لانه امر متيقن فان قيل ما الفائدة في قوله حتى ياتيك اليقين وكان قوله واعبد ربك
كافيا في الامر بالعبادة اجاب القرطبي تبعا لغيره بانه لو قال واعبد ربك مطلقا ثم عبده مرة كان مطيعا واذا قال
حتى ياتيك اليقين اي اعبد ربك في جميع زمان حياتك ولا تخل لحظة من لحظات الحياة من هذه العبادات كما قال
العبد الصالح واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وهذا انما يتمشى على ان الامر المطلق لا يفيد التكرار وهي مسالة
معروفة في الاصول اختلف فيها وهو هل الامر المطلق يفيد التكرار او المرة الواحدة او لا يفيد شيئا منهما على مذاهب
الاول انه لا يفيد التكرار ولا ينافيه بل انما يفيد طلب فعل المامور به من غير اشعار بالمرة او المرات لكن المرة

وانما سمي الموت باليقين

ضرورية لاجل تحقيق الامتثال اذ لا توجد الماهية باقل منها وهذا اختيار الامام مع نقله له عن الاقلين ورجحه
الآمدي وابن الحاجب وغيرهما الثاني انه يفيد التكرار مطلقا كما ذهب اليه الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وابو حاتم
القزويني فان عين للتكرار امدا استوعبه والا استوعب زمان العمر لكن بحسب الامكان فلا استوعب ما ل
قضاء الحاجة والنوم وغيرهما من الضروريات الثالث انه يدل على المرة حكاه الشيخ ابو اسحق في شرح اللمع عن
اكثر اصحابنا وابي حنيفة وغيرهم وان علق بشرط او صفة اقتضى التكرار بحسب تكرار المعلق به نحو وان كنتم جنبا
فاطهروا والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة انتهى ملخصا من شرح العلامة ابي الحسن الكلوي على
نظمه جمع الجوامع للعلامة ابن السبكي رحمه الله وقد روى جبير بن نفير مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اوحي
الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك
اليقين رواه البغوي في شرح السنة وابو نعيم في الحلية عن ابي مسلم الخولاني وقد امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
في هذه الاية باربعة اشياء التسبيح والتحميد والسجود والعبادة واختلف العلماء في انه كيف صار الاقبال على مثل
هذه الطاعات سببا لزوال ضيق القلب والحزن فحكى الامام فخر الدين الرازي عن بعض المحققين انه قال
اذا اشتغل الانسان بمثل هذه الانواع من العبادات انكشفت له اضواء عالم الربوبية ومتى حصل ذلك الانكشاف
صارت الدنيا بالكلية حقيرة واذا صارت حقيرة خف على القلب فقدانها ووجدانها فلا يستوحش من فقدانها
ولا يستريح من وجدانها وعند ذلك يزول الحزن والغم وقال اهل السنة اذا نزل بالعبد بعض المكاره فزع الى
الطاعات كأنه يقول تجب علي عبادتك سواء اعطيتني الخيرات او القيتني في المكروهات وقال تعالى فاعبده
واصطبر لعبادته فامره تعالى بالعبادة والمصابرة على مشاق التكاليف والابتلاء والابلاء فان قلت لم لم يقل
واصطبر على عبادته بل قال واصطبر لعبادته قلت الجواب لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر
لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من مشاقه والمعنى ان العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها
قاله الفخر الرازي والبيضاوي وقال تعالى ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه
فاول درجات السير الى الله تعالى عبودية الله وآخرها التوكل عليه ولما كان العبد لا يزال مسافرا الى ربه لا ينقطع
سيره اليه ما دام في قيد الحياة فهو محتاج الى زاد العبادة لا يستغني عنه البتة ولو اتى باعمال الثقلين جميعا وكلما كان
العبد الى الله اقرب كان جهاده في الله اعظم قال تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم
اعظم الخلق اجتهادا وقياما بوظائف العبادة ومحافظة عليها الى ان توفاه الله تعالى ثم اماثل اصحابه رضي الله عنهم
فانهم كانوا كلما ترقوا من القرب مقاما اعظم جهادهم واجتهادهم ولا تلتفت الى ما يظنه بعض المنتسبين الى التصوف
حيث قال القرب الحقيقي نقل العبد من الاعمال الظاهرة الى الاعمال الباطنة ويريح الجسد والجوارح من كد
العمل انما ذلك سقوط التكليف عنه وهو اعظم كفرا والحادا حيث عطلوا العبودية وظنوا انهم استغنوا
عنها بما حصل لهم من الخيالات الباطلة التي هي من اماني النفس وخدع الشيطان فلو وصل العبد من القرب الى اعلى
مقام يناله العبد لما سقط عنه من التكليف مثقال ذرة مما امر فاذرا عليه وقد اختلف العلماء هل كان عليه الصلاة
والسلام قبل بعثته متعبدا بشرع من قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متعبدا بشيء وهو قول الجمهور واحتجوا بانه
لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه ولتستر في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به
اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه
يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا والتعليل الاول المستند الى النقل اولى وذهب آخرون الى الوقف

في امره

لعله
تجل

في امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منهما العقل وهذا مذهب الامام
ابي المعالي وقالت اخرون كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن
التعيين واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل
ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي
ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم
في ان عيسى عليه السلام آخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعده اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم
يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا من كلام القاضي عياض وهو كلام حسن بديع
لكن قوله فهذه جملة المذاهب فيه نظر لانه بقي عليه منها شيء فقد قيل شريعة آدم ايضا وهو يحكى عن ابن برهان
وقيل جميع الشرائع حكاه صاحب المحصول عن المالكية واما من قال انه عليه السلام كان على شريعة ابرهيم
وليس له شرع هو منفرد به وان المقصود من بعثته صلى الله عليه وسلم احياء شرع ابرهيم وعول في اثبات مذهبه
على قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا فهذا قول ساقط مردود لا يصدر مثله الا عن سخيف
العقل كثيف الطبع واما المراد بهذه الاية الاتباع في التوحيد لانه لما وصف ابرهيم عليه السلام في هذه الاية
بانه ما كان من المشركين فلما قال ان اتبع كان المراد ذلك ومثله قوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول ليس
برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الاية وشرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل على ان المراد ما
اجمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى فان قيل النبي صلى الله عليه وسلم انما نفى الشرك واثبت التوحيد بناء
على الدلائل القطعية واذا كان كذلك لم يكن متابعا لاحد فيمتنع قوله ان اتبع على هذا المعنى فوجب حمله على
الشرائع التي يصح حصول المتابعة فيها قلنا قال الفخر الرازي بانه يحتمل ان يكون المراد الامر بمتابعته في كيفية
الدعوة الى التوحيد وهو ان يدعو اليه بطريق الرفق والسهولة وايراد الدلائل مرة بعد اخرى بانواع كثيرة
على ما هو الطريقة المألوفة في القرآن وقد قال صاحب الكشاف لفظة ثم في قوله ثم اوحينا اليك تدل على
تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله فان اشرف ما اوتي خليل الله من الكرامة واجل ما اوتي
من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل ان هذه اللفظة تدل على تباعد النعت في المرتبة على
سائر المدائح التي مدحه الله بها انتهى ومراده بالمدائح المذكورة في قوله ان ابرهيم كان امة قانتا ولم يك من المشركين
شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين وقال
ابن العراقي في شرح تقريب الاسانيد وليت شعري كيف تلك العبادة واي انواعها هي وعلى اي وجه فعلها يحتاج
ذلك لنقل ولا استحضره الآن انتهى وقال شيخ الاسلام البلقيني في شرح البخاري ولم يجئ في الاحاديث التي
وقفنا عليها كيفية تعبده عليه السلام لكن روى ابن اسحق وغيره انه عليه السلام كان يخرج الى حراء في كل عام
شهرا من السنة يتنسك فيه وكان من نسك قريش في الجاهلية ان يطعم الرجل من جاءه من المساكين حتى اذا
انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة وحمل بعضهم التعبد على التفكر قال وعندي ان هذا التعبد
يشتمل على انواع وهي الانعزال عن الناس كما صنع ابرهيم عليه السلام باعتزاله قومه والانقطاع الى الله تعالى فان
انتظار الفرج عبادة كما رواه علي بن ابي طالب ونوعا ينضم الى ذلك الاذكار وعن بعضهم كانت عبادته عليه السلام
في حراء التفكر انتهى وقد آن ان اشرع فيما قصدته على النحو الذي اردته وقد انصرفت من عبادته صلى الله عليه وسلم

لعله الاقتصار

على سبعة انواع **النوع الاول في الطهارة** وفيه فصول **الاول في ذكر وضوئه** صلى الله عليه وسلم **وسواكه**
ومقدار ما كان يتوضأ به الطهارات الوضوء بالضم الفعل وبالفتح الماء الذي يتوضأ به على المشهور فيهما وهو
مشتق من الوضاءة وسمي به لان المصلي يتنظف به فيصير وضيئا وقد استنبط بعض العلماء كما حكاه
في فتح الباري ايجاب النية في الوضوء من قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا الآية لان التقدير اذا اردتم القيام
الى الصلاة فتوضؤوا لاجلها ومثله قولهم اذا رايت الامير فقم اي لاجله وقال ابن القيم لم يرو انه صلى
الله عليه وسلم كان يقول في اول وضوئه نويت رفع الحدث لا هو ولا احد من اصحابه البتة ولم يرو عنه
لا باسناد صحيح ولا ضعيف انتهى قلت اما التلفظ بالنية فلا نعلم انه روي عنه صلى الله عليه وسلم واما
كونه اتى بها فقد قال الامام فخر الدين الرازي في المعالم اعلم انا اذا اردنا في امر من الامور بانه هل فعله
الرسول صلى الله عليه وسلم قلنا ان الشابه طرق الاول انا اذا اردنا ان نقول انه عليه السلام توضأ مع النية
والترتيب قلنا لا شك ان الوضوء مع النية والترتيب افضل والعلم الضروري حاصل بان افضل الخلق لم يواظب
على ترك الافضل طول عمره فثبت انه اتى بالوضوء المرتب المنوي ولم يثبت عندنا انه اتى بالوضوء العاري عن النية
والترتيب والشك لا يعارض اليقين فثبت انه اتى بالوضوء المرتب المنوي فوجب ان يجب علينا مثله والطريق
الثاني ان يقول لو انه عليه السلام ترك النية والترتيب وجب علينا تركه للدلائل الدالة على وجوب الاقتداء
به ولما لم يجب علينا تركه ثبت انه ما تركه بل فعله وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عمر بن الخطاب مرفوعا
انما لكل امرئ ما نوى قال البخاري فدخل فيه الايمان والوضوء والصلوة والزكوة والحج والصوم والاحكام
واشار بذكر الوضوء الى خلاف من لم يشترط فيه النية كما نقل عن الاوزاعي وابي حنيفة وغيرهما وحجتهم انه
ليس عبادة مستقلة بل وسيلة الى عبادة كالصلاة ونوقضوا بالتيمم فانه وسيلة وقد اشترط الحنفية فيه
النية واستدل الجمهور على اشتراط النية في الوضوء بالادلة الصحيحة المصرحة بوعد الثواب عليه فلا بد
من قصد يميزه عن غيره ليحصل الثواب الموعود به وقوله انما الاعمال بالنية ليس المراد منه نفي ذات
العمل لانه قد يوجد بغير نية بل المراد نفي احكامها كالصحة والكمال لكن الحمل على نفي الصحة اولى لانه اشبه بنفي
الشيء نفسه ولان اللفظ دل على نفي الذات بالتصريح وعلى نفي الصفات بالتبع فلما منع الدليل نفي الذات بقيت
دلالته على نفي الصفات مستمرة قال ابن دقيق العيد الذين اشترطوا النية قدروا صحة الاعمال والذين
لم يشترطوها قدروا كمال الاعمال ورجح الاول لان الصحة اكثر لزوما للحقيقة من الكمال فالحمل عليها اولى
وفي هذا الكلام ايهام ان بعض العلماء لا يرى باشتراط النية وليس الخلاف بينهم في ذلك الا في الوسائل واما
المقاصد فلا اختلاف بينهم في اشتراط النية لها ومن ثم خالف الحنفية في اشتراطها للوضوء كما تقدم وخالف
الاوزاعي في اشتراطها في التيمم ايضا نعم بين العلماء اختلاف في اقتران النية باول العمل كما هو معروف في
مبسوطات الفقه واما قوله اي البخاري فدخل فيه الايمان فتوجيه دخول النية في الايمان على طريقة
البخاري ان الايمان عمل واما الايمان بمعنى التصديق فلا يحتاج الى نية كما ان النية انما تميز العمل لله عن
العمل لغيره رياء وتميز مراتب الاعمال كالفرض عن الندب وتميز العبادة عن العادة كالصوم عن الحمية وقوله
ايضا والاحكام اي المعاملات التي يدخل فيها الاحتياج الى المحاكمات فيشمل البيوع والانكحة والاقارير
وغيرها وكل صورة لم يشترط فيها النية فذلك لدليل خاص وقد ذكر ابن المنير ضابطا لما يشترط فيه النية
فقال كل عمل لا يظهر له فائدة عاجلة بل المقصود به طلب الثواب فالنية مشترطة فيه وكل عمل ظهر

فائدته

فائدته ناجزة وتقاضته الطبيعة قبل الشريعة لملاءمة بينهما فلا تشترط النية فيه الا لمن قصد بفعله معنى
آخر يترتب عليه الثواب قال وانما اختلف العلماء في بعض الصور من جهة تحقيق مناط التفرقة قال واما
ما كان من المعاني المحضة كالخوف والرجاء فهذا لا يقال باشتراط النية فيه لانه لا يمكن ان يقع الا منويا ومتى فرضت
النية مفقودة استحالت حقيقته فالنية فيه شرط عقلي واما الاقوال فتحتاج الى النية في ثلثة مواطن
احدها التقرب الى الله تعالى فرارا من الرياء والثاني التمييز عن الالفاظ المحتملة لغير المقصود والثالث قصد
الانشاء ليخرج سبق اللسان انتهى ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري وقد اختلف العلماء في الوقت الذي وجب
فيه الوضوء فقال بعضهم اول ما فرض بالمدينة وتمسك بقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم
الآية ونقل ابن عبد البر اتفاق اهل السير ان غسل الجنابة فرض عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة كما فرضت
الصلاة وانه لم يصل قط الا بوضوء وقال هذا مما لا يجهله عالم وقال الحاكم في المستدرك اهل السنة بهم حاجة
الى دليل الرد على من زعم ان الوضوء لم يكن قبل نزول آية المائدة ثم ساق حديث ابن عباس دخلت فاطمة على
النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقالت هؤلاء الملأ من قريش قد تعاهدوا ليقتلوك فقال ايتوني بوضوء
فتوضأ قال الحافظ ابن حجر وهذا يصلح ان يكون ردا على من انكر وجود الوضوء قبل الهجرة لا على من انكر وجوبه
حينئذ وقد جزم ابن الجهم المالكي بانه كان قبل الهجرة مندوبا وجزم ابن حزم بانه لم يشرع الا بالمدينة ورد عليه
بما اخرجه ابن لهيعة في المغازي التي يرويها عن ابي الاسود عن عروة ان جبريل عليه السلام علم النبي صلى الله عليه
وسلم الوضوء عند نزوله عليه بالوحي وهو مرسل ووصله احمد من طريق ابن لهيعة ايضا لكن قال عن الزهري
عن عروة عن اسامة بن زيد عن ابيه واخرجه ابن ماجه من رواية رشدين بن سعد عن عقيل عن الزهري
نحوه ولكن لم يذكر زيد بن حارثة في السند واخرجه الطبراني في الاوسط من طريق الليث عن عقيل موصولا
ولو ثبت لكان على شرط الصحيح لكن المعروف رواية ابن لهيعة وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتوضأ لكل صلاة قيل له كيف كنتم تصنعون قال يجزئ احدنا الوضوء ما لم يحدث رواه البخاري وابو داود
والترمذي وعن عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة رواه الدارمي
وروى مسلم عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات
بوضوء واحد فقال له عمر فعلت شيئا لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته يا عمر يعني لبيان الجواز وفي رواية لاحمد
وابي داود من حديث عبد الله بن ابي عامر الغسيل انه صلى الله عليه وسلم امر بالوضوء لكل صلاة طاهرا كان
او غير طاهر فلما شق ذلك عليه امر بالسواك عند كل صلاة ووضع عنه الوضوء الا من حدث واختلف العلماء
في موجب الوضوء فقيل يجب بالحدث وجوبا موسعا وقيل به وبالقيام الى الصلاة معا ورجحه جماعة من الشافعية
وقيل بالقيام الى الصلاة حسب ويدل له ما رواه اصحاب السنن عن ابن عباس مرفوعا انما امرت بالوضوء اذا
قمت الى الصلاة وقد تمسك بحديث عبد الله بن ابي عامر هذا من قال بوجوب السواك عليه صلى الله عليه وسلم
لكن في اسناده محمد بن اسحق وقد رواه بالعنعنة وهو مدلس والخصائص لا تثبت الا بدليل صحيح ولما اخرج الطبراني
في الاوسط والبيهقي في السنن عن عائشة مرفوعا ثلث هن علي فرائض وهن لكم سنة الوتر والسواك وقيام
الليل وروى احمد في مسنده باسناد حسن من حديث واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
امرت بالسواك حتى خشيت ان يكتب علي وقد حكى بعضهم الاجماع على انه ليس بواجب علينا لكن حكي عن بعض
الشافعية انه اوجبه للصلاة ونوزع فيه واتفقوا على انه يستحب مطلقا ويتاكد في احوال منها عند الوضوء

وإرادة الصلاة ومنها عند القيام من النوم لما ثبت في الصحيحين من حديث حذيفة أنه صلى الله عليه وسلم
كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك لكن قد يقال المراد قام من الليل للصلاة فيكون المراد السواك
للصلاة أو عند الوضوء ومنها قراءة القرآن كما جزم به الرافعي ومنها تغير الفم سواء فيه تغير الرائحة أو تغير اللون
كصفرة الأسنان كما ذكره الرافعي ومنها دخول المنزل جزم به النووي في زوائد الروضة لما روى مسلم وأبو داود
والنسائي وابن ماجه من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك ومنها إرادة
النوم كما ذكره الشيخ أبو حامد في الرونق وروي فيه ما رواه ابن عدي في الكامل من حديث جابر أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يستاك إذا أخذ مضجعه وفيه حرام بن عثمان متروك ومنها الانصراف من صلاة
الليل لما روى ابن ماجه من حديث ابن عباس بإسناد صحيح قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالليل
ركعتين ركعتين ثم ينصرف فيستاك ويجزئ بكل خشن ولو بأصبع غيره الخشنة وقد جزم النووي في شرح المهذب
ودقائق المنهاج أنه يجزئ بها قطعا قال في شرح تقريب الأسانيد وما أدري ما وجه التفرقة ما بين أصبعه وأصبع
غيره وكونه جزءا منه لا يظهر منه ما يقتضي منعه بل كونها أصبعه أبلغ في الإزالة لأنه يتمكن بها أكثر من تمكن غيره
أن يسوكه بأصبعه لا جرم قال النووي في شرح المهذب المختار إجزاؤه مطلقا قال وبه قطع القاضي حسين
والمحاملي في اللباب والبغوي واختاره في البحر انتهى وقد أطبق أصحاب الشافعي على استحباب الأراك وروى الطبراني
من حديث أبي خيرة الصنابحي وله صحبة حديثا قال فيه ثم أمر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأراك فقال استاكوا
بهذا وفي مستدرك الحاكم من حديث عائشة في دخول أخيها أبي بكر في مرضه صلى الله عليه وسلم ومعه سواك من
أراك فأخذته عائشة رضي الله عنها فطيبته ثم أعطته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستن به والحديث في
الصحيح وليس فيه ذكر الأراك وفي بعض طرقه عند البخاري ومعه سواك من جريد النخل وقد روى أبو نعيم في كتاب
السواك من حديث عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يستاك عرضا وروى البيهقي أيضا
من حديث ربيعة بن أكثم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاك عرضا الحديث قال أصحابنا والمراد بقوله
عرضا عرض الأسنان في طول الفم وهل الأولى أن يباشر المستاك بيمينه أو بشماله قال بعضهم بيمينه لحديث
كان يعجبه التيمن في ترجله وتنعله وطهوره وسواكه وبناه بعضهم على أنه هل هو من باب التطهير والتطييب
أو من باب إزالة القاذورات فإن قلنا بالأول استحب باليمين وإن قلنا بالثاني فبالشمال لحديث عائشة كانت
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه واليسرى لخلائه وما كان من أذى رواه أبو داود بإسناد
صحيح قال في شرح تقريب الأسانيد وأما ما استدل به على أنه يستحب باليمنى للنبوية دلالة فإن المراد منه
بالشق الأيمن في الرجل والبداءة بلبس النعل والبداءة بالأعضاء اليمنى في التطهير والبداءة بالجانب الأيمن في الاستياك
وأما كونه يفعل ذلك بيمينه فيحتاج إلى نقل والظاهر أنه من باب إزالة الأذى كالامتخاط ونحوه فيكون باليسرى
وقد صرح بذلك أبو العباس القرطبي فقال في المفهم حكاية عن مالك أنه لا يستاك في المساجد لأنه من باب إزالة القذر
والله أعلم وأما مقدار ما كان عليه السلام يتوضأ به ويغتسل من الماء فعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد ويتوضأ بالمد وفي رواية كان يغتسل بخمسة مكاكيك ويتوضأ بمكوك
رواه البخاري ومسلم وأبو داود وعنه يتوضأ بإناء يسع رطلين ويغتسل بالصاع رواه الترمذي وعنه أنه صلى
الله عليه وسلم قال يجزئ في الوضوء رطلان من ماء وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم
يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمد رواه أبو داود وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم وميمونة كانا يغتسلان

من آناء

من آناء واحد والصاع خمسة أرطال وثلث برطل بغداد وهو على ما قاله النووي مائة وثمانية وعشرون درهما
وأربعة أسباع درهم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من الإسراف فيه ومر بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا
السرف يا سعد أفي الوضوء سرف قال نعم وإن كنت على نهر جار رواه أحمد بإسناد لين من حديث عبد الله
ابن عمرو بن العاص وقال صلى الله عليه وسلم إن للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء رواه
الترمذي من حديث أبي بن كعب الفصل الثاني في وضوئه صلى الله عليه وسلم مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثا ثلاثا عن ابن
عباس قال توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مرة رواه البخاري وأبو داود وغيرهما وهو بيان للمجمل قوله
تعالى إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا الآية إذ الأمر يفيد طلب إيجاد الحقيقة ولا يتعين تعدد فبين الشارع أن
المرة الواحدة للإيجاب وما زاد عليها للاستحباب وأما حديث أبي بن كعب أنه صلى الله عليه وسلم دعا بماء
فتوضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به ففيه بيان بالقول والفعل معا لكنه حديث ضعيف
أخرجه ابن ماجه وله طرق كلها ضعيفة كما قاله في فتح الباري وعن عبد الله بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
توضأ مرتين مرتين وقال هو نور على نور ذكره رزين وعن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
توضأ ثلاثا ثلاثا رواه أحمد ومسلم وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي
ووضوء الأنبياء من قبلي ووضوء إبراهيم ذكره رزين وضعفه النووي في شرح مسلم كما حكاه في مشكاة المصابيح
ولم يأت في شيء من الأحاديث المرفوعة في صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم أنه زاد على ثلاث بل روي عنه أنه نهى
عن الزيادة على الثلاث فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال
من زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم رواه أبو داود وإسناده جيد لكن عده مسلم في جملة ما أنكر على عمرو بن
شعيب لأن ظاهره ذم النقص من الثلاث وأجيب بأنه أمر نسبي والإساءة تتعلق بالنقص والظلم بالزيادة وقيل
فيه حذف تقديره من نقص من واحدة ويؤيده ما رواه نعيم بن حماد من طريق المطلب بن حنطب مرفوعا الوضوء
مرة ومرتين وثلاثا فإن نقص من واحدة أو زاد على ثلاث فقد أخطأ وهو مرسل رجاله ثقات وأجيب عن الحديث
أيضا بأن الرواة لم يتفقوا على ذكر النقص فيه بل أكثرهم يقتصر على قوله فمن زاد فقط كذا رواه ابن خزيمة في صحيحه
قال الشافعي رحمه الله لا أحب أن يزيد المتوضئ على ثلاث فإن زاد لم أكرهه أي لم أحرمه لأن قوله لا أحب يقتضي
الكراهة وهذا هو الأصح عند الشافعية أنه يكره كراهة تنزيه وحكى الدارمي من الشافعية عن قوم أن الزيادة على
الثلاث تبطل الوضوء كالزيادة في الصلاة وهو قياس فاسد وقال أحمد لا تجوز الزيادة على الثلاث وقال ابن
المبارك لا آمن أن يأثم ويلزم من القول بتحريم الزيادة على الثلاث وكراهتها أنه لا يندب تجديد الوضوء على
الإطلاق الفصل الثالث في كيفية وضوئه صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه دعا بإناء
فأفرغ على يديه ثلاث مرات فغسلهما ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه ثلاثا
إلى المرفقين ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات إلى الكعبين ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه رواه البخاري وقد استدل
بعضهم بقوله ثم أدخل يمينه على عدم اشتراط نية الاغتراف ولا دلالة فيه نفيا ولا إثباتا وأما اشتراط نية الاغتراف
فليس في هذا الحديث ما يثبتها ولا ما ينفيها قال الغزالي رحمه الله مجرد الاغتراف لا يصير الماء مستعملا لأن الاستعمال
إنما يقع في المغترف منه وبهذا قطع البغوي وقد ذكروا في حكمة تأخير غسل الوجه أنه لاعتبار أوصاف الماء لأن
اللون يدرك بالبصر والطعم يدرك بالفم والريح بالأنف فقدمت المضمضة والاستنشاق قبل الوجه وهو مفروض
احتياطا للعبادة وقال النووي في قوله نحو وضوئي إنما لم يقل عليه السلام مثل لأن حقيقة مماثلته لا يقدر عليها

غيره لكن تعقبه في فتح الباري بانه ثبت التقييد بها في رواية البخاري في الرقاق من طريق معاذ بن عبد الرحمن عن
حمران عن عثمن ولفظه من توضأ مثل هذا الوضوء وفي الصيام من رواية معمر من توضأ وضوئي هذا ولمسلم
من طريق زيد بن اسلم عن حمران انه توضأ وضوئي هذا قال وعلى هذا فالتعبير بنحو من تصرف الرواة لانها تطلق
على المثلية مجازا ولان مثل وان كانت تقتضي المساواة ظاهرا لكنها تطلق على الغالب فبهذا تلتئم الروايات
ويكون المتروك بحيث لا يخل بالمقصود انتهى وعن عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري انه قيل له توضأ لنا
وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فاكفأ منه على يديه فغسلهما ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها
فغسل وجهه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل يده فاستخرجها فمسح برأسه
فاقبل بيديه وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية
فاقبل بهما وادبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذي بدأ منه رواه البخاري
ومسلم ومالك وابو داود والترمذي والنسائي وفي رواية لابي داود ثم مسح برأسه واذنيه ظاهرهما وباطنهما
وفي اخرى له ومسح باذنيه ظاهرهما وباطنهما وادخل اصابعه في صماخي اذنيه وفي رواية ابي داود والترمذي والنسائي
عن عبد خير ابي عمارة بن يزيد بن خولي بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وتشديد الياء الهمداني من كبار اصحاب علي
ابن ابي طالب قال اتانا علي وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فاتي باناء
فيه ماء وطست فافرغ من الاناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثلاثا فمضمض ونثر من الكف الذي
يأخذ فيه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل يده اليسرى ثلاثا ثم جعل يده في الاناء فمسح برأسه مرة
واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله اليسرى ثلاثا ثم قال من سره ان يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فهو هذا قال ابن القيم والصحيح انه صلى الله عليه وسلم لم يكرر مسح رأسه انتهى وقال النووي والاحاديث
الصحيحة فيها المسح مرة واحدة وفي بعضها الاقتصار على قوله مسح واحتج الشافعي بحديث عثمن رضي الله عنه في صحيح مسلم
انه صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا وبالقياس على باقي الاعضاء واجيب بانه مجمل مبين في الروايات
الصحيحة ان المسح لم يتكرر فيحمل على الغالب او يختص بالمغسول وبان المسح مبني على التخفيف فلا يقاس على الغسل الذي
المراد منه المبالغة في الاسباغ وبان العدد لو اعتبر في المسح لصار في صورة الغسل اذ حقيقة الغسل جريان الماء
واحتج الشافعية ايضا بما رواه ابو داود في سننه من حديث عثمان من وجهين صحح احدهما ابن خزيمة انه صلى
الله عليه وسلم مسح رأسه ثلاثا وفي رواية لابي داود ايضا والترمذي من حديث الربيع بنت معوذ فغسل كفيه ثلاثا
ثلاثا ووضأ وجهه ثلاثا ومضمض واستنشق مرة ووضأ يديه ثلاثا ومسح برأسه مرتين بدأ بمؤخر رأسه
ثم بمقدمه وباذنيه كلتيهما ظهورهما وبطونهما ووضأ رجليه ثلاثا ثلاثا وقد اجاب العلماء عن احاديث المسح
مرة واحدة بان ذلك لبيان الجواز ويؤيده رواية مرتين هذه وقال ابن السمعاني كما حكاه في فتح الباري اختلاف
الرواية يحمل على التعدد فيكون مسح تارة مرة وتارة ثلاثا فليس في رواية مسح مرة حجة على منع التعدد ويحتج للتعدد
بالقياس على المغسول لان الوضوء طهارة حكمية ولا فرق في الطهارة الحكمية بين الغسل والمسح قال ومن اقوى
الادلة على عدم العدد الحديث المشهور الذي صححه ابن خزيمة وغيره من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص في
صفة الوضوء بعد ان فرغ من زاد على هذا فقد اساء وظلم فان في رواية سعيد بن منصور التصريح بانه مسح
رأسه مرة واحدة فدل على ان الزيادة في مسح الرأس على المرة غير مستحبة ويحمل ما ورد من الاحاديث في تثليث
المسح ان صحت على ارادة الاستيعاب بالمسح لا انها مسحات مستقلة لجميع الرأس جمعا بين الادلة انتهى
وفي حديث عبد الله بن زيد عند البخاري الذي ذكرته قبل ثم مسح رأسه بيديه فاقبل بهما وادبر وفي رواية

بدأ بهما

بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما الى المكان الذي بدأ منه وزاد ابن الطباع بعد قوله
ثم مسح رأسه كله كما في رواية ابن خزيمة وفي رواية غيره كما قدمته برأسه بزيادة الباء موافقة لقوله تعالى
وامسحوا برؤسكم قال البيضاوي والباء في الآية مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت
المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح
برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم
انتهى وقال الشافعي احتمل قوله تعالى وامسحوا برؤسكم جميع الرأس وبعضه فدلت السنة ان بعضه
يجزئ والفرق بينه وبين قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم في التيمم ان المسح فيه بدل عن الغسل ومسح الرأس اصل
فافترقا ولا يرد كون مسح الخف بدلا عن غسل الرجل لان الرخصة فيه ثبتت بالاجماع وقد روي من حديث
عطاء انه صلى الله عليه وسلم توضأ فحسر العمامة عن رأسه ومسح مقدم رأسه وهو مرسل لكنه اعتضد بمجيئه
من وجه اخر موصولا اخرجه ابو داود من حديث انس وفي اسناده ابو معقل لا يعرف حاله لكن اعتضد
كل من المرسل والموصول بالاخر وحصلت القوة من الصورة المجموعة وهذا مثال لما ذكره الشافعي من ان
المرسل يعتضد بمرسل اخر او مسند وفي الباب ايضا عن عثمن في صفة الوضوء قال ومسح مقدم رأسه اخرجه سعيد
ابن منصور وفيه خالد بن يزيد بن ابي مالك مختلف فيه وصح عن ابن عمر الاكتفاء بمسح بعض الرأس قاله ابن
المنذر وغيره ولم يصح عن احد من الصحابة انكار ذلك قاله ابن حزم قال الحافظ ابن حجر وهذا كله مما يقوى به
المرسل المتقدم ذكره انتهى واختلف في القدر الواجب في مسح الرأس فذهب الشافعي وجماعة الى ان الواجب ما
يطلق عليه الاسم ولو شعرة واحدة اخذا باليقين وذهب مالك واحمد وجماعة الى وجوب استيعابه
اخذا بالاحتياط وقال ابو حنيفة في رواية الواجب ربعه لانه عليه الصلوة والسلام مسح على ناصيته وهو
قريب من الربع والله اعلم وعن طلحة بن مصرف عن ابيه عن جده قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يتوضأ والماء يسيل من وجهه ولحيته على صدره فرأيته يفصل بين المضمضة والاستنشاق رواه ابو داود
وعنه ايضا قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فمضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا من كف واحد رواه ابن ماجه
وفي حديث مسلم ان عثمن دعا باناء فافرغ على كفيه ثلث مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه في الاناء فمضمض واستنثر
ثم غسل وجهه ثلث مرات وفي حديث عبد الله بن زيد عند البخاري ثم غسل او مضمض واستنشق من كفة
واحدة ثم قال هكذا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النووي فيدل ان السنة في المضمضة
والاستنشاق ان يأخذ الماء لهما بيمينه قال وفي الافضل في كيفية المضمضة والاستنشاق خمسة اوجه
الاصح يتمضمض ويستنشق بثلاث غرفات يتمضمض من كل واحدة ثم يستنشق والثاني يجمع بينهما بغرفة واحدة
يتمضمض منها ثلاثا ثم يستنشق ثلاثا والثالث يجمع ايضا بغرفة ولكن يتمضمض منها ثم يستنشق ثم يتمضمض
ثم يستنشق ثم يتمضمض منها ثم يستنشق والرابع يفصل بينهما بغرفتين فيتمضمض من احداهما ثلاثا ثم يستنشق
من الاخرى ثلاثا والخامس يفصل بست غرفات يتمضمض بثلاث غرفات ثم يستنشق بثلاث غرفات قال
والصحيح الاول وبه جاءت الاحاديث الصحيحة وقد ذهب الامام احمد وابو ثور الى وجوب الاستنشاق
وهو ان يبلغ الماء الى خياشيمه مستدلين بقوله عليه السلام في حديث ابي هريرة اذا توضأ احدكم فليجعل في
انفه ماء ثم لينتثر لظاهر الامر وحمله الجمهور مالك والشافعي واهل الكوفة على الندب لقوله عليه السلام للاعرابي
توضأ كما امرك الله وليس في الآية ذكر الاستنشاق والله اعلم وعند ابي داود وكان عليه الصلوة والسلام

لعله الصباغ
فاغسلوا
وكذا المضمضة

مسح الماقين وعن عثمان انه صلى الله عليه وسلم كان يخلل لحيته رواه الترمذي وابن ماجه وعنده من حديث
ابن عمر كان عليه الصلوة والسلام اذا توضأ عرك عارضيه بعض العرك ثم شبك لحيته باصابعه من تحتها وعن
انس كان صلى الله عليه وسلم اذا توضأ اخذ كفا من ماء فادخله تحت حنكه فخلل به لحيته ويقول هكذا امرني
ربي عز وجل رواه ابو داود وعن ابي رافع كان صلى الله عليه وسلم اذا توضأ حرك خاتمه رواه ابن ماجه والدارقطني
وضعف وعن المستورد بن شداد كان صلى الله عليه وسلم اذا توضأ يدلك اصابع رجليه بخنصره رواه الترمذي
وابو داود وابن ماجه وعن عائشة كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه وكانت اليسرى
لخلائه وما كان من اذى وعن المغيرة بن شعبة انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وانه ذهب لحاجة له
وان مغيرة جعل يصب الماء عليه وهو يتوضأ رواه البخاري ومسلم وعن صفوان بن عسال صببت على النبي صلى الله عليه
وسلم الماء في السفر والحضر في الوضوء رواه ابن ماجه وفي ذلك جواز استعانة الرجل بغيره في صب الماء في الوضوء من غير كراهة
وكذا احضار الماء من باب اولى ولا دليل في هذين الحديثين لجواز الاعانة بالمباشرة ولما روى الحاكم في المستدرك
من حديث الربيع بنت معوذ انها قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فقال اسكبي فسكبت عليه وهذا اصرح
في عدم الكراهة من الحديثين المذكورين لكونه في الحضر ولكونه بصيغة الطلب والله اعلم وفي الترمذي من حديث
معاذ بن جبل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه وعن عائشة كانت له عليه السلام
خرقة ينشف بها بعد الوضوء قال الترمذي هذا حديث ليس بالقائم وابو معاذ الراوي ضعيف عند اهل
الحديث وقد احتجم صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجمه رواه الدارقطني واكل كتف
شاة ولم يتوضأ رواه البخاري ومسلم وللنسائي قال اخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء
مما غيرت النار وشرب صلى الله عليه وسلم لبنا فلم يمضمض ولم يتوضأ وصلى رواه ابو داود واتي بالسويق فامر به
فثري فاكل ثم قام الى المغرب فتمضمض رواه البخاري ومالك والنسائي وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام
من النوم ربما توضأ وربما لم يتوضأ لان عينه تنام ولا ينام قلبه كما في البخاري وغيره وفيه دليل على ان النوم
ليس حدثا بل مظنة الحدث فلو احدث لعلم بذلك فتكون الخصوصية شعوره بالوقوع بخلاف غيره
قال الخطابي وانما منع قلبه من النوم ليعي الوحي الذي يأتيه في منامه ~ الفصل الرابع في مسحه صلى الله عليه وسلم
على الخفين اعلم انه قد صرح جمع من الحفاظ بان المسح على الخفين متواتر وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين
منهم العشرة وقال ابن عبد البر لا اعلم انه روي عن احد من فقهاء السلف انكاره الا عن مالك مع ان الروايات
الصحيحة عنه مصرحة باثباته وقد اشار الشافعي في الام الى انكار ذلك على المالكية والمعروف المستقر عندهم
الان قولان الجواز مطلقا وثانيهما للمسافر دون المقيم وهذا الثاني مقتضى ما في المدونة وبه جزم ابن الحاجب
وقال ابن المنذر اختلف العلماء ايهما افضل المسح على الخفين او نزعهما وغسل الرجلين والذي اختاره ان المسح
افضل لاجل من طعن فيه من اهل البدع من الخوارج والروافض وقال النووي مذهب اصحابنا ان الغسل افضل
لكونه الاصل لكن بشرط ان لا يترك المسح وقد تمسك من اكتفى بالمسح بقوله وارجلكم عطفا على وامسحوا برؤسكم وذهب
الى ظاهرها جماعة من الصحابة والتابعين وحكي عن ابن عباس في رواية ضعيفة والثابت عنه خلافه وعن
عكرمة والشعبي وقتادة الواجب الغسل او المسح وعن بعض اهل الظاهر يجب الجمع بينهما وحجة الجمهور الاحاديث الصحيحة
من فعله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي ان شاء الله تعالى فانه بيان للمراد واجابوا عن الاية باجوبة منها انه قرئ وارجلكم
بالنصب عطفا على ايديكم وقيل معطوف على محل برؤسكم كقوله تعالى يا جبال اوبي معه والطير بالنصب وقيل

المسح

المسح في الاية محمول لمشروعية المسح على الخفين فحملوا قراءة الجر على مسح الخفين وقراءة النصب على غسل
الرجلين وحمل البيضاوي الجر على الجوار قال ونظيره كثير في القران كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور
عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه
ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليهما ويغسل غسلا يقرب من المسح انتهى وعن المغيرة بن شعبة انه غزا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك قال فتبرز صلى الله عليه وسلم قبل الغائط فحملت معه اداوة قبل
الفجر فلما رجع اخذت اهريق على يديه من الاداوة فغسل يديه ووجهه وعليه جبة من صوف ذهب يحسر
عن ذراعيه فضاق كم الجبة فاخرج يديه من تحت الجبة والقى الجبة على منكبيه وغسل ذراعيه ثم مسح بناصيته
وعلى العمامة ثم اهويت لانزع خفيه فقال دعهما فاني ادخلتهما طاهرتين فمسح عليهما ثم ركب وركبت الحديث
رواه مسلم وعند الترمذي من حديث المغيرة ايضا انه صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين على ظاهرهما وعند ابي داود
من حديثه ايضا ومسح عليه السلام على الجوربين والنعلين وعنه قال مسح صلى الله عليه وسلم على الخفين فقلت
يا رسول الله نسيت فقال بل انت نسيت بهذا امرني ربي عز وجل رواه ابو داود واحمد وعن عمرو بن امية الضمري
قال رايته عليه الصلوة والسلام يمسح على عمامته وخفيه رواه البخاري واحمد وقال علي بن ابي طالب جعل
صلى الله عليه وسلم المسح على الخفين ثلاثة ايام ولياليهن للمسافر ويوما وليلة للمقيم رواه مسلم ~ الفصل
الخامس في تيممه صلى الله عليه وسلم اعلم ان التيمم ثابت بالكتاب والسنة والاجماع وهو من خصائص هذه الامة
واجمعوا على ان التيمم لا يكون الا في الوجه واليدين سواء كان عن حدث اصغر او اكبر وسواء تيمم عن الاعضاء كلها او بعضها
واختلف في كيفيته فمذهبنا ومذهب الاكثرين انه لا بد من ضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين
وعن حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة
وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء رواه مسلم وفي رواية ابي امامة عند البخاري
وجعلت الارض كلها لي ولامتي مسجدا وطهورا وهذا عام وحديث حذيفة خاص فينبغي ان يحمل العام عليه فتختص
الطهورية بالتراب ومنع بعضهم الاستدلال بلفظ التربة على خصوصية التيمم بالتراب بان قال تربة كل مكان ما فيه
من تراب او غيره واجيب بانه ورد في الحديث بلفظ التراب اخرجه ابن خزيمة وغيره وفي حديث علي وجعل لي التراب
طهورا اخرجه احمد والبيهقي باسناد حسن وعن عمار بن ياسر قال جاء رجل الى عمر بن الخطاب فقال اني اجنبت
فلم اصب الماء فقال عمار اما تذكر انا كنا في سفر انا وانت فاما انت فلم تصل واما انا فتمعكت فصليت فذكرت
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انما كان يكفيك هكذا وضرب النبي صلى الله عليه وسلم بكفيه الارض ونفخ فيهما ثم مسح
بهما وجهه وكفيه رواه البخاري ومسلم واستدل بالنفخ على استحباب تخفيف التراب وسقوط استحباب التكرار
في التيمم لان التكرار يستلزم عدم التخفيف وعن ابي الجهيم بن الحرث بن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام الى جدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه وذراعيه
ثم رد علي رواه البغوي في شرح السنة وقال حديث حسن وهذا محمول على ان الجدار كان مباحا او مملوكا لانسان
كان يعرف رضاه ~ الفصل السادس في غسله صلى الله عليه وسلم الغسل بضم الغين اسم للاغتسال وقيل اذا اريد به الماء
فهو مضموم واما المصدر فيجوز فيه الضم والفتح حكاه ابن سيده وغيره وقيل المصدر بالفتح والاغتسال بالضم وقيل الغسل
بالفتح فعل المغتسل وبالضم الماء الذي يغتسل به وبالكسر ما يجعل مع الماء كالاشنان وحقيقة الغسل جريان الماء على
الاعضاء وحقيقة الاغتسال غسل جميع الاعضاء مع تمييز ما للعبادة عما للعادة بالنية ووجوب الغسل على الجنب مستفاد
من قوله وان كنتم جنبا فاطهروا وقوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل
حتى تغتسلوا ففي الاية الاولى اجمال وهو قوله فاطهروا وبينه قوله في الاية الثانية حتى تغتسلوا وبوبته قوله تعالى في الحائض

ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن المفسر باغتسلن اتفاقا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف على
نسائه بغسل واحد رواه مسلم من حديث انس وعن ابي رافع طاف صلى الله عليه وسلم ذات يوم على نسائه يغتسل
عند هذه وعند هذه قال قلت له يا رسول الله الا تجعله غسلا واحدا آخرا قال هذا ازكى واطيب واطهر رواه احمد
وابو داود والنسائي وقد اجمع العلماء على انه لا يجب الغسل بين الجماعين واما الوضوء فاستحبه الجمهور وقال ابو
يوسف انه لا يستحب واوجبه ابن حبيب من المالكية واهل الظاهر لحديث اذا اتى احدكم اهله ثم اراد ان يعود
فليتوضأ بينهما وضوءا رواه مسلم وحمله بعضهم على الوضوء اللغوي فقال المراد به غسل الفرج انتهى وقالت عائشة
كان صلى الله عليه وسلم اذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يدخل اصابعه في الماء
فيخلل بها اصول الشعر ثم يصب على رأسه ثلث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على جلده كله رواه البخاري ويحتمل ان يكون
غسلهما للتنظيف مما بهما ويحتمل ان يكون الغسل المشروع عند القيام من النوم ويدل عليه زيادة ابن عيينة
في هذا الحديث عن هشام قبل ان يدخلهما في الاناء رواه الشافعي والترمذي وزاد ايضا ثم يغسل فرجه وكذا لمسلم
وابي داود وهي زيادة جليلة لان تقديم غسله يحصل به الامن من مسه في اثناء الغسل ويحتمل ان يكون الابتداء
بالوضوء قبل الغسل سنة مستقلة بحيث يجب غسل اعضاء الوضوء مع بقية الجسد ويحتمل ان يكتفى بالوضوء عن اعادة
وعلى هذا فيحتاج الى نية غسل الجنابة في اول عضو وانما قدم اعضاء الوضوء تشريفا لها وليحصل له صورة الطهارتين
الصغرى والكبرى ونقل ابن بطال الاجماع على ان الوضوء لا يجب مع الغسل وهو مردود فقد ذهب جماعة منهم
ابو ثور وابو داود وغيرهما الى ان الغسل لا ينوب عن الوضوء للمحدث وقوله فيخلل بها اصول الشعر اي شعر رأسه
ويدل عليه رواية حماد بن سلمة عن هشام عند البيهقي يخلل بها شق رأسه الايمن فيتبع بها اصول الشعر ثم يفعل
بشق رأسه الايسر كذلك وقال القاضي عياض احتج به بعضهم على تخليل شعر اللحية في الغسل اما لعموم قوله اصول الشعر
واما بالقياس على شعر الرأس وفائدة التخليل ايصال الماء الى الشعر والبشرة ومباشرة الشعر باليد ليحصل تعميمه بالماء وهذا
التخليل غير واجب اتفاقا الا ان كان الشعر ملبدا بشيء يحول بين الماء وبين الوصول الى اصوله واختلف في وجوب
الدلك فلم يوجبه الاكثر ونقل عن مالك والمزني وجوبه واحتج ابن بطال بالاجماع على وجوب امرار اليد على اعضاء
الوضوء عند غسلها فيجب ذلك في الغسل قياسا لعدم الفرق بينهما وتعقب بان جميع من لم يوجب الدلك اجازوا
غمس اليد في الماء للمتوضئ من غير امرار فبطل الاجماع وانتفت الملازمة وفي قوله في هذا الحديث ثلث غرفات استحباب
التثليث في الغسل قال النووي ولا نعلم فيه خلافا الا ما انفرد به الماوردي فانه قال لا يستحب التكرار في الغسل
قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري وملخص ما ذكره قلت وكذا قال الشيخ ابو علي السنجي وكذا قال القرطبي وقالت
ميمونة وضعت له صلى الله عليه وسلم ماء للغسل فغسل يديه مرتين او ثلثا ثم افرغ على شماله فغسل مذاكيره ثم مسح يده
بالارض ثم مضمض واستنشق وغسل وجهه ويديه ثم افاض على جسده ثم تحول من مكانه فغسل قدميه رواه البخاري
ولم يقيد في هذه الرواية بعدد فيحمل على اقل مسمى وهو المرة الواحدة لان الاصل عدم الزيادة عليها وفيه مشروعية
المضمضة والاستنشاق في غسل الجنابة لقوله ثم مضمض واستنشق وتمسك به الحنفية للقول بوجوبهما وتعقب بان
الفعل المجرد لا يدل على الوجوب الا اذا كان بيانا لمجمل تعلق به الوجوب وليس الامر هنا كذلك وعنها توضأ صلى الله
عليه وسلم وضوءه للصلاة غير رجليه وغسل فرجه وما اصابه من الاذى ثم افاض عليه الماء ثم نحى رجليه فغسلهما
رواه البخاري وفيه التصريح بتأخير الرجلين في وضوء الغسل الى آخره وهو مخالف لظاهر رواية عائشة ويمكن الجمع
بينهما اما بحمل رواية عائشة على المجاز واما بحمله على حالة اخرى وبحسب اختلاف هاتين الحالتين اختلف نظر العلماء
فذهب الجمهور الى استحباب تأخير غسل الرجلين وعن مالك ان كان المكان غير نظيف فالمستحب تأخيرهما والا
فالتقديم وعند الشافعية في الافضل قولان قال النووي اصحهما واشهرهما ومختارهما انه يكمل وضوءه قال ولم

الانسان واما الرقي فاعلم ان الرقا بالمعوذات وغيرها من اسماء الله تعالى هو الطب الروحاني واذا كان على لسان
الابرار من الخلق حصل الشفا باذن الله تعالى لكن لما عز هذا النوع فزع الناس الى الطب الجسماني وفي البخاري من
حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات وهي الفلق والناس والاخلاص
فيكون من باب التغليب او المراد الفلق والناس وكذلك كل ما ورد من التعويذ في القرآن كقوله تعالى وقل رب اعوذ بك من
همزات الشياطين واما ما اخرجه احمد وابو داود والنسائي من حديث ابن مسعود ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يكره عشر خصال فذكر منها الرقا الا بالمعوذات ففي سنده عبد الرحمن بن حرملة قال البخاري لا يصح حديثه
وعلى تقدير صحته فهو منسوخ بالاذن في الرقية بالفاتحة واما حديث ابي سعيد عند النسائي كان صلى الله عليه وسلم
يتعوذ من الجان ومن عين الانسان حتى نزلت المعوذات فاخذ بها وترك ما سواها وحسنه الترمذي فلا يدل على المنع
من التعوذ بغير هاتين السورتين بل على الاولوية ولا سيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما وانما اجتزأ بهما لما اشتملتا عليه من
جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا وقد اجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط ان تكون بكلام
الله تعالى او باسمائه وصفاته وباللسان العربي او بما يعرف معناه من غيره وان يعتقد ان الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير
الله تعالى واختلفوا في كونها شرطا والراجح انه لا بد من اعتبارها وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك كنا نرقي
في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقا اذا لم يكن فيها شرك وله
من حديث جابر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا يا رسول الله انه كانت عندنا رقية
نرقي بها من العقرب قال فعرضوا عليه قال ما ارى بأسا من استطاع ان ينفع اخاه فلينفعه وقد تمسك قوم بهذا
العموم فاجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل معناها لكن دل حديث عوف انه مهما كان من الرقى يؤدي الى الشرك
يمنع وما لا يعقل معناه لا يؤمن ان يؤدي الى الشرك فيمتنع احتياطا والشرط الاخير لا بد منه وقال قوم لا تجوز الرقية
الا من العين واللدغة لحديث عمران بن الحصين لا رقية الا من عين او حمة واجيب بان معنى الحصر فيه انهما اصل
كل ما يحتاج الى الرقية فيلتحق بالعين جواز من به خبل او مس او نحو ذلك لاشتراكها في كونها تنشأ عن احوال شيطانية
من انس او جن ويلتحق بالسم كل ما عرض للبدن من قرح ونحوه من المواد السمية وقد وقع عند ابي داود من حديث
انس مثل حديث عمران وزاد او دم وفي مسلم من حديث انس ايضا رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقى من
العين والحمة والنملة وفي حديث اخر والاذن ولابي داود من حديث الشفا بنت عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
الا تعلمين هذه يعني حفصة رقية النملة والنملة قروح تخرج في الجنب وغيره من الجسد وقيل المراد بالحصر يعني الافضل
اي لا رقية انفع كما قيل لا سيف الا ذو الفقار وقال قوم المنهي عنه من الرقى ما يكون قبل وقوع البلاء والمأذون فيه ما كان
بعد وقوعه ذكره ابن عبد البر والبيهقي وغيرهما ورد بما رواه ابو داود وابن ماجه وصححه الحاكم عن ابن مسعود رفعه
ان الرقى والتمائم والتولة شرك والتمائم جمع تميمة وهي خرزة او قلادة تعلق في الرأس كانوا في الجاهلية يعتقدون ان ذلك
يدفع الآفات والتولة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففا شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر
وانما كان ذلك من الشرك لانهم ارادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله ولا يدخل في ذلك ما كان باسماء الله وكلامه
فقد ثبت في الاحاديث استعمال ذلك قبل وقوعه كما سيأتي ان شاء الله تعالى ولا خلاف في مشروعية الفزع الى الله تعالى
والالتجاء اليه سبحانه في كل ما وقع وما يتوقع وقال بعضهم المنهي عنه من الرقى هو الذي يستعمله المعزم وغيره ممن
يدعي تسخير الجن له فيأتي بامور مشتبهة مركبة من حق وباطل يجمع الى ذكر الله تعالى واسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين
والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم ويقال ان الحية لعداوتها للانسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم اعداء بني آدم فاذا

عزم على الجن باسما الشياطين اجابت وخرجت من مكانها وكذلك اللديغ اذا رقي بتلك الاسما سالت سموم ما
من بدن الانسان فلذلك كره من الرقا ما لم يكن بذكر الله واسمايه خاصة وباللسان العربي الذي يعرف معناه
ليكون بريا من شوب الشرك وعلى كراهة الرقا بغير كتاب الله علما الامه وقال القرطبي الرقا ثلاثة اقسام احدها
ما كان يرقا به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك او يودي الى الشرك الثاني ما كان
بكلام الله او باسمايه فيجوز فان كان ماثورا فيستحب الثالث ما كان باسما غير الله من ملك او صالح او معظم من
المخلوقات كالعرش قال فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذي يتضمن الالتجا الى الله تعالى
والتبرك باسمايه فيكون تركه اولى الا ان يتضمن تعظيم المرقا به فينبغي ان يجتنب كالحلف بغير الله تعالى وقال
الربيع سالت الشافعي عن الرقية فقال لا باس ان يرقي بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله قلت ايرقي اهل الكتاب المسلمين
قال نعم اذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وذكر الله انتهى وفي الموطا ان ابا بكر قال لليهودية التي كانت ترقي عايشه
ارقيها بكتاب الله قال النووي وقال القاضي عياض واختلف قول مالك في رقية اليهودي والنصراني المسلم
وبالجواز قال الشافعي وروى ابن وهب عن مالك كراهية الرقية بالحديدة والملح وعقد الخيط والذي يكتب
خاتم سليمان وقال لم يكن ذلك من امر الناس القديم رقية الذي يصاب بالعين روى مسلم عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شي سابق القدر لسبقته العين اي الاصابة بالعين
شي ثابت موجود وهو من جملة ما تحقق كونه قال المازري اخذ الجمهور بظاهر الحديث وانكره طوايف من المبتدعه
لغير معنى لان كل شي ليس محالا في نفسه ولا يودي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فهو من مجوزات العقول
فاذا اخبر الشارع بوقوعه لم يكن لانكاره معنى وهل من فرق بين انكارهم هذا وانكارهم ما يخبر به من امور الاخرة
وقد استشكل بعض الناس هذه الاصابة فقال كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون واجيب
بان طبايع الناس تختلف فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العاين في الهوى الى بدن المعيون وقد نقل عن
بعض من كان معيانا انه قال اذا رايت شيا يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني ويقرب ذلك بالمراة
الحايض تضع يدها في انا اللبن فيفسد ولو وضعتها بعد طهرها لم يفسد ومن ذلك ان الصحيح قد ينظر الى العين
الرمدا فيرمد وقال المازري زعم بعض الطبايعيين ان العاين تنبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك
او يفسد وهو كاصابة السم من نظر الافعى واشار الى منع الحصر في ذلك مع تجويزه وان الذي يتمشى على طريقة
اهل السنة ان العين انما تضر عند نظر العاين بعادة اجراها الله تعالى ان تحدث الضرر عند مقابلة شخص اخر
وهل ثم جواهر حقيقة او لا هو امر محتمل لا يقطع باثباته ولا نفيه ومن قال ممن ينتمي الى الاسلام من اصحاب الطبايع
بالقطع بان جواهر لطيفة غير مريية تنبعث من العاين فتتصل بالمعيون وتتخلل مسام جسمه فيخلق الباري
الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السم فقد اخطا بدعوى القطع ولكنه جايز ان يكون عادة ليست ضرورة ولا
طبيعة انتهى وهو كلام سديد وليس المراد بالتاثير المعنى الذي تذهب اليه الفلاسفة بل ما اجرى الله به العادة
من حصول الضرر للمعيون وقد اخرج البزار بسنده عن جابر رفعه اكثر من يموت بعد قضا الله وقدره بالنفس قال
الراوي يعني العين وقد اجرى الله تعالى العادة بوجود كثير من القوى والخواص في الاجسام والارواح كما تحدث
لمن ينظر اليه من يحتشمه من الخجل فيرى في وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك وكذلك الاصفرار عند روية من
يخافه وكثير من الناس يسقم بمجرد النظر اليه وتضعف قواه وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الارواح من
التاثيرات ولشدة ارتباطها بالعين وليست هي المؤثرة وانما التاثير للروح والارواح مختلفة في طبايعها وكيفياتها وخواصها

فنها

منها ما يوثر في البدن بمجرد الروية من غير اتصال به لشدة خبث تلك الروح وكيفيتها الخبيثة والحاصل ان التاثير
بارادة الله تعالى وخلقه ليس مقصورا على الاتصال الجسماني بل يكون تارة به وتارة بالمقابلة واخرى بمجرد الروية
واخرى بتوجه الروح كالذي يحدث من الادعية والرقا والالتجا الى الله تعالى وتارة يقع ذلك بالتوهم والتخيل فالذي
يخرج من عين العاين سهم معنوي ان صادف البدن لا وقاية له اثر فيه والا لم ينفذ السهم بل ربما رد على صاحبه كالسهم
الحسي سوا انتهى ملخصا من فتح الباري وغيره قال ابن القيم والغرض العلاج النبوي لهذه العلة فمن التعوذات
والرقا الاكثار من قراة المعوذتين والفاتحة واية الكرسي ومنها التعوذات النبوية نحو اعوذ بكلمات الله التامة من كل
شيطان وهامة ومن كل عين لامة ونحو اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرا
وبرا ومن شر ما ينزل من السما ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرا في الارض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن
الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن واذا كان يخشى ضرر عينه واصابتها للمعين
فليدفع شرها بقوله اللهم بارك عليه كما قال صلى الله عليه وسلم لعامر بن ربيعه لما عان سهل بن حنيف الا بركت عليه ومما
يدفع به اصابة العين قول ما شا الله لا قوة الا بالله ومنها رقية جبريل النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه مسلم بسم الله ارقيك
من شر كل شي يوذيك من شر كل ذي نفس او عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك وعند ايضا من حديث عايشه
كان جبريل رقي النبي صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى بسم الله يبريك ومن كل دا يشفيك ومن شر حاسد اذا حسد
ومن شر كل ذي عين واخرج مسلم من حديث ابن عباس رفعه العين حق ولو كان شي سابق القدر سبقته
العين واذا استغسلتم فاغسلوا وظاهر الامر للوجوب وحكى المازري فيه خلافا وصحح الوجوب وقال متى خشي الهلاك
وكان اغتسال العاين مما جرت العادة بالشفا به فانه يتعين وقد تقرر انه يجبر على بذل الطعام للمضطر وهذا اولى ولم
يبين في حديث ابن عباس صفة الاغتسال قال الحافظ ابن حجر وقد وقعت في حديث سهل بن حنيف عند احمد
والنساي ان اباه حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج وساروا معه نحو ما حتى اذا كانوا بشعب الخرار من الجحفه
اغتسل سهل بن حنيف وكان ابيض حسن الجسم والجلد فنظر اليه عامر بن ربيعه فقال ما رايت كاليوم ولا جلد مخباة
فلبط سهل اي صرع وسقط الى الارض فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تتهمون من احد قالوا عامر
ابن ربيعة فدعا عامرا فتغيظ عليه فقال علام يقتل احدكم اخاه هلا اذا رايت ما يعجبك بركت ثم قال اغتسل
له فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه واطراف رجليه وداخلة ازاره في قدح ثم صب ذلك الما عليه رجل من خلفه
على راسه وظهره ثم كفى القدح فتفعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به باس قال المازري المراد بداخلة
ازاره الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الايمن قال وظن بعضهم انه كناية عن الفرج انتهى وزاد القاضي عياض ان المراد
ما يلي جسده من الازار وقيل اراد موضع الازار من الجسد وقيل اراد وركه لانه معقد الازار ورايت بما عزي
لخط شيخنا الحافظ ابي الخير السخاوي قال ابن بكير راويه عن مالك انه كناية عن الثوب الذي يلي الجلد وقال
ابن الاثير في النهاية كان من عادتهم ان الانسان اذا اصابته عين من احد جا الى العاين بقدح فيه ما فيدخل كفه فيه
فيتمضمض ثم يمجه في القدح ثم يغسل وجهه فيه ثم يدخل يده اليسرى فيصب على يده اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على
يده اليسرى ثم يدخل يده اليسرى فيصب على مرفقه الايمن ثم يدخل يده اليمنى فيصب على مرفقه الايسر ثم يدخل
يده اليسرى فيصب على قدمه اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على قدمه اليسرى ثم يدخل يده اليسرى فيصب
على ركبته اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى ثم يغسل داخلة ازاره ولا يوضع القدح بالارض
ثم يصب ذلك الما المستعمل على راس المصاب بالعين من خلفه صبة واحدة فيبرا باذن الله تعالى انتهى قلت

رقية العين

قال وهذا المعنى مما لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه من جهة العقل فلا يرد لكونه لا يعقل معناه وقال ابن العربي
ان توقف فيه متشرع قلنا له قل الله ورسوله اعلم وقد عضدته التجربة وصدقته المعاينة او متفلسف فالرد عليه اظهر لان
عنده ان الادوية تفعل بقواها وقد تفعل بمعنى لا يدرك ويسمون ما هذا سبيله الخواص قال ابن القيم ومن علاج
ذلك والاحتراز منه ستر محاسن من يخاف عليه العين بما يردها عنه كما ذكر البغوي في كتاب شرح السنة ان عثمان بن عفان
راى صبيا مليحا فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين ثم قال في تفسيره ومعنى دسموا نونته اي سودوا والنونة والنونة
النقرة التي تكون في ذقن الصغير وذكر عن عبد الله الساجي انه كان في بعض اسفاره للحج او الغزو على ناقة فارهة فكان
في الرفقة رجل عاين قلما نظر الى شيء الا اتلفه فقيل لابي عبد الله احفظ ناقتك من العاين فقال ليس له الى ناقتي سبيل فاخبر
العاين بقوله فتحين غيبة ابي عبد الله فجا الى رحله فنظر الى الناقة فاضطربت وسقطت فجا ابو عبد الله فاخبر ان العاين قد
عانها وهي كما ترى فقال دلوني عليه فوقف عليه وقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العاين
عليه وعلى احب الناس اليه فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسيا وهو حسير فخرجت
حدقتا العاين وقامت الناقة لا باس بها انتهى وفي حديث هذا الباب من الفوايد ان العاين اذا عرف يقضى عليه
بالاغتسال وان الاغتسال من النشرة النافعة وان العين تكون مع الاعجاب ولو بغير حسد ولو من الرجل المحب ومن
الرجل الصالح وان الذي يعجبه الشي يبادر الى الدعا للذي يعجبه بالبركة ويكون ذلك رقية منه وان الاصابة بالعين قد تقتل
وقد اختلف في جريان القصاص بذلك فقال القرطبي لو اتلف العاين شيا ضمنه ولو قتل فعليه القصاص او الدية اذا تكرر
ذلك منه بحيث يصير عادة وهو في ذلك كالساحر عند من لا يقتله كفرا انتهى ولم يتعرض الشافعية للقصاص في ذلك بل منعوه
وقالوا انه لا يقتل غالبا ولا يعد مهلكا وقال النووي في الروضة ولا دية فيه ولا كفارة لان الحكم انما يترتب على منضبط
عام دون ما يختص ببعض الناس وبعض الاحوال مما لا انضباط له كيف ولم يقع منه فعل اصلا وانما غايته حسد وتمني
لزوال النعمة وايضا فالذي ينشا عن الاصابة بالعين حصول مكروه لذلك الشخص ولا يتعين ذلك المكروه في زوال الحيوة
فقد يحصل له مكروه بغير ذلك من اثر العين انتهى قال الحافظ ابن حجر ولا يعكر عليه الا الحكم بقتل الساحر فانه في
معناه والفرق بينهما عسر ونقل ابن بطال عن بعض اهل العلم انه ينبغي للامام منع العاين اذا عرف بذلك من مداخلة
الناس وان يلزم بيته فان كان فقيرا رزقه ما يقوم به فان ضرره اشد من ضرر المجذوم الذي منعه عمر من مخالطة الناس
واشد من ضرر الثوم الذي منع الشارع اكله من حضور الجماعة قال النووي وهذا القول صحيح متعين لا يعرف عن
غيره تصريح بخلافه ذكر رقيته صلى الله عليه وسلم التي كان يرقي بها عن عبد العزيز قال دخلت انا وثابت على
انس بن مالك فقال ثابت يا ابا حمزة اشتكيت فقال انس الا ارقيك برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال
اللهم رب الناس مذهب الباس اشف انت الشافي لا شافي الا انت شفا لا يغادر سقما رواه البخاري وقوله اذهب
الباس بغير همز للمواخاة واصله الهمز وفي قوله لا شافي الا انت اشارة الى ان كل ما يقع من الدوا والتداوي ان لم يصادف
تقدير الله والا فلا ينجع وقوله لا يغادر بالغين المعجمة اي لا يترك وفي البخاري ايضا عن مسروق عن عايشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بعض اهله يمسح بيده اليمنى ويقول اللهم رب الناس اذهب الباس واشفه وانت
الشافي لا شفا الا شفاوك شفا لا يغادر سقما وقوله يمسح بيده اي على الوجع وقوله الا شفاوك بالرفع
بدل من موضع لا شفا وعن عايشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقي يقول امسح
الباس رب الناس بيدك الشفا لا كاشف له الا انت رواه البخاري ايضا وفي صحيح مسلم عن عثمان بن ابي العاص
انه شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده منذ اسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ضع يدك على

اذهب

الذي

الذي يالم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر وانما كرره
ليكون انجع وابلغ كتكرار الدوا لاخراج المادة ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الارق الفزع والارق المانع من
النوم عن بريدة قال شكى خالد الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما انام الليل من الارق فقال صلى الله عليه وسلم
اذا اويت الى فراشك فقل اللهم رب السموات السبع وما اظلت ورب الارضين وما اقلت ورب الشياطين وما
اضلت كن لي جارا من شر خلقك كلهم جميعا ان يفرط علي احد منهم او يبغي علي عز جارك وجل ثناوك ولا اله غيرك رواه
الترمذي ذكر طبه عليه السلام من حر المصيبة وبرده بالرجوع الى الله تعالى في المسند مرفوعا ما من احد تصيبه
مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في مصيبته واخلف
له خيرا منها قال في الهدي النبوي وهذه الكلمة من ابلغ علاج المصاب وانفعه له في عاجلته واجلته فانها تتضمن
اصلين عظيمين اذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته احدهما ان العبد واهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة
وقد جعله عند العبد عارية فاذا اخذه منه فهو كالمعير ياخذ متاعه من المستعير والثاني ان مصير العبد ومرجعه
الى الله ولا بد ان يخلف الدنيا وراء ظهره ويجي ربه فردا كما خلقه اول مرة بلا اهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات
والسيات فاذا كانت هذه بداية العبد ونهايته فكيف يفرح بموجود او ياسى على مفقود ففكره في مبديه ومعاده
من اعظم علاج هذا الدا قال ومن علاجه ان يطفي نار مصيبته ببرد التاسي باهل المصايب وانه لو فتش العالم
لم ير فيه الا مبتلى اما بفوات محبوب او حصول مكروه وان سرور الدنيا احلام نوم او ظل زايل ان اضحكت قليلا
ابكت كثيرا وان سرت يوما ساءت دهرا وان متعت قليلا منعت طويلا وما ملات دارا حبرة الا ملاتها عبرة ولا
سرته بيوم سرور الا خبات له يوم شرور قال ابن مسعود لكل فرحة ترحة وما ملي بيت فرحا الا ملي ترحا
ذكر طبه عليه السلام من دا الهم والكرب بدوا التوجه الى الرب عن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا
الله رب السموات ورب الارض رب العرش الكريم رواه الشيخان وقوله عند الكرب اي عند حلول الكرب وعند
مسلم كان يدعو بهن ويقولهن عند الكرب وعنده ايضا كان اذا حزبه امر وهو بفتح المهملة وبالزاي وبالموحدة
اي هجم عليه او غلبه قال الطبري معنى قول ابن عباس يدعو وانما هو تهليل وتعظيم يحتمل امرين احدهما ان
المراد تقديم ذلك قبل الدعا كما عند عبد بن حميد كان اذا حزبه امر قال فذكر الذكر الماثور وزاد ثم دعا قال الطبري
ويويد هذا ما روي الاعمش عن ابرهيم قال كان يقال اذا بدا الرجل بالثنا قبل الدعا استجيب له واذا بدا بالدعا
قبل الثنا كان على الرجا ثانيهما ما اجاب به ابن عيينة وقد سيل عن الحديث الذي فيه اكثر ما كان يدعو به النبي
صلى الله عليه وسلم بعرفة لا اله الا الله وحده لا شريك له فقال سفيان هو ذكر وليس فيه دعا ولكن قال
النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل من شغله ذكري عن مسيلتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين وقال
امية بن ابي الصلت في مدح عبد الله بن جدعان • اأذكر حاجتي ام قد كفاني • حباوك ان شيمتك الحياء •
اذا اثنى عليك المرء يوما • كفاه من تعرضك الثناء • فهذا المخلوق حين نسب الى الكرم اكتفى بالثنا عن
السوال فكيف بالخالق ثم ان حديث ابن عباس هذا كما قاله ابن القيم قد اشتمل على توحيد الالهية والربوبية
ووصف الرب سبحانه بالعظمة والحلم وهاتان الصفتان مستلزمتان لكمال القدرة والرحمة والاحسان والتجاوز
ووصفه بكمال ربوبيته الشاملة للعالم العلوي والسفلي والعرش الذي هو سقف المخلوقات واعظمها والربوبية
التامة تستلزم توحيده وانه الذي لا تنبغي العبادة والحب والخوف والرجا والاجلال والطاعة الا له وعظمته
المطلقة تستلزم اثبات كل كمال له وسلب كل نقص وتمثيل عنه وحلمه يستلزم كمال رحمته واحسانه الى خلقه فعلم القلب

في معرفته بذلك يوجب محبته واجلاله وتوحيده فيحصل له من الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه الم الكرب
والهم والغم وانت تجد المريض اذا ورد عليه ما يسره ويفرحه ويقوي نفسه كيف تقوى الطبيعة على دفع المرض الحسي
فحصول هذا الشفا للقلب اولى واحرى ثم اذا قابلت بين ضيق الكرب وسعة هذه الاوصاف التي تضمنها هذا
الحديث وجدته في غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق وخروج القلب منه الى سعة البهجة والسرور وانما يصدق هذه الامور
من اشرقت فيه انوارها وباشر قلبه حقايقها قال ابن بطال حدثني ابو بكر الرازي قال كنت باصبهان عند ابي نعيم فقال
له شيخ ان ابا بكر بن علي قد سعي به عند السلطان فسجن فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وجبريل عن يمينه يحرك شفتيه
بالتسبيح لا يفتر فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم قل لابي بكر بن علي يدعو بدعا الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج الله عنه
قال فاصبحت فاخبرته فدعا به فلم يمكث الا قليلا حتى اخرج وفي حديث علي عند النسائي وصححه الحاكم لقنني رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الكلمات وامرني ان نزل بي كرب او شدة ان اقولها لا اله الا الله الكريم الحليم العظيم سبحان الله تبارك
الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين وفي لفظ الحليم الكريم في الاول وفي لفظ لا اله الا الله وحده لا شريك
له العلي العظيم لا اله الا الله وحده لا شريك له الحليم الكريم وفي لفظ لا اله الا الله الحليم الكريم سبحانه تبارك
وتعالى رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين اخرجها كلها النسائي وروى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اهمه الامر رفع طرفه الى السما فقال سبحان الله العظيم واذا اجتهد في الدعا قال يا حي
يا قيوم وعنده ايضا من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث
قال العلامة ابن القيم وفي تاثير قوله يا حي يا قيوم برحمتك استغيث في دفع هذا البلا مناسبة بديعة فان صفة
الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الافعال ولهذا كان اسم الله
الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سيل به اعطى هو اسم الحي القيوم والحياة التامة تضاد جميع الالام والاسقام ولهذا
لما كملت حياة اهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن ولا شي من الافات والتوسل بصفة الحياة والقيومية له تاثير في
ازالة ما يضاد الحيوة ويضر بالافعال فلهذا الاسم الحي القيوم تاثير عظيم خاص في اجابة الدعوات وكشف الكربات ولهذا
كان صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد في الدعا قال يا حي يا قيوم وروى ابو داود عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوات المكروب اللهم رحمتك ارجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني
كله لا اله الا انت وفي هذا الدعا كما قال في زاد المعاد من تحقيق الرجا لمن الخير كله بيده والاعتماد عليه وحده
وتفويض الامر اليه والتضرع اليه ان يتولى اصلاح شانه ولا يكله الى نفسه والتوسل اليه بتوحيده ما له تاثير
في دفع هذا الدا وكذا قوله في حديث اسما بنت عميس عند ابي داود ايضا مرفوعا كلمات الكرب الله ربي لا اشرك
به شيا وفي مسند الامام احمد من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اصاب عبدا هم ولا حزن
فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاوك اسالك بكل اسم هو لك
سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القران العظيم
ربيع قلبي ونور صدري وجلا حزني وذهاب همي الا اذهب الله حزنه وهمه وابدله مكانه فرحا واذا كان هذا الدعا
بهذه المنزلة لاشتماله على الاعتراف بعبودية الداعي وعبودية ابائه وامهاته وانه ناصيته بيده يصرفها كيف يشا وانبا
القدر وان احكام الرب تعالى نافذة في عبده ماضية فيه لا انفكاك له عنها ولا حيلة له في دفعها وانه سبحانه وتعالى
عدل في هذه الاحكام غير ظالم لعبده ثم توسله باسما الرب تعالى التي سمى بها نفسه ما علم العباد منها وما لم يعلموا
ومنها ما استاثر به في علم الغيب عنده فلم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وهذه الوسيلة اعظم الوسايل واحبها الى
الله واقربها تحصيلا للمطلوب ثم ساله ان يجعل القران لقلبه ربيعا كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان وان يجعله لصدره كالنور

الذي

الدين

الذي هو مادة الحياة وبه يتم معاش العباد وان يجعله شفا همه وغمه فيكون بمنزلة الدوا الذي يستاصل الدا
ويعيد البدن الى صحته واعتداله وان يجعله لحزنه كالجلا الذي يجلو الطبوع والاصدية وغيرها فاذا صدق العليل
في استعمال هذا الدوا اعقبه شفا تاما وفي سنن ابي داود عن ابي سعيد الخدري قال دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فاذا هو برجل من الانصار يقال له ابو امامة فقال يا ابا امامة ما لي اراك في المسجد
في غير وقت الصلاة فقال هموم لزمتني وديون يا رسول الله فقال الا اعلمك كلاما اذا انت قلته اذهب الله عز وجل
همك وقضى دينك قال قلت بلى يا رسول الله قال قل اذا اصبحت واذا امسيت اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن
واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال ففعلت
ذلك فاذهب الله همي وقضى عني ديني فقد تضمن هذا الحديث الاستعاذة من ثمانية اشيا كل اثنين
منها قرينان مزدوجان فالهم والحزن اخوان والعجز والكسل اخوان والجبن والبخل اخوان وضلع الدين وغلبة الرجال
اخوان فحصلت الاستعاذة من كل شر وفي سنن ابي داود ايضا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وانما
كان الاستغفار له تاثير في دفع الهم والضيق لانه قد اتفق اهل الملل وعقلا كل امة ان المعاصي والفساد يوجبان
الهم والغم والحزن وضيق الصدر وامراض القلب واذا كان هذا تاثير الذنوب والاثام في القلوب فلا دوا لها الا
التوبة والاستغفار وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من كثرت همومه فليكثر من قول لا حول ولا قوة
الا بالله وثبت في الصحيحين انها كنز من كنوز الجنة وفي الترمذي انها باب من ابواب الجنة وفي
بعض الاثار انه ما ينزل ملك من السما ولا يصعد الا بلا حول ولا قوة الا بالله وروى الطبراني من حديث
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كربني امر الا تمثل لي جبريل فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي
لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا وفي كتاب
ابن السني من حديث ابي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا اية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكرب
اغاثه الله عز وجل وعنده ايضا من حديث سعد بن ابي وقاص قال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لا يقولها
مكروب الا فرج الله عنه كلمة اخي يونس فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وعند
الترمذي لم يدع بها رجل مسلم في شي قط الا استجيب له وروى الديلمي في مسند الفردوس عن جعفر بن محمد
يعني الصادق قال حدثني ابي عن جدي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر دعا بهذا الدعا اللهم احرسني بعينك
التي لا تنام واكنفني بكنفك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك علي فلا اهلك وانت رجاي فكم من نعمة انعمت بها علي
قل لك بها شكري وكم من بلية ابتليتني بها قل لك بها صبري فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني ويا من
قل عند بليته صبري فلم يخذلني ويا من راني على الخطايا فلم يفضحني يا ذا المعروف الذي لا ينقضي ابدا ويا ذا النعما ينقطع
التي لا تحصى عددا اسالك ان تصلي على محمد وعلى ال محمد وبك ادرا في نحور الاعدا والجبارين اللهم اعني على ديني
بالدنيا وعلى اخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني الى نفسي فيما حظرته علي يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه
العفو هب لي ما لا ينقصك واغفر لي ما لا يضرك انك انت الوهاب اسالك فرجا قريبا وصبرا جميلا ورزقا واسعا
والعافية من البلايا وشكر العافية وفي رواية اسالك تمام العافية واسالك دوام العافية واسالك الشكر على العافية
واسالك الغنى عن الناس ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من دا الفقر
عن ابن عمر ان رجلا قال يا رسول الله ان الدنيا ادبرت عني وتولت قال له اين انت من صلاة الملايكة وتسبيح الخلايق

وبه يرزقون قال عند طلوع الفجر سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة تاتيك الدنيا صاغرة فولى الرجل فمكث ثم عاد فقال يا رسول الله لقد اقبلت علي الدنيا فما ادري اين اضعها رواه الخطيب في رواة مالك

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء الحريق عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفيه رواه الطبراني في ... **قلت** ما وجه الحكمة في اطفاء الحريق بالتكبير فاجاب صاحب زاد المعاد بانه لما كان الحريق سببه النار وهي مادة الشيطان التي خلق منها وكان فيه من الفساد العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله كان للشيطان اعانة عليه وتنفيذ له وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد وهما هدي الشيطان واليهما يدعو وبهما يهلك بني ادم فالنار والشيطان كل منهما يريد العلو في الارض والفساد وكبرياء الله تعالى يقمع الشيطان وفعله فلهذا كان تكبير الله تعالى له اثر في اطفاء الحريق فان كبرياء الله تعالى لا يقوم لها شيء فاذا كبر المسلم ربه اثر تكبيره في خمود النار التي هي مادة الشيطان وقد جربنا نحن وغيرنا هذا فوجدناه كذلك انتهى ولقد جربت ذلك بطيبة في سنة خمس وتسعين وثمان مائة فوجدت له اثرا عظيما لم اجده لغيره ولقد شاع وذاع رؤية طيور بحريق طيبة الواقع في سنة ست وثمانين وثمان مائة معلنة بالتكبير

ذكر ما كان عليه الصلاة والسلام يطب به من داء الصرع في الصحيحين ان امراة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني اصرع واني انكشف فادع الله لي الا انكشف فقال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله لك ان يعافيك فقالت اصبر فقالت فاني انكشف فادع الله ان لا انكشف فدعا لها **قال** العلامة ابن القيم الصرع صرعان صرع من الارواح الخبيثة الارضية وصرع من الاخلاط الردية **والثاني** هو الذي يتكلم فيه الاطباء فاما علاج صرع الارواح فيكون بامرين امر من جهة المصروع وامر من جهة المعالج فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه وصدق توجهه الى فاطر هذه الارواح وبارئها والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان فان هذا نوع محاربة والمحارب لا يتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح الا بامرين ان يكون السلاح صحيحا في نفسه جيدا وان يكون الساعد قويا والثاني من جهة المعالج بان يكون فيه هذان الامران ايضا حتى ان من المعالجين من يكتفي بقوله اخرج منه او يقول بسم الله او يقول لا حول ولا قوة الا بالله **قال** وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اخرج عدو الله انا رسول الله وكان بعضهم يعالج ذلك باية الكرسي ويامر بكثرة قراءة المصروع ومن يعالجه بها وبقراءة المعوذتين **قال** ومن حدث له الصرع وله خمسة وعشرون سنة وخصوصا بسبب دماغي ايس من برئه وكذلك اذا استمر به الى هذا السن **قال** فهذه المراة التي جاء الحديث انها كانت تصرع وتنكشف يجوز ان يكون صرعها من هذا النوع فوعدها صلى الله عليه وسلم بصبرها على هذا المرض بالجنة ولقد جربت الاقسام بالنبي صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه اشداء على الكفار الى اخر سورة الفتح في ابنتين صغيرتين صرعتا فشفيتا ومن الغريب قصة غزال الحبشية خادمتنا لما صرعت بدرب الحجاز الشريف واستغاثت به صلى الله عليه وسلم في ذلك فجيء الى من يصارعها في المنام بامره صلى الله عليه وسلم فوبخته واقسم لا يعود اليها فاستيقظت وما بها قلبة ومن ثم لم يعد اليها فلله الحمد

ذكر دوائه عليه الصلاة والسلام من داء السحر **قال** النووي السحر حرام وهو من الكبائر بالاجماع وقد يكون كفرا وقد لا يكون كفرا بل معصية كبيرة فان كان فيه قول او فعل يقتضي الكفر كفر والا فلا واما تعلمه وتعليمه فحرام واذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر فاعله واستتيب منه ولا يقتل عندنا وان تاب قبلت توبته **وقال** مالك الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب ولا تقبل توبته بل يتحتم قتله والمسالة مبنية على الخلاف في قبول توبة الزنديق لان الساحر عنده كافر كما ذكرناه وعندنا ليس بكافر وعندنا تقبل توبة المنافق والزنديق **قال** القاضي عياض وبقول مالك قال احمد بن حنبل وهو مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين **قال**

اصحابنا

اصحابنا فاذا قتل الساحر بسحره انسانا واعترف انه مات بسحره وانه يقتل غالبا لزمه القصاص وان قال مات به ولكنه قد يقتل وقد لا يقتل فلا قصاص وتجب الدية والكفارة وتكون الدية في ماله لا على عاقلته لان العاقلة لا تحمل ما ثبت باعتراف الجاني **قال** اصحابنا ولا يتصور ثبوت القتل بالسحر بالبينة وانما يتصور باعتراف الساحر انتهى **واختلف** في السحر فقيل هو تخييل فقط ولا حقيقة له وهو اختيار ابي جعفر الاسترابادي من الشافعية وابي بكر الرازي من الحنفية وطائفة **قال** النووي والصحيح ان له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة **قال** شيخ الاسلام ابو الفضل العسقلاني لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين اولا فمن قال انه تخييل فقط منع ذلك والقائلون بان له حقيقة اختلفوا هل له تاثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من الامراض او ينتهي الى الاحالة بحيث يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسه فالذي عليه الجمهور هو الاول **وقال** المازري جمهور العلماء على اثبات السحر ولان العقل لا ينكر ان الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق او تركيب اجسام او مزج بين قوى على ترتيب مخصوص ونظير ذلك ما وقع من حذاق الاطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده فيصير بالتركيب نافعا **وقيل** لا يزيد تاثير السحر على ما ذكر الله في قوله يفرقون به بين المرء وزوجه لكون المقام مقام تهويل فلو جاز ان يقع به اكثر من ذلك لذكره **قال** المازري والصحيح من جهة العقل ان يقع به اكثر من ذلك قال والاية ليست نصا في منع الزيادة ولو قلنا انها ظاهرة في ذلك ثم **قال** والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة ان السحر يكون بمعاناة اقوال وافعال حتى يتم للساحر ما يريد والكرامة لا تحتاج الى ذلك انما تقع غالبا اتفاقا **واما** المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدي ونقل امام الحرمين الاجماع على ان السحر لا يقع الا من فاسق وان الكرامة لا تظهر على فاسق ونقل نحوه النووي في زيادة الروضة عن المتولي **وينبغي** ان يعتبر حال من يقع منه الخارق فان كان متمسكا بالشريعة متجنبا للموبقات فالذي يظهر على يديه من الخوارق كرامة والا فهو سحر **وقال** القرطبي السحر حيل صناعية يتوصل اليها بالاكتساب غير انها لدقتها لا يتوصل اليها الا احاد الناس ومادته الوقوف على خواص الاشياء والعلم بوجوه تركيبها واوقاتها واكثرها تخييلات بغير حقيقة وايهامات بغير ثبوت فيعظم عند من لا يعرف ذلك كما قال تعالى عن سحرة فرعون وجاءوا بسحر عظيم مع ان حبالهم وعصيهم لم تخرج عن كونها حبالا وعصيا **قال** ابو بكر الرازي في الاحكام اخبر الله تعالى ان الذي ظنه موسى انها تسعى لم يكن سعيا وانما كان تخييلا وذلك ان عصيهم كانت مجوفة قد ملئت زيبقا وكذلك الحبال كانت من ادم محشوة زيبقا وقد حفروا قبل ذلك اسرابا وجعلوا لها ازاجا وملؤها نارا فلما طرحت على ذلك الموضع وحمي الزيبق حركها لان من شان الزيبق اذا اصابته النار ان يطير فلما اثقلته كثافة الحبال والعصي صارت تتحرك بحركته فظن من راها انها تسعى ولم تكن تسعى حقيقة انتهى **قال** القرطبي والحق ان لبعض اصناف السحر تاثيرا في القلوب كالحب والبغض والقاء الخير والشر وفي الابدان بالالم والسقم وانما المنكور ان ينقلب الجماد حيوانا او عكسه بسحر الساحر **وقد ثبت** في البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى انه كان ليخيل اليه انه يفعل الشيء وما يفعله حتى اذا كان ذات ليلة عند عائشة دعا ودعا ثم قال يا عائشة اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته فيه اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما بال الرجل قال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في اي شيء قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال واين هو قال في بئر ذروان فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه فجاء فقال يا عائشة كان ماءها نقاعة الحناء وكان رؤوس نخلها رؤوس الشياطين فقلت يا رسول الله افلا استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت ان اثير على الناس فيه شرا فامر بها فدفنت **وفي** رواية للبخاري ايضا فاتى البئر حتى استخرجه فقال هذه البئر التي اريتها قالت عائشة

الا تنشرت قال اما الله فقد شفاني واكره ان اثير على الناس شرا وفي حديث ابن عباس عند البيهقي في الدلائل بسند
ضعيف في اخر قصة السحر الذي سحر به النبي صلى الله عليه وسلم انهم وجدوا وترا فيه احدى عشرة عقدة وانزلت سورة الفلق
والناس فجعل كلما قرا اية انحلت عقدة واخرجه ابن سعد بسند اخر منقطع عن ابن عباس ان عليا وعمارا لما بعثهما النبي
صلى الله عليه وسلم لاستخراج السحر وجدا طلعة فيها احدى عشرة عقدة فذكر نحوه وفي رواية ذكرها في فتح الباري فنزل
رجل فاستخرجه وانه وجد في الطلعة تمثالا من شمع تمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا فيه ابر مغروزة واذا وتر فيه احدى
عشرة عقدة فنزل جبريل بالمعوذتين فكلما قرا اية انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها الما ثم يجد بعدها راحة وقد بين
الواقدي السنة التي وقع فيها السحر كما اخرجه عنه ابن سعد بسند له الى عمر بن الحكم مرسل قال لما رجع صلى الله عليه وسلم من
الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع جاءت رؤساء اليهود الى لبيد بن الاعصم وكان حليفا في بني زريق وكان ساحرا فقالوا
انت اسحرنا وقد سحرناه فلم يصنع شيئا ونحن نجعل لك جعلا على ان تسحره لنا سحرا ينكأه فجعلوا له ثلاثة دنانير ووقع في رواية
ابي ضمرة عند الاسمعيلي فاقام اربعين ليلة وفي رواية وهيب عن هشام عند احمد ستة اشهر ويمكن الجمع بان تكون
الستة اشهر من ابتداء تغير مزاجه والاربعين يوما من استحكامه وقال السهيلي لم اقف في شيء من الاحاديث
المشهورة على قدر المدة التي مكث صلى الله عليه وسلم فيها في السحر حتى ظفرت به في جامع معمر عن الزهري انه لبث سنة قال الحافظ
ابن حجر وقد وجدناه موصولا باسناد الصحيح فهو المعتمد وقال المازري انكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا انه يحط
هذا بعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع اذ يحتمل على هذا ان يخيل اليه انه يرى جبريل وليس هو ثم وانه يوحى اليه بشيء ولم يوح
اليه بشيء قال المازري وهذا كله مردود لان الدليل قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته
في التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل واما ما يتعلق ببعض امور الدنيا التي لم يبعث
لاجلها ولا كانت الرسالة من اجلها فهو في ذلك عرضة لما يعرض للبشر كالامراض فغير بعيد ان يخيل اليه في امر من امور الدنيا
ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في امور الدين انتهى وقال غيره لا يلزم من انه كان يظن انه فعل الشيء ولم يكن فعله
ان يجزم بفعله ذلك وانما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت فلا يبقى على هذا للملحد حجة وقال القاضي عياض يحتمل
ان يكون المراد بالتخيل المذكور انه يظهر له من نشاطه ما الفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطء فاذا دنا من المراة فتر عن ذلك
كما هو شان المعقود ويكون قوله في الرواية الاخرى حتى كاد ينكر بصره اي صار كالذي ينكر بصره بحيث انه اذا راى الشيء يخيل انه
على غير صفته فاذا تامله عرف حقيقته ويؤيد جميع ما تقدم انه لم ينقل عنه في خبر من الاخبار انه قال قولا فكان بخلاف
ما اخبر به قال بعضهم وقد سلك النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصة مسلكي التفويض وتعاطي الاسباب ففي اول الامر
فوض وسلم لامر ربه واحتسب الاجر في صبره على بلائه ثم لما تمادى ذلك وخشي من تماديه ان يضعفه عن فنون عبادته
جنح الى التداوي فقد اخرج ابو عبيد من مرسل عبد الرحمن بن ابي ليلى قال احتجم النبي صلى الله عليه وسلم على راسه يعني حين طب
ثم جنح الى الدعاء وكل من المقامين غاية في الكمال وقال ابن القيم من انفع الادوية واقوى ما يوجد من النشرة مقاومة
للسحر الذي هو من تاثيرات الارواح الخبيثة بالادوية الالهية من الذكر والدعاء والقراءة فالقلب اذا كان ممتلئا من الله معمورا بذكره
وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به كان ذلك من اعظم الاسباب المانعة من اصابة السحر له قال وسلطان تاثير
السحر هو في القلوب الضعيفة ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال لان الارواح الخبيثة انما تسلط على الارواح
تلقاها مستعدة لما يناسبها انتهى ملخصا ويعكر عليه حديث الباب وجواز السحر على النبي صلى الله عليه وسلم مع عظم مقامه وصدق
توجهه وملازمة ورده ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بان الذي ذكره محمول على الغالب وان ما وقع به صلى الله عليه وسلم لبيان تجويز
ذلك عليه واما ما يعالج به من النشرة المقاومة للسحر فذكر ابن بطال ان في كتب وهب بن منبه ان ياخذ سبع ورقات من

[illegible]

سدر اخضر فتدقه بين حجرين ثم يضرب ذلك بالماء ويقرا فيه اية الكرسي والقلاقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به
فانه يذهب عنه ما كان به وهو جيد للرجل اذا احتبس عن اهله وممن صرح بجواز النشرة المزني عن الشافعي وابو جعفر الطبري
وغيرهما انتهى وقال ابن الحاج في المدخل كان الشيخ ابو محمد المرجاني اكثر تداويه بالنشرة يعملها لنفسه ولاولاده ولاصحابه
فيجدون على ذلك الشفاء والخير رحمه الله لان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاها له في المنام وقال رحمه الله راى النبي صلى الله
عليه وسلم قال له ما تعلم ما عمل معك ومع اصحابك في هذه النشرة نقله عنه خادمه وهي هذه لقد جاءكم رسول من انفسكم
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم الى اخر السورة وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين لو انزلنا هذا القران على
جبل الى اخر السورة وسورة الاخلاص والمعوذتين ثم يكتب اللهم انت المحيي وانت المميت وانت الخالق وانت البارئ
وانت المبلي وانت المعافي وانت الشافي خلقتنا من ماء مهين وجعلتنا في قرار مكين الى قدر معلوم اللهم اسالك باسمائك
الحسنى وصفاتك العلى يا من بيده الابتلاء والمعافاة والشفاء والدواء اسالك بمعجزات نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وبركات
خليلك ابرهيم عليه السلام وحرمة كليمك موسى عليه السلام اللهم انفعه **ذكر رقية تنفع لكل شكوى**
عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشتكى شيئا فليقل ربنا الله الذي في السماء تقدس امرك
في السماء والارض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الارض واغفر لنا حوبنا وخطايانا انت رب الطيبين انزل رحمة من
عندك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرا باذن الله رواه ابو داود في سننه **رقيته عليه الصلاة والسلام من**
الصداع روى الحميدي في الطب عن يونس بن يعقوب عن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من
الصداع بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الكبير واعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ومن شر حر النار ورواه ابن السني
من حديث ابن عباس رضي الله عنهما واصابت اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما **ورم في راسها** فوضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده على ذلك من فوق الثياب فقال بسم الله اذهب عنها سوءه وفحشه بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين
عندك بسم الله صنع ذلك ثلاث مرات وامرها ان تقول ذلك فقالت ثلاثة ايام فذهب الورم رواه الشيخ ابن النعمان بسنده
والبيهقي **رقيته صلى الله عليه وسلم من وجع الضرس** روى البيهقي ان عبد الله بن رواحة شكى الى النبي صلى
الله عليه وسلم وجع ضرسه فوضع صلى الله عليه وسلم يده على خده الذي فيه الوجع وقال اللهم اذهب عنه سوء ما يجد وفحشه
بدعوة نبيك المكين المبارك عندك سبع مرات فشفاه الله قبل ان يبرح وروى الحميدي ان فاطمة رضي الله عنها اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو ما تلقى من ضربان الضرس فادخل سبابته اليمنى فوضعها على السن الذي يالم فقال بسم الله
وبالله اسالك بعزك وجلالك وقدرتك على كل شيء فان مريم لم تلد غير عيسى من روحك وكلمتك ان تكشف ما تلقى فاطمة بنت
خديجة من الضر كله فسكن ما بها **ومن الغريب** ما شاع وذاع عن شيخنا المحب الطبري امام مقام الخليل بمكة
ورايته يفعله غير مرة يضع يده على راس الموجوع ضربه ويسال عن اسمه واسم امه وعن المدة التي يريد الالم ان لا ياله
فيها فيقول سبع سنين او تسع سنين مثلا بالوتر قالوا فما رفع يده الا وقد سكن المه ومكث المدة المذكورة لا يالمه كما شيع ذلك
واشتهر **ومما جرب** ان يكتب على الخد الذي يلي الوجع بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة قليلا ما تشكرون وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم **رقية اسر البول** روى
النسائي عن ابي الدرداء انه اتاه رجل يذكر ان اباه احتبس بوله فاصابه حصاة البول فعلمه رقية سمعها من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك امرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الارض
واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا انت رب الطيبين فانزل شفاء من شفائك ورحمة من رحمتك على هذا الوجع فيبرا وامره ان
يرقيه بها فرقاه بها فبرا وقد تقدم هذا في رقية الشكوى العامة من حديث ابي داود **رقية الحمى** عن انس قال

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عايشة وهي موعوكة وهي تسب الحمى فقال لا تسبيها فانها مامورة ولكن ان شيت
علمتك كلمات اذا قلتيهن اذهبها الله عنك قالت فعلمني قال قولي اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق
يا ام ملدم ان كنت امنت بالله العظيم فلا تصدعي الراس ولا تنتني الفم ولا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني الى من اتخذ مع الله
الها اخر قالت فقالتها فذهبت عنها رواه البيهقي وقد جرب ذلك كما رايته بخط شيخنا ولفظه اللهم ارحم عظمي الدقيق
وجلدي الرقيق واعوذ بك من فورة الحريق يا ام ملدم ان كنت امنت بالله واليوم الاخر فلا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم ولا تفوري
على الفم وانتقلي الى من يزعم ان مع الله الها اخر فاني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ويكتب للحمى
المثلثة ما ذكره صاحب الهدي على ثلاث ورقات لطاف بسم الله فرت بسم الله مرت بسم الله قلت وياخذ كل يوم ورقة
ويجعلها في فمه ويبلعها بما وقد رخص جماعة من السلف في كتابة بعض القران وشربه وجعل ذلك من الشفا الذي جعل
الله فيه قال ابن الحاج في المدخل وقد كان الشيخ ابو محمد المرجاني لا يزال الاوراق للحمى وغيرها على باب الزاوية فمن كان
به الم اخذ ورقة منها فاستعملها فيبرا باذن الله عز وجل وكان المكتوب فيها اللهم ازل بلا زوال يا من لم يزل ولا يزال ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين وقال المروذي بلغ ابا عبد الله اني حممت
فكتب الي من الحمى رقعة فيها بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله ومحمد رسول الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم وارادوا
به كيدا فجعلناهم الاخسرين اللهم رب جبريل وميكايل واسرافيل اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك
اله الحق امين ومما جرب للخراج ونقله صاحب المعادة يكتب عليه ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي
نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا ومما يكتب لعسر الولادة ما روى الخلال عن عبد الله بن الامام
احمد بن حنبل قال رايت ابي يكتب للمراة اذا عسر عليها ولادتها في جام ابيض او شي نظيف حديث ابن عباس لا اله الا الله
الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار
بلاغ كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها قال الخلال اخبرنا ابو بكر المروذي ان ابا عبد الله جاءه رجل فقال
يا ابا عبد الله تكتب لامراة قد عسر عليها ولدها منذ يومين فقال قل له يجي بجام واسع وزعفران قال ورايته يكتب لغير واحد
وفي المدخل يكتب في انية جديدة اخرج ايها الولد من بطن ضيق الى سعة هذه الدنيا اخرج بقدرة الذي جعلك في قرار مكين
الى قدر معلوم لو انزلنا هذا القران على جبل الى اخر السورة وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين وتشربها النفسا
وترش منه على وجهها قال الشيخ المرجاني اخذته عن بعض السادة فما كتبته لاحد الا نجح في وقته وروى عن عكرمة
عن ابن عباس قال مر عيسى عليه السلام على امراة وقد اعترض ولدها في بطنها فقالت يا كلمة الله ادع الله لي ان يخلصني
مما انا فيه فقال يا خالق النفس من النفس ويا مخلص النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس خلصها قال فرمت بولدها
فاذا هي قايمة قال فاذا عسر على المراة ولدها فاكتبه لها ومما يكتب لذلك ايضا ويكرر من الفاظه اذا السما انشقت واذنت
لربها وحقت واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت تشرب الحامل منه ويرش على بطنها ومما يكتب للرعاف على جبهة
المرعوف وقيل يا ارض ابلعي ماك ويا سما اقلعي وغيض الما وقضي الامر ولا يجوز كتابتها بدم الراعف كما يفعله بعض الجهال فان الدم
نجس فلا يجوز ان يكتب به كلام الله ومما يكتب لعرق النسا بسم الله الرحمن الرحيم اللهم رب كل شي ومليك كل شي وخالق
كل شي انت خلقتني وخلقت النسا فلا تسلطه علي باذى ولا تسلطني عليه بقطع واشفني شفا لا يغادر سقما لا شافي
الا انت واما حفيظة رمضان لا الا الا الاوك يا الله انه سميع عليم بالله محيط به علمك كعسلهون وبالحق
انزلناه وبالحق نزل الى اخرها فقال شيخنا اشتهرت ببلاد اليمن ومكة ومصر والمغرب وجملة بلدان انها حفيظة رمضان
تحفظ من الغرق والسرق والحرق وساير الافات وتكتب في اخر جمعة منه وجمهورهم يكتبها والخطيب يخطب على المنبر وبعضهم

بعد

بعد صلاة العصر وهذه بدعة لا اصل لها وان وقعت في كلام غير واحد من الاكابر بل اشتهر كلام بعضهم ورودها في حديث ضعيف
وكان الحافظ ابن حجر ينكرها اجواحتي وهو قايم على المنبر في اثنا خطبته حين يرى من يكتبها انتهى ذكر ما يقي من
كل بلا عن ابان بن عثمان عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه
شي في الارض ولا في السما وهو السميع العليم ثلاث مرات حين يمسي لم تصبه فجاة بلا حتى يصبح ومن قالها حين يصبح لم تصبه
فجاة بلا حتى يمسي قال فاصاب ابان بن عثمان الفالج فجعل الذي سمع منه الحديث ينظر اليه فقال مالك تنظر الي فوالله ما كذبت
على عثمان ولا كذب عثمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اليوم الذي اصابني فيه ما اصابني غضبت فنسيت ان اقولها
رواه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وكان ابان قد اصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر اليه فقال له ابان
ما تنظر الي اما ان الحديث كما حدثتك ولكن لم اقله يوميذ ليمضي الله قدره ذكر ما يستجلب به المعافاة من
سبعين بلا ذكر ابو محمد عبد الله بن محمد المالكي الافريقي في كتابه اخبار افريقية عن انس بن مالك مرفوعا من قال بسم الله
الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عشر مرات برى من ذنوبه كيوم ولدته امه وعوفي من سبعين بلا من
بلايا الدنيا منها الجنون والجذام والبرص والريح ويشهد له ما رواه الترمذي عن ابي هريرة قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانها من كنز الجنة قال مكحول فمن قال لا حول ولا قوة
الا بالله ولا ملجا من الله الا اليه كشف الله عنه سبعين بابا من الضر ادناهن الفقر وروى الطبراني عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا حول ولا قوة الا بالله كان دوا من تسعة وتسعين دا ايسرها الهم ومن
ذلك في الامان من الفقر عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا حول ولا قوة الا بالله
ماية مرة في كل يوم لم يصبه فقر ابدا رواه ابن ابي الدنيا وروى الطبراني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن ابطا عليه رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه من قال كل يوم وليلة لا اله الا الله الملك الحق المبين كان له امانا من الفقر وانسا من
وحشة القبر واستفتح به باب الغنا واستقرع به باب الجنة قال بعض رواته لو رحلتم في هذا الحديث الى الصين ما كان
كثيرا ذكره عبد الحق في كتاب الطب النبوي ذكر دوا دا الطعام روى البخاري في تاريخه عن عبد الله بن مسعود
من قال حين يوضع الطعام بسم الله خير الاسما في الارض والسما لا يضر مع اسمه دا اجعل فيه رحمة وشفا لم يضره ما كان
فيه ذكر دوا ام الصبيان عن علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد له مولود فاذن
في اذنه اليمنى واقام في اليسرى لم تضره ام الصبيان رواه ابن السني وذكره عبد الحق في الطب النبوي وام الصبيان هي
الريح التي تعرض لهم فربما يغشى عليهم منها وسر التاذين كما قاله صاحب تحفة المودود باحكام المولود انه يكون اول ما يقرع
سمع المولود كلماته المتضمنة لكبريا الرب وعظمته والشهادة التي اول ما يدخل بها في الاسلام فكان ذلك كالتلقين له شعار
الاسلام عند دخوله الى الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها مع ما في ذلك من فايدة اخرى وهي هروب الشيطان
من كلمات الاذان وهو كان يرصده حتى يولد فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاها فيسمع الشيطان ما يضعفه ويغيظه
اول اوقات تعلقه به النوع الثاني في طبه صلى الله عليه وسلم بالادوية الطبيعية ذكر
ما كان عليه السلام يعالج به الصداع والشقيقة اعلم ان الصداع الم في بعض اجزا الراس او كله
فما كان منه في احد جانبي الراس لازما سمي شقيقة وان عظمه وسببه ابخرة مرتفعة او اخلاط حارة او باردة
ترتفع الى الدماغ فان لم تجد منفذا احدثت الصداع فان مال الى احد شقي الراس احدث الشقيقة وان ملك كل الراس احدث
دا البيضة تشبيها ببيضة السلاح التي تشتمل على الراس كله واسباب الصداع كثيرة منها ما تقدم ومنها

كله

مايكون عن ورم في المعدة او في عروقها او ريح غليظة فيها او لامتلائها ومنها ما يكون من الحركة العنيفة كالجماع
والقيء والاستفراغ والسهر او كثرة الكلام ومنها ما يحدث من الاعراض النفسانية كالهم والحزن والجوع والحمى
ومنها ما يحدث عن حادث في الراس كضربة تصيبه او ورم في صفاق الدماغ او حمل شي ثقيل يضغط الراس او تسخينه
بشي خارج عن الاعتدال او تبريده بملاقاة الهواء او الماء في البرد واما الشقيقة فهي في شراين الراس
وحدها وتختص بالموضع الاضعف من الراس وعلاجها بشد العصابة وقد اخرج الامام احمد من حديث
بريدة انه صلى الله عليه وسلم كان ربما اخذته الشقيقة فيمكث اليوم واليومين لا يخرج وفي الصحيح انه صلى
الله عليه وسلم قال في مرض موته وا راساه وانه خطب وقد عصب راسه فعصب الراس ينفع الشقيقة وغيرها من
اوجاع الراس وفي البخاري من حديث ابن عباس احتجم صلى الله عليه وسلم وهو محرم في راسه من شقيقة
كانت به وقد جاءت مقيدة بما في بعض طرق ابن عباس نفسه فعند ابي داود الطيالسي في مسنده من حديث
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في وسط راسه وقد قال الاطباء انها نافعة جدا وورد انه صلى الله عليه وسلم
احتجم ايضا في الاخدعين والكاهل اخرجه الترمذي وحسنه وابو داود وابن ماجه وصححه الحاكم وقد قال الاطباء
الحجامة على الاخدعين تنفع من امراض الراس والوجه كالاذنين والعينين والاسنان والانف وقد ورد في حديث
ضعيف جدا اخرجه ابن عدي من طريق عمر بن رياح عن عبد الله بن طاوس عن ابيه عن ابن عباس رفعه الحجامة في الراس تنفع من
سبع من الجنون والجذام والبرص والنعاس والصداع ووجع الضرس والعين وعمر متروك رماه الفلاس بالكذب
وروى ابن ماجه في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صدع غلف راسه بالحناء ويقول انه نافع باذن الله
من الصداع وفي صحته نظر وهو علاج خاص بما اذا كان الصداع من حرارة ملتهبة ولم يكن من مادة يجب استفراغها واذا
كان كذلك نفع فيه الحناء نفعا ظاهرا قالوا واذا دق وضمدت به الجبهة مع الخل سكن الصداع وهذا لا يختص بوجع الراس
بل يعم جميع الاعضاء وفي تاريخ البخاري وسنن ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شكى اليه احد وجعا في
راسه الا قال احتجم ولا شكا وجعا في رجليه الا قال له اختضب بالحناء وفي الترمذي عن علي بن عبيد الله عن جدته
وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت ما كان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم قرحة ولا نكبة الا امرني ان اضع عليها
الحناء ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للرمد وهو ورم حار يعرض في الطبقة الملتحمة من العين وهو بياضها
وسببه انصباب احد الاخلاط او ابخرة تصعد من المعدة الى الدماغ فان اندفع الى الخياشيم احدث الزكام او الى العين احدث
الرمد او الى اللهاة والمنخرين احدث الخنان بالخاء المعجمة والنون او الى الصدر احدث النزلة او الى القلب احدث الشوصة وان
ينحدر وطلب نفاذا فلم يجد احدث الصداع كما تقدم وروي انه عليه الصلاة والسلام كان يعالج الرمد بالسكون والدعة
وترك الحركة وفي سنن ابن ماجه عن صهيب قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال ادن فكل
فاخذت تمرا فاكلت فقال تاكل تمرا وبك رمد فقلت يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد روي انه حمى عليا من الرطب لما اصابه الرمد وفي البخاري من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الكماة من المن وماؤها شفاء للعين والكماة نبات لا ورق لها ولا ساق توجد في الارض من غير ان تزرع
وروى الطبري من طريق ابن المنكدر عن جابر قال كثرت الكماة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فامتنع قوم من اكلها
وقالوا هو جدري الارض فبلغه ذلك فقال ان الكماة ليست جدري الارض الا ان الكماة من المن واختلف في قوله من
المن فقيل هو المن الذي انزله الله على بني اسرائيل وهو الطل الذي يسقط على الشجر فيجمع ويوكل حلوا ومنه الترنجبين
فكانه شبه الكماة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوا بغير علاج وقال الخطابي ليس المراد انها نوع من المن الذي

انزل

انزل الله على بني اسرائيل فان الذي انزل على بني اسرائيل كان كالترنجبين الذي يسقط على الشجر وانما المعنى ان الكماة شي
ينبت من غير تكلف ببذر ولا سقي وانما اختصت الكماة بهذه الفضيلة لانها من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه
شبهة ويستنبط ~~وانما اختصت الكماة بهذه الفضيلة لانها من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه شبهة~~ ويستنبط
منه ان استعمال الحلال المحض يجلو البصر وقال ابن الجوزي في المراد بكون مائها شفاء للعين قولان احدهما انه ماؤها
حقيقة الا ان اصحاب هذا القول اتفقوا على انها لا تستعمل صرفا في العين لكن اختلفوا كيف يصنع بها على رايين احدهما
انه يخلط في الادوية التي يكتحل بها حكاه ابو عبيد ثانيهما ان تشق وتوضع على الجمر حتى يغلي ماؤها ثم يوخذ الميل فيجعل
في ذلك الشق وهو فاتر فيكتحل بمائها لان النار تلطفه وتذهب فضلاته الرديه ويبقى النافع منه ولا يجعل الميل في
مائها وهي باردة يابسة فلا ينجع وقال آخر يجعل الكماة في قدر جديد ويصب عليه الماء ولا يطبخ فيها ثم يوخذ
غطا جديد فيجعل على القدر فما جرى من الغطاء من بخار الكماة فذلك الماء الذي يكتحل به وقال ابن واقد ان ماء
الكماة اذا عصر وربي به الاثمد كان من اصلح الاشياء للعين اذا اكتحل به يقوي اجفانها ويزيد الروح الباصر قوة وحدة
ويدفع عنها نزول النوازل وقال ايضا اذا اكتحل بماء الكماة وحده بميل من ذهب تبين للفاعل لذلك قوة عجيبة
وحدة في البصر كثيرة وقال ابن القيم اعترف فضلاء الاطباء ان ماء الكماة يجلو العين منهم المسيحي وابن سينا وغيرهما
قال والذي يزيل الاشكالات عن هذا الاختلاف ان الكماة وغيرها خلقت في الاصل سليمة من المضار ثم عرضت لها
الافات بامور اخرى من مجاورة او امتزاج او غير ذلك من الاسباب التي ارادها الله تعالى فالكماة في الاصل نافعة لما اختصت
به من وصفها بانها من الله وانما عرضت لها المضار بالمجاورة واستعمال كل ما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله
ويدفع الله عنه الضرر بنيته والعكس بالعكس والله اعلم ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من العذرة وهي بضم
المهملة وسكون الذال المعجمة وجع في الحلق يعتري الصبيان غالبا وقيل هي قرحة تخرج بين الاذن والحلق او في
الخرم الذي بين الانف والحلق وهو يسمى سقوط اللهاة وقيل هو اسم اللهاة والمراد وجعها سمي باسمها وقيل هو اسم
موضع قريب من اللهاة واللهاة بفتح اللام اللحمة التي في اقصى الحلق وفي البخاري من حديث ام قيس بنت محصن الاسد
اسد خزيمة وهي اخت عكاشة انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن لها قد علقت عليه من العذرة فقال النبي صلى
الله عليه وسلم على ما تدغرن اولادكن بهذا العلاق عليكم بهذا العود الهندي فان فيه سبعة اشفية منها ذات
الجنب يريد الكست وهو العود الهندي قوله تدغرن خطاب للنسوة وهو بالغين المعجمة والدال المهملة والدغر غمز
الحلق وعن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عايشة وعندها صبي يسيل منخراه دما
فقال ما هذا فقالوا به العذرة او وجع في راسه فقال ويلكن لا تقتلن اولادكن ايما امراة اصاب ولدها عذرة او وجع
في راسه فلتاخذ قسطا هنديا فلتحكه بماء ثم تسعطه اياه فامرت عايشة فصنع ذلك للصبي فبرا الحديث وفي القسط
تجفيف يشد اللهاة ويرفعها الى مكانها وكانوا يعالجون اولادهم بغمز اللهاة وبالعلاق وهو شي يعلقونه على الصبيان فنهاهم
صلى الله عليه وسلم عن ذلك وارشدهم الى ما هو انفع للاطفال واسهل عليهم والسعوط ما يصب في الانف وقد استشكل
معالجتها بالقسط مع كونه حارا والعذرة انما تعرض في زمن الحر بالصبيان وامزجتهم حارة لا سيما وقطر الحجاز حار واجيب
بان مادة العذرة دم يغلب عليه البلغم وفي القسط تجفيف للرطوبة وقد يكون نفعه في هذا الدا بالخاصية وايضا فالادوية الحارة
قد تنفع من الامراض الحارة بالعرض كثيرا بل وبالذات ايضا وقد ذكر ابن سينا في معالجة سقوط اللهاة بالقسط مع الشب اليماني
على انا لو لم نجد شيا من التوجيهات لكان المرجع خارجا عن القواعد الطبية ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لكذا استطلاق
البطن في الصحيحين من حديث ابي المتوكل عن ابي سعيد الخدري ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي

بطنه وفي رواية استطلق بطنه فقال اسقه عسلا فسقاه فقال اني سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال صدق
الله وكذب بطن اخيك وفي رواية مسلم فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال سقيته فلم يزده
الا استطلاقا وفي رواية احمد عن يزيد بن هرون فقال في الرابعة اسقه عسلا قال فاظنه قال فسقاه فبرأ فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرابعة فقال صدق الله وكذب بطن اخيك قال الخطابي وغيره اهل الحجاز يطلقون الكذب
في موضع الخطا يقال كذب سمعك اي زل فلم يدرك حقيقة ما قيل له فمعنى كذب بطنه اي لم يصلح لقبول الشفا بل زل عنه
وقال الامام فخر الدين الرازي لعله صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي ان ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر
نفعه في الحال مع كونه عليه السلام كان عالما بانه سيظهر نفعه بعد ذلك كان جاريا مجرى الكذب فلهذا اطلق عليه هذا
اللفظ وقد اعترض بعض الملاحدة فقال العسل مسهل فكيف يوصف لمن وقع به الاسهال واجيب بان ذلك
جهل من قائله بل هو كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فقد اتفق الاطبا على ان المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف
السن والعادة والزمان والغذا المالوف والتدبير وقوة الطبيعة وعلى ان الاسهال يحدث من انواع منها الهيضة التي تنشا
عن تخمة واتفقوا على ان علاجها بترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت الى مسهل اعينت ما دام بالعليل قوة فكان هذا الرجل
كان استطلاق بطنه من تخمة اصابته فوصف له صلى الله عليه وسلم العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة من اخلاط
لزجة تمنع استقرار الغذا فيها للمعدة خمل كخمل المنشفة فاذا علقت بها الاخلاط اللزجة افسدتها وافسدت الغذا الواصل
اليها فكان دواؤها باستعمال ما يجلو تلك الاخلاط ولا شي في ذلك مثل العسل لا سيما ان مزج بالما الحار وانما لم يفده
في اول مرة لان الدوا يجب ان يكون له مقدار وكمية بحسب الدا ان قصر عنه لم يدفعه بالكلية وان جاوزه اوهى القوة
واحدث ضررا اخر فكانه شرب منه اولا مقدارا لا يفي بمقاومة الدا فامره بمعاودة سقيه فلما تكررت الشربات بحسب
مادة الدا برا باذن الله تعالى وفي قوله صلى الله عليه وسلم وكذب بطن اخيك اشارة الى ان هذا الدوا نافع وان بقا
الدا ليس لقصور الدوا في الشفا ولكن لكثرة المادة الفاسدة فمن ثم امره بمعاودة شرب العسل لاستفراغها وقال
بعضهم ان العسل تارة يجري سريعا الى العروق وينفذ معه جل الغذاء ويدر البول فيكون قابضا وتارة يبقى في المعدة
فيهيجها بلذعة لها حتى يدفع الطعام ويسهل البطن فيكون مسهلا فانكار وصفه بالمسهل مطلقا قصور من المنكر
وقال ابن الجوزي في وصفه صلى الله عليه وسلم العسل لهذا المنسهل اربعة اقوال احدها انه حمل الاية على عمومها في الشفا
والى ذلك اشار بقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله اي في قوله شفا للناس فلما نبهه على هذه الحكمة تلقاها بالقبول فشفي
باذن الله تعالى الثاني ان الوصف المذكور على المالوف من عادتهم من التداوي بالعسل في الامراض كلها الثالث ان الموصوف
له ذلك كانت به هيضة كما تقدم تقريره الرابع يحتمل ان يكون امره بطبخ العسل قبل شربه فانه يعقد البلغم فلعله شربه اولا
بغير طبخ انتهى والثاني والرابع ضعيفان ويؤيد الاول حديث ابن مسعود عليكم بالشفائين العسل والقران اخرجه ابن ماجه
والحاكم مرفوعا واخرجه ابن ابي شيبة والحاكم موقوفا ورجاله رجال الصحيح واثر علي اذا اشتكى احدكم فليستوهب من امراته
من صداقها فليشتر به عسلا ثم ياخذ ماء السماء فيجمع هنيئا مريئا مباركا اخرجه ابن ابي حاتم في التفسير باسناد حسن وروينا
عنه رضي الله عنه انه قال اذا اراد احدكم الشفا فليكتب اية من كتاب الله في صحفة وليغسلها بماء السماء وليأخذ من امراته درهما
عن طيب نفس منها فليشتر به عسلا قال الحافظ ابن كثير بعد ان ذكره اي من وجوه قال الله تعالى وننزل من القران ما هو
شفا وقال وانزلنا من السماء ماء مباركا وقال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وقال في العسل فيه شفا للناس
ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من يبس الطبيعة بما يمشيه ويلينه روى الترمذي وابن ماجه وحسنه من حديث
اسما بنت عميس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا كنت تستمشين قالت بالشبرم قال حار جار قالت

فقال صدق الله

في هذا الوضوء وتمسك به المالكية لقوله طهارات وضوء
يقع في شي من طرق هذا الحديث التنصيص على مسح الراس في
الغسل لا يمسح فيه الراس بل يكتفي عنه بغسلها وعن جبير بن مطعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انا فافيض
على راسي ثلاثا واشار بيديه كلتيهما رواه البخاري وفيه عن ابي هريرة قال اقيمت الصلاة وعدلت الصفوف
قياما فخرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام في مصلاه ذكر انه جنب فقال لنا مكانكم ثم رجع
فاغتسل ثم خرج الينا وراسه يقطر فكبر فصلينا معه وقوله ذكر اي تذكر لا انه قال ذلك لفظا وعلم الراوي
بذلك من قراين الحال او باعلامه له بعد ذلك وظاهر قوله فكبر الاكتفاء بالاقامة السابقة فيؤخذ منه جواز التخلل
الكثير بين الاقامة والدخول في الصلاة وعنده ايضا من حديث ميمونة وضعت للنبي صلى الله عليه وسلم ماء
غسلا فسترته بثوب وصب على يديه فغسلهما ثم صب بيمينه على شماله فغسل فرجه فضرب بيده الارض فمسحها
ثم غسلها فتمضمض واستنشق وغسل وجهه وذراعيه ثم صب على راسه وافاض على جسده ثم تنحى فغسل
قدميه فناولته ثوبا فلم ياخذه فانطلق وهو ينفض يديه وقد استدل بعضهم بقولها فناولته ثوبا فلم ياخذه
على كراهة التنشيف بعد الغسل ولا حجة فيه لانها واقعة حال يتطرق اليها الاحتمال فيجوز ان يكون عدم الاخذ
لامر اخر لا يتعلق بكراهة التنشيف بل لامر يتعلق بالخرقة وغير ذلك قال المهلب يحتمل تركه الثوب
لابقاء بركة الما او للتواضع او لشي راه في الثوب من حرير او وسخ وقد وقع عند احمد في هذا الحديث عن الاعمش
قال فذكرت ذلك لابراهيم النخعي فقال لا باس بالمنديل وانما رده مخافة ان يصير عادة وقال التيمي في شرحه
في هذا الحديث دليل على انه كان يتنشف ولولا ذلك لم تاته بالمنديل وقال ابن دقيق العيد نفضه الماء بيده
يدل على ان لا كراهة في التنشيف لان كلا منهما ازالة وقال النووي اختلف اصحابنا فيه على خمسة اوجه
اشهرها ان المستحب تركه وقيل مكروه وقيل مباح وقيل مستحب وقيل مكروه في الصيف مباح في الشتاء وفي هذا
الحديث جواز نفض اليدين من ما الغسل وكذا الوضوء لكن فيه حديث ضعيف اورده الرافعي وغيره ولفظه
لا تنفضوا ايديكم في الوضوء فانها مراوح الشيطان قال ابن الصلاح لم اجده وتبعه النووي وقالت عائشة
كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضا للصلاة رواه البخاري وفيه رد على من
حمل الوضوء هنا على التنظيف وقولها وتوضا للصلاة اي وضوءا كما للصلاة اي وضوءا شرعيا لا لغويا وليس
المراد انه توضا لاداء الصلاة والحكمة فيه انه يخفف الحدث لا سيما على القول بجواز تفريق الغسل فينويه فيرتفع
الحدث عن تلك الاعضا المخصوصة على الصحيح ويؤيده ما رواه ابن ابي شيبة باسناد رجاله ثقات عن شداد بن
اوس الصحابي قال اذا اجنب احدكم من الليل ثم اراد ان ينام فليتوضا فانه نصف غسل الجنابة وقيل الحكمة فيه
انه احد الطهارتين فعلى هذا يقوم التيمم مقامه وقد روى البيهقي باسناد حسن عن عائشة انه صلى الله عليه
وسلم كان اذا اجنب فاراد ان ينام توضا او تيمم ويحتمل ان يكون التيمم هنا عند عسر وجود الما وقيل غير ذلك
انتهى ملخصا من فتح الباري **النوع الثاني في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم** اعلم ان الصلاة
تحصل تحقيق العبودية واداء حق الربوبية وساير العبادات وسايل الى تحقيق سر الصلاة وقد جمع الله تعالى
للمصلين في كل ركعة ما فرق على اهل السموات فلله ملايكة في الركوع منذ خلقهم الله تعالى لا يرفعون من الركوع
الى يوم القيامة وهكذا السجود والقيام والقعود واجتمع فيها ايضا من العبوديات ما لم يجتمع في غيرها منها
الطهارة والصمت واستقبال القبلة والاستفتاح بالتكبير والقراءة والقيام والركوع والسجود والتسبيح
في الركوع والدعا في السجود الى غير ذلك فهو مجموع عبادات على حدة لان الذكر مجرد عبادة وكذا كل فرد فرد

وقد أمر الله تعالى نبيه بالصلاة في قوله سبحانه اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة وقال تعالى
وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها وفي ذلك كما نبه عليه صاحب كتاب التنوير أمدنا الله بمدده إشارات
الى أن في الصلاة تكليفا للنفوس شاقا عليها لأنها تأتي في أوقات ملاذ العباد واشتغالهم فطالبهم
بالخروج عن ذلك كله الى القيام بين يديه والفراغ مما سوى الله تعالى فلذلك قال تعالى واصطبر عليها
ومما يدلك على أن في القيام بالصلاة تكاليف العبودية وأن القيام بها على خلاف ما تقتضيه البشرية
قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين فجعل الصبر والصلاة مقترنين إشارة
الى أنه يحتاج في الصلاة الى الصبر صبر على ملازمة أوقاتها وصبر على القيام بمسنوناتها وآدابها وصبر
يمنع القلوب عن غفلاتها ولذلك قال بعد ذلك وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين فأفرد الصلاة بالذكر ولم يفرد الصبر
به إذ لو كان كذلك لقال وإنه لكبير فذلك يدل على ما قلناه أو لأن الصبر والصلاة متقاربان متلازمان
متى ثبت أحدهما ثبت الآخر كما قال تعالى في الآية الأخرى والله ورسوله أحق أن يرضوه انتهى ملخصا ثم إن الكلام
فيها ينقسم الى خمسة أقسام **القسم الأول** في الفرائض وما يتعلق بها وفيه أبواب **الأول** في الصلوات الخمس
وفيه فصول **الأول في فرضها** عن أنس قال فرضت على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به خمسين صلاة
ثم نقصت حتى جعلت خمسا ثم نودي يا محمد إنه لا يبدل القول لدي وإن لك بهذه الخمس خمسين رواه
الترمذي هكذا مختصرا ورواه البخاري ومسلم في حديث طويل تقدم في مقصد الإسراء ما فيه من المباحث
وعن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة رواه
مسلم وأبو داود والنسائي وقوله وفي الخوف ركعة محمول على أن المراد ركعة مع الإمام وينفرد بالأخرى
وعن عائشة فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم أتمها في الحضر وأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى رواه
البخاري وعنده في كتاب الهجرة من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت فرضت الصلاة ركعتين
ثم هاجر صلى الله عليه وسلم ففرضت أربعا فعين في هذه الرواية أن الزيادة في قوله في الحديث الذي قبله وزيد
في صلاة الحضر وقعت بالمدينة وقد أخذ بظاهر هذا الحديث الحنفية وبنوا عليه أن القصر في السفر عزيمة لا رخصة
واحتج مخالفهم بقوله تعالى فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة لأن نفي الجناح لا يدل على العزيمة والقصر
إنما يكون من شيء أطول منه ويدل على أنه رخصة أيضا قوله عليه السلام صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا
صدقته رواه مسلم وأما خبر فرضت الصلاة ركعتين في السفر فمعناه لمن أراد الاقتصار عليهما جمعا بين الأخبار
قاله في المجموع **الفصل الثاني في ذكر تعيين الأوقات** التي صلى فيها صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس
عن جابر أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه مواقيت الصلاة فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله
عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت الشمس وأتاه حين
كان الظل مثل ظل شخصه فصنع كما صنع فتقدم جبريل ورسول الله خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم فصلى العصر ثم أتاه حين وجبت الشمس فتقدم جبريل ورسول الله خلفه والناس خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصلى المغرب ثم أتاه حين غاب الشفق فتقدم جبريل ورسول الله خلفه والناس خلف رسول الله
فصلى العشاء ثم أتاه حين انشق الفجر فتقدم جبريل ورسول الله خلفه والناس خلف رسول الله فصلى الغداة ثم أتاه
في اليوم الثاني حين كان ظل الرجل مثل شخصه فصنع كما صنع بالأمس فصلى الظهر ثم أتاه حين كان ظل الرجل
مثلي شخصه فصنع كما صنع بالأمس فصلى العصر [illegible] وجبت الشمس وصنع كما صنع بالأمس فصلى العشا

ثم أتاه

ثم أتاه حين امتد الفجر وأصبح والنجوم بادية مشتبكة وصنع كما صنع بالأمس فصلى الغداة ثم قال ما بين هاتين
الصلاتين وقت رواه النسائي وفي رواية قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت
الشمس وكان الفيء قدر الشراك ثم صلى العصر حين كان الفيء قدر الشراك وظل الرجل ثم صلى المغرب حين
غابت الشمس ثم صلى العشاء حين غاب الشفق ثم صلى الفجر حين طلع الفجر ثم صلى الغداة الظهر حين كان الظل
طول الرجل ثم صلى العصر حين كان ظل الرجل مثليه ثم صلى المغرب حين غابت الشمس ثم صلى العشاء الى ثلث
الليل أو نصف الليل شك أحد رواته ثم صلى الفجر فأسفر وعن ابن عباس قال قال صلى الله عليه وسلم أمني جبريل
عند البيت مرتين فصلى الظهر في الأولى حين كان الفيء مثل الشراك ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثله ثم
صلى المغرب حين وجبت الشمس وأفطر الصائم ثم صلى العشاء حين غاب الشفق ثم صلى الفجر حين برق الفجر
وحرم الطعام على الصائم وصلى المرة الثانية الظهر حين كان ظل كل شيء مثله كوقت العصر بالأمس ثم صلى
العصر حين كان ظل كل شيء مثليه ثم صلى المغرب لوقته الأول ثم صلى العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل ثم
صلى الصبح حين أسفرت ثم التفت الى جبريل فقال يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك والوقت فيما بين هذين
الوقتين رواه الترمذي وغيره وقوله صلى بي الظهر حين كان ظله مثله أي فرغ منها حينئذ كما شرع في العصر
في اليوم الأول حينئذ فلا اشتراك بينهما في وقت ويدل عليه حديث مسلم وقت الظهر إذا زالت الشمس
ما لم يحضر العصر وقوله في حديث جابر فصلى الظهر حين زالت الشمس يقتضي جواز فعل الظهر إذا زالت الشمس
ولا ينتظر بها وجوبا ولا ندبا مصير الفيء مثل الشراك كما اتفق عليه أئمتنا ودلت عليه الأخبار الصحيحة وأما
حديث ابن عباس فالمراد به أنه حين زالت الشمس كان الفيء حينئذ مثل الشراك لا أنه أخر الى أن صار مثل الشراك
ذكره في المجموع وقد بين ابن إسحق في المغازي أن صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم كانت صبيحة الليلة التي فرضت
فيها الصلاة وهي ليلة الإسراء ولفظه وقال نافع بن جبير وغيره لما أصبح صلى الله عليه وسلم من الليلة التي أسري به
لم يرعه إلا جبريل نزل حين زاغت الشمس ولذلك سميت الأولى أي صلاة الظهر فأمر فصيح بأصحابه الصلاة جامعة
فاجتمعوا فصلى به جبريل وصلى النبي بأصحابه فذكر الحديث وفيه رد على من زعم أن بيان الأوقات إنما وقع بعد الهجرة
والحق أن ذلك وقع قبلها ببيان جبريل وبعدها ببيان النبي صلى الله عليه وسلم وإنما دعاهم بقوله الصلاة جامعة
لأن الأذان لم يكن شرع يومئذ واستدل بهذا الحديث على جواز الائتمام بمن يأتم بغيره ويجاب عنه بما يجاب
عن قصة أبي بكر في صلاته خلف النبي صلى الله عليه وسلم وصلاة الناس خلفه فإنه محمول على أنه كان مبلغا فقط
كما سيأتي تقريره إن شاء الله تعالى وقد صلى صلى الله عليه وسلم العصر والشمس في حجرة عائشة لم يظهر الفيء من حجرتها
رواه البخاري وقال أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي العصر والشمس مرتفعة حية فيذهب الذاهب الى
العوالي فيأتيهم والشمس مرتفعة وبعض العوالي من المدينة على أربعة أميال رواه البخاري ومسلم وفي ذلك دليل
على تعجيله صلى الله عليه وسلم بصلاة العصر لوصف الشمس بالارتفاع بعد أن تمضي مسافة أربعة أميال والمراد بالشمس
ضوؤها وعن سلمة بن الأكوع أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي المغرب إذا غربت الشمس وتوارت بالحجاب رواه
البخاري ومسلم والترمذي وعن رافع بن خديج كنا نصلي المغرب مع النبي صلى الله عليه وسلم فينصرف أحدنا وإنه ليبصر
مواقع نبله رواه البخاري ومسلم والنبل السهام العربية أي يبصر مواقع سهامه إذا رمى بها وفيه
المبادرة بالمغرب في أول وقتها بحيث أن الفراغ منها يقع والضوء باق وكان صلى الله عليه وسلم إذا كان الحر
أبرد بالصلاة وإذا كان البرد عجل رواه النسائي من حديث أنس ويؤخر العصر ما دامت الشمس بيضاء نقية رواه
أبو داود من رواية علي بن شيبان وقال عليه السلام إذا قدم العشاء فابدؤوا به قبل صلاة المغرب ولا تعجلوا عن

عشائكم رواه البخاري ومسلم وعند أبي داود لا تؤخروا الصلاة لطعام ولا غيره وأعتم صلى الله عليه وسلم
بالعشاء ليلة حتى ناداه عمر الصلاة نام النساء والصبيان فخرج صلى الله عليه وسلم فقال ما ينتظرها من أهل
الأرض أحد غيركم قال ولا يصلى يومئذ إلا بالمدينة وكانوا يصلون فيما بين أن يغيب الشفق إلى ثلث الليل الأول
زاد في رواية وذلك قبل أن يفشو الإسلام وفي رواية فخرج ورأسه يقطر يقول لولا أن أشق على أمتي أو على الناس
لأمرتهم بالصلاة هذه الساعة رواه البخاري ومسلم وفي رواية لأبي داود من حديث أبي سعيد فلم يخرج حتى
مضى نحو من شطر الليل فقال خذوا مقاعدكم فأخذنا مقاعدنا فقال إن الناس قد صلوا وأخذوا مضاجعهم
وإنكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة ولولا ضعف الضعيف وسقم السقيم لأخرت هذه الصلاة إلى شطر
الليل وفي حديث أبي هريرة لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يؤخروا العشاء إلى ثلث الليل أو نصفه صححه الترمذي
فعلى هذا من وجد به قوة على تأخيرها ولم يغلبه النوم ولم يشق على أحد من المأمومين فالتأخير في حقه أفضل
وقد قرر النووي ذلك في شرح مسلم وهو اختيار كثير من أهل الحديث من الشافعية وغيرهم وقال الطحاوي
يستحب إلى الثلث وبه قال مالك وأحمد وأكثر الصحابة والتابعين وهو قول الشافعي في الجديد وقال في القديم
التعجيل أفضل وكذا قال في الإملاء وصححه النووي وجماعة وقالوا إنه مما يفتى به على القديم وتعقب بأنه ذكره في
الإملاء وهو من كتبه الجديدة والمختار من حيث الدليل أفضلية التأخير قاله في فتح الباري ه

الفصل الثالث

في ذكر كيفية صلاته صلى الله عليه وسلم وفيه فروع **الأول في صفة افتتاحه** صلى الله عليه وسلم روى أبو داود
أنه عليه الصلوة والسلام سمع بلالا أنه يقيم الصلوة فلما قال قد قامت الصلاة قال أقامها الله وأدامها
وكان صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير رواه عبد الرزاق من حديث عائشة وروى البخاري عن ابن عمر
قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم افتتح التكبير في الصلاة واستدل بهما على تعين لفظ التكبير دون غيره من ألفاظ
التعظيم وهو قول الجمهور ووافقهم أبو يوسف وعن الحنفية ينعقد بكل لفظ يقصد به التعظيم وقد روى البزار
بإسناد صحيح على شرط مسلم عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام إلى الصلاة قال الله أكبر ولأحمد
والنسائي من طريق واسع بن حبان أنه سأل ابن عمر عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله أكبر كلما
وضع ورفع ويعلم أن تكبيرة الإحرام ركن عند الجمهور وقيل شرط وهو مذهب الحنفية ووجه عند الشافعية
وقيل سنة قال ابن المنذر لم يقل به أحد غير الزهري ولم يختلف أحد في إيجاب النية في الصلاة قال البخاري في
أواخر الإيمان باب ما جاء في قوله عليه السلام الأعمال بالنية فدخل فيه الإيمان والوضوء والصلاة والزكوة
قال ابن القيم في الهدي النبوي كان صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة قال الله أكبر ولم يقل شيئا قبلها
ولا تلفظ بالنية ولا قال أصلي صلاة كذا مستقبل القبلة أربع ركعات إماما أو مأموما ولا أداء ولا قضاء ولا
فرض الوقت قال وهذه عشر بدع لم ينقل عنه أحد قط بإسناد صحيح ولا ضعيف ولا مسند ولا مرسل لفظة
واحدة البتة بل ولا عن أحد من الصحابة ولا استحسنه أحد من التابعين ولا الأئمة الأربعة وقول الشافعي في
الصلاة إنها ليست كالصيام فلا يدخل أحد فيها إلا بذكر أي تكبيرة الإحرام ليس إلا وكيف يستحب الشافعي أمرا
لم يفعله صلى الله عليه وسلم في صلاة واحدة ولا أحد من أصحابه انتهى وعبارة الشافعي في كتاب المناسك ولو
نوى الإحرام بقلبه ولم يلب أجزأه وليس كالصلاة لأن في أولها نطقا واجبا هذا نصه وقد قال الشيخ أبو علي
السنجي في شرح التلخيص وابن الرفعة في المطلب والزركشي في الديباج وغيرهم إنما أراد الشافعي بذلك تكبيرة الإحرام
قطعا انتهى وبالجملة فلم ينقل أحد أنه عليه السلام تلفظ بالنية ولا علم أحدا من أصحابه التلفظ بها ولا أقره على ذلك
بل المنقول عنه في السنن أنه قال مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم وفي الصحيحين

أنه عليه السلام لما علم المسيء صلاته فقال له إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن
فلم يأمره بالتلفظ بشيء قبل التكبير نعم اختلف العلماء في التلفظ بها فقال قائلون هو بدعة لأنه لم ينقل
فعله وقال آخرون هو مستحب لأنه عون على استحضار النية القلبية وعبادة للسان كما أنها عبادة
للقلب والأفعال المنوية عبودية للجوارح ونحو ذلك أجاب الشيخ تقي الدين السبكي والحافظ عماد الدين
ابن كثير وأطنب ابن القيم في زاد المعاد في رد الاستحباب وأكثر من الاستدلال بما في ذكره طول
خروج عن المقصود لا سيما والذي استقر عليه أصحابنا استحباب النطق بها وقاسه بعضهم على ما في الصحيحين
من حديث أنس أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا يقول لبيك عمرة وحجا وفي البخاري
من حديث عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو بوادي العقيق أتاني الليلة آت من ربي فقال
صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة وهذا تصريح باللفظ والحكم كما يثبت بالنص يثبت بالقياس لكن
تعقب هذا بأنه عليه السلام قال ذلك في ابتداء إحرامه تعليما للصحابة ما يهلون به ويقصدونه من النسك
وامتثالا للأمر الذي جاءه من ربه تعالى في ذلك الوادي ولقد صلى عليه السلام أكثر من ثلثين ألف صلاة فلم ينقل عنه
أنه قال نويت أصلي صلاة كذا وكذا وتركه سنة كما أن فعله سنة فليس لنا أن نسوي بين ما فعله وتركه فنأتي
من القول في الموضع الذي تركه بنظير ما أتى به في الموضع الذي فعله والفرق بين الحج والصلاة أظهر من أن يقاس أحد
على الآخر انتهى ما قاله هذا المتعقب فليتأمل وكان صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى
يكونا حذو منكبيه ثم يكبر فإذا أراد أن يركع فعل مثل ذلك وإذا رفع رأسه من الركوع فعل مثل ذلك وفي رواية وإذا
رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك أيضا وقال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد وفي أخرى نحوه وقال ولا
يفعل ذلك حين يسجد ولا حين يرفع من السجود رواه البخاري ومسلم وعند أبي داود من حديث علقمة كان صلى
الله عليه وسلم إذا قام من سجدتين كبر ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما صنع حين افتتح وهو قطعة من
حديث رواه أيضا الترمذي وكان يكبر في كل خفض ورفع رواه مالك قال النووي أجمعت الأمة على استحباب
رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام واختلفوا فيما سواها فقال الشافعي وأحمد وجمهور العلماء من الصحابة يستحب
أيضا رفعهما عند الركوع وعند الرفع منه وهو رواية عن مالك وللشافعي قول أنه يستحب رفعهما في موضع رابع وهو
إذا قام من التشهد الأول وهذا القول هو الصواب فقد صح فيه حديث ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان
يفعله رواه البخاري وكان صلى الله عليه وسلم يضع يده اليمنى على اليسرى رواه أبو داود ومذهب الشافعي
والأكثرين أن المصلي إذا وضع يديه حطهما تحت صدره فوق سرته وقال أبو حنيفة وبعض أصحاب الشافعي تحت
سرته وكان عليه الصلوة والسلام يسكت بين التكبير والقراءة إسكاتة فقال له أبو هريرة بأبي أنت وأمي إسكاتك
بين التكبير وبين القراءة ما تقول قال أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب
اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد رواه البخاري
ومسلم وعن علي كان صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة وفي رواية إذا افتتح الصلاة كبر ثم قال وجهت
وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين
لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت
بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني
سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت

وتعاليت استغفرك واتوب اليك الحديث رواه مسلم وعن عايشة كان صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك رواه الترمذي وابو داود وعن جبير بن مطعم
انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال ابن عمر نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة رواه ابو داود
وعن محمد بن مسلمة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام يصلي تطوعا قال الله اكبر وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما انا من المشركين وذكر الحديث مثل حديث جابر الا انه قال وانا
من المسلمين ثم قال اللهم انت الملك لا اله الا انت سبحانك وبحمدك ثم يقرا رواه النسايي **الفرع الثاني**
في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم **البسملة في اول الفاتحة** روى عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم رواه ابو داود وقال الترمذي ليس اسناده بذاك ورواه الحاكم عن ابن عباس
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ثم قال صحيح وفي صحيح ابن خزيمة عن ام سلمة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وعدها اية لكنه من رواية عمر بن هرون البلخي
وفيه ضعف عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة عنها وروى الحافظ ابو بكر احمد بن موسى بن مردويه في تفسيره عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين سبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم احداهن وهي السبع
المثاني والقران العظيم وهي ام الكتاب ورواه الدارقطني ايضا عن ابي هريرة مرفوعا نحوه او مثله وقال كلهم ثقات
وروى البيهقي عن علي وابن عباس وابي هريرة انهم فسروا قوله تعالى سبعا من المثاني بالفاتحة وان البسملة هي الاية السابعة
منها وعن شعبة عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين
رواه البخاري اي كانوا يفتتحون بالفاتحة وفي رواية مسلم فلم اسمع احدا منهم يقرا بسم الله الرحمن الرحيم كما اخرجه
مسلم وغيره لكنه حديث معلول اعله الحفاظ كما هو في كتب علوم الحديث وفي شرح الالفية للعراقي لشيخنا
الحافظ ابي الخير السخاوي رحمه الله تعالى في باب المعلل ما نصه وعلة المتن القادحة فيه كحديث نفي قراءة البسملة
في الصلاة المروي عن انس اذ ظن راو من رواته حين سمع قول انس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر
وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين في صحيح البخاري وكذا عند ...
قال سيل انس نفي البسملة فنقله مصرحا بما ظنه وقال لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول قراءة ولا في اخرها
وفي لفظ فلم يكونوا يفتتحون القراءة ببسم الله وصار بمقتضى ذلك حديثا مرفوعا وكذلك مخطي في ظنه ولذا قال
الشافعي رحمه الله في الام ونقله عنه الترمذي في جامعه المعنى انهم يبدوون بقراءة ام القران قبل ما يقرا بعدها
لا انهم يتركون البسملة اصلا ويؤيد ذلك ثبوت تسمية ام القران بجملة الحمد لله رب العالمين في صحيح البخاري
وكذا عند قتادة قال سيل انس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرا بسم الله
الرحمن الرحيم يمد الرحمن ويمد الرحيم اخرجه البخاري في صحيحه وكذا صححه الدارقطني والحازمي وقال انه لا علة له
لان الظاهر كما اشار اليه ابو شامة ان قتادة لما سال انسا عن الاستفتاح في الصلاة باي سورة واجابه
بالحمد لله سال عن كيفية قراءته فيها وكانه لم يتوهم السايل مما نعاه من تعيينه بعبارة خصوصا وهو السايل
اولا وقد اخرج ابن خزيمة في صحيحه وصححه الدارقطني ان ابا مسلمة سعيد بن زيد سال انسا اكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يستفتح بالحمد لله او ببسم الله عن انس فقال لا احفظ فيه شيا قال وهذا مما يبادر به خطا الناقص في
ولكن قد روى هذا الحديث عن انس جماعة منهم حميد وقتادة والتحقيق ان المعلل رواية حميد خاصة ان رفعها

وهم

وهم من الوليد بن مسلم عن مالك عنه بل ومن بعض اصحاب حميد ايضا عنه فانما في سائر الموطات
عن مالك صليت وراء ابي بكر وعمر وعثمان فكلهم كانوا لا يقرا بسم الله لا ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فيه
وكذا الذي عند سائر حفاظ اصحاب حميد عنه انما هو في الوقف خاصة وبه صرح ابن معين عن ابن ابي
عدي حيث قال ان حميدا كان اذا رواه عن انس لم يرفعه واذا قال فيه عن قتادة عن انس رفعه واما
رواية قتادة وهي رواية الوليد بن مسلم وغيره عن الاوزاعي ان قتادة كتب اليه يخبره ان انسا حدثه
قال صليت فذكره بلفظ لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول قراءة ولا في اخرها فلم يتفق اصحابه عنه
على هذا اللفظ بل اكثرهم لا ذكر عندهم للنفي فيه وجماعة منهم بلفظ فلم يكونوا يجهرون ببسم الله وممن اختلف
عليه فيه من اصحابه شعبة فجماعة منهم غندر لا ذكر عندهم فيه للنفي وابو داود الطيالسي فقط حيثما وقع
من طريق غير واحد عنه فلم يكونوا يفتتحون القراءة ببسم الله وهي موافقة للاوزاعي وابو عمر والدوري وكذا
الطيالسي وعنه ايضا بلفظ فلم اسمع احدا منهم يقرا ببسم الله بل كذا اختلف كما عن قتادة من اصحاب انس
فاسحق بن ابي طلحة وثابت البناني باختلاف عليهما ومالك بن دينار بلانهم عن انس بدون نفي واسحق وثابت
ايضا ومنصور بن زاذان وابو قلابة وابو نعامة كلهم عنه باللفظ النافي للجهر خاصة ولفظ اسحق منهم يفتتحون
القراءة بالحمد لله رب العالمين فيما يجهر فيه وحينئذ فطريق الجمع بين هذه الروايات كما قال شيخنا يعني شيخ الاسلام
ابن حجر رحمه الله ممكن بحمل نفي القراءة على نفي السماع ونفي السماع على نفي الجهر ويؤيده ان لفظ رواية منصور بن زاذان
فلم يسمعنا قراءة بسم الله واصرح منها رواية الحسن عن انس كما عند ابن خزيمة كانوا يسرون ببسم الله وبهذا الجمع
زالت دعوى الاضطراب كما انه ظهر ان الاوزاعي الذي رواه عن قتادة مكاتبة مع كون قتادة ولد اكمه وكاتبه
مجهول لعدم تسميته لم ينفرد به وحينئذ فيجاب عن قول انس لا احفظه بان المثبت مقدم على النافي خصوصا
وقد تضمن النفي عدم استحضار انس رضي الله عنه لاهم شي يستحضره وبامكان نسيانه حين سوال ابي مسلمة
له وتذكره له بعد فانه ثبت ان قتادة ساله ايقرا الرجل في الصلاة بسم الله فقال صليت وراء رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابي بكر وعمر فلم اسمع احدا منهم يقرا ببسم الله ويحتاج اذا استقر محصل حديث انس على نفي الجهر الى دليل
له وان لم يكن من مباحثنا وقد ذكر له الشارح دليلا ولم يشرحه شيخنا يعني الحافظ ابن حجر بما نوجهه منه ذلك بل قال
ان حديث نعيم المجمر صليت وراء ابي هريرة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرا بام القران حتى بلغ ولا الضالين وقال الناس
امين وكان كلما سجد واذا قام من الجلوس في الاثنتين يقول الله اكبر ويقول اذا سلم والذي نفسي بيده اني
لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم اصح حديث ورد فيه ولا علة له وممن صححه ابن خزيمة وابن حبان
ورواه النسايي والحاكم وقد بوب عليه النسايي الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ولكن تعقب الاستدلال به باحتمال
ان يكون ابو هريرة اراد بقوله اشبهكم في معظم الصلاة لا في جميع اجزايها لا سيما وقد رواه عنه جماعة غير نعيم
بدون ذكر البسملة واجيب بان نعيما ثقة وزيادته مقبولة والخبر ظاهر في جميع الاجزا فيحمل على عمومه حتى يثبت
دليل يخصه ومع ذلك ففيه نظر لاحتمال ان يكون سماع نعيم لها عن ابي هريرة حال مخافتته لقربه منه وقد
قال عز الدين الرازي في تصنيفه له في الفاتحة روى الشافعي باسناده ان معوية قدم المدينة فصلى بهم ولم
يقرا بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض الى الركوع والسجود ~~فاعاد الصلاة مع التسمية والتكبير ثم قال~~
فلما سلم ناداه المهاجرون والانصار يا معوية سرقت الصلاة اين بسم الله الرحمن الرحيم واين التكبير عند الركوع
والسجود فاعاد الصلاة مع التسمية والتكبير ثم قال الشافعي وكان معوية سلطانا عظيم القوة شديد الشوكة

فلولا ان الجهر بالتسمية كان الامر المستقر عند كل الصحابة من المهاجرين والانصار لما قدر احد على اظهار الانكار
عليه بسبب تركه انتهى وهذا حديث حسن اخرجه الحاكم في صحيحه والدارقطني وقال ان رجاله ثقات
ثم قال الامام بعد وقد بينا ان هذا يعني الانكار المتقدم يدل على ان الجهر بهذه الكلمة كان الامر المتواتر فيما
بينهم وكذا قال الترمذي عقب ايراده تعداد من جهر بالجهر بالبسملة حديث معتمر بن سليمن عن اسمعيل بن
حماد بن ابي سليمن عن ابي خالد الوالبي الكوفي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته ببسم
الله الرحمن الرحيم ووافقه على تخريجه الدارقطني وابو داود وضعفه بل قال الترمذي ليس اسناده بذاك والبيهقي
في المعرفة واستشهد له بحديث سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم يمد بها صوته الحديث وهو عند الحاكم في مستدركه ايضا ما نصه وقد قال
بها عدة من اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ابو هريرة وابن عمر وابن الزبير ومن بعدهم من
التابعين رأوا الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وبه يقول الشافعي انتهى وقال الشيخ ابو شامه بن القاسم والذي
يزول معه تحقيق هذه المسئلة ينبغي ان يعرف ان هذه المسئلة تعلق القراات امس وذلك ان من القراء الذين صحت
قراءتهم وتواترت عن النبي صلى الله عليه وسلم من كان يقرؤها اية من الفاتحة وهم عاصم وحمزة والكسائي
وابن كثير وغيرهم من الصحابة والتابعين ومنهم من لا يعدها اية من الفاتحة كابن عامر وابي عمرو ونافع في رواية
عنه وحكم قراءتها في الصلاة حكم قراءتها خارجها فمن قرأ على قراءة من جعلها من ام القران لزمه ان يقرأها
ومن قرأ على قراءة من لم يرها من ام القران فهو مخير بين القراءة والترك فحينئذ الخلاف فيها كالخلاف في حرف من
حروف القران وحينئذ القولين صحيح ثابت لا مطعن على مثبته ولا على منفيه ولا ريب ان النبي صلى الله عليه وسلم
تارة قرأها وتارة لم يقرأها هذا اقوى الاقوال ثم قال والمستيقن الذي يجب المصير اليه ان كلا من
العلمين ثابت لانه لا يختلف اثنان من اهل الاسلام ان هذه القراات السبع كلها حق مقطوع بها من عند الله
وليست هذه اول كلمة ولا اول حرف اختلف في اثباته وحذفه وفي سورة من القران ليس فيها ذلك كلفظ هو
في سورة الحديد وهو الغني الحميد ولفظ من في سورة التوبة في قوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار والفات
علامات وواوات وهاات كذلك وكل هذا من نتيجة كون القران نزل على سبعة احرف وهذا هو الذي يدلك على
بطلان قول من لم يجعلها من الفاتحة لموضع اختلاف الناس فيها وقوله ان الخلاف لا يثبت معه قران فما ادري
ما هذا الظن وهذا الذي ذكرناه هو الذي يرتفع عن تلك التقريرات من الجانبين ثم قال ولا ريب ان الواقع
من النبي صلى الله عليه وسلم كلا الامرين الجهر والاسرار فجهر واسر غير ان الاسرار كان اكثر من جهره وقد
صح في الجهر احاديث لا مطعن فيها لمنصف عري الانه احاديث كما انه قد صح في الاسرار ايضا احاديث لا مطعن فيها
لعار من العصبية ولا يلتفت لمن يقول ان الواقع من النبي صلى الله عليه وسلم كان الجهر فقط انتهى وقيل لبعض العارفين
ماذا ترى في اظهار اسم الامام الشافعي وطلب ذكره فقال لانه طلب ذلك باظهار اسم الله في البسملة لكل صلاة انتهى

الفرع الثالث في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم الفاتحة وقوله امين بعدها كان صلى الله عليه وسلم
اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال آمين ومد بها صوته وفي رواية وخفض بها صوته رواه
الترمذي وفي رواية ابي داود ورفع بها صوته وفي جهر بامين وقال ابن شهاب وكان صلى الله عليه وسلم
اذا قال ولا الضالين جهر بامين اخرجه السراج ولابن حبان من رواية الزبيدي عن ابن شهاب كان اذا
فرغ من قراءة ام القران رفع صوته وقال امين وللحميدي من طريق سعيد المقبري عن ابي هريرة بنحوه بلفظ اذا

قال

قال ولا الضالين ولابي داود وصححه ابن حبان من حديث وائل بن حجر نحو رواية الزبيدي وفيه رد على من
اومى الى النسخ قال انما كان صلى الله عليه وسلم يجهر بالتامين في ابتداء الاسلام ليعلمهم فان وائل بن حجر
انما اسلم في اواخر الامر **الفرع الرابع في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم بعد الفاتحة في صلاة الغداة**
عن ابي برزة كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الغداة ما بين الستين الى المائة رواه النسائي وعن عمرو
ابن حريث انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر والليل اذا عسعس رواه مسلم وفي رواية النسائي يقرأ
في الفجر اذا الشمس كورت وعن جابر بن سمرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر بق والقران المجيد
ونحوها وكانت قراءته بعد تخفيفا رواه مسلم وعن عبد الله بن السائب قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصبح بمكة فاستفتح سورة المؤمنين حتى جاء ذكر موسى وهرون او ذكر عيسى شك الراوي او اختلف عليه
اخذت النبي صلى الله عليه وسلم سعلة فركع الحديث رواه مسلم قال النووي فيه جواز قطع القراءة وجواز
القراءة ببعض السورة وكرهه مالك انتهى وتعقب بان الذي كرهه مالك ان يقتصر على بعض السورة مختارا
والمستدل به ظاهر في انه كان للضرورة فلا يرد عليه وكذا يرد على من استدل به على انه لا يكره قراءة بعض الاية
لخامس قوله حتى جاء ذكر موسى وهرون او ذكر عيسى لان كلا من الموضعين يقع في وسط اية نعم الكراهة لا تثبت
الا بدليل وادلة الجواز كثيرة وفي حديث زيد بن ثابت انه صلى الله عليه وسلم قرأ الاعراف في الركعتين وامّ ابو بكر
الصحابة في صلاة الصبح بسورة البقرة قرأها في الركعتين وهذا اجماع منهم وقرأ في الصبح اذا زلزلت في الركعتين كلتيهما
قال الراوي فلا ادري انسي ام قرأ ذلك عمدا رواه ابو داود وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ في صبح الجمعة الم تنزيل السجدة
وهل اتى على الانسان حين من الدهر رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي من حديث ابي هريرة
وانما كان يقرأهما كاملتين وقراءة بعضهما خلاف السنة وانما كان يقرأهما لما اشتملتا عليه من ذكر المبدأ
والمعاد وخلق ادم ودخول الجنة والنار واحوال يوم القيمة لان ذلك كان ويقع يوم الجمعة ذكره ابن دحيه والعلم
المشهور وقرره تقريرا حسنا كما افاده الحافظ ابن حجر قال وقد ورد في حديث ابن مسعود التصريح بمداومته صلى
الله عليه وسلم على قراءتهما في صبح الجمعة اخرجه الطبراني ولفظه يديم ذلك واصله في ابن ماجه لكن بدون هذه الزيادة
ورجاله ثقات لكن صوب ابو حاتم ارساله قال وكأن ابن دقيق العيد لم يقف عليه فقال في الكلام على حديث
الباب ليس في الحديث ما يقتضي فعل ذلك دائما اقتضاء قويا وهو كما قال بالنسبة لحديث الباب فان الصيغة
ليست نصا في المداومة لكن الزيادة المذكورة نصا وهذه الزيادة شاهد من حديث ابن عباس بلفظ كل جمعة
اخرجه الطبراني في الكبير واما تعيين السورة للركعة فورد من حديث علي عند الطبراني بلفظ كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعة الاولى من صلاة الصبح يوم الجمعة الم تنزيل وفي الركعة الثانية هل اتى على الانسان
قال وقد اختلف تعليل المالكية لكراهة قراءة السجدة في الصلاة فقيل لكونها تشتمل على زيادة سجود في الفرض قال
القرطبي وهو تعليل فاسد بشهادة هذا الحديث وقيل لخشية التخليط على المصلين ومن ثم فرق بعضهم بين الجهرية
والسرية لان الجهرية يؤمن معها التخليط لكن صح من حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة فيها سجدة
في صلاة الظهر فسجد بهم فيها رواه ابو داود والحاكم فبطلت التفرقة ومنهم من علل الكراهة بخشية اعتقاد العوام
انها فرض قال ابن دقيق العيد اما القول بالكراهة مطلقا فيأباه الحديث لكن اذا انتهى الحال الى وقوع
هذه المفسدة فينبغي ان تترك احيانا لتندفع فان المستحب قد يترك لدفع المفسدة المتوقعة وهو يحصل بالترك في بعض
الاوقات انتهى وقال صاحب المحيط من الحنفية يستحب قراءتهما في صبح يوم الجمعة بشرط ان يقرأ غيرهما احيانا
لئلا يظن الجاهل انه لا يجزي غيره قال ولم ار في شيء من الطرق التصريح بانه صلى الله عليه وسلم سجد لما قرأ سورة

الم تنزيل في هذا المحل الا في كتاب الشريعة لابي داود من طريق اخرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
غدوت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة في صلاة الفجر فقرا سورة فيها سجدة فسجد الحديث وفي اسناده
من ينظر في حاله انتهى وعن علي عند الطبراني في المعجم الاوسط ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد في الصبح
يوم الجمعة في الم تنزيل وهذه الزيادة حسنة تدفع احتمال ان يكون قرا السورة ولم يسجد ه الفرع الخامس
في ذكر قرائته صلى الله عليه وسلم في صلاتي الظهر والعصر عن ابي قتادة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقرا في الظهر في الاوليين بام الكتاب وسورتين وفي الركعتين الاخريين بام الكتاب ويسمعنا الاية احيانا
ويطول في الركعة الاولى ما لا يطيل في الركعة الثانية وهكذا في العصر وهكذا في الصبح رواه البخاري ومسلم ه
قال الشيخ تقي الدين السبكي كان السبب في تطويله الاولى على الثانية ان النشاط في الاولى يكون اكثر ه
فناسب التخفيف في الثانية حذرا من الملل انتهى وروى عبد الرزاق عن معمر عن يحيى اخر هذا الحديث فظننا
انه يريد بذلك ان يدرك الناس الركعة الاولى وعن ابي سعيد الخدري قال كنا نحزر اي نقدر قيام رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الظهر والعصر فحزرنا قيامه في الركعتين الاوليين من الظهر قدر الم تنزيل السجدة ه
وفي رواية في كل ركعة قدر ثلثين اية وحزرنا قيامه في الاخريين قدر النصف من ذلك وحزرنا في الركعتين
الاوليين من العصر على قدر قيامه في الاخريين من الظهر وفي الاخريين من العصر على النصف رواه مسلم ه
وعن جابر بن سمرة كان صلى الله عليه وسلم يقرا في الظهر والعصر بالليل اذا يغشى وفي رواية بسبح اسم ربك الاعلى
وفي العصر نحو ذلك رواه مسلم وعنه كان يقرا في الظهر والعصر بالسماء ذات البروج والسماء والطارق رواه ابو داود
والترمذي وعن البراء كنا نصلي خلفه صلى الله عليه وسلم الظهر فنسمع منه الاية بعد الايات من لقمن والذاريات
رواه النسائي قال ابن دقيق العيد فيه دليل على جواز الاكتفاء بظاهر الحال في الاخبار دون التوقف
على اليقين لان الطريق الى العلم بقراءة السورة في السرية لا يكون الا بسماع كلها وانما يفيد يقين ذلك لو
كان في الجهرية وكانه ماخوذ من سماع بعضها مع قيام القرينة على قرائة باقيها ويحتمل ان يكون الرسول صلى الله
عليه وسلم كان يخبرهم عقيب الصلاة دائما او غالبا بقراءة السورتين وهو بعيد جدا انتهى وعن انس قال صلى
الله عليه وسلم في الظهر بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية رواه النسائي وعن ابي سعيد كانت
صلاة الظهر تقام فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضي حاجته ثم ياتي اهله فيتوضا ويدرك النبي صلى الله عليه وسلم
في الركعة الاولى رواه مسلم ه الفرع السادس في ذكر قرائته صلى الله عليه وسلم في صلاة المغرب عن ام
الفضل بنت الحارث قالت سمعته صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالمرسلات عرفا رواه البخاري ومسلم ومالك
وابو داود والترمذي والنسائي وفي رواية انها لاخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرح عقيل
في روايته عن ابن شهاب انها اخر صلاة صلى الله عليه وسلم ولفظه ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله اورده
البخاري في باب الوفاة وعلقه في باب انما جعل الامام ليؤتم به من حديث عائشة ان الصلاة التي صلاها
النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه في مرض موته كانت الظهر وجمع بينهما بان الصلاة التي حكتها عائشة كانت
في المسجد والتي حكتها ام الفضل كانت في بيته كما رواه النسائي لكن يعكر عليه رواية ابن اسحق عن ابن شهاب في
هذا الحديث بلفظ خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاصب راسه في مرضه فصلى المغرب الحديث
رواه الترمذي ويمكن حمل قولها خرج الينا من مكانه الذي كان راقدا فيه الى من في البيت فصلى بهم فتلتئم الروايات
وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالطور رواه البخاري ومسلم زاد البخاري
في الجهاد وكان اي جبير بن مطعم جاء في اسارى بدر وزاد الاسماعيلي وهو يومئذ مشرك وللبخاري في المغازي وذلك

اول

اول ما وقر الايمان في قلبي وللطبراني فاخذني من قرائته الكرب ولسعيد بن منصور فكانما صدع قلبي
وفي فعله سمعته صلى الله عليه وسلم دليل على الجهر بها والله اعلم وعن مروان بن الحكم قال لي زيد بن ثابت
ما لك تقرا في المغرب بقصار المفصل وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا بطولى الطوليين رواه البخاري
زاد ابو داود قلت وما طولى الطوليين قال الاعراف وفي رواية النسائي من حديث عائشة انه صلى الله
عليه السلام صلى المغرب بسورة الاعراف فرقها في ركعتين وعن عبد الله بن عتبة قرا صلى الله عليه وسلم
في صلاة المغرب حم الدخان رواه النسائي وهذه الاحاديث في القراءة مختلفة المقادير لان الاعراف
من السبع الطول والطور من طوال المفصل والمرسلات من اوساطه قال الحافظ ابن حجر ولم ار حديثا مرفوعا
فيه التنصيص على القراءة فيها بشيء من قصار المفصل الا حديثا في ابن ماجه عن ابن عمر نص فيه على الكافرون
والاخلاص ومثله لابن حبان عن جابر بن سمرة فاما حديث ابن عمر فظاهر اسناده الصحة الا انه معلول
قال الدارقطني اخطا بعض رواته فيه واما حديث جابر بن سمرة ففيه سعيد بن سماك وهو متروك والمحفوظ
انه قرا بهما في الركعتين بعد المغرب واعتمد بعض اصحابنا وغيرهم حديث سليمان بن يسار عن ابي هريرة قال
ما رايت احدا اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من فلان قال سليمان فكان يقرا في الصبح بطوال المفصل
وفي المغرب بقصار المفصل رواه النسائي وصححه ابن خزيمة وغيره وهذا يشعر بالمواظبة على ذلك لكن في الاستدلال
به نظر نعم حديث رافع انهم كانوا ينتضلون بعد صلاة المغرب يدل على تخفيف القراءة فيها وطريق الجمع بين هذه
الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم كان احيانا يطيل القراءة في المغرب اما لبيان الجواز واما لعلمه بعدم المشقة
على الماموين وليس في حديث جبير دليل على ان ذلك تكرر منه واما حديث زيد بن ثابت ففيه اشعار بذلك
لكونه انكر على مروان المواظبة على القراءة بقصار المفصل ولو كان مروان يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم واظب على
ذلك لاحتج به على زيد لكن لم يرد زيد فيما يظهر المواظبة على القراءة بالطول وانما اراد منه ان يتعاهد ذلك كما راه من
النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث ام الفضل اشعار بانه صلى الله عليه وسلم كان يقرا في الصبح بالطول من المرسلات
لكونه كان في حال شدة مرضه وهو مظنة التخفيف وهو يرد على ابي داود ادعا نسخ التطويل لانه روى عقب حديث
زيد بن ثابت من طريق عروة انه كان يقرا في المغرب بالقصار قال وهذا يدل على نسخ حديث زيد ولم يبين وجه
الدلالة وكيف تصح دعوى النسخ وام الفضل تقول ان اخر صلاة صلاها بهم قرا بالمرسلات قال ابن خزيمة في صحيحه
هذا من الاختلاف المباح فجائز للمصلي ان يقرا في المغرب وفي الصلوات كلها بما احب الا انه اذا كان اماما استحب له
ان يخفف القراءة انتهى والراجح عند النووي ان قصار المفصل من الحجرات الى اخر القران والله اعلم ه الفرع السابع
في ذكر ما كان صلى الله عليه وسلم يقرا في صلاة العشاء عن البراء كان صلى الله عليه وسلم يقرا في العشاء والتين
والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا او قراءة منه صلى الله عليه وسلم رواه البخاري ومسلم وكان صلى الله عليه
وسلم اذا اتى على اية عذاب وقف وتعوذ رواه الترمذي من حديث حذيفة وكان اذا قرا سبح اسم ربك الاعلى قال
سبحان ربي الاعلى رواه احمد وابو داود من رواية ابن عباس وقال صلى الله عليه وسلم من قرا منكم التين والزيتون
فانتهى الى اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرا لا اقسم بيوم القيمة فانتهى الى اليس
ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرا والمرسلات فبلغ فباي حديث بعده يؤمنون فليقل امنا
بالله رواه ابو داود والترمذي الى قوله وانا على ذلك من الشاهدين وكان صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير
والقراءة اسكاتة وعنها ساله ابو هريرة وسكتة بعد الفاتحة وسكتة ثالثة بعد قراءة السورة وهي سكتة لطيفة

جدًّا حتى يتراد اليه النفس ولم يكن يصل القراءة بالركوع واما السكتة الاولى فانه يجعلها بقدر الاستفتاح
واما الثانية فلاجل قراءة المأموم الفاتحة فينبغي تطويلها بقدر ما ذكره صاحب زاد المعاد وعن سمرة
ابن جندب سكتتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل في صلاته واذا فرغ من القراءة ثم
قال بعد ذلك واذا قرأ ولا الضالين قال وكان يعجبه اذا فرغ من القراءة ان يسكت حتى يتراد اليه نفسه رواه
الترمذي الفرع الثامن في ذكر صفة ركوعه صلى الله عليه وسلم عن ابي حميد الساعدي كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه فذكر الحديث الى ان قال ثم يكبر ويرفع
يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه ثم يعتدل فلا يصوب رأسه ولا يقنع رواه ابو داود
والدارمي الفرع التاسع في ذكر مقدار ركوعه صلى الله عليه وسلم عن ابن جبير قال سمعت انس بن مالك
يقول ما صليت وراء احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من هذا الفتى يعني عمر بن عبد العزيز قال فحزرنا ركوعه عشر تسبيحات وسجوده عشر تسبيحات رواه ابو
داود وعن البراء كان ركوع النبي صلى الله عليه وسلم وسجوده وبين السجدتين واذا رفع من الركوع ما خلا
القيام والقعود قريبا من السواء رواه البخاري ومسلم قال النووي هذا الحديث محمول على بعض الاحوال
والا فقد ثبتت في الحديث تطويل القيام فانه كان يقرأ في الصبح بالستين الى المائة وفي الظهر بالم السجدة وانه
كان تقام الصلاة فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضي حاجته ثم يرجع الى اهله فيتوضأ ثم يأتي المسجد فيدرك
الركعة الاولى وانه قرأ سورة المؤمنين حتى بلغ ذكر موسى وهرون وانه قرأ في المغرب بالطور والمرسلات
وفي البخاري بالاعراف وكل هذا يدل على انه كانت له في اطالة القيام احوال بحسب الاوقات وهذا الحديث
الذي نحن فيه جرى في بعض الاوقات انتهى وقال ابن القيم مراد البراء ان صلاته صلى الله عليه وسلم كانت معتدلة
فكان اذا اطال اطال القيام والركوع والسجود واذا خفف خفف الركوع والسجود وتارة يجعل الركوع والسجود
بقدر القيام وهديه عليه الصلوة والسلام الغالب تعديل الصلاة وتناسبها انتهى الفرع العاشر في ذكر ما كان
ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم في الركوع والرفع منه عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن رواه البخاري ومسلم ومعنى يتأول القرآن يعمل بما
امر به في قوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فكان عليه السلام يقول هذا الكلام البديع في الجزل
المستوفي ما امر به في الاية وعنها كان صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه سبوح قدوس رب الملائكة والروح
رواه مسلم وعن حذيفة انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان
ربي الاعلى رواه   وكان صلى الله عليه وسلم اذا رفع ظهره من الركوع قال سمع الله لمن حمده ربنا لك
الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد رواه مسلم قال النووي يبدأ يعني المصلي بقوله
سمع الله لمن حمده حين الشروع في الرفع من الركوع ويمده حتى ينتصب قائما ثم يشرع في ذكر الاعتدال وهو
ربنا لك الحمد الى آخره قال وفي هذا الحديث دلالة للشافعي وطائفة انه يستحب لكل مصل من امام ومأموم
ومنفرد ان يجمع بين سمع الله لمن حمده وربنا لك الحمد في حال استوائه وانتصابه في الاعتدال لانه ثبت انه صلى
الله صلى الله عليه وسلم فعلهما جميعا وقد قال عليه السلام صلوا كما رأيتموني اصلي رواه البخاري انتهى وقال ابن
القيم كان عليه السلام اذا استوى قائما قال ربنا ولك الحمد وربما قال ربنا لك الحمد وربما قال اللهم ربنا
لك الحمد صح عنه ذلك كله واما الجمع بين اللهم والواو فلم يصح انتهى وقال الشيخ تقي الدين في شرح العمدة كان

اثبات الواو دال على معنى زائد لانه يكون التقدير ربنا استجب وما قارب ذلك ولك الحمد فيكون الكلام
مشتملا على معنى الدعاء ومعنى الخبر وانما قيل باسقاط الواو دال على احد هذين انتهى وقال ابن العراقي في اسقاط
الواو وحكاه عن الشافعي ابن قدامة وقال لان الواو للعطف وليس هنا شيء يعطف عليه وعن مالك
في ذلك خلاف وقال النووي كلاهما جاءت به روايات كثيرة والمختار انه على وجه الجواز وان الامرين جائز
ولا ترجيح لاحدهما على الآخر انتهى وعن ابي سعيد الخدري كان صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع قال
اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد احق ما قال
العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد رواه مسلم قوله ملء
السموات وملء الارض اي حمدا لو كان له اجسام لملأ السموات والارض وقوله سمع الله لمن حمده اي اجاب
يعني ان من حمد الله تعالى متعرضا لثوابه استجاب الله له فاعطاه ما تعرض له فانا نقول ربنا لك الحمد
لتحصل ذلك وقوله اهل منصوب على النداء وقوله وكلنا لك عبد الواو فيه حتى قول العبد لا مانع لما اعطيت
الى آخره واعترض بينهما قوله وكلنا لك عبد ومثل هذا الاعتراض قوله تعالى رب اني وضعتها انثى والله اعلم
بما وضعت وليس الذكر كالانثى على قراءة من قرأ وضعت بضم العين واسكان التاء والجد بفتح الجيم الغنى اي لا ينفع
ذا الغنى منك غناه وانما ينفعه العمل الصالح والطاعة والله اعلم وفي رواية ابن ابي اوفى عند مسلم كان صلى الله عليه وسلم
يقول بعد قوله من شيء بعد اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد الفرع الحادي عشر في ذكر صفة سجوده
صلى الله عليه وسلم وما يقول فيه كان صلى الله عليه وسلم اذا انتهى من ذكر قيامه عن الركوع يكبر وخر ساجدا
ولا يرفع يديه وقد روي انه عليه السلام كان يرفع يديه ايضا في كل خفض ورفع وصححه بعض الحفاظ كابن حزم
والذي غر الراوي غلط من قوله كان يكبر في كل خفض ورفع الى قوله كان يرفع يديه في كل خفض ورفع وهو ثقة
ولم يفطن لسبب غلطه ووهم فصححه نبه عليه في زاد المعاد وكان عليه السلام يضع ركبتيه قبل يديه
رواه ابو داود ثم جبهته وانفه وقال امرت ان اسجد على سبعة اعظم الجبهة واليدين والركبتين
واطراف القدمين رواه مسلم من حديث ابن عباس قال النووي فينبغي للساجد ان يسجد على هذه الاعضاء
كلها وان يسجد على الجبهة والانف فاما الجبهة فيجب وضعها مكشوفة على الارض ويكفي بعضها والانف مستحب
فلو تركه جاز ولو اقتصر عليه لم يجز هذا مذهب الشافعي ومالك والاكثرين وقال ابو حنيفة عليهما [illegible]
الحديث قال الاكثرون بل ظاهر الحديث انهما في حكم عضو واحد لانه قال فيه سبعة فلو جعلا عضوين صارت
ثمانية وكان عليه السلام اذا سجد فرج بين يديه حتى يبدو بياض ابطيه رواه الشيخان وقالت ميمونة
جافى بين يديه حتى لو شاءت بهمة ان تمر بين يديه لمرت رواه مسلم ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم
انه سجد على كور عمامته ولم يثبت عنه ذلك في حديث صحيح ولا حسن ولكن روى عبد الرزاق في المصنف عن ابي
هريرة قال كان صلى الله عليه وسلم يسجد على كور عمامته وهو من رواية عبد الله بن محرر وهو متروك
وذكر ابو داود في المراسيل انه صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي فسجد بجبينه وقد اعتم على جبهته فحسر صلى الله
عليه وسلم عن جبهته وكان صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله واوله وآخره
وعلانيته وسره رواه مسلم من حديث ابي هريرة وقوله دقه وجله بكسر اولهما اي قليله وكثيره وعن عائشة
قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في
السجود وهما منصوبتان وهو يقول اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك

لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك رواه مسلم قال الخطابي في هذا الحديث معنى لطيف وذلك
انه عليه السلام استعاذ بالله وسأله ان يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضى والسخط
ضدان متقابلان وكذلك المعافاة والمعاقبة فلما صار الى ذكر ما لا ضد له وهو الله تعالى استعاذ به
منه لا غير ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه وقوله لا احصي ثناء
عليك اي لا اطيقه ولا آتي عليه وقيل لا احيط به وقال مالك لا احصي نعمتك واحسانك والثناء بها عليك
وان اجتهدت في الثناء عليك وقوله انت كما اثنيت على نفسك اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء فانه لا
يقدر على بلوغ حقيقته ورد الثناء الى الجملة دون التفصيل والاحصاء والتعيين فوكل ذلك الى الله تعالى المحيط
بكل شيء جملة وتفصيلا وكما انه لا نهاية لصفاته لا غاية للثناء عليه لان الثناء تابع للمثنى عليه فكل شيء
اثنى به عليه وان كثر وطال وبالغ فيه فقدر الله اعظم وسلطانه اعز وصفاته اكبر واكثر وفضله واحسانه
اوسع واسبغ انتهى وههنا فائدة ذكرها بعض المحققين في نهيه صلى الله عليه وسلم عن قراءة القرآن في الركوع
والسجود وهي ان القرآن اشرف الكلام وحالتا الركوع والسجود حالتا ذل وانخفاض من العبد فمن الادب
مع كلام الله تعالى ان لا يقرأ في هاتين الحالتين ويكون حالة القيام والانتصاب اولى والله اعلم
وروى ابو داود انه صلى الله عليه وسلم سجد على الماء والطين وكان صلى الله عليه وسلم يرفع راسه من السجود
مكبرا غير رافع يديه ويرفع منه راسه قبل يديه ثم يجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى وكان عليه
السلام يجلس للاستراحة جلسة لطيفة بحيث تسكن جوارحه سكونا بينا ثم يقوم الى الركعة الثانية كما
في صحيح البخاري وغيره قال النووي ومذهبنا استحبابها عقب السجدة الثانية من كل ركعة يقوم عنها
ولا تستحب في سجود التلاوة في الصلاة وكان عليه السلام يقول بين السجدتين اللهم اغفر لي وارحمني
واهدني وعافني وارزقني رواه ابو داود والترمذي من حديث ابن عباس الفرع الثاني عشر في ذكر
صفة جلوسه صلى الله عليه وسلم للتشهد كان صلى الله عليه وسلم اذا جلس للتشهد يفرش رجله اليسرى
وينصب اليمنى رواه مسلم قال النووي معناه يجلس مفترشا وفيه حجة لابي حنيفة ومن وافقه ان الجلوس
في الصلاة يكون مفترشا سواء فيه جميع الجلسات وعند مالك يسن متوركا بان يخرج رجله اليسرى
من تحته ويفضي بوركه الى الارض وقال الشافعي رحمه الله السنة ان يجلس كل الجلسات مفترشا الا
الجلسة التي يعقبها السلام والجلسات عند الشافعي اربع الجلوس بين السجدتين وجلسة الاستراحة عقب كل
ركعة يعقبها قيام والجلسة للتشهد الاول والجلسة للتشهد الاخير والجميع يسن مفترشا الا الاخير ولو كان
على المصلي سجود سهو فالاصح انه يجلس مفترشا في تشهده فاذا سجد سجدتي السهو تورك ثم سلم هذا تفصيل
مذهب الشافعي واحتج ابو حنيفة باطلاق حديث عائشة هذا واحتج الشافعي بحديث ابي حميد الساعدي
في صحيح البخاري وفيه التصريح بالافتراش في الجلوس الاول والتورك في اخر الصلاة وحمل حديث عائشة
على هذا الجلوس في غير التشهد الاخير جمعا بين الاحاديث انتهى قلت ما ملخصه مع قول ابن القيم انه لم يقل احد عنه صلى
الله عليه وسلم ان هذا كان صفة جلوسه في التشهد الاول ولا اعلم احدا قال به انتهى وقال ابو حميد
الساعدي في عشرة من اصحابه صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اعرض
فذكر الحديث الى ان قال حتى اذا كانت السجدة التي فيها التسليم اخرج رجله اليسرى وقعد متوركا على شقه الايسر
ثم سلم قالوا صدقت هكذا كان يصلي رواه ابو داود والترمذي وفي رواية لابي داود فاذا قعد في الركعتين قعد

على

على بطن قدمه اليسرى ونصب اليمنى فاذا كان في الرابعة افضى بوركه اليسرى الى الارض واخرج قدميه من
ناحية واحدة الحديث وكان عليه السلام اذا قعد في التشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ووضع
يده اليمنى على ركبته اليمنى وعقد ثلاثا وخمسين واشار بالسبابة وفي رواية مسلم وضع يديه على ركبتيه
ورفع اصبعه اليمنى التي تلي الابهام يدعو بها ويده اليسرى على ركبته باسطها عليها وعند ابي داود من
حديث ابي وائل بن حجر حلق حلقة ووضع مرفقه الايمن على فخذه اليمنى وقبض ثنتين وحلق حلقة ثم رفع اصبعه فرايته يحركها
ويدعو وفي حديث ابن الزبير عنه ايضا كان يشير بها ولا يحركها الحديث وكان صلى الله عليه وسلم يستقبل
باصابعه القبلة في رفع يديه وركوعه وسجوده وفي التشهد ويستقبل باصابع رجليه القبلة في سجوده الفرع
الثالث عشر في ذكر تشهده صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم يتشهد دائما في هذه الجلسة
ويعلم اصحابه ان يقولوا التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله رواه
مسلم من رواية ابن عباس وهو الذي اختاره الشافعي لزيادة المباركات لا تشهد ابن مسعود وان قاله القاضي
عياض رحمه الله قال وعبارة الشافعي فيما اخرجه البيهقي بسنده الى الربيع بن سليمان اخبرنا الشافعي جوابا لمن
ساله بعد ذكر حديث ابن عباس فانا نرى الروايات اختلفت فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فروى ابن مسعود
خلاف هذا وفي الكلام الى ان قال فلما رايته واسعا وسمعته عن حديث ابن عباس صحيحا ورايته اكثر لفظا
من غيره يعني من المرفوعات اخذت به غير معنف لمن اخذ بغيره هذا اخر كلامه وليس فيه تصريح بان فضيلة والعلم
عند الله تعالى وقال ابو حنيفة واحمد وجمهور الفقهاء واهل الحديث تشهد ابن مسعود افضل لانه عند المحدثين
اشد صحة وقال مالك رحمه الله تشهد عمر بن الخطاب الموقوف عليه افضل لانه علمه الناس على المنبر ولم ينازعه
احد فدل على تفضيله ومذهب الشافعي ان التشهد الاول سنة والثاني واجب وجمهور المحدثين انهما واجبان
وقال احمد الاول واجب والثاني ركن وقال ابو حنيفة ومالك وجمهور الفقهاء هما سنتان وعن مالك رواية
بوجوب الاخير وقد كان عليه الصلاة والسلام ياتي بالتشهدين وفي الغيلانيات عن القسم بن محمد قال علمتني
عائشة قالت هذا تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده
ورسوله وهو مثل حديث ابن مسعود سواء ورواه البيهقي باسناد جيد قال النووي وفي هذا فائدة حسنة
وهي ان تشهده عليه السلام بلفظ تشهدنا انتهى قال الحافظ ابن حجر وكانه يشير الى ما وقع في الرافعي انه صلى
الله عليه وسلم كان يقول في التشهد واشهد اني رسول الله وتعقبوه بانه لم يرو كذلك صريحا نعم وقع في البخاري
من حديث سلمة بن الاكوع قال خفت ازواد القوم فذكر الحديث وفيه فقال صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله
واني رسول الله ومن لطائف التشهد ما قاله البيضاوي علمهم ان يفردوه صلى الله عليه وسلم بالذكر
لشرفه ومزيد حقه عليهم فان قيل كيف شرع هذا اللفظ وهو خطاب بشر مع كونه منهيا عنه في الصلاة
فالجواب ان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم فان قلت ما الحكمة في العدول عن الغيبة الى الخطاب
في قوله عليك ايها النبي مع ان لفظ الغيبة هو الذي يقتضيه السياق كان يقول السلام على النبي فينتقل
من تحية الله الى تحية النبي الى تحية النفس ثم الى الصالحين اجاب الطيبي بما محصله نحن نتبع لفظ الرسول بعينه
الذي علمه الصحابة ويحتمل ان يقال على طريق اهل المعرفة بالله ان المصلين لما استفتحوا باب الملكوت
بالتحيات اذن لهم بالدخول في حريم الحي الذي لا يموت فقرت اعينهم بالمناجاة فنبهوا على ان ذلك بواسطة

نحن الرحمة وبركة متابعته فالعقول بان الحبيب في حرم الحبيب حاضر فاقبلوا عليه قائلين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته انتهى وقال الترمذي الحكيم في قوله عليه السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين من اراد ان يحظى بهذا السلام الذي يسلمه الخلق في صلاتهم فليكن عبدا صالحا والا حرم هذا الفضل العظيم وقال القفال في فتاويه ترك الصلاة يضر جميع المسلمين لان المصلي يقول اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ولا بد ان يقول في التشهد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فيكون مقصرا بخدمة الله وفي حق رسوله وفي نفسه وفي حق كافة المسلمين ولذلك عظمت المعصية بتركها واستنبط منه السبكي ان في الصلاة حقا للعباد مع حق الله وان من تركها اخل بحق جميع المؤمنين من مضى ومن يجي الى يوم القيامة لوجوب قوله فيها السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين انتهى وتقدم الكلام على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بعد التشهد الاخير وما في ذلك من المباحث في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وعند الطبراني مرفوعا عن سهل بن سعد لا صلاة لمن لم يصل على نبيه وكذا ابن ماجه والدارقطني وعن ابي مسعود الانصاري عند الدارقطني من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تشهد احدكم في الصلاة فليقل اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وارحم محمدا وال محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد رواه الحاكم واغتر قوم بتصحيحه فوهموا فانه من رواية يحيى بن السباق وهو مجهول عن رجل مبهم وبالغ ابن العربي في انكار ذلك فقال حذار مما ذكره ابن ابي زيد من زيادة وترحم فانه قريب من البدعة لانه صلى الله عليه وسلم علمهم كيفية الصلاة عليه بالوحي ففي الزيادة على ذلك استدراك عليه انتهى قال الحافظ ابن حجر وابن ابي زيد ذكر ذلك في الرسالة في صفة التشهد لما ذكر ما يستحب في التشهد ومنه اللهم صل على محمد وال محمد فزاد وترحم على محمد وال محمد وبارك على محمد وعلى ال محمد الخ فان كان انكاره لكونه لم يصح فمسلم والا فدعوى من ادعى انه لا يقال وارحم محمدا مردودة لثبوت ذلك في عدة احاديث اصحها في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ثم وجدت لابن ابي زيد مستندا فاخرج الطبري في تهذيبه من طريق حنظلة بن علي عن ابي هريرة رفعه من قال اللهم صل على محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم وترحم على محمد وعلى ال محمد كما ترحمت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم شهدت له يوم القيمة وشفعت له ورجال سنده رجال الصحيح الا سعيد بن سليمن مولى سعيد بن العاص الراوي له عن حنظلة بن علي فانه مجهول وهذا كله فيما يقال مضموما الى السلام او الصلاة وقد وافق ابن العربي الصيدلاني من الشافعية على المنع ونقل القاضي عياض عن الجمهور الجواز مطلقا وقال القرطبي في المفهم انه الصحيح لورود الاحاديث به وخالفه غيره ففي الذخيرة من كتب الحنفية عن محمد يكره ذلك لايهامه النقص لان الرحمة غالبا انما تكون لفعل ما يلام عليه وجزم ابن عبد البر بمنعه فقال لا يجوز لاحد اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول رحمه الله لانه عليه السلام قال من صلى علي ولم يقل من ترحم علي ولا من دعا لي وان كان معنى الصلاة معنى الرحمة ولكنه خص بهذا اللفظ تعظيما له فلا يعدل عنه الى غيره انتهى واخرج ابو العباس السراج عن ابي هريرة انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما صليت وباركت على ابرهيم وال ابرهيم انك حميد مجيد وفي حديث بريدة رفعه اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى ال محمد كما جعلتها على ابرهيم وعلى ال ابرهيم ووقع في حديث ابن مسعود عند ابي داود والنسائي على محمد النبي الامي وفي حديث ابي سعيد على محمد عبدك ورسولك كما صليت على ابرهيم ولم يذكر ال محمد ولا ال ابرهيم وعند ابي داود من حديث ابي هريرة اللهم

صلّ

صل على محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته ووقع في اخر حديث ابن مسعود في العالمين انك حميد مجيد قال النووي في شرح المهذب ينبغي ان يجمع ما في الاحاديث الصحيحة فيقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى ال محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم وبارك مثله وزاد في اخره في العالمين وقال في الاذكار مثله وزاد عبدك ورسولك بعد قوله محمد في صل ولم يزدها في وبارك وقال في التحقيق والفتاوى مثله الا انه اسقط النبي الامي وقد تعقبه الاسنوي فقال لم يستوعب ما ثبت في الاحاديث مع اختلاف كلامه وقال الاذرعي لم يسبق الى ما قاله والذي يظهر ان الا لمن يتشهد ان ياتي بكل الروايات ويقول كلما ثبت هذا مرة وهذا مرة واما التلفيق فانه يستلزم احداث صفة في التشهد لم ترد مجموعة في حديث واحد وسبقه الى معنى ذلك ابن القيم وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعو في الصلاة اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات اللهم اني اعوذ بك من المأثم والمغرم فقال له قائل ما اكثر ما تستعيذ من المغرم فقال ان الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد فاخلف رواه البخاري ومسلم من رواية عائشة قال ابن دقيق العيد فتنة المحيا ما يعرض للانسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات واعظمها والعياذ بالله امر الخاتمة عند الموت وفتنة الممات يجوز ان يراد بها الفتنة عند الموت اضيفت اليه لقربها منه ويجوز ان يكون المراد بها فتنة القبر ولا يكون مع هذا الوجه متكررا مع قوله عذاب القبر لان العذاب مرتب على الفتنة والسبب غير المسبب وروى الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن سفيان الثوري ان الميت اذا سئل من ربك تراءى له الشيطان فيشير الى نفسه اي انا ربك فلهذا ورد سؤال التثبت له حين يسال وقد استشكل دعاؤه صلى الله عليه وسلم بما ذكر مع انه مغفور له ما تقدم وما تاخر واجيب باجوبة منها انه قصد التعليم لامته ومنها ان المراد السؤال منه لامته فيكون المعنى هنا اعوذ بك لامتي ومنها سلوك طريق التواضع واظهار العبودية والتزام خوف الله واعظامه والافتقار اليه وامتثال امره في الرغبة اليه ولا يمتنع تكرير الطلب مع تحقق الاجابة لان في ذلك تحصيل الحسنات ورفع الدرجات وفيه تحريض لامته على ملازمة ذلك لانه اذا كان مع تحقق المغفرة لا يترك التضرع فمن لم يتحقق ذلك احرى بالملازمة واما الاستعاذة من فتنة الدجال مع تحققه انه لا يدركه فلا اشكال على الوجهين الاولين وقيل على الثالث يحتمل ان يكون ذلك قبل ان يتحقق عدم ادراكه ويدل عليه قوله في الحديث الاخر عند مسلم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه الحديث والله اعلم وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد التشهد اللهم اني اعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة الدجال الاعور واعوذ بك من فتنة المحيا والممات رواه ابو داود وعن علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ما بين التشهد والتسليم اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما اسرفت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت رواه مسلم وغيره وفي رواية له واذا سلم قال اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت الى اخره وجمع بينهما بحمل الرواية الثانية على ارادة السلام لان مخرج الطريقين واحد واورده ابن حبان بلفظ كان اذا فرغ من الصلاة وسلم وهذا ظاهر في انه بعد السلام ويحتمل انه كان يقول ذلك قبل السلام وبعده وسياتي الجواب عما استشكل من دعائه عليه السلام بهذا الدعاء في اخر الكلام على دعائه صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى وحاصل ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من المواضع التي كان يدعو فيها في داخل صلاته ستة مواطن الاول عقب تكبيرة الاحرام كما في حديث ابي هريرة في الصحيح اللهم باعد بيني وبين خطاياي الحديث ونحوه الثاني في الركوع كما في حديث عائشة عند الشيخين كان يكثر ان يقول

في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي الثالث في الاعتدال من الركوع كما في حديث ابن ابي اوفى
عند مسلم انه كان يقول بعد قوله من شيء بعد اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد الرابع السجود وهو اكثر ما
كان يدعو فيه وامر به الخامس بين السجدتين اللهم اغفر لي الى اخره السادس في التشهد وكان ايضا يدعو على
القنوت وفي حال القراءة اذا مر باية رحمة سال واذا مر باية عذاب استعاذ وتقدم كل ذلك والله الموفق

الفرع الرابع عشر في ذكر تسليمه عليه السلام من الصلاة كان صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه وعن يساره
حتى يرى بياض خده رواه مسلم والنسائي من حديث عامر بن ربيعة عن ابيه وفي حديث ابن مسعود كان يسلم عن
يمينه وعن يساره السلام عليكم ورحمة الله وبركاته رواه الترمذي وزاد ابو داود حتى يرى بياض خده وفي
رواية النسائي حتى يرى بياض خده من ههنا وبياض خده من ههنا الحديث وهذا كان فعله الراتب رواه عنه
خمسة عشر صحابيا وهم عبد الله بن مسعود وسعد بن ابي وقاص وسهل بن سعد ووائل بن حجر وابو موسى الاشعري
وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وعبد الله بن عمر وجابر بن سمرة والبراء بن عازب وابو مالك الاشعري وطلق بن علي
واوس بن اوس وابو رمثة وعدي بن عميرة وهذا مذهب الشافعي وابي حنيفة واحمد والجمهور ومذهب مالك ان ظاهر
المشروع تسليمة ودليل مذهبنا ما تقدم واما ما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة تلقاء وجهه
فلم يثبت من وجه صحيح واجود ما في ذلك حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة السلام
عليكم يرفع بها صوته حتى يوقظنا وهو حديث معلول وهو في السنن لكنه في قيام الليل والذين رووا التسليمتين
رووا ما شهدوا في الفرض والنفل وحديث عائشة ليس هو صريحا في الاقتصار على تسليمة واحدة بل اخبرت انه
كان يسلم تسليمة يوقظهم بها ولم تنف الاخرى بل سكتت عنها وليس سكوتها عنها مقدما على رواية من حفظها
وضبطها وهم اكثر عددا واحاديثهم اصح والله اعلم واختلف في التسليم فقال مالك والشافعي واحمد وجمهور العلماء انه من
فروض الصلاة الاية وقال ابو حنيفة والاوزاعي والثوري سنة لو تركه صحت صلاته وقال ابو حنيفة لو فعل منافيا
للصلاة من حدث او غيره في اخرها صحت صلاته واحتج بانه صلى الله عليه وسلم لم يعلمه الاعرابي حين علمه واجبات الصلاة
واحتج الجمهور بحديث ابي داود مفتاح الصلاة الطهور وتحليلها التسليم وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة
طاطا راسه رواه احمد وكان لا يجاوز بصره اشارته رواه   وكان قد جعل الله قرة عينه في الصلاة كما قال
وجعلت قرة عيني في الصلاة رواه النسائي ولم يكن يشغله عليه السلام ما هو فيه عن مراعاة احوال الماموين
مع كمال اقباله وقربه من ربه وحضور قلبه بين يديه يدخل في الصلاة يريد اطالتها فيسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته
مخافة ان يشق على امه رواه البخاري وابو داود والنسائي وكان يؤم الناس وهو حامل امامة بنت ابي العاص
ابن الربيع على عاتقه رواه مسلم وغيره قال النووي وهذا يدل لمذهب الشافعي رحمه الله ومن وافقه انه يجوز
حمل الصبي والصبية وغيرهما من الحيوان في صلاة الفرض والنفل وللامام والماموم والمنفرد وحمله اصحاب مالك
رحمه الله على النافلة ومنعوا جواز ذلك في الفريضة وهذا التاويل فاسد لان قوله يؤم الناس صريح او كالصريح
في انه كان في الفرض وادعى بعض المالكية وهذا التاويل فاسد انه منسوخ وبعضهم انه خاص به صلى الله عليه وسلم
وبعضهم انه كان لضرورة وكلها مردودة لا دليل عليها ولا ضرورة اليها بل الحديث صحيح صريح في جواز ذلك وليس فيه
ما يخالف الشرع لان الادمي طاهر وما في جوفه من النجاسة معفو عنها لكونه في معدته وثياب الاطفال واجسادهم
على الطهارة ودلائل الشرع متظاهرة على هذا والافعال في الصلاة لا تبطلها اذا قلت او تفرقت وفعله عليه السلام
للجواز تنبيها على هذه القواعد التي ذكرتها وهذا يرد ما ادعاه ابو سليمان الخطابي ان هذا الفعل يشبه ان يكون بغير

تعمد

تعمد لحملها في الصلاة لكنها كانت تتعلق به عليه الصلاة والسلام فلم يدفعها فاذا قام بقيت معه قال ولا يتوهم انه حملها
ووضعها مرة بعد اخرى لانه عمل كثير ويشغل القلب واذا كان علم الخميصة شغله فكيف لا يشغله هذا هذا كلام
الخطابي وهو باطل ودعوى مجردة ومما يرده قوله في صحيح مسلم فاذا قام حملها فاذا رفع من السجود اعادها وقوله
في رواية غير مسلم خرج حاملا امامة وصلى وذكر الحديث واما قضية الخميصة فانها تشغل القلب بلا فائدة وحمل
امامة لا نسلم انه يشغل القلب وان شغله فيترتب عليه فوائد وبيان قواعد مما ذكرناه وغيره فاحتمل ذلك الشغل
لهذه الفوائد بخلاف الخميصة والصواب الذي لا يعدل عنه ان الحديث كان للبيان والتنبيه على هذه القواعد
فهو جائز لنا وشرع مستمر الى يوم الدين والله اعلم انتهى وكان صلى الله عليه وسلم يصلي فيجيء الحسن او الحسين فيركب
ظهره فيطيل السجود كراهية ان يلقيه عن ظهره رواه   وكان يرد السلام بالاشارة على من يسلم عليه وهو
في الصلاة قال جابر بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة فادركته يصلي فسلمت عليه فاشار الي رواه مسلم وقال
عبد الله بن مسعود لما قدمت من الحبشة اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسلمت عليه فاوما براسه رواه
البيهقي وكان يصلي وعائشة معترضة بينه وبين القبلة فاذا سجد غمزها بيده فقبضت رجليها واذا قام بسطتهما رواه
البخاري وكان عليه السلام لا يلتفت في صلاته وفي البخاري عن عائشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الالتفات في الصلاة قال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد وروى ابو داود من حديث سهل بن
الحنظلية انه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين من يحرسنا الليلة قال انس بن ابي مرثد الغنوي انا يا رسول الله
قال اركب فركب فرسا له فقال استقبل هذا الشعب حتى تكون في اعلاه فلما اصبحنا ثوب بالصلاة فجعل صلى الله عليه
وسلم وهو يصلي يلتفت الى الشعب حتى اذا قضى الصلاة قال ابشروا فقد جاء فارسكم فهذا الالتفات من الاشتغال بالجهاد
في الصلاة وهو يدخل في مداخل العبادات كصلاة الخوف وقريب منه قول عمر رضي الله عنه اني لاجهز الجيش وانا في
الصلاة فهذا جمع بين الصلاة والجهاد ونظيره التفكر في معاني القران واستخراج كنوز العلم منه وكان صلى الله عليه وسلم
يصلي فعرض له الشيطان ليقطع عليه صلاته فاخذه وخنقه حتى سال لعابه على يده رواه
عن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل يعني يبكي وفي رواية
ولصدره ازيز كازيز الرحا من البكاء رواه احمد ولم يكن صلى الله عليه وسلم يغمض عينيه في صلاته وعن انس قال
كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها فقال صلى الله عليه وسلم اميطي عنا قرامك هذا فانه لا تزال تصاويره تعرض
لي في صلاتي رواه البخاري ولو كان يغمض عينيه لما عرضت له في صلاته وقد اختلف الفقهاء في كراهته والحق ان يقال
ان كان تفتيح العين لا يخل بالخشوع فهو افضل وان كان يحول بينه وبين الخشوع كان يكون في قبلته زخرفة وغيرها
مما يشغل قلبه فلا يكره التغميض قطعا بل ينبغي ان يكون مستحبا في هذه الحالة وقد كانت صلاته صلى الله عليه وسلم متوسطة
عارية عن الغلو كالوسوسة في عقد النية ورفع الصوت بها والجهر بالاذكار والدعوات التي شرعت سرا وتطويل
ما السنة تخفيفه كالتشهد الاول الى غير ذلك مما يفعله كثير ممن ابتلي بداء الوسوسة عافانا الله منها وهي نوع من الجنون
وما جاءت بلا ريب مبتدع مستنبط في افعاله واقواله شيئا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا احد من اصحابه وقد
قال عليه السلام ان خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وعنه ايضا اياكم ومحدثات
الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وهذا سبب لاتمام الحوم فيه الوسوسة نقص
في العقل او جهل باحكام الشرع ومن غرائب ما يقع لهؤلاء الموسوسين ان بعضهم يشتغل بتكرير الطهارة حتى تفوته الجماعة
وربما فاته الوقت ومنهم من يشتغل في النية حتى تفوته التكبيرة الاولى وربما تفوته ركعة او اكثر ومنهم من يحلف

انه لا يزيد على هذه التكبيرة ثم يكذب ومن العجائب ان بعضهم يتوسوس في حال قيامه حتى يركع الامام
فاذا خشي فوات الركوع كبر سريعا وادركه فمن لم يحصل له النية في القيام الطويل حال الفراغ بالله فكيف حصلت
له في الوقت الضيق مع شغل باله بفوات الركعة ومنهم من يكثر التلفظ بالتكبير حتى يشوش على غيره من
الماموين ولا ريب ان ذلك مكروه ومنهم من يزعج اعضاءه ويحني جبهته ويقيم عروق عينيه ويصرخ
بالتكبير كانه يكبر على العدو ومنهم من يغسل اعضاءه غسلا يشاهده ببصره ويكبره ويقرا بلسانه ويسمع
باذنه ويعلمه قلبه ومع ذلك يصدق الشيطان في انكاره يقين نفسه وجحده لما راه ببصره وسمعه باذنه وقد
سال رجل ابا الوفا بن عقيل فقال اني اكبر واقول ما كبرت واغسل العضو في الوضو واقول ما غسلته فقال
ابن عقيل دع الصلاة فانها لا تجب عليك فقال له كيف ذلك فقال لان النبي صلى الله عليه وسلم قال رفع القلم عن
المجنون حتى يفيق ومن يكبر ثم يقول لم اكبر فليس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلاة فمن اراد التخلص من
هذه البلية فليتبع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم السوية ويقتدي بطريقة الحنفية فان غلبه الامر وضاقت عليه المسالك
فليتضرع الى الله ويبتهل اليه في كشف ذلك الفرع الخامس عشر في ذكر قنوته صلى الله عليه وسلم اعلم ان القنوت
يطلق على القيام والسكوت ودوام العبادة والدعا والتسبيح والخضوع كما قال تعالى وله من في السموات والارض
كل له قانتون وقال تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما الاية وقال تعالى وصدقت بكلمات ربها
وكتبه وكانت من القانتين والمراد به هنا الدعا في الصلاة في محل مخصوص من القيام وعن انس قال بعث النبي صلى
الله عليه وسلم سبعين رجلا يقال لهم القراء فعرض لهم حيان من سليم رعل وذكوان عند بئر يقال لها بئر معونة
فقتلوهم فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم شهرا في صلاة الغداة وذلك بدء القنوت وما كنا نقنت قال عبد
العزيز بن صهيب فسال رجل انسا عن القنوت ابعد الركوع او عند فراغ القراة قال بل عند فراغ القراة وفي اخرى قنت
شهرا بعد الركوع يدعو على احياء العرب وفي اخرى قنت شهرا بعد الركوع في صلاة الصبح يدعو على رعل وذكوان
ويقول عصية عصت الله ورسوله وفي اخرى بعث صلى الله عليه وسلم سرية يقال لهم القراء فاصيبوا فما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على شي ما وجد عليهم فقنت شهرا في صلاة الفجر هذه روايات البخاري ومسلم و
للبخاري كان القنوت في المغرب والفجر وفي رواية ابي داود والنسائي قنت في صلاة الصبح بعد الركوع وفي اخرى قنت
شهرا ثم تركه وفي اخرى للنسائي قنت شهرا يلعن رعلا وذكوان ولحيان وعن ابن عباس قال قنت صلى الله عليه وسلم
شهرا متتابعا في الظهر والعصر والمغرب والعشا وصلاة الصبح في دبر كل صلاة اذا قال سمع الله لمن حمده من الركعة الاخيرة
يدعو على احياء من سليم على رعل وذكوان وعصية ويؤمن من خلفه رواه ابو داود وعن ابن عمر انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول
سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فانزل الله ليس لك من الامر شي او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون رواه البخاري وعن ابي هريرة
لما رفع صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي
ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وفي رواية في صلاة
الفجر وفي رواية ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله تعالى عليه ليس لك من الامر شي الاية رواه البخاري ومسلم وعن البراء
كان صلى الله عليه وسلم يقنت في الصبح والمغرب رواه مسلم والترمذي ولابي داود في صلاة الصبح ولم يذكر المغرب وعن
ابي مالك الاشجعي قال قلت لابي يا ابت انك قد صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان وعلي بن ابي
طالب ههنا بالكوفة خمس سنين اكانوا يقنتون قال اي بني محدث رواه الترمذي وعن سعيد بن جبير قال

اشهد لي

نعم بعلمه

وما يعين على دفع الوسوسة قوله سبحان الملك الخلاق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز صح

نعم يدعوا

اشهد لي سمعت ابن عباس يقول ان القنوت في صلاة الفجر بدعة رواه الدارقطني قال بعض العلما والصواب
انه صلى الله عليه وسلم قنت وترك وكان تركه للقنوت اكثر من فعله فانه انما قنت عند النوازل للدعا لقوم و
للعن قوم والدعا على اخرين ثم تركه لما قدم من دعا لهم وخلصوا من الاسر واسلم من دعا عليهم فجاوا تائبين وكان
قنوته لعارض فلما زال العارض ترك القنوت ولم يكن مختصا بالفجر بل كان يقنت في صلاة الفجر والمغرب ذكره البخاري
في صحيحه عن انس وذكره مسلم عن البراء وصح عن ابي هريرة انه قال والله لانا اقربكم صلاة من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكان يقنت في الركعة الاخيرة من الصبح بعد ما يقول سمع الله لمن حمده قال ابن القيم فلا ريب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ثم تركه فهذا رد على القائل بكراهة القنوت في الفجر مطلقا عند النوازل وغيرها
ويقولون هو منسوخ وفعله بدعة واهل الحديث متوسطون بين هولا وبين من استحبه ويقولون فعله سنة وتركه
سنة ولا ينكرون على من داوم عليه ولا يكرهون فعله ولا يرونه بدعة ولا فاعله مخالفا للسنة فمن قنت فقد
احسن ومن ترك فقد احسن انتهى ومذهب الشافعي رحمه الله ان القنوت مشروع في صلاة الصبح دايما في اعتدال
ثانية الصبح لما رواه انس ما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنت في الصبح حتى فارق الدنيا رواه احمد قال
ابن الصلاح قد حكم بصحته غير واحد من الحفاظ منهم الحاكم والبيهقي وابو عبد الله محمد بن علي البلخي وفي غير البيهقي
العمل بمقتضاه عن الخلفا الاربعة وقال بعضهم اجمعوا انه صلى الله عليه وسلم قنت في الصبح ثم اختلفوا هل ترك
فيتمسك بما اجمعوا عليه حتى يثبت ما اختلفوا فيه انتهى واما حديث ابن ابي فديك عن عبد الله بن سعيد بن ابي
سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة
الثانية من صلاة الصبح يرفع يديه يدعو بهذا الدعا اللهم اهدني فيمن هديت الى اخره فقال ابن القيم في زاد المعاد
ما ابين الاحتجاج به لو كان صحيحا او حسنا لكن لا يحتج بعبد الله هذا وان كان الحاكم صحح حديثه في القنوت انتهى
وهذا الحديث رواه الحاكم وصححه ورد عليه كما قاله ابن القيم وقد اتفقوا على ضعف عبد الله بن سعيد وعن ابن
عباس كان صلى الله عليه وسلم يقنت في صلاة الصبح وفي وتر الليل بهؤلاء الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت اخرجه
محمد بن نصر في كتاب قيام الليل والصحيح انه لا يتعين فيه دعا مخصوص بل يحصل بكل دعا وفيه وجه انه لا يحصل الا
بالدعا المشهور وهو اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني شر
ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت رواه ابو داود والترمذي والنسائي
من حديث الحسن بن علي قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن في الوتر فذكره واسناده صحيح
قال البيهقي قد صح ان تعليم هذا الدعا وقع لقنوت صلاة الصبح ولقنوت الوتر انتهى وقوله فانك تقضي بالفاء
وبالواو في قوله وانه لا يذل وربنا تباركت وتعاليت الا ان الفا لم تقع في رواية ابي داود وزاد البيهقي بعد قوله انه
لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت وزاد ابن ابي عاصم في كتاب التوبة نستغفرك الله ونتوب اليك وتسن الصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخره لان النسائي قد رواه من حديث الحسن بسند صحيح او حسن كما قاله في شرح
المهذب ولفظه اي النسائي وصلى الله على النبي محمد وفي الاذكار باستحباب الصلاة على الال والسلام وخالفه صاحب
الهدي فقال اما ما وقع في كتب اصحابنا من زيادة وسلم وما يعتاده الائمة الان من ذكر الال والازواج والاصحاب
فكل ذلك لا اصل له قلت وعبارة النووي في الاذكار ويستحب ان يقول عقب هذا الدعا اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد وسلم فقد جا في رواية النسائي باسناد حسن وصلى الله على النبي انتهى وتعقب بان لفظ الدعوى خلاف
الدليل ويزيد عليه ذكر الال والتسليم نعم وتعقب الزيادة هنا المراغي والريمي معترضا لحديث الحسن بن علي عند
النسائي لكنها ليست عنده في رواية احد ممن رواه عنه على ان لفظ وصلى الله على النبي زايد على رواية الترمذي وفي

نعم وغيرها

سعيد

ربنا

لعله بالفاء

رواية ضعيفة غير ثابتة لأجل عبد الله بن علي أحد رواته لأنه غير معروف وعلى تقدير أن يكون هو عبد الله
ابن علي بن الحسين بن علي فهو منقطع لأنه لم يسمع من جده الحسن بن علي فقد تبين أنه ليس من شرط الحسن لانقطاعه
أو جهالة راويه ولم تنجبر الزيادة بمجيئها من وجه آخر وحينئذ فقد تبين شذوذها على ما لا يخفى نعم أصل
الحديث الآخر بعاليت حسن لاعتضاده برواية الترمذي وغيره بخلاف الزيادة إذ لم تجئ في غيره وحيث سننا
الصلاة على الآل على ما جزم به النووي فينبغي عدها في القنوت بعضا وقال في المجموع عن البغوي ويكره إطالة
القنوت كالتشهد الأول وهو ظاهر على ما صححه فيه وفيه تحقيقه في باب سجود السهو من أن الاعتدال ركن (في)
طويل أما على ما صححه فيهما في صلاة الجماعة من أنه قصير وهو ما في المنهاج والروضة فقضية القياس من البطلان
لأن تطويل الركن القصير عمدا مبطل وأجاب بحمل ذلك على غير محل القنوت إذ البغوي نفسه القائل بكراهة الإطالة
قائل بأن تطويل الركن القصير مبطل عمده ويسن للمنفرد والإمام برضى المحصورين الجمع في قنوت الوتر بين القنوت
السابق وبين قنوت عمر وهو اللهم إنا نستعينك إلخ والأولى تأخيره عن القنوت السابق ويسن رفع يديه
رواه البيهقي بإسناد جيد قال في المجموع وفي مسح وجهه بهما وجهان أشهرهما نعم وأصحهما لا قال البيهقي ولا أحفظ
في مسحه هنا عن أحد من السلف شيئا وإن روي عن بعضهم في الدعاء خارج الصلاة ومسح غير الصدر كالصدر مكروه
وقال النووي في الأذكار اختلف أصحابنا في رفع اليدين في القنوت وفي مسح الوجه بهما على ثلاثة أوجه أصحها يستحب
رفعهما ولا يمسح الوجه والثاني يرفع ويمسحه والثالث لا يرفع ولا يمسح واتفقوا على أنه لا يمسح غير الوجه من الصدر ونحوه
بل قالوا ذلك مكروه انتهى ويجهر الإمام دون المنفرد بالقنوت وإن كانت الصلاة سرية للاتباع رواه البخاري
قال الماوردي وليكن جهره به دون جهره بالقراءة فإن سمعه المأموم أمن كما كانت الصحابة يؤمنون خلفه صلى الله (الجهرية)
عليه وسلم في ذلك رواه أبو داود بإسناد حسن ويوافقه في الثناء سرا أو يسكت لأنه ثناء وذكر لا يليق به التأمين
والدعاء يشمل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيؤمن فيها صرح به الطبري وإن لم يسمع المأموم قنوت الإمام
قنت معه سرا كبقية الأذكار والدعوات ولا قنوت لغير وتر وصبح إلا لنازلة من خوف أو قحط أو وباء أو جراد
أو نحوها فيستحب أن يقنت في مكتوبة غير الصبح لا منذورة وصلاة جنازة ونافلة وفي البخاري من حديث أبي
هريرة أنه صلى الله عليه وسلم جهر بالقنوت في النازلة انتهى ملخصا من شرح البهجة لشيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري
مع زيادة من غيره **الفصل الرابع في ذكر سجوده صلى الله عليه وسلم للسهو في الصلاة** اعلم أن السهو هو الغفلة عن الشيء
وذهاب القلب إلى غيره قاله الأزهري وفرق بعضهم فيما حكاه القاضي عياض بين السهو والنسيان من حيث المعنى
وزعم أن السهو جائز في الصلاة على الأنبياء عليهم السلام بخلاف النسيان قال لأن النسيان غفلة وآفة والسهو
إنما هو شغل فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في الصلاة ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في
الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها انتهى قال ابن كيكلدي وهو ضعيف من جهة الحديث ومن حيث اللغة أما
من جهة الحديث فلما ثبت في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون وأما
من حيث اللغة فقول الأزهري الماضي نحو قول الجوهري وغيره وقال في النهاية السهو في الشيء تركه عن
غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو فرق حسن دقيق وبه يظهر الفرق بين السهو الذي وقع من النبي صلى الله
عليه وسلم غير مرة والسهو عن الصلاة الذي ذم الله تعالى فاعله وقد كان سهوه صلى الله عليه وسلم من إتمام
نعمة الله على أمته وإكمال دينهم ليقتدوا به فيما شرعه لهم عند السهو وهذا معنى الحديث المنقطع الذي في الموطأ (لعله أو أنسى)
الآتي التنبيه عليه إن شاء الله تعالى إنما أنسى أو أنسى لأسن فكان صلى الله عليه وسلم ينسى فيترتب على سهوه أحكام
شرعية تجري على سهو أمته إلى يوم القيامة واختلف في الحكم فقال الشافعية مسنون كله وعن المالكية

قوله في السجود

قوله آخر

السجود للنقص واجب دون الزيادة وعن الحنابلة التفصيل بين الواجبات فيجب لتركها سهوا وبين السنن
القولية فلا يجب وكذا يجب إذا سها بزيادة فعل أو قول يبطلها عمده وعن الحنفية واجب كله وحجتهم قوله
عليه السلام في حديث ابن مسعود عند البخاري ليسجد سجدتين والأمر للوجوب وقد ثبت من فعله عليه
السلام وأفعاله في الصلاة محمولة على البيان وبيان الواجب واجب لا سيما مع قوله عليه السلام صلوا كما
رأيتموني أصلي انتهى وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم السجود على قسمين **الأول** السجود قبل السلام فعن الأعرج
عن عبد الله بن بحينة أنه قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين من بعض الصلوات ثم قام فلم
يجلس فقام الناس معه فلما قضى صلاته ونظرنا تسليمه كبر قبل التسليم فسجد سجدتين وهو جالس ثم سلم
رواه البخاري وفي رواية عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن بحينة أيضا أنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قام من اثنتين من الظهر لم يجلس بينهما فلما قضى صلاته سجد سجدتين ثم سلم بعد ذلك وفي رواية أيضا
عن الأعرج عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام في صلاة الظهر وعليه جلوس فلما أتم صلاته سجد سجدتين
يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل أن يسلم وسجدهما الناس معه مكان ما نسي من الجلوس ورواه مسلم أيضا
وزاد الضحاك عن الأعرج عند ابن خزيمة بعد قوله ثم قام فلم يجلس فسبحوا به فمضى حتى فرغ من صلاته وفي رواية
الترمذي قام في الظهر وعليه جلوس فلما أتم صلاته سجد سجدتين يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل أن يسلم
وفي هذا مشروعية سجود السهو وأنه سجدتان فلو اقتصر على سجدة واحدة ساهيا لم يلزمه شيء أو عامدا بطلت
صلاته لأنه تعمد الإتيان بسجدة زائدة ليست مشروعة وأنه يكبر لهما كما يكبر في غيرهما من السجود واستدل
به على أن سجود السهو قبل السلام ولا حجة فيه في كون جميعه كذلك نعم يرد على من زعم أن جميعه بعد السلام
كالحنفية واستدل به أيضا على أن المأموم يسجد مع الإمام إذا سها الإمام وإن لم يسه المأموم وأن سجود السهو
لا تشهد بعده وأن محله آخر الصلاة فلو سجد للسهو قبل أن يتشهد ساهيا أعاد عند من يوجب التشهد
الأخير وهم الجمهور وفيه أن من سها عن التشهد الأول حتى قام إلى الركعة ثم ذكر لا يرجع فقد سبحوا به صلى الله عليه
وسلم كما في رواية ابن خزيمة فلم يرجع فلو تعمد المصلي الرجوع بعد تلبسه بالركن بطلت صلاته عند الشافعي
القسم الثاني السجود بعد السلام عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم الظهر أو العصر
فسلم فقال له ذو اليدين الصلاة يا رسول الله أنقصت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه أحق ما يقول
قالوا نعم فصلى ركعتين أخراوين ثم سجد سجدتين قال سعد ورأيت عروة بن الزبير صلى المغرب ركعتين فسلم
وتكلم ثم صلى ما بقي وسجد سجدتين وقال هكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري وقوله صلى بنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ظاهر في أن أبا هريرة حضر القصة وحمله الطحاوي على المجاز فقال إن المراد به صلى بالمسلمين
وسبب ذلك قول الزهري إن صاحب القصة استشهد ببدر فإن مقتضاه أن تكون القصة وقعت قبل بدر
وقبل إسلام أبي هريرة بأكثر من خمس سنين لكن اتفق أئمة الحديث كما نقله ابن عبد البر وغيره على أن الزهري
وهم في ذلك وسببه أنه جعل القصة لذي الشمالين وذو الشمالين هو الذي قتل ببدر وهو خزاعي واسمه عمير
وأما ذو اليدين فتأخر بعد النبي صلى الله عليه وسلم مدة لأنه حدث بهذا الحديث بعد النبي صلى الله عليه وسلم
كما أخرجه الطبراني وغيره وهو سلمي واسمه الخرباق كما سيأتي إن شاء الله تعالى فلما وقع عند الزهري بلفظ فقام
ذو الشمالين وهو يعرف أنه قتل ببدر قال لأجل ذلك إن القصة وقعت قبل بدر وقد جوز بعض الأئمة أن تكون
القصة وقعت لكل من ذي الشمالين وذي اليدين وأن أبا هريرة روى الحديثين فأرسل أحدهما وهو قصة ذي الشمالين

وشاهد الاخرى وهي قصة ذي اليدين وهذا محتمل في طريق الجمع وروى البخاري ايضا عن ابن سيرين عن ابي هريرة
قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى صلاتي العشي قال ابن سيرين واكثر ظني العصر ركعتين ثم سلم
ثم قام الى خشبة في مقدم المسجد فوضع يده عليها وفيهم ابو بكر وعمر فهابا ان يكلماه وخرج سرعان الناس
فقالوا اقصرت الصلاة ورجل يدعوه النبي صلى الله عليه وسلم ذا اليدين فقال انسيت ام قصرت فقال لم
انس ولم تقصر فقال بلى قد نسيت فصلى ركعتين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده او اطول ثم رفع راسه وكبر ثم وضع راسه
فكبر فسجد مثل سجوده او اطول ثم رفع راسه وكبر وعن عمران بن الحصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العصر
فسلم في ثلاث ركعات ثم دخل منزله فقام اليه رجل يقال له الخرباق وكان في يديه طول فقال يا رسول الله فذكر
صنيعه وخرج غضبان يجر رداءه حتى انتهى الى الناس فقال اصدق هذا قالوا نعم فصلى ركعة ثم سلم ثم سجد سجدتين
ثم سلم رواه مسلم وهو من افراده لم يروه البخاري ورواه احمد وابو داود والخرباق بكسر المعجمة وسكون الرا
بعدها موحدة وآخره قاف هو اسم ذي اليدين كما ذهب اليه الاكثر وطول يديه يمكن ان يحمل على الحقيقة او كناية عن طولها
بالعمل او البذل قال الحافظ ابن حجر الظاهر في نظري توحد حديث ابي هريرة وان كان قد جنح ابن خزيمة ومن تبعه
الى تعدد هذه القصة والحامل لهم على ذلك اختلاف الواقع في السياقين ففي حديث ابي هريرة ان السلام وقع من اثنتين
وانه صلى الله عليه وسلم قام الى خشبة في المسجد وفي حديث عمران هذا انه سلم من ثلاث وانه دخل منزله لما
فرغ من الصلاة فاما الاول فقد حكى ابن كيكلدي العلائي ان بعض شيوخه حمله على ان المراد به انه سلم في ابتداء
الركعة الثالثة واستبعده ولكن طريق الجمع يكتفى فيها بادنى مناسبة وليس بابعد من دعوى تعدد القصة فانه يلزم
منه كون ذي اليدين في كل مرة استفهم النبي صلى الله عليه وسلم واستفهم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة عن صحة قوله
واما الثاني فلعل الراوي لما رآه تقدم من مكانه الى جهة الخشبة ظن انه دخل منزله لكون الخشبة كانت في جهة
منزله فان كان كذلك والا فرواية ابي هريرة ارجح لموافقة ابن عمر له على سياقه كما اخرجه الشافعي وابو داود وابن
ماجه وابن خزيمة انتهى وعن معاوية بن حديج بضم الحاء المهملة آخره جيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوما
فانصرف وقد بقي من الصلاة ركعة فادركه رجل فقال نسيت من الصلاة ركعة فرجع فدخل المسجد وامر بلالا فاقام
الصلاة فصلى ركعة فاخبرت بذلك الناس فقالوا اتعرف الرجل قلت لا الا ان اراه فمر بي فقلت هو هذا فقالوا
هذا طلحة بن عبيد الله رواه ابو داود والبيهقي في سننهما وكذا ابن خزيمة في صحيحه وعين الصلاة المغرب وكان
اي ابن خزيمة وهذه القصة غير قصة ذي اليدين لان المعلم للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصة طلحة بن عبيد الله
ومخبره في تلك القصة ذو اليدين والسهو منه عليه السلام في قصة ذي اليدين انما كان في الظهر او العصر وفي هذه
القصة انما كان السهو في المغرب لا في الظهر ولا في العصر وعن محمد بن سيرين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم انصرف من اثنتين فقال له ذو اليدين اقصرت الصلاة ام نسيت يا رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصدق ذو اليدين فقال الناس نعم فقام صلى الله عليه وسلم فصلى اثنتين اخريين ثم سلم ثم كبر
فسجد مثل سجوده او اطول ثم رفع وفي رواية سلمة بن علقمة قلت لمحمد يعني ابن سيرين في سجدتي السهو تشهد فقال
ليس في حديث ابي هريرة رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود والترمذي والنسائي قال الحافظ ابن حجر لم يقع
في غير هذه الرواية لفظ القيام وفيه استشكال لانه صلى الله عليه وسلم كان قائما واجيب بان المراد بقوله فقام
اي اعتدل لانه كان مستندا الى الخشبة كما مر وقد يفهم من قول محمد بن سيرين عن التشهد ليس في حديث ابي
هريرة انه ورد في حديث غيره وهو كذلك فقد رواه ابو داود والترمذي وابن حبان والحاكم من طريق اشعث بن

عبد الملك

عبد الملك عن محمد بن سيرين عن خالد الحذاء عن ابي قلابة عن ابي المهلب عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه
وسلم صلى بهم فسها فسجد سجدتين ثم تشهد ثم سلم قال الترمذي حسن غريب وقال الحاكم صحيح على شرطهما وقال ابن
حبان ما روى ابن سيرين عن خالد غير هذا الحديث وضعفه البيهقي وابن عبد البر وغيرهما ووهموا رواية اشعث
لمخالفته غيره من الحفاظ عن ابن سيرين فان زيادة اشعث شاذة لكن قد ورد في التشهد في سجود السهو عن ابن مسعود
عند ابي داود والنسائي وعن المغيرة عند البيهقي وفي اسنادهما ضعف فقد يقال ان الاحاديث الثلاثة في التشهد
باجتماعها ترتقي الى درجة الحسن قال العلائي وليس ذلك ببعيد وقد صح ذلك عن ابن مسعود من قوله اخرجه
ابن ابي شيبة انتهى ملخصا من فتح الباري وفي رواية ابي سفيان عن ابي هريرة عند مسلم صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال اقصرت الصلاة يا رسول الله ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل ذلك لم يكن فقال قد كان بعض ذلك يا رسول الله وفي رواية ابي داود من طريق حماد بن زيد عن هشام بن حسان
عن ابن سيرين في هذا الحديث قال فكبر ثم كبر وسجد للسهو وهذا يؤيد ما قال لا بد من تكبيرة الاحرام في سجود
السهو بعد السلام والجمهور على الاكتفاء بتكبيرة السجود وهو ظاهر غالب الاحاديث وقال ابو داود لم يقل احد كبر
ثم كبر الا حماد بن زيد فاشار الى تفرده بهذه الزيادة ويحتمل ان تكون الخشبة المذكورة في هذا الحديث الجذع الذي
كان عليه السلام يستند اليه قبل اتخاذ المنبر وانما وقع الاستفهام هل قصرت لان الزمان كان زمان النسخ
وقوله فقال لم انس ولم تقصر صريح في نفي النسيان وفيه نفي القصر وفيه تفسير المراد بقوله في رواية ابي سفيان
المتقدمة كل ذلك لم يكن وتاييد لما قاله اصحاب المعاني ان لفظ كل اذا تقدمت وعقبها النفي كانت نفيا لكل
فرد لا للمجموع بخلاف ما اذا تاخرت كان يقول لم يكن كل ذلك ولهذا اجاب ذو اليدين في رواية ابي سفيان بقوله
قد كان بعض ذلك واجابه في هذه الرواية بقوله بلى قد نسيت لانه لما نفى الامرين وكان مقررا عند الصحابة ان السهو
غير جائز عليه في الامور البلاغية جزم بوقوع النسيان لا القصر وهو حجة لمن قال ان السهو جائز على الانبياء فيما طريقه
التشريع وان كان القاضي عياض نقل الاجماع على عدم جواز دخول السهو في الاقوال التبليغية وخص الخلاف بالافعال
لكنهم تعقبوه نعم اتفق من جوز ذلك على انه لا يقر عليه بل يقع له بيان ذلك اما متصلا بالفعل او بعده كما وقع في هذا
الحديث من قوله لم انس ولم تقصر ثم تبين انه نسي ومعنى قوله لم انس اي في اعتقادي لا في نفس الامر ويستفاد منه ان
الاعتقاد عند فقد اليقين يقوم مقام اليقين وفائدة جواز السهو في مثل ذلك بيان الحكم الشرعي اذا وقع مثله لغيره واما من منع
السهو مطلقا فاجابوا عن هذا الحديث باجوبة فقيل قوله لم انس نفي للنسيان ولا يلزم منه نفي السهو وهذا قول
من فرق بينهما وقد تقدم تضعيفه ويكفي فيه قوله في هذه الرواية بلى قد نسيت واقره على ذلك وقيل قوله لم انس على
ظاهره وحقيقته وكان يتعمد ما يقع منه من ذلك ليقع التشريع منه بالفعل لكونه ابلغ من القول وتعقب بحديث
ابن مسعود عند البخاري ومسلم بلفظ صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزاد او نقص شك بعض الرواة والصحيح انه
زاد فلما سلم قيل له يا رسول الله احدث في الصلاة شيء قال وما ذاك قالوا صليت كذا وكذا قال فثنى رجليه واستقبل
القبلة وسجد سجدتين ثم سلم فلما اقبل علينا بوجهه قال انه لو حدث في الصلاة شيء انباتكم به ولكن انما انا بشر مثلكم
انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني واذا شك احدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم يسلم ثم يسجد سجدتين
فيه اثبات العلة قبل الحكم بقوله انما انا بشر مثلكم ولم يكتف باثبات وصف النسيان حتى دفع قول من عساه يقول
ليس نسيانه كنسياننا فقال كما تنسون وبهذا الحديث يرد قول من قال معنى قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه
عن نفسه حيث قال اني لا انسى ولكن انسى لاسن وانكار للفظ الذي انكره على غيره حيث قال بئسما لاحدكم ان يقول

نسيت آية كذا وكذا وقد تعقبوا هذا أيضا بأن حديث إني لأنسى لا أصل له فإنه من بلاغات مالك التي لم توجد
موصولة بعد البحث الشديد وهي أربعة قاله ابن عبد البر وأما الآخر فلا يلزم من ذم إضافة نسيان الآية ذم
إضافة نسيان كل شيء فإن الفرق بينهما واضح جدا وقيل إن قوله لم أنس راجع إلى السلام أي سلمت قصدا بانيا
على ما في اعتقادي أني صليت أربعا وهذا جيد وكان ذا اليدين فهم العموم فقال بلى قد نسيت وكان هذا القول
أوقع شكا احتاج معه إلى استثبات الحاضرين وهذا التقرير يندفع إيراد من استشكل كون ذي اليدين عدلا
ولم يقبل خبره بمفرده فسبب التوقف فيه كونه أخبر عن أمر يتعلق بفعل المسؤول مغاير لما في اعتقاده وبهذا أجاب
من قال إن من أخبر بأمر حسي بحضرة جمع لا يخفى عليهم ولا يجوز عليهم التواطؤ ولا حامل لهم على السكوت عنه ثم لم يكذبوه
أنه لا يقطع بصدقه فإن سبب عدم القطع كون خبره معارضا باعتقاد المسؤول خلاف ما أخبر به وفيه أن الثقة إذا انفرد
بزيادة خبر وكان المجلس متحدا أو امتنع في العادة غفلتهم عن ذلك أنه لا يقبل خبره وفيه جواز البناء على الصلاة لمن أتى
بالمنافي سهوا وقال سحنون إنما يبني من سلم من ركعتين كما في قصة ذي اليدين لأن ذلك وقع على غير القياس فيقتصر
به على مورد النص وألزم بقصر ذلك على إحدى صلاتي العشي فيمنعه مثلا في الصبح والذين قالوا يجوز البناء مطلقا
قيدوه بما لم يطل الفصل وفيه أن الكلام سهوا لا يقطع الصلاة خلافا للحنفية واستدل به على أن تعمد الكلام
لمصلحة الصلاة لا يبطلها وتعقب بأنه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم إلا ناسيا وأما قول ذي اليدين له بلى قد نسيت
وقول الصحابة له صدق ذو اليدين فإنهم تكلموا معتقدين للنسخ في وقت يمكن وقوعه فيه فتكلموا ظنا أنهم ليسوا
في صلاة كذا قيل وهو فاسد لأنهم تكلموا بعد قوله عليه السلام لم تقصر وأجيب بأنهم لم ينطقوا وإنما أومؤوا كما
عند أبي داود في رواية ساق مسلم إسنادها وهذا اعتمده الخطابي وقال حمل القول على الإشارة مجاز سائغ بخلاف
عكسه فينبغي رد الروايات التي فيها التصريح بالقول إلى هذه وهو قوي أقوى من قول غيره يحمل على أن بعضهم قال
بالنطق وبعضهم بالإشارة لكن يبقى قول ذي اليدين بلى قد نسيت ويجاب عنه وعن البقية على تقدير ترجيح أنهم نطقوا
بأن كلامهم كان جوابا للنبي صلى الله عليه وسلم وجوابه لا يقطع الصلاة وتعقب بأنه لا يلزم من وجوب الإجابة
عدم قطع الصلاة وأجيب بأنه ثبت مخاطبته في التشهد وهو حي بقولهم السلام عليك أيها النبي ولم تفسد الصلاة
والظاهر أن ذلك من خصائصه وعن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا فقيل له أزيد في الصلاة
فقال وما ذاك قالوا صليت خمسا فسجد سجدتين بعد ما سلم رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي
بهذا اللفظ إلا أن مسلما لم يقل فيه بعد ما سلم وعبد الله هذا هو ابن مسعود ففي هذه الأحاديث السجود بعد السلام
وقد اختلف في ذلك فقال مالك والمزني وأبو ثور من الشافعية بالتفرقة ما إذا كان السهو بالنقصان أو الزيادة
ففي الأول يسجد قبل السلام وفي الزيادة يسجد بعده وزعم ابن عبد البر أنه أولى من قول غيره للجمع بين الخبرين قال
وهو موافق للنظر لأنه في النقص جبر فينبغي أن يكون من أصل الصلاة وفي الزيادة ترغيم للشيطان فيكون خارجها
وقال ابن دقيق العيد لا شك أن الجمع أولى من الترجيح وادعاء النسخ ويترجح الجمع المذكور بالمناسبة المذكورة وإذا
كانت المناسبة ظاهرة وكان الحكم على وفقها كانت علة فيعم الحكم جميع محالها فلا تخصص إلا بنص وتعقب بأن كون السجود في
الزيادة ترغيما للشيطان فقط ممنوع بل هو جبر أيضا لما وقع من الخلل فإنه وإن كان زيادة فهو نقص في المعنى وقال الخطابي
لم يرجع من فرق بين الزيادة والنقص إلى فرق صحيح وأيضا فقصة ذي اليدين وقع فيها السجود بعد السلام وهي عن نقصان
وأما قول النووي أقوى المذاهب قول مالك ثم أحمد فقد قال غيره بل طريق أحمد أقوى لأنه قال يستعمل كل حديث
فيما يرد فيه وما لم يرد فيه شيء يسجد قبل السلام قال ولولا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك لرأيته كله

قبل

قبل السلام لأنه من شأن الصلاة فيفعله قبل التسليم وعند إمامنا الشافعي سجود السهو كله قبل السلام
وعند الحنفية كله بعد السلام واعتمد الحنفية على حديث ابن مسعود هذا وتعقب بأنه لم يعلم بزيادة الركعة
إلا بعد السلام حين سألوه هل زيد في الصلاة وقد اتفق العلماء في هذه الصورة على أن سجود السهو بعد السلام
لتعذره قبله لعدم علمه بالسهو وإنما تابعه الصحابة لتجويزهم الزيادة في الصلاة لأنه كان زمان توقع النسخ
وأجاب بعضهم بما وقع في حديث ابن مسعود من الزيادة وهي إذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب
فليتم عليه ثم ليسلم ثم ليسجد سجدتين وأجيب بأنه معارض بحديث أبي سعيد عند مسلم ولفظه إذا شك أحدكم
في صلاته فلم يدر كم صلى فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم وبه تمسك الشافعية
وجمع بعضهم بينهما بحمل الصورتين على حالتين ورجح البيهقي طريقة التخيير في سجود السهو قبل السلام أو
بعده ونقل الماوردي وغيره الإجماع على الجواز وإنما الخلاف في الأفضل وكذا أطلق النووي وتعقب بأن إمام الحرمين
نقل في النهاية الخلاف في الإجزاء عن المذهب واستبعد القول بالجواز ويمكن أن يقال الإجماع الذي نقله الماوردي
والنووي قبل هذه الآراء في المذاهب المذكورة والله أعلم قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله ولو سها سهوين فأكثر
كفاه عند الشافعي ومالك وأبي حنيفة وأحمد سجدتان للجميع والجمهور أنه يسجد للسهو في التطوع كالفرض

الفصل الخامس فيما كان صلى الله عليه وسلم يقوله بعد انصرافه من الصلاة وجلوسه بعدها وسرعة

انفتاله بعدها عن ثوبان كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام
ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام رواه مسلم ولم يمكث مستقبل القبلة إلا مقدار ما يقول ذلك وقد
ثبت أنه كان إذا صلى أقبل على أصحابه فيحمل ما ورد من الدعاء بعد الصلاة على أنه كان يقوله بعد أن يقبل على أصحابه
بوجهه الشريف فقد كان عليه السلام يسرع الانفتال إلى المأمومين وكان ينفتل عن يمينه وعن يساره وقال ابن
مسعود رأيته صلى الله عليه وسلم كثيرا ينصرف عن يساره رواه الشيخان وقال أنس أكثر ما رأيته صلى الله عليه
وسلم ينصرف عن يمينه رواه مسلم وقالت أم سلمة كان إذا سلم مكث في مكانه يسيرا قالت فنرى والله أعلم لكي ينصرف
النساء قبل أن يدركهن الرجال رواه البخاري وقالت عائشة كان لم يقعد إلا مقدار ما يقول اللهم أنت السلام
ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام رواه مسلم وهذا الحديث يتمسك به من قال إن الدعاء بعد الصلاة لا
يشرع والجواب أن المراد بالنفي المذكور نفي استمراره عليه السلام جالسا على هيئته قبل السلام إلا بقدر أن يقول
ما ذكر وكان يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت
ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد رواه الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة وكان يقول بأعلى صوته
لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه
له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن الجميل لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رواه مسلم من حديث
عبد الله بن الزبير وعن سعد أنه كان يعلم بنيه هؤلاء الكلمات ويقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ
بهن دبر الصلاة اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من البخل وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا
وعذاب القبر رواه البخاري وعن زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة اللهم
ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أنك الرب وحدك لا شريك لك اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن محمدا عبدك ورسولك
اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة اللهم ربنا ورب كل شيء اجعلني مخلصا لك وأهلي في كل ساعة
من الدنيا والآخرة يا ذا الجلال والإكرام اسمع واستجب الله أكبر الأكبر الله نور السماوات والأرض الله أكبر الأكبر حسبي الله
ونعم الوكيل الله أكبر الأكبر رواه أحمد وأبو داود ورأيت في كتاب المدخل لابن الحاج وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة

مستقبل القبلة سوى المنفرد والإمام والمأموم فلم يكن ذلك من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أصلاً ولا روي عنه بإسناد صحيح ولا حسن وخصص ذلك بعضهم بصلاتي الفجر والعصر ولم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء بعده ولا أرشد إليه أمته وإنما هو استحسان رآه من رآه عوضاً من السنة بعدهما قال وعامة الأدعية المتعلقة بالصلاة إنما فعلها فيها وأمر بها فيها قال وهذا هو اللائق بحال المصلي فإنه مقبل على ربه يناجيه فإذا سلم منها انقطعت تلك المناجاة وانتهى موقفه وقربه فكيف يترك سؤاله في حال مناجاته والقرب منه وهو مقبل عليه ثم يسأل إذا انصرف عنه ثم قال لكن الأذكار الواردة بعد المكتوبة يستحب لمن أتى بها أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن يفرغ منها ويدعو بما شاء ويكون دعاؤه عقب هذه العبادة الثانية وهي الذكر لا لكونه دبر المكتوبة انتهى وقد كان في خاطري من دعواه النفي مطلقاً شيء لما سيأتي ثم رأيت شيخ مشايخنا إمام الحفاظ أبا الفضل ابن حجر تعقبه فقال وما ادعاه من النفي مطلقاً مردود فقد ثبت عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا معاذ والله إني لأحبك فلا تدع دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك أخرجه أبو داود والنسائي وحديث زيد بن أرقم سمعته صلى الله عليه وسلم يدعو في دبر الصلاة اللهم ربنا ورب كل شيء أخرجه أبو داود والنسائي وحديث صهيب رفعه كان يقول إذا انصرف من الصلاة اللهم أصلح لي ديني أخرجه النسائي وصححه ابن حبان وغير ذلك ثم قال فإن قيل المراد بدبر الصلاة قرب آخرها وهو التشهد قلنا قد ورد الأمر بالذكر دبر الصلاة والمراد به بعد السلام إجماعاً فكذا هذا حتى يثبت ما يخالفه وقد أخرج الترمذي من حديث أبي أمامة قيل يا رسول الله أي الدعاء أسمع قال جوف الليل الأخير ودبر الصلوات المكتوبات وقال حسن وأخرج الطبري من رواية جعفر بن محمد الصادق قال الدعاء بعد المكتوبة أفضل من الدعاء بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة قال وفهم كثير من الحنابلة أن مراد ابن القيم نفي الدعاء بعد الصلاة مطلقاً وليس كذلك فإن حاصل كلامه أنه نفاه بقيد استمرار استقبال المصلي القبلة وإيراده عقب السلام وأما إذا انفتل بوجهه أو قدم الأذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الإتيان بالدعاء حينئذ انتهى وكان عليه السلام حين تقام الصلاة في المسجد إذا رآهم قليلاً جلس وإذا رآهم جماعة صلى رواه أبو داود وقال أبو مسعود البدري كان صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم رواه مسلم وقال ابن عباس قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فقمت عن يساره فأخذ بيدي من وراء ظهري فعدلني كذلك من وراء ظهري إلى الشق الأيمن رواه البخاري ومسلم وقال أنس سقط رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فرس فجحش شقه الأيمن فدخلنا عليه نعوده فحضرت الصلاة فصلى بنا قاعداً فصلينا وراءه قعوداً فلما قضى الصلاة قال إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا ركع فاركعوا حتى قال وإذا صلى قاعداً فصلوا قعوداً أجمعين زاد بعض الرواة وإذا صلى قائماً فصلوا قياماً رواه البخاري ومسلم قال الحميدي ومعاني سائر الروايات متقاربة وزاد البخاري قوله إذا صلى جالساً فصلوا جلوساً هو في مرضه القديم وقد صلى في مرضه الذي مات فيه جالساً والناس خلفه قياماً لم يأمرهم بالقعود وإنما يؤخذ بالآخر فالآخر من أمره صلى الله عليه وسلم انتهى وقال الشافعي وأبو حنيفة وجمهور أئمة السلف لا يجوز للقادر على القيام أن يصلي خلف القاعد إلا قائماً واحتجوا بأنه صلى الله عليه وسلم صلى في مرض موته بعد هذا قاعداً وأبو بكر والناس خلفه قياماً وإن كان بعض العلماء زعم أن أبا بكر رضي الله عنه هو الإمام والنبي صلى الله عليه وسلم مقتد به لكن الصواب أنه صلى الله عليه وسلم هو الإمام

الباب الثاني في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم الجمعة

عن أنس بن مالك قال أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذه قال هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك والناس لكم تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها عبد

يا كبيكج

مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يوم المزيد فقال إن ربك اتخذ في الفردوس وادياً أفيح فيه كثب من مسك فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولدي مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم ربهم فيه من الخير وفيه استوى ربك على العرش رواه الشافعي في مسنده وروى مسلم من حديث أبي هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة وروى البيهقي في الدعوات من حديث أنس كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان وكان يقول ليلة الجمعة ليلة أغر ويوم الجمعة يوم أزهر وليوم الجمعة من الخواص ما يبلغ العشرين ذكرها ابن القيم في الهدي النبوي لا سيما وليست من غرضي وهو أفضل أيام الأسبوع كما أن يوم عرفة أفضل أيام العام وكذلك ليلة القدر وليلة الجمعة ولهذا كان لوقفة الجمعة يوم عرفة مزية على سائر الأيام وقال أبو أمامة بن النقاش يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع ويوم النحر أفضل أيام العام قال وغير هذا لا يسلم قائله من اعتراض يعجز عن دفعه انتهى وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد رواه البخاري وفي رواية ابن عيينة عن أبي الزناد عند مسلم نحن الآخرون ونحن السابقون أي الآخرون زماناً الأولون منزلة والمراد باليوم يوم الجمعة وقوله بيد بفتح الموحدة وإسكان المثناة من تحت وفتح الدال المهملة أي غير وإذا عرف هذا فقوله تعالى إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه أي على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافاً على نبيهم في ذلك اليوم لأجله قال بعضهم في العقل وجه يدل على أن يوم الجمعة أفضل من السبت والأحد وذلك لأن أهل الملل اتفقوا على أنه تعالى خلق العالم في ستة أيام وبدأ الخلق والتكوين في يوم الأحد وتم في يوم الجمعة فكان الفراغ يوم السبت فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك الأعمال فعينوا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدأ الخلق والتكوين يوم الأحد فنجعل هذا اليوم عيداً لنا فهذان الوجهان معقولان فما الوجه في جعل يوم الجمعة عيداً فالجواب أن يوم الجمعة هو يوم الكمال والتمام وحصول الكمال والتمام يوجب الفرح الكامل والسرور العظيم فجعل يوم الجمعة يوم العيد أولى من هذا الوجه والله أعلم قال ابن بطال وليس المراد في الحديث أنه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فتركوه لأنه لا يجوز لأحد أن يترك ما فرض الله عليه وهو مؤمن وإنما يدل والله أعلم أنه فرض عليهم يوم من الجمعة وكل إلى اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم فاختلفوا فيه ولم يهتدوا ليوم الجمعة كذا قال لكن قد روى ابن أبي حاتم عن السدي التصريح بأنه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فأبوا ولفظه أن الله فرض على اليهود الجمعة فأبوا وقالوا يا موسى اجعل لنا يوم السبت فجعل عليهم وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم في قوله تعالى ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة وهم القائلون سمعنا وعصينا ويحتمل قوله فهدانا الله له بأن نص علينا وأن يراد الهداية إليه بالاجتهاد ويشهد للثاني ما رواه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل أن تنزل الجمعة فقالت الأنصار إن لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل لنا يوماً نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلي ونشكره فجعلوه يوم العروبة واجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وأنزل الله تعالى بعد ذلك إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة وهذا وإن كان مرسلاً فله شاهد بإسناد حسن

أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وصححه ابن خزيمة من حديث كعب بن مالك قال كان أول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسعد بن زرارة فمرسل ابن سيرين يدل على أن أولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد ولا يمنع ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه بالوحي وهو بمكة فلم يتمكن من إقامتها ثم ولذلك جمّع بهم أول ما قدم المدينة انتهى وقال ابن إسحق لما قدم عليه السلام المدينة أقام بقبا في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة فأدركته الجمعة في بني سالم فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة وذلك قبل تأسيس مسجده وكان صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة حين تميل الشمس رواه البخاري من حديث أنس وفي رواية إذا اشتد البرد بكّر بالصلاة وإذا اشتد الحر أبرد بالصلاة يعني الجمعة وفي رواية سهل بن سعد عند البخاري ومسلم كنا نصلي معه صلى الله عليه وسلم الجمعة ونقيل بعد الجمعة ثم اعلم أن الخطبة شرط في انعقاد الجمعة لا تصح إلا بها وقال سعيد بن جبير هي بمنزلة الركعتين من صلاة الظهر فإذا تركها وصلى الجمعة فقد ترك ركعتين من صلاة الظهر ولم يكن يؤذن في زمانه صلى الله عليه وسلم على المنار وبين يديه وإنما كان بلال يؤذن وحده بين يديه صلى الله عليه وسلم إذا جلس على المنبر كما صرح به أئمة الحنفية والمالكية والشافعية وغيرهم وعبارة البرهان المرغيناني من الحنفية في هدايته وإذا صعد الإمام المنبر جلس وأذن المؤذن بين يدي المنبر بذلك جرى التوارث ولم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هذا الأذان وعبارة ابن الحاجب من المالكية وحرم السعي عند أذان جلوس الخطبة وهو المعهود فلما كان عثمان وكثروا أمر بأذان قبله على الزوراء ثم نقله هشام إلى المسجد وجعل الآخر بين يديه انتهى ونحوه قال عبد الحق في تهذيب الطالب وأما قول ابن أبي زيد في رسالته وهذا الأذان الثاني أحدثه بنو أمية فقال شارحوه الفاكهاني وغيره يعني الثاني في الإحداث وهو الأول في الفعل قال وكان بعض شيوخنا يقول الأول هو الثاني والثاني هو الأول وفسره بما تقدم انتهى وعبارة الزركشي كغيره من الشافعية ويجلس الإمام على المستراح ليستريح من تعب الصعود ثم يؤذن المؤذن بعد جلوسه فإن التأذين كان حين يجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن قبله أذان فلما كان زمن عثمان وكثر الناس أمرهم بالتأذين ثانيا ثم يديم الجلوس إلى فراغ المؤذن انتهى وعن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء رواه البخاري وقال الزوراء موضع بالسوق بالمدينة وفي رواية له أيضا أن التأذين الثاني يوم الجمعة أمر به عثمان حين كثر أهل المسجد وهو مفسر لما أفسره في الباب السابق وعند ابن خزيمة كان الأذان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر أذانين يوم الجمعة قال ابن خزيمة قوله أذانين يريد الأذان والإقامة تغليبا أو لاشتراكهما في الإعلام وللنسائي كان بلال يؤذن إذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فإذا نزل أقام وفي رواية وكيع عن ابن أبي ذئب فأمر عثمان بالأذان الأول ونحوه للإمام الشافعي من هذا الوجه قال في فتح الباري ولا منافاة بينهما لأنه باعتبار كونه مزيدا يسمى ثالثا وباعتبار كونه مقدما على الأذان والإقامة يسمى أولا وأما قوله في رواية البخاري إن التأذين الثاني فمتوجه بالنظر إلى الأذان الحقيقي لا الإقامة وقال الشيخ خليل في التوضيح واختلف النقل هل كان يؤذن بين يديه عليه السلام أو على المنار الذي نقله أصحابنا أنه كان على المنار نقله ابن القاسم عن مالك في المجموعة ونقل ابن عبد البر في كافيه عن مالك أن الأذان بين يدي الإمام ليس من الأمر القديم وقال غيره هو أصل الأذان في الجمعة وكذا نقل صاحب تهذيب الطالب والمازري في الاستذكار أن هذا اشتبه على بعض أصحابنا فأنكر أن يكون الأذان يوم الجمعة بين يدي الإمام كان في زمنه عليه

السلام

السلام وأبي بكر وعمر وأن ذلك حدث في زمان هشام قال وهذا قول من قل علمه ثم استشهد بحديث السائب ابن يزيد المروي في البخاري السابق ثم قال وقد رفع الإشكال فيه ابن إسحق عن الزهري عن السائب بن يزيد قال كان يؤذن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس على المنبر يوم الجمعة وأبي بكر وعمر انتهى والحكمة في جعل الأذان في هذا المحل ليعرف الناس بجلوس الإمام على المنبر فينصتون له إذا خطب قاله المهلب قال في فتح الباري وفيه نظر فإن في سياق محمد بن إسحق عند الطبراني وغيره في هذا الحديث أن بلالا كان يؤذن على باب المسجد فالظاهر أنه كان لمطلق الإعلام لا لخصوص الإنصات والذي يظهر أن الناس أخذوا بفعل عثمان في جميع البلاد إذ ذاك لكونه كان خليفة مطاع الأمر لكن ذكر الفاكهاني أن أول من أحدث الأذان الأول بمكة الحجاج وبالبصرة زياد وفي تفسير جويبر عن الضحاك عن معاذ أن عمر أمر مؤذنين أن يؤذنا للناس الجمعة خارجا من المسجد حتى يسمع الناس وأمر أن يؤذن بين يديه كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ثم قال عمر نحن ابتدعناه لكثرة المسلمين وهذا منقطع بين مكحول ومعاذ ولا يثبت وقد تواردت الأخبار أن عثمان هو الذي زاده فهو المعتمد وقد روى عبد الرزاق ما يقوي هذا الأثر عن ابن جريج قال قال سليمان بن موسى أول من زاد الأذان بالمدينة عثمان فقال عطاء كلا إنما كان يدعو الناس ولا يؤذن غير أذان واحد انتهى لكن عطاء لم يدرك عثمان بن عفان فرواية من أثبته لك عنه مقدمة على إنكاره ويمكن الجمع بأن الذي كان في زمن عمر بن الخطاب استمر على عهد عثمان ثم رأى أن يجعله أذانا وأن يكون على مكان عال ففعل ذلك فنسب إليه لكونه بألفاظ الأذان وترك ما كان يفعله عمر لكونه مجرد إعلام وروى ابن أبي شيبة عن ابن عمر قال الأذان الأول يوم الجمعة بدعة فيحتمل أن يكون قال ذلك على سبيل الإنكار وأنه يكون أراد أنه لم يكن في زمنه عليه الصلاة والسلام لأن كل ما لم يكن في زمنه عليه السلام يسمى بدعة لكن منها ما يكون حسنا ومنها ما يكون بخلاف ذلك ثم إن فعل عثمان رضي الله عنه كان إجماعا سكوتيا لأنهم لم ينكروه عليه

وأول جمعة جمّعها النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه كما قدمناه في حديث الهجرة في بني سالم بن عوف في بطن وادٍ لهم فخطبهم وهي أول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا أوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه فإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي به إلا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل أمره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد هو الذي صدق قوله ونجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وإن تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وسخطه وإن تقوى الله تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة فخذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة إلا بالله فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس

ولا يكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذكر هذه الخطبة القرطبي في تفسيره وغيره وقد
كان صلى الله عليه وسلم يخطب متوكيا على قوس او عصى وفي سنن ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا خطب في الحرب خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصى وعند ابي داود باسناد
حسن انه صلى الله عليه وسلم قام متوكيا على قوس او عصى قالوا والحكمة في التوكي على نحو السيف الاشارة
الى ان هذا الدين قام بالسلاح ولهذا قبضه باليسرى كعادة من يريد الجهاد به ونازع فيه العلامة
ابن القيم في الهدي النبوي وقال ان الدين لم يقم الا بالقران والوحي كذا قال فالله اعلم وكان عليه السلام
اذا صعد المنبر سلم رواه ابن ماجه وكان صلى الله عليه وسلم يخطب قايما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قايما رواه
مسلم من رواية جابر بن سمرة وفي رواية كانت له صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرا القران ويذكر
الناس وفي حديث ابن عمر عند ابي داود كان عليه السلام يخطب خطبتين كان يجلس اذا صعد المنبر حتى يفرغ
المؤذن ثم يقوم فيخطب ثم يجلس فلا يتكلم ثم يقوم فيخطب قال ابن المنذر الذي عليه اهل العلم من علماء
الامصار الخطبة قايما ونقل غيره عن ابي حنيفة ان القيام في الخطبة سنة وليس بواجب وعن مالك رواية انه واجب
فان تركه اساء وصحت الخطبة وعند الباقين ان القيام شرط للقادر كالصلاة واستدلوا بحديث جابر بن سمرة
ومواظبته صلى الله عليه وسلم على القيام وبمشروعية الجلوس بين الخطبتين فلو كان القعود مشروعا في الخطبتين
ما احتيج الى الفصل بالجلوس لان الذي نقل عنه الجلوس وهو معاوية كان معذورا فعند ابن ابي شيبة من
طريق الشعبي ان معاوية انما خطب قاعدا لما كثر شحم بطنه واستدل الشافعي رحمه الله بوجوب الجلوس بين
الخطبتين بما تقدم وبمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يقول بعد الثنا اما بعد كما قاله
الغافقي وكان صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كانه منذر جيش
يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت انا والساعة كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى
ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة
ثم يقول انا اولى بكل مومن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا او ضياعا فالي وعلي رواه مسلم والنسا
من حديث جابر وفي رواية كانت خطبته صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو اهله ثم يقول
من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وخير الحديث كتاب الله ثم ذكر نحو ما تقدم وعن ام هشام بنت
حارثة بن النعمان قالت ما اخذت ق والقران المجيد الا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقروها كل
جمعة على المنبر اذا خطب الناس رواه مسلم وعن الحكم بن حزن الكلفي قال قدمت الى النبي صلى الله عليه وسلم
سابع سبعة او تاسع تسعة فلبثنا عنده اياما شهدنا فيها الجمعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكيا
على قوس او قال على عصى فحمد الله واثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات ثم قال يا ايها الناس انكم لن
تفعلوا ولن تطيقوا كل ما امرتكم به ولكن سددوا وابشروا رواه احمد وابو داود وعن يعلى بن امية قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرا على المنبر ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك رواه البخاري ومسلم وعن ابي الدردا قال
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جمعة فقال توبوا الى الله قبل ان تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة قبل
ان تشتغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا واكثروا الصدقة ترزقوا وامروا بالمعروف تخصبوا وانهوا عن
المنكر تنصروا وايها الناس ان اكيسكم اكثركم ذكرا للموت واكرمكم احسنكم استعدادا له الا وان من امارات العقل التجافي
عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتاهب ليوم النشور رواه
ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله مختصرا بنحوه وفي مراسيل ابي داود عن الزهري قال كان صدر خطبة النبي صلى

الله عليه وسلم الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهد الله فلا مضل
له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا
بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى نسال الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه
ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه وعنه ايضا قال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
كان يقول اذا خطب كل ما هو ات قريب لا بعد لما هو ات يريد الله امرا ويريد الناس امرا ما شا الله كان ولو
كره الناس ولا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله لا يكون شي الا باذن الله عز وجل وعن جابر كان صلى الله
عليه وسلم اذا خطب يوم الجمعة يقول بعد ان يحمد الله ويصلي على انبيايه ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم
وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ان العبد المومن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله قاض فيه وبين
اجل قد بقي لا يدري كيف الله صانع فيه فلياخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن
الحياة قبل الممات والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار الا الجنة والنار اقول قولي
هذا واستغفر الله لي ولكم رواه وعن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوما فقال الا ان الدنيا
عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر الا وان الاخرة اجل صادق ويقضي فيها ملك قادر الا وان الخير كله بحذافيره
في الجنة الا وان الشر كله بحذافيره في النار الا فاعملوا وانتم من الله على حذر واعلموا انكم معروضون على اعمالكم فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره رواه الشافعي وعند ابي نعيم في الحلية نحوه واختلف هل يجب
الانصات ويمتنع من جميع انواع الكلام حال الخطبة ام لا وعن الشافعي في المسالة قولان مشهوران
وبناهما بعض الاصحاب على الخلاف في ان الخطبتين بدل عن الركعتين ام لا فعلى الاول يحرم لا على الثاني
والثاني هو الارجح عندهم فمن ثم اطلق من اطلق منهم اباحة الكلام حتى شنع من شنع عليهم من المخالفين
وعن احمد ايضا روايتان وعنهما ايضا التفرقة بين من يسمع الخطبة وبين من لم يسمعها واغرب
ابن عبد البر فنقل الاجماع على وجوب الانصات على من سمعها الا عن قليل من التابعين ودخل
ابو سليك الغطفاني وهو صلى الله عليه وسلم يخطب فقال له صلى الله عليه وسلم صليت قال لا قال
قم فاركع ركعتين رواه البخاري ومسلم وابو داود واستدل به على ان الخطبة لا تمنع الداخل من صلاة
تحية المسجد وتعقب بانها واقعة عين لا عموم لها فيحتمل اختصاصها بسليك ويدل عليه
قوله في حديث ابي سعيد عند اهل السنن جا رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب والرجل في هيئة بذة فقال له
اصليت قال لا قال صل ركعتين وحض الناس على الصدقة الحديث فامره ان يصلي ليراه بعض الناس
وهو قايم فيتصدق عليه وورد ايضا ما يويد الخصوصية وهو ما اخرجه ابن حبان وهو قوله صلى
الله عليه وسلم لسليك في اخر الحديث لا تعودن لمثلها ومما يضعف الاستدلال به على جواز التحية
في تلك الحالة انهم اطلقوا ان التحية تفوت بالجلوس فهذا ما احتج به من طعن في الاستدلال بهذه
القصة على جواز التحية وكله مردود لان الاصل عدم الخصوصية والتعليل بكونه عليه السلام قصد
التصدق عليه لا يمنع القول بجواز التحية فان المانعين منها لا يجيزون التطوع لعلة التصدق قال
ابن المنير لو ساغ ذلك لساغ مثله في التطوع عند طلوع الشمس وساير الاوقات المكروهة ولا قايل به
ومما يدل على ان امره بالصلاة لم ينحصر في قصد التصدق معاودته عليه السلام بامره بالصلاة في الجمعة
الثانية بعد ان حصل له في الجمعة الاولى ثوبين فدخل بهما في الثانية فتصدق باحدهما فنهاه صلى الله
عليه وسلم عن ذلك اخرجه النسائي وابن خزيمة من حديث ابي سعيد ايضا ولاحمد وابن حبان انه كرر

امره بالصلاة ثلاث مرات في ثلاث جمع فدل على ان قصد التصدق عليه جزء علة لا علة كاملة واما اطلاق من اطلق ان التحية تفوت بالجلوس فقد حكى النووي في شرح مسلم عن المحققين ان ذلك في حق العامد العالم اما الجاهل والناسي فلا وحال هذا الداخل محمولة في الاولى على احدهما وفي المرتين الاخريين على النسيان والحامل لهما تعين على التاويل المذكور انهم زعموا ان ظاهره انه معارض للامر بالانصات والاستماع للخطبة وقد اجاب الحافظ ابن حجر عن ذلك وغيره من ادلة المانعين بما يطول ذكره ثم قال وهذه الاجوبة التي قدمناها تندفع من اصلها بعموم قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي قتادة اذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين متفق عليه قال وورد اخص منه في حال الخطبة ففي رواية شعبة عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب اذا جاء احدكم والامام يخطب او قد خرج فليصل ركعتين متفق عليه ولمسلم من طريق ابي سفيان عن جابر انه قال ذلك في قصة سليك ولفظه بعد قوله فاركعهما وتجوز فيهما ثم قال اذا جاء احدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما قال النووي هذا نص لا يتطرق اليه التاويل ولا اظن عالما يبلغه هذا اللفظ ويعتقده صحيحا فيخالفه وقال العارف ابن ابي جمرة هذا الذي اخرجه مسلم نص في الباب لا يحتمل التاويل انتهى وقد كان قوم امنا امره صلى الله عليه وسلم بسنة الجمعة التي قبلها ومستندهم قوله عليه السلام في قصة سليك عند ابن ماجه اصليت ركعتين قبل ان تجيء لان ظاهره قبل ان تجيء من البيت ولهذا قال الاوزاعي ان كان صلى في البيت قبل ان يجيء فلا يصلي اذا دخل المسجد وتعقب بان المانع من صلاة التحية لا يجيز التنفل حال الخطبة مطلقا ويحتمل ان يكون معنى قوله قبل ان تجيء اي الى الموضع الذي انت به الآن وفائدة الاستفهام احتمال ان يكون صلاها في مؤخر المسجد ثم تقدم ليقرب من سماع الخطبة ويؤيده ان في رواية مسلم اصليت الركعتين بالالف واللام وهي للعهد ولا عهد هناك اقرب من تحية المسجد واما سنة الجمعة التي قبلها فياتي الكلام فيها ان شاء الله تعالى وكانت صلاته صلى الله عليه وسلم قصدا وخطبته قصدا رواه مسلم والترمذي من رواية جابر بن سمرة زاد في رواية ابي داود يقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس وله في اخرى كان لا يطيل الموعظة يوم الجمعة انما هو كلمات يسيرات وعن عمرو ابن حريث انه صلى الله عليه وسلم خطب وعليه عمامة سوداء قد ارخى طرفيها بين كتفيه رواه مسلم قال ابن القيم في الهدي وكان عليه السلام اذا اجتمع الناس خرج اليهم وحده من غير شاويش يصيح بين يديه ولا لبس طيلسان ولا طرحة ولا سواد فاذا دخل المسجد سلم عليهم فاذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم ثم يجلس ويأخذ بلال في الاذان فاذا فرغ منه قام صلى الله عليه وسلم وخطب من غير فصل بين الاذان والخطبة لا بايراد خبر ولا غيره ولم يكن ياخذ بيده سيفا ولا غيره وانما كان يعتمد على قوس او عصا قبل ان يتخذ المنبر وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الجمعة في الركعة الاولى واذا جاءك المنافقون في الثانية رواه مسلم والترمذي وابو داود والحكمة في قراءته عليه السلام بسورة الجمعة اشتمالها على وجوب الجمعة وغير ذلك مما فيها من القواعد والحث على التوكل والذكر وغير ذلك وقراءة سورة المنافقين لتوبيخ حاضريها منهم وتنبيههم على التوبة وغير ذلك مما فيها من القواعد لانهم ما كانوا يجتمعون في مجلس اكثر من اجتماعهم فيها وفي حديث النعمان بن بشير عند مسلم وكان يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية وقد اختلف في العدد الذي تنعقد بهم الجمعة وللعلماء فيه خمسة عشر قولا احدها تصح من الواحد نقله ابن حزم الثاني

الطرحة الطيلسان كذا في القاموس

اثنان كالجماعة وهو قول النخعي واهل الظاهر الثالث اثنان مع الامام عند ابي يوسف ومحمد والليث الرابع ثلاثة معه عند ابي حنيفة وسفيان الثوري الخامس سبعة عند عكرمة السادس تسعة عند ربيعة السابع اثنا عشر عن ربيعة ايضا في رواية الثامن مثله غير الامام عند اسحق التاسع عشرون في رواية ابن حبيب عن مالك العاشر ثلاثون كذلك الحادي عشر اربعون بالامام عند اصحاب الشافعي واشترط كونهم احرارا بالغين عقلاء مقيمين لا يظعنون صيفا ولا شتاء الا لحاجة وان يكونوا حاضرين من اول الخطبة الى ان تتم الجمعة وحجة الشافعي ما رواه الدارقطني وابن ماجه والبيهقي في الدلائل عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد ابي حين ذهب بصره فاذا خرجت به الى الجمعة فسمع الاذان صلى على ابي امامة واستغفر له قال فكنت كذلك حينا لا يسمع الاذان في الجمعة الا فعل ذلك فقلت له يا ابه استغفارك لابي امامة كلما سمعت اذان الجمعة ما هو قال يا بني هو اول من جمع بالمدينة قال قلت له كم كنتم يومئذ قال اربعون رجلا وقال جابر بن عبد الله مضت السنة ان في كل ثلاثة اماما وفي كل اربعين فما فوق ذلك جمعة خرجه الدارقطني وروى البيهقي عن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم جمع بالمدينة وكانوا اربعين رجلا قال شيخ الاسلام زكريا الانصاري قال في المجموع قال اصحابنا وجه الدلالة ان الامة اجمعوا على اشتراط العدد والاصل الظهر فلا تصح الجمعة الا بعدد ثبت فيه توقيف وقد ثبت جوازها باربعين وثبت صلوا كما رأيتموني اصلي ولم يثبت صلاته لها باقل من ذلك فلا يجوز باقل منه قال واما خبر انفضاضهم فلم يبق الا اثنا عشر فليس فيه ان ابتداءها باثني عشر بل يحتمل عودهم او عود غيرهم مع سماعهم اركان الخطبة وفي مسلم انفضوا في الخطبة وفي رواية للبخاري انفضوا في الصلاة وهي محمولة على الخطبة جمعا بين الاخبار انتهى الثاني عشر اربعون غير الامام عند الشافعي ايضا وبه قال عمر بن عبد العزيز وطائفة الثالث عشر خمسون عند احمد في رواية وحكيت عن عمر بن عبد العزيز الرابع عشر ثمانون حكاه المازري الخامس عشر جمع كثير بغير حصر ولعل هذا الاخير ارجحها من حيث الدليل قاله في فتح الباري

الباب الثالث في ذكر تهجده صلوات الله وسلامه عليه

قال الله تعالى له عليه السلام ومن الليل فتهجد به اي بالقرآن والمراد منه الصلاة المشتملة على القرآن والهجود في اللغة النوم وعن ابي عبيدة الهاجد النائم والهاجد المصلي بالليل وعن الازهري الهاجد النائم وقال المازني التهجد الصلاة بعد الرقاد ثم صلاة اخرى بعد رقدة ثم صلاة اخرى بعد رقدة قال وهكذا كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى نافلة لك اي عبادة زائدة في فرائضك ويحكى نصرة هذا القول بان قوله فتهجد امر وصيغة الامر للوجوب فوجب كون التهجد واجبا وروى الطبري عن ابن عباس ان النافلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه امر بقيام الليل وكتب عليه دون امته واسناده ضعيف وقيل معناه زيادة لك خالصة لان تطوع غيره يكفر ما على صاحبه من ذنب وتطوعه هو صلى الله عليه وسلم يقع خالصا له لكونه لا ذنب عليه فكل طاعة ياتي بها صلى الله عليه وسلم سوى المكتوبة انما تكون لزيادة الدرجات وكثرة الحسنات ولهذا سمي نافلة بخلاف الامة فان لهم ذنوبا محتاجة الى الكفارات فهذه الطاعات يحتاجون اليها تكفيرا للذنوب والسيئات وروى مسلم من طريق سعد بن هشام عن عائشة قالت ان الله افترض

قيام الليل في اول هذه السورة يعني يا ايها المزمل فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا
حتى انزل الله في اخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة وروى محمد بن نصر
في قيام الليل من طريق سماك عن ابن عباس شاهد الحديث عايشة في ان بين الايجاب والنسخ
سنة وحكى الشافعي عن بعض اهل العلم ان اخر السورة نسخ افتراض قيام الليل الا ما تيسر منه ثم
نسخ فرض ذلك بالصلوات الخمس وروى محمد بن نصر من حديث جابر ان نسخ قيام الليل وقع لما توجهوا
مع ابي عبيدة في جيش الخبط وكان ذلك بعد الهجرة لكن في اسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف
فوجوب قيام الليل قد نسخ في حقنا وهل نسخ في حقه صلى الله عليه وسلم اكثر الاصحاب لا والصحيح نعم
ونقله الشيخ ابو حامد عن النص وقالت عايشة رضي الله عنها قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت
قدماه وفي رواية حتى تفطرت قدماه فقلت له لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا قالت فلما بدن وكثر لحمه صلى جالسا فاذا
اراد ان يركع قام فقرا ثم ركع رواه البخاري ومسلم والفا في قوله افلا اكون للسببية وهي عن محذوف
تقديره اأترك تهجدي فلا اكون عبدا والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف اتركه
قال ابن بطال في هذا الحديث اخذ الانسان على نفسه بالشدة في العبادة وان اضر ذلك ببدنه
لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف من لم يعلم بذلك فضلا عمن لم يامن انه
استحق النار انتهى ومحل ذلك كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ما لم يفض ذلك الى الملال لان حال
النبي صلى الله عليه وسلم كانت اكمل الاحوال فكان لا يمل من عبادة ربه وان اضر ذلك ببدنه بل صح انه عليه
السلام قال وجعلت قرة عيني في الصلاة كما اخرجه النسائي من حديث انس فاما غيره صلى الله عليه وسلم
فاذا خشي الملل ينبغي له ان لا يكد نفسه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم خذوا من الاعمال ما تطيقون
فان الله لا يمل حتى تملوا انتهى لكن ربما يسبب النفس والشيطان على المجتهد في العبادة بل ما اكر حتى
اذا كبر فيقول قد ضعفت وكبرت فابق على نفسك لئلا ينقطع عملك بالكلية وهذا وان كان ظاهره
جميلا لكن فيه دسايس فانه ان اطاعه فقد يكون استدراجا يؤدي به الى ترك العمل شيا فشيا الى ان
ينقطع بالكلية وما ترك سيد المرسلين المغفور له شيا من عمله بعد كبره نعم كان يصلي بعض ورده جالسا
بعد ان كان يقوم حتى تفطر قدماه فكيف بمن اثقلت ظهره الاوزار ولا يامن عذاب النار ان يغفل حال
شيبته ويتوانى عند ظهور شيبه فينبغي للانسان ان يستعد قبل حلول مشيبه واغتنم خمسا قبل
خمس شبابك قبل هرمك فان من شاب فقد لاح صبح سواد ليل شعره وقد قال تعالى منذرا لمن
يدخل في الصباح ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فكيف بقرب من دخل في الصباح وظهر كوكب
نهاره في افق راسه ولاح قال القرطبي ظن من سال النبي صلى الله عليه وسلم عن سبب تحمله المشقة
في العبادة انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى ذلك
فافادهم ان هناك طريقا اخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة وايصال النعمة لمن لا يستحق عليها فيها سببا
فيتعين كثرة الشكر على ذلك والشكر الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر منه ذلك سمي شكورا
ومن ثم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وفيه ما كان النبي صلى الله عليه وسلم عليه من الاجتهاد
في العبادة والخشية من ربه قال العلما انما الزم الانبيا انفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم

وانه

وانه ابتداهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره مع ان حقوق الله اعظم
من ان يقوم بها العباد والله اعلم انتهى ذكر سياق صلاته صلى الله عليه وسلم بالليل عن شريح بن هاني
قالت عايشة رضي الله عنها ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشا قط فدخل بيتي الا صلى اربع ركعات
او ست ركعات رواه ابو داود وكان يقوم اذا سمع الصارخ رواه البخاري ومسلم من حديث عايشة
وهو يصيح في النصف الثاني وقالت كان عليه السلام ينام اول الليل ويحيي اخره فيصلي ثم يرجع
الى فراشه فاذا اذن المؤذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضا وخرج رواه الشيخان
وقالت ايضا كان عليه السلام ربما اغتسل في اول الليل وربما اغتسل في اخره وربما اوتر في اول الليل
وربما اوتر في اخره وربما جهر بالقراءة وربما خفت وقالت ام سلمة كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى ثم
يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح رواه ابو داود والترمذي والنسائي وفي رواية للنسائي
كان يصلي العتمة ثم يسبح ثم يصلي بعدها ما شا الله من الليل ثم ينصرف فيرقد مثل ما صلى ثم يستيقظ
من نومه ذلك فيصلي مثل ما نام وصلاته تلك الاخرة تكون الى الصبح وعن انس ما كنا نشا ان نرى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الليل مصليا الا رايناه ولا نشا ان نراه نايما الا رايناه رواه النسائي وكان
عليه السلام اذا استيقظ من الليل قال لا اله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك لذنبي واسالك
رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة انك انت الوهاب رواه
ابو داود من حديث عايشة وعنها كان عليه السلام اذا هب من الليل كبر عشرا وحمد الله عشرا وقال
سبحان الله وبحمده عشرا وقال سبحان الملك القدوس عشرا وهلل الله عشرا ثم قال اللهم اني اعوذ بك
واستغفر الله عشرا
من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة عشرا ثم يفتتح الصلاة رواه ابو داود وقد روى حديث قيامه بالليل
ووتره عايشة وابن عباس قال ابن القيم وانا اختلف ابن عباس وعايشة في شي من امر قيامه
عليه السلام بالليل فالقول قول عايشة لكونها اعلم الخلق بقيامه بالليل انتهى فاما حديث ابن
عباس فرواه البخاري ومسلم بلفظ بت عند خالتي ميمونة ليلة والنبي صلى الله عليه وسلم عندها فتحدث
صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخر او بعضه قعد فنظر الى السما فقرا
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار حتى ختم السورة ثم قام الى القربة فاطلق شناقها
ثم صب في الجفنة ثم توضا وضوءا حسنا بين الوضوءين لم يكثر وقد ابلغ فقام فصلى فقمت وتوضات
فقمت عن يساره فاخذ باذني فادارني عن يمينه فتتامت صلاته ثلاث عشرة ركعة ثم اضطجع فنام
حتى نفخ وكان اذا نام نفخ فاذنه بلال بالصلاة فصلى ولم يتوضا وكان في دعايه اللهم اجعل في قلبي نورا
وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن يساري نورا وفوقي نورا وتحتي نورا وامامي نورا
وخلفي نورا واجعل لي نورا وزاد بعضهم وفي لساني نورا وذكر عصبي ولحمي ودمي وشعري وبشري وفي
رواية فصلى ركعتين خفيفتين قلت قرا فيهما بام الكتاب في كل ركعة ثم سلم ثم صلى احدى عشرة ركعة
بالوتر ثم نام فاتاه بلال فقال الصلاة يا رسول الله فقام فركع ركعتين ثم صلى للناس وفي رواية فقام
فصلى ثلاث عشرة ركعة منها ركعتا الفجر حزرت قيامه في كل ركعة بقدر يا ايها المزمل وفي رواية فصلى ركعتين
ركعتين حتى صلى ثماني ركعات ثم اوتر بخمس لم يجلس بينهن وفي رواية للنسائي انه صلى احدى عشرة ركعة بالوتر
ثم نام حتى استثقل فرايته ينفخ واتاه بلال الحديث وفي اخرى له فتوضا واستاك وهو يقرا هذه الاية حتى فرغ

منها ان في خلق السموات والارض ثم صلى ركعتين ثم عاد فنام حتى سمعت نفخه ثم قام فتوضأ واستاك
ثم صلى ركعتين ثم نام ثم قام فتوضأ واستاك وصلى ركعتين واوتر بثلاث ولمسلم فاستيقظ
فتسوك فتوضأ وهو يقول ان في خلق السموات والارض حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين
اطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست
ركعات كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ هؤلاء الآيات ثم اوتر بثلاث واما حديث عايشة فعن
سعد بن هشام قال انطلقت الى عايشة فقلت يا ام المؤمنين انبئيني عن خلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت الست تقرأ القرآن قلت بلى قالت كان خلقه القرآن قلت يا ام المؤمنين انبئيني
عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كنا نعد له صلى الله عليه وسلم سواكه وطهوره
فيبعثه الله متى شاء ان يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات ولا يجلس فيها الا
في الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم فيصلي التاسعة ثم يقعد فيذكر الله ويحمده
ويدعوه ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد فتلك احدى عشرة ركعة
يا بني فلما اسن واخذه اللحم اوتر بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه في الاول فتلك تسع يا بني رواه
مسلم وللنسائي كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شاء ان يبعثه من الليل فيستاك ويتوضأ
ويصلي تسع ركعات لا يجلس فيهن الا عند الثامنة فيحمد الله تعالى ويصلي على نبيه ويدعو بينهن ولا
يسلم ثم يصلي التاسعة ويقعد فيحمد الله ويصلي على نبيه ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي ركعتين
وهو قاعد زاد في اخرى فتلك احدى عشرة ركعة يا بني فلما اسن صلى الله عليه وسلم واخذه اللحم
اوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما سلم فتلك تسع اي بني وفي رواية له فصلى ست ركعات
يخيل الي انه سوى بينهن في القراءة والركوع والسجود ثم يوتر بركعة ثم يصلي ركعتين وهو جالس ثم
يضع جنبه وعن عايشة كان صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين
رواه مسلم واحمد وعنها كان عليه السلام يصلي فيما بين ان يفرغ من صلاة العشاء الى الفجر احدى عشرة
ركعة يسلم من كل ركعتين ويوتر بواحدة فيسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ احدكم خمسين اية قبل
ان يرفع رأسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع
على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة رواه ابو داود وعنها قالت كان يصلي ثلاث عشرة ركعة
يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس في شيء الا في اخرها رواه البخاري ومسلم وفي البخاري عن مسروق سألت
عايشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبعا وتسعا واحدى عشرة سوى ركعتي
الفجر وعنه ايضا عن القسم بن محمد عنها كان صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ثلث عشرة ركعة منها
الوتر وركعتا الفجر قال القرطبي اشكلت روايات عايشة على كثير من اهل العلم حتى نسب بعضهم
حديثها الى الاضطراب وهذا انما يتم لو كان الراوي عنها واحدا واخبرت عن وقت واحد والصواب
ان كل شيء ذكرته من ذلك محمول على اوقات متعددة واحوال مختلفة بحسب النشاط وبيان الجواز
انتهى فاما ما اجابت به مسروقا فمرادها ان ذلك وقع منه في اوقات مختلفة فتارة كان يصلي
سبعا وتارة تسعا وتارة احدى عشرة واما حديث القاسم فمحمول على ان ذلك كان غالب احواله
قيل والحكمة في عدم الزيادة على احدى عشرة ان التهجد والوتر مختص بصلاة الليل وفرائض النهار الظهر

وهي

وهي اربع والعصر وهي اربع والمغرب وهي ثلاث وتر النهار فناسب ان تكون صلاة الليل كصلاة
النهار في العدد جملة وتفصيلا واما مناسبة ثلث عشرة فبضم صلاة الصبح لكونها نهارية الى ما بعدها
انتهى وعن زيد بن خالد الجهني انه قال لارمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة قال فصلى ركعتين
خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى
ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين
قبلهما ثم اوتر فذلك ثلث عشرة ركعة رواه مسلم وقوله ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما اربع مرات
هكذا في صحيح مسلم وموطأ مالك وسنن ابي داود وجامع الاصول لابن الاثير فقد كان قيامه عليه السلام
بالليل انواعا احدها ست ركعات يسلم من كل ركعتين ثم يوتر بثلاث كما في حديث ابن عباس عند
مسلم الثانية انه كان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين ثم يتم ورده احدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين
رواه البخاري ومسلم من حديث عايشة الثالثة ثلاث عشرة كذلك رواه مسلم من حديث زيد بن خالد
الجهني الرابعة ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين ثم يوتر بخمس سردا متوالية لا يجلس الا في اخرهن رواه
البخاري ومسلم من حديث ابن عباس الخامسة تسع ركعات لا يجلس فيها الا في الثامنة فيذكر الله ويحمده
ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم فيصلي التاسعة ثم يقعد ويحمده ويدعوه ثم يسلم ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم
قاعدا رواه مسلم من حديث عايشة السادسة يصلي سبعا كالتسع ثم يصلي بعدها ركعتين جالسا
رواه مسلم ايضا من حديثها السابعة كان يصلي مثنى مثنى ثم يوتر بثلاث لا يفصل بينهن رواه احمد عنها
الثامنة منها ما رواه النسائي عن حذيفة انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فركع فقال
في ركوعه سبحان ربي العظيم مثل ما كان قائما ثم جلس يقول رب اغفر لي رب اغفر لي فما صلى الا اربع
ركعات حتى جاء بلال يدعوه الى الغداة ورواه ابو داود ولفظه انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي
من الليل فكان يقول الله اكبر ثلاثا ذو الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ثم استفتح فقرأ
البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحوا من قيامه وكان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم ثم رفع رأسه من
الركوع فكان قيامه نحوا من ركوعه يقول لربي الحمد ثم سجد فكان سجوده نحوا من قيامه فكان يقول
في سجوده سبحان ربي الاعلى ثم رفع رأسه من السجود وكان يقعد فيما بين السجدتين نحوا من سجوده وكان
يقول رب اغفر لي رب اغفر لي فصلى اربع ركعات قرأ فيهن البقرة وال عمران والنساء والمائدة او الانعام
شك شعبة ورواه البخاري ومسلم بلفظ صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح
البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح ال عمران فقرأها
ثم افتتح النساء فقرأها يقرأ مترسلا اذا مر باية فيها تسبيح سبح واذا مر بسؤال سأل واذا مر بتعوذ تعوذ
ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم فكان ركوعه نحوا من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده زاد في رواية ربنا
لك الحمد ثم قام قياما طويلا قريبا مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربي الاعلى وكان سجوده قريبا من قيامه
وزاد النسائي لا يمر باية تخويف او تعظيم لله عز وجل الا ذكره وقد كانت هيئة صلاته عليه السلام ثلاثة
احدها انه كان اكثر صلاته قائما لحفصة قالت ما رأيته صلى الله عليه وسلم صلى في سبحته قاعدا حتى كان
قبل وفاته بعام وكان يصلي في سبحته قاعدا الحديث رواه احمد ومسلم والنسائي وصححه الترمذي الثاني
كان يصلي قاعدا ويركع قاعدا رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عايشة بلفظ وانا ارى وهو قاعد

قيامه بالليل لا يزيد
ثلث عشر ركعات
مع الوتر

ركع وسجد وهو قاعد الثالث كان يقرا قاعدا فاذا بقي يسير من قراءته قام فركع قائما رواه مسلم
من حديث عايشة ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي جالسا ويقرا وهو جالس
فاذا بقي من قراءته قدر ما يكون ثلثين اية او اربعين اية قام فقرا وهو قايم ثم ركع ثم سجد ثم يفعل
في الركعة الثانية مثل ذلك وعن عايشة كان صلى الله عليه وسلم يصلي متربعا رواه الدارقطني وكان
صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين بعد الوتر جالسا تارة وتارة يقراهما وهو جالس فاذا اراد ان يركع
قام فركع قالت عايشة كان يوتر بواحدة ثم يركع ركعتين يقرا فيهما وهو جالس فاذا اراد ان يركع
قام فركع رواه ابن ماجه وعن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين بعد
الوتر وهو جالس يقرا فيهما اذا زلزلت وقل يا ايها الكافرون رواه احمد واختلف في هاتين الركعتين فانكرهما
مالك وكذا النووي في المجموع وقال احمد لا افعله ولا امنعه امتي والصواب انه انما فعلهما بيانا
لجواز الصلاة بعد الوتر ولفظة كان لا تفيد دواما ولا اكثرية هنا وغلط من ظنهما سنة راتبة فانه
صلى الله عليه وسلم ما داوم عليهما ولا تشبه السنة بالفرض حتى يكون للوتر صلاة بعده واما قيامه
عليه السلام ليلة النصف من شعبان فعن عايشة رضي الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الليل فصلى فاطال السجود حتى ظننت انه قد قبض فلما رايت ذلك قمت حتى حركت
ابهامه فتحرك فرجعت فلما رفع راسه من السجود وفرغ من صلاته قال يا عايشة او يا حميرا اظننت
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد خاس بك قلت لا والله يا رسول الله ولكني ظننت انك قبضت
لطول سجودك فقال اتدرين اي ليلة هذه قلت الله ورسوله اعلم قال هذه ليلة النصف من
شعبان ان الله عز وجل يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم
المسترحمين ويؤخر اهل الحقد كما هم رواه البيهقي من طريق العلا بن الحارث عنها وقال هذا
مرسل جيد يعني ان العلا لم يسمع من عايشة وقد ورد في فضل ليلة النصف من شعبان احاديث
كثيرة لكن ضعفها الاكثرون وصحح ابن حبان بعضها وخرجه في صحيحه ومن امثلها كما نبه عليه الحافظ
ابن رجب حديث عايشة قالت فقدت النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت فاذا هو بالبقيع رافع
راسه الى السما فقال اكنت تخافين ان يحيف الله عليك ورسوله فقلت يا رسول الله ظننت انك
اتيت بعض نسائك فقال ان الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سما الدنيا فيغفر لاكثر من
عدد شعر غنم كلب رواه احمد وقال الترمذي ان البخاري ضعفه وفي سنن ابن ماجه باسناد ضعيف
عن علي مرفوعا اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل
فيها لغروب الشمس الى سما الدنيا فيقول الا مستغفر فاغفر له الا مسترزق فارزقه الا مبتلى
فاعافيه الا كذا الا كذا حتى يطلع الفجر وقد كان التابعون من اهل الشام كخالد بن معدان ومكحول
يجتهدون ليلة النصف من شعبان في العبادة وعنهم اخذ الناس تعظيمها ويقال انه بلغهم في
ذلك اثار اسرايليه فلما اشتهر ذلك عنهم اختلف الناس فيه فمنهم من قبله منهم وقد انكر ذلك اكثر
العلما من اهل الحجاز منهم عطا وابن ابي مليكة ونقله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن فقها اهل المدينة
وهو قول اصحاب مالك وغيرهم وقالوا ذلك كله بدعة واختلف علما اهل الشام في صفة احيايها
على قولين احدهما انه يستحب احياوها جماعة في المساجد وكان خالد بن معدان ولقمن بن عامر

يلبسون

يلبسون فيها احسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون ويقومون في المسجد ليلتهم تلك ووافقهم اسحق
ابن راهويه على ذلك وقال في قيامها في المساجد جماعة ليس ببدعة نقله عنه حرب الكرماني في مسايله
والثاني انه يكره الاجتماع لها في المساجد للصلاة والقصص والدعاء ولا يكره ان يصلي الرجل فيها لخاصة
نفسه وهو قول الاوزاعي امام اهل الشام وفقيههم وعالمهم ولا يعرف للامام احمد كلام في ليلة
النصف من شعبان ويخرج في استحباب قيامها عنه روايتان من الروايتين عنه في قيام
ليلتي العيد فانه في رواية لم يستحب قيامها جماعة لانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا
عن اصحابه فعلها واستحبها في رواية لفعل عبد الرحمن بن يزيد بن الاسود كذلك وهو من التابعين
وكذلك قيام ليلة النصف من شعبان لم يثبت فيها شي عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه
انما ثبت عن طايفة من التابعين من اعيان فقها الشام انتهى ملخصا من اللطايف واما قوله
تعالى في سورة الدخان انا انزلناه في ليلة مباركة فالمراد بها انزال الله تعالى القران في ليلة القدر كما قال
تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وكما قال تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران قال الحافظ ابن كثير
ومن قال انها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة فقد ابعد النجعة فان نص القران انها في
رمضان واما الحديث الذي رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري اخبرني عثمن بن
المغيرة بن الاخنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى
ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى فهو حديث مرسل ومثله لا يعارض به النصوص انتهى
واما قيامه عليه السلام في شهر رمضان وهو الذي يسمى بالتراويح جمع ترويحة وهي المرة الواحدة
من الراحة وسميت بذلك لانهم اول ما اجتمعوا عليها كانوا يستريحون بين كل تسليمتين فعن عايشة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر من رمضان احيا الليل وايقظ اهله وجد
وشد المئزر رواه البخاري ومسلم وابو داود والنساي ولمسلم قالت كان صلى الله عليه وسلم يجتهد
في رمضان ما لا يجتهد في غيره وفي العشر الاخر منه ما لا يجتهد في غيره وفي رواية الترمذي كان يجتهد في
العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيره وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد فصلى بصلاته
ناس ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة فلم يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما اصبح قال قد رايت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج اليكم الا اني خشيت ان يفرض عليكم
وذلك في رمضان رواه البخاري ومسلم وابو داود وفي رواية للبخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم خرج من
جوف الليل فصلى في المسجد فصلى رجال بصلاته فاصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع اكثر منهم فخرج عليه
السلام في الليلة الثانية فصلوا بصلاته فلما اصبح الناس يذكرون ذلك فكثر اهل المسجد من الليلة
الثالثة فخرج فصلوا بصلاته فلما كان في الليلة الرابعة عجز المسجد عن اهله فلم يخرج اليهم صلى الله عليه
وسلم فطفق رجال منهم يقولون الصلاة فلم يخرج اليهم حتى خرج لصلاة الفجر فلما قضى الفجر اقبل على الناس ثم تشهد
فقال اما بعد فانه لم يخف علي شانكم الليلة ولكني خشيت ان تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها
وفي رواية بنحوه ومعناه مختصرا قال وذلك في رمضان قال في فتح الباري ظاهر هذا الحديث انه صلى الله
عليه وسلم توقع ترتب افتراض الصلاة بالليل جماعة على وجود المواظبة عليها وفي ذلك اشكال وقد بناه
بعض المالكية على قاعدتهم في ان الشروع ملزم وفيه نظر واجاب المحب الطبري بانه يحتمل ان يكون الله

ليلتهم

جماعة
اهل
قيام شهر رمضان

عن ربه جل اوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلاة معهم افترضتها عليهم فاحب التخفيف عنهم
وقيل خشي ان يظن احد من الامة من مداومته عليها الوجوب قال القرطبي اي يظنه فرضا
فيجب على من ظن ذلك كما اذا ظن المجتهد حل شيء او تحريمه فانه يجب عليه العمل به وقد استشكل
الخطابي اصل هذه الخشية مع ما ثبت في حديث الاسراء من ان الله تعالى قال هن خمس وهن خمسون
لا يبدل القول لدي فاذا امن التبديل كيف يقع الخوف من الزيادة وهذا يدفع في صدر الاجوبة المتقدمة
واجاب عنه الخطابي بان صلاة الليل كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم وافعاله الشرعية
يجب على الامة الاقتداء به فيها يعني عند المواظبة فترك الخروج اليهم لئلا يدخل ذلك في الواجب من طريق
الامر بالاقتداء به لا من طريق انشاء فرض جديد زائد على الخمس وهذا كما يوجب المرء على نفسه صلاة
نذر فيجب عليه ولا يلزم من ذلك زيادة فرض في اصل الشرع قال وفيه احتمال اخر وهو ان الله
فرض الصلاة خمسين ثم حط معظمها بشفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم فاذا عادت الامة فيما
استوهب لها والتزمت ما استعفى لهم نبيهم عليه الصلوة والسلام منه لم يستنكر ان يثبت ذلك
فرضا عليهم قال الحافظ بن حجر وقد تلقى هذين الجوابين عن الخطابي جماعة كابن الجوزي وهو
مبني على ان قيام الليل كان واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى وجوب الاقتداء بافعاله وفي كل
من الامرين نزاع ثم اجاب بثلاثة اجوبة احدها بانه يحتمل ان يكون المخوف افتراض قيام الليل
بمعنى جعل التهجد في المسجد جماعة شرطا في صحة التنفل بالليل قال ويومي اليه قوله في حديث زيد بن
ثابت حتى خشيت ان يكتب عليكم ولو كتب عليكم ما قمتم به فصلوا ايها الناس في بيوتكم فمنعهم من
التجميع في المسجد اشفاقا عليهم من اشتراطه وامن مع اذنه في المواظبة على ذلك في بيوتهم من افتراضه
عليهم وثانيها ان يكون المخوف افتراض قيام رمضان خاصة الليل على الكفاية لا على الاعيان فلا
يكون ذلك زائدا على الخمس بل هو نظير ما ذهب اليه قوم في العيد ونحوها وثالثها يحتمل ان يكون
المخوف افتراض قيام رمضان خاصة فقد وقع في حديث الباب ان ذلك كان في رمضان وفي حديث
سفيان بن حسين خشيت ان يفرض عليكم قيام هذا الشهر قال فعلى هذا يرتفع الاشكال لان قيام
رمضان لا يتكرر كل يوم في السنة فلا يكون ذلك قدرا زائدا على الخمس واقوى هذه الاوجه الثلاثة
في نظري الاول وعن النعمان بن بشير قال قمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ليلة
ثلث وعشرين الى ثلث الليل الاول ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين الى نصف الليل ثم قمنا معه ليلة
سبع وعشرين حتى ظننا ان لا ندرك الفلاح وكانوا يسمونه السحور رواه النسائي واختلف العلماء
هل الافضل في صلاة التراويح ان تصلى جماعة في المسجد او في البيوت فرادى فقال الشافعي وجمهور
اصحابه وابو حنيفة وبعض المالكية وغيرهم الافضل صلاتها جماعة كما فعله عمر بن الخطاب والصحابة
واستمر عمل المسلمين عليه لانه من الشعائر الظاهرة فاشبه صلاة العيد فان قلت فقد ذكر
ان الحافظ ابن حجر حمل قوله عليه السلام اني خشيت ان تفرض عليكم على التجميع في المسجد وقال انه اقوى
الاوجه فالجواب انه صلى الله عليه وسلم لما مات حصل الامن من ذلك ورجح عمر التجميع لما في
الاختلاف من افتراق الكلمة ولان الاجتماع على واحد انشط لكثير من المصلين وقال مالك وابو
يوسف وبعض الشافعية وغيرهم الافضل صلاتها فرادى في البيوت لقوله عليه السلام افضل صلاة

المرء في بيته الا المكتوبة قالوا واما فعلها صلى الله عليه وسلم في المسجد فلبيان الجواز ولانه كان
معتكفا واما عدد الركعات التي كان صلى الله عليه وسلم يصليها في رمضان فعن ابي سلمة انه سال
عايشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فقالت ما كان يزيد في رمضان
ولا في غيره على احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي اربعا فلا تسال
عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلثا قالت عايشة فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر فقال يا
عايشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي رواه البخاري ومسلم واما ما رواه ابن ابي شيبة من حديث
ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يصلي في رمضان عشرين ركعة والوتر فاسناده ضعيف وقد
عارضه حديث عايشة هذا وهي اعلم بحال النبي صلى الله عليه وسلم ليلا من غيرها وقد كان الامر في
زمنه صلى الله عليه وسلم استمر على ان كل واحد يقوم في رمضان في بيته منفردا حتى انقضى صدر من
خلافة عمر وفي البخاري ان عمر خرج ليلة الى المسجد فاذا الناس اوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه
ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر اني لو جمعت هولاء على قارئ واحد لكان امثل ثم عزم فجمعهم
على ابي بن كعب ثم خرج ليلة اخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر نعمت البدعة هذه والتي
ينامون عنها افضل من التي يقومون يريد اخر الليل وكان الناس يقومون اوله وانما اختار ابيا لانه
كان اقرأهم كما قال عمر وروى سعيد بن منصور من طريق عروة ان عمر جمع الناس على ابي بن كعب فكان
يصلي بالرجال وكان تميم الداري يصلي بالنساء وفي الموطا امر عمر ابي بن كعب وتميم الداري ان يقوما للناس
في رمضان وروى البيهقي باسناد صحيح ان الناس كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب في شهر رمضان
بعشرين ركعة قال الحليمي والسر في كونها عشرين ان الرواتب في غير رمضان عشر ركعات فضوعفت
لانه وقت جد وتشمير وفي الموطا بثلاث وعشرين وجمع البيهقي بينهما بانهم يوترون بثلاث وفي الموطا
عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد انها احدى عشرة وعند عبد العزيز احدى وعشرين والجمع
بين هذه الروايات ممكن باختلاف الاحوال ويحتمل ان ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها
فحيث يطيل القراءة تقل الركعات وبالعكس وقد روى محمد بن نصر من طريق داود بن قيس قال ادركت
الناس في امارة ابان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز يعني بالمدينة يقومون بست وثلاثين ركعة ويوترون
بثلاث وقال مالك هو الامر القديم عندنا وعن الزعفراني عن الشافعي رايت الناس يقومون بالمدينة
بتسع وثلاثين وبمكة بثلاث وعشرين وليس في شيء من ذلك ضيق وعنه قال ان اطالوا القيام واقلوا
السجود فحسن وان اكثروا السجود واخفوا القراءة فحسن والاول احب الي انتهى وهل يجوز لغير اهل المدينة
صلاتها ستا وثلاثين قال النووي وقال الشافعي لا يجوز ذلك لغيرهم لان لاهلها شرفا بهجرته صلى
الله عليه وسلم ومدفنه وخالفه قول الحليمي ومن اقتدى باهل المدينة فقام بست وثلاثين لحسن ايضا
وينبغي ان يسلم من كل ركعتين فلو صلى اربعا بتسليمة لم يصح وقال القاضي حسين في فتاويه ولو
صلى سنة الظهر او العصر اربعا بتسليمة واحدة جاز والفرق ان التراويح بمشروعية الجماعة اشبهت
الفرايض قاله النووي في فتاويه وصرح به في الروضة وقد كان صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة في قيام
رمضان بالليل اكثر من غيره وقد صلى معه حذيفة ليلة في رمضان قال فقرأ بالبقرة ثم النساء ثم ال
عمران لا يمر باية تخويف الا وقف وسال قال فما صلى الركعتين حتى جاءه جبريل فاذنه بالصلاة اخرجه احمد

واخرجه النسائي وعنه انه ما صلى الا اربع ركعات وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة لا يحسبها
في غير الصلاة الباب الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم الوتر قد صح عنه صلى الله عليه وسلم
انه اوتر بخمس لم يجلس الا في اخرها لكن احاديث الفصل اثبت واكثر طرقا واحتج بعض الحنفية لما ذهبوا
اليه من تعيين الوصل والاقتصار على ثلاث بان الصحابة اجمعوا على ان الوتر بثلاث موصولة حسن
جائز واختلفوا فيما زاد او نقص قال فاخذنا بما اجمعوا عليه وتركنا ما اختلفوا فيه وتعقبه محمد بن نصر
المروزي بما رواه من طريق عراك بن مالك عن ابي هريرة مرفوعا وموقوفا لا توتروا بثلاث تشبهوا
بصلاة المغرب وقد صححه الحاكم وعن سليمان بن يسار انه كره الثلاث في الوتر وقال لا يشبه التطوع
الفريضة اتى لكن قد روى الحاكم من حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان يوتر بثلاث لا يقعد
الا في اخرهن وروى النسائي من حديث ابي بن كعب نحوه ولفظه يوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها
الكافرون وقل هو الله احد ولا يسلم الا في اخرهن وبين في عدة طرق ان السور الثلاث بثلاث ركعات
والجمع بين هذا وبين ما تقدم من النهي عن التشبيه بصلاة المغرب ان يحمل النهي على صلاة الثلاث بتشهدين
وقد فعله السلف ايضا وروى محمد بن نصر من طريق الحسن ان عمر كان ينهض في الثالثة من الوتر بالتكبير
ومن طريق المسور بن مخرمة ان عمر اوتر بثلاث لم يسلم الا في اخرهن ومن طريق ابن طاوس عن ابيه انه
كان يوتر بثلاث لا يقعد بينهن وكان ابن عمر يسلم من الركعة والركعتين في الوتر حتى يامر ببعض حاجته
وهذا ظاهره انه كان يصلي الوتر موصولا فان عرضت له حاجة فصل ثم بنى على ما مضى وفي هذا رد على من
قال لا يصح الوتر الا موصولا واصرح من ذلك ما روى الطحاوي من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه انه كان
يفصل بين شفعه ووتره بتسليمة واخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله واسناده قوي وقد استدل
بعضهم على فضل الفصل بانه صلى الله عليه وسلم امر به وفعله واما الوصل فورد من فعله فقط وقد حمل الحا
من الحنفية كلما ورد من الثلاث على الوصل مع ان كثيرا من الاحاديث ظاهر في الفصل كحديث عائشة
يسلم من كل ركعتين فانه يدخل فيه الركعتان اللتان قبل الاخيرة فهو كالنص في موضع النزاع وحمل الطحاوي
هذا ومثله على ان الركعة مضمومة الى الركعتين قبلها ولم يتمسك في دعوى ذلك الا بالنهي عن البتيراء مع احتمال
ان يكون المراد بالبتيراء ان يوتر بواحدة فردة ليس قبلها شيء وهو اعم من ان تكون مع الوصل او الفصل
وقد اختلف السلف في امرين احدهما في مشروعية ركعتين بعد الوتر عن جلوس والثاني فيمن اوتر ثم اراد
ان يتنفل في الليل هل يكتفي بوتره الاول ويتنفل ما شاء او يشفع وتره بركعة ثم يتنفل ثم اذا فعل هل يحتاج
الى وتر اخر ام لا فاما الاول فوقع عند مسلم من طريق ابي سلمة عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي
ركعتين بعد الوتر وهو جالس وقد ذهب اليه بعض اهل العلم وجعلوا الامر في قوله اجعلوا اخر صلاتكم بالليل
وترا مختصا بمن اوتر اخر الليل واجاب من لم يقل بذلك بان الركعتين المذكورتين هما ركعتا الفجر وحمله
النووي على انه صلى الله عليه وسلم فعله لبيان جواز التنفل بعد الوتر وجواز التنفل جالسا واما الثاني
فذهب الاكثر الى انه يصلي شفعا ما اراد ولا ينقض وتره عملا بقوله عليه السلام لا وتران في ليلة وهو حديث
حسن اخرجه النسائي وابن خزيمة من حديث طلق بن علي وانما يصح نقض الوتر عند من يقول بمشروعية
التنفل بركعة واحدة غير الوتر واختلف السلف ايضا في مشروعية قضاء الوتر فنفاه الاكثر وفي مسلم وغيره
عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نام من الليل من وجع او غيره فلم يقم من الليل صلى من النهار ثنتي

عشرة ركعة وقال محمد بن نصر لم نجد عن النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من الاخبار انه قضى الوتر ولا امر
بقضائه وعن عطاء والاوزاعي يقضى ولو طلعت الشمس الى الغروب وهو وجه عند الشافعية حكاه النووي
في شرح مسلم وعن سعيد بن جبير يقضى من القابلة وعن الشافعية يقضي مطلقا وقالت عائشة
اوتر صلى الله عليه وسلم من كل الليل من اوله واوسطه واخره وانتهى وتره الى السحر رواه البخاري ومسلم
وابو داود والترمذي والنسائي والمراد باوله بعد صلاة العشاء ويحتمل ان يكون اختلاف وقت الوتر
باختلاف الاحوال فحيث اوتر اوله لعله كان وجعا وحيث اوتر في وسطه لعله كان مسافرا واما وتره
في اخره فكان غالب احواله لما عرف من مواظبته على الصلاة اخر الليل والسحر قبيل الصبح وحكى الماوردي
انه السدس الاخير وقيل اوله الفجر الاول وفي رواية طلحة بن نافع عن ابن عباس عند ابن خزيمة فلما انفجر
الفجر قام صلى الله عليه وسلم فاوتر بركعة قال ابن خزيمة المراد به الفجر الاول وقد روى احمد من حديث معاذ
مرفوعا زادني ربي صلاة وهي الوتر ووقتها من العشاء الى طلوع الفجر وفي اسناده ضعف وكذا في حديث خارجة
ابن حذافة في السنن وهو الذي احتج به من قال بوجوب الوتر وليس صريحا في الوجوب واما حديث
بريدة رفعه الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا واعاد ذلك ثلاثا ففي سنده ابو المنيب وفيه ضعف وعلى تقدير
قبوله فيحتاج من احتج به الى ان يثبت ان لفظ حق بمعنى واجب في عرف الشارع وان لفظ واجب بمعنى ما
ثبت من طريق الاحاد والله اعلم وقد كان صلى الله عليه وسلم يصلي وعائشة راقدة معترضة على فراشه
فاذا اراد ان يوتر ايقظها فاوترت كما في البخاري وهذا يدل على استحباب جعل الوتر اخر الليل سواء المتهجد
وغيره ومحله اذا وثق ان يستيقظ بنفسه او بايقاظ غيره واستدل به على وجوب الوتر لكونه عليه
السلام سلك به مسلك الواجب حيث لم يدعها نائمة للوتر وابقاها للتهجد وتعقب بانه لا يلزم من
النوافل
ذلك الوجوب نعم يدل على تاكيد امر الوتر وانه فوق غيره من النوافل الليلية وفيه استحباب ايقاظ النائم لادراك
الصلاة ولا يختص ذلك بالمفروضة ولا بخشية خروج الوقت بل يشرع ذلك لادراك الجماعة وادراك اول الوقت
وغير ذلك من المندوبات قال القرطبي ولا يبعد ان يقال انه واجب في الواجب مندوب في المندوب
لان النائم وان لم يكن مكلفا لكن مانعه سريع الزوال فهو كالغافل وتنبيه الغافل واجب والله اعلم
وعن علي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث يقرا فيهن بتسع سور من المفصل يقرا في كل ركعة
بثلاث سور اخرهن قل هو الله احد رواه الترمذي وعن ابن عباس كان يقرا في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى
وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد في ركعة وعن عائشة كان يقرا في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي
الثانية بقل يا ايها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله احد والمعوذتين رواه ابو داود والترمذي ولابي داود
وكان اذا سلم قال سبحان الملك القدوس وعند النسائي ثلاثا يطيل في اخرهن وفي رواية ويرفع
صوته بالثالثة وعن علي كان عليه السلام يقول في اخر وتره اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك
من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك رواه ابو داود والترمذي
والنسائي وابن ماجه قال ابن تيمية سنة الفجر تجري مجرى بداية العمل والوتر خاتمته ولذا كان
عليه السلام يقرا في سنة الفجر وفي الوتر بسورتي الاخلاص وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل وتوحيد
المعرفة والارادة وتوحيد الاعتقاد فسورة قل هو الله احد متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة وما يجب
اثباته للرب تعالى من الاحدية والصمدية المثبتة له صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص ونفي الولد والوالد

والكفو المتضمن لنفي التشبيه والمثل والنظير تضمنت اثبات كل كمال ونفي كل نقص عنه ونفي كل شبيه
وهذه هي مجامع التوحيد العلمي والاعتقادي فلذلك كانت تعدل ثلث القرآن فان القرآن مدار
على الخبر والانشا ثلثه امر ونهي واباحه والخبر نوعان خبر عن الخالق تعالى واسمايه وصفاته واحكامه
وخبر عن خلقه فاخلصت سورة الاخلاص للخبر عنه وعن اسمايه وصفاته فعدلت ثلث القرآن وخلصت
قارئها المؤمن بها من الشرك العلمي كما خلصته سورة قل يا ايها الكافرون من الشرك العملي قاله ابن القيم

واما القنوت في الركعة الاخيرة من الوتر في النصف الاخير من رمضان فقال النووي في الاذكار
باستحبابه ولم يذكر له دليلا وقد اخرج ابو داود باسناد رجاله ثقات لكن احدهما منقطع وفي
الاخر راو لم يسم ان عمر لما جمع الناس على ابي بن كعب كان لا يقنت الا في النصف الاخير وعن الحسن بن
علي قال علمني جدي كلمات اقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن
توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني شر ما قضيت انك تقضي ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت ولا
يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت وهذا لفظ رواية الترمذي رواه الطبراني وغيره

الباب الخامس في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم الضحى اختلف الرواة هل صلاها النبي صلى الله عليه وسلم ام لا
فمنهم المثبت ومنهم النافي فمن العلما من رجح رواية المثبت على النافي جريا على القاعدة المعروفة لانها
تتضمن زيادة علم خفيت على النافين قالوا وقد يجوز ان يذهب علم مثل هذا على كثير من الناس ويوجد
عند الاقل ومنهم من رجح رواية النافي بقرينة ولم يعتد برواية المثبت اما لضعفها او صرفها كما سياتي
عن صلاة الضحى قاله الحاكم وفي الباب عن ابي سعيد وابي ذر الغفاري وزيد بن ارقم وابي هريرة
وبريدة الاسلمي وابي الدردا وعبد الله بن ابي اوفى وعتبان بن مالك وعتبة بن عبد السلمي ونعيم بن همام
الغطفاني وابي امامة الباهلي وعايشة بنت ابي بكر وام هاني وام سلمة كلهم شهدوا ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يصلي الضحى انتهى فاما حديث ابي سعيد فاخرجه الحاكم والترمذي عن عطية العوفي عنه انه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها وقال الترمذي
حسن غريب قال النووي عطية ضعيف فلعله اعتضد واما حديث ابي ذر الغفاري فرواه البزار

واما حديث زيد بن ارقم فرواه مسلم بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الضحى الحديث
واما حديث ابي هريرة فرواه البزار في مسنده بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يترك صلوة الضحى
في سفر ولا حضر واسناده ضعيف فيه يوسف بن خالد السمتي ضعيف جدا واما حديث بريدة الاسلمي فرواه
واما حديث ابي الدردا فرواه الطبراني
واما حديث ابن ابي اوفى فرواه ابن عدي والدارقطني
بلفظ قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ركعتين يوم بشر براس ابي جهل قال بعض العلما
النافين لرواية المثبتين هذا الحديث ان كان صحيحا فهو صلاة شكر وقعت وقت الضحى كشكره يوم فتح مكة
واما حديث عتبان بن مالك فرواه احمد ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى سبحة الضحى فقاموا وراه فصلوا
واما حديث عتبة بن عبد فرواه
واما حديث نعيم بن همام فرواه

واما حديث ابي امامه فرواه
واما حديث عايشة فرواه مسلم واحمد وابن ماجه قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
الضحى اربعا ويزيد ما شا الله وعن عبد الله بن شقيق قال سالت عايشة هل كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلي الضحى قالت لا الا ان يجي من مغيبه واما حديث ام هاني فرواه البخاري ومسلم عنها
قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات فلم ار صلاة
قط اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود وذلك في رواية اخرى وذلك ضحى ولمسلم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلى في بيتها عام الفتح ثماني ركعات في ثوب واحد قد خالف بين طرفيه وللنسائي انها
ذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة تستره بثوب فسلمت فقال
من هذا قالت انا ام هاني فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفا في ثوب واحد ولابي داود ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة صلى سبحة الضحى ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين وقد
استدل بحديث البخاري ومسلم على استحباب تخفيف صلاة الضحى وفيه نظر لاحتمال ان يكون السبب
فيه التفرغ لمهمات الفتح لكثرة شغله به وقد ثبت من فعله صلى الله عليه وسلم انه صلى الضحى يطول فيها
اخرجه ابن ابي شيبة من حديث حذيفة واما حديث ام سلمة فرواه الحاكم من طريق اسحق بن بشر المحاربي
قالت كان صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الضحى ثنتي عشرة ركعة قلت وروي عن جبير بن مطعم عن
ابيه انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى رواه الحاكم وعن انس بن مالك قال رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلى في السفر سبحة الضحى ثماني ركعات رواه احمد وصححه ابن خزيمة والحاكم وعن
علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الضحى رواه احمد وابو يعلى انه قال
كان يصلي الضحى ورجال احمد ثقات وعن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ست
ركعات رواه الحاكم قال الشيخ ولي الدين بن العراقي وقد ورد فيها احاديث كثيرة صحيحة مشهورة
حتى قال محمد بن جرير الطبري انها بلغت حد التواتر وقال ابن العربي وهي كانت صلاة الانبيا قبل محمد
صلوات الله وسلامه عليهم كما قال الله تعالى مخبرا عن داود انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق
فابقى الله تعالى من ذلك في دين محمد العصر وتسبيح صلاة الاشراق واحتج القايلون بالنفي بحديث عايشة
ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب ان يعمل به خشية ان يعمل به الناس فيفرض عليهم
وما سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحة الضحى قط واني لاسبحها رواه البخاري ومسلم وابو مالك وابو داود
وبحديث مورق العجلي قال قلت لابن عمر اتصلي الضحى قال لا قلت فعمر قال لا قلت فابو بكر قال لا قلت
فالنبي صلى الله عليه وسلم قال لا اخاله رواه البخاري وقوله لا اخاله وهو بكسر الهمزة وتفتح ايضا والخا المعجمة
وقول الشعبي سمعت ابن عمر يقول ما ابتدع المسلمون افضل من صلاة الضحى وروي عن مجاهد قال
دخلت انا وعروة بن الزبير المسجد فاذا ابن عمر جالس عند حجرة عايشة فاذا الناس في المسجد يصلون صلاة
الضحى فسالناه عن صلاتهم قال بدعة وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح عن الحكم بن الاعرج قال سالت ابن
عمر عن صلاة الضحى فقال بدعة ونعمت البدعة وروى عبد الرزاق باسناد صحيح عن سالم عن ابيه قال لقد قتل
عثمن وما احد يسبحها وما احدث الناس شيا احب الي منها وقد جمع العلما بين هذه الاحاديث بانه
صلى الله عليه وسلم كان لا يداوم على صلاة الضحى مخافة ان تفرض على امته فيعجزوا عنها وكان يفعلها كما صح

كما تقدم

به عايشة وكذا كونه ام هانئ وغيرها وقول عايشة ما رايته صلاها لا يخالف قولها كان يصليها لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يكون عندها في وقت الضحى الا في النادر من الاوقات لانه قد يكون مسافرا وقد يكون حاضرا وفي الحضر قد يكون في المسجد وقد يكون في بيت من بيوت زوجاته وغيره وما رايته صلاها في تلك الاوقات النادرة فقالت ما رايته وعلمت بغير رؤية انه كان يصليها باخباره صلى الله عليه وسلم او باخبار غيره فروت ذلك وقول ابن عمر لا اخاله فتوقف وكان سبب توقفه انه بلغه صلاتها ولم يثق بذلك عمن ذكره واما قوله انها بدعة فمؤول على انه لم تبلغه الاحاديث المذكورة او اراد انه صلى الله عليه وسلم لم يداوم عليها او ان اظهارها في المساجد ونحوها بدعة وانما سنتها النافلة في البيوت والله اعلم وبالجملة فليس في احاديث ابن عمر هذه ما يدفع مشروعية صلاة الضحى لان نفيه محمول على عدم رؤيته لا على عدم الوقوع في نفس الامر او الذي نفاه صفة مخصوصة كما تقدم وقد روى ابن ابي شيبة عن ابن مسعود انه راى قوما يصلونها فانكر عليهم وقال ان كان ولا بد ففي بيوتكم وذهب اخرون الى استحباب فعلها غبا فتصلى في بعض الايام دون بعض وكان ابن عباس يصليها يوما ويدعها عشرة ايام وذهب اخرون الى انها انما تفعل بسبب من الاسباب وانه عليه السلام انما صلاها يوم الفتح من اجل الفتح وكان الامراء يسمونها صلاة الفتح وحكى مثل ما قاله القاضي عياض وغيره ان حديث ام هانئ ليس بظاهر في انه عليه السلام قصد بسبحة الضحى وانما فيه انها اخبرت عن وقت صلاته فقط قال وقد قيل انها كانت قضاء عما شغل عنه تلك الليلة من حزبه فيها وتعقبه النووي بان الصواب صحة الاستدلال به لما رواه ابو داود من طريق كريب عن ام هانئ ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى سبحة الضحى ولمسلم في كتاب الطهارة من طريق ابي مرة عن ام هانئ في قصة اغتساله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ثم صلى ثماني ركعات سبحة الضحى وروى ابن عبد البر في التمهيد من طريق عكرمة بن خالد عن ام هانئ قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فصلى ثماني ركعات فقلت ما هذه الصلاة قال هذه صلاة الضحى واستدل به على ان اكثر الضحى ثماني ركعات واستبعده السبكي ووجه بان الاصل في العبادة التوقف وهذا اكثر ما ورد من فعله عليه السلام وقد ورد من فعله دون ذلك كحديث ابن ابي اوفى انه عليه السلام صلى الضحى ركعتين اخرجه ابن عدي واما ما ورد من قوله عليه السلام ففيه ما يدل على ذلك كحديث انس مرفوعا من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا في الجنة اخرجه الترمذي واستغربه وليس في اسناده من اطلق عليه الضعف ومن ثم قال الروياني اكثرها ثنتا عشرة وقال النووي في شرح المهذب فيه حديث ضعيف كانه يشير الى حديث انس لكن اذا ضم اليه حديث ابي الدرداء رفعه وفيه من صلى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة رواه الطبراني وحديث ابي ذر عند البزار وفي اسناده ضعف ايضا قوي وصلح للاحتجاج ونقل الترمذي عن احمد ان اصح شيء ورد في الباب حديث ام هانئ وهو كما قال ولهذا قال النووي في الروضة افضلها ثمان واكثرها ثنتا عشرة ففرق بين الاكثر والافضل واجاب القايلون بانها لا تفعل الا لسبب عن قول ابي هريرة المروي في البخاري اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث لا ادعهن حتى اموت بصوم ثلاثة ايام من كل شهر وصلاة الضحى الحديث بانه قد روي ان ابا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلاة فامره بالضحى بدلا من قيام الليل ولهذا امره ان لا ينام الا على وتر

ولم يامر بذلك ابا بكر ولا عمر ولا سائر الصحابة انتهى قال الحافظ ابن حجر وهذه الوصية لابي هريرة قد ورد مثلها لابي الدرداء فيما رواه مسلم ولابي ذر فيما رواه النسائي قال والحكمة في الوصية على المحافظة على ذلك تمرين النفس على جنس الصلاة والصيام ليدخل في الواجب منهما بانشراح ولينجبر ما لعله يقع فيه من نقص ومن فوائد صلاة الضحى انها تجزئ عن الصدقة التي تصبح على مفاصل الانسان الثلثمائة وستين مفصلا كما اخرجه مسلم من حديث ابي ذر قال وفيه يجزي من ذلك ركعتا الضحى وقد ذكر اصحابنا الشافعية انها افضل التطوع بعد الرواتب لكن النووي في شرح المهذب قدم عليها صلاة التراويح فجعلها في الفضل بين الرواتب والضحى وحكى الحافظ ابو الفضل العراقي في شرح الترمذي انه اشتهر بين العوام ان من صلى الضحى ثم قطعها يعمى فصار كثير من الناس يتركها اصلا لذلك وليس لما قالوا اصل بل الظاهر انه مما القاه الشيطان على السنة العوام ليحرمهم الخير الكثير لا سيما ما وقع في حديث ابي ذر واقتصر في الوصية للثلاثة المذكورين على الثلاثة المذكورة في الحديث لان الصلاة والصيام اشرف العبادات البدنية ولم يكن المذكورون من اصحاب الاموال فكان يحثهم من الصدقة من السلامى كما في الحديث والله اعلم وروى الحاكم من طريق ابي الخير عن عقبة بن عامر قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نصلي الضحى بسور منها والشمس وضحاها والضحى ومناسبة ذلك ظاهر جدا والله اعلم تنبيه قال شيخ الحفاظ ابو الفضل ابن حجر قول عايشة في الصحيح ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح سبحة الضحى يدل على ضعف ما روي عنه صلى الله عليه وسلم ان صلاة الضحى كانت واجبة عليه وقد عدها جماعة من العلماء من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يثبت ذلك في خبر صحيح وقول الماوردي في الحاوي انه صلى الله عليه وسلم واظب عليها بعد يوم الفتح الى ان مات يعكر عليه ما رواه مسلم في حديث ام هانئ انه لم يصلها قبل ولا بعد ولا يقال ان نفي ام هانئ لذلك يلزم منه العدم لانا نقول يحتاج من اثبته الى دليل ولو وجد لم يكن حجة لان عايشة ذكرت انه كان اذا عمل عملا اثبته فلا تستلزم المواظبة على هذا الوجوب عليه انتهى وقال ابن العربي في عارضة الاحوذي انا ابو الحسن الازدي انا طاهر انا علي ثنا ابو العباس عبد الله بن عبد الرحمن العسكري ثنا المحاربي ثنا ابو غسان ثنا قيس عن جابر عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب علي النحر ولم يكتب عليكم وامرت بصلاة الضحى ولم تومروا بها انتهى رواه الدارقطني

القسم الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم النوافل واحكامها وفيه بابان

الاول في النوافل المقرونة بالاوقات وفيه فصلان

الاول في راتبة الصلوات الخمس والجمعة وفيه فروع

الاول في احاديث جامعة لرواتب مشتركة عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد صلاة العشاء ركعتين وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي في بيته ركعتين قال واخبرتني حفصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سكت المؤذن من الاذان لصلاة الصبح وبدا له الصبح صلى ركعتين خفيفتين قبل ان تقام الصلاة رواه البخاري فهذه عشر ركعات لان الركعتين بعد الجمعة تجتمعان مع الركعتين بعد الظهر في حق من يصلي الجمعة وسنتها التي بعدها ثم يتفق له فساد فيها فيصلي الظهر ويصلي بعدها سنتها كما نبه عليه الشيخ ولي الدين العراقي واختلف هل لفظة كان تدل على التكرار وصحح ابن الحاجب انها تقتضيه قال وهذا مما استفدناه من قولهم كان حاتم يقري الضيف وصحح الامام فخر الدين في المحصول انها لا تقتضيه لا لغة ولا عرفا

الاسلام

ناظر هذا هو المدون بالبعض وهو مولاي ... تاريخ ...

وقال النووي في شرح مسلم انه المختار الذي عليه الاكثرون والمحققون من الاصوليين وذكر ابن دقيق العيد انها تسمية عرفا فعلى هذا فمعنى الحديث دلالة على تكرار فعل هذه النوافل من النبي صلى الله عليه وسلم وانه كان دابه وعادته وعن عايشة كان صلى الله عليه وسلم يصلي في بيته قبل الظهر اربعا ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين وكان يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين ثم يصلي بالناس العشاء ويدخل بيتي فيصلي ركعتين وفي آخره وكان اذا طلع الفجر صلى ركعتين الحديث رواه مسلم فهذه ثنتي عشرة ركعة وعنها كان صلى الله عليه وسلم لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتين قبل الغداة وفي رواية لم يكن يدعهما سرا ولا علانية في سفر ولا حضر ركعتان قبل الصبح وركعتان بعد العصر رواه البخاري ومسلم **الثاني** في ركعتي الفجر قالت عايشة لم يكن صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل اشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي ولمسلم لهما احب الي من الدنيا جميعا وكان يصليهما اذا سكت المؤذن بعد ان يستبين الفجر ويخففهما رواه الشيخان وهذا لفظ النسايي **واختلف** في حكمة تخفيفهما فقيل ليبادر الى صلاة الصبح في اول الوقت وبه جزم القرطبي وقيل ليستفتح صلاة النهار بركعتين خفيفتين كما كان يصنع في صلاة الليل كما تقدم ليدخل في الفرض او ما شابهه في الفضل بنشاط واستعداد تام **وقد** ذهب بعضهم الى ان اطالة القراءة فيهما وهو قول اكثر الحنفية ونقل عن الشعبي واورد البيهقي فيه حديثا مرفوعا من مرسل سعيد بن جبير وفي سنده راو لم يسم وخص بعضهم ذلك بمن فاته شيء من قراءته في صلاة الليل فيستدركه في ركعتي الفجر واخرجه ابن ابي شيبة بسند صحيح عن الحسن البصري وكان كثيرا ما يقرا في الاولى منهما قولوا آمنا بالله وما انزل الينا الاية التي في البقرة وفي الاخرى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله واشهدوا بانا مسلمون رواه مسلم وابو داود والنسايي من رواية ابن عباس وفي رواية ابي داود من حديث ابي هريرة قولوا آمنا بالله وما انزل الينا في الركعة الاولى وهذه الاية ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين او انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسال عن اصحاب الجحيم قال ابو داود شك الراوي وقال ابو هريرة قرا في ركعتي الفجر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ولابن ابي شيبة من طريق ابن سيرين عن عايشة رواه مسلم والترمذي **وقد** روى ابن ماجه باسناد قوي عن عبد الله بن شقيق عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين قبل الفجر وكان يقول نعم السورتان يقرا بهما في ركعتي الفجر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ولابن ابي شيبة من طريق ابن سيرين عن عايشة كان يقرا بهما فيهما وللترمذي والنسايي من حديث ابن عمر رمقت النبي صلى الله عليه وسلم شهرا فكان يقرا بهما **وقد** استدل بعضهم بهذا على الجهر بالقراءة في ركعتي الفجر ولا حجة فيه لاحتمال ان يكون ذلك عرف بقراءته بعض السورة ويدل على ذلك في رواية ابن سيرين المذكورة يسر فيهما القراءة وصححه ابن عبد البر واستدل بعضهم ايضا بهذه الاحاديث المذكورة على انه لا تتعين الفاتحة لانه لم يذكرها مع سورة الاخلاص **وتعقب** بانه ترك ذكر الفاتحة لوضوح الامر فيها انتهى وكان عليه السلام اذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الايمن رواه البخاري ومسلم من حديث عايشة لانه عليه السلام كان يحب التيمن **وقد** قيل الحكمة فيه ان القلب من جهة اليسار فلو اضطجع عليه لاستغرق نوما لكونه ابلغ في الراحة بخلاف اليمين فيكون القلب معلقا فلا يستغرق وهذا انما هو بالنسبة الى غيره عليه السلام لما لا يخفى واما ما روى ان ابن عمر راى رجلا يصلي ركعتي الفجر فقال ما حملك على ما صنعت قال اردت ان افصل بين صلاتي فقال له واي فصل افضل من السلام

قال

قال فاما سنة فلا بل بدعة رواه ابن الاثير في جامعه عن رزين وكذا ما روي من انكار ابن مسعود ومن قول ابراهيم النخعي انها ضجعة الشيطان كما اخرجها ابن ابي شيبة فهو محمول على انه لم يبلغهم الامر بفعله وارجح الاقوال مشروعيته للفصل لكن لم يداوم عليه السلام عليه ولذا احتج الايمة على عدم الوجوب وحملوا الامر الوارد بذلك عند ابي داود وغيره على الاستحباب وفايدة ذلك الراحة والنشاط لصلاة الصبح وعلى هذا فلا يستحب ذلك الا للمتهجد وبه جزم ابن العربي ويشهد له ما اخرجه عبد الرزاق ان عايشة كانت تقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يضطجع لسنة ولكنه كان يداب ليلته فيستريح وفي اسناده راو لم يسم وقيل ان فايدتها الفصل بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح وعلى هذا فلا اختصاص ومن ثم قال الشافعي تتادى السنة بكل ما يحصل به الفصل من مشي وكلام وغيره حكاه البيهقي وقال النووي المختار انها سنة لظاهر حديث ابي هريرة وقد قال ابو هريرة راوي الحديث ان المشي الى المسجد لا يكفي وافرط ابن حزم فقال يجب على كل احد وجعله شرطا لصحة صلاة الصبح ورد عليه العلماء حتى طعن ابن تيمية في صحة الحديث لتفرد عبد الواحد بن زياد به وفي حفظه مقال والحق انه تقوم به الحجة **وذهب** بعض السلف الى استحبابها في البيت دون المسجد وهو محكي عن ابن عمر وقواه بعض شيوخنا بانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فعله في المسجد اخرجه ابن ابي شيبة وقال عليه السلام من لم يصل ركعتي الفجر فليصلهما بعدما تطلع الشمس رواه الترمذي من رواية ابي هريرة **الثالث** في راتبة الظهر عن ابن عمر صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها رواه البخاري ومسلم والترمذي وعن عايشة كان عليه السلام لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتين قبل صلاة الغداة رواه البخاري ايضا فاما ان يقال انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى في بيته صلى اربعا واذا صلى في المسجد صلى ركعتين وهذا اظهر واما ان يقال كان يفعل هذا وهذا فحكى كل من عايشة وابن عمر ما شاهده والحديثان صحيحان لا مطعن في واحد منهما وقال ابو جعفر الطبري الاربع كانت في كثير من احواله والركعتان في قليلها انتهى وقد يقال ان الاربع التي قبل الظهر لم تكن سنة الظهر بل هي صلاة مستقلة كان يصليها بعد الزوال وروى البزار من حديث ثوبان انه صلى الله عليه وسلم كان يستحب ان يصلي بعد نصف النهار فقالت عايشة يا رسول الله اراك تستحب الصلاة هذه الساعة قال تفتح فيها ابواب السماء وينظر الله تعالى الى خلقه بالرحمة وهي صلاة كان يحافظ عليها آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى وعن عبد الله بن السايب كان صلى الله عليه وسلم يصلي اربعا بعد ان تزول الشمس قبل الظهر وقال انها ساعة تفتح لها ابواب السماء واحب ان يصعد لي فيها عمل صالح رواه الترمذي وروى الترمذي ايضا حديثا اربع قبل الظهر وبعد الزوال تحسب بمثلهن في السحر وما من شيء الا وهو يسبح الله تعالى تلك الساعة ثم قرا تتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمايل سجدا لله وهم داخرون **فهذا** والله اعلم هي الاربعة التي اراد بها انه كان لا يدعهن واما سنة الظهر فالركعتان التي قال ابن عمر ويوضح هذا ان سائر الصلوات سنتها ركعتان وعلى هذا فتكون هذه الاربعة وردا مستقلا سببه انتصاف النهار بعد زوال الشمس وسر هذا والله اعلم ان انتصاف النهار مقابل لانتصاف الليل وابواب السماء تفتح بعد زوال الشمس ويحصل النزول الالهي بعد انتصاف الليل فهما وقتا قرب ورحمة هذا تفتح فيه ابواب السماء وهذا ينزل فيه الرب سبحانه وتعالى عن حركة الاجسام **الرابع في سنة العصر** عن علي كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل العصر ركعتين رواه ابو داود وعن علي ايضا كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل العصر اربع ركعات يفصل بالتسليم على الملايكة

المقربين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين رواه الترمذي وروى أيضاً مرفوعاً رحم الله امرأً صلى قبل العصر أربعاً وقالت عائشة ما كان صلى الله عليه وسلم يأتيني في يومٍ بعد العصر إلا صلى ركعتين وفي رواية ما ترك ركعتين بعد العصر عندي قط رواه البخاري ومسلم ولمسلم أن أبا سلمة سألها عن السجدتين اللتين كان يصليهما بعد العصر فقالت كان يصليهما قبل العصر ثم إنه اشتغل عنهما ونسيهما فصلاهما بعد العصر ثم أثبتهما وكان إذا صلى صلاة أثبتها يعني داوم عليها ولأبي داود قالت كان يصلي بعد العصر ركعتين وينهى عنهما ويواصل وينهى عن الوصال وقال ابن عباس إنما صلى عليه السلام ركعتين بعد العصر لأنه اشتغل بقسمة مال أتاه عن الركعتين اللتين بعد الظهر فصلاهما بعد العصر ثم لم يعد لهما رواه الترمذي وقالت أم سلمة سمعته صلى الله عليه وسلم ينهى عنهما ثم رأيته يصليهما حين صلى العصر ثم سألته عنهما فقال إنه أتاني أناس من عبد القيس بالإسلام فشغلوني
عن الركعتين بعد الظهر فهما هاتان الحديث وفيه أن ابن عباس قال كنت أضرب مع عمر بن الخطاب الناس عنهما قالت ابن القيم قضاء السنن الرواتب في أوقات النهي عام له ولأمته وأما المداومة على تلك الركعتين في وقت النهي فخاص به قال وقد عد هذا من خصائصه انتهى والدليل عليه رواية عائشة كان يصلي ركعتين بعد العصر وينهى عنهما ويواصل وينهى عن الوصال لكن قال البيهقي الذي اختص به صلى الله عليه وسلم المداومة لا أصل القضاء وأما رواية ابن عباس عند الترمذي أنه إنما صلاهما بعد العصر لأنه اشتغل بقسمة مال أتاه فهو من رواية جرير عن عطاء وقد سمع منه بعد اختلاطه وإن صح فهو شاهد لحديث أم سلمة لكن ظاهر قوله ثم لم يعد معارض لحديث عائشة المذكور في هذا الباب فيحمل النفي على علم الراوي فإنه لم يطلع على ذلك والمثبت مقدم على النافي وكذا ما رواه النسائي من طريق أبي سلمة عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في بيتها بعد العصر ركعتين مرة واحدة الحديث وفي رواية عنها لم أره يصليهما إلا في بيته ولذلك لم يره ابن عباس ولا أم سلمة ويشير إلى ذلك قول عائشة في رواية وكان لا يصليهما في المسجد مخافة أن تثقل على أمته ومراد عائشة بقولها ما كان يأتيني في يوم بعد العصر إلا صلى ركعتين من الوقت الذي شغل عن الركعتين بعد الظهر فصلاهما ولم ترد أنه كان يصلي بعد العصر من أول ما فرضت الصلوات مثلاً إلى آخر عمره والله أعلم الخامس في راتبة المغرب عن ابن مسعود قال ما أحصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد رواه الترمذي وعن ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة في الركعتين بعد المغرب حتى يتفرق أهل المسجد رواه أبو داود وكان أصحابه عليه السلام يصلون ركعتين قبل المغرب قبل أن يخرج إليهم عليه السلام رواه البخاري ومسلم وأبو داود من حديث أنس وفي رواية أبي داود قال أنس رآنا صلى الله عليه وسلم فلم يأمرنا ولم ينهنا وقال عقبة كنا نفعله على عهده صلى الله عليه وسلم رواه البخاري ومسلم وظاهره أن الركعتين بعد الغروب وقبل صلاة المغرب كان أمراً قرر أصحابه عليه وعملوا به وهذا يدل على الاستحباب وأما كونه عليه السلام لم يصلهما فلا ينفي الاستحباب بل يدل على أنهما ليسا من الرواتب وإلى استحبابهما ذهب أحمد وإسحاق وأصحاب الحديث وعن ابن عمر ما رأيت أحداً يصليهما على عهده صلى الله عليه وسلم وعن الخلفاء الأربعة وجماعة من الصحابة أنهم كانوا لا يصلونهما فادعى بعض المالكية نسخهما وتعقب بأن دعوى النسخ لا دليل عليها ورواية المثبت وهو أنس مقدم على رواية النافي وهو ابن عمر وعن سعيد بن المسيب أنه كان يقول حق على كل مؤمن إذا

إذا أذن المؤذن أن يركع ركعتين وعن مالك قول آخر باستحبابهما وهو عند الشافعية وجه ورجحه النووي ومن تبعه وقال في شرح مسلم قول من قال إن فعلهما يؤدي إلى تأخير المغرب عن أول وقتها خيال فاسد منابذ للسنة ومع ذلك فزمنهما يسير لا تتأخر به الصلاة عن أول وقتها ومجموع الأدلة يرشد إلى استحباب تخفيفهما وقال صلى الله عليه وسلم صلوا قبل المغرب ركعتين لمن شاء خشية أن يتخذها الناس سنة رواه أبو داود قال المحب الطبري لم يرد نفي استحبابهما لأنه لا يمكن أن يأمر بما لا يستحب بل هذا الحديث من أدل الأدلة على استحبابهما ومعنى قوله سنة أي شريعة وطريقة لازمة وكأن المراد انحطاط مرتبتهما عن رواتب الفرائض ولهذا لم يعدها أكثر الشافعية في الرواتب واستدركهما بعضهم وتعقب بأنه لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم واظب عليهما وقال عليه السلام في الصلاة بعد المغرب هذه صلاة البيوت رواه أبو داود من حديث كعب بن عجرة وعنه عليه السلام من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم رفعت صلاته في عليين رواه رزين السادس في راتبة العشاء قالت عائشة ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط فدخل بيتي إلا صلى أربع ركعات أو ست ركعات رواه أبو داود وفي مسلم قالت عائشة ثم يصلي بالناس العشاء فيدخل بيتي فيصلي ركعتين وكذا في حديث ابن عمر عند الشيخين وتقدم أول هذا القسم والله أعلم

السابع في راتبة الجمعة عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد العشاء ركعتين وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين رواه البخاري ولم يذكر شيئاً في الصلاة قبل صلاة الجمعة قال ابن المنير كما حكاه في فتح الباري كأنه يقول الأصل استواء الظهر والجمعة حتى يدل دليل على خلافه لأن الجمعة بدل الظهر وقال ابن بطال إنما أعاد ابن عمر ذكر الجمعة بعد ذكر الظهر من أجل أنه كان صلى الله عليه وسلم يصلي سنة الجمعة في بيته بخلاف الظهر قال والحكمة فيه أن الجمعة لما كانت بدل الظهر واقتصر فيها على ركعتين ترك التنفل بعدها في المسجد خشية أن يظن أنها التي حذفت انتهى وعلى هذا فينبغي أن لا يتنفل قبلها ركعتين متصلتين بها في المسجد لهذا المعنى وقد روى أبو داود وابن حبان من طريق أيوب عن نافع قال كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين في بيته ويحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك وقد احتج به النووي في الخلاصة على إثبات سنة الجمعة التي قبلها وتعقب بأن قوله وكان يفعل ذلك عائد على قوله ويصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته ويدل عليه رواية الليث عن نافع عن عبد الله أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فسجد سجدتين في بيته ثم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك رواه مسلم وأما قوله كان يطيل الصلاة قبل الجمعة فإن كان المراد بعد دخول الوقت فلا يصح أن يكون مرفوعاً لأنه عليه السلام كان يخرج إذا زالت الشمس فيشتغل بالخطبة ثم بصلاة الجمعة وإن كان المراد قبل دخول الوقت فذلك مطلق نافلة لا صلاة راتبة فلا حجة فيه لسنة الجمعة التي قبلها بل هو تنفل مطلق وقد أنكر جماعة كون الجمعة لها سنة قبلها وبالغوا في الإنكار منهم الإمام شهاب الدين أبو شامة لأنه لم يكن يؤذن للجمعة إلا بين يديه عليه السلام وهو على المنبر فلم يكن يصليها وكذلك الصحابة لأنه إذا خرج الإمام

انقطعت الصلاة قال ابن العراقي ولم ار في كلام الفقهاء من الحنفية والمالكية استحباب سنة الجمعة
قبلها انتهى وقد ورد في سنة الجمعة التي قبلها احاديث اخرى ضعيفة منها عن ابي هريرة رواه البزار
ولفظه كان يصلي قبل الجمعة اربعا وبعدها اربعا واقوى ما يتمسك به في مشروعية الركعتين قبل الجمعة
عموم ما صححه ابن حبان من حديث عبد الله بن الزبير مرفوعا ما من صلاة مفروضة الا وبين يديها
ركعتان قاله في فتح الباري وعن عطا كان ابن عمر اذا صلى الجمعة بمكة تقدم فصلى ركعتين ثم يتقدم فيصلي اربعا
واذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع الى بيته فصلى ركعتين ولم يصل في المسجد فقيل له فقال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يفعله رواه ابو داود وفي رواية الترمذي قال رايت ابن عمر صلى بعد الجمعة ركعتين
ثم صلى بعد ذلك اربعا وعن ابن عمر ايضا قال كان صلى الله عليه وسلم يصلي بعد الجمعة ركعتين رواه النسائي
وفي رواية كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته وفي اخرى ان ابن عمر كان يصلي بعد الجمعة ركعتين يطيل فيهما
ويقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وتقدم حديث سليك الغطفاني يوم الجمعة وهو صلى
الله عليه وسلم يخطب وقوله صلى الله عليه وسلم له صليت قال لا قال قم فاركع ركعتين مع ما فيه من المباحث
في صلاة الجمعة **الفصل الثاني في صلاته** صلى الله عليه وسلم العيدين وفيه فروع الاول في عدد الركعات
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم عيد فصلى ركعتين لم يصل قبلهما
ولا بعدهما ثم اتى النساء وبلال معه فامرهن بالصدقة فجعلت المراة تتصدق بخرصها وسخابها وفي رواية خرج في
يوم اضحى او فطر وفي اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفطر ركعتين الحديث رواه البخاري ومسلم وابو
داود والترمذي والنسائي **الفرع** الثاني في عدد التكبير عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يكبر في الفطر والاضحى في الاولى سبع تكبيرات وفي الثانية خمس تكبيرات زاد في رواية سوى تكبيرتي
تكبيرة الاحرام والركوع رواه ابو داود وعن كثير بن عبد الله عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم
كبر في العيدين في الاولى سبعا قبل القراءة وفي الاخرى خمسا قبل القراءة رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي
الفرع الثالث في الوقت والمكان عن ابي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر
والاضحى الى المصلى فاول شيء يبدأ به الصلاة الحديث رواه البخاري ومسلم وفي هذا دليل لمن قال باستحباب
الخروج لصلاة العيد الى المصلى وانها افضل من صلاتها في المسجد لمواظبته صلى الله عليه وسلم على ذلك مع
فضل مسجده وعلى هذا عمل الناس في الامصار واما اهل مكة فلا يصلونها الا في المسجد من الزمن الاول
ولاصحابنا الشافعية وجهان احدهما الصحراء افضل لهذا الحديث والثاني وهو الاصح عند اكثرهم المسجد افضل
الا ان يضيق قالوا وانما صلى اهل مكة في المسجد لسعته وانما خرج النبي صلى الله عليه وسلم لضيق المسجد فدل
على ان المسجد افضل اذا اتسع والمراد بالمصلى المذكور الذي على باب المدينة الشريفة قال ابن القيم ولم يصل
العيد بمسجده الا مرة واحدة اصابهم مطر فصلى بهم العيد في المسجد ان ثبت الحديث وهو في سنن ابي داود
وابن ماجه انتهى ولفظ ابي داود عن ابي هريرة قال اصابنا مطر فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في
المسجد انتهى ولم يخرج بنا الى المصلى **الفرع** الرابع في الاذان والاقامة عن جابر بن سمرة قال صليت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم العيدين غير مرة ولا مرتين بغير اذان ولا اقامة رواه مسلم وابو داود والترمذي وعن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العيد بلا اذان ولا اقامة رواه ابو داود **الفرع** الخامس في
قراءته صلى الله عليه وسلم في صلاة العيدين عن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الاضحى

والفطر

والفطر بقاف والقرآن المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر رواه مسلم وابو داود والترمذي وعن النعمان
ابن بشير قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث
الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأ بهما رواه مسلم ومالك وابو داود والترمذي والنسائي **الفرع**
السادس في خطبته صلى الله عليه وسلم وتقديمه صلاة العيدين عليها عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابو بكر وعمر يصلون العيدين قبل الخطبة رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وعن
جابر انه صلى الله عليه وسلم خرج يوم الفطر فبدأ بالصلاة قبل الخطبة وفي رواية فبدأ بالصلاة ثم خطب
الناس فلما فرغ نزل فاتى النساء فذكرهن وهو يتوكأ على يد بلال وبلال باسط ثوبه يلقي فيه النساء الصدقة وفي اخرى
شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا اذان ولا اقامة ثم قام متوكئا
على بلال فامر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى اتى النساء فوعظهن وذكرهن
فقال تصدقن فان اكثركن حطب جهنم فقامت امراة من سطة النساء سفعاء الخدين فقالت لم يا رسول الله
قال لانكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير قال فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين في ثوب بلال من اقراطهن
وخواتيمهن رواه البخاري ومسلم وفي رواية ابي سعيد الخدري عند البخاري فاول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف
فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويامرهم فان كان يريد ان يقطع بعثا قطعه
او يامر بشيء امر به ثم ينصرف فقال ابو سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو امير المدينة
في اضحى او فطر فلما اتينا المصلى اذا منبر بناه كثير بن الصلت فاذا مروان يريد ان يرتقيه فقلت له والله
غيرتم والله الحديث ولابن خزيمة خطب عليه السلام يوم عيد على رجليه وهذا يشعر بانه لم يكن في المصلى
في زمانه عليه الصلاة والسلام منبر ويدل على ذلك قول ابي سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت
مع مروان ومقتضاه ان اول من اتخذه مروان ووقع في المدونة للامام مالك ان اول من خطب الناس في
المصلى على منبر عثمان بن عفان كلمهم على منبر من طين بناه كثير بن الصلت لكنه معضل وما في الصحيحين
اصح فقد رواه مسلم من طريق داود بن قيس نحو رواية البخاري ويحتمل ان يكون عثمان فعل ذلك مرة
ثم تركه ثم اعاده مروان ولم يطلع على ذلك ابو سعيد قاله شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله تعالى **الفرع**
السابع في اكله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر قبل خروجه الى صلاة العيد عن انس كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى ياكل تمرات رواه البخاري وقال قال مرجا بن رجا حدثني
عبيد الله حدثني انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ويأكلهن وترا ورواه الحاكم من رواية عتبة بن حميد عنه
بلفظ ما خرج يوم فطر حتى ياكل تمرات ثلاثا او خمسا او سبعا او اقل او اكثر وترا قال المهلب الحكمة
في الاكل قبل الصلاة ان لا يظن ظان لزوم الصوم حتى يصلي العيد فكانه اراد سد هذه الذريعة وقال
غيره لما وقع وجوب الفطر عقب وجوب الصوم استحب تعجيل الفطر مبادرة الى امتثال امر الله تعالى
ويشعر بذلك اقتصاره على القليل من ذلك ولو كان لغير الامتثال لاكل قدر الشبع اشار الى ذلك ابن ابي
جمرة وقيل لان الشيطان الذي يحبس في رمضان لا يطلق الا بعد صلاة العيد فاستحب تعجيل الفطر
بدارا الى السلامة من وسوسته **والحكمة** في استحباب التمر لما في الحلو من تقوية البصر الذي يضعفه
الصوم ولان الحلو مما يوافق الايمان ويعبر عنه في المنام ويرقق القلب ومن ثم استحب بعض التابعين
ان يفطر على الحلو مطلقا كالعسل رواه ابن ابي شيبة عن معاوية بن قرة وابن سيرين وغيرهما وفي الترمذي

والحاكم من حديث بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ولا يطعم يوم
الاضحى حتى يصلي ونحوه عند البزار عن جابر بن سمرة وروى الطبراني والدارقطني من حديث ابن عباس
قال من السنة ان لا يخرج يوم الفطر حتى يخرج الصدقة ويطعم شيئا قبل ان يخرج وفي كل من اسانيد
الثلاثة مقال وقد اخذ اكثر الفقهاء بما دلت عليه قال ابن المنير وقع اكله صلى الله عليه وسلم في كل من
العيدين في الوقت المشروع لاخراج صدقتهما الخاصة بهما فاخراج صدقة الفطر قبل الغدو الى المصلى
واخراج صدقة الاضحية بعد ذبحها فاجتمعا من وجه وافترقا من آخر وقال الشافعي في الام بلغنا
عن الزهري قال ما ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيد ولا جنازة قط وفي الترمذي عن علي قال من
السنة ان يخرج الى العيد ماشيا وفي ابن ماجه عن سعد القرظ ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى العيد ماشيا
وفيه عن ابي رافع نحوه واسانيد الثلاثة ضعاف وعن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج
يوم العيد في طريق رجع في غيره رواه الترمذي وقد اختلف في معنى ذلك على اقوال كثيرة قال الحافظ ابن حجر
اجتمع لي منها اكثر من عشرين وقد لخصتها وبينت الواهي منها فقيل ذلك ليشهد له الطريقان وقيل سكانهما
من الجن والانس وقيل ليسوي بينهما في مزية الفضل بمروره او في التبرك به او ليشم رائحة المسك من الطريق
التي يمر بها لانه كان معروفا بذلك وقيل لان طريقه الى المصلى كانت على اليمين فلو رجع منها لرجع الى جهة
الشمال فرجع من غيرها وهذا يحتاج الى دليل وقيل لاظهار شرايع الاسلام وقيل لاظهار ذكر الله وقيل
ليغيظ المنافقين واليهود وقيل حذرا من كيد الطايفتين او احدهما وقيل ليعمهم بالسرور به او التبرك بمروره
والانتفاع به في قضاء حوايجهم في الاستفتاء او التعلم والاقتداء والاسترشاد والسلام عليهم او غير ذلك وقيل
ليزور اقاربه الاحياء والاموات وقيل ليصل رحمه وقيل ليتفاءل بتغيير الحال الى المغفرة والرضى وقيل كان
يتصدق في ذهابه فاذا رجع لم يبق معه شيء فيرجع في طريق اخرى لئلا يرد من يساله وهذا ضعيف جدا مع احتياجه
الى الدليل وقيل فعل ذلك لتخفيف الزحام وهذا رجحه الشيخ ابو حامد وقيل كان طريقه التي يتوجه منها ابعد
من التي يرجع فيها فاراد تكثير الاجر بتكثير الخطا في الذهاب واما في الرجوع فليسرع الى منزله وهذا اختيار الرافعي
وتعقب بانه يحتاج الى دليل وبان اجر الخطا في الرجوع ايضا كما ثبت في حديث ابي بن كعب عند الترمذي
وغيره وقيل لان الملايكة تقف في الطرقات فاراد ان يشهد له فريقان منهم وقال ابن ابي جمرة هو في معنى
قول يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد فاشار الى انه فعل ذلك حذر اصابة العين وكان صلى الله
عليه وسلم يخرج الابكار والعواتق وذوات الخدور والحيض في العيدين فاما الحيض فيعتزلن المصلى ويشهدن
دعوة المسلمين قالت احداهن يا رسول الله احدانا ان لم يكن لها جلباب قال فلتعرها اختها من جلابيبها
رواه البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له ولا دلالة فيه على وجوب صلاة العيد لان من جملة من امر بذلك
من ليس بمكلف فظهر ان القصد منه اظهار شعار الاسلام بالمبالغة في الاجتماع ولتعم الجميع البركة وفيه
استحباب خروج النسا الى شهود العيد سوا كن شواب ام لا وذوات هيات ام لا لكن نص الشافعي
في الام يقتضي استثنا ذوات الهيات قال واحب شهود العجايز وغير ذوات الهيات الصلاة وانا
لشهودهن الاعياد اشد استحبابا وادعى بعضهم النسخ فيه قال الطحاوي وامره عليه السلام بخروج الحيض
وذوات الخدور الى العيد يحتمل ان يكون في اول الاسلام والمسلمون قليل فاريد التكثير بحضورهن ارهابا
للعدو واما اليوم فلا يحتاج الى ذلك وتعقب بان النسخ لا يثبت بالاحتمال وقد صرح في حديث ام عطية بعلة

الحكم

الحكم وهي شهود الخير ودعوة المسلمين ورجا بركة ذلك اليوم وطهرته وقد افتت به ام عطية بعد النبي صلى
الله عليه وسلم بمدة ولم يثبت عن احد من الصحابة مخالفتها في ذلك واما قول عايشة لو راى النبي صلى الله
عليه وسلم ما احدث النسا لمنعهن المساجد فلا يعارض ذلك لندوره ان سلمنا ان فيه دلالة على انها
افتت بخلافه مع ان الدلالة منه بان عايشة افتت بالمنع ليست صريحة وفي قول الطحاوي ارهابا للعدو
نظر لان الاستنصار بالنسا والتكثر بهن في الحروب دال على الضعف والاولى ان يخص ذلك بمن يومن
عليها وبها الفتنة ولا يترتب على حضورها محذور ولا تزاحم الرجال في الطرق ولا في المجامع قاله في فتح الباري
وكان عليه السلام يخرج العنزة يوم الفطر والاضحى يركزها فيصلي اليها رواه النساي وغيره واذا علمت
هذا فاعلم ان للمومنين في هذه الدنيا ثلاثة اعياد عيد يتكرر كل اسبوع وعيدان ياتيان في كل عام مرة مرة
من غير تكرار في السنة فاما العيد المتكرر فهو يوم الجمعة وهو عيد الاسبوع وهو مرتب على اكمال الصلوات
المكتوبات فيه فشرع لهم عيدا واما العيدان اللذان لا يتكرران في كل عام وانما ياتي كل واحد منهما في العام
مرة واحدة فاحدهما عيد الفطر من صوم رمضان وهو مرتب على اكمال صيام رمضان وهو الركن الثالث من
اركان الاسلام ومبانيه فاذا اكمل المسلمون صيام شهر رمضان المفروض عليهم واستوجبوا من الله المغفرة
والعتق من النار فان صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنب وآخره عتق من النار يعتق فيه من النار
من استحقها بذنوبه فشرع الله تعالى لهم عقب صيامهم عيدا يجتمعون فيه على شكر الله تعالى وذكره وتكبيره على
ما هداهم له ويشرع لهم في ذلك العيد الصلاة والصدقة وهو يوم الجوائز يستوفي فيه الصايمون اجر صيامهم
ويرجعون بالمغفرة والعيد الثاني عيد النحر وهو اكبر العيدين وافضلهما وهو مرتب على اكمال الحج وهو الركن
الرابع من اركان الاسلام ومبانيه فاذا اكمل المسلمون حجهم غفر لهم وانما يكمل الحج بيوم عرفة فان الوقوف بعرفة
ركن الحج الاعظم ويوم عرفة هو يوم العتق من النار فيعتق فيه من النار من وقف بعرفة ومن لم يقف بها من اهل الامصار
من المسلمين فلذلك صار اليوم الذي يليه عيدا لجميع المسلمين في جميع امصارهم من شهد الموسم منهم ومن لم يشهده
لاشتراكهم في العتق والمغفرة يوم عرفة وشرع للجميع التقرب اليه تعالى بالنسك باراقة دما ضحاياهم فيكون ذلك
اليوم شكرا منهم لهذه النعم والصلاة والنحر التي تجتمع في عيد النحر افضل من الصلاة والصدقة في عيد الفطر ولهذا
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل شكره لربه على اعطايه الكوثر ان يصلي لربه وينحر وقد ضحى صلى الله عليه
وسلم بكبشين املحين اقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر رواه البخاري من حديث انس قال ورايته واضعا قدمه
على صفاحهما يقول بسم الله والله اكبر وعن عايشة انه صلى الله عليه وسلم امر بكبش يطا في سواد ويبرك في سواد فاتي
به ليضحي به قال يا عايشة هلمي المدية ثم قال اشحذيها بحجر ففعلت ثم اخذها واخذ الكبش فاضجعه ثم ذبحه وقال
بسم الله اللهم تقبل من محمد وال محمد ومن امة محمد ثم ضحى به رواه مسلم وعن جابر ذبح النبي صلى الله عليه وسلم يوم
النحر كبشين املحين اقرنين موجوءين فلما وجههما قال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
على ملة ابراهيم حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك
امرت وانا اول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وامته بسم الله والله اكبر ثم ذبح رواه ابو داود وابن ماجه
والدارمي وفي رواية لاحمد والترمذي ذبح بيده وقال بسم الله والله اكبر اللهم هذا عني وعمن لم يضح من امتي
تنبيه اعياد المسلمين في الدنيا وكلها عند اكمال طاعات مولاهم الملك الوهاب وحيازتهم لما وعدهم من
جزيل الاجر والثواب فليس العيد لمن لبس الجديد انما العيد لمن طاعته تزيد وليس العيد لمن تجمل باللباس

والمرغوب ان العبد لمن غفرت له الذنوب في ليلة العيد تفرق خلع العفو والمغفرة على العبيد فمن ناله
منها شي فله عيد والا فهو مطرود بعيد واما الموصوفون في الجنة فهي ايام زيارتهم ربهم عز وجل فيزورونه
ويكرمهم غاية الكرامة ويتجلى لهم فينظرون اليه فما اعطاهم شيا هو احب اليهم من ذلك وهو الزيادة
فليس للمحب عيد سوى قرب محبوبه ٥ ان يوما جامعا شملي بهم ٥ ذاك عيدي ليس لي عيد سواه ٥ الفصل الاول في صلاته

الباب الثاني في النوافل المقرونة بالاسباب وفيه اربعة فصول

صلى الله عليه وسلم الكسوف لغة التغير الى السواد يقال كسفت الشمس اذا اسودت وذهب شعاعها
عن قبيصة بن مخارق قال كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فزعا يجر ثوبه وانا
معه يوميذ بالمدينة فصلى ركعتين فاطال فيهما القيام ثم انصرف وانجلت ثم قال انما هذه الايات يخوف الله
بها عباده فاذا رايتموها فصلوا رواه ابو داود والنسائي وفي قوله عليه السلام يخوف الله بها عباده رد
على ما يزعم اهل الهيئة ان الكسوف امر عادي لا يتاخر ولا يتقدم اذ لو كان كما يقولون لم يكن في ذلك تخويف
وقد رد عليهم ابن العربي وغيره بما في حديث ابي موسى عند البخاري حيث قال فيه فقام فزعا يخشى ان تكون
الساعة قالوا فلو كان الكسوف بالحساب لم يقع الفزع ولو كان بالحساب لم يكن للامر بالعتق والصدقة
والصلاة معنى كما في حديث اسما عند البخاري لقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بالعتاقة في كسوف الشمس
وكما عنده ايضا من حديث عايشة مرفوعا فاذا رايتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا فان
ظاهر الاحاديث ان ذلك يفيد التخويف وان كلما ذكر من انواع الطاعة يرجى ان يدفع به ما يخشى من اثر ذلك
الكسوف ومما نقض به ابن العربي وغيره ايضا انهم يزعمون ان الشمس لا تنكسف وانما يحول القمر بينها وبين
اهل الارض عند اجتماعهما في العقدتين فقال هم يزعمون ان الشمس اضعاف القمر في الجرم فكيف يحجب
الصغير الكبير اذا قابله ام كيف يظلم الكثير بالقليل لا سيما وهو من جنسه وكيف يحجب الارض نور الشمس
وقد وقع في حديث النعمان بن بشير وغيره للكسوف سبب اخر غير ما يزعمه اهل الهيئة وهو ما اخرجه احمد
والنساي وابن ماجه وصححه ابن خزيمة والحاكم بلفظ ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته
ولكنهما ايتان من ايات الله وان الله اذا تجلى لشي من خلقه خشع له وقد استشكل الغزالي هذه الزيادة وقال
انها لم تثبت فيجب تكذيب ناقلها قال ولو صحت لكان تاويلها اهون من مكابرة امور قطعية لا تصادم
اصلا من اصول الشريعة قال ابن بزيزة هذا عجب منه كيف يسلم دعوى الفلاسفة ويزعم انها لا تصادم
الشريعة مع انها مبنية على ان العالم كري بالشكل وظاهر الشرع يعطي خلاف ذلك والثابت من قواعد
الشرع ان الكسوف اثر الارادة القديمة وفعل الفاعل المختار فيخلق في هذين الجرمين النور متى شا والظلمة
متى شا من غير توقف على سبب او ربط باقتراب والحديث الذي رده الغزالي قد اثبته غير واحد من
اهل العلم وهو ثابت من حيث المعنى ايضا لان النورية والاضاءة من عالم الجمال الحسي فاذا تجلت صفات
الجلال انطمست الانوار لهيبته ويويده قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا انتهى ويويد هذا الحديث
ما رويناه عن طاوس انه نظر الى الشمس وقد انكسفت فبكى حتى كاد ان يموت وقال هي اخوف لله منا
وقال ابن دقيق العيد ربما يعتقد بعضهم ان الذي يذكره اهل الحساب ينافي قوله يخوف الله بها عباده وليس
بشي لان لله افعالا على حسب العادة وافعالا خارجة عن ذلك وقدرته حاكمة على كل سبب فيقطع ما يشا من
الاسباب والمسببات بعضها عن بعض واذا ثبت ذلك فالعلما بالله لقوة اعتقادهم في عموم قدرته على

خرق

خرق العادة وانه يفعل ما يشا اذا وقع شي غريب حدث عندهم الخوف لقوة ذلك الاعتقاد وذلك
لا يمنع ان يكون هناك اسباب تجري عليها العادة الى ان يشا الله خرقها وحاصله ان الذي يذكره
اهل الحساب ان كان حقا في نفس الامر لا ينافي كون ذلك مخوفا لعباد الله تعالى قاله في فتح الباري وعن ابن
عباس قال انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام قياما طويلا نحوا من قراة سورة
البقرة ثم ركع ركوعا طويلا ثم رفع فقام قياما طويلا وهو دون القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون
الاول ثم رفع ثم سجد ثم قام قياما طويلا وهو دون القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الاول
ثم رفع فقام قياما طويلا وهو دون القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الاول ثم سجد ثم انصرف
وقد تجلت الشمس فقال ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله لا يخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتم ذلك فاذكروا الله فقالوا
يا رسول الله رايناك تناولت شيا في مقامك هذا ثم رايناك تكعكعت قال اني رايت الجنة فتناولت منها
عنقودا ولو اصبته لاكلتم منه ما بقيت الدنيا ورايت النار فلم ار منظرا كاليوم قط افظع ورايت اكثر اهلها
النسا قالوا لم يا رسول الله قال بكفرهن قيل ايكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو احسنت
الى احداهن الدهر كله ثم رات منك شيا قالت ما رايت منك خيرا قط رواه البخاري ومسلم قوله ورايت
الجنة والنار قال القاضي عياض يحتمل انه راهما روية عين كشف الله عنهما وازال الحجب بينه وبينهما
كما فرج له عن المسجد الاقصى حين وصفه ويكون قوله عليه الصلاة والسلام في عرض هذا الحايط كما في رواية
في قبلته وناحيته ويحتمل ان يكون روية علم وعرض وحي باطلاعه وتعريفه من امورهما تفصيلا ما لم يعرفه قبل ذلك
اليوم قال القاضي والاول اولى واشبه بالفاظ الحديث لما فيه من الامور الدالة على روية العين تناوله
العنقود وتاخره مخافة ان يصيبه لفح النار انتهى واستشكل قوله ولو اصبته مع قوله تناولت واجيب بحمل
التناول على تكلف الاخذ لا حقيقة الاخذ وقيل المراد تناولت لنفسي ولو اخذته لكم حكاه الكرماني قال الحافظ
ابن حجر وليس بجيد وقيل المراد بقوله اخذت وضعت يدي عليه بحيث كنت قادرا على تحويله لكن لم يقدر لي
قطفه ولو اصبته اي لو تمكنت من قطفه ويدل عليه قوله في حديث عقبة بن عامر عند ابن خزيمة اهوى بيده
ليتناول شيا وفي حديث اسما عند البخاري حتى لو اجترات عليه وكانه لم يوذن له في ذلك فلم يجترئ عليه
قال ابن بطال لم ياخذ العنقود لانه من طعام الجنة وهو لا يفنى والدنيا فانية لا يجوز ان يوكل فيها ما لا يفنى
انتهى وفي حديث اسما بنت ابي بكر عند البخاري ومسلم ومالك والنساي قال ما من شي كنت لم اره الا رايته
في مقامي هذا حتى الجنة والنار ولقد اوحي الي انكم تفتنون في قبوركم مثل او قريبا من فتنة المسيح الدجال يقال
ما علمك بهذا الرجل فاما المومن او الموقن لا ادري اي ذلك قالت اسما فيقول هو محمد رسول الله جانا بالبينات
والهدى فاجبنا واتبعنا هو محمد ثلاثا فيقال نم صالحا قد علمنا ان كنت لموقنا واما المنافق او المرتاب لا ادري
اي ذلك قالت اسما فيقول لا ادري سمعت الناس يقولون شيا فقلته وفي رواية فرايت امراة تخدشها هرة
ربطتها حتى ماتت جوعا وعطشا وفي رواية فرايت عمرو بن مالك يجر قصبه في النار وكان اول من غير دين
ابراهيم ورايت فيها سارق الحاج يعذب قوله قصبه بضم القاف وسكون الصاد اي امعاه وفي رواية عايشة
ثم قال يا امة محمد والله ما من احد اغير من الله من ان يزني عبده او تزني امته والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا الا هل بلغت اي لو تعلمون من عظم انتقام الله من اهل الجرايم وشدة عقابه واهوال القيامة ما اعلم

وما بعدها كما علمت وترون الناس كما رايت في مقامي هذا وفي غيره لبكيتم كثيرا ولقل ضحككم لتفكركم فيما علمتم
وفي حديث عايشه عند البخاري فخرج الى المسجد فصف الناس وراءه فكبر فاقترأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
قراءة طويلة ثم كبر فركع ركوعا طويلا ثم قال سمع الله لمن حمده فقام ولم يسجد وقرأ قراءة طويلة هي ادنى من القراءة
الاولى وزاد في رواية ربنا ولك الحمد واستدل به على استحباب الذكر المشروع في الاعتدال في اول القيام
الثاني من الركعة الاولى واستشكله بعض متاخري الشافعية من جهة كونه قيام قراءة لا قيام اعتدال بدليل
اتفاق العلماء ممن قال بزيادة الركوع في كل ركعة على قراءة الفاتحة فيه وان كان محمد بن مسلمة المالكي خالف فيه
والجواب ان صلاة الكسوف جاءت على صفة مخصوصة فلا مدخل للقياس فيها بل كل ما ثبت انه صلى الله
عليه وسلم فعله فيها كان مشروعا لانها اصل برأسها وبهذا المعنى رد الجمهور على من قاسها على صلاة النافلة
حتى منع من زيادة الركوع فيها فصلاة الكسوف اشبه شيء بصلاة العيد ونحوها مما يجمع فيه من مطلق النوافل
فامتازت صلاة الجنازة بترك الركوع والسجود وصلاة العيدين بزيادة التكبيرات وصلاة الخوف بزيادة الافعال
الكثيرة واستدبار القبلة وكذلك اختصت صلاة الكسوف بزيادة الركوع والاخذ به جامع بين العمل بالنص
والقياس بخلاف من لم يعمل به وقد تبين ان لصلاة الكسوف هيئة تخصها من التطويل الزائد على العادة في القيام
وغيره ومن زيادة ركوع في كل ركعة وقد وردت زيادة في ذلك من طرق اخرى فعند مسلم من وجه اخر عن عايشه
وآخر عن جابر ان في كل ركعة ثلاث ركوعات وعنده من وجه اخر عن ابن عباس ان في كل ركعة اربع ركوعات
ولابي داود من حديث ابي بن كعب والبزار من حديث علي ان في كل ركعة خمس ركوعات ولا يخلو اسناد منها عن
علة وقد نقل ابن القيم في الهدي عن الشافعي واحمد والبخاري انهم كانوا يعدون الزيادة على الركوعين في كل ركعة غلطا
من بعض الرواة فان اكثر طرق الحديث يمكن رد بعضها الى بعض ويجمعها ان ذلك كان يوم مات ابراهيم عليه السلام
واذا اتحدت القصة تعين الاخذ بالراجح وجمع بعضهم بين هذه الاحاديث بتعدد الواقعة وان الكسوف وقع مرارا
فيكون كل من هذه الاوجه جائزا والى ذلك نحا ابن خزيمة وابن المنذر والخطابي وغيرهم من الشافعية يجوز العمل بجميع ما
ثبت من ذلك وهو من الاختلاف المباح وقواه النووي في شرح مسلم وابدى بعضهم ان حكمة الزيادة في الركوع والنقص
كان بحسب سرعة الانجلاء وبطئه فحين وقع الانجلاء في اول ركوع اقتصر على مثل النافلة وحين ابطأ زاد ركوعا
وحين زاد في الابطاء زاد ثالثا وهكذا الى غاية ما ورد في ذلك وتعقبه النووي وغيره بان ابطاء الانجلاء وعدمه
لا يعلم في اول الحال ولا في الركعة الاولى وقد اتفقت الروايات على ان عدد الركوع في الركعتين سواء وهذا يدل على انه
مقصود في نفسه منوي من اول الحال انتهى ملخصا من فتح الباري وعند الامام احمد انه لما سلم حمد الله واثنى عليه
وشهد ان لا اله الا الله وانه عبد الله ورسوله ثم قال ايها الناس انشدكم بالله هل تعلمون اني قصرت عن شيء
من تبليغ رسالات ربي لما اخبرتموني ذلك فقام رجل فقال نشهد انك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لامتك
وقضيت الذي عليك ثم قال اما بعد فوالله لقد رايت منذ قمت اصلي ما انتم لاقون من امر دنياكم واخرتكم وانه والله لا
تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا اخرهم الاعور الدجال فمن تبعه لم ينفعه صالح من عمله وفي البخاري وقالت
عايشه واما خطب النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في الخطبة فيه فاستحبها الشافعي واسحق واكثر اهل الحديث
وقال ابن قدامة لم يبلغنا عن احمد ذلك وقال صاحب الهداية من الحنفية ليس في الكسوف خطبة لانه لم ينقل
وتعقب بان الاحاديث ثبتت فيه وهي ذات كثرة والمشهور عند المالكية ان لا خطبة لها مع ان مالكا روى

الحديث

الحديث وفيه ذكر الخطبة واجاب بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم لم يقصد لها الخطبة بخصوصها وانما اراد ان يبين
لهم الرد على من يعتقد ان الكسوف لموت بعض الناس وتعقب بما في الاحاديث الصحيحة من التصريح بالخطبة
وحكاية شرائطها من الحمد والثناء والموعظة وغير ذلك مما تضمنته الاحاديث فلم يقتصر على الاعلام بسبب الكسوف
والاصل مشروعية الاتباع والخصائص لا تثبت الا بدليل انتهى وعن المغيرة بن شعبة عند البخاري كسفت الشمس
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابراهيم فقال الناس كسفت الشمس لموت ابراهيم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتم فصلوا وادعوا الله وابراهيم
هو ابن النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر جمهور اهل السير انه مات في السنة العاشرة من الهجرة فقيل في ربيع الاول
وقيل في رمضان وقيل في ذي الحجة والاكثر انها وقعت في عاشر الشهر وقيل في رابعه وقيل في رابع عشره ولا يصح
شيء منها على قول ذي الحجة لان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذ ذاك بمكة في الحج وقد ثبت انه شهد وفاته وكانت
بالمدينة بلا خلاف نعم قيل انه مات سنة تسع فان ثبت صح وجزم النووي بانها كانت سنة الحديبية فلعل
ذلك كان في [illegible] والخروج في التعدد حين رجع منها وفي هذا الحديث ابطال ما كان اهل الجاهلية يعتقدونه من تأثير
الكواكب في الارض قال الخطابي كانوا في الجاهلية يعتقدون ان الكسوف يوجب حدوث تغير في الارض من
موت او ضرر فاعلم النبي صلى الله عليه وسلم انه اعتقاد باطل وان الشمس والقمر خلقان مسخران لله ليس لهما
سلطان في غيرهما ولا قدرة للدفع عن انفسهما وعن عبد الله بن عمرو قال لما كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم نودي ان الصلاة جامعة رواه البخاري وقوله ان بفتح الهمزة وتخفيف النون وهي المفسرة وفي رواية
له ولمسلم من حديث عايشه بعث صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى الصلاة جامعة قال ابن دقيق العيد هذا
الحديث حجة لمن استحب ذلك وقد اجمعوا انه لا يؤذن لها ولا يقام وروى ابن حبان انه صلى الله عليه وسلم صلى في
كسوف الشمس والقمر ركعتين مثل صلاتكم واخرجه الدارقطني ايضا وفيه رد على من اطلق كابن رشيد انه صلى الله عليه
وسلم لم يصل في كسوف القمر ومنهم من اول قوله صلى اي امر بالصلاة جمعا بين الروايتين وقال ابن القيم في الهدي
لم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى في كسوف القمر في جماعة لكن حكى ابن حبان في السيرة له ان القمر خسف في السنة
الخامسة فصلى النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة الكسوف فكانت اول صلاة كسوف في الاسلام وهذا ان
ثبت انتفى التاويل المذكور وقد جزم به مغلطاي في سيرته المختصرة وتبعه الحافظ زين الدين العراقي في نظمها وفي البخاري
من حديث عايشه جهر النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الخسوف بقراءته فاذا فرغ من قراءته كبر فركع واذا رفع من الركعة
قال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم يعاود القراءة في صلاة الكسوف اربع ركعات في ركعتين واربع سجدات
واستدل به على الجهر فيها بالنهار وحمله جماعة ممن لم ير ذلك على كسوف القمر قال الحافظ ابن حجر وليس بجيد لان
الاسماعيلي روى هذا الحديث من وجه اخر عن الوليد بلفظ كسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي مسند ابي داود الطيالسي انه صلى الله عليه وسلم جهر بالقراءة في صلاة الكسوف وقد ورد الجهر فيها عن علي مرفوعا
وموقوفا اخرجه ابن خزيمة وغيره وقال به صاحبا ابي حنيفة واحمد واسحق وابن خزيمة وابن المنذر وغيرهما من محدثي
الشافعية وابن العربي من المالكية وقال الطبري يخير بين الجهر والاسرار وقال الايمة الثلاثة يسر في الشمس
ويجهر في القمر واحتج الشافعي بقول ابن عباس قرا نحوا من سورة البقرة لانه لو جهر لم يحتج الى التقدير وقد روى الشافعي
تعليقا عن ابن عباس انه صلى بجنب النبي صلى الله عليه وسلم في الكسوف فلم يسمع منه حرفا ووصله البيهقي من ثلاثة طرق
اسانيدها واهية وعلى تقدير صحتها فمثبت الجهر معه قدر زائد فالاخذ به اولى قال ابن العربي الجهر عندي اولى
لانها صلاة جامعة ينادى لها ويخطب فاشبهت العيد والاستسقا انتهى ملخصا والله اعلم الفصل

آيتان من آيات الله

فيهما

الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم صلاة الاستسقاء اعلم أن الاستسقاء طلب السقيا من الله تعالى
عند الحاجة إليها كما تقول استعطى أي طلب العطاء ولم يخالف أحد من العلماء في سنية الصلاة في الاستسقاء
إلا أبو حنيفة محتجاً بأحاديث الاستسقاء التي ليس فيها صلاة واحتج الجمهور بالأحاديث الثابتة في
الصحيحين وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم صلى في الاستسقاء ركعتين وأما الأحاديث التي ليس فيها الصلاة
فبعضها محمول على نسيان الراوي وبعضها كان في الخطبة للجمعة ويعقبه صلاة الجمعة فاكتفى بها ولو لم
يصل أصلاً كان بياناً لجواز الاستسقاء بالدعاء بلا صلاة ولا خلاف في جوازه وتكون الأحاديث المثبتة
للصلاة مقدمة لأن فيها زيادة علم ولا معارضة بينهما والاستسقاء أنواع الأول الاستسقاء بصلاة ركعتين
وخطبتين ويتأهب قبله بصدقة وصيام وتوبة وإقبال على الخير ومجانبة الشر ونحو ذلك من طاعة
الله تعالى قال ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متبذلاً متواضعاً متخشعاً متضرعاً
حتى أتى المصلى ورقى المنبر فلم يخطب خطبتكم هذه ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير ثم صلى ركعتين
كما يصلي في العيد رواه الترمذي وغيره وفي حديث عبد الله بن زيد المازني قال خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى هذا المصلى يستسقي فصلى بهم ركعتين جهر فيهما بالقراءة واستقبل القبلة يدعو ورفع يديه وحول
رداءه حين استقبل القبلة وفي رواية قال فحول رداءه وجعل عطافه الأيمن على عاتقه الأيسر وجعل عطافه
الأيسر على عاتقه الأيمن ثم دعا الله قال الحافظ ابن حجر ولم أقف في شيء من طرق حديث عبد الله بن زيد
على سبب ذلك ولا على صفته صلى الله عليه وسلم حال الذهاب إلى المصلى ولا على وقت ذهابه وقد وقع
ذلك في حديث عائشة عند أبي داود وابن حبان قالت شكا الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط
المطر فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ووعد الناس يوماً يخرجون فيه فخرج حين بدا حاجب الشمس فقعد
على المنبر فكبر وحمد الله ثم قال إنكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم وقد أمركم الله
أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم ثم قال الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين الذي لا إله إلا
هو يفعل ما يريد اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوة
وبلاغاً إلى حين ثم رفع يديه حتى بدا بياض إبطيه ثم حول إلى الناس ظهره وقلب أو حول رداءه وهو رافع
يديه ثم أقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين فأنشأ الله سحابة فرعدت وبرقت ثم أمطرت بإذن الله فلم يأت
مسجده حتى سالت السيول فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك حتى بدت نواجذه فقال أشهد أن الله على كل شيء
قدير وأني عبده ورسوله وقد حكى ابن المنذر الاختلاف في وقتها والراجح أنه لا وقت لها معين وإن كان أكثر
أحكامها كالعيد لكنها تخالفه بأنها لا تختص بيوم معين وهل تصنع بالليل استنبط بعضهم من كونه صلى الله
عليه وسلم جهر بالقراءة فيها بالنهار أنها نهارية كالعيد وإلا فلو كانت تصلى بالليل لأسر فيها بالنهار وجهر بالليل
كمطلق النوافل ونقل ابن قدامة الإجماع على أنها لا تصلى في وقت الكراهة وأفاد ابن حبان أن خروجه صلى الله
عليه وسلم إلى المصلى للاستسقاء كان في شهر رمضان سنة ست من الهجرة وذكر الواقدي أن طول ردائه كان
صلى الله عليه وسلم ستة أذرع في ثلاثة أذرع وطول إزاره أربعة أذرع وشبرين في ذراعين وشبر كان
يلبسهما في الجمعة والعيدين وقد روى أبو داود عن عباد استسقى صلى الله عليه وسلم وعليه خميصة سوداء
فأراد أن يأخذ بأسفلها فيجعله أعلاها فلما ثقلت عليه قلبها على عاتقه وقد استحب الشافعي في الجديد فعل ما
هم به صلى الله عليه وسلم من تنكيس الرداء مع التحويل الموصوف وزعم القرطبي تبعاً لغيره أن الشافعي اختار
في الجديد تنكيس الرداء لا تحويله والذي في الأم ما ذكرته والجمهور على استحباب التحويل فقط ولا ريب أن الذي

استحبه

استحبه الشافعي أحوط وعن أبي حنيفة وبعض المالكية لا يستحب شيء من ذلك واستحب الجمهور أن يحول
الناس بتحويل الإمام ويشهد له ما رواه أحمد من طريق أخرى عن عباد في هذا الحديث بلفظ وحول الناس
معه وقال الليث وأبو يوسف يحول الإمام وحده واستثنى ابن الماجشون النساء فقال لا يستحب في
حقهن واختلف في حكمة هذا التحويل فجزم المهلب بأنه للتفاؤل بتحويل الحال عما هو عليه وتعقبه
ابن العربي بأن من شرط الفأل أن لا يقصد إليه قال وإنما التحويل أمارة بينه وبين ربه قيل له حول رداءك
ليتحول حالك وتعقب بأن الذي جزم به يحتاج إلى نقل والذي رده ورد فيه حديث رجاله ثقات
أخرجه الدارقطني والحاكم من طريق جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن جابر ورجح الدارقطني إرساله وعلى كل
حال فهو أولى من القول بالظن واستدل بقوله في حديث عائشة ثم صلى ركعتين بعد قوله فقعد على
المنبر على أن الخطبة في الاستسقاء قبل الصلاة وهو مقتضى حديث ابن عباس لكن وقع عند أحمد في حديث
عبد الله بن زيد التصريح بأنه بدأ بالصلاة قبل الخطبة وكذا في حديث أبي هريرة عند ابن ماجه حيث قال
فصلى بنا ركعتين بغير أذان ولا إقامة والمرجح عند الشافعية والمالكية الثاني ولم يقع لي شيء من طرق حديث
عبد الله بن زيد صفة الصلاة المذكورة ولا ما يقرأ فيها وقد أخرج الدارقطني من حديث ابن عباس أنه يكبر
فيهما سبعاً وخمساً كالعيد وأنه يقرأ فيهما بسبح وهل أتاك وفي إسناده مقال لكن أصله في السنن بلفظ ثم
صلى ركعتين كما يصلي في العيدين فأخذ بظاهره الشافعي فقال يكبر فيهما **الثاني في استسقائه عليه الصلاة والسلام**
في خطبة الجمعة عن أنس أن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله صلى الله
عليه وسلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً ثم قال يا رسول الله هلكت الأموال
وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم أغثنا اللهم
أغثنا قال أنس ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال
فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال فلا والله ما رأينا الشمس
سبتاً قال ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب
فاستقبله قائماً فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا قال فرفع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية
ومنابت الشجر قال فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس قال شريك فسألت أنس بن مالك أهو الرجل الأول قال
لا أدري رواه مسلم وفي رواية له قال فما يشير بيده إلى ناحية إلا انفرجت حتى رأيت المدينة في مثل الجوبة وسال
وادي قناة شهراً ولم يجئ أحد من ناحية إلا أخبر بجود وقوله يغيثنا بفتح أوله يقال غاث الله البلاد يغيثها
إذا أرسل عليها المطر وقوله من باب كان نحو دار القضاء هي دار عمر بن الخطاب وسميت بذلك لأنها بيعت
في قضاء دينه وقوله هلكت الأموال وفي رواية كريمة وأبي ذر عن الكشميهني المواشي وهو المراد بالأموال هنا
وفي رواية البخاري هلك الكراع بضم الكاف وهو يطلق على الخيل وغيرها وفي البخاري أيضاً هلكت المواشي
هلك العيال هلك الناس وهو من ذكر العام بعد الخاص والمراد بهلاكهم عدم وجود ما يعيشون به من
الأقوات المفقودة بحبس المطر وانقطعت السبل لأن الإبل ضعفت لقلة القوت عن السفر أو لكونها لا تجد
في طريقها من الكلأ ما يقيم أودها والآكام بكسر الهمزة وقد تفتح وتمد جمع أكمة بفتحات التراب المجتمع وقيل
الجبل الصغير وقيل ما ارتفع من الأرض والظراب بكسر المعجمة جمع ظرب بكسر الراء الجبل المنبسط ليس بالعالي
وقوله مثل الجوبة بفتح الجيم وسكون الواو وفتح الموحدة هي الحفرة المستديرة الواسعة والمراد بها هنا الفرجة في
السحاب والجود المطر الغزير وقوله قناة شهراً أي جرى فيه المطر من الماء شهراً وفي هذا دليل على عظم معجزته

عليه السلام وهو ان عرفت السحاب له كلما اشار اليها امتثلت بالاشارة دون كلام لان كلامه
عليه السلام مناجاة للحق تعالى واما السحاب فبالاشارة فلولا الامر لها بالطاعة له عليه السلام ما
كان ذلك ليتهيأ لها ايضا كالجامورة حيث تسير وقد رواها البيهقي وابو نعيم ولابن حجر رحمه الله السفر الطبي فلقد
احسن حيث قال ه

دعوت للخلق عام المحل مبتهلا • افديك بالخلق من داع ومبتهل •
صعدت كفيك اذ كف الغمام فما • صوبت الا بصوب الواكف الهطل • اماق بالارض فجا صوب راحته •
فحل بالروض نسج رايق الحلل • زهر من النور حلت روض ارضهم • زهر من النور حالي النبت مكتهل •
من كل غصن نضير مورق خضر • وكل نور نضيد مونق خضل • تحية احيت الاحيا من مضر •
بعد المضرة تروي السبل بالسبل • دامت على الارض سبعا غير مقلعة • لولا دعاؤك بالاقلاع لم تزل •

• وقوله في الحديث سبتا اي من السبت الى السبت وقوله ثم دخل رجل الظاهر انه غير الاول لان النكرة
اذا تكررت دلت على التعدد وفي رواية ابي اسحق فقام ذلك الرجل او غيره وفي رواية فتقشعت عن المدينة
فجعلت تمطر حولها وما تمطر بالمدينة قطرة فنظرت الى المدينة وانها لفي مثل الاكليل وهو بكسر الهمزة وسكون
الكاف كل شيء دار من جوانبه واشتهر لما يوضع على الراس فيحيط بها وهو من ملابس الملوك كالتاج وفي
رواية له ايضا فالف الله بين السحاب ومكثنا حتى رايت الرجل الشديد تهمه نفسه ان ياتي اهله وفي رواية
له ايضا فرايت السحاب يتمزق كانه الملاء حين يطوى والملاء بضم الميم والقصر وقد تمد جمع ملاءة وهو ثوب
معروف واستدل بهذا الحديث على جواز الاستسقاء بغير صلاة مخصوصة وعلى ان الاستسقاء ليس فيه صلاة
فاما الاول فقال به الشافعي واما الثاني فقال به ابو حنيفة وتعقب بان الذي وقع في هذه القصة مجرد
دعاء لا ينافي مشروعية الصلاة لها وقد بينت واقعة اخرى كما تقدم والله اعلم ه

الثالث استسقاؤه

صلى الله عليه وسلم على منبر المدينة روى البيهقي في الدلائل من طريق يزيد بن عبيد السلمي قال لما قفل رسول
الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك اتاه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلا وفيهم خارجة بن حصن والحر بن قيس
وهو اصغرهم فنزلوا في دار رملة بنت الحرث من الانصار وقدموا على ابل عجاف وهم مسنتون فاقروا
بالاسلام فسالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقالوا يا رسول الله اسنتت بلادنا واجدبت
جناننا وغرثت عيالنا وهلكت مواشينا فادع ربك ان يغيثنا وتشفع لنا الى ربك ويشفع ربك اليك فقال
صلى الله عليه وسلم سبحان الله ويلك انا شفعت الى ربي فمن ذا الذي يشفع ربنا اليه لا اله الا هو
العظيم وسع كرسيه السموات والارض وهو يئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد فقال صلى الله عليه
وسلم ان الله ليضحك من شفقكم وقرب غياثكم فقال الاعرابي او يضحك ربنا يا رسول الله قال نعم فقال الاعرابي
لن نعدم يا رسول الله من رب يضحك خيرا فضحك صلى الله عليه وسلم من قوله فقام صلى الله عليه وسلم فصعد
المنبر وتكلم بكلمات ورفع يديه وكان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء الا في الاستسقاء فرفع يديه حتى رؤي بياض
ابطيه وكان مما حفظ من دعائه اللهم اسق بلادك وبهائمك وانشر رحمتك واحي بلدك الميت اللهم اسقنا
غيثا مغيثا طبقا مريئا مريعا واسعا عاجلا غير اجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم
ولا غرق ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء فقام ابو لبابة بن عبد المنذر فقال يا رسول الله ان
التمر في المرابد فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اسقنا فقال ابو لبابة التمر في المرابد ثلاث مرات فقال عليه
السلام اللهم اسقنا حتى يقوم ابو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره قال فلا والله ما في السماء من قزعة
ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بناء ولا دار فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء
انتشرت وهم ينظرون ثم امطرت فوالله ما راوا الشمس سبتا وقام ابو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره

ثم لا يخرج المرمنة فقال الرجل يا رسول الله يعني الذي ساله ان يستسقي لهم هلكت الاموال وانقطعت
السبل فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ورفع يديه مدا حتى رؤي بياض ابطيه ثم قال اللهم حوالينا
ولا علينا على الاكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب
والاطيط صوت الاقتاب يعني ان الكرسي ليعجز عن حمله وعظمته اذ كان معلوما ان اطيط الرحل بالراكب
انما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله وهذا مثل العظمة تعالى وجلاله وان لم يكن اطيط وانما هو كلام
تقريب اريد به تقرير عظمة الله تعالى وقوله طبقا بفتح الطاء والموحدة اي مالئا للارض مغطيا لها يقال
غيث طبق اي عام واسع والمربد موضع يجفف فيه التمر وثعلبه ثقبه الذي يسيل منه ماء المطر وعن انس
ابن مالك قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتيناك وما لنا صبي يغط
ولا بعير يئط اي ما لنا بعير اصلا لان البعير لا بد ان يئط وانشد ه

اتيناك والعذراء يدمى لبانها • وقد شغلت ام الصبي عن الطفل • والقى بكفيه الفتى لاستكانة •
من الجوع ضعفا ما يمر وما يحلي • ولا شيء مما ياكل الناس عندنا • سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل •
وليس لنا الا اليك فرارنا • واين فرار الناس الا الى الرسل •

فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا غدقا طبقا
نافعا غير ضار عاجلا غير رائث تملا به الضرع وتنبت به الزرع وتحيي به الارض بعد موتها قال فما
رد صلى الله عليه وسلم يده الى نحره حتى التقت السماء بابراقها وجاء اهل البطانة يضجون الغرق الغرق فقال
عليه السلام حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى احدق بها كالاكليل وضحك صلى الله عليه
وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در ابي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي
يا رسول الله كانك تريد قوله ه

• وابيض يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للارامل •
يطيف به الهلاك من ال هاشم • فهم عنده في نعمة وفواضل • كذبتم وبيت الله نبزى محمدا • ونذهل عن ابنائنا والحلائل

فقال اجل رواه البيهقي وقوله يدمى لبانها اي يدمى صدرها لامتهانها نفسها في الخدمة حيث لا تجد ما
تعطيه من يخدمها من الجدب وشدة الزمان واصل اللبان في الفرس موضع اللبب ثم استعير للناس وقوله
ما يمر وما يحلي اي ما ينطق بخير ولا شر من الجوع والضعف وقوله سوى الحنظل العامي نسبه الى العام لانه يتخذ
في عام الجدب كما قالوا للجدب السنة والعلهز بالكسر طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سنة
المجاعة قاله الجوهري والفسل الرذل قال السهيلي فان قلت كيف قال ابو طالب وابيض يستسقى الغمام
بوجهه ولم يره قط استسقى وانما كان ذلك منه بعد الهجرة واجاب بما حاصله ان ابا طالب اشار الى ما
وقع في زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش والنبي صلى الله عليه وسلم معه وهو غلام انتهى وقال
الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يكون ابو طالب مدحه بذلك لما راى من مخايل ذلك فيه وان لم يشاهد ذلك انتهى
قلت وقد اخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش يا ابا طالب
اقحط الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجن تجلت عنه سحابة
قتماء وحوله اغيلمة فاخذه ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام وما في السماء قزعة فاقبل السحاب
من ههنا وههنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادي واخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب
وابيض يستسقى الغمام بوجهه انتهى ه

الرابع استسقاؤه

صلى الله عليه وسلم بالدعاء من غير صلاة عن ابن
مسعود ان قريشا ابطؤوا عن الاسلام فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذتهم سنة حتى هلكوا
فيها واكلوا الميتة والعظام فجاءه ابو سفيان فقال يا محمد جئت تامر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله
فقرا فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين ثم عادوا الى كفرهم فذلك قوله يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر

زاد اسباط عن منصور فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث وكلوا الجنه فاطبقت
عليهم سبعا وشكى الناس كثرة المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة عن راسه
فسقوا الناس حولهم رواه البخاري وافاد الدمياطي ان ابتدا الدعا على قريش كان عقب طرحهم على
ظهره سلا الجزور وكان ذلك بمكة قبل الهجرة وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك بالمدينة
في القنوت كما في حديث ابي هريرة عند البخاري ولا يلزم من ذلك اتحاد هذه القصص اذ لا مانع ان يدعو
بذلك عليهم مرارا والظاهر ان مجئ ابي سفيان كان قبل الهجرة لقول ابن مسعود ثم عادوا فذلك
قوله يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر ولم ينقل ان ابا سفيان قدم المدينة قبل بدر وعلى هذا فيحتمل
ان يكون ابو طالب كان حاضرا ذلك فلذلك قال وابيض يستسقى الغمام بوجهه لكن ورد ما يدل على ان
القصة وقعت بالمدينة فان لم يحمل على التعدد والا فهو مشكل وفي الدلائل للبيهقي عن كعب بن مرة او مرة
ابن كعب قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر فاتاه ابو سفيان فقال ادع الله لقومك فقد
هلكوا وقد رواه احمد وابن ماجه عن كعب بن مرة ولم يشك فابهم ابا سفيان قال فجاء رجل فقال استسق
الله لمضر قال يا رسول الله استنصرت الله فنصرك ودعوت الله فاجابك فرفع يديه فقال اللهم اسقنا
غيثا مغيثا الحديث فظهر ان هذا الرجل المبهم المقول له انك لجريء هو ابو سفيان لكن يظهر ان فاعل
قال يا رسول الله استنصرت الله الى اخره هو كعب بن مرة راوي هذا الحديث لما اخرجه احمد ايضا والحاكم
عن ابي بن كعب قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر فاتيته فقلت يا رسول الله ان الله قد نصرك
واعطاك واستجاب لك وان قومك قد هلكوا وعلى هذا فكان ابا سفيان وكعبا حضرا جميعا فكلمه ابو
سفيان بشئ وكعب بشئ فدل ذلك على اتحاد قصتهما وقد ثبت في هذه ما ثبت في تلك من قوله
انك لجريء ومن قوله اللهم حوالينا ولا علينا وتبين بقول كعب بن مرة ان ذلك وقع بالمدينة لقوله
استنصرت الله فنصرك ولا يلزم من هذا اتحاد هذه القصة مع قصة انس السابقة فهي واقعة اخرى لان
في رواية انس فلم يزل على المنبر حتى مطروا وفي هذه فما كان الا جمعة او نحوها حتى مطروا والسائل في
هذه القصة غير السائل في تلك فهما قصتان وقع في كل منهما طلب الدعا بالاستسقاء ثم طلب الدعا
بالاستصحاء وان ثبت ان كعب بن مرة اسلم قبل الهجرة حمل قوله استنصرت الله فنصرك على النصر بالاجابة دعائه
عليهم وزال الاشكال المتقدم والله اعلم انتهى ملخصا من فتح الباري الخامس استسقاؤه صلى الله عليه وسلم
عند احجار الزيت قريبا من الزوراء وهي خارج باب المسجد الذي يدعى باب السلام نحو قذفة حجر
ينعطف عن يمين الخارج من المسجد عن عمير مولى ابي اللحم انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي رافعا
يديه قبل وجهه لا يجاوز بهما راسه رواه ابو داود والترمذي السادس استسقاؤه عليه السلام في بعض غزواته
لما سبقه المشركون الى الماء فاصاب المسلمين العطش فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
بعض المنافقين لو كان نبيا لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال او قد قالوها عسى ربكم ان يسقيكم ثم بسط يديه ودعا فما رد يديه من دعائه حتى اظلهم السحاب
وامطروا الى ان سال الوادي فشرب الناس وارتووا رواه

فصل عن سالم بن عبد الله
عن ابيه مرفوعا انه كان اذا استسقى قال اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين اللهم ان
بالعباد والبلاد والبهائم والخلق من اللأواء والجهد والضنك ما لا نشكو الا اليك اللهم انبت لنا
الزرع وادر لنا الضرع واسقنا من بركات السما وانبت لنا من بركات الارض اللهم ارفع عنا الجهد والجوع
والعري واكشف عنا من البلايا ما لا يكشفه غيرك اللهم انا نستغفرك انك كنت غفارا فارسل السما علينا
مدرارا رواه الشافعي فصل روى ابو الجوزاء قال قحط اهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة فقالت

انظروا

انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى الى السما حتى لا يكون بينه وبين السما سقف ففعلوا
فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق
وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح من رواية ابي صالح السمان عن مالك الدار قال اصاب الناس قحط في زمن
عمر بن الخطاب فجاء رجل الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لامتك فانهم قد
هلكوا فاتى الرجل في المنام فقيل له ايت عمر وفي رواية عبد الرزاق ان عمر استسقى بالمصلى فقال للعباس قم
فاستسق وفي رواية الزبير بن بكار ان العباس لما استسقى به عمر قال اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب
ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا
اليك بالتوبة فاسقنا الغيث فارخت السما مثل الجبال حتى اخصبت الارض وعاش الناس وعنده ايضا
قحط الناس فقال عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا
ايها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله وفيه فما برحوا حتى
سقوا وفي ذلك يقول عباس بن عتبة بن ابي لهب • بعمي سقى الله الحجاز واهله
عشية يستسقي بشيبته عمر • توجه بالعباس في الجدب راغبا • اليه فما ان رام حتى اتى المطر •
ومنا رسول الله فينا تراثه • فهل فوق هذا للمفاخر مفخر • القسم الثالث في ذكر صلاته
صلى الله عليه وسلم في السفر وفيه فصول الاول في قصره صلى الله عليه وسلم الصلاة فيه واحكامه
وفيه فوائد الاولى في كم كان عليه السلام يقصر الصلاة تقدم القصر رخصة او عزيمة وما استدل
به لكل من القولين فاول هذا المقصد وعن انس بن مالك قال صليت الظهر مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالمدينة اربعا وخرج يريد مكة فصلى بذي الحليفة العصر ركعتين رواه البخاري ومسلم وهذا الحديث
مما احتج به اهل الظاهر في جواز القصر في طويل السفر وقصيره فان بين المدينة وذي الحليفة ستة اميال
وقيل سبعة وقال الجمهور لا يجوز القصر الا في سفر يبلغ مرحلتين وقال ابو حنيفة وطائفة شرطه ثلث
مراحل واعتمدوا في ذلك اثارا عن الصحابة واما هذا الحديث فلا دلالة فيه لاهل الظاهر لان المراد انه
صلى الله عليه وسلم حين سافر الى مكة في حجة الوداع صلى الظهر بالمدينة اربعا ثم سافر فادركته العصر وهو
مسافر بذي الحليفة فصلاها ركعتين وليس المراد ان ذا الحليفة غاية سفره فلا دلالة فيه قطعا والاحاديث
المطلق مع ظاهر القران متعاضدان على جواز القصر من حين يخرج من البلد فانه حينئذ يسمى مسافرا
وطويل السفر ثمانية واربعون ميلا هاشمية وهي ستة عشر فرسخا وهي اربعة برد والميل من الارض منتهى
مد البصر لان البصر يميل منه على وجه الارض حتى يخفى ادراكه وبذلك جزم الجوهري وقيل حده ان ينظر الى الشخص
في ارض مصطحة فلا يدرى اهو رجل ام امراة او هو ذاهب او ات قال النووي الميل ستة الاف ذراع والذراع
اربعة وعشرون اصبعا معترضة وقد حرره غيره بذراع الحديد المستعمل الان بمصر والحجاز في هذه الاعصار
فوجده ينقص عن ذراع الحديد بقدر الثمن فعلى هذا فالميل بذراع الحديد خمسة الاف ذراع ومائتان وخمسون
ذراعا وهذه فائدة جليلة قل من تنبه لها وروى البيهقي عن عطاء ان ابن عمر وابن عباس كانا يصليان ركعتين
اي يقصران في اربعة برد فما فوقها وذكره البخاري في صحيحه تعليقا بصيغة الجزم ورواه بعضهم عن ابن خزيمة
مرفوعا من رواية ابن عباس وقد كان فرض الصلاة ركعتين ركعتين فلما هاجر عليه السلام فرضت اربعا
رواه البخاري من حديث عائشة لكن يعارضه حديث ابن عباس فرضت الصلاة في الحضر اربعا وفي السفر
ركعتين رواه مسلم وجمع بينهما بما يطول ذكره ثم بعد ان استقر فرض الرباعية خفف منها في السفر عند نزول

قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ويؤيده ما ذكره ابن الاثير في شرح المسندات ان قصر
الصلاة كان في السنة الرابعة من الهجرة وقيل كان قصر الصلاة في ربيع الآخر من السنة الثانية ذكره الدولابي
وقيل بعد الهجرة باربعين يوما **الفرع الثاني** في القصر مع الاقامة عن انس قال خرجنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم من المدينة الى مكة وكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة قيل له اقمتم بمكة شيئا
قال اقمنا بها عشرا رواه البخاري ومسلم مختصرا قال اقمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم عشرا نقصر الصلاة
وعن ابن عباس اقام النبي صلى الله عليه وسلم تسع عشرة يقصر الصلاة فنحن اذا سافرنا تسعة عشر قصرنا وان
زدنا اتممنا رواه البخاري وفي رواية ابي داود انه صلى الله عليه وسلم اقام سبعة عشر بمكة يقصر الصلاة
قال ابن عباس فلو اقام اكثر اتم والرواية الاولى بتقديم التاء على السين والثانية بتقديم السين على الحاء
ولابي داود من حديث عمران بن حصين غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح فاقام بمكة ثماني
عشرة ليلة لا يصلي الا ركعتين وله من طريق ابن اسحق عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس اقام صلى الله عليه
وسلم بمكة عام الفتح خمس عشرة يقصر الصلاة وجمع البيهقي بين هذا الاختلاف بان من قال تسع عشرة عد
يومي الدخول والخروج ومن قال سبعة عشر حذفهما واما رواية خمس عشرة فضعفها النووي في الخلاصة
وليس بجيد لان رواتها ثقات ولم ينفرد بها ابن اسحق فقد اخرجها النسائي من رواية عراك بن مالك عن
عبيد الله كذلك فاذا ثبت انها صحيحة فليحمل على ان الراوي ظن ان رواية الاصل سبع عشرة فحذف منها
يومي الدخول والخروج فذكر انها خمس عشرة واقتضى ذلك ان رواية تسع عشرة ارجح الروايات ولهذا اخذ الشافعي
بحديث عمران بن الحصين لكن محله عنده فيمن لم يزمع الاقامة فانه اذا مضت عليه المدة المذكورة وجب
عليه الاتمام فان ازمع الاقامة في اول الحال على اربعة ايام اتم على خلاف بين الصحابة في دخول يومي الدخول
والخروج فيها ولا معارضة بين حديث ابن عباس وحديث انس لان حديث ابن عباس كان في فتح مكة
وحديث انس كان في حجة الوداع وفي حديث ابن عباس قدم صلى الله عليه وسلم واصحابه يعني مكة لصبح رابعة
ولا شك انه خرج من مكة صبح الرابع عشر فتكون مدة الاقامة بمكة وضواحيها عشرة ايام بلياليها كما قال
انس ويكون مدة اقامته بمكة اربعة ايام سواء لانه قدم في اليوم الرابع وخرج منها في اليوم الثامن فصلى
الظهر في منى ومن ثم قال الشافعي ان المسافر اذا اقام ببلد قصر اربعة ايام والمدة التي في حديث ابن عباس
يسوغ الاستدلال بها على من لم ينو الاقامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن في مدة متى يهيأ له فراغ حاجته
يرحل والمدة التي في حديث انس يستدل بها على ان من نوى الاقامة لانه صلى الله عليه وسلم في ايام الحج كان
جازما بالاقامة تلك المدة ووجه الدلالة من حديث ابن عباس لما كان الاصل في المقيم الاتمام فلما لم يجئ عنه
صلى الله عليه وسلم انه اقام في حال السفر اكثر من تلك المدة جعلها غاية للقصر والله اعلم **الفصل
الثاني** وفيه فرعان ايضا **الاول** في جمعه صلى الله عليه وسلم عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا ارتحل قبل ان تزيغ الشمس اخر الظهر الى وقت العصر ثم نزل فجمع بينهما فان زاغت الشمس قبل ان يرتحل
صلى الظهر ثم ركب وفي رواية كان اذا اراد ان يجمع بين الصلاتين في السفر اخر الظهر حتى يدخل اول وقت
العصر وفي اخرى كان اذا عجل عليه السير يؤخر الظهر الى اول وقت العصر فيجمع بينهما ويؤخر المغرب حتى يجمع
بينها وبين العشاء رواه البخاري ومسلم وابو داود وفي رواية للبخاري كان يجمع بين هاتين الصلاتين في السفر
يعني المغرب والعشاء وفي حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يجمع بين صلاة الظهر والعصر اذا كان على
ظهر سير ويجمع بين المغرب والعشاء رواه البخاري ولمسلم جمع بين الصلاة في سفرة سافرها في غزوة تبوك

فجمع

فجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء رواه مسلم ومالك وابو داود والنسائي انهم خرجوا معه صلى
الله عليه وسلم في غزوة تبوك فكان عليه السلام يجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء فاخر
الظهر يوما ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا ثم دخل فصلى المغرب والعشاء جميعا وفي رواية ابي داود
والترمذي من حديث معاذ بن جبل كان في غزوة تبوك اذا زاغت الشمس قبل ان يرتحل جمع بين الظهر
والعصر فان رحل قبل ان تزيغ الشمس اخر الظهر حتى ينزل للعصر وفي المغرب مثل ذلك ان غابت الشمس
قبل ان يرتحل جمع بين المغرب والعشاء وان ارتحل قبل ان تغيب الشمس اخر المغرب حتى ينزل للعشاء ثم
جمع بينهما **الفرع الثاني في جمعه** صلى الله عليه وسلم بمزدلفة عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم
صلى المغرب والعشاء بالمزدلفة جميعا رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود زاد البخاري في رواية
كل واحدة منهما باقامة ولم يسبح بينهما ولمسلم جمع بين المغرب والعشاء بجمع وصلى المغرب ثلث ركعات
وصلى العشاء ركعتين وفي حديث ابي ايوب الانصاري عند البخاري ومسلم جمع في حجة الوداع بين المغرب
والعشاء بالمزدلفة وفي رواية ابن عباس عند النسائي صلى المغرب والعشاء باقامة واحدة وفي رواية
جعفر بن محمد عن ابيه عند ابي داود صلى الظهر والعصر باذان واحد بعرفة ولم يسبح بينهما واقامتين وصلى
المغرب والعشاء بجمع باذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما **الفصل الثالث في صلاته** صلى الله عليه
وسلم النوافل في السفر عن ابن عمر قال سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فكانوا
يصلون الظهر والعصر ركعتين ركعتين ولا يصلون قبلها ولا بعدها ولو صليت لاتممتها رواه الترمذي وفي رواية صحبت
النبي صلى الله عليه وسلم فلم اره يسبح في السفر اي يتنفل الرواتب التي قبل الفرائض وبعدها وهو مستفاد
من قوله في الرواية الاخرى فكان لا يزيد في السفر على ركعتين قال ابن دقيق العيد وهذا اللفظ يحتمل ان يكون
يريد لا يزيد في عدد ركعات الفرض فيكون كناية عن نفي الاتمام والمراد به الاخبار عن المداومة على القصر
ويحتمل ان يريد لا يزيد نفلا ويمكن ان يريد ما هو اعم من ذلك وفي رواية مسلم صحبت ابن عمر في طريق مكة
فصلى لنا الظهر ركعتين ثم اقبل واقبلنا معه حتى جاء رحله وجلس وجلسنا معه فحانت منه التفاتة فرأى
ناسا قياما فقال ما يصنع هؤلاء قلت يسبحون قال لو كنت مسبحا لاتممت قال النووي اجابوا عن
قول ابن عمر بان الفريضة محتمة فلو شرعت تامة لتحتم اتمامها واما النافلة فهي الى خيرة المصلي وطريق
الرفق به ان تكون مشروعة ويخير فيها انتهى وتعقب بان مراد ابن عمر بقوله لو كنت مسبحا لاتممت يعني انه
لو كان مخيرا بين الاتمام وصلاة الراتبة لكان الاتمام احب اليه لكنه فهم من القصر التخفيف فلذلك كان لا
يصلي الراتبة ولا يتم وفي البخاري من حديث ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم يوتر على راحلته وبوب عليه
باب الوتر في السفر واشار بهذا الى الرد على من قال انه لا يسن الوتر في السفر وهو منقول عن الضحاك واما
قول ابن عمر لو كنت مسبحا في السفر لاتممت كما اخرجه مسلم فانما اراد به راتبة المكتوبة لا النافلة المقصودة
كالوتر وذلك بين من سياق الحديث المذكور عند الترمذي من وجه اخر بلفظ لو كنت مصليا قبلها او بعدها
لاتممت واما حديث عائشة عند البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتين
بعدها فليس بصريح في فعله ذلك في السفر ولعلها اخبرت عن اكثر احواله وهو الاقامة والرجال اعلم بسفره
من النساء واجاب النووي تبعا لغيره بالغلط لعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الرواتب في رحله ولا يراه
ابن عمر او لعله تركها في بعض الاوقات لبيان الجواز انتهى وفي رواية الترمذي من حديث ابن عمر قال صليت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الظهر في السفر ركعتين وبعدها ركعتين وفي رواية صليت معه في الحضر والسفر فصليت معه
في الحضر الظهر اربعا وبعدها ركعتين وصليت معه في السفر الظهر ركعتين وبعدها ركعتين والعصر ركعتين

ولم يصل بعدها شيئا والمغرب في الحضر والسفر سواء ثلث ركعات لا ينقص في حضر ولا سفر وهي وتر
النهار وبعدها ركعتين وفي حديث ابي قتادة عند مسلم في قصة النوم عن صلاة الصبح انه صلى الله عليه
وسلم صلى ركعتين قبل الصبح ثم صلى الصبح كما كان يصلي فقال صاحب الهدي انه لم يحفظ عنه صلى الله عليه
وسلم انه صلى سنة الصلاة قبلها ولا بعدها في السفر الا ما كان من سنة الفجر ورد على اطلاقه ما قدمناه في
رواية الترمذي من حديث ابن عمر وما رواه ابو داود والترمذي من حديث البراء بن عازب قال سافرت
مع النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سفرا فلم اره ترك ركعتين اذا زاغت الشمس قبل الظهر وكانه لم يثبت
عنده ذلك لكن الترمذي استغربه ونقل عن البخاري انه رآه حسنا وقد حمله بعض العلماء على سنة الزوال
لا على الراتبة قبل الظهر **الفصل الرابع في صلاته** صلى الله عليه وسلم التطوع في السفر على الدابة عن ابن عمر
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي سبحته حيث ما توجهت به ناقته وفي رواية يصلي وهو مقبل من مكة
الى المدينة حيث كان وجهه وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله وفي رواية رايته صلى الله عليه وسلم يصلي
على حمار وهو موجه الى خيبر وفي رواية كان يوتر على البعير رواه مسلم وقد اخذ بهذا الحديث فقهاء الامصار
في جواز التنفل على الراحلة في السفر حيث توجهت الا ان احمد وابا ثور كانا يستحبان ان يستقبل القبلة
بالتكبير حال ابتداء الصلاة والحجة لذلك ما في حديث انس عند ابي داود انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد
ان يتطوع في السفر استقبل بناقته القبلة ثم صلى حيث وجهت ركابه **وذهب** الجمهور الى جواز التنفل على الدابة
سواء كان السفر طويلا او قصيرا الا مالكا فخصه بالسفر الطويل وحجته ان هذه الاحاديث انما وردت في
اسفاره صلى الله عليه وسلم ولم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه سافر سفرا قصيرا فصنع ذلك وحجة
الجمهور مطلق الاخبار في ذلك وقوله يصلي على حمار قال النووي قال الدارقطني وغيره هذا غلط من عمرو بن يحيى المازني
وانما المعروف في صلاته عليه السلام على راحلته او بعيره والصواب ان الصلاة على الحمار من فعل انس كما ذكره مسلم
ثم قال وفي تغليط رواية نظر لانه ثقة نقل شيئا محتملا فلعله كان الحمار مرة والبعير مرة او مرات لكن قد يقال انه
شاذ مخالف لرواية الجمهور والشاذ مردود وعن يعلى بن مرة عن ابيه عن جده انهم كانوا مع النبي صلى
الله عليه وسلم في مسير فانتهوا الى المضيق فحضرت الصلاة فمطروا السماء من فوقهم والبلة من اسفل منهم
فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته فصلى بهم يومي ايماء يجعل السجود اخفض من الركوع رواه الترمذي
القسم الرابع في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف عن جابر قال اقبلنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى اذا كنا بذات الرقاع قال كنا اذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين
وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال فمن يمنعك مني قال الله
فتهدده اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فغمد السيف وعلقه فاقيمت الصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تاخروا
وصلى بالطائفة الاخرى ركعتين فكان للنبي صلى الله عليه وسلم اربع ركعات وللقوم ركعتان رواه البخاري ومسلم
ولمسلم فصففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه
وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي
يليه وقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود وقام الى الصف المؤخر تاخر الصف
المقدم ثم ركع النبي وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان
مؤخرا في الركعة الاولى فقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه
انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا ولمسلم والبخاري ايضا من حديث
يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى معه صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طائفة

صلت

صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا فصفوا
وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا واتموا لانفسهم
ثم سلم بهم قال مالك وذلك احسن ما سمعت في صلاة الخوف وما ذهب اليه مالك من ترجيح هذه الكيفية
وافقه الشافعي واحمد على ترجيحها لسلامتها من كثرة المخالفة ولكونها احوط لامر الحرب وعن سالم بن
عبد الله بن عمر عن ابيه قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فوازينا العدو فصاففنا لهم
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي لنا فقامت طائفة معه واقبلت طائفة على العدو وركع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وسجد سجدتين ثم انصرفوا مكان الطائفة التي لم تصل فجاؤا فركع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بهم ركعة وسجد سجدتين ثم سلم فقام كل واحد منهم فركع لنفسه ركعة وسجد سجدتين رواه
وفي حديث جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس صلاة الظهر في الخوف ببطن نخل فصلى بطائفة
ركعتين ثم سلم ثم جاءت طائفة اخرى فصلى ركعتين ثم سلم رواه البغوي في شرح السنة وعنه انه صلى الله
عليه وسلم نزل بين ضجنان وعسفان فقال المشركون لهؤلاء صلاة هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم
وهي العصر فاجمعوا امركم فتميلوا عليهم ميلة واحدة وان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فامره ان يقسم اصحابه
شطرين فيصلي بهم وتقوم طائفة اخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم واسلحتهم فتكون لهم ركعة ولرسول الله صلى
الله عليه وسلم ركعتان رواه الترمذي والنسائي قال ابن حزم وقد صح فيها يعني صلاة الخوف اربعة عشر
وجها وبينها في جزء مفرد وقال ابن العربي في القبس جاء فيها روايات كثيرة اصحها ستة عشر رواية مختلفة
ولم يبينها وقال النووي نحوه في شرح مسلم ولم يبينها ايضا وقد بينها الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي
وزاد وجها اخر فصارت سبعة عشر وجها لكن يمكن ان تتداخل وقال صاحب الهدي اصولها ست صفات
وبلغها بعضهم اكثر وهؤلاء كلما راوا اختلاف الرواة في قصة جعلوا ذلك وجوها من فعله صلى الله عليه وسلم وانما
هو من اختلاف الرواة انتهى وهذا هو المعتمد واليه اشار الحافظ العراقي بقوله يمكن تداخلها وقد حكى ابن القصار
المالكي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلاها عشر مرات وقال ابن العربي صلاها اربعا وعشرين مرة وقال الخطابي صلاها
عليه السلام في ايام مختلفة باشكال متباينة يتحرى فيها ما هو الاحوط للصلاة والابلغ للحراسة فهي على اختلاف
صورها متفقة المعنى وفي كتب الفقه تفاصيل لها كثيرة وفروع يطول ذكرها حكاه في فتح الباري
القسم الخامس في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم على الجنازة وفيه فروع اربعة **الاول** في عدد
التكبيرات عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى فصف
بهم وكبر عليه اربع تكبيرات رواه البخاري ومسلم وعند الترمذي من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم
كبر على جنازة فرفع يديه مع اول تكبيرة ووضع اليمنى على اليسرى **الفرع الثاني** في القراءة والدعاء نقل ابن المنذر عن
ابن مسعود والحسن بن علي وابن الزبير والمسور بن مخرمة مشروعية قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة وبه قال الشافعي
واحمد واسحق ونقل عن ابي هريرة وابن عمر ليس فيها قراءة وهو قول مالك والكوفيين **وروى** عبد الرزاق والنسائي
باسناد صحيح عن ابي امامة بن سهل بن حنيف قال السنة في الصلاة على الجنازة ان يكبر ثم يقرأ بام القران ثم يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخلص الدعاء للميت ولا يقرأ الا في الاولى وفي البخاري عن سعد عن طلحة قال صليت خلف ابن
عباس على جنازة فقرأ فاتحة الكتاب وقال لتعلموا انها سنة وليس فيه بيان محل قراءة الفاتحة وقد وقع التصريح
بذلك في حديث جابر عند الشافعي بلفظ وقرأ بام القران بعد التكبيرة الاولى كما ذكره الحافظ زين الدين العراقي
في شرح الترمذي وعن ابن عباس قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب رواه
الترمذي وقال لا يصح هذا والصحيح عن ابن عباس قوله من السنة وهذا مصير منه الى الفرق بين الصيغتين ولعله

ارادة القرب بالنسبة الى المراجعة والاحتمال وعن عوف بن مالك قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار قال عوف حتى تمنيت ان اكون ذلك الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وعن واثلة بن الاسقع قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل من المسلمين فسمعته يقول اللهم ان فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار وانت اهل الوفاء والحق اللهم اغفر له وارحمه انك انت الغفور الرحيم رواه ابو داود وعن ابي هريرة قال كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى على الجنازة قال اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وانثانا اللهم من احييته منا فاحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على الايمان اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده رواه احمد وابو داود والترمذي وعنه سمعته صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انت ربها وانت خلقتها هديتها الى الاسلام وقبضت روحها وانت اعلم بسرها وعلانيتها جئنا شفعاء فاغفر لها رواه ابو داود

الفرع الثالث في صلاته صلى الله عليه وسلم على القبر عن ابي هريرة ان امراة سوداء كانت تقم المسجد ففقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال عنها فقالوا ماتت قال افلا اذنتموني قال فكانهم صغروا امرها فقال دلوني على قبرها فدلوه فصلى عليها رواه البخاري ومسلم زاد ابن حبان فقال في رواية حماد بن سلمة عن ثابت ان هذه القبور مملوة ظلمة على اهلها وان الله ينورها بصلاتي عليهم واشار الى ان بعض المخالفين احتج بهذه الزيادة على ان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم ثم ساق من طريق خارجة بن زيد ابن ثابت عن عمه يزيد بن ثابت نحو هذه القصة وفيها اتى القبر فصففنا خلفه وكبر عليه اربعا قال ابن حبان في ترك انكاره عليه السلام على من صلى معه على القبر بيان جواز ذلك لغيره وانه ليس من خصائصه وتعقب بان الذي يقع بالتبعية لا ينهض دليلا للاصالة وعن عقبة بن عامر انه صلى الله عليه وسلم خرج يوما فصلى على اهل احد صلاته على الميت ثم انصرف وفي رواية صلى على قتلى احد بعد ثماني سنين كالمودع للاحياء والاموات رواه ابو داود والنسائي ورواه الشيخان بلفظ خرج يوما فصلى على اهل احد صلاته على الميت ثم انصرف الى المنبر فقال اني فرط لكم الحديث وفيه الصلاة على الشهداء في حرب الكفار وقد اختلف العلماء في هذه المسالة فذهب مالك والشافعي واحمد واسحق والجمهور الى انه لا يصلى عليهم وذهب ابو حنيفة الى الصلاة عليهم كغيرهم وبه قال المزني وهو رواية عن احمد اختارها الخلال واحتج الجمهور بانه عليه الصلوة والسلام لم يصل على قتلى احد كما رواه البخاري في صحيحه عن جابر واما هذه الصلاة فالمراد بها الدعاء وليس المراد بها صلاة الجنازة المعهودة قال النووي اي دعا لهم بدعاء صلاة الميت او ان هذه الصلاة مخصوصة بشهداء احد فانه لم يصل عليهم قبل دفنهم كما هو المعهود في صلاة الجنازة وانما صلى عليهم في القبور بعد ثمان سنين والحنفية يمنعون الصلاة على القبر مطلقا ولو كانت الصلاة عليهم واجبة لما تركها في الاول ثم ان الشافعية اختلفوا في معنى قولهم لا يصلى على الشهيد فقال اكثرهم معناه تحرم الصلاة عليه وهو الصحيح عندهم وقال بعضهم معناه لا تجب الصلاة عليهم لكن تجوز وذكر ابن قدامة ان كلام احمد في احدى الروايتين يشير الى انها مستحبة غير واجبة

الفرع الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم على الغائب عن جابر انه صلى الله عليه وسلم قال لقد توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلم فصلوا عليه قال فصففنا فصلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن صفوف رواه البخاري ومسلم وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وكبر اربع تكبيرات رواه الشيخان ايضا وعند البخاري من طريق ابن عيينة عن ابن جريج فقوموا فصلوا على اخيكم

اصحمه

اخرجه وبهذا الحديث استدل من منع الصلاة على الميت في المسجد وهو قول الحنفية والمالكية لكن قال ابو يوسف ان اعد المسجد للصلاة على الموتى لم يكن في الصلاة فيه عليهم باس قال النووي ولا حجة فيه لان الممتنع عند الحنفية ادخال الميت المسجد لا مجرد الصلاة عليه حتى لو كان الميت خارج المسجد جازت الصلاة عليه لمن هو داخله وقال ابن بزيزة استدل به بعض المالكية وهو باطل لانه ليس فيه صيغة نهي ولا احتمال ان يكون خرج الى المصلى لامر غير المعنى المذكور وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم صلى على سهيل بن بيضاء في المسجد فكيف يترك هذا الصريح لامر محتمل بل الظاهر انه انما خرج بالمسلمين الى المصلى لقصد تكثير الجمع الذين يصلون عليه ولاشاعة كونه مات على الاسلام فقد كان بعض الناس لم يدر كونه اسلم وقد روى ابن ابي حاتم في التفسير والدارقطني في الافراد والبزار كلاهما عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى على النجاشي قال بعض اصحابه صلى على علج من الحبشة فنزلت وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الاية وله شاهد من حديث ابي سعيد عند الطبراني في معجمه الكبير وزاد فيه ان الذي طعن بذلك كان منافقا وقد قال البخاري باب الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد وروى حديث ابن عمر ان اليهود جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم برجل منهم وامراة زنيا فامر بهما فرجما قريبا من موضع الجنائز عند المسجد وحكى ابن بطال عن ابن حبيب ان مصلى الجنائز بالمدينة كان لاصقا بمسجد النبي من ناحية المشرق انتهى فان ثبت ما قال والا فيحتمل ان يكون المراد بالمسجد هنا المصلى المتخذ للعيدين والاستسقاء لانه لم يكن عند المسجد النبوي مكان يتهيا فيه الرجم وذكر حديث ابن عمر المذكور على انه كان للجنائز مكان معد للصلاة عليها فقد يستفاد منه ان ما وقع من الصلاة على بعض الجنائز في المسجد كان لامر عارض او لبيان الجواز واستدل به على مشروعية الصلاة على الجنائز في المسجد ويقويه حديث عائشة ما صلى صلى الله عليه وسلم على سهيل بن بيضاء الا في المسجد اخرجه مسلم وبه قال الجمهور وحمل المانعون الصلاة على سهيل بانه كان بخارج المسجد والمصلون داخله وذلك جائز اتفاقا وفيه نظر لان عائشة استدلت بذلك لما انكروا عليها امرها بالمرور بجنازة سعد على حجرتها لتصلي عليه واحتج لها بان الصحابة ذلك فدل على انها حفظت ما نسوه وقد روى ابن ابي شيبة وغيره ان عمر صلى على ابي بكر في المسجد وان صهيبا صلى على عمر في المسجد زاد في رواية ووضعت الجنازة في المسجد تجاه المنبر وهذا يقتضي الاجماع على جواز ذلك وقد استدل ايضا بحديث قصة النجاشي على مشروعية الصلاة على الميت الغائب عن البلد وبذلك قال الشافعي واحمد وجمهور السلف حتى قال ابن حزم لم يات عن احد من الصحابة منعه وعن الحنفية والمالكية لا يشرع ذلك وعن بعض اهل العلم انما يجوز ذلك في اليوم الذي يموت فيه الميت او ما قرب منه لا ما اذا طالت المدة حكاه ابن عبد البر وقال ابن حبان انما يجوز ذلك لمن في جهة القبلة فلو كان بلد الميت مستدبر القبلة مثلا لم يجز قال المحب الطبري لم ار ذلك لغيره وقد اعتذر من لم يقل بالصلاة على الغائب عن قصة النجاشي بامور منها انه كان بارض لم يصل عليه احد فتعينت الصلاة عليه لذلك ومن ثم قال الخطابي لا يصلى على الغائب الا اذا وقع موته بارض ليس بها من يصلي عليه واستحسنه الروياني من الشافعية ومنها قول بعضهم كشف له صلى الله عليه وسلم عنه حتى راه وعبر عنه القاضي عياض في الشفا بقوله ورفع له النجاشي حتى صلى عليه فتكون صلاته عليه كصلاة الامام على ميت رآه ولم يره المامومون ولا خلاف في جوازها قال ابن دقيق العيد هذا يحتاج الى نقل ولا يثبت بالاحتمال وتعقبه بعض الحنفية بان الاحتمال كاف في مثل هذا وكان مستند هذا القائل ما ذكره الواحدي في اسباب النزول بغير اسناد عن ابن عباس قال كشف للنبي صلى الله عليه وسلم عن سرير النجاشي حتى رآه وصلى عليه ولابن حبان من حديث عمران بن حصين فقام وصفوا خلفه وهم لا يظنون الا ان جنازته بين يديه ومن الاعتذارات ايضا ان ذلك خاص بالنجاشي لانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم صلى على ميت غائب غيره قال المهلب وكانه لم يثبت عنده

فقتله معاوية بن معاوية الليثي واستدل من قال بتخصيص النجاشي بذلك الى ما تقدم من اشاعة انه مات مسلما او استيلاف قلوب الملوك الذين اسلموا في حياته قال النووي لو فتح هذا الباب لانسد كثير من ظواهر الشرع مع انه لو كان شيء مما ذكروه لتوفرت الدواعي على نقله وقال ابن العربي قال المالكية ليس ذلك الا لمحمد قلنا وما عمل به محمد تعمل به امته يعني لان الاصل عدم الخصوصية قالوا طويت له الارض واحضرت الجنازة بين يديه قلنا ان ربنا عليه لقادر وان نبينا لاهل لذلك ولكن لا تقولوا الا ما رويتم ولا تخترعوا حديثا من عند انفسكم ولا تحدثوا الا بالثابتات ودعوا الضعاف فانها سبيل الى تلاف ما ليس له تلاف وقال الكرماني قولهم رفع الحجاب عنه ممنوع ولئن سلمنا فكان غائبا عن الصحابة الذين صلوا عليه مع النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا من فتح الباري النوع الثالث في ذكر سيرته صلى الله عليه وسلم في الزكاة وهي لغة النماء والتطهير لان المال ينمي بها من حيث لا يرى وهي مطهرة لمؤديها من الذنوب وقيل ينمو اجرها عند الله تعالى وسميت في الشرع زكاة لوجود المعنى اللغوي فيها وقيل لانها تزكي صاحبها وتشهد بصحة ايمانه وهي قيد النعم وسميت الصدقة صدقة لانها دليل لتصديق صاحبها وصحة ايمانه بظاهره وباطنه وقد فهم من شرعه صلى الله عليه وسلم ان الزكاة وجبت للمواساة وان المواساة لا تكون الا في مال له بال وهو النصاب ثم جعلها صلى الله عليه وسلم في الاموال النامية وهي اربعة اصناف الذهب والفضة اللذان بهما قوام العالم والثاني الزروع والثمار الثالث بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم الرابع اموال التجارة على اختلاف انواعها وحدد صلى الله عليه وسلم نصاب كل صنف بما يحتمل المواساة فنصاب الفضة خمس اواق وهي مائتا درهم بنص الحديث والاجماع واما الذهب فعشرون مثقالا واما الزرع والثمار فخمسة اوسق واما الغنم فاربعون شاة والبقر ثلاثون بقرة والابل خمس ورتب صلى الله عليه وسلم مقدار الواجب بحسب المؤونة والتعب في المال فاعلاها واقلها تعبا الركاز وفيه الخمس لعدم التعب فيه ولم يعتبر له حولا بل اوجب فيه الخمس متى ظفر به ويليه الزرع والثمار فان سقي بماء السماء ونحوه ففيه العشر والا فنصفه ويليه الذهب والفضة والتجارة وفيها ربع العشر لانه يحتاج الى العمل فيه جميع السنة ويليه الماشية فانه يدخلها الاوقاص بخلاف الانواع السابقة ولما كان نصاب الابل لا يحتمل المواساة من جنسه اوجب فيه شاة فاذا صارت الخمس خمسا وعشرين احتمل نصابها واحدا فكان هو الواجب ثم انه قدر سن هذا الواجب في الزيادة والنقصان بحسب كثرة الابل وقلتها في كتابه صلى الله عليه وسلم الذي كتبه في الصدقة ولم يخرجه الى عماله حتى قبض في خمس من الابل شاة وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة ثلاث شياه وفي عشرين اربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض الى خمس وثلاثين فان زادت واحدة ففيها ابنة لبون الى خمس واربعين فاذا زادت واحدة ففيها حقة الى ستين فان زادت واحدة ففيها جذعة الى خمس وسبعين فان زادت واحدة ففيها ابنتا لبون الى تسعين فان زادت واحدة ففيها حقتان الى عشرين ومائة فان كانت الابل اكثر من ذلك ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين ابنة لبون وفي الغنم في كل اربعين شاة شاة الى عشرين ومائة فان زادت واحدة فشاتان الى المائتين فاذا زادت على المائتين ففيها ثلاث شياه الى الثلاثمائة فان كانت الغنم اكثر من ذلك ففي كل مائة شاة شاة ثم ليس فيها شيء حتى تبلغ المائة رواه ابو داود والترمذي من حديث سالم بن عبد الله بن عمر وفرض صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعا من تمر او صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والانثى والصغير والكبير من المسلمين وامر بها ان تؤدى قبل خروج الناس الى المصلى رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر وفي رواية لابي داود عن ابن عباس فرض صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها وجزاها ثمانية اجزاء رواه ابو داود من حديث زياد بن الحارث الصدائي

وهذه الثمانية الاجزاء جمعها صنفان من الناس احدهما من ياخذ لحاجته فياخذ بحسب شدة الحاجة وضعفها وكثرتها وقلتها وهم الفقراء والمساكين وفي الرقاب وابن السبيل والثاني من ياخذ لمنفعته وهم العاملون عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمون لاصلاح ذات البين والغزاة في سبيل الله فان لم يكن الآخذ محتاجا ولا فيه منفعة للمسلمين فلا سهم له في الزكاة واعلم ان الانبياء لا تجب الزكاة عليهم لانهم لا ملك لهم مع الله حتى تجب عليهم الزكاة فيه وانما تجب عليك زكاة ما انت له مالك انما كانوا يشهدون ان ما في ايديهم من ودائع الله لهم يبذلونه في اوان بذله ويمنعونه في غير محله ولان الزكاة انما هي طهرة لما عساه ان يكون ممن وجبت عليه لقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها والانبياء عليهم السلام مبرؤون من الدنس لوجوب العصمة ولهذا لم يوجب ابو حنيفة على الصبيان زكاة لعدم دنس المخالفة والمخالفة لا تكون الا بعد جريان التكليف وذلك بعد البلوغ واذا كان اهل المعرفة بالله المشاهدون لاحديته لا يشهدون لهم مع الله ملكا كما هو مشهور من حكاياتهم فما ظنك بالانبياء والرسل واهل التوحيد والمعرفة انما عرفوا من بحارهم واقتبسوا من انوارهم انتهى ملخصا من كتاب التنوير لعارف الكبير ابي الفضل بن عطاء الله الشاذلي اذاقنا الله حلاوة مشربه تنبيه ما حكي ان الشافعي واحمد بن حنبل كانا جالسين اذ اقبل شيبان الراعي فقال احمد ابن حنبل للشافعي اريد ان اسال هذا عما نحن فيه في هذا الزمن فقال الشافعي لا تفعل فقال لا بد من ذلك فقال يا شيبان ما تقول فيمن نسي اربع سجدات من اربع ركعات فقال يا احمد هذا قلب غافل عن الله تعالى يجب ان يؤدب حتى لا يعود الى مثل ذلك قال فخر احمد مغشيا عليه ثم افاق فقال له فما تقول فيمن له اربعون شاة ما زكاتها فقال على مذهبنا او على مذهبكم فقال وهما مذهبان قال نعم اما على مذهبكم ففي الاربعين شاة شاة واما على مذهبنا فالعبد لا يملك مع سيده شيئا فهذا نقل شيخنا في المقاصد الحسنة عن ابن تيمية ان ذلك باطل باتفاق اهل المعرفة لان الشافعي واحمد لم يدركا شيبان الراعي والله اعلم انتهى وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقة قال اللهم صل على آل فلان واتاه ابو اوفى بصدقته فقال اللهم صل على آل ابي اوفى رواه البخاري ومسلم واختلف في اول وقت فرض الزكاة فذهب الاكثرون الى انه وقع بعد الهجرة فقيل كان في السنة الثانية قبل فرض رمضان اشار اليه النووي في باب السير من الروضة وجزم ابن الاثير في التاريخ بان ذلك كان في التاسعة وفيه نظر لما في حديث ضمام بن ثعلبة وحديث وفد عبد القيس ومخاطبة ابي سفيان مع هرقل وكان في اول السابعة وقال فيها يامرنا بالزكاة وقوى بعضهم ما ذهب اليه ابن الاثير بما وقع في قصة ثعلبة بن حاطب المطولة ففيها لما انزلت اية الصدقة بعث النبي صلى الله عليه وسلم عاملا فقال ما هذه الا جزية او اخت الجزية والجزية انما وجبت في التاسعة فتكون الزكاة في التاسعة لكنه حديث ضعيف لا يحتج بمثله وادعى ابن خزيمة في صحيحه ان فرضها كان قبل الهجرة واحتج بما اخرجه من حديث ام سلمة في قصة هجرتهم الى الحبشة وفيها ان جعفر ابن ابي طالب قال للنجاشي في جملة ما اخبره به عن النبي صلى الله عليه وسلم يامرنا بالصلاة والزكاة والصيام انتهى وفي الاستدلال بذلك نظر لان الصلوات الخمس لم تكن فرضت بعد ولا صيام رمضان فيحتمل ان تكون مراجعة جعفر لم تكن في اول ما قدم على النجاشي وانما اخبره بذلك بعد مدة قد وقع فيها ما ذكر من فرضية الصلاة والصيام وبلغ ذلك جعفرا فقال امرنا بمعنى امر امته وهو بعيد جدا واولى ما حمل عليه حديث ام سلمة هذا ان يسلم من قدح في اسناده ان المراد بقوله يامرنا بالصلاة والزكاة والصيام اي في الجملة ولا يلزم من ذلك ان يكون المراد بالصلاة الصلوات الخمس ولا بالصيام صيام شهر رمضان ولا بالزكاة هذه الزكاة المخصوصة ذات النصاب والحول والله اعلم ومما يدل على ان فرض الزكاة كان قبل التاسعة حديث انس في قصة ضمام بن ثعلبة وقوله انشدك الله آلله امرك ان تاخذ هذه الصدقة من اغنيائنا فتقسمها على فقرائنا وكان قدوم ضمام سنة

حسن وأما الذي وقع في التاسعة بعث العمال لأخذ الصدقات وذلك يستدعي تقدم فرضية الزكوة
قبل ذلك ومما يدل على أن فرض الزكاة وقع بعد الهجرة اتفاقهم على أن صيام رمضان إنما فرض بعد الهجرة
لأن الآية الدالة على فرضيته مدنية بلا خلاف وثبت عند أحمد وابن خزيمة والنسائي وابن ماجه
والحاكم من حديث قيس بن سعد بن عبادة قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر قبل أن
تنزل الزكاة ثم نزلت فريضة الزكاة فلم يأمرنا ولم ينهنا ونحن نفعله إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح إلا
أبا عمار الراوي عن قيس بن سعد وقد وثقه أحمد وابن معين وهو دال على أن فرض صدقة الفطر
كان قبل فرض الزكاة فيقتضي وقوعها بعد فرض رمضان قاله الحافظ أبو الفضل بن حجر رحمه الله
وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها رواه البخاري من حديث عائشة وإذا أتي بطعام
سأل عنه أهدية أم صدقة فإن قيل صدقة قال لأصحابه كلوا ولم يأكل وإن قيل هدية ضرب بيده
فأكل معهم رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وقال عليه السلام لعائشة عندكم شيء فقالت
لا إلا شيء بعثت به إلينا نسيبة من الشاة التي بعثت إليها من الصدقة قال إنها بلغت محلها رواه البخاري
ومسلم وقوله محلها بكسر الحاء أي زال عنها حكم الصدقة وصارت حلالا لنا وأتي بلحم تصدق به على
بريرة فقال هو عليها صدقة ولنا هدية رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وفي حديث عائشة
عند البخاري ومسلم دخل صلى الله عليه وسلم والبرمة تفور فدعا بالغداء فأتي بخبز وأدم من أدم البيت
فقال ألم أر البرمة على النار تفور قالوا بلى يا رسول الله لكنه لحم تصدق به على بريرة وأهدت إلينا
منه وأنت لا تأكل الصدقة فقال هو صدقة عليها وهدية لنا

النوع الرابع في ذكر صيامه صلى الله عليه وسلم

اعلم أن المقصود من الصيام إمساك النفس عن خسيس عاداتها وحبسها عن شهواتها وفطامها عن
مألوفاتها فهو لجام المتقين وجنة المحاربين ورياضة الأبرار والمقربين وهو لرب العالمين من بين
أعمال العاملين كما قال الله تعالى في الحديث الإلهي الذي رواه مسلم كل عمل ابن آدم له إلا الصيام هو لي
وأنا أجزي به فأضافه تعالى إليه إضافة تشريف وتكريم كما قال تعالى ناقة الله مع أن العالم كله له سبحانه
وقيل لأنه لم يعبد غيره به فلم تعظم الكفار في عصر من الأعصار معبودا لهم بالصيام وإن كانوا يعظمونه بصورة
الصلاة والسجود وغيرهما قال في شرح تقريب الأسانيد وعزي من يقع من عباد النجوم وأصحاب الهياكل
والاستخدامات فإنهم يتعبدون لها بالصيام وأجيب بأنهم لا يعتقدون أنها فعالة بأنفسها وقيل لأن
الصوم بعيد من الرياء لخفائه بخلاف الصلاة والحج والغزو وغير ذلك من العبادات الظاهرات قال في فتح الباري
معنى النفي في قوله لا رياء في الصوم أنه لا يدخله الرياء بفعله وإن كان قد يدخله الرياء بالقول كمن يصوم ثم يخبر بأنه صائم
فقد يدخله الرياء من هذه الحيثية فدخول الرياء في الصوم إنما يقع من جهة الإخبار بخلاف بقية الأعمال فإن الرياء
قد يدخلها بمجرد فعلها انتهى وعن شداد بن أوس مرفوعا من صام يرائي فقد أشرك رواه البيهقي وقيل لأنه ليس للصائم
ونفسه فيه حظ وقيل لأن الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب تعالى فلما تقرب الصائم
إليه بما يوافق صفاته أضافه إليه قال القرطبي ومعناه أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصيام فإنه مناسب
لصفة من صفات الحق كأنه تعالى يقول إن الصائم يتقرب إلي بأمر هو متعلق بصفة من صفاتي وكذلك صفة
من صفات الملائكة أو لأنه تعالى هو المنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته بخلاف غيره من العبادات فقد أظهر
سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها ولذا قال في بقية الحديث وأنا أجزي به وقد علم أن الكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه
الجزاء اقتضى ذلك سعة العطاء وإنما جوزي الصائم هذا الجزاء لأنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده والمراد
بالشهوة في الحديث شهوة الجماع لعطفها على الطعام والشراب ويحتمل أن يكون من العام بعد الخاص لكن وقع في رواية

عند

عند ابن خزيمة يدع لذته من أجلي ويدع زوجته من أجلي وأصرح منه ما يترك من الطعام والشراب والجماع
من أجلي وللصيام تأثير عجيب في حفظ الأعضاء الظاهرة وقوى الجوارح الباطنة وحميتها عن التخليط الجالب
للمواد الفاسدة واستفراغ المواد الرديئة المانعة له من صحتها هو من أكبر العون على التقوى كما أشار إليه
تعالى بقوله كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون وقال عليه السلام كما في البخاري
الصوم جنة وهي بضم الجيم الوقاية والستر أي ستر من النار وبه جزم ابن عبد البر وفي النهاية أي يقي صاحبه ما
يؤذيه من الشهوات وقال القاضي عياض من الآثام وقيل اتفقوا على أن المراد بالصيام هنا صيام من سلم صيامه
من المعاصي قولا وفعلا واختلف هل الصوم أفضل أم الصلاة فقيل الصوم أفضل الأعمال البدنية لحديث
النسائي عن أبي أمامة قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرني بأمر آخذه عنك قال عليك
بالصوم فإنه لا عدل له والمشهور تفضيل الصلاة وهو مذهب الشافعي وغيره لقوله عليه الصلاة والسلام
واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة رواه أبو داود وغيره ثم إن الكلام في صيامه صلى الله عليه وسلم على قسمين

القسم الأول

في صيامه صلى الله عليه وسلم شهر رمضان وفيه فصول الأول فيما كان صلى الله عليه وسلم
يخص به رمضان من العبادات وتضاعف جوده عليه السلام فيه اعلم أن رمضان مشتق من الرمض وهو
شدة الحر لأن العرب لما أرادوا أن يضعوا أسماء الشهور وافق أن الشهر المذكور شديد الحر فسموه بذلك كما سمي
الربيعين لموافقتهما زمن الربيع أو لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها وهو ضعيف لأن التسمية به ثابتة قبل الشرع
ورمضان أفضل الأشهر كما حكاه الإسنوي عن قواعد الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال النووي وقولهم إنه
من أسماء الله تعالى ليس بصحيح وإن كان قد جاء فيه أثر ضعيف وأسماء الله تعالى توقيفية لا تثبت إلا بدليل صحيح انتهى
وقد اختلف السلف هل فرض صيام قبل رمضان أو لا فالجمهور وهو المشهور عند الشافعية أنه لم يجب قط
صوم قبل صوم رمضان وفي وجه وهو قول الحنفية أول ما فرض عاشوراء فلما نزل رمضان نسخ وستأتي أدلة
الفريقين في الكلام على صوم عاشوراء إن شاء الله تعالى وقد كان فرض رمضان في السنة الثانية من الهجرة كما
تقدم فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صام تسع رمضانات ولما كان شهر رمضان موسم الخيرات
ومنبع الجود والبركات لأن نعم الله تعالى فيه زائدة على غيره كان سيد الكرماء رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثر فيه من العبادات وأنواع القربات لما جمعه لوجوه التشعبات من الصدقة والإحسان والصلاة
والذكر والاعتكاف ونحوه مما يختص به من العبادات بما لا يختص به غيره من الشهور وكان جوده صلى الله عليه وسلم
يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور كما أن جود ربه تعالى يتضاعف فيه أيضا فإن الله تعالى جبله
على ما يحبه من الأخلاق الكريمة وفي حديث ابن عباس عند الشيخين قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود
الناس وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه
جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة فمجموع ما ذكر في هذا الحديث من الوقت وهو شهر رمضان والمنزل وهو
القرآن والنازل به وهو جبريل والمذاكرة وهو مدارسة القرآن حصل له عليه الصلاة والسلام المزيد في الجود
والمرسلة المطلقة يعني أنه في الإسراع بالجود أسرع من الريح وعبر بالمرسلة إشارة إلى دوام هبوبها بالرحمة وإلى عموم
النفع بجوده صلى الله عليه وسلم كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه ووقع عند الإمام أحمد في آخر هذا الحديث
لا يسأل شيئا إلا أعطاه وتقدم في ذكر سخائه صلى الله عليه وسلم مزيد لذلك وقيل كان ابتداء نزول القرآن في شهر
رمضان وكذا نزوله إلى سماء الدنيا جملة واحدة كان في رمضان كما ثبت في حديث ابن عباس فكان جبريل عليه السلام
يتعاهده صلى الله عليه وسلم في كل سنة فيعارضه بما نزل عليه من رمضان إلى رمضان فلما كان العام الذي توفي

فيه صلى الله عليه وسلم عارضه به مرتين كما في الصحيح عن فاطمة رضي الله عنها قال في فتح الباري وفي معارضة
جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن في شهر رمضان حكمتان احداهما تعاهده والاخرى تبقية ما لم ينسخ منه
ورفع ما نسخ فكان رمضان ظرفا لانزاله جملة وتفصيلا وعرضا واحكاما وفي المسند عن واثلة بن الاسقع
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت صحف ابرهيم في اول ليلة من شهر رمضان وانزل الانجيل لثلث عشرة
من شهر رمضان وانزل التوراة لست مضين من رمضان وانزل القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان وقد
دل الحديث على استحباب مدارسة القرآن في رمضان والاجتماع عليه وعرض القرآن على من هو احفظ منه
وفي حديث ابن عباس ان المدارسة بينه وبين جبريل كانت ليلا وهو يدل على استحباب الاكثار من تلاوة القرآن
في رمضان ليلا لان الليل تنقطع فيه الشواغل ويجتمع فيه الهم ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر وقد
كان صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان كما اخرجه الامام احمد والنسائي عن ابي هريرة قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان يقول قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم
صيامه تفتح فيه ابواب السما وتغلق فيه ابواب الجحيم وتغل فيه الشياطين فيه ليلة خير من الف شهر من حرم خيرها
فقد حرم قال بعض العلما هذا الحديث اصل في تهنئة الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان وروي انه صلى الله عليه
وسلم كان يدعو ببلوغ رمضان فكان اذا دخل شهر رجب وشعبان قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان
وبلغنا رمضان رواه الطبراني وغيره من حديث انس وروي عليه السلام اذا راى هلال رمضان قال هلال رشد
وخير هلال رشد وخير هلال رشد وخير آمنت بالذي خلقك رواه النسائي من حديث انس وروي انه عليه السلام
كان يقول اذا دخل شهر رمضان اللهم سلمني من رمضان وسلم رمضان لي وسلمه مني اي سلمني منه حتى لا
يصيبني فيه ما يحول بيني وبين صومه من مرض او غيره وسلمه لي حتى لا يغم هلاله علي في اوله وآخره فيلتبس علي
الصوم والفطر وسلمه مني اي نعصمني من المعاصي فيه وهذا منه عليه السلام تشريع لامته الفصل الثاني في صيامه
عليه السلام برؤية الهلال عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يتحفظ من شعبان ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم
لرؤية رمضان فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام رواه ابو داود وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتموه
فصوموا واذا رأيتموه فافطروا فان غم عليكم فاقدروا له رواه مسلم قوله فان غم عليكم اي حال بينكم وبينه غيم فاقدروا
له من التقدير اي قدروا له تمام العدد ثلاثين يوما ويؤيده قوله في الرواية السابقة فان غم عليه صلى الله عليه
وسلم عد ثلاثين وهو مفسر لاقدروا له ولهذا لم يجتمعا في رواية ويؤكده رواية فاقدروا له ثلاثين قال المازري
حمل جمهور الفقهاء قوله عليه السلام اقدروا له على ان المراد اكمال العدة ثلاثين كما فسره في حديث آخر قال
ولا يجوز ان يكون المراد حساب المنجمين لان الناس لو كلفوا به لشق عليهم لانه لا يعرفه الا افراد والشرع انما
يعرف الناس بما يعرفه جماهيرهم انتهى وهذا مذهبنا ومذهب مالك وابي حنيفة وجمهور السلف والخلف
وفيه دليل انه لا يجوز صوم يوم الشك ولا يوم الثلاثين من شعبان عن رمضان اذا كانت ليلة الثلاثين
ليلة غيم وقال الامام احمد بن حنبل في طائفة اي اقدروا له تحت السحاب فيجوز صوم يوم ليلة الغيم
عن رمضان بل قال احمد بوجوبه وقال ابن سريج وجماعة منهم مطرف بن عبد الله وابن قتيبة وآخرون معناه
وقدروه بحسب المنازل الفصل الثالث في صومه صلى الله عليه وسلم بشهادة العدل الواحد عن ابن عمر
قال تراءى الناس الهلال فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم اني رأيته فصام وامر الناس بصيامه رواه ابو داود
وصححه ابن حبان وعن ابن عباس قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت هلال رمضان
فقال اتشهد ان لا اله الا الله قال نعم قال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال يا بلال اذن في الناس فليصوموا

رواه ابو داود والترمذي والنسائي والمراد في قوله عليه السلام في الحديث السابق اذا رأيتموه رؤية بعض المسلمين
ولا يشترط رؤية كل انسان بل يكفي جميع الناس رؤية عدلين على الاصح من مذهبنا وهذا في الصوم واما الفطر فلا
يجوز بشهادة عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء الا ابا ثور فجوزه بعدل قال الاسنوي واذا قلنا
بالواحد في الصوم فلا خلاف انه لا يتعدى الى غيره فلا يقع به الطلاق والعتق المعلقين بدخول رمضان ولا يحل به
الدين المؤجل ولا يتم به حول الزكاة كذا اطلقه الرافعي هنا نقلا عن البغوي واقره وتبعه عليه في الروضة
وصورته فيما اذا سبق التعليق على الشهادة فان وقعت الشهادة اولا وحكم الحاكم بدخول رمضان ثم جرى
التعليق فان الطلاق والعتق يقعان كذا نقله القاضي حسين في تعليقه عن ابن سريج وقال الرافعي في الباب الثاني
في كتاب الشهادات انه القياس انتهى الفصل الرابع فيما كان يفعله صلى الله عليه وسلم وهو صائم عن ابن
عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي ولعل ان
الجمهور على عدم الفطر بالحجامة مطلقا وعن علي وعطا والاوزاعي واحمد واسحق وابي ثور يفطر الحاجم والمحجوم
واوجبوا عليهما القضا وشذ عطا فاوجب الكفارة ايضا وقال بقول احمد من الشافعية ابن خزيمة وابن المنذر
وابن حبان ونقل الترمذي عن الزعفراني ان الشافعي علق القول به على صحة الحديث قال الترمذي كان الشافعي
يقول ذلك ببغداد واما بمصر فمال الى الرخصة انتهى وقال الشافعي في اختلاف الحديث بعد ان اخرج حديث
شداد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمان الفتح فراى رجلا يحتجم لثمان عشرة خلت من رمضان فقال
وهو آخذ بيدي افطر الحاجم والمحجوم ثم ساق حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم قال
وحديث ابن عباس امثلهما اسنادا فان توقى احد الحجامة كان احب الي احتياطا والقياس مع حديث
ابن عباس والذي احفظ عن الصحابة والتابعين وعامة اهل العلم انه لا يفطر احد بالحجامة انتهى وأول بعضهم
حديث افطر الحاجم والمحجوم بان المراد به انه سيفطران كقوله تعالى اني اراني اعصر خمرا اي ما يؤول اليه ولا
يخفى بعد هذا التاويل وقال البغوي في شرح السنة معناه اي تعرضا للافطار اما الحاجم فلانه لا يأمن من
وصول شيء من الدم الى جوفه عند المص واما المحجوم فانه لا يأمن من ضعف قوته بخروج الدم فيؤول امره
الى ان يفطر وقيل معنى افطرا فعلا مكروها وهو الحجامة فصارا كانهما غير متلبسين بالعبادة وقال
ابن حزم صح حديث افطر الحاجم والمحجوم بلا ريب لكن وجدنا من حديث ابي سعيد ارخص النبي صلى الله عليه وسلم
في الحجامة للصائم واسناده صحيح فوجب الاخذ به لان الرخصة انما تكون بعد العزيمة فدل على نسخ الفطر بالحجامة
سواء كان حاجما او محجوما انتهى والحديث المذكور اخرجه النسائي وابن خزيمة والدارقطني ورجاله ثقات ولكن
اختلف في رفعه ووقفه وله شاهد من حديث انس عند الدارقطني ولفظه اول ما كرهت الحجامة للصائم ان جعفر
ابن ابي طالب احتجم وهو صائم فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افطر هذان ثم رخص رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد في الحجامة للصائم وكان انس يحتجم وهو صائم ورواته كلهم من رجال البخاري الا ان في المتن ما ينكر لان فيه
ان ذلك كان في الفتح وجعفر كان قتل قبل ذلك ومن احسن ما ورد في ذلك ما رواه عبد الرزاق وابو داود عن
عبد الرحمن بن ابي ليلى عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجامة
للصائم وعن المواصلة ولم يحرمهما ابقاء على اصحابه واسناده صحيح والجهالة بالصحابي لا تضر ورواه ابن ابي شيبة
عن وكيع عن الثوري بلفظ عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا انما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجامة للصائم
وكرهها للضعف اي لئلا يضعف انتهى ملخصا من فتح الباري والله اعلم وكان صلى الله عليه وسلم يقبل بعض ازواجه وهو
صائم ثم ضحكت رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود من حديث عائشة قالت وكان املككم لاربه اي لحاجته

يعني انه كان غالباً لهواه قال ابن الاثير اكثر المحدثين يروونه بفتح الهمزة والراء يعنون به الحاجة وبعضهم يرويه بكسر الهمزة وسكون الراء وله تاويلان احدهما انها الحاجة يقال فيها الارب والارب والاربة والمأربة والثاني اردت به العضو وعنت به من الاعضاء الذكر خاصة ومذهب الشافعي والاصحاب ان القبلة ليست محرمة على من لم تحرك شهوته لكن الاولى تركها واما من حركت شهوته فهي حرام في حقه على الاصح عند اصحابنا وقولها فضحكت يحتمل ضحكها التعجب ممن خالف في هذا وقيل التعجب من نفسها اذ حدثت بمثل هذا مما يستحيى من ذكر النساء مثله للرجال ولكنها الجأتها الضرورة في تبليغ العلم الى ذكر ذلك وقد يكون خجلا لاخبارها عن نفسها بذلك او تنبيها على انها صاحبة القصة ليكون ذلك ابلغ في الثقة بها او سرورا بمكانها من النبي صلى الله عليه وسلم ومحبته لها وقد روى ابن ابي شيبة عن شريك عن هشام في هذا الحديث فضحكت فظننا انها هي وروى النسائي عنها قالت اهوى الي النبي صلى الله عليه وسلم ليقبلني فقلت اني صائمة فقال وانا صائم فقبلني وروى ابو داود عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها ويمص لسانها يعني وهو صائم واسناده ضعيف ولو صح فهو محمول على انه لم يبتلع ريقه الذي خالط ريقها وكان عليه السلام يكتحل بالاثمد وهو صائم رواه البيهقي من رواية محمد بن عبد الله بن ابي رافع عن ابيه عن جده ثم قال ان محمدا هذا ليس بالقوي ووثقه الحاكم واخرج له في مستدركه وقالت ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم يصبح جنبا من جماع لا حلم ثم لا يفطر ولا يقضي رواه البخاري ومسلم قال القرطبي في هذا فائدتان احداهما انه كان يجامع في رمضان ويؤخر الغسل الى بعد طلوع الفجر بيانا للجواز الثانية ان ذلك كان من جماع لا من احتلام لانه كان لا يحتلم اذ الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه وقال غيره في قولها من غير احتلام اشارة الى جواز الاحتلام عليه والا لما كان لاستثنائه معنى ورد بان الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه واجيب بان الاحتلام يطلق على الانزال وقد يقع الانزال بغير رؤية شيء في المنام واراد بالتقييد بالجماع المبالغة في الرد على من زعم ان فاعل ذلك عمدا مفطر انتهى وقال عامر بن ربيعة رايته صلى الله عليه وسلم يستاك وهو صائم ما لا اعد ولا احصي رواه ابو داود والترمذي

الفصل الخامس في وقت افطاره عليه السلام عن عبد الله بن ابي اوفى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في شهر رمضان فلما غابت الشمس قال يا بلال انزل فاجدح لنا قال يا رسول الله ان عليك نهارا قال انزل فاجدح لنا قال فنزل فجدح فاتى به فشرب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال بيده اذا غابت الشمس من ههنا وجاء الليل من ههنا فقد افطر الصائم رواه البخاري ومسلم والجدح بجيم ثم حاء مهملة خلط الشيء بغيره والمراد خلط السويق بالماء وتحريكه حتى يستوي ومعنى الحديث انه صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا صياما فلما غربت الشمس امر عليه السلام بالجدح ليفطروا فراى المخاطب اثار الضياء والحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس وظن ان الفطر لا يحصل الا بعد ذهاب ذلك واحتمل عنده انه صلى الله عليه وسلم لم يرها فاراد تذكيره واعلامه بذلك ويؤيد هذا قوله ان عليك نهارا لتوهمه ان ذلك الضوء من النهار الذي يجب صومه وهو معنى قوله في الرواية الاخرى لو امسيت وتكرير المراجعة لغلبة اعتقاده على ان ذلك نهار يحرم فيه الاكل مع تجويزه انه عليه السلام لم ينظر الى ذلك الضوء نظرا تاما فقصد زيادة الاعلام ببقاء الضوء والله اعلم قاله النووي

الفصل السادس فيما كان صلى الله عليه وسلم يفطر عليه عن انس كان صلى الله عليه وسلم يفطر قبل ان يصلي على رطبات فان لم يجد رطبات فتمرات فان لم يجد تمرات حسا حسوات من ماء رواه ابو داود وانما خص عليه السلام الفطر بما ذكر لان اعطاء الطبيعة الشيء الحلو مع خلو المعدة ادعى الى قبوله وانتفاع القوى به لا سيما قوة البصر واما الماء فان الكبد يحصل لها بالصوم نوع يبس فاذا رطبت بالماء كمل انتفاعها بالغذاء بعده ولهذا كان

الأولى

الاولى للظمآن الجائع ان يبدا بالشرب قليلا ثم ياكل بعده قاله ابن القيم

الفصل السابع فيما كان يقوله صلى الله عليه وسلم عند الافطار عن معاذ بن زهرة بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا افطر قال اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت وهو حديث مرسل ومعاذ هذا ذكره البخاري في التابعين لكن قال فيه معاذ ابو زهرة وتبعه ابن ابي حاتم وابن حبان في الثقات وذكره يحيى بن يونس الشيرازي في الصحابة وغلطه جعفر المستغفري قال الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يكون الحديث موصولا ولو كان معاذ تابعيا لاحتمال ان يكون بلغه له صحابيا قال وبهذا الاعتبار اورده ابو داود في السنن وبالاعتبار الاخر اورده في المراسيل واخرج ابن السني والطبراني في المعجم الكبير بسند واه جدا عن ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم اذا افطر قال اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت فتقبل مني انك انت السميع العليم وعن ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم اذا افطر قال ذهب الظما وابتلت العروق وثبت الاجر ان شاء الله رواه ابو داود زاد رزين الحمد لله في اول الحديث وفي كتاب ابن السني عن معاذ بن زهرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افطر قال الحمد لله الذي اعانني فصمت ورزقني فافطرت

الفصل الثامن في وصاله صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الوصال قالوا انك تواصل قال اني لست كهيئتكم اني اطعم واسقى رواه البخاري ومسلم وللبخاري انه صلى الله عليه وسلم واصل فواصل الناس فشق عليهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يواصلوا قالوا انك تواصل قال لست كهيئتكم اني اظل اطعم واسقى وفي رواية انس واصل صلى الله عليه وسلم في اخر شهر رمضان فواصل ناس من المسلمين فبلغه ذلك فقال لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعمقهم انكم لستم مثلي او قال لست مثلكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني وفي رواية لا تواصلوا قالوا انك تواصل قال لست كاحد منكم اني اطعم واسقى رواه البخاري ومسلم والمتعمقون هم المتشددون في الامر المجاوزون الحد والشك في قوله او قال وفي رواية سعيد بن منصور وابن ابي شيبة من مرسل الحسن اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وعن عائشة قالت نهاهم صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم فقالوا انك تواصل فقال اني لست كهيئتكم اني يطعمني ربي ويسقيني رواه البخاري ومسلم الا ان البخاري قال نهى ولم يقل نهاهم وعن ابي هريرة قال نهى صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم فلما ابوا ان ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ثم يوما ثم راوا الهلال فقال لو تاخر لزدتكم كالمنكل لهم حين ابوا ان ينتهوا رواه البخاري والوصال هو عبارة عن صوم يومين فصاعدا من غير اكل او شرب بينهما قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر وقد اختلف في معنى قوله يطعمني ربي ويسقيني فقيل هو على حقيقته وانه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بطعام وشراب من عند الله كرامة له في ليالي صيامه وتعقب بانه لو كان كذلك لم يكن مواصلا وبان قوله اظل يدل على وقوع ذلك بالنهار فلو كان الاكل والشرب حقيقة لم يكن صائما واجيب بان الراجح من الروايات لفظ ابيت دون اظل وعلى تقدير ثبوتها فليس حمله على مطلق الكون لا على حقيقة اللفظ لان المتحدث عنه هو الامساك ليلا لا نهارا واكثر الروايات انما هو ابيت فكان بعض الرواة عبر عنها باظل نظرا الى اشتراكهما في مطلق الكون يقولون كثيرا اضحى فلان كذا ولا يريدون تخصيص ذلك بوقت الضحى ومنه قوله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا فان المراد به مطلق الوقت ولا اختصاص ذلك بنهار دون ليل وليس حمل الطعام والشراب على المجاز باولى من حمل لفظ اظل على المجاز وعلى التنزل فلا يضر شيء من ذلك لان ما يؤتى به الرسول على سبيل الكرامة من طعام الجنة وشرابها لا يجري عليه احكام المكلفين فيه كما غسل صدره الشريف في طست الذهب مع ان استعمال اواني الذهب الدنيوية محرمة وقال ابن المنير الذي يفطر شرعا انما هو الطعام المعتاد واما الخارق للعادة كالمحضر من الجنة فعلى غير هذا

المغني وليس تعاطيه من جنس الاعمال وانما هو من جنس الثواب كأكل اهل الجنة في الجنة والكرامة لا تبطل العبادة وقال غيره لا مانع من حمل الطعام والشراب على حقيقتهما واكله وشربه في الليل لا يقطع وصاله خصوصية له بذلك فكأنه قال لما قيل له انك تواصل قال اني لست في ذلك كهيئتكم اي على صفتكم فان من اكل منكم او شرب انقطع وصاله بل انما يطعمني ربي ويسقيني ولا ينقطع بذلك مواصلتي فطعامي وشرابي على غير طعامكم وشرابكم صورة ومعنى وقال الجمهور هو مجاز عن لازم الطعام والشراب وهو القوة فكأنه يعطي قوة الآكل الشارب ويفيض عليه ما يسد مسد الطعام والشراب ويقوي على انواع الطاعة من غير ضعف في القوة او المعنى ان الله يخلق فيه من الشبع والري ما يغنيه عن الطعام والشراب فلا يحس بجوع ولا عطش والفرق بينه وبين الاول انه على الاول يعطى القوة من غير شبع ولا ري مع الجوع والظمأ وعلى الثاني يعطى القوة مع الشبع والري ورجح الاول بان الثاني ينافي حال الصائم ويفوت المقصود من الصوم والوصال لان الجوع هو روح هذه العبادة بخصوصها قال القرطبي ويبعده ايضا النظر الى حاله عليه السلام فانه كان يجوع اكثر مما يشبع ويربط على بطنه الحجر انتهى ويحتمل كما قاله ابن القيم في الهدي وابن رجب في اللطائف ان يكون المراد به ما يغذيه الله به من معارفه وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه ونعيمه بحبه والشوق اليه وتوابع ذلك من الاحوال التي هي غذاء القلوب ونعيم الارواح وقرة العين وبهجة النفوس فللروح والقلب بها اعظم غذاء واجله وانفعه وقد يقوى هذا الغذاء عن غذاء الاجسام مدة من الزمان كما قيل

لها احاديث من ذكراك تشغلها • عن الشراب وتلهيها عن الزاد • اذا اشتكت من كلال السير اوعدها روح القدوم فتحيى عند ميعاد •

ومن له ادنى تجربة وشوق يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الحيواني ولا سيما الفرحان الظافر بمطلوبه الذي قد قرت عينه بمحبوبه وتنعم بقربه والرضى عنه والطاف محبوبه مكرم له غاية الاكرام مع المحبة التامة افليس هذا من اعظم غذاء لهذا المحب فكيف بالحبيب الذي لا شيء اعظم منه ولا اجل ولا اجمل ولا اكمل ولا اعظم احسانا افليس هذا المحب عند حبيبه يطعمه ويسقيه ليلا ونهارا ولهذا قال اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني انتهى وحكى النووي في شرح المهذب كما قاله في شرح تقريب الاسانيد ان معناه ان محبة الله تشغلني عن الطعام والشراب قال والحب البالغ يشغل عنهما انتهى فان قلت لم اتى باسم الرب دون اسم الذات المقدسة في قوله يطعمني ربي دون ان يقول يطعمني الله اجيب لان التجلي باسم الربوبية اقرب الى العباد من الالهية لانه تجلي عظمة لا طاقة للبشر بها وتجلي الربوبية تجلي رحمة وشفقة (لاطاقة صح) وقد اختلف الناس في الوصال هل هو جائز او محرم او مكروه فقالت طائفة انه جائز ان قدر عليه وهذا يروى عن عبد الله بن الزبير وغيره من السلف وكان ابن الزبير يواصل الايام وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح انه كان يواصل خمسة عشر يوما وذكره من الصحابة ايضا اخت ابي سعيد ومن التابعين عبد الرحمن بن ابي نعم وعامر بن عبد الله بن الزبير وابراهيم بن يزيد التيمي وابو الجوزاء كما نقله ابو نعيم في الحلية ومن حجتهم انه عليه الصلوة والسلام واصل باصحابه بعد النهي فلو كان النهي للتحريم لما اقرهم على فعله فعلم انه اراد بالنهي الرحمة لهم والتخفيف عنهم كما صرحت به عائشة في حديثها فمن لم يشق عليه ولم يقصد موافقة اهل الكتاب ولا رغب عن السنة في تعجيل الفطر لم يمنع من الوصال ومن ادلة الجواز ايضا اقدام الصحابة عليه بعد النهي فدل على انهم فهموا ان النهي للتنزيه لا للتحريم والا لما اقدموا عليه وقال الاكثرون لا يجوز الوصال وبه قال مالك وابو حنيفة ونص الشافعي واصحابه على كراهته ولهم في هذه الكراهة وجهان اصحهما انها كراهة تحريم

والثاني

والثاني انها للتنزيه واختار ابن وهب واحمد بن حنبل واسحق جواز الوصال الى السحر لحديث ابي سعيد عند البخاري عنه صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا فايكم اراد ان يواصل فليواصل الى السحر وهذا الوصال لا يترتب عليه شيء مما يترتب على غيره لانه في الحقيقة بمنزلة عشائه الا انه يؤخره لان الصائم له في اليوم والليلة اكلة فاذا اكلها في السحر كان قد نقلها من اول الليل الى اخره وكان اخف لجسمه في قيام الليل ولا يخفى ان محل ذلك ما لم يشق على الصائم والا فلا يكون قربة وقد صرح في الحديث بان الوصال من خصائصه صلى الله عليه وسلم فقال اني لست كهيئتكم وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب قال صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وغربت الشمس فقد افطر الصائم اي فقد صار مفطرا حكما بدخول وقت الفطر وان لم يفطر وذلك يحيل الوصال شرعا واجاب الجمهور القائلون بعموم النهي في قوله صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا والجواب عن قوله رحمة بانه لا يمنع ذلك كونه منهيا عنه للتحريم وسبب تحريمه الشفقة عليهم لئلا يتكلفوا ما يشق عليهم واما الوصال بهم يوما ثم يوما فاحتمل للمصلحة في تاكيد زجرهم وبيان الحكمة في نهيهم والمفسدة المترتبة على الوصال وهي الملل من العبادة والتعرض للتقصير في بعض وظائف الدين من اتمام الصلاة بخشوعها واذكارها وسائر الوظائف المشروعة في نهاره وليله واجابوا ايضا بقوله عليه السلام اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد افطر الصائم اذ لم يجعل الليل محلا لسوى الفطر فالصوم فيه مخالف لوضعه وروى الطبراني في الاوسط من حديث ابي ذر ان جبريل قال للنبي ان الله قد قبل وصالك ولا يحل لاحد بعدك ولكن اسناده ليس بصحيح فلا حجة فيه

الفصل التاسع في سحوره صلى الله عليه وسلم عن [illegible] عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتسحر فقال انها بركة اعطاكم الله اياها فلا تدعوه رواه النسائي وعن العرباض بن سارية قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السحور في رمضان فقال هلم الى الغداء المبارك رواه ابو داود والنسائي وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند السحور يا انس اني اريد الصيام فاطعمني شيئا فاتيته بتمر واناء فيه ماء وذلك بعد ما اذن بلال قال يا انس انظر رجلا ياكل معي فدعوت زيد بن ثابت فجاء فقال اني قد شربت شربة سويق وانا اريد الصيام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اريد الصيام فتسحر معه ثم قام فصلى ركعتين ثم خرج الى الصلاة رواه النسائي وعن زر بن حبيش قلنا لحذيفة اي ساعة تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو النهار الا ان الشمس لم تطلع رواه النسائي ايضا وعن زيد بن ثابت قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا الى الصلاة قال انس قلت كم كان قدر ما بينهما قال قدر خمسين اية رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والمراد بها متوسطة لا طويلة ولا قصيرة ولا سريعة ولا بطيئة قال ابن ابي جمرة كان صلى الله عليه وسلم ينظر ما هو الارفق بامته فيفعله لانه لو لم يتسحر لاتبعوه فشق على بعضهم ولو تسحر في جوف الليل لشق ايضا على بعضهم ممن يغلب عليه النوم فقد يفضي الى ترك الصبح او يحتاج الى المجاهدة بالسهر وقال القرطبي فيه دلالة على ان الفراغ من السحور كان قبل طلوع الفجر فهو معارض لقول حذيفة هو النهار الا ان الشمس لم تطلع انتهى واجاب في فتح الباري بان لا معارضة بل يحمل على اختلاف الحال فليس في رواية واحد منهما ما يشعر بالمواظبة

الفصل العاشر في افطاره صلى الله عليه وسلم في رمضان في السفر وصومه عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح الى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم وصام الناس ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس اليه ثم شرب فقيل له بعد ذلك ان بعض الناس قد صام فقال اولئك العصاة اولئك العصاة زاد في رواية فقيل له ان الناس قد شق عليهم الصيام وانما ينظرون فيما فعلت فدعا بقدح من ماء بعد العصر رواه مسلم وعن ابن عباس قال سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا

بإناء من ماء فشرب نهاراً ليراه الناس وأفطر حتى قدم مكة وكان ابن عباس يقول صام رسول الله
صلى الله عليه وسلم في السفر وأفطر فمن شاء صام ومن شاء أفطر رواه البخاري ومسلم ولمسلم أن ابن عباس
كان لا يعيب على من صام ولا على من أفطر فقد صام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفطر قال النووي
رحمه الله اختلف العلماء في صوم رمضان في السفر فقال بعض أهل الظاهر لا يصح صوم رمضان في السفر
فإن صامه لم ينعقد ويجب قضاؤه لظاهر الآية ولحديث ليس من البر الصيام في السفر وفي الحديث الآخر
أولئك العصاة وقال جماهير العلماء وجميع أهل الفتوى يجوز صومه في السفر وينعقد ويجزيه واختلفوا
في أن الصوم أفضل أم الفطر أم هما سواء فقال مالك وأبو حنيفة والشافعي والأكثرون الصوم أفضل
لمن أطاقه بلا مشقة ظاهرة ولا ضرر فإن تضرر به فالفطر أفضل واحتجوا بصومه صلى الله عليه وسلم ولأنه يحصل
به براءة الذمة في الحال وقال سعيد بن المسيب والأوزاعي وأحمد وإسحق وغيرهم الفطر أفضل مطلقاً وحكاه
بعض أصحابنا قولاً للشافعي وهو غريب واحتجوا بما سبق لأهل الظاهر وبقوله صلى الله عليه وسلم هي رخصة من
الله تعالى فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه وظاهره ترجيح الفطر وأجاب الأكثرون بأن
هذا كله فيمن يخاف ضرراً أو يجد مشقة كما هو صريح في الأحاديث واعتمدوا حديث أبي سعيد الخدري قال
كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر ولا يجد الصائم على المفطر
ولا المفطر على الصائم يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن ويرون أن من وجد ضعفاً فأفطر
فإن ذلك حسن وهذا صريح في ترجيح مذهب الأكثرين وهو تفضيل الصوم لمن أطاقه بلا ضرر ولا مشقة ظاهرة
وقال بعض العلماء الفطر والصوم سواء لتعادل الأحاديث والصحيح قول الأكثرين والله أعلم ن القسم الثاني
في صومه صلى الله عليه وسلم صومه غير شهر رمضان وفيه فصول الفصل الأول في سرده عليه السلام
صوم أيام من الشهر وفطره أياماً عن أسامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسرد الصوم فيقال
لا يفطر ويفطر فيقال لا يصوم رواه النسائي وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر من الشهر
حتى يظن أن لا يصوم منه ثم يصوم حتى يظن أن لا يفطر منه شيئاً وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصلياً إلا
رأيته ولا نائماً إلا رأيته وفي رواية ما كنت أحب أن أراه من الشهر صائماً إلا رأيته ولا مفطراً إلا رأيته
ولا من الليل قائماً إلا رأيته ولا نائماً إلا رأيته رواه البخاري ولمسلم كان يصوم حتى يقال قد صام قد صام ويفطر
حتى يقال أفطر أفطر وعن ابن عباس قال ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً كاملاً غير رمضان
وكان يصوم حتى يقول القائل لا والله ما يفطر ويفطر حتى يقول القائل لا والله لا يصوم رواه البخاري ومسلم والنسائي
وزاد ما صام شهراً متتابعاً غير رمضان منذ قدم المدينة ففي هذا أنه صلى الله عليه وسلم لم يصم الدهر
ولا قام الليل كله وكأنه ترك ذلك لئلا يقتدى به فيشق على الأمة وإن كان قد أعطي من القوة ما لو التزم ذلك
لاقتدر عليه لكنه سلك من العبادة الطريقة الوسطى فصام وأفطر وقام ونام الفصل الثاني في صومه صلى الله
عليه وسلم عاشوراء وهو بالمد على المشهور واختلف في تعيينه فعن الحكم بن الأعرج قال انتهيت إلى ابن
عباس وهو متوسد رداءه في زمزم فقلت له أخبرني عن صوم عاشوراء فقال إذا رأيت هلال المحرم فاعدد
وأصبح يوم التاسع صائماً قلت كان محمد صلى الله عليه وسلم يصومه قال نعم رواه مسلم قال النووي هذا
تصريح من ابن عباس بأن مذهبه أن عاشوراء هو اليوم التاسع من المحرم ويتأوله على أنه مأخوذ من أظماء
الإبل فإن العرب تسمي اليوم الثالث من أيام الورد ربعاً وكذا باقي الأيام على هذه النسبة فيكون التاسع عشراً
انتهى لكن قال ابن المنير قوله إذا أصبحت من تاسعه فأصبح يشعر بأنه أراد العاشر لأنه لا يصبح صائماً بعد أن
أصبح صائماً بعد أن يجيء تاسعه إلا إذا نوى الصوم من الليلة المقبلة وهي الليلة العاشرة انتهى وذهب

جماهير

جماهير العلماء من السلف والخلف إلى أن عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم وممن قال ذلك سعيد بن المسيب
والحسن البصري ومالك وأحمد وإسحق وخلائق وهذا ظاهر الأحاديث ومقتضى اللفظ وأما تقدير أخذه من
الإظماء فبعيد ثم إن حديث ابن عباس يرد عليه لقوله أن النبي صلى الله عليه وسلم صام يوم عاشوراء
فقالوا له يا رسول الله يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال صلى الله عليه وسلم فإذا كان العام المقبل
إن شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا
تصريح بأن الذي كان يصومه ليس هو التاسع فتعين كونه العاشر قاله النووي وقال القرطبي عاشوراء
معدول عن عاشرة للمبالغة والتعظيم وهو في الأصل صفة لليلة العاشرة لأنه مأخوذ من العشر الذي هو
اسم للعقد واليوم مضاف إليها فإذا قيل يوم عاشوراء فكأنه قيل يوم الليلة العاشرة إلا أنهم لما عدلوا
به عن الصفة غلبت عليه الاسمية فاستغنوا عن الموصوف فحذفوا الليلة وعلى هذا فيوم عاشوراء هو العاشر
وهذا قول الخليل وغيره وقال ابن المنير الأكثر على أن عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم وهو
مقتضى الاشتقاق والتسمية وقال ابن القيم من تأمل مجموع روايات ابن عباس تبين له زوال الإشكال
وسعة علم ابن عباس فإنه لم يجعل يوم عاشوراء اليوم التاسع بل قال للسائل صم اليوم التاسع واكتفى بمعرفة
السائل أن يوم عاشوراء هو اليوم العاشر الذي يعده الناس يوم عاشوراء فأرشد السائل إلى صيام التاسع
معه وأخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصومه كذلك فإما أن يكون فعل ذلك وهو الأولى
وإما أن يكون حمل فعله على الأمر به وعزمه عليه في المستقبل فهو الذي روى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بصيام يوم عاشوراء يوم العاشر وكل هذه الآثار يصدق بعضها بعضاً انتهى ملخصاً وعن هشام بن
عروة عن أبيه عن عائشة كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصومه في الجاهلية فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه
ومن شاء تركه رواه البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والترمذي واستفيد من هذه الرواية تعيين الوقت الذي
وقع الأمر فيه بصيام عاشوراء وهو أول قدومه المدينة ولا شك أن قدومه عليه السلام كان في ربيع الأول
فحينئذ كان الأمر بذلك في أول السنة الثانية وفي السنة الثانية فرض شهر رمضان فعلى هذا لم يقع الأمر
بصوم عاشوراء إلا في سنة واحدة ثم فوض الأمر في صومه إلى رأي المتطوع فعلى تقدير صحة قول من يدعي أنه كان
قد فرض فقد نسخ فرضه بهذه الأحاديث الصحيحة وأما صيام قريش لعاشوراء فلعلهم تلقوه من الشرع السالف
ولهذا كانوا يعظمونه بكسوة الكعبة وقد روي عن عكرمة أنه سئل عن ذلك فقال أذنبت قريش ذنباً في الجاهلية
فعظم في صدورهم فقيل لهم صوموا عاشوراء يكفر ذلك قاله في فتح الباري وعن ابن عمر أن أهل الجاهلية كانوا
يصومون يوم عاشوراء وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن يوم عاشوراء يوم من أيام الله فمن شاء
صامه رواه البخاري ومسلم وأبو داود وفي رواية وكان عبد الله لا يصومه إلا أن يوافق صومه وعن سلمة بن
الأكوع بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من أسلم يوم عاشوراء فأمره أن يؤذن في الناس من كان لم
يصم فليصم ومن أكل فليتم صيامه إلى الليل رواه مسلم قال النووي اختلفوا في حكم صوم عاشوراء في أول
الإسلام حين شرع صومه قبل صوم رمضان فقال أبو حنيفة كان واجباً واختلف أصحاب الشافعي فيه على وجهين
أشهرهما عندهم أنه لم يزل سنة من حين شرع ولم يكن واجباً قط في هذه الأمة ولكنه كان متأكد الاستحباب
فلما نزل صوم رمضان صار مستحباً دون ذلك الاستحباب والثاني كان واجباً كقول أبي حنيفة وتظهر
فائدة الخلاف في اشتراط نية الصوم الواجب من الليل فأبو حنيفة لا يشترطها ويقول كان الناس مفطرين أول
يوم عاشوراء ثم أمروا بصيامه بنية من النهار ولم يؤمروا بقضائه بعد صومه وأصحاب الشافعي يقولون

يقولون كان مستحبا فحقه تبييته من النهار بل يتمسك ابو حنيفة بقوله امر بصيامه والامر للوجوب وبقوله
فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه وعند الشافعية بقوله هذا يوم عاشوراء ولم
يكتب الله عليكم صيامه والشافعية يقولون الصائمي قوله وحديث ام سلمة كما مر ان يؤذن في الناس
من كان لم يصم فليصم الى اخره انه كان نوى الصوم فليتم صومه ومن كان لم ينو الصوم ولم ياكل او اكل فليمسك بقية
يومه لحرمة اليوم واحتج ابو حنيفة بهذا الحديث لمذهبه ان صوم الفرض يجب تبييته من النهار ولا يشترط
تبييتها قال لانهم نووا في النهار واجزاهم واجاب الجمهور عن هذا الحديث بان المراد امساك بقية النهار لا
حقيقة الصوم والدليل على هذا انهم اكلوا ثم امروا بالاتمام وقد وافق ابو حنيفة وغيره على ان شرط اجزاء النية
في النهار في الفرض والنفل ان لا يتقدمها مفسد للصوم من اكل وغيره انتهى وقال الحافظ شيخ الاسلام ابو الفضل
ابن حجر يؤخذ من مجموع الاحاديث انه كان واجبا لثبوت الامر بصومه ثم تاكيد الامر بذلك ثم زيادة التاكيد بالنداء
العام ثم زيادته بامر من اكل بالامساك ثم زيادته بامر الامهات ان لا يرضعن فيه الاطفال وبقول ابن مسعود
الثابت في مسلم لما فرض رمضان ترك عاشوراء مع العلم بانه ما ترك استحبابه بل هو باق فدل على ان المتروك
وجوبه واما قول بعضهم المتروك تاكد استحبابه والباقي مطلق استحبابه فلا يخفى ضعفه بل تاكد استحبابه باق
ولا سيما مع استمرار الاهتمام به حتى في عام وفاته صلى الله عليه وسلم حيث قال لئن عشت لاصومن التاسع والعاشر
ولترغيبه في صومه وانه يكفر السنة فاي تاكيد ابلغ من هذا انتهى وعن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة فراى اليهود تصوم عاشوراء فقال ما هذا قالوا يوم صالح نجى الله فيه موسى وبني اسرائيل من عدوهم
فصامه فقال انا احق بموسى منكم فصامه وامر بصيامه وفي رواية فقال لهم ما هذا اليوم الذي تصومونه قالوا
هذا يوم عظيم انجى الله فيه موسى واغرق فيه فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنحن احق واولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر بصيامه وفي اخرى فنحن
نصومه تعظيما له رواه البخاري ومسلم وابو داود وقد اجاب صاحب زاد المعاد وغيره عما استشكله بعضهم في هذا
الحديث وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قدم المدينة في شهر ربيع الاول فكيف يقول ابن عباس انه قدم
المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء بانه ليس في الحديث ان يوم قدومه وجدهم يصومونه فانه انما قدم
يوم الاثنين في ربيع الاول ثاني عشره ولكن اول علمه بذلك وقوع القصة في اليوم الذي كان بعد قدومه المدينة لم
يكن وهو بمكة وقال في الفتح غايته ان في الكلام حذفا تقديره قدم عليه السلام المدينة فاقام الى يوم عاشوراء
فوجد اليهود فيه صياما ويحتمل ان يكون اولئك اليهود كانوا يحسبون يوم عاشوراء بحساب السنين
الشمسية فصادف يوم عاشوراء بحسابهم اليوم الذي قدم فيه صلى الله عليه وسلم المدينة وهذا التاويل مما
يترجح به اولوية المسلمين واحقيتهم بموسى لاضلالهم اليوم المذكور وهداية المسلمين له ولكن سياق الاحاديث
يدفع هذا التاويل والاعتماد على التاويل الاول انتهى وقد استشكل ايضا رجوعه عليه الصلاة والسلام الى خبر اليهود
وهو غير مقبول واجاب المازري بانه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم اوحي اليه بصدقهم فيما قالوه او تواتر عنده
النقل بذلك حتى حصل له العلم بذلك قال القاضي عياض ردا على المازري قد روى مسلم ان قريشا كانت تصومه
فلما قدم المدينة صامه فلم يحدث له بقول اليهود حكم يحتاج الى الكلام عليه وانما هي صفة حال وجواب سؤال
فقوله صامه ليس فيه ان ابتداء صومه حينئذ ولو كان هذا لحملناه على انه اخبر به من اسلم من علمائهم كابن سلام
وغيره قال وقد قال بعضهم يحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يصومه بمكة ثم ترك صيامه حتى علم ما عند اهل الكتاب
فيه فصامه قال وما ذكرناه اولى بلفظ الحديث قال النووي المختار قول المازري ومختصر ذلك انه صلى الله عليه وسلم
كان يصومه كما تصومه قريش في مكة ثم قدم المدينة فوجد اليهود يصومونه فصامه ايضا بوحي او تواتر او اجتهاد

لا بمجرد اخبار آحادهم انتهى وقال القرطبي لعل قريشا كانوا يستندون في صومه الى شرع من مضى كابراهيم وصوم رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون بحكم الموافقة لهم كما في الحج او اذن الله له في صيامه على انه فعل خير فلما هاجر
ووجد اليهود يصومونه وسالهم وصامه وامر بصيامه احتمل ان يكون ذلك استئلافا لليهود كما استالفهم
باستقبال قبلتهم ويحتمل غير ذلك وعلى كل حال فلم يصمه اقتداء بهم فانه كان يصومه قبل ذلك وكان ذلك في
الوقت الذي يحب فيه موافقة اهل الكتاب فيما لم ينه عنه ولا سيما اذا كان فيه ما يخالف اهل الاوثان
فلما فتحت مكة واشتهر امر الاسلام احب مخالفة اهل الكتاب ايضا كما في حديث ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين صام يوم عاشوراء وامر بصيامه قالوا يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود والنصارى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يات العام المقبل حتى توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لئن بقيت الى قابل لاصومن التاسع رواه مسلم وهذا دليل الشافعي واصحابه
واحمد واسحاق القائلين باستحباب صوم التاسع والعاشر جميعا لانه صلى الله عليه وسلم صام العاشر ونوى
صوم التاسع قال النووي قال بعض العلماء ولعل السبب في صوم التاسع مع العاشر ان لا يتشبه باليهود في
افراد العاشر وفي الحديث اشارة الى هذا وقيل للاحتياط في تحصيل عاشوراء والاول اولى انتهى وفي رواية البزار
من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم عاشوراء صوموه وخالفوا فيه اليهود صوموا
قبله يوما وبعده يوما ولاحمد نحوه فمراتب صومه ثلاثة ادناها ان يصام وحده واكملها ان يصام يوم قبله
ويوم بعده ويليه ان يصام التاسع والعاشر وعليه اكثر الاحاديث وقال بعضهم قد ظهر ان القصد مخالفة
اهل الكتاب في هذه العبادة وذلك يحصل باحد امرين بنقل العاشر الى التاسع واما بصيامهما معا والله
اعلم وفي البخاري من حديث ابي موسى قال كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فصوموه
انتم وهذا ظاهره ان الباعث على الامر بصومه محبة مخالفة اليهود حتى يصام ما يفطرون فيه لان يوم العيد
لا يصام وحديث ابن عباس يدل على ان الباعث على صيامه موافقتهم على السبب وهو شكر الله تعالى على نجاة
موسى لكن لا يلزم من تعظيمهم له واعتقادهم بانه عيد انهم كانوا لا يصومونه فلعله كان من جملة تعظيمهم في شرعهم
ان يصوموه وقد ورد ذلك صريحا في حديث مسلم كان اهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيدا ويلبسون
نساءهم فيه حليهم وشارتهم وهو بالشين المعجمة اي هيئتهم الحسنة ويتحصل مما ورد في صيامه صلى الله عليه وسلم
عاشوراء اربعة احوال اولها انه كان يصومه بمكة ولا يامر الناس بصيامه كما تقدم في حديث عائشة عند الشيخين
وغيرهما كان عاشوراء يوما تصومه قريش في الجاهلية وكان صلى الله عليه وسلم يصومه فلما قدم المدينة صامه
الحديث الثانية انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وراى صيام اهل الكتاب له وتعظيمهم له وكان يحب
موافقتهم فيما لم يؤمر به صامه وامر الناس بصيامه واكد الامر بصيامه والحث عليه حتى كانوا يصومونه اطفالهم
كما تقدم في حديث ابن عباس عند الشيخين وغيرهما الثالثة انه لما فرض صيام شهر رمضان ترك صلى الله عليه
وسلم صيامه وقال ان عاشوراء يوم من ايام الله فمن شاء صامه ومن شاء تركه ويشهد له حديث عائشة السابق
الحالة الرابعة انه صلى الله عليه وسلم عزم في اخر عمره ان لا يصومه مفردا بل يضم اليه يوما اخر مخالفة لاهل الكتاب
في صيامه كما قدمناه وقد روى مسلم من حديث ابي قتادة مرفوعا ان صوم عاشوراء يكفر سنة وان صيام يوم
عرفة يكفر سنتين وظاهره ان صيام يوم عرفة افضل من صيام يوم عاشوراء وقد قيل الحكمة في ذلك ان يوم
عاشوراء منسوب الى موسى ويوم عرفة منسوب الى النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك كان افضل والله اعلم ومما
ما روي من وسع على عياله في يوم عاشوراء وسع الله عليه السنة كلها رواه الطبراني والبيهقي في الشعب وفي
فضائل الاوقات وابو الشيخ عن ابن مسعود والاولان فقط عن ابي سعيد والثاني فقط في الشعب عن جابر وابي هريرة

وقال ان اسانيدها كلها ضعيفة ولكن اذا ضم بعضها الى بعض افاد قوة وقال العراقي في اماليه لحديث علي هذا
طرق صحح بعضها ابن ناصر الحافظ واورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق سليمان بن ابي عبد الله عنه
وقال سليمان مجهول وسليمان ذكره ابن حبان في الثقات والحديث حسن على رايه قال وله طريق عن جابر
على شرط مسلم اخرجها ابن عبد البر في الاستذكار من رواية ابي الزبير عنه وفي اخرى طرق له ورواه هو والدارقطني في
الافراد باسناد جيد عن عمر موقوفا عليه والبيهقي في الشعب من جهة محمد بن المنتشر قال كان يقال فذكره
الفصل الثالث في صيامه صلى الله عليه وسلم شعبان عن عائشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان وما رايته في شهر اكثر منه صياما في شعبان رواه البخاري
ومسلم وفي اخرى لهما لم يكن يصوم شهرا اكثر من شعبان فانه كان يصومه كله وفي رواية الترمذي كان يصومه الا
قليلا بل كان يصومه كله وفي رواية ابي داود كان احب الشهور الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصومه شعبان
ثم يصله برمضان وللنسائي كان يصوم شعبان او عامة شعبان وفي اخرى له كان يصوم شعبان الا قليلا وفي اخرى
له ايضا كان يصوم شعبان كله قال الحافظ ابن حجر اي يصوم معظمه ونقل الترمذي عن ابن المبارك انه قال جائز
في كلام العرب اذا صام اكثر الشهر ان يقول صام الشهر كله ويقال قام فلان ليلته اجمع ولعله قد تعشى
واشتغل ببعض امره قال الترمذي كان ابن المبارك جمع بين الحديثين بذلك وحاصله ان الرواية الاولى مفسرة للثانية
ومخصصة لها وان المراد بالكل الاكثر وهو مجاز قليل الاستعمال واستبعده الطيبي وقال يحمل على انه كان يصوم
شعبان كله تارة ويصوم معظمه اخرى لئلا يتوهم انه واجب كله كرمضان وقال ابن المنير اما ان يحمل قول
عائشة على المبالغة والمراد الاكثر واما ان يجمع بان قولها الثاني متاخر عن قولها الاول فاخبرت عن اول
امره انه كان يصوم اكثر شعبان واخبرت ثانيا عن اخر امره انه كان يصومه كله انتهى ولا يخفى تكلفه والاول
هو الصواب واختلف في الحكمة في اكثاره صلى الله عليه وسلم من صوم شعبان فقيل كان يشتغل عن صيام
الثلاثة ايام من كل شهر لسفر او غيره فتجتمع فيقضيها في شعبان اشار الى ذلك ابن بطال وفيه حديث ضعيف
اخرجه الطبراني في الاوسط من طريق ابن ابي ليلى عن اخيه عيسى عن ابيه عن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصوم ثلاثة ايام من كل شهر فربما اخر ذلك حتى يجتمع عليه صوم السنة فيصوم شعبان وابن ابي ليلى ضعيف
وقيل كان يصنع ذلك لتعظيم رمضان وورد فيه حديث اخرجه الترمذي من طريق
صدقة بن موسى عن ثابت عن انس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي الصوم افضل بعد رمضان
قال شعبان لتعظيم رمضان قال الترمذي حديث غريب وصدقة عندهم ليس بذلك القوي لكن يعارضه ما
رواه مسلم من حديث ابي هريرة مرفوعا افضل الصوم بعد رمضان صوم المحرم والاولى في ذلك ما جاء في حديث
اصح مما مضى اخرجه النسائي وابو داود وصححه ابن خزيمة عن اسامة بن زيد قال قلت يا رسول الله لم ارك تصوم
شهرا من الشهور ما تصوم من شعبان قال ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع
فيه الاعمال الى رب العالمين فاحب ان يرفع عملي وانا صائم فبين صلى الله عليه وسلم وجه صيامه لشعبان
دون غيره من الشهور بقوله انه شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان يشير الى انه لما اكتنفه شهران
عظيمان الشهر الحرام وشهر الصيام اشتغل الناس بهما فصار مغفولا عنه وكثير من الناس يظن ان صيام رجب
افضل من صيامه لانه شهر حرام وليس كذلك وفي احياء الوقت المغفول عنه بالطاعة فوائد منها
ان يكون اخفى واخفاء النوافل واسرارها افضل لا سيما الصيام فانه سر بين العبد وربه ومنها انه اشق على النفوس
لان النفوس تتاسى بما تشاهد من احوال ابناء الجنس فاذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم سهلت الطاعات
واذا كثرت الغفلات واهلها تاسى بهم عموم الناس فيشق على نفوس المستيقظين طاعاتهم لقلة من يقتدى

ثم وقد روي في صيامه صلى الله عليه وسلم شعبان معنى آخر وهو انه ينسخ فيه الآجال فروى باسناد
فيه ضعف عن عائشة قالت كان اكثر صيام النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان فقلت يا رسول
الله ارى اكثر صيامك في شعبان قال ان هذا الشهر يكتب فيه لملك الموت من يقبض فانا احب
ان لا ينسخ اسمي الا وانا صائم وقد روي مرسلا وقيل انه اصح وقد قيل في صوم شعبان معنى آخر
وهو ان صيامه كالتمرين على صيام رمضان لئلا يدخل في صيامه على مشقة وكلفة بل يكون قد تمرن
على الصيام واعتاده ووجد بصيام شعبان قبل رمضان حلاوة الصوم ولذته فيدخل في صيام رمضان
بقوة ونشاط واعلم انه لا تعارض بين هذا وبين النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم او يومين وكذا
ما جاء في النهي عن صوم نصف شعبان الثاني فان الجمع بينهما ظاهر بان يحمل النهي على من لم يدخل
تلك الايام في صيام اعتاده واجاب النووي عن كونه عليه السلام لم يكثر الصوم في المحرم مع قوله
ان افضل الصيام ما يقع فيه بانه يحتمل ان يكون ما علم ذلك الا في اخر عمره فلم يتمكن من كثرة الصوم
في المحرم او اتفق له فيه من الاعذار كالسفر ما منعه من كثرة الصوم فيه واما شهر رجب بخصوصه
فقد قال بعض الشافعية انه افضل من بقية الشهور وضعفه النووي وغيره فلم يعلم انه صح عنه
صلى الله عليه وسلم انه صامه بل روي عنه من حديث ابن عباس مما صح وقفه انه نهى عن صيامه
اخرجه ابن ماجه لكن في سنن ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الى الصوم من الاشهر
الحرم ورجب احدها وفي حديث مجيبة الباهلية عن ابيها او عمها انه صلى الله عليه وسلم قال له
صم من الحرم واترك قالها ثلاثا رواه [illegible] وفي رواية مسلم عن عثمان بن حكيم الانصاري قال
سالت سعيد بن جبير عن صوم رجب ونحن يومئذ في رجب فقال سمعت ابن عباس يقول
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم والظاهر ان
مراد سعيد بهذا الاستدلال على انه لا نهي عنه ولا ندب فيه لعينه بل له حكم باقي الشهور وفي اللطائف
روى عن الكتاني انا تمام الرازي ثنا القاضي يوسف ثنا محمد بن اسحاق السراج ثنا يوسف بن موسى ثنا
حجاج بن منهال ثنا حماد بن سلمة انا حبيب المعلم عن عطاء ان عروة قال لعبد الله بن عمر هل كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم في رجب قال نعم ويشرفه قالها ثلاثا اخرجه ابو داود وغيره وعن
ابي قلابة قال ان في الجنة قصرا لصوام رجب قال البيهقي ابو قلابة من كبار التابعين لا يقوله الا عن
بلاغ والقاطع الفصل الرابع في صومه صلى الله عليه وسلم عشر ذي الحجة والمراد به الايام التسعة من
اول ذي الحجة عن هنيدة بن خالد عن امراته عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة رواه ابو داود وعن عائشة قالت ما رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم صائما في العشر قط رواه مسلم والترمذي وهذا يوهم كراهة صوم العشر وليس فيها كراهة
بل هي مستحبة استحبابا شديدا لا سيما يوم التاسع منها وهو يوم عرفة وقد ثبت في صحيح البخاري انه
صلى الله عليه وسلم قال ما من ايام العمل الصالح فيها افضل منه في هذه يعني العشر الاول من الحجة
واستدل به على فضل صيام عشر ذي الحجة لاندراج الصوم في العمل واستشكل بتحريم الصوم يوم العيد
واجيب بانه محمول على الغالب والله اعلم وتاول قولها يعني عائشة لم ير العشر انه لم يصمه لعارض
من مرض او سفر او غيرهما او انها لم تره صائما فيه ولا يلزم من ذلك عدم صيامه في نفس الامر ويدل
عليه حديث هنيدة بن خالد الذي ذكرته قال الحافظ ابن حجر وقد وقع في رواية القسم بن ابي ايوب ما
من عمل ازكى عند الله ولا اعظم اجرا من خير تعمله في عشر الاضحى وفي حديث جابر في صحيحي ابي عوانة وابن حبان

ما من ايام افضل عند الله من ايام عشر ذي الحجة فقد ثبتت الفضيلة لايام عشر الحجة على غيرها
من ايام السنة ويظهر فائدة ذلك فيمن نذر الصيام او علق عملا من الاعمال بافضل الايام فلو افرد
يوما منها تعين يوم عرفة لانه على الصحيح افضل ايام العشر المذكور فان اراد افضل ايام الاسبوع
تعين يوم الجمعة جمعا بين الحديث السابق وبين حديث ابي هريرة مرفوعا خير يوم طلعت عليه
الشمس يوم الجمعة رواه مسلم اشار الى ذلك كله النووي في شرحه وقال الداودي لم يرد عليه
السلام ان هذه الايام خير من يوم الجمعة لانه قد يكون فيها يوم الجمعة يعني فيلزم تفضيل الشيء
على نفسه وتعقب بان المراد كل يوم من ايام العشر افضل من غيره من ايام السنة سواء كان يوم الجمعة
فيه ام لا ويوم الجمعة افضل فيه من يوم الجمعة في غيره لاجتماع الفضيلتين فيه والذي يظهر ان السبب
في امتياز عشر ذي الحجة امكان اجتماع امهات العبادة فيه وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا
يتاتى ذلك في غيرها وعلى هذا هل يختص الفضل بالحاج او يعم المقيم فيه احتمال انتهى وقال ابو امامة ابن
النقاش فان قلت ايما افضل عشر ذي الحجة او العشر الاواخر من رمضان فالجواب ان عشر ايام ذي الحجة
افضل لاشتمالها على اليوم الذي ما رؤي الشيطان في يوم غير يوم بدر هو اغيظ ولا احقر منه فيه
وهو يوم عرفة ولكونه يكفر صيامه سنتين ولاشتماله على اعظم الايام عند الله حرمة وهو يوم النحر
الذي سماه الله تعالى يوم الحج الاكبر وليالي عشر رمضان الاخير افضل لاشتمالها على ليلة هي خير من الف
شهر ومن تامل هذا الجواب وجده كافيا شافيا اشار اليها الفاضل المفضل في قوله من ايام العمل فيهن
احب الى الله من عشر ذي الحجة فتامل قوله من ايام دون ان يقول ما من عشر ونحوه ومن اجاب
بغير هذا التفصيل لم يدل بحجة صحيحة صريحة فتامل. الفصل الخامس في صومه صلى الله عليه وسلم ايام الاسبوع
عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرى صيام الاثنين والخميس رواه الترمذي والنسائي
وعن ابي قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه انزل علي
رواه مسلم وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال تعرض الاعمال على الله تعالى يوم الاثنين والخميس
فاحب ان يعرض عملي وانا صائم رواه الترمذي وعن اسامة بن زيد قلت يا رسول الله انك تصوم حتى
لا تكاد تفطر وتفطر حتى لا تكاد تصوم الا يومين ان دخلا في صيامك والا صمتهما قال اي يومين قلت
يوم الاثنين والخميس قال ذلك يومان تعرض فيهما الاعمال على رب العالمين فاحب ان يعرض عملي وانا
صائم رواه النسائي وروى ابن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
قال يكتب كلما تكلم به من خير وشر حتى انه ليكتب قوله اكلت وشربت وذهبت وجئت ورايت حتى
اذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فاقر منه ما كان فيه من خير او شر والقي سائره وهذا عرض خاص
في هذين اليومين غير العرض العام كل يوم فان ذلك عرض خاص دائم بكرة وعشيا ويدل على ذلك ما
في صحيح مسلم عن ابي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله لا
ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل الحديث وعن ام
سلمة كان صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة ايام الاثنين والخميس من هذه الجمعة والاثنين من
المقبلة وفي رواية اول اثنين من الشهر ثم الخميس ثم الخميس الذي يليه رواه النسائي وعن عائشة كان
يصوم من الشهر السبت والاحد والاثنين ومن الشهر الاخر الثلاثاء والاربعاء والخميس رواه الترمذي وعن كريب
مولى ابن عباس قال ارسلني ابن عباس وناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ام سلمة اسالها اي
الايام كان النبي صلى الله عليه وسلم اكثرها صياما قالت السبت والاحد ويقول انهما عيدا المشركين

وانا احب ان اخالفهم رواه احمد والنسائي وفيه محمد بن عمر ولا نعرف حاله وكريب صححه ابنه عبد الله
ابن محمد بن عمر ولا يعرف حاله ايضا وعن عبد الله بن بسر عن اخته الصماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم فان لم يجد احدكم الا لحاء عنبة او عود شجرة فليمضغه
رواه احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي قال بعضهم لا تعارض بينه وبين حديث ام
سلمة فان النهي عن صومه انما هو عن افراده وعلى ذلك ترجم ابو داود فقال باب النهي ان يخص يوم السبت
بالصوم وحديث صيامه انما هو مع يوم الاحد قالوا ونظير هذا انه نهى عن افراد يوم الجمعة بالصوم الا ان يصوم
يوما قبله ويوما بعده قال النووي واما قول مالك في الموطأ لم اسمع احدا من اهل العلم والفقه ومن
يقتدى به ينهى عن صيام يوم الجمعة وصيامه حسن وقد رايت بعض اهل العلم يصومه واراه كان
يتحراه فهذا الذي قاله هو الذي راه وقد راى غيره خلاف ما راى هو والسنة مقدمة على ما راه هو وغيره
وقد ثبت النهي عن صوم يوم الجمعة فيتعين القول به ومالك معذور فانه لم يبلغه قال الداودي
من اصحاب مالك لم يبلغ مالكا هذا الحديث ولو بلغه لم يخالفه قالوا واستحباب الفطر يوم الجمعة ليكون
اعون له على وظائف العبادات المشروعة في الجمعة وادائها بنشاط وانشراح لها والتذاذ بها من غير
ملل ولا سامة كالحاج بعرفة فان قلت لو كان كذلك لم يزل النهي والكراهة بصوم يوم قبله او بعده لبقاء
المعنى فالجواب انه يحصل له بفضيلة الصوم الذي قبله او بعده ما يجبر ما قد يحصل من فتور او تقصير
في وظائف يوم الجمعة بسبب صومه والله اعلم. الفصل السادس في صومه صلى الله عليه وسلم الايام
البيض وهي التي يكون فيها القمر من اول الليل الى اخره وهي ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر وليس في الشهر
يوم ابيض كله الا هذه الايام لان ليلها ابيض ونهارها ابيض فصح قول من قال الايام البيض على الوصف
واليوم الكامل هو النهار بليلته وفيه رد لقول الجواليقي من قال الايام البيض فجعل البيض صفة الايام
فقد اخطا والله اعلم وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر ايام البيض في حضر ولا
سفر رواه النسائي وعن حفصة اربع لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدعهن صيام عاشوراء والعشر وثلاثة ايام من
كل شهر وركعتي الفجر رواه احمد وعن معاذة العدوية انها سالت عائشة اكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة ايام قالت نعم فقلت لها من اي ايام الشهر كان يصوم قالت لم يكن يبالي
من اي ايام الشهر يصوم رواه مسلم قال بعضهم لعله صلى الله عليه وسلم لم يواظب على ثلاثة معينة لئلا
يظن تعيينها قال وقد جعل الله تعالى صيام هذه الثلاثة الايام من الشهر بمنزلة صيام الدهر لان الحسنة بعشر
امثالها وقد روى اصحاب السنن وصححه ابن خزيمة من حديث ابن مسعود كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم
ثلاثة ايام من غرة كل شهر وقد يحتمل ان صيامه صلى الله عليه وسلم في الشهر على اوجه الاول انه كان يصوم
اول اثنين من الشهر ثم الخميس ثم الخميس الذي يليه رواه النسائي الثاني كان يصوم من الشهر السبت
والاحد والاثنين ومن الشهر الاخر الثلاثاء والاربعاء والخميس رواه الترمذي الثالث ايام البيض ثالث عشر
ورابع عشر وخامس عشر الرابع انه كان يصوم ثلاثة غير معينة كما رواه معاذة عن عائشة عند مسلم الخامس
انه كان يصوم ثلاثة من اول الشهر واختاره جماعة منهم الحسن وهو ما رواه اصحاب السنن من حديث
ابن مسعود قال القاضي عياض واختار النخعي صوم ثلاثة ايام من اخر الشهر ليكون كفارة لما مضى والخالي
اخرى اول يوم من الشهر والعاشر والعشرين وقيل انه صيام مالك بن انس وقال ابن شعبان من
المالكية اول يوم من الشهر والحادي عشر والحادي والعشرين ونقل ذلك عن ابي الدرداء وهو موافق لما
رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو صم من كل عشرة ايام يوما وحكى الاسنوي عن الماوردي انه

يستحب ايضا صوم ايام السود وهي السابع والعشرون واليومان بعده ويترجح البيض بكونها وسط
الشهر ووسط الشيء اعدله ولان الكسوف غالبا يقع فيها وقد ورد الامر بمزيد العبادة اذا وقع فاذا اتفق
الكسوف صادف الذي يعتاد صيام البيض صائما فيتهيأ له ان يجمع بين انواع العبادات من الصيام
والصلاة والصدقة بخلاف من لم يصمها فانه لا يتهيأ له استدراك صيامها ورجح بعضهم صيام الثلاثة
في اول الشهر لان المرء لا يدري ما يعرض له من الموانع والله اعلم النوع الخامس في ذكر اعتكافه صلى الله
عليه وسلم واجتهاده في العشر الاخير من رمضان وتحريه ليلة القدر اعلم ان الاعتكاف في اللغة الحبس
والمكث واللزوم وفي الشرع المكث في المسجد من شخص مخصوص بصفة مخصوصة ومقصوده وروحه عكوف
القلب على الله وجمعيته عليه والفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه فيصير انسه بالله بدلا عن انسه
بالخلق ليكون ذلك انسه يوم الوحشة في القبور حين لا انيس له وليس بواجب اجماعا الا على من نذره
وكذا من شرع فيه فقطعه عامدا عند قوم واختلف في اشتراط الصوم له ومذهب الشافعي ليس بشرط
لصحة الاعتكاف بل يصح اعتكاف المفطر وقال مالك وابو حنيفة والاكثرون يشترط الصوم فلا يصح
اعتكاف المفطر واحتج الشافعي باعتكافه صلى الله عليه وسلم في العشر الاول من شوال رواه البخاري وبحديث
عمر انه قال يا رسول الله اني نذرت ان اعتكف ليلة في الجاهلية فقال اوف بنذرك رواه البخاري ومسلم
والليل ليس محلا للصوم فدل على انه ليس بشرط لصحة الاعتكاف واتفق العلماء على اشتراط المسجد للاعتكاف
الا محمد بن عمر بن لبابة المالكي فاجازه في كل مكان واجاز الحنفية للمرأة ان تعتكف في مسجد بيتها وهو
المكان المعد للصلاة فيه وفيه قول قديم للشافعي وذهب ابو حنيفة واحمد الى اختصاصه بالمساجد التي
تقام فيها الصلوات وخصه ابو يوسف بالواجب منه واما النفل ففي كل مسجد وقال الجمهور بعمومه
في كل مسجد الا لمن تلزمه الجمعة فاستحب له الشافعي في الجامع وشرطه مالك لان الاعتكاف عندهما ينقطع
بالجمعة ويجب بالشروع عند مالك وخصه طائفة من السلف كالزهري بالجامع مطلقا واوما اليه الشافعي
في القديم وخصه حذيفة بن اليمان بالمساجد الثلاثة وعطاء بمسجدي مكة والمدينة وابن المسيب بمسجد
المدينة واتفقوا على انه لا حد لاكثره واختلفوا في اقله فمن شرط فيه الصيام قال اقله يوم ومنهم من قال
يصح مع شرط الصيام في دون اليوم حكاه ابن قدامة وعن مالك يشترط عشرة ايام وعنه يوم او يومان
ومن لم يشترط الصوم قال اقله ما يطلق عليه اسم لبث ولا يشترط القعود واتفقوا على فساده بالجماع
وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاواخر من رمضان رواه البخاري ومسلم من
حديث عائشة وعن ابي هريرة كان صلى الله عليه وسلم يعتكف كل عام عشرا فاعتكف عشرين في العام
الذي قبض فيه رواه البخاري وعن ابي سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم اعتكف العشر الاول من رمضان
ثم اعتكف العشر الاوسط في قبة تركية ثم اطلع راسه فقال اني اعتكفت العشر الاول التمس هذه الليلة يعني
ليلة القدر ثم اعتكفت العشر الاوسط ثم اتيت فقيل لي انها في العشر الاواخر فمن اعتكف معي فليعتكف
العشر الاواخر فقد اريت هذه الليلة ثم انسيتها وقد رايتني اسجد في ماء وطين من صبيحتها فالتمسوها
في العشر الاواخر والتمسوها في كل وتر قال فمطرت السماء تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف المسجد
فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جبهته اثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين
رواه الشيخان وفي حديث عبادة بن الصامت انه صلى الله عليه وسلم خرج يخبر بليلة القدر فتلاحى فلان
وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة رواه البخاري ومسلم
ولمسلم من حديث عبد الله بن انيس انه صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم انسيتها واراني

صبيحتها اسجد في ماء وطين قال فمطرنا في ليلة ثلث وعشرين فصلى بنا وانصرف وان اثر الماء والطين على
جبهته وانفه وفي سنن ابي داود عن ابن مسعود مرفوعا اطلبوها ليلة سبع عشرة وخرج الطبراني
مرفوعا من حديث ابي هريرة التمسوا ليلة القدر في ليلة سبع عشرة او تسع عشرة او احدى وعشرين
او ثلث وعشرين او خمس وعشرين او سبع وعشرين او تسع وعشرين وقد اختلف العلماء في ليلة القدر
اختلافا كثيرا وافردها بعضهم بالتاليف وقد جمع الحافظ ابو الفضل بن حجر من كلام العلماء في ذلك اكثر
من اربعين قولا كساعة الجمعة ومذهب الشافعي انحصارها في العشر الاخير كما نص عليه الشافعي
فيما حكاه عنه الاسنوي وعن المحاملي انها تلتمس في جميع الشهر وتبعه عليه الشيخ ابو اسحق في التنبيه
فقال وتطلب ليلة القدر في جميع شهر رمضان ثم الغزالي في كتبه وتردد صاحب التهذيب في جواز كونها
في النصف الاخير كذا نقله عنه الامام وضعفه وحكاه ابن الملقن في شرح العمدة وفي المفهم للقرطبي حكاية
قول انها ليلة النصف من شعبان ودليل الاول حديث ابي سعيد الذي قدمناه قال النووي
وميل الشافعي الى انها ليلة الحادي والعشرين او الثالث والعشرين اما الحادي والعشرون
فلقوله عليه السلام في حديث ابي سعيد فقد اريت هذه الليلة وقد رايتني اسجد في ماء وطين من
صبيحتها وفيه فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جبهته اثر الماء والطين من صبيحة
احدى وعشرين واما الثالث والعشرون فلحديث عبد الله بن انيس المتقدم ايضا وجزم جماعة
من الشافعية بانها ليلة الحادي والعشرين لكن قال السبكي انه ليس مجزوما به عندهم لاتفاقهم
على عدم حنث من علق يوم العشرين عتق عبده ليلة القدر انه لا يعتق تلك الليلة بل بانقضاء
الشهر على الصحيح بناء على انها في العشر الاخير وعن ابن خزيمة من اصحابنا انها تنتقل في كل سنة الى ليلة
من ليالي العشر وحاصله ثلاث اوجه واختار النووي في الفتاوى وشرح المهذب راي ابن خزيمة
وحكاه ابن حبيب من المالكية ونقله للجمهور وحكاه صاحب العدة من الشافعية ورجحه ان ليلة القدر
خاصة بهذه الامة ولم تكن في الامم قبلهم وهو معترض بحديث ابي ذر عند النسائي حيث قال فيه
قلت يا رسول الله اتكون مع الانبياء فاذا ماتوا رفعت قال بل هي باقية وعمدتهم قول مالك في الموطا
بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاصر اعمار امته عن اعمار الامم الماضية فاعطاه الله ليلة
القدر وهذا يحتمل التاويل فلا يدفع الصريح في حديث ابي ذر كما قاله الحافظ ابن كثير في تفسيره وابن حجر
في فتح الباري قال وقد تظهر لليلة القدر علامات منها في صحيح مسلم عن ابي بن كعب ان الشمس تطلع
في صبيحتها لا شعاع لها ولابن خزيمة من حديث ابن عباس مرفوعا ليلة القدر لا حارة ولا باردة تصبح
الشمس يومها حمراء ضعيفة ولاحمد من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا انها صافية كأن فيها قمرا
ساطعا ساكنة صاحية لا حر فيها ولا برد ولا يحل لكوكب يرمى به فيها وان من اماراتها ان الشمس في
صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر لا يحل للشيطان ان يخرج معها يومئذ
وروى البيهقي في فضائل الاوقات ان المياه المالحة تعذب في تلك الليلة وقد كان صلى الله عليه وسلم
يجتهد في العشر الاخير من رمضان ما لا يجتهد في غيره رواه مسلم من حديث عائشة وفي البخاري عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر شد مئزره واحيا ليله وايقظ اهله وفسره عبد الرزاق
بان شد مئزره هو اعتزال النساء وحكاه عن الثوري وقال الخطابي يحتمل ان يراد به الجد في العبادة
كما يقال شددت لهذا الامر مئزري اي تشمرت له ويحتمل ان يراد به التشمير والاعتزال معا ويحتمل ان يراد
به الحقيقة والمجاز فيكون المراد شد مئزره حقيقة فلم يحله واعتزل النساء وشمر للعبادة وقوله واحيا ليله

اى سهره فاحياه بالطاعة او احيا نفسه بسهره فيه لان النوم اخو الموت واضافه الى الليل اتساعا
لان النايم اذا حيى باليقظة حيى ليله بحياته وهو نحو قوله لا تجعلوا بيوتكم قبورا اى لا تناموا فتكونوا
كالاموات فتكون بيوتكم كالقبور فقد كان عليه السلام يخص العشر الاخير باعمال لا يعملها فى بقية
الشهر فمنها احيا الليل فيحتمل ان المراد احيا الليل كله ويشهد له حديث عايشة من وجه ضعيف واحيا
الليل كله وفى المسند عنها ايضا قالت كان صلى الله عليه وسلم يخلط العشرين بصلاة ونوم فاذا كان
العشر شمر وشد المئزر وفى حديث ضعيف عن انس عند ابى نعيم كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر
رمضان قام ونام فاذا كان اربعا وعشرين لم يذق غمضا ويحتمل ان يريد باحيا الليل احيا غالبه وقد
قال الشافعى فى القديم من شهد العشا والصبح فى جماعة ليلة القدر فقد اخذ بحظه منها وروى فى حديث
مرفوع عن ابى هريرة من صلى العشا الاخرة فى جماعة فى رمضان فقد ادرك ليلة القدر رواه ابو الشيخ ومنها
انه كان يوقظ اهله للصلاة فى ليالى العشر دون غيره من الليالى ومنها تاخير الفطور الى السحور ففى حديث
انس وعايشة انه صلى الله عليه وسلم كان فى ليالى العشر يجعل عشاه سحورا ولفظ حديث عايشة كان صلى الله
عليه وسلم اذا كان رمضان قام ونام فاذا دخل العشر شد المئزر واجتنب النسا واغتسل بين الاذانين
وجعل العشا سحورا اخرجه ابن ابى عاصم ولفظ حديث انس كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان طوى
فراشه واعتزل النسا وجعل عشاه سحورا واسناد الاول مقارب والثانى فيه حفص بن غياث وقال فيه
ابن عدى انه من انكر ما لقيت له لكن يشهد له حديث الوصال المخرج فى الصحيح كما قدمته ومنها اغتساله
عليه السلام بين العشائين المغرب والعشا ذكره من حديث على وفى اسناده ضعف النوع السادس
فى ذكر حجه وعمره صلى الله عليه وسلم اعلم ان الحج حلول بحضرة المعبود ووقوف بساحة الجود وشهود
لذلك المشهد العلى الرحمانى والمقام المعهد المعهد الربانى ولا يخفى ان نفس الكون بتلك الاماكن شرف وعلا
وان التردد فى تلك المواطن فخار وسمو فان الحال المخرمة لم تزل تفرغ على الحال فيها من جمال ومعها
بفيض جامع وحسبك من هنا ما يحكى فى ابيات عن مجنون بنى عامر حين
راى المجنون فى البيدا كلبا فجر عليه للاحسان ذيلا فلاموه على ما كان منه وقالوا لم منحت الكلب
فقال دعوا الملام فان عينى راته مرة فى حى ليلى فينبغى للعبد ان يهتم بامر الحج ويبادر اليه
وينهض فان عزيمة انما تحثه عليه ولا يتوانى وعسى ان ادراك سابق الفوت بصابون المغفرة ولا يتكاسل
عن البدار ويعرضه للعوايق بركوب متن المخاطر روى ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال من اراد
الحج فليتعجل رواه ابو داود وفى حديث على بن ابى طالب عنه صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه
الى بيت الله الحرام فلم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا الحديث رواه الترمذى وخطب عليه السلام
فقال ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا رواه مسلم والنسائى من حديث ابى هريرة وفى رواية النسائى
من حديث ابن عباس مرفوعا ان الله كتب عليكم الحج فقال الاقرع بن حابس التميمى اكل عام يا رسول الله فقال
لو قلتها نعم لوجبت الحديث فوجوب الحج معلوم من الدين بالضرورة وقد اجمعوا على انه لا يتكرر الا لعارض
كالنذر واختلفوا اهل هو على الفور او التراخى فقال الشافعى وابو يوسف ومحمد هو على التراخى الى ان
ينتهى الى حالة يظن فواته لو اخره عنها وقال مالك وابو حنيفة واحمد هو على الفور واختلفوا
ايضا فى وقت ابتدا فرضه فقيل قبل الهجرة وهو شاذ وقيل بعدها ثم اختلف فى سنته فالجمهور على انها
سنة ست لانه نزل فيها قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله وهذا ينبنى على ان المراد بالاتمام ابتدا الفرض
ويؤيده قراءة علقمة ومسروق وابراهيم النخعى بلفظ واقيموا رواه الطبرانى باسانيد صحيحة عنهم وقيل المراد
بالاتمام

بالاتمام الاكمال بعد الشروع وهذا يقتضى تقدم فرضه قبل ذلك وقد وقع فى قصة ضمام ذكر الامر بالحج وكان
قدومه على ما ذكره الواقدى سنة خمس وهذا يدل ان ثبت على تقدمه على سنة خمس او وقوعه فيها
وقالت طايفة انه تاخر نزول فرضه الى التاسعة والعاشرة واحتجوا بان صدر سورة آل عمران
نزل عام الوفود وفيه قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصالحهم على اداء الجزية والجزية
نزلت عام تبوك سنة تسع وفيها نزل صدر سورة آل عمران وناظر اهل الكتاب ودعاهم الى التوحيد
ويدل عليه ان اهل مكة وجدوا فى نفوسهم بما فاتهم من التجارة من المشركين لما انزل الله تعالى يا ايها
الذين امنوا انما المشركون نجس الاية فاعاضهم الله من ذلك بالجزية ونزول هذه الايات والمناداة
بها انما كان فى سنة تسع وبعث الصديق يؤذن بذلك فى مكة فى موسم الحج واردفه بعلى وفى الترمذى
من حديث جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم حج ثلاث حجج حجتين قبل ان يهاجر وحجة بعدما هاجر
معها عمرة فساق ثلثا وستين بدنة ثم جاء على من اليمن ببقيتها فيها جمل لابى جهل فى انفه برة من فضة فنحرها الحديث
وعن ابن عباس حج صلى الله عليه وسلم قبل ان يهاجر ثلث حجج اخرجه ابن ماجه والحاكم وهو مبنى على عدد
وفود الانصار الى العقبة بمنى بعد الحج وهذا لا يقتضى نفى الحج قبل ذلك وقد اخرج الحاكم بسند صحيح الى الثورى ان
النبى صلى الله عليه وسلم حج قبل ان يهاجر حججا وقال ابن الجوزى حج حججا لا يعلم عددها وقال ابن الاثير
كان عليه السلام يحج كل سنة قبل ان يهاجر وقال جابر فى حديثه الطويل كما فى رواية مسلم مكث صلى
الله عليه وسلم تسع سنين لم يحج ثم اذن فى العاشرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج فقدم المدينة
بشر كثير كلهم يلتمس ان ياتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله فخرجنا معه حتى اتينا ذا
الحليفة فولدت اسما بنت عميس محمد بن ابى بكر فارسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اصنع قال
اغتسلى واستثفرى بثوب واحرمى فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ثم ركب القصوا حتى اذا
استوت به ناقته على البيدا نظرت مد بصرى بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره
مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا وعليه ينزل القران وهو يعرف
تاويله وما عمل من شى عملنا به وفى رواية عند النسائى قال جابر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس
بقين من ذى القعدة وخرجنا معه حتى اذا اتى ذا الحليفة الحديث وكان خروجه عليه السلام من المدينة بين
الظهر والعصر فنزل بذى الحليفة فصلى بها العصر ركعتين ثم بات بها وصلى بها المغرب والعشا والصبح والظهر
وكان نساوه كلهن معه وطاف عليهن تلك الليلة ثم اغتسل غسلا ثانيا لاحرامه غير غسل الجماع الاول وفى الترمذى
عن خارجة بن زيد عن ابيه انه راى النبى صلى الله عليه وسلم تجرد لاهلاله واغتسل وفى الصحيحين ان عايشة طيبته
بذريرة وفى رواية قالت كانى انظر الى وبيص الطيب فى مفرقه عليه السلام وهو محرم وفى رواية قالت
طيبته عند احرامه ثم طاف فى نسايه ثم اصبح محرما زاد فى رواية ينضح طيبا وفى رواية طيبته طيبا لا يشبه
طيبكم تعنى ليس له بقاء وهذا يدل على استحباب التطيب عند ارادة الاحرام وانه لا باس باستدامته بعد
الاحرام ولا يضر بقاء لونه ورايحته وانما يحرم فى الاحرام ابتداوه وهذا مذهب الشافعى وابو حنيفة وابى يوسف
واحمد بن حنبل وحكاه الخطابى عن اكثر الصحابة وحكاه النووى عن جمهور العلما من السلف والخلف وذهب
مالك الى منع التطيب قبل الاحرام بما يبقى رايحته بعده لكنه قال ان فعل فقد اساء ولا فدية عليه وعن عايشة
قالت كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يحرم غسل راسه بخطمى واشنان رواه الدارقطنى وفى حديث
انس عند ابى داود والترمذى انه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر ثم ركب راحلته فلما علا على جبل البيدا اهل
وفى رواية ابن عمر عند البخارى ومسلم وغيرهما ما اهل الا من عند المسجد يعنى مسجد ذى الحليفة وفى رواية ما

اهلّ الا من عند الشجرة حين قام به بعيره وفي رواية حين وضع رجله في الغرز فاستوت به راحلته قائماً
اهلّ من عند مسجد ذي الحليفة وفي رواية جابر عند ابي داود والترمذي انه صلى الله عليه وسلم لما اراد
الحج اذّن في الناس فاجتمعوا له فلما اتى البيداء احرم وفي حديث ابن جبير عند ابي داود قال قلت لابن عباس
عجبت لاختلاف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في اهلال رسول الله حين اوجب فقال اني
لاعلم الناس بذلك انها انما كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة واحدة فمن هنا اختلفوا خرج
صلى الله عليه وسلم حاجاً فلما صلى بمسجده بذي الحليفة ركعتيه اوجبه في مجلسه فاهلّ بالحج حين فرغ من
ركعتيه فسمع ذلك منه اقوام فحفظته عنه ثم ركب فلما استقلت به ناقته اهلّ وادرك ذلك منه اقوام
وذلك ان الناس انما كانوا ياتون اليه ارسالاً فسمعوه حين استقلت به ناقته يهل فقالوا انما اهلّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقلت به ناقته ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما علا على شرف
البيداء اهلّ وادرك ذلك منه اقوام فقالوا انما اهلّ حين علا على شرف البيداء وايم الله لقد اوجب في مصلاه
اذا فرغ من ركعتيه وهو مذهب ابي حنيفة والصحيح من مذهب الشافعي ان الافضل ان يحرم اذا انبعثت
به راحلته قال ابن القيم ولم ينقل عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى للاحرام ركعتين غير فرض الظهر انتهى
قلت ثبت في الصحيحين عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يركع بذي الحليفة ركعتين ثم اذا استوت به
الناقة قائمة عند مسجد ذي الحليفة اهلّ قال النووي فيه استحباب صلاة ركعتين عند ارادة الاحرام
ويصليهما قبل الاحرام ويكونان نافلة هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة الا ما حكاه القاضي وغيره عن الحسن
البصري انه يستحب كونهما بعد صلاة فرض قال لانه روي ان هاتين الركعتين كانتا صلاة الصبح والصواب
ما قاله الجمهور وهو ظاهر الحديث وقد اختلفت روايات الصحابة في حجه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع
هل كان فيه مفرداً او قارناً او متمتعاً وروى كل منها في البخاري ومسلم وغيرهما واختلف الناس في ذلك
على ستة اقوال احدها انه حج مفرداً لم يعتمر معه الثاني حج متمتعاً تمتعاً حلّ منه ثم احرم بعده بالحج كما قاله
القاضي ابو يعلى وغيره الثالث انه حج متمتعاً تمتعاً لم يحل فيه لاجل سوق الهدي ولم يكن قارناً الرابع انه حج
قارناً قراناً طاف له طوافين وسعى له سعيين الخامس انه حج حجاً مفرداً اعتمر بعده من التنعيم السادس
انه صلى الله عليه وسلم حج قارناً بالحج والعمرة ولم يحل منهما جميعاً وطاف لهما طوافاً واحداً وسعياً واحداً
وساق الهدي واختلفوا ايضاً في احرامه على ستة اقوال احدها انه لبى بالعمرة وحدها واستمر عليها الثاني
انه لبى بالحج وحده واستمر عليه الثالث انه لبى بالحج مفرداً ثم ادخل عليه العمرة الرابع انه لبى بالعمرة وحدها ثم
ادخل عليها الحج الخامس انه احرم احراماً مطلقاً لم يعين فيه نسكاً ثم عيّنه بعد احرامه السادس لبى بالحج والعمرة
معاً وقد اطنب ابو جعفر الطحاوي الحنفي في الكلام على ذلك فانه تكلم عليه في زيادة على الف ورقة كما
ذكره عنه جماعة من العلماء وبيّنه ابن حزم في حجة الوداع بياناً شافياً ومهّده المحب الطبري تمهيداً بالغاً
واشار اليه القاضي عياض والنووي في شرحهما لمسلم ونقحه الحافظ ابن حجر مستوفياً لكثير من مباحثه
استيفاءً كافياً والذي ذهب اليه الشافعي في جماعة انه صلى الله عليه وسلم حج حجاً مفرداً لم يعتمر معه فاحتج
بما في الصحيحين ان عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فمنا من اهلّ بعمرة
ومنا من اهلّ بحج وعمرة ومنا من اهلّ بالحج وحده واهلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج فهذا القسم
والتنويع صريح في اهلاله بالحج وحده ولمسلم عنها انه صلى الله عليه وسلم اهلّ بالحج وحده ولمسلم ايضاً عن ابن عباس
اهلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج ولابن ماجه عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افرد الحج وعن
ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم افرد الحج رواه البخاري قالوا وهو لم يقرنه في حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فقد

احسن الصحابة سياقاً لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خروجه صلى الله عليه وسلم من
المدينة الى آخرها فهو اضبط لها من غيره واما ابن عمر فصحّ عنه انه كان آخذاً بخطام ناقته صلى الله عليه وسلم
في حجة الوداع وانكر على من رجّح قول انس على قوله وقال كان انس يدخل على النساء وهن منكشفات
الرؤوس واني كنت تحت ناقته صلى الله عليه وسلم يمسني لعابها اسمعه يلبي بالحج واما عائشة فقربها من
رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف وكذا اطلاعها على باطن امره وظاهره وفعله في خلواته وعلانيته مع
كثرة فقهها وعظم فطنتها واما ابن عباس فمحله من العلم والفقه في الدين والفهم الثاقب معروف مع
كثرة بحثه وتحفظه احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لم يحفظها غيره واخذه اياها من كبار الصحابة
واحتجوا ايضاً بان الخلفاء الراشدين واظبوا على الافراد مع انهم الائمة الاعلام وقادة الاسلام والمقتدى بهم
فكيف يظن بهم المواظبة على ترك الافضل وبانه لم ينقل عن احد منهم كراهة الافراد وقد نقل عنهم كراهة التمتع
والجمع بينهما حتى فعله علي رضي الله عنه لبيان الجواز وبان الافراد لا يجب فيه دم بالاجماع بخلاف التمتع
والقران وذهب النووي الى ان الصواب انه صلى الله عليه وسلم كان قارناً قال ويؤيده انه صلى الله
عليه وسلم لم يعتمر في تلك السنة بعد الحج قال ولا شك ان القران افضل من الافراد الذي لا يعتمر في سنته
عندنا ولم ينقل احد ان الحج وحده افضل من القران انتهى وقد صرح القاضي حسين والمتولي بترجيح الافراد ولو
لم يعتمر في تلك السنة قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر وترجح رواية من روى القران بامور منها ان معه
زيادة علم على من روى الافراد والتمتع وبان من روى الافراد والتمتع اختلف عليه في ذلك فاشهر من روى عنه
الافراد عائشة وقد ثبت عنها انه اعتمر في حجته وابن عمر وقد ثبت عنه انه صلى الله عليه وسلم بدا بالعمرة
ثم اهلّ بالحج وجابر وقد روي انه اعتمر مع حجته ايضاً وبان القران رواه عنه صلى الله عليه وسلم جماعة من
الصحابة لم يختلف عليهم فيه وبانه لم يقع في شيء من الروايات النقل عنه من لفظه انه قال افردت ولا تمتعت
بل صح عنه انه قال لولا ان معي الهدي لاحللت وايضاً فان من روى القران لا يحتمل حديثه التاويل الا
بتعسف بخلاف من روى الافراد فانه محمول على اول الحال وينتفي التعارض ويؤيده ان من جاء عنه الافراد
جاء عنه صورة القران ومن روى عنه التمتع فانه محمول على سفر واحد للنسكين ويؤيده ان من جاء عنه التمتع
لما وصفه وصفه بصورة القران لانهم اتفقوا على انه لم يحل من عمرته حتى اتم عمل جميع الحج وهذه احدى
صور القران وايضاً فان رواية القران جاءت عن بضعة عشر صحابياً انتهى وعدّهم ابن القيم سبعة عشر
عائشة ام المؤمنين وعبد الله بن عباس وعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعثمان بن عفان باقراره لعلي
وعمران بن الحصين والبراء بن عازب وحفصة ام المؤمنين وابو قتادة وابن ابي اوفى وابو طلحة والهرماس
ابن زياد وام سلمة وانس بن مالك وسعد بن ابي وقاص وجابر وابن عمر قال فهؤلاء سبعة عشر
صحابياً منهم من روى فعله ومنهم من روى لفظ احرامه ومنهم من روى خبره عن نفسه ومنهم من روى امره
به قيل كيف تجعلون منهم ابن عمر وجابراً وعائشة وابن عباس وعائشة تقول اهلّ رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالحج وفي لفظ افرد الحج والاول في الصحيحين والثاني في مسلم وهذا ابن عمر يقول لبّى بالحج وحده
ذكره البخاري وهذا ابن عباس يقول اهلّ بالحج رواه مسلم وهذا جابر يقول افرد الحج رواه ابن ماجه قيل
ان كانت الاحاديث عن هؤلاء تعارضت وتساقطت فان احاديث الباقين لم تعارض فهب ان احاديث
من ذكرتم لا حجة فيها على القران ولا على الافراد فما الموجب للعدول عن احاديث الباقين مع صراحتها
وصحتها فكيف واحاديثهم يصدق بعضها بعضاً ولا تعارض بينها انتهى وهذا ينبغي رفع الشك عن ذلك والمصير

الى انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا ومقتضى ذلك ان يكون القران افضل من الافراد والتمتع وهو قول
جماعة من الصحابة والتابعين وبه قال ابو حنيفة واسحق بن راهويه واختاره من الشافعية المزني
وابن المنذر وابو اسحق المروزي ومن المتاخرين الشيخ تقي الدين السبكي وبحث مع النووي في
اختياره انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا وان الافراد مع ذلك افضل مستندا الى انه صلى الله عليه
وسلم اختار الافراد اولا ثم ادخل عليه العمرة لبيان جواز الاعتمار في اشهر الحج لكونهم كانوا يعتقدونه
من افجر الفجور واجيب بان البيان قد سبق منه صلى الله عليه وسلم في عمره الثلاث فانه احرم بكل
منها في ذي القعدة عمرة الحديبية التي صد عن البيت فيها وعمرة القضية وعمرة الجعرانة ولو كان
اراد باعتماره مع حجته بيان الجواز فقط مع ان الافضل خلافه لاكتفى بذلك في امره اصحابه ان يفسخوا
حجهم الى العمرة انتهى ومذهب الشافعي ومالك وكثيرين ان افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران وقد
ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى ان التمتع افضل وهو مذهب احمد لكونه صلى الله
عليه وسلم تمناه فقال لولا اني سقت الهدي لاحللت ولا يتمنى الا الافضل واجيب بانه انما تمناه
تطييبا لقلوب اصحابه لحزنهم على فوات موافقته والا فالافضل ما اختاره الله له واستمر عليه
صلى الله عليه وسلم واما انه يكون بانه صلى الله عليه وسلم لبى بالعمرة واستمر عليها فحجته حديث
ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج الحديث
رواه وقال ابن شهاب عن عروة ان عايشة اخبرته عن النبي صلى الله عليه وسلم في
تمتعه بالعمرة الى الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي اخبرني سالم عن ابن عمر وقال ابن عباس قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه عمرة استمتعنا بها وقال سعد بن ابي وقاص في المتعة صنعها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه واجيب بان التمتع عندهم يتناول القران وبذلك ما في
الصحيحين عن سعيد بن المسيب اجتمع علي وعثمان بعسفان فكان عثمان ينهى عن المتعة فقال علي
ما تريد الى امر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهى عنه فقال عثمان دعنا منك فقال اني لا
استطيع ان ادعك فلما راى علي ذلك اهل بهما جميعا فهذا يبين ان من جمع بينهما كان متمتعا عندهم
وان هذا هو الذي فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافقه عثمان على انه صلى الله عليه وسلم
فعله لكن كان النزاع بينهما هل ذلك الافضل في حقنا ام لا وقد اتفق علي وعثمان على انه عليه السلام
تمتع وان المراد بالتمتع عندهم القران وايضا فانه عليه السلام قد تمتع متعة قران باخبار من قضية ترك
احد السفرين انتهى وفي فتح الباري عند احمد ان من ساق الهدي فالقران له افضل ليوافق فعل النبي صلى
الله عليه وسلم ومن لم يسق الهدي فالتمتع له افضل ليوافق ما تمناه وامر به اصحابه انتهى واما من قال
انه صلى الله عليه وسلم حج مفردا ثم اعتمر عقبه من التنعيم او غيره فهو غلط لم يقله احد من الصحابة
ولا التابعين ولا الائمة الاربعة ولا احد من اهل الحديث قاله ابن تيمية واما من قال انه حج متمتعا
حل فيه من احرامه ثم احرم يوم التروية بالحج مع سوق الهدي فحجته حديث معوية انه صلى الله عليه وسلم
قصر عن راسه بمشقص على المروة وحديثه في الصحيحين ولا يمكن ان يكون هذا في غير حجة الوداع لان
معوية اسلم بعد الفتح والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن زمن الفتح محرما ولا يمكن ان يكون في عمرة الجعرانة
لوجهين احدهما انه في بعض الفاظ الصحيح وذلك في حجته الثاني ان في رواية النسائي باسناد صحيح وذلك
في ايام العشر وهذا انما كان في حجته وهذا مما انكره الناس على معوية وغلطوه فيه واصاب فيه ما اصاب

ابن عمر

ابن عمر فقوله اعتمر في رجب كما سياتي وسائر الاحاديث الصحيحة كلها تدل على انه صلى الله عليه وسلم
لم يحل من احرامه الى يوم النحر وبذلك اخبر عن نفسه بقوله لولا ان معي الهدي لاحللت وقوله اني
سقت الهدي وقرنت فلا احل حتى انحر وهذا خبر عن نفسه لا يدخله الوهم ولا الغلط بخلاف خبر غيره
عنه قاله في زاد المعاد واما اختلاف الروايات عنه صلى الله عليه وسلم في اهلاله هل هو بالحج او
العمرة او القران والجمع بينها فكل تاول بما يناسب مذهبه الذي قلده قال البغوي والذي
ذكره الشافعي في كتاب اختلاف الاحاديث كلاما موجزه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان منهم المفرد والقارن والمتمتع فكل كان ياخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل
اليه على معنى انه امر بها واذن فيها ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الامر به كما يجوز اضافته
الى الفاعل له كما يقال بنى فلان دارا ويريد انه امر ببنائها وكما روي انه عليه الصلوة والسلام رجم
ماعزا وانما امر برجمه ثم احتج بانه عليه السلام كان افرد الحج انتهى وقال الخطابي بنحوه وقال
النووي كان صلى الله عليه وسلم اولا مفردا ثم احرم بالعمرة بعد ذلك وادخلها على الحج فصار قارنا
فمن روى الاصل يعني حمله على ما اهل به في اول الحال ومن روى القران اراد ما استقر عليه امره
ومن روى التمتع اراد به التمتع اللغوي وهو الانتفاع والارتفاق وقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة وهو
الاقتصار على فعل واحد وقال غيره اراد بالتمتع ما امر به غيره كما قلناه وبهذا الجمع تنتظم الاحاديث كلها
ويزول عنها الاضطراب والتناقض وقالت طائفة انما احرم صلى الله عليه وسلم قارنا واحتجوا
باحاديث صحيحة صريحة تزيد على العشر منها حديث انس في صحيح مسلم ان لفظ النبي صلى الله عليه وسلم
كان اهلالا بحج وعمرة معا واما من قال انه عليه السلام اهل بالعمرة وادخل عليها الحج فحجته ما في
البخاري من حديث ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج فساق
معه الهدي من ذي الحليفة وبدا صلى الله عليه وسلم فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج وقد تقدم في الاحاديث
الكثيرة الصريحة انه صلى الله عليه وسلم بدا بالاهلال بالحج ثم ادخل عليه العمرة وهذا عكسه والمشكل
في هذا الحديث قوله بدا فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج واجيب عنه بان المراد به صورة الاهلال اي لما ادخل
العمرة على الحج لبى بهما فقال لبيك بعمرة وحجة معا ومذهب الشافعي انه لو ادخل الحج على العمرة قبل
الطواف صح وصار قارنا فلو احرم بالحج ثم ادخل عليه العمرة ففيه قولان للشافعي اصحهما لا يصح احرامه
بالعمرة لان الحج اقوى منها لاختصاصه بالوقوف والرمي والضعيف لا يدخل على القوي انتهى وعن ابن عباس
قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته فاشعرها في صفحة سنامها الايمن
وسلت الدم عنها وقلدها نعلين رواه ابو داود وفي رواية الترمذي قلد نعلين واشعر الهدي في الشق
الايمن بذي الحليفة واماط عنه الدم وفي رواية لابي داود بمعناه وقال ثم سلت الدم بيده وفي اخرى
باصبعه وعند النسائي اشعر بدنه من الجانب الايمن وسلت الدم عنها وقلدها وفي اخرى امر ببدنه فاشعر
في سنامها من الشق الايمن ثم سلت عنها الدم وقلدها نعلين وكان حجه صلى الله عليه وسلم على رحل رث
يساوي اربعة دراهم رواه الترمذي في الشمائل وابن ماجه من حديث انس والطبراني في الاوسط من حديث
ابن عباس وعن اسماء بنت ابي بكر قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاجا حتى اذا كنا
بالعرج نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلنا فجلست عايشة الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجلست الى جنب ابي بكر وكانت زمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمالة ابي بكر واحدة مع غلام

لابي بكر فجلس ابو بكر ينتظر ان يطلع عليه فطلع عليه وليس معه بعيره فقال له ابو بكر اين بعيرك قال
اضللته البارحة قال ابو بكر بعير واحد تضله وطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم
ويقول انظروا الى هذا المحرم ما يصنع وما يزيد على ذلك ويتبسم رواه ابو داود وخرج صلى الله عليه
وسلم اصحابه لا يعرفون الا الحج كما قالت عائشة فبين لهم عليه السلام وجوه الاحرام وجوز لهم الاعتمار
في اشهر الحج فقال من احب ان يهل بعمرة فليهل ومن احب ان يهل بحج فليهل رواه البخاري ولاحمد من شاء
فليهل بعمرة ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الابواء او ودان اهدى له الصعب بن جثامة حمارا وحشيا
فرده عليه فلما راى ما في وجهه قال انا لم نرده عليك الا انا حرم رواه البخاري ومسلم وله في رواية حمار
وحش وفي اخرى من لحم حمار وحش وفي رواية عجز حمار وحش يقطر دما وفي رواية شق حمار وحش
وفي رواية عضوا من لحم صيد ورواه ابو داود وابن حبان من طريق عطاء عن ابن عباس انه قال
يا زيد بن ارقم هل علمت ان رسول الله فذكره واتفقت الروايات كلها انه رده عليه الا ما رواه
ابن وهب والبيهقي من طريقه باسناد حسن من طريق عمرو بن امية ان الصعب اهدى للنبي صلى
الله عليه وسلم عجز حمار وحش وهو بالجحفة فاكل منه واكل القوم قال البيهقي ان كان هذا محفوظا
فلعله رد الحي وقبل اللحم قال في فتح الباري وفي هذا الجمع نظر فان كانت الطرق محفوظة فلعله رده
حيا لكونه صيد لاجله ورد اللحم تارة لذلك وقبله تارة اخرى حيث علم انه لم يصد لاجله وقد قال
الشافعي في الام ان كان الصعب اهدى حمارا حيا فليس للمحرم ان يذبح حمار وحش وان كان اهدى له
لحما فقد يحتمل ان يكون علم انه صيد لاجله فرده عليه ونقل الترمذي عن الشافعي انه رده لظنه انه
صيد من اجله فتركه على وجه التنزه ويحتمل ان يكون القبول المذكور في حديث عمرو بن امية على وقت
اخر وهو حال رجوعه صلى الله عليه وسلم من مكة ويؤيده انه جازم فيه بوقوع ذلك في الجحفة وفي غيرها
من الروايات بالابواء او بودان وقال القرطبي يحتمل ان يكون الصعب احضر الحمار مذبوحا ثم قطع منه
عضوا بحضرته صلى الله عليه وسلم فقدمه له فمن قال اهدى له حمارا اراد بتمامه مذبوحا لا حيا ومن
قال لحم حمار اراد ما قدمه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل ان يكون من قال حمارا اطلق واراد بعضه مجازا
قال ويحتمل انه اهداه له حيا فلما رده عليه ذكاه واتاه بعضو منه ظانا انه انما رده عليه لمعنى يختص
بجملته فاعلمه بامتناعه ان حكم الجزء حكم الكل قال والجمع مهما امكن اولى من توهيم بعض الرواة قال
النووي قال الشافعي واصحابه ويحرم تملك الصيد بالبيع والهبة ونحوهما وفي ملكه اياه بالارث خلاف
واما لحم الصيد فان صاده او صيد له فهو حرام سواء صيد له باذنه او بغير اذنه وان صاده حلال لنفسه
وان لم يقصد المحرم ثم اهدى من لحمه للمحرم او باعه لم يحرم عليه هذا مذهبنا وبه قال مالك واحمد وداود
وقال ابو حنيفة لا يحرم عليه ما صيد له بغير اعانة منه وقالت طائفة لا يحل له لحم الصيد اصلا سواء
صاده او صيد له قصده او لم يقصده فيحرم مطلقا حكاه القاضي عياض عن علي وابن عمر وابن عباس
لقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما قالوا والمراد بالصيد المصيد ولظاهر حديث الصعب بن
جثامة فانه صلى الله عليه وسلم رده وعلل رده بانه محرم ولم يقل لانك صدته لنا واحتج الشافعي ومن وافقه
بحديث ابي قتادة المذكور في صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال في الصيد الذي صاده ابو قتادة وهو
حلال قال للمحرمين هو حلال فكلوه وفي الرواية الاخرى قال هل معكم منه شيء قالوا معنا رجله فاخذها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكلها ولما مر صلى الله عليه وسلم بوادي عسفان قال يا ابا بكر اي واد هذا

قال

بهما

قال وادي عسفان قال لقد مر به هود وصالح على بكرين احمرين خطمهما الليف وازرهم العبا واردي
النمار يلبون يحجون البيت العتيق رواه احمد وفي رواية مسلم من حديث ابن عباس انه مر بوادي
الازرق قال كاني انظر الى موسى هابطا من الثنية واضعا اصبعيه في اذنيه مارا بهذا الوادي وله جؤار الى
الله بالتلبية ووادي الازرق خلف امج بفتح الهمزة والميم وبالجيم قرية ذات مزارع بينه وبين مكة ميل
واحد ولم يعين في رواية البخاري الوادي ولفظه اما موسى كاني انظر اليه اذا انحدر في الوادي يلبي
قال المهلب هذا وهم من بعض رواته لانه لم يات في اثر ولا خبر ان موسى حي وانه سيحج وانما اتى
ذلك عن عيسى فاشتبه على الراوي ويدل عليه قوله في الحديث الاخر ليهلن ابن مريم بفج الروحاء انتهى
وهو تغليط للثقات بمجرد التوهم وقد ذكر البخاري الحديث في اللباس من صحيحه بزيادة ذكر ابراهيم فيه
افيقال ان الراوي غلط فزاده وفي رواية مسلم المتقدمة ذكر يونس افيقال ان الراوي الاخر غلط فزاد يونس
وتعقب ايضا بان توهيم المهلب للراوي وهم منه والا فاي فرق بين موسى وعيسى لانه لم يثبت ان
عيسى منذ رفع نزل الى الارض وانما ثبت انه سينزل واجيب بان المهلب اراد ان عيسى لما ثبت انه
سينزل كان كالمحقق فقال كاني انظر اليه ولهذا استدل المهلب بحديث ابي هريرة الذي فيه ليهلن
ابن مريم بالحج وقد اختلف في معنى قوله كاني انظر اليه فقيل ان ذلك رؤيا منام تقدمت له فاخبر عنها لما
حج عندما تذكر ذلك ورؤيا الانبياء وحي وقيل هو على الحقيقة لان الانبياء احياء عند ربهم يرزقون فلا مانع
ان يحجوا في هذه الحالة كما في صحيح مسلم عن انس انه راى موسى عليه السلام قائما في قبره يصلي قال القرطبي
حببت اليهم العبادة فهم يتعبدون بما يجدونه من دواعي انفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم اهل الجنة الذكر
ويؤيده ان عمل الاخرة ذكر ودعاء لقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم الاية لكن تمام هذا التوجيه ان يقال
المنظور اليه هي ارواحهم فلعلها مثلت له صلى الله عليه وسلم في الدنيا كما مثلت له ليلة الاسراء واما اجسادهم
فهي في القبور قال ابن المنير وغيره يجعل الله لروحه مثالا فيرى في اليقظة كما يرى في النوم وقيل كانه
مثلت احوالهم التي كانت في الحياة الدنيا كيف تعبدوا وكيف حجوا وكيف لبوا ولهذا قال كاني وقيل كانه
اخبر بالوحي عن ذلك فلشدة قطعه به قال كاني انظر اليه انتهى وقد تعرضت في مقصد الاسراء من ذلك لما يكفي
والله الموفق ولما نزل صلى الله عليه وسلم بسرف خرج الى اصحابه فقال من لم يكن معه هدي فاحب
ان يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه الهدي فلا وحاضت عائشة فدخل عليها صلى الله عليه وسلم وهي تبكي
فقال ما يبكيك يا هنتاه قالت سمعت قولك لاصحابك فمنعت العمرة قال وما شانك قلت لا اصلي قال
فلا يضرك انما انت امراة من بنات ادم كتب الله عليك ما كتب عليهن فكوني في حجك فعسى الله ان يرزقكيها
رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وفي رواية قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذكر
الا الحج حتى جئنا سرف فطمثت فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكي فقال ما يبكيك فقلت
والله لوددت اني لم اكن خرجت العام فقال ما لك لعلك نفست قلت نعم قال هذا شيء كتبه الله على بنات
ادم فافعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت حتى تطهري الحديث وقد اختلف فيما احرمت به عائشة
كما اختلف هل كانت متمتعة ام مفردة واذا كانت متمتعة فقيل انها كانت اولا احرمت بالحج وهو ظاهر
هذا الحديث وفي حجة الوداع من المغازي عند البخاري من طريق هشام بن عروة عن ابيه قالت وكنت فيمن اهل
بعمرة وزاد احمد من وجه اخر عن الزهري ولم اسق هديا وفي رواية الاسود عنها قالت خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم نلبي لا نذكر حجا ولا عمرة ويحمل في الجمع ان يقال اهلت عائشة بالحج مفردة كما صنع غيرها

من الصحابة ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم ان نفسخ الحج الى العمرة ففعلت عايشة ما صنعوا فصارت
متمتعة ثم لما دخلت مكة وهي حايض ولم تقدر على الطواف لاجل الحيض امرها ان تحرم بالحج وقال
القاضي عياض واختلف في الكلام على حديث عايشة فقال مالك ليس العمل على حديث عروة
عن عايشة عندنا قديما ولا حديثا قال ابن عبد البر يريد ليس العمل عليه في رفض العمرة وجعلها حجا
بخلاف جعل الحج عمرة فانه وقع للصحابة واختلف في جوازه من بعدهم لكن اجاب جماعة من العلما
عن ذلك باحتمال ان يكون معنى قوله ارفضي عمرتك اي اتركي التحلل منها وادخلي عليها الحج فتصير قارنة
ويؤيده قوله في رواية لمسلم وامسكي عن العمرة اي عن اعمالها وانما قالت عايشة وارجع بحج لاعتقادها
ان افراد العمرة بالعمل افضل كما وقع لغيرها من امهات المومنين واستبعد هذا التاويل لقولها
في رواية عطا عنها وارجع انا بحجة ليس معها عمرة اخرجه احمد وهذا يقوي قول الكوفيين ان عايشة
تركت العمرة وحجت مفردة وتمسكوا في ذلك بقولها دعي عمرتك وفي رواية اقضي عمرتك ونحو ذلك
واستدلوا بذلك على ان المراة اذا اهلت بالعمرة متمتعة فحاضت قبل ان تطوف ان تترك العمرة
وتهل بالحج مفردة كما صنعت عايشة لكن في رواية عطا عنها ضعف والرافع للاشكال في ذلك ما
رواه مسلم من حديث جابر ان عايشة اهلت بعمرة حتى اذا كانت بسرف حاضت فقال لها النبي
صلى الله عليه وسلم اهلي بالحج حتى اذا طهرت طافت بالكعبة وسعت فقال قد حللت من حجك وعمرتك
قالت يا رسول الله اني اجد في نفسي اني لم اطف بالبيت حين حججت قال فاعمرها من التنعيم ولمسلم
من طريق طاوس عنها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم طوافك يسعك لحجك وعمرتك فهذا صريح
في انها كانت قارنة لقوله قد حللت من حجك وعمرتك وانما اعمرها من التنعيم تطييبا لقلبها لكونها
لم تطف بالبيت لما دخلت معتمرة وقد وقع في رواية مسلم وكان صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا اذا
هويت الشي تابعها عليه ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من كان معه هدي فليهلل بالحج مع
العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا وانما قال لهم هذا القول بعد احرامهم بالحج وفي منتهى سفرهم ودنوهم
من مكة بسرف كما جا في رواية عايشة او بعد طوافه بالبيت كما جا في رواية جابر ويحتمل تكرار الامر
بذلك في الموضعين وان العزيمة كانت آخرا حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة وفي رواية قالت عايشة فمنا
من اهل بعمرة ومنا من اهل بحج حتى قدمنا مكة فقال صلى الله عليه وسلم من احرم بعمرة ولم يهد فليحلل ومن
احرم بعمرة واهدى فلا يحل حتى ينحر هديه ومن اهل بحج فليتم حجه وهذا الحديث ظاهر في الدلالة لابي حنيفة
واحمد وموافقيهما في ان المعتمر المتمتع اذا كان معه الهدي لا يتحلل من عمرته حتى ينحر هديه يوم النحر ومذهب
مالك والشافعي وموافقيهما انه اذا طاف وسعى وحلق حل من عمرته وحل له كل شي في الحال سوا كان
ساق الهدي ام لا واحتجوا بالقياس على من لم يسق الهدي وبانه تحلل من نسكه فوجب ان يحل له كل شي
كما لو تحلل المحرم بالحج واجابوا عن هذه الرواية بانها مختصرة من الرواية التي ذكرها مسلم عن عايشة
قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فاهللنا بعمرة ثم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من كان معه هدي فليهلل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا فهذه الرواية مفسرة
للمحذوف من الرواية التي احتج بها ابو حنيفة وتقديرها ومن احرم بعمرة واهدى فليهلل بالحج ولا يحل حتى ينحر هديه
ولا بد من هذا التاويل لان القصة واحدة والراوي واحد فيتعين الجمع بين الروايتين على ما ذكر والله اعلم
ولما بلغ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الطوى بضم الطا وفتحها وكسرها والاصيلي بالكسر عند ابا ب

الزاهر بات بطاهر الثنيتين فلما اصبح صلى الغداة ثم اغتسل رواه البخاري وللنسائي كان عليه
السلام ينزل بذي طوى يبيت به يصلي صلاة الصبح حين يقدم الى مكة فمصلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذلك على اكمة خشنة غليظة ليس في المسجد الذي بني ثم ولكن من اسفل ذلك على اكمة
خشنة غليظة وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم دخلها من اعلاها وفي حديث ابن عمر في الصحيح
كان صلى الله عليه وسلم يدخل من الثنية العليا يعني اعلا مكة من كدا بفتح الكاف والمد قال
ابو عبيد لا يصرف وهذه الثنية هي التي ينزل منها الى المعلاة مقبرة مكة وهي التي يقال لها الحجون
بفتح الحا المهملة وضم الجيم ولم يقع انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة ليلا الا في عمرة الجعرانة فانه صلى الله
عليه وسلم احرم من الجعرانة ودخل مكة ليلا فقضى امر العمرة ثم رجع ليلا فاصبح بالجعرانة كما رواه اصحاب
السنن الثلاثة من حديث محرش الكعبي وعن عطا قال ان شئتم فادخلوا ليلا انكم لستم كرسول الله
صلى الله عليه وسلم انه كان اماما فاحب ان يدخلها نهارا ليراه الناس رواه النسائي ثم دخل عليه
الصلوة والسلام مكة لاربع خلون من ذي الحجة ودخل المسجد الحرام ضحى من باب بني عبد مناف
وهو باب بني شيبة والمعنى فيه ان باب الكعبة في جهة الباب والبيوت تؤتى من ابوابها وايضا
فلان جهة باب الكعبة اشرف الجهات الاربع كما قاله ابن عبد السلام في القواعد وكان عليه السلام
اذا راى البيت قال اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وبرا رواه الثوري عن ابي سعيد الشامي
عن مكحول وروى الطبراني عن حذيفة بن اسيد كان عليه السلام اذا نظر البيت قال اللهم زد بيتك
هذا تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا ومهابة وزد من شرفه وعظمه ممن حجه او اعتمره تعظيما وتشريفا
وبرا ومهابة ولم يركع عليه السلام تحية المسجد انما بدا بالطواف لانه تحية البيت كما صرح به كثير
من اصحابنا وليس بتحية المسجد ثم استلم صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود وفي رواية جابر عند الشافعي
استلم الركن والاستلام افتعال من السلام اي التحية قاله الازهري وقيل من السلام بالكسر اي الحجارة
والمعنى انه يومي بعصاه الى الركن حتى يصيبه وكانت محجنة الراس وهي المراد بقوله في الحديث بالمحجن
واعلم ان للبيت اربعة اركان الاول له فضيلتان كون الحجر الاسود فيه وكونه على قواعد ابراهيم
وللثاني الثانية فقط وليس للاخيرين شي منهما فلذلك يقبل الاول ويستلم الثاني فقط ولا يقبل الاخران
ولا يستلمان وروى الشافعي عن ابن عمر قال استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر واستلمه
ثم وضع شفتيه عليه طويلا رواه الطبراني وكان اذا استلم الركن قال بسم الله والله اكبر وكلما اتى الحجر قال
الله اكبر رواه الطبراني وهل كان صلى الله عليه وسلم طايفا على بعيره ام على قدميه ففي مسلم عن عايشة
طاف عليه السلام في حجة الوداع على بعيره وفيه عن ابي الطفيل رايته عليه السلام يطوف بالبيت على
بعيره وقد اختلف في علة ذلك فروى ابو داود من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قدم مكة
وهو يشتكي فطاف على راحلته وفي حديث جابر عند مسلم انه صلى الله عليه وسلم طاف راكبا ليراه الناس
وليسالوه فيحتمل ان يكون فعل ذلك للامرين قال ابن بطال فيه جواز دخول الدواب التي يوكل لحمها
المسجد اذا احتيج الى ذلك لان بولها لا ينجسه بخلاف غيرها من الدواب وتعقب بانه ليس في الحديث
دلالة على عدم الجواز مع الحاجة بل ذلك دائر مع التلويث وعدمه فحيث يخشى التلويث يمتنع الدخول
وقد قيل ان ناقته عليه السلام كانت منوقة اي مدربة معلمة فيومن معها ما يحذر من التلويث
قال بعضهم وهذا كان والله اعلم في طواف الافاضة لا في طواف القدوم فان جابرا حكى عنه الرمل في
الثلاثة الاول وذلك لا يكون الا مع المشي ولم ينقل احد رملت به راحلته وانما قالوا رمل اي نفسه وقال

الشافعي اما سعيه الذي طاف بقدمه فعلى قدميه انتهى ولما استلم صلى الله عليه وسلم الحجر مضى على
يمينه ورمل ثلثا ومشى اربعا وكان ابتدا الرمل في عمرة القضية لما قدم صلى الله عليه وسلم واصحابه
مكة وقد وهنتهم حمى يثرب فقال المشركون انه يقدم عليكم غدا قوم قد وهنتهم الحمى ولقوا منها
شدة فجلسوا مما يلي الحجر وامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يرملوا ثلاثة اشواط ويمشوا بين الركنين
ليرى المشركون جلدهم فقال المشركون هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم هؤلاء اجلد من كذا وكذا
رواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن عباس ولما كان في حجة الوداع رمل صلى الله عليه وسلم واصحابه
فكانت سنة مستقلة قال الطبري فقد ثبت انه عليه السلام رمل ولا مشرك يومئذ بمكة يعني
في حجة الوداع فعلم انه من مناسك الحج الا ان تاركه ليس تاركا لعمل بل لهيئة مخصوصة فكان
كرفع الصوت بالتلبية فمن لبى خافضا صوته لم يكن تاركا للتلبية بل لصفتها فلا شيء عليه انتهى فلو ترك
الرمل في الثلث لم يقضه في الاربع لان هيئتها السكينة فلا تتغير والله اعلم ولما فرغ صلى الله عليه وسلم
من طوافه اتى المقام فقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى فصلى ركعتين والمقام بينه وبين البيت
قرا فيهما بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ثم رجع الى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب الى الصفا
فلما دنا من الصفا قرا ان الصفا والمروة من شعائر الله ابدا بما بدا الله به فبدا بالصفا فرقي عليه
حتى راى البيت واستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم
دعا بين ذلك قال هذا ثلث مرات ثم نزل الى المروة حتى اذا انصبت قدماه في بطن الوادي رمل حتى
اذا صعدتا مشى حتى اتى المروة وفي حديث ابي الطفيل عند مسلم وابي داود قال قلت لابن عباس اخبرني
عن الطواف بين الصفا والمروة راكبا اسنة هو فان قومك يزعمون انه سنة قال صدقوا وكذبوا
قلت وما قولك صدقوا وكذبوا قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر عليه الناس يقولون
هذا محمد هذا محمد حتى خرج العواتق من البيوت قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب
الناس بين يديه فلما كثر عليه ركب والمشي والسعي افضل هذا لفظ رواية مسلم وفي اوله ذكر الرمل في
طواف البيت وعند ابي داود ان قريشا قالت زمن الحديبية دعوا محمدا واصحابه حتى يموتوا موت النغف
فلما صالحوه على ان يحجوا العام المقبل فيقيموا ثلاثة ايام فقدم عليه السلام فقال لاصحابه ارملوا
بالبيت وفيه طاف صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على بعيره لان الناس كانوا لا يدفعون عنه
صلى الله عليه وسلم ولا يضربون عنه فطاف على بعيره ليسمعوا كلامه وليروا مكانه ولا تناله ايديهم قال
وكان صلى الله عليه وسلم اذا وصل الى المروة رقي عليها واستقبل البيت وكبر الله ووحده كما فعل على الصفا
حتى اذا كان اخر طوافه على المروة قال لو اني استقبلت من امري ما استدبرت لم اسق الهدي وجعلتها
عمرة فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة بن جعشم فقال يا رسول الله العامنا
هذا ام لابد فشبك صلى الله عليه وسلم اصابعه واحدة في الاخرى وقال دخلت العمرة في الحج هكذا مرتين
لا بل لابد ابد وهذا معنى فسخ الحج الى العمرة قال النووي وقد اختلف في هذا الفسخ هل هو خاص للصحابة
تلك السنة خاصة ام باق لهم ولغيرهم الى يوم القيمة فقال احمد وطائفة من اهل الظاهر ليس خاصا بل هو
باق الى يوم القيمة فيجوز لكل من احرم بالحج وليس معه هدي ان يقلب احرامه عمرة ويتحلل باعمالها
وقال مالك والشافعي وابو حنيفة وجماهير العلماء من السلف والخلف هو مختص بهم في تلك السنة لا
يجوز بعدها وانما امروا به تلك السنة ليخالفوا ما كانت عليه الجاهلية من تحريم العمرة في اشهر الحج ومما

يستدل

يستدل به للجماهير حديث ابي ذر في مسلم كانت المتعة في الحج لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة
يعني فسخ الحج الى العمرة وفي النسائي عن الحارث بن بلال عن ابيه قال قلت يا رسول الله ارايت فسخ الحج
الى العمرة لنا خاصة ام للناس عامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا خاصة قال واما الذي في
حديث سراقة العامنا هذا ام لابد فقال لابد ابد فمعناه جواز الاعتمار في اشهر الحج والقران كما سبق تفسيره
فالحاصل من مجموع طرق الاحاديث ان العمرة في اشهر الحج جائزة الى يوم القيمة وكذا القران وان فسخ الحج
الى العمرة مختص بتلك السنة والله اعلم انتهى وفي رواية للنسائي ايضا لا تصلح المتعتان الا لنا خاصة يعني
متعة النساء ومتعة الحج ومتعة النساء نكاح المراة الى اجل كان ذلك مباحا ثم نسخ يوم خيبر ثم ابيح
يوم فتح مكة ثم نسخ في ايام الفتح واستمر تحريمه الى يوم القيمة وقد كان فيه خلاف في العصر الاول
ثم ارتفع واجمعوا على تحريمه وكان صلى الله عليه وسلم مدة مقامه بمنزله الذي نزل به بالمسلمين بظاهر
مكة يقصر الصلاة فيه وكانت مدة اقامته بمكة قبل الخروج الى منى اربعة ايام ملفقة لانه قدم في الرابع
وخرج في الثامن فصلى بها احدى وعشرين صلاة من اول ظهر الرابع الى اخر ظهر الثامن ومن يوم
تحوله عليه السلام مكة وخروجه يوم النفر الثاني من منى الى الابطح عشرة ايام سواء وقدم علي من اليمن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بما اهللت فقال بما اهل به رسول الله فقال لولا ان معي الهدي
لاحللت رواه الشيخان من حديث انس وفي حديث البراء عند الترمذي والنسائي دخل علي على فاطمة رضي
الله عنها فوجدها قد نضحت البيت بنضوح فتعصب فقالت ما لك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد امر اصحابه فاحلوا قال قلت لها اني اهللت باهلال النبي صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فقال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف صنعت قال وقال لي انحر من البدن سبعا وستين او ستا وستين
وامسك لنفسك ثلثا وثلثين او اربعا وثلثين وامسك من كل بدنة منها بضعة وفي رواية جابر عند
مسلم فوجد فاطمة ممن حل ولبست ثيابا صبيغا واكتحلت فانكر ذلك عليها فقالت ابي امرني بهذا فقال
صدقت صدقت ماذا قلت حين فرضت الحج قال قلت اللهم اني اهل بما اهل به رسولك قال فان معي الهدي
فلا تحل قال فكان جماعة الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي اتى به النبي صلى الله عليه وسلم مائة قال
فحل الناس كلهم وقصروا الا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدي فلما كان يوم التروية وكان يوم
الخميس ضحى ركب النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه بالمسلمين الى منى وقد احرم بالحج من كان احل منهم وصلى
صلى الله عليه وسلم يعني الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس وامر بقبة
من شعر فضربت له بنمرة فسار على طريق ضب ولا تشك قريش الا انه واقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة كما
كانت قريش تصنع في الجاهلية وكانت الحمس وهم من قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن
قطين الله اي جيران بيته فلا نخرج من حرمه وكان الناس كلهم يقفون بعرفات وذلك قوله تعالى ثم افيضوا
من حيث افاض الناس وعن جبير بن مطعم قال اضللت جملا لي في الجاهلية فوجدته بعرفة فرايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفات مع الناس فلما اسلمت عرفت ان الله وفقه لذلك وفي رواية كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية يقف مع الناس بعرفة على جمل له ثم يصبح مع قومه بالمزدلفة فيقف معهم
ويدفع اذا دفعوا انتهى ولما بلغ صلى الله عليه وسلم عرفة وجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى اذا
زاغت الشمس امر بالقصوا فرحلت له فركب فاتى بطن الوادي فخطب الناس وقال ان دماءكم واموالكم
حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الا كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء

بالجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحرث كان مسترضعا في بني سعد
فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضع ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع
كله فاتقوا الله في النسا فانكم اخذتموهن بامان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا
يوطئن فراشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن
بالمعروف وقد تركت فيكم ما ان لا تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله وانتم تسئلون عني فما انتم
قائلون قالوا نشهد انك قد بلغت واديت ونصحت فقال باصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكتها الى
الناس اللهم اشهد ثلث مرات ثم اذن بلال ثم اقام فصلى الظهر ثم اقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيا
وهذا الجمع المذكور مختص بالمسافرين عند الجمهور وعن مالك والاوزاعي وهو وجه للشافعية ان الجمع بعرفة
وجمع للنسك يجوز لكل احد قال الاسنوي فلا يجوز الا للمسافر بلا خلاف قال الشافعي والاصحاب
واذا خرج الحاج يوم التروية ونووا الذهاب الى اوطانهم عند فراغ مناسكهم كان لهم القصر من حين خروجهم
ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاته ركب حتى اتى الموقف فجعل بطن ناقته القصوى الى الصخرات وجعل
جبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة وكان اكثر دعائه يوم عرفة صلى الله عليه وسلم يوم عرفة في الموقف
اللهم لك الحمد كالذي نقول وخيرا مما نقول اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي ولك
رب تراثي اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الامر اللهم اني اعوذ بك من شر ما
تجيء به الريح رواه الترمذي من حديث علي وفي رواية ذكرها رزين كان اكثر دعائه صلى الله عليه وسلم في
يوم عرفة بعد قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له اللهم لك الحمد كالذي نقول اللهم لك صلاتي ونسكي ومماتي
واليك مآبي وعليك يا رب ثوابي اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ومن وسوسة الصدر ومن شتات
الامر ومن شر كل ذي شر وفي الترمذي افضل الدعاء دعاء يوم عرفة وافضل ما قلت انا والنبيون لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وكان من دعائه في عرفة ايضا كما في الطبراني
الصغير من حديث ابن عباس اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي لا يخفى عليك شيء من امري
انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنوبه اسألك مسألة المسكين وابتهل اليك
ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه وذل
جسده ورغم انفه لك اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما يا خير المسئولين ويا خير المعطين
واتاه صلى الله عليه وسلم ناس من نجد وهو بعرفة فسالوه كيف الحج فامر مناديا ينادي الحج عرفة من جاء ليلة جمع
قبل طلوع الفجر فقد ادرك الحج ايام منى ثلثة فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه رواه الترمذي
وفي رواية جابر عند ابي داود قال صلى الله عليه وسلم بعرفة وقفت ههنا وعرفة كلها موقف وهناك انزلت
عليه اليوم اكملت لكم دينكم الاية كما في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهناك سقط رجل من
المسلمين عن راحلته وهو محرم فمات فامر صلى الله عليه وسلم ان يكفن في ثوبيه ولا يمس بطيب وان يغسل بماء
وسدر ولا يغطى راسه ولا وجهه واخبر ان الله يبعثه يوم القيمة يلبي رواه البخاري ومسلم اي يبعث على هيئته
التي مات عليها واستدل بذلك على بقاء احرامه خلافا للمالكية والحنفية قال النووي يتناول هذا الحديث
على ان النهي عن تغطية وجهه ليس لكون المحرم لا يجوز له تغطية وجهه بل هو صيانة للراس فانهم لو غطوا وجهه
لم يؤمن ان يغطوا راسه انتهى قال الحافظ ابن حجر وكان وقوع المحرم المذكور عند الصخرات من عرفة والله
اعلم ولما غربت الشمس بحيث ذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص افاض صلى الله عليه وسلم من عرفة واردف

اسامة

اسامة خلفه وقد شنق للقصوى الزمام حتى ان راسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده ايها
الناس السكينة السكينة كلما اتى حبلا من الحبال ارخى لها قليلا حتى تصعد ثم مضى من طريق المازمين
وفي رواية ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم سمع وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فاشار بسوطه
وقال ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع يعني بالاسراع وفي رواية ابي داود افاض
من عرفة وعليه السكينة ورديفه اسامة فقال ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بايجاف
الخيل والابل فما رايتها رافعة يديها عادية حتى اتى جمعا وفي رواية اسامة بن زيد عند الشيخين
كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق واخرج الطبراني في المعجم عن سالم
ابن عبد الله عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افاض من عرفة وهو يقول
اليك تعدو قلقا وضينها مخالفا دين النصارى دينها قال في النهاية والحديث مشهور بابن
عمر من قوله والقلق الانزعاج والوضين بالضاد المعجمة حزام الرحل ولما كان في اثناء الطريق نزل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فبال وتوضا وضوءا خفيفا فقال له اسامة الصلاة يا رسول الله فقال
الصلاة امامك فركب حتى اتى المزدلفة وهي المسماة بجمع بفتح الجيم وسكون الميم وسميت بذلك لان ادم
اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة انما سميت جمعا لانه يجمع فيها بين الصلاتين
وقيل لان الناس يجتمعون فيها ويزدلفون الى الله اي يتقربون اليه بالوقوف فيها اتى فصلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بها المغرب والعشا كل واحدة منهما باقامة ولم يصل اثر كل واحدة منهما وفي رواية
فاقام المغرب ثم اناخ الناس في منازلهم ولم يحلوا حتى اقام العشا الاخرة فصلى ثم حلوا وترك عليه
السلام قيام الليل تلك الليلة ونام حتى اصبح لما تقدم له بعرفة من الوقوف من الزوال الى بعد الغروب
واجتهاده عليه السلام في الدعاء وسيره بعد الغروب الى المزدلفة واقتصر فيها على صلاة المغرب والعشا
قصرا ورقد بقية ليلته مع كونه عليه السلام كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه ولكنه اراح نفسه الشريفة
لما تقدم في عرفة ولما هو بصدده يوم النحر من كونه نحر بيده المباركة ثلثا وستين بدنه وذهب الى مكة لطواف
الافاضة ورجع الى منى كما نبه عليه في شرح تقريب الاسانيد وعن عباس بن مرداس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم دعا لامته عشية عرفة بالمغفرة فاجيب اني قد غفرت لهم ما خلا الظالم فاني اخذ للمظلوم منه قال
اي رب ان شئت اعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم وغفرت للظالم فلم يجب عشيته فلما اصبح
بالمزدلفة اعاد الدعاء فاجيب الى ما سال قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم او قال تبسم فقال ابو بكر وعمر رضي
الله عنهما بابي انت وامي ان هذه لساعة ما كنت تضحك فيها فما الذي اضحكك اضحك الله سنك قال
ان عدو الله ابليس لما علم ان الله قد استجاب دعائي وغفر لامتي اخذ التراب فجعل يحثو على راسه
ويدعو بالويل والثبور فاضحكني ما رايت من جزعه رواه ابن ماجه ورواه ابو داود من الوجه الذي رواه
ابن ماجه ولم يضعفه وقد جاء في بعض الروايات عن عباس ما يبين ان المراد من الامة من وقف بعرفة
وقال الطبراني انه محمول بالنسبة الى المظالم على من تاب وعجز عن وفائها وقد رواه البيهقي بنحو رواية ابن ماجه
ثم قال وله شواهد كثيرة فان صح بشواهده ففيه الحجة وان لم يصح فقد قال الله تعالى ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء وظلم بعضهم بعضا دون الشرك انتهى وقال الترمذي في الحديث الصحيح من حج فلم يرفث ولم يفسق
خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وهو مخصوص بالمعاصي المتعلقة بحقوق الله تعالى خاصة دون العباد ولا تسقط
الحقوق انفسها فمن كان عليه صلاة او كفارة ونحوها من حقوق الله تعالى لا تسقط عنه لانها حقوق لا ذنوب انما

الذنب تاخيره فنفس التاخير يسقط بالحج لا هي نفسها فلو اخرها بعد ذلك ثم اخر فالحج المبرور يسقط الاثم الجاني
لا الحقوق وقال ابن تيمية من اعتقد ان الحج يسقط ما وجب عليه من الحقوق كالصلاة يستتاب والا
قتل ولا يسقط حق الادمي بالحج اجماعا واستاذنت سودة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة جمع وكانت ثقيلة
فاذن لها فقالت عايشة فليتني كنت استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استاذنته سودة وفي
رواية فاستاذنته ان تدفع قبل حطمة الناس وكانت امراة بطيئة فاذن لها ان تدفع قبل ان تدفع الناس
قالت عايشة فلان اكون استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استاذنت سودة احب الي من
مفروح به رواه البخاري وفي رواية ابي داود والنساي ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بام سلمة ليلة النحر
فرمت الجمرة قبل الفجر ثم مضت فافاضت فكان ذلك اليوم اليوم الذي يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعني عندها وعند مسلم بعثني من جمع بليل وفي رواية البخاري ومسلم والنساي عن ابن عباس قال
ارسلني صلى الله عليه وسلم مع ضعفة اهله فصلينا الصبح بمنى ورمينا الجمرة وفي الموطا والصحيحين والنساي
عن اسما انها نزلت ليلة جمع عند المزدلفة فقامت تصلي فصلت ساعة ثم قالت يا بني هل غاب القمر قلت لا
ثم صلت ساعة ثم قالت هل غاب القمر قلت نعم قالت فارتحلوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اذن
للظعن بالنجم الثاني والمواهب وقد اختلف السلف في ترك المبيت بالمزدلفة فقال علقمة والنخعي والشعبي
من تركه فاته الحج وقال عطا والزهري وقتادة والشافعي والكوفيون واسحق عليه دم ومن بات بها لم يجز له
الدفع قبل النصف وقال مالك ان مر بها فلم ينزل فعليه دم وان نزل فلا دم عليه متى دفع انتهى ولما طلع
الفجر صلى النبي صلى الله عليه وسلم الفجر حين تبين الصبح باذان واقامة وفي سنن البيهقي والنساي باسناد
صحيح على شرط مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال للفضل بن العباس غداة يوم النحر التقط لي حصى فالتقطت له حصيات
مثل حصى الخذف بالمحجن ولم يكسرها كما يفعل من لا علم عنده وفي رواية للنساي قال عليه السلام لابن عباس
غداة النحر وهو عليه السلام على راحلته هات القط لي فلقطت حصيات من حصى الخذف فلما وضعن في يده قال
بامثال هولا واياكم والغلو في الدين فانما هلك من قبلكم بالغلو في الدين قال العلماء وفي هذا الحديث دليل على
استحباب اخذ الحصيات بالنهار وهو راي البغوي قال ويكون ذلك بعد صلاة الصبح ونص عليه الشافعي في
الام والاملا لكن عند الجمهور كما قال الرافعي على استحباب الاخذ بالليل لفراغهم فيه وهل يستحب ان يلتقط جميع ما
يرمي به في الحج وبه جزم في التنبيه واقره عليه النووي في تصحيحه ولكن الاكثرون كما قال الرافعي على استحباب الاخذ
ليوم النحر خاصة ونص عليه الشافعي ايضا قال في شرح المهذب والاحتياط ان يزيد فربما سقط منها شي انتهى ثم
ركب صلى الله عليه وسلم القصوا حتى اتى المشعر الحرام فرقي عليه فاستقبل القبلة فحمد الله وكبره وهلله ووحده
فلم يزل واقفا حتى اسفر جدا فدفع قبل ان تطلع الشمس وفي رواية عن جابر وكان المشركون لا ينفرون حتى تطلع
الشمس وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره ذلك فنفر قبل طلوع الشمس وفي حديث علي عند الطبري لما اصبح
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة غدا فوقف على قزح واردف الفضل ثم قال هذا الموقف وكل المزدلفة
موقف حتى اذا اسفر دفع وفي رواية جابر واردف صلى الله عليه وسلم الفضل بن عباس وكان رجلا حسن الشعر
ابيض وسيما فلما دفع صلى الله عليه وسلم مرت ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر اليهن فوضع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه الى الشق الاخر ينظر فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده من الشق الاخر ينظر وفي رواية كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امراة من خثعم تستفتيه
فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الاخر قالت يا رسول الله

ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة افاحج عنه قال نعم
وذلك في حجة الوداع رواه الشيخان وغيرهما وقد روى الشافعي من حديث عبد الله بن عباس لكن رجح البخاري
رواية الفضل لانه كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم حينيذ وكان عبد الله بن العباس تقدم الى منى مع
الضعفة فكان الفضل حدث اخاه بما شاهده في تلك الحالة ويحتمل ان يكون سوال الخثعمية وقع بعد رمي
جمرة العقبة بحضرة عبد الله بن عباس فنقله تارة عن اخيه لكونه صاحب القصة وتارة عما شاهده ويويد
ما في الترمذي ان السوال المذكور وقع عند المنحر بعد الفراغ من الرمي وان العباس كان شاهدا وفيه انه
عليه السلام لوى عنق الفضل فقال العباس يا رسول الله لويت عنق ابن عمك قال رايت شابا وشابة
فلم امن عليهما الشيطان وظاهر هذا ان العباس كان حاضرا لذلك فلا مانع ان يكون ابنه عبد الله ايضا كان
معه وفي هذا الحديث دلالة على جواز النيابة في الحج عمن لا يستطيع من الاحيا خلافا لمالك في ذلك ولمن قال
لا يحج عن احد مطلقا كابن عمر ونقل ابن المنذر وغيره الاجماع على انه لا يجوز ان يستنيب من يقدر على الحج
بنفسه في الحج الواجب واما النفل فيجوز عند ابي حنيفة خلافا للشافعي وعن احمد روايتان انتهى وفي رواية ابن
عباس ان اسامة قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة
الى منى فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة رواه الشيخان وغيرهما وفي
رواية جابر فلما اتى عليه السلام بطن محسر حرك ناقته واسرع السير قليلا قال الاسنوي سببه ان النصارى
كانت تقف فيه كما قاله الرافعي او العرب كما قاله في الوسيط فامرنا بمخالفتهم قال وظهر لي فيه معنى اخر وهو
انه مكان نزول العذاب على اصحاب الفيل القاصدين هدم البيت فاستحب فيه الاسراع لما ثبت في الصحيح
امره المارين على ديار ثمود ونحوهم بذلك قال غيره وهذه كانت عادته صلى الله عليه وسلم في المواضع التي نزل فيها
باس الله باعدايه وسمي وادي محسر لان الفيل حسر فيه اي اعيى وانقطع عن الذهاب انتهى ثم سلك صلى الله
عليه وسلم الطريق الوسطى التي تخرج الى الجمرة الكبرى حتى اتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر
مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف ورمى من بطن الوادي وجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه واستقبل الجمرة وكان رميه صلى الله
عليه وسلم يوم النحر ضحى كما قاله جابر في رواية مسلم والترمذي وابي داود والنساي وفي رواية ام الحصين عند ابي
داود رايت اسامة وبلالا احدهما اخذ بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخر رافع ثوبه يستره من
الحر حتى رمى جمرة العقبة وفي رواية النساي ثم خطب فحمد الله واثنى عليه وذكر قولا كثيرا وعن ابن الاحوص عن امه رايته
عليه السلام يرمي الجمرة من بطن الوادي وهو راكب يكبر مع كل حصاة ورجل من خلفه يستره فسالت عن
الرجل فقالوا الفضل بن عباس وازدحم الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس لا يقتل بعضكم بعضا
واذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصى الخذف وفي هذا دليل على جواز استظلال المحرم بالمحمل ونحوه وثبت انه عليه
السلام ضربت له قبة من شعر بنمرة وفي رواية جابر عند مسلم وابي داود قال رايته صلى الله عليه وسلم يرمي على
راحلته يوم النحر وهو يقول خذوا عني مناسككم لا ادري لعلي لا احج بعد حجتي هذه وفي رواية قدامة عند الترمذي
رايته يرمي الجمار على ناقة له صهبا ليس ضرب ولا طرد ولا اليك اليك انتهى ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى
المنحر فنحر ثلاثا وستين بدنة بيده ثم اعطى عليا فنحر ما غبر واشركه في هديه ثم امر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر
فطبخت فاكلا من لحمها وشربا من مرقها وفي رواية جابر عند مسلم نحر عليه السلام عن نسايه بقرة وقالت
عايشة نحر صلى الله عليه وسلم عن ال محمد في حجة الوداع بقرة واحدة رواه ابو داود ثم اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم منزله بمنى ثم قال للحلاق خذ واشار الى جانبه الايمن ثم الايسر ثم جعل يعطيه الناس وفي رواية انه قال
للحلاق ها واشار بيده الى الجانب الايمن فقسم شعره بين من يليه ثم اشار الى الحلاق الى الجانب الايسر فحلق

فأعطاه أم سليم وفي أخرى فبدأ بالشق الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ثم قال بالأيسر
فصنع مثل ذلك ثم قال ههنا أبو طلحة فدفعه إليه وفي أخرى رمى جمرة العقبة ثم انصرف إلى البدن فنحرها
والحجام جالس وقال بيده عن رأسه فحلق الشق الأيمن فقسمه بين من يليه ثم قال احلق الشق الآخر فقال
أين أبو طلحة فأعطاه إياه رواه الشيخان وعند الإمام أحمد أنه استدعى الحلاق فقال له وهو قائم
على رأسه بالموسى ونظر في وجهه وقال يا معمر أمكنك رسول الله صلى الله عليه وسلم من شحمة أذنه وفي
يدك الموسى قال فقلت له أما والله يا رسول الله إن ذلك لمن نعم الله علي ومنه قال أجل وقال البخاري
وزعموا أن الذي حلق النبي صلى الله عليه وسلم معمر بن عبد الله بن نضلة بن عوف انتهى وهو عند ابن خزيمة
في صحيحه وعند الإمام أحمد وقلم صلى الله عليه وسلم أظفاره وقسمها بين الناس وعنده أيضا من حديث
محمد بن زيد أن أباه حدثه أنه شهد النبي صلى الله عليه وسلم عند المنحر ورجل من قريش وهو يقسم أضاحي
فلم يصبه شيء ولا صاحبه فحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه في ثوبه فأعطاه فقسم منه على رجال
وقلم أظفاره فأعطاه صاحبه وكان يخضب بالحناء والكتم وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله
والمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال والمقصرين رواه الشيخان
وليس فيه تعيين هل قاله صلى الله عليه وسلم في الحديبية أو في حجة الوداع قالوا ولم يقع في شيء من طرقه التصريح
بسماعه لذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ولو وقع لقطعنا بأنه كان في حجة الوداع لأنه شهدها ولم يشهد
الحديبية وقد وقع تعيين الحديبية من حديث جابر عند أبي قرة في السنن ومن طريقه الطبراني في الأوسط
ومن حديث المسور بن مخرمة عند ابن إسحق في المغازي وورد تعيين حجة الوداع من حديث أبي مريم
السلولي عند أحمد وابن أبي شيبة ومن حديث أم الحصين عند مسلم ومن حديث قارب بن الأسود الثقفي
عند أحمد وابن أبي شيبة ومن حديث أم عمارة عند الحارث فالأحاديث التي فيها تعيين حجة الوداع أكثر
عددا وأصح إسنادا ولهذا قال النووي عقب أحاديث ابن عمر وأبي هريرة وأم الحصين هذه الأحاديث
تدل على أن هذه الواقعة كانت في حجة الوداع قال وهو الصحيح المشهور وقيل كان في الحديبية وجزم
إمام الحرمين في النهاية أن ذلك كان في الحديبية ثم قال النووي ولا يبعد أن يكون وقع ذلك في الموضعين
انتهى وكذا قال ابن دقيق العيد إنه الأقرب قال في فتح الباري بل هو المتعين لتظافر الروايات بذلك في
الموضعين إلا أن السبب في الموضعين مختلف فالذي في الحديبية كان بسبب توقف من توقف من
الصحابة عن الإحلال لما دخل عليهم من الحزن لكونهم منعوا من الوصول إلى البيت مع اقتدارهم في أنفسهم
على ذلك فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم وصالح قريشا على أن يرجع من العام المقبل فلما أمرهم بالإحلال توقفوا
فأشارت أم سلمة أن يحل هو صلى الله عليه وسلم قبلهم ففعل فتبعوه فحلق بعضهم وقصر بعض فكان من
بادر إلى الحلق أسرع إلى امتثال الأمر ممن اقتصر على التقصير وقد وقع التصريح بهذا السبب في حديث ابن عباس
فإن في آخره عند ابن ماجه وغيره أنهم قالوا يا رسول الله ما بال المحلقين ظاهرت لهم بالترحم قال لأنهم لم يشكوا
وأما السبب في تكرير الدعاء للمحلقين في حجة الوداع فقال ابن الأثير في النهاية كان أكثر من حج معه صلى
الله عليه وسلم لم يسق الهدي فلما أمرهم أن يفسخوا الحج إلى العمرة ثم يتحللوا منها ويحلقوا رؤوسهم شق عليهم ثم
لما لم يكن لهم بد من الطاعة كان التقصير في أنفسهم أخف من الحلق ففعله أكثرهم ورجح صلى الله عليه وسلم فعل
من حلق لكونه أبين في امتثال الأمر انتهى قال الحافظ ابن حجر وفيما قاله نظر وإن تابعه عليه غير واحد لأن
المتمتع يستحب في حقه أن يقصر في العمرة ويحلق في الحج إذا كان ما بين النسكين متقاربا وقد كان ذلك في حقهم

كذلك

كذلك والأولى ما قاله الخطابي وجزم أن عادة العرب أنها كانت تحب توفير الشعور والتزين بها
وكان الحلق فيهم قليلا وربما كانوا يرونه من الشهرة ومن فعل الأعاجم فلذلك كرهوا الحلق واقتصروا
على التقصير انتهى وفي رواية عبد الله بن عمرو بن العاص وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
بمنى للناس يسألونه فجاء رجل فقال يا رسول الله لم أشعر فحلقت قبل أن أنحر فقال انحر ولا حرج ثم جاء رجل
آخر فقال يا رسول الله لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي فقال ارم ولا حرج قال فما سئل عن شيء قدم ولا أخر
إلا قال افعل ولا حرج انتهى رواه مسلم وفي رواية حلقت قبل أن أرمي وفي رواية وقف صلى الله عليه وسلم
على راحلته فطفق ناس يسألونه فيقول القائل منهم يا رسول الله إني لم أكن أشعر أن الرمي قبل النحر فنحرت
قبل الرمي فقال صلى الله عليه وسلم فارم ولا حرج قال فما سمعته يسأل يومئذ عن شيء مما ينسى المرء ويجهل
من تقديم بعض الأمور قبل بعض وأشباهها إلا قال صلى الله عليه وسلم افعلوا ذلك ولا حرج وفي رواية
أنه عليه السلام بينا هو قائم يخطب يوم النحر فقام إليه رجل فقال ما كنت أحسب أن كذا وكذا قبل كذا
وكذا وفي رواية أخرى حلقت قبل أن أرمي وأشباه ذلك وفي رواية حلقت قبل أن أذبح ذبحت قبل أن أرمي
ومن المعروف أن الترتيب أولى وذلك وظائف يوم النحر بالاتفاق أربعة أشياء رمي جمرة العقبة ثم نحر الهدي
أو ذبحه ثم الحلق أو التقصير ثم طواف الإفاضة والسعي بعده وقد نقل أنه صلى الله عليه وسلم رمى جمرة العقبة
ثم نحر ثم حلق وقد أجمع العلماء على مطلوبية هذا الترتيب وأجمعوا أيضا على جواز تقديم بعضها على بعض إلا أنهم
اختلفوا في وجوب الدم في بعض المواضع ومذهب الشافعي وجمهور السلف والعلماء وفقهاء الحديث الجواز
وعدم وجوب الدم لقوله عليه السلام للسائل لا حرج فهو ظاهر في رفع الإثم والفدية معا لأن اسم الضيق يشملهما
وقال الطحاوي ظاهر الحديث يدل على التوسعة في تقديم بعض هذه الأشياء على بعض إلا أنه يحتمل أن يكون قوله
لا حرج أي لا إثم في ذلك الفعل وهو كذلك لمن كان ناسيا أو جاهلا وأما من تعمد المخالفة فتجب عليه الفدية
وتعقبت بأن وجوب الفدية يحتاج إلى دليل ولو كان واجبا لبينه صلى الله عليه وسلم حينئذ لأنه
وقت الحاجة فلا يجوز تأخيره وتمسك الإمام أحمد بقوله في الحديث لم أشعر وبما في رواية يونس عند مسلم
وصالح عند أحمد فما سمعته يومئذ يسأل عن أمر مما ينسى المرء أو يجهل من تقديم بعض الأمور قبل بعض إلا قال
افعلوا ولا حرج بأنه إن كان ناسيا أو جاهلا فلا شيء عليه وإن كان عالما فلا قال ابن دقيق العيد ما قاله أحمد
قوي من جهة أن الدليل دل على وجوب اتباع الرسول في الحج لقوله خذوا عني مناسككم وهذه الأحاديث المرخصة
في تقديم ما وقع عنه تأخيره قد قرنت بقول السائل لم أشعر فيختص الحكم بهذه الحالة وتبقى حالة العمد على أصل وجوب
الاتباع في الحج انتهى وعن أبي بكرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر قال إن الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وقال أي شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت
حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أي بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت
حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلدة قلنا بلى قال فأي يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت
حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة
يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي كفارا أو ضلالا يضرب
بعضكم رقاب بعض ألا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع
رواه الشيخان وفي رواية للبخاري فودع الناس ووقع في طريق ضعيفة عند البيهقي من حديث ابن عمر سبب ذلك

ولفظه انها اذا جاء نصر الله والفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط ايام التشريق وعرف
انه الوداع فامر براحلته القصوى فرحلت له فركب ووقف بالعقبة واجتمع اليه الناس فقال يا ايها الناس
فذكر الحديث وفيه دلالة له مشروعية الخطبة يوم النحر بمنى وبه اخذ الشافعي ومن تبعه وخالف في ذلك
المالكية والحنفية والحنفية قالوا خطب الحج ثلاثة سابع ذي الحجة ويوم عرفة بها وثاني يوم النحر بمنى
ووافقهم الشافعي الا انه قال بدل ثاني النحر ثالثه لانه اول النفر وزاد خطبة رابعة وهي يوم النحر قال
وبالناس حاجة اليها ليعلموا اعمال ذلك اليوم من الرمي والذبح والحلق والطواف وتعقبه الطحاوي بان
الخطبة المذكورة ليست من متعلقات الحج لانه لم يذكر فيها شيئا من امور الحج وانما ذكر فيها وصايا عامة
ولم ينقل احد انه علمهم فيها شيئا من الذي يتعلق بيوم النحر فعلمنا انها لم تقصد لاجل الحج وقال ابن بطال
انما فعل ذلك من اجل تبليغ ما ذكره لكثرة الجمع الذي اجتمع من اقاصي الدنيا فظن الذي رآه انه خطب قال
واما ما ذكره الشافعي ان بالناس حاجة الى تعليمهم اسباب التحلل المذكور فليس بمتعين لان الامام يمكنه
ان يعلمهم اياها يوم عرفة انتهى واجيب بانه صلى الله عليه وسلم نبه في الخطبة المذكورة على تعظيم يوم النحر
وعلى تعظيم ذي الحجة وعلى تعظيم البلد الحرام وقد جزم الصحابة المذكورون بتسميتها خطبة فلا يلتفت لتأويل
غيرهم وما ذكره من امكان تعليم ما ذكر يوم عرفة يعكر عليه في كونه يرى مشروعية الخطبة ثاني يوم النحر
وكان يمكن ان يعلموا ذلك يوم عرفة بل يمكن ان يعلموا يوم التروية جميع ما يؤتى به من اعمال الحج لكن لما كان
في كل يوم اعمال ليست في غيره شرع تجديد التعليم بحسب تجدد الاسباب واما قول الطحاوي انه لم ينقل
انه علمهم شيئا من اسباب التحلل فلا ينفي وقوع ذلك او شيء منه في نفس الامر بل قد ثبت في حديث عبد الله بن
عمرو بن العاص انه شهد النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر يخطب وذكر فيه السؤال عن تقديم بعض المناسك على
بعض فكيف ساغ للطحاوي هذا النفي المطلق ثم وقد روى ابو داود والنسائي عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي
قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى ففتحت اسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا
فطفق يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار فوضع اصبعيه السبابتين ثم قال بحصى الخذف ثم امر المهاجرين
فنزلوا في مقدم المسجد وامر الانصار ان ينزلوا من وراء المسجد قال ثم نزل الناس بعد وفي رواية عن عبد الرحمن
ابن معاذ عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس بمنى
ونزلهم منازلهم فقال لينزل المهاجرون هاهنا واشار الى ميمنة القبلة والانصار هاهنا الى ميسرة القبلة ثم
قال لينزل الناس حولهم وعن ابن ابي نجيح عن ابيه عن رجلين من بني بكر قالا رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخطب بين اوسط ايام التشريق ونحن عند راحلته وهي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي خطب بمنى
رواه ابو داود وعن رافع بن عمرو المزني قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع
الضحى على بغلة شهباء وعلي يعبر عنه والناس بين قاعد وقائم رواه ابو داود ايضا وعن ربيعة ابن عبد الرحمن
ابن حصين قال حدثتني جدتي سراء بنت نبهان وكانت ربة بيت في الجاهلية قالت خطبنا النبي صلى الله
عليه وسلم يوم الرؤوس فقال اي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال اليس اوسط ايام التشريق وفي رواية
انه خطب وسط ايام التشريق رواه ابو داود ايضا ثم ركب صلى الله عليه وسلم قبل الظهر فافاض الى البيت فطاف
طواف الافاضة وهو طواف الزيارة والركن والصدر وفي البخاري ويذكر عن ابي حسان عن ابن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت ايام منى واتى صلى الله عليه وسلم زمزم وبنو عبد المطلب يسقون عليها
فقال انزعوا بني عبد المطلب فلولا ان يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه وفي رواية

ابن عباس

ابن عباس فشرب وهو قائم وفي رواية لخلف عكرمة ما كان يومئذ الا على بعير لكن لم يعين فيها حجة
الوداع ولا غيرها انما التعيين في رواية جابر عند مسلم واختلف اين صلى صلى الله عليه وسلم الظهر
يومئذ ففي رواية جابر عند مسلم انه عليه السلام صلى بمكة وكذلك قالت عائشة وفي حديث
ابن عمر في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم افاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى ورجح ابن
حزم في كتاب حجة الوداع له قول عائشة وجابر وتبعه على ذلك جماعة لانهما اثنان وهما
اولى من الواحد ولان عائشة اخص الناس به ولها من القرب والاختصاص ما ليس لغيرها ولان سياق
جابر لحجه صلى الله عليه وسلم من اولها الى آخرها اتم سياق وقد حفظ القصة وضبطها حتى ضبط جزئياتها
حتى ما منها لا يتعلق بالمناسك وهو نزوله عليه السلام في الطريق فبال عند الشعب وتوضأ وضوءا
خفيفا فمن ضبط هذا القدر فهو بضبط مكان صلاته الظهر يوم النحر اولى وايضا فان حجة الوداع كانت
في آذار وهو تساوي الليل والنهار وقد دفع من مزدلفة قبل طلوع الشمس الى منى وخطب بها الناس
ونحر بدنه وقسمها وطبخ لحمها واكل منه ورمى الجمرة وحلق راسه وتطيب ثم افاض وطاف وشرب
من ماء زمزم ومن نبيذ السقاية ووقف عليهم وهم يسقون وهذه اعمال يظهر منها انها لا تنقضي في مقدار يمكن معه
الرجوع الى منى بحيث يدرك الظهر في فصل آذار ورجحت طائفة اخرى قول ابن عمر بانه حفظ عنه حجه
صلى الله عليه وسلم انه صلى الظهر بجوف مكة بل انما كان يصلي بمنزله بالمسلمين منه اي فهذه تان حديث
ابن عمر متفق عليه وحديث جابر من افراد مسلم فحديث ابن عمر اصح منه فان رواته احفظ واشهر ولان حديث
عائشة قد اضطرب في وقت طوافه فروي عنها انه طاف نهارا وفي رواية عنها انه اخر الطواف الى الليل
وفي رواية عنها انه افاض من آخر يومه فلم تضبط فيه وقت الافاضة ولا مكان الصلاة وايضا فان حديث
ابن عمر اصح منه بلا نزاع لان حديث عائشة من رواية محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن القاسم وابن اسحق
مختلف في الاحتجاج به ولم يصرح بالسماع بل عنعنه ولا يتقدم على حديث عبد الله بن عمر حتى ثم رجع صلى
الله عليه الى منى فمكث بها ليالي ايام التشريق يرمي الجمرة اذا زالت الشمس كل جمرة بسبع حصيات يكبر مع
كل حصاة ويقف عند الاولى والثانية فيطيل القيام ويتضرع ويرمي الثالثة ولا يقف عندها رواه ابو داود
من حديث عائشة وعن ابن عمر عند الترمذي كان صلى الله عليه وسلم اذا رمى الجمار مشى اليها ذاهبا
وراجعا وفي رواية ابي داود وكان يستقبل القبلة في الجمرتين الدنيا والوسطى ويرمي جمرة العقبة من بطن
الوادي الحديث واستأذن صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب ان يبيت بمكة ليالي منى من اجل السقاية
فاذن له رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر وفي رواية الاسماعيلي رخص للعباس ان يبيت بمكة ليالي
منى من اجل السقاية وفيه دليل على وجوب المبيت بمنى وانه من مناسك الحج لان التعبير بالرخصة يقتضي
ان مقابلها العزيمة وان الاذن وقع للعلة المذكورة واذا لم توجد او ما في معناها لم يحصل الاذن وبالوجوب
قال الجمهور وفي قول للشافعي وهو رواية عن احمد وهو مذهب الحنفية انه سنة ووجوب الدم بتركه
على هذا الخلاف ولا يحصل المبيت الا بمعظم الليل وهل يختص الاذن بالسقاية وبالعباس الصحيح العموم
والعلة في ذلك اعداد الماء للشاربين وجزم الشافعي بالحاق من له مال يخاف ضياعه او امر يخاف
فوته او مريض يتعهده باهل السقاية كما جزم الجمهور بالحاق الرعاء خاصة وهو قول احمد قال ومن
ترك المبيت لغير عذر عليه دم عن كل ليلة ثم افاض صلى الله عليه وسلم بعد الظهر يوم الثلاثاء بعد ان
اكمل رمي ايام التشريق ولم يتعجل في اليومين الى المحصب وهو الابطح وحده ما بين الجبلين الى المقبرة وهي

خيف بني كنانة فوجدنا أبا رافع قد ضرب قبته هناك وكانت على ثقله قال أبو رافع لم يأمرني صلى الله عليه
وسلم أن أنزل الأبطح حين خرج من منى ولكني جئت فضربت فيه قبته فجاء فنزل رواه مسلم وفيه وفي
البخاري عن أنس أنه عليه السلام صلى الظهر والعصر يوم النفر بالأبطح وفيهما من حديث أبي هريرة أنه
صلى الله عليه وسلم قال من الغد يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا
على الكفر يعني بذلك المحصب وذلك أن قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب أن لا
يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس ليس التحصيب بشيء
إنما هو منزل نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ليس التحصيب من أمر المناسك الذي يلزم فعله
لكن لما نزل صلى الله عليه وسلم به كان النزول به مستحبا اتباعا له لتقريره على ذلك وقد فعله الخلفاء
بعده كما في مسلم وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد رقدة
بالمحصب ثم ركب إلى البيت فطاف به رواه البخاري وهذا طواف الوداع ومذهب الشافعي أنه واجب يلزم
بتركه دم على الصحيح وهو قول أكثر العلماء وقال مالك وداود هو سنة لا شيء بتركه واختلف في المرأة إذا حاضت — في طواف الوداع سنة عند مالك
بعد ما طافت طواف الإفاضة هل عليها طواف الوداع أم لا وكان ابن عباس يرخص لها أن تنفر إذا حاضت
وكان ابن عمر يقول في أول أمره إنها لا تنفر ثم قال [illegible] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لهن
رواه الشيخان وعن عائشة أن صفية بنت حيي حاضت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال أحابستنا هي قالوا إنها قد أفاضت قال فلا إذا ومعنى قوله أحابستنا هي أي أمانعتنا من التوجه
من مكة في الوقت الذي أردنا التوجه فيه ظنا منه صلى الله عليه وسلم أنها ما طافت طواف الإفاضة
وإنما قال ذلك لأنه كان لا يتركها ويتوجه ولا يأمرها بالتوجه معه وهي باقية على إحرامها فيحتاج إلى أن يقيم
حتى تطهر وتطوف وتحل الحل الثاني وفي رواية لما حاضت صفية فأراد النبي صلى الله عليه وسلم منها ما
يريد الرجل من أهله فقلت يا رسول الله إنها حائض قال أحابستنا هي الحديث وهذا مشكل لأنه صلى الله
عليه وسلم إن كان علم أنها طافت طواف الإفاضة فكيف يقول أحابستنا هي وإن كان ما علم فكيف
يريد وقاعها قبل التحلل الثاني وأجيب عنها بأنه صلى الله عليه وسلم ما أراد ذلك منها إلا بعد أن استأذنه
نساؤه في طواف الإفاضة فأذن لهن فكان بانيا على أنها قد حلت فلما قيل له إنها حائض جوز أن يكون
وقع لها قبل ذلك حتى منعها من طواف الإفاضة فاستفهم عن ذلك فأعلمته عائشة أنها طافت معهن
فزال عنه ما خشيه من ذلك انتهى وقالت عائشة يا رسول الله تنطلقون بحج وعمرة وأنطلق بحج فأمر عبد
الرحمن بن أبي بكر أن يخرج معها إلى التنعيم فاعتمرت بعد الحج رواه الشيخان وفي رواية لمسلم أنها وقفت المواقف
كلها حتى إذا طهرت طافت بالكعبة والصفا والمروة ثم قال لها يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حللت من
حجك وعمرتك جميعا فقالت يا رسول الله إني أجد في نفسي أني لم أطف بالبيت حين حججت قال فاذهب بها يا عبد
الرحمن فأعمرها من التنعيم وذلك ليلة الحصبة زاد في رواية وكان صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا إذا هويت
شيئا تابعها عليه وقد كانت عائشة قارنة لأنها كانت قد أهلت بالعمرة فحاضت فأمرها أن تدخل عليها الحج
وصارت قارنة وأخبرها أن طوافها وسعيها بين الصفا والمروة قد وقع عن حجها وعمرتها فوجدت في نفسها أن
يرجع صواحبها بحج وعمرة مستقلين فإنهن كن متمتعات ولم يحضن ولم يقرن وترجع هي بعمرة في ضمن حجتها
فأمر أخاها أن يعمرها من التنعيم تطييبا لقلبها ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة فخرج من كداء بضم الكاف
ممدودا وهي عند باب شبيكة بقرب شعب الشاميين من ناحية قعيقعان واختلف في المعنى الذي لأجله

خالف

خالف صلى الله عليه وسلم بين طريقيه فقيل ليتبرك به كل من في طريقيه وقيل الحكمة في ذلك المناسبة لجهة العلو
عند الدخول لما فيه من تعظيم المكان وعكسه الإشارة إلى فراقه وقيل لأن إبراهيم عليه السلام لما دخل
مكة دخل منها وقيل غير ذلك وفي صحيح مسلم وغيره من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم لقي ركبا
بالروحاء فقال من القوم فقال المسلمون يا رسول الله فرفعت امرأة صبيا لها من محفتها فقالت يا رسول
الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر وفيهما وصل صلى الله عليه وسلم إلى ذي الحليفة بات بها قال بعضهم إن نزوله لم
يكن قصدا وإنما كان اتفاقا حكاه القاضي إسماعيل المالكي عن محمد بن الحسن وتعقبه والصحيح أنه كان
قصدا لئلا يدخل المدينة ليلا وإذا رأى المدينة كبر ثلاثا وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر
عبده وهزم الأحزاب وحده ثم دخلها نهارا من طريق المعرس بفتح الراء المشددة والمهملتين وهو مكان معروف
وكل من المعرس والشجرة التي بات بها صلى الله عليه وسلم في ذهابه إلى مكة على ستة أميال من المدينة
انتهى ملخصا من فتح الباري وغيره والله أعلم وأما عمره صلى الله عليه وسلم والعمرة في اللغة الزيارة ومذهب الشافعي
وأحمد وغيرهما أنها واجبة كالحج والمشهور عن المالكية أنها تطوع وهو قول الحنفية وقد اعتمر صلى الله عليه وسلم
أربع عمر في الصحيحين وسنن الترمذي وأبي داود عن قتادة قال سألت أنسا كم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال حج حجة واحدة واعتمر أربع عمر عمرة في ذي القعدة وعمرة الحديبية وعمرة مع حجته وعمرة الجعرانة إذ قسم غنيمة
حنين وهذا لفظ رواية الترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية الصحيحين اعتمر أربع عمر كلها في ذي القعدة إلا التي
مع حجته عمرة الحديبية أو زمن الحديبية في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة وعمرة من جعرانة
حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة وعمرة مع حجته وعن محرش الكعبي أنه صلى الله عليه وسلم خرج من الجعرانة ليلا
معتمرا فدخل مكة ليلا فقضى عمرته ثم خرج من ليلته فأصبح بالجعرانة كبائت فلما زالت الشمس من الغد خرج في
بطن سرف حتى جامع الطريق طريق جمع ببطن سرف فمن أجل ذلك خفيت عمرته على الناس رواه الترمذي وقال
حديث غريب وعن ابن عمر قال اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يحج رواه أبو داود وعن عروة بن الزبير قال
كنت أنا وابن عمر مستندين إلى حجرة عائشة وإنا لنسمع ضربها بالسواك تستن قال فقلت يا أبا عبد الرحمن اعتمر
النبي صلى الله عليه وسلم في رجب قال نعم فقلت لعائشة أي أمتاه ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن قالت
وما يقول قلت يقول اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب فقالت يغفر الله لأبي عبد الرحمن لعمري ما اعتمر
في رجب وما اعتمر من عمرة إلا وإنه لمعه قال وابن عمر يسمع فما قال لا ولا نعم سكت وفي رواية أبي داود عن عروة
عن عائشة قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر عمرتين في ذي القعدة وعمرة في شوال وفي رواية له
عن مجاهد قال سئل ابن عمر كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مرتين فبلغ عائشة فقالت لقد علم
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاثا سوى التي قرنها بحجة الوداع وقد ذكرنا الاختلاف فيما كان عليه
السلام محرما به في حجة الوداع والجمع فيما اختلف فيه من ذلك والمشهور عن عائشة أنه عليه السلام كان مفردا
وحديثها هذا يشعر بأنه كان قارنا وكذا ابن عمر قد أنكر على أنس كونه قال إنه عليه السلام كان قارنا مع أن
حديثه هذا المتقدم يدل على أنه كان قارنا لأنه لم ينقل أنه عليه السلام اعتمر مع حجته ولم يكن متمتعا لأنه
عليه السلام اعتذر عن ذلك بكونه ساق الهدي واحتاج بعضهم إلى تأويل ما وقع عن عائشة وابن عمر هنا
فقال إنما يجوز نسبة العمرة الرابعة إليه صلى الله عليه وسلم باعتبار أنه أمر الناس بها وعملت بحضرته لا أنه
صلى الله عليه وسلم اعتمرها بنفسه وأنت إذا تأملت ما تقدم عن أئمة الحديث وجدته صلى الله عليه وسلم

من العمرة استغنيت عن هذا التأويل المتعسف قال بعض العلماء المحققين وفي عدّهم عمرة الحديبية التي صُدّ عنها صلى الله عليه وسلم ما يدل على انها عمرة تامة وفيه اشارة الى حجة قول الجمهور انه لا يجب القضاء على من صُدّ عن البيت خلافا للحنفية ولو كانت عمرة القضية بدلا عن عمرة الحديبية لكانتا واحدة وانما سميت عمرة القضية والقضاء لان النبي صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا فيها لا انها وقعت قضاء عن العمرة التي صُدّ عنها اذ لو كان كذلك لكانت عمرة واحدة واما حديث ابي داود عن عائشة انه اعتمر في شوال فان كان محفوظا فلعله يريد عمرة الجعرانة حين خرج في شوال ولكن انما احرم بها في القعدة وانكر ابن القيم ان يكون صلى الله عليه وسلم اعتمر في رمضان نعم قد اخرج الدارقطني من طريق العلاء بن زهير عن عبد الرحمن بن الاسود ابن يزيد عن ابيه عن عائشة قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة في رمضان فافطر وصمت وقصر واتممت وقال ان اسناده حسن لكن يمكن حمله على ان قولها في رمضان متعلق بقولها خرجت ويكون المراد سفر فتح مكة فانه كان في رمضان واعتمر عليه السلام في تلك السنة من الجعرانة لكن في ذي القعدة كما تقدم واما قول ابن القيم في الهدي ايضا ولم يكن في عمره صلى الله عليه وسلم عمرة واحدة خارجا من مكة كما يفعله كثير من الناس اليوم وانما كانت عمره كلها داخلا الى مكة وقد اقام بمكة بعد الوحي ثلاثة عشر سنة لم ينقل عنه احد انه اعتمر خارجا من مكة في تلك المدة اصلا فالعمرة التي فعلها وشرعها هي عمرة الداخل الى مكة لا عمرة من كان بها فيخرج الى الحل فيعتمر ولم يفعل هذا على عهده احد قط الا عائشة وحدها انتهى فتعقب عليه بان فعلت عائشة بعد امره فدل على مشروعيته وورد الفاكهي وغيره من طريق محمد بن سيرين قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت لاهل مكة التنعيم ومن طريق عطا قال من اراد العمرة ممن هو من اهل مكة او غيرها فليخرج الى التنعيم او الى الجعرانة فليحرم منها فثبت بذلك ان ميقات العمرة الحل وان التنعيم وغيره في ذلك سوا

النوع السابع في عباداته صلى الله عليه وسلم في ذكر من ادعيته واذكاره وقراءته اختلف هل الدعاء افضل ام تركه والاستسلام للقضاء افضل فقال الجمهور الدعاء افضل وهو من اعظم العبادة ويؤيده ما اخرجه الترمذي من حديث انس رفعه الدعاء مخ العبادة وقد تواترت الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم بالترغيب في الدعاء والحث عليه واخرج الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم عنه صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني لا احمل هم الاجابة ولكن هم الدعاء فاذا الهمت الدعاء علمت ان الاجابة معه وفي هذا يقول القائل

لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه * من جود كفك ما عودتني الطلبا

فان الله تعالى يحب تذلل عبيده بين يديه وسؤالهم اياه وطلبهم حوائجهم منه وشكواهم منه اليه وعياذهم به منه وفرارهم منه اليه كما قيل

قالوا اتشكو اليه * ما ليس يخفى عليه * فقلت ربي يرضى * ذل العبيد لديه

وقالت طائفة الافضل ترك الدعاء والاستسلام للقضاء واجابوا عن قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم بان اخرها دل على ان المراد بالدعاء هو العبادة قال الشيخ تقي الدين السبكي الاولى حمل الدعاء في الاية على ظاهره واما قوله بعد ذلك عن عبادتي فوجه الربط ان الدعاء اخص من العبادة فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعاء وعلى هذا فالوعيد انما هو في حق من ترك الدعاء استكبارا ومن فعل ذلك كفر واما من تركه لمقصد من المقاصد فلا يتوجه اليه الوعيد المذكور وان كنا نرى ان ملازمة الدعاء والاستكثار منه ارجح من الترك لكثرة الادلة الواردة فيه وقال القشيري في الرسالة اختلف اي الامرين اولى الدعاء او السكوت والرضى فقيل الدعاء وهو الذي ينبغي ترجيحه لكثرة الادلة ولما فيه من اظهار الخضوع والافتقار وقيل السكوت والرضا اولى لما في التسليم من الفضل انتهى وشبهتهم ان الداعي لا يعرف ما قُدّر له فدعاؤه ان كان على وفق المقدور فهو

تحصيل الحاصل وان كان على خلافه فهو معاند واجيب بانه اذا اعتقد انه لا يقع الا ما قدّر الله تعالى كان اذعانا لا معاندة وفائدة الدعاء تحصيل الثواب بامتثال الامر ولاحتمال ان يكون المدعو به موقوفا على الدعاء لان الله تعالى خلق الاسباب ومسبباتها انتهى وقد ارشد صلى الله عليه وسلم امته لكيفية الدعاء فقال اذا صلى احدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء رواه الترمذي من حديث فضالة بن عبيد وقال عليه السلام في رجل يدعو اوجب ان امّن رواه ابو داود وقال لا يقول احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليعزم على المسألة فان الله لا مكره له رواه البخاري ومعنى الامر بالعزم الجد فيه وان يجزم بوقوع مطلوبه ولا يعلق ذلك بمشية الله تعالى وان كان مأمورا في جميع ما يريد فعله ان يعلقه بمشية الله تعالى وقيل معنى العزم ان يحسن الظن بالله في الاجابة فانه يدعو كريما وقد قال ابن عيينة لا يمنعن احدا الدعاء ما يعلم من نفسه يعني من التقصير فان الله تعالى قد اجاب دعاء شر خلقه وهو ابليس حين قال انظرني الى يوم يبعثون وقال عليه السلام يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي رواه الشيخان وغيرهما وكان عليه السلام يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك رواه ابو داود من حديث عائشة والجوامع التي تجمع الاغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة او تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسألة وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة امري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي اخرتي التي اليها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر رواه مسلم من حديث ابي هريرة وكان يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما الحمد لله على كل حال واعوذ بالله من حال اهل النار رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وكان يقول اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني وانصرني على من ظلمني وخذ منه بثاري رواه الترمذي من حديث ابي هريرة ايضا وكان اكثر دعائه ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار رواه الشيخان من حديث انس وكان يقول رب اعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي واهدني ويسر الهدى لي وانصرني على من بغى علي رب اجعلني لك شاكرا لك ذاكرا لك راهبا لك مخبتا اليك اواها منيبا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي واجب دعوتي وثبت حجتي وسدد لساني واهد قلبي واسلل سخيمة صدري رواه الترمذي وكان يقول اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت اللهم اعوذ بعزتك لا اله الا انت ان تضلني انت الحي الذي لا يموت والجن والانس يموتون رواه الشيخان عن ابن عباس وكان يقول اللهم اني اسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى رواه مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود وكان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطاي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير رواه الشيخان من حديث ابي موسى وكان اكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك رواه الترمذي من حديث ام سلمة وكان يقول اللهم عافني في جسدي وعافني في سمعي وبصري واجعلهما الوارث مني لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش الكريم والحمد لله رب العالمين رواه الترمذي وكان يقول اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس رواه النسائي وكان يقول اللهم اني اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون رواه مالك في الموطأ وكان يدعو اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عني الدين واغنني من الفقر وامتعني بسمعي وبصري وقوتي وتوفني في سبيلك رواه في الموطأ وكان صلى الله عليه وسلم يقول دعوات

اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من
فتنة المحيا والممات رواه الشيخان من حديث أنس وفي رواية لأبي داود اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن
وضلع الدين وغلبة الرجال وكان يقول اللهم إني أعوذ بك من الجذام والبرص والجنون ومن سيء الأسقام
رواه أبو داود والنسائي من حديث أنس وكان يقول اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم
أعمل رواه مسلم من حديث عائشة وكان يقول اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع ومن
نفس لا تشبع ومن علم لا ينفع أعوذ بك من هؤلاء الأربع رواه الترمذي والنسائي من حديث عمرو بن العاص
وكان يقول اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك رواه مسلم
وأبو داود من حديث عمرو بن العاص أيضا وكان يقول اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة وأعوذ بك
من أن أظلم أو أظلم رواه أبو داود من حديث أبي هريرة وكان يقول اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق
وسوء الأخلاق رواه أبو داود من حديث أبي هريرة أيضا وكان يقول اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس
الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة رواه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة أيضا وكان
يقول اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء رواه النسائي وكان يقول اللهم
إني أعوذ بك من الهدم وأعوذ بك من التردي ومن الغرق والحرق والهرم وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان
عند الموت وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرا وأعوذ بك أن أموت لديغا رواه أبو داود والنسائي
من حديث أبي اليسر وكان يتعوذ من عين الجان والإنس فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك
رواه النسائي وكان إذا خاف قوما قال اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم رواه أبو داود
وكان يعوذ الحسن والحسين ويقول إن أباكما كان يعوذ بهما إسمعيل وإسحق أعوذ بكلمات الله التامة
من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة رواه البخاري والترمذي وقد استشكل صدور هذه الأدعية
ونحوها منه صلى الله عليه وسلم مع قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ووجوب عصمته وأجيب
بأنه امتثل ما أمره الله به من تسبيحه وسؤاله المغفرة في قوله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح ويحتمل أن يكون قاله
على سبيل التواضع والاستكانة والخضوع والشكر لربه تعالى لما علم أنه قد غفر له ويحتمل أن يكون سؤاله
لذلك لأمته أو للتشريع والله أعلم وكان عليه السلام عند الكرب وهو ما يدهم الإنسان مما يأخذ بنفسه فيحزنه
ويغمه يدعو لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم رواه البخاري
وفي رواية لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات والأرض
ورب العرش الكريم قال الطيبي صدر هذا الثناء بذكر الرب ليناسب كشف الكرب لأنه مقتضى التربية
وفيه التهليل المشتمل على التوحيد وهو أصل التنزيهات الجلالية والعظمة التي تدل على تمام القدرة والحلم
الذي يدل على العلم إذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم وهما أصل الأوصاف الإكرامية انتهى وكان عليه السلام
إذا أهمه أمر رفع رأسه إلى السماء وقال سبحان الله العظيم رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وكان عليه السلام
إذا كربه أمر قال يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث رواه أبو داود من حديث أنس وقال عليه السلام ما كربني
أمر إلا تمثل لي جبريل فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في
الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا رواه الطبراني عن أبي هريرة وتقدم في المقصد الثامن مزيد لذلك
وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الضالة اللهم راد الضالة وهادي الضلالة أنت تهدي من الضلالة اردد
علي ضالتي بعزتك وسلطانك فإنها من عطائك وفضلك رواه الطبراني في الصغير من حديث ابن عمر وكان صلى
الله عليه وسلم يدعو هكذا بباطن كفيه وظاهرهما رواه أبو داود عن أنس وقال أبو موسى الأشعري

كما عند البخاري دعا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه وعنده أيضا من حديث ابن
عمر رفع صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد لكن في حديث أنس لم يكن النبي
صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء وهو حديث صحيح وجمع بينه وبين ما تقدم بأن الرفع
الواقع في الاستسقاء يخالف غيره إما بالمبالغة إلى أن تصير اليدان في حذو الوجه مثلا وفي الدعاء إلى حذو المنكبين
ولا يعكر على ذلك أنه ثبت في كل منهما حتى يرى بياض إبطيه بل يجمع بأن يكون رؤية البياض في الاستسقاء
أبلغ منها في غيره وإما أن الكفين في الاستسقاء يليان الأرض وفي الدعاء يليان السماء قال الحافظ عبد العظيم
المنذري وبتقدير تعذر الجمع فجانب الإثبات أرجح انتهى وروى الإمام أحمد والحاكم وأبو داود أنه صلى الله عليه وسلم
كان يرفع يديه إذا دعا حذو منكبيه وفي رواية ابن ماجه ويبسطهما وهذا يقتضي أن يكونا منفرقتين مبسوطتين
لا كهيئة الاغتراف قال الحافظ ابن حجر عقب الأحاديث التي وردت في رفع اليدين في الدعاء المراد بها مد
اليدين وبسطهما عند الدعاء وروى ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما
على وجهه رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف وأما مسح بهما وجهه أما في القنوت في الصلاة فالأصح لا لعدم
وروده فيه قال البيهقي لا أحفظه عن أحد من السلف شيئا وإن روي عن بعضهم في الدعاء خارج الصلاة
وقد روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر ضعيف مستعمل عند بعضهم خارجها فأما فيها فعمل لم يثبت فيه
خبر ولا أثر ولا قياس والأولى أن لا يفعله وقد دعا صلى الله عليه وسلم لأنس فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك
له فيما أعطيته رواه البخاري وفي الأدب المفرد له عن أنس قال قالت أم سليم وهي أم أنس خويدمك ألا تدعو
له فقال اللهم أكثر ماله وولده وأطل حياته واغفر له وفي الصحيحين أن أنسا كان في الهجرة ابن تسع سنين وكانت
وفاته سنة إحدى وتسعين فيما قيل وقيل سنة ثلاث وله مائة وثلاث سنين قال خليفة وهو المعتمد وأكثر ما
قيل في سنه أنه بلغ مائة سنة وسبع سنين وأقل ما قيل فيه بلغ تسعا وتسعين سنة وأما كثرة ولده فروى مسلم
قال أنس فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم وورد في حديث رواه النجاد
أن أنسا قال أخبرتني ابنتي أمينة بضم الهمزة وفتح الميم وسكون المثناة التحتية تصغير آمنة أنه دفن من صلبي
إلى مقدم الحجاج البصرة مائة وعشرون وقال ابن قتيبة في المعارف كان بالبصرة ثلاثة ما ماتوا حتى رأى
كل واحد من ولده مائة ذكر لصلبه أبو بكرة وخليفة بن بدر وزاد غيره رابعا وهو المهلب بن أبي صفرة وأخرج ابن
سعد عن أنس قال دعا لي النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أكثر ماله وولده وأطل عمره واغفر له فقد دفنت من
صلبي مائة واثنين وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين ولقد بقيت حتى سئمت الحياة وأرجو الرابعة وأخرج
الترمذي عن أبي العالية في ذكر أنس وكان له بستان يأتي في كل سنة الفاكهة مرتين وكان فيه ريحان يجيء
منه ريح المسك وحاله ثقات ودعا عليه السلام لمالك بن ربيعة السلولي أن يبارك له في ولده فولد له
ثمانون ذكرا رواه ابن عساكر وأرسل عليه السلام إلى علي يوم خيبر وكان أرمد فتفل في عينيه وقال اللهم
أذهب عنه الحر والبرد قال فما وجدت حرا ولا بردا منذ ذلك اليوم ولا رمدت عيناي رواه وبعث صلى الله
عليه وسلم عليا إلى اليمن قاضيا فقال يا رسول الله لا علم لي بالقضاء فقال ادن مني فدنا منه فضرب يده على
صدره وقال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال علي والله ما شككت في قضاء بين اثنين رواه أبو داود وغيره
وعاد صلى الله عليه وسلم عليا من مرض فقال اللهم اشفه اللهم عافه ثم قال قم قال علي فما عاد لي ذلك
الوجع بعد رواه الحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم ومرض أبو طالب فعاده النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن
أخي ادع ربك الذي تعبد أن يعافيني فقال اللهم اشف عمي فقام أبو طالب كأنما نشط من عقال فقال يا
ابن أخي إن ربك الذي تعبد ليطيعك قال وأنت يا عماه لئن أطعت الله ليطيعنك رواه ابن عدي والبيهقي وأبو
نعيم من حديث أنس وتفرد به الهيثم وهو ضعيف ودعا عليه السلام لابن عباس اللهم فقهه في الدين اللهم

أعطِ ابن عباس الحكمة وعلّمه التأويل رواه البغوي وابن سعد وفي رواية البخاري اللهم علّمه الكتاب
فكان رضي الله عنه عالمًا بالكتاب حبر الأمة بحر العلم رئيس المفسرين ترجمان القرآن وكونه في الدرجة العليا
والمحل الأقصى وقال النابغة الجعدي يمدحه قال ش
ولا خير في علم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا
لا يفضض الله فاك أي لا يسقط الله أسنانك وتقديره لا يسقط الله أسنان فيك فحذف المضاف قال فأتى
عليه أكثر من مائة سنة وكان من أحسن الناس ثغرا رواه البيهقي وفي لفظ فلقد رأيته وقد أتى عليه
نيف ومائة سنة وما ذهب له سن وفي رواية ابن أبي أسامة فكان من أحسن الناس ثغرا وإذا سقطت
له سن نبتت له أخرى وعند ابن السكن فرأيت أسنانه تلمع كالبرد لدعوته صلى الله عليه وسلم
وسقاه عمرو بن أخطب ماء في قدح فرأى فيه شعرة فأخذها فقال اللهم جمّله فبلغ ثلاثا وتسعين
سنة وما في لحيته ورأسه شعرة بيضاء رواه وأخرج البيهقي عن ابن ... أخذ
من لحية النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم جمّله فاسودت لحيته بعد ما كانت بيضاء وقال عبد الرزاق
أخبرنا معمر عن قتادة قال حلب يهودي للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة فقال اللهم جمّله فاسود شعره حتى
صار أشد سوادا من كذا وكذا قال معمر وسمعت غير قتادة يذكر أنه عاش تسعين سنة فلم يشب أخرجه
ابن أبي شيبة وأبو داود في المراسيل والبيهقي وقال مرسل شاهد لما قبله وقال عليه السلام لابن الحمق الخزاعي
وقد سقاه عليه السلام اللهم أمتعه بشبابه فمرت له ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء رواه أبو نعيم وغيره
ودعائه عليه السلام لفاطمة وقد علاها الصفرة من الجوع فنظر إليها صلى الله عليه وسلم ووضع يده على صدرها
ثم قال اللهم مشبع الجاعة لا تجع فاطمة بنت محمد قال عمران بن الحصين فنظرت إليها وقد علاها الدم على
الصفرة في وجهها ولقيتها بعد فقالت ما جعت يا عمران ذكره يعقوب بن سليمان الإسفرايني في دلائل الإعجاز
ودعا عليه السلام لعروة بن جعد البارقي اللهم بارك له في صفقة يمينه قال فما اشتريت شيئا قط إلا ربحت فيه
وقال لجرير وكان لا يثبت على الخيل وضرب في صدره اللهم ثبّته واجعله هاديا مهديا قال فما سقطت
عن فرس بعد وقال لسعد بن أبي وقاص اللهم أجب دعوته فكان مجاب الدعوة رواه البيهقي والطبراني في الأوسط
ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة رواه الشيخان عن أنس زاد البيهقي من وجه آخر قال عبد الرحمن فلو رفعت
حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهبا وفضة قال القاضي عياض وقد فتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته
بالفؤوس حتى مجلت فيه الأيدي وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل مائة ألف وقيل بل صولحت
إحداهن لأنه طلقها في مرض موته على نيف وثمانين ألفا وأوصى بخمسين ألفا بعد صدقاته الفاشية في حياته
وعوارفه العظيمة أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من
كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها وذكر الطبري مما عزاه للصفوة عن الزهري أنه تصدق
بشطر ماله أربعة آلاف ثم بأربعين ألفا ثم بأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل
على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة ودعا على مضر فأقحطوا حتى أكلوا العلهز
وهو الدم بالوبر حتى استعطفته قريش ودعا لما تلا عليه السلام والنجم إذا هوى قال عتبة ابن أبي لهب كفرت
برب النجم فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فخرج عتبة مع أصحابه في عير إلى الشام حتى إذا كانوا
زأر أسد فجعلت فرائصه ترعد فقيل له من أي شيء ترعد فوالله ما نحن وأنت في هذا إلا سواء فقال إن
محمدا دعا علي ولا والله ما أظلت هذه السماء من ذي لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه
حتى جاء النوم فحاطوا به وحاطوا أنفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم وناموا فجاء الأسد يستنشق رؤوسهم رجلا
رجلا حتى انتهى إليه فضغمه ضغمة وهو يقول ألم أقل لكم إن محمدا أصدق الناس ومات ذكره يعقوب

الاسفرايني

الإسفرايني وتقدّم في ذكر أولاده عليه السلام قصته بنحوه وعن مازن الطائي وكان بأرض عمان
قلت يا رسول الله إني امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر والنساء وألحّت علينا السنون فأذهبن الأموال
وأهزلن الذراري والرجال وليس لي ولد فادع الله أن يذهب عني ما أجد ويأتيني بالحيا ويهب لي
ولدا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وأته بالحيا وهب له
ولدا قال مازن فأذهب الله عني كل ما كنت أجد وأخصبت عمان وتزوجت أربع حرائر ووهب الله
لي حيان بن مازن رواه البيهقي ولما نزل عليه السلام بتبوك صلى إلى نخلة فمر رجل بينه وبينها فقال
صلى الله عليه وسلم قطع صلاتنا قطع الله أثره فقعد فلم يقم رواه أبو داود والبيهقي لكن سنده ضعيف وأكل
عنده رجل بشماله فقال كل بيمينك قال لا أستطيع قال لا استطعت فما رفعها إلى فيه بعد والرجل بسر بن
المرحب وسكوت المصليين عن فتح المطل وسكوتها المشاه الغيبة وطلب معوية ليتبل الحال باكل فقال
في الثانية لا أشبع الله بطنه فما شبع بطنه أبدا رواه البيهقي من حديث ابن عباس وكان معوية يقول بعد ما
وقال يا معوية ما يليني منك قال بطني قال اللهم املأه علما وحلما رواه البخاري في تاريخه وقال لأبي
ثروان اللهم أطل شقاءه وبقاءه فأدركه شيخا كبيرا يتمنى الموت وكثير له صلى الله عليه وسلم من دعوات
مستجابات وقد أفرد القاضي عياض بابا في الشفا ذكر فيه طرفا منها وكذا الإمام يوسف بن يعقوب
الإسفرايني في كتابه دلائل الإعجاز فكم أجابه الله تعالى إلى مسؤوله وأعطاه من معجزة دعائه نهاية سؤاله وأما
حديث أبي هريرة عند البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها
وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة فقد استشكل ظاهره بما ذكرته وبما وقع لنبينا وكثير
من الأنبياء صلى الله عليه وسلم من الدعوات المجابة فإن ظاهره أن لكل نبي دعوة مجابة فقط وأجيب بأن
المراد بالإجابة في الدعوة المذكورة القطع بها وما عدا ذلك من دعواتهم فهم على رجاء الإجابة وقيل معنى قوله لكل
نبي دعوة أي أفضل دعواته ولهم دعوات أخرى وقيل لكل نبي منهم دعوة عامة مستجابة في أمته إما بإهلاكهم
وإما بنجاتهم وأما الدعوات الخاصة فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب وقيل لكل منهم دعوة تخصه
لدنياه أو لنفسه كقول نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا وقول زكريا فهب لي من لدنك وليا
يرثني وقول سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي وأما قول الكرماني في شرحه على البخاري
فإن قلت هل جاز أن لا يستجاب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم قلت لكل نبي دعوة مستجابة وإجابة الباقي
في مشيئة الله تعالى قال العيني هذا السؤال لا يعجبني فإن فيه بشاعة وإنا لا أشك أن جميع دعوات النبي
صلى الله عليه وسلم مستجاب به وقوله لكل نبي دعوة مستجابة لا ينفي ذلك لأنه ليس محصورا انتهى ولم ينقل عنه
صلى الله عليه وسلم دعا بشيء فلم يستجب وفي هذا الحديث بيان فضيلة نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر
الأنبياء حيث آثر أمته على نفسه وأهل بيته بدعوته المجابة ولم يجعلها دعاء عليهم بالهلاك كما وقع لغيره صلوات
الله وسلامه عليهم وظاهر الحديث يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام أخر الدعاء والشفاعة ليوم القيامة فذلك
اليوم يدعو ويشفع ويحتمل أن يكون المؤخر ليوم القيامة ثمرة تلك الدعوة ومنفعتها وأما طلبها فحصل من النبي
صلى الله عليه وسلم في الدنيا وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالترقي في مراتب التوحيد بقوله
فاعلم أنه لا إله إلا الله فإنه ليس أمرا بتحصيل ذلك العلم لأنه عالم بذلك ولا بالثبات لأنه معصوم فتعين أن
يكون للترقي في مراتبه ومقاماته إشارة إلى أن العلم به تعالى والسير إليه لا غاية له إذ هو أبو الجنس للعلوم
الحقيقية والمعارف اليقينية والعالم منتظم في سلك تحقيقها ومستتر من أبواب طولها ولذلك النبي
تعليمها له صلى الله عليه وسلم في الآية فإن الشأن كله في تحقيق التوحيد وتجريده وتكميله وقد قال تعالى له
عليه السلام واذكر اسم ربك واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة لأنه لا بد في أول السلوك من الذكر باللسان

مدة ثم ينزل الاسم ويبقى المسمى فالدرجة الاولى هي المرادة بقوله واسم ربك والمرتبة الثانية هي المراد بقوله
واذكر ربك وفي استيفاء مباحث ذلك طول يخرج عن الغرض وقد تقدمت جملة من اذكاره عليه
السلام متفرقة في الوضوء والصلاة والحج وغير ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله ويتوب اليه
في اليوم والليلة اكثر من سبعين مرة كما رواه عنه ابو هريرة عند البخاري وظاهره انه يطلب المغفرة
ويعزم على التوبة ويحتمل ان يكون المراد انه صلى الله عليه وسلم يقول هذا اللفظ بعينه ويرجح الثاني
ما اخرجه النسائي بسند جيد من طريق مجاهد عن ابن عمر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول استغفر
الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه في المجلس قبل ان يقوم مائة مرة وله من رواية محمد بن سوقة
عن نافع عن ابن عمر بلفظ انا كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس رب اغفر لي وتب علي انك
انت التواب الغفور مائة مرة ويحتمل ان يريد بقوله في حديث ابي هريرة اكثر من سبعين مرة المبالغة
ويحتمل ان يريد العدد بعينه ولفظ اكثر مبهم فيمكن ان يفسر بحديث ابن عمر المذكور وانه يبلغ المائة وقد
وقع في طريق اخرى عن ابي هريرة من رواية معمر عن الزهري بلفظ اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة لكن خالف
اصحاب الزهري في ذلك نعم اخرج النسائي ايضا من رواية محمد بن عمرو عن ابي سلمة بلفظ اني لاستغفر الله
واتوب اليه كل يوم مائة مرة واخرج النسائي ايضا من طريق عطاء عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم جمع الناس فقال يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب اليه في اليوم مائة مرة واستغفاره عليه السلام
تشريع لامته او من ذنوبهم وقيل غير ذلك وتقدم ما ينتظم في سلك ذلك فان قلت فما كيفية استغفاره
عليه السلام فالجواب انه ورد في حديث شداد بن اوس عند البخاري رفعه سيد الاستغفار ان يقول
اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما
صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت قال من قالها من النهار
موقنا بها فمات من يومه قبل ان يمسي فهو من اهل الجنة ومن قالها من الليل موقنا بها فمات قبل ان يصبح
فهو من اهل الجنة فتعين ان هذه الكيفية هي الافضل وهو صلى الله عليه وسلم لا يترك الافضل واما صفة
قراءته عليه السلام فكانت مدا يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم رواه البخاري عن انس ونعتتها
ام سلمة قراءة مفسرة حرفا حرفا رواه ابو داود والنسائي والترمذي وقالت ايضا كان عليه السلام يقطع قراءته
يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف ثم يقول الرحمن الرحيم ثم يقف رواه الترمذي وقالت حفصة كان
يرتل السورة حتى تكون اطول من اطول منها رواه مسلم وقال البراء كان يقرأ في العشاء والتين والزيتون
فما سمعت احدا احسن صوتا او قراءة منه صلى الله عليه وسلم رواه الشيخان فقد كانت قراءته عليه السلام
ترتيلا لا هذا ولا عجلة بل قراءة مفسرة حرفا حرفا وكان يقطع قراءته اية اية وكان يمد عند حروف المد وكان
يتغنى بقراءته ويرجع صوته بها احيانا كما رجع يوم الفتح في قراءة انا فتحنا لك فتحا مبينا وحكى عبد الله بن مغفل
ترجيعه ا ا ا ثلاث مرات ذكره البخاري واذا جمعت هذا الحديث الى قوله زينوا القرآن باصواتكم وقوله
ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقوله ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن اي ما استمع
الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن اي يتلوه يجهر به يقال منه اذن ياذن اذنا بالتحريك علمت ان
هذا الترجيع منه عليه السلام كان اختيارا لا اضطرارا لهز الناقة له فان هذا لو كان لهز الناقة لما كان
داخلا تحت الاختيار فلم يكن عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختيارا ليتاسى به وهو يرى هز الراحلة
له حتى ينقطع صوته ثم يقول كان يرجع في قراءته فنسب الترجيع الى فعله ولو كان من هز الراحلة لم يكن منه
فعل يسمى ترجيعا وقد استمع عليه السلام ليلة لقراءة ابي موسى الاشعري فلما اخبره بذلك قال لو كنت اعلم انك
تسمعه لحبرته لك تحبيرا اي حسنته وزينته بصوتي تزيينا وهذا الحديث يرد على من قال ان قوله زينوا

القرآن باصواتكم من باب المقلوب اي زينوا اصواتكم بالقرآن فان القلب لا وجه له قال ابن الاثير
ويؤيد ذلك تاييدا لا شبهة فيه حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء حلية
وحلية القرآن حسن الصوت والله اعلم وقد اختلف العلماء في هذه المسألة اختلافا كثيرا يطول ذكره
وفصل النزاع في ذلك ان يقال ان التطريب والتغني على وجهين احدهما ما اقتضته الطبيعة وسمحت به
من غير تكلف ولا تمرين وتعليم بل اذا خلي وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب
والتلحين فهذا جائز وان اعان طبيعته على فضل تزيين وتحسين كما قال ابو موسى للنبي صلى الله عليه
وسلم لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه
دفع التحزين والتطريب في القراءة ولكن النفوس تقبله وتستحليه وتستملحه لموافقة الطبع وعدم التكلف والتصنع
فهو مطبوع لا متطبع وكلف لا متكلف فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويسمعونه وهو التغني المحمود
وهو الذي يتاثر به التالي والسامع والوجه الثاني ما كان من ذلك صناعة من الصنائع ليس في الطباع
السماحة به بل لا يحصل الا بتكلف وتصنع وتمرين كما يتعلم اصوات الغناء بانواع الالحان البسيطة والمركبة
على ايقاعات مخصوصة واوزان مخترعة لا تحصل الا بالتعلم والتكلف فهذه هي التي كرهها السلف وعابوها
وانكروا القراءة بها وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره وكل من له علم باحوال
السلف يعلم قطعا انهم برآء من القراءة بالحان الموسيقى المتكلفة التي هي على ايقاعات وحركات موزونة
معدودة محدودة وانهم اتقى لله من ان يقرؤوا بها ويسوغوها ويعلم قطعا انهم كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب
ويحسنون اصواتهم بالقرآن ويقرؤونه بشجى تارة وبطرب اخرى وهذا امر في الطباع ولم ينه عنه الشارع مع
شدة تقاضي الطباع له بل ارشد اليه وندب اليه صلى الله عليه وسلم واخبر عن استماع الله لمن قرأ به وقال
ليس منا من لم يتغن بالقرآن وليس المراد به الاستغناء به عن غيره كما ظنه بعضهم ولو كان كذلك لم يكن لذكر
حسن الصوت والجهر به معنى والمعروف في كلام العرب ان التغني انما هو الغناء الذي هو حسن الصوت
بالترجيع قال الشاعره

تغن بالشعر اما كنت قائله ❁ ان الغناء لهذا الشعر مضمار

وروى ابن ابي شيبة عن عقبة بن عامر مرفوعا تعلموا القرآن وغنوا به واكتبوه والحديث والله اعلم وقد صح انه
صلى الله عليه وسلم سمع ابا موسى الاشعري يقرأ فقال لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود يعني من مزامير
داود نفسه كما ذكره اهل المعاني وفي طريق اخرى كما تقدم ان ابا موسى قال يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته
لك تحبيرا قال ابن المنير في هذا دليل على انه كان يستطيع ان يتلو اشجى من المزامير عند المبالغة في التحبير لانه
قد اشبه مثلها وما بلغ الحد فكيف لو بلغ حد استطاعته وقد كان داود عليه السلام اذا اراد ان يتكلم على بني اسرائيل
يجمع سبعة ايام لا ياكل ولا يشرب ولا ياتي النساء ثم يامر سليمان فينادي في الضواحي والنواحي والاكام والادبر
والجبال ان داود يجلس يوم كذا ثم يخرج له منبر الى الصحراء فيجلس عليه وسليمان قائم على راسه فياتي الانس
والجن والطير والوحش والهوام والعذارى المخدرات يسمعون الذكر فياخذ في الثناء على الله بما هو اهله
فتموت طائفة من المستمعين ثم ياخذ في النياحة على المذنبين فتموت طائفة فاذا استحر الموت بالخلق قال
له سليمان عليه السلام يا نبي الله قد استحر الموت بالناس وقد مزقت المستمعين كل ممزق فيخر داود مغشيا
عليه فيحمل على سرير الى بيته وينادي منادي سليمان يا ايها الناس من كان له مع داود قريب او حميم فليخرج
الى قنادة فكانت المراة تاتي بالسرير فتقف على زوجها او ابنها او اخيها فتدخله المدينة فاذا افاق داود
في اليوم الثاني قال لسليمان ما فعل عباد بني اسرائيل فيقول له سليمان قد مات فلان وفلان وهلم جرا فيضع داود
يده على راسه وينوح ويقول يا رب داود اغضبان انت على داود حتى انه لم يفضل منهم من مات خوفا منك وشوقا

إليك فلا يزال ذلك دأبه إلى المجلس الآخر وأقام داود عليه السلام على ذلك ما شاء الله تعالى ولا تظن
ما ذكرته من حال بني إسرائيل أنهم في ذلك أعلى من هذه الأمة فأما المزامير فحسبك ما ذكر من حال
أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وأما الموت من الموعظة شوقا وخوفا فلنا فيه طريقان أحدهما
أن نقول إن القوة التي أوتيتها هذه الأمة تقاوم الأحوال الواردة عليها فتمسك الحياة ولا
تفني القوة الجسمانية بل القوة الروحانية والتأييدات الإلهية فلفرط قوة هذه الأمة إن شاء الله تعالى
تقارب عند سلفها الصالح ما بين حال سماع الموعظة وحال عدم سماعها لتوالي أحوال الذكر
وأطولها اليقين وقد قال بعضهم لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فتماسك قوة السلف عند واردات
الأحوال هو الذي فرق بينهم وبين من قبلهم ألا ترى أن داود وسليمان عليهما السلام وهما أصحاب
المزامير لم يتفق لهما الموت كما اتفق لمن مات وما ذاك من تقصيرهما في الخوف والشوق ولكن
من القوة الربانية التي أمدتهما بها ولا خلاف أن داود عليه السلام وإن لم يمت من الذكر أفضل ممن
مات من أمته وأما الثاني فهو أنه على كونه لم يمت فذلك من التواضع الذي يزيد شرف الأمر التقصير عن أجداد
أمته بل لارتفاعه عنهم بدرجات وزلفى وإلى هذه القوة الإلهية أشار أبو بكر الصديق رضي الله عنه
وقد رأى أناسا يبكون من الموعظة فقال هكذا كنا حتى قست القلوب عبر عن القوة بالقسوة تواضعا
ومرتبته عند الله محفوظة ومنزلته مرفوعة والطريق الثاني أن نقول قد روي ما لا يحصى كثرة عن هذه
الأمة مثل ما اتفق في مجلس داود عليه السلام من موت المستمعين للذكر في مجلس السماع قديما وحديثا
ولو أحصى المعلق جزءا فيمن قتلى القرآن رويناه وعندي من ذلك جملة أرجو بها بل قد روي عن
كثير من المريدين أنهم ماتوا لعجزهم عن النظر إلى المشايخ كما حكي أن مريدا لأبي تراب النخشبي كان يتجلى له
الحق تعالى في كل يوم مرات فقال له أبو تراب لو رأيت أبا يزيد لرأيت أمرا عظيما فلما اجتمع المريد
مع شيخه أبي تراب النخشبي بأبي يزيد ووقع بصر المريد عليه وقع ميتا فقال له أبو تراب يا أبا يزيد نظرة
منك قتلته وقد كان يدعي رؤية الحق فقال له أبو يزيد قد كان صاحبك صادقا وكان الحق يتجلى له
على قدر مقامه فلما رأى تجلى له تعالى على قدري فلم يطق فمات واصطلاح أهل الطريق في التجلي معروف
وحاصله رتبة من المعرفة جلية علية ولم يكونوا يعنون بالتجلي رؤية البصر التي قيل فيها لموسى
عليه السلام على خصوص صيغته لن تراني وقيل فيها على العموم لا تدركه الأبصار وإذا فهمت أن مرادهم
الذي ابتنوه غير المعنى الذي يحصل عند الناس على اللبس في الدنيا ووعد الخواص به في الأخرى فلا اشتبه
بعد ذلك عليك ولا طريق لسوء الظن بالقوم مرايك والله متولي السرائر الذي يلحقنا بهم وإذا علمت هذا
فاعلم أن السماع في طريق القوم معروف وفي الجواذب إلى المحبة معدود موصوف وقد نقل إباحته
أبو طالب في القوت عن جماعة من الصحابة كعبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية
وكذا عن الجنيد والسري وذي النون وأطنب له الغزالي في الإحياء بما يطول ذكره خصوصا في أوقات السرور
المباحة تأكيدا له وتهييجا كالعرس وقدوم غائب ووليمة وعقيقة وحفظ قرآن وختم درس أو كتاب
أو تأليف وفي الصحيحين من حديث عائشة أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدففان
وتضربان ورسول الله صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف عليه السلام عن وجهه
وقال دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد وفي رواية دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان
تغنيان بغناء بعاث وهو بفتح الموحدة وبالعين المهملة آخره مثلثة اسم حصن للأوس وبالمعجمة تصحيف
أي تنشدان الأشعار التي قيلت يوم بعاث وهو حرب كان بين الأنصار فاضطجع على الفراش وحول

وجهه

وجهه فدخل أبو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل
عليه صلى الله عليه وسلم وقال دعهما وتعقب بأن في الحديث الآخر عند البخاري عن عائشة وليستا
بمغنيتين فنفت عنهما من طريق المعنى ما أثبته لهما باللفظ لأن الغناء يطلق على رفع الصوت وعلى
الترنم وعلى الحداء ولا يسمى فاعله مغنيا وإنما يسمى بذلك من ينشد بتمطيط وتكسير وتهييج وتشويق
لما فيه تعريض بالفواحش أو تصريح قال القرطبي قولها يعني عائشة ليستا بمغنيتين أي ليستا ممن يعرف
الغناء كما يعرفه المغنيات المعروفات بذلك قال وهذا منها تحرز عن الغناء المعتاد عند المشتهرين به
وهو الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن وهذا إذا كان في شعر فيه وصف محاسن النساء والخمر وغيرها
من الأمور المحرمة لا يختلف في تحريمه قال وأما ما ابتدعه الصوفية في ذلك فمن قبيل ما لا يختلف
في تحريمه لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب إلى الخير حتى لو ظهرت من كثير منهم فعلات
المجان والصبيان حتى رقصوا بحركات متطابقة وتقطيعات متلاحقة وانتهى التواقح بقوم منهم
إلى أن جعلوها من باب القرب وصالح الأعمال وأن ذلك يثمر سني الأحوال وهذا على التحقيق من آثار
الزندقة انتهى والحق أن السماع إذا وقع بصوت حسن بشعر متضمن للصفات العلية أو النعوت النبوية
المحمدية عريا عن الآلات المحرمة والحظوظ الخسيسة النفسية والشبه الدنية وآثار كأس المحبة الشريفة
العلية وضبط السامع نفسه ما أمكنه بحيث لا يرفع صوته بالبكاء ولا يظهر التواجد وهو يقدر على ضبط
نفسه ما أمكنه مع العلم بما يجب لله ورسوله ويستحيل ولا ينزل ما يسمعه على ما لا يليق كان من الحسن
في غاية ولتمام تزكية النفس نهاية نعم تركه والاشتغال بما هو أعلى أسلم لخوف الشبهة والخروج من الخلاف
لا سيما الآن وقد نقل عن الإمام الشافعي ومالك وأبو حنيفة وجماعة من العلماء ألفاظ تدل على التحريم
ولعل مرادهم ما كان فيه نزغ شيطاني وإذا كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلوب لم يجز أن
يحكم فيه مطلقا بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب
وهو لم يبق بوقته ترقية منه للكامن في النفوس من الأزل حين خاطبنا الحق تعالى بقوله ألست بربكم
فما كان في القلب من رقة ووجد وحقيقة فهو من حلاوة ذلك الخطاب والأعضاء كلها ناطقة بذكره مستطيبة
باسمه فالسماع من أكبر مصايد النفوس وإذا اقترن بالمعاني المناسبة وكان الشعر متضمنا لذكر المحبوب
الحق سرى الكامن وتأججت الأسرار سيما في أرباب البدايات وقد شوهد تأثير السماع حتى في الحيوانات
غير الناطقة من الطيور والبهائم فقد شوهد ميل الطيور من الأغصان على أولي النغمات الفائقة والألحان
الرائقة وهذا الجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثيرا يستخف معه الأحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه
في سماعه المسافة الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراه إذا طالت عليه البوادي
وأعياه الإعياء تحت الحمل إذا سمع منادي الحداء يمد عنقه ويصغي إلى الحادي ويسرع في سيره وربما تلف
نفسه في شدة السير وثقل الحمل وهو لا يشعر بذلك لنشاطه وقد حكي مما ذكر في الإحياء عن أبي بكر الدينوري
أن عبدا أسود قتل جمالا كثيرة بطيب نغمه إذ حداها وكانت محملة أحمالا ثقيلة فقطعت مسيرة ثلاثة
أيام في ليلة واحدة وأنه حدا على جمل غيرها حضرته فهام الجمل وقطع حباله وحصل له هو ما غيبه عن حسه
حتى خر لوجهه فتأثير السماع محسوس ومن لم يحركه فهو فاسد المزاج بعيد العلاج زائد في غلظ الطبع وكثافته
على الجمال وإذا كانت هذه البهائم تتأثر بالنغمات فتأثر النفوس الإنسانية أولى

نعم لولا كرما ذكر العقيق • ولا اجابت له الفلوات نوق • نعم اسعى اليك على جفوني • نداك الحق او بعد الطريق
اذا كانت تحن لكم المطايا • فماذا يفعل الصب المشوق • فربما السماع تلطف السر ومن ثم رضي
العارف الكبير بشدى على الوقوف حزبه المشهور على الالحان والاوزان اللطيفه تنشط القلوب
المريدين وتروحا الاسرار السالكين فان النفوس كما قدمناه لها حظ من الالحان فاذا قبلت هذه
الواردات السنية الفايضة من الموارد المحمدية بهذه النغمات الفايقه والاوزان الرايقه سرت بها
العروق واخذ كل عضو نصيبه من ذلك المدد الوفوى المحمدى فاثمرت شجرة خطاب الازل بما
سقيته من موارد هذه اللطايف عوارف المعارف تنبيه زعم بعضهم ان السماع انجع للوجد من
التلاوة واظهر تاثيرا والحجة عن ذلك ان جلال القران لا تحمله القوى البشرية المحدثة ولا تحمله صفاتها
المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه لدهشت وتصدعت وتحيرت والالحان مناسبة للطباع
بنسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة الحظوظ فاذا علقت الاشعار والاصوات
بما في الابيات من الاشارات واللطايف شاكل بعضها بعضا فكان اقرب الى الحظوظ واخف على القلوب
لمشاكلة المخلوق قاله ابو النصر السراج المقصد العاشر في اتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته
الى حظيرة قدسه لديه صلى الله وسلم عليه وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وتفضيله في الاخرة
بفضايل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم وعلو الدرجات وتشريفه بخصايص الزلفى في مشهد
الانبيا والمرسلين وترقيه في جنة عدن ارقى مدارج السعاده وتعاليه في يوم المزيد على معالي
الحسنى وزيادة وفيه ثلاثه فصول الفصل الاول اعلم وفقني الله واياك بجميل تاييده واوصلنا
بلطفه الى مقام توفيقه وتسديده انه مما يبكي المدامع من الاجفان ويجلب الفجايع لاثارة الاحزان
ويلهب نيران الوجد على اكباد ذوي الايمان ولما كان الموت مكروها بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة
العظيمة لم يمت نبي من الانبيا حتى يخير واول ما اعلم النبي صلى الله عليه وسلم من انقضا عمره باقتراب
اجله بنزول سورة اذا جا نصر الله والفتح فان المراد من هذه السورة انك يا محمد اذا فتح الله عليك البلاد
ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم اليه افواجا فقد اقترب اجلك فتهيا للقاينا بالتحميد والاستغفار
فانه قد حصل منك مقصود ما امرت به من ادا الرسالة والتبليغ وما عندنا لك خير من الدنيا فاستعد
للنقلة الينا وقد قيل ان هذه السورة اخر سورة نزلت يوم النحر وهو صلى الله عليه وسلم بمنى في حجة
الوداع وقيل عاش بعدها احدا وثمانين يوما وعند ابن ابي حاتم من حديث ابن عباس عاش بعدها
تسع ليال وعن مقاتل سبعا وعن بعضهم ثلثا ولابي يعلى من حديث ابن عمر نزلت هذه السورة في اوسط
ايام التشريق في حجة الوداع فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انه الوداع وفي حديث ابن عباس
عند الدارمي لما نزلت اذا جا نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة قال نعيت الي نفسي فبكت
قال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي فضحكت الحديث وروى الطبراني من طريق عكرمة عن ابن عباس قال
لما نزلت اذا جا نصر الله والفتح نعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فاخذ باشد ما كان قط
اجتهادا في امر الاخرة وللطبراني ايضا من حديث جابر لما نزلت هذه السورة قال النبي صلى الله عليه وسلم
لجبريل نعيت الي نفسي فقال له جبريل وللاخرة خير لك من الاولى وروى في حديث ذكره ابن رجب في اللطايف
ان الله تعبده حتى صار كالشن البالي وكان عليه السلام يعرض القران كل عام على جبريل مرة فعرضه ذلك العام

مرتين

مرتين وكان يعتكف العشر الاواخر من رمضان كل عام فاعتكف ذلك العام عشرين واكثر من
الذكر والاستغفار وقالت ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم في اخر عمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب
ولا يجي الا قال سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقلت له انك تدعو بدعاء لم تكن تدعو به
قبل اليوم فقال ان ربي اخبرني اني سارى علما في امتي واني اذا رايته ان اسبح بحمده واستغفره
ثم تلا هذه السورة رواه واخرج ابن مردويه من طريق مسروق عن عايشة نحوه وروى
الشيخان من حديث عقبة بن عامر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى احد بعد ثمان
سنين كالمودع للاحيا والاموات ثم طلع المنبر فقال اني بين ايديكم فرط وانا عليكم شهيد وان موعدكم
الحوض واني لانظر اليه وانا في مقامي هذا واني قد اعطيت مفاتيح خزاين الارض واني لست اخشى
عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخشى عليكم الدنيا ان تنافسوا فيها وزاد بعضهم فتقتتلوا فتهلكوا كما هلك
من كان قبلكم وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال ان عبدا
خيره الله بين ان يوتيه زهرة الدنيا ما شا وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى ابو بكر رضي الله عنه وقال
يا رسول الله فديناك باباينا وامهاتنا قال فعجبنا وقال الناس انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله ان يوتيه زهرة الدنيا ما شا وبين ما عند الله وهو يقول
فديناك باباينا وامهاتنا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان ابو بكر اعلمنا
به فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان امن الناس علي في صحبته وماله ابو بكر ولو كنت متخذا من اهل
الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لا يبقى في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة
ابي بكر رضي الله عنه رواه الشيخان ولمسلم من حديث جندب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
قبل ان يموت بخمس ليال وكان ابا بكر فهم الرمز الذي اشار به النبي صلى الله عليه وسلم من قرينة ذكره
ذلك في مرض موته فاستشعر منه انه اراد نفسه فلذلك بكى وما زال صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب
اجله في اخر عمره فانه لما خطب في حجة الوداع قال للناس خذوا عني مناسككم فلعلي لا القاكم بعد عامي
هذا وطفق يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع فلما رجع عليه السلام من حجته الى المدينة جمع الناس
بما يدعى خما في طريقه بين مكة والمدينة فخطبهم وقال يا ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان
ياتيني رسول ربي فاجيب ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى باهل بيته قال الحافظ ابن رجب وكان
ابتدا مرضه عليه السلام في اواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلثة عشر يوما في المشهور وكانت
خطبته التي خطب بها المذكورة في حديث ابي سعيد السابق قد ذكره في ابتدا مرضه الذي مات فيه فانه خرج
كما رواه الدارمي وهو معصوب الراس بخرقة حتى اهوى الى المنبر فاستوى عليه فقال والذي نفسي
بيده اني لانظر الى الحوض من مقامي هذا ثم قال ان عبدا عرضت عليه الدنيا الى اخر ما ثم هبط عنه فما رئي
عليه حتى الساعة فلما عرض صلى الله عليه وسلم على المنبر باختيار اللقا على البقا ولم يصرح خفي المعنى
على كثير ممن سمع ولم يفهم المقصود غير صاحبه الخصيص به ثاني اثنين اذ هما في الغار وكان اعلم الامة
بمقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم فلما فهم المقصود من هذه الاشارة بكى وقال بل نفديك باموالنا
وانفسنا واولادنا فسكن الرسول صلى الله عليه وسلم جزعه واخذ في مدحه والثنا عليه على المنبر ليعلم
الناس كلهم فضله فلا يقع عليه اختلاف في خلافته فقال ان امن الناس علي في صحبته وماله ابو بكر رضي الله عنه

١

ثم قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام
لما كان صلى الله عليه وسلم لا يصلح له أن يخالل المخلوق فإن الخليل من جرت محبة خليله منه مجرى الروح
ولا يصلح هذا للبشر كما قيل ـ قد تخللت مسلك الروح مني . وبذا سمي الخليل خليلا .
ثم قال صلى الله عليه وسلم لا تبقى في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر إشارة إلى أن أبا بكر
هو الإمام بعده فإنه يحتاج إلى سكنى المسجد والاستطراق فيه بخلاف غيره وذلك من مصالح المسلمين
المصلين ثم أكد هذا المعنى بأمره صريحا أن يصلي بالناس أبو بكر فروجع في ذلك وهو يقول مروا أبا بكر
أن يصلي بالناس فولاه إمامة الصلاة ولذا قال الصحابة عند بيعة أبي بكر رضي الله عنه رضيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدنيانا وكان ابتداء مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيت ميمونة كما ثبت في رواية معمر عن الزهري وفي سيرة أبي معشر كان في بيت زينب بنت جحش و
وفي سيرة سليمان التيمي كان في بيت ريحانة والأول هو المعتمد وذكر الخطابي أنه ابتدأ به يوم الاثنين
وقيل يوم السبت وقال الحاكم أبو أحمد يوم الأربعاء واختلف في مدة مرضه فالأكثر أنها ثلاثة عشر
يوما وقيل أربعة عشر وقيل اثنا عشر وذكرها في الروضة وصدر بالثاني وقيل عشرة أيام وبه
جزم سليمان التيمي في مغازيه وأخرجه البيهقي بإسناد صحيح وفي البخاري قالت عائشة لما ثقل رسول
الله صلى الله عليه وسلم واشتد وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له فخرج وهو
بين الرجلين تخط رجلاه في الأرض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر قال عبيد الله فأخبرت
عبد الله بالذي قالت عائشة فقال لي عبد الله بن عباس هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم
عائشة قال قلت لا قال ابن عباس هو علي بن أبي طالب الحديث وفي رواية مسلم عن عائشة فخرج
بين الفضل بن عباس ورجل آخر وفي أخرى رجلين أحدهما أسامة وعند الدارقطني أسامة والفضل
وعند ابن حبان في أخرى بريرة ونوبة بضم النون وسكون الواو ثم موحدة قيل وهو اسم أمة وقيل
عبد وعند ابن سعد من وجه آخر الفضل وثوبان وجمعوا بين هذه الروايات على تقدير ثبوتها بأن
خروجه تعدد فيتعدد من اتكأ عليه وعن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال لنسائه
إني لا أستطيع أن أدور في بيوتكن فإن شئتن أذنتن لي رواه أحمد وفي رواية هشام بن عروة عن
عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول أين أنا غدا أين أنا غدا يريد يوم عائشة وذكر ابن سعد بإسناد
صحيح عن الزهري أن فاطمة هي التي خاطبت أمهات المؤمنين بذلك فقالت لهن إنه يشق عليه الاختلاف
وفي رواية ابن أبي مليكة عن عائشة أن دخوله عليه السلام بيتها كان يوم الاثنين وموته يوم الاثنين
وفي مرسل أبي جعفر عند ابن أبي شيبة أنه صلى الله عليه وسلم قال أين أكون غدا كررها فعرف
أزواجه أنما يريد عائشة فقلن يا رسول الله قد وهبنا أيامنا لأختنا عائشة وفي رواية هشام بن
عروة عن أبيه عند الإسماعيلي كان يقول أين أنا غدا حرصا على بيت عائشة فلما كان يومي أذن له نساؤه
أن يمرض في بيتي وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من جنازة بالبقيع وأنا أجد
صداعا في رأسي وأنا أقول وارأساه قال بل أنا وارأساه ثم قال ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك
وكفنتك وصليت عليك ودفنتك فقالت لكأني بك والله لو فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست
فيه ببعض نسائك فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم بدئ في وجعه الذي مات فيه رواه أحمد والنسائي وفي

البخاري

البخاري قالت عائشة وارأساه فقال صلى الله عليه وسلم ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك
فقالت عائشة واثكلياه والله إني لأظنك تحب موتي فلو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسا
ببعض أزواجك فقال صلى الله عليه وسلم بل أنا وارأساه لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر
وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله
ويأبى المؤمنون وقوله بل أنا وارأساه إضراب يعني دعي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك
واشتغلي بي قال قلت قد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه وروى أحمد في الزهد عن طاوس أنه
قال أنين المريض شكوى وجزم أبو الطيب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية أن أنين المريض مكروه
قلت وتعقبه النووي فقال هذا ضعيف أو باطل فإن المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود وهذا لم يثبت
فيه ذلك ثم احتج بحديث عائشة هذا ثم قال فلعلهم أرادوا بالكراهة خلاف الأولى فإنه لا شك أن
اشتغاله بالذكر أولى انتهى قال في فتح الباري ولعلهم أخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على
ضعف اليقين وتشعر بالتسخط للقضاء وتورث شماتة الأعداء وأما إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن
حاله فلا بأس به اتفاقا فليس ذكر الوجع شكاية فكم من ساكت وهو ساخط وكم من شاك وهو راض
فالمعول في ذلك على عمل القلب لا على نطق اللسان وقد بين كاتبه عليه في اللطائف أن أول مرضه
عليه السلام كان صداع الرأس والظاهر أنه كان مع حمى فإن الحمى اشتدت به في مرضه فكان يجلس في
مخضب وتصب عليه الماء من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن يتبرد بذلك وفي البخاري قالت عائشة لما
دخل بيتي واشتد وجعه قال أهريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلي أعهد إلى الناس فأجلسناه
في مخضب لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا
أن قد فعلتن الحديث وقد قيل الحكمة في هذا العدد أن له خاصية في دفع ضرر السم والسحر كما سيأتي إن شاء
الله تعالى لأنه عليه السلام قال هذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم وتمسك بعض من أنكر نجاسة
سؤر الكلب به وزعم أن الأمر بالغسل منه سبعا إنما هو لدفع السمية التي في ريقه وكانت عليه صلوات
الله وسلامه عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها فقيل له في ذلك فقال إنا
كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا والحاكم وقال صحيح الإسناد
كلهم من رواية أبي سعيد الخدري وقالت عائشة ما رأيت أحدا كان أشد عليه الوجع من رسول الله
صلى الله عليه وسلم رواه وعن عبد الله قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك
فقلت يا رسول الله إنك لتوعك وعكا شديدا قال أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك أن
لك أجرين قال أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله به سيئاته كما تحط
الشجرة ورقها رواه البخاري والوعك بفتح الواو وسكون العين المهملة وقد تفتح الحمى وقيل ألم الحمى وقيل
إرعادها الموعوك وعركها إياه وعن الأصمعي الوعك الحر فإن كان محفوظا فلعل الحمى سميت وعكا لحرارتها
قال أبو هريرة ما من وجع يصيبني أحب إلي من الحمى إنها تدخل في كل مفصل من ابن آدم وإن الله يعطي كل
مفصل قسطا من الأجر وأخرج النسائي وصححه الحاكم من حديث فاطمة بنت اليمان أخت حذيفة قالت أتيت
النبي صلى الله عليه وسلم في نساء نعوده فإذا سقاء يقطر عليه من شدة الحمى فقال إن من أشد الناس بلاء
الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وفي حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان بين يديه علبة أو ركوة
فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه يقول لا إله إلا الله إن للموت سكرات الحديث رواه البخاري
وروى أيضا عن عروة أنه صلى الله عليه وسلم قال ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت

انقطاع ابهري من ذلك السم وفي رواية ما زالت اكلة خيبر تعاودني والاكلة بالضم اللقمة التي اكل
من الشاة وبعض الرواة بفتح الالف وهو خطأ لانه عليه السلام لم ياكل منها الا لقمة واحدة قاله
ابن الاثير ومعنى الحديث انه نقض عليه سم الشاة التي اهدتها له اليهودية فكان ذلك يثور عليه احيانا
والابهر عرق مستبطن بالصلب متصل بالقلب اذا انقطع مات صاحبه وقد كان ابن مسعود وغيره يرون
انه صلى الله عليه وسلم مات شهيدا من السم وعند البخاري ايضا قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح بيده عنه فلما اشتكى وجعه الذي مات فيه
طفقت انفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث وامسح بيد النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية مالك
وامسح بيده رجاء بركتها ولمسلم فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت انفث عليه وامسحه بيد نفسه
لانها كانت اعظم بركة من يدي واطلقت على السور الثلاث المعوذات تغليبا وفي البخاري عن عائشة
دخل عبد الرحمن بن ابي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وانا مسندته الى صدري ومع عبد الرحمن سواك رطب
يستن به فابده رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فاخذت السواك فقضمته ونفضته وطيبته ثم
دفعته الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستن به فما رايته استن استنانا قط احسن منه الحديث قوله
فابده بتشديد الدال المهملة اي مد نظره اليه وقولها فقضمته بكسر الضاد المعجمة اي لطوله ولازالة المكان
الذي تسوك به عبد الرحمن ثم طيبته اي لينته بالماء وفي رواية له ايضا كانت تقول ان من نعم الله تعالى علي
ان الله جمع بين ريقي وريقه عند موته دخل علي عبد الرحمن وبيده سواك وانا مسندة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرايته ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك فقلت آخذه لك فاشار براسه ان نعم
وفي رواية مر عبد الرحمن وفي يده جريدة رطبة فنظر اليه صلى الله عليه وسلم فظننت ان له بها حاجة
فاخذتها فمضغت راسها ونفضتها ودفعتها اليه فاستن بها كاحسن ما كان مستنا ثم ناولنيها
فسقطت يده او سقطت من يده فجمع الله بين ريقي وريقه في اخر يوم من الدنيا واول يوم من الاخرة
وفي حديث خرجه العقيلي انه صلى الله عليه وسلم قال لها في مرضه ائتيني بسواك رطب فامضغيه
ثم ائتيني به امضغه لكي يختلط ريقي بريقك لكي يهون علي عند الموت قال الحسن لما كرهت الانبياء
الموت هون الله عليهم ذلك بلقاء الله وبكل ما احبوا من تحفة او كرامة حتى ان نفس احدهم لتنزع من
بين جنبيه وهو يحب ذلك لما قد مثل له وفي المسند عن عائشة ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
انه ليهون علي لاني رايت بياض كف عائشة في الجنة وخرجه ابن سعد وغيره مرسلا انه صلى الله عليه وسلم
قال لقد رايتها في الجنة حتى ليهون علي بذلك موتي كاني ارى كفيها يعني عائشة فقد كان عليه السلام
يحب عائشة حبا شديدا حتى لا يكاد يصبر عنها فمثلت له بين يديه في الجنة ليهون عليه موته فان
العيش انما يطيب باجتماع الاحبة وقد سأله صلى الله عليه وسلم رجل فقال اي الناس احب اليك فقال
عائشة فقال من الرجال فقال ابوها ولهذا قال لها في ابتداء مرضه لما قالت وا راساه وددت ان ذلك
كان وانا حي فاصلي عليك وادفنك فعظم ذلك عليها وظنت انه يحب فراقها وانما كان عليه السلام يريد
تعجيلها بين يديه ليقرب اجتماعهما وروي انه كان عنده صلى الله عليه وسلم في مرضه سبعة دنانير
فكان يامرهم بالصدقة بها ثم يغمى عليه فيشتغلون بوجعه فدعا بها فوضعها في كفه وقال ما ظن محمد
بربه لو لقي الله وعنده هذه ثم تصدق بها كلها رواه البيهقي انظر اذا كان هذا سيد الاولين والاخرين
المرسلين وحبيب رب العالمين المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فكيف حال من لقي الله وعنده
دماء المسلمين واموالهم المحرمة وما ظنه بربه تعالى وفي البخاري من طريق عروة عن عائشة رضي الله عنها

قالت

قالت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة في شكواه الذي قبض فيه فسارها بشيء فبكت ثم دعاها
فسارها فضحكت فسالناها عن ذلك فقالت سارني النبي صلى الله عليه وسلم انه يقبض في وجعه الذي
توفي فيه فبكيت ثم سارني فاخبرني اني اول اهله يتبعه فضحكت وفي رواية مسروق عن عائشة اقبلت
فاطمة تمشي كان مشيتها مشية النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا يا بنتي ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله
ثم سارها ولابي داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة
قالت ما رايت احدا اشبه سمتا وهديا ودلا برسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامها وقعودها
من فاطمة وكانت اذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام اليها وقبلها واجلسها في مجلسه وكان
اذا دخل عليها فعلت ذلك فلما مرض دخلت عليه فاكبت عليه فقبلته واتفقت الروايتان على ان
الذي سارها به اولا فبكت هو اعلامه اياها بانه ميت من مرضه ذلك واختلفتا فيما سارها به
فضحكت ففي رواية عروة انه اخباره اياها بانها اول اهله لحوقا به وفي رواية مسروق انه اخباره اياها
انها سيدة نساء اهل الجنة وجعل كونها اول اهله لحوقا به مضموما الى الاول وهو الراجح فان حديث
مسروق يشتمل على زيادات ليست في حديث عروة وهو من الثقات الضابطين فما زاده مسروق
قول عائشة فقلت ما رايت كاليوم فرحا اقرب من حزن فسالتها عن ذلك فقالت ما كنت لافشي
سر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم فسالتها فقالت اسر الي ان
جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وانه عارضني العام مرتين ولا اراه الا حضر اجلي وانك اول
اهل بيتي لحوقا بي وفي رواية عائشة بنت طلحة من الزيادة ان عائشة لما رات بكاها وضحكها قالت
ان كنت لاظن ان هذه المراة من اعقل النساء فاذا هي من النساء ويحتمل تعدد القصة وفي رواية عروة
الجزم بانه ميت من وجعه ذلك بخلاف رواية مسروق ففيها انه ظن ذلك بطريق الاستنباط مما ذكره من
معارضة القرآن وقد يقال لا منافاة بين الخبرين الا بالزيادة ولا يمتنع ان يكون اخباره بكونها اول
اهله لحوقا به سببا لبكائها ولضحكها معا باعتبارين فذكر كل من الراويين ما لم يذكره الاخر وقد
روى النسائي من طريق ابي سلمة عن عائشة في سبب البكاء انه ميت وفي سبب الضحك الامرين الاخيرين
ولابن سعد من رواية ابي سلمة عنها ان سبب البكاء موته وسبب الضحك لحاقها به وعند الطبراني من
وجه اخر عن عائشة انه قال لفاطمة ان جبريل اخبرني انه ليس امراة من نساء المؤمنين اعظم رزية منك
فلا تكوني ادنى امراة منهن صبرا وفي الحديث اخباره صلى الله عليه وسلم بما سيقع فوقع كما قال صلى الله
عليه وسلم فانهم اتفقوا على ان فاطمة رضي الله عنها كانت من اول من مات من بيت النبي صلى الله عليه وسلم
بعده حتى من ازواجه عليه السلام وقد كان صلى الله عليه وسلم من شدة وجعه يغمى عليه في مرضه ثم يفيق
واغمي عليه مرة فظنوا ان وجعه ذات الجنب فلدوه فجعل يشير اليهم لا تلدوني فقالوا كراهية المريض للدواء
فلما افاق قال الم انهكم ان تلدوني فقالوا كراهية المريض للدواء فقال لا يبقى احد في البيت الا لد وانا
انظر الا العباس فانه لم يشهدكم رواه البخاري واللدود هو ما يجعل في جانب الفم من الدواء فاما ما
يصب في الحلق فيقال له الوجور وفي الطبراني من حديث العباس انهم اذابوا قسطا بزيت ولدوه به
وفي قوله لا يبقى احد في البيت الا لد الى اخره مشروعية القصاص فيما يصاب به الانسان وفيه نظر لان
الجميع لم يتعاطوا ذلك وانما فعل بهم ذلك عقوبة لهم لتركهم امتثال نهيه عما نهاهم عنه قال ابن العربي
اراد ان لا ياتوا يوم القيامة وعليهم حقه فيقعوا في خطيئة عظيمة وتعقب بانه كان يمكن العفو
لانه كان لا ينتقم لنفسه والذي يظهر انه اراد بذلك تاديبهم لئلا يعودوا فكان ذلك تاديبا لا قصاصا ولا
انتقاما قيل وانما كره اللدود مع انه كان يتداوى لانه تحقق انه يموت في مرضه ومن حقق ذلك كره له

التداوي قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وفيه نظر والذي يظهر ان ذلك كان قبل التخيير والتحقيق
وانما انكر التداوي لانه كان غير ملائم لدائه لانهم ظنوا ان به ذات الجنب فداووه بما يلائمها ولم يكن به
ذلك كما هو ظاهر سياق الخبر وعند ابن سعد قال كانت تاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاصرة
فاشتدت به فاغمي عليه فلددناه فلما افاق قال كنتم ترون ان الله يسلط على ذات الجنب ما كان الله
ليجعل لها علي سلطانا والله لا يبقى احد في البيت الا لد فما بقي احد الا لد ولددنا ميمونة وهي صائمة
وروى ابو يعلى باسناد ضعيف فيه ابن لهيعة من وجه آخر عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم مات من
ذات الجنب وجمع بينهما بان ذات الجنب تطلق بازاء مرضين احدهما ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن
والآخر ريح محتقن بين الاضلاع فالاول هو المنفي هنا وقد وقع في رواية الحاكم في المستدرك ذات الجنب
من الشيطان والثاني هو الذي اثبت هنا وليس فيه محذور كالاول وفي حديث ابن عباس عند
البخاري لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب
لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا
كتاب الله فاختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ومنهم
من يقول غير ذلك فلما اكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا عني قال
عبيد الله فكان ابن عباس يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين
ان يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم قال المازري انما جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب
مع صريح امره لهم بذلك لان الاوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب فكانه ظهر منه قرينة دلت على
ان الامر ليس على التحتم بل على الاختيار فاختلف اجتهادهم وصمم عمر على الامتناع لما قام عنده من القرائن
بانه صلى الله عليه وسلم قال ذلك عن غير قصد جازم وقال النووي اتفق العلماء على ان قول عمر حسبنا كتاب
الله من قوة فقهه ودقيق نظره لانه خشي ان يكتب امورا ربما عجزوا عنها فيستحقوا العقوبة لكونها منصوصة
واراد ان لا ينسد باب الاجتهاد على العلماء وفي تركه صلى الله عليه وسلم الانكار على عمر اشارة الى تصويبه
واشار بقوله حسبنا كتاب الله الى قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء ولا يعارض ذلك قول ابن
عباس ان الرزية الى آخره لان عمر كان افقه منه قطعا ولا يقال ان ابن عباس لم يكتف بالقرآن مع
انه حبر القرآن واعلم الناس بتفسيره وتاويله ولكنه اسف على ما فاته من البيان بالتنصيص عليه لكونه
اولى من الاستنباط والله اعلم ولما اشتد به صلى الله عليه وسلم وجعه قال مروا ابا بكر فليصل بالناس
فقالت له عائشة يا رسول الله ان ابا بكر رجل رقيق اذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء قال مروا ابا بكر
فليصل بالناس فعاودته مثل مقالتها فقال انكن صواحبات يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس رواه
الشيخان وابو حاتم واللفظ له وفي رواية ان ابا بكر رجل اسيف وفي حديث عروة عن عائشة عند البخاري
فمر عمر فليصل بالناس قالت فقلت لحفصة قولي له ان ابا بكر اذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء
فمر عمر فليصل بالناس ففعلت حفصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه انكن لانتن صواحب يوسف
مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت حفصة لعائشة ما كنت لاصيب منك خيرا والاسيف بوزن فعيل
وهو بمعنى فاعل من الاسف وهو شدة الحزن والمراد به رقيق القلب ولابن حبان من رواية عاصم عن
شقيق عن مسروق عن عائشة في هذا الحديث قال عاصم والاسيف الرقيق الرحيم وصواحب جمع صاحبة
والمراد انهن مثل صواحب يوسف في اظهار خلاف ما في الباطن ثم ان هذا الخطاب وان كان بلفظ
الجمع فالمراد به واحدة وهي عائشة ووجه المشابهة بينهما في ذلك ان زليخا استدعت النسوة واظهرت
لهن الاكرام بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك وهو ان ينظرن الى حسن يوسف ويعذرنها في محبته

وان عائشة اظهرت ان سبب ارادتها صرف الامامة عن ابيها كونه لا يسمع المامومين القراءة لبكائه
ومرادها زيادة على ذلك وهو ان لا يتشاءم الناس به وقد صرحت هي بذلك كما عند البخاري في باب وفاته
عليه السلام فقالت لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته الا انه لم يقع في قلبي ان يحب الناس بعده
رجلا قام مقامه ابدا والا كنت ارى انه لن يقوم احد مقامه الا تشاءم الناس به ونقل الدمياطي ان
الصديق صلى بالناس سبع عشرة صلاة وقد ذكر الفاكهاني في الفجر المنير تبعا لسيف بن عمر في كتاب
الفتوح ان الانصار لما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد وجعا اطافوا بالمسجد فدخل العباس
فاعلمه بذلك ثم دخل عليه علي بن ابي طالب كذلك فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على علي والفضل
والعباس امامهم والنبي صلى الله عليه وسلم معصوب الراس يخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة من
المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس بلغني انكم تخافون من موت نبيكم
هل خلد نبي قبلي فيمن بعث اليه فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به فاوصيكم بالمهاجرين الاولين
خيرا واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول والعصر ان الانسان لفي خسر الى آخرها وان الامور
تجري باذن الله ولا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة احد ومن غالب الله
غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم واوصيكم
بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم الم يشاطروكم في الثمار الم يوسعوا لكم
عليكم في الديار الم يؤثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي منكم ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم
وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستاثروا عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض الا فمن
احب ان يرده علي غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغي يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل
القسم فاذا بر الناس برتهم ائمتهم واذا فجر الناس عقوهم وفي حديث انس عند البخاري قال مر ابو بكر والعباس
بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون فقال ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم منا فدخل
احدهما على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب على راسه حاشية
برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشي
وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وقوله كرشي
وعيبتي اراد انهم بطانته وموضع سره وامانته والذين يعتمد عليهم في اموره واستعار الكرش والعيبة
لذلك لان المجتر يجمع علفه في كرشه والرجل يضع ثيابه في عيبته وقيل اراد بالكرش الجماعة اي جماعتي
وصحابتي يقال عليه كرش من الناس اي جماعة قاله في النهاية وذكر الواحدي بسند وصله بعبد الله
ابن مسعود قال نعى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا في بيت
عائشة فقال حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم الله رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله آواكم الله اوصيكم
بتقوى الله واستخلفه عليكم واحذركم الله اني لكم نذير مبين ان لا تعلوا على الله في بلاده وعباده فانه
قال لي ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين
وقال اليس في جهنم مثوى للمتكبرين قلنا يا رسول الله متى اجلك قال دنا الفراق والمنقلب الى الله والى
جنة المأوى قلنا يا رسول الله من يغسلك قال رجال اهل بيتي الادنى فالادنى قلنا يا رسول الله فيم
نكفنك قال في ثيابي هذه او في ثياب مصر او حلة يمنية قلنا يا رسول الله من يصلي عليك قال اذا انتم غسلتموني
وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي علي جبريل ثم
ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة ثم ادخلوا علي فوجا فوجا فصلوا علي وسلموا تسليما

وليبدأ بالصلاة على رجال اهل بيتي ثم نساؤهم ثم انتم واقرأوا السلام على من غاب من اصحابي ومن تبعني على ديني من يومي هذا الى يوم القيمة قلت يا رسول الله من يدخلك قبرك قال اهلي مع ملائكة ربي وكذا رواه الطبراني في الدعا وهو واه جدا وقالت عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيى ويخير فلما اشتكى وحضره القبض وراسه على فخذ عايشة غشي عليه فلما افاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى فقلت اذا لا يختارنا فعرفت حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح وفي رواية انها اصغت اليه قبل ان يموت وهو مسند الى ظهره يقول اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الاعلى رواه البخاري من طريق الزهري عن عروة وما فهمته عايشة من قوله عليه السلام اللهم الرفيق الاعلى انه خير نظير فهم ابيها رضي الله عنه من قوله عليه السلام ان عبدا خيره الله ما بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده ان العبد المراد هو النبي صلى الله عليه وسلم حتى بكى كما تقدمته ذكره الحافظ ابن حجر وعند احمد من طريق المطلب بن عبد المطلب بن عبد الله عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ما من نبي يقبض الا يرى الثواب ثم يخير ولاحمد ايضا من حديث موهيبة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتيت مفاتيح خزاين الارض والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة فاخترت لقاء ربي والجنة وعند عبد الرزاق من مرسل طاوس رفعه خيرت بين ان ابقى حتى ارى ما يفتح على امتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل وفي رواية ابي بردة ابن ابي موسى عن ابيه عند النساي وصححه ابن حبان فقال اسال الله الرفيق الاعلى الاسعد مع جبريل وميكائيل واسرافيل وظاهره ان الرفيق المكان الذي تحصل المرافقة فيه مع المذكورين وقال ابن الاثير في النهاية جماعة الانبيا الذين يسكنون اعلى عليين وقيل المراد به الله تعالى يقال الله رفيق بعباده من الرفق والرافة انتهى وقيل المراد به حظيرة القدس وقال السهيلي الحكمة في اختتام كلامه صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب حتى يستفاد منها الرخصة لغيره انه لا يشترط ان يكون الذكر باللسان لان بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع فلا يضره اذا كان قلبه عامرا بالذكر انتهى ملخصا قال الحافظ ابن رجب وقد روى ما يدل على انه قبض ثم راى مقعده من الجنة ثم ردت اليه نفسه ثم خير ففي المسند قالت يعني عايشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي الا تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد عليه فيخير بين ان ترد اليه الى ان يلحق فكنت قد حفظت ذلك فاني لمسندته الى صدري فنظرت اليه حين ارتفع رفعت فقلت اذا والله لا يختارنا فقال مع الرفيق الاعلى في الجنة مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وفي البخاري من حديث عروة عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيى او يخير فلما اشتكى وحضره القبض وراسه على فخذ عايشة غشي عليه فلما افاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم في الرفيق الاعلى الحديث ونبه السهيلي على ان النكتة في الاتيان بهذه الكلمة بالافراد الاشارة الى ان اهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد وفي صحيح ابن حبان عنها قالت اغمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وراسه في حجري فجعلت امسحه وادعو له بالشفا فلما افاق قال اسال الله الرفيق الاعلى مع جبريل وميكائيل واسرافيل ولما احتضر صلى الله عليه وسلم واشتد به الامر قالت عايشة ما رايت الوجع على احد اشد منه على النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول

اللهم

اللهم اعني على سكرات الموت وفي رواية وجعل يقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات قال بعض العلما فيه ان ذلك من شدة الالام والاوجاع لرفعة مرتبته وقال الشيخ ابو حامد المرجاني تلك السكرات سكرات الطرب الا ترى الى قول بلال حين قال له اهله وهو في السياق واكرباه ففتح عينيه وقال واطرباه غدا القى الاحبه محمدا وصحبه فاذا هذا في هذا الحال يلقى محبوبه وهو النبي صلى الله عليه وسلم وحزبه فما بالك بلقاء النبي صلى الله عليه وسلم لربه تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهذا موضع تقصر العبارة عن وصف بعضه وفي حديث مرسل ذكره الحافظ ابن رجب انه عليه السلام قال اللهم انك تاخذ الروح من بين العصب والقصب والانامل فاعني عليه وهونه علي وعند الترمذي من طريق القاسم عنها قالت رايته وعنده قدح فيه ما وهو يموت فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول اللهم اعني على سكرات الموت ولما تغشاه الكرب قالت فاطمة رضي الله عنها واكرب اباه فقال لها لا كرب على ابيك بعد اليوم رواه البخاري قال الخطابي زعم من لا يعد في اهل العلم ان المراد بقوله عليه السلام لا كرب على ابيك بعد اليوم ان كربه كان شفقة على امته لما علم من وقوع الاختلاف والفتن بعده وهذا ليس بشي لانه كان يلزم ان تنقطع شفقته على امته بموته والواقع انها باقية الى يوم القيمة لانه مبعوث الى من جا بعده واعمالهم تعرض عليه وانما الكلام على ظاهره وان المراد بالكرب ما كان يجده عليه السلام من شدة الموت وكان عليه السلام فيما يصيب جسده من الالام كالبشر ليتضاعف له الاجر انتهى وروى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة انه قد حضر من ابيك ما الله تعالى بتارك منه احدا الموافاة يوم القيمة وفي البخاري من حديث انس بن مالك ان المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وابو بكر يصلي لهم لم يفجاهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف ستر حجرة عايشة فنظر اليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص ابو بكر على عقبه ليصل الصف وظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يخرج الى الصلاة قال انس وهم المسلمون ان يفتتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار اليهم بيده صلى الله عليه وسلم ان اتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى الستر وفي رواية ابي اليمان عن شعيب عند البخاري في الصلاة فتوفي من يومه وفي رواية ابي معمر عنده ايضا وكلاهما من حديث انس لم يخرج الينا صلى الله عليه وسلم ثلاثا فاقيمت الصلاة فذهب ابو بكر يتقدم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب فرفعه فلما وضح لنا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظرا كان اعجب الينا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا قال فاوما رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر ان يتقدم وارخى الحجاب الحديث رواه الشيخان وعنه ان ابا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه حتى اذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة فنظر الينا وهو قايم كان وجهه ورقة مصحف ثم تبسم صلى الله عليه وسلم ضاحكا الحديث رواه مسلم وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بانه صلى الله عليه وسلم مات حين زاغت الشمس وكذا لابي الاسود عن عروة وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال لما بقي من اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث نزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله قد ارسلني اليك اكراما لك وتفضيلا لك وخاصة لك يسالك عما هو اعلم به منك يقول كيف تجدك فقال اجدني يا جبريل مغموما واجدني يا جبريل مكروبا ثم اتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك ثم اتاه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك ثم استاذن فيه ملك الموت فقال جبريل يا احمد هذا ملك الموت يستاذن عليك ولم يستاذن على ادمي قبلك ولا يستاذن على ادمي بعدك قال ائذن له فدخل ملك الموت فوقف بين يديه

فقال يا رسول الله ان الله عز وجل ارسلني اليك وامرني ان اطيعك في كل ما تامرني ان امرتني ان اقبض
روحك قبضتها وان امرتني ان اتركها تركتها فقال جبريل يا محمد ان الله قد اشتاق الى لقائك قال
صلى الله عليه وسلم فامض يا ملك الموت لما امرت به فقال جبريل يا رسول الله هذا اخر موطئي
الارض انما كنت حاجتي من الدنيا فقبض روحه فلما توفي صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية سمعوا
صوتا من ناحية البيت السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت
وانما توفون اجوركم يوم القيامة ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل
فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فانما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فقال علي اتدرون من هذا هو الخضر عليه السلام رواه البيهقي في دلائل النبوة وفي تخريج احاديث
الاحياء للحافظ العراقي في ذكر التعزية المذكورة عن ابن عمر مما ذكر في الاحياء ان النووي انكر الحديث
المذكور في كتب الحديث وقال انما ذكره الاصحاب ثم قال العراقي وقد رواه الحاكم في المستدرك من حديث
انس ولم يصححه ولا يصح ورواه ابن ابي الدنيا عن انس ايضا قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع
اصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين في ازار ورداء يتخطى اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى اخذ بعضادتي باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل على اصحابه
فقال ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت الحديث وفيه ثم ذهب الرجل فقال ابو بكر
علي بالرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا احدا فقال ابو بكر لعل هذا الخضر جاء يعزينا ورواه ابن ابي الدنيا ايضا
من حديث علي بن ابي طالب وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده
علي والمعروف عن علي بن الحسين مرسلا من غير ذكر علي كما رواه الشافعي في الام وليس فيه ذكر الخضر عليه السلام
قال البيهقي وقوله ان الله اشتاق الى لقائك معناه قد اراد لقاءك بان يردك من دنياك الى معادك
زيادة في قربك وكرامتك انتهى واخرج الطبراني من حديث ابن عباس قال جاء ملك الموت الى النبي صلى الله عليه
وسلم في مرضه وراسه في حجر علي فاستاذن فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال له علي ارجع
فانا مشاغيل عنك فقال صلى الله عليه وسلم هذا ملك الموت ادخل راشدا فلما دخل قال ان ربك
يقريك السلام فبلغني ان ملك الموت لم يسلم على اهل بيت قبله ولا يسلم بعده وقالت عائشة توفي
صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وفي رواية بين حاقنتي وذاقنتي رواه البخاري
والحاقنة بالحاء المهملة والقاف والنون اسفل من الذقن والذاقنة طرف الحلقوم والسحر بفتح السين
وسكون الحاء المهملة هو الصدر والنحر بفتح النون وسكون الحاء المهملة والمراد انه صلى الله عليه وسلم
توفي وراسه بين حنكها وصدرها وهذا لا يعارضه ما اخرجه الحاكم وابن سعد من طرق انه صلى الله
عليه وسلم مات وراسه في حجر علي لان كل طريق منها كما قاله الحافظ ابن حجر لا يخلو من شيعي فلا يلتفت
لذلك والله اعلم قال السهيلي وجدت في بعض كتب الواقدي ان اول كلمة تكلم بها النبي صلى الله
عليه وسلم وهو مسترضع عند حليمة الله اكبر واخر كلمة تكلم بها الرفيق الاعلى وروى الحاكم من حديث
انس ان اخر ما تكلم به صلى الله عليه وسلم جلال ربي الرفيع ولما توفي صلى الله عليه وسلم كان ابو بكر غائبا
بالسنح يعني العالية عند زوجته بنت خارجة وكان عليه السلام قد اذن له في الذهاب اليها فسل
عمر بن الخطاب سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول انما ارسل
اليه كما ارسل الى موسى عليه السلام فلبث عن قومه اربعين ليلة والله اني لارجو ان تقطع ايدي رجال
وارجلهم فاقبل ابو بكر من السنح حين بلغه الخبر الى بيت عائشة فدخل فكشف عن وجه رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم فجثى يقبله ويبكي ويقول توفي والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ما اطيبك
حيا وميتا ذكره الطبري في الرياض وقالت عائشة اقبل ابو بكر على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل
فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى ببرده
فكشف عن وجهه واكب عليه فقبله ثم بكى وقال بابي انت وامي لا يجمع الله عليك موتتين اما
الموتة التي كتبت عليك فقد متها رواه البخاري واختلف في قول ابي بكر رضي الله عنه لا يجمع الله
عليك موتتين فقيل هو على حقيقته واشار بذلك الى الرد على من زعم انه سيحيى فيقطع ايدي رجال
لانه لو صح ذلك للزم ان يموت موتة اخرى فاخبر انه اكرم على الله من ان يجمع عليه موتتين كما جمعهما
على غيره كالذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وكالذي مر على قرية وهذا اوضح الاجوبة واسلمها وقيل
اراد لا يموت موتة اخرى في القبر كغيره اذ يحيى ليسال ثم يموت وهذا جواب الداودي وقيل
لا يجمع الله موت نفسك وموت شريعتك وقيل كنى بالموت الثاني عن الكرب اي لا تلقى بعد كرب
هذا اليوم كربا اخر قاله في فتح الباري وعنها ان عمر قام يقول والله ما مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجاء ابو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وقال بابي انت وامي طبت حيا
وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين ابدا ثم خرج فقال ايها الحالف على رسلك فلما تكلم
ابو بكر جلس عمر فحمد الله ابو بكر واثنى عليه وقال الا من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن
كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وقال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل الاية قال فنشج الناس يبكون رواه البخاري يقال نشج الباكي اذا غص بالبكاء في حلقه من غير
انتحاب وعن سالم بن عبيد الاشجعي قال لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اجزع الناس
كلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال فاخذ بقائم سيفه وقال لا اسمع احدا يقول مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا قال فقال الناس يا سالم اطلب صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فخرجت الى المسجد فاذا بابي بكر فلما رايته اجهشت بالبكاء فقال يا سالم امات رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا عمر بن الخطاب يقول لا اسمع احدا يقول مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا قال فاقبل ابو بكر حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فرفع
البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشى الريح ثم سجاه والتفت الينا فقال وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل الاية وقال انك ميت وانهم ميتون يا ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا
قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال عمر فوالله لكاني لم اتل هذه الايات قط
خرجه الحافظ ابو احمد حمزة بن الحارث كما ذكره الطبري في الرياض وقال خرج الترمذي معناه بتمامه
واستنشى الريح شمها اي شم ريح الموت وعند احمد عن عائشة قالت سجيت النبي صلى الله عليه وسلم ثوبا
فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستاذنا فاذنت لهما وجذبت الحجاب فنظر اليه عمر فقال واغشياه
ثم قاما فقال المغيرة يا عمر مات قال كذبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفني الله
المنافقين ثم جاء ابو بكر فرفعت الحجاب فنظر اليه فقال انا لله وانا اليه راجعون مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابن عباس عند البخاري ان ابا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس
فقال اجلس يا عمر فابى عمر ان يجلس فاقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال ابو بكر اما بعد من كان
يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال الله عز وجل وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل قال والله لكان الناس لم يعلموا ان الله انزل الاية حتى تلاها

ابو بكر فتلقاها الناس كلهم فما اسمع بشرا من الناس الا يتلوها وفي حديث ابن عمر عند ابن ابي شيبة
ان ابا بكر مر بعمر وهو يقول ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين
قال وكانوا اظهروا الاستبشار ورفعوا رؤسهم فقال ايها الرجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد مات الم تسمع الله تعالى يقول انك ميت وانهم ميتون وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
ثم اتى المنبر الحديث قال القرطبي ابو عبد الله المفسر وفي هذا ادل دليل على شجاعة الصديق فان
الشجاعة حدها ثبوت القلب عند حلول المصائب ولا مصيبة اعظم من موت الرسول صلى الله عليه
وسلم فظهرت عنده شجاعته وعلمه قال الناس لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضطرب الامر
فكشفه الصديق بهذه الاية فرجع عمر عن مقالته التي قالها ذكره الوايلي ابو نصر عبيد الله في كتاب
الابانة عن انس بن مالك انه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين بويع ابو بكر رضي الله عنه في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوى على منبره عليه السلام تشهد قبل ابي بكر ثم قال اما بعد فاني قلت لكم
امس مقالة وانها لم تكن كما قلت واني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب الله ولا في عهد
عهده الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني كنت ارجو ان يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى يدبرنا اي يكون اخرنا موتا او كما قال فاختار الله عز وجل لرسوله الذي عنده على الذي عندكم
وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسوله فخذوا به تهتدوا لما هدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابو نصر الوايلي فالهاء في عنها هي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت ولن يموت حتى يقطع ايدي
وارجل وكان ذلك لعظم ما ورد عليه وخشي الفتنة وظهور المنافقين فلما شاهد قوة يقين الصديق الاكبر
وتفوهه بقول الله عز وجل كل نفس ذائقة الموت وقوله انك ميت وانهم ميتون وخرج الناس
يتلونها في سكك المدينة كانها لم تنزل قط الا ذلك اليوم انتهى وقال ابن المنير لما مات صلى الله عليه
وسلم طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من اقعد فلم يطق القيام ومنهم من اخرس فلم يطق الكلام
ومنهم من اضنى وكان عمر ممن خبل وكان عثمان ممن اخرس يذهب به ويجا ولا يستطيع كلاما
وكان علي ممن اقعد فلم يستطع حراكا واضنى عبد الله بن انيس فمات كمدا وكان اثبتهم ابو بكر رضي الله
عنه جاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم
فاكب عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حيا وميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لاحد من الانبياء
فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ولو ان موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يا محمد
عند ربك ولنكن من بالك ووقع في حديث ابن عباس وعايشة عند البخاري ان ابا بكر قبل النبي صلى الله
عليه وسلم بعد ما مات كما قدمناه وكذا في رواية عنهم وفي رواية يزيد بن بابنوس عنها عند احمد انه
اتاه من قبل راسه فحدر فاه فقبل جبهته ثم قال وانبياه ثم رفع راسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم
قال واصفياه ثم رفع راسه وحدر فاه وقبل جبهته وقال واخليلاه وعند ابن ابي شيبة عن ابن عمر
فوضع فاه على جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقبله ويبكي ويقول بابي انت وامي طبت حيا
وميتا وعن عايشة ان ابا بكر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فوضع فاه بين عينيه ووضع
يديه على صدغيه وقال وانبياه واخليلاه واصفياه اخرجه ابن عرفة العبدي كما ذكره الطبري قال
ولا تضاد بين هذا على تقدير صحته وبين ما تقدم مما يتضمن ثباته بان يكون قد قال ذلك من غير انزعاج
ولا قلق خافضا به صوته ثم التفت اليهم وقال لهم ما قال واخرج البيهقي وابو نعيم من طريق الواقدي
عن شيوخه انهم شكوا في موته صلى الله عليه وسلم قال بعضهم قد مات وقال بعضهم لم يمت فوضعت

اسما

اسما بنت عميس يدها بين كتفيه عليه السلام فقالت قد توفي قد رفع الخاتم من بين كتفيه فكان
هذا الذي قد عرف به موته واخرجه ابن سعد عن الواقدي ايضا ولما توفي عليه السلام قالت فاطمة
يا ابتاه اجاب ربا دعاه • يا ابتاه من جنة الفردوس ماواه • يا ابتاه الى جبريل ننعاه رواه البخاري
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وقد قيل الصواب الى جبريل نعاه جزم بذلك سبط ابن الجوزي
في مرآة الزمان قال والاول متوجه فلا معنى لتغليط الرواة بالظن وزاد الطبراني يا ابتاه من ربه
ما ادناه وقد عاشت فاطمة رضي الله عنها بعده صلى الله عليه وسلم ستة اشهر فما ضحكت تلك المدة
وحق لها ذلك • على مثل ليلى يقتل المرء نفسه • وان كان من ليلى على الهجر طاويا

واخرج ابو نعيم عن علي قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد ملك الموت باكيا
الى السما والذي بعثه بالحق لقد سمعت صوتا من السما ينادي وامحمداه الحديث كل المصاب يهون
عند هذه المصيبة وفي سنن ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم يقول قال في مرضه ايها الناس ان احد
من الناس او من المومنين اصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فان
احدا من امتي لن يصاب بمصيبة بعدي اشد عليه من مصيبتي وقال ابو الجوزا كان الرجل من
اهل المدينة اذا اصابته مصيبة جا اخوه فصافحه ويقول يا عبد الله اتق الله فان في رسول الله
اسوة حسنة ولبعضهم فقال القائل

اصبر لكل مصيبة وتجلد • واعلم بان المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فانها • نوب تنوب اليوم تكشف في غد
واذا اتتك مصيبة تشجى بها • فاذكر مصابك بالنبي محمد

ولبعضهم رحمه الله القايل

تذكرت لما فرق الدهر بيننا • فعزيت نفسي بالنبي محمد
وقلت لها ان المنايا سبيلنا • فمن لم يمت في يومه مات في غد

كادت الجمادات تتصدع من الم مفارقته صلى الله عليه وسلم فكيف بقلوب المومنين لما فقده الجذع
الذي كان يخطب اليه قبل اتخاذ المنبر حن اليه وصاح كان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى وقال
هذه خشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتم احق ان تشتاقوا اليه وروي ان بلالا كان
يوذن بعد وفاته عليه السلام وقبل دفنه فاذا قال اشهد ان محمدا رسول الله ارتج المسجد بالبكا والنحيب
فلما دفن ترك بلال الاذان وما امر عيش من فارق الاحباب خصوصا من كانت رويته حياة الالباب
لو ذاق طعم الفراق رضوى لكان من وجده يميد • قد حملوني عذاب شوق • يعجز عن حمله الحديد
وقد كانت وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا خلاف وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتد
الضحى ودفن يوم الثلثا وقيل ليلة الاربعا ورثته عمته صفية بمراث كثيرة منها قولها

الا يا رسول الله كنت رجاءنا • وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما • ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما ابكي النبي لفقده • ولكن لما اخشى من الهرج اتيا
كان على قلبي لذكر محمد • وما خفت من بعد النبي المكاويا
افاطم صلى الله رب محمد • على جدث امسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله امي وخالتي • وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
فلو ان رب الناس ابقى نبينا • سعدنا ولكن امره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية • وادخلت جنات من العدن راضيا
ارى حسنا ايتمته وتركته • يبكي ويدعو جده اليوم نائيا

ورثاه ابو سفيان بن الحرث فقال

ارقت فبات ليلي لا يزول • وليل اخي المصيبة فيه طول
واسعدني البكا وذاك فيما • اصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت • عشية قيل قد قبض الرسول
واضحت ارضنا مما عراها • تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا • يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك احق ما سالت عليه • نفوس الناس او كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا • بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا • علينا والرسول لنا دليل

افاطم ان جزعت فذاك عذر ۞ وان لم تجزعي ذاك السبيل ۞ فقبر ابيك سيد كل قبر ۞
وفيه سيد الناس الرسول ۞ ورثاه الصديق بقوله

ما ارى نبينا متجدلا ۞ ضاقت علي بعرضهن الدور ۞ فارتاع قلبي عند ذاك لهلكه ۞
والعظم مني ما حييت كسير ۞ اعتيق ويحك ان حبك قد ثوى ۞ فالصبر عنك لما بقيت يسير ۞
يا ليتني من قبل مهلك صاحبي ۞ غيبت في جدث علي صخور ۞ فلتحدثن بدائع من بعده ۞
تعيى بهن جوانح وصدور ۞

ورثاه الصديق ايضا بقوله

ودعنا الوحي اذ وليت عنا ۞ فودعنا من الله الكلام ۞ سوى ما قد تركت لنا رهينا ۞ تضمنه القراطيس الكرام ۞

ولقد احسن حسان في قوله يرثيه عليه السلام

كنت السواد لناظري ۞ فعمي عليك الناظر ۞ من شاء بعدك فليمت ۞ فعليك كنت احاذر ۞

ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه موته صلى الله عليه وسلم بقول ابي بكر الصديق رضي الله عنه رجع الى قوله قال وهو يبكي بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولى بالحنين عليك حين فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك اخر الانبيا وذكرك في اولهم فقال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا الخبر ذكره ابو العباس القصار في شرحه لبردة الابوصيري ونقله عن ابن الرضاطي في كتابه اقتباس الانوار والتماس الازهار وذكره ابن الحاج في المدخل وسا قدمناه والقاضي عياض في الشفا لكنه ذكر بعضه ووقع في كثير من نسخ الشفا روى عن عمر بن الخطاب انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم بتشديد الكاف من بكى والصواب فيه التخفيف لان هذا الكلام انما نبه من عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد موته صلى الله عليه وسلم كما تقدم ونبهت عليه في حاشية الشفا والله اعلم ويزيد هنا قوله في الخبر نفسه بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره فلقد امن بك الكثير وما امن معه الا القليل واخرج ابن عساكر عن ابي ذؤيب الهذلي قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم عليل فاوجس اهل الحي خيفة وبت بليلة طويلة حتى اذا كان قرب السحر نمت فهتف هاتف وهو يقول

خطب اجل اناخ بالاسلام ۞ بين النخيل ومعقد الاطام ۞ قبض النبي محمد فعيوننا ۞ تذري الدموع عليه بالتسجام

فوثبت من نومي فزعا فنظرت الى السما فلم ار الا سعد الذابح فتفالت انه النبي صلى الله عليه وسلم قبض او هو ميت فقدمت المدينة ولاهلها ضجيج بالبكا كضجيج الحجيج اذا اهلوا بالاحرام فقلت مه فقيل قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عجيب ما اتفق ما روي عن عايشة انهم لما ارادوا اغسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لا ندري انجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا ام نغسله وعليه ثيابه فلما اختلفوا القى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل الا وذقنه في صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا وغسلوه وعليه قميصه يصبون الما فوق القميص ويدلكونه بالقميص رواه البيهقي في دلايل النبوة وروى ابن ماجه بسند جيد عن علي يرفعه اذا انا مت فاغسلوني بسبع قرب من بير غرس قال في النهاية بفتح الغين المعجمة وسكون الرا والسين المهملة وقد روى ابن النجار انه عليه السلام قال رايت الليلة اني اصبحت على بير من الجنة فاصبحت على بير غرس فتوضات منها وبزقت فيها وغسل صلى الله

عليه

عليه وسلم ثلث غسلات الاولى بالما القراح والثانية بالما والسدر والثالثة بالما والكافور وغسله علي والعباس وابنه الفضل يعينانه وقثم واسامة وشقران مولاه صلى الله عليه وسلم يصبون الماء واعينهم معصوبة من وراء الستر لحديث علي لا يغسلني الا انت فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه رواه البزار والبيهقي واخرج البيهقي عن الشعبي قال غسل علي النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول وهو يغسله بابي انت وامي طبت حيا وميتا واخرج ابو داود وصححه الحاكم عن علي قال غسلته صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم ار شيا وكان طيبا حيا وميتا وفي رواية ابن سعد وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط قال وجعل علي على يده خرقة وادخلها تحت القميص ثم اعتصر قميصه وحنطوا مساجده ومفاصله ووضوا منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه عودا وندا وذكر ابن الجوزي انه روي عن جعفر بن محمد قال كان الما يستنقع في جفون النبي صلى الله عليه وسلم فكان علي يحسوه واما ما روي ان عليا لما غسله عليه الصلوة والسلام امتص ما في محاجر عينيه وشربه وانه ورث بذلك علوم الاولين والاخرين فقال النووي ليس بصحيح وفي حديث عروة عن عايشة قالت كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلثة اثواب سحولية بيض اخرجه النساي من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة واتفق عليه الايمة الستة من طريق هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة بزيادة من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة وليس قوله من كرسف عند الترمذي ولا ابن ماجه زاد مسلم اما الحلة فانما شبه على الناس فيها انها اشتريت له ليكفن فيها فتركت الحلة وكفن في ثلثة اثواب بيض سحولية فاخذها عبد الله بن ابي بكر فقال لاحبسنها حتى اكفن فيها نفسي ثم قال لو رضيها الله عز وجل لنبيه لكفنه فيها فباعها فتصدق بثمنها وفي رواية له ادرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلة يمنية كانت لعبد الله بن ابي بكر ثم نزعت عنه وذكر الحديث وفي رواية اصحاب السنن الاربعة فذكر لعايشة قولهم في ثوبين وبردة حبرة فقالت قد اتي بالبرد ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيه وقال الترمذي حسن صحيح وفي رواية البيهقي في ثلثة اثواب سحولية جدد والسحولية بفتح السين وضمها قال النووي والفتح اشهر وهو رواية الاكثرين وفي النهاية يفتح فالفتح منسوب الى السحول وهو القصار لانه يسحلها اي يغسلها او الى سحول وهي قرية باليمن واما الضم فهو جمع سحل وهو الثوب الابيض النقي ولا يكون الا من قطن وفيه شذوذ لانه نسب الى الجمع وقيل ان اسم القرية بالضم ايضا والكرسف بضم الكاف واسكان الرا وضم السين المهملة القطن وقال الترمذي روي في كفن النبي صلى الله عليه وسلم روايات مختلفة وحديث عايشة اصح الاحاديث في ذلك والعمل عليه عند اكثر اهل العلم من الصحابة وغيرهم وقال البيهقي في المناقب قال ابو عبد الله يعني الحاكم تواترت الاخبار عن علي بن ابي طالب وابن عباس وعايشة وابن عمر وجابر وعبد الله بن مغفل في تكفين النبي صلى الله عليه وسلم في ثلثة اثواب ليس فيها قميص ولا عمامة وعن عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن الحنفية عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في سبعة اثواب وقد روى هذا الحديث احمد في مسنده وذكر ابن حزم ان الوهم فيه من ابن عقيل او ممن بعده وقد اختلف في معنى قوله ليس فيها قميص ولا عمامة فالصحيح ان معناه انه ليس في الكفن قميص ولا عمامة اصلا والثاني ان معناه انه كفن في ثلثة اثواب خارج عن القميص والعمامة قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والاول الاظهر في المراد وذكر النووي في شرح مسلم ان الاول تفسير الشافعي وجمهور العلما قال وهو الصواب الذي يقتضيه ظاهر الحديث وقال ان الثاني ضعيف فلم يثبت انه صلى الله عليه وسلم كفن في قميص وعمامة انتهى وتبين على هذا اختلافهم في انه هل يستحب ان يكون في الكفن قميص وعمامة ام لا فقال مالك واحمد يستحب ان يكون الثلاثة لفايف ليس فيها قميص ولا عمامة واختلفوا في زيادة القميص

والعمامة اوغيرها على اللفائف الثلاث لتغير حسنه فذكر الحنابلة انه مكروه وقال الشافعية انه جائز
غير مستحب وقال المالكية انه يستحب للرجال والنساء وهو في حق النساء آكد قالوا ولا نهاية الى السبعة غير
مكروهة وما زاد عليها سرف وقالت الحنفية ان الاثواب الثلاثة ازار وقميص ولفافة وقد اجمع المسلمون
على وجوبه وهو فرض كفاية فيجب في ماله فان لم يكن له مال فعلى من تلزمه نفقته واختلف اصحابنا في
المزوجة اذا كان لها مال هل يجب تكفينها من مالها او هو على زوجها فذهب الى الاول الرافعي في الشرح
الصغير والمحرر والنووي في المنهاج وذهب الى الثاني الرافعي في الشرح الكبير والنووي في الروضة وشرح
المهذب وقال فيه تبعا للغزالي وجوب الكفن على الزوج بشرط اعسار المراة وانكروه عليه انتهى ومتى
كانت معسرة تكفينها على زوجها قطعا ثم ان الواجب ثوب واحد وهو حق لله تعالى لا تنفذ وصية الميت
باسقاطه بخلاف الثاني والثالث فانه حق للميت تنفذ وصيته باسقاطهما وفي هذا الحديث ايضا
دلالة على ان القميص الذي غسل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزع عنه عند تكفينه قال النووي في
شرح مسلم وهذا هو الصواب الذي لا يتجه غيره لانه لو ابقي مع رطوبته لافسد الاكفان قال واما الحديث
الذي في سنن ابي داود عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة اثواب الحلة ثوبان وقميصه
الذي توفي فيه فحديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به لان يزيد بن زياد احد رواته مجمع على ضعفه لاسيما وقد
خالف برواية الثقات وفي حديث ابن عباس عند ابن ماجه لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم
يوم الثلثا وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس عليه صلى الله عليه وسلم ارسالا يصلون عليه حتى اذا فرغوا
دخل النساء حتى اذا فرغن دخل الصبيان ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم احد وفي رواية
ان اول من صلى عليه الملائكة افواجا ثم اهل بيته ثم الناس فوجا فوجا ثم نساوه اخرا وروي انه لما صلى اهل
بيته لم يدر الناس ما يقولون فسالوا ابن مسعود فامرهم ان يسالوا عليا فقال لهم قولوا ان الله وملائكته
يصلون على النبي الاية لبيك اللهم ربنا وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين
والشهدا والصالحين وما سبح لك من شي يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين
وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام
ذكره الشيخ زين الدين المراغي في كتابه تحقيق النصرة ثم قالوا اين تدفنونه فقال ابو بكر رضي الله عنه سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هلك نبي قط الا يدفن حيث تقبض روحه وقال علي وانا ايضا سمعته
وحفر ابو طلحة اللحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في موضع فراشه حيث قبض وقد اختلف فيمن ادخله قبره والاصح
ما روي انه نزل في قبره عمه العباس وعلي وقثم بن العباس والفضل بن العباس وكان آخر الناس عهدا
برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس وروي انه بني في قبره تسع لبنات وفرش تحته قطيفة نجرانية
كان يتغطى بها فرشها شقران في القبر وقال والله لا يلبسها احد بعدك قال النووي وقد نص الشافعي وجميع اصحابه
وغيرهم من العلماء على كراهة وضع قطيفة او مضربة او مخدة ونحو ذلك تحت الميت في القبر وشذ البغوي من اصحابنا
فقال في كتابه التهذيب لا باس بذلك لهذا الحديث والصواب كراهة ذلك كما قال الجمهور واجابوا عن
هذا الحديث بان شقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه احد من الصحابة ولا علموا بذلك وانما فعله شقران لما
ذكرناه عنه من كراهيته ان يلبسها احد بعد النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وفي كتاب تحقيق النصرة قال ابن عبد البر
ثم اخرجت يعني القطيفة من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع حكاه ابن زبالة ولما دفن صلى الله عليه وسلم
جاءت فاطمة رضي الله عنها فقالت كيف طابت انفسكم ان تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب واخذت
من تراب القبر الشريف فوضعته على عينيها وانشات تقول

ابن الحسين

يا انس

مانا

ماذا على من شم تربة احمد ان لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو انها صبت على الايام صرن لياليا
قالت ورش قبره صلى الله عليه وسلم رشه بلال بن رباح بقربة بدا من قبل راسه حكاه ابن عساكر
وجعل عليه من حصبا العرصة حمرا وبيضا ورفع قبره من الارض قدر شبر وفي حديث عايشة عند البخاري
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا
قبور انبيائهم مساجد لولا ذلك ابرز قبره غير انه خشي او خشي ان يتخذ مسجدا كذا في رواية ابي عوانة عن
هلال خشي او خشي على الشك وفي رواية الضم مبهمة يحتمل ان تفسر بانها هي التي منعت من ابرازه ولها ضمير
الشان وكانها ارادت نفسها ومن وافقها على ذلك وهذا يقتضي انهم فعلوه باجتهاد بخلاف رواية الفتح
فانها تقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي امرهم بذلك وقولها لابرز قبره اي لكشف قبره صلى الله عليه
وسلم ولم يتخذ عليه الحايل والمراد الدفن خارج بيته وهذا قالته عايشة رضي الله عنها قبل ان يوسع المسجد
ولهذا لما وسع المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محددة حتى لا يتاتى لاحد ان يصلي الى جهة القبر الكريم
مع استقبال القبلة وفي البخاري ايضا من حديث ابي بكر بن عياش عن سفيان التمار انه حدثه انه راى قبر
النبي صلى الله عليه وسلم مسنما اي مرتفعا زاد ابو نعيم في المستخرج وقبر ابي بكر وعمر كذلك واستدل به على ان
المستحب تسنيم القبور وهو قول ابي حنيفة ومالك واحمد والمزني وكثير من الشافعية وادعى القاضي حسين
اتفاق الاصحاب عليه وتعقب بان جماعة من قدماء الشافعية استحبوا التسطيح كما نص عليه الشافعي
وبه جزم الماوردي واخرون وقول سفيان التمار لا حجة فيه كما قال البيهقي لاحتمال ان قبره صلى الله
عليه وسلم لم يكن في الاول مسنما فقد روى ابو داود والحاكم من طريق القاسم بن محمد بن ابي بكر قال دخلت
على عايشة فقلت يا امه اكشفي لي عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطية
مبطوحة ببطحا العرصة الحمرا زاد الحاكم فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدما وابا بكر راسه بين كتفي النبي
صلى الله عليه وسلم وعمر راسه عند رجلي النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كان في خلافة معاوية فكانها كانت
في الاول مسطحة ثم لما بني جدار القبر في امارة عمر بن عبد العزيز على المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك صيروها
مرتفعة وقد روى ابو بكر الاجري في كتاب صفة قبر النبي صلى الله عليه وسلم من طريق اسحق بن عيسى بن
بنت داود بن ابي هند عن غنيم بن بسطام المديني قال رايت قبر النبي صلى الله عليه وسلم في امارة عمر بن عبد
العزيز فرايته مرتفعا نحوا من اربع اصابع ورايت قبر ابي بكر وراء قبره ورايت قبر عمر وراء قبر ابي بكر اسفل منه
ثم الاختلاف في ذلك في ايهما افضل لا في اصل الجواز ورجح المزني التسنيم من حيث المعنى بان التسطيح يشبه ما
يصنع للجلوس بخلاف المسنم ومنع التسطيح ما رواه مسلم من حديث فضالة بن عبيد انه امر بقبر فسوي ثم قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بتسويتها وعن هشام بن عروة عن ابيه لما سقط عليهم الحايط يعني حايط
حجرة النبي صلى الله عليه وسلم في زمان الوليد بن عبد الملك اخذوا في بنائه فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا انها
قدم النبي صلى الله عليه وسلم فما وجدوا احدا يعلم ذلك حتى قال لهم عروة والله ما هي قدم النبي صلى الله عليه وسلم
ما هي الا قدم عمر رواه البخاري ايضا والسبب في ذلك ما رواه الاجري من طريق شعيب بن اسحق عن هشام بن عروة
قال اخبرني ابي قال كان الناس يصلون الى القبر الشريف فامر عمر بن عبد العزيز فرفع حتى لا يصلي اليه احد فلما هدم
بدت قدم بساق وركبة ففزع عمر بن عبد العزيز فاتاه عروة فقال هذا ساق عمر وركبته فسري عن عمر بن عبد العزيز
وروى الاجري قال رجاء بن حيوة قبر ابي بكر عند وسط النبي صلى الله عليه وسلم وعمر خلف ابي بكر راسه عند وسطه
وهذا ظاهر بخلاف حديث القاسم فانه يمكن الجمع والاحاديث القاسم اصح واما ما اخرجه ابو يعلى من وجه اخر عن
عايشة ابو بكر عن يمينه وعمر عن يساره فسنده ضعيف انتهى ملخصا من فتح الباري وقد اختلف اهل السير

وغيرهم في صفة القبور المقدسة على سبع روايات اوردها ابن عساكر في تحفة الزائر ونقل اهل السير عن سعيد بن المسيب قال بقي في البيت موضع قبر في السهوة الشرقية يدفن فيه عيسى بن مريم عليه السلام ويكون قبره الرابع وفي المنتظم لابن الجوزي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى ابن مريم الى الارض فيتزوج ويولد له ويمكث خمسا واربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري فاقوم انا وعيسى بن مريم من قبر واحد بين ابي بكر وعمر لذا ذكره في تحقيق النصرة والله اعلم فان قلت قد تقدم انه عليه السلام توفي يوم الاثنين ودفن يوم الاربعاء فلم اخر دفنه عليه السلام وقد قال صلى الله عليه وسلم لاهل بيت تاخر دفن ميتهم عجلوا دفن ميتكم ولا تؤخروه فالجواب كما ذكر من عدم اتفاقهم على موته او لانهم كانوا لا يعلمون حيث يدفن قال قوم في البقيع وقال آخرون في المسجد وقال قوم يحمل الى ابيه ابراهيم حتى يدفن عنده ثم قال العالم الاكبر صديق الامة سمعته يقول ما دفن نبي الا حيث يموت ذكره ابن ماجه والموطا كما تقدم وفي رواية الترمذي ما قبض الله نبيا الا في الموضع الذي يحب ان يدفن فيه ادفنوه في موضع فراشه او لانهم اشتغلوا في الخلاف الذي وقع بين المهاجرين والانصار فنظروا فيها حتى استقر الامر في الخلافة ونظامها فبايعوا ابا بكر ثم بايعوه بالغد بيعة اخرى عن ملاء منهم وكشف الله الكربة من اهل الردة ثم رجعوا بعد ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فنظروا في دفنه فغسلوه وكفنوه ولما قبض صلى الله عليه وسلم تزينت الجنان ليوم قدوم روحه الكريمة كزينة المدينة يوم قدومه لملك اذا كان عرش الرحمن قد اهتز لموت بعض اتباعه فرحا واستبشارا بقدوم روحه فكيف بقدوم روح الارواح ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة لعبت الحبشة بحرابهم فرحا بقدومه كما رواه ابو داود من حديث انس وفي رواية الدارمي قال انس ما رايت يوما كان احسن ولا اضوا من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما رايت يوما كان اقبح ولا اظلم من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية الترمذي لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه اظلم منها كل شيء وما نفضنا ايدينا من التراب وانا لفي دفنه حتى انكرنا قلوبنا ومن اياته عليه السلام بعد موته ما ذكر من ضرب حمار عليه حتى تردى في بئر وكذا ناقته لم تاكل ولم تشرب حتى ماتت من ذلك وظهور ما اخبر به انه كان يعلمونه مما لا غاية له ولا حد يحصيه مما ذكرت بعضه في المقصد الثامن وفي حديث ابي موسى عند مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا اراد بامة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها واذا اراد هلكة امة عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا امره ولهذا كان قبض النبي قبل امته خيرا لانهم اذا اتبعوا قبله فقد انقطعت اعمالهم واذا اراد الله بهم خيرا جعل خيرهم مستمرا ببقائهم محافظين على ما امر به من العبادات وحسن المعاملات نسال الله نيل رضاه وعقباه بعد عقبى ذي

الفصل الثاني في زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف اعلم ان زيارة قبره الشريف من اعظم القربات وارجى الطاعات والسبيل الى اعلى الدرجات ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الاسلام وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الاعلام وقد اطلق بعض المالكية وهو ابو عمران الفاسي كما ذكره في المدخل عن تهذيب الطالب لعبد الحق انها واجبة قال ولعله اراد وجوب السنن المؤكدة وقال القاضي عياض انها سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها وروى الدارقطني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زار قبري وجبت له شفاعتي ورواه عبد الحق في احكامه الوسطى والصغرى وسكت عنه وسكوته عن الحديث فيها دليل على صحته وفي المعجم الكبير عن الطبراني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من جاءني زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتي كان حقا علي ان اكون له شفيعا يوم القيامة وصححه

ابن السكن وروى عنه صلى الله عليه وسلم من وجد سعة ولم يفد الي فقد جفاني ذكره ابن فرحون في مناسكه والغزالي في الاحياء ولم يخرجه العراقي بل اشار اليه مما اخرجه ابن النجار في تاريخ المدينة مما هو في معناه عن انس بلفظ ما من احد من امتي له سعة ثم لم يزرني الا وليس له عذر ولابن عدي في الكامل وابن حبان في الضعفاء والدارقطني في العلل وغرائب مالك وآخرين كلهم عن ابن عمر مرفوعا من حج ولم يزرني فقد جفاني ولا يصح وعلى تقدير ثبوته فليتامل قوله فقد جفاني فانه ظاهر في حرمة ترك الزيارة لان الجفا اذى والاذى حرام بالاجماع فيجب ازالة الجفا واجبة وهي بالزيارة فالزيارة واجبة حينئذ وبالجملة فمن تمكن من زيارته ولم يزره فقد جفاه وليس من حقه علينا ذلك وعن حاطب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي ومن مات باحد الحرمين بعث من الآمنين رواه البيهقي عن رجل من آل حاطب لم يسمه عن حاطب وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زار قبري او قال من زارني كنت له شفيعا او شهيدا رواه البيهقي وغيره عن رجل من آل عمر لم يسمه عن عمر وعن انس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني محتسبا الى المدينة كان في جواري يوم القيامة رواه البيهقي ايضا قال العلامة زين الدين بن الحسين المراغي وينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته صلى الله عليه وسلم قربة للاحاديث الواردة في ذلك ولقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الاية لان تعظيمه صلى الله عليه وسلم لا ينقطع بموته ولا يقال ان استغفار الرسول لهم انما هو في حال حياته وليست الزيارة كذلك لما اجاب به بعض ائمة المحققين ان الاية دلت على تعليق وجدان الله تعالى توابا رحيما بثلاثة امور المجيء واستغفارهم واستغفار الرسول لهم وقد حصل استغفار الرسول لجميع المؤمنين لانه صلى الله عليه وسلم قد استغفر للجميع قال الله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فاذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكملت الامور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته وقد اجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي واوجبها الظاهرية فزيارته صلى الله عليه وسلم مطلوب بالعموم والخصوص لما سبق ولان زيارة القبور تعظيم وتعظيمه صلى الله عليه وسلم واجب ولهذا قال بعض العلماء لا فرق في زيارته صلى الله عليه وسلم بين الرجال والنساء وان كان محل الاجماع على استحباب زيارة القبور للرجال وفي النساء خلاف الاشهر في مذهب الشافعي الكراهة قال ابن حبيب من المالكية ولا تدع زيارة قبره صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده فان فيه من الرغبة ما لا غنى بك ولا باحد عنه وينبغي لمن نوى الزيارة ان ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه لانه احد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال الا اليها وهو افضلها عند مالك وليس لشد الرحال الى غير المساجد الثلاثة فضل لان الشرع لم يجئ به وهذا الامر لا يدخله قياس لان شرف البقعة انما يعرف بالنص الصريح عليه وقد ورد النص في هذه دون غيرها وقد صح ان عمر بن عبد العزيز كان يبرد البريد للسلام على النبي صلى الله عليه وسلم فالسفر اليه قربة لعموم الادلة ومن نذر الزيارة وجبت عليه كما جزم به ابن كج من اصحابنا وعبارته اذا نذر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم لزمه الوفا وجها واحدا انتهى ولو نذر اتيان المسجد الاقصى للصلاة لزمه ذلك على الاصح عندنا وبه قال المالكية والحنابلة لكنه يخرج عنه بالصلاة في المسجد الحرام وصحح النووي ايضا انه يخرج عنه بالصلاة في مسجد المدينة قال ونص عليه الشافعي في البويطي وبه قال الحنفية والحنابلة وللشيخ تقي الدين بن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شد الرحل للزيارة النبوية المحمدية وانه ليس من القرب بل بضد ذلك ورد عليه الشيخ تقي الدين في شفاء السقام فشفى صدور المؤمنين وحكى الشيخ ولي الدين السبكي العراقي ان والده كان معادلا للشيخ زين الدين عبد الرحمن بن رجب الدمشقي في التوجه الى بلد الخليل عليه السلام فلما دنا من البلد قال نويت الصلاة في مسجد الخليل ليحترز عن شد الرحل لزيارته على طريقة شيخ الحنابلة ابن تيمية قال فقلت نويت زيارة قبر الخليل عليه السلام ثم قلت له اما انت

فقد خالفت النبي صلى الله عليه وسلم لانه قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد وقد شددت الرحال الى
مسجد رابع واما انا فاتبعت النبي صلى الله عليه وسلم لانه قال زوروا القبور افقال الا قبر الانسان قال
فبهت وينبغي لمن اراد الزيارة ان يكثر من الصلاة والتسليم عليه في طريقه فاذا وقع بصره على معالم المدينة
الشريفة فليزد الصلاة عليه والتسليم ويسأل الله ان ينفعه بزيارته ويسعده بها في الدارين وليغتسل
وليلبس النظيف من ثيابه وليترجل ماشيا باكيا لمشاركه ولقد عبد القيس رسول الله صلى الله عليه وسلم
القوا انفسهم عن رواحلهم ولم ينيخوها وسارعوا اليه فلم ينكر ذلك عليهم صلوات الله وسلامه عليه
ورويناه مما ذكره القاضي عياض في الشفا ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها
ترجل ومشى باكيا منشدا ه

ولما راينا رسم من لم يدع لنا • فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة • لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وانبئنا ان العلامة ابا عبد الله بن رشيد قال لما قدمنا المدينة سنة اربع وثمانين وستمائة كان
معي رفيقي الوزير ابو عبد الله بن [illegible] القاسم بن الحكيم وكان ارمد فلما دخلنا ذا الحليفة او نحوها نزلنا عن
الاكوار وقوي الشوق لقرب المزار فنزل وبادر المشي على قدميه احتسابا لتلك الاثار واعظاما لمن حل
تلك الديار واحس بالشفا وانشد لنفسه في وصف الحال ه

ولما راينا من ربوع حبيبنا • بيثرب اعلاما اثرن لنا الحبا • وبالترب منها اذ كحلنا جفوننا
شفينا فلا باسا نخاف ولا كربا • وحين تبدى للعيون جمالها • ومن بعدها عنا اديلت لنا قربا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة • لمن حل فيها ان نلم به ركبا • نسح سجال الدمع في عرصاته
ونلثم من حب لواطيه الترابا • وان بقائي دونه لخسارة • ولو ان كفي تملأ الشرق والغربا
فيا عجبا ممن يحب بزعمه • يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا • وزلات مثلي لا تعدد كثرة • وبعدي عن المختار اعظمها ذنبا

ولما كنت قاصدا لهذا القصد الزيارة في ربيع الاخر سنة اثنين وتسعين وثمانمائة لاح لنا عند الصباح
جبل مفرح الارواح المبشر بقرب المزار من اشرف الديار تسابق الركبان اليه وتعالوا بالصعود عليه
استعجالا لمشاهدة الاثار فبهرت لوائح الانوار النبوية وهبت علينا نسمات العوارف
المحمدية وطبنا وغبنا اذ شهدنا اعلام خير البرية ه

الامع برق بالغضى وبروح • ام النور من ارض الحجاز يلوح • وريح الصبا هبت بطيب عرفهم
ام الروض في وجه الصباح يفوح • ترنحنا باحادي العيس والنغمات • فللنور بين الوادين وضوح
فيا هذه الا ديار احبابها • وذاك سناها بالغضى وبروح • والا فما للركب هاج اشتياقهم
فكل من الشوق الشديد بلا صبر • وانت مطايا الركب حتى كانها • حمائم على قضب الاراك تنوح
وقد مدت الاعناق شوقا وطربها • الى النور من تلك الديار يلوح • رات دار من تهوى فزاد اشتياقها
ومدمعها في الوجنتين سفوح • اذا العيس حنت بالغرام ولم تفق • فقلبي في الصب ليس ينوح

ولما قربنا من المدينة واعلامها وبدا لنا من معاهدها رباها الكريمة وذكا مسكها انتشقنا عرف اطلال ثرى
ازهارها وبدت للنواظر بوارق انوارها وترادفت واردات الهم والمطايا ونزل القوم عن المطايا كما انشد
متمثلا ه اتيتك زائرا ووددت اني • جعلت سواد عيني امتطيه • وما لي لا اسير على الاماقي • الى قبر رسول الله فيه •
ولما وقع بصري على القبة الشريفة والمسجد المنيف فاضت من الفرح سوابق العبرات حتى اصابت بعض
الترك والعبرات ه فقلت
ايها المغرم المشوق هنيئا • ما انالوك من لذيذ التلاق
قل لعينيك تهملان سرورا • طالما اسعداك يوم الفراق • واجمع الوجد والسرور وابهجا • وجمع الانجاد والاشواق
وامر العين ان تجمع اعمالا • وتعالى به معها المهراق • هذه دارهم وانت محب • ما بقاء الدموع في الاماقي •

جمع الكور بالضم الرحل ق

الوحل اللهب واللسان ق

ونسب رعة الى اعطاله الانوار
وترجحنا وجها الى الاثار النبوية

وكان بها كان مما لست اذكره • فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر ه ويستحب صلاة الركعتين قبل
الزيارة قيل وهذا اذا لم يكن مروره من جهة وجهه الشريف عليه الصلاة والسلام فان كان استحبت
الزيارة قبل التحية قال في تحقيق النصرة وهو استدراك حسن قاله بعض شيوخنا وفي منسك ابن فرحون
فان قلت المسجد انما تشرف باضافته اليه صلى الله عليه وسلم فينبغي البداءة بالوقوف عنده صلى الله
عليه وسلم قلت قال ابن حبيب في اول كتاب الصلاة حدثني مطرف عن مالك عن يحيى بن سعيد عن جابر
ابن عبد الله رضي الله عنه قال قدمت من سفر فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم عليه وهو بفناء
المسجد فقال ادخلت المسجد فصليت فيه قلت لا قال فاذهب فادخل المسجد وصل فيه ثم ائت فسلم علي
قال ورخص بعضهم في تقديم الزيارة على الصلاة وقال ابن الحاج وكل ذلك واسع ولعل هذا الحديث لم يبلغهم
والله اعلم انتهى وينبغي للزائر ان يستحضر من الخشوع ما امكنه وليكن مقتصدا في سلامه بين الجهر والاسرار
وفي البخاري ان عمر رضي الله عنه قال للرجلين من اهل الطائف لو كنتما من اهل البلد لاوجعتكما ضربا ترفعان
اصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال لا ينبغي رفع
الصوت على نبي حيا ولا ميتا وروي عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار
يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فترسل اليهم لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا وما عمل علي بن ابي طالب رضي الله عنه مصراعي داره الا بالمناصع توقيا لذلك نقله ابن زبالة فيجب
الادب معه كما في حياته وينبغي للزائر ان يتقدم الى القبر الشريف من جهة القبلة وان جاء من جهة رجلي الصحابي
فهو ابلغ في الادب معه كما في حياته من جهة رأسه الكريم ويستدبر القبلة ويقف قبالة وجهه صلى الله عليه
وسلم بان يقابل المسمار الفضة المضروب في الرخام الذي في الجدار ولا عبرة بالقنديل الكبير اليوم لان هناك
عدة قناديل وقد روي ان مالكا لما ساله ابو جعفر المنصور العباسي يا ابا عبد الله استقبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وادعوا فقال له مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى
الله عز وجل يوم القيامة وينبغي ان يقف عند محاذاة اربع اذرع ويلازم الادب والخشوع والتواضع غاض
البصر في مقام الهيبة كما كان يفعل بين يديه في حياته ويستحضر علمه بوقوفه بين يديه وسماعه لسلامه
كما هو في حال حياته اذ لا فرق بين موته وحياته في مشاهدته لامته ومعرفته باحوالهم ونياتهم وعزائمهم
وخواطرهم وذلك عنده جلي لا خفاء به فان قلت هذه الصفات مختصة بالله تعالى فالجواب ان من انتقل
الى عالم البرزخ من المؤمنين يعلم احوال الاحياء غالبا وقد وقع كثير من ذلك كما هو مسطور في مظنة ذلك من
الكتب وقد روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب ليس من يوم الا ويعرض على النبي صلى الله عليه وسلم اعمال
امته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم واعمالهم فلذلك يشهد عليهم ويمثل الزائر وجهه الكريم عليه الصلاة
والسلام في ذهنه ويحضر قلبه جلال رتبته وعلو منزلته وعظيم حرمته وان اكابر الصحابة ما كانوا يخاطبونه
الا كاخي السرار تعظيما لما عظم الله من شانه وقد روى ابن النجار ان امراة سالت عائشة رضي الله عنها ان
اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته فبكت حتى ماتت وحكي عن ابي الفضل الجوهري انه لما [illegible]
الحجرة المقدسة انه شاهد شخصا من الزوار الشيوخ اتى باب مقصورة الحجرة الشريفة فطاطا راسه نحو
العتبة فحركوه فاذا هو ميت وكان ممن شهد جنازته ثم يقول الزائر بحضور قلب وغض طرف
وصوت وسكون جوارح واطراق السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا حبيب الله
السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا نبي الله سيد المرسلين وخاتم النبيين السلام
عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى اهل بيتك الطيبين الطاهرين السلام عليك وعلى ازواجك الطاهرات

المناصع مواضع يتخلى فيها لقضاء الحاجة واحدها منصع

من الانباه

امهات المؤمنين السلام عليك وعلى اصحابك اجمعين السلام عليك وعلى سائر الانبياء وسائر عباد الله الصالحين جزاك الله يا رسول الله افضل ما جزى نبيا ورسولا عن امته وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك عبده ورسوله وامينه وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت في الله حق جهاده ومن ضاق وقته عن ذلك او عن حفظه فليقل ما تيسر منه او مما يحصل به الغرض وفي التحفة ان ابن عمر وغيره من السلف كانوا يقتصرون ويوجزون في هذا جدا فعن مالك بن انس امام دار الهجرة وناهيك به خبرة بهذا الشان من رواية ابن وهب يقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وعن نافع عن ابن عمر انه كان اذا قدم من سفر دخل المسجد ثم اتى القبر المقدس فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا ابتاه وينبغي ان يدعو ولا يتكلف السجع فانه قد يؤدي الى الاخلال بالخشوع وقد حكى جماعة منهم الامام ابو نصر بن الصباغ في الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي واسمه محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة ابن ابي سفيان بن صخر بن حرب وتوفي في سنة ثمان وعشرين ومائتين وذكرها ابن النجار وابن عساكر وابن الجوزي في مثير العزم الساكن عن محمد بن حرب الهلالي قال اتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فزرته وجلست بحذائه فجاء اعرابي فزاره ثم قال يا خير الرسل ان الله انزل عليك كتابا صادقا قال فيه ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي وانشأ يقول

يا خير من دفنت في القاع اعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسي الفداء لقبر انت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ووقف اعرابي على قبره الشريف وقال اللهم انك امرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وانا عبدك فاعتقني من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف يا هذا تسأل العتق لك وحدك هلا سألت لجميع الخلق اذهب فقد اعتقناك من النار

ان الملوك اذا شابت عبيدهم ... في رقهم اعتقوهم عتق ابرار
وانت يا سيدي اولى بذا كرما ... قد شبت في الرق فاعتقني من النار

وعن الحسن البصري قال وقف حاتم الاصم على قبره صلى الله عليه وسلم فقال يا رب انا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين فنودي يا هذا ما اذنا لك في زيارة قبر حبيبنا الا وقد قبلناك فارجع انت ومن معك من الزوار مغفورا لكم وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة قال الشيخ زين الدين المراغي وغيره والاولى ان ينادي يا رسول الله وان كانت الرواية يا محمد انتهى وقد نبهت على ذلك مع مزيد بيان في كتاب لوامع الانوار في الادعية والاذكار وان اوصاه احد بابلاغ السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فليقل السلام عليك يا رسول الله من فلان ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على ابي بكر لان راسه بحذاء منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما جزم به رزين وغيره وعليه الاكثر فيقول السلام عليك يا خليفة سيد المرسلين السلام عليك يا من ايد الله به يوم الردة الدين جزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيرا اللهم ارض عنه وارض عنا به ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول السلام عليك يا امير المؤمنين السلام عليك يا من ايد الله به الدين جزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيرا اللهم ارض عنه وارض عنا به ثم يرجع الى موقفه الاول قبالة وجه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد السلام على سيدنا ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ويكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويكثر الدعاء والتضرع ويجدد التوبة في حضرته الكريمة ويسأل الله تعالى بجاهه ان

يجعلنا

يجعلنا توبة نصوحا ويكثر من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرته الشريفة حيث يسمعه ويرد عليه وقد روى ابو داود من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وعند ابن ابي شيبة من حديث ابي هريرة مرفوعا من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن سليمان بن سحيم مما ذكره القاضي عياض في الشفا قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم ولا شك ان حياة الانبياء عليهم السلام ثابتة مستمرة معلومة ونبينا صلى الله عليه وسلم افضلهم واذا كان كذلك فينبغي ان تكون حياته صلى الله عليه وسلم اكمل واتم من حياة سائرهم فان قال بعض الطلبة ردي الفهم لو كانت حياته صلى الله عليه وسلم مستمرة ثابتة لما كان لرد روحه معنى كما قال الا رد الله علي روحي اجيب عن ذلك من وجوه احدها ان هذا اعلام بثبوت وصف الحياة دائما لثبوت رد السلام دائما فوصف الحياة لازم لرد السلام اللازم واللازم يجب وجوده عند ملزومه او ملزوم ملزومه فوصف الحياة ثابت دائما لان ملزوم ملزومه ثابت دائما وهذا من نفائس بحر البيان في اثبات المقصود باكمل انواع البلاغة واجل فنون البراعة التي هي قطرة من بحار بلاغته العظمى ومنها ان ذلك عبارة عن اقبال خاص والتفات روحاني يحصل من الحضرة الشريفة النبوية الى عالم الدنيا وقوالب الاجساد الترابية وتنزل الى البشرية حتى يحصل عند ذلك رد السلام وهذا الاقبال يكون عاما شاملا حتى لو كان المسلمون في كل لحظة اكثر من الف الف الف لوسعهم ذلك الاقبال النبوي والالتفات الروحاني ولقد رايت من ذلك ما لا استطيع التعبير عنه ولقد احسن من سئل كيف يرد النبي صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه في مشارق الارض ومغاربها في آن واحد فانشد قول ابي الطيب

كالشمس في وسط السماء ونورها ... يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

ولا ريب ان حاله صلى الله عليه وسلم في البرزخ افضل واكمل من حال الملائكة هذا سيدنا عزرائيل عليه السلام يقبض مائة الف روح في وقت واحد ولا يشغله قبض عن قبض وهو مع ذلك مشغول بعبادة الله تعالى مقبل على التسبيح والتقديس فنبينا صلى الله عليه وسلم حي يصلي ويعبد ربه ويشاهده لا يزال في حضرة اقترابه متلذذا بسماع خطابه وقد تقدم الجواب عن قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون في اواخر الخصائص من المقصد الرابع وروى الدارمي عن سعيد بن عبد العزيز قال لما كان ايام الحرة لم يؤذن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد فكان لا يعرف وقت الصلاة الا بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ابن النجار وابن زبالة بلفظ قال سعيد يعني ابن المسيب فلما حضرت الظهر سمعت الاذان في القبر فصليت ركعتين ثم سمعت الاقامة فصليت الظهر ثم مضى ذلك الاذان والاقامة في القبر المقدس لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليال يعني ليالي ايام الحرة وقد روى البيهقي وغيره من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الانبياء احياء في قبورهم يصلون وفي رواية ان الانبياء لا يتركون في قبورهم بعد اربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في الصور وله شواهد في الصحيح منها قوله صلى الله عليه وسلم مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره وفي حديث ابي ذر في قصة المعراج انه لقي الانبياء في السموات وكلموه وكلمهم وقد ذكرت مزيد بيان لذلك في حجة الوداع من مقصد عباداته وفي محل الخصائص الكريمة في مقصد معجزاته وفي مقصد الاسراء والمعراج وهذا الصلوات والحج الصادر من الانبياء ليس على سبيل التكليف انما هو على سبيل التلذذ ويحتمل ان يكون عملهم في البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا في استكثارهم من الاعمال وزيادة الاجور من غير خطاب بتكليف وبالله التوفيق وانا اثبت بشهادة قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون حياة الشهداء ثبت للنبي بطريق الاولى والذي عليه جمهور العلماء ان الشهداء احياء حقيقة وهل ذلك للروح فقط او للجسد معها بمعنى عدم البلا فيه قولان

وقد صح عن جابر ان اباه وعمرو بن الجموح وكانا ممن استشهدا باحد ودفنا في قبر واحد حتى حفر السيل
قبرهما فوجدا لم يتغيرا وكان احدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده عن
جرحه ثم ارسلت فرجعت كما كانت وكان بين ذلك وبين احد ست واربعون سنة وروي عنه عليه
السلام انه قال في شهداء احد والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيمة الا ردوا عليه رواه
البيهقي عن ابي هريرة وقد قال ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلاة
علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء رواه ابو
داود وابن ماجه ونقل ابن زبالة عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كلمه روح القدس
لم يؤذن للارض ان تاكل من لحمه وقد ثبت ان نبينا صلى الله عليه وسلم مات شهيدا لاكله يوم خيبر من
شاة مسمومة سما قاتلا من ساعته حتى مات منه بشر بن البراء وصار بقاؤه صلى الله عليه وسلم معجزة فكان
الم السم يتعاهده الى ان مات به ولذا قال في مرض موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني حتى كان الان
وقطعت ابهري والابهر عرق يخرج من القلب تتشعب منه الشرايين كما ذكره في الصحاح قال العلما
فجمع الله له بذلك بين النبوة والشهادة انتهى وقد اختلف في محل الوقوف للدعاء فعند الشافعية انه يقابل
وجهه صلى الله عليه وسلم كما ذكرته وقال ابن فرحون من المالكية اختلف اصحابنا في محل الوقوف للدعاء ففي
الشفا قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم يقف للدعاء ووجهه الى القبر الشريف
لا الى القبلة وقد سال الخليفة المنصور مالكا فقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى
الله يوم القيمة وقال مالك في المبسوط لا ارى ان يقف عند القبر يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن فرحون
ولعل ذلك اختلاف قول وانما امر المنصور بذلك لانه يعلم ما يدعو ويعلم اداب الدعاء بين يديه صلى الله عليه
وسلم فامن عليه من سوء الادب فافتاه بذلك وافتى العامة ان يسلموا وينصرفوا [illegible] وجهه الكريم
ويتوسلوا به في حضرته الى الله العظيم مما لا ينبغي الدعاء به او فيما يكره او يحرم فما [illegible]
واكثرهم لا يقوم باداب الدعاء ولا يعرفها فلذلك امرهم مالك بالسلام والانصراف انتهى وفي منسك
للشيخ تقي الدين بن تيمية في منسكه ولا يدعو هناك مستقبل الحجرة ولا يصلي اليها ولا يقبلها فان هذا كله منهي عنه
باتفاق الائمة ومالك من اعظم الائمة كراهية لذلك والحكاية المروية عنه انه امر المنصور ان يستقبل القبر وقت
الدعاء كذب على مالك كذا قال فالله اعلم انتهى واما قول الابوصيري في بردة المديح

لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه • طوبى لمنتشق منه وملتثم •

فقال شارحها العلامة ابن مرزوق وغيره كانه
اشار الى النوعين المستعملين في الطيب لانه اما يستعمل بالشم واليه اشار بقوله لمنتشق واما بالتضمخ والمراد
ملتثم قالوا واقل ذلك يعفر جبهته والله يرحمه حال السجود في مسجده عليه السلام وليس المراد به
تقبيل القبر الشريف فانه مكروه ونقل الزركشي عن السيرافي ان طوبى الطيب وكذا قال ابن هرمز طوبى
فعلى من الطيب وهذا مبني على ان المراد ان تربته افضل انواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسية وذلك اما
لانه كذلك في نفس الامر ادركه من ادركه ام لا واما باعتبار اعتقاد المومن في ذلك فان المومن لا يعدل
بشم رائحة تربته عليه الصلوة والسلام شيا من الطيب فان قلت لو كان المراد الحقيقة الحسية لادرك
ذلك كل احد فالجواب لا يلزم من قيام المعنى بمحل ادراكه لكل احد بل حتى يوجد الشرائط وتنتفي الموانع
وعدم الادراك لا يدل على عدم المدرك وانتفا الدليل لا يدل على انتفا المدلول فالمزكوم لا يدرك رائحة المسك
على تحقق ولما كانت احوال القبر من الامور الاخروية لا جرم ان لا يدركها من الاحيا الا من كشف له الغطا

من الاولياء المقربين لان متاع الاخرة باق وما في الدنيا فان والفاني لا يتمتع بالباقي للتضاد ولا بعد
عندي ممن له ادنى تعلق بشريعة الاسلام ان قبره عليه السلام روضة من رياض الجنة بل افضلها واذا
كان القبر كما ذكرناه وقد حوى جسمه الشريف عليه السلام الذي هو اطيب الطيب فلا مرية انه لا طيب
يعدل تراب قبره المقدس ورحم الله ابا العباس احمد بن محمد بن العريف حيث يقول في قصيدته التي اولها

اذا ما حدى الحادي باجمال يثرب • فلبس المطايا فوق خدك تعنق • فما عبق الريحان الا ونشرها
احل من الريحان طيبا واعبق •

ثم قال بعد ابيات

راحت ركائبهم تندى روائحها • طيبا فيا طيب ذاك الوفد اشباحا • نسيم قبر النبي المصطفى لهم
روح اذا نشروا من ذكره فاحا •

وله ايضا

فاح الصعيد بجسمه فكانه • روض ينم بعرفه المتاريج • ما جسمه مما يغيره الثرى • والروح عنه كالصباح الابلج •

وقال ابن بطال في قوله عليه السلام المدينة تنصع طيبها هو مثل ضربه للمومن الساكن فيها الصابر
على لاوايها مع فراق الاهل والتزام المخافة من العدو فلما باع نفسه من الله والتزم هذا الامر بان صدقه وصح
ايمانه وقوي لاغتباطه بسكنى المدينة وبقربه من رسول الله كما ينصع ريح الطيب فيها ويزيد عبقا على
سائر البلاد خصوصية خصها الله بها بان جعلها رسوله عليه السلام التي اختار تربتها لمباشرة جسده الطيب
المطهر وقد جاء في الحديث ان المومن يقبر في التربة التي خلق منها فكانت بهذا تربة المدينة افضل الترب
كما انه هو عليه السلام افضل البشر فلهذا والله اعلم يتضاعف ريح الطيب فيها على سائر البلدان انتهى
وينبغي للزائر ان يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به صلى الله عليه وسلم فجدير بمن
استشفع به ان يشفعه الله واعلم ان الاستغاثة هي طلب الغوث فالمستغيث يطلب من المستغاث به
ان يحصل له الغوث منه فلا فرق بين ان يعبر بلفظ الاستغاثة او التوسل او التشفع او التجوه او التوجه
لانهما من الجاه والوجاهة ومعناه علو القدر والمنزلة وقد يتوسل بصاحب الجاه الى من هو اعلى منه ثم
ان كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره في تحقيق النصرة
ومصباح الظلام واقع في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ
وبعد البعث في عرصات القيمة فاما الحالة الاولى فحسبك ما قدمته في المقصد الاول من استشفاع
ادم عليه السلام به لما اخرج من الجنة وقول الله تعالى له يا ادم لو تشفعت الينا بمحمد في اهل السموات
والارض لشفعناك وفي حديث عمر بن الخطاب عند الحاكم والبيهقي وغيرهما واذا سالتني بحقه فقد غفرت لك
ويرحم الله ابن جابر حيث قال

به قد اجاب الله ادم اذ دعا •
ونجى في بطن السفينة نوح • وما ضرت النار الخليل لنوره • ومن اجله نال الفداء ذبيح •

واما التوسل به بعد خلقه في مدة حياته فمن ذلك الاستغاثة به عليه السلام عند القحط وعدم الامطار
وكذلك الاستغاثة به من الجوع ونحو ذلك مما ذكرته في مقصد المعجزات ومقصد العبادات في الاستسقاء ومن
ذلك استغاثة ذوي العاهات به وحسبك ما رواه النسائي والترمذي عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضريرا
اتاه صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافيني قال فامره ان يتوضا فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء
اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني توجهت بك الى ربك في حاجتي لتقضى لي اللهم
شفعه في وصححه البيهقي وزاد فقام وقد ابصر واما التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد موته في البرزخ
فهو اكثر من ان يحصى او يدرك باستقصاء وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام للشيخ ابي عبد الله
ابن النعمان طرف من ذلك ولقد كان حصل لي داء اعيى دواؤه الاطباء واقمت به سنين فاستغثت به

صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلث وتسعين وثمانمائة بمكة زادها
الله شرفا ومن علي بالعودة اليها في عافية بلا محنة فبينا انا نائم اذا رجل معه قرطاس يكتب فيه هذا دوا
لداء احمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الاذن الشريف النبوي ثم استيقظت فلم اجد بي والله
شيئا مما كنت اجده وحصل الشفا ببركة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ووقع لي ايضا في سنة خمس
وثمانين وثمانمائة في طريق مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة النبوية لقصد مصر ان صرعت خادمتنا
غزال الحبشية واستمر بها اياما فاستغثت به صلى الله عليه وسلم في ذلك فاتاني آت في منامي ومعه
الجني الصارع لها فقال لقد ارسله لك النبي صلى الله عليه وسلم فعاتبته وحلفته ان لا يعود اليها ثم
استيقظت وليس بها قلبة كانما نشطت من عقال ولا زالت في عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة
سنة اربع وتسعين وثمانمائة فالحمد لله رب العالمين **واما التوسل** به صلى الله عليه وسلم في عرصات
القيمة فمما قام عليه الاجماع وتواترت به الاخبار في حديث الشفاعة **فعليك** ايها الطالب ادراك
السعادة والمؤمل حسن الحال في حضرة الغيب والشهادة بالتعلق باذيال عطفه وكرمه والتطفل على موائد نعمه
والتوسل بجاهه الشريف والتشفع بقدره المنيف فهو الوسيلة الى نيل المعالي واقتناص المرام والمفزع
يوم الجزع والهلع لكافة الرسل الكرام واجعله امامك فيما نزل بك من النوازل وامامك فيما تحاول
من القرب والمنازل فانك تظفر من المراد باقصاه وتدرك رضى من احاط بكل شيء علما واحصاه واجتهد
ما دمت بطيبة الطيبة حسب في تحصيل انواع القربات ولازم قرع ابواب السعادات باظافر الطلبات
وارق في مدارج العبادات ولج في سرادق المناجاة • تمتع ان ظفرت بنيل قرب
وحصل ما استطعت من اتحاب • فها انا قد اتيتكم عطاي • وها قد صرت عندكم في جواري •
• فخذ ما شئت من كرم وجود • ونل ما رمت من نعم غزار • فقد وسعت ابواب الدراري
وقد قربت لكم دارا • به فتيتم ما طلبتم من جمالي • تجلى للقلوب بلا استتار
ولازم الصلوات مكتوبة ونافلة في مسجده المكرم خصوصا بالروضة التي ثبت انها روضة من رياض الجنة
كما رواه البخاري قال ابن ابي جمرة معناه تنقل تلك البقعة بعينها في الجنة فتكون روضة من رياض الجنة
ويحتمل ان يكون المراد ان العمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة قال والاظهر الجمع بين الوجهين معا
يعني احتمال كونها تنقل الى الجنة وكون العمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة قال ولكل وجه منهما دليل
يعضده ويقويه من جهة النظر والقياس اما الدليل على ان العمل فيها يوجب روضة في الجنة فلانه اذا
كانت الصلاة في مسجده عليه السلام بالف فيما سواه من المساجد فلهذه البقعة زيادة على باقي البقع كما كان
للمسجد زيادة على غيره واما الدليل على كونها بعينها في الجنة وكون المنبر ايضا على الحوض كما اخبر عليه السلام
وان الجذع في الجنة والجذع في البقعة نفسها فبالعلة التي اوجبت للجذع الجنة هي في البقعة سواء على ما اذكر
بعد ان شاء الله تعالى والذي اخبر بهذا اخبر بهذا فينبغي الحمل على اكمل الوجوه وهو الجمع بينهما لانه قد تقرر
من قواعد الشرع ان البقع المباركة ما فائدة بركتها لنا والاخبار بها لنا الا لتعميرها بالطاعات فان الثواب
فيها اكثر وكذلك الايام المباركة ايضا وهنا يكون الموضع روضة من رياض الجنة الآن ويعود روضة
كما كان في موضعه ويكون للعامل بالعمل فيه روضة في الجنة وهو الاظهر لوجهين احدهما لعلو مرتبته عليه
السلام **ولما** خص الخليل عليه السلام بالحجر من الجنة خص الحبيب عليه الصلاة والسلام بالروضة من الجنة **وهنا**
بحث لم جعلت هذه البقعة من بين سائر البقع روضة من رياض الجنة **فان** قلنا تعبد فلا بحث **وان** قلنا لحكمة
فبينة تحتاج الى البحث والاظهر انها لحكمة وهي انه قد سبق في العلم الرباني بما ظهر ان الله تعالى فضله على

جميع

جميع خليقته وان كل ما كان منه بنسبة ما من جميع المخلوقات يكون له التفضيل على جنسه كما استقرئ
في كل امورهم من بدء ظهوره عليه السلام الى حين وفاته في الجاهلية والاسلام **فمنها** ما كان من شان
امه وما نال حليمة من بركته مع الجاهلية الجهلاء حسبما هو مذكور معلوم ومثل ذلك حليمة السعدية وحتى
الاتان وحتى البقعة التي يجعل الاتان يدها عليها غضا من حينها وما هو من ذلك كله معلوم
وكان مشيه عليه السلام حيث ما مشى ظهرت البركات مع ذلك كله وحيث وضع عليه السلام يده المباركة
ظهر في ذلك كله من الخيرات والبركات حسا ومعنى كما هو منقول ومعروف **ولما** ثبت ان الجمهور
انه عليه السلام لا بد له من بيت ولا بد له من منبر وانه بالضرورة يكثر تردده عليه السلام بين المنبر
والبيت كالحرمة التي اعطى اذا كان من مشية واحدة بمباشرة او بواسطة حيوان او غيره تظهر البركة
والخير فكيف مع كثرة تردده عليه السلام في البقعة الواحدة مرارا في اليوم الواحد طول عمره من
وقت هجرته الى حين وفاته فلم يبق لها من الترفيع بالنسبة الى عالمها اعلى مما وصفنا وهو انها كانت من
الجنة وتعود اليها وهي الآن منها وللعامل فيها مثلها فلو كانت مرتبة يمكن ان تكون ارفع من هذه في هذه
الدار لكانت لهذه اعلى مرتبة مما ذكرنا في جنسها **فان احتج** محتج لا فهم له بان يقول ينبغي ان يكون ذلك للمدينة
بكمالها لانه عليه السلام كان يطاها بقدمه مرارا **فالجواب** انه قد حصل للمدينة تفضيل لم يحصل لغيرها
من ذلك ان ترابها شفا كما اخبر عليه السلام مع ما شاركت فيه البقعة المكرمة من منعها الدجال
وتلك لعظم الفضل العظام وانه صلى الله عليه وسلم اول ما يشفع لاهلها يوم القيمة وان ما كان بها من الوبا والحمى
رفع عنها وانه بورك في طعامها وشرابها واشياء كثيرة فكان الفضل لها بنسبة ما اشرنا اليه اولا لان
تردده عليه السلام في المسجد نفسه اكثر مما في المدينة نفسها وتردده عليه السلام فيما بين البيت
والمنبر اكثر مما سواه من سائر المسجد فالبحث تاكد بالاعتراض لانه جاءت البركة مناسبة لتكرار
تلك الخطوات المباركة والقرب من تلك القسمة المرتفعة لا خفا فيه الا على ملحد اعمى البصيرة فالمدينة
ارفع المدن والمسجد ارفع المساجد والبقعة ارفع البقع قضية معلومة وحجة ظاهرة موجودة انتهى
وقال الخطابي المراد من هذا الحديث الترغيب في سكنى المدينة وان من لازم ذكر الله في مسجدها آل به الى
روضة الجنة وسقي يوم القيمة من الحوض انتهى وتقدم في الخصائص من مفضل المعجزات مزيد لذلك وعند
مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا
افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام **وقد** اختلف العلما في المراد بهذا الاستثنا على حسب اختلافهم
في مكة والمدينة ايهما افضل ومذهب سفيان بن عيينة والشافعي واحمد في اصح الروايتين عنه وابن وهب
ومطرف وابن حبيب الثلاثة من المالكية وحكاه الساجي عن عطاء بن ابي رباح والمكيين والكوفيين وحكاه ابن
عبد البر عن عمر وعلي وابن مسعود وابي الدرداء وجابر وابن الزبير وقتادة وجماهير العلما ان مكة افضل من
المدينة وان مسجد مكة افضل من مسجد المدينة لان الامكنة تشرف بفضل العبادة فيها على غيرها مما تكون
العبادة فيها مرجوحة **وقد** حكى ابن عبد البر انه روي عن مالك ما يدل على ان مكة افضل الارض كلها قال
ولكن المشهور عن اصحابه في مذهبه تفضيل المدينة انتهى وقال مالك المدينة ومسجدها افضل ومما احتج
به اصحابنا لتفضيل مكة حديث عبد الله بن الحمرا انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على راحلته
يقول والله انك لخير ارض الله الى الله ولولا اني اخرجت منك ما خرجت قال الترمذي حسن صحيح وقال
ابن عبد البر هذا اصح الاثار عنه صلى الله عليه وسلم قال وهذا قاطع في محل الخلاف انتهى فعند الشافعي والجمهور
معناه الا المسجد الحرام فان الصلاة فيه افضل من الصلاة في مسجدي وعند مالك وموافقيه الا المسجد الحرام

فانّ الصّلاة في مسجدي تفضله بدون الالف وعن عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام افضل من
مایة صلاة في هذا رواه احمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه وزاد يعني في المدينة والبزار ولفظه
صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام فانه يزيد عليه مایة قال
المنذري واسناده صحيح ومما تستدل به المالكية ما ذكره ابن حبيب في الواضحة انه صلى الله عليه وسلم
قال صلاة في مسجدي كالف صلاة فيما سواه وجمعة في مسجدي كالف جمعة فيما سواه ورمضان في
مسجدي كالف رمضان فيما سواه ومذهب عمر بن الخطاب وبعض الصحابة واكثر المدنيين كما قاله
القاضي عياض ان المدينة افضل وهو احدى الروايتين عن احمد واجمعوا على ان الموضع الذي ضم اعضاه
الشريفة صلى الله عليه وسلم افضل بقاع الارض حتى موضع الكعبة كما قاله ابن عساكر والباجي والقاضي
عياض بل نقل التاج السبكي كما ذكره صاحب عن ابن عقيل الحنبلي انها افضل من العرش
وصرح الفاكهاني بتفضيلها على السموات ولفظه واقول انا وافضل من بقاع السموات ايضا
وقال ولم ار من تعرض لذلك والذي اعتقده لو ان ذلك عرض على علماء الامة لم يختلفوا فيه وقد
جاء ان السموات شرفت بموطئ قدميه بل لو قال قايل ان جميع بقاع الارض افضل من جميع بقاع السماء
لشرفها بكونه صلى الله عليه وسلم حالا فيها لم يبعد بل هو عندي الظاهر المتعين انتهى وحكاه بعضهم
عن الاكثرين لخلق الانبياء منها ودفنهم فيها لكن قال النووي ان الجمهور على تفضيل السماء على الارض
اي ما عدا ما ضم الاعضاء الشريفة وقد استشكل ما ذكر من الاجماع على افضلية ما ضم اعضاه الشريفة
على جميع بقاع الارض ويؤيده ما قاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام في تفضيل بعض الاماكن على بعض من
ان الاماكن والازمان كلها متساوية ويفضلان بما يقع فيهما لا بصفات قايمة بهما قال ويرجع تفضيلهما
الى ما ينيل العباد فيهما من فضله وكرمه والتفضيل الذي فيهما ان الله تعالى يجود على عباده بتفضيل اجر
العاملين فيهما انتهى ملخصا لكن تعقبه الشيخ تقي الدين السبكي بما حاصله ان الذي قاله لا ينفي ان يكون
التفضيل لامر اخر فيهما وان لم يكن عمل لان قبره صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الرحمة
والرضوان والملايكة وله عند الله من المحبة ولساكنه ما تقصر العقول عن ادراكه وليس ذلك لمكان
غيره فكيف لا يكون افضل وليس محل عمل لنا لانه ليس مسجدا ولا له حكم المسجد بل هو مستحق للنبي صلى الله
عليه وسلم وايضا فقد تكون الاعمال مضاعفة فيه باعتبار ان النبي صلى الله عليه وسلم حي كما تقرر وان
اعماله مضاعفة اكثر من كل احد فلا يختص التضعيف باعمالنا نحن قال ومن فهم هذا انشرح صدره
لما قاله القاضي من تفضيل ما ضم اعضاه الشريفة صلى الله عليه وسلم باعتبارين احدهما ما قيل ان كل
احد يدفن في الموضع الذي خلق منه والثاني تنزل الرحمة والبركات عليه واقبال الله تعالى ولا نسلم ان الفضل
للمكان لذاته ولكن لاجل من حل فيه صلى الله عليه وسلم انتهى وقد روى ابو يعلى عن ابي بكر انه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبض النبي الا في احب الامكنة اليه ولا شك ان احبها اليه احبها
الى ربه تعالى لان حبه تابع لحب ربه جل وعلا وما كان احب الى الله ورسوله كيف لا يكون افضل وقد قال
عليه السلام اللهم ان ابرهيم دعا لمكة واني ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك ابرهيم لمكة ومثله معه ولا
ان دعا النبي صلى الله عليه وسلم افضل من دعا ابرهيم لان فضل الدعا على قدر فضل الداعي وصح انه صلى الله عليه
وسلم قال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد وفي رواية بل اشد وقد اجيبت دعوته حتى كان
يحرك دابته اذا راها من حبها وروى الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم انك اخرجتني من احب البقاع الي

فاسكني

فاسكني في احب البقاع اليك اي في موضع لقبره كذلك فيجتمع فيه الحسنات قيل ضعفه ابن عبد البر
ولو سلمت صحته فالمراد احب اليك بعد مكة لحديث ان مكة خير بلاد الله وفي رواية احب ارض
الله الى الله ولزيادة التضعيف بمسجد مكة وتعقبه العلامة السيد السمهودي بان ما ذكر لا يقتضي صرفه
عن ظاهره اذ القصد به الدعا للدار هجرته بان يصيرها الله كذلك وحديث ان مكة خير بلاد الله
محمول على ابتدا الامر قبل ثبوت الفضل للمدينة واظهار الدين وافتتاح البلاد منها حتى مكة فقد انا
وانال بها ما لم ينل بغيرها من البلاد فظهر اجابة دعوته وصيرورتها احب مطلقا بعد ولهذا
افترض الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم الاقامة بها وحث هو صلى الله عليه وسلم على الاقتدا به
في سكناها والموت بها فكيف لا تكون افضل قال وانما هذه المضاعفة فاسباب التفضيل
لا تنحصر في ذلك فالصلوات الخمس بمنى المتوجه لعرفه افضل منها بمسجد مكة وان انتفت عنها المضاعفة
اذ في الاتباع ما يربو عليها ومذهبنا شمول المضاعفة للنفل مع تفضيله ولهذا قال عمر رضي الله عنه
بزيادة المضاعفة لمسجد مكة مع قوله بتفضيل المدينة ولم يصب من اخذ من قوله بزيادة المضاعفة تفضيل
مكة اذ غايته ان للمفضول مزية ليست للفاضل مع ان دعاه صلى الله عليه وسلم بزيادة تضعيف البركة
بالمدينة على مكة شامل للامور الدينية ايضا وقد يبارك في العدد القليل فيربو نفعه على الكثير ولهذا
استدل به على تفضيل المدينة وان ادلة حديث المضاعفة الكعبة فقط فالجواب ان الكلام
فيما عداها فلا يرد شي مما جا في فضلها ولاما بمكة مما يتعلق بالنسك لتعلقه بها ولذا قال عمر رضي
الله عنه لعبد الله المخزومي انت القايل لمكة خير من المدينة فقال عبد الله هي حرم الله وحرمه وفيها
بيته فقال عمر لا اقول في حرم الله وبيته شيئا ثم عاد عمر لقوله الاول فاعاد جوابه واعاد له لا اقول
في حرم الله وبيته شيئا فاشار على عبد الله فانصرف وقد عوضت المدينة عن العمرة ما صح في اتيان مسجد
قبا وعن الحج ما جا في فضل الزيارة والمسجد والاقامة بعد النبوة بالمدينة وان كانت اقل من مكة
على القول به فقد كانت سببا لاعزاز الدين واظهاره ونزول اكثر الفرايض واكمال الدين حتى
كثرت تردد جبريل عليه السلام بها ثم استقرت بها صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة ولهذا قيل لمالك
ايما احب اليك المقام هنا يعني المدينة او بمكة فقال ههنا وكيف لا اختار المدينة وما طريق الا سلك عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل ينزل عليه من عند رب العالمين في اقل من ساعة وروى الطبراني
حديث المدينة خير من مكة وفي رواية للجندي افضل من مكة وفيه محمد بن عبد الرحمن الرداد ذكره ابن حبان
في الثقات وقال كان يخطي وقال ابو زرعة لين وقال ابن عدي روايته ليست محفوظة وقال ابو حاتم ليس
بقوي وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت بقرية تاكل القرى يقولون
يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد اي امرني الله بالهجرة اليها ان كان قاله عليه السلام
بمكة او سكناها ان كان قاله بالمدينة وقال القاضي عبد الوهاب معنى قوله تاكل القرى الارجح
فضلها عليها وزيادتها على غيرها وقال ابن المنير يحتمل ان يكون المراد بذلك غلبة فضلها على فضل غيرها
اي ان الفضايل تضمحل في جنب عظيم فضلها حتى تكون عدما وهذا ابلغ من تسمية مكة ام القرى لان
الامومة لا ينمحي معها ما هي له ام لكن يكون لها حق الامومة انتهى ويحتمل ان يكون المراد غلبة اهلها على القرى
والاقرب حمله عليهما اذ هو ابلغ في الغرض المسوق له انتهى ما قاله السيد السمهودي وقد اطلت في الاحتجاج
لتفضيل المدينة على مكة وان كان مذهب امامنا الشافعي رحمه الله تفضيل مكة لان هوى كل نفس اين حل حبيبها
على ربع العامرية وقفة ليملي على الشوق والدمع كاتب • ومن مذهبي حب الديار لاهلها وللناس فيما يعشقون مذاهب

على ان للقلم في رجحان تفضيل المدينة مجالاً واسعاً ومقالاً جامعاً لكن الرغبة في الاختصار تطوي اطراف
بساطه والرهبة من الاكثار تصدف عن تطويله وافراطه وقد استنبط العارف ابن ابي جمرة من قوله
عليه السلام المروي في البخاري ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة التساوي بين
فضل مكة والمدينة قال وظاهر هذا الحديث يعطي التسوية بينهما في الفضل لان جميع الارض يطؤها
الدجال الا هذين البلدين فدل على تسويتهما في الفضل قال ويؤكد ذلك ايضاً من وجوه النظر لانه
ان كانت حضرة المدينة مدفنه عليه السلام واقامته بها ومسجده فقد حصلت مكة مسقطه
عليه السلام بها ومبعثه منها وهي قبلته فمطلع شمس ذاته ابتداء بمكة ومغربها المدينة واقامته
بعد النبوة على المشهور من الاقاويل بمكة مثل اقامته عليه السلام بالمدينة عشر سنين كل واحدة منهما
كذا قال وانت اذا تاملت قوله عليه السلام فيما رواه مسلم من حديث سعيد يأتي على الناس زمان
يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده لا يخرج احد
رغبة عنها الا اخلف الله فيها خيراً منه ظهر لك ان فيه اشعاراً بذم الخروج من المدينة بل نقل الشيخ
محب الدين الطبري عن قوم بانه عام ابداً مطلقاً وقال انه ظاهر اللفظ وفي صحيح مسلم من حديث ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها احد من امتي الا كنت له
شفيعاً او شهيداً يوم القيمة وفيه عن سعيد مولى المهري انه جاء ابا سعيد الخدري ليالي الحرة فاستشاره
في الجلاء من المدينة وشكى اليه اسعارها وكثرة عياله واخبره انه لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها
الا كنت له شفيعاً او شهيداً فقال ويحك لا آمرك بذلك اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا يصبر احد على لأوائها الا كنت له شفيعاً او شهيداً يوم القيمة واللأواء بالمد الشدة والجوع واو في قوله
الا كنت له شفيعاً او شهيداً الاظهر انها ليست للشك لان هذا الحديث رواه جابر بن عبد الله وسعد
ابن ابي وقاص وابن عمر وابو سعيد وابو هريرة واسماء بنت عميس وصفية بنت ابي عبيد عنه صلى الله عليه وسلم
بهذا اللفظ ويبعد اتفاق جميعهم او رواتهم على الشك وتطابقهم فيه على صيغة واحدة بل الاظهر انه قاله
عليه السلام وتكون او للتقسيم ويكون شهيداً لبعض اهل المدينة وشفيعاً لباقيهم اما شفيعاً للعاصين
وشهيداً للمطيعين واما شهيداً لمن مات في حياته وشفيعاً لمن مات بعده او غير ذلك وهذه خصوصية
زائدة على الشفاعة للمذنبين او للعالمين في القيمة وعلى شهادته على جميع الامم فيكون لتخصيصهم بهذا كله
علو مرتبة وزيادة منزلة وحظوة واذا قلنا او للشك فان كانت اللفظة الصحيحة شهيداً فاختصاص
فاختصاص اهل المدينة بهذا مع ما جاء من عمومها وادخارها لجميع الامة ان هذه شفاعة اخرى غير
العامة وتكون هذه الشفاعة لاهل المدينة بزيادة الدرجات او تخفيف الحساب او بما شاء الله
من ذلك او باكرامهم يوم القيمة بانواع الكرامات كايوائهم الى ظل العرش او كونهم على منابر او الاسراع بهم الى الجنة
او غير ذلك من خصوص الكرامات كيف لا يتحمل المشقات من يحب ان يتمتع بسيد اهل الارض والسموات
وينال ما وعد به من جزيل المثوبات وجسيم الهبات وايفاء وعده الصادق له بشفاعته وشهادته
وبلوغ غاية الجنات والنجاة وكم عسى تكون شدة المدينة ولأواؤها والى متى تستمر مشقتها وبلواها
لو تأملت يا هذا لوجدت في البلاد ما هو في الشدة وشظف العيش مثلها او اشق منها واهلها مقيمون
فيها وربما يوجد فيهم من هو قادر على الانتقال فلا ينتقل ويقوى على الرحلة فلا يرحل ويؤثر وطنه
مع امكان الارتحال والقدرة على الانتقال على ان المدينة مع شظف العيش بها في غالب الاحيان قد وسع الله
فيها على بعض السكان حتى من اصحابنا من غير اهلها ممن استوطنها وحسن فيها حاله وتنعم بها بالله دون

سائر

دون سائر البلاد فان من الله على المرء بمثل ذلك فهنالك والا فالصبر اهم من اولى فمن وفقه الله تعالى
صبر في اقامته بها ولو على احر من الجمر تجرع مرارة غصصها ليجتلي عروس منصتها ويلقى نوراً من لأوائها
ليوقى بذلك من مصائب الدنيا وبلاياها وقد روى البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها اي ينقبض وينضم ويلتجئ مع انها
اصل في انتشاره فكل مؤمن له من نفسه سائق اليها في جميع الازمان لحبه في ساكنها صلى الله عليه
وسلم فاكرم بسكانها ولو قيل في بعضهم ما قيل بعد حظوة الشرف بالمجاورة عند الحبيب الخليل ولله
ثبت لهم حق الجوار وان عظمت اساءتهم فلا يسلب عنهم اسم الجار وقد عمم عليه الصلوة والسلام
في قوله ما زال جبريل يوصيني بالجار ولم يخص جاراً دون جار وكل ما احتج به محتج من رمي بعضهم
لسنية بالابتداع وترك الاتباع فانه اذا ثبت ذلك في شخص منهم فلا يترك اكرامه ولا ينقص احترامه فانه
اذا ثبت ذلك في شخص منهم لا يخرج عن حكم الجار ولو جار ولا يزول عنه شرف مساكنته في الدار كيف
ما دار بل يرجى له ان يختم له بالحسنى ومع هذا القرب الصوري قرب المعنى

فيا ساكني اكناف طيبة كلكم • الى القلب من اجل الحبيب حبيب • ولله در ابن جابر حيث قال
هنيئاً لكم يا اهل طيبة قد حقا • فبالقرب من خير الورى حزتم السبقا • فلا يتحرك ساكن منكم الى سواها وان جار الزمان وان شقا
وكم ملك رام الوصول لمثل ما • وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا • فبشراكم نلتم عناية ربكم
فها انتم في بحر نعمته غرقا • تزورون رسول الله في كل ساعة • ومن يزره فهو السعيد به حقا
متى جئتم لا يغلق الباب دونكم • وباب ذوي الاحسان لا يقبل الغلقا • فيسمع شكواكم ويكشف ضركم
ولا يمنع الاحسان حراً ولا رقا • بطيبة مثواكم واكرم مرسل • يلاحظكم فالدهر يجري لكم وفقا
وكم نعمة لله فيها عليكم • فشكراً ونعم الله بالشكر تستبقى • امنتم من الدجال فيها وحولها
ملائكة يحرسون من دونها الطرقا • كذاك من الطاعون انتم بمأمن • فوجه الليالي لا يزال لكم طلقا
فلا تنظروا الا لوجه حبيبكم • وان جاءت الدنيا ومرت فلا فرقا • حياة وموتاً عنده حياة انتم
وحشركم في الجاه فوقكم ملتقا • فيا راحلاً عنها لدنيا يريدها • اتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى
اتخرج عن حوز النبي وحرزه • الى غيره لسفيه مثلك قد حقا • لئن سرت تبغي من كريم اعانة
فاكرمهم خير البرية ما تلقا • هو الرزق مقسوم فليس بزائد • ولو سرت حتى تخرق الافقا
فكم قاعد قد وسع الله رزقه • ومرتحل ضاق بين الورى رزقا • فعش في حمى خير الانام ومت به
اذا كنت في الدارين تطلب ان ترقى • اذا قسمت ما بين قبر ومنبر • بطيبة فاعرف اين تطلب ان ترقى
لقد ساعد الرحمن جار محمد • ومن جار في ترحاله فهو الاشقى • وقد روى الترمذي وابن ماجه

وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم ان يموت
بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها ورواه الطبراني في الكبير من حديث سبيعة الاسلمية وفي البخاري
من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة المسيح الدجال ولا الطاعون
وفيه عن ابي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ
سبعة ابواب على كل باب ملكان قال في فتح الباري وقد استشكل عدم دخول الطاعون المدينة
مع كونه شهادة وكيف قرن بالدجال ومدحت المدينة بعدم دخولهما واجيب بان كون الطاعون
شهادة ليس المراد بوصفه بذلك ذاته وانما المراد ان ذلك يترتب عليه وينشأ عنه لكونه سببه فاذا
استحضر ما تقدم في الفصل الثاني من انه طعن الجن حسن مدح المدينة بعدم دخوله اياها فان فيه اشارة

إلى أن شفا الجن وشياطينهم ممنوعون من دخول المدينة ومن اتفق دخوله فيها لا يتمكن من طعن
أحد منهم وقد أجاب القرطبي في المفهم عن ذلك فقال المعنى لا يدخلها من الطاعون مثل الذي وقع في غيرها
كطاعون عمواس والجارف وهذا قاله لتقتضي أنه دخلها في الجملة وليس كذلك فقد جزم ابن قتيبة في
المعارف وتبعه جمع منهم الشيخ محيي الدين النووي في الأذكار بأن الطاعون لم يدخل المدينة أصلا ولا
مكة أيضا لكن نقل جماعة أنه دخل مكة في الطاعون العام الذي كان في سنة تسع وأربعين وسبعمائة
بخلاف المدينة أصلا ولا مكة أيضا لكن نقل جماعة أنه دخل مكة في الطاعون بها أصلا وأجاب بأنه
عليه السلام عوضهم عن الطاعون بالحمى لأن الطاعون يأتي مرة بعد مرة والحمى تتكرر في كل حين
فيتعادلان في الأجر ويتم المراد من عدم دخول الطاعون قال الحافظ ابن حجر وظهر لي جواب آخر
بعد استحضار الذي أخرجه أحمد من رواية أبي عسيب [illegible] رفعه
أتاني جبريل بالحمى والطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام وهو أن الحكمة
في ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة كان في قلة من أصحابه عددا ومددا وكانت المدينة وبية
كما في حديث عائشة ثم خير صلى الله عليه وسلم في أمرين يحصل بكل منهما الأجر الجزيل فاختار الحمى حينئذ
لقلة الموت بها غالبا بخلاف الطاعون ثم لما احتاج إلى جهاد الكفار وأذن له في القتال كانت قضية
استمرار الحمى بالمدينة تضعف أجساد الذين يحتاجون إلى التقوية لأجل الجهاد فدعا بنقل الحمى إلى الجحفة
فعادت المدينة أصح بلاد الله بعد أن كانت بخلاف ذلك ثم كانوا من حينئذ من فاتته الشهادة بالطاعون
ربما حصلت له بالقتل في سبيل الله ومن فاته ذلك حصلت له الحمى التي هي حظ المؤمن من النار ثم استمر ذلك
بالمدينة تمييزا لها عن غيرها لتحقق إجابة دعوته وظهور هذه المعجزة العظيمة بتصديق خبره في هذه المدة
المتطاولة وكان منع دخول الطاعون من خصائصها ولوازم دعائه صلى الله عليه وسلم بالصحة لها وقال
بعضهم هذا من المعجزات المحمدية لأن الأطباء من أولهم إلى آخرهم عجزوا أن يدفعوا الطاعون عن بلد بل عن
قرية وقد امتنع الطاعون عن المدينة هذه الدهور الطويلة انتهى ملخصا ومن خصائص المدينة أن غبارها
شفاء من الجذام والبرص بل من كل داء كما رواه رزين العبدري في جامعه من حديث سعد وزاد في حديث
ابن عمر وعجوتها شفاء من السم ونقل البغوي عن ابن عباس في قوله تعالى لنبوئنهم في الدنيا حسنة أنها
المدينة وذكر ابن النجار تعليقا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كل البلاد افتتحت بالسيف وافتتحت
المدينة بالقرآن وروى الطبراني في الأوسط بإسناد لا بأس به عن أبي هريرة يرفعه المدينة قبة الإسلام
ودار الإيمان وأرض الهجرة ومثوى الحلال والحرام وبالجملة فكل المدينة وترابها وطرقها وفجاجها وبقيعها
وما حولها قد شملته بركته صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا يتبركون بدخوله منازلهم ويدعونه إليها وإلى
الصلاة في بيوتهم ولذلك امتنع مالك رحمه الله من ركوب دابة في المدينة وقال لا أطأ بحافر دابة في عراص كان
فيها صلى الله عليه وسلم يمشي فيها بقدميه صلى الله عليه وسلم ويتعين أن يأتي مسجد قباء للصلاة فيه والزيارة
فقد كان صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا وماشيا رواه مسلم وفي رواية له يأتي [illegible] يزور فيصلي فيه ركعتين
وعنه أيضا أن ابن عمر كان يأتيه كل سبت ويقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت وعند
الترمذي وابن ماجه والبيهقي من حديث أسيد بن ظهير الأنصاري يرفعه صلاة في مسجد قباء كعمرة قال
الترمذي حسن غريب وقال المنذري لا نعرف لأسيد حديثا صحيحا غير هذا وروى أحمد وابن ماجه من حديث
سهل بن حنيف بلفظ من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة وصححه الحاكم
ويتعين أيضا بعد زيارته صلى الله عليه وسلم أن يقصد المزارات التي بالمدينة الشريفة والآثار المباركة

والمساجد

والمساجد التي صلى فيها عليه السلام التماسا لبركته ويخرج إلى البقيع لزيارة من فيه فإن أكثر الصحابة ممن
توفي بالمدينة في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته مدفون بالبقيع وكذلك سادات أهل البيت
والتابعين وروي عن مالك أنه قال مات بالمدينة من الصحابة عشرة آلاف وكذلك أمهات المؤمنين
سوى خديجة فإنها بمكة وميمونة فإنها بسرف وقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج آخر الليل إلى البقيع
فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين رواه مسلم لكن قال ابن الحاج في المدخل وقد فرق علماؤنا بين الآفاقي
والمقيم في التنفل بالطواف والصلاة فقالوا الطواف في حق الآفاقي أفضل له والتنفل في حق المقيم أفضل
قال وما نحن بسبيله من باب أولى فمن كان مقيما خرج إلى زيارة أهل البقيع ومن كان مسافرا فليغتنم
مشاهدته عليه السلام وحكي عن العارف ابن أبي جمرة أنه لما خطر له أن يذهب إلى البقيع دخل المسجد النبوي
لم يجلس الجلوس في الصلاة وأنه لم يزل واقفا بين يديه صلوات الله وسلامه عليه وقد كان خطر له
أن يذهب إلى البقيع فقال إلى أين أذهب هذا باب الله المفتوح للسائلين والطالبين والمنكسرين
روى ابن النجار مرفوعا مقبرتان تضيئان لأهل السماء كما تضيء الشمس والقمر لأهل الدنيا بقيع الغرقد
ومقبرة بعسقلان وعن كعب الأحبار قال نجدها في التوراة يعني مقبرة المدينة كفتة محفوفة بالنخل موكل
بها ملائكة كلما امتلأت أخذوا بأطرافها فكفؤوها في الجنة وأخرج أبو حاتم من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين

وأما تفضيله صلى الله عليه وسلم في الآخرة بفضائل الأوليات الجامعة لمزايا التكريم وعلو الدرجات
وعميم بالشفاعة والمقام المحمود المغبوط عليه من الأولين والآخرين وانفراده بالسؤدد في مجمع
جميع الأنبياء والمرسلين وترقيه في جنة عدن أرقى مدارج السعادة وتعاليه يوم المزيد في أعلى معالي الحسنى
وزيادة اعلم أن الله تعالى كما فضل نبينا صلى الله عليه وسلم في البدء بأن جعله أول الأنبياء في الخلق وأولهم
في الإجابة في عالم الذر يوم ألست بربكم فضله في الختم بكمال الفضائل في العود فجعله أول من تنشق عنه الأرض
وأول شافع وأول مشفع وأول من يؤذن له بالسجود وأول من ينظر إلى رب العالمين والخلق محجوبون عن
رؤيته إذ ذاك وأول الأنبياء يقضي بين أمته وأولهم إجازة على الصراط بأمته وأول داخل الجنة وأمته أول
الأمم دخولا إليها وزاده من لطائف التحف وتحائف الطرف ما لا يعد ولا يوصف بعد فمن ذلك أنه يبعث
راكبا وتخصيصه بالمقام المحمود ولواء الحمد تحته آدم فمن دونه واختصاصه أيضا بالسجود لله أمام العرش
وما يفتحه الله عليه فيحمده به من التحميد والثناء عليه مما لم يفتحه على أحد قبله ولا يفتحه على أحد بعده زيادة
في كرامته وقربه وكلام الله تعالى له يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع ولا كرامة فوق هذا
إلا النظر إليه تعالى ومن ذلك تكراره في الشفاعة وسجوده ثانية وثالثة وتجديد الثناء عليه والحمد بما
يفتح الله عليه من ذلك وكلام الله تعالى له في كل سجدة يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع وقيام الدال
على ربه الكريم عليه الرفيع عنده المحب ذلك منه تشريفا وتكريما وتبجيلا وتعظيما ومن ذلك قيامه عن يمين العرش
ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيره يغبطه فيه الأولون والآخرون وشهادته بين الأنبياء وأممهم
وإتيانهم إليه يسألونه الشفاعة ليريحهم من غمهم وعرقهم وطول وقوفهم وشفاعته في أقوام قد أمر بهم إلى
النار ومنها الحوض الذي ليس في الموقف أكثر واردا منه وأن الأنبياء كلهم لا يدخلون الجنة إلا بشفاعته
ومنها أنه يشفع في رفع درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلى منزلة في الجنة إلى
غير ذلك مما يزيد تعالى به جلالة وتعظيما وتبجيلا وتكريما على رؤوس الأشهاد من الأولين والآخرين والملائكة المقربين

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وأما تفضيله صلى الله عليه وسلم في الحشر
المقدس عنه فروى مسلم من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم
يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق
عنه الأرض ولا فخر رواه الترمذي وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق
عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين قال الترمذي
حسن صحيح ورواه أبو حاتم وقال حتى [illegible] وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تصعق الناس حين يصعقون فأكون أول من قام فإذا موسى آخذ بالعرش فما أدري أكان فيمن صعق
وفي رواية فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن
استثنى الله رواه البخاري والمراد بالصعق غشي يلحق من سمع صوتا أو رأى شيئا يفزع منه ولم يبق في هذا الحديث
من الطريقين محل إلا فاقه من إحدى الصعقتين ووقع في رواية الشعبي عن أبي هريرة في تفسير سورة الزمر أني
أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة والمراد بقوله ممن استثنى الله قوله تعالى ففزع من في السموات ومن في
الأرض إلا من شاء الله وقد استشكل كون جميع الخلق يصعقون مع أن الموتى لا إحساس لهم فقيل المراد الذين
يصعقون هم الأحياء وأما الموتى فهم في الاستثناء في قوله إلا من شاء الله أي إلا من سبق له الموت قبل ذلك
فإنه لا يصعق وإلى هذا جنح القرطبي ولا يعارضه ما ورد في الحديث أن موسى ممن استثنى الله لأن الأنبياء
أحياء عند الله وقال القاضي عياض يحتمل أن يكون المراد صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماء والأرض
وتعقبه القرطبي بأنه صرح صلى الله عليه وسلم بأنه يخرج من قبره فيلقى موسى وهو متعلق بالعرش وهذا إنما
هو عند نفخة البعث ويرجحه في رواية أبي سلمة عند ابن مردويه أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة فأنفض
التراب عن رأسي فآتي قائمة العرش فأجد موسى قائما عندها فلا أدري أنفض التراب عن رأسه قبلي أو
ممن استثنى الله واختلف في المستثنى من هو فقيل الملائكة وقيل الأنبياء قال السهيلي في تأويل الحديث
ويجوز أن يكون موسى ممن استثنى الله قال ووجهه عندي أحياء كالشهداء فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى صعقوا
ثم لا يكون ذلك موتا في جميع معانيه إلا في ذهاب الاستشعار وقيل الشهداء واختاره الحليمي قال وهو مروي
عن ابن عباس فإنه تعالى يقول أحياء عند ربهم يرزقون وضعف غيره من الأقوال وقال أبو العباس القرطبي
صاحب المفهم الصحيح أنه لم يأت في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل وتعقبه تلميذه في التذكرة فقال قد ورد
في حديث أبي هريرة بأنهم الشهداء وهو صحيح وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه
السلام عن هذه الآية من الذين لم يشأ الله أن يصعقوا قال هم شهداء الله صححه الحاكم وقيل هم حملة
العرش وجبريل وميكائيل وملك الموت ثم يموتون وآخرهم ملك الموت وقيل هم الحور العين والولدان في
الجنة وتعقب بأن حملة العرش ليسوا من سكان السموات والأرض لأن العرش فوق السموات كلها
وبأن جبريل وميكائيل وملك الموت من الصافين المسبحين ولأن الحور والولدان في الجنة وهي فوق السموات
ودون العرش وهي بانفرادها عالم مخلوق للبقاء فلا شك أنها بمعزل عما خلقه الله للفناء أنه ورد في
الأخبار بأن الله تعالى يميت حملة العرش وملك الموت وميكائيل ثم يحييهم وأما أهل الجنة فلم يأت منهم خبر
والأظهر أنها دار خلود فالذي يدخلها لا يموت فيها أبدا مع كونه قابلا للموت فالذي خلق فيها أولى أن لا
يموت فيها أبدا فإن قلت إن قوله كل شيء هالك إلا وجهه يدل على أن الجنة نفسها تفنى ثم تعاد ليوم الجزاء
ويموت الحور العين ثم يحيون أجيب بأنه يحتمل أن يكون معنى قوله كل شيء هالك إلا وجهه أي إنه قابل

للهلاك

للهلاك فيهلك إن أراد الله به ذلك إلا هو سبحانه فإنه قديم والقديم لا يمكن أن يفنى انتهى ملخصا من تذكرة
القرطبي ويؤيد القول بعدم موت الحور قولهن نحن الخالدات فلا نموت كما في الحديث ولا يقال إن
المراد من قولهن الخلود الكائن بعد القيامة لأنه لا خصوصية فيه والأوصاف المشتركة لا يتباهى بها والله أعلم
وفي كتاب العظمة لأبي الشيخ ابن حيان من طريق وهب بن منبه من قوله خلق الله الصور من لؤلؤة
بيضاء في صفاء الزجاجة ثم قال للعرش خذ الصور فتعلق به ثم قال كن فكان إسرافيل فأمره أن يأخذ الصور
فأخذه وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسة فذكر الحديث وفيه ثم تجمع الأرواح كلها في الصور
ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ فيه فتدخل كل روح في جسدها فعلى هذا فالنفخ يقع في الصور أولا ليصل النفخ بالروح إلى
الصور وهي الأجساد فإضافة النفخ إلى الصور الذي هو القرن حقيقة وإلى الصور التي هي الأجساد مجازا
وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رفعه ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا
ثم يرسل الله مطرا كأنه الطل فينبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون والليت
بكسر اللام وبالمثناة التحتية ثم الفوقية صفحة العنق وهما ليتان وأصغى أمال وأخرج البيهقي بسند قوي
عن ابن مسعود موقوفا ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فينفخ فيه والصور قرن فلا يبقى لله خلق في
السموات والأرض إلا مات إلا من شاء ربك ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون وأخرج ابن المبارك
في الرقائق من مرسل الحسن بين النفختين أربعون سنة الأولى يميت الله بها كل حي والأخرى يحيي الله بها
كل ميت ونحوه عند ابن مردويه من حديث ابن عباس وهو ضعيف وعن أنس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا مستشفعهم
إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد
آدم على ربي يطوف علي ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور رواه الدارمي وقال الترمذي حديث
غريب ولم يقل وأنا إمامهم لأن دار الآخرة ليست دار تكليف وفي حديث رواه صاحب كتاب حادي الأرواح
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادي بالأذان وفي كتاب ذخائر العقبى
للطبري مما عزاه لتخريج الحافظ السلفي من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تبعث
الأنبياء على الدواب ويحشر صالح على ناقته ويحشر ابنا فاطمة على ناقتي العضباء والقصواء وأحشر أنا على البراق
خطوها عند أقصى طرفها ويحشر بلال على ناقة من نوق الجنة وأخرجه الطبراني والحاكم بلفظ تحشر الأنبياء على
الدواب وأبعث على البراق ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة فينادي بالأذان محضا وبالشهادة حقا
حتى إذا قال أشهد أن محمدا رسول الله شهد له المؤمنون من الأولين والآخرين وعند ابن زنجويه في فضائل
الأعمال عن كثير بن مرة الحضرمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعث ناقة ثمود لصالح فيركبها من
عند قبره حتى توافي به المحشر وأنا على البراق اختصصت به من دون الأنبياء يومئذ ويبعث بلال على ناقة من
نوق الجنة ينادي على ظهرها بالأذان حقا فإذا سمعت الأنبياء وأممها أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن
محمدا رسول الله قالوا ونحن نشهد على ذلك وذكر الشيخ زين الدين المراغي مما عزاه لابن النجار في تاريخ
المدينة عن كعب الأحبار والقرطبي في التذكرة وابن أبي الدنيا عن كعب أنه دخل على عائشة رضي الله عنها فذكروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر
يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك
يحفون بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم سبعون ألفا بالليل وسبعون ألفا بالنهار

حتى اذا انشقت عنه الارض خرج فى سبعين الفا من الملايكة يوقرونه صلى الله عليه وسلم وفى نوادر الاصول للحكيم الترمذى من حديث ابن عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه على ابى بكر وعمر على عمر وقال هكذا نبعث يوم القيمة وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام رواه الترمذى وفى رواية جامع الاصول عنه انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى وفى رواية كعب حلة خضرا وفى البخارى من حديث ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم تحشرون حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وان اول الخلايق يكسى يوم القيمة ابرهيم واخرجه البيهقى وزاد واول من يكسى ابرهيم يكسى حلة من الجنة ويوتى بكرسى فيطرح عن يمين العرش ثم يوتى بى فاكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر وفيه انه يجلس على الكرسى عن يمين العرش ولا يلزم من تخصيص ابرهيم عليه السلام بانه اول من يكسى ان يكون افضل من نبينا صلى الله عليه وسلم على انه يحتمل ان يكون نبينا عليه السلام خرج من قبره فى ثيابه التى مات فيها والحلة التى يكساها يومئذ حلة الكرامة بقرينة اجلاسه عند ساق العرش فتكون اولية ابرهيم فى الكسوة بالنسبة لبقية الخلق واجاب الحليمى بانه يكسى ابرهيم اولا ثم يكسى نبينا عليهما الصلوة والسلام على ظاهر الخبر لكن حلة نبينا اعلى واكمل فتجبر بنفاستها ما فات من الاولية وفى حديث ابى سعيد عند ابى داود وصححه ابن حبان انه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يبعث فى ثيابه التى يموت فيها وعند الحرث بن ابى اسامة واحمد بن منيع فانهم يبعثون فى اكفانهم ويتزاورون فى اكفانهم وجمع بينه وبين ما فى البخارى بان بعضهم يحشر عاريا وبعضهم كاسيا او يحشرون كلهم عراة ثم يكسى الانبيا واول من يكسى ابرهيم عليه السلام او يخرجون من القبور بالثياب التى ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتدا الحشر فيحشرون عراة ثم يكون اول من يكسى ابرهيم وحمل بعضهم حديث ابى سعيد على الشهدا فيكون ابو سعيد حمله فى الشهدا الحمله على العموم واما ما رواه الطبرى فى الرياض النضرة وعزاه للامام احمد فى المناقب عن مخدوج بن زيد الذهلى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى اما علمت يا على انه اول من يدعى به يوم القيمة بى فاقوم عن يمين العرش فى ظله فاكسى حلة خضرا من حلل الجنة الا وان امتى اول الامم يحاسبون يوم القيمة ثم ابشر اول من يدعى بك فيرفع لك لوائى وهو لواء الحمد فتسير به بين السماطين ادم وجميع خلق الله تعالى يستظلون بظل لوائى يوم القيمة وطوله مسيرة الف سنة وسنانه ياقوتة حمرا قبضته فضة بيضا زجه درة خضرا له ثلث ذوايب من نور ذوابة فى المشرق وذوابة فى المغرب والثالثة فى وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة اسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم الثانى الحمد لله رب العالمين الثالث لا اله الا الله محمد رسول الله طول كل سطر الف سنة وعرضه مسيرة الف سنة فتسير باللوا والحسن عن يمينك والحسين عن يسارك حتى تقف بينى وبين ابرهيم فى ظل العرش ثم تكسى حلة من الجنة وبالسماطان من الناس والخلق الجانبان ورواه ابن سبع فى الخصايص بلفظ قال سال عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لواء الحمد ما صفته قال طوله مسيرة كذا الحديث فقال الحافظ قطب الدين الحلبى كما نقله عنه المحب ابن الهايم انه موضوع بين الوضع قال والله اعلم بحقيقة لواء الحمد وفى حديث ابى سعيد عند الترمذى باسناد حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى ادم فمن سواه الا تحت لوائى الحديث واللوا الراية وفى عرفهم لا يمسكها الا صاحب الجيش ورئيسه ويحتمل ان يكون بيد غيره باذنه ويكون تابعه

له ومقرّه تحركه فيكون معه حيث ما مال الا انه يمسكها بيده اذ هذه الحالة اشرف وفى استعمال العرب عند الحروب انما يمسكها صاحبها ولا يمنعه ذلك من القتال بها بل يقاتل بها ممسكا لها اشد القتال ولذا لا يليق امساكها كل احد بل قال على رضى الله عنه لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وانما اضاف اللوا الى الحمد الذى هو الثنا على الله بما هو اهله لان ذلك هو منصبه فى ذلك الموقف دون غيره من الانبيا وقد اختلف فى هيئة حشر الناس ففى البخارى من حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس على ثلث طرايق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسى معهم حيث امسوا رواه البخارى وقد قال الحليمى الى ان هذا الحشر يكون عند الخروج من القبور وجزم به الغزالى وقيل انهم يخرجون من القبور بالوصف المذكور فى حديث ابن عباس عند الشيخين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ثم يتفرقون وخالهم من ثم الى الموقف كما فى حديث ابى هريرة ويحشر الكافر على وجهه قال رجل يا رسول الله كيف يحشر على وجهه قال اليس الذى امشاه على رجليه قادرا ان يمشيه على وجهه يوم القيمة اخرجه الشيخان وفى حديث ابى ذر عند النسائى مرفوعا ان الناس يحشرون ثلاثة افواج فوجا راكبين طاعمين كاسين وفوجا تسحبهم الملايكة على وجوههم وفوجا يمشون ويسعون وفى حديث سهل بن سعد مرفوعا يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضا عفرا كقرصة النقى ليس فيها علم لاحد رواه الشيخان وفى حديث عقبة ابن عامر عند الحاكم رفعه تدنو الشمس من الارض يوم القيمة فيعرق الناس فمنهم من يبلغ نصف الساق ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ منكبه ومنهم من يبلغ فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على راسه وله شاهد عند مسلم من حديث المقداد بن الاسود وليس بتمامه وفيه تدنو الشمس يوم القيمة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر اعمالهم فى العرق وهذا ظاهر فى انهم يستوون فى وصول العرق اليهم ويتفاوتون فى حصوله فيهم فان قلت الشمس محلها السما وقد قال الله تعالى يوم نطوى السما كطى السجل للكتاب والالف واللام فى السما للجنس بدليل والسموات مطويات بيمينه فما طريق الجمع فالجواب يجوز ان تقام بنفسها دانية من الناس فى الحشر ليقوى هوله وكربه عافانا الله من كل مكروه وقال ابن ابى جمرة ظاهر الحديث يقتضى تعميم الناس بذلك ولكن دلت الاحاديث الاخرى على انه مخصوص بالبعض وهم الاكثر ويستثنى الانبيا والشهدا ومن شا الله فاشدهم الكفار ثم اصحاب الكباير ثم من بعدهم واخرج ابو يعلى وصححه ابن حبان عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين قال مقدار نصف يوم من خمسين الف سنة فيهون على المومنين كتدلى الشمس الى ان تغرب واخرج احمد وابن حبان نحوه من حديث ابى سعيد والبيهقى فى البعث عن ابى هريرة يحشر الناس قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السما فيلجمهم العرق من شدة الكرب وفى البخارى من حديث ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم فى الارض سبعين ذراعا ويلجمهم العرق حتى يبلغ اذانهم وعند البيهقى من حديث ابن مسعود اذا حشر الناس قاموا اربعين عاما شاخصة ابصارهم الى السما لا يكلمهم والشمس على روسهم حتى يلجم العرق كل بر وفاجر وفى حديث ابى سعيد عند احمد انه يخفف الوقوف على المومن حتى يكون كصلاة مكتوبة وسنده حسن وللطبرانى من حديث ابن عمر ويكون ذلك اليوم

أقصر على المؤمن من ساعة من نهار وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن الذي يلجمه العرق الكافر أخرجه البيهقي
في البعث بسند حسن عنه قال يشتد كرب الناس ذلك اليوم حتى يلجم الكافر العرق قيل له فأين المؤمنون
قال على كراسي من ذهب ويظلل عليهم الغمام وبسند قوي عن أبي موسى قال الشمس فوق رؤوس الناس يوم
القيامة وأعمالهم تظلهم وأخرج ابن المبارك في الزهد وابن أبي شيبة في المصنف واللفظ له بسند جيد عن سلمان
قال تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنو من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين فيعرقون
حتى يرشح العرق في الأرض قامة ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل زاد ابن المبارك في روايته ولا يضر حرها يومئذ مؤمنا يغرق
ولا مؤمنة قال القرطبي المراد من يكون كامل الإيمان لما يدل عليه حديث المقداد وغيره أنهم يتفاوتون
في ذلك بحسب أعمالهم وفي رواية عند أبي يعلى وصححها ابن حبان إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول
يا رب أرحني ولو إلى النار وهو كالصريح في أن ذلك كله في الموقف ومن تأمل الحالة المذكورة عرف عظم الهول
فيها وذلك أن النار تحف بأرض الموقف وتدني الشمس من الرؤوس قدر ميل فكيف تكون حرارة تلك الأرض
وماذا يرويه من العرق مع أن لكل أحد لا يجد إلا قدر موضع قدميه فكيف يكون حال هؤلاء في عرقهم مع تنوعهم
فيه إن هذا مما يبهر العقول ويدل على عظيم القدرة ويقتضي الإيمان بأمور الآخرة وأن ليس للعقل فيها مجال
ولا يعترض على ذلك بعقل ولا قياس ولا عادة وإنما يؤخذ بالقبول فتأمل رحمك الله شدة هذا الازدحام والانضمام الحوض
والاتساق والالتزاق واجتماع الإنس والجان ومن يحشر معهم من سائر أصناف الحيوان وانضغاطهم وتدافعهم
واختلاطهم وقرب الشمس منهم وما يزاد في حرها ويضاعف في وهجها ولا ظل إلا ظل عرش ربك لما تقدم
مع ما انضاف إلى ذلك من حر أنفاس الناس لتزاحم الناس واحتراق القلوب لما غشيها من الكروب والأهوال
إن هذا موجب لحصول العطش في ذلك اليوم وكثرة الالتهاب وأما ثم أعز موجود وأعظم مفقود فلا
منهل مورود إلا حوض صاحب المقام المحمود صلى الله وسلم عليه وزاده فضلا وشرفا لديه ولا مشرب لأمته
سواه ولا يرد أكبادهم إلا به فالشربة منه كما ورد تروي الظمأ وتشفي من الصدا وتذهب بكل داء فلا يظمأ شاربها
ولا يسقم بعدها أبدا وفي حديث أنس عند البزار من شرب منه أي من الحوض شربة لم يظمأ أبدا ومن لم يشرب منه
لم يرو أبدا زاد في حديث أبي أمامة عند أحمد وابن حبان ولم يسود وجهه أبدا وفي حديث ثوبان عند الترمذي
وصححه الحاكم أكثر الناس عليه ورودا فقراء المهاجرين وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند الشيخين حوضي
مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ أبدا قال
القرطبي في التذكرة ذهب صاحب القوت وغيره إلى أن الحوض يكون بعد الصراط وذهب آخرون إلى العكس
والصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم حوضان أحدهما في الموقف قبل الصراط والآخر داخل الجنة وكل منهما يسمى كوثرا
وتعقبه شيخ الحفاظ ابن حجر بأن الكوثر نهر داخل الجنة وماؤه يصب في الحوض ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد
منه فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبي أن الحوض يكون قبل الصراط لأن الناس يردون الموقف عطاشا فيرد
المؤمنون الحوض ويتساقط الكفار في النار بعد أن يقولوا ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كأنها سراب فيقال
ألا تردون فيظنونها ماء فيتساقطون فيها وفي حديث أبي ذر مما رواه مسلم أن الحوض يشخب فيه ميزابان من
الجنة وهو حجة على القرطبي لأن الصراط جسر جهنم وهو بين الموقف والجنة والمؤمنون يمرون عليه لدخول
الجنة فلو كان الحوض دونه لحالت النار بين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض وظاهر الحديث أن الحوض بجانب
الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها وقال القاضي عياض ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم من شرب منه لم يظمأ شرب
بعدها أبدا يدل على أن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار لأن ظاهر حال من لا يظمأ أن لا يعذب بالنار ولكن
ظاهر

يحتمل

يحتمل أن من قدر عليه التعذيب منهم أن لا يعذب فيها بالظمأ بل بغيره وعن أنس قال سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة فقال أنا فاعل إن شاء الله تعالى قلت فأين أطلبك قال أول ما تطلبني على
الصراط قلت فإن لم ألقك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت فإن لم ألقك عند الميزان قال فاطلبني عند
الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث مواطن رواه الترمذي وقال حسن غريب وفي حديث ابن مسعود عند أحمد
ثم أوتى بكسوتي فألبسها فأقوم عن يمين العرش مقاما لا يقومه أحد فيغبطني به الأولون والآخرون قال
ويفتح لهم من الكوثر إلى الحوض وقد ثبت في حديث عمرو بن العاص عند البخاري أن الحوض مسيرة شهر وزاد في
رواية مسلم من هذا الوجه وزواياه سواء وهذه الزيادة كما قاله في فتح الباري تدفع تأويل من جمع بين مختلف الأحاديث
في تقدير مسافة الحوض على اختلاف العرض والطول وفي حديث أبي سعيد وعند ابن ماجه رفعه إن لي حوضا ما بين
الكعبة وبيت المقدس وفي حديث أبي برزة عند الطبراني وابن حبان في صحيحه ما بين ناحيتي حوضي كما بين أيلة وصنعاء
مسيرة شهر عرضه كطوله وفي حديث أنس عند الشيخين كما بين صنعاء والمدينة وفي حديث عتبة بن عبد السلمي
عند ابن حبان في صحيحه ما بين صنعاء إلى بصرى وفي حديث أبي أمامة عند الطبراني ما بين عدن وعمان بفتح المهملة
وتخفيف الميم وقال ابن الأثير في النهاية وفي حديث الحوض عرضه من مقامي إلى عمان وهي بفتح العين وتشديد الميم
مدينة قديمة بالشام من أرض البلقاء فأما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين انتهى وهذه المسافات كلها
متقاربة وظن بعضهم رحمه الله وقوع اضطراب في ذلك وليس كذلك وأجاب النووي عن ذلك بأنه ليس في ذكر المسافة
القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالأكثر ثابت بالحديث الصحيح فلا معارضة وحاصله يشير إلى أنه أخبر أولا بالمسافة
اليسيرة ثم أعلم بالمسافة الطويلة فأخبر بها كأن الله تفضل عليه باتساعه شيئا بعد شيء فيكون الاعتماد على ما يدل
على أطولها مسافة فإن قلت هل لكل نبي من الأنبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم حوض هناك يقوم عليه كنبينا
فالجواب أنه اشتهر اختصاص نبينا عليه السلام بالحوض وقال القرطبي في المفهم مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق
به أن الله تعالى قد خص نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة
الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي إذ روى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من الصحابة نيف على الثلاثين منهم في
الصحيحين ما ينيف على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك مما صح نقله واشتهر رواته
ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرا وأجمع على إثباته السلف
وأهل السنة من الخلف انتهى لكن أخرج الترمذي من حديث سمرة رفعه أن لكل نبي حوضا وأشار إلى أنه اختلف في
وصله وإرساله وأن المرسل أصح والمرسل أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن لكل نبي حوضا وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من أمته ألا وإنهم يتباهون أيهم أكثر تبعا وإني لأرجو
أن أكون أكثرهم تبعا وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن سمرة موصولا مرفوعا مثله وفي سنده لين وأخرج ابن أبي الدنيا
من حديث أبي سعيد رفعه وكل نبي يدعو أمته ولكل نبي حوض فمنهم من يأتيه الفئام ومنهم من يأتيه العصبة ومنهم
من يأتيه الواحد ومنهم من يأتيه الاثنان ومنهم من لا يأتيه أحد وإني لأكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة وفي إسناده لين
إن ثبت فالمختص بنبينا صلى الله عليه وسلم الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه فإنه لم ينقل نظيره لغيره ووقع الامتنان
عليه في سورة إنا أعطيناك الكوثر أعني المخصوص من فتح الباري وفي رواية مسلم من حديث أبي هريرة رفعه قال ترد علي
الحوض وإني لأذود الناس عنه كما يذود الرجل عن إبله قالوا يا رسول الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لأحد غيركم تردون
علي غرا محجلين من آثار الوضوء قال أولو الحكمة في الذود للذكر أنه صلى الله عليه وسلم يريد أن يرشد كل أحد إلى حوض نبيه
كما تقدم أن لكل نبي حوضا فيكون هذا من جملة إنصافه عليه السلام ورعاية إخوانه من النبيين لا أنه يطردهم بخلا

عليهم الملائكة ويحتمل ان يكون بطرده من ان يسقى من الحوض الشرب والله اعلم وفي حديث انس انه صلى الله عليه وسلم
قال الحوض اربعة اركان الاول بيد ابي بكر الصديق والثاني بيد عمر الفاروق والثالث بيد عثمان ذي النورين
والرابع بيد علي بن ابي طالب فمن كان محبا لابي بكر مبغضا لعمر لا يسقيه ابو بكر ومن كان محبا لعلي مبغضا لعثمان لا يسقيه
علي رواه ابو سعيد في شرف النبوة والغيلاني واما تفضيله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة عند المقام فقوله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله واجب قال اهل المعاني لان
لفظة عسى تفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شيء ثم حرمه كان عارا والله تعالى اكرم من ان يطمع احدا في شيء
ثم لا يعطيه ذلك وقد اختلف في تفسير المقام المحمود على اقوال احدها انه الشفاعة قال الواحدي اجمع المفسرون
على انه مقام الشفاعة كما قال صلى الله عليه وسلم في هذه الاية هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وقال الامام
ابن الخطيب اللفظ مشعر بذلك لان الانسان انما يصير محمودا اذا حمده حامد والحمد انما يكون على الانعام فهذا المقام
المحمود يجب ان يكون مقاما انعم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم فحمدوه على ذلك الانعام لا يجوز ان
يكون هو تبليغ الدين وتعليمهم الشرع لان ذلك كان حاصلا في الحال وقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
يدل على انه يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل ومن المعلوم ان حمد الانسان
على سعيه في التخليص عن العقاب اعظم من سعيه في زيادة من الثواب لا حاجة به اليها لان احتياج الانسان
في دفع الالام العظيمة عن النفس فوق احتياجه الى تحصيل المنافع الزائدة التي لا حاجة الى تحصيلها واذا ثبت هذا وجب
ان يكون المراد من لفظ الاية عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا هو الشفاعة في اسقاط العقاب على ما هو مذهب اهل
السنة وما ثبت من لفظ الاية مشعر بهذا المعنى اشعارا قويا ثم وردت الاخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى كما في
البخاري من حديث ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة وفيه
ايضا عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان
اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الي فذلك المقام المحمود فاذا ثبت هذا وجب حمل اللفظ عليه قال ومما يؤكد هذا الدعاء
المشهور وابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون ونصب قوله مقاما على الظرفية اي وابعثه يوم
القيامة فاقمه مقاما محمودا او على انه مفعول به وضمن يبعثه معنى اقمه ويجوز ان يكون حالا بعد حال
ابعثه ذا مقام قال الطيبي وانما نكره لانه افخم واجزل اي مقاما يكل اللسان وقول النووي ان الرواية ثبتت
بالتنكير وانه كأنه حكاية للفظ القران متعقب بانه جاء في هذه الرواية بعينها بالتعريف عند النسائي وقال
ابن الجوزي الاكثر على ان المراد بالمقام المحمود الشفاعة وادعى الامام فخر الدين الاتفاق عليه القول الثاني قال
حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك
والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك ولا ملجا منك الا اليك تباركت
وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا هو المراد من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا رواه الطبراني
وقال ابن منده حديث مجمع على صحة اسناده وثقة رجاله قال الرازي والقول الاول اولى لان سعيه في الشفاعة يفيد
اقدام الناس على حمده فيصير محمودا واما ما ذكر من الدعاء فلا يفيد الا الثواب اما الحمد فلا فان قيل لم لا يجوز ان يقال
انه تعالى يحمده على هذا القول فالجواب لان الحمد في اللغة مختص بالثناء المذكور في مقابلة الانعام فقط فان ورد لفظ
الحمد في غير هذا المعنى فعلى سبيل المجاز القول الثالث مقام تحمد عاقبته قال الامام فخر الدين وهذا ايضا ضعيف للوجه
الذي ذكرناه القول الرابع قيل هو اجلاسه عليه السلام على العرش وقيل على الكرسي روي عن ابن مسعود انه قال
يقعد الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم على العرش وعن مجاهد انه قال يجلسه معه على العرش قال الواحدي وهو قول

رذل

رذل او وحش قطعي ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير ويدل عليه وجوه الاول ان البعث ضد الاجلاس
يقال بعثت البارك والقاعد ويقال بعث الله الميت اي اقامه من قبره فتفسير البعث بالاجلاس تفسير
الضد بالضد وهو فاسد والثاني انه تعالى لو كان جالسا على العرش بحيث يجلس عنده محمد صلى الله عليه وسلم
لكان محدودا متناهيا ومن كان كذلك فهو محدث تعالى الله علوا كبيرا والثالث انه تعالى قال مقاما محمودا
ولم يقل مقعدا والمقام موضع القيام لا موضع القعود والرابع اذا قيل ان السلطان بعث فلانا فهم منه
انه ارسله الى قوم لاصلاح مهماتهم ولا يفهم منه انه اجلسه مع نفسه فثبت ان هذا القول ساقط لا يميل اليه
الا قليل العقل عديم الدين انتهى وتعقب القول الثاني بانه تعالى يجلس على العرش كما اخبر جل وعلا عن نفسه (يجلسه)
المقدسة بلا كيف وليس اقعاد محمد صلى الله عليه وسلم على العرش موجبا له صفة الربوبية او مخرجا له عن
صفة العبودية بل هو رفع لمحله وتشريفا له على خلقه واما قوله معه فهو بمنزلة قوله تعالى ان الذين عند ربك
ورب ابن لي عندك بيتا في الجنة فكل هذا ونحوه عائد على الرتبة والمنزلة والحظوة والدرجة الرفيعة لا الى المكان
وقال شيخ الاسلام ابو الفضل العسقلاني قول مجاهد يجلسه معه على العرش ليس بمدفوع لا من جهة النقل ولا
من جهة النظر وقال ابن عطية هو كذلك اذا حمل على ما يليق به قال وبالغ الواحدي في رد هذا القول ونقل النقاش (اذا)
عن ابي داود صاحب السنن انه قال من انكر هذا فهو متهم وقد جاء عن ابن مسعود عند الثعلبي وعن ابن عباس عند ابي
الشيخ قال ان محمدا يوم القيامة على كرسي الرب بين يدي الرب فيحتمل ان تكون الاضافة اضافة تشريف وعلى
ذلك يحمل ما جاء عن مجاهد وغيره ويحتمل ان يكون المراد بالمقام المحمود الشفاعة كما هو المشهور وان يكون الاجلاس
هو المنزلة المعبر عنها بالوسيلة كذا قاله بعضهم ويحتمل ان يكون الاجلاس علامة الاذن في الشفاعة واختلف في عامل
الظرف من قوله تعالى محمودا اما لكونه على ان المراد به اهل الموقف وقيل النبي صلى الله عليه وسلم او الله تعالى عاقبة ذلك المقام
بتهجده في الليل والاول ارجح لما ثبت من حديث ابن عمر بلفظ مقاما محمودا يحمده اهل الجمع كلهم ويجوز ان يحمل على اعم
من ذلك اي مقاما يحمد القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات واستحسن
هذا ابو حيان وايده بانه نكرة فدل على انه ليس المراد مقاما مخصوصا انتهى فان قلت اذا قلنا بالمشهور ان المراد
بالمقام المحمود الشفاعة فاي شفاعة هي فالجواب ان الشفاعة التي وردت في الاحاديث في المقام المحمود نوعان
النوع الاول العامة في فصل القضاء والثاني في الشفاعة في اخراج المذنبين من النار لكن الذي يتجه رد هذه الاقوال كلها
الى الشفاعة العظمى فان اعطاه لواء الحمد وثناءه على ربه وكلامه بين يديه وجلوسه على كرسيه كل ذلك صفات
للمقام المحمود الذي يشفع فيه ليقضى بين الخلق واما شفاعته في اخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك وقد انكر بعض
المعتزلة والخوارج الشفاعة في اخراج من ادخل من المذنبين النار وتمسكوا بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقوله
تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع واجاب اهل السنة بان هذه الايات في الكفار وقال القاضي عياض مذهب اهل
السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا لصريح قوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا
وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وكقوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا المفسر بها عند الاكثرين كما قدمناه وقد جاءت
الاثار التي بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الاخرة لمذنبي المؤمنين وعن ام حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يؤتيني شفاعة يوم القيامة فيهم ففعل
وفي حديث ابي هريرة عند لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها واريد ان اختبئ دعوتي شفاعة لامتي في الاخرة وفي رواية (مسلم واحمد)
فتعجل كل نبي دعوته واني اختبات دعوتي شفاعة لامتي وهذا من مزيد شفقته علينا وحسن تصرفه حيث جعل دعوته المجابة في اهم اوقات حاجاتنا
فجزاه الله عنا افضل الجزاء وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة قال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا

(رواه احمد والطبراني في الاوسط)

القيمة
يعتد وهالسانه قلبه رواه وحديث ابي زرعة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم
هل تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو الشمس
فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس الا ترون الى ما انتم فيه الى ما بلغكم الا
تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ابوكم ادم فيقولون انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه
وامر الملائكة فسجدوا لك واسكنك الجنة الا تشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فقال ان ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري
اذهبوا الى نوح فياتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا
الا ترى الى ما نحن فيه الا ترى الى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله وانه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم
فياتون ابرهيم عليه السلام فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول
لهم ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلث كذبات فذكرها
نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فياتون موسى فيقولون يا موسى انت رسول الله فضلك الله برسالاته
وبكلامه على الناس الا ترى الى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولن يغضب بعده مثله واني قد قتلت نفسا لم اومر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فياتون
عيسى عليه السلام فيقولون انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد الا ترى ما نحن فيه اشفع
لنا الى ربك فيقول عيسى ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا
نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم
الانبيا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر الا ترى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك فانطلق فاتي تحت العرش فاقع
ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثنا عليه شيا لم يفتحه على احد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه
واشفع تشفع فارفع راسي فاقول امتي يا رب امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن
من ابواب الجنة وهم شركا الناس فيما سوى ذلك من الابواب الحديث رواه البخاري ومسلم قال في فتح الباري
وقد استشكل قولهم لنوح انت اول الرسل من اهل الارض فان ادم نبي مرسل وكذا شيث وادريس وهم قبل نوح ويحتمل
الاجوبة عن ذلك ان الاولية مقيدة بقوله اهل الارض لان ادم ومن ذكر معه لم يرسلوا الى اهل الارض لكن الثلاثة
كانوا انبيا ولم يكونوا رسلا والى هذا جنح ابن بطال في حق ادم وتعقبه القاضي عياض بما صححه ابن حبان من حديث ابي ذر
فانه كالصريح في انه كان مرسلا وفيه التصريح بانزال الصحف على شيث وهو من علامات الارسال ومن الاجوبة ان رسالة
ادم كانت الى بنيه وهم موحدون ليعلمهم شريعته ونوح كانت رسالته الى قوم كفار يدعوهم الى التوحيد وذكر
الغزالي في كشف علوم الاخرة ان بين اتيان اهل الموقف ادم واتيانهم نوحا الف سنة وكذا بين كل نبي ونبي الى نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر ولم اقف لذلك على اصل ولقد اكثر في هذا الكتاب من ايراد احاديث لا اصول
لها فلا يغتر بشي منها ووقع في رواية حذيفة ان الخليل عليه السلام قال لست بصاحب ذاك انما كنت خليلا من وراء وراء
بفتح الهمزة بلا تنوين ويجوز بناهما على الضم للقطع عن الاضافة نحو من قبل ومن بعد واختاره ابو البقا قال الاخفش
يقال لقيته من وراء بالضم وقال اذا انا لم اومن عليك ولم يكن لقاؤك الا من وراء وراء
ويجوز فيهما النصب والتنوين جوازا جيدا قاله ابو عبد الله الابي ومعناه لم اكن في التقريب والادلال بمنزلة الحبيب
وقيل المراد ان الفضل الذي اعطيته كان بسفارة جبريل ولكن ايتوا موسى الذي كلمه الله بلا واسطة وكرر وراء اشارة
الانبيا

الانبيا صلى الله عليه وسلم لانه حصلت له الرؤية والسماع بلا واسطة فكانه قال انا من وراء موسى الذي هو
من وراء محمد وسبق مزيد لذلك في الخصائص واما ما ذكر من الكذبات الثلاث فقال البيضاوي الحق انها انما كانت
من معاريض الكلام لكن لما كانت صورتها صورة الكذب اشفق منها استقصارا لنفسه عن الشفاعة لان
من كان اعرف بالله واقرب اليه منزلة كان اعظم خوفا واما قوله عن عيسى انه لم يذكر ذنبا فوقع في حديث ابن عباس
عند احمد والنساي اني اتخذت الها من دون الله وفي حديث النضر بن انس عن ابيه حدثني نبي الله صلى الله عليه وسلم
قال اني لقائم انتظر امتي عند الصراط اذ جاءني عيسى فقال يا محمد هذه الانبيا قد جاءتك يسالون لتدعو الله ان يفرق
جمع الامم الى حيث يشا لعظم ما هم فيه فافادت هذه الرواية تعيين موقف النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ وان
هذا الذي وصف من كلام اهل الموقف كله يقع عند نصب الصراط بعد تساقط الكفار في النار وان عيسى هو الذي
خاطب نبينا صلى الله عليه وسلم وان جميع الانبيا يسالونه في ذلك وفي حديث سلمان عند ابن ابي شيبة يأتون
محمدا فيقولون يا نبي الله انت فتح الله بك وختم وغفر لك ما تقدم وما تاخر وجئت في هذا اليوم وترى ما نحن فيه
فقم فاشفع لنا الى ربنا فيقول انا صاحبكم فيجوش الناس حتى ينتهي الى باب الجنة فان قلت ما الحكمة في انتقاله صلى الله
عليه وسلم من مكانه الى الجنة اجيب بان ارض الموقف لما كانت مقام عرض وحساب كانت مكان مخافة
واشفاق ومقام الشافع يناسب ان يكون في مقام اكرام وفي حديث ابي بن كعب عند ابي يعلى فاسجد له سجدة يرضى
بها عني ثم امتدحه بمدحة يرضى بها عني وفي حديث ابي بكر فينطلق اليه جبريل فيخر ساجدا قدر جمعة فيقال
يا محمد ارفع راسك وفي رواية النضر بن انس فاوحى الله الى جبريل ان اذهب الى محمد فقل له ارفع راسك وعلى هذا فالمعنى
يقول لي على لسان جبريل والظاهر انه صلى الله عليه وسلم يلهم التحميد قبل سجوده وبعده وفيه ويكون لكل مكان
ما يليق به فانه ورد في رواية فاقوم بين يديه فيلهمني بمحامد لا اقدر عليها ثم اخر ساجدا وفي رواية البخاري فارفع راسي
فاحمده بتحميد يعلمني وفي رواية ابي هريرة عند الشيخين فاتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن
الثنا عليه شيا لم يفتحه على احد قبلي ثم قال يا محمد ارفع راسك الحديث وفي رواية البخاري من حديث قتادة عن انس ثم اشفع
فيحد لي حدا ثم اخرجهم من النار وادخلهم الجنة قال الطيبي اي يبين لي كل طور من اطوار الشفاعة حدا اقف عنده فلا
اتعداه مثل ان يقول شفعتك فيمن اخل بالجماعة ثم فيمن اخل بالصلاة ثم فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنا وهكذا على هذا الاسلوب
والذي يدل عليه سياق الاخبار ان المراد به تفضيل مراتب المخرجين في الاعمال الصالحة كما وقع عند احمد عن يحيى القطان
عن سعيد بن ابي عروبة وفي رواية ثابت عند احمد فاقول يا رب امتي امتي فيقول اخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة
وفي حديث سلمان فيشفع في كل من كان في قلبه مثقال حبة من حنطة ثم من شعيرة ثم حبة خردل فذلك المقام المحمود
وفي رواية ابي سعيد عند مسلم ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير قال القاضي عياض قيل معنى الخير اليقين
واما قوله في رواية انس عند البخاري فاخرجهم من النار فقال الداودي كان راوي هذا الحديث ركب شيئا على غير اصله
وذلك ان في اول الحديث ذكر الشفاعة في الاراحة من كرب الموقف وفي اخره ذكر الشفاعة في الاخراج من النار يعني وذلك
انما يكون بعد التحول من الموقف والمرور على الصراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار ثم يقع بعد ذلك الشفاعة
في الاخراج وهو اشكال قوي وقد اجاب عنه النووي ومن قبله القاضي عياض بانه قد وقع في حديث حذيفة وابي هريرة
فياتون محمدا فيقوم ويؤذن له في الشفاعة وترسل معه الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا الى ان قال
في تكملة الصراط قال القاضي عياض فبهذا يتصل الكلام لان الشفاعة التي لجا الناس اليه فيها هي لاراحة الناس من كرب
الموقف ثم تجي الشفاعة في الاخراج والمعنى في قيام الامانة والرحم انهما لعظم شانهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية
حقهما يوقفان للامين والخائن والواصل والقاطع فيحاجان عن المحق ويشهدان على المبطل وكذا وقع في حديث ابي هريرة
الخائن

يعم أهل الجمع في الموقف الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد ثم تمييز المنافقين من المؤمنين ثم حلول الشفاعة بعد
وضع الصراط والمرور عليه فكان الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد هو أول فصل القضاء والإراحة من كرب الموقف
وبهذا تجتمع متون الأحاديث وتترتب معانيها انتهى فظهر أنه صلى الله عليه وسلم أول ما يشفع ليقضي بين الخلق
وأن الشفاعة فيمن يخرج من النار ممن سقط تقع بعد ذلك وأن العرض والميزان وتطاير الصحف تقع في هذا الموطن
ثم ينادي ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فيسقط الكفار في النار ثم يميز بين المؤمنين والمنافقين بالامتحان بالسجود
عند كشف الساق ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه فيطفأ نور المنافقين فيسقطوا في النار أيضا ويمر
المؤمنون عليه إلى الجنة فمن العصاة من يسقط ويوقف من نجا عند القنطرة للمقاصة بينهم ثم يدخلون الجنة وقد
قال النووي ومن قبله القاضي عياض الشفاعات خمس الأولى في الإراحة من هول الموقف الثانية إدخال قوم الجنة
بغير حساب الثالثة في إدخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب أن لا يعذبوا الرابعة في إخراج من أدخل النار من
العصاة الخامسة في رفع الدرجات انتهى أما الأولى وهي التي لإراحة الناس من هول الموقف فيدل عليها حديث
أبي هريرة وغيره المتقدم وحديث أنس عند البخاري ولفظه يجمع الله الناس يوم القيمة فيقولون لو استشفعنا إلى
ربنا حتى يريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك
فاشفع لنا إلى ربنا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته ائتوا نوحا وذكر الأنبياء واحدا واحدا إلى أن قال فيأتوني
فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ثم يقال لي ارفع رأسك سل تعطه وقل يسمع واشفع
تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني الحديث وأما الثانية وهي إدخال قوم الجنة بغير حساب فيدل عليها
ما في آخر حديث أبي هريرة عند البخاري ومسلم الذي قدمته فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي يا رب أمتي فيقال يا محمد
أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة قال أبو حامد والسبعون ألفا الذين يدخلون
الجنة بلا حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفا وإنما هي براءات مكتوبة لا إله إلا الله محمد رسول الله
هذه براءة فلان بن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا فما مر عليه شيء أسر من ذلك المقام وأما
الثالثة وهي إدخال قوم حوسبوا أن لا يعذبوا فقد يدل على ذلك قوله في حديث حذيفة عند مسلم ونبيكم على الصراط
يقول رب سلم سلم وأما الرابعة وهي في إخراج من أدخل النار من العصاة فقد تلاها كثير وقد روى البخاري عن عمران
ابن الحصين مرفوعا يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين وأما الخامسة وهي في
رفع الدرجات فقال النووي في الروضة إنها من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يذكر لذلك مستندا والله أعلم
وقد يحكي القاضي عياض شفاعة سادسة وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب
لما ثبت في الصحيح أن العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل
نفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح وفي الصحيح أيضا من طريق أبي سعيد أنه صلى الله
عليه وسلم قال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيمة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه وزاد بعضهم
سابعة وهي الشفاعة لأهل المدينة لحديث سعد رفعه لا يثبت أحد على لأوائها إلا كنت له شهيدا أو شفيعا
يوم القيمة وتعقبه الحافظ ابن حجر بأن متعلقها لا يخرج عن واحد من الخمس الأول وبأنه لو عد مثل ذلك لعد
حديث عبد الملك بن عباد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول أول من أشفع له أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل
الطائف رواه البزار وزاد القرطبي أنه أول شافع في دخول أمته الجنة قبل الناس ويدل عليه ما رواه وزاد في فتح
الباري أخرى فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة لما أخرجه الطبراني عن ابن عباس قال السابق يدخل
الجنة بغير حساب والمقتصد برحمة الله والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون بشفاعته صلى الله عليه وسلم

وارجح

وأرجح الأقوال في أصحاب الأعراف أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وشفاعة أخرى وهي شفاعته فيمن
قال لا إله إلا الله ولم يعمل خيرا قط لرواية الحسن عن أنس فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال
ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله فالوارد على الخمسة أربعة
وما عداها لا يرد كما لا يرد الشفاعة في التخفيف عن صاحبي القبرين وغير ذلك لكونه من جملة أحوال الدنيا انتهى
فإن قلت فأي شفاعة ادخرها صلى الله عليه وسلم لأمته أما الأولى فلا تختص بهم بل هي لإراحة الجمع كله وهي المقام
المحمود كما تقدم وكذلك باقي الشفاعات لظاهر أنه يشاركهم فيها بقية الأمم فالجواب أنه يحتمل أن المراد بالشفاعة
العظمى التي للإراحة من هول الموقف وهي وإن كانت غير مختصة بهذه الأمة لكن هم الأصل فيها وغيرهم تبع لهم ولهذا
كان اللفظ المنقول عنه صلى الله عليه وسلم فيها أنه قال يا رب أمتي أمتي فحظهم فيها واجب وكان غيرهم تبعا لهم في ذلك
ويحتمل أن تكون الشفاعة الثانية وهي التي في إدخال قوم الجنة بغير حساب هي المختصة بهذه الأمة فإن الحديث
الوارد فيها يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا الحديث ولم ينقل ذلك في بقية الأمم ويحتمل أن يكون المراد مطلق الشفاعة
المشتركة بين الشفاعات الخمس وكون غير هذه الأمة يشاركونهم فيها أو في بعضها لا ينافي أن يكون عليه السلام
أخر دعوته شفاعة لأمته فلعله لا يشفع لغيرهم من الأمم بل يشفع لهم أنبياؤهم ويحتمل أن تكون الشفاعة لغيرهم تبعا
كما تقدم مثله في الشفاعة العظمى والله أعلم وعن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني لأرجو أن أشفع
يوم القيمة عدد ما على الأرض من شجرة ومدرة رواه أحمد وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن
آخر الأمم وأول من يحاسب يقال أين الأمة الأمية ونبيها فنحن الآخرون الأولون رواه ابن ماجه وفي حديث
ابن عباس عند أبي داود الطيالسي مرفوعا إذا أراد الله أن يقضي بين خلقه نادى مناد أين محمد وأمته فأقوم
وتتبعني أمتي غرا محجلين من أثر الطهور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون الأولون وأول من
يحاسب وتفرج لنا الأمم عن طريقنا وتقول الأمم كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها وقد صح أن أول ما يقضى
بين الناس في الدماء رواه البخاري وللنسائي مرفوعا أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس
الدماء وفي البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال أنا أول من يجثو يوم القيمة بين يدي الرحمن للخصومة
يريد قصته في مبارزته هو وصاحباه الثلاثة من كفار قريش قال أبو ذر وفيهم نزلت هذان خصمان اختصموا
الآية وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيمة حتى يسأل عن أربع عن عمره
فيما أفناه وعن علمه فيما عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه رواه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح وفي البخاري من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نوقش الحساب عذب
وروى البزار عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج لابن آدم يوم القيمة ثلاثة دواوين ديوان
فيه العمل الصالح وديوان فيه ذنوبه وديوان فيه النعم من الله عليه فيقول الله لأصغر نعمة أحسبه قال في ديوان
النعم خذي ثمنك من عمله الصالح فتستوعب عمله الصالح وتقول وعزتك ما استوفيت وتبقى الذنوب والنعم
وقد ذهب العمل الصالح فإذا أراد الله أن يرحم عبدا قال يا عبدي قد ضاعفت لك حسناتك وتجاوزت
عن سيئاتك أحسبه قال ووهبت لك نعمي وروى الإمام أحمد بسند حسن عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليختصمن كل شيء يوم القيمة حتى الشاتان فيما انتطحتا وعن أنس بينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال له عمر ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال رجلان
من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يا رب خذ لي مظلمتي من أخي فقال الله كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته
شيء قال يا رب فليحمل من أوزاري وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال إن ذلك ليوم عظيم

حتى يريحنا فيقولون

فتستوعب عمله الصالح

يحتاج الناس ان يحمل عنهم من اوزارهم فقال الله للطالب ارفع بصرك وانظر فقال يا رب ارى مدائن من ذهب
وقصور مكللة باللؤلؤ لاى نبى هذا او لاى صديق هذا او لاى شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن
يملك ذلك قال انت تملكه قال بماذا قال بعفوك عن اخيك قال يا رب فانى قد عفوت عنه قال الله تعالى
فخذ بيد اخيك وادخله الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم
فان الله يصلح بين المسلمين رواه الحاكم والبيهقى فى البعث كلاهما عن عباد بن شيبة الحبطى عن سعيد بن انس عنه
وقال الحاكم صحيح الاسناد كذا قال وقد قيل لو ان رجلا له ثواب سبعين نبيا وله خصم بنصف دانق لم يدخل الجنة
حتى يرضى خصمه وقيل يوخذ بدانق سبع مائة صلاة مقبولة فتعطى للخصم ذكره القشيرى فى التحبير ثم بعد انقضا الحساب
يكون وزن الاعمال لان الوزن للجزا فينبغى ان يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن لاظهار
مقاديرها ليكون الجزا بحسبها وقد ذكر الله تعالى الميزان فى كتابه بلفظ الجمع وجاءت السنة بلفظ الافراد والجمع
فقيل ان صورة الافراد محمولة على ان المراد الجنس جمعا بين الكلامين وقال بعضهم يحتمل ان يكون تعددها
بتعدد الاعمال فيكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من اعماله وذهبت طايفة
الى انه ميزان واحد يوزن بها الجميع وانما ورد به بصيغة الجمع للتفخيم وليس المراد حقيقة العدد وهو نظير قوله تعالى
كذبت قوم نوح المرسلين والمراد رسول واحد وهذا هو المعتمد وعليه الاكثرون واختلف فى كيفية وضع الميزان
والذى جاء فى اكثر الاخبار ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش ثم يوتى بالميزان فينصب بين يدى
الله تعالى فتوضع كفة الحسنات مقابل الجنة وكفة السيئات مقابل النار ذكره الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول
واختلف ايضا فى الموزون نفسه فقال بعضهم توزن الاعمال انفسها وهى وان كانت اعراضا الا ان الله يجسمها يوم
القيمة فتوزن وقيل الموزون صحايف الاعمال ويدل عليه حديث البطاقة المشهور وقد رواه الترمذى من
حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه بلفظ ان الله يستخلص رجلا من امتى على رؤس الخلايق يوم القيمة فينشر عليه
تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيا اظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يا رب
فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فيقول احضر وزنك فيقول ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فانه لا يثقل
مع اسم الله شى فان قلت ان شان الميزان ان يوضع فى كفة منه شى وفى الاخرى ضده فتوضع الحسنات فى كفة والسيئات فى كفة
والذى يقابل شهادة التوحيد الكفر ويستحيل ان ياتى عبد واحد بالكفر والايمان معا حتى يوضع الايمان فى كفة
والكفر فى اخرى اجاب الترمذى الحكيم بانه ليس المراد وضع شهادة التوحيد فى كفة الميزان وانما المراد وضع الحسنة
المرتبة على النطق بهذه الكلمة مع سائر الحسنات ويدل له ما قاله من قوله عليه السلام بلى ان لك عندنا حسنة
ولم يقل ان لك عندنا ايمانا وقد سيل عليه السلام عن لا اله الا الله امن الحسنات هى فقال من اعظم الحسنات
خرجه البيهقى وغيره ويجوز كما قاله القرطبى فى التذكرة ان تكون هذه الكلمة هى اخر كلامه فى الدنيا كما فى
حديث معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وفى التحبير
للقشيرى قيل لبعضهم فى المنام ما فعل الله بك قال وزنت حسناتى فرجحت السيئات على الحسنات فسقطت
صرة فى كفة الحسنات فرجحت فحلت الصرة فاذا فيها كف تراب القيته فى قبر مسلم وفى الخبر اذا
خفت حسنات المومن اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالانملة فيلقيها فى كفة الميزان اليمنى التى فيها
حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المومن للنبى صلى الله عليه وسلم بابى انت وامى ما احسن
وجهك وما احسن خلقك فمن انت فيقول انا نبيك محمد وهذه صلاتك التى كنت تصلى على وقد وفيتك احوج ما

ما تكون

ما تكون اليها ذكره القشيرى فى تفسيره وذكر الغزالى انه يوتى برجل يوم القيمة فما يجد حسنة يرجح بها
ميزانه وقد اعتدلت بالسوية فيقول الله تعالى رحمة اذهب فى الناس فالتمس من يعطيك حسنة
ادخلك بها الجنة فما يجد احدا يكلمه فى ذلك الامر الا يقول له انا احوج لذلك منك فييأس فيقول له رجل
لقد لقيت الله فما وجدت فى صحيفتى الا حسنة واحدة وما اظنها تغنى عنى شيا خذها هبة فينطلق بها فرحا
مسرورا فيقول الله ما بالك وهو اعلم فيقول يا رب اتفق من امرى كيت وكيت قال فينادى الله تعالى
بصاحبه الذى وهبه الحسنة فيقول له تعالى كرمى اوسع من كرمك خذ بيد اخيك وانطلقا الى الجنة
وكذا يستوى كفتا الميزان لرجل فيقول الله تعالى له لست من اهل الجنة ولا من اهل النار فياتى الملك
بصحيفة فيضعها فى كفة الميزان فيها مكتوب اف فترجح على الحسنات لانها كلمة عقوق فيومر به الى
النار قال فيطلب الرجل ان يرد الى الله تعالى فيقول الله تعالى ردوه فيقول له ايها العبد العاق لاى شى
تطلب الرد الى فيقول الهى سائر الى النار وكنت عاقا لابى وهو سائر الى النار مثلى فضعف على عذابه وانقذه
منها قال فيضحك الله تعالى ويقول عققته فى الدنيا وبررته فى الاخرة خذ بيد ابيك وانطلقا الى الجنة
وقد روى عن حذيفة ان صاحب الميزان يوم القيمة جبريل عليه السلام وهو الذى يزن الاعمال يوم القيمة
رواه ابن جرير فى تفسيره واختلف ايضا فى كيفية الرجحان والنقص فقال بعضهم الراجح ان الموزون فى الاخرة
يعمل عكس ما فى الدنيا واستشهد فى ذلك بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب الاية قال الزركشى وهو
غريب مصادم لقوله تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وهل توزن الاعمال كلها ام
خواتيمها حكى عن وهب بن منبه انه قال يوزن من الاعمال خواتيمها واستدل بقوله عليه السلام انما الاعمال
بخواتيمها وذكر الحافظ ابو نعيم عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قضى لاخيه حاجة
كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له وقال بعض اهل العلم فيما حكاه القرطبى فى التذكرة لن يجوز
احد الصراط حتى يسال فى سبع قناطر فاما القنطرة الاولى فيسال عن الايمان بالله وهو شهادة ان لا اله الا
الله فان جاء بها مخلصا جاز ثم يسال على القنطرة الثانية عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسال فى
القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان فان جاء به تاما جاز ثم يسال فى الرابعة عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز
ثم يسال فى الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامين جاز الى القنطرة السادسة فيسال عن الغسل والوضوء
فان جاء بهما تامين جاز ثم يسال فى السابعة وليس فى القناطر اصعب منها فيسال عن ظلامات الناس
وفى حديث ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فاكون انا وامتى اول
من يجيز ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفى جهنم كلاليب مثل
شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى فتخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله
ومنهم من يخردل ثم ينجو الحديث رواه البخارى وفى حديث حذيفة وابى هريرة عند مسلم وبينكم قايم
على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز اعمال العباد حتى ياتى الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا قال
وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مامورة باخذ من امرت به فمخدوش ناج ومكردس فى النار وهذه
الكلاليب هى الشهوات المشار اليها فى الحديث حفت النار بالشهوات فالشهوات موضوعة على
جوانبها فمن اقتحم الشهوة سقط فى النار قاله ابن العربى وتعجيل من قوله فمخدوش الى اخره ان المارين على
الصراط ثلاثة اصناف ناج بلا خدوش وهالك من اول وهلة ومتوسط بينهما مصاب ثم ينجو وفى حديث
المغيرة عند الترمذى شعار المومنين على الصراط رب سلم رب سلم ولا بن مردويه هذا الكلام شعار

المؤمنين ان ينطقوا به بل ينطق به الرسل يدعون للمؤمنين بالسلامة فسمي ذلك شعارا لهم وفي حديث
ابن مسعود فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين ايديهم الحديث
وفيه فيمرون على قدر نورهم منهم من يمر كطرفة العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب
ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل
حتى يمر الذي يعطى نوره على ظهر قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تخر يد وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل
وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها فقال الحمد لله الذي اعطاني ما لم
يعط احدا اذ نجاني منها بعد اذ رايتها الحديث رواه ابن ابي الدنيا والطبراني وروى مسلم قال ابو سعيد بلغني
ان الصراط احد من السيف وادق من الشعر ولابن المبارك من مرسل عبيد بن عمير ان الصراط مثل السيف
وبجنبتيه كلاليب انه ليوخذ بالكلوب الواحد اكثر من ربيعة ومضر واخرجه ابن ابي الدنيا من هذا
الوجه وفيه والملائكة على جنبتيه يقولون رب سلم رب سلم وعن الفضيل بن عياض بلغنا ان الصراط مسيرة
خمس عشرة الف سنة خمسة الاف صعود وخمسة الاف هبوط وخمسة الاف مستوى ادق من الشعر
واحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه الا ضامر مهزول من خشية الله ذكره ابن عساكر في ترجمته
قال في فتح الباري وهذا معضل لا يثبت قال وعن سعيد بن ابي هلال بلغنا ان الصراط ادق من الشعر
على بعض الناس ولبعض الناس مثل الوادي الواسع اخرجه ابن المبارك وهو مرسل او معضل وقد ذهب بعضهم
الى ان المراد من قوله تعالى وان منكم الا واردها الجواز على الصراط لانه ممدود على النار وروي عن ابن عباس
وابن مسعود وكعب الاحبار انهم قالوا الورود المرور على الصراط وقيل الورود الدخول وعن ابي سمية قال
اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضنا يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت
جابر بن عبد الله فقلت له انا اختلفنا في الورود فقال يردونها جميعا فقلت له انا اختلفنا في ذلك فقال بعضنا لا
يدخلها مؤمن وقال بعضنا يدخلونها جميعا فاهوى باصبعيه الى اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما
كما كانت على ابرهيم حتى ان للنار او قال لجهنم ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ونذر الظالمين
رواه احمد والبيهقي باسناد حسن واخرج ابن الجوزي كما ذكره القرطبي في التذكرة رفعه الزالون على الصراط
كثير واكثر من يزل عنه النساء قال واذا صار الناس على طرف الصراط نادى ملك من تحت العرش
يا فطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم فيالها من ساعة ما اعظم خوفها واشد
حرها يتقدم فيها من كان في الدنيا ضعيفا مهينا ويتاخر عنها من كان فيها عظيما مكينا ثم يوذن لجميعهم
بعد ذلك في الجواز على الصراط على قدر اعمالهم فاذا عصف الصراط بامة محمد نادوا وامحمداه وامحمداه فيبادر
عليه السلام من شدة اشفاقه عليهم وجبريل آخذ بحجزته فينادي صلى الله عليه وسلم رافعا صوته رب
امتي امتي لا اسالك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي والملائكة قيام عن يمين الصراط ويساره ينادون رب
سلم سلم وقد عظمت الاهوال واشتدت الاوجال والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال والزبانية يتلقونهم
بالسلاسل والاغلال وينادونهم اما نهيتم عن كسب الاوزار اما انذرتم كل الانذار اما جاءكم النبي
المختار ذكره ابن الجوزي في كتاب روضة المشتاق والطريق الى الملك الخلاق وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال
من احسن الصدقة في الدنيا جاز على الصراط رواه ابو نعيم وفي حديث من بنى المسجد بنى الله له بيتا بالروح
والرحمة والجواز على الصراط الى الجنة وروى القرطبي عن ابن المبارك عن عبد الله بن سلام اذا كان يوم القيمة

وذكر ابن ابي الدنيا من هذا الوجه قال سعيد بن هلال بلغني ان وصله البيهقي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ...

الورود

ضمنا

نهيتم

جمع الله الانبيا نبيا نبيا وامة امة ويضرب الجسر على جهنم وينادي اين احمد وامته فيقوم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتتبعه امته برها وفاجرها حتى اذا كان على الصراط طمس الله ابصار اعدائه فتهافتوا
في النار يمينا وشمالا ويمضي النبي صلى الله عليه وسلم والصالحون معه فتتلقاهم الملائكة فيدلونهم على
الطريق على يمينك على شمالك حتى ينتهي الى ربه فيوضع له كرسي عن يمين العرش ثم يتبعه عيسى عليه السلام
على مثل سبيله وتتبعه امته برها وفاجرها حتى اذا كانوا على الصراط طمس الله ابصار اعدائهم فتهافتوا
في النار يمينا وشمالا الحديث واعلم ان في الآخرة صراطين احدهما مجاز لاهل المحشر كلهم الا من يدخل الجنة
بغير حساب او يلتقطه عنق النار فاذا خلص من خلص من الصراط الاكبر حبسوا على صراط آخر لهم ولا يرجع الى
النار احد من هولاء ان شاء الله لانهم قد عبروا الصراط الاول المضروب على متن جهنم وقد روى البخاري من
حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون
على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن
لهم في دخول الجنة فوالذي نفسي بيده لاحدهم اهدى في الجنة بمنزله منه بمنزله كان في الدنيا

دخول الجنة واحوالها

واما تفضيله صلى الله عليه وسلم بانه اول من يقرع باب الجنة واول من يدخلها ففي صحيح مسلم من حديث
المختار بن فلفل عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اكثر الناس تبعا يوم القيمة وانا
اول من يقرع باب الجنة وفيه ايضا من حديث انس قال صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيمة
فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك ورواه الطبراني وزاد فيه
قال فيقوم الخازن ويقول لا افتح لاحد قبلك ولا اقوم لاحد بعدك فقيامه له صلى الله عليه وسلم خاصة
فيه اظهار لمزيته ومرتبته وانه لا يقوم في خدمة احد بعده بل خزنة الجنة يقومون في خدمته وهو كالملك
عليهم وقد اقامه الله تعالى في خدمة عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وروى سهيل بن ابي صالح عن زياد
النميري عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من ياخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر رواه
وهو في مسند الفردوس لكن من حديث ابن عباس وعن ابي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه
الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فياتون ادم
فذكر الحديث الى ان قال فياتوني فانطلق معهم قال ابن جدعان قال انس فكاني انظر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون
مرحبا فاخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال ارفع راسك الحديث رواه الترمذي وقال حسن
وفي حديث سلمان عنه فياخذ بحلقة الباب وهي من ذهب فيقرع الباب فيقال من
هذا فيقول محمد فيفتح وفي حديث الصور ان المؤمنين اذا انتهوا الى باب الجنة تشاوروا فيمن يستاذن لهم
في الدخول فيقصدون ادم ثم نوحا ثم ابرهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمدا صلى الله عليه وسلم كما فعلوا عند العرصات
عند استشفاعهم الى الله عز وجل في فصل القضاء ليظهر شرف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء
البشر كلهم في المواطن كلها وروى ابو هريرة مرفوعا ان اول من يفتح له باب الجنة انا الا ان امراة تبادرني
فاقول لها ما لك ومن انت فتقول انا امراة قعدت على ايتام لي رواه ابو يعلى ورواته لا باس بهم وقال
المنذري اسناده حسن ان شاء الله وقوله تبادرني اي لتدخل معي او تدخل في اثري ويشهد له حديث
انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال باصبعيه السبابة والوسطى رواه البخاري من حديث سهل بن سعد

يعني يسكونون ... (margin)

ايتاما لي

اذا وكما ...

قال ابن بطال حق على من سمع هذا الحديث ان يعمل به ليكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ولا منزلة
في الجنة افضل من ذلك انتهى ويحتمل ان يكون المراد قرب المنزلة حالة دخول الجنة كما في الحديث قبله
ووجه التشبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم من شانه ان يبعث الى قوم لا يعقلون امر دينهم فيكون كافلا
لهم ومرشدا وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل امر دينه بل ولا دنياه ويعلمه ويحسن ادبه وعن ابن
عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم وهم يتذاكرون
فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابرهيم خليلا وقال اخر ماذا باعجب من موسى
كلمه تكليما وقال اخر فعيسى روح الله وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم
ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى كليم الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه
الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا
فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر رواه
الترمذي وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا
خطيبهم اذا انصتوا وقائدهم اذا وفدوا وشافعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي ومفاتيح الجنة
يومئذ بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم اللولو المكنون رواه الترمذي والنسائي
واللفظ له وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون الاولون يوم القيمة ونحن اول
من يدخل الجنة رواه مسلم وعنه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن الاخرون الاولون يوم القيمة نحن اول
الناس دخولا الجنة رواه فهذه الامة اسبق الامم خروجا من الارض واسبقهم الى
اعلى مكان في الموقف واسبقهم الى ظل العرش واسبقهم الى فصل القضا واسبقهم الى الجواز على الصراط واسبقهم
الى دخول الجنة وهي اكثر اهل الجنة روى عبد الله بن الامام احمد من حديث ابي هريرة لما نزلت هذه الاية
ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قال صلى الله عليه وسلم انتم ثلث اهل الجنة انتم نصف اهل الجنة انتم ثلثا
اهل الجنة قال الطبري تفرد به يعني ابن المبارك عن الثوري وفي حديث بهز بن حكيم رفعه اهل الجنة
عشرون ومائة صف انتم منها ثمانون وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الجنة حرمت على الانبيا كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي قال الدارقطني
غريب عن الزهري فان قلت فما تقول في الحديث الذي صححه الترمذي من حديث بريدة بن الحصيب قال
اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال يا بلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلت الجنة قط
الا سمعت خشخشتك امامي الحديث اجاب عنه ابن القيم بان تقدم بلال بين يديه صلى الله عليه وسلم
انما هو لانه كان يدعو الى الله اولا بالاذان ويتقدم اذانه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فيتقدم
دخوله بين يديه كالحاجب والخادم قال وقد روي في حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
يبعث يوم القيمة وبلال بين يديه بالاذان فتقدمه بين يديه كرامة له صلى الله عليه وسلم
واظهار لشرفه وفضيلته لا سبقا من بلال له وروى ابن ابي شيبة من حديث ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل فاخذ بيدي فاراني باب الجنة
الذي تدخل منه امتي فقال ابو بكر يا رسول الله وددت اني كنت معك حتى انظر اليه فقال صلى
الله عليه وسلم اما انك يا ابا بكر اول من يدخل من امتي فقد دل هذا الحديث على ان لهذه الامة بابا مختصا

يدخلون الجنة

يدخلون منه الجنة دون سائر الامم فان قلت من اي ابواب الجنة يدخل النبي صلى الله عليه وسلم فالجواب
انه قد ذكر الترمذي الحكيم ابواب الجنة كما نقله عنه القرطبي في التذكرة فذكر باب محمد صلى الله عليه وسلم
قال وهو باب الرحمة وهو باب التوبة فان قلت كم عدة ابواب الجنة فاعلم ان في حديث ابي هريرة
عند الشيخين مرفوعا من انفق زوجين في سبيل الله دعي من ابواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان
من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من اهل
الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان وروى الترمذي من
حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا ما منكم من احد يتوضا فيسبغ الوضوء ثم قال اشهد ان لا
ابواب الجنان ١٣ اله الا الله وان محمدا رسول الله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية بزيادة من قال القرطبي وهذا يدل
على ان ابواب الجنة اكثر من ثمانية قال وانتهى عددها الى ثلثة عشر بابا كما قاله فان قلت اي الجنان سكنها
لي النبي صلى الله عليه وسلم فاعلم وفقني الله واياك للتمتع بذاته المقدسة في الحضرة الفردوسية ان الله لما
قد اتخذ من الجنان دارا اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده فهي سيدة الجنان
والله يختار من كل نوع اعلاه وافضله كما اختار من الملائكة جبريل ومن البشر محمدا صلى الله عليه وسلم
وربك يخلق ما يشاء ويختار وفي الطبراني من حديث ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينزل الله تعالى في اخر ثلث ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر
فيه غيره فيمحو ما يشا ويثبت ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن لا يكون
معه فيها احد الا الانبيا والشهدا والصديقون وفيها ما لم يره احد ولا خطر على قلب بشر ثم يهبط اخر ساعة
من الليل فيقول الا مستغفر يستغفرني فاغفر له الا سائل يسالني فاعطيه الا داع يدعوني فاستجيب له حتى
يطلع الفجر وفي حديث عند انه اي جنة عدن منازل المرسلين منها وارفع منازلها فوق
منازلهم وروى ابو الشيخ عن سمرة بن عطية قال خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خمس مرات
فيقول ازدادي طيبا لاوليائي ازدادي حسنا لاوليائي فتامل هذه العناية كيف جعل الجنة التي غرسها
بيده لمن خلقه بيده ولافضل ذريته اعتنا وتشريفا واظهارا لفضل ما خلقه بيده وشرفه وتمييزه بذلك
عن غيره وروى الدارمي عن عبد الله بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله ثلثة اشيا
بيده خلق ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر
ولا الديوث وفيه ابو معشر نجيح بن عبد الرحمن تكلم فيه وروى الدارمي ايضا عن عبد الله بن عمر خلق الله
اربعة اشيا بيده العرش والقلم وعدن وادم عليه السلام ثم قال لسائر الخلق كن فكان وعن ابن [illegible]
ميسرة قال ان الله لم يمس شيئا من خلقه غير ثلث خلق ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده
فجنة عدن اعلى الجنان وهي سيدتها وهي قصبة الجنة وفيها الكثيب الذي يقع فيه الرؤية وعليها بل وعلى ثمانية
اسوار من كل سور جنة فالتي تلي جنة عدن جنة الفردوس واصله البستان وهي اوسط الجنان
التي دون جنة عدن وافضلها ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة الماوى وهي التي ياوي اليها جبريل
والملائكة وعن مقاتل ياوي اليها ارواح الشهدا ثم دار السلام لانها دار السلامة من كل مكروه ثم دار
واحد المقامة ولعل ان للجنة اسما عديدة باعتبار صفاتها ومسماها باعتبار ذاتها فهي مترادفة من هذا الوجه
ومختلفة باعتبار صفاتها فاسم الجنة هو الاسم العام المتناول لتلك الذوات وما اشتملت عليه من انواع
النعيم والسرور وقرة العين وهذه اللفظة مشتقة من الستر ومنه سمي البستان جنة لانه يستر داخله
بالاشجار والجنات كثيرة جدا كما قال صلى الله عليه وسلم لام حارثة لما قتل ببدر وقد قالت يا رسول الله

ألا تحدثني عن حارثة فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت في البكاء عليه فقال يا أم
حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه
جنتان فذكرهما ثم قال ومن دونهما جنتان فهذه أربع وقال عليه السلام جنتان من ذهب
آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما رواه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري
وقد قسم بعضهم الجنان بالنسبة إلى الداخلين فيها ثلاثة جنة اختصاص إلهي وهي التي يدخلها الأطفال
الذين لم يبلغوا الحلم ومن أهلها أهل الفترات ومن لم تصل إليه دعوة رسول الجنة الثانية جنة
ميراث ينالها كل من دخل الجنة من المؤمنين وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها
والجنة الثالثة جنة الأعمال التي ينزل فيها الناس بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل
كان له من الجنة أكثر وسواء كان الفاضل دون المفضول أو لم يكن غير أنه فضله في هذا المقام بهذه
الحالة فما من عمل من الأعمال إلا وله جنة ويقع التفاضل فيها بين أصحابها بحسب ما يقتضي أحوالهم
قال صلى الله عليه وسلم يا بلال بم سبقتني إلى الجنة الحديث فعلم أنها كانت جنة مخصوصة فما من
فريضة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرم إلا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص يناله من دخلها وقد
يجمع الواحد من الناس في الزمان الواحد أعمالا من العبادات فيؤجر في الزمان الواحد من وجوه كثيرة
فيفضل غيره ممن ليس له ذلك فعلم بذلك أن نيل المنازل والدرجات في الجنان بالأعمال وأما الدخول
فلا يكون إلا برحمة الله تعالى كما في البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لن يدخل أحدا الجنة عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته
أي يلبسنيها ويسترني بها مأخوذ من غمد السيف وهو غلافه وعند الإمام أحمد بإسناد حسن من
حديث أبي سعيد الخدري لن يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن
يتغمدني الله برحمته وقال بيده فوق رأسه يعني أن الجنة إنما تدخل برحمة الله وليس عمل العبد مستقلا
بدخولها وإن كان سببا ولهذا أثبت الله دخولها بالأعمال في قوله تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها
بما كنتم تعملون ونفى صلى الله عليه وسلم دخولها بالأعمال في قوله لن يدخل أحدا منكم الجنة عمله ولا تنافي
بين الأمرين لما ذكره سفيان وغيره قال كانوا يقولون النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمة الله
واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال ويدل عليه حديث أبي هريرة أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل
أعمالهم رواه الترمذي قال ابن بطال يحمل الآية على أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال فإن درجات الجنة
متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال ويحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها ثم أورد على هذا الجواب قوله
تعالى سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فصرح بأن دخول الجنة أيضا بالأعمال وأجاب بأنه لفظ مجمل
بينه الحديث والتقدير ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون وليس المراد بذلك أصل الدخول
ثم قال ويجوز أن يكون الحديث مفسرا للآية والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله لكم
وتفضله عليكم لأن اقتسام منازل الجنة برحمة الله وكذا أصل دخول الجنة برحمته حيث ألهم العاملين
ما نالوا به ذلك ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته وفضله وقد تفضل الله عليهم ابتداء بإيجادهم
ثم برزقهم ثم بتعليمهم وأشار إلى نحوه القاضي عياض فقال وإن من رحمة الله توفيقه للعمل وهدايته
للطاعة وكل في ذلك لم يستحقه العامل بعمله وإنما هو بفضل الله ورحمته وقال غيره لا تنافي بين ما في
الآية والحديث لأن الباء التي ثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره وإن لم
يكن مستقلا بحصوله والباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلا للآخر نحو

استؤجرت

استؤجرت منه بكذا فأخبر أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد وأنه لولا رحمة الله لعبده لما أدخله الجنة
لأن العمل بمجرده ولو تناهى لا يوجب بمجرده دخول الجنة ولا يكون عوضا لها لأنه ولو وقع على الوجه الذي
يحبه الله لا يقاوم نعمة الله بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة فلو طالبه بحقه لبقيت عليه من الشكر
على تلك النعمة بقية لم يقم بها فلذلك لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم ولو رحمهم
لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم كما في حديث أبي بن كعب عند أبي داود وابن ماجه وهذا فصل الخطاب
مع الجبرية النفاة للحكمة والتعليل القائلين بأن القيام بالعبادة ليس إلا لمجرد الأمر من غير أن يكون سببا
للسعادة في معاش ولا معاد ولا نجاة المعتقدين أن النار ليست سببا للإحراق ولا الماء سببا للإرواء والتبرد
والقدرية الذين ينفون نوعا من الحكمة والتعليل القائلين بأن العبادة شرعت أثمانا لما يناله العباد
من الثواب والنعيم وأنها بمنزلة استيفاء الأجير أجرته محتجين بأن الله تعالى يجعلها عوضا كما في قوله
تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبقوله عليه السلام حاكيا عن ربه تعالى يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها
لكم ثم أوفيكم إياها وهاتان الطائفتان متقابلتان أشد التقابل وبينهما أعظم التباين فالجبرية لم تجعل
للأعمال ارتباطا بالجزاء البتة والقدرية جعلت ذلك كله بمحض الأعمال وثمنا لها والطائفتان جائرتان
منحرفتان عن الصراط المستقيم الذي فطر الله عليه عباده وجاءت به رسله ونزلت به كتبه وهو أن الأعمال
أسباب موصلة إلى الثواب والعقاب مقتضيات لهما كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها وأن الأعمال
الصالحة من توفيق الله ومنه وصدقته على عبده أن أعانه عليها ووفقه لها وخلق فيه إرادتها والقدرة
عليها وحببها إليه وزينها في قلبه وكره إليه أضدادها ومع هذا فليست ثمنا لجزائه وثوابه بل غايتها أن تكون
شكرا له تعالى إن قبلها سبحانه ولهذا نفى عليه السلام دخول الجنة بالعمل ردا على القدرية القائلين بأن الجزاء
بمحض الأعمال وثمنها وأثبت سبحانه وتعالى دخول الجنة بالعمل ردا على الجبرية الذين لم يجعلوا للعمل ارتباطا
بالجزاء فتبين أنه لا تنافي بينهما إذ تواردا النفي والإثبات ليس على معنى واحد فالمنفي استحقاقها بمجرد الأعمال
وكون الأعمال ثمنا وعوضا لها ردا على القدرية والمثبت الدخول بسببها العمل ردا على الجبرية والله يهدي
من يشاء إلى صراط مستقيم وقال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر يحمل الحديث على أن العمل من حيث هو عمل
لا يستفيد به العامل دخول الجنة ما لم يكن مقبولا وإذا كان كذلك فأمر القبول إلى الله تعالى وإنما يحصل برحمة
الله لمن يقبل منه وعلى هذا فمعنى قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون أي تعملونه من العمل المقبول ولا يضر هذا أن
تكون الباء للمصاحبة أو للإلصاق والمقابلة ولا يلزم من ذلك أن تكون سببية قال ثم رأيت النووي جزم
بأن ظاهر الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال والجمع بينها وبين الحديث أن التوفيق للأعمال والهداية
للإخلاص فيها وقبولها إنما هو برحمة الله وفضله فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح أنه دخل
بسبب العمل وهو من رحمة الله تعالى انتهى وروى الدارقطني عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نعم الرجل أنا لشرار أمتي فقالوا فكيف أنت لخيارها قال أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرار
أمتي فيدخلون الجنة بشفاعتي ذكره عبد الحق في العاقبة وأما تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالكوثر
وهو على وزن فوعل من الكثرة سمي بها هذا النهر الجليل لكثرة آنيته ومائه وعظم قدره وخيره وقد نقل
المفسرون في تفسير الكوثر أقوالا تزيد على العشرة ذكرت كثيرا منها في المقصد السادس من هذا الكتاب وأولاها
قول ابن عباس إنه الخير الكثير لعمومه لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فلا معدل عنه

فقد روى مسلم وابو داود والنسائي من طريق محمد بن فضيل وعلي بن مسهر كلاهما عن المختار بن فلفل عن انس
واللفظ لمسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا في المسجد اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه
متبسما فقلنا له ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك
الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر فقلنا الله ورسوله اعلم قال
انه نهر وعدنيه ربي عز وجل الحديث وفي البخاري من حديث قتادة عن انس قال لما عرج بالنبي صلى الله
عليه وسلم الى السماء قال اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر
ورواه ابن جرير عن شريك بن ابي نمر قال سمعت انس بن مالك يحدثنا قال لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم
مضى به جبريل فاذا هو بنهر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فذهب يشم ترابه فاذا هو مسك قال يا جبريل
ما هذا النهر قال هو الكوثر خبا لك ربك ورواه احمد عن انس ان رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر قال
نهر في الجنة اعطانيه ربي هو اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وعن ابي عبيدة عن عائشة قال سالتها
عن قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قالت نهر اعطيه نبيكم شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم رواه
البخاري وقوله شاطئاه اي حافتاه وقوله در مجوف اي القباب التي على جوانبه ورواه النسائي بلفظ
قالت نهر في بطنان الجنة قلت وما بطنان الجنة قالت وسطها حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت
ترابه المسك وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت وبطنان بضم الموحدة وسكون المهملة بعدها نون ووسط
بفتح المهملة المراد به اعلاها اي ارفعها قدرا والمراد اعلاها وعن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب والماء يجري على اللؤلؤ وماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
رواه احمد وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح وروي عن ابن عباس في قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر
قال هو نهر في الجنة عمقه سبعون الف فرسخ ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طير اعناقها
كاعناق البخت او اعناق الجزر قال عمر انها لناعمة شاطئاه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت خلق الله به
بغيه قبل الانبياء رواه ابن ابي الدنيا موقوفا وعن انس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر
قال نهر اعطانيه الله يعني في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق البخت او اعناق
الجزر قال عمر انها لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آكلها انعم منها رواه الترمذي وقال حسن
والجزر بضم الجيم والزاي جمع جزور وهو البعير قال الحافظ ابن كثير وقد تواتر حديث الكوثر من طريق
يفيد القطع عند كثير من ائمة الحديث وكذلك احاديث الحوض قال وهكذا روي عن انس وابو العالية وغير
واحد من السلف ان الكوثر نهر في الجنة واما تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة
والفضيلة فروى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله
لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة
حلت عليه الشفاعة قال الحافظ عماد الدين ابن كثير الوسيلة علم على اعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة وهي اقرب امكنة الجنة الى العرش وقال غيره الوسيلة فعيلة
من وسل اليه اذا تقرب يقال توسلت اي تقربت ويطلق على المنزلة العلية كما وقع في هذا الحديث فانها
منزلة في الجنة على انه يمكن ردها الى الاول فان الواصل الى تلك المنزلة قريب من الله فتكون كالقربة التي

يتوسل

يتوسل بها ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الخلق عبودية لربه واعلمهم به واشدهم له
خشية واعظمهم له محبة كانت منزلته اقرب المنازل الى الله تعالى وهي اعلى درجة في الجنة وامر صلى الله
عليه وسلم امته ان يسالوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفى وزيادة الايمان وايضا فان الله تعالى قدرها
له باسباب منها دعاء امته له بها بما نالوه على يديه من الهدى والايمان واما الفضيلة فهي المرتبة
الزائدة على سائر الخلائق ويحتمل ان تكون منزلة اخرى او تفسيرا للوسيلة وعن ابي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله لي الوسيلة رواه
في المسند وذكر ابن ابي الدنيا وقال درجة في الجنة ليس في الجنة اعلا منها فسلوا الله ان يؤتينيها على رؤوس
الخلائق وروى ابن مردويه عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سالتم الله فاسالوا لي الوسيلة
قالوا يا رسول الله من يسكن معك قال علي وفاطمة والحسن والحسين لكن قال الحافظ عماد الدين ابن
كثير انه حديث غريب منكر من هذا الوجه وعند ابن ابي حاتم من حديث علي ايضا انه قال على منبر الكوفة
انها الناس ان في الجنة لؤلؤتين احداهما بيضاء والاخرى صفراء فاما الصفراء فانها الى بطنان العرش
والمقام المحمود من اللؤلؤة البيضاء سبعون الف غرفة كل بيت منها ثلاثة اميال وغرفها وابوابها واسرتها
وسكانها من عرق واحد واسمها الوسيلة هي لمحمد صلى الله عليه وسلم واهل بيته والصفراء فيها مثل ذلك
هي لابراهيم عليه السلام واهل بيته وهو اثر غريب كما نبه عليه الحافظ ابن كثير ايضا وعن ابن عباس في قوله
تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال اعطاه الله تعالى في الجنة الف قصر في كل قصر ما ينبغي من الازواج
والخدم رواه ابن جرير وابن ابي حاتم من طريقه ومثل هذا لا يقال الا عن توقيف فهو في حكم المرفوع
خاتمة عن عائشة رضي الله عنها قالت جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انك لاحب
الي من نفسي وانك لاحب الي من اهلي واحب الي من ولدي واني لاكون في البيت فاذكرك فما اصبر حتى
آتيك فانظر اليك واذا ذكرت موتي وموتك عرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلت
الجنة خشيت ان لا اراك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الاية
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله رواه ابو نعيم وقال الحافظ ابو عبد الله المقدسي لا اعلم باسناد هذا الحديث
باسا كذا نقله في حادي الارواح وذكر البغوي في معالم التنزيل بلفظ نزلت يعني الاية في ثوبان مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد
تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما
بي وجع ولا مرض غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فخاف ان لا اراك
لانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة في منزلة ادنى من منزلك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه
الاية وكذا ذكره ابن ظفر في ينبوع الحياة لكن قال ان الرجل هو عبد الله بن زيد الانصاري الذي رأى الاذان
وليس المراد ان يكون من اطاع الله واطاع الرسول مع النبيين والصديقين كون الكل في درجة واحدة لان هذا
في الدرجة بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر
وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك فهذا هو
المراد من هذه المعية ولقد ثبت في الصحيحين من حديث انس ان رجلا قال يا رسول الله متى الساعة قال وما اعددت
لها قال لا شيء الا اني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت قال انس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم

انت مع من احببت قال انس فانا احب النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وارجو ان اكون معهم بحبي
اياهم وفي الحديث الالهي الذي رواه حذيفة كما عند الطبراني مسندا عن النبي ان الله تعالى قال ما تقرب الى
عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث وفيه من الزيادة على حديث
البخاري ويكون من اوليائي واصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة فلله درها
من كرامة يا لها ونعمة على المحبين سابغة فالمحب يرقى في درجات الجنات على اهل الطبقات حيث
ينظر اليه كما ينظر الى الكوكب الغابر في افق السموات لعلو درجته وقرب منزلته من حبيبه ومعيته معه
فان المرء مع من احب ولكل عمل جزاء وجزاء المحبة المحبة والوصول والقرب من المحبوب رؤيت امراة
مسرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي قيل لها بماذا قالت بمحبتي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه نوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحيي ان نذله بعتابنا
بل نجمع بينه وبين من هو محبه وانظر قوله تعالى طوبى لهم وحسن مآب وان طوبى اسم شجرة في الجنة
غرسها الله تعالى بيده تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة وان اصلها في دار
النبي صلى الله عليه وسلم وفي دار كل مؤمن منها غصن فما من جنة من الجنات الا وفيها من
شجرة طوبى ليكون سر كل نعيم ونصيب كل ولي من سره عليه السلام وانه صلى الله عليه وسلم ملاء
[illegible] فالولي يتنعم في جنته الا بالرسول متنعم بنعيمه لان الولي ما وصل اليها وصل اليه من النعيم
الا باتباعه لنبيه صلى الله عليه وسلم فلهذا كان سر النبوة ساريا في نعمه وكذلك ابليس ملاء النار
لا عذاب لاحد من اهلها الا وابليس لعنه الله سر تعذيبه ومشارك له فيه وفي الحور الي جنات عدن
تفسير قوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا قيل هي عين في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم
تفجر الى دور الانبياء والمرسلين والمؤمنين واذا علمت هذا فاعلم ان اعظم نعيم الجنة واكملها التمتع بالنظر الى وجه الرب
تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وقرة العين بالقرب من الله ورسوله مع الفوز بكرامة الرضوان
التي هي اكبر من الجنان وما فيها كما قال تعالى ورضوان من الله اكبر ولا ريب ان الامر اجل مما يخطر
بالبال او يدور في خيال ولا سيما عند فوز المحبين في روضة الانس وحظيرة القدس بمعية محبوبهم الذي
هو غاية مطلوبهم فاي نعيم واي لذة واي قرة عين واي فوز يداني تلك المعية ولذتها وقرة العين بها
وهل فوق نعيم قرة العين بمعية الله ورسوله نعيم فلا شيء والله اجل ولا اكمل ولا اجمل ولا احلى ولا احلى
ولا اعلى ولا اغلى من حضرة يجتمع فيها المحب باحبابه في مشهد مشاهد الكرام حيث يتجلى لهم حبيبهم ومعبودهم
الاله الحق جل جلاله خلف حجاب واحد في اسمه الجميل اللطيف فينفهق عليهم نور ليس كمثله حتى ذواتهم فيهيمون
من جمال الله وتشرق ذواتهم بنور ذاك الجمال الاقدس بحضرة الرسول الانفس ويقول لهم الحق جل جلاله
سلام عليكم عبادي ومرحبا بكم اهلا وداري انتم المومنون الآمنون لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
انتم اوليائي وجيراني واحبائي انا الله الجواد الغني وهذه داري قد اسكنتكموها وجنتي قد ابحتكموها
وهذه يدي مبسوطة ممتدة عليكم وانا ربكم انظر اليكم لا اصرف نظري عنكم انا لكم جليس وانيس فارفعوا الي
حوائجكم فيقولون ربنا حاجتنا اليك النظر الى وجهك الكريم والرضى عنا فيقول لهم جل جلاله هذا وجهي
فانظروا اليه وابشروا فاني عنكم راض ثم يرفع الحجاب ويتجلى لهم فيخرون سجدا فيقول لهم ارفعوا رؤوسكم
فليس هذا موضع سجود يا عبادي ما دعوتكم الا لتتمتعوا بمشاهدتي يا عبادي قد رضيت عنكم فلا اسخط
عليكم ابدا فيا لها من كلمة وما الذها من بشرى فعندها يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن

واحلنا

فيق البرق ... اتبع كنفهق و النفهق ق

واحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ان ربنا لغفور شكور
وهذا يدل على ان جميع العبادات تزول في الجنة الا عبادة الشكر والحمد والتسبيح والتهليل والذي يدل
عليه الحديث الصحيح انهم يلهمون ذلك كالهام النفس كما في مسلم من حديث جابر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يأكل اهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا يبولون ويكون ذلك طعامهم ذلك جشاء
ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس يعني تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الانفاس
فليس عن تكليف والزام وانما هو عن تيسير والهام ووجه التشبيه ان تنفس الانسان لا بد له منه ولا
كلفة ولا مشقة في فعله وكذلك يكون ذكر الله تعالى على السنة اهل الجنة وسر ذلك ان قلوبهم قد
تنورت بمعرفته وابصارهم قد تمتعت برؤيته وكل غمرتهم سوابغ نعمه وامتلأت افئدتهم بمحبته ومخالته
فالسنتهم ملازمة لذكره وقد اخبر الله تعالى عن شانهم في ذلك بقوله تعالى في كتابه العزيز وقالوا الحمد لله
الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين وقال تعالى دعواهم فيها
سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين قال كاتبه وجامعه
احمد بن الخطيب القسطلاني احمد الله تعالى عواقبه وبلغه من خيري الدارين مآربه هذا آخر ما جرى
به قلم المدد من هذه المواهب اللدنية ومطرته سحائب الفيض من المنح المحمدية وذلك والله لقليل
قليل في جنب شرفه الشامخ ويسير مما كرمه الله به من فضله الراسخ ولو تتبعنا ما منحه الله به من
مواهبه وشرفه به من مناقبه لما وسعت بعض بعضه الدفاتر وكلت دون مرماه الاقلام وجفت
المحابر وضاقت عن جمعه الكتب وعجزت عن حمله النجب

وعلى تفنن واصفيه بحسنه ... يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

والى الله تعالى اضرع ان يجعله خالصا
لوجهه الكريم مخلصا من شوائب الرياء ودواعي التعظيم وان ينفعني به والمسلمين والمسلمات في الحياة وبعد
الممات سائلا ممن وقف عليه من فاضل ان يلاحظه بعين بصيرته ويجمل على الانصاف سريرته ان يصلح بحلمه
عثاري وزللي ويسد بسداد فضله خطاي وخللي فالكريم يقيل العثار ويقبل الاعتذار خصوصا
عن مثلي مع قصر باعه في هذه الصناعة وكساد سوقه بما لديه من مزجاة البضاعة وما ابتلي به من شغل
الدنيا الدنية والعوارض البدنية وتحمله من الاثقال التي لو حملها رضوى لتضعضع او ثهلان لتخشع
وتصدع لكنني اخذت غفلة الظلام الغاسق والليل الواسق فسرقته من ايدي العوائق والليالي البوائق
السوارق واستنبطت معالم المعاني بمفاتيح فتح الباري واستخرجت من مطالب كنوز العلوم لآلئ الدراري
حامدا لله تعالى على ما انعم والهم وعلم ما لم اكن اعلم مصليا ومسلما على رسوله محمد اشرف انبيائه
وافضل مبلغ لانبائه وعلى اله واصحابه واحبابه وخلفائه صلاة لا ينقطع مددها ولا يفنى امدها
وقد فرغت من تبييضه في خامس عشر شعبان المكرم سنة تسع وتسعين وثمانمائة ومن تسويده
في ثاني شوال سنة ثمان وتسعين وثمانمائة [illegible] وكان الفراغ من نساخ هذه المواهب اللدنية بحمد الله
تعالى وعونه وحسن توفيقه ومنه في شهر ربيع الثاني على عشرين منه عام اثنين وخمسين وتسعمائة من الهجرة
النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام على يد افقر عباد الله تعالى واحوجهم الى رحمة ربه المعترف بذنبه
حسن بن محمد [illegible] العيني [illegible] الحرم الشريف المكي حامدا مصليا مسلما والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا فيه الى يوم الدين

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Hacı Beşir Ağa
175